

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر

المستقبل

في

الأمم المتحدة

الوطن
ALWATAN

المجلة

الجمهورية

الرأي العام

المجلد الأول

2007 - 1975

لعبة الغالب والمغلوب بين العرب.. وإيران.. والغرب

مقالات فؤاد مطر

في المستقبل

المجلة الوطن ALWATAN

الجمهورية العربية السورية

المجلد الأول: (1975-2007)





محتويات المجلد الأول من "المستقبل" ومنابر عربية أخرى (الأهرام "المجلة" "الجمهورية" "الوطن" "الرأي العام")

- 49 الإنتحار على الطريقة اللبنانية
- صحيفة "الأهرام". القاهرة – الجمعة 19 سبتمبر (أيلول) 1975
- تحليل للصراع الطائفي في لبنان يطرحه أمام المصريين من خلال صحيفة "الأهرام" الكاتب فؤاد مطر الذي عايش مراحل خطيرة من هذا الصراع
- 51 تفجير لبنان مسؤولية غير مصرية والحل مسؤولية مصرية بالدرجة الأولى
- صحيفة "الأهرام". القاهرة – الأربعاء 15 أكتوبر (تشرين الأول) 1975
- كيف أنه إذا كان تفجير لبنان مسؤولية لا علاقة لمصر بها، لكن التداعيات تفرض عليها بالذات السعي لإجتراح الحل الذي يطوق تداعيات التفجير ويعيد بعض العافية إلى لبنان
- 53 حول ما جرى ويجري في لبنان من هم «جنرالات» الحرب ومتى بدأوا التخطيط لها؟
- صحيفة "الأهرام". القاهرة – الإثنين 27 يناير (كانون الثاني) 1975
- إطلالة من كاتب لبناني (فؤاد مطر) في صحيفة "الأهرام" على حالة إحتراب في لبنان يثير الإستغراب ويسأل المصريون عن سر دواعيها وإستمرارها وعن جنرالات من المسلمين والمسيحيين يقودون جولاتها
- ماذا بعد تعديل المادة 73 من الدستور اللبناني؟
- 56 هل يواجه لبنان مآزق وجود رئيسين للجمهورية في وقت واحد؟!
- صحيفة "الأهرام". القاهرة – الأحد 11 أبريل (نيسان) 1976
- ... وتحليل عن صحيفة "الأهرام" عن مادة في الدستور اللبناني يتقاضى الأخذ بها وجود رئيسين للجمهورية في لبنان وتلك ظاهرة مدعاة للإستغراب الأخذ بها
- 61 مرحلة الوفاق الجديد!
- مجلة "المستقبل". باريس – السبت 8 أبريل (نيسان) 1978
- يوم بدا الوضع العربي أفضل بكثير مما كان عليه وذلك عندما عقد وزراء الخارجية العرب إجتماعاً في القاهرة بعد طول رفض وتحفظات من جانب بعض المشاركين
- 63 القرارات التي تُحقق الإجماع
- مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 أبريل (نيسان) 1978
- نظرة على مقررات إتخذت في ختام جلسات القمة العربية السابعة في الرباط بين 26 و29 أكتوبر وتمحورت حول العمل العربي وأسلوب التحرك في المرحلة اللاحقة
- 64 كي لا تُفاجأ أميركا بـ "مانغستو مصري"
- مجلة "المستقبل". باريس – السبت 29 أبريل (نيسان) 1978
- كيف أن الإدارة الأميركية بسبب طبيعة تعاملها مع مصر الساداتية عام 1978 قد تُفاجأ بولادة زعامة ثورية من نسيج زعامة مانغستو في أثيوبيا

- 66 **تحديات أمام الجامعة المنقولة!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 مايو (أيار) 1978
حول الجامعة العربية التي تم نقلها من القاهرة إلى تونس وهل أن الدول الأعضاء ستقرر وضع ثقلها لإنجاح الجامعة في مقرها الجديد
- 68 **الملف الأمني الذي يُفتح فجأة.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 مايو (أيار) 1978
كيف أن الملف الأمني في مصر يُفتح فجأة لمجرد أن يبدأ الحديث حول احتمال تغيير الحكومة وبالذات في زمن السادات حيث كان ممدوح سالم هو الذي يت رأس الحكومة
- 70 **الغلطان مائة بالمائة.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 مايو (أيار) 1978
قراءة في تصريحات لوزير الخارجية البحريني الشيخ محمد بن مبارك (قبل 35 سنة) دعا فيها إلى ضرورة إشراك الاتحاد السوفياتي في عملية البحث عن السلام في الشرق الأوسط
- 71 **تساؤلات حول أمور رئاسية.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 مايو (أيار) 1978
عندما نجد أن الصحافة المصرية لا تكتب إسم النائب الأول لرئيس الجمهورية في السودان بشكل صحيح فيصبح إسم "أبو القاسم إبراهيم" هو "عبد الجاسم محمد إبراهيم" ومع ذلك فالحديث يتواصل حول التكامل!
- 71 **هل بدأ العد العكسي للطموح السوفياتي في الخليج؟.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 13 مايو (أيار) 1978
تساؤلات حول ما إذا كان الطموح السوفياتي إلى موطيء قدم في منطقة الخليج ممكناً أو إنه من المستحيلات... ولماذا؟
- 74 **كارتر الإسرائيلي وكارتر العربي.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 13 مايو (أيار) 1978
كيف أن الرئيس الأميركي جيمي كارتر يتحدث بلسانين، فيقول للعرب الكلام الذي يرضيهم ويزعج الإسرائيليين ثم يقول للإسرائيليين الكلام الذي يزعج العرب. وإذا فإنه مراوغ بامتياز
- 76 **بعد محاولة الإنقضا على الجسمي!؟.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 20 مايو (أيار) 1978
حول واقعة لاقتة في مصر الساداتية تتمثل في محاولة للإنقضا تجاوزت كل الإعتبارات على الفريق أول عبد الغني الجسمي أحد أبرز قادة حرب 1973
- 79 **قبل فوات الأوان.....**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 20 مايو (أيار) 1978
أن يمارس الرئيس السادات الشجاعة في زيارة يقوم بها إلى إسرائيل، ولا يمارسها في جولة يقوم بها على كل الذين وقفوا معه بالسلاح والمال، فتلك مسألة تدعو إلى الإستغراب والحيرة
- 81 **الدور الآخر للسودان!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 27 أيار (مايو) 1978
تأملات في دور يمكن أن يمارسه السودان الذي إشتهر في تاريخه بأنه بلد التصادمات الفكرية والمعتقدات المتشعبة، في ضوء أربع مراحل إجتازتها ثورة 25 مايو 1969

- 83 **التصنيع المدروس**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 27 مايو (أيار) 1978
حول توصيات إتخذها مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية خلال إنعقاده في مدينة جدة، وكان أبرزها واحدة تطالب بضرورة التنسيق بالنسبة إلى الصناعات التي سيتم إنشاؤها مستقبلاً
- 84 **أي شيء أفضل من لا شيء**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 27 مايو (أيار) 1978
قراءة في معنى حصول مصر والسعودية على سلاح أميركي في ظُرف دقيق تعيشه منطقة الشرق الأوسط وتزايد فيها التحديات التي تتسم بالخطورة
- 86 **أمن سوريا من أمن لبنان**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 3 يونيو (حزيران) 1978
لماذا يشكّل جناحاً الرفض: المغربي (ليبيا) والمشرقي (سوريا) الهاجس الأمني للولايات المتحدة التي تحاول قصصاً الأولى بتكرار حرب السادات، أما الثاني فيتمثل بتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا يكون مسرحها لبنان؟
- 87 **مملكة هيكل أمام التحديات!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 3 يونيو (حزيران) 1978
كيف أنه بعد تعيين المدعي الإشتراكي أنور حبيب المقرب من السادات، بدأت عملية التحقيق حول الأقاليم المعادية لمصر، شملت 30 كاتباً وصحافياً، استُكملت بزيارات حبيب لمكاتب "الأهرام" للعثور على مخالفات ارتكبتها محمد حسنين هيكل المتهم بمبولة الأميركية في محاولة لضربه لما له من تأثير في الرأي العام
- 89 **كلمة عن هيكل... والإجراءات الساداتية**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 10 يونيو (حزيران) 1978
كيف أن الصحافي محمد حسنين هيكل لم يستطع مع السادات ممارسة الدور الذي مارسه مع عبد الناصر، بالرغم من الصداقة التي تجمعهما. وكيف بدأت التناقضات بفعل الإجراءات المُتخذة من قبل السادات وأدت إلى مغادرته "الأهرام" واعتكافه في منزله
- 93 **هكذا فعل "الوفد" هكذا فعلوا بـ "الوفد"!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 17 يونيو (حزيران) 1978
حول "حزب الوفد" الذي حل نفسه وطالب بتغيير العلم المصري وكيف إمتلأت الصحف المصرية بأخبار الحزب وأجرت المقابلات مع زعيمه النابا فؤاد سراج الدين
- 96 **التضامن الممنوع**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 17 يونيو (حزيران) 1978
تساؤل حول ما الذي يجعل تحقيق التضامن بين العرب أمراً بعيد المنال مع أن الأحوال التي تعيشها المنطقة توجب تحقيق ولو الحد الأدنى من التضامن؟
- 97 **حرب السادات ضد اليسار المصري!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 24 يونيو (حزيران) 1978
نظرة على أسلوب الرئيس السادات في تصديه لليسار المصري وعلاقة هذا التصدي بدعوة وزارة الأوقاف أئمة المساجد في مصر "لوقوف ضد الإلحاد والتصدي للتيارات المنحرفة والتيارات المغرضة..."

- 103.....الحرب العالمية... عربية؟**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 24 يونيو (حزيران) 1978
عندما إمتلأت المنطقة العربية بوجود عسكري يمثّل كل أمم العالم وبذلك بدا الشرق الأوسط أنه قد يصبح ساحة حرب عالمية على أرض عربية
- 104.....يمنان.. إنقلابان.. حربان!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 1 يوليو (تموز) 1978
كيف أنه فيما كانت تستعد صنعاء (عاصمة الشطر الشمالي من اليمن) لجنازة رئيسها المقدم أحمد الغشمي الذي تم إغتياله بعد أقل من سنة على إغتيال سلفه المقدم ابراهيم الحمدي، كانت عدن (الشطر الجنوبي) تشهد معارك بين الميليشيات الشعبية والقوات المسلحة
- 105.....متى تفعل السعودية؟**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 1 يوليو (تموز) 1978
السعودية ودول الخليج التي أنجحت الرئيس السادات في وقت الضيق مُطالبة بأن تضغط على الرئيس السادات لتحقيق التضامن العربي. فهل تفعل ولماذا لا تفعل؟
- 106........ والآتي أعظم**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 8 يوليو (تموز) 1978
دعوة إلى المزيد من التضامن العربي ومزيد من الضغط الأميركي على إسرائيل تجنباً لوقوع اضطرابات وإهتزازات من شأنها أن تُحقّق لـ "عرب الكرملين" إنتصارات على حساب "عرب البيت الأبيض"
- 108.....دورة في كل عاصمة!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 8 يوليو (تموز) 1978
دعوة إلى إتباع تقليد جديد يقضي بعقد مجلس الجامعة في عاصمة البلد التي تكون الرئاسة له، وهو الحل العملي لمأزق المقاطعين والمشاركين فضلاً عن البُعد القومي لهذا التقليد
- 109.....الوارث والإرث**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 22 يوليو (تموز) 1978
عندما وصل الرئيس السادات إلى الحُكم على طريق شرعية ثورة 23 يوليو ثم أصبحت إستمرارية نظامه رهناً بعدم وقُفّ الهجمة على الرئيس الراحل جمال عبد الناصر
- 111.....المقايضة في شأن المبادرة!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 22 يوليو (تموز) 1978
حول عملية مقايضة في شأن مبادرة الرئيس السادات، يمكن أن تتم بين السعودية وفريق الصمود والتصدي ومن شأن تحقيقها لملمة أمور كثيرة
- 111.....إذا فشلت قمة "كامب ديفيد"**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 2 سبتمبر (أيلول) 1978
في ضوء بعض الظروف الموضوعية لا بد لقمة "كامب ديفيد" إلا أن تتجح.. على الأقل النجاح الذي يَمكّن المراهنين من الإستمرار في المراهنة
- 113.....هذا الشغف بالماضي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 9 سبتمبر (أيلول) 1978
في نطاق شغف الرئيس أنور السادات بالتسميات المتميزة إختار كاسم لحزبه الذي قرر أن يترأسه الإسم الذي إختاره في الماضي الزعيم مصطفى كامل وهو "الحزب الوطني الديمقراطي"

115.....تباطؤ كارتر وإستعجال السادات!

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 9 سبتمبر (أيلول) 1978
حول الهاربين من مشاكلهم إلى "كامب ديفيد" وهم: الرئيس جيمي كارتر – الرئيس أنور السادات – رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن... وما الذي سيجنيه كل منهم

116.....القلق الأميركي البالغ

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 22 سبتمبر (أيلول) 1978
ما الذي يمكن قوله عندما يسمع المرء السفير الأميركي المتجول روبرت شتراوس يعبر عن قلق بلاده البالغ لأنها لم تحصل على تفاصيل محادثات جرت في حيفا بين السادات وبيغن

118.....الصفقة: تساؤلات مصرية

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 30 سبتمبر (أيلول) 1978
أفرزت صفقة "كامب ديفيد" عشرات التساؤلات حول مضامينها غير المعلنة وكذلك حول من هو الطرف المستفيد ومن هو الخاسر من هذه المغامرة – المقامرة

120.....كي لا تمر الإتفاقيات

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 30 سبتمبر (أيلول) 1978
كيف تستطيع القمة الثالثة لـ "جبهة الصمود والتصدي" أن تضرب إتفاقيات "كامب ديفيد" وبذلك لا يعود التشقق في الصف العربي على ما هو عليه

121.....إستراتيجية الخلاص

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978
مقارنة بين قمتين، الأولى في بنغازي بين الملك خالد بن عبد العزيز والعقيد معمر القذافي، والثانية بين الراحلين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر والتي عُقدت قبل أحد عشر عاماً من قمة بنغازي وكان يمكن أن تبلور إستراتيجية عربية جديدة يكون فيها الخلاص

122.....في إنتظار التصدي!

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978
كيف إستطاع الرئيس السادات أن يُبرم إتفاقية "كامب ديفيد" وهل إنه عندما أقدم على ذلك كان مطمئناً إلى أن هنالك جبهة عربية تحميه ضمناً؟

124.....كلام إلى محمود رياض

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978
دعوة من جانب الكاتب والمؤلف فؤاد مطر بإسم الأثرية العربية الساكنة إلى الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض لكي يترك الجامعة لأهلها ويحافظ على بريقه وماضيه ومواقفه

125.....بومدين العائد

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 1978
صورة حزينة لزعيم عربي مكابر على المرض يذبل صحياً... ونعني بذلك الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي خضع للعلاج في الإتحاد السوفياتي وعاد إلى الجزائر... معافى أو يائساً من إمكانية شفائه

126.....دولة البعث الواحد

مجلة "المستقبل". باريس – السبت 9 ديسمبر (كانون الأول) 1978
قراءة في محاولة إستهداف منها البعث في العراق والبعث في سوريا عودة الحزب موحداً... مع قراءة حول موقف ميشال عفلق من المحاولة التي في حال نجاحها ينشأ كيان عربي في منتهى القوة

- 128..... المنهج والأسلوب**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 يناير (كانون الثاني) 1979
حول رحيل الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي تنقده دائماً القضية العربية التي أعطاها فوق القدرة على العطاء.. وفي زمن عربي كانت التحديات فيه على درجة من الخطورة
- 128..... لماذا لا يجرب السادات**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 13 يناير (كانون الثاني) 1979
ما دام التوقيع النهائي على إتفاقيات "كامب ديفيد" لم يتم وما دام الرئيس كارتر قلقاً على ذلك، فلماذا لا يضغط الرئيس السادات على الإدارة الأميركية للحصول على شروط أفضل؟
- 130..... الصحوة المسيحية والصحوة الإسلامية**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 20 يناير (كانون الثاني) 1979
صحوة مسيحية من نوع الصحوة الإسلامية التي حدثت في إيران وجاءت تكفيراً عن جريمة التعامل الطويلة بين الشاه وإسرائيل... وكيف أن الصحوة المسيحية من شأنها أن تجعل إسرائيل ترضخ أو تتلاشى
- 131..... الرغبة السوفياتية المرفوضة**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 20 يناير (كانون الثاني) 1979
حول رغبة الإتحاد السوفياتي إقامة علاقات مع المملكة العربية السعودية وطلبهم من صدام حسين السعي لذلك، وعدم إستعداد المملكة للتجاوب مع هذه الرغبة
- 132..... الحدث الكبير والحادث المستغرب**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 27 يناير (كانون الثاني) 1979
نظرة متأنية على حالة ثنائية مستغربة: خروج الشاه من إيران وإستقباله رسمياً في مصر الساداتية
- 135..... أين السوفيات؟**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 3 مارس (آذار) 1979
تساؤلات عربية في شأن الموقف السوفياتي الرخو مقارنة بالموقف الأميركي المندفع إزاء قضايا مصيرية
- 135..... التقويم الليبي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 10 مارس (آذار) 1979
حول التقويم للتاريخ الإسلامي الذي إختاره العقيد معمر القذافي وقرر أن يكون بدءاً من وفاة الرسول عام 632 وليس من هجرته عام 622
- 137..... من أجل الوفاق المغربي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 17 مارس (آذار) 1979
إنبهار بإنتقال السلطة في الجزائر من عهد هواري بومدين (الراحل) إلى الشاذلي بن جديد... وما هي الأجواء التي جعلت الشعب الجزائري يودع بإحترام زعيماً ويستقبل بتهيب رئيساً جديداً للبلاد الحزينة
- 138..... الجامعة المنقولة!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 7 أبريل (نيسان) 1979
ما الذي تستطيع الجامعة العربية أن تفعله بعد نقل مقرها الدائم في القاهرة بقرار من مؤتمر القمة العربية الإستثنائية إلى تونس بصفة مؤقتة بسبب الفعل الساداتي المكروه؟
- 140..... المشهد الدرامي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 7 أبريل (نيسان) 1979
يتمثل المشهد الدرامي بتسابق العرب إلى الإبتعاد عن مصر بعدما كانوا يتسابقون للجوء إليها... وينعكس هذا التسابق على مشاعر حزينة في أوساط الرأي العام العربي

- 140..... كي يكتمل التضامن... ويستمر!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 14 أبريل (نيسان) 1979
حول التضامن العربي الذي لم يكتمل ولا يكتمل.. وكيف يمكن أن يستمر في حال إكتماله... وما هي مقومات إنجاز هذا التضامن الذي تتطلع الشعوب في استمرار إلى تحقيقه
- 142..... حرب أميركا على الإعتدال العربي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 22 أبريل (نيسان) 1979
مع أن النفط الذي يصل بانتظام إلى الولايات المتحدة هو بفضل الإعتدال العربي.. فإن الإدارة الأميركية تواصل حرباً – إذا جاز القول – على هذا الإعتدال... وهذا أكثر إنكار الجمائل سوءاً
- 144..... عيدي أمين.. والعرب!**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 28 أبريل (نيسان) 1979
كيف تناسى حكام عرب كثيرون ما فعله عيدي أمين فلم يساندونه عندما طُرق الخطر أبواب أوغندا مثلما ساندوا موبوتو الذي لم يقدم شيئاً للقضية العربية
- 146..... الثواب بعد العقاب**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 19 مايو (أيار) 1979
نظرة على العقاب الذي أنزله العرب بالرئيس السادات مفسحين المجال للعقاب الإسلامي بعد ذلك، وعلى الثواب الذي يمكن أن يتمثل بخطة يقتنع بها الشعب المصري
- 148..... لن تكون مصر روديسيا العرب**
مجلة "المستقبل". باريس - 16 يونيو (حزيران) 1979
هل يمكن أن تصبح مصر "روديسيا العرب" نتيجة ما فعله الرئيس السادات عندما انفرد بإبرام تسوية مع إسرائيل وما قرره الدول العربية رداً على الفعل الساداتي
- 149..... عبارة القذافي**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 23 يونيو (حزيران) 1979
عندما قال القذافي في الذكرى العاشرة للثورة الليبية "طرز في أميركا وفي صداقة أميركا وفي بوينغ أميركا".. وكان بذلك إلى حد ما مثل عبد الناصر الذي سبقه بالعبارة الشهيرة "فلتشرب أميركا مياه البحر..."
- 150..... من "أبو هيثم إلى أبو عُدي"**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 28 يوليو (تموز) 1979
حول خلافة صدام حسين (نائب أحمد حسن البكر) للرئيس البكر وهو ما زال على قيد الحياة.. وماذا يعني تحوّل الرئيس القائد أي البكر إلى "الأب القائد"؟ وهل أن السياسات ستغير في عهد الرئيس صدام؟
- 154..... الشاه في مصر**
مجلة "المستقبل". باريس 28 يوليو (تموز) 1979
حول إستضافة الرئيس أنور السادات للشاه محمد رضا بهلوي غير المقبول من كل دول العالم متحدياً بذلك الثورة الإيرانية التي أنهت نظامه وساربت دول العالم الخميني في مطاردته للأمبراطور
- 154..... "الرجل القوي" في بيته ومع أولاده!0**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 28 يوليو (تموز) 1979
إضاءة على الجانب الشخصي والعائلي لـ "الرجل القوي" في نظام البعث في العراق صدام حسين والمجهول للكثيرين، وفيه يسترسل الرئيس بالحديث عن علاقته بالزوجة ساجدة وأولاده الخمسة وكيف يتعامل معهم وما يريده لهم

- 156.....رياح التعقل ومشكلة الصحراء
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 11 أغسطس (آب) 1979
عندما أعلنت موريتانيا أنها مستعدة للحوار مع البوليساريو وأنه ليس لها مطالب في الصحراء.. وكان هذا الموقف من جانبها بمثابة تأشيرة دخول واضحة إلى قلب المشكلة
- 157.....الخميني المدني.. واللعبة الخطرة
مجلة "المستقبل". باريس - الخميس 11 أغسطس (آب) 1979
مصادفة ظهور شاهبور بختيار فجأة في باريس بعد مصادفة إعلان الرئيس السادات منح الشاه حق اللجوء في مصر... وتزايد الكلام حول مخطط أجنبي يستهدف تصنيع "خميني مدني" لمواجهة آية الله الخميني، وأن "الخميني المدني" هذا قد يكون بختيار
- 159.....كارتر الفلسطيني
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 18 أغسطس (آب) 1979
رد فعل حاد من إسرائيل على عبارة قالها الرئيس كارتر وخشيت منها إسرائيل لأنها قد تكون مقدمة لموقف أميركي جديد ينصف الفلسطينيين. وخلاصة هذه العبارة أن القضية الفلسطينية تشبه حملة الحقوق المدنية في أميركا
- 160.....نظرة جديدة ودور أكبر
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 سبتمبر (أيلول) 1979
هل تكون الذكرى العاشرة للثورة الليبية بداية ولادة مفاهيم جديدة ونظرة جديدة من قبل العقيد معمر القذافي للآخرين.. مفاهيم ونظرة تنهي أسلوب التصنيف الذي ساد في الماضي وهو: هذا رجعي، وهذا ثوري... الخ
- 161.....محنة نقابة الصحافة في مصر
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 سبتمبر (أيلول) 1979
حول محنة واجهتها نقابة الصحافة في مصر لأن الرئيس أنور السادات أراد أن يلغيها مستنداً في ذلك إلى حيثيات لم يسبقه إليها حاكم من قبل تجاه الصحافة
- 165.....الطرف العربي في قيادة حركة عدم الإنحياز
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1979
عندما إختلطت الأمور بعض الشيء بمجرد إنعقاد قمة عدم الإنحياز في هافانا
- 166.....من الحكام العرب إلى الرأي العام الأميركي
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1979
ما يمكن أن يقوله الحكام العرب إلى الرأي العام الأميركي عن سياسة إدارته
- 167.....الفرق بين موقفين
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 سبتمبر (أيلول) 1979
مقارنة بين موقف إتخذه الرئيس السادات ويتمثل بقوله إن مصر تساند المغرب والملك الحسن الثاني في موضوع الصحراء ومستعدة لإرسال قوات.. وموقف إتخذته المملكة العربية السعودية وتمثل بقول وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل إن المملكة تتطلع إلى حل مشكلة التوتر بين الجزائر والمغرب
- 169.....في إنتظار نجاح مسعى أبو عمار
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 سبتمبر (أيلول) 1979
حول مسعى الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات لتوحيد الموقف العربي حول القضية الفلسطينية بعدما حقق نجاحاً ملحوظاً في هذا الشأن في قمة دول عدم الإنحياز

- 170..... هل يتجاوب الشاذلي القليبي؟**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 سبتمبر (أيلول) 1979
دعوة إلى الأمين العام للجامعة العربية لكي يتدخل لمواجهة زحف البيوت الجاهزة وإتساع عيوب هذه الظاهرة وأثرها السيء على التراث المعماري العربي والإسلامي
- 172..... وعد ولي العهد ووعدده!**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 أكتوبر (تشرين الأول) 1979
عندما يقول ولي العهد السعودي الأمير فهد (العام 1979) رداً على سلسلة جديدة من الإتهامات صدرت عن الرئيس السادات الذي بلغ ضيقه أشدّه بعد القمة السعودية- الليبية في بنغازي.. "يبدو أن الحل للقضية الفلسطينية قريب بإذن الله" فهذا يبدو بمثابة وعد. فهل أن هذا الوعد سيصبح وعيداً إذا لم يتحقق، وتبدأ الحرب العربية على أميركا بدءاً باستعمال سلاح النفط؟
- 173..... السلاح الحربي وعجز الميزانية**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979
يحدث بين الحين والآخر أن تكون هناك مطالبة بجمع السلاح من أيدي الناس. كيف يتم ذلك وهناك مادة في القانون تحل إقتناء السلاح الحربي على نحو ما حدث في لبنان
- 174..... قرار مستغرب!**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979
حول موقف يدعو إلى الإستغراب من جانب البرلمان الهولندي ويتمثل في الموافقة دون حكومات أوروبية على قانون جديد ضد إجراءات المقاطعة العربية للشركات التي تتعامل مع إسرائيل
- 175..... الفرق بين إحتفالين**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979
مقارنة بين إحتفال الجزائر باليوبيل الفضي لثورتها وإحتفال مصر بالذكرى السابعة والعشرين لثورة 23 يوليو وتساؤلات عن سر الحماسة الشعبية الجزائرية والأصالة الثورية للرئيس بن جديد ونقيضها في مصر بالنسبة إلى الرئيس السادات
- 175..... هل يُسقط الخميني لعبة الأمم؟**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979
حول أزمة الرهائن الأميركيين المحتجزين من قبل ثوريي آية الله الخميني وماذا قد يصيب رعايا أميركا في المنطقة
- 177..... عبد الناصر والخميني: المواجهة المتشابهة**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 1979
قراءة في مواجهة متشابهة ضد الولايات المتحدة من الزعيم العربي عبد الناصر والزعيم الإيراني الخميني
- 179..... القوة الفلسطينية المتضامنة**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 ديسمبر (كانون الأول) 1979
عندما عززت قضية بئام الشكعة في نفوس فلسطينيي الداخل مشاعر الصمود، بفضل وقوف رؤساء البلديات إلى جانب زميلهم، فكان الإختبار الأول الناجح للقوة المدنية تمهيداً للشروع في مقاومة مدنية
- 181..... العرب... وإيران بني صدر**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 2 فبراير (شباط) 1980
حول جسر بات لا بد من تقوية منطلقاتها بين العرب وإيران بعد ترؤس أبو الحسن بني صدر
- 182..... ورقة ضغط تنتظر اللاعبين**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 16 فبراير (شباط) 1980
تساؤل حول إمكانية أن يشكّل الغزو السوفياتي لأفغانستان ورقة ضغط في أيدي العالم العربي والإسلامي بعد إستنفاد كل الوسائل نتيجة الصلح المصري- الإسرائيلي، وخصوصاً في أيدي عرب النفط وبالذات السعودية

- 184..... قبل غياب الإمام**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 مارس (آذار) 1980
نظرة على أسلوب الخميني عند إستقباله الرسمي من زوار إيران وكيف أنه يضطربهم للجلوس أرضاً مثل جلوسه
- 185..... عندما يتلاسن المسلمون في "البرت هول"**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 26 أبريل (نيسان) 1980
تأملات في ندوة إسلامية في "البرت هول" إحدى أجمل القاعات الراقية في لندن، كان لافتاً حصول تلاسن خلال الاجتماع
- 186..... الجامعة العربية: السنة الموقفة الأولى!**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 31 مايو (أيار) 1980
حول الذكرى السنوية لإنتقال مقر الأمانة العامة للجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، وكيف أن "حالة الموقت" مستمرة بالرغم من دينامية أمينها العام الشاذلي ولتفاف الدول الأعضاء حولها، وكيف أن التواصلة يتعاملون مع الجامعة تعامل الضيف العابر لا المقيم الدائم المستقر
- 188..... الحل في تطوير البيان السعودي**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 5 يوليو (تموز) 1980
حول بيان سعودي تضمن قلق المملكة العربية السعودية لتردي الموقف على الحدود المصرية- الليبية ويشكّل بعد تطويره بداية محاولة تعطيل هذا اللغم الخطير
- 190..... بيان الطائف**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 16 أغسطس (آب) 1980
كيف أن بيان قمة الطائف بين الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس صدام حسين كان أفضل مناسبة لإقترب الرئيس أنور السادات من الصف العربي الذي إبتعد عنه، إلا أنه بدل الترحيب بهذا البيان أثر الإعتكاف في جبل موسى
- 191..... مهمة الشاذلي بن جديد وياسر عرفات**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 23 أغسطس (آب) 1980
حول الجهاد المقدس الذي دعا إليه الأمير فهد في أعقاب قمة الطائف بين الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس صدام حسين وقبّل قمة "الأوبيك" التي دعا العراق إلى عقدها وشملت الدعوة الرئيس الإيراني أبو الحسن بني صدر
- 192..... السلاح العربي المفقود في زمن الاحرب واللاصلح!**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 سبتمبر (أيلول) 1980
كيف أن سلاح الإعلام التلفزيوني هو السلاح العربي المفقود في زمن الاحرب واللاصلح. وما دام هذا الزمن قد يطول فلا بد من التوجه نحو إعتقاد هذا السلاح
- 193..... الإرادة الصومالية في أيدي الإدارة الأميركية**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 سبتمبر (أيلول) 1980
عندما وضع الرئيس سياد بري إرادة بلده في أيدي الإدارة الأميركية متصوراً أن الرئيس جيمي كارتر سيقف مع الصومال مادياً وعسكرياً
- 195..... إلى الزميل موسى صبري: الوحدة لمصلحة أولادك وأحفادك**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 سبتمبر (أيلول) 1980
حول تعامل بعض وسائل الإعلام المصرية مع الخطوة الوحودية التي إتفق عليها الرئيسان حافظ الأسد ومعمّر القذافي، ولماذا كان هذا الموقف من جانب هذه الوسائل وبالذات مع بعضها
- 196..... مسعى الشاهد الأمين**
مجلة "المستقبل". باريس - 20 سبتمبر (أيلول) 1980
نظرة على شبه حالة الحرب القائمة بين العراق وإيران والتي تحتاج إلى مسعى يقوم به الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد إلى جانب قائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات... فهل يا ثري يبادر؟

- 196..... **الفريق يحقق حلم العقيد**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 سبتمبر (أيلول) 1980
بعدهما إتفق الرئيسان حافظ الأسد والعقيد معمر القذافي على خطوة وحدوية بين بلديهما، كان هنالك التساؤل
الآتي: هل سيكتب لهذه الخطوة الإستمرار والتقدم، أم أن الخطوة السورية - الليبية لن تكون سوى مجرد إعلان
غير قابل للتنفيذ؟
- 198..... **حرب السيادة بين العراق وإيران**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 سبتمبر (أيلول) 1980
نظرة على الحرب الدائرة بين العراق صدام حسين وإيران آية الله الخميني وحقيقة الدوافع والتطلعات... وتساؤلات في ضوء
مواقف لدى الطرفين حول إلى أين سينتهي الأمر: تسوية أم عداوة مستديمة
- 204..... **المسعى الإسلامي - الأوروبي**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 4 أكتوبر (تشرين الأول) 1980
حول مهمة أخذها على عاتقه الرئيس الباكستاني ضياء الحق بهدف وقف الحرب بين إيران والعراق وتحتاج إلى دعم
أوروبي ومن فرنسا جيسكار ديستان بالذات
- 205..... **بن جديد... وليس غيره**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 11 أكتوبر (تشرين الأول) 1980
تطلع عربي إسلامي إلى مبادرة في شأن الحرب بين العراق وإيران يتولاها الرئيس الشاذلي بن جديد كونه دخل إلى السياسة
من باب الحرب وبات صاحب خبرة وحكمة
- 207..... **قراءة في معاهدة ألغيت ومعاهدة أبرمت**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 18 أكتوبر (تشرين الأول) 1980
قراءة في المعاهدة السوفياتية-المصرية التي ألغها الرئيس أنور السادات والمعاهدة السوفياتية - السورية التي أبرمها
الرئيس حافظ الأسد... وظروف إبرام المعاهدتين ونوايا المتعاهدين
- 209..... **جمعية السادات العربية والإسلامية**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 25 أكتوبر (تشرين الأول) 1980
ملاحظات على "الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية" التي أنشأها الرئيس أنور السادات بقرار جمهوري
لتكون بديلاً عن الجامعة العربية التي تم نقلها من القاهرة إلى تونس
- 210..... **انتخابات أميركا... والبيان العربي الذي لا يصدر**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
لكي يعرف الناخب الأميركي ما الذي يريده العرب وما الذي يتمنونه، فإن بياناً مدفوع الأجر تنشره صحف أميركا على
مدى شهر يبدو أمراً ضرورياً... فهل هذا صعب الإنجاز؟
- 212..... **الحل المثالي للخميني وصدام**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
نظرة على حل مثالي للأزمة بين العراق وإيران شرط توافر بعض الجهود العربية والإسلامية وأن تمارس حركة عدم
الإنحياز دوراً أساسياً في هذا الشأن، وبذلك يمكن إختصار ويلات هذه الأزمة وتداعياتها على مستقبل الشعبين العراقي
والإيراني... وإستطراداً على شعوب المنطقة
- 213..... **السادات بعد سقوط كارتر... وإحتمال سقوط بيغن**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
بعدهما تركزت الأنظار على الرئيس أنور السادات بعد سقوط مرشحه جيمي كارتر أمام المرشح الجمهوري رونالد ريغان
نشأ تساؤل حول ما الذي يمكن أن يفعله الرئيس المصري، خصوصاً أن احتمالات سقوط بيغن في إسرائيل واردة

- 215..... **نميري الذي تصوّف بعدما بدأ يتعالج**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
حول الرئيس السوداني جعفر نميري الذي تصوّف بعدما بدأ يتعالج وكيف دفعته الظروف الصحية إلى تعديل جذري في حياته وسلوك المتصوفين، مع رغبة في القراءة والتأليف
- 218..... **قمة عمان... والأسباب الموجبة**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
عندما كنّز الأخذ والرد في شأن قمة عربية تستضيفها العاصمة الأردنية وتستبق القمة الدورية
- 219..... **كيف وعد السادات الأسد بالإستقالة؟**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 1980
حول زيارة خاطفة قام بها الرئيس أنور السادات إلى دمشق بهدف إستمالة الرئيس حافظ الأسد إلى تأييد خطوة السادات المقررة أصلاً وهي زيارة إسرائيل وكيف أن السادات وعد بالإستقالة في حال باءت الخطوة بالفشل
- 222..... **مقررات ضد التخلف... والخلافات**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 6 ديسمبر (كانون الأول) 1980
تأملات في مقررات وتوصيات ذات طابع اقتصادي إتخذتها قمة إستضافها الاردن أخذ من وهج مضامينها وأهدافها المناخ العربي السائد والمتحم بالصراعات والخلافات والمحاور
- 223..... **وحدة الرافضين**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 13 ديسمبر (كانون الأول) 1980
يوم كان حقل الأغام السوري- الأردني مصدر قلق كبير للوضع العربي ثم نجح عبد الله بن عبدالعزيز (الأمير ورئيس الحرس الوطني زمذاك) دون إشتعال نار كانت ستكوي العرب على مدى سنوات
- 225..... **تنظير أم دردشة**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 13 ديسمبر (كانون الأول) 1980
تصريحات لافتة للزعيم الجزائري أحمد بن بيللا ناشئة عن التجربة المريرة في الإقامة الجبرية بضع سنوات، تركت إنطباعاتاً لدى سماعها وقراءتها من جانب القوميين بأن قد يكون الذي قاله بن بيللا مجرد دردشة
- 225..... **وثيقة مكة المكرمة**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 27 ديسمبر (كانون الأول) 1980
تأملات في الأجواء الروحانية التي في ظلها ستعقد القمة الإسلامية وأهمية الوثيقة التي يمكن أن تصدر عن هذه القمة كخارطة طريق للعمل السياسي الجدي
- 227..... **ربيع الحل الدولي لحرب الخميني وصدّام**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 3 يناير (كانون الثاني) 1981
عندما لاح في الأفق الإقليمي والدولي أن الحرب المستمرة بين إيران الإمام الخميني وعراق صدّام حسين على موعد مع فرصة للحل وبذلك تضع الحرب أوزارها وينصرف الجانبان إلى ترميم ما تسببت به كوارث سنوات الحرب
- 229..... **هل يزيل ريغان آثار صفقة "كامب ديفيد"؟**
مجلة "المستقبل". باريس – السبت 10 يناير (كانون الثاني) 1981
تساؤلات إستباقية لبدء الولاية الأولى للرئيس رونالد ريغان ولتعلق العرب أهمية قصوى عليه كونه شجاعاً وغير مرتّهن للقوى الصهيونية وفي مقدوره، إذا شاء، إتخاذ قرارات تاريخية بالنسبة إلى الصراع العربي - الإسرائيلي
- 231..... **الجهاد المقدّس... والجهادات الأخرى**
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 يناير (كانون الثاني) 1981
كيف أنه لو كان مكان الإنعقاد للقمة الإسلامية الثالثة ليس السعودية لكانت نسبة الذين سيقاطعون هذه القمة من قادة مسلمين عرب وغير عرب كبيرة

- 234..... من خفايا علاقات مصر الساداتية - الكيسنجرية مع موسكو
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 يناير (كانون الثاني) 1981
حول دور غير نزيه المقاصد أداءه وزير الخارجية الأميركية هنري كيسنجر وبموجبه واصل الرئيس أنور السادات حربه الكلامية على الإتحاد السوفياتي من دون أن يستوقفه أن مصر تتضرر من هذا الموقف
- 236..... العرب... وجمهورية فرنسا ميتران
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 23 مايو (أيار) 1981
كيف أن الانتخابات الفرنسية وفوز فرنسا ميتران بالرئاسة بدت كما لو أنها قضية عربية
- 238..... بادرة ميتران نحو العرب
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 يونيو (حزيران) 1981
حول المبادرة الودية تجاه الدول العربية المأمول من الرئيس فرنسا ميتران إتخاذها بعد فوزه
- 240..... ماذا فعل بن جديد في موسكو؟
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 يونيو (حزيران) 1981
قراءة في زيارة نوعية متنوعة الأهداف والمطالب قام بها الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد وإرتياح قادة الكرملين لها
- 242..... هيغ وإهانات بيغن!
صحيفة "المستقبل" - 18 يوليو (تموز) 1981
عندما أثار وزير خارجية الولايات المتحدة الكسندر هيغ حفيظة مناحيم بيغن وإلى درجة إهانته
- 243..... الضمانات بدلاً من التعهد
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 أغسطس (آب) 1981
مواقف منقوصة التعهدات يسجلها بين الحين والآخر مسؤولون سابقون في الإدارة الأميركية
- 246..... حُسْنُ حظ الصحراويين وسوء حظ اللبنانيين
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 5 سبتمبر (أيلول) 1981
كيف استطاعت مرونة لجنة السبعة "لجنة حكماء افريقيا" في نيروبي حل مشكلة الصحراء المتنازع عليها من قِبَل المغرب وجبهة البوليساريو وجاء ذلك من حُسْنُ حظ الصحراويين، فيما فشلت لجنة المتابعة العربية في إيجاد حل للمشكلة اللبنانية وكان ذلك من سوء حظ اللبنانيين
- 247..... هل هو إتفاق ضد العرب؟
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 19 سبتمبر (أيلول) 1981
نظرة على إتفاق أميريكي - إسرائيلي للتعاون الإستراتيجي رداً على مشروع فهد بن عبد العزيز للتسوية
- 250..... السابقون فقط ... تعذبهم ضمانهم
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 أكتوبر (تشرين الأول) 1981
كيف أن الرئيسين جيمي كارتر وجيرالد فورد سجلاً موقفاً يجمع بين الخوف من إسرائيل والخوف عليها
- 255..... الحزْمُ العربي والدولي مع الأكثر تطرفاً في إيران
صحيفة "الجمهورية". بغداد - الثلاثاء 24 مايو (أيار) 1988
كيف أن الحزْمُ ومن جانب العرب والمجتمع الدولي على حد سواء مطلوب في مرحلة معيّنة لمواجهة الأوساط الأكثر تطرفاً في إيران... وبالذات من بعض أهل الحكم
- 256..... المتوكل على الله
صحيفة "الجمهورية". بغداد - الإثنين 30 مايو (أيار) 1988
مجرد تسمية إفتراضية وإيمانية ذات نكهة تراثية للرئيس صدام حسين وهي "المتوكل على الله"

- 257..... **حزيران العراقي.. وحزيران الآخر**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الإثنين 4 يوليو (تموز) 1988
مقارنة بين حزيرائين ولكل منهما ظروفه ومفاعيل ما حدث فيه وهما حزيران عبدالناصر 1967 وحزيران صدام حسين 1988
- 259..... **تحفظات من أجل سلام العالم**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الإثنين 1 أغسطس (آب) 1988
مقارنة بين مفردات الحديث عن السلام العراقي – الإيراني الذي لو حسمت إيران الخمينية الأمر لكان تم إنجازه
- 260..... **الإعتراض المطلوب لكي ينطلق مسار السلام**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الأحد 7 أغسطس (آب) 1988
نظرة ثاقبة على التسوية السلمية العائرة نتيجة ظروف التعقيد من جانب الرئيس الأميركي رونالد ريغان والرئيس السوفياتي غورباتشوف
- 261..... **إنطباعات من جنيف**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الإثنين 5 سبتمبر (أيلول) 1988
حول التفاوض العراقي – الإيراني في جنيف المشكوك في أمر تحقيق نتائج يرنو الشعبان في العراق وإيران إلى سماء ما قد يحقق خطوات على طريق وضع نهاية للحرب الظالمة
- 263..... **يتآمرون لأنهم لم يعتادوا على قائد عربي ينتصر**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الثلاثاء 13 سبتمبر (أيلول) 1988
حول أن مراكز القوى الدولية بمحاولتها النيل من شأن العراق المتقدم حرباً على إيران أو ترميم جسور مع النظام الإيراني، إنما تحاول بذلك النيل من كل الدول العربية
- 265..... **محاولة فاشلة لمحاصرة الإنتصار**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الأحد 9 أكتوبر (تشرين الأول) 1988
كيف سيكون من المحزن أن البعض يرى العراق في حالة حصار مع أن المعادلة تستقيم بالمزيد من الصبر
- 266..... **حالة دفاع عن النفس**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الخميس 20 أكتوبر (تشرين الأول) 1988
كيف عندما تتزايد رقعة الصراعات إتساعاً فإن التحسب يصبح حالة تنبُّه ويصبح الدفاع عن النفس واجباً
- 267..... **عدم التدخل في معاهدة مطلوبة**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الأحد 30 أكتوبر (تشرين الأول) 1988
حول قمة عربية يجري السعي لعقدها وتشكّل خشبة خلاص لوطن يكاد يلفظ أنفاسه تحت سمع وبصر الذين في أيديهم الإنقاذ لكنهم لم يفعلوا
- 269..... **الدم الذي حقن الدماء والشهيد الذي وفر سقوط الشهداء**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الخميس 1 ديسمبر (كانون الأول) 1988
تشخيص من جانب صدام حسين للشهيد العراقي في الحرب مع إيران أن دور هذا الشهيد هو من أجل الوطن وعلى مستوى الأمة العربية والعالم الإسلامي
- 270..... **إنطباعات وتمنيات**
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الخميس 8 ديسمبر (كانون الأول) 1988
عن بنازير بوتو قبل أن تتسلم الحُكم رئيسة للوزراء في باكستان وكيف أن كثيرين في العالم العربي يشعرون بالطمأنينة لها من باب الوفاء لوالدها

- 271..... تحرير مآزق المفاوضات على طريقة تحرير الفاو
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الأحد 5 فبراير (شباط) 1989
عندما تتحول المفاوضات بعد حرب إلى مآزق كما بين العراق وإيران فإن خطوات مثل تحرير الأسرى وفتح المجال الجوي ومرونة التعامل مع الموفدين الدوليين، تتحول إلى ورقة ضغط فاعلة إلى حد ما
- 273..... يوم الأمن القومي والأمن الغذائي
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الإثنين 13 فبراير (شباط) 1989
قراءة في مضامين "الإعلان القومي" أوردتها الرئيس صدام حسين في خطاب أمام حشد جماهيري يوم 8 شباط 1980
- 274..... لا خوف منهم ولا خوف عليه
صحيفة "الجمهورية". بغداد – السبت 18 فبراير (شباط) 1989
حول "مجلس التعاون العربي" بين عراق صدام حسين ومصر حسني مبارك وأردن الملك حسين ويمن علي عبدالله صالح، والذي يقول صدام حوله "لا خوف منه ولا خوف عليه"
- 275..... أن أوان الهجرة العربية المعاكسة
صحيفة "الجمهورية". بغداد – الخميس 6 أبريل (نيسان) 1989
بعد هجرة مئات الألوف من العرب بسبب الانقلابات وحالات الإحتراب، بات التساؤل في ضوء إنفراجات نوعية حدثت: هل أن الأوان لتعيش الأمة ظاهرة الهجرة المعاكسة وهذا ينعش الأوطان وينشر الطمأنينة
- 277..... تأجيل يدعو إلى الإستغراب
صحيفة "الجمهورية". بغداد – 1989
عن حالة مأساوية يعيشها لبنان كان من شأن إجتماع إستثنائي لمجلس الجامعة العربية في تونس أن يخفف من وطأتها لكن التأجيل المفاجئ للإتعداد أحدث صدمة
- 279..... قمة هلسنكي: العملاقان.. والمارد
صحيفة "الجمهورية". بغداد – السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1990
عن قمة في هلسنكي بين الرئيس الأميركي رونالد ريغان والسوفيياتي ميخائيل غورباتشوف يوم الأحد 9 سبتمبر / أيلول وهل أن رئيسي الدولتين العظميين سيتغلبان على الأزمة الدولية الأشبه بالمارد
- 283..... عندما ذهب عبدالحكيم عامر إلى دمشق لإنقاذ تجربة الوحدة فعاد بالإنفصال
مجلة "المجلة". لندن - السبت 26 أبريل (نيسان) 1997
إضاءة على سلوك المشير عبدالحكيم عامر في تعامله مع القطر السوري من "الجمهورية العربية المتحدة" وهو سلوك ساعد على الانفصال
- 284..... سفراء وقتاصل وكيفية الإستفادة من الفرصة التي تحدثت كلمح البصر
مجلة "المجلة". لندن - السبت 2 أغسطس (آب) 1997
كيف أن السفير السوري لدى بريطانيا محمد خضر مارس دوراً دبلوماسياً بسببه زار راجيف غاندي دمشق
- 285..... حديث من 3 دقائق تحت الأضواء تأثير الإهتمام وعلامات الإستفهام
مجلة "المجلة". لندن – السبت 16 أغسطس (آب) 1997
وكيف أن النجاح أحياناً يكون في حُسْن التخاطب
- 286..... محمد خضر ودور اللباقة في إقناع راجيف غاندي بزيارة دمشق
مجلة "المجلة". لندن - السبت 23 أغسطس (آب) 1997
إضاءة على دور التخاطب اللبق من جانب سفير دولة (سوريا) في قبول رئيس الهند الدعوة لزيارة لم تحدث بهذا التجاوب من قبل

- 287.....**أصول التخاطب لتحسين العلاقات بين دولة ثورية ودولة محافظة**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 6 ديسمبر (كانون الأول) 1997
... وكيف أن رجل السياسة والإقتصاد المصري سيد مرعي رطب غضب بريطانيا من لهجة ومفردات إذاعة "صوت العرب" وعبارات أحمد سعيد
- 288.....**عندما تصيب الدهشة زعيم الصين لدى رؤية أميركا**
صحيفة "المجلة". لندن - السبت 13 ديسمبر (كانون الأول) 1997
ما الذي جعل الزعيم الصيني جيانغ زيمين يصاب بالدهشة خلال زيارة قام بها إلى الولايات المتحدة عام 1997 دامت ثمانية أيام وشملت ست مدن أميركية
- 290.....**عندما تجرأ حسين الشافعي على إغظة عبد الناصر أمام وزرائه**
مجلة "المجلة". لندن – السبت 20 ديسمبر (كانون الأول) 1997
واقعة نادرة حدثت في عهد عبدالناصر بطلها حسين الشافعي أحد ضباط ثورة 23 يوليو 1952 الذي قال في حضور إجتماع عقده عبدالناصر وضم بعض المسؤولين ما أزعج الرئيس كثيراً
- 291.....**حساسية عبد الناصر المفرطة من الذين يتشفون به**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 27 ديسمبر (كانون الأول) 1997
كيف لمجرد شعور بالتشفي من أحد رفاق مسيرته الثورية فإن عبدالناصر يصبح شخصاً آخر
- 292.....**ظاهرة الكلام العربي الذي تلثم بعد صفتين ولعبة**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 3 يناير (كانون الثاني) 1998
حول تصريحات يدلي بها مسؤولون عرب ويحتاج مصرحوها إلى التأني تقادياً للتلثم والتلفظ بما يمكن أن يتسبب بملاحظات قاسية وأحياناً بما يعكر العلاقات المستقرة
- 294.....**تمنيات بصيغة الإنذار ومطالب بصيغة التحذير**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 17 يناير (كانون الثاني) 1998
كيف أن المسؤول الأميركي يتصرف عكس الأصول في مناسبة إنعقاد قمة إسلامية والغرض من ذلك تنغيص الأجواء التضامنية الطيبة
- 295.....**العرب والمسلمون بين إستفزاز الدولة الكبرى وتحديات الدولة الصغرى**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 24 يناير (كانون الثاني) 1998
... وكيف أن الإدارة الأميركية إعتمدت صيغة مذكرة لإستفزاز قاعدة الأمتين العربية والإسلامية وكانت في ذلك منقوصة الحصافة وبُعد النظر والأصول
- 296.....**المؤرخ دون غيره أفتق الرئيس المحزون بكتابه مذكراته في الحكم من الصعود إلى الهبوط**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 14 فبراير (شباط) 1998
قراءة في بضع مقالات لمذكرات بشارة الخوري أول رئيس جمهورية لبنان المستقل كما رواها على مدى أيام للمؤرخ الثقة يوسف إبراهيم يزبك وصدرت في كتاب له صفة المرجع الموضوعي لحقبة من الحكم الرئاسي في لبنان
- 297.....**1-عندما يكتب الحاكم بنفسه كتاب إستقالته بينما البرلمان... برلمانه**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 21 فبراير (شباط) 1998
- 298.....**2-عندما تزاور شكري القوتلي وبشارة الخوري قبل نصف قرن**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 28 فبراير (شباط) 1998
- 300.....**3- كيف إستقبلت سوريا أول رئيس لبناني زارها وكيف عاتبوه لأنه سيزور تركيا؟**
مجلة"المجلة". لندن – السبت 7 مارس (آذار) 1998

- 4- إطمأن قلب لبنان من خطر الانقلاب السوري بعد رسالة جاءت من الملك عبدالعزيز 301
مجلة "المجلة". لندن - السبت 14 مارس (ذار) 1998
- 5- من تسليم أنطون سعادة إلى تسليم حمد الله وبابكر النور 302
مجلة "المجلة". لندن - السبت 21 مارس (آذار) 1998
- 6- يوم زار رئيس لبنان بغداد عبر البوابة السورية وأوصى حكام العراق بالمحافظة على اليهود وأرزاقيهم 304
مجلة "المجلة". لندن - السبت 28 مارس (آذار) 1998
- 305..... مشاعر العظمة وراء غضب رناسي لبناني بسبب وسام ملكي
مجلة "المجلة". لندن - السبت 4 أبريل (نيسان) 1998
حكاية علاقة وتكريم ملتبس من جانب الملك فاروق للرئيس اللبناني في عهد الإستقلال الشيخ بشارة الخوري
- 306..... انطباعات ودموع رئيس مهزوم في أيامه الأخيرة
مجلة "المجلة". لندن - السبت 11 أبريل (نيسان) 1998
... وكيف أن رئيس جمهورية لبنان العاتب على إستهانة الملك فاروق بمهابته بعد إهانة التوسيم لم يرسل هدية لمناسبة زواج الملك للمرة الثانية
- 308..... الفرق بين أسلوب الملك فيصل وأسلوب الشيخ سعد
مجلة "المجلة". لندن - السبت 16 مايو (أيار) 1998
حول وقائع عايشها الدكتور غازي القصيبي وأوجز الكتابة عنها في كتاب الذكريات مسدياً بما فعل خدمة لدنيا المعرفة بالنسبة إلى نخبة من أصحاب القرار السعودي والخليجي ومنهم الملك فيصل بن عبدالعزيز والملك خالد بن عبدالعزيز والشيخ سعد العبدالله السالم الصباح
- 309..... الفرق بين تعامل الملك فيصل والملك خالد داخل رحلة في القطار
مجلة "المجلة". لندن - السبت 23 مايو (أيار) 1998
- 311..... يوم كانت سوريا ملكية أكثر من مصر الملكية...
مجلة "المجلة". لندن - السبت 25 يوليو (تموز) 1998
عن إحتفالية كلامية سورية غير مسبوقة في زمن حسني الزعيم، بعيد جلوس الملك فاروق وإلى درجة أن سوريا بدت في ما إحتقلت وفي ما قالت صحافتها ملكية أكثر من الملك فاروق
- 312..... أميرة الشعب ورئيس الطبقة المتوسطة...
مجلة "المجلة". لندن - السبت 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998
مقارنة بين حالتين لاقتن في لبنان وبريطانيا: إبتسامه لا تفارق ثغر الأميرة ديانا وإبتسامه مماثلة للرئيس الجنرال لحود
- 313..... عندما يشمت رئيس لبنان بأحوال بعض أبنائه
مجلة "المجلة". لندن - السبت 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998
في بعض الأحيان يقول رئيس الدولة كلاماً كان الأفضل ألا يقوله على نحو ما حدث مع الرئيس اللبناني إلياس الهراوي
- 314..... شيخ القمة التي لا تتعقد
مجلة "المجلة". لندن - السبت 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998
عن الشيخ زايد بن سلطان أقل الحكام العرب حاجة إلى إنعقاد القمة ومع ذلك هو أبرز الداعين إلى عقدها
- 316..... أرزة تنتظر مجاورة نخلة... أكاديمية الملك فهد للعلوم والتكنولوجيا في لبنان؟
مجلة "المجلة". لندن - السبت 5 ديسمبر (كانون الأول) 1998
كيف أن الحفيد الأمير فيصل ينشط لبناء مدارس في مصر تحمل إسم جده الملك عبدالعزيز وإسم والده الملك فهد والتمني بإنشاء أكاديمية للعلوم والتكنولوجيا في لبنان

- 317.....أبناءؤنا وأحفادنا الذين سيشربون مياه البحر
مجلة "المجلة". لندن - السبت 12 ديسمبر (كانون الأول) 1998
نظرة إستباقية على أزمة مياه محتملة الحدوث لن يحل آثارها على الناس والمجتمع تحلية مياه البحر وإنما إختصار
ميزانيات الدفاع وتعزيز محاولات إيجاد حلول للعطش
- 318.....وحيدة والديها التي بدأت تضرس
مجلة "المجلة". لندن - السبت 19 ديسمبر (كانون الأول) 1998
كيف أن الرئيس بيل كلنتون أكل حلاوة عنب الفتاة اللعوب اليهودية لوينسكي وأن وحيدته تشيلسي من زوجته هيلاري
المصدومة بدأت تضرس نفسياً
- 319.....من صير ظفر في إيطاليا ومن لج كفر في السودان
مجلة "المجلة". لندن - السبت 28 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998
قراءة في تجربة لافتة للشيوعيين في إيطاليا كان حرياً بالحزب الشيوعي السوداني الأخذ بها فلا يقوم بإنقلاب دفع كثيراً ثمن فشله
- 320.....أوجه شبه بين جنازتين وزعيمين
مجلة "المجلة". لندن - السبت 20 يناير (كانون الثاني) 1999
في التاريخ العربي المخضرم جنازتان غير مسبوق رد فعل المواطنين وكبار القادة من عرب ومسلمين ودوليين، وهما جنازة
الرئيس عبدالناصر وجنازة الملك حسين. والدواعي كثيرة لرد الفعل الذي حدث
- 322.....صراع جامعات على أرض مصر بين فرنسا وأميركا
مجلة "المجلة". لندن - السبت 30 يناير (كانون الثاني) 1999
صراع لم يكن متوقع الحدوث في مصر طرفاه الجامعة الأميركية القائمة وجامعة فرنسية سعى إليها مسؤولون تخرجوا من
فرنسا ومنهم عصمت عبدالمجيد وأحمد فتحي سرور ويدعم الفكرة جاك شيراك
- 323.....ذكريات ملكية كثيرة المرارة
السلالة الهاشمية الثالثة تبدأ فرصتها
مجلة "المجلة". لندن - السبت 6 فبراير (شباط) 1999
كيف روى وبنسبة ملحوظة من العفوية الأربعيني الملك حسين ذكرياته حول سنوات بالغة الصعوبة حافلة بحقول الألغام
والمؤامرات والتحديات والقرارات المصيرية
- 325.....إدانة منهم.. وفيهم
مجلة "المجلة". لندن - السبت 13 فبراير (شباط) 1999
عندما يشكو بيغن ومسؤولون آخرون في إسرائيل من توصيف الإعلام العربي لهم بأنهم يمارسون العمل السياسي
بالأسلوب النازي وكيف أن المانيا تعوض "إسرائيل النازية" من "النازية الهتلرية"
- 327.....بطل مصري في غير زمانه
مجلة "المجلة". لندن - السبت 27 فبراير (شباط) 1999
تساؤلات في محلها عن عدم إعطاء المناضل المصري محمود السواركة الذي أمضى 22 عاماً أسيراً في إسرائيل ثم تم
الإفراج عنه رايوا وسائل التعذيب النازية الأسلوب في سنوات الأسر
- 328.....موعد... مع ثارات هيلاري
مجلة "المجلة". لندن - السبت 6 مارس (آذار) 1999
تأملات في ظاهرة تفرز الكثير من علامات الإستهام والتعجب وتتعلق ب هيلاري كلينتون التي صُدمت بواقعة خيانة
زوجها الرئيس بيل مع الفتاة اليهودية مونيك لوينسكي وكان من جملة ثاراتها الترشح لعضوية مجلس الشيوخ عن "القلعة
اليهودية" نيويورك
- 329.....كنيسة... وتنتصر للشذوذ
مجلة "المجلة". لندن - السبت 3 أبريل (نيسان) 1999
عن مهرجان الشذوذ في بريطانيا وكيف كان مدعاة للإستغراب أن الكنيسة إنتصرت له مع أن دورها الديني والأخلاقي
التصدي لهذه الظاهرة المشينة

- 330.....فحوصات إختبارية لحكام القرن الواحد والعشرين**
مجلة"المجلة". لندن - السبت 10 أبريل (نيسان) 1999
حول فحوصات ومواصفات للذين يتولون المناصب القيادية في الدولة كي لا تحدث مفاجآت ليست في الحسبان ومنها أن رئيس أميركا بيل كلينتون ضاجع في مكتبه في البيت الأبيض الشابة اليهودية اللعوب مونيك لوينسكي وبذلك سقط من القمة إلى ما دون السفح سمعة وسياسة
- 335.....الفساد مذكر والتبويه مؤنث ... في أميركا**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 6 يناير (كانون الثاني) 2002
حول موجبات إختيار إمراة لتكون شخصية العام 2002 وغلاف مجلة "تايم"
- 335....."مكرمة" بوش الابن لـ "بدون أميركا"**
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 20 يوليو (تموز) 2002
عندما إرتأى بوش الابن إتاحة المجال أمام شبان من دول في العالم الثالث للتطوع في جيش أميركا
- 336.....المشير المصري و"المشير الفلسطيني"**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 21 يوليو (تموز) 2002
مقارنة بين ما فعله عبدالناصر مع صديق عمره المشير عبدالحكيم وما فعله عرفات مع "مشيره" جبريل الرجوب
- 337.....العربي الأفغاني الأخضر الإبراهيمي**
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 22 يوليو (تموز) 2002
عن الدبلوماسي الجزائري العريق الأخضر الإبراهيمي الذي أكرم قرضاي سعيه بمنحه "الجنسية الأفغانية" وبذلك بات مثلث الجنسيات
- 338.....النفط ... المشكلة والحل**
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 23 يوليو (تموز) 2002
عندما إنتهى أمر إكتشاف النفط في السودان إلى أنه بات حلاً حتى إشعار آخر بعدما بدا أنه مشكلة مستديمة
- 338.....لبنان الذي لم يكافىء الشاعر والعدساني والخولي**
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 25 يوليو (تموز) 2002
حول نخبة من الدبلوماسيين - السياسيين العرب (علي الشاعر ومحمد العدساني وحسن صبري الخولي والأخضر الإبراهيمي وبطرس غالي) أعطوا جهوداً لقضايا شائكة في بعض الدول العربية ولم يكافأوا على جهودهم أو جهادهم
- 339.....خاتمي... والمحظورات الثورية**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 26 يوليو (تموز) 2002
عن الرئيس محمد خاتمي والخاتمية المنفتحة إجتماعياً ضمن ضوابط وأميركياً بأمل أن يعيد العم سام النظر ولو بالتدرج
- 340....."اليوبيل الذهبي"... للمجازر الإسرائيلية**
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 27 يوليو (تموز) 2002
مجزرة تلو مجزرة ترتكبها إسرائيل مطمئنة إلى أن العم سام متفهم وحنون على هؤلاء المرتكبين بدل أن يترفق بالذين يعيشون كوابيس المجازر
- 340.....تأملات في ما بعد مجزرة غزة (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 28 يوليو (تموز) 2002
بعد أن أخذت الشارونية مداها وكثرت مجازرها بات للفلسطيني على المجتمع الدولي وعلى الإدارة الأميركية بالذات إتخاذ خطوات لتقادي إنفجار الغضب

- 341..... **"الجزيرة" ... وبدعة التضليل**
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 29 يوليو (تموز) 2002
عن فضائية "الجزيرة" في مرحلة كان إعلامها قريب الشبه بإعلام أحمد سعيد من حيث النأي عن الموضوعية
- 341..... **تأملات في ما بعد مجزرة غزة (2)**
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 30 يوليو (تموز) 2002
كيف أن الفلسطيني بات بعد مجزرة غزة يرى أن أميركا موجود في تعاملها مع الجاني على أنه مضطر غير عابئة بالمجني عليهم
- 342..... **الصورة أصدق توضيحاً من الكلام**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 31 يوليو (تموز) 2002
معاني لقاء جرى في قصر الإليزيه بين الرئيس جاك وشيراك وزائره الرئيس المصري حسني مبارك ولعبت أحياناً حركات التعبير أحياناً بالإصبع دوراً في تصويب مفاهيم
- 343..... **"مهرجا الفقراء" رئيس المليار**
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 1 أغسطس (آب) 2002
قراءة في إنتخاب المسلم "أبو الكلام ومهرجا الفقراء" و"أبو الصواريخ" رئيساً ل هند المليار
- 344..... **إلى كوفي أنان أيقظ الله ضميره**
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 13 أغسطس (آب) 2002
عندما لسبب أو دافع ما نأى كوفي أنان عن إدانة عدوان إسرائيلي على عربات الإسعاف في مخيم جنين
- 344..... **كاسترو المعمر الذي لا يسأم تكاليف الحكم**
صحيفة "الوطن". الرياض – أغسطس (آب) 2002
تأملات في كاسترو الذي لا يسأم تكاليف الحكم ولا يعيد النظر بعد 43 سنة من الحكم الماركسي كما فعل آخرون
- 345..... **دبلوماسية الكيد لعزل شارون تماماً (1)**
- 346..... **دبلوماسية الكيد لعزل شارون تماماً (2)**
- 346..... **دبلوماسية الكيد لعزل شارون تماماً (3)**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 21 أغسطس (آب) 2002
كيف أن تراكم الممارسات والإعتداءات من جانب أرييل شارون بات يوجب الإلتيان بغيره لكي لا تتصدع إتفاقيات حدثت ومن شأن مواصلة العدوان الشاروني التفكير في إعادة النظر في عدوانه
- 347..... **"فتوى خاتمية" محرمة أميركياً**
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 26 أغسطس (آب) 2002
عندما "أفتى" الرئيس الإيراني محمد خاتمي بأن تكون القوات الأميركية في أفغانستان كتائب للإعمار ولكنها "فتوى" غير قابلة مضامينها للتنفيذ من سلاسل تشيني – رامسفيلد
- 348..... **باكستان السورية أم باكستان التركية؟**
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 27 أغسطس (آب) 2002
تأملات في أحوال باكستان برويز مشرف الذي عزز شأن جنرالاته في غياب بنظير بوتو في دبي ونواز شريف في السعودية
- 349..... **الصهيونية تفكر وإدارة بوش تُنفذ**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 28 أغسطس (آب) 2002
كيف أن العقل الصهيوني يبتدع أفكاراً لمصلحة إسرائيل وتتبنها إدارة بوش وكما لو أنها السلطة التنفيذية الصهيونية

- 349.....لوبي "حكماء أميركا ولوبي" كواسرها
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 29 أغسطس (آب) 2002
عندما ضغت سيوف التهديد في إدارة بوش وأبرز هؤلاء ديك تشيني ودونالد رامسفيلد على جنرال الدبلوماسية الأميركية كولن باول
- 350.....صراع إرادات إلا إذا.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 30 أغسطس (آب) 2002
عن صراع الإرادات عالمياً منافساً لصراع الحضارات وهل سيرسو بأمان على شاطئ أهل القرار الأميركي
- 350.....في التهدة... السلامة.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 2 سبتمبر (أيلول) 2002
كيف أن خشية موضوعية من إصرار كواسر الإدارة الأميركية على ضرب العراق أوجبت بروز أصوات عاقلة ترى أن السلامة للجميع هي في التهدة
- 351.....عين إسرائيل الحمراء على باكستان وأندونيسيا.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 4 سبتمبر (أيلول) 2002
عندما سعت إسرائيل ليكون لها موطئ قدم في كل من أندونيسيا وباكستان أهم دولتين إسلاميتين ولم يتحقق لها ذلك فكانت الإخترافة من البوابة التيمورية
- 352.....صمت كوفي أنان ولا صمت أبو الهول.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 5 سبتمبر (أيلول) 2002
حالة من الإستغراب العربي إزاء صمت الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان حول أحداث ووقائع لمصلحة أميركا – إسرائيل فيما واجبه الأممي عكس ذلك
- 352.....التهجير الذي يجمع الخصوم.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 6 سبتمبر (أيلول) 2002
كيف أن خصومة أمس بين أهم زعامتين (بنظير بوتو ونواز شريف) أوجب الإستحقاق الإنتخابي تحالفهما في مواجهة الجنرال برويز وفريقه من كبار الضباط
- 353.....بن لادن الخارق الحي - الميت!.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 8 سبتمبر (أيلول) 2002
عن الثلاثي شاغل البال الأميركي (بن لادن. الظواهري. محمد عمر) وكيف أن أصول اللعبة الأميركية تستوجب بقاء بن لادن بمثابة "الحي - الميت"
- 353.....جون... ماذا فعلت بعمر؟.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 10 سبتمبر (أيلول) 2002
نظرة على علاقة بين الرئيس عمر البشير والقائد العسكري الجنوبي جون قرنق الذي فاجأ الرئيس عمر بما يلحق الضرر بكبريائه ونظرة المحيطين به إليه
- 354.....ما نتوخى سماعه ذات يوم من أميركا.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 22 سبتمبر (أيلول) 2002
موقف طالما يتمنى العرب سماعه على لسان أهل الحكم الأميركي ويتعلق بسلوك إسرائيل ولكن ما يتمناه المواطن العربي في هذا الشأن من أميركا لا يدركه
- 355.....هل لأن المنصب ليس دورياً؟.....
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 25 سبتمبر (أيلول) 2002
دائماً نرى الجامعة العربية غارقة في المتاعب والمشاكل وذلك عائد لطبيعة تعامل بعض الدول الأعضاء معها

- 355.....الإرتباك المفاجئ في "رالي الضربة".
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 27 سبتمبر (أيلول) 2002
كيف أن عبارات وردت على لسان الرئيس بوش وبعض المسؤولين في إدارته ضد الرئيس صدام حسين وبدت نتائجها قولاً
وفعللاً غير مفيدة ومناقضة للحسابات والتوقعات
- 356.....النصحية المتأخرة لضمير الجنرال
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 30 سبتمبر (أيلول) 2002
عندما يسدي جنرال الخارجية الأميركية كولن بأول النصح للقائد الفلسطيني ياسر عرفات ويكون النصح متأخراً
- 356.....الإغاضة على مستوى القمة
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 2 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
نظرة على حالة من المقايضة تبدو فيها الإدارة الأميركية ترجح العلاقة مع الصين مقابل قطع العلاقة مع تايوان
- 357.....مصائب قوم عند قوم فوائد (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 4 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
كيف ينطبق على ياسر عرفات في ظل رفع حصار شارون عليه قول الشاعر "مصائب قوم عند قوم فوائد"
- 358.....مصائب قوم عند قوم فوائد (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 358.....الإزدهار الحزبي في مملكة محمد السادس (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 6 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
ظاهرة تلفت الإنتباه تلك التي تتمثل في تشجيع العاهل المغربي محمد السادس للعمل الحزبي بكافة منطلقات ورؤى قادة
هذه الأحزاب عدا التيار الإسلامي المتشدد. وهذا التشجيع كان بدأه والده الحسن الثاني. ويشمل التشجيع المرأة المغربية
- 359.....الإزدهار الحزبي في مملكة محمد السادس (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 7 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 360.....الإزدهار الحزبي في مملكة محمد السادس (3)
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 361....."الكابوي" التكريتي و "الكابوي" التكسائي
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
ماذا ستكون عليه التداعيات لو تم الأخذ بإقتراح طرحه على الملأ طه ياسين رمضان متضمناً الدعوة إلى مبارزة
بالمسدسات بين الرئيس صدام حسين والرئيس جورج بوش
- 361.....من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
عن اللواء غازي كنعان الذي إختاره الرئيس حافظ الأسد بمثابة ممثل شخصي له في لبنان، فبات على مدى عقدين بمثابة
المرجع لأهل الحكم في لبنان مسلمين ومسيحيين فضلاً عن تكريم غير مسبوق له عند المغادرة من جانب رئيس
الجمهورية إميل لحود ورئيس الحكومة رفيق الحريري... ومفتاح بيروت من رئيس بلديتها
- 362.....من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 16 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 363.....من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (3)
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

- 363....."الحجاج التكتاسي" والرؤوس العراقية
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
تساؤل إفتراضي يتعلق بالرئيس الأميركي جورج بوش الابن وهل سيكون في تعامله مع العراق وعشائره بمثل تعامل
الحجاج بن يوسف مع بعض أهل العراق
- 364.....حرب التشبيهاً مفتوحة على مصراعها
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 20 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
كيف أن بوش الابن شبه صدام حسين بـ ستالين. والتشبيهاً على ما جاء في أقوال بعض الشامتين بـ صدام وبعضهم
حكام عرب كثيرة ماضياً وحاضراً ومستقبلاً
- 364.....نوبل وجوائزها (1) مكافأة أديب الإنبهار بالعدوان
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
مقاييس مانحي جائزة "نوبل" للآداب تبدو أحياناً تثير الإستغراب وبالذات عندما تُمنح لكاتب يهودي مجري مبهور بعدوان
ديابات شارون على الفلسطينيين في رام الله ولم ولن تمنح لـ بوش الابن فيما نالها جيمس كارتر
- 365.....نوبل وجوائزها (2) كارتر ... والقدس تلك "العاصمة الروحية"
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 22 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 366.....نوبل وجوائزها (3) مبادرة عبدالله ورئاسة كارتر
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 23 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 366.....نوبل وجوائزها (4) منطق الحكمة أهم من لغة العضلات
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 24 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
- 367.....بيروت التي جرى تخيلها
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 25 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
كيف أن تشجير العاصمة اللبنانية بيروت بغرسات النخيل أعطاها ملامح المدينة الخليجية
- 368.....المبغوض والمشروع من العمليات الجهادية
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
عندما تخرج العمليات عن مسارها الجهادي فتصبح بالتالي عدواناً على أبرياء. وهذا على أحد مسارح موسكو
- 368.....عودة البشر بعد إستعادة الورق
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 31 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
عندما تحل لحظات من الإرتياح ناشئة عن أن الحكمة والحكمة تستوجبان إتخاذ خطوات كانت من العُسر بمكان ويمكن
إحلال اليسر محل ذلك العسر
- 369.....صراع النصوص في مجلس الأمن
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
في اللعبة أو الملاعب الدولية، يحدث أحياناً أن محكّري "الفيتو" يخوضون صراعات على حالة تكون أشبه بالدجاجة
التي يبضها من ذهب على نحو ذهب النفط
- 370.....القذافي و"جديده" الذي لا ينضب (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
تأملات في الثورة الليبية وقائدها العقيد معمر القذافي التي مع إنقضاء 33 سنة على قيامه بها فإنها باتت بحكم صمودها
"عميدة الثورات العربية"
- 370.....القذافي و"جديده" الذي لا ينضب (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 3 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

- 371..... **الغدافي و"جديده" الذي لا ينضب (3)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 4 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
- 372..... **أغراض شريرة للحرب النفسية على الإسلام (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 5 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
دائماً هنالك محاولات تقف الصهيونية وراء تشويه الإسلام ومن هذه المحاولات عمليات إرهابية في أكثر من عاصمة أو ملاذ سياحي للباحثين عن الهدوء والطمأنينة
- 373..... **أغراض شريرة للحرب النفسية على الإسلام (2)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 6 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
- 373..... **وقار الوزارة وردح المستشارة**
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
مقارنة بين تصريحات وزيرة فرنسية إكتسبت بهوء تناولها للقضايا الراهنة الإحترام وبين المستشارة الألمانية التي كانت رداًة خلافاً للمأمول منها
- 374..... **راقون حتى في تظاهراتهم**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
عندما يكون التظاهر راقياً ويتحقق الغرض منه عكس التظاهر الصارخ الذي تشمل فعاليته حرق العلم الأميركي وهو أمر غير جائز إطلاقاً
- 375..... **نتتياهو... والحظران المصري والمغربي**
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
كيف خطط نتتياهو كوزير للخارجية بأمل رفع الحظر عليه من ملك المغرب الحسن الثاني والرئيس المصري حسني مبارك
- 376..... **حكومة مطلوبين للعدالة**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
يوم بانت الحكومة في إسرائيل برئاسة أرييل شارون السقّاح بإمّياز وتضم بنيامين نتتياهو السقّاح هواية وزيراً للخارجية
- 376..... **رجب التركي المنتصر في رمضان**
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
كيف أن أردوغان قفز وفق سيناريو متعنفق الإخراج من رئاسة بلدية إسطنبول إلى رئاسة حكومة يرتاح لها العسكر
- 377..... **ما بعد قمتها في عمان**
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 12 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
كيف أن القمة الوردية التي إستضافتها زوجة الرئيس حسني مبارك لم يكن الحضور فيها على النحو المأمول
- 378..... **المرونة سلاح في الوقت المناسب**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
عندما يتم إستحضار مفردات المرونة في التخاطب فإن حدة الأزمات تتراجع بالتدرج
- 378..... **جورج بوش الابن والفرصة... اللحظة (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
كيف أن الرئيس بوش الابن يظن أن مآذب الإفطار الرمضانية التي يوصي بإقامتها تتجي الإسلام والمسلمين من ثعابين متصهينة في الإدارة الأميركية
- 379..... **جورج بوش الابن والفرصة... اللحظة (2)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

- 379..... جورج بوش الابن والفرصة... اللحظة (3)
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
- 380..... عميد "الغوانتانامويين" وإقتراح برسم بوش
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
تمنيات في شأن خطوات مستحبة كان من مصلحة بوش الابن تحقيق مضامينها لكنه مع شديد الخيبة لم يفعل
- 381..... المال والبنون والدنيا في مشهدين (1)
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
وقائع مؤلمة تصيب تداعياتها رئيس الدولة في مكانته وسمعته وصدقته من المال والبنين مقابل نظرة بول غيتس الملياري إلى مستقبل ثروته وأولاده
- 382..... المال والبنون والدنيا في مشهدين (2)
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
- 382..... قضية الاعتراف بالذنوب البريطانية
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
... تساؤلات في ضوء كلام قاله وزير الخارجية البريطانية جاك سترو وهل يفتح الباب أمام تصحيح الإثم البلفوري في حق الشعب الفلسطيني
- 383..... ما ننتظره من الـ "غول" التركي
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
عن غرابة علاقة تركيا الوطيدة مع إسرائيل بينما هي النقيض تجاه جيرانها العرب والقضية الفلسطينية
- 384..... لكل دولة زمانها... مرشدها
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
كيف تساقطت "تركيا العدالة والتنمية" وزعيمها أربكان لتحل محلها "تركيا الأردوغانية" وإستقرارها بفعل خلطة سحرية مزج فيها أردوغان إسلاميته بعلمانيته مما يرتاح لذلك الجنزالات والغرب الأميركي - الأوروبي
- 384..... و"عَظ" بوش ومواعظ الإنكليز
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
خير مناسبة للرئيس بوش في ضوء رؤية بريطانية موضوعية في شأن القضية الفلسطينية إذا هو إغتتمها وأعاد النظر تصحيحاً يهديه إلى سواء السبيل
- 385..... حكاية صدام بعد حكاية "بن لادن"
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
نظرة على ظاهرة التخويف من صدام حسين تتشابه مع التهويل الأميركي من أسامة بن لادن وأيمن الظواهري
- 386..... الأبائيل البعثية والتهويلات البوشية
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 26 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
عن أسطول من الطائرات من دون طيار التي قال الرئيس بوش الابن من باب التهويل إن عراق صدام حسين يمتلكها

387.....الوجه الآخر لرئيس أميركا

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 27 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

نماذج من الآراء المجدية على مستوى العالم الذي تأخر كثيراً في قولها جيمي كارتر وقد بات سابقاً

387.....إحراج ألمانيا بغرض إخراجها

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

عندما تريد أميركا إحراج ألمانيا فتعز إلى إسرائيل كي تطلب من ألمانيا (العاصية على الموقف الأميركي من العراق) تزويدها بصواريخ باتريوت

388.....تقاسم زعامة العالم في الألفية الثالثة

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 1 ديسمبر (كانون الأول) 2002

تساؤل إفتراضي عما إذا كان العالم سيشهد في الألفية الثالثة زعامة تتقاسمها الصين مع أميركا

389.....وعود جنرالية غير عاقلة

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 4 ديسمبر (كانون الأول) 2002

حول السبيل الأكثر سهولة الذي لو سلكه شارون وآخرون من أهل الحُكم في إسرائيل لكان الأفضل لهم وللعرب والمسلمين على حد سواء

390.....الخيمة الأميركية الرمضانية المنتظرة

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 5 ديسمبر (كانون الأول) 2002

المقومات المطلوبة لكي تكون الخيم الأميركية والأوروبية التي ينصبها السفراء في بعض الدول العربية والإسلامية عفوية ومشروعة وغير فولكلورية

390.....مات محمد الدرة عاش محمد الدرة

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 6 ديسمبر (كانون الأول) 2002

كيف هاجس كثرة الإنجاب لدى الفلسطينيين وعزوف الإسرائيليين عن الإنجاب هاجس مستديم لدى حكام إسرائيل

391.....تحت خط الفقر وفوق خط العدوان

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 7 ديسمبر (كانون الأول) 2002

... وكيف أن إنتفاضة الأقصى 2002 جعلت الإسرائيليين لا يزيدون النسل وفق توجيهات حكومتهم نتيجة زيادة نسبة العائلات تحت عتبة خط الفقر

391.....قمر للبيع.. من يشتري وبأبخص الأسعار؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 8 ديسمبر (كانون الأول) 2002

كان القمر للأحباب والمتممين.. ثم ها هو بات مثل قطعة أرض لمن يبتاع أمتاراً فيها للهناء والسكن

392.....العصيان المدني بديلاً للإنتفاضة الإستشهادية

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 10 ديسمبر (كانون الأول) 2002

مقارنة أولية بين ما تسببت به إنتفاضة الأقصى للمجتمع الإسرائيلي وكذلك للمجتمع الفلسطيني مع إختلاف إحتراز الإستقرار والأعمال والإيرادات

392.....الحكمة أيضاً صينية يا "رفاقتا" العرب

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 11 ديسمبر (كانون الأول) 2002

أهمية أن يأخذ بعض قادة الأحزاب السياسية العربية والإسلامية في الإعتبار ما حدث في الصين

393.....ياواش..ياواشاس أردوغان باشا

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 12 ديسمبر (كانون الأول) 2002

تساؤل في نظرية حول أن حرباً تخوضها أميركا لا تحتاج إلى أكثر من البوابتين القطرية والتركية

394..... **مصير الأقلية التي تحكم الأكثرية**

صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 13 ديسمبر (كانون الأول) 2002

حول مصير الأقلية التي تحكم الأكثرية على نحو ما حدث في جنوب أفريقيا

394..... **أفغاني مصر المحروسة وأفغاني بغداد المقلوبة**

صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 14 ديسمبر (كانون الأول) 2002

مقارنة بين نموذجين في المشهد الأفغاني أحدهما في المحروسة مصر والآخر في عاصمة بلاد الرافدين

395..... **إستباحة القصور... وما بعدها**

صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 15 ديسمبر (كانون الأول) 2002

إفتراس لإستباحات قد تحدث لبيوت العراقيين ما دام المفتشون الدوليون إستباحوا "قصر السجود" في بغداد وهو أحد القصور الرئاسية في زمن صدام حسين

395..... **"أقوال مأثورة من بلاد العم سام"**

صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 17 ديسمبر (كانون الأول) 2002

نموذجان من أقوال لإثنين من سياسيين النخبة في أميركا أحدهما الرئيس جيمي كارتر الذي يرى أن الحرب الوقائية تولد كوارث في حال لم يتم تداركها

396..... **تعاسة الحُكم من عذاب المرض**

صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 18 ديسمبر (كانون الأول) 2002

كيف أن جون كينيدي رئيس الولايات المتحدة الخامس والثلاثين كان تعيساً قبل إغتياله حيث أنه يتناول يومياً أكثر من ثمانية أدوية لعلاج حالات صحية دقيقة

396..... **سنة 15... "حماس"**

صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 20 ديسمبر (كانون الأول) 2002

قراءة في مصير "حركة حماس" لمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لتأسيسها (1987.2.14)

397..... **المأكلون بعد النظام العراقي**

صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 21 ديسمبر (كانون الأول) 2002

تأملات في أسلوب تخاطب للرئيس بشار الأسد خلال زيارته الرسمية إلى بريطانيا ومحادثاته مع رئيس حكومتها طوني بليز

397..... **لاءات بشار حافظ الأسد**

صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 22 ديسمبر (كانون الأول) 2002

398..... **رفقاً بالجوع... يا "NESTLE" المتخمة**

صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 23 ديسمبر (كانون الأول) 2002

399..... **لوبيان المغضوب عليه**

صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 24 ديسمبر (كانون الأول) 2002

كيف أن زعيم اليمين المتطرف في فرنسا جان ماري لوبيان غير مرحّب به بزيارة شخصية إلى لبنان رفيق الحريري الشيراكي

- 399..... من حنان... إلى ناديا
 صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 25 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 عندما إختار الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى الفلسطينية حنان عشراوي لتكون متحدثة بإسم الجامعة وناديا مكرم عبيد لتمثيل الجامعة في السودان، لكن التحفظات الذكورية حالت دون الخطوة الرائدة
- 400..... بريطانيا حافظ الأسد.. جداً وحفيداً
 صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 26 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 إضاءة على زيارة إلى بريطانيا كانت تاتشر تتطلع إلى أن يقوم بها الرئيس حافظ الأسد فإذا بالذي زار كان الإبن الرئيس بشار ترافقه زوجته أسماء وإبنهما حافظ الأسد الحفيد
- 400..... تظاهروا تصحوا.. حاربوا تدموا
 صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 27 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 عندما خلس أكاديمي بريطاني في عِلْم النفس إلى أن التظاهرات والإحتجاجات تولّد في نفس المشارك فيها إحساساً بالقوة
- 401..... بريطانيا العظمى... سجوناً ولصوصاً
 صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 28 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 عندما إقترح رئيس السلطة القضائية في بريطانيا إستبدال سجن اللصوص بخدمات للمجتمع يؤديها المحكومون وذلك لأن السجون مزدحمة بالمحكومين
- 402..... القصف المتبادل بـ"سلاح النسل"
 صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 29 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 عن النسل المتراجع يهودياً المزدهر فلسطينياً وهو ما يبدو مدعاة قلق للكيان الإسرائيلي
- 402..... حكام أشبال في السبعين من العمر
 صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 30 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 ... وأما في الصين فهناك الظاهرة المتمثلة بإنعقاد ندوات تستهدف تعزيز شأن الشيخوخة
- 403..... الطريق إلى رئاسة أميركا
 صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 31 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 ... كيف أن من يتطلع إلى رئاسة أميركا عليه أن يسجل في إسرائيل أو وهو في أميركا المواقف التي لا تجعل التروؤس بعيد المنال
- 403..... عنتريات من هنا... وهناك... وهناك
 صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 1 يناير (كانون الثاني) 2003
- 404..... "نيويورك" السفينة... ولعبة التحدي
 صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 2 يناير (كانون الثاني) 2003
 عن إحدى غرائب التخليد بمفهوم وزارة الدفاع الأميركية لحدث مأساوي كالذي أصاب مركز التجارة العالمي في نيويورك وأصاب مبنى الوزارة أيضاً
- 404..... نحاول أن نفهم... ولكن
 صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 3 يناير (كانون الثاني) 2003
 لغز ليس عصياً على الفهم وهو أن تكون هناك دولة مثل قطر على علاقة مستقرة مع أميركا بوش الإبن المعتدية ومع العراق المعتدى عليه
- 405..... أخبار ملكية لافتة للإنتباه
 صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 4 يناير (كانون الثاني) 2003
 حالات تدعو إلى التأمل في ظروف عائلية وصحية يعيشها ملوك وأولياء عهد وبالذات في بريطانيا وهولندا واليابان

- 406..... **بن علي ... وتوسيم أهل الطرب**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 5 يناير (كانون الثاني) 2003
... ورئيس تونس زين العابدين بن علي يحقق لرموز في عالم الفن والطرب التكريم توسيماً وهو تقليد مستحب من جانبه
- 407..... **النائب في لبنان... مذكراً ومؤثراً**
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 7 يناير (كانون الثاني) 2003
عن السيدات النواب في البرلمان اللبناني ودواعي تفادي كلمة النائبة وإعتماد كلمة النائب للعضو النسائي في البرلمان بدلاً من النائبة (المصيبة)
- 407..... **فلوريدا مستنسخة الرئيس ... و"حواء"**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 8 يناير (كانون الثاني) 2003
كيف حدث إستنساخان في ولاية فلوريدا: إستنساخ بوش الإبن رئيساً وإستنساخ أول طفلة في التاريخ
- 408..... **كتاب زوجة كوفي أنان (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 9 يناير (كانون الثاني) 2003
ما قالته في كتاب "سيرة ذاتية" زوجة كوفي أنان الأمين العام للأمم المتحدة (2003) وما يتمنى المرء عليها تأليف كتاب عن مآسي الأطفال مرضاً وجوعاً
- 408..... **كتاب زوجة كوفي أنان (2)**
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 10 يناير (كانون الثاني) 2003
- 409..... **الحرب... حشوداً وأشواوس وإحتمالات**
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 11 يناير (كانون الثاني) 2003
عن حرب بوش الإبن على العراق في ضوء حرب والده تثبيتاً مقولة أن الإبن سر أبيه والإثنان سر العم سام مبادئ وممارسة سياسية وإفتعال حروب لا مبرر لها
- 410..... **الكلمة لـ "الشُّيَّاب" ... بعد نصف قرن**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 12 يناير (كانون الثاني) 2003
أرقام حول ظاهرة مذهلة مفادها وفق إحصاءات أممية أن عدد الكبار في السن سيصل إلى بليون نسمة في العام 2050
- 410..... **إقتراح برسم أمير الشباب والرياضة**
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 13 يناير (كانون الثاني) 2003
حول قرار إتخذة أرييل شارون يتجاوز الأصول ويقضي بمنع فريق لكرة القدم الفلسطينيين من المشاركة في بطولة الأندية العربية
- 411..... **يا بقية الهوام عرباً وأجانب.. قليلاً من التأمل**
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 14 يناير (كانون الثاني) 2003
عندما سجلت زوجة رئيس البنك المركزي الأوروبي وقفة إنسانية وضميرية إلى جانب الذين تعتدي إسرائيل أرييل شارون عليهم في مخيم جنين بطريقة وحشية
- 411..... **عبد العزيز المؤسس وعبد العزيز الحفيد وعبد العزيز الشيخ الجليل**
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 15 يناير (كانون الثاني) 2003
عن مصادفة لقاء في رحاب الشيخ عبدالعزيز التويجري بالأمير عبدالعزيز بن فهد حفيد الملك عبدالعزيز
- 412..... **مفاجأة ينايرية... من مبارك والبشير**
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 16 يناير (كانون الثاني) 2003
مفاجأة من حسني مبارك لمسيحي مصر ومثلها مفاجأة من عمر البشير لمسيحي السودان. والمفاجأتان خطوة طيبة تأتي من الرئيسين المسلمين نحو بني قومهم المسيحيين

- 413..... بوش الإبن... وغضب "النوبيين"
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 17 يناير (كانون الثاني) 2003
عن جائزة "توبل" التي من واجب أهل الفكر والإبداع التصدي لمن تُعطى لهم فيما هم يخوضون حرباً من أجل الحصول على النفط وثروات الشعوب
- 413..... "رالي الثوريين"... وترقية الديمقراطية.....
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 18 يناير (كانون الثاني) 2003
حول التأمرك الذي بات موضحة ثورية على نحو ما حدث في أريتريا واليمن والسودان وأثيوبيا على سبيل المثال لا الحصر
- 414..... الخلايا النائمة... والغرف الملكية الواقية (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 19 يناير (كانون الثاني) 2003
كيف أن الخشية موجبة من الخلايا النائمة القادرة على هز إستقرار أوضاع في حكومات عربية وأجنبية.. وحتى في قصرئ الملكة اليزابيت الثانية
- 414..... الخلايا النائمة... والغرف الملكية الواقية (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 21 يناير (كانون الثاني) 2003
- 415..... اليُسر السعودي بعد العُسر الأميركي
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 23 يناير (كانون الثاني) 2003
... كيف أن فكرة الحرب البوشية على العراق مرت قبل التنفيذ بمراوحة بين التريث فالتأجيل إنما عدم التخلي الأميركي عن السعي
- 415..... مَنْ يُدَوِّخ الآخريين... يدوخ ولو بعد حين
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 24 يناير (كانون الثاني) 2003
عن أحوال عربية عموماً وفلسطينية بشكل خاص تجعل المرء يدوخ وهو يبحث عن التفسير وكذلك عن طبيعة ما بعد الدوخان
- 416..... يا مَنْ هم عكس ذلك... إتعضوا
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 29 يناير (كانون الثاني) 2003
... وتساؤل موضوعي في محله حول ما مصلحة أميركا في أن يكرها أطفال فلسطين المخيمات الذين يواجهون الخوف والجوع والصحة الجيدة والإذلال
- 417..... أحوال لبنان... ومطالبة الأمير سلمان
صحيفة "الوطن". الرياض – السبت 1 فبراير (شباط) 2003
كيف أن سلمان بن عبدالعزيز (أمير الرياض) قال عام 2003 للبنانيين "إن إتفاق الطائف ليس مجرد حبر على ورق وليس مجرد توافيق وإنما هو عهد"
- 417..... "الذبابه" الكورية... والأسد الأميركي!
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 2 فبراير (شباط) 2003
توصيف للنزاع المريب بين الولايات المتحدة وكوريا الشمالية بأنه مثل صراع ذبابه صغيرة مع فيل ضخم
- 418..... ضجة شعرية في البيت الأبيض
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 7 فبراير (شباط) 2003
عندما خذلت لورا زوجة بوش الإبن شعراء أميركا بإلغائها إستقبالهم في البيت الأبيض لأنهم كانوا سيقراون في حضرتها قصائد تتاهض حرب زوجها على العراق
- 419..... من أجل اللحمه ... أم من أجل الأميرة؟
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 12 فبراير (شباط) 2003
يوم زار الأمير تشارلز باريس من أجل الترويج للحوم البريطانية وكان لا يزورها تهيئاً منه لفاجعة مطلّته الأميرة ديانا التي قضت في حادث سير مدبر داخل نفق باريس مع صديقها العابر المصري دودي محمد الفايد

- 419....."الأحفاد" الذين لا تتذكرهم إدارة بوش (1)
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 16 فبراير (شباط) 2003
مأساة فيلة تايلاند التي لا ينظر في أمرها وتغذيها بالمسامير والسيوف إلى حد التدمير فيلة أميركا.. أي الحزب الجمهوري
الذي شعاره الفيل
- 420....."الأحفاد" الذين لا تتذكرهم إدارة بوش (2)
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 17 فبراير (شباط) 2003
- 421.....كما الأمم المتحدة... كذلك الجامعة العربية
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 19 فبراير (شباط) 2003
إفتراس أن تصبح الأمم المتحدة "النظام العالمي المتجدد" وتزول بالتالي ظاهرة "النظام العالمي الجديد" وأن تصبح الجامعة العربية
هي المرجعية للعرب عند صراعاتهم وليست منظمة لترتيب الاجتماعات والمؤتمرات
- 421.....الإستطلاع الملايني... والقرار الحاسم
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 22 فبراير (شباط) 2003
عن إستطلاع ملايني حول الحرب على العراق قال حولها جاك سترو وزير خارجية بريطانيا مخاطباً رئيسه طوني بلير
"من الصعب خوض حرب لا تحظى بالتأييد الشعبي"
- 422.....أندونيسيا... "أم الجُزر"
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 23 فبراير (شباط) 2003
نظرة على أندونيسيا التي جعل منها عبدالناصر من جهة أخرى دولة صديقة للعرب في سرّائهم وضرائهم
- 423.....إنهم في إنتظار "الحلم العربي 2"
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 25 فبراير (شباط) 2003
- 424.....إبتكار بريطاني يرسم الرياض وشقيقاتها
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 26 فبراير (شباط) 2003
حل إعتدته بريطانيا لإزدحام السير.. ما أحوج القاهرة والرياض ومدن عربية أخرى إلى الأخذ به
- 424.....لبنان... والمجتمع الخليجي المحتمل
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 28 فبراير (شباط) 2003
يوم ارتفعت نسبة وجود الخليجيين في لبنان كما لم ترتفع من قبل وذلك تحسباً من بدء الحرب البوشية على العراق
- 425.....حكومة... وبراميل قمامة
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 5 مارس (آذار) 2003
كيف أن الحاخام غوفاديا يوسف قال عن أرييل شارون إنه سيتأس حكومة براميل قمامة
- 426.....حيّا الله بو متعب
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 7 مارس (آذار) 2003
رؤية ولي العهد السعودي عبدالله بن عبدالعزيز في شأن الحرب التي يا ليت يسمعها الجميع ويأخذ بها بوش وكواسر إدارته
- 426.....لا تُجادل معانداً
صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 9 مارس (آذار) 2003
... وموفد من البابا يوحنا بولس الثاني إلى بوش عل وعسى يهتدي إلى صراط السلام وليس جهنم الحرب
- 427.....حريق الإسكندرية وشرارة "شرم الشيخ"
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 10 مارس (آذار) 2003
عن حريق حدث في مكتبة الإسكندرية تاركاً على ساحة التساولات والمخاوف الكثير من علامات الإستفهام والتعجب

- 428.....رموز الإستقبال التاريخي من فهد إلى شيرك
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 12 مارس (آذار) 2003
حول إستقبالات جرت في الجزائر والخرطوم والقاهرة وبغداد ليلق بهم الإستقبال الرسمي والشعبي
- 429....."المسيرة البشّارية"... ومسيرات أخرى
صحيفة "الوطن". الرياض – الخميس 13 مارس (آذار) 2003
عن مسيرات رئاسية شعبية ضد أميركا وبريطانيا وحربهما ضد العراق، ومنها مسيرة تقدّمها الرئيسان بشّار الأسد وإميل لحود
- 430.....الرئيس المغلوب على أمره
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 14 مارس (آذار) 2003
مقارنة حول سوء التسرع في الوقفة من جانب بلير مع بوش الإبن حرباً على العراق ووقوف تانتشر قبل ذلك مع بوش الأب
بداية الحرب على العراق
- 430....."أم القنابل" و"أم جمهوريات الموز"؟ (1)
صحيفة "الوطن". الرياض – الأحد 16 مارس (آذار) 2003
رؤية مفكر أميركي تتسم أقواله بالحكمة كان على الرئيس جورج بوش التأمل فيها عوض الإستغراق في أوهام عوائد الحرب
على العراق
- 431....."أم القنابل" و"أم جمهوريات الموز"؟ (2)
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 17 مارس (آذار) 2003
- 432.....نكهة أوروبية للردح والتلاس
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 18 مارس (آذار) 2003
عندما تردح صحيفة بريطانية بلسان أميركي فتصف شيرك بأنه "دودة" وأن "قوّاد باريس" وأنه "منافق" لأنه ضد الحرب
مقارنة بين رامبو بالطريقة الصّدّامية ضد بوش الأب والطريقة البوشية ضد البطاطا الفرنسية فرنش فرايز
- 433....."رامبوات" هذا الزمن... عندما ينتقمون
صحيفة "الوطن". الرياض – الأربعاء 19 مارس (آذار) 2003
مقارنة بين رامبو بالطريقة الصّدّامية ضد بوش الأب والطريقة البوشية ضد البطاطا الفرنسية فرنش فرايز
- 434.....شارون يدمّر... ونايف يعمر
صحيفة "الوطن". الرياض – الإثنين 24 مارس (آذار) 2003
كيف أن أرييل شارون كان يدمر بيوت الفلسطينيين ويقتل دون رادع ما في إستطاعته قتله منهم فيما السعودية ترمم
وتداوي وترقد الطلاب بالكتب ومستلزمات الدراسة
- 434.....إزدهار على حساب القوة وآخر على حساب القوات
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 25 مارس (آذار) 2003
مقارنة بين أحوال كوريا الشمالية الفقيرة النووية وكوريا الجنوبية الغنية عيشاً الفقيرة سلاحاً
- 435....."علوج" محمد سعيد الصخّاف
صحيفة "الوطن". الرياض – الجمعة 28 مارس (آذار) 2003
حول ما الذي كان يقصده وزير الإعلام الصّدّامي بتوصيف "العلوج" ذلك أن لها عدة معان من بينها "حمار الوحش"
- 436.....الخيار المر والخيار الأكثر مرارة
صحيفة "الوطن". الرياض – الثلاثاء 1 أبريل (نيسان) 2003
عندما وجد محمود عباس كرئيس للحكومة نفسه أمام الخيار المر والخيار الأكثر مرارة ولكن نجاته هي في الخطوة التي
ترضي ضميره ويرتاح لها الرأي العام الفلسطيني

- 437..... **الكيل الأمريكي - البريطاني... بعشرات المكايل**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 2 أبريل (نيسان) 2003
تأملات في ما يعيشه العالم إزاء خطوات وقرارات ينطبق عليها ما يقال عند الكيل الذي يكون أحياناً مكابيل
- 437..... **مفردات جديدة للمتظاهرين في أميركا**
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 3 أبريل (نيسان) 2003
تأملات على هامش الحرب على العراق وأثرها الأشبه بجرح ينزف على مدار الليل والنهار لدى شرائح من الأميركيين
- 438..... **التقليد المستحب**
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 7 أبريل (نيسان) 2003
نظرة على تقليد مستحب يتمثل في رسالة رد فيها الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز على رسالة إستقالة مجلس إدارة صحيفة "الوطن" الدكتور فهد العرابي الحارثي
- 439..... **في ذلك الزمان ... غير الفضائي (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 8 أبريل (نيسان) 2003
إستعادة عابرة لأجواء العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 مقارنة بالعدوان الثلاثي على العراق بعد 47 سنة
- 440..... **بريطانيا التي بين نارين**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 11 أبريل (نيسان) 2003
كيف وجدت بريطانيا نفسها في الحرب على العراق بين نار العم سام ونار العربي المسلم وتلك ظاهرة في منتهى الغرابة
- 440..... **إجراءات صدامية... ومقتضيات ثأرية**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 18 أبريل (نيسان) 2003
قراءة في دواعي الإجراءات الصدامية ومنها تجنيد الرئيس صدام حسين مليون شخص من "فيلق القدس" تستوجب في نظر البوشيين الثأر منه
- 441..... **عودة إلى الموضوع الفلسطيني**
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 19 أبريل (نيسان) 2003
كيف أنه لولا الموضوع الفلسطيني لما كان العدوان الثلاثي على مصر والحرب على العراق كما هنالك دول عربية على لائحة الحروب المفتعلة
- 442..... **إعترافات أولية للشريك الجنوب**
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 23 أبريل (نيسان) 2003
من جملة إعترافات طوني بلير حول دواعي مشاركة بوش الابن الحرب على عراق صدام حسين أنه "صديق حقيقي لإسرائيل ويريد الأمان والاستقرار لها"
- 443..... **ثلاثية حكومة باغتت اللبنانيين المصدومين**
صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 24 أبريل (نيسان) 2003
عن أحوال رفيق الحريري كرئيس حكومة بين الرضى الرئاسي والرضى الشعبي وكيف يتصرف وفق هذه المعادلة
- 443..... **عمرو موسى يستعيد عمرو موسى (1)**
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 25 أبريل (نيسان) 2003
كيف عندما حاول عمرو موسى كأمين عام للجامعة العربية مكبل بإعتبارات وحساسيات من كل نوع إستعادة رحابة دوره عندما شغل منصب وزير خارجية مصر

- 444..... عمرو موسى يستعيد عمرو موسى (2)
صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 26 أبريل (نيسان) 2003
- 445..... الخصوصيتان الفريدتان من نوعهما
صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 28 أبريل (نيسان) 2003
نظرة على حساسيات متصلة بالخصوصية اللبنانية - السورية عند تشكيل حكومة وكيف إختيار أشخاص بالذات
- 446..... تأملات في أحوال كوفي أنان وعمرو موسى
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 29 أبريل (نيسان) 2003
قراءة في أرباح وخسائر من يشغل منصب الأمين العام لمنظمة وعلى سبيل المثال الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان والأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى
- 446..... سعودة كلنتون ومونيكا... تلفزيونياً
صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 25 يونيو (حزيران) 2003
عن بيل كلنتون التلفزيوني محاوراً بوب دول زعيم الحزب الجمهوري السابق ومنافس كلينتون نفسه على الرئاسة وعن مونيكا لوينسكي التلفزيونية الذي ذاق طعم حلاوتها ضيفة عليه في البيت الأبيض
- 447..... التهجير الذي يجمع الخصوم
صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 6 سبتمبر (أيلول) 2003
... والتهجير الذي جعل أشرس خصمين سياسيين في باكستان صديقين وحليفين لأن هوس السلطة يجيز لهما التحالف
- 451..... بقية تأملات في القمة - الهدية
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 11 أبريل (نيسان) 2002
لم تأخذ قمة عربية من التأملات والتحفظات ما أخذته القمة التي أهدى الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة أمر عقدها في بيروت، والدواعي كثيرة لهذه الهدية
- 452..... نهاية الواقعية العربية بالإستدراج من بوش الأب إلى.. ابنه!
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 18 أبريل (نيسان) 2002
هل إن مؤتمر مدريد السلام أرادته الرئيس جورج بوش الأب للسلام بالفعل أم كان لأغراض أخرى؟
- 454..... من مقدمات الهزيمة عام 1967 إلى مقدمات النكبة عام 2000
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 25 أبريل (نيسان) 2002
نظرة على ما كانت عليه أحوال الأمة قبل هزيمة 5 يونيو 1967 وعلى أحوالها بعدما تلاها من نكسات بصيغة إجتهاادات
- 455..... معادلة غير مسبوقة في تاريخ الانتخابات الرئاسية الفرنسية
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 9 مايو (أيار) 2002
في دنيا التجارب الانتخابية حالات لافتة تشهدها دول كثيرة بين شرق الكرة الأرضية وغربها، لكن تبقى معادلة غير مسبوقة حدثت في فرنسا تلفت الإنتباه أكثر من سائر المعادلات
- 457..... الملعب الليكودي... وملعونه الجديد
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 16 مايو (أيار) 2002
هنالك دائماً حالات تحدث في إسرائيل بكونها ملعوباً وليس العكس وما يحدث في العهد الشاروني يؤكد ذلك
- 458..... أميركا المتورطة.. بكامل إرادتها
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 23 مايو (أيار) 2002
كيف أن التورط الذي يصيب دولاً صغرى أو عادية يبدو أمراً بسيطاً، لكنه يصبح حالة بالغة الأهمية تتورط فيها دولة كبرى مثل أميركا.. وبكامل إرادتها

- 459..... ماذا دهى الألمان.. المبتلون مثلنا؟
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 6 يونيو (حزيران) 2002
عندما يستيقظ ضمير اليهودي خارج إسرائيل فيستفزع ما يقترفه الشارونيون بالفلسطينيين لكن مسؤولين ألمان ليسوا فقط
- 461..... بين أقدام اللاعبين والبطون الخاوية ... هنالك الكارثة المنتظرة!
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 20 يونيو (حزيران) 2002
عن المكتنزين مالا كثيراً غير عابئين بـ "مجتمع الجوعى" وكيف أن الجياح لا بد يرفعون السيوف عندما يتخطى الجوع فقدان القدرة على التحمل
- 463..... بوش.. وخطابه الذي يسر النفوس!
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 27 يونيو (حزيران) 2002
نظرة على الأزمة المستعصية وموعد فكفكة العسير من حلقاتها.. هذا إذا كان الرئيس بوش الإبن يعي ذلك
خواطر حول "مونديال" الشرف البرازيلي... بجدارة
- 464..... و"مونديال" العدوان الشاروني... بامتياز أميركي
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 4 يوليو (تموز) 2002
محاولة مقارنة بين المونديال الكروي الذي يبهج الناس والمونديال البوشي – الشاروني على أرض فلسطين ناشراً الظلم بكل أنواعه من قتل وتدمير وتجويع وإذلال
- 465..... "مصير جنوب السودان" ... لمناسبة ذهبية 23 يوليو
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 25 يوليو (تموز) 2002
تأملات في المسألة السودانية التي يتجدد التأمل فيها بين مناسبة وأخرى ولا يبدو أن التأمل سيتوقف عند حد ما دام الأجنبي على تدخّله المستتر
- 467..... هزّب... أم تهزّب، عجز ... أم تعجّز؟
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 1 أغسطس (آب) 2002
كيف أن من يرعى التوفيق بين خصمين وهو هنا الجانب الأميركي لا يحقق المبتغى ما دام يفتقد النزاهة والموضوعية والتبصر في جوهر المشكلة
- 469..... نهاية الإصرار والمصرين والمصرورين
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 8 أغسطس (آب) 2002
... وكيف أن أرييل شارون بعد ثمانية عشر شهراً من العمليات الإستشهادية رداً على حرب الإبادة التي يبارك الرئيس بوش الإبن إستمرارها لا يقتنع بأنه خسر الرهان
- 471..... تمنيات للسودان المتوافق ولو كره الحاسدون
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 22 أغسطس (آب) 2002
كلمات من الود والحرص برسم الممسكين بمقادير المعارضة في مواجهة القادرين الممسكين بمقاليد السلطة كي لا يفرط هؤلاء بالسودان وتراثه الديمقراطي
- 472..... حرب المعتدين وظلم الظالمين
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 29 أغسطس (آب) 2002
حول ظاهرة إستطلاعات الرأي التي تُجرى في الولايات المتحدة وإسرائيل ولا تكتسب الموضوعية وتأتي دونما أصول الحياد لمصلحة إسرائيل أرييل شارون وما يقترفه من آثام
- 473..... العالم المعلق بين الحل الشيراكي الحكيم والتصرف الأميركي - البريطاني الأحمق
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 12 سبتمبر (أيلول) 2002
كيف أنها مدعاة للإستغراب أن ما يطرحه الرئيس جاك شيراك حلاً للأزمة العراقية – الأميركية – البريطانية لا يؤخذ به

- 474..... **تتين الألفية الثالثة... والوجبة العربية - الإسلامية**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 29 سبتمبر (أيلول) 2002
 نظرة على أحوال عربية تفنّد إلى تآلف القلوب الأمر الذي يسهّل إنقضااض التتين الإسرائيلي وبغطاء ومساندة العم سام بشكل خاص عليها
 التزري الإسرائيلي يُفصّل والعم سام يلبس
- 475..... **والقدس في مهب رياح الكونغرس والمتصهينين**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 3 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
 كيف سارت اللعبة الأميركية - الإسرائيلية وفق أسلوب خياط إسرائيلي يتولى التفصيل للثوب الذي يرتديه العم سام
- 477..... **نساء... ولا الرجال في مواجهة بوش وشارون!**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 10 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
 ... وكيف أن ظاهرة في منتهى الأهمية أفرزتها تصرفات الرئيس جورج بوش الابن وحليفه الإسرائيلي أرييل شارون وتتمثل في موقف مشرّف وإنساني لثلاث نساء أوروبيات من أهل السلطة في بلادهن
- 479..... **الضارة التي تتفع... بين السودان ولبنان**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 31 أكتوبر (تشرين الأول) 2002
 كيف أن خطأ بروتوكولياً غير مستحب أحدث جفوة بين شقيقتين تجمعهما أواصر كثيرة هما السودان ولبنان لكن لأم الضرر سرعان ما يُعالج وعلى قاعدة لبنان "أخو اخوان" للسودان وبالعكس
- 481..... **قذائف فنية مصرية لا تخطئ في زمن السكون السياسي المريب**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
 عندما هزت مسرحية "فارس بلا جواد" للفنان المصري محمد صبحي كبرياء أوساط الحُكم في إسرائيل وإلى درجة مطالبة الرئيس مبارك بوقف عرضها وبثها
- 482..... **يا بعض أولي الأمر العرب من المحيط إلى الخليج: تكتكوا... فإن المبدئية لا تدوم**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002
 كيف لا بد بات على أولي الأمر القادة العرب إعتقاد النهج التكتيكي في رسم خطوات علاقاتهم مع دول العالم
- 484..... **وهل في إستطاعة التتين الصيني.. مواجهة الفيل التكتاسي**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 12 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 مجرد تساؤل على خلفية التطور الذي تتزايد وتيرته في الصين، عما إذا كانت هذه الدولة الكبرى ستواجه إقتصادياً وتقنياً ودوراً سياسياً الدولة الكبرى الأخرى أميركا
- 485..... **من العرب عدا الكويت إلى أميركا عبر بريطانيا**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 19 ديسمبر (كانون الأول) 2002
 عن بشّار الأسد الوارث والده في زيارته الأولى بعد التروّس ترافقه زوجته أسماء إلى بريطانيا وكيف لفت المجتمع السياسي البريطاني بما قاله في التحادث مع بلير وآخرين عبّر مقابلة معه في صحيفة "التايمس"
- 487..... **يصلّي للسلام... أم يُصلي المنطقة ناراً حامية؟**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 مايو (أيار) 2002
 تساؤلات في ما قاله الرئيس جورج بوش الابن بأنه يصلي من أجل سلام في الشرق الأوسط على نحو ما حصل بعد صراعات في أوروبا
- 489..... **هل يأمل الأمير عبدالله خيراً من الإدارة الأميركية؟**
 صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 مايو (أيار) 2002
 حول أجواء لقاء بين عبدالله بن عبدالعزيز بالرئيس بوش الابن هو الأول لولي العهد السعودي العاتب كثير العتب على النهج الأميركي إزاء الفعل الإسرائيلي المتمثل خصوصاً بـ "مجزرة مخيم الجنين"

- 491.....الكلام الأميركي... هذا إذا قيل
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 13 يونيو (حزيران) 2002
كيف يمكن للرئيس الأميركي بوش الابن أن يكون منصفاً إزاء الفعل الإجرامي من جانب حكومة أرييل شارون بحيث يدين هذا الفعل المتواصل ضد الشعب الفلسطيني
- 493....."زلات العقل" بعد "زلات اللسان" ... والضربة التي لا يريد لها العالم
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 22 أغسطس (آب) 2002
تساؤل حول ما إذا كانت أميركا بوش الابن ستواصل التعامل مع الحالة العراقية بمفردات من زلات اللسان وبذلك يتسع هامش الحذر العربي عموماً من أميركا الدولة والرئيس
- 494.....نحن وأميركا ضد الإرهاب ... إنما!
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 يناير (كانون الثاني) 2003
كيف أن المفردات الأميركية في شأن الموقف من الإرهاب لا تتناسب مع النظرة العربية للظاهرة المبغوضة
- 496.....كي لا يذهب أولو الأمر إلى الحج... "والناس راجعة"
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 يناير (كانون الثاني) 2003
عن قمة عربية لو تم التوافق على عقدها فإن الأمر سيبدو وعلى نحو ما يوضحه المثل الشعبي عن الذين يذهبون إلى مكة لتأدية فريضة الحج فيما الحجاج أدوا الفريضة وبدأوا العودة
- 497.....العالم على كف مجموعة "إرهاب الحرب"
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 23 يناير (كانون الثاني) 2003
في بعض الأحيان تعكس التظاهرات الشعبية بتنوع كثافتها حقيقة مشاعر الناس ضد الحرب نقيض موقف أهل الحكم لحظة صحوه "في مواجهة" ساعة الغفلة
- 498.....لإنقاذ العرب والعالم من صراع المعاندين
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 يناير (كانون الثاني) 2003
كيف أن من شأن لحظة صحوه من جانب أصحاب القرار كفيلة بمنجاة الأوطان والشعوب من جحيم الحروب
- 500.....يا ساكني البيت الأبيض و10 داوونغ ستريت: خذوا كلمة الحق من حكيم القارة الأفريقية
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 5 فبراير (شباط) 2003
مناشدة من الإنسان العربي والأجنبي على حد سواء لكل من رئيس البيت الأبيض وكافة أركان إدارته ورئيس وزراء بريطانيا والذين يلتقون حوله بأن يتأملوا في جوهر ما ينصح به نلسون مانديلا لحظات مضيئة وسط الصخب الأميركي والضجة الأوروبية:
- 501.....استقبال الشيخ الجليل للحرية المحجوبة عنه
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 6 مارس (آذار) 2003
... كيف أن وصول الشيخ الجليل الإحترام محمد خاتمي إلى سدة الرئاسة في إيران شكّل علامة فارقة في المشهدين الإقليمي والدولي
- 504.....بوش النفطي المهووس بالحرب ... خاذلاً ومخدولاً
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 13 مارس (آذار) 2003
عن جورج بوش الابن الذي ذهب مثلاً للرئيس الأميركي المهووس بالحرب ومن أجل ذلك إنتهى خاذلاً ومخدولاً في الوقت نفسه
- 505....."أم الجوائز" ... والحرب على العراق
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 19 مارس (آذار) 2003
نظرة موضوعية حول من يستحق "جائزة نوبل للسلام" ولماذا لا ترسو على رموز خمسة أطفال يمثلون أطيايف المجتمعات في بعض دول القارات الخمس الذين تظاهروا ضد الحرب

- 507....."أم القمع للنهوض بعد كبوة"
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 27 مارس (آذار) 2003
ثمة قمة من شأن عقدها المساعدة على النهوض العربي من كبوة أحدثتها الحرب بقيادة أميركا وبريطانيا على العرب من خلال تدمير العراق
- 509.....الحريري يستقصي غرباً وقطبي المهدي يستقصي خط النار
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – مارس (آذار) 2003
- 510.....ما أشبه اليوم التركي بالأمس السوداني
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 3 أبريل (نيسان) 2003
مقارنة بين زمنين لافتين في دنيا السياسة وهما زمن رئاسة أردوغان لتركيا ورئاسة الصادق المهدي للسودان
الإنحياز الإيجابي الذي لا يوقف العدوان
- 512.....والحياد السلبي الذي لا يرضي الله
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 4 أبريل (نيسان) 2003
إضاءة حول حالتين تستحضر موجبات المقارنة بينهما الحروب المباشرة وهما الإنحياز الإيجابي الذي لا يوقف العدوان والحياد السلبي الذي لا يرضي الله
- 513........ ومن الحب الأميركي - البريطاني للعراق ما قتل ليلاً ونهاراً
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 18 أبريل (نيسان) 2003
عن يوم سقوط بغداد في أيدي جحافل جورج بوش الابن - طوني بلير بعد ثلاثة أسابيع من الصمود الأسطوري والتحمل
- 514.....ومن يعيش ير ... العجب العجائب
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 27 مايو (أيار) 2003
هنالك مصيران أمام القضية الفلسطينية أحدهما بدعة أميركية عنوانها "خارطة الطريق" وثانيهما احتمال إستيلاء كيان للشعب الفلسطيني على جزء من أرض الأردن وآخر من أرض العراق
- 516.....تعقلنوا أيها البوشيون ... فإن الأمبراطورية لا تدوم
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 5 يونيو (حزيران) 2003
عظة برسم الكواسر البوشيين خلاصة مضمونها اعتماد التعقل بدل السلوك السائد وذلك لأن الأمبراطوريات تقوم إنما لا تدوم
- 518.....الخارطة البدعة التي لا تدل على الطريق
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 12 يونيو (حزيران) 2003
عن بدعة "خارطة الطريق" التي ترى الإدارة الأميركية في اعتمادها حلاً ثابتاً للقضية الفلسطينية وهي عملياً ليست الحل المأمول
- 519.....النار الذي ... ربما يوئد ثورة
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 10 يوليو (تموز) 2003
واقعة حدثت في منطقة الأكراد وكانت بمثابة رسالة مزدوجة من "العم سام" إلى حليفه التركي بشقيهِ الأردوغاني والجنرالاتي
- 521.....ومن الحب الأميركي للعراقيين ما قتل ويقتل ... وسيظل يقتل
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 31 يوليو (تموز) 2003
واقعة ملتبسة تتعلق بظروف إصطياح عدي وقصي صدام حسين في منزل شيخ عشيرة باع العهد للأميركان مقابل المزيد من المال الذي جناه من عهد صدام
- 522.....ليبيا القذافية التي تعيد النظر... في مهب الابتزاز
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 21 أغسطس (آب) 2003
عن 14 سنة قذافية نارية ثم أوجبت الظروف والتطورات الإقليمية والدولية على الأخ معمر الشروع بإعادة متدرجة في

النظر إلى الأمور وبالذات مع أميركا تمهيداً لرفع الحصار عن ليبيا

524.....للقدس لجنة لا تحميها من الكيد الشاروني وللحرم الثالث زعامات لا ترد الأذى عنه

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 28 أغسطس (آب) 2003

كلمة حق يراد بها الحق ولُفَّت إنتباه قادات إسلامية إلى أن الحرم الثالث يحتاج إلى من يُرد بالكثير من الحزم عنه
الآلاعيب الحاخامية والأفعال الشارونية

525.....إلى متى: الكلمة للأظلم... وليست للأسلم؟!.....

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 سبتمبر (أيلول) 2003

كيف أن البرادعي الذري العارف بأمور النوويين ونواياهم يودّع منصبه بإضاعة كاشفة على سياسة المعايير المزدوجة من
جانِب الإدارة الأميركية

526.....أسوار ملكية... والآعيب شارونية

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 11 سبتمبر (أيلول) 2003

حول ما أجازَه ملك المغرب محمد السادس ثم ملك الأردن عبدالله الثاني في ما يخص تطوير العلاقة مع إسرائيل الشارونية

528.....تأملات في الحال الذي ليس من المحال

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 18 سبتمبر (أيلول) 2003

كيف أن عمليات المقاومة في العراق ضد الوجود الأميركي جعلت العم سام يُكثر من التفكير في ما يجب عمله للخروج
من المأزق

529.....أمنية من سلسلة أمنيات عربية لا ... ولن تتحقق

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 أكتوبر (ت1) 2003

حول هل كثير على القادة العرب أن يطرحوا من على منبر الأمم المتحدة وبصراحة هموم أوطانهم على نحو ما يفعل
حكام دول كبرى

أطراف ذكريات مع محمود رياض

530.....حول القرار الكاردوني... تلك الخدعة الكبرى

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - أكتوبر (تشرين الأول) 2002

كيف جرى الأخذ والرد ثم التعديل للقرار 242 على نحو ما رواه محمود رياض للصحافي والكاتب فؤاد مطر

532.....زمن هروب المفترين إلى الأمام

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 9 أكتوبر (تشرين الأول) 2003

عن هروب الأقوياء المفترين في حق العراق إلى الأمام وعن طريق الحليف الشاروني المثخن بجراح الإستشهادية المحامية
هنادي جرادات التي هي بعمر إحدى إبنتي الرئيس بوش

533.....الإنذار المبكر بصيغة القصف جواً

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 16 أكتوبر (تشرين الأول) 2003

كيف أن أميركا بوش تبارك القصف الإسرائيلي لمصنع دواء في الخرطوم وتعتبر القصف الشاروني لقرية سورية مسالمة
دفاعاً عن النفس

يسألونك عن سكون الشعوب،

535.....قل إنها البطالة والفساد المستشري

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2003

حول مسألة تنبّه لها الملك عبدالله الثاني وهدفه من ذلك الإستقرار الثابت بالتعددية الحزبية للمملكة الهاشمية

- 536..... **"العم سام" يستعطف والعراق يدفع الثمن**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 6 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003
أسلوب أميركي في فن التسول على العراق مع أنه دولة نفطية كبرى ولا تحتاج إلى من يساعدها
- 537..... **زيارة إزالة آثار "العشم" ... مع إمكانية حلحلة المستعصيات القذافية البرية**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الثلاثاء 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003
تأملات في زيارة وفد لبناني سياسي برئاسة نبيه بري إلى السودان وما يمكن أن تمهّد الزيارة لحدوث خطوات ذات أهمية سودانياً ولبنانياً وليبياً
- 539..... **السلام ذلك الهاجس العربي في إنتظار هداية ثنائي الحرب**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003
نظرة على السلام المأمول الذي طالما طال إنتظار العرب إليه وهل سيحققه ثنائي الحرب أميركا وإسرائيل
- 540..... **جمعية للصداقة والتطوير في الخرطوم وبيروت**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 4 ديسمبر (كانون الأول) 2003
خواطر عما يربط السودان بلبنان في ضوء زيارة رئيس مجلس النواب اللبناني نبيه بري إلى الخرطوم وتبادل الرؤى خلال إجتماعه بالرئيس عمر البشير
- 542..... **تحية مغموسة بالأسى عليهم.. والفلاح لسلام بلدهم**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – السبت 29 نوفمبر (تشرين الثاني) 2003
خواطر على منبر "الرأي العام" عن قامات إعلامية وسياسية: عمر نور الدائم. الفاتح التيجاني وإدريس حسن ومحمد الحسن أحمد وربيع حسنين
- 543..... **أهل القرار يأكلون الحصرم ... والدبلوماسيون يضرسون**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الخميس 4 يناير (كانون الثاني) 2004
كيف أنه يحصل أحياناً في العمل السياسي أن الذين يمثلون دبلوماسية الدولة يتعرضون للأذى من جانب شبان على نحو ما حصل في القاهرة لوزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل وقرب المسجد الأقصى لوزير الخارجية المصرية أحمد ماهر من شبان فلسطينيين
- 545..... **من القرار الشيركي إلى الإنقسام الأزهري في إنتظار الفتوى الشاملة**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الإثنين 8 يناير (كانون الثاني) 2004
عن دواعي قرار فرنسي في عهد الرئيس جاك شيراك بمنع الفتيات المسلمات من إرتداء الحجاب في المدارس الرسمية الفرنسية وتداعيات القرار
- 546..... **الردح على الطريقة الأميركية من واشنطن إلى كراكاس**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الثلاثاء 13 يناير (كانون الثاني) 2004
كيف رد الرئيس جورج بوش الابن على واقعة تقبيل الرئيس شيراك يد زوجته لورا التي كانت تمثّل زوجها في مؤتمر جرى عقده في فرنسا بتعليق غير لائق ومتعجرف
- 548..... **الصدّاميون أمامه والسيستانيون وراءه والجيش الذي أهين في إنتظار اللحظة**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الأربعاء 21 يناير (كانون الثاني) 2004
إستحضار عبارة طارق بن زياد توصيفاً لحالة الجيش الأميركي في العراق وكما لا يتحمل الحاكم بريمر الذي حل الجيش العراقي إفراغات تلك الحالة
- 549..... **هل يقرر الرئيس بشّار إقتباس الخيار القذافي فينتقل إلى الضفة الإيرانية؟**
صحيفة "الرأي العام". الخرطوم – الإثنين 19 يناير (كانون الثاني) 2006

مجرد احتمال خطوة ربما يتخذها الرئيس بشار الأسد في حال بقيت الحال السورية على ما هي عليه كأن يعمق الإرتباط بإيران وعلى نحو إرتباط القذافي بأفريقيا

551..... رفيق الحريري.. وخصوصية النظرة السعودية

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الأربعاء 8 فبراير (شباط) 2006

عن خصائل رفيق الحريري التي جعلت أهل الحكم في المملكة العربية السعودية يرون فيه الصديق الثقة وهذا جعل كبار قادة الدول الكبرى يتعاملون معه كما مع سائر رؤساء الجمهوريات والحكومات في لبنان

553..... في انتظار الموكب الجوي للبشير في اتجاه منبر الأمم المتحدة

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الإثنين 28 أغسطس (آب) 2006

عن دور يفرز تأثيرات نوعية على الوضع العربي المتشابك العُقد والأزمات، يمكن أن يقوم به الرئيس السوداني عمر البشير ويلقى بذلك الإمتنان على هذا الفعل

555..... عندما يعتذر الملك عبدالله بن عبدالعزيز من الأمة بالنيابة عن ضيوفه الملوك

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الثلاثاء 24 أبريل (نيسان) 2007

كلام نابغ من القلب والضمير قاله الملك عبدالله بن عبدالعزيز ويستحق أن يكون بمثابة وقفة مع الذات يسائل فيها أهل الحكم العرب أنفسهم ماذا فعلوا لأمتهم وماذا فعلوه مع الأسف بها

556..... بعض التأمل في القول - النصيحة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الجمعة 27 أبريل (نيسان) 2007

كيف أن عبارة يقولها قائد غيور على أمتة وقضيتها ووحدة صف أبنائها تشكّل ما يشبه حبة الدواء لتخفيف وطأة الصراع أو ما هو أشد إيلاماً

وثائق معاهدة "كامب ديفيد"

عندما كتب مقالات كثيرة عن مرحلة إبرام اتفاقية السلام بين مصر الساداتية وإسرائيل بتحفيز الإدارة الأميركية (الرئيس جيمي كارتر) ورعايتها وضغوطها ومغرياتها، فإنني استندت إلى الوثائق الأكثر أهمية حول هذه المرحلة والمتمثلة بالنصوص الآتية: • نص خطاب الرئيس أنور السادات في البرلمان المصري قبل التوجه إلى الكنيست الإسرائيلي • خطاب رئيس مصر محمد أنور السادات في الكنيست • معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل (معاهدة "كامب ديفيد"): الديباجة، البروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن. تنظيم الانسحاب من سيناء. بروتوكول بشأن علاقات الطرفين.

ولقد أدرجت هذه الوثائق كنصوص مع الإبقاء على بعض العبارات كما قيلت وبالذات تلك الواردة في خطاب الرئيس السادات أمام البرلمان المصري. وتلك الوثائق مع مجموعة من الصور والخرائط المرفقة بها ذات مكانة تاريخية كفيّة بتعزيز أي دراسات أو تحليلات أو مقالات حول تلك المرحلة.

فؤاد مطر

560... نص خطاب الرئيس أنور السادات في البرلمان المصري قبل التوجه إلى الكنيست (مجلس النواب الإسرائيلي)

في هذا الخطاب الذي ألقاه الرئيس السادات في البرلمان المصري (مجلس الشعب) يوم 9 نوفمبر/تشرين الثاني 1977 ومهدّ به لزيارة إسرائيل، كان لافتاً طول الخطاب (8849 كلمة). وفيه قال: "إنني مستعد أن أسافر إلى آخر العالم إذا كان في هذا ما يحمي، أو يجرّح مش يقتل، عسكري أو ضابط من أولادي. أنا أقول فعلاً إنني مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم، وستدهش إسرائيل حينما تسمعني الآن أقول: لا نرفض.. إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم.. إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم..."

574..... خطاب رئيس مصر محمد أنور السادات في الكنيست

... ونص خطاب الرئيس السادات يوم 20 نوفمبر 1977 في الكنيست (4017 كلمة) وفيه قال: "لقد إخترت أن أخرج على كل السوايق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن إحتلال الأرض العربية ما زال قائماً، كان إعلاني عن إستعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيراً من المشاعر وأذهلت كثيراً من العقول بل شككت في نواياها بعض الآراء. ورغم كل ذلك فإنني إستلهمت القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته وبكل التعبير الصادق عن إرادة شعبي ونواياه، وإخترت هذا الطريق الصعب.. بل إنه في نظر الكثيرين أصعب طريق..."

- 582.....معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل "معاهدة كامب ديفيد"
- النص الكامل للمعاهدة التي أبرمها الرئيس أنور السادات مع رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن برعاية رئيس الولايات المتحدة جيمي كارتر وعُرفت بـ معاهدة "كامب ديفيد". وفي الديباجة التقليدية لدواعي إبرام المعاهدة نص يفيد بأن الجانبين أبرما المعاهدة "عن إقتناعهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط وفقاً لقراري مجلس الأمن 242 و338...". أما مواد المعاهدة فإنها تسع مواد يليها ملحق من ثماني مواد فيروتوكول في شأن العلاقات الدبلوماسية والقنصلية والتعاون والتنمية والمياه من ثماني مواد أيضاً
- 585.....البروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن
- 590.....تنظيم الانسحاب من سيناء
- 595.....بروتوكول بشأن علاقات الطرفين

الأهرام

المقالات من 19 سبتمبر 1975 إلى 13 يناير 1976



الانتحار على الطريقة اللبنانية

هل ما يحدث في لبنان هو صراع طائفي أم صراع سياسي أم أنه فتنة كانت نائمة ثم إستيقظت، أو أنهم أبْقَظوها، أم أنه مجرد صراع تقليدي من النوع الذي يحدث في السنة الأخيرة من ولاية رئيس الجمهورية التي تستمر طبقاً لما نص عليه الدستور ست سنوات؟.. أم أنه مبارزة بالسلاح كبديل للمبارزة بالكلام الذي كان السمة المميزة للبنان واللبنانيين؟.. أم أنه مجرد تسليية من النوع المفجع أو عملية إنتحار على طريقة «الهاراكيري» في وقت حلت محل هذه الطريقة رياضة أكثر رقياً هي «الكاراتيه» و«الجودو» التي بدأت تدخل كل بيت لبناني وتستقر فيه؟.. أم أن المسألة مسألة كُفر بالديمقراطية وكُفر بالازدهار المخادع وكُفر بما يشهده المجتمع اللبناني الذي يطلقون عليه تحبباً «المجتمع المخملي»..

إن المعروف عن اللبنانيين أنهم من هواة الصيد وعشاقه. ويتباهى كل لبناني ببندقية الصيد التي إشتراها وبعشرات العصافير التي أسقطها، ولكن لعبة الصيد الجديدة فاقت لعبة الصيد التي تستهدف التسليية. اللعبة الجديدة هدفها الإنسان ووسائلها أسلحة من النوع المتطور الذي تستعمله الجيوش. ونسبة اللبنانيين الذين لا يملكون أسلحة أصبحت في حدود العشرين في المائة، أما الآخرون فالسلاح في منزل كل منهم. في خزانته أو تحت مخدته أو بين المحتويات والمقتنيات التي تحاط بعناية فائقة.

ولو أن دولة في حالة حرب مع عدو وأرادت تسليح جيشها لما أمكنها في هذه السرعة المذهلة تسليح هذا الجيش. ففي خمس سنوات أصبح اللبنانيون مسلحين تسليحاً جيداً ومدربين تدريباً جيداً. وإذا جاز التعبير أصبح هناك «دورة ميليشيا» يخضع لها أكثرية اللبنانيين مثل «فترة الخدمة» التي تُعتمد عادة في الجيوش النظامية.

وفي خمس سنوات أقيمت عشرات من معسكرات التدريب للميليشيا الشعبية، وفي آخر كل سنة كان هذا المعسكر أو ذاك يتولى تخريج دفعة من المدربين على إستعمال السلاح، أو بالأحرى دفعة واحدة من القتلة جاهزين في أي لحظة لممارسة لعبة التلذذ بالقتل جماعياً كان ذلك أم عن طريق الخطف.

حالة تبدو لا مثيل لها في أي وطن آخر، فالقاعدة

المنطقية هي أن الجيش الأقلية يحمي بالسلاح الشعب الأكثرية... إلّا في لبنان حيث أصبح الشعب المسلح هو الأكثرية والجيش أقلية. كذلك تبدو حال لا مثيل لها في أي وطن حالة الجيش الرسمي في لبنان يسمع بالإقتتال الذي يجري بين فصائل الجيش الآخر ولا يستطيع أن يحسم المسألة بشكل أو بآخر.

وهذه الديناميكية في تجهيز المعركة ومساحتها تبدو أيضاً حالة لا مثيل لها في أي وطن غير لبنان. ففي أقل من ساعة يمكن نصب المتاريس وإخراج السلاح وتحضير الصواريخ وصفائح الديناميت. ولو طُلب من أي جيش نظامي في أي بلد تحضير معركة في خلال ساعة لما أمكنه ذلك بسهولة.

ولم تسجل حالات الإقتتال بين جيشين نظاميين بشاعات كنتك التي سجلها الإقتتال الشعبي في لبنان.

وقبل مائة وثلاثين سنة حدثت ثورة شعبية في لبنان قادها طانيوس شاهين بهدف نصرة الفلاحين، إلّا أنها لم تسجل حالات قتل بشعة كنتك التي تحدث في مثل هذه الأيام في مناطق الإقتتال اللبنانية. وحتى فتنة 1860 التي تميزت بحالات ذبح وقتل، أو فتنة 1958 التي تميزت بالشيء نفسه، تبدو أن أقل وطأة وبربرية مما حدث في الأشهر الماضية وما زال يحدث في لبنان.

وأغرب ما في الأمر أن الإقتتال يجري بين جماعات الذين يحكمون لبنان. وفي حين نرى أن الذين «فوق» في وضع تعايشي مثالي فإن الذين «تحت» في وضع إقتتالي رهيب. تعايش على مستوى القمة وإقتتال على مستوى القاعدة. وخير مثال على ذلك ما يحدث في شمال لبنان. فالإقتتال يجري بين جماعات رئيس الجمهورية «جبهة زغرنا» وجماعات رئيس الوزراء «جبهة طرابلس» ومن السذاجة إفتراض أنه ليس في وسع الذي «فوق» إيقاف الذين «تحت» عن هذا الإقتتال البربري.

إن طابع الإقتتال كما لو أنه طائفي لكن المسألة ليست كذلك تماماً.

وكون اللبنانيين هم من المسلمين والمسيحيين تجعل الإفتراض أقرب إلى الواقع بأن «الحرب» الدائرة إنما هي حرب طائفية. لكن ذلك لا يمنع أنه في بعض الحالات تسجل هذه «الحرب» حالات إقتتال طائفي.

وهكذا فإن «الحرب» الدائرة في لبنان هي حرب بين اليمين واليسار. أو بين التحجر والتغيير. أو بين الغنى والفقر. أو بين العقلية القديمة والعقلية الجديدة. أو بين

الخوف والشجاعة. أو بين نمو تيارات الرفض والإصرار على التقاليد.

إن «الحرب» الدائرة إنما تسجل كل يوم شكلاً جديداً، لهذه الأسباب ولغيرها.

ومن المهم التركيز على ثلاث نقاط جوهرية يمكننا من خلالها أن نستشف حالة الذي يجري:

النقطة الأولى تتعلق بالحكم والعقلية المتبعة. إن الدولة اللبنانية تُحكم منذ الإستقلال عام 1943 بنفس العقلية. للماروني الأولوية وللطوائف الأخرى أن تتوزع فيما بينها ما يلي ذلك. ولقد أحدث هذا التقسيم العشوائي مع مرور الزمن هوة ضخمة.

ونتيجة لنمو متواصل في الممارسة الخاطئة من جانب الموارنة يقابله جهد متزايد من جانب المسلمين لتقليص نسبة الأمية وصل الفريقان بعد ربع قرن إلى حقيقة مذهلة. الموارنة يعتبرون الحقوق غير العادلة التي يتمتعون بها مكاسب يريدون الحفاظ عليها، والمسلمون يريدون إعادة النظر في المعادلة بحيث يأخذ كل ذي حق حقه دون أي إجحاف. وفوق ذلك يريد المسلمون ضمناً أن يعاد النظر في «المسألة اللبنانية» في ضوء العدد السكاني.. وهذه القضية بالذات.. قضية التزايد السكاني في صف المسلمين جعل الموارنة يوجسون خيفة. وبدلاً من أن يواجهوا الأمر بعقلية مسؤولة فإنهم لجأوا للتصدي إلى الفلسطينيين وهي عملية تحويل لحقيقة الواقع. أثاروا موضوع التسليح الفلسطيني وتأثير ذلك على السيادة اللبنانية كحجة لتسليح أنفسهم لمواجهة المطالب الإسلامية الملحة ومنها إعادة النظر في القاعدة المعمول بها بموجب ميثاق غير مكتوب هو «الميثاق الوطني» الذي وضعه بشارة الخوري ورياض الصلح (وكلاهما في ذمة الله والتاريخ) وتوصي القاعدة بأن يكون رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس مجلس النواب شيعياً ورئيس الحكومة سُنيّاً.

وحاول الموارنة أن يلعبوا لعبة الإقتسام بين السنة والشيعية ثم فوجئوا بتضامن إلى حد التفاهم بين السنة والشيعية. والذي ساعد على ذلك وجعل السنة ينتقلون من موقع القابل بمرارة بالأمر الواقع إلى موقع الرافض بقوة هذا الأمر الواقع هو ولادة قيادة شيعية تمثلت بشخص الإمام موسى الصدر الذي استطاع في أقل من سنتين وعبر ممارسات تجمع بين رجل الدين ورجل السياسة ورجل الثورة أن يطرح قضية المسلمين في لبنان بشكل عملاق. وإذا جاز التعبير فإن الموارنة

الذين إطمأنوا في البداية إلى موسى الصدر وحاولوا الوقوف إلى جانبه في وجه طائفة السنة ثم فاجأهم بوقفة شجاعة إلى جانب طائفة السنة.. إن الموارنة وجدوا بعد ذلك أن الطريق الذي لا طريق سواه هو الإستمرار في إعتداد العنف والإبقاء على وضع الأصابع على الزناد. وهو موقف سمته العناد وليس المنطق في أي حال. فالمسألة تحتاج إلى وقفة شجاعة تعيد النظر في الأمر الواقع - المرفوض».

النقطة الثانية تتعلق بموضوع اليمين واليسار. وحول هذه النقطة تجدر الإشارة إلى أن لعبة الأرنب والسلحفاة مورست بدقة. وإذا إعتبرنا أن أهل اليمين هم الأرنب وأن أهل اليسار تمثلهم السلحفاة فإن الذي حدث في لبنان جرى كالاتي:

إطمأن أهل اليمين إلى أن اليسار مرفوض وبطيء وغير مرغوب ولا أمل له وبالعوا في الإستثمار والإستثمار وفي ممارسة الترف بشكل إعتراضي. فلا إهتمام بمدرسة تُبنى أو مستوصف يُقام وإنما تركيز على قضايا ذاتية من النوع الذي يزيد درجة الإكتناز. وعندما كان فقراء اللبنانيين يقرأون في صحفهم ومجلاتهم عن حالات البذخ والترف والرغد السائدة في مجتمع لا تصل نسبته إلى نصف في المائة. كما عندما كان فقراء اللبنانيين يقرأون في هذه الصحف والمجلات، ويشاهدون بالصور حفلات من النوع الذي يذكر بألف ليلة وليلة فإنهم كانوا يختزنون الغضب.

وكانت تلك مناسبة لقادة اليسار في لبنان أمكنهم إستغلالها إلى درجة أنهم نشطوا في كل المناطق اللبنانية وحققوا فائدة لا بأس بها. ورافقت ذلك بداية نمو للبروليتاريا نتيجة تزايد الحركة الصناعية في لبنان. وبعدما كان العمال في لبنان قبل عشر سنين عبارة عن مجموعات لا يجوز وضعها إلا في خانة الحرفيين، أصبحوا يشكّلون نواة بروليتاريا على الرغم من أن المصانع التي أقيمت في لبنان ليست من النوع الذي أقيم في مصر مثلاً. وهذه النواة مرشحة لأن تنبت وتزهر أو تثمر وتصبح الحركة العمالية في لبنان أساسية. وهذه الحركة زرع فيها اليسار أفكاره بل وأسلحته. وفي «حرب بيروت» قبل أشهر ثم في «حرب زحلة» ثم «حرب طرابلس» بعد ذلك مارس اليسار دوراً يُعتبر نسبياً في غاية الأهمية. ووجدت قيادة اليسار في عمال يعملون في مصانع الحلويات والشوكولاته والبسكويت، أو في مصانع الأدوية والألبسة الجاهزة والعمود، أو في مصانع الزجاج والبلاستيك وورق

شيئاً لولا أنها تسللت من خلال الخوف السائد في لبنان فزادته رسوخاً.

ويبقى أنه في أقل من نصف سنة من الإقتتال من اللبنانيين سقط أكثر من ستة آلاف قتلى ومثلهم جرحى، أي أكثر من المصريين والسوريين الذين إستشهدوا في سيناء والجولان خلال حرب 1967 وحرب 1973. نقول أكثر إذا أخذنا في الإعتبار الكثافة السكانية. وقد نصل إلى وقت - ما دامت الحرب اللبنانية مستمرة - نكتشف فيه أن المزيد من الإقتتال يعني المزيد من الإبتعاد عن الحقيقة وإيجاد الحل.

وفي هذه الحالة تذهب «الحرب اللبنانية» مثلاً.. بحيث يقال إن الشعب الفلاني ينتحر على طريقة لعبة الدم والقتل التي مارسها اللبنانيون خلال النصف الثاني من عام 1975، وهو النصف الذي سجل لقاء الأضداد على سطح القمر في رحلة مشتركة.

صحيفة "الأهرام". القاهرة - الجمعة 19 سبتمبر (أيلول) 1975

* * *

تفجير لبنان مسؤولية غير مصرية والحل مسؤولية مصرية بالدرجة الأولى

مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي سيعقد دورة إستثنائية له اليوم (15 أكتوبر/ تشرين الأول) في مبنى الجامعة العربية في القاهرة، فيه الحد الأقصى من الإفتعال والحد الأدنى من الضرورة. فالدعوة إلى عقد المؤتمر جاءت متأخرة جداً لأن الإقتراح جاء متأخراً. وطبيعة المشكلة اللبنانية لن تحلها تمنيات وتوصيات يصدرها وزراء الخارجية العرب وإنما يحلها إقتحام حقيقي لجوهر المشكلة. ولو كانت النظرة العربية إلى واقع المشكلة اللبنانية جديدة لكان على الأقل شارك كل وزراء الخارجية في المؤتمر بدلاً من أن يشارك البعض ويوفد البعض الآخر من يمثلهم، ويقاطع الذين قاطعوا. وكان من الأفضل لو أن هذا المؤتمر عُقد على أرض المشكلة، لأن المشكلة في الأصل ليست بين الدولة اللبنانية والفريق الآخر الذي هو المقاومة الفلسطينية وإنما هي بين فرقاء لبنانيين يخوضون أشنع أنواع الحروب الأهلية على الأرض اللبنانية من دون أن تكون للجيش القدرة على التدخل. ولو أن هذا المؤتمر عُقد على أرض المشكلة لكان وزراء الخارجية العرب إتصلوا

التوايت، أو في مصانع الأثاث والأحذية والزيوت والصابون... وجدت قيادة اليسار في بعض من عمال هذه المصانع من هو على إستعداد لحمل السلاح والتعبير عن الغضب الذي يخترنه بإطلاق النار على الأرنب أو على مقتنياته، أي على أهل اليمين الذين سبقتهم السلحفاة التي سخرها منها في البداية.

ومع أن السلحفاة سبقت الأرنب فإن هذا الأرنب ما زال على عناده. وبدلاً من أن يعالج أهل اليمين المكتنز على حساب أهل اليسار الأمر بعقوبة جديدة فإنهم يفكرون - بعضهم على الأقل - في نقل مصانعهم إلى مناطق أكثر أمناً وإستقراراً. هكذا من دون أن تكون هناك وقفة مع واقع الحال ومراجعة للنفس ونظرة أقل سطحية للأمر.

النقطة الثالثة تتعلق بالسلاح. لقد إمتلأ لبنان فجأة بكل أنواع السلاح. أصبح إذا جاز التعبير ترسانة. وإذا أخذنا في الإعتبار أن معركة لبنان هي مع إسرائيل لكان من المفروض أن تتجمع هذه الكميات من السلاح في منطقة الجنوب. لكن مراكز التجمع بعيدة جداً عن المكان المطلوب تواجدها فيه.

ولقد خلق تواجد السلاح معادلة جديدة وألغى المعادلة المألوفة، أو بالأحرى التي كانت مألوفة بين اللبنانيين، وهي معادلة المناقشة بالكلام. ونتيجة لذلك فإنه لا حوار بعدما تواجد السلاح. أصبحت الكلمة للرصاص على أساس أنها تحسم في ثانية ما قد يتطلب حسمه ساعات من الحوار بالكلمة.

وجمع السلاح من الناس ليس معجزة يكفي أن يقرر الذين «فوق» جمع السلاح من الذين «تحت». والجمع المطلوب لا يكون بالمصادرة بالقوة أو بالرضا وإنما بإزالة الأسباب الموجبة لإقتناء السلاح. والأسباب الموجبة هي الخوف. خوف «الخاروف» الماروني من أن يأكله «الذئب» المسلم. وخوف الماروني من زوال لبنان إن هو أعاد النظر في معادلة وُضعت في زمن ولم يخطر في بال واضعها أن الزمن يتغير وأن كل دقيقة تدفع بالمتغيرات إلى الأمام. وخوف الفقير اللبناني من أن يزداد فقراً أو خوف المكتنز اللبناني من أن يتوقف إكتنازه فلا يعود يزداد إكتنازاً. وخوف الحاكم من أنه إذا أعطى طالب الحق طلبه فإن المهضومة حقوقهم لن يكفوا عن المطالبة.

ومن الطبيعي أنه يجب عدم إسقاط دور الدول العربية المجاورة والبعيدة والدول الأجنبية، الذي تمارسه في لبنان. وبالتأكيد إن هذه الدول ما كان لها أن تفعل

بكل الأطراف المتحاربة عبر لجنة يشكلونها لهذا الغرض ولكانوا - ربما - وضعوا أسساً تحسم هذه الحرب التي ما أن تهدأ حتى تتفجر. وفي كل تفجر تكون نسبة القتل والدمار أفتح.

وأعتقد أن دور مصر في الحرب اللبنانية كان سلبياً. فهي غابت في الوقت الذي يجب أن تكون حاضرة لأن حضورها يشكل ضماناً معنوية ويرمي ثقلاً معنوياً على مجريات الأمور. ومن الواضح أن الغياب سببه عقدة التدخل.

ولقد أثبتت التطورات التي جرت في لبنان أن عدم تدخل مصر وممارسة دور ما، كان بمثابة مشكلة: تماماً كما أن تدخلها عام 1958 كان مشكلة. وشتان بين المشكلتين.

وعندما نقول إنه كان على جمهورية مصر العربية أن تتدخل فلا نقصد أنه كان المطلوب تدخل على طريقة تدخل الجمهورية العربية المتحدة عام 1958، أي ليس المطلوب أن يفعل أنور السادات ما فعله البعض الذين أغرقوا لبنان إما بالسلح وإما بالمال وإما ببعض المقاتلين والقناصة.

وغياب مصر الكلي عن المشكلة اللبنانية حمل البعض على إستسهال توجيه التهم إليها: فمن قائل إلى أن مصر وراء كل ما يجري لأن ذلك يفيد في توجيه الأنظار عن إتفاق الفصل الثاني للقوات، إلى قائل إن مصر تساعد الكتائب، إلى قائل إن بعض القناصة وبعض فرق التعذيب وبعض المقاتلين كانوا موفدين من مصر لمقاومة الذين يعارضون سياستها. بل حتى قيل إن الفريق الثالث كان مصرياً أو أن مصر جندته. وبلغ التقويل حد إتهام مصر بأنها وراء العملية المسلحة التي استهدفت مطار بيروت وذهب ضحيتها عدد من الأبرياء بينهم مواطنون مصريون كانوا ينتظرون طائرة تعود بهم إلى مصر هرباً من أجواء الموت المسيطرة على بيروت.

ولا جدال في أن هذه الأقاويل لا تخرج من كونها عملية تشويش على مصر التي إتخذت موقفاً سلبياً أو موقف المتفرج بسبب «عقدة 1958» وما زالت إلى الآن ماثلة في الأذهان. ومن المؤكد أنه لو مارست مصر دوراً ما لكانت المعادلة تغيرت بعض الشيء ولما كان لسوريا أن تصبح عملياً فريقاً دائماً الفاعل في السياسة اللبنانية وحاكمة أو شبه حاكمة لنصف لبنان أو ثلثه.

والقول بأن سياسة السادات إعتمدت عدم التدخل في شؤون الآخرين قاعدة تعامل ثابتة مقبول إذا كان التدخل من شأنه أن يسبب تفجراً، أما إذا كان من شأن التدخل

التنبه من إحتمال حدوث تفجر أو تطويق تفجر فإنه يصبح نوعاً من أنواع الضرورة بدليل أن الرئيس السادات لم يستطع إلا أن يمارسه. وقد حدث أنه في ذروة التفجر وخلال يوم مخيف من أيام القتال الدامي في بيروت وكان ذلك يوم الأربعاء الأول من أكتوبر 1975 لم يتمالك الرئيس السادات إلا أن يبعث برسالتين إلى لبنان. الأولى إلى الرئيس سليمان فرنجية والثانية إلى رئيس الوزراء رشيد كرامي. ولقد لفتت خطوة الرئيس السادات إنتباه كل اللبنانيين لأنه أخذ في الإعتبار المعادلة اللبنانية الدقيقة (أي لبنان بشقييه المسلم والمسيحي)، فلم يوجه رسالة إلى رئيس الجمهورية وحده على أساس أنها رسالة من رئيس الجمهورية إلى رئيس الجمهورية وإنما وجه رسالة إلى رئيس الحكومة من دون أن يخضع المسألة للبروتوكول وطوقسه المعقدة، أي لا يبعث برسالة إلى رئيس وزراء لبنان وإنما يكلف رئيس وزرائه بهذه المهمة.

والمهم في رسالته إلى فرنجية أن الرئيس السادات إستشعر خطورة الموقف بالنسبة إلى المقاومة الفلسطينية فقال في رسالته «إن الفلسطينيين أمانة في أعناقنا». ولم يحل الكلام الظالم الذي لا تزال جهات فلسطينية تقوله بحق الرئيس السادات من أن يقول ما معناه للرئيس اللبناني هذا الكلام.

ولعل في هذا الكلام الذي لم يُذع والكلام الذي قاله رئيس مجلس الشعب المصري قبل أمس (13 أكتوبر) على إثر لقائه ببعض المسؤولين الفلسطينيين في القاهرة وخلاصته «أن القيادة السياسية والشعب العربي في مصر كانا وسيظلان دائماً الدرع والسند لمنظمة التحرير الفلسطينية ولحقوق شعب فلسطين، وهذا مبدأ لا تؤثر فيه أية أحداث عارضة»... لعل في هذين الكلامين ما يحمل القيادة الفلسطينية على إعادة النظر بعض الشيء في التصريحات، وحتى في الموقف من مصر. وكان إجتماع وزراء الخارجية العرب اليوم مناسبة لتسجيل مثل هذا الموقف من جانب الوفد الفلسطيني لو أنه شارك.

لقد كان من الأفضل عدم إنعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب الذي أرادته الكويت بادرة وقفة تأييدية إلى جانب المقاومة الفلسطينية في لبنان والذي قبل به المسؤولون اللبنانيون عن خجل وليس عن قناعة.

كذلك كان من الأفضل ما دام مبدأ الرفض مستهجناً عقده في لبنان على أرض المشكلة.

وإذا تحول المؤتمر إلى مناسبة للتشهير والمحاکمة فإن مكسب لبنان منه صفر. أما إذا عُقد في ظل أجواء هادئة فإن المكسب لن يكون أكثر من بعض التمنيات

وماذا ينتظر وهل في إستطاعة الجيش أن يحسم الحرب؟

والجواب عن ذلك، أن كل المؤسسات سقطت عملياً. البرلمان سقط ورئاسة الوزراء سقطت ورئاسة الجمهورية مستمرة بفعل الشرعية. ومؤسسة الجيش لا قدرة لها على شيء.

وكان في إستطاعة البرلمان ألا يسقط لو أن أعضائه إعتصموا داخل قاعته ولم يغادروها إلا وقد وصلوا إلى حل أو حلول ما. ولكن هؤلاء لا يجتمعون إلا نادراً ولا يتحركون إلا عندما يهدأ الوضع الأمني ويفضلون عقد إجتماعات لهم في أحد الفنادق التي لم تصل إليها الإضطرابات.

والبرلمان لم يفعل ذلك لأن أعضائه في غالبيتهم ضد التغيير ومع إستمرار القديم على قديمه. يضاف إلى ذلك أن كلاً من الأعضاء له إنتماء حزبي أو العشائري. كما أن خمسة من نواب البرلمان يُعتبرون من أبرز تجار السلاح، وقد إستوردوا كميات من السلاح وتاجروا بها من دون أن يقلقهم ضميرهم لأنهم بذلك يتسببون في قتل عشرات الناس من الأبرياء. وهذا ما حدث.

والسقوط الذي أصاب البرلمان الذي يمثّل السلطة التشريعية والذي يُفترض أن يعكس مطالب الناس ويصوغها بشكل تشريعات... هذا السقوط أصاب أيضاً مؤسسة رئاسه الوزراء التي تمثّل السلطة التنفيذية. فقد جاءت حكومة رشيد كرامي على أساس أنها حكومة الإنقاذ وحكومة التغيير وإذا بها بعد ثمانية أشهر لا تتجح حتى في وقف الإقتتال. وبدلاً من أن تكون إجتماعاتها للبحث في التغيير المطلوب وإيجاد صيغة عيش مشتركة بين مختلف الفرقاء اللبنانيين فإن معظم هذه الإجتماعات تُعقد من دون أن تنتهي سوى إلى مبارزات كلامية بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وعملياً لم تتمكن حكومة رشيد كرامي من تدقيق الدور الذي طمحت إليه وهو أن تكون حكومة إنقاذ لبنان. ولم تتمكن حتى من أن تكون حكومة وقف الإقتتال الدائر في لبنان ومع ذلك فالحكومة مستمرة برغم كل هذه النسبة من الموجبات التي تفرض ذهابها بشكل أو بآخر.

ولكن إستمرار رشيد كرامي في رئاسة الحكومة له جانب يحمل في طياته طابع الإنقاذ. فلو أنه إستقال كما يفترض أن يحدث في ظروف عادية لحدثت أزمة حُكم. ذلك أنه من الصعب بل من المستحيل إيجاد شخصية

بأن تهدأ الحال وأكثر من التمسك برفض أي تدخل خارجي في شؤون لبنان، وأكثر من الحرص على وحدته. ولكن هنالك حقائق بديهية فالتمنيات لن تحل المشكلة المهددة بالإنفجار في أي لحظة ما دامت جذور هذه المشكلة لم تنقطع، أو بوصف آخر، ما دام رأس الأفعى لم يُقطع. والتدخل الخارجي حاصل ولن يوقفه مجرد إعلان وزراء الخارجية رفضه. التدخل حاصل عربياً ودولياً. والحرص على وحدة لبنان لن يعدو كونه مجرد كلام لأن شبح الإنقسام ثم التقسيم مخيم كالكابوس الثقيل. أمران يمكن أن ينقذا ما يمكن إنقاذه: الأول هو المساندة في التعمير لأن ما حدث في لبنان كان حرباً لم تشهدا عاصمة عربية منذ الحرب الأولى في فلسطين. حدثت حرب حقيقية وجرى لبيروت ما جرى لباريس أو للنند أو لبرلين أيام الحرب العالمية الثانية. وبدلاً من أن تُقصف بيروت من الجو وبطائرات معادية قُصفت أرضاً ومن أجل الوطن الواحد. وبلغت الأرقام شبه الرسمية هنالك أربعة آلاف قتيل بين مقتول ومذبوح وعشرة آلاف جريح ثلثهم سيقى مشوهاً. أما خسائر حرائق الأسواق فإنها بالملايين.

أما الأمر الثاني فهو مبادرة مصر إلى إستحداث هيئة تحكيم عربية تكون مهمتها حراسة العلاقات اللبنانية - الفلسطينية التي أصبحت إلى حد علاقات لبنانية - لبنانية.

وهذه الهيئة ضرورية ولا تنتهي مهمتها إلا عندما تُحل قضية الفلسطينيين وهذا رهن بما سيتم على جبهة الجولان.

ومرة أخرى: إذا كان التفجير في لبنان مسؤولية غير مصرية فإن وضع أساس للحل هو مسؤولية مصرية في الدرجة الأولى.

صحيفة "الأهرام". القاهرة - الأربعاء 15 أكتوبر (تشرين الأول) 1975

* * *

حول ما جرى ويجري في لبنان من هم «جنرالات» الحرب ومتى بدأوا التخطيط لها؟

لعل أبرز تساؤل يتعلق بالحرب الدائرة في لبنان هو: أين هي المؤسسات التي تناقش وتعالج، وأين هو الجيش

إنضباطاً.

ثالثاً- إن الفريق اليميني الماروني أقدم قبل فترة من بدء الحرب على تسيير مظاهرات مؤيدة للجيش. وكانت تلك البادرة في محصلاتها النهائية غلطة لأنها كرست اعتقاداً بأن الجيش هو لفريق دون الآخر، خصوصاً أن الجيش لم يرد على هذه البادرة بما يؤكد أنه لكل اللبنانيين وليس لفريق منهم.

هذه الأسباب وغيرها جعلت المؤسسة العسكرية في لبنان عاجزة عن القيام بأي تدخل وعاجزة من القيام بإعقاب عسكري.. ومرت فترة كان اللبنانيون، وبالتحديد الأكثرية اللبنانية الصامتة التي لا تقاتل وتعيش في قهر تحت ظل أجواء من الإرهاب فرضتها الأطراف المتقاتلة، أن تتقبل وبترحيب حدوث إنقلاب عسكري يوقف القتال، ولو كان ذلك على حساب الديمقراطية التي يعتز بها اللبنانيون ويتمسكون بإستمراريتها وتحت أي ظروف.

لقد كان الأمر محزناً جداً، فالإهتزاز الذي أصاب المؤسسة العسكرية كان من نوع صعب. وقد تمر فترة طويلة قبل أن تستعيد هذه المؤسسة ثقتها بنفسها وثقة المواطن بها.

نتنقل إلى تساؤل آخر. لماذا طالبت الحرب ولماذا لا تتوقف وهل يمكن أن تتوقف بتفاهم لبناني؟

الجواب عن ذلك هو: لقد طالبت الحرب لأن من مصلحة الذين يخوضونها أن تطول. ويشعر الذين يقاتلون أن أمنهم قائم ما دامت الحرب مستمرة وأن سلامتهم الشخصية لن تكون في مأمن إذا توقفت الحرب، وبدأت عمليات الإنتقام والأخذ بالثأر. هذا من جهة. ومن جهة أخرى إن الحرب عندما بدأت كان مقدراً لها أن تنتهي بسرعة كما إنتهت الحرب الأردنية - الفلسطينية عام 1970.. وهذه الحسابات التي لا تخلو من بعض الوعود إختلت نتيجة عدم قدرة تحريك الجيش. وبسبب طول الحرب إبتعدت الحلول الممكنة. فقد أصبح الجميع في لبنان يحاربون ويعيشون داخل نفق طويل جداً وقليل العرض. ومع ذلك فإن الحل ممكن أو على الأقل شبه ممكن لو حدثت الخطوات الآتية:

▪ إذا إعتبر رئيس الجمهورية أن القضية قضية مصير لبنان ورجح الإعتبار الوطني على الإعتبار الشخصي.

▪ إذا إعترفت الدولة علناً بالأطراف المتقاتلة من دون تمييز وهذا منطقي ما دام الذين يقاتلون هم الذين في يدهم وقف القتال أو إستمرارها، ورئيس الدولة كما هو واضح يعترف بفرقاء ولا يعترف

إسلامية أخرى يمكن أن تتولى رئاسة الحكومة إلا إذا كانت أكثر تطرفاً من رشيد كرامي الذي أصبح في نظر الفريق الإسلامي معتدلاً بعض الشيء. وحدث أزمة حكم يعني المزيد من الإقتال.

نأتي إلى موضوع الجيش وهل أن في إستطاعته أن يحسم الحرب والجواب معقد بعض الشيء للأسباب الآتية:

أولاً - إنه الحلقة غير القوية في الحلقات المسلحة في لبنان أي على عكس ما يُفترض أن يكون. وميزان القوى المسلحة في لبنان يؤكد ذلك. وقبل 1970 أي عام إنتقال المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان على إثر حوادث الإقتال الشهيرة بين الفدائيين والجيش الأردني كان الجيش اللبناني يمثل قوة قاعلة لكن إنتقال المقاومة الفلسطينية بأفرادها وأسلحتها إلى لبنان أحدث نوعاً من الإضعاف لهذه القوة. ولقد جرّب الجيش اللبناني قبل سنتين التصدي للمقاومة الفلسطينية ولم ينجح كما خطط وترك التصدي بصمات على صفحة العلاقات اللبنانية - الفلسطينية وجاءت محاولة التصدي الجديدة قبل تسعة أشهر كرد فعل على عدم نجاح المحاولة الأولى. وصحيح أن الجيش اللبناني لا يتصدى مباشرة للفريق المسلم والفلسطيني واليساري إلا أن هذا الفريق يؤكد أن الجيش يساعد بشكل أو بآخر الفريق اليمني. ولم يحدث في تاريخ الجيش اللبناني منذ تأسيسه أن أصدر مثل هذه الكمية من النفي والإيضاحات لأخبار نُشرت وما زالت في الصحف اللبنانية خلال الحرب التي لا تزال مستمرة منذ تسعة أشهر. وهناك نفي لأبناء تتعلق بتدخله ومساندته الفريق الماروني المقاتل، بمعدل مرة أو مرتين في الأسبوع.

ثانياً- إن الفريق الماروني الذي يقاتل بدأ حربه على أساس وُعد بأنه لمجرد أن يشعر بالتعب يتم إنزال الجيش. والذي حدث أنه بعد أيام قليلة من بدء المعارك أن تكاثرت مطالبة أقطاب هذا الفريق بإنزال الجيش ومع ذلك لم ينزل الجيش ولا يمكن إنزاله خوفاً من إنقسامه وعلى رغم التربية العسكرية وأياً كانت نسبة الإنضباطية فإنه في حال إنزال الجيش سيحدث إنقسام وربما اضطرت عناصره إلى محاربة بعضها البعض.. وسجلت الحرب الدائرة في لبنان حالات إنقسامية حيث أن عناصر إنضمت بآلياتها إلى الفريق المسلم واليساري وإنضمت عناصر مماثلة بآلياتها إلى الفريق الآخر وحدث نوع من تبادل النار بين أفراد المؤسسة الواحدة التي يُفترض أنها، أو يجب أن تكون أكثر المؤسسات

التطرف. والنظام الحالي إنسجاماً مع الخريطة الجديدة التي رُسمت ووُزعت عليها مراكز القوى في المنطقة يهيمه في الدرجة الأولى ألا يصل اليسار إلى الحُكم.

وفي ضوء ذلك ما الذي سيجري؟ هل يتم التمديد للمجلس النيابي الحالي وتستمر الحرب إلى أن تنتهي ولاية الرئيس فرنجية أو ينتهي لبنان ويسقط نهائياً كوطن؟ في الواقع إن التكهن في ذلك ليس سهلاً لأن هناك ظروفاً أخرى من شأنها أن تضيف المزيد من التعقيد أو تضيف بعض الوضوح على المسألة. وهذه الظروف، تتعلق بالتطورات السورية وهل يتحقق إنفاق على جبهة الجولان أم لا؟

نأتي إلى تساؤل مهم: متى يا ترى بدأ التخطيط للحرب في لبنان، ومن هم «جنرالات» هذه الحرب؟ والجواب هو: بدأ التخطيط لها منذ أربع سنوات. وعندما أبدل الإتحاد السوفياتي سفيره في بيروت وعيّن سولدا توف الذي يتمتع بعقلية رجل الإستخبارات البار في وضع الخطط والخبر في شؤون الشرق الأوسط محل عظيموف الذي يتمتع بعقلية دبلوماسية هادئة... عندما إختار الإتحاد السوفياتي سولدا توف سفيراً له في بيروت ليواجه به جولي السفير الأمريكي القادم من تجربة حرب فيتنام وهيلمز السفير الأمريكي في إيران القادم من رئاسة الإستخبارات المركزية، كان معنى ذلك أنه بدأ العد العكسي لتنفيذ مخطط ضخم في لبنان يعتمد في الدرجة الأولى على التناقضات بين اللبنانيين والفلسطينيين من جهة أخرى. وفي نهاية العد العكسي ينطلق الصاروخ إذا كانت العملية فضائية. وفي نهاية العد العكسي بالنسبة إلى لبنان بدأت أبشع حرب أهلية في التاريخ.

أما أبرز «جنرالات» الحرب اللبنانية الجانب المسلم فهم: إبراهيم قليات الذي لم يتجاوز الخامسة والثلاثين والذي يشعر بالخل إلى درجة أن وجهه يتزايد إحمراراً عندما يسمع من أحد مقاتليه أو من أحد أصدقائه كلمة مديح والذي يتابع تخصصه الجامعي وإدارة تنظيم يقوده أطلق عليه إسم «المرابطون» في وقت واحد. وفاروق المقدم خريج جامعة السوربون الذي لم يتجاوز الخامسة والثلاثين، والذي يقود حركة إسمها «حركة 24 تشرين» والذي يتمتع ثقافة متميزة وشجاعة في إدارة حرب المدن، ومصطفى سعد الذي لم يبلغ الثلاثين بعد والذي يتابع تحصياله الجامعي. إبراهيم قليات هو أبرز «جنرالات» حرب بيروت. وفاروق المقدم هو «الجنرال» الوحيد في حرب طرابلس العاصمة الثانية للبنان. أما مصطفى سعد فإنه بعدما إستعمل رجاله في صيدا قطعة بحرية في حربهم

بالفرقاء الآخرين. بل إنه في إتهامه الذي أطلقه في إجتماع لمجلس الوزراء يوم 10 ديسمبر (كانون الأول) 1975 وضع نفسه في صف الفريق الماروني الكتائبي. وفي هذا الإجتماع قال «إن اليسار الدولي والصهيونية يتحملان مسؤولية ما يجري في لبنان». وهنا تجدر الإشارة إلى أن الفريق الماروني المقاتل أطلق هذا الشعار منذ أن بدأ الحرب.

■ إذا دعا رئيس الجمهورية كل الأطراف إلى جلسة حوار برئاسته يقول فيها كل طرف ما يريد وما يضر من دون تحفظات.

■ إذا أخذ رئيس الجمهورية في الاعتبار أن هناك، ألوف القتلى والجرحى سقطوا وعشرات المؤسسات والمصانع دُمرت، ومئات المنازل والمحلات التجارية نُهبَت، وأن الوطن سقط سقطة كاملة أو نصف سقطة ولا بد من قرار تاريخي. وإذا كان كل الذي حدث لا يشكل موجباً لوقفه مع النفس فما هو الذي يشكل الموجب لمثل هذه الوقفة. إن شخصية تاريخية مثل الجنرال ديغول أنقذ فرنسا مرتين. مرة عندما تسلّم الحُكم ومرة عندما وجد أن إستمراره في الحُكم قد يفيد كبريائه ويجرح كبرياء فرنسا. وفُضِّل أن تبقى فرنسا بكبريائها ويبقى الفرنسيون مطمئنين غير قلقين على المصير يذكرونه دائماً بالخير لأنه لم يتسبب بحدوث ما يجعل فرنسا تتقهقر. إذا حلت «عقدة نيرون» عند كميل شمعون.

■ وهذا يقودنا إلى طرح التساؤل الآتي: ما الذي سيحدث بعد ذلك؟

الواقع إن الجواب هو كمن يرجم بالغيب. ولكن إستناداً إلى بعض البديهيات يمكن قول الآتي: في الربيع المقبل تنتهي ولاية البرلمان الحالي وعلى ذلك لابد من إجراء إنتخابات جديدة، وأعضاء المجلس الجديد هم الذين ينتخبون رئيساً للجمهورية خلفاً للرئيس فرنجية لمدة ست سنوات. والمجلس الحالي إنتُخب في عهد فرنجية ولذلك فهو موال له فهل يمكن إجراء إنتخابات في الربيع في مثل هذه الأوضاع؟

الجواب: لا. لأن إجراء إنتخابات في مثل هذه الأوضاع معناه سقوط كل الوجوه التقليدية أو أكثرها ومجيء وجوه جديدة تفرزها الجهات التي تخوض الحرب، ومجيء وجوه جديدة يعني وصول اليسار إلى الحُكم بأكثرية ملحوظة ويعني وصول قيادات تقف بقوة إلى جانب المقاومة الفلسطينية أو تقف أمامها تصد الضربات عنها. ويعني أيضاً وصول قيادات يمينية في منتهى

جديد للجمهورية قبل الخمسة أشهر الباقية على إنتهاء ولاية فرنجية، لكننا سنسمع عن معارك من نوع جديد في هذا البلد الذي يعيش منذ حوالي سنة أشرس حرب أهلية في العصر الحديث. ولكن المجلس إجتمع وتحقق بذلك النصف الأول من المعجزة. ويبقى النصف الآخر وهو إجتمع المجلس مرة ثانية لإنتخاب رئيس جديد للجمهورية يحاول النهوض بلبنان وإعادة الوعي إليه تمهيداً لإعادة الروح، فأعادة الحياة.

وحول إنعقاد المجلس وتطورات الوضع في لبنان عموماً هنالك ملاحظات يمكن عرضها كالاتي:
أولاً- ما هي هذه المادة التي كثر الحديث في شأنها منذ شهر والتي بسبب تعديلها سجل الوضع الأمني، ثم أو على الأقل سيسجل - إنفراجاً ملحوظاً؟

إن المادة 73 من الدستور اللبناني تنص على أنه قبل شهرين من إنتهاء ولاية رئيس الجمهورية يتم إنتخاب رئيس جديد للجمهورية يشغل المنصب لمدة ست سنوات. وبعدما انفجر الوضع في لبنان وأصبحت إستقالة الرئيس سليمان فرنجية هي المطلوب بدأ البحث عن الصيغة الشرعية والمناسبة التي تحفظ كرامة رئيس الجمهورية. ووضع مجلس النواب في اليوم الثالث للإنتقال الذي قام به العميد أول عزيز الأحذب عريضة نيابية وقّع عليها 66 نائباً (أي ثلثي أعضاء البرلمان طبقاً لما ينص عليه الدستور) تتمنى على رئيس الجمهورية الإستقالة. لكن الرئيس فرنجية رفض تسلّم العريضة واعتبرها غير دستورية. وبدأ الجدل حول هذه المسألة، ثم انفجر الموقف معارك جديدة في بيروت وفي الضواحي وفي الجبل إنتهت بمغادرة فرنجية القصر الجمهوري في بعدا (إحدى ضواحي بيروت) يوم 25 مارس الماضي (1976) ولجؤته إلى بلدة "زوق مكاييل" على بُعد حوالي 20 كيلومتراً من بيروت، وهي إحدى قرى منطقة كسروان المارونية.

وبدأ فرنجية منذ ذلك الوقت يناضل من أجل ألا يُجبر على تقديم إستقالته. وعلى طريقة من يريد الحصول على القليل عليه أن يطالب بالكثير بدأ يعلن أنه باق حتى إنتهاء ولايته وأنه عائد إلى قصر الرئاسة بعد أن يتم إصلاح القصر. وبدأ مناصروه - وفي طليعتهم كميل شمعون وبيار الجميل - يعلنون الشيء نفسه ويزدادون تصلباً يوماً بعد يوم. ولكن الجميع كانوا مقتنعين ضمناً بأن البقاء حتى آخر الولاية في سبتمبر المقبل أمر إن لم يكن مستحيلاً فهو صعب. ودعمت سوريا موقف فرنجية، لا في إقتناع بإمكانية إستمراره ولا

ضد الفريق اليميني أصبح «الأدميرال» مصطفى سعد. وأبرز «جنرالات» الفريق الماروني على الإطلاق إثنان: بشير الجميل الذي كان يقود مظاهرات الطلبة الكتائبين وهو في الجامعة قبل أن يتخرج محامياً. وقد أثبت «الشيخ بشير» الذي هو الإبن الثاني للشيخ بيار الجميل أنه مقاتل من طراز ممتاز ويتمتع بعقلية عسكرية متفوقة لا تتسجم وشكله الذي يوحي بأنه أستاذ للموسيقى وليس جنراً متفوقاً من «جنرالات» الحرب الأهلية في لبنان.

أما «الجنرال» الآخر فهو الأبائي شربل القسيس الذي إعتبر ثياب الكهنوت السوداء ثياب «حرب صليبية» من نوع جديد ضد «طلبات المسلمين» ووجود الفلسطينيين في لبنان»، ناقضاً بذلك أهم وصية من وصايا السيد المسيح العشر، وهي «لا تقتل».

والكلام عن هذا الكاهن المقاتل يقودنا إلى الإشارة إلى الشعار الذي أطلقه في الماضي المرجع الأعلى للطائفة الشيعية (أكثر الطوائف عدداً في لبنان) والذي كرره قبل أيام وهو «إن حمل السلاح واجب كحمل القرآن» وحتى الآن لم ينتقل موسى الصدر إلى موقع «جنرال» الشيعية على رغم أن نسبة الشيعة بين ضحايا الحرب الأهلية هي الأكثر إرتفاعاً.

إن التساؤلات حول الحرب الدائرة على لبنان لا تنتهي. وهذه الحرب جديدة على لبنان وعلى العالم وتبدو كظاهرة تستحق الدرس.

ومرة أخرى كأنما هذه الحرب في لبنان حرب عالمية ثالثة على أساس أن الوفاق الدولي يحول دون حرب عالمية تقليدية.

ولبنان وحده يدفع الثمن غالياً، غالباً جداً.

صحيفة "الأهرام"، القاهرة - الإثنين 27 يناير (كانون الثاني) 1975

ماذا بعد تعديل المادة 73 من الدستور

اللبناني؟ هل يواجه لبنان مأزق وجود

رئيسين للجمهورية في وقت واحد؟!

لو أن مجلس النواب اللبناني لم يجتمع أمس (السبت 10 أبريل/ نيسان 1976) ويعدل المادة 73 من الدستور بحيث يصبح في الإمكان إنتخاب رئيس

الجمهورية. وبموجب الدستور فإن لرئيس الجمهورية الحق في أن يقر التعديل في مدة أقصاها شهر، كما أنه بموجب الدستور له الحق في إعادة التعديل إلى مجلس النواب لمناقشته من جديد، فهل يحدث ذلك؟

الواقع أن الرئيس فرنجية لن يفعل ذلك والأرجح أن يقر التعديل خلال يومين وكان هناك من أبدى تخوفه من أن يتباطأ رئيس الجمهورية ولا يقر التعديل ويعرض البلاد بذلك لخطر تجدد الحرب. وأثار المتخوفون هذه النقطة في إجتماعات سياسية وإقترح البعض أن يتضمن تعديل المادة 73 فقرة تحدد مهمة توقيع رئيس الجمهورية بخمسة أيام. ومخافة أن يتسبب ذلك في حالة إحراج عند الرئيس فرنجية تقود إلى جلسة عناد، بصرف النظر عن مسألة تحديد المهلة. والأرجح أن بعض الأطراف المشاركة في عملية أو "لعبة" المساعي حصلت من فرنجية على وعد بتوقيع المادة المعدلة لمجرد أن يصدق عليها المجلس النيابي ويرفعها إليه.

ثالثاً- إن المادة 73 معذلة لا تفرض على الرئيس فرنجية الإستقالة، وكل ما في الأمر أنها تكنفي بتقريب موعد إنتخاب الخلف، فهل تصل الحال في لبنان إذا عاند فرنجية ولم يستقل إلى وجود رئيس الجمهورية الرئيس المنتخب، والرئيس فرنجية - هذا في حال عدم إستقالته ؟

والجواب عن ذلك أنه بعد الذي جرى في لبنان خلال سنة أصبح كل شيء ممكناً وإلا فهل يمكن أن يحدث ما حدث في التدمير والتخريب والقتل والقنص والتمثيل بالبحث وإحراق المؤسسات والمنازل والقصف العشوائي للأحياء السكنية بالأسلحة الثقيلة المحرّم إستعمالها في المدن، وإطلاق القذائف الصاروخية على مستودعات التموين والأغذية بينما الألوف لا يجدون لقمة يأكلونها، وإطلاق النار على سيارات الإسعاف التي تأتي للإنقاذ جريح أو جثة، وعمليات الدفن الجماعية في الآبار، والسطو على منازل الناس ونهبها وتفجير المصارف بالديناميت والإستيلاء على ودائع الناس ... هل يمكن أن تحدث مثل هذه الأمور وغيرها مما تعجز المخيلة عن تصورها؟

وأقول إنه ما كان أحد ليتصور أنها ستحدث أو يمكن أن تحدث ... ولكنها حدثت ولأنها حدثت فيمكن التوقع بنسبة بسيطة جداً أن يصل اللبنانيون إلى وقت يجدون فيه أن لهم رئيسين: الرئيس المنتخب والرئيس فرنجية!

ومن هنا يمكن تلمس مر الموقف الذي إتخذه ريمون

حرصاً عليه وإنما لأن تعديل المادة 73 هو في الأصل إقتراح سوري وُضع بالتفاهم مع حزب الكتائب ورئيس الحكومة رشيد كرامي ورئيس مجلس النواب كامل الأسعد ورئيس الحكومة السابق صائب سلام وذلك ضمن تسوية شاملة للأزمة في لبنان تحفظ لفرنجية كرامته وتؤمن لإستقالته "إخراجاً لائقاً". وجاءت حرب الجبل التي خاضها كمال جنبلاط بالتعاون مع الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية و"جيش لبنان العربي" لتحدث إرتباكاً بالنسبة للتسوية الدمشقية أو "الحل السوري"، ثم زار جنبلاط دمشق على أمل التفاهم معه، لكن جنبلاط عاد وهو غير متفاهم مع السوريين ثم قام بعملية تصعيد للحرب في الجبل المسيحي رافقها حرب كلامية بينه وبين البعث السوري وصلت إلى حد خطير وتخللتها إتهامات جعلت سوريا تضع ثقلها السياسي والعسكري في محاولة لحسم الأمر أياً كانت النتائج. وفي النهاية أمكن بفضل جهود مضنية بذلها ياسر عرفات تجميد الخلاف الجنبلاطي السوري. وإستطراداً - وكان المبعوث الأميركي دين براون قد وصل إلى بيروت - أمكن تأمين هدنة أصر جنبلاط على أن تكون على الطريقة الفيتنامية، أي وقف إطلاق النار ووضع شروط سياسية مقابل ذلك.

وعند إعلان الهدنة مساء الخميس أول أبريل الحالي (1976) ظن اللبنانيون أن التوتر يمكن أن ينتهي، لكن منذ بدء سريان الهدنة ظهر يوم الجمعة 2 أبريل وحتى إنعقاد جلسة مجلس النواب أمس والتوتر يتزايد أحياناً ويخف أحياناً أخرى. وصحيح أنه لم تحدث معارك، إلا أن حصيلة كل يوم من أيام هذه الهدنة التي تنتهي ظهر غد (12 أبريل) لم تقل عن مائة قتيل وجريح، ومعظم القتلى كانوا عبارة عن جثث يُعثر عليها في الشوارع الجانبية أو تحت الجسور.

وفي هذا الجو كانت تجري المساعي وعلى أكثر من جبهة لتأمين "الإخراج اللائق" لإنهاء عهد سليمان فرنجية. وجاء "الإخراج" المطلوب بتعديل المادة 73 بحيث أصبحت تنص على أنه قبل إنتهاء ولاية رئيس الجمهورية بمدة شهر على الأقل وستة أشهر على الأكثر يلتزم المجلس بناء على دعوة من رئيسه لإنتخاب الرئيس الجديد وإذا لم يُدع المجلس لهذا الغرض فإنه يجتمع تلقائياً في اليوم العاشر الذي يسبق أجل إنتهاء ولاية الرئيس. ونصت المادة أيضاً على أن التعديل ينتهي في 23 سبتمبر 1976 أي لمرة واحدة فقط.

ثانياً- إن التعديل لا قيمة له إلا إذا وقع رئيس

يعيد الوعي فالروح فالحياة إلى لبنان خلال خمس سنوات. ولكن إرادة اللبنانيين والفلسطينيين وحدها لا تكفي..

وعلى هذا الأساس فإن الحذر ضروري والتهيب مطلوب وعدم الإفراط في التفاؤل يجب أن يسود لبعض الوقت.

ويبقى بعد ذلك أنه من باب المصادفة بدأت الهدنة في لبنان عشية وصول المبعوث الأميركي دين براون. ومن باب المصادفة أيضاً تحقق نصف المعجزة وعقد مجلس النواب اللبناني أمس) الجلسة التي عدل فيها المادة 72 من الدستور.

أما القول بأن الأزمة في لبنان أصبحت على أبواب الحل فإنه من باب الرجم بالغيب.

صحيفة "الأهرام"، القاهرة - الأحد 11 أبريل (نيسان) 1976

* * *

إده المعارض التاريخي لسليمان فرنجية، والذي إستمر متمسكاً به حتى يوم أمس (10 أبريل) عندما كان مجلس النواب مجتمعاً لتعديل المادة 73 من الدستور اللبناني. وخلاصة هذا الموقف هي ضرورة تعديل المادة الدستورية التي توجب إستقالة رئيس الجمهورية إستثنائياً فور إنتخاب البديل.

وحول هذه النقطة يمكن الإفتراض أيضاً أن الأطراف المشاركة في عملية، أو «لعبة» المساعي حصلت من فرنجية على وعد بالإستقالة خلال أسبوع خصوصاً أن إنتخاب خليفة للرئيس يجب أن يتم قبل آخر الشهر، حيث أن ولاية مجلس النواب الحالي تنتهي يوم 2 مايو، أي من المجلس التي مدت مدته.

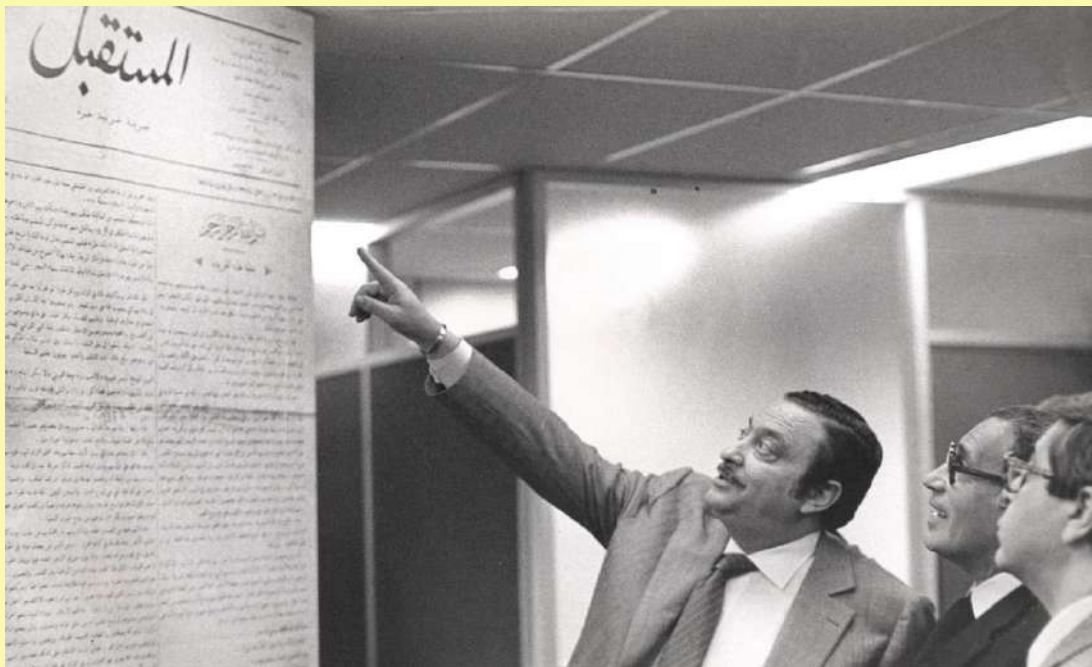
رابعاً- يمكن القول إن مجلس النواب أقر أمس تعديل المادة 73 من الدستور يشبه إجماع. فهنا 85 نائباً من مجموع 99 حضروا وإقترحوا مع التعديل. وهناك ثلاثة نواب تغيبوا بينهم طوني فرنجية ابن رئيس الجمهورية، وموقفه منسجم مع نفسه. والنائبان الآخران هما ريمون إده وكمال جنبلاط اللذان كانا يفضلان تعديلاً جزئياً للمادة بحيث تنص على وجوب إستقالة الرئيس فرنجية فور إنتخاب البديل. وهناك 11 نائباً لم يحضروا لأسباب صحية أو لوجودهم خارج البلاد وإعتذار هؤلاء يعني موافقتهم على تعديل المادة 73.

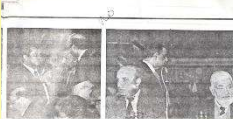
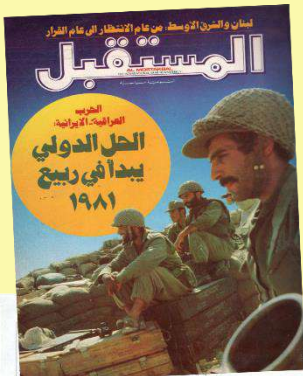
وعندما يشارك نواب حزب الكتائب ونواب حزب كميل شمعون والنواب الذين تربطهم صلات وعلاقات بالرئيس فرنجية في الجلسة ويصوتون إلى جانب التعديل، فمعنى ذلك أن فرنجية أصبح بدون حلفاء.

خامساً- من يأتي رئيساً للجمهورية؟ هذا هو السؤال الكبير والجواب عنه معقد. فإذا ربطنا بين الواقع الذي إنتهت إليه الحرب في لبنان وبين رئيس جمهورية المستقبل نجد أن المطلوب هو «ديغول لبناني» يقوم بعملية نهوض تاريخية لوطن ممزق الأشلاء. لكن هل تسمح الظروف السياسية العربية والدولية المتشابكة بوصول هذا ال «ديغول» إلى الحُكم في لبنان. ومن الطبيعي الإفتراض أن وصول «ديغول لبناني» إلى الحُكم من شأنه أن يساعد في إستمرار رئاسة الجمهورية للطائفة المارونية إلى ما بعد 1982، أما إذا كان من سيخلف سليمان فرنجية مارونياً عادياً فإنه ربما كان آخر رئيس ماروني.

وينظر اللبنانيون بأكثرية منهم الساحقة ومعهم الفلسطينيون إلى ريمون إده على أنه هو الرئيس المطلوب أو أنه هو ال «ديغول» الذي في إستطاعته أن

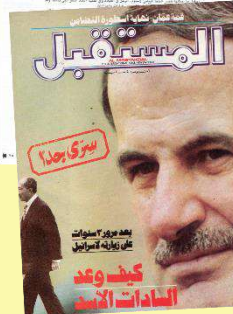
المقالات من 8 أبريل 1978 إلى 17 أكتوبر 1981





الاستعداد من جديد للاستقلال
الحل الدولي في انتظار عودة العراق وايران

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.



الحرب العراقية-الايرائية: الحل الدولي يبدأ في ربيع ١٩٨١

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.

أميرة الشعب ورئيس الطبقة المتوسطة

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.



هل يزيل ريغان آثار صفقة كامب ديفيد؟

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.

المرحى- ايران
حرب السيادة بين
من المخاطر الى الشط الى ...

قبل غياب الامام

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.



الجهاد المقدس... والجهادات الأخرى

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.

بشكل مصري في غير زمانه

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.

قراءة في معاهدة أليت ومعااهدة أيرمت

في ظل الظروف الحالية، فإن الحل الدولي للحرب العراقية-الايرائية لا يمكن ان يتحقق الا من خلال العودة الى المفاوضات الدولية. وهذا يتطلب من الجانبين العراقي والايراني العودة الى طاولة المفاوضات في اطار الامم المتحدة.

مرحلة الوفاق الجديد!

الوضع العربي الآن، وبالذات بعد إنعقاد الدورة الأخيرة لمجلس الجامعة العربية في القاهرة على مستوى وزراء الخارجية (يومي 28 و 29 آذار/ مارس 1978) أفضل بكثير مما كان عليه قبل إنعقاد الدورة. وما دام الأمر كذلك فإن الأمل كبير بأن يحدث نوع من الإنفراج.

وحول إنعقاد الدورة الأخيرة لمجلس الجامعة يمكن تسجيل بعض الملاحظات التي تشكّل في مجملها ما من شأنه إعتبار الوضع العربي أفضل بكثير مما كان عليه، وما من شأنه الافتراض بأن الأمل كبير في حدوث الإنفراج.

- **الملاحظة الأولى:** إنها المرة الأولى التي يحدث فيها إجتماع عربي على مستوى وزراء الخارجية في القاهرة. وقبل فترة كان مثل هذا الأمر مرفوضاً من بعض العرب ومتحفظاً عليه من البعض الآخر. وإنعقاد الإجتماع تحت مظلة الجامعة العربية فيه شيء من إعادة الإعتبار إلى هذه المؤسسة التي مارس العرب سياساتهم في السنتين الماضيتين على هامشها. وإنه لأمر مهم أن يحدث إجتماع عربي بعد آخر إجتماع وهو الذي تم في تونس قبل حوالي ستة أشهر وبالتحديد قبل زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل وهي الزيارة التي جعلت الإجتماعات العربية بعد ذلك متعذرة.

- **الملاحظة الثانية:** من الواضح أنه لولا السعودية لما كان لمؤتمر وزراء الخارجية العرب أن يتم وأن مجلس الجامعة كان سينعقد على مستوى الممثلين الدائمين وهؤلاء ليس في قدرتهم أن يبحثوا ما بحثه وزراء الخارجية أو يقرروا ما قرروه.

- **الملاحظة الثالثة:** هنالك بدهية وهي أن الدول التي قاطعت الإجتماع لم تكن موقفة في قرارها هذا. فالأفضل كان أن تحضر وتناقش وتتخذ القرارات المناسبة. وإذا كان مبرر المقاطعة هو أن العلاقات مقطوعة بين مصر وهذه الدول فإن الجواب عن ذلك هو أن المؤتمر ينعقد في رحاب الجامعة العربية وليس في العاصمة المصرية. وفي الوقت نفسه إن مصر ليست هي الداعية إلى هذا المؤتمر.

- **الملاحظة الرابعة:** من الواضح أن السعودية حرصت على أن ينتهي المؤتمر بسرعة بعدما عُلم أن وزير الدفاع الإسرائيلي وايزمان سيقوم بزيارة إلى مصر. بل إن وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل

حرص على ما يبدو على مغادرة القاهرة قبل أن يصل وايزمان إليها كي لا يسجل على نفسه انه كان في القاهرة عندما كان وايزمان. وهو تصرف من شأنه أن يرضي مشاعر جماعة الصمود والتصدي ويعزز السعي لتحقيق الوفاق الجديد. وهذا مع الأخذ في الإعتبار أن وجود سعود الفيصل في القاهرة كان مناسبة ممتازة لمشاورات مع كبار المسؤولين المصريين. ولعل مصر كانت تأمل أن يحدث ذلك وأن يقال إن سعود الفيصل لم يبق فقط بمهمة في رحاب الجامعة العربية وإنما إجتمع بالرئيس السادات وبمسؤولين مصريين آخرين، كما حدث مع الرشيد الطاهر وزير الخارجية السودانية الذي يشغل في الوقت نفسه منصب نائب رئيس الجمهورية، والذي إستقبله الرئيس السادات في الوقت الذي كان سعود الفيصل يغادر مطار القاهرة.

- **الملاحظة الخامسة:** إن جميع العرب دون إستثناء راغبون في عودة التضامن. إنما لا بد من تحديد مفهوم جديد لهذا التضامن العربي لكي يكتب له البقاء. فالتضامن في نظر الرئيس السادات هو الإقرار بجذوى مبادرته. ومفهوم التضامن في نظر الذين شكّلوا تجمع الصمود والتصدي هو إسقاط هذه المبادرة. ومفهوم التضامن في نظر الذين شاركوا في المؤتمر الأخير لوزراء الخارجية هو أن الرئيس السادات لم يشاور أحداً وأنه مع ذلك يجب تجاوز المبادرة والعودة إلى ما كان عليه الوضع قبلها.

ومن هنا يأتي إختيار جعفر نميري ليقوم بمهمة إزالة الخلافات العربية خطوة أساسية وبالغة الأهمية، وكأنا الذين إختاروه من دون غيره لهذه المهمة تنكّروا أرقى صور التضامن الذي شهدته الخرطوم خلال قمة 1967، وأخذوا في الإعتبار دور السودان وأهميته وكيف أن علاقاته خصوصاً بعد المصالحة الليبية - السودانية جيدة مع جميع العرب المختلفين مع بعضهم البعض. ومن المؤكد أن السودان ما كان ليكلّف بهذه المهمة قبل أن تحدث تلك المصالحة. وكم يبدو ضرورياً إستكمال خطط المصالحة الوطنية التي من شأنها إظهار الرئيس نميري قوياً في الداخل ومرغوباً من الخارج.

وصحيح أن مهمة نميري ليست سهلة، ولكنه من النوع الشغوف بالمهمات الصعبة، وما سيساعده على تحقيق مهمته هو أن منظمة التحرير الفلسطينية شاركت في أعمال مؤتمر وزراء الخارجية الأخير

متجاوزة بذلك الموقف المقاطع لدول الصمود والتصدي. ولعل الفرصة كانت مناسبة لكي يقوم الرئيس الياس سركريس بالمهمة التي أوكل أمر القيام بها إلى الرئيس نميري. وكان مثل هذا الأمر سيبدو فرصة جيدة أمام وقفة عربية أكثر جدية إزاء الوضع اللبناني، لكن الأمر كان على ما يبدو يتطلب رئيساً خبير المتخصصين وممارس أصول لعبة تحقيق الوفاق ولا تنقصه القدرة على الإقحام، فضلاً عن أن لدى الرئيس سركريس من الهموم الكبيرة ما يجعله غير قادر على مغادرة مكتبه، وأنه قبل أن يصالح العرب مطلوب منه مصالحة اللبنانيين مع بعضهم.

وفي يد الرئيس نميري أوراق لمصالحة نجاح مهمته الصعبة إن هو لعبها كما يجب. في يده ورقة الأكثرية العربية التي شاركت في المؤتمر الأخير لوزراء الخارجية. وفي يده ورقة فريق الصمود والتصدي التي تربطه بمعظم حكامها علاقات جيدة. وفي يده ورقة تجربة 1970 عندما شارك وبفعالية في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من المقاومة الفلسطينية في الأردن. وخلال "قمة الإنقاذ" التي عُقدت في فندق "الهيلتون" في القاهرة وكانت آخر المؤتمرات العربية التي يدعو إليها جمال عبد الناصر وتُعقد تحت مظلته كانت الظروف أكثر تعقيداً مما هي عليه الآن ومع ذلك أمكن نميري تحقيق دور تاريخي.

أما الذي يمكن أن يفعله نميري، فتلك مسألة ليس من السهل الإجابة عنها. ولكن من باب الإقتراض يمكن القول إنه سيعمل من أجل نوع جديد من الصمود يكون أكثر شمولاً ويأخذ في الاعتبار أن الحرب ليست واردة وأن السلام غير ممكن وأن الرئيس السادات أفاد في مبادرته بدليل أن خلافاً حدث في الموقف الأمريكي، من دون أن ينهار الموقف العربي، وإنما حدث بعض التقلص وذلك ليس جديداً على الأمة العربية. وإذا استطاع الرئيس نميري جمع العرب المتخصصين حول الحد الأدنى فإن المملكة العربية السعودية كفيلة بإكمال ما بدأه الرئيس السوداني، وتلك هي الخطوة المرسومة على ما يبدو.

ولعل من المناسب الإشارة هنا إلى أن السعودية استعقلت واستحكت وباركت خطط نميري لتصحيح مسار العلاقات السودانية - الليبية والتفاهم مع العقيد القذافي، بل إنه عندما قام بزيارته الأخيرة إلى السعودية سمع من كبار المسؤولين السعوديين كلاماً مفاده أن هنالك دوراً عليه أن يقوم به من أجل تحقيق التضامن العربي وأن المصالحة السودانية - الليبية تخدم هذا

الدور.

- **الملاحظة السادسة:** إن تكليف الرئيس نميري بتحقيق المصالحة العربية الشاملة - وتكراراً إن المملكة العربية السعودية وراء ذلك - معناه أن المسألة ملحة. ولو أنها لم تكن كذلك لكان إكتفى المؤتمر بموقف لفظي يشدد على ضرورة التضامن وأهميته. ولو أن الحماسة كانت قليلة لكان المؤتمر أوصى بأن يقوم الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض بالمهمة.

- **الملاحظة السابعة:** إن المصالحة العربية ستقود إلى مؤتمر قمة من المناسب عقده في الخرطوم إذا نجح الرئيس نميري في مسعاه. وإنعقاد مثل هذه القمة في الخرطوم يفيد بعض الشيء في المحافظة على القليل المتبقي، من التأييد الأفريقي.

وفكرة القمة لم تعد مستهجنة ولا مستبعدة كما كانت الحالة في الماضي. ولا ينبغي بالضرورة أن يكون هنالك وفاق عربي لكي تتعقد القمة، ذلك أن الموقف العربي عشية القمة الأولى عام 1964 كان في غاية التمزق ومع ذلك إجتمع الملوك والرؤساء وبدأوا رحلة جديدة من التعامل كانت قمة الخرطوم عام 1967 ذروة التآلق فيها.

وفي الفترة الماضية كانت مصر حذرة إزاء أي دعوة إلى القمة لكنها بعد المؤتمر الأخير لوزراء الخارجية بدلت لهجتها وأصبحت ترحب بالقمة إنما "على أساس موضوعي" ومن الواضح أنها تقصد بـ "الأساس الموضوعي" عدم تحويل المؤتمر إلى "محاكمة" للرئيس السادات.

وهنا تبدو الإشارة ضرورية إلى أن الرئيس السادات فوّت فرصة تاريخية لكي يعيد بنفسه التضامن الذي إنتكس نتيجة لمبادرته. ولو أنه بعد انهيار المبادرة قال بالصوت العالي إنه قام بالمبادرة وزار إسرائيل وفي حسابه أن ذلك سينهي الصراع ويحل المشكلة الفلسطينية، وأنه بعدما تبين له أن الإسرائيليين ضد السلام وغير مستعدين لإعادة النظر في موقفهم، فإنه يعلن إسقاط المبادرة ويعود العرب إلى مؤتمر قمة لمعالجة الموقف... إن الرئيس السادات لو فعل ذلك لكان وفّر على الوضع العربي الكثير من التمزق.

- **الملاحظة الثامنة:** في أعقاب إنتهاء إجتماعات وزراء الخارجية أدلى الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية بتصريح قال فيه إن القرارات التي إتخذها مجلس الجامعة ما هي إلا بداية للطريق الذي سيؤدي إلى ما هو مأمول لإعادة التضامن العربي، وأن

الأدنى. كذلك هنالك حقيقة أساسية وهي أنه إذا كانت الحرب غير ممكنة والسلام ليس وارداً فإن الصمود يبدو ضرورياً ولو مجرد مظهر، لأنه قد ينمو مع الوقت فيجعل السلام وارداً أو يجعل الحرب من أجل السلام ممكنة. ومن أجل ذلك لا بد من وقفة عربية مع النفس، ووقفة مماثلة مع الرئيس نميري لكي يبدأ مطمئناً رحلة الوفاق الجديد.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 أبريل (نيسان) 1978

* * *

القرارات التي تحقق الإجماع

بين 26 و29 تشرين الأول/أكتوبر 1974 عُقد في الرباط مؤتمر القمة العربي السابع. وفي هذا المؤتمر اتخذت مقررات واضحة حول العمل العربي وأسلوب التحرك ووضعت مبادئ.

وعندما قام الرئيس أنور السادات بمبادرته التي تمثّلت بزيارة إسرائيل إعتبر معظم العرب أن الرئيس المصري خرج على مقررات القمة السابعة في حين إعتبر هو أنه تحرك في ضوء ما إتخذ من مقررات.

ودار في هذا الشأن جدل طويل حسمته سوريا عندما أذاعت يوم 29 تشرين الثاني/نوفمبر 1977 النص الكامل لمقررات قمة الرباط وكانت تلك الخطوة غير تقليدية. والواضح أن ما قصدته سوريا من وراء النشر هو التأكيد بأن الرئيس السادات خرج على مقررات إلتزم بها، خصوصاً أن صحيفة "الأهرام" قالت قبل يوم من كشف سوريا عن المقررات (يوم 28 نوفمبر 1977) إن زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل "تأتي تطبيقاً للمقررات السرية لمؤتمر الرباط وأن الرئيس السادات بالتالي لم يخرج على الإجماع العربي ولم يمزق الصف ولم يفعل ما يستوجب الإستهجان والإستكار".

ونلاحظ أن المملكة العربية السعودية ما زالت على رغم كل ذلك متمسكة بمقررات قمة الرباط وأن وزير خارجيتها الأمير سعود الفيصل قال في أعقاب انتهاء إجتماعات وزراء الخارجية الأخير "إن أساس التحرك العربي الجديد لتحقيق التضامن هو مقررات قمة بغداد". من هنا يبدو نشر أهم هذه المقررات أكثر من ضروري. والمهم في هذه المقررات نشّته على النحو الآتي:

أساس التحرك في هذا المجال هو مقررات قمة الرباط. وقال أيضاً: "لا أعتقد أن هنالك نوايا للعزلة من جانب أي دولة عربية، وإذا كان هنالك خلاف فهو خلاف في الأساليب وليس في الأهداف".

ومعنى كلام سعود الفيصل أن على مصر أن تعود وتلتزم بمقررات تلك القمة التي كشفت عنها سوريا قبل فترة لتؤكد أن مبادرة الرئيس السادات زيارته إلى إسرائيل تشكّل نقضاً للمقررات. معنى كلامه أيضاً أن ذلك ممكن وأن مصر لا تريد عزّل نفسها وأن الخلاف معها هو حول الأسلوب فقط.. أي أن المبادرة كانت مجرد أسلوب.

- **الملاحظة التاسعة:** إن أي قمة قد تكتب لها فرصة الإنعقاد ستجد نفسها في ضوء ممارسات شديدة المرارة حدثت من البعض تُشدد على تضمين القرارات واحداً يصاغ بلهجة جديدة غير تقليدية يحظر الخروج على الإجماع العربي. وقد يكون مثل هذا الأمر يحتاج إلى نوع من القسّم يؤديه كل ملك ورئيس بمعنى أن يُقسم بدينه وشرفه بالألا يخرج عن الصف الواحد ويحيط الآخرين بخطّ ينوي القيام بها ولا يخرج عن إرادة الأكثرية.

- **الملاحظة العاشرة:** بعد انتهاء إجتماعات وزراء الخارجية قال الأمين العام للجامعة العربية محمود رياض: "إن موضوع تقييم العلاقات العربية - الأميركية أرجى إلى إجتماع يحضره جميع وزراء الخارجية العرب". ومثل هذا الكلام منطقي لأنه لا مشكلة بين الدول التي شاركت في إجتماعات وزراء الخارجية وبين الولايات المتحدة والدول التي قاطعت. وإذا حدث الوفاق العربي المطلوب ستصبح المشكلة أقل حدة. ومنطق الأكثرية العربية يقوم على أساس أن الموقف الأميركي سيتبدل أكثر وأكثر إذا كان هنالك نوع من الإجماع العربي حوله، وأن الفرصة متاحة الآن أكثر من أي وقت مضى نتيجة للتوتر القائم حالياً بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وهذا المنطق على رغم ما ترتسم فوقه من علامات إستفهام وتعجّب كثيرة موضوع قابل للإختبار.

تلك بعض الملاحظات التي عكسناها القرارات المفاجئة والمهمة لوزراء خارجية الأكثرية العربية التي إجتمعت في رحاب الجامعة العربية. وهنالك - إستكمالاً أو إستنتاجاً لهذه الملاحظات - بدهية وهي أنه ثبت بشكل قاطع أن الخلاف العربي لا يفيد وأن الوفاق يبقى أفضل قليلاً حتى إذا كان وفاقاً على الحد

والعسكري والإقتصادي والبشري الذي تتلقاه من أي مصدر في العالم.

6- تجذب المعارك والخلافات الهامشية العربية بما يؤدي إلى تركيز الجهود ضد العدو الصهيوني".

وفي ضوء هذه المقررات يبدو تحرك الرئيس السادات خروجاً على الإجماع. كما أن تمسك السعودية بهذه المقررات يبدو بمثابة دعوة إلى الرئيس السادات من أجل العودة إلى الإجماع.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 أبريل (نيسان) 1978

* * *

كي لا تفاجأ أميركا بـ "مانغستو مصري"

إذا سلّمنا بأن غضب الرئيس أنور السادات على الإتحاد السوفياتي سببه أن السوفيات يماطلون في مد مصر بما تطلبه من سلاح وقطع غيار، فإننا أمام ملاحظة من نوع أكثر إنهاكاً للأعصاب وتستحق أكثر من الغضب، ولكننا لا نلاحظ وجود أي أثر لهذا الغضب من جانب الرئيس المصري.

ولقد بات المواطن المصري العادي مقتنعاً بأن في الأمر ملاحظة بل وما هو أكثر من المماثلة. وإذا كانت زيارات الرئيس السادات ووزير خارجيته السابق إلى الولايات المتحدة لم تقم أو تؤخر في شيء، فإن تمنيات المبعوث الأميركي أثرتون الذي قابل السادات قبل أيام، بأن يقوم وزير الخارجية المصرية بزيارة إلى واشنطن لإستكمال البحث، تبدو نوعاً من أنواع المجاملة. والمجاملة في بعض جوانبها أخت المماثلة. ومن المؤكد أنه لو حدث وقام وزير الخارجية المصرية بالزيارة فإنه لن يقم ولن يؤخر في شيء. ولكنه مع ذلك سيقوم بها ليثبت ما قاله في أعقاب إجتماع السادات مع أثرتون يوم السبت 22 نيسان (أبريل) 1987 في الغردقة على البحر الأحمر من أن مصر ماضية في خطها السياسي من أجل الوصول إلى تسوية شاملة لأزمة الشرق الأوسط.

وعندما يقول وزير خارجية مصر هذا الكلام فلا إدراك منه أن تطورات السنين الخمس الماضية أوصلت مصر إلى طريق لا بديل عنها هي طريق العمل السياسي، وأنه لأسباب موضوعية لا مجال، بل لا إمكانات أمام مصر الآن ونتيجة للتطورات المشار إليها، من إختيار العمل

"إن مؤتمر القمة العربي السابع بعد استعراضه لمقررات مؤتمر القمة العربي السادس بالجزائر ولما جد من تطورات في الموقف العربي والدولي وما أحرزه العمل العربي المشترك من تقدم في جميع المجالات، وبعد مناقشة الوضع العام من جميع جوانبه، والإطلاع على تقرير مجلس وزراء الخارجية وتقارير الأمين العام لجامعة الدول العربية، يقرر ما يأتي:

أولاً: الهدف المرحلي للأمة العربية:

- 1- التحرير الكامل لجميع الأراضي العربية المحتلة في عدوان يونيو (حزيران) 1967 وعدم التنازل أو التفریط في أي جزء من الأراضي أو المساس بالسيادة الوطنية عليها.
- 2- تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأي وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة.
- 3- الإلتزام بإستعادة الحقوق للشعب الفلسطيني وفق ما تقرره منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني.
- 4- قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً. ولا يجوز لأي طرف عربي التنازل عن هذا الإلتزام، وذلك وفق ما أكدته مقررات مؤتمرات القمة العربية السابقة.

ثانياً - الأسس التي يقوم عليها العمل العربي المشترك:

- 1- تعزيز القوى الذاتية للدول العربية: عسكرياً وإقتصادياً وسياسياً، ومتابعة بناء القوة العسكرية لقوى المجابهة، وتوفير متطلبات هذا البناء.
- 2- تحقيق تنسيق سياسي وعسكري وإقتصادي عربي فعال، بما يؤدي إلى تحقيق تكامل عربي في مختلف المجالات.
- 3- عدم قبول أي محاولة لتحقيق أي تسويات سياسية جزئية، وذلك انطلاقاً من قومية القضية ووحدةها.
- 4- إلتزام الدول العربية كلها بتحرير جميع الأراضي العربية المحتلة، وإستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني.
- 5- ممارسة سياسات تؤدي إلى عزل إسرائيل سياسياً وإقتصادياً، وإلى وقف الدعم السياسي

العسكري. ولعل إسرائيل عندما لا تتغير شيئاً من موقفها وتواصل التعنت، فلقناعة عندها بأن المنهج الذي سلكته مصر في السنين الخمس الماضية ألقى ظلالاً على القدرة العسكرية المصرية. ولولا هذه الظلال، أي بمعنى آخر، لو كانت إسرائيل متأكدة بأن قوة مصر العسكرية تعززت بدل أن تتأثر لما كانت تعنتت وتصلبت، وإستطراداً لما كانت الولايات المتحدة تماطل بشكل يهز الأعصاب.

إننا نفهم أن تعنتت إسرائيل وتتصلب وتتحدى في التعنت والتصلب على أساس أنها ضد السلام ولا تتطلع سوى نحو المزيد من التوسع وإحتلال المزيد من الأرض. لكن الذي يُستعصى فهمه هو هذه المماثلة من جانب الولايات المتحدة، كأن الثمن الذي دفعته مصر لا يكفي من أجل وقفة أميركية جادة إلى جانبها. إن الولايات المتحدة تفقد يوماً بعد آخر رصيدها في مصر ولدى المصريين الذين يشعرون أن الولايات المتحدة خدعتهم. ومن المؤكد أنه لو قرر الرئيس كارتر فجأة أن يزور مصر في مثل هذه الأيام التي يسود فيها شعور لدى المصريين بأن الولايات المتحدة ضحكت عليهم، فإنه لن يلقى الإستقبال الذي لقيه سلفه، أي الرئيس نيكسون عندما زار مصر.

وشياً فشيئاً لم يعد الأميركي بالنسبة إلى المواطن المصري العادي ذلك الطيب كما صوّره له الرئيس السادات وأجهزة إعلامه. ويوماً بعد يوم يتساءل المواطن المصري العادي بينه وبين نفسه: ألم يقف الإتحاد السوفياتي معنا أفضل بكثير من الوقفة التي يقفها الأميركيان؟

ولا نعرف ما الذي ينتظره الأميركيان للإنتقال بموقفهم من المماثلة إلى الجدية، والسعي بإخلاص من أجل إيجاد حل معقول ومناسب لأزمة الشرق الأوسط، يحفظ ماء وجه الكثيرين؟

هل هم في إنتظار أن يعيد الإسرائيليون النظر في موقفهم؟

إذا كانوا ينتظرون ذلك فإن شيئاً من هذا لن يحدث. فإسرائيل ماضية في خططها ومخططاتها التوسعية. وإذا كانوا ينتظرون تراكم التناقضات في مصر التي من شأنها محاصرة الرئيس السادات إلى درجة إسقاطه، فإنهم لن يجدوا أفضل من السادات، بل إنهم قد يجدون من يُتعهم، إلا إذا كانوا يعملون في السر لإيجاد وضع في مصر يناسبهم. لكن من مصلحة الولايات المتحدة أن تأخذ في الإعتبار أمراً أساسياً وهو أن ظروفها بالغة الحساسية تعيشها مصر الآن وتشبه في بعض جوانبها

الظروف التي كانت سائدة في مصر عشية ثورة 1952. وفي العدد الأخير من مجلته المعروفة مجلة "أكتوبر" قال الرئيس السادات كلاماً في منتهى الأهمية من الضروري جداً أن يفهمه الأميركيان. لقد قال رداً على الكلام الذي يردده الحزبيون من أهل اليمين ومن أهل اليسار في مصر حول الوضع السياسي عموماً: "أمام شعبنا اليوم فرصة مؤكدة ليرى كيف كان كل شيء يجري في مصر قبل ثورة 1952... هذه الثورة التي كانت رحمة جداً بهؤلاء الساسة القدامى. ولو كانت الثورة الحمراء والتي كانت متوقعة هي التي إندلعت بدلاً من ثورة يوليو 1952 لكانوا جميعاً في عداد الموتى دون أن يترحم عليهم أحد".

وصحيح أن الرئيس السادات يحذر في كلامه هذا السياسيين المصريين الذين يمارسون عملهم السياسي بفعل صيغة هو ارتضاها وشجعها على رغم محاذيرها الكثيرة ومنها أنها قد تصبح سلاحاً ضده، إلا أنه في الوقت نفسه ينبه الأميركيان الذين بالغوا في المماثلة. كما أنه يحذر السياسيين المصريين من أنهم إذا استمروا في أسلوبهم الحالي فإنهم يشجعون نمو وضع يكتسح كل شيء في طريقه. وينبه الأميركيان إلى أنهم إذا لم يبدلوا أسلوب المماثلة بأسلوب أفضل فإن مصر ستسير نحو أثيوبيا أخرى.

ولا نعتقد أن الأميركيان لا يدركون هذه الحقائق لأنها من البدهيات. وعشية إسقاط هيل سلاسي كانوا يدركون حقائق الوضع لكنهم عالجوه بأسلوب خلا من بُعد النظر وافترضوا أن كل شيء يمكن حله بمجلس عسكري تبين أنه باهت ولا قوة له وأن مشاكل أثيوبيا كثيرة. وفي لحظة بصر خطف الجنرال مانغستو منهم كل شيء وحول أثيوبيا إلى جرم يدور في الفلك السوفياتي. وبقية القصة معروفة.

وكي لا يفاجأ الأميركيان في لحظة صاعقة بـ "مانغستو مصري" لا بد من وقفة غير التي يقفونها حالياً مع مصر تتخذ الرجل الذي راهن عليهم، إلا إذا كان ما فعلوه ليس من النوع الحريص جداً على مصير المراهنين.

والأهم من ذلك كله هو سر غضب الرئيس السادات على السوفيات لأنهم ماطلوه سننتين، وحلم الرئيس السادات وسعة صدره على مماثلة الأميركيان التي دخلت سنتها الخامسة.

إن بيننا وبين 6 أكتوبر الذكرى الخامسة لحرب 1973 أشهراً قليلة. وسيكون من الصعب جداً على الرئيس السادات أن تحل هذه الذكرى وليس في يده

الورقة التي تثبت للمصريين صوابية أسلوب تعامله السياسي خلال خمس سنين.

هل سيعدهم؟ لقد وعدهم ما فيه الكفاية. هل سيفرش امامهم المزيد من الأحلام والأمنيات؟ لقد برهنت لهم التطورات أن الأحلام والأمنيات لا تترجم إلى ما من شأنه أن يرضي توقعهم إلى الأفضل.

هل سيكرر امامهم المقولة التي إبتكرها ولم يترك مناسبة إلا وكرر قولها وهي إن 99 في المئة من أوراق اللعبة وأوراق الحل في يد الولايات المتحدة؟ لقد سمع المصريون هذه المقولة ما فيه الكفاية ومن حقهم أن يتساءلوا: ما دام الأمر كذلك فلماذا لا تمارس الولايات المتحدة قدرتها ولماذا يجب أن نسير دائماً وراءها. وثمة حقيقة أساسية هي أن 99 في المئة من المسؤولية عما جرى لمصر وما قد يجري لها يقع على عاتق الولايات المتحدة. وإذا كان الذي جرى مقلقاً وصعباً وخطيراً فإن الذي قد يجري ربما يكون أمراً فظيماً جداً.

لقد أخرجت الولايات المتحدة مصر عن حيادها وشجعتها على ممارسة أدوار لا تليق بسمعتها وأفقدتها بعض أسس مسؤوليتها القومية. ولقد فعلت كل ذلك وأكثر. وهي تتركها الآن لعاصفة، وربما لإعصار. وفي كل يوم تأخير لرد الجميل إلى مصر السادات سيزداد الثمن الذي ستدفعه أميركا.

وتكراراً، إن تعامل أميركا مع مصر يبدو كما لو أنه تشجيع مدروس لمانعستو آخر على الضفاف الأخرى لنهر النيل.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 أبريل (نيسان) 1978

تحديات أمام الجامعة المنقولة!

عندما أنشئت الجامعة العربية كان الغرض من وراء الإنشاء هو قيام نوع من الكيان العربي الذي من شأنه جعل الكلمة مسموعة ومؤثرة، ويومها لم يكن هناك نفط في المنطقة، وكان الجميع فقراء بنسبة أو أخرى. ولعل إختيار مصر كان في الدرجة الأولى لأنها أغنى الفقراء.

ومع الوقت ظهر النفط وانتشر، وأصبحت كلمة الدولة النفطية هي المؤثرة. وهي الفاعلة وهي المسموعة. وبدأ كيان الجامعة يضم يوماً بعد آخر إلى أن باتت تجمعاً عربياً لا تُرسم السياسات فيه بل ولا قدرة له على التنفيذ.

وفي حين إرتضى الأمين العام السابق عبد الخالق حسونة هذا الواقع للجامعة، فإن الأمين العام الذي تلاه ونعني به محمود رياض إختار مسلك التطوير من دون أن يدري أنه يتجاوز بذلك نظرة غير معلنة لأوضاع الجامعة. وتقوم هذه النظرة على أنه من غير الطبيعي أن تكون الجامعة العربية أكثر تطوراً وتنظيماً من وزارات خارجية بعض الدول العربية، ومن غير الطبيعي أن تكون الفعل، وإنما رد الفعل في إستمرار.

وعملياً، إن تجربة الجامعة العربية في ربع القرن الأخير على سبيل المثال لم تكن مضيئة ومجدية، بل إنها لم تُخرج تكوينها عن مفهوم النقابة أو الإتحاد النقابي، مع الفارق أن في قدرة النقابة أو الإتحاد أن يصنعا حدثاً صغيراً أو كبيراً، في حين أن الجامعة لم تستطع أن تفعل شيئاً.

ولقد قيل الكثير في شأن الجامعة العربية وتوجهاتها. قيل مثلاً إنها واقعة تحت تأثير السياسة المصرية. وقيل مثلاً إنها من أجل ذلك فهي جامعة من أجل مصر وليست من أجل العرب. وقيل إنه لو حدث ذات مرة الخروج على التقليد المفروض وتم إختيار أمين عام غير مصري للجامعة لما كانت حالها ما إنتهت إليه.

ومن الواضح أن أمر الجامعة العربية ما كان ليُطرح أو ليصبح بنداً من بنود معاقبة الرئيس السادات لأنه عقد صلحاً منفرداً مع إسرائيل، حتى لو أن مقر الجامعة كان خارج مصر.

والآن، وعندما نقرر أمر نقل الجامعة العربية بجميع أجهزتها من القاهرة، هنالك تساؤلان أساسيان في شأنها: الأول: إذا كانت تجربة ربع القرن الأخير لم تأت مجدية فكيف يمكن أن تكون تجربة الجامعة في السنين المتبقية حتى العام 2000 مجدية؟

الثاني: هل إن قرار النقل كان لا بد منه؟

وحول التساؤل الأول يمكن القول إن التجربة السابقة للجامعة العربية لم تكن مجدية لأن الدول الأعضاء أرادتها كذلك، فهناك ميثاق لم يأخذ به أحد، وهنالك دوائر لم يشجعها أحد. وظهرت الجامعة في سنواتها الأخيرة كما لو أنها مجرد منظمة مؤتمرات، شأنها في ذلك شأن الذين يُنظّمون الحفلات.

ومن أجل ذلك فإن وُضع ميثاق جديد للجامعة لتلقي الدول الأعضاء على ضرورة التقيد به أمر من شأنه أن يخفف عن هذه الدول في الساعات الصعبة مشاكل هي في غنى عنها، فضلاً عن أن إنشاء قوة عسكرية تابعة للجامعة شبيهة ببعض الشبيء بقوات

الأمم المتحدة، من شأنه أن يحل الخلافات العربية الطارئة، خصوصاً أن هذه الخلافات تتجدد في استمرار وتأخذ طابع المجابهة العسكرية في أغلب المرات.

ومن المؤكد أن قوة عسكرية عربية تقف بين المتجابهين العرب من شأنها أن تقطع الطريق على قوى تأتي من كوبا أو من غيرها، ذلك أن المتجابهين عندما يجدون وسطهم زملاء لهم عرباً لن يتصرفوا بغير ما تفرضه مشاعر الزمالة والأخوة. وإلى ذلك فإن مثل هذه القوة تساعد على التعجيل ببدء الحوار السياسي في سبيل التوصل إلى نتيجة ترضي الجميع.

كذلك يبدو من الضروري جداً من أجل جامعة تقيّد في السنين المتبقية على العام 2000 أن يُنص، وبكثير من الوضوح، على عدم تدخّل دولة عضو في الجامعة العربية عسكرياً، في دولة بعيدة عن العرب، إذ ليس معقولاً أن تحارب قوات عربية من أجل دعم نظام غير عربي، وهذه الحالة عشناها في الستينات وفي السبعينات، ولقد كان مؤلماً أن الأمين العام المساعد العسكري للجامعة العربية هو الذي يعطي الأمر بالتدخل أو على الأقل يُنفّذه. ومن أجل ذلك فليس معقولاً أن يكون رئيس أركان الدولة التي فيها مقر الجامعة هو الأمين العام المساعد العسكري، وإنما من الأفضل أن تكون هنالك لجنة عسكرية تناقش أمر هذه التدخلات وتكون لها كلمة الحسم في النهاية.

أما مكاتب الجامعة في الخارج فهي في حد ذاتها تحتاج إلى تخطيط وتحتاج إلى إعادة نظر شاملة. ولقد ثبت أن هذه المكاتب هُزمت في معركة التبشير بالقضية العربية طوال السنوات الخمس عشرة الماضية، ومن المهم ألا تُهزم في التجربة الجديدة للجامعة العربية وأن تكون في مستوى الواقع المعقّد الذي تعيشه الأمة في ضوء خروج مصر الذي كانت تشكّل دائرة النّقل.

وحول التساؤل يمكن القول إن الدول العربية التي قررت أن يكون نقل الجامعة من القاهرة هو إحدى وسائل المعاقبة إنطلقت من قاعدة مقلقة سلفاً عندما ارتأت أن يكون المقر الجديد للجامعة بلداً بعيداً نسبياً عن خط المواجهة، وليس مضطراً مستقبلاً لعقد إتفاق مع إسرائيل مثل ذلك الإتفاق الذي عقده الرئيس السادات. وكأنا الذين جلسوا يخططون لإختيار المكان وضعوا نُصب أعينهم أن مقر الجامعة يمكن أن يستقر

في تونس في حين أن نقله إلى عاصمة تشهد تطورات مماثلة لتلك التي شهدتها مصر يعني أن على العرب أن يعقدوا مستقبلاً مؤتمراً آخر لنقل مقر الجامعة، وهكذا يصبح أمر الجامعة صعباً لا تستقر على مكان شأنها في ذلك شأن سفارة ما تُبدّل مكانها مرات كثيرة تبعاً لظروف زيادة عدد الموظفين أو وجهة المكان.

ومعنى هذه النظرة أن الذين قرروا نقل الجامعة إنما نظروا إلى الأمر كوسيلة معاقبة قبل أن ينظروا إلى مستقبل هذه المنظمة وإلى الذي يمكن أن تفعله.

وفي أي حال إن المكان ليس مهماً سواء كان في المغرب أو في المشرق. ولعله من الضروري جداً أن تتعدّد أمكنة إنعقاد الاجتماعات والمؤتمرات مستقبلاً، بحيث ينعقد كل مؤتمر في عاصمة ما، فضلاً عن أنه من الضروري أيضاً ألاّ تنحصر المنظمات التابعة للجامعة في مكان واحد وبالتحديد في مقر الأمانة العامة.

وقد يقال إنه لا جدوى من الجامعة العربية، ولذلك فليكن هناك بحث عن صيغ أخرى، ولتكن هناك محاولة جدية لجمع العرب في وحدة أو إتحاد. وهذا صحيح إستناداً إلى التجربة السابقة للجامعة، لكن أين هي الدول التي يمكن أن تلقّي على فكرة الإتحاد أو الوحدة؟

ولعله من المؤلم جداً للنفس أن تكون جيبوتي آخر دولة تنضم إلى عضوية الجامعة ويأتي إنضمامها قبل فترة وجيزة من إبتعاد مصر. وإذا اعتبرنا إنضمام جيبوتي أنه وليد الحاجة إلى هوية، فإن إبتعاد مصر هو وليد التخلص من الهوية، ومع الوقت سيكتشف كل مصري أن الجامعة على ما هي عليه من إرتباك وتعقيدات كانت رمزاً للهوية التي من دونها سيكون الإرتباك أكبر والتعقيدات أشد.

ومن الواضح أن الكثيرين داخل إجماعات مؤتمر بغداد كانوا في حيرة لا مثيل لها. فهم إذا قرروا تعليق عضوية مصر ونقل الجامعة من القاهرة يكون معنى ذلك أن مصر إبتعدت نهائياً، ومعناه إستبعاد حدوث مفاجآت مستقبلاً تصحح فيها مصر مسار الخطوات الإنفرادية التي أقدم عليها نظام الرئيس السادات. وإذا هم لم يفعلوا ذلك يكون معناه أنهم يسلمون بصوابية ما سلكه الرئيس السادات.

وهكذا فإن الرئيس السادات وضع الجميع، حتى بعض المتعاطفين معه ضمناً، في موقف محرج، ولعله في التصريحات التي صدرت عنه أو البيانات الرسمية

التغيير على أساس أن قضية الأمن تبقى أهم من أي قضايا أخرى.

منذ أربعة أشهر والحديث في مصر لا يتوقف عن احتمال تغيير الحكومة التي يرأسها ممدوح سالم. مرة يكون منطلق الحديث الأزمة الدائرة بصمت بين ممدوح سالم والمجموعة الإقتصادية الحكومية التي يقودها الدكتور عبد المنعم القيسوني نائب رئيس الوزراء للشؤون الإقتصادية. ومرة أخرى يكون منطلق الحديث الرشوات، وبعضها مخيف. وأحياناً يكون منطلق الحديث الحديث الغلاء الفاحش حيث زادت أسعار بعض السلع بنسبة مئتين في المئة، أو عمليات السمسرة التي أصبحت جزءاً أساسياً، أو بالأحرى رمزاً من الرموز الأساسية لسياسة الإنفتاح الإقتصادي.

وفي الأسابيع الماضية حرص ممدوح سالم على أن يظهر في استمرار جنبا إلى جنب في جولات الرئيس السادات الداخلية، لكي يقطع الطريق على الحديث الذي يزداد تشعباً والمتعلق بإحتمال تغيير حكومته. ولكن صحف الأحزاب الأخرى وتصريحات قادتها كانت في كل مرة تلاحظ أن نار الحديث تُقارب على الإنطفاء، ترمي عليها - كما يقول المثل الشائع - الكثير من الزيت الذي يجعلها تلتهب من جديد.

وإلى ذلك، إن ممدوح سالم وظف الصحف المصرية الرسمية أي "الأهرام" و"الأخبار" و"الجمهورية" وكل المجالات الأسبوعية في خدمة محاصرة أي حديث حول احتمال تغيير الحكومة. ومثل هذا التوظيف سهل لعدة اعتبارات، منها أن ممدوح سالم هو رئيس الحزب الحاكم الذي ينتمي إليه رؤساء تحرير الصحف والمجلات.

ويبدو أنه على رغم كل محاولات ممدوح سالم لمحاصرة الحديث الدائر حول احتمال تغيير الحكومة فإن الرئيس السادات وجد قبل فترة أنه قد آن الأوان للقيام بالتغيير. وقد أخذ السادات في الاعتبار أموراً كثيرة، منها أن التغيير يمكن أن يمتص الضيق الداخلي الراهن ومنها أن الإنجاز الخارجي أصبح باهتاً بعض الشيء وعندما يبهت الإنجاز الخارجي يصبح الإهتمام بأمور الداخل مسألة في غاية الضرورة. وفي ظل الظروف الراهنة فإن الإهتمام بأمور الداخل يكون - كما درجت العادة - أو يبدأ بإجراء تغيير الحكومة.

وفي الشهرين الماضيين ورد اسم حافظ اسماعيل كمرشح لترؤس حكومة جديدة، ويبدو أن الرجل فوَّح بالأمور فوضع شروطاً كثيرة كي تتسجم مع جديته ومع خطه السياسي. ولأنه لا يمكن أن يكون هنالك إستمرار

التي أصدرتها حكومته كان يستحث العاملين من أجل نقل الجامعة على تنفيذ قرار العقوبات الإقتصادية على عدم التباطؤ. وفي ذلك ما من شأنه جعل جميع المتحفظين مستريحين الضمير. فهو بدل أن يقول كلاماً ملطفاً بعض الشيء، عندما طُرحت فكرة نقل الجامعة إذا هو عقد صلحاً مع إسرائيل، قال بكثير من التهكم "فلأخذوها مبروكة عليهم". وهو بدل أن يساعد الذين حاولوا في مؤتمر بغداد الأخير إتخاذ عقوبات طارئة وقابلة لإعادة النظر، ترك أجهزته الرسمية تتهم جميع المشاركين في ذلك المؤتمر.

ويبقى أن الشأن الذي كان للجامعة العربية هو أنها كانت في مصر التي تقود الصف العربي. أما وقد تخلت مصر وتفرَّرت نقل الجامعة منها فإن الجواب عن طبيعة شأن الجامعة مستقبلاً يبدو صعباً خصوصاً أنها مطالبة بدور سياسي ضخم وليس بدور فني وتنظيمي. يبقى أيضاً أنه إذا كانت المأساة العربية كبيرة لأن مصر ابتعدت عن العرب ولم تعد في جامعتهم فإن مأساة مصر ستكون أكبر بكثير. فالجامعة، تكراراً، هي على رغم دورها الذي إختاروه لها رمز الهوية، وإذا قرروا أن يكون الدور مستقبلاً أكثر أهمية فإن الجامعة يمكن أن تكون أكثر من مجرد رمز للهوية. يمكن أن تكون رداً من الردود الكثيرة على التهاوي العربي. ولكن المواطن العربي لا يبدو متفائلاً. ومن حقه ألا يكون متفائلاً، إستناداً إلى التجربة الماضية التي كان شعار الجامعة فيها "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا". وهذه الآية الكريمة لا تزال تنتظر من يأخذ بها. ولا تزال الشعار المطلوب للجامعة العربية في تجربتها الجديدة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 مايو (أيار) 1978

الملف الأمني الذي يُفتح فجأة

أصبحت المسألة نوعاً من التقليد. والمسألة التي نقصدها هنا هي مسألة ما يرافق الحديث عن تغيير الحكومة في مصر.

ولقد درجت العادة على أنه في كل مرة يتزايد الحديث حول احتمال تغيير الحكومة المصرية أن يُفتح فجأة ملف قضية أمنية. وواضح من فُتح الملف بهذا الشكل المفاجيء أن الهدف هو قطع الطريق على

لِلانفتاح على الشكل الذي هو عليه مع حكومة ترأسها شخصية جديّة فقد إنتهى الأمر مع حافظ اسماعيل بإنهاء فترة مفاتحته. وعاد الرجل إلى باريس ليستأنف مهمته كسفير لبلاده لدى فرنسا.

كذلك ففتح في أمر ترؤس الحكومة المهندس مصطفى خليل على أساس أنه "رئيس" كل الأحزاب القائمة في مصر. ولم يُكتب لهذه المفاتحة أن تثمر. ووردت اسماء حسني مبارك واسماعيل فهمي والدكتور محمود فوزي والدكتور عبد المنعم القيسوني. وقيل أنه حتى اسم محمد حسنين هيكل ورد لبعض الوقت وأن كتابات هيكل في صحيفة "الأهالي" كانت التمهيد الذي لا بد منه من أجل عودته إلى المسرح السياسي.

وقيل في هذا الشأن إن الرئيس السادات يريد رئيس حكومة له تطلعات عربية ودولية وليس كممدوح سالم الذي تطلعاته المصرية هي الأساس. قيل أيضاً إن السادات يسعى من أجل تصحيح مسار العلاقات بين مصر وبعض الدول العربية من جهة وبين مصر والاتحاد السوفياتي من جهة أخرى كمدخل إلى عودة مصر إلى الوقوف تحت مظلة التضامن العربي.

لقد قيلت كل هذه الأمور وأصبح الحديث حول تغيير حكومة ممدوح سالم هو الأكثر شيوعاً. وفجأة توقّف الحديث، وقيل في هذا الشأن إن "اللوبي" الذي ينتمي إليه ممدوح سالم هو الذي إنتصر في النهاية. وإرتأى السادات أن يستمر ممدوح سالم رئيساً للوزراء.

ويبدو أن أمراً ما حدث في الأيام القليلة الماضية، لأن الحديث حول تغيير حكومة ممدوح سالم تجدد. وإزاء ذلك - وكما درجت العادة - لجأ ممدوح سالم إلى ملف أمني من الملفات الكثيرة التي في حوزته، وفتحه، وكأنما يقول للمصريين إن الأمن يجب أن يستمر في المرتبة الأولى وأنا رئيس حكومة الأمن التي لا غنى عنها.

وقضية الملف الأمني الذي فتحه فجأة ممدوح سالم قضية لاقتة للإنتباه. بدأت القضية بنبا في صحيفة "الأهرام" التي يحظى ممدوح سالم من قيادتها بعطف وإهتمام كبيرين، مفاده أنه تم اكتشاف "تنظيم إرهابي" في مصر هدفه اغتيال بعض المسؤولين المصريين والقيام بعمليات تخريب في البلاد، وأن التنظيم يضم فلسطينيين وألمانياً وسويسرياً. كذلك أفاد النبا أن نتائج التحقيق مع أفراد التنظيم كشفت عن إتصالات لهم مع "الألوية الحمراء" في إيطاليا.

وفي معرض الإيضاح أشار النبا إلى أن أفراد التنظيم ينتمون إلى كوادرات على درجة عالية من التدريب، وأن

الفلسطينيين المشتركين في هذا التنظيم ينتمون إلى ابو نضال الذي يقود حركة منشقة عن حركة "فتح". في معرض الإيضاح أيضاً ذكر النبا أنه تم العثور في منزل أحد أفراد التنظيم على منشورات وآلة طباعة...

وبالطبع لن يتوقف النبا عند هذا الحد، بل إننا سنسمع المزيد من التفاصيل وكلها بهدف إظهار الأحوال التي كان يمكن أن تشهدها مصر لو لم يتم اكتشاف التنظيم.

لكن يبدو أن التنظيم المشار إليه ليس بهذه الخطورة. وهناك من يبيّن المسألة بكثير من الهدوء على النحو الآتي: هنالك أربعة من الألمان الغربيين جاؤوا إلى القاهرة في مطلع السنة الدراسية الحالية لدراسة اللغة العربية. والأربعة من جامعة برلين الحرة وقد رشّحهم لدراسة اللغة العربية في القاهرة رئيس معهد الدراسات العربية والإسلامية في الجامعة السيد شنتيت الذي سبق له أن عمل في مصر لمدة إحدى عشرة سنة مديراً لمعهد "غوته". وذات يوم داهم البوليس المصري المنزل الذي يسكنه الأربعة وهم ثلاثة شبان وفتاة، ثم أفرج عن الشبان الثلاثة وأبقيت الفتاة محتجزة مع صديق لها سويسري يقيم في القاهرة وله علاقات تعاطفية مع اليسار والمقاومة الفلسطينية. بعد ذلك وضعت الفتاة في السجن وتم ترحيل الشبان الأربعة إلى برلين. وهم يسعون مع رئيس المعهد الذي رشّحهم للدراسة في القاهرة من أجل أن يعودوا لإستئناف دراسة اللغة العربية. أما الفتاة فالتحقيق مستمر معها.

ومن خلال هذه الرواية يتبين لنا أن المسألة بسيطة، لكن التحقيق يركز على علاقة بين أفراد التنظيم وبين "الألوية الحمراء" في إيطاليا. ونشّر مثل هذا الأمر خطير، بل وفي منتهى الخطورة، لأن المصريين سمعوا بما تفعله جماعة "الألوية الحمراء" في إيطاليا ولا يريدون أن يتكرر مثل هذا الأمر في بلدهم.

والسؤال الآن هو: هل إن فتح مثل هذا الملف الأمني سيطوي إلى وقت طويل موضوع تغيير حكومة ممدوح سالم. أم أن الظروف الراهنة في مصر باتت - من أجل صون النظام من أية مخاطر - تفرض تغيير الحكومة؟ والذي يتابع التطورات المتلاحقة في مصر يلاحظ أن ممدوح سالم يخوض معركة دفاع عن النفس. ويلاحظ أيضاً أنه يُكثر من نشر الأنباء التي تدعم معركته هذه ومنها ما نشرته "الأهرام" بشكل أبرز في صفحتها الأولى يوم الإثنين 24 نيسان/ أبريل 1978 من أن ممدوح سالم قرر إصدار كتاب يتضمن إنجازات الحكومة خلال عام

الغلطان مائة بالمائة

عندما يدعو وزير خارجية البحرين محمد بن مبارك إلى إشراك الإتحاد السوفياتي في عملية البحث عن السلام في الشرق الأوسط، فليس معنى ذلك أن البحرين تدور في فلك الإتحاد السوفياتي أو مضطرة لمسايرته نتيجة ظروف داخلية.

وعندما يوضح الشيخ محمد وجهة نظره بالقول: "إن الولايات المتحدة دولة رئيسية في حل النزاع والإتحاد السوفياتي هو أيضاً دولة رئيسية ومعنية بهذه القضية شئنا أم أبينا، وعلى العرب أن يتعاملوا مع هاتين الدولتين بأسلوب قومي. ومن يعتقد بإبعاد الدور الأميركي أو السوفياتي عن القضية هو غلطان مئة في المئة..." عندما يوضح الشيخ محمد المسألة كما أوضحها فإنه لا يفعل أكثر من قراءة الموقف بعقل ومنطق.

وواضح من كلام وزير خارجية البحرين الذي نعرفه رجل دولة من نوعية ممتازة أنه يقول هذا الكلام لكي تسمعه مصر، أو بالأحرى كي يسمعه الرئيس أنور السادات الذي يرفض حتى الآن التسليم بهذه البداية وهي أنه لا يكفي أن ينادي بالسلام ويستبعد الإتحاد السوفياتي، وأن زيارة موسكو كان من شأنها أن تغيد أكثر بكثير من زيارة إسرائيل.

إن الرئيس السادات يرى، ولقد ردد ذلك مراراً، أن 99 في المئة من أوراق اللعبة هي في أيدي الولايات المتحدة. والشيخ محمد يقول بالكثير الكثير من الوضوح "إن من يعتقد بإبعاد الدور الأميركي أو السوفياتي عن القضية هو غلطان مئة في المئة". ولعل الشيخ محمد باللباقة المعروفة عنه تغادي أن يقول إن الذي يعتقد بإبعاد الدور السوفياتي غلطان مئة في المئة كي لا يُعتبر كلامه تحدياً فساوى الدور الأميركي بالدور السوفياتي، ولكن المسألة في غاية الوضوح، وهي أنه عندما قال كلامه كان في ذهنه الدور السوفياتي، وكان في ذهنه أيضاً ما يفعله الرئيس السادات مع السوفيات.

ولو أن وزير خارجية سوريا أو وزير خارجية العراق أو وزير خارجية اليمن الديمقراطية أو وزير خارجية الجزائر أو أمين الخارجية الليبية قال هذا الكلام الذي قاله وزير خارجية البحرين، لإعتبرنا كلامه يتمشى مع الخط الذي تفرضه خصوصية العلاقة الثنائية. لكن الذي يقول هذا الكلام هو وزير خارجية دولة تقيم علاقة متوازنة مع الجميع وتنقهم إلى أقصى الحدود لعبة الأمم في المنطقة. ولا يمكن القول ولو إفتراضاً إن البحرين تزايد أو

1977 ويشمل الدور الذي قامت به الوزارات والمصالح والهيئات وأجهزة الحكم المحلي لتحقيق المشروعات الإستثمارية ومشاريع الخدمات، وخصوصاً في المجالات الإستراتيجية كالإسكان والنقل والمرافق والصحة والتعليم والتموين والأمن وغيرها. وجاء في النبأ: "... وطلب رئيس الوزراء توزيع هذا الكتاب على جميع قواعد "حزب مصر" في المحافظات ليتعرف المواطنون على الجهود التي تبذلها الحكومة لحل المشاكل التي يعاني منها الشعب".

وإصدار مثل هذا الكتاب جديد في فكرته. وواضح أنه جزء من معركة التصدي التي يخوضها ممدوح سالم والحديث حول احتمال تغيير حكومة ممدوح سالم يقودنا إلى طرح التساؤل الآتي: بعد قيام الأحزاب في مصر ما الذي يمنع تشكيل حكومة ذات طابع إئتلافي؟ أو، بتسمية أخرى، حكومة جبهة وطنية تضم ممثلين عن جميع الأحزاب؟

إن الحكومة المصرية الحالية تمثل فريقاً واحداً هو فريق الحكم. وقبل أن يقوم "حزب الوفد" وينتشر بشكل ملحوظ لم تكن حكومة ممدوح سالم مهتمة بالأحزاب الأخرى أي المعارضة المقررة واليسار المقرر. لكن بعد قيام "حزب الوفد" وإنشائه وتزايد قوته وإعتماده أسلوباً سياسياً لا قدرة لحكومة لم تدخل معترك الألاعيب السياسية على مواجهته، أصبح الوضع مختلفاً ولا يخلو من بعض الصعوبة.

وإذا استمرت الحالة على ما هي عليه الآن فإن دائرة الصراع الحزبي في مصر ستتزايد وسيكون هنالك نوع من التسلية السياسية بمقادير الأمة.

ولعل حكومة جبهة وطنية بقيادة الرئيس السادات نفسه كمرحلة أولى، أو بقيادة شخصية محايدة كالدكتور محمود فوزي، مثلاً، هي التي في قدرتها الآن وقف هذه الأجواء السياسية السائدة في مصر. حكومة تضم اليميني واليساري. تضم الوفدي وغير الوفدي.

وفي سوريا تجربة جيدة بهذا المعنى، حيث تتولى السلطة التنفيذية حكومة جبهة وطنية تضم كل الفرقاء. عدا ذلك سيبقى تناحر الأحزاب مستمراً وقد يتطور التناحر إلى الأسوأ، خصوصاً إذا جرت مستقبلاً إنتخابات جديدة وحدثت فيها المفاجآت المتوقعة.. أي سقوط أكثرية أهل الحكم وفوز أكثرية أهل المعارضة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 مايو (أيار) 1978

هل بدأ العد العكسي للطموح السوفيياتي في الخليج؟

من المؤكد أن معظم حكام دول العالم الثالث غير المنتمية إلى الخط اليساري صُنعوا وهم يتبلغون من مستشاريهم ما حدث في أفغانستان، وكيف أن الحزب الشيوعي تحوّل خلال أشهر قليلة من حزب مطازد إلى حزب يجلس على قمة السلطة.

ومن المؤكد أيضاً أن أكثرية الدول العربية التي وضعت نفسها في موضع المتعارك مع الإتحاد السوفيياتي ذهلت مما حدث، وكان رد الفعل الأول لحكام هذه الدول هو الإستفسار من القادة العسكريين ومن المخابرات العسكرية والمدنية عن حقيقة الوضع داخل أسلحة الجيش وعما إذا كانت هنالك جيوب يسارية، وعن حقيقة الوضع بين التنظيمات اليسارية الخفي منها والمعلن.

ومن المؤكد أيضاً وأيضاً أن هنالك رقابة وضعت على البعض واسماء أدرجت في لوائح الذين يجب الحذر منهم. كما أن هنالك ضابطاً باتوا مرشحين للتسريح أو للنقل إلى مواقع أخرى غير التي يشغلونها. وليس مستبعداً الإفتراض أن نوعاً من التنسيق والتشاور وتبادل المعلومات بدأ على الفور بين أجهزة الأمن في الدول العربية المتجانسة التي تجمعها العداوة الحقيقية للإتحاد السوفيياتي وللشيوعية.

كذلك ليس مستبعداً على الإطلاق الإفتراض أن رجال المخابرات الأميركية نبّهوا وأعطوا أفكاراً معينة. وقد يكون حدث ما هو أبعد من ذلك بكثير.

فالذي حدث في أفغانستان ليس بسيطاً على الإطلاق. ومسارعة الإتحاد السوفيياتي إلى الإعراف، وعلى الفور، بإنقلابيين يعني الكثير. يعني على سبيل المثال لا الحصر أن الإتحاد السوفيياتي على إستعداد لأن يقاتل بالجنود الكوبيين طبعاً، إذا حدث نوع من الوهن في صفوف الإنقلابيين، أو إذا حدثت محاولات حصار يمينية بهدف ضرب الإنقلابيين.

وبقدر ما هي أفغانستان بعيدة عن العالم العربي... بالفقر نفسه تبدو المسألة متعلقة بما يحدث في المنطقة العربية. وهكذا تبدو أفغانستان كما لو أنها الدولة المتاخمة لحدود آخر دولة من دول العالم العربي.

ولقد لاحظنا أن صحافة الأنظمة العربية القلقة مما حدث في أفغانستان عالجت الأمر بشيء من التعتيم،

تتدخل في شؤون مصر. على عكس ذلك تماماً، إنها من الدول التي وقفت في إستمرار إلى جانب الرئيس السادات. وهي عندما تدعوه من دون أن تسميه إلى إعتماد المنطق في نظرته إلى أهمية الدور السوفيياتي فإنما تتطلق في ذلك من حرص على الرئيس السادات وليس مزيدة عليه.

إن الشيخ محمد بن مبارك مع حل سلمي لأزمة الشرق الأوسط. والرئيس السادات يسعى كثيراً جداً من أجل تحقيق هذا الحل. ولكن الفرق هو أن الشيخ محمد يدرك تماماً أنه لن يكون هنالك حل من دون الإتحاد السوفيياتي، والرئيس السادات يعرف ضمناً ذلك لكنه لا يصحح مسار العلاقات مع السوفييات.

أما لماذا لا يصحح الرئيس السادات المسار، فتلك قصة أخرى، لا نشك في أن الشيخ محمد بن مبارك لا يعرف خفاياها وخباياها. ولكنه على رغم ذلك يقول "غلطان مئة بالمئة من يعتقد بإبعاد الدور السوفيياتي عن القضية". وهو رد نسبوي، على الذين، أو بالأحرى، على الذي يرى أن 99 في المئة من أوراق الحل في يد الولايات المتحدة فقط لا غير.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 مايو (أيار) 1978

تساؤلات حول أمور رئاسية

إذا كانت الصحافة المصرية لا تكتب حتى الآن اسم النائب الأول لرئيس الجمهورية في السودان بشكل صحيح، فكيف يمكن لمسيرة التكامل بين مصر والسودان أن تتواصل وتُحقق الهدف. وهذا لا يعني أن الذي يحول دون تحقيق التكامل هو كتابة الاسم خطأ. ولكن هذا الجهل في كتابة اسم الرجل الثاني في النظام السوداني عند نشر أنباء عنه في الصحافة المصرية لافت للإنتباه. وبين الحين والآخر هناك اسم جديد للنائب الأول للرئيس السوداني. وأحدث الأسماء الخطأ هو "عبد الجاسم محمد إبراهيم" بدلاً من أبو القاسم محمد إبراهيم. ونشير هنا إلى أنه ليس في السودان على الإطلاق كما نرجح من يسمي ابنه "عبد الجاسم". وهو أمر من الطبيعي أن يعرفه المصري الساعي إلى التكامل مع السوداني.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 مايو (أيار) 1978

أو بالأحرى إن أخبار الانقلاب نُشرت في أضيق الحدود وفي أقل المجالات وفي أكثر الأمكنة تواضعاً، في حين أن هذه الصحف ستكون جاهزة لإبراز أخبار التغيير الذي تتمنى حدوثه في أفغانستان. والتغيير الذي تتمناه صحف هذه الأنظمة هو حدوث انقلاب يميني يلغي الانقلاب اليساري. ومثل هذه المعالجة تبدو طبيعية ومنسجمة مع منطق هذه الأنظمة وتوجهاتها السياسية. وتبدو منسجمة أيضاً مع هواجس هذه الأنظمة، بل وخوفها وقلقها، وإحساسها بأن الأمر سيزداد شأنًا، ومع ازدياد الشأن سيكون هنالك خطر، بل وإذا جاز التعبير مخاطر.

وبكثير من التبسيط يمكن تلمس إحساس بعض الأنظمة العربية المنتمية إلى العالم الثالث بالخوف والقلق، من خلال الملاحظات الآتية:

أولاً: إن أفغانستان دولة مسلمة والإسلام فيها له جذوره. وعندما تصل الحالة إلى أن الحزب الشيوعي يحكم دولة مسلمة فمعنى ذلك سقوط نظرية إستحالة وصول الشيوعيين إلى الحكم في دولة مسلمة متدينة. ومن قبل جرت محاولة لإسقاط هذه النظرية عندما قام الشيوعيون العسكريون في السودان بمؤازرة من الشيوعيين المدنيين وذلك عام 1971 بمحاولة إنقلابية لم يُكتب لها البقاء أكثر من 72 ساعة. ويبدو أن إنقلابي أفغانستان ومن يقف وراءهم، أي موسكو، إستفادوا من الثغرات التي رافقت محاولة إنقلاب هاشم العطا في السودان، وتمثلت الإستفادة بأن الإنقلابيين في أفغانستان إعتمدوا التخطيط أكثر وكانوا كلهم داخل البلاد ووجَّهوا منذ البداية الضربة القاضية ولم يعلنوها ماركسية على الفور. وإختاروا العنف، بل والتصفيات الدموية، لقطع الطريق على أية محاولات مضادة. كما أن موسكو نفسها إستفادت هي الأخرى من ثغرات رافقت المحاولة السودانية واجهضتها، فلم تصمت على ما حدث في كابول (عاصمة أفغانستان) كما فعلت عندما بدأت المحاولة السودانية، وإنما سارعت وإعترفت وأيدت، واضعة العالم كله أمام الأمر الواقع، قاطعة الطريق على أي محاولات مضادة، وقد تكون قبل اعلان تأييدها، أرسلت إلى كابول بضع طائرات من الخبراء والمقاتلين الذين كانوا في الأصل جاهزين للإنطلاق مثل صواريخ الفضاء، لأن المحاولة الإنقلابية ليست وليدة الصدفة وإنما هنالك إعداد مسبق لها وهي المسؤولة عن هذا الإعداد، أو المستشارة له. كذلك قد تكون هنالك بضع طائرات تُقل أعداداً من

الكوبيين وصلت إلى كابول لمجرد أن باتت الأمور تميل لمصلحة الإنقلابيين. وإستناداً إلى تجربة أثيوبيا ومن قبلها تجربة انغولا فإن الكوبيين سيثبتون أقدام من تكون أقدامه ضعيفة أو ضامرة بعض الشيء.

ثانياً: من الطبيعي أن تبدأ في أي لحظة حملات الكلام عن الوضع في أفغانستان من جانب الدول العربية التي أشرنا إليها، أي التي هي موضوعة تصنيفاً في خانة المعسكر المعادي للشيوعية. ومن الطبيعي أيضاً أن يكون محور الحملات الكلامية الخطر الذي تمثله الماركسية على الإسلام. وفي حقائب جماعات المخابرات الأميركية المنتشرة في بعض دول العالم العربي ومن الشعارات التي يمكن إطلاقها، الكثير. وهؤلاء يتقنون اساليب محاربة الشيوعية ليس من منطلق حرصهم على الإسلام، وإنما لأسباب كثيرة أصبحت معروفة.

ومن قبل شنت هذه الأنظمة حملات على الحكام الماركسيين في أثيوبيا وفي انغولا، ومع ذلك تكرر الأمر الواقع وأصبح حاكم مثل مانغستو قوياً جداً في بلاده، ويحظى - وهذا ضروري أن يعرفه معظم حكام الأنظمة العربية - بتأييد حقيقي من جانب المسلمين في أثيوبيا. ولا نعني بهؤلاء مسلمي اريتريا. وصحيح أن تأييد مسلمي أثيوبيا للنظام الماركسي في اديس ابابا له حيثيات وجيهة ذات طابع ديني سببه أسلوب التعامل الذي إعتدته الكنيسة ايام هيل سلاسي، إلا أن التأييد أحدث نوعاً من التغيير الجذري في معادلات كثيرة.

ثالثاً: إن أفغانستان جارة إيران، وإيران التي هي جارة الاتحاد السوفياتي وممثلة القوة الأميركية في المنطقة لها أطماع في منطقة الخليج العربي. ومنذ زمن طويل يحلم السوفيات بدور يمارسونه في هذه المنطقة التي خططت العسكرية الأميركية لإمكان القيام بعمليات إنزال فيها إذا حدث أن تزايدت رقعة الخطر السوفياتي، أو على الأقل تزايدت رقعة حجم الطموح السوفياتي. وفي إيران وجود ماركسي أساسي.

والمعروف عن السوفيات أنهم يعملون في ضوء خطط بعيدة المدى، أي بمعنى آخر، إنهم بدأوا التخطيط بالنسبة إلى الخليج لمجرد أن أصبح للخليج شأن. وخارطة التخطيط ليست لسنة أو سنتين، وإنما قد تكون لعشر سنين على الأقل.

وهكذا قد تكون العملية الإنقلابية في أفغانستان جزءاً من هذا المخطط البعيد المدى، خصوصاً إذا اكتشفنا بعد سنتين - في حال كُتب للإنقلابيين

الماركسيين أن يستقروا - أن أفغانستان أصبحت دولة لها شأنها العسكري الكبير. وفي إستطاعة السوفيات تحقيق ذلك في سنتين ضمن خطة تسليح وتدريب قاسية، وأن هذه الـ أفغانستان قادرة على أن تلعب في بعض الدول العربية والإسلامية الدور التي تلعبه كوبا منذ بعض الوقت.

رابعاً: إننا من باب الافتراض - وعملاً بسياسة ذكية وإستفادة من ثغرات وأخذاً في الإعتبار المشاعر والظروف الإجتماعية في المنطقة العربية والمنطقة الإسلامية - نعتقد أن الإنقلابيين الماركسيين في أفغانستان سيُظهرون المزيد من التدين، ولن يُطبّقوا الماركسية بحذافيرها وهذا تكتيك يستهدف تحقيق إستراتيجية معيّنة. وبمعنى أكثر وضوحاً سيُظهرون بمظاهر الملائكة لقطع الطريق على مَنْ سيُعتبرونهم "الشياطين الحمر". ومن باب الافتراض أيضاً سيُكتفون مجال الإهتمام الإجتماعي لزُرْع إنطباع في أذهان الناس بأن المهم هو تحسين الوضع الإجتماعي، وليس أي شيء آخر، كذلك عدم الإنشغال بالهويات السياسية. وبالنظر إلى التخلف الإجتماعي الفظيع وسوء الحالة الإقتصادية في أفغانستان والتي هي من مستوى الحالة الإقتصادية السائدة في مصر، فإن أي إهتمام بتحسين الوضع الإجتماعي من شأنه أن يعزز كثيراً، بل وكثيراً جداً مكانة الحاكم.

خامساً: الآن، وبعدما وصل الشيوعيون إلى الحكم في أفغانستان، فإن هذا البلد سيحلو كثيراً في عيون العرب الذين يخوضون حرباً حقيقية ضد الشيوعية. والإستحلاء هنا يأتي بمعنى الإهتمام. ومن قبل، لم يهتم أحد بأفغانستان ويساعدها. وبالمال الذي سيُنفق ابتداء من اليوم على محاربة النظام الماركسي الجديد، كان يمكن مساعدة أفغانستان على مواجهة ظروفها الإقتصادية والإجتماعية البالغة الصعوبة. ولكن...

وإلى ذلك، إن وصول الحزب الشيوعي إلى الحكم في أفغانستان سيحدث حالة إرباك في معظم الدول العربية والإسلامية، حيث أن الخلايا الشيوعية في هذه الدول ستتنشط وستعتبر أنها في وضع أفضل، وسيُتزايد طموحها وتُتزايد قناعاتها في إمكانية الوصول إلى الحكم والإعتماد على الإتحاد السوفياتي في ذلك. وسيحدث عن قصد أو عن غير قصد أن بعض الممارسات الحديدية ستُستأنف أو ستُعزّز على أساس أنها لم تتوقف ذات يوم، في هذه الدول على نحو ما حدث في أفغانستان.

سادساً: قبل أيام قليلة من العملية الإنقلابية كان الرئيس محمد داود خان، الذي صفاًه الإنقلابيون، في زيارة رسمية إلى مصر أعلن خلالها تأييده لمبادرة الرئيس أنور السادات التي تمثّلت بزيارته إلى إسرائيل. وكانت تلك غلطة تكتيكية منه لأن الظروف السائدة ليست ظروف تأييد مبادرة، فضلاً عن أنه بذلك وضع نفسه في موضع المحسوب على فريق دون آخر. وكأنما هذا التأييد من جانبه كان بمثابة كلمة السر التي تُعطى عادة لتنفيذ العمليات الإنقلابية.

وليس واضحاً ما الذي جعل محمد داود خان يعلن تأييده لمبادرة الرئيس السادات. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن ذلك ليس هو السبب الموجب لضربه تلك الضربة الدراماتيكية. ولكن من المؤكد أن كثيرين سيرون بعد الذي حدث أنه لا موجب لإعلان مثل هذا التأييد، أو على الأقل لا موجب للإكثار من تردادده بين الحين والآخر.

سابعاً: إن الذي حدث في أفغانستان يستوجب شيئاً، ولو قليلاً جداً، من إعادة النظر في أسلوب تعامل عدد من الدول الإسلامية والعربية مع الإتحاد السوفياتي. فليس معقولاً أن يستمر هذا العداء من جانب هذه الدول للإتحاد السوفياتي. وليس أفضل من التعامل معه بحياد مع الأخذ في الإعتبار أن شأنه ليس بسيطاً وأنه شريك في أي صيغ لحل مشاكل العالم، وبالذات مشكلة الشرق الأوسط.

والتنبه ضروري جداً، بعد الذي حدث في أفغانستان، لأنه قد يكون هنالك تخطيط من أجل تحقيق ظاهرة جديدة في العالم الإسلامي وهي ظاهرة "الشيوعية الإسلامية" تشبه في بعض أوجهها "الشيوعية الأوروبية". وإمكانية حدوث إنقلاب ماركسي في دولة إسلامية مثل أفغانستان يبدو بشكل واضح جداً كما لو أنه إختراق أولي لدولة إسلامية، أو تجربة أولى للظاهرة الممكن تحقيقها وتنشيطها وهي ظاهرة "الشيوعية الإسلامية". أي شيوعية تحترم الدين وتمارسه وقد تشجعه ويكفيها في المقابل أن يكون التوجه ماركسياً على الصعيد السياسي.

من ذلك نصل إلى أن ما حدث في كابول يبدو كما لو أنه حدث ليسمعه الذين في المنطقة العربية من المحيط إلى الخليج. وربما فُعل الحدوث هنا بهدف التخويف والترهيب.

وتكراراً، إن الذي حدث في كابول قد يكون

إنهاء المعاهدة بالطريقة التي أنهاها الرئيس السادات
البعيد قلباً وجغرافية وايدولوجية عن الإتحاد
السوفياتي.

إن أموراً كثيرة ستتكشف مع كل يوم ينقضي على
افغانستان المسلمة اليسارية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 مايو (أيار) 1978

كارتر الإسرائيلي وكارتر العربي

درج الرئيس كارتر على أن يقول للعرب الكلام الذي
يرضاهم وعلى أن يقول للإسرائيليين الكلام الذي
يرضاهم، وأصبنا بعد كل مرة يقول فيها الرئيس كارتر
كلاماً جيداً في حق العرب ننتظر الكلام الذي يقوله في
حق إسرائيل لكي لا يجعل معادلته الكلامية تهتز.

ولو أننا حصّرنا الكلام الذي قاله كارتر واعتبره
العرب من نوع الكلام الذي يرضي لوجدناه كثيراً جداً.
ولأنه كثير فإنه لم يخرج عن كونه كلاماً في كلام. ومع
أنه كلام في كلام فإن بعض الحكام العرب، وبالذات
الرئيس أنور السادات اعتبره إنجازاً عظيماً ونسج عليه
المواقف وبنى عليه الأحلام.

ولأن الرئيس الأميركي لا يمكنه أن يُصدر بياناً
ينفي فيه اعتقاد السادات واستنتاجاته، ولا أن يطلب من
مكتبه إصدار توضيحات تقيد بأن ما اعتبره السادات
موقفاً أميركياً لمصلحة العرب ضد إسرائيل ليس
صحيحاً تماماً، فإنه كان ينتهز الفرصة المناسبة ويقول
كلاماً يتضمن ما فيه الكفاية من النفي والتوضيح. هذا
مع الأخذ في الاعتبار أن كلام كارتر الذي يقوله
لتسمعه إسرائيل كان كلاماً فيه الحد الأقصى من
الصدق والعاطفة في حين أن الكلام الذي قاله ليسمعه
العرب كان كلاماً فيه الحد الأدنى من الصدق والعاطفة
والحد الأقصى من المجاملة والمسايرة.

ربما تكون سياسة الكلامين، وهي جديدة إلى حد
ما، بالنسبة لرئيس الولايات المتحدة، مبنية على أساس
أن الرئيس كارتر يحلم بدور تاريخي بعدما سبقه أسلافه
إلى ممارسة معظم الأدوار التاريخية.

وقد يغالط بعض الحكام العرب أنفسهم إذا هم
استمروا بعد الموقف الأميركي الأخير مقتنعين بأنه
يمكن الاعتماد على الولايات المتحدة دون غيرها من
أجل حل مشكلة الشرق الأوسط بالشكل الذي يرضي

الخطوة الأولى التي تم تنفيذها من رحلة الطموح
السوفياتي في منطقة الخليج العربي التي تشهد
تفاعلات ذات دلالات والتي ما زالت بعض إماراتها
تخوض مشاكل صغيرة، من دون أن يكون هنالك أي
تنبؤ إلى نوع الصراع الدولي الذي سيدور على رمال
تلك الإمارات.

وليس بالضرورة أن تكون هذه الرحلة من النوع
الذي ينطبق عليها المثل الشعبي الذي ألفنا سماعه
وهو أن رحلة الألف ميل تبدأ بالميل الأول. وقد
تكون عملية العد العكسي بدأت ولن تستغرق الرحلة
كل هذا الطول.

والقول بأن أفغانستان بعيدة لم يعد قائماً. فهي
على حدود إيران، وإيران لها اطماع في الخليج
العربي. والخليج الآن ليس ثائراً شأنه في ذلك شأن
المحيط الذي ليس هادراً. ولكن الإثنين يعيشان حالة
بالغة التعقيد من التفاعلات.

ويبقى إننا نقول ذلك معتمدين على ما أذيع ونُشر
وما يقال في بعض الأوساط عن الهوية السياسية
للإنقلاب الأفغانستاني حيث محمد داوود خان قُتل...
وحل محله نور محمد طرقي على رأس "مجلس
عسكري ثوري" يحكم "جمهورية أفغانستان
الديمقراطية". وفي اسم الإنقلابي الماركسي نور
محمد طرقي دلالات كثيرة. وسيكون امراً لافتاً جداً
أن يقال إن أفغانستان أصبحت ماركسية وإن الذي
يقودها هو "نور محمد"... كأنما الاسم مدروس بنسبة
درّس طريقة تنفيذ الإنقلاب نفسه.

يبقى أيضاً إن توقيت تنفيذ الإنقلاب اليساري في
أفغانستان مسألة من الضروري أخذها في الاعتبار،
خصوصاً بعد الذي يتردد بأن الإتحاد السوفياتي
أعطى الإشارة لتنفيذ الإنقلاب بعدما بلغه أن الرئيس
محمد داوود خان إبتعد كثيراً عن الخط المتفاهم عليه
في السابق وإقترب كثيراً من الخط الذي لا يمكن أن
يسمح للسوفييات بالإقترب منه وهو خط الدخول مع
إيران في حلف عسكري ضد الإتحاد السوفياتي ترعاه
الولايات المتحدة.

وثمة تساؤل أساسي: هل إن الإتحاد السوفياتي
سيترك النظام اليساري في أفغانستان من دون حماية
علنية، أم أن المسؤولين في الكرملين عاكفون منذ
بعض الوقت على صياغة معاهدة للصداقة والتعاون
لن تكون في أي حال من نوع المعاهدة التي عقدها
مع مصر؟ ولأن أفغانستان جارة فليس من السهل

المشاعر العربية. وإذا جاز التعبير فإن هذا الموقف مسح كل الآمال وكل الأحلام وكل الإعتقادات السائدة عند البعض، وأي تعلق بعد الآن بالولايات المتحدة، وأي اعتماد على حلولها، سيكون تعلق الفاقد قدرته على إعادة النظر في موقفه وفي أسلوب تعامله.

ولقد كنا نتوقع بعد التصريح الأخير لكارتير في صحيفة "نيويورك تايمس" وخلاصته "إنني لم أؤيد قط قيام دولة فلسطينية كما إنني لا أزال على موقفي هذا وليس في نيتي تعديل هذا الموقف. إننا لم نتخل عن إسرائيل حين قطع العرب نفطهم عام 1973 ولن نفعل هذا الآن"... كنا نتوقع بعد هذا التصريح أن يتجاوز رد الفعل المصري للبيانات التي إعتدها، فليس كافياً على الإطلاق أن يكون رد الفعل عبارة عن "إبداء القلق البالغ" أمام السفير الأميركي. ولقد كانت أمام الرئيس السادات فرصة ليقول كلاماً أساسياً في خطابه الذي ألقاه لمناسبة عيد العمال، عن الموقف الأميركي اللفظ، لكنه إنهمك في تصوير محاسن مبادرته، مبدياً إستعداده لإعادة العلاقات مع دول الصمود والتصدي شرط أن تُوقف هذه الدول حملاتها ضد المبادرة، وكأنما هنالك مشاكل بين مصر وهذه الدول لولا المبادرة التي ما زال يتمسك بها على رغم ما فعلته بمصر وبالأمّة العربية.

وبدلاً من أن يكون الخطاب مناسبة لحركة تصحيحية في الخط السياسي الخارجي فإنه طالب بحركة تصحيحية في حكومة ممدوح سالم متناسياً أن مشاكل الداخل أساسها الخط السياسي الخارجي الذي إنتهجه من معاداة الإتحاد السوفياتي إلى مبايعة الولايات المتحدة إلى المبادرة التي جاء الموقف الأميركي الأخير يلقي فوقها المزيد من الرمال، مروراً بالإنتفاخ الذي يقود البلاد نحو المزيد من التعقيدات.

إن مشاكل الداخل مرتبطة بالخط السياسي الخارجي. ومن دون تصحيح الخط الخارجي لن تكون هنالك إصلاحات في الداخل. ونعتقد أنه أن الأوان لوقف بعض الكلام الذي يقوله الرئيس السادات عندما يوجه البعض النقد إلى المبادرة التي قام بها وتمثلت بزيارته إلى إسرائيل. ونلاحظ أن العبارة التي يحرص الرئيس السادات على أن يرددها في كل مرة يوجّه فيها النقد إلى مبادرته أنه لن يقبل "أن يُشتم الشعب المصري الذي قدّم التضحيات الغالية وواجه المصاعب الاقتصادية في حين يعيش بعض العرب في رخاء". ولا نعتقد أن أحداً يشتم الشعب المصري، إلا أن الرئيس السادات يعتبر أي نقد يوجّه إلى مبادرته هو شتيمة

للشعب المصري.

وإذا كانت تصريحات الرئيس كارتير في صحيفة "نيويورك تايمس" لا تكفي لكي يصحح الرئيس السادات مسار خطه السياسي الخارجي، فإن كلمة كارتير في اليوم التالي خلال الاحتفال الذي أقيم بحضور بيغن لمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام إسرائيل، كافية لكي يعيد الرئيس السادات - إذا كان قادراً على ذلك - النظر جذرياً في موضوع مبايعة الولايات المتحدة. وهذه الكلمة تُذكّرنا بمواقف كارتير المرشح لمنصب رئيس الولايات المتحدة التي أحدثت في حينه بعض القلق، والتي بسببها تمتنت السيدة جيهان السادات وكانت في زيارة لليابان، أن يفوز فورد وليس كارتير في إنتخابات الرئاسة الأميركية. وفي حينه كان هدف المرشح جيمي كارتير من وراء التصريحات الكثيرة المؤيدة لإسرائيل هو تأمين الفوز. أما اليوم فإن كلمة الرئيس كارتير أمام بيغن وتصريحاته تبدو كما لو أنها الفاتورة التي تُدفع سلفاً من أجل تجديد الولاية.

ويحتار قارئ كلمة الرئيس كارتير في التوقف أمام عبارة لا تستفز مشاعر العرب. فكل العبارات استفزازية بل ومعادية، وتعكس حقيقة أساسية وهي أن كارتير لا يهتم سوى أمر إسرائيل. ومن هذه العبارات "من رماد اليهود الأبرياء ومن دخان حرق أجساد أطفالهم شيدت دولة إسرائيل لتكون ملجأ لليهود من الإضطهاد العالمي الذي لاحقهم في كل مكان ولمدة ألفي عام فعادوا إلى أرضهم المقدسة، إلى الوطن الذي شُردوا منه. ونحن هنا في الولايات المتحدة نعتر ونفخر بأننا أول شعب في العالم إعترف بقيام الدولة الإسرائيلية عام 1948. وها قد مضت الآن ثلاثون سنة، وهي فترة قصيرة في التاريخ ولا تكفي لتسديد ديوننا تجاه الشعب اليهودي" و"إنني أؤكد أن سياسة الولايات المتحدة كانت في الماضي وستظل في المستقبل تتذكر كفاح الشعب الإسرائيلي وتعمل على حماية الوطن الإسرائيلي بكافة المساعدات الإقتصادية والعسكرية. وسنعمل على إزالة كافة العراقيل التي تقف في وجه نمو التعاون الإقتصادي بيننا وبين إسرائيل وسنحارب كافة أنواع المقاطعة التجارية التي تستهدف عرقلة هذا التعاون الإقتصادي" و"... كما نطالب بجميع الحقوق الإنسانية للشعب الإسرائيلي وخاصة لليهود المقيمين في الإتحاد السوفياتي" و"إننا نفعل هذا كله لأننا نشعر بأنه واجب وحق للشعب اليهودي ولأن العدل والمساواة هما من أركان الدستور

الأميركي. وقد ينسى الآخرون كفاح الشعب اليهودي ولكننا هنا في الولايات المتحدة لن ننساه أبداً. ومصداقاً لذلك سأمّر في الحالة وعلى مدى ستة أشهر بإقامة نصب تذكاري للملايين من اليهود الأبرياء الذين ذهبوا ضحية لهمجية النازيين".

تلك هي بعض عبارات من كلمة الرئيس كارتر التي وصفها بيغن في رده بأنها "أجمل ما سمعته إسرائيل من أي رئيس أميركي منذ قيامها قبل ثلاثين سنة". ومن الطبيعي أن يعتبرها كذلك. فقد قال كارتر كل ما يحلم به بيغن. وكان ينقصه أن يقول - من أجل أن يقتنع الرئيس السادات وغيره من عرب أميركا - إنه سيحارب من يحارب إسرائيل، وأنه يفضل ألا يتعرض أحد من زواره الحكام العرب إلى إسرائيل بأي كلمة عندما يزورون الولايات المتحدة.

... وأخيراً، ألا يبدو الرئيس كارتر في موقفه هذا كمن يريد أن يقول لكل العرب أنا مع إسرائيل فلبطوا البحر وتجرأوا على قطع النفط إذا كنتم قادرين. ولا تزعجوننا بما تعتبرونه قضية فلسطينية أو ما تسمونه الشعب الفلسطيني.

إنه يقول ذلك ضمناً لأنه يعرف مع من يتعامل. والرد على هذا الموقف الأميركي يكون بتصحيح مسار الخط السياسي الخارجي المصري كخطوة نحو تضامن عربي حقيقي يجعل الرئيس كارتر يحسب حساباً للعرب الذين في قدرتهم أن يفعلوا الكثير. هل يصحح الرئيس السادات؟ لعل وعسى.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 مايو (أيار) 1978

بعد محاولة الإنقراض على الجسدي؟!

التغيير الوزاري المفترَض حدوثه لم يحدث في مصر. قيدت حكومة ممدوح سالم أركانها. كل الذي جرى هو أن تعديلاً طفيفاً حدث، دخل الحكومة بموجبه خمسة (4 منهم يشغلون المنصب الوزاري للمرة الأولى) وخرج منها ثلاثة ابرزهم الدكتور عبد المنعم القيسوني نائب رئيس الوزراء للشؤون الاقتصادية والتخطيط. وكان من الطبيعي ألا يستمر القيسوني في الحكومة لأن مفهومه للإنتفاخ الإقتصادي مبني على أساس علمي وليس على أساس عشوائي، ولأنه غير مقتنع بالحجة القائلة إنه إذا كان لا بد من الأخذ بآرائه فمعنى

ذلك "التسبب بأحداث 18 و19 يناير أخرى"، وهذا ما لا قدرة للحكومة على تحمّل نتائجه. وللتذكير فإن هذه الأحداث التي وقعت عام 1977 جاءت نتيجة رفع أسعار بعض السلع الجماهيرية وكادت تتسبب بحرق القاهرة، ولم تتوقف إلا بعدما تراجعت الحكومة عن قراراتها نتيجة رفض الجيش التدخل لمصلحة الحكومة. ويبدو أن الرئيس أنور السادات أجرى تحقيقاً شاملاً للوضع قبل أن يطلب في خطاب شبرا الخيمة لمناسبة عيد العمال من ممدوح سالم إجراء تغيير في الحكومة، وإرتأى إرجاء كل شيء مكتفياً بهذه الخطوة العادية، أي تعديل طفيف في الحكومة لم يشعر أحد بأهميته، ولاحتى بضرورته. الأهمية الوحيدة للتعديل هي أنه أغلق لبعض الوقت الملفات غير النظيفة التي فُتحت في الأشهر الخمسة الماضية وفاحت منها روائح غير طيبة وأكدت اشاعات سرت هنا وهناك وهناك حول الرشاوى والسرقات والإرتهاان للرأسمالية الأجنبية... وغيرها من المسائل التي أصبح أمر حسمها ضرورياً، بل وأكثر من ضروري، كي لا تحدث إنتفاضة شعبية قد تكون نتائجها مذهلة على أساس أن موقف الجيش قد يكون، لأسباب موضوعية هذه المرة، مغايراً للموقف الذي إتخذه من أحداث 18 و19 يناير 1977. وبمعنى أكثر وضوحاً إنه أزاء الأحداث الخطيرة التي وقعت في تلك الفترة لم يضرب المتظاهرين فإضطرت الحكومة للتراجع عن قراراتها، لكنه الآن في وضع نفسي مختلف قد يجعله يشكّل مع المتظاهرين أداة ضغط حقيقية.

ولقد كان واضحاً تماماً أن الحل الأمثل بالنسبة إلى الرئيس السادات هو إحداث تغيير داخلي يكون له فعل الهزة خصوصاً أن مانشيتات الصحف تتحدث يومياً عن الأمل والرخاء ورفع الرواتب والثورة الزراعية والسعي لإكتشاف الثروات من بطن الأرض المصرية.. وكل هذه الأمور استمرت لا تفيد في محاصرة الأجواء الناشئة عن الملفات الكثيرة التي فُتحت. ومن الطبيعي في مثل هذه الحالة أن يحسم الرئيس الأمر بحل جذري. أما عدم الحسم فمعناه أن هنالك إشكالات ما تحول دون الحسم، أو أن الرئيس السادات غارق في هموم الوضع الخارجي العربي والدولي ويرى أن الأولوية المطلقة في تفكيره يجب أن تعطى إلى تلك الهموم وليس إلى مشاكل الداخل.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن التغيير الوزاري المطلوب ما زال وارداً في إنتظار المجهول. وكل ما يمكن أن يحققه التعديل الطفيف الباهت الذي حدث

يوم الأحد 7 أيار (مايو) 1978 هو أنه أغلق لبعض الوقت الملفات غير النظيفة التي فُتحت.

وإذا كان التعديل المشار إليه حديثاً ليس مهماً، أو بالأحرى ليس هو الذي كان منتظراً. فإن الأمر الذي جرى على هامش هذا التعديل كان كبيراً ومهماً جداً. ونقصد بهذا الأمر ما نشرته صحيفة "أخبار اليوم" يوم السبت 6 مايو 1978 حول أن رئيس أركان الجيش المصري الفريق محمد علي فهمي مرشح ليكون وزيراً للحربية بدلاً من الفريق أول عبد الغني الجمسي.

وجاء نشر النبأ في وقت كان الجمسي يقوم بزيارة لإحدى القواعد الجوية ألقى خلالها كلمة بالغة الأهمية لأكثر من سبب وهذا ما سنوضحه بعد الفروغ من إلقاء الضوء على أهمية ما نشرته "أخبار اليوم" حول احتمال إحلال محمد علي فهمي محل الجمسي في وزارة الحربية، مع الأخذ في الاعتبار أن موقف الجمسي من التسليح الأميركي وهذا نلمسه في الكلمة التي ألقاها، قد يكون من جملة أسباب فرضت على "أخبار اليوم" دون غيرها من الصحف نشر نبأ احتمال تغيير الجمسي. ولعل رد الفعل الذي أحدثه نشر النبأ هو الذي حمل وزير الإعلام على إذاعة نفي ملطّف للنبأ وإجبار صحيفة "الأخبار" الصادرة في اليوم التالي (الأحد 7 مايو) أي يوم إعلان التشكيل الوزاري الجديد على نشره وحدها دون سائر الصحف. ومما جاء في النفي "إن كل ما نُشر حول التعديل الوزاري سابق لأوانه وبعضه غير صحيح".

والملاحظ أن صحيفة رسمية هي التي نشرت النبأ المتعلق بالجمسي. ولو أن صحيفة مثل "الأهالي" الناطقة بإسم اليسار المصري أو "الأحرار" الناطقة بإسم اليمين المصري وهما صحيفتان غير رسميتين، نشرتا النبأ لكان فهم الأمر على أنه عملية تشويش تُرافق المشاورات التي جرت لإجراء تعديل في الحكومة، لكن "أخبار اليوم" وهي العدد الأسبوعي الذي يصدر عن "الأخبار" هي التي نشرت النبأ. وهذه الصحيفة رسمية وتخضع للرقابة.

وإذا جاز الإفتراض، فإن نشر النبأ سواء كان موحى به أو نوعاً من الإجتهد الشخصي جاء بمثابة اللون إختبار للجيش والشعب معاً، وجاء - يعكس - على الأرجح - تناقضاً بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية. وربما كان منشأ هذا التناقض الوضع الذي تعيشه مصر نتيجة للبلبلّة التي أحدثها ذوبان مبادرة الرئيس السادات في بحر العسل الأميركي -

الإسرائيلي. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الفريق أول الجمسي كان حتى قبل ثلاثة أشهر يبشر في أوساط الضباط الذين يزورهم في وحداتهم بالحل السياسي للأزمة ويقول لهم ما معناه إن الحل جاهز ولا ينتظر سوى الإعلان عنه وإن ما تنشره الصحف من أنباء حول خلافات بين الأطراف المعنية ليس أكثر من "كلام جرايد"، أي أنها ليست صحيحة. وقد يكون الجمسي إستند في كلامه هذا إلى ما سمعه من القيادة السياسية وإلى الجو الدولي الذي كان سائداً والذي كان يوحى بالفعل بأن هناك أملاً كبيراً في إيجاد حل للصراع العربي - الإسرائيلي. والجمسي من نوع القيادات العسكرية التي تثق كل الثقة بما تسمعه من القيادات السياسية، ولعله من أجل ذلك بَشّر في أوساط الضباط بالحل الآتي حتماً على الطريق معتبراً أن ما تنشره الصحف ليس أكثر من "كلام جرايد".

وهنا من الضروري الإشارة إلى موقف له دلالاته بالنسبة إلى الفريق الجمسي إتخذه بعد مبادرة الرئيس السادات وتمثّل في رفضه الذهاب إلى إسرائيل مفضلاً أن تجتمع اللجنة العسكرية التي إتفق عليها بين السادات وبيغن، في مصر وليس في إسرائيل. ولكن هذه اللجنة كانت في الواقع سياسية أكثر منها عسكرية وإجتمع الرئيس السادات بوزير الدفاع الإسرائيلي وايزمان أكثر من مرة وبحث معه أموراً ذات بُعد سياسي، في حين أن طبيعة اللجنة تفرض أن تتم الإجتماعات بين وزير الحربية ووزير الدفاع الإسرائيلي. وثمة تساؤل أساسي: هل إن القصد من نشر نبأ احتمال إحلال رئيس الأركان المصري الفريق محمد علي فهمي محل الفريق أول عبد الغني الجمسي في وزارة الحربية هدفه إحداث موقف جديد يتسم بالحد الأدنى من الإنسجام بين القائدين المتميزين الباقيين من قادة حرب أكتوبر 1973، قبل خمسة أشهر من حلول الذكرى الخامسة للحرب؟

ومن الطبيعي عند نشر نبأ من هذا النوع أن يتبدل أسلوب التعامل بين القائدين، ذلك أنه على رغم أنهما عسكريان، وللعسكريين عادة أخلاقية إنضباطية، إلا أن العسكري بشر في النهاية. وإلى ذلك إن موقف الضباط المرؤسين قد يطرأ عليه جديد فيصبح توددياً تجاه رئيس الأركان على أساس أنه وزير الحربية المقبل، ولا يستمر توددياً مع الفريق أول الجمسي على أساس أنه الوزير الممكن إنهاء خدمته، أو الوزير المرشح للإستبدال بشخص آخر.

واللافت للانتباه أن نبأ "أخبار اليوم" حول الجسمي تجاوز كل الإعتبارات ومنها أن وزير الحربية ليس عادياً وإنما هو العقل العسكري المضىء لحرب أكتوبر 1973، ومثل هكذا وزير لا يعامل معاملة عادية، وإنما تكون المعاملة بنسبة الدور الكبير الذي قام به خلال الحرب. فهو مهندس الحرب وبفضل الأسلوب الذي إتبعه أمكن تحقيق نتائج جيدة، فضلاً عن أنه ليس هنالك مواطن في مصر يشكو من الجيش، بل العكس هو إلى حد ما صحيح، حيث أن داخل الجيش المصري حالة تذمر من مسلكية ما يحدث في أوساط الجبهة المدنية، وبالذات في أوساط المتاجرين بحرب 1973 والمستفيدين من نتائجها.

صحيح أن ظللاً أُلقيت على الجسمي بعدما وقّع إتفاق الكيلو 101، إلا أن الرجل إستطاع أن يقود ببراعة أخطر مرحلة عاشها الجيش المصري وهي حالة اللاحرب واللاسلم المتجددة الناشئة عن إتفاقات الفصل بين القوات، وهي حالة بالغة الحساسية حيث أنها تأتي في أعقاب إنتصار نسبي حققه الجيش المصري في حرب 1973 والتي نتيجة للأجواء التي خلقتها كانت المحرك الأساسي لإقدام الرئيس السادات على تنفيذ قرار الحرب.

ومن الطبيعي الإفتراض أنه نتيجة لتلك الظلال بات من السهل على صحيفة مثل "أخبار اليوم" أن تنتشر ببساطة أن الجسمي قد لا يُشركه ممدوح سالم في الحكومة ويختار بدلاً منه الفريق محمد علي فهمي الذي قد يحدث له مستقبلاً ما حدث للجسمي، ذلك أنه إذا كان الجسمي هو الذي وقّع إتفاق الكيلو 101، فإن فهمي هو الذي وقّع إتفاق الاسكندرية أي إتفاق الفصل الثاني للقوات وبحضور ذلك العرّاب الشرير هنري كيسنجر.

نأتي الآن إلى نقطة أساسية وهي المتعلقة بالتصريحات التي أدلى بها الجسمي أمام الطيارين المصريين خلال الزيارة التي قام بها إلى إحدى القواعد الجوية يوم 6 مايو 1978 أي في اليوم الذي نشرت فيه "أخبار اليوم" نبأ إحتمال تغييره كوزير للحربية. فقد تكون هذه التصريحات خلاصة موقف إتخذه الجسمي منذ فترة، وهو موقف رأت فيه "أخبار اليوم" فرصة لإنهاء الرجل في شكل أو آخر، مع الأخذ في الإعتبار أن عالم التسليح والسلاح تمتزج فيه التجارة بالمتاجرة وبالسياسة. كيف؟

إن الرئيس السادات أعطى إنطباعاته بأنه حقق إنجازاً عظيماً لأنه حصل من الولايات المتحدة على طائرات من نوع ف - 5، لكن الجسمي على ما يبدو لم يعتبر ذلك إنجازاً. وإستمر هذا المخاض إلى أن زار الجسمي القاعدة الجوية وقال كلاماً ليس من النوع الذي يُنشر عادة، ولكنه نُشر. ومما قاله إن طائرات الميراج "هي عصب قواتنا الجوية وطائرات القتال الرئيسية حالياً ومستقبلاً"، وقال أيضاً: "إن حصولنا على المقاتلات الأميركية ف - 5 يجيء لإستبدالها بالمقاتلات السوفياتية من طراز ميج 17". ونلاحظ أن صحيفة "الأخبار" لم تُبرز في العنوان هذه الناحية مكتفية فقط بالتركيز على "أن الميراج ستظل الطائرة الرئيسية لقواتنا الجوية" وعلى قوله أيضاً "لدينا الكوادر لتشغيل الأسلحة الحديثة". ومثل هذا التركيز له حتماً أسبابه ودلالاته.

ونلاحظ أيضاً في التصريحات التي أدلى بها الجسمي أن له موقفاً جديداً من موضوع الحل السلمي. فهو درج في الماضي على أن يقول للضباط ما سبق وذكرناه من أن الحل جاهز ولا ينتظر سوى الإعلان عنه وأن ما تنشره الصحف من أنباء حول خلافات بين الأطراف المعنية ليس أكثر من "كلام جرايد" لكنه في تصريحاته الجديدة أمام ضباط السلاح الجوي الذين زارهم في إحدى القواعد قال بالحرف: "ليس هناك جديد حالياً في جهود السلام وأن عملية السلام تأخذ وقتها وسوف تتضح الأمور في نهاية العام الحالي ولذلك ينبغي على القوات المسلحة الإستمرار في التدريب وبذل الجهد لأنها هي السند الحقيقي ولأنه ليس لدينا عمل آخر غير التدريب والإستعداد".

ومثل هذا الكلام ليس منسجماً تماماً مع الموقف الذي تتخذه القيادة السياسية، بل إن هذا الكلام لم يكن لينشر لو أن الظروف عادية داخل الجيش.

وإلى ذلك إن هذا الكلام قد يكون واحداً من جملة أسباب دفعت الرئيس السادات إلى أن يقول هو الآخر في مقابلة مع صحيفة "نيويورك تايمز" يوم الجمعة 12 مايو 1978 كلاماً جديداً درج في الشهرين الماضيين على أن يقول عكسه تماماً. وهذا الكلام هو "إن حرب أكتوبر لن تكون آخر الحروب إذا لم تساهم إسرائيل في مسؤولية إقرار السلام". وفي الشهرين الماضيين كان الرئيس السادات يكرر في إستمرار عبارة قالها عندما زار إسرائيل وخلصتها إنه لا حرب بعد الآن. إن أموراً كثيرة تتفاعل في مصر داخل الجبهتين

العسكرية والمدنية. ومن هذه التفاعلات أنه بدل أن يحدث تغيير بالنسبة إلى الحكومة حدث تعديل طفيف. ومن هذه التفاعلات أيضاً أن محاولة جرت لهز صورة الفريق أول الجسمي في أذهان المصريين مدنيين وعسكريين. وهي محاولة جديدة في دنيا التعامل المصري بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية. وعملياً إن العسكريين احبطوا المحاولة حيث أن الجسمي بقي في موقعه.

ويبقى أننا نكتب ذلك مفترضين أن الحادثة التي وقعت في الكلية الحربية قبل فترة قصيرة من نشر نبأ احتمال تغيير الجسمي هي مجرد إشاعة. وقد أفادت الإشاعة حيث أن الحادثة كانت من النوع الذي يحتم تغيير وزير الحربية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 مايو (أيار) 1978

* * *

قبل فوات الأوان

في ضوء نتائج جولته العربية الأولى نجد أنفسنا نتوقع أن تصبح رحلات الرئيس جعفر نميري مكوكية من نوع الرحلات التي إشتهر بها وزير الخارجية الأميركية السابق هنري كيسنجر. وعلى رغم أن لدى الرئيس نميري من المشاغل الداخلية ما يكفيه، إلا أنه لن يتأفف ولن يتوانى. وقد يعتبر رحلاته المكوكية إلى الدول العربية من نوع الرحلات الكثيرة الدائمة التي يقوم بها إلى المناطق السودانية.

ويبدو أن الرئيس نميري لم يفاجأ بالنتائج الأولية لجولته. ومن المؤكد أنه عندما غادر الخرطوم ليبدأ جولته لم يكن يفترض أنه سيحقق المعجزة من البداية. فهو أدري بحقائق الوضع العربي وهو لا بد يشعر بمرارة هذه الحقائق. ولقد تصرف بلباقة عندما لم يُكثر من التصريحات التي تنتشر التفاؤل وهي من خصائل الذين يقومون عادة بالمهام التوفيقية. وكان من شأن تصريح تفاؤلي له أن يحدث نوعاً من الإطمئنان في نفوس الناس يقلل بعض الشيء من كابوس التيه الذي تعيش فيه الأمة. لكن ما فائدة التصريح التفاؤلي إذا لم يكن مبنياً على أسس، أو إذا كانت ستتلوه صدمات، صدمة تلو أخرى.

ولقد لمس الرئيس نميري لمس اليد حقيقة المأزق العربي، وسمع من الحكام الذين زارهم الكلام الذي لا

نقرأه عادة في صحف هؤلاء الحكام أو نسمعه من إذاعاتهم. ولذا فإن مهمته الآن أصبحت أكثر سهولة من ذي قبل. أصبحت أكثر سهولة بمعنى أنه سمع، هذا إذا كان أزال من أذهان الذين عقد المحادثات الطويلة معهم الإنطباع السائد بأنه مع فريق ضد آخر، أو بالتحديد إنه مع الرئيس السادات وليس مع الآخرين. وهذا سببه الموقف العاطفي الذي إتخذه الرئيس نميري عندما زار القاهرة في اليوم الثاني لعودة الرئيس السادات من إسرائيل وبارك له زيارته ومبادرته، وجاء ذلك انسجاماً مع مصر سلماً وحرباً. ولكن هذا الخط لم يعد على الصلابة التي كان عليها في الماضي وحدث فيه تغيير جذري.

ومن المؤكد لو أن الرئيس نميري عندما زار القاهرة أوضح أنه جاء ليستطلع من الرئيس السادات ظروف زيارته إلى إسرائيل والنتائج التي عاد بها من دون أن يؤيد الزيارة، لكانت مهمته الآن كموفق أقل مشقة، ولربما كان سيختصر وقتاً كثيراً ورحلات مكوكية سيقوم بها. أما وقد حدث الذي حدث فماذا يستطيع أن يفعل الآن.

إنه بعد عودته من الجولة الأولى سينهمك بعض الشيء في تتويج المرحلة المتقدمة من المصالحة الوطنية، وهو إنجاز ضخم على صعيد الداخل من شأنه أن يجعل الذكرى التاسعة لثورة 25 مايو التي ستحل بعد أيام أفضل ذكرى. وهو سيستأنف جولته وسيسمع من الذين في يدهم المفاتيح الكثيرة لحلحلة الموقف كلاماً أساسياً، خصوصاً أن كبير هؤلاء وهو الملك خالد سيكون عائداً من محادثات بالغة الأهمية مع الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان الذي قد يمارس هذه المرة - إذا جاز التعبير - دور ناقل الهموم والتحذيرات العربية إلى الرئيس كارتر الذي سيجتمع به في واشنطن أواخر الشهر.

وبعد ذلك من الطبيعي أن يرفع الرئيس نميري قليلاً درجة تحرّكه ويعيد النظر قليلاً في نوعية أسلوب التوفيق الذي يعتمده. فإذا كان الرئيس السادات يرفض إعلان فشل مبادرته، ويرفض الآخرون السير في أية مساعٍ للتضامن قبل أن يعلن الرئيس السادات الفشل، فمعنى ذلك أن الوضع سيبقى يراوح مكانه، ولذا قد يكون المخرج لذلك هو أن يتولى الرئيس نميري شخصياً نيابة عن الرئيس السادات إعلان فشل المبادرة، كأن يقول بعد لقاء مع الرئيس السادات في القاهرة وفي سياق كلام حول كل شيء ما معناه إنه لمس من

شخصياً وآخرها ما قاله في خطابه الأخير لمناسبة ضربه جماعة علي صبري.

وإذا كان في زيارته المباحثة لإسرائيل خسر كثيراً فإنه في زيارة يقوم بها إلى العرب سيبرح كثيراً. وقد يجد أن الذين سيزورهم لن يحاسبوه على ما حدث وإنما قد يحسبون معه ما يجب ان يكون عليه الموقف العربي مستقبلاً.

أما أن يمارس الشجاعة في زيارة يقوم بها إلى إسرائيل، ولا يمارسها في جولة يقوم بها على كل الذين وقفوا معه بالسلح والمال، فتلك مسألة تدعو إلى الحيرة والاستغراب.

إن الوضع العربي عموماً لا يحتمل أي تسويق أو تأجيل، ولا يحتمل أيضاً الرحلات المكوكية التي قد يكتب على الرئيس نميري القيام بها. والحل في خطوة يقدم عليها الرئيس السادات، أو ينبب عنه الرئيس نميري في الإقدام عليها. والمهم أن يحدث ذلك قبل فوات الأوان.

وعندما نقول قبل فوات الأوان، فإننا نقصد بذلك أن الأمور في مصر وربما في المنطقة العربية ستسير من سيء إلى أسوأ.

وكان يمكن الرئيس السادات أن يواصل هذا التصلب لو أن الضجيج الذي أحدثته المبادرة ما زال قائماً. لكننا نلاحظ أن كل شيء هداً. كما نلاحظ أن الموجة العارمة من التأييد الشعبي المصري للمبادرة إنحسرت. ومن المؤكد أنه إذا هو أجرى إستفتاءً شعبياً الآن داخل مصر - وهو الشغوف جداً بالإستفتاءات الشعبية - لوجد أن نتيجة الإستفتاء لن تكون في مصلحة المبادرة. وحتى الكلام الذي تنشره الصحافة المصرية حول أهمية المبادرة منذ بعض الوقت لم يعد مؤثراً. لقد وقف المصريون في أكثريتهم إلى جانبه في موضوع المبادرة نتيجة ظروف نفسية، وهم الآن ضد المبادرة نتيجة ظروف نفسية أيضاً. ومن أجل ذلك، وتكراراً، لا بد من خطوة قبل فوات الأوان (*).

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 مايو (أيار) 1978

لجمع الصف العربي الذي مرّقه السادات للمرة الأولى شرّ تمزيق وكيف يفكر أهل القرار عند خروج أحدهم على القضية

الرئيس السادات شعوراً بعدم جدوى الإستمرار في المبادرة، ولمس أيضاً إيماناً بأن الحل هو في التضامن العربي وعودة روح التعاون إلى ما كانت عليه.

وإذا أعلن الرئيس نميري ذلك ولم يُدل الرئيس السادات بما يدحضه فإن الموقف سيتحلل وسيصبح في إستطاعة الرئيس السادات أن يزور ويزار من جانب الحكام العرب لا أن يبقى على هذا الوضع الذي هو عليه الآن.

ومن الطبيعي أن مثل هذا الأمر لن يحدث إلا بعد تفاهم مزدوج، تفاهم بين الرئيس نميري والرئيس السادات من جهة وتفاهم بين الرئيس السادات والحكام الآخرين من جهة أخرى، فتلك صيغة توفيقية لا يجب أن تعتمد على المباحثة.

ومن حق الرئيس نميري أن يطلب ذلك من الرئيس السادات لأنه أعطاه ما لم يعطه الآخرون، ولأن الرئيس نميري في تحركه التوفيقية يأخذ في الإعتبار قبل أي شيء مصلحة مصر وظروفها، ويعرف تماماً أن الخلاص لنظام الرئيس السادات هو في العودة إلى التضامن العربي الذي إستفاد منه الرئيس السادات مالياً وعسكرياً أكثر من أية إستفادات أخرى، بما فيها صفقة الطائرات الأميركية وبعض سيارات النقل وسيارات الجيب.

ومن الطبيعي الإفتراض أن الوضع الذي آلت إليه مصر هو الذي جعل الرئيس نميري يلبي وبإندفاع مهمة التوفيق التي أسندت إليه.

وإذا كان هذا التخرج المدروس للخروج من المأزق يبدو مفتعلاً، فإن في إستطاعة الرئيس السادات أن يوفر كل هذا العناء ويركب طائرته ويقوم بجولة تشمل جميع العرب من المحيط إلى الخليج ومن دون إستثناء. وإذا كان من قبل ركب طائرته وتوجه إلى إسرائيل، فإن توجهه إلى جميع العرب يبدو أقل إستغراباً من جانب الناس مصريين وغير مصريين لأن الجميع سينظرون إليه على أنه قيام بالواجب وبروح من المسؤولية.

وقياساً بالظروف الداخلية التي تعيشها مصر فإن المطلوب خطوة سريعة تأتي رداً مناسباً على كل الخطوات المتسارعة التي حدثت في الماضي. وعندما نشير إلى الظروف الداخلية نأخذ في الإعتبار ما يُنشر في صحافة مصر رسمية ومعارضة وما يقوله الرئيس السادات

(*) لإستكمال نتائج وتداعيات ما إنتهت إليه جولة الرئيس جعفر نميري يُستحسن مراجعة كتاب فؤاد مطر المعنون "التضامن العربي ذلك المستحيل" (محاضر ووثائق لقاءات رسمية على مستوى القمة - خفايا محاولة يتيمة

الدور الآخر للسودان!

عداوات من النوع القاسي. وقادت العملية الانقلابية إلى ظروف ما كان السودان ليتمنى حدوثها ونشأت تعقيدات عانى منها السودانيون كثيراً.

وصحيح أنه لم يكتب للعملية الانقلابية أن تتجح وأن تصمد، ولكنها كانت ضرورية لأنها أزلت بما لا يقبل المناقشة الإنطباع الذي ساد عند كثيرين في الداخل والخارج بأن الثورة السودانية ثورة شيوعية وأن قائد هذه الثورة جعفر نميري شيوعي... وأن وأن، إلى آخر هذه الافتراضات.

وكما أن علاقات السودان بالداخل والخارج في السنتين الأولى والثانية للثورة لم تكن متوازنة لأن الغرب والدول العربية المحافظة إعتبرت الحُكم الذي بدأ في السودان يوم 25 مايو 1969 حُكماً شيعياً، فإن العلاقات إستمرت بعد المرحلة المفجعة غير متوازنة مع الإتحاد السوفياتي وبعض دول أوروبا الشرقية التي سارعت كرد فعل فوري إلى إتهام السودان بأنه أصبح يدور في فلك أميركا والإمبريالية وغيرها من التهم التي يحويها "القاموس الأوروبي الشرقي".

وقد واجه الرئيس نميري الموقف بمشقة لكنه صمد إلى النهاية وساعده على ذلك أن علاقات كثيرة بالدول العربية والدول الأوروبية والولايات المتحدة سويت وتبعت ذلك حوارات من النوع المجدي.

المرحلة الثالثة: هذه المرحلة يمكن إعتبارها مرحلة وضُع الأمور في نصابها وإعادة ترتيب الأوراق بأسلوب هادئ وواع ومسؤول، من أجل خلق أجواء من الثقة والإستقرار. وفي هذه المرحلة وبعدما تزايدت الثقة بالنظام تحقّق إتفاق الجنوب عام 1972 وتوقفت الحرب الأهلية التي إستنزفت الكثير من خيرات الوطن الذي عادت إليه وحدته بعدما كان هنالك نوع من الرهان على أن الجنوب لا محالة سينفصل عن الشمال. ولقد أثبت الجنوبيون أنهم على درجة كبيرة من الوعي والتبصر والولاء للوطن. وبعدما كانوا أسرى قوى دولية وصراعات تستغل فيهم بعض نقاط الضعف، ومنها مسألة التمييز الذي يمارس عليهم، أصبحوا ضمن عملية تمازج مثالية قوى لها فعاليتها تشارك في الحكم وتحمل السلاح للدفاع عن الوطن الموحد.

ومن الطبيعي أن إتفاق الجنوب ما كان ليتم لولا الثقة المتبادلة ولولا القناعات ولولا الرغبة الأكيدة من جانب كل الأطراف بوضع حد لحالة الإستنزاف التي كانت ستقضي على كل شيء في حال إستمرارها. وفي هذه المرحلة أيضاً سويت العلاقات بشكل جيد

ما الذي يمكن أن يقال في الذكرى التاسعة لثورة 25 مايو 1969 التي حلت قبل يومين؟

إن الأمر الذي لا جدال فيه هو أن الرئيس جعفر نميري إستطاع خلال ثماني سنوات من المعاناة والتحديات والتفاعلات أن يحقق بداية وحدة وطنية وهذا ليس بسيطاً بالنسبة إلى السودان الذي يبدو كما لو أنه شبه قارة، والذي إشتهر في تاريخه بأنه بلد التصادمات الفكرية والمعتقدات المتشعبة.

وإذا جاز التحديد فإن الثورة إجتازت أربع مراحل بالغة الأهمية، وأمامها إجتياز المرحلة الخامسة التي في حال اجتيازها ستتقل السودان إلى وضع جديد مهم ومؤثر.

ويمكن تسجيل هذه المراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: هذه المرحلة التي إستغرقت سنتين كانت مرحلة التجارب العنيفة. ومن أجل ذلك كان التعاون إلى أقصى الحدود مع القوى التقدمية، وبالذات مع الحزب الشيوعي السوداني. ولم يحدث في تاريخ السودان، بل وفي تاريخ المنطقة العربية أن وصل الشيوعيون إلى ما وصلوا إليه في هاتين السنتين. كانوا في الإعلام وفي الجيش. بل إن قوى الأمن الداخلي كانت في معظمها منهم، أو على الأقل تحت إشرافهم. ولم تنتبه "ثورة مايو" إلى المحاذير الداخلية والعربية والدولية التي نشأت عن ذلك، لكن التنبه حدث بعد أن تحولت المحاذير إلى نوع من العداوات الحقيقية بين الثورة والآخرين. عداوات في الداخل. وعداوات مع الخارج.

ولكن التجربة كانت مفيدة لأنها أجابت عن تساؤلات كثيرة. ولولا إشتراك الشيوعيين وبالشكل الذي إشتراكوا فيه والإنتشار الذي إنتشروه، لكانت تلك التساؤلات استمرت قائمة وعائمة لا جواب عنها.

المرحلة الثانية: هذه المرحلة يمكن إعتبارها المرحلة المفجعة ذلك أن الحزب الشيوعي بدأ مع أواخر المرحلة الثانية يتصرف على أساس أنه ما دام شريكاً في نصف السلطة أو في ثلثها، فلماذا لا يحسم الأمر ويستولي على كل السلطة. وقد يكون مدنيو الحزب شجعوا عسكري الحزب على هذه الفكرة، أو أن الطرفين وجدا أن الظروف مؤاتية لتحقيق ضربة قاضية. وأياً كانت المعطيات فإن الشيوعيين نفذوا عملية إنقلابية مفجعة سال فيها دم كثير وأهدرت كرامات كثيرة ونشأت

مع المملكة العربية السعودية التي اطمأنت إلى أن عمقها ليس شيوعياً ولا يشكل خطراً عليها، وتم التوصل إلى إتفاق حقيقي لمشكلة الحدود مع أثيوبيا وهي مشكلة إستمرت تتفاعل حوالى مئة سنة.

وفي هذه المرحلة بدأ العمل من أجل التنمية التي أصبحت أساسية وهاجساً بالنسبة إلى النظام. كذلك تم في هذه المرحلة وضع الدستور ونشأت المؤسسات الدستورية وقام الإتحاد الإشتراكي كتتنظيم واحد في قدرته أن يستوعب كل الإتجاهات وأن تناقش داخل قاعات مقره وفروع المقر الرئيسي كل الأفكار .

المرحلة الرابعة: هذه المرحلة يمكن تسميتها مرحلة التيه. وقد بدأت في العام 1975 وحفلت بصراعات داخل النظام من جهة وبين النظام والقوى المناوئة له والتي اختارت الخارج ومناطق على الحدود ساحة لحروب كثيرة شنتها ضد النظام في محاولة لإسقاطه. وكان لهذه المعارك وللمحاولات الإنقلابية التي حدثت ولم يُكتب لها النجاح، الأثر الكبير على مسألة التنمية وعلى صورة السودان في الخارج. خطط التنمية إهترت ولم تعد على اندفاعها. وصورة السودان في الخارج بدأت غير مشجعة، وأنه بلد قلائل لا إستقرار فيه. وحتى في الداخل، حدث نوع من الخلل في أجهزة الحكم ترك بصماته على مسار العمل التنظيمي والسياسي.

ولقد سال في مرحلة التيه دم كثير وتبدل تماماً أسلوب الحوار الذي يمتاز به السودانيون الذين إشتهر عنهم أنهم يتخاصمون في النهار ويتصالحون عندما يجتمعون ليلاً. إنهم كانوا أصحاب أقصر الخصومات وأسرع المصالحات، لكن الأمور تبدلت في مرحلة التيه، بل إن الصورة انقلبت فصاروا وكأنهم غير سودانيين.

وفي مرحلة التيه قيل كلام كثير وبرزت في الأفق السوداني أنواع غير مألوفة من الإتهامات، وأصبح الموقف لا يطاق، وكان لا بد من صحوه ما. ولقد حدثت، ومنها بدأت الإنطلاقة الجديدة للمرحلة التي يعيشها السودان.

المرحلة الخامسة: وهي مرحلة الوفاق التي يعيشها السودان منذ سنة وما زال. فقد وضع الجميع خصوماتهم جانباً وقرروا بعد تفاوض كان في بعض مراحلها شاقاً لكنه تم على أرضية ديمقراطية، أن يتعايشوا تحت مظلة واحدة. وعندما نقول الوفاق لا نعني بذلك أن التناقضات زالت، ولا نفترض أن الخلافات ذابت، وإنما نقصد أن القناعة أصبحت متوافرة لدى الجميع بالإستمرار في تجربة التنظيم الواحد

على أساس أن الوحدة الوطنية تستطيع أن تنمو في ظلها شرط أن يمارس دوره في أجواء من الديمقراطية المسؤولة التي تأخذ في الإعتبار تعزيز الوحدة الوطنية بعدما تعززت وحدة الوطن.

ويحدث مصادفة أن السودان يعاني في مرحلة الوفاق أكثر أزماته الإقتصادية خطورة. وفي الماضي حدثت أزمات إقتصادية لم تكن تعالج بالأسلوب الذي يقتلع الأزمة من جذورها نتيجة أسباب كثيرة، لكن الإستقرار وتثبيت الوحدة الوطنية كفيلاً بعض الشيء بمعالجة التآزم الإقتصادي المتراكم خصوصاً أن الديون فضلاً عن العجز في ميزان المدفوعات وصلت إلى حوالى بليون دولار، وهو رقم لا قدرة للسودان على معالجته إلاً بمعجزة، علماً بأن الجزء الأكبر من هذه الديون أنفق في مشاريع تدخل في نطاق خطة التنمية، وهي مشاريع ستصبح خلال ثلاث سنوات انتاجية. وفي قدرة المواطن أن ينتظر لأنه صبور عادة، لكن المزيد من الثقة بين النظام والمواطن ضروري إلى حد كبير.

وقد تكون المعجزة التي أشرنا إليها هي استخراج النفط. وحتى الآن هناك مؤشرات إلى وجود النفط في السودان، بل إن هنالك من يؤكد أن كل شيء بات جاهزاً للإعلان عن وجود النفط والبدء في استخراجه. وصحيح أن استخراج النفط في السودان سيكون أمراً مثيراً للغاية إلاً أنه من الضروري جداً ألاً يصبح هو الأمل وهو الرجاء. كذلك من الضروري ألاً يُخرج السودانيون عن مسلكيتهم. ونعتقد أن ما حدث مع الشعب البريطاني يمكن إعتباره امثولة. فقد إكتشف النفط في بريطانيا وفي الوقت نفسه فرضت الدولة قيوداً على الإنفاق وعلى المثرّيات. ولم يتضايق الإنكليز.

وكان التنقيب عن النفط في السودان بدأ في مناطق على البحر الأحمر وبدلاً من إكتشاف النفط تم العثور على كميات لا بأس بها من الغاز الطبيعي، وانتقلت الشركة نفسها الباحثة عن النفط وهي "شيفرون". ستاندر اويل اوف كاليفورنيا" إلى مناطق في الداخل ويبدو أن النتائج كانت مشجعة. ويقال إن الشركة متأكدة من أن النفط موجود في مديرية اعالي النيل إحدى مديريات جنوب السودان وأن مدير الشركة ومديرها التجاري وصلاً قبل أيام إلى الخرطوم. والمعتقد أنهما ما كانا ليحضرا لو لم تكن هنالك معلومات مشجعة حول وجود النفط. بل وقيل إن الرئيس نميري استقدمهما ليعلن في حضورهما أنباء سارة حول إكتشاف النفط في البلاد. وفي الوقت الحاضر يستورد السودان النفط من

وسيكبر أكثر وأكثر بعد المصالحة الوطنية وبعد إكتشاف النفط وبعد القمة الأفريقية التي ستعقد خلال يوليو المقبل في الخرطوم وسيترأس إجتماعاتها الرئيس نميري الذي يقف في الذكرى التاسعة على أرض صلبة مؤيداً حتى من الذين رفعوا في الماضي السلاح ضد حُكمه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 أيار (مايو) 1978

التصنيع المدروس

قبل أيام عُقد في مدينة جدة مؤتمر غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية، وإتخذ توصيات عدة تستوقفنا منها واحدة تطالب بضرورة التنسيق بالنسبة إلى الصناعات التي سيتم إنشاؤها مستقبلاً.

وتأتي هذه التوصية في وقت يحدث في المنطقة العربية نوع من السباق في موضوع التصنيع. كل دولة تسعى إلى انشاء المصانع. والدولة التي ليس عندها المال تبحث عن القروض لإنشائها.

والتوجه نحو الصناعة في غاية الأهمية لأنها تقينا مخاطر الوقوع إلى ما لا نهاية في أسر الدول الأجنبية. والإستعمار الإقتصادي مثل الإستعمار السياسي، بل وأكثر فظاعة. وتديلاً على ذلك فإن الإستعمار السياسي تلاشى في المنطقة العربية، في حين أن الإستعمار الإقتصادي ما زال قائماً، وبالذات في بعض الدول التي كانت تخشى التصنيع على أساس أنه يخلق طبقة من العمال، ومشاكل هذه الطبقة عندما تبدأ لا تنتهي بسهولة.

ولعل جمال عبد الناصر، رائد التصنيع في العالم العربي الحديث كان يعي تماماً خطورة الإستعمار الإقتصادي عندما قرر أن يحول مصر من دولة زراعية إلى دولة صناعية. ولكن سياسة التصنيع المصرية لم تكن مدروسة بما فيه الكفاية، فحدث نوع من الخلل استغل من جانب الكثيرين للطعن في ما فعله عبدالناصر.

وهناك الآن في معظم الدول العربية توجه مندفع نحو التصنيع. ولكي لا يحدث في المستقبل أي خلل، لا بد من التنسيق، بمعنى أن لا تنشئ دولة عربية ما مصانع تكون دولة أخرى سبقتها في ذلك، أو تكون دولة ثالثة تنفذ في الوقت نفسه خطة تصنيع تتضمن

العراق والكويت عبر مصفاة بورسودان. ويراجح الإستهلاك بين نصف مليون ومليون طن سنوياً. وإذا افترضنا أن الإستهلاك في الفترة المقبلة سيضاعف فإن كمية النفط المتوقع استخراجها ستكفي للإستهلاك والتصدير إلى دول مجاورة مثل أثيوبيا وكينيا ويوغندا وزائير وأفريقيا الوسطى. وهذه الدول احتياجاتها من النفط محدودة ومن شأن الفائض عن الإستهلاك الداخلي في السودان أن يليها حاجتها.

وإذا حدث بالفعل وتبين أن النفط موجود في السودان فإنه لا خوف من أن يُفسد إكتشافه حياة الناس. فإحتياجات السودان كثيرة ويمكن الإستفادة من عوائد الكميات التي سيتم تصديرها في شق الطرقات وتحسين المشاريع وبناء المدارس والمستشفيات. والأهم من ذلك إن الذهب الأسود في حال إكتشافه سيعوض السودان ثروته التي لم تعد أساسية من الذهب الأبيض، أي القطن، ذلك أن القطن الذي كان المصدر الأساسي للسودان لم يعد على الأهمية التي كان عليها أيام زمان، وذلك نتيجة أزمة صناعة النسيج في العالم وهي أزمة تزداد خطورة يوماً بعد آخر، نتيجة إعتتماد المصانع على النايلون. ونلاحظ أن الألبسة القطنية باتت أقل الألبسة إنتشاراً في عالم الملابس. وقد يأتي يوم يجد السودان نفسه مضطراً لتصنيع قطنه في مصانع محلية لسد احتياجات المواطنين.

ومن الطبيعي التساؤل: هل من شأن العثور على النفط في جنوب السودان أن يُشعر الجنوبيين الذين يعيشون في ظل الحكم الذاتي بحنين إلى الانفصال يشجعهم على ذلك انهم ليسوا كالسابق فقراء وإنما هم ارض الثروة الجديدة؟

والجواب عن ذلك هو أن المشكلة الملحة للجنوبيين منذ حصولهم على الحكم الذاتي هي إحساسهم بأن الشمال لا ينفق عليهم، وحجة الشمال أن إمكانات البلد محدودة. وإكتشاف النفط من شأنه أن يؤمن الانفاق على الشمال والجنوب معاً، مع الأخذ في الإعتبار أن مشاعر الأكثرية الجنوبية مشاعر ليست وحدوية.

قد يكون الحديث طال كثيراً حول السودان، ولكنه حديث يبدو ضرورياً بالنظر إلى أن ما حدث فيه لم يحدث في أي دولة عربية من المحيط إلى الخليج. وما حدث كان مؤلماً بل ومفجعاً. وكان أيضاً ريادياً، خصوصاً بالنسبة إلى الوحدة الوطنية التي تحققت بشكل جيد، بعد وحدة الوطن.

والحديث ضروري أيضاً لأن دور السودان يكبر

انشاء مصانع مشابهة لمصانع توريد الدولة الأولى انشاءها. فالتصنيع العربي لن ينافس التصنيع الأوروبي ولا الأميركي، فضلاً عن الشرقي... على الأقل في المستقبل القريب. ومعنى ذلك أن الإنتاج الصناعي العربي سيستهلك في الدول العربية وربما في الدول الأفريقية أيضاً. ولا يجوز أن تعرض دولة عربية ما على دولة شقيقة أو صديقة إنتاج مصانعها ثم تكتشف أن الدولة عندها مصانع تنتج السلعة نفسها.

كذلك ليس من الجائز أن تنشئ دولة عربية ما مصنعاً يكفي إنتاجه لمدة اسبوع ما تحتاجه الدولة ثم يتوقف عن العمل 51 أسبوعاً لأن معظم الدول الأخرى لديها مصانع مشابهة وليست بحاجة إلى السلع التي ينتجها هذا المصنع. ونقول على ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

إنه لا يفيد التباهي بمسألة التصنيع، وأن تقول كل دولة أنها تبني المصانع. المهم هو التصنيع المدروس. ولعل مؤتمر جدة في توصيته التي نشير إليها هنا كان يقصد ذلك عندما دعا إلى ضرورة التنسيق الصناعي. وإعتماد التنسيق في بناء المصانع من شأنه أن يقي الدول العربية متاعب التصنيع العشوائي ويوفر عليها المبالغ الطائلة، فضلاً عن أنه يساعد على توحيد الأمة.

والأهم من هذا كله، إن من شأن اعتماد التنسيق الصناعي إختصار الزمن الذي يفصلنا عن دخول نادي الدول الصناعية... وربما الإشتراك بعد ذلك في سباق المنافسة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 مايو (أيار) 1978

* * *

أي شيء أفضل من لا شيء

قياساً بالعلاقة التاريخية والخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل فإن حصول مصر والسعودية وبالذات مصر على سلاح أميركي يبدو كخطوة تكاد تبلغ درجة الحدث. ولو أن مثل هذا الأمر تم قبل إتفاق الفصل الأول للقوات على الجبهة المصرية، ثم قبل إتفاق الفصل الثاني وبالطبع قبل زيارة الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل، لكان إعتُبر بمثابة الحدث العظيم. ولكن الصفقة ما كانت لتتم لولا إتفاق الفصل الثاني ومن قبله إتفاق الفصل الأول ولولا زيارة الرئيس السادات إلى

إسرائيل.

ومن الطبيعي ألا يُنظر إلى الأمر على أنه مسألة عسكرية، وإنما كنوع من الإختراق السياسي يحدث للمرة الأولى للإدارة الأميركية. ونلاحظ أن رد الفعل المصري والسعودي على موضوع الطائرات كان رد فعل سياسياً ولم يصدر عن مسؤول عسكري كلام في شأن الموضوع. وعلى سبيل المثال فإن الرئيس السادات لا يعتبر المسألة مهمة على الصعيد العسكري وقد تمثّل ذلك في قوله "إن القيمة الحقيقية للصفقة لا تكمن في عدد الطائرات أو نوعيتها بل تكمن في أن العالم العربي نجح للمرة الأولى في التغلب على وضّع كانت فيه العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل تقف حائلاً دون حصولهم على الأسلحة اللازمة لتحقيق أمنهم". وما لم يقبله الرئيس السادات قاله وزير خارجيته محمد إبراهيم كامل الذي إعتبر قرار مجلس الشيوخ نقطة تحوّل هامة في السياسة الأميركية وبداية تحرّر المؤسسات الأميركية من جماعات الضغط الصهيونية". ويستطيع الرئيس السادات بعد اليوم أن يقول واثقاً أنه حصل على شيء من الولايات المتحدة، خصوصاً أن حصوله حدث في وقت هو في أشد الحاجة إليه. ولولا الصفقة لما كان الفريق أول عبد الغني الجمسي وزير الحربية المصرية سيزور واشنطن وهي زيارة ستتم في مطلع الشهر المقبل.

وقد تكون مصر حصلت على الطائرات لأن المملكة العربية السعودية حصلت عليها، أو أن الدولتين حصلتا عليها لأن إسرائيل نالت حصة الأسد من الصفقة، لكن كل ذلك ليس مهماً. فلقد كان الأمر يحتاج إلى سابقة وها هي السابقة قد حدثت.

ومن الضروري التنبيه قليلاً وعدم الإغراق في التصور بأن ما حدث كان إنتكاسة كبيرة للصهيونية وإنتصاراً كبيراً لنا. فالتصويت الذي جرى في مجلس الشيوخ يوم الثلاثاء 16 أيار/ مايو 1978 يعني أن الـ 54 شيخاً الذين صوّتوا إلى جانب حصول مصر والسعودية هم معنا. ولعل التصويت كان مدروساً ما فيه الكفاية، وهؤلاء صوّتوا لمصلحة قرار إتخذه رئيس الولايات المتحدة ولا يجب في نظرهم إلحاق هزيمة بهذا الرئيس في الوقت الحاضر. وقد تكون التطورات التي حدثت فجأة في أفغانستان ثم في زائير من الأسباب التي جعلت بعض الشيوخ يترددون في مسألة تحفظاتهم.

وقد يقال: ما جدوى هذه الطائرات ما دام الحصول

عليها يتم في زمن السلم والتسويات السياسية للصراع العربي - الإسرائيلي، وما فائدتها إذا كانت إسرائيل ستستغلها وتجعل منها حجة تقيم خلالها المزيد من المستوطنات؟

والجواب عن ذلك هو أن كل الظروف وكل الممارسات في المنطقة العربية ليست من الثابت، كما أن الصراع العربي - الإسرائيلي ما زال قائماً وليس سهل الحل. وإذا نشأت ظروف أخرى فإن السلاح الأميركي سيستعمل بأيد عربية من أجل قضية قومية. ولعل ما يُقلق في موضوع الصفقة هو أن الولايات المتحدة قد تلجأ إلى المزيد من التأجيل لممارسة دور سياسي في إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط. والتأجيل ليس في مصلحة المراهنين على الدور الأميركي إطلاقاً. ولعل هؤلاء كانوا يفضلون لو أن الرئيس كارتر مارس ضغطاً حقيقياً على إسرائيل من أجل تحقيق الحل بدل أن يضغط في شكل أو آخر على بعض الشيوخ لتأمين التصويت إلى جانب القرار الذي إتخذه. إن الصفقة ليست إنتصاراً لفريق معيّن وإنما هي تثبيت لواقع الحالة. وإذا كان موقف الرئيس السادات سيبدو صعباً لو أن الصفقة لم تتم وكانت العلاقة السعودية - الأميركية ستتهز كثيراً نتيجة لذلك، فإن حال الرئيس كارتر كانت ستصبح بالغة التعقيد، وكان القرار السلبي من جانب الشيوخ معناه سحب الثقة منه وإبلاغه بشكل واضح أن ولايته لن تُجدد. ولعل الأمير فهد إختصر الأمر كله وبكثير من الدبلوماسية عندما علّق على نتائج التصويت بقوله: "إن قرار الموافقة لم يكن مفاجئاً لنا ولم يثر دهشتنا لأن الشعب الأميركي يشارك الرئيس كارتر بقوة إدراكه لأهمية أن تبقى المملكة قوية ومستقرة".

بالإضافة إلى ذلك فإن الصفقة ستطوي بعض الوقت المساعي التي بدأت لتحقيق التضامن العربي تمهيداً لعقد مؤتمر قمة. وبعد الصفقة قد نجد الرئيس السادات الذي أبدى حماسة لعقد القمة وتحقيق التضامن في الأسابيع الثلاثة الماضية يفضل إجراء السعي في هذا الأمر شهرين أو ثلاثة لإتاحة الفرصة أمام الرئيس كارتر، وعلى أساس أنه في هذه المدة قد يكون أعاد ترتيب أوراقه وأوجد مناخاً سياسياً داخل مصر يساعده على تحرك خارجي أفضل. وعندما يقول وزير الخارجية المصرية خلال إجتماع عقده لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشعب يوم الخميس 18 مايو "إن مهمة الرئيس نميري لم تُحقق حتى الآن اية

نتائج ملموسة رغم الجهود التي بذلها في المرحلة الأولى من رحلته" فإنه يبدي تفاؤلاً في إمكان نجاح المهمة مستقبلاً، لكنه لا يُظهر إلحاحاً من جانب مصر لسرعة تحقيق النتائج.

ويستوقفنا هنا التساؤل الآتي: ما الذي جعل الرئيس نميري لا يزور ليبيا في نطاق جولته المغربية التي شملت تونس والجزائر والمغرب، مع العلم أن الزيارة تدخل في نطاق الجولة، وأن الصحافة السودانية نشرت في عناوينها الرئيسية ذلك؟

ويستوقفنا أيضاً تساؤل آخر: ما الذي جعل الرئيس السادات يوقف محاولة لإعادة العلاقات بينه وبين ليبيا بعدما كلف إحدى الجهات القيام بعملية جس نبض لدى ليبيا، وكان ذلك قبل أيام قليلة من أول الشهر الجاري. وقد أبلغت هذه الجهة المسؤولين الليبيين كلاماً مفاده أن الرئيس السادات سيلغي مبادرته ويرحب بإعادة التفاهم بين مصر وليبيا، وأنه سيعلن ذلك في الخطاب الذي سيلقيه لمناسبة عيد العمال.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العقيد معمر القذافي كان ينتظر ما سيعلنه الرئيس السادات وتأخر إحتفال ليبيا بعيد العمال ساعتين في إنتظار ما سيعلنه الرئيس السادات. كما أن العقيد القذافي أوكل إلى عبد السلام جلود إلقاء خطاب سياسي وألقى هو كلمة فكرية بعدما قيل له إن الرئيس السادات قال في الخطاب عكس ما هو متوقع. وقد تكون التأكيدات بشأن الصفقة هي السبب.

يبقى أن الصفقة لن تمر من دون موقف سوفياتي يتجاوز كثيراً رد الفعل الأول الذي عكسته وكالة "تاس" ويكون ترجمة عملية لهذا الموقف. وقد قالت الوكالة إن صفقة الطائرات الأميركية لكل من مصر والسعودية وإسرائيل قد فتحت الباب أمام مرحلة جديدة لسباق التسلح في الشرق الأوسط الذي يواجه بالفعل موقفاً ساخناً بسبب الصراعات المسلحة".

وقد يكون الرد السوفياتي على هذه الصفقة، وانسجاماً مع سباق التسلح، هو مد سوريا وليبيا بالمزيد من التسلح الذي سيكون في أي حال أكثر تطوراً من السلاح الذي حصلت عليه مصر. ولا نعتقد أن الإتحاد السوفياتي لم يحسب حساباً إلى يوم يحدث فيه الذي حدث، ولم يجهز سلفاً الرد المناسب.

يبقى أيضاً أن المراهنة على الموقف الأميركي بعد الصفقة أصبحت أفضل قليلاً مما كانت عليه الصفقة. وفي أي حال وحتى إشعار آخر لا ينطبق على الصفقة

سوى القول الشائع: الحصول على شيء أفضل من لا شيء... خصوصاً إذا كان هذا الشيء من الولايات المتحدة التي اعتادت على أن تأخذ كل شيء ولا تعطي شيئاً، أو إنها اعتادت أن تأخذ كل شيء منا وتعطيه إلى عدونا.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 مايو (أيار) 1978

* * *

أمن سوريا من أمن لبنان

في تعليق له متأخر بعض الشيء على صفقة الطائرات قال أندرو يونغ، مندوب أميركا لدى الأمم المتحدة: "إن الدفاع الإسرائيلي كان من الأهداف الأولى لسياستنا الخارجية، لكن الدفاع والأمن الإسرائيليين يعتمدان حالياً على أمن السادات المرتبط بما يحدث في ليبيا، وبذلك القوة العسكرية الاثيوبية الضخمة. كذلك على السعودية أن تدافع عن نفسها في الخليج". وليس في هذا التوضيح ما من شأنه أن يخدم وضع الرئيس السادات، لكن يونغ الذي شاع الاعتقاد بأن صوته هو صوت الرئيس كارتر، يحاول في تعليقه هذا بلورة الفكرة السائدة التي تفيد أن السلاح الأميركي للعرب وإسرائيل معاً هو المقدمة التي لا بد منها لبدء شن الحرب الحقيقية على الإتحاد السوفياتي في المنطقة، على أن تظل الولايات المتحدة بعيدة عملياً عن هذه الحرب، لأن الرئيس كارتر لا يريد أن يحدث في عهده ما حدث في عهود أسلافه من تورطات.

والإتحاد السوفياتي في المنطقة العربية ليس نفوذاً سياسياً ولا هو شعبية لها جذورها، وإنما هو حضور عسكري. وإلحاق هزيمة بالدولة العربية التي تعتمد اعتماداً أساسياً على السلاح السوفياتي، معناه توجيه الضربات القاضية إلى الإتحاد السوفياتي ضربة بعد الأخرى.

ونلاحظ أن الهاجس الأساسي للولايات المتحدة هو ما حدث في ليبيا بالنسبة إلى موضوع التسليح السوفياتي، وما حدث أيضاً في أثيوبيا. وإذا كانت الولايات المتحدة بلسان يونغ عبّرت صراحة عن هواجسها الليبية وهواجسها الاثيوبية، فإن هواجسها السورية ليست بسيطة على الإطلاق. وإذا نحن افترضنا أن ما يضره المندوب الأميركي لدى الأمم المتحدة من قوله "لكن الدفاع والأمن الإسرائيليين يعتمدان حالياً

على أمن السادات المرتبط بما يحدث في ليبيا، وبذلك القوة العسكرية الاثيوبية الضخمة" هو أن المهمة المرتقبة للسلاح الأميركي الذي أعطي إلى مصر هو ضرب القوة العسكرية الليبية.. أي ضرب السلاح السوفياتي، فإن ما يضره لكنه لا يقول ذلك بوضوح، هو أن المهمة المرتقبة للسلاح الأميركي الذي أعطي إلى إسرائيل هو ضرب القوة العسكرية السورية، أي ضرب السلاح السوفياتي.

ويبدو أن الولايات المتحدة خلافاً لما يشاع، لا تريد سوى الحل الخاص بها، تفرضه على المنطقة وتقبل به الأطراف المعنية. ومثل هذا الحل لا يتحقق إلا إذا كانت هذه الأطراف ضعيفة لا تملك فرض إرادتها ولا قدرة لها على الرفض، أو إذا كانت الأطراف قوية بها أي بالولايات المتحدة، أو أنها في الطريق إلى أن تكون كذلك، وإن إسرائيل قوية بالولايات المتحدة، في حين أن سوريا قوية وتستطيع أن ترفض. وهذا ما تمارسه حتى مع الولايات المتحدة نفسها، وأن ليبيا باتت قوية جداً نتيجة خطط التسليح من الإتحاد السوفياتي، ومن أجل ذلك فإن رفضها الأساسي لأنه ينعكس على الدور الأميركي للرئيس السادات. سوريا هي جناح الرفض الشرقي وليبيا هي جناح الرفض المغربي، وإذا أمكن الولايات المتحدة قصصة هذين الجناحين يصبح في قدرة الحل الأميركي أن يفرض فرضاً، على أساس أن الرفض الشعبي نتيجة للممارسات الحديدية التي نسمع عنها وأحدثها ما جرى وسيجري في مصر لن يكون معوقاً.

وقصصة الجناح المغربي تكون بتكرار الحرب التي شنها الرئيس السادات على ليبيا، وهو أمر بقي مستبعداً إلى أن حدث. وما دام قد حدث فإنه قد يتكرر. ومعاودة الحرب بعد حصول مصر على الطائرات الأميركية يختلف تماماً عن المحاولة الأولى. ذلك أنه إذا تكررت الحرب ستكون بالطائرات الأميركية وهذا يفرض التزامات على الولايات المتحدة. وستتطلب هذه الالتزامات من البداية التي تقول: إن السلاح الأميركي يجب ألا يهزم أمام السلاح السوفياتي.

أما قصصة الجناح الشرقي فتكون بتوجيه ضربة عسكرية إلى سوريا في لبنان تتدرج إلى أن تصبح ضربة عسكرية في أراضيها على جبهتها أو في أعماقها. وليس هنالك سوى إسرائيل مباشرة، أو عبر وسائل وقوى أخرى.. أو الأمرين معاً.

وعندما نسمع سوريا تردد أن أمن لبنان من أمنها

ونسلم من وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس بأن سوريا ستضرب بيد من حديد "القوى التي تحاول إثارة الشغب في لبنان ونعتبرها ضالعة في هذه المؤامرة إلى جانب العدو الصهيوني"... عندما نسمع ذلك نفترض أن التنبه قائم وأن التنبه سببه إستشعار للمخاطر المقبلة.

ونجد أنفسنا في هذه المناسبة نردد تمنيات تقليدية من نوع أن الرد على ذلك كله يكون بوحدة صف قوية، وبسقوط التحفظات التي تحول دون موقف سوري - عراقي موحد، وبعودة الروح إلى جبهة الصمود والتصدي التي قامت على أسس إستراتيجية - هكذا يُفترض - ولم تقم من أجل ممارسة دور أو أدوار تكتيكية، كما لوحظ، في الفترة التي أعقبت قيامها. وليس صحيحاً أن الإتحاد السوفياتي لا يستطيع أن يفعل شيئاً. ففي يده أوراق كثيرة، إلا إذا كانت الخطوط العريضة لسياسة الصفقات هي التي تحول دون إستخدام بعض هذه الأوراق بما يخدم الموقف العربي التقدمي.

يبقى أنه بقدر ما يؤلمنا أن يقول المندوب الأميركي لدى الأمم المتحدة مثل هذا الكلام الذي قاله حول الطائرات التي تقرر إعطاؤها إلى مصر... بالقدر نفسه يؤلمنا ألا يكون هنالك رد من جانب مصر على مثل هذا الكلام.

وبالقدر نفسه أيضاً وأكثر يُقلقنا أمر هذه المؤامرة التي يتم إعدادها، أو أنها أعدت، وتنتظر إشارة بدء التنفيذ لتوجيه ضربة عسكرية قاضية إلى سوريا، يكون مسرحها لبنان أو سوريا نفسها، أو تبدأ في لبنان وتنتقل إلى سوريا.

وعندما لا تحدث بعض الأمور مصادفة تكون هنالك مفاجآت... ومفاجآت من النوع الذي يحبس الأنفاس.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 3 يونيو (حزيران) 1978

* * *

ملكة هيكل أمام التحديات!

يوم الجمعة 26 أيار/ مايو 1978 صدرت الصحف المصرية بعناوين رئيسية في صفحاتها الأولى عن بدء التحقيق في ما سمّته "جريمة التشهير بمصر في الخارج". مانشيت الصفحة الأولى من "الأهرام" كانت:

"تحقيقات المدعي الإشتراكي مع الأقلام المعادية لمصر تبدأ غداً". ومانشيت صحيفة "الأخبار" كانت: "التحقيق في جريمة التشهير بمصر في الخارج".

وجاء في نبأ شبه موحد نُشر في هذه الصحف أن التحقيق يشمل 30 كاتباً وصحافياً مصرياً تم إستدعاء الغائبين منهم بواسطة سفارات مصر، وأن المدعي العام سوف يقوم بإعداد قرار الإتهام فور الإنتهاء من التحقيقات سواء حضر الأشخاص المعنيون أو لم يحضروا وإبلاغ قرار الإتهام لمجلس الشعب لإتخاذ الإجراءات اللازمة ضدهم.

وأشار النبأ إلى أن المدعي العام الإشتراكي أنور حبيب وهو صديق مقرب جداً من الرئيس أنور السادات الذي إختاره لهذا المنصب، تلقى الصفحة الأولى من الدراسات التي أعدتها أجهزة الأمن حول طبيعة النشاط الإعلامي لهذه العناصر "وتتضمن هذه الدراسات مستندات خطية وصوتية تشمل نماذج من الكتابات المأجورة التي نُشرت في عدد من الدول العربية والأوروبية بأقلام هذه العناصر وتتناول بالإساءة والتشكيك منجزات شعب مصر طوال السنوات الماضية. وقد أعطى المدعي الإشتراكي لهذه العناصر مهلة للحضور إلى مصر لسماع أقوالهم والرد على الإتهامات الموجهة إليهم".

ولوحظ أن الصيغة التي نشرت بها "الأهرام" النبأ كانت لائقة على نقيض الصيغة التي نشرت بها النبأ صحيفة "الأخبار" التي إنطلقت في معالجتها للأمر من موقع معادٍ فضلاً عن أنها أشارت إلى الصحف والمجلات التي تصدر في باريس ولندن "والتي هي ممولة من العراق وليبيا وانها توزع عدداً محدوداً من النسخ وتدفع مبالغ هائلة لكتّابها ومحرريها".

وكانت "الأخبار" قد نشرت يوم الثلاثاء 23 أيار/ مايو 1978 نقلاً عن "الجمهورية" وثيقة تفيد أن محمد حسنين هيكل قدّم عام 1948 - وكان آنذاك محرراً في مجلة "آخر ساعة" - معلومات إلى المسؤولين في السفارة الأميركية عن تعديل وزاري جرى آنذاك.

وجاء تعليق "الأخبار" على هذا النبأ أطول بكثير مما تضمّنته الوثيقة التي نُشرت في الولايات المتحدة. وقضى سيناريو النشر أن ينشرها أولاً محسن محمد رئيس تحرير صحيفة "الجمهورية" الذي تعتبره "أخبار اليوم" ممثلاً في "الجمهورية" وتقلها "الأخبار" عن "الجمهورية".

وواضح أن "الأخبار" تجد في الوثيقة ما يمكن

إعتباره بأن هيكمل أميركي الميول، وأنه تعامل مع الولايات المتحدة قبل أن يتعاون مصطفى أمين بسنوات. وللتذكير فإن مصطفى أمين إعتقل وسُجن بتهمة التجسس للولايات المتحدة ثم خرج من السجن بأمر من الرئيس السادات لأسباب صحية. وكانت هذه الوثيقة موضوع رسم كاريكاتوري نشرته "أخبار اليوم" في عددها الصادر يوم السبت 27 مايو ويُمثل شخصاً واقفاً على رأسه في حفرة وتحتة التعليق الآتي: "من حفر بُراً لأخيه وقع فيه".

وفي عدد السبت نشرت الصحف المصرية أسماء الصحافيين والكُتاب المصريين الذين ستشملهم التحقيقات. وأبرزت "أخبار اليوم" في مانشيت صفحتها الأولى معلومات تفيد أن تحقيقات مباحث أمن الدولة توصلت إلى نتائج مفادها أن تنظيم "جبهة تحرير مصر" له شعبة سياسية وأخرى عسكرية ولم تنتشر أسماء من الشعبة السياسية عدا أبرزهم عبد المجيد فريد الوزير السابق أيام الرئيس جمال عبد الناصر. وتجدر الإشارة إلى أن عبد المجيد فريد أعاد ترتيب بعض الأوراق السرية التي كان يطلع عليها بحكم عمله إلى جانب عبد الناصر كما تم وضع عدد من الكُتاب المصريين بينهم محمد حسنين هيكل في الإقامة الجبرية ومُنعوا من مغادرة مصر تمهيداً لتنفيذ الإجراءات بحقهم.

ويقوم المدعي الإشتراكي منذ خمسة أشهر بزيارات إلى صحيفة "الأهرام" ويرافقه بعض مساعديه. والهدف من هذه الزيارات كان الإطلاع على أوراق ودفاتر الصحيفة طوال فترة ترؤس هيكل لها، وذلك في محاولة للعثور على ما من شأنه إعتباره مخالفات إرتكبها هيكل. وعندما أبلغ هيكل بزيارات المدعي الإشتراكي إبتسم وقال للذين أبلغوه إنه يتحداهم جميعاً أن يجدوا مخالفة واحدة. ثم إن أي مساس بهيكل سيضع الأصدقاء المشتركين للرئيس السادات وهيكل في موقع حرج جداً. وأبرز هؤلاء رئيس مجلس الشعب سيد مرعي الذي سعى في الماضي كثيراً لتقريب وجهات النظر بين الإثنين. إضافة إلى ذلك فإن موقف علي حمدي الجمال الذي عينه السادات يوم الثلاثاء 23 مايو 1978 رئيساً لمجلس إدارة "الأهرام" ورئيس تحرير وحيداً لها لن يخلو من الحرج ذلك أن مهمة علي الجمال الذي عمل تحت رئاسة هيكل بضع سنوات بصفة كونه نقيباً للصحافيين هي تقديم كشوفات بأسماء الكُتاب والصحافيين المتفق على تأديبهم ومن هؤلاء هيكل.

ومن مهمته أيضاً تنفيذ ما سيقرره المدعي الإشتراكي. وما سيقرره بات واضحاً وهو حرمان هؤلاء من العمل في الميدان الصحافي وشطب أسمائهم من جدول النقابة ومنعهم من العمل في كل مجالات الإعلام بصورها المختلفة. وهناك حرج آخر سيواجهه علي حمدي المال نتيجة أن أكثرية الصحافيين المنتمين إلى نقابة الصحافيين المصريين قد تكون مع الإجراءات لكن القيادات الفعالة داخل النقابة تقف ضد الإجراءات وتأخذ في الإعتبار أن ما سيحدث لزملائهم قد يحدث لهم في أي وقت.

وتبقى الإشارة إلى أن الرئيس السادات قرر مواجهة هيكل بعد الزيارة الأولى التي قام بها إلى الولايات المتحدة. ويومها إتهم هيكل السادات بأنه "عميل أميركي". وجاء الإتهام في أعقاب نشر صحيفة "الهيرالد تريبيون" لوائح بأسماء الذين تعاملوا مع المخابرات المركزية الأميركية وكان من بينهم الرئيس السادات.

وبعد زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل قال هيكل إن المبادرة اكتسبت شرعية بتأييد المصريين لها لكنه لم يؤيدها. وإرتاح السادات الذي كان يقوم بجولة دولية لهذا الكلام لكنه كان يطلب أكثر وأكثر. وعندما قال هيكل في صحيفة "الأهالي" كلاماً كبيراً حول "إن 15 مايو ليست ثورة وأن هناك منتفعين من النظام" ثارت ثائرة السادات خصوصاً أن كلام هيكل كان مؤثراً وجاء وسط ظروف نفسية صعبة يعيشها المجتمع المصري. وقد إستقبل المصريون كلام هيكل بكثير من الإهتمام. لذا ساد إنطباع لدى أهل النخبة السياسية والثقافية أن السادات سيضرب هيكل لأن كلامه مؤثر في أوساط الرأي العام وسيضرب فؤاد سراج الدين لأن شعبية "الوفد" تزداد يوماً بعد يوم وإذا لم يضربه الآن فسيصبح "الوفد" قضية أساسية في مصر. أما الكُتاب التقدميون "فإنه سيضربهم من أجل حفنة من الطائرات" على حد قول أحد العارفين بالمزاج الساداتي في لحظة القلق والغضب. وفي جولة أفق مع أحد هؤلاء العارفين بالمزاج الساداتي كونهم من "اللوبي" المؤازر له، قال من الكلام الذي يمكن إيجازه بالآتي: "حتى لو جُندت الصحف والأقلام يومياً للكتابة كما كتب هيكل، فنحن أقوى منها، إذ أننا نقف إلى جانب دعوة حق ومصلحة شعب هي الوحدة الوطنية. نحن متأكدون من أن الملايين من جماهير شعبنا لا تؤثر عليها هذه المقالات، فهي تعرف أصحابها من قديم الزمان ولا أظنها تقرأ لهم أي كلمة مما يكتبون. ولذلك فنحن نعتقد

أن هذا إعلام ليس له قراء ولا صدق له لدى الشعب ولا أهميه له إذ أنه يقف بجانب الفرقة والشتات ويدعو إلى الفتنة وينبذ السلم وحقق الدماء ويطالب بعدم الإستقرار السياسي والإقتصادي ويدمر مبادرة شجاعة وهادفة لرئيس الدولة، إستجاب لها اخوانه في صدق وشجاعة...".

لكن رغم هذا الإعتداد بالنفس من جانب الرئيس السادات فإن محمد حسنين هيكل بقي هاجساً حتى حدوث تسوية ما معه.. هذا في حال إرتضى التغريد في السرب الساداتي.

مجلة "المستقبل" - باريس - السبت 3 يونيو (حزيران) 1978

* * *

كلمة عن هيكل... والإجراءات الساداتية

المعروف أن صداقة متميزة كانت تربط الرئيس جمال عبد الناصر بالرئيس اليوغسلافي الماريشال تيتو. وفي خلال بضع سنين أصبحت هذه الصداقة العامل المؤثر في العمل السياسي المشترك. وقد كان كل منهما يباسط الآخر بشؤون الحكم في بلده وبالذات التعقيدات التي ترافق سير الحياة السياسية اليومية. وفي حين كان عبد الناصر يمثل للماريشال تيتو حيوية الشباب الثوري ويذكره بأيام النضال القاسي، فإن الماريشال تيتو يمثل لعبد الناصر النضج الثوري وحتى الشيخوخة الثورية وكيف أنها يمكن أن تكون مضيئة وفعالة.

ومناسبة هذا الكلام عن أهم زعيمين صنعا جبهة دول عدم الإنحياز التي تفقد أهميتها وتضامنها يوماً بعد آخر منذ أن رحل عبد الناصر، واقعة طرّفها الثالث محمد حسنين هيكل الذي يحاولون الآن في مصر نتيجة مواقف ومشاعر ذاتية النيل منه. ففي أحد لقاءات عبد الناصر وتيتو قال الرئيس اليوغسلافي للرئيس المصري إنه يريد محمد حسنين هيكل لبعض الوقت لكي يُعد له "هيكل اليوغسلافي".

كان تيتو يغبط عبد الناصر على وجود محمد حسنين هيكل إلى جانبه. وفي المقابل كان عبد الناصر يغبط تيتو على جزيرة بريوني. ولأن الصحافي والكاتب من نوعية هيكل لا يصنع سياسة، فإن الماريشال تيتو إستمر يحلم بهيكل خاص به. ولم يحدث ذلك. وبقي هيكل في حد ذاته يشكل ظاهرة هي الأولى من نوعها

في تاريخ العلاقات بين حاكم وكاتب.

وبعد وفاة جمال عبد الناصر إفترض الرئيس أنور السادات أن الدور الذي مارسه هيكل مع جمال عبد الناصر، يمكن أن يمارسه معه هو، خصوصاً أن محمد حسنين هيكل لعب الدور الأساسي في المسألة الأساسية، وهي: من يخلف عبد الناصر. وبفضل حذاقته وفي ضوء حسابات معيّنة، إستطاع هيكل أن يجعل الطريق ممهدة أمام وصول أنور السادات إلى سدة الرئاسة.

واستمرت العلاقة بين الرئيس أنور السادات ومحمد حسنين هيكل جيدة. وفي بدايات توليه الرئاسة كان السادات يتعامل مع ثورة 23 يوليو 1952 على أساس أنه أحد أبنائها. ولذا لم يكن هنالك ما يوجب حدوث أي تناقضات بين الإثنين. لكن التناقضات بدأت تظهر تناقضاً بعد الآخر.

لماذا بدأت التناقضات تظهر؟

- لأن محمد حسنين هيكل شعر أنه لا يستطيع ممارسة الدور نفسه الذي مارسه إلى جانب عبدالناصر.
- لأن الرئيس السادات بدأ يلمس ذلك وإنتابه نوع من الشك بعدما لاحظ أن محمد حسنين هيكل يعتمد إطلاق إسم "حركة 15 مايو" على ما فعله السادات بعلي صبري والآخرين، بينما الآخرون يسمونها كما يطيب للرئيس السادات أن تسمى، أي "ثورة 15 مايو".

وجاء التناقض الأساسي بعدما بدأ العقيد معمر القذافي في زمن التشاور الوحدوي يحرص على التعامل مع هيكل في كل مرة يزور مصر معاملة تتجاوز أسلوب التعامل بين حاكم وكاتب. ثم كبر حجم التناقض بعدما إتخذ هيكل موقفاً من محادثات الرئيس السادات والدكتور هنري كيسنجر. وكانت آثار هذا الموقف الذي يظهر على صفحات "الأهرام" تنعكس على الشارع المصري وبالذات في أوساط الطلبة والمتقنين.

هنا بدأ الرئيس السادات يخطط لإنهاء الدور الإعلامي لمحمد حسنين هيكل. والذي حدث أنه بعدما كان هيكل ترك مكتبه في "الأهرام" إتصلوا به ليلاً من الصحيفة وأبلغوه أنهم تلقوا نبأ للنشر من رئاسة الجمهورية يفيد أنه - أي هيكل - عُين متحدثاً صحافياً بإسم الرئيس السادات على أن يكون مقره قصر عابدين الذي كان الرئيس إتخذ منه المقر الرسمي لرئيس

الجمهورية، وقيل لمناسبة هذا الاختيار كلام كثير يصب في تساؤل كبير هو: كيف اتخذ ابن ثورة 23 يوليو سراي الملكية مقراً له؟

هل كان يتوقع هيكل ذلك من الرئيس السادات، أم إنه فوجيء بالقرار؟

لقد أبلغني في حينه أنه كان يتوقع مثل هذا التعامل من جانب الرئيس السادات لإنهما تناقشا كثيراً في الأمر وإستمر كل منهما يتمسك بموقفه. هيكل لا يقر صوابية أسلوب التحالف بين الرئيس السادات والدكتور كيسنجر. والرئيس السادات يعتبر أن أسلوبه هو الأفضل وهو الذي سيؤدي إلى نتيجة، وأن النتائج ستخيّب ظن كل الذين قرأوا ما كتبه هيكل. ولكن ما قاله هيكل حدث، وجاءت تحليلاته تخيّب ظنون الذين راهنوا كثيراً على الموقف الأميركي. وفي كل مرة كانت تتعقد حركة الحل الأميركي لأزمة الشرق الأوسط كان ضيق الرئيس السادات من هيكل يتزايد. ولكنه كان ضيق الصديق، ذلك أن بين الإثنين صداقة، والرئيس السادات بحكم هذه الصداقة يريد من هيكل أن يقف إلى جانبه بالمفهوم الذي يراه الرئيس السادات وليس بمفهوم هيكل.

ولقد تضايق الرئيس السادات من هيكل لأنه لم يتسلم منصبه كمتحدث صحفي لكن الإتصالات بينهما لم تنقطع. أحياناً بشكل مباشر وأحياناً أخرى عبر طرف ثالث. أحياناً يكون هذا الطرف سيد مرعي رئيس مجلس الشعب المصري، وأحياناً أخرى يكون هذا الطرف اسماعيل فهمي الذي كان شأنه قوياً في تلك الفترة.

وفي فترة إنهياب مصطنع أو حقيقي لمهمة كيسنجر شعر الرئيس السادات أنه يحتاج إلى هيكل. وإعتبر هيكل أن من الضروري الوقوف إلى جانب الرئيس السادات. ونشط الحريصون على إنماء هذه المشاعر وحدث نوع من التقدم النسبي على صعيد العلاقات بين الإثنين، لكن الفرقاء الذين شعروا بخطورة عودة الود بين الرئيس السادات وهيكل أفسدوا كل شيء. وفي تلك الفترة شارك هيكل الرئيس السادات في الرأي إزاء بعض القضايا الأساسية وكتب خطاباً للرئيس السادات خرج الرئيس قليلاً عن نصه عندما قرأه. وفي تلك الفترة أيضاً قيل أن هنالك مسعى بذله أصدقاء مشتركين لكي يتسلم هيكل منصب نائب رئيس الوزراء لشؤون الإعلام. ولكن هيكل المدرك لعبة التوزير إعتذر مرة أخرى. ثم إستأنفت حركة الحل الأميركي نشاطها. وإستمر هيكل على موقفه من لا جدوى هذه الحركة. وعلى رغم أن

محمد حسنين هيكل كان يقول رأيه في مقالات تنشر خارج مصر (والكتابة هذه لها ظروفها التي سنشير إليها في نهاية هذا الكلام) ولا يطّلع عليها المصريون مع منع دخول الصحف التي تنشر إلى مصر، إلا أن المثقفين والطلبة والعسكريين كانوا يعرفون بمضمون ما يكتبه هيكل أو يسمعون من الإذاعات العالمية. ولأن هيكل لم يفقد مصداقيته فإن المقالات التي كان يكتبها في الخارج كانت من النوع الذي يُقلق السادات، خصوصاً أنه أصبح بعد حرب 1973 شخصاً من نوع آخر لا يتحمل أي كلمة نقد.

وفي إستمرار كان هنالك من يصور الأمور للرئيس السادات على غير حقيقتها. كانوا "يوشوشون" ويكتبون التقارير المُلفقة عن الإجتماعات التي تتم في منزل هيكل وعن الصحافيين الأجانب الذين يزورون هيكل ويتحدثون إليه. ومعظم "الموشوشين" وكتبة التقارير المُلفقة هم من الذين يصيبهم الضرر من أي علاقة جيدة بين الرئيس السادات ومحمد حسنين هيكل.

وقبل أن يقوم الرئيس السادات بزيارة إسرائيل حدثت واقعة أقلقّت الرئيس بعض الشيء وتمثلت في أن السفارة الأميركية في القاهرة دعت محمد حسنين هيكل إلى إحتفالها بالعيد الوطني. وقد لبى هيكل الدعوة، لكن العنصر المقلق كان بالحفاوة البالغة التي لقيها هيكل في الإحتفال، إلى درجة إنه إعتبر ضيف الشرف. وحرص السفير وزوجته على الطواف به على المدعوين. وجاءت هذه الواقعة في وقت كان هيكل يواصل الكتابة عن لا جدوى الحل الأميركي وعن ضرورة أن يكون هنالك تفاهم، أو تصحيح مسار للعلاقات المصرية - السوفياتية. كذلك جاءت الواقعة وسط تكهنات أفادت أن الرئيس السادات سيوجه نتيجة لهذين الأمرين معاً ضربه القاضية إلى هيكل. وفي هذه الأثناء كان المدعي الإشتراكي أنور حبيب يقوم بزيارات إلى مبنى "الأهرام" ويُقلّب في بعض الدفاتر والأوراق علّه يعثر على مخالفات ما تُدين هيكل. وقد قررت هذه الزيارات في أعقاب الإتهام الذي وجّهه الرئيس السادات إلى هيكل بأنه "عميل أميركي" وكان واضحاً أن الإتهام أطلق لتطويق التفاعلات التي أحدثها نشر صحيفة "الهيرالد تريبيون" أسماء بعض الذين كانوا على صلة في الماضي بالمخابرات المركزية الأميركية. وأوردت الصحيفة إسم السادات لغرض بدا بعد ذلك مفهوماً.

بعد زيارة إسرائيل حدثت واقعة أخرى تمثلت

بالمعاملة الإستثنائية التي لقيها هيكّل خلال جولة خليجية له ألقى فيها بعض المحاضرات. وعنصر الإقلاق في هذه الواقعة أن المعاملة الإستثنائية ومن جانب بعض حكام الخليج جاءت في وقت يبدو فيه الحوار بين الرئيس السادات وهؤلاء شبه منقطع نتيجة الزيارة التي قام بها إلى إسرائيل. وهنا تبدو الإشارة ضرورية إلى مسألة أخرى تدخل في هذا الإطار وتتعلق بالموقف الذي إتخذه هيكّل في مقالاته من المملكة العربية السعودية. فقد أفاض هيكّل في الحديث عن الدور السعودي المهم وذهب إلى حد إستعمال تعبير "الحقبة السعودية" الأمر الذي جعل الكثيرين يسألونه عن هذا التعبير.

وبدأ الرئيس السادات يشعر أن الدور الذي يمارسه هيكّل يتجاوز بكثير الدور الكتابي، ولم يمانع في أن تواصل الصحف المصرية وفي إطار إيقاعي حملة التجريح ضد هيكّل. وجاءت المقابلة التي نشرتها صحيفة "الأهالي" الناطقة بإسم التيار الناصري مع هيكّل لتقبر حالة الضيق في نفس الرئيس السادات خصوصاً أن الأثر الذي تركته المقابلة عند الناس كان بالغ الأهمية، فضلاً عن أن ما قاله في هذه المقابلة تجاوز الحدود المرسومة لحرية القول في مصر.

وفي البداية سعى خالد محيي الدين ولطفي الخولي ومحمد سيد أحمد كثيراً من أجل أن يكتب هيكّل في "الأهالي" وكانوا في الماضي سعوا من أجل إنضمامه إلى "حزب التجمع" على أساس أنه الحزب الذي يجمع اليساريين والناصرين، لكن السعي لم يثمر. وبعد إلحاح شديد قبل الحل الوسط وهو أن تنشر "الأهالي" معه مقابلة ومن حقها أن تطلب منه ما دام هو يجري مقابلات مع صحف ومجلات عربية ودولية كثيرة. ومن الطبيعي أن يتحدث في هذه المقابلة عن أمور الساعة وعن أمر عزيز جداً عليه يتعلق بالهجمة الكاسرة على عبد الناصر. وفي هذا الأمر طالب بلجنة تحقيق. أما بالنسبة إلى أمور الساعة فإنه قال الذي لا يحب الرئيس السادات سماعه وبالذات من هيكّل.

نأتي الآن إلى جانب آخر يتعلق بمحمد حسنين هيكّل الكاتب. فبعد إبعاده عن "الأهرام" لزم هيكّل منزله المطل على النيل والقريب من منزل الرئيس السادات. ولأنه لا يستطيع إلا أن يكتب فإنه حوّل جزءاً من المنزل إلى مكتب خاص له وتجاوز بسرعة الظروف التي أوجدها السادات له.

وفي مكتبه المنزلي راح هيكّل يمارس الكتابة مثلما كان في "الأهرام"، يصحو باكراً وفي خلال نصف ساعة

يكون جاهزاً للجلوس إلى مكتبه بكامل هندامه، أي بالبدلة وربطة العنق. ولأنه درج في "الأهرام" على أن يخصص طوال فترة قبل الظهر لكتابة مقاله الأسبوعي "بصراحة" فإنه في مكتبه المنزلي كان يفعل الشيء نفسه في فترة قبل ظهر يوم الثلاثاء. وعندما يكتب هيكّل مقاله يتصرف كالمعتد لا يتصل بأحد ولا يرد على أحد ولا يستقبل أحداً. وبعد فترة من إبعاده عن "الأهرام" لاحظت في مكتبه أوراقاً كثيرة مكتوبة بخط يده. وعندما إستفسرت منه عما إذا كانت هذه الأوراق هي مادة كتاب جديد، أجاب بأنها مقالات "بصراحة". واعتقدت في بادئ الأمر أنها مقالات قديمة ربما يكون حريصاً على الإحتفاظ بها كمخطوطات، لكنه أوضح أنها مقالات جديدة، وأنه يكتب كل ثلاثاء "بصراحة" تماماً كما كان يفعل في "الأهرام". وعندما أبدت بعض الإستغراب من هذا الأمر وكيف أنه يكتب مقالات لا ينشرها، إستدثت منه أشياء كثيرة منها أن الكتابة فعل يومي أو أسبوعي وأن الذين يكتبون يجب أن لا يتوقعوا عن الكتابة نتيجة ظروف معينة، وأن عدم النشر لا يعني عدم إستمرارية الكتابة. ولقد أستأذناه مرة في نشر هذه المقالات، لكنه إعتذر وكانت حجة منطقية. وفي مكتبه المنزلي وفي مكتبه الآخر في عزبته المتواضعة في برقاش كتب هيكّل الكثير من مقالات "بصراحة" وكتب مادة لكتابين جديدين له. وشخصياً إنني في غاية الإعتراز كوني خلال هذه الفترة أجريت حواراً طويلاً مع محمد حسنين هيكّل عن فترة حكم عبدالناصر وعن علاقته بالرئيس الراحل. وقد أصدرت هذا الحوار في كتاب سميته "بصراحة عن عبد الناصر - حوار مع محمد حسنين هيكّل".

ولقد حظي هيكّل بعروض لم يحظ بها من قبل كاتب عربي لكي يقيم في الخارج ويكتب أو يُصدر صحيفة أو مجلة لكن جوابه كان دائماً: لا أقيم خارج مصر. ولا أكتب على غير أرض مصر. أما النشر خارج مصر فمسألة موقته.

وفي إستمرار كان هيكّل في ما يكتبه خارج مصر ذلك المتبصر الذي يقرأ الأحداث بعناية ولا يستسلم للأوهام. وحتى صدور الإجراءات الإستثنائية في حقه كان ثابتاً على موقفه مصراً على أن إعادة النظر قضية مطلوبة.. وإلّا ضاعت مصر.

... وكلام عن الإجراءات

ما زلنا نرى أن الإجراءات التي قرر الرئيس أنور السادات إتخاذها في حق عدد من الكُتاب والصحافيين

إستدعاهم: "في البرقية لغة لا أقبلها إطلاقاً. أن تتحول الجامعات أو نوادي هيئات التدريس إلى وصية على البلد أمر لا أقبله".

ثالثاً: بدا من المناقشة التي جرت بين الرئيس وأساتذة جامعة الاسكندرية أن هنالك مخاوف لدى هؤلاء من الدور الذي يمارسه المدعي الإشتراكي حيث أنه يتجاوز القضاء، وهي مسألة من شأنها أن تُلْق، خصوصاً أن ثقة المواطن المصري بقضائه كبيرة جداً. وللتذكير فإن المدعي الإشتراكي منصب إستحدثه الرئيس السادات بعدما قرر ضرب علي صبري والآخرين. وطبقاً للدستور "يكون المدعي الإشتراكي مسؤولاً عن الإجراءات التي تكفل حقوق الشعب وسلامة المجتمع ونظامه السياسي والحفاظ على المكاسب الإشتراكية والتزام السلوك الإشتراكي".

ولعل التخوف الناشئ في أوساط أساتذة جامعة الإسكندرية مصدره السابقة التي سجلها مصطفى أبو زيد فهمي أول من أسند ورفاقه بارتكاب الخيانة العظمى بينما التحقيق معهم لم يكتمل بعد. وبعدما أنجز مصطفى أبو زيد مهمته صدر قرار بتعيينه في منصب آخر هو رئيس "ديوان المظالم" في رئاسة الجمهورية. وقبل أيام تقرر إعادته إلى الجامعة أستاذاً فيها.

وهناك مؤشرات إلى أن المدعي الإشتراكي الحالي أنور حبيب قد يمارس الدور نفسه على صعيد الاتهامات التي سيجدها إلى الصحافيين والكتاب. لكننا في الوقت نفسه نتوقع إستناداً إلى كلام قاله الرئيس السادات لأساتذة جامعة الإسكندرية أن يكون هنالك بعض التروي. وقد جاء كلام الرئيس في معرض توضيحه نقطة أثارها أحد الأساتذة وتتعلق بدور المدعي الإشتراكي. ومما قاله الرئيس السادات: "يكفي أن المدعي الإشتراكي في قضية ما يعمل تحقيقاً ويضعه أمام الشعب ويقول: يا شعب، فلان الفلاني لم يلتزم المسلك الخلقي القومي في مصلحة بلده في المرحلة الفلانية. هذا يكفي لأنني عايز البلد تعرف كل الحقائق وتحكم بعد ذلك. لا يعني إطلاقاً العزل وإلاً أنا كنت عملت محكمة بمقتضى قانون الأحكام العرفية. سطين بكتبهم كحاكم عسكري، بكتبهم بعمل اللي أنا عايزه كله...".

ومعنى ذلك أن الرئيس السادات قد يكتفي بالتشهير الذي سيتضمنه تقرير المدعي الإشتراكي من دون أن يفصل الصحافيين من نقاباتهم أو يفرض الحراسة على البعض أو يعتقل آخرين. وقد يكون الرئيس السادات

والسياسيين أمر يدعو إلى التساؤل، بل وإلى المزيد من التساؤلات. وحول هذه الإجراءات هنالك ملاحظات يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

أولاً: يبدو أن ما قرره الرئيس السادات كان سيعلن في خطاب عيد العمال يوم أول مايو/ أيار 1978، لكن ذلك تأجل لسبب رئيسي يتعلق بتصرف من جانب وزير الحرية الفريق أول عبد الغني الجمسي. وهنالك رواية تفيد أن الرئيس السادات طلب من نائبه حسني مبارك الذي يشرف شخصياً على فرع الأمن الخاص والعام في مصر أن يُقنع قيادات الجيش بإتخاذ نوع من الموقف الإحتجاجي على التخطئ السياسي الدائر في مصر وخطورة إستمرار التسيب الحزبي في البلاد، على أن يعتبر الرئيس ذلك سبباً وجيهاً لإتخاذ قرارات ضد الوفد واليساريين. ونشط حسني مبارك في أوساط الجيش من دون أن يحيط وزير الحرية الفريق أول الجمسي بذلك. وعند لاحظ الجمسي أن هنالك بعض الإستعداد من جانب الذين إتصل بهم حسني مبارك، ولأنه لا علم له بخفايا المهمة، إفترض أن هنالك شيئاً ما يدبر من جانب العسكريين ضد النظام، فأوقف الأمر وطلب بصفته القيادية من العسكريين عدم إتخاذ أي موقف، وهكذا أحبطت الخطة المرسومة. ونتيجة لذلك لم يتمكن الرئيس السادات من إعلان الإجراءات التي كان ينوي إعلانها في خطاب عيد العمال. ويمكن الإفتراض أن نشر نبأ حول إحتمال تغيير الجمسي وتعيين الفريق محمد علي فهمي رئيس الأركان محله، له أسبابه.

ثانياً: اللقاء الذي تم مع الرئيس السادات يوم الأحد 28 مايو/ أيار 1978 لم يكن مقررراً، وإنما جاء في أعقاب واقعة حدثت قبل الإستفتاء وتمثلت في برقية بعث بها أساتذة جامعة الإسكندرية إلى الرئيس السادات بعد خطابه الذي ألقاه في مجلس الشعب (البرلمان) ودعا فيه إلى إجراء إستفتاء. وقد نصح أساتذة الجامعة بعدم إجراء الإستفتاء وسجلوا رفضهم للإجراءات التي ينوي الرئيس السادات إتخاذها في حق الكتاب والسياسيين والصحافيين. ويبدو أن النصيحة كانت من النوع الحاد، الأمر الذي جعل الرئيس السادات يستدعي أساتذة جامعة الإسكندرية إلى إستراحته في القناطر الخيرية ولا يذهب هو إليهم في الاسكندرية. وقد فعل ذلك بعد الإستفتاء الذي إعترض عليه الأساتذة.

وتدليلاً على أن برقية الأساتذة كانت من النوع الحاد، فإن الرئيس السادات قال مخاطباً الأساتذة الذين

يقومون بدور الضاغظ وهو دور كان يمارسه في الماضي طلبة الجامعات المصرية الذين لم يعد صوتهم مسموعاً.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 يونيو (حزيران) 1978

هكذا فعل "الوفد" هكذا فعلوا بـ "الوفد"!

نكاد نحتار في أمر ما حدث لـ "حزب الوفد" الجديد الذي أعلن يوم الجمعة 2 حزيران/ يونيو 1978 حل نفسه رداً على مشروع قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي" الذي كان مجلس الشعب المصري أقره في اليوم السابق بأغلبية ساحقة. ذلك أن هذا الحزب الذي استطاع أن يستقطب في خلال أربعة أشهر هي الفترة بين السماح له وبين حل نفسه قطاعاً لا بأس به من الرأي العام المصري، تصرف في الشهرين الأخيرين تصرف من يدعو الحاكم إلى ممارسة ما تمنحه إياه الشرعية من حقه في اتخاذ القرارات والإجراءات.

ونكاد نحتار أيضاً في أمر الصحافة المصرية التي ملأت صفحاتها بأخبار "حزب الوفد" وأجرت المقابلات مع زعيمه الباشا سراج الدين. وعندما قرأنا مرة ما نشرته صحيفة "الأخبار" بشكل بارز جداً في صفحتها الأولى عن النائب الذي دعا إلى تغيير العلم المصري وكيف أن هذه الصحيفة نشرت صورة العلم، إنتابنا شعور بأن المسألة ليست نشاطاً صحافياً، وإنما هنالك أمور تختلط فيها النيات بما هو أكثر من ذلك، أي أن الصحيفة قد تكون ضامناً مع ما يدعو إليه النائب واعتبرت ما تمكّن من المطالبة به معتمداً على حصانة يتمتع بها، هو نفسه ما تود أن تطالب به لكنها لا تستطيع. وهذا يعود إلى ثار تاريخي للقيمين على هذه الصحيفة على عبد الناصر وثورة 23 يوليو. ولا موجب لتسجيل أمثلة على هذا الثار، وكفي أنه بعد يومين من إقرار مشروع قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي" كانت هذه الصحيفة تنشر في صفحتها الأولى (الأحد 4 حزيران 1978) تعليقا نشرته صحيفة ألمانية غربية حول إجراءات الرئيس السادات ضد السياسيين والكتاب والصحافيين جاء فيه أن محمد حسنين هيكل هو "الناطق الصحافي السابق للدكتاتور المصري جمال عبد الناصر". وقد نشرت "الأخبار" ذلك من دون أي تعليق، وحتى من دون أن تضع العبارة

يأمل من وراء هذا التلويح بالتساهل في موضوع التأديب أن يقدّم الكتاب والصحافيون على خطوة اعتذارية ما منه يتولاها طرف ثالث.

رابعا: ولكن هذا الأمر مرتبط أيضاً بأنه ليس في موقف الكتاب والصحافيين ما من شأنه أن يشكل مخالفة يحاسبهم عليها القضاء. وهكذا فإن ترك أمرهم للمدعي الإشتراكي سببه أن إحالتهم إلى القضاء لن تفيد في شيء. والرئيس السادات قال ذلك صراحة وهو يتحدث أمام أساتذة جامعة الاسكندرية. ومما قاله: "أنا أشتغلت في الصحافة وأستطيع أن أكتب ما لا يقع تحت طائلة القانون. ولكن أقول اللي أنا عايزه هدماً. وأمام القاضي أقول إن هذا ليس هدماً وإنما هو حرية رأي. أنا رأيي مخالف لما يقال. إذن نحن في حاجة إلى ما يسمى التحقيق السياسي...".

وإعادة النظر في الإجراءات التي قد تتخذ في حق الكتاب والصحافيين تتم لمجرد أن يحدث نوع من الإحتجاج المهني على هذه الإجراءات من نوع إحتجاج أساتذة جامعة الاسكندرية، مع الأخذ في الإعتبار أن إحتجاج هؤلاء على دور المدعي الإشتراكي مرده التخوف من أن يأتي يوم يطلب من هذا المدعي النظر في أوضاع نشاط الجامعات وإعتبار ندوة مثل التي عقدها اساتذة جامعة الإسكندرية وقرروا فيها توجيه برقية إلى الرئيس السادات تطالبه بإلغاء الإستفتاء جريمة أيضاً تصل إلى مرتبة "الخيانة العظمى" وتعتبر محاولة لضرب السلام الإجتماعي، وتشكيكاً في مسيرة الديمقراطية، وهي التهم السائدة اليوم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الرئيس السادات يعيد النظر عندما تسير الأمور في إتجاهات غير مريحة، بدليل أنه وافق على إلغاء مشروع هضبة الأهرام وجاء الإلغاء عشية لقائه بأساتذة جامعة الاسكندرية الأمر الذي جعل اللقاء هادئاً، أو بالأحرى جعل اللقاء يتم. ولولا إحتجاج على المشروع سجّله أستاذ جامعي وإستأنفت صحيفة "الأهالي" التخويف من آثاره محدثة بذلك رأياً عاماً ضد المشروع، لما كان للمشروع أن يلغى. وبفضل هذا الموقف من جانب أساتذة الجامعات أعلن الرئيس السادات خلال لقائه بهم أنه لن يُصَدّق على قانون الضرائب الجديد وأنه سوف يعيده إلى مجلس الشعب "لأن السلام الإجتماعي لا يتحقق إلا بالعدل الإقتصادي وأن هنالك الكثير من مظاهر البذخ التي لا بد أن يشملها قانون الضرائب".

وتبقى الإشارة ضرورية إلى أن أساتذة الجامعات

بين مزدوجين وهو أمر متعارف عليه في دنيا الصحافة يتم إيماده لكي تظهر الصحيفة أن هذا الكلام ليس لها وإنما لقائله. ولكن الصحيفة لم تفعل ذلك مطمئنة إلى أن أحداً - بمن في ذلك المدعي الاشتراكي - لن يسألها، مع أن مهمته تسمح له بذلك تنفيذاً للمادة الأولى من مشروع القانون التي تنص على حظر "أي دعوة يكون هدفها مناهضة المبادئ التي قامت عليها ثورة 23 يوليو 1952". وتعليق الصحيفة الألمانية الغربية الذي نشرته صحيفة "الأخبار" بشكل بارز ومن دون أي تعليق فيه ما هو أكثر من المناهضة.

ومن المؤكد أن الرئيس السادات كان يفضل ألا يحل "حزب الوفد" نفسه ويبقى يمارس نشاطه إنما على أساس تحييد رئيس الجمهورية والإكتفاء بالتعارك مع الحكومة وحزبها ومع الأحزاب الأخرى. ولعل حرص الدكتور مصطفى خليل الأمين العام للجنة المركزية للإتحاد الاشتراكي على أن يطلب يوم السبت (3 حزيران 1978) من فؤاد سراج الدين رئيس الجمعية العمومية لـ "حزب الوفد الجديد" ضرورة موافاة اللجنة المركزية بمحضر إجتماع الجمعية العمومية للحزب (التي إجتمعت يوم 2 حزيران 1978) وأسماء الذين يحق لهم حضور الجمعية العمومية وأسماء الذين حضروا بالفعل وصوتوا على قرار حل الحزب... لعل حرص الدكتور مصطفى خليل - الذي هو حرص الرئيس السادات - على ذلك مرده بعض الشكوك من أن يكون الحل "إرادة سراج دينية" مقرونة ببعض الآمال بأن يكون هنالك معترضون على الحل يمكن تشكيل حزب وفدي جديد بهم يكون الحزب الذي لا يُقلق ولا يزعج، أي الوفد الذي يرتاح إليه الرئيس السادات ويسمح له بالعمل، بل ويشجعه.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن فؤاد سراج الدين كان أبلغ الأمين العام للجنة المركزية أن الجمعية العمومية للحزب قررت بعد تدارُس التطورات الأخيرة "حل الحزب بإجماع آراء الحاضرين وعددهم 796 عضواً من بين 1010 أعضاء، وهم مجموع الأعضاء الذين لهم حق حضور الجمعية العمومية وفقاً لأحكام النظام الداخلي للحزب.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن الصحف الرسمية لم تنشر البيان الذي أصدره حزب الوفد معلناً فيه حل نفسه مكتفية بنشر نبأ مقتضب عن قرار الحل وتعليقات كثيرة تهاجم هذا الحزب.

ويبدو تسجيل بعض الملاحظات على بعض

الفقرات من البيان أمراً ضرورياً. ونحن نسجل هذه الملاحظات والفقرات على النحو الآتي:

أولاً - عندما قرر "حزب الوفد" العودة إلى ساحة العمل السياسي مستنداً في ذلك إلى قانون الأحزاب الذي صدر عام 1977، وُضعت في طريق عودته عراقيل كثيرة منها أن يكون له نواب في البرلمان. وإستطاع الحزب أن يؤمن العدد المطلوب وزيادة. وتلك كانت ظاهرة لافتة للانتباه. وقام الحزب وعلا صوته وبدأ يستقطب يوماً بعد آخر قطاعات عريضة في الشارع المصري.

وكان لافتاً أيضاً أن هنالك غير "وفديين" تاريخياً قرروا أن يصبحوا "وفديين" ليس من أجل فؤاد سراج الدين، مع الأخذ في الاعتبار أنه شخصية قادرة على إستقطاب الناس، وإنما لأن الخريطة الحزبية المرسومة قضت بذلك. فهؤلاء لا يريدون الإنضمام إلى حزب الحكومة. وليسوا من اليسار لكي ينضموا إلى "حزب التجمع". و"حزب الأحرار الاشتراكيين" ليس حزب المعارضة وليس هو حزب المستقبل. وبعض هؤلاء أيضاً لهم مأخذ على ثورة 23 يوليو 1952 أو أنهم من فئة الذين تضررت مصالحهم.

ومن المؤكد أن التقارير التي رفعها أهل الأمن عن نشاط "الوفد" وسرعة إستقطابه للناس، فضلاً عن المواقف الحادة التي سَجَّلها "الوفديون" في مناسبات عدة، جعلت النظام يقرع ناقوس الخطر. يضاف إلى ذلك أن القيادات "الوفدية" مارست العمل السياسي في أربعة أشهر بعقلية من عنده التجربة وهو أمر إفتقده الحزب الحاكم، ومن هنا إهتزت المعادلة إهتزازاً ملحوظاً.

ولقد كان مستغرباً أن يأخذ الرئيس السادات بوجهات نظر طرحها الوفد و"حزب التجمع"، أي بوجهات نظر المعارضة، ثم يقرر معاقبة المعارضة وليس الحكومة وحزبها. فالرئيس السادات ألغى مشروع هضبة الأهرام الذي قادت المعارضة حملة عنيفة عليه في حين دافعت عنه الحكومة وحزبها. والرئيس السادات أعاد إلى مجلس الشعب مشروع قانون الضرائب من أجل أن يعاد النظر فيه من جديد، وهو أمر نشطت في سبيله المعارضة في حين كانت الحكومة وحزبها تتخذان موقف الدفاع.

ثانياً - إن "حزب الوفد الجديد" تنبّه منذ البداية إلى كل الإحتمالات فحرص على تضمين برنامجه ما معناه أنه لا عودة إلى الوراء "وأنه يتمسك بالقيم والمبادئ

التي استقرت في ضمير الشعب، وأنه يعمل على دعم مكاسب العمال والفلاحين...". ولقد كان أمراً مستغرباً أن يتقرر فجأة إعتبار فؤاد سراج الدين من الذين "أفسدوا الحياة السياسية في الماضي ومن أجل ذلك لا يجوز لهم أن يعودوا إلى العمل السياسي" في حين أن الرئيس السادات أصدر شخصياً قراراً بتعيين فؤاد سراج الدين عضواً في اللجنة المركزية بصفته الحزبية. ولعل في الإستقطاب غير المتوقع الذي نجح الحزب فيه ما يجيب عن السر في "اكتشاف" فؤاد سراج الدين.

ثالثاً - من الملاحظ أن بيان حل الحزب لم يلمس الرئيس السادات مكثفياً بتركيز الهجوم على الحكومة وحزبها. وفي هذا الصدد جاء في البيان ما يأتي: "إن الحكومة وحزبها يخلطان بين الماضي والحاضر، بين النقد والهدم. بين الكشف عن الأخطاء والسلبيات بغرض تصويبها وبين إثارة الشكوك وبث الإشاعات المغرضة. بين نظام الدولة وهو مستقر وبين الحكومة وهي بطبيعتها متغيرة. إن الحكومة للأسف الشديد لم تطوّر نفسها للتعايش مع أحزاب المعارضة، ولا هي حاولت التشاور مع رؤساء هذه الأحزاب في المسائل الهامة بل استمرت ترى في المعارضة عدواً لدوداً ينبغي قهره وتصفيته، لا شريكاً يمكن أن يساهم معها بالنقد والنصح والإرشاد في بناء الديمقراطية ودعمها.

وعدم لمس الرئيس السادات يبدو نوعاً من اللياقات "الوفدية" من جهة ونوعاً من لفت النظر للرئيس السادات من جهة أخرى على أساس أنه هو صاحب فكرة التجربة الحزبية وعليه تقع مسؤولية وضعها في الطريق السليم لأن الديمقراطية بالشكل الذي حدث "يراد لها أن تكون مجرد شعار زائف بغير مضمون وواجهة للإستهلاك المحلي والعالمي.

رابعاً - إن فؤاد سراج الدين يعتبر أن ما جرى كان مجرد "إجراءات استثنائية عصفت بكل ما تحقق للشعب من حريات سياسية". مشيراً إلى أن الإجراءات تستهدف إبعاده وإبعاد آخرين غيره عن العمل السياسي "بعد أن عادت إليهم كامل حقوقهم السياسية في عهد الرئيس الراحل وبعد أن أعلن السيد الرئيس الحالي أكثر من مرة أنه لا عودة للعزل السياسي". ونلاحظ هنا أن بيان حل "حزب الوفد" الذي تضمن هذه الفقرة لا يسمي الرئيس السادات بالإسم وإنما يقول "السيد الرئيس الحالي". وهنا لا بد من الإنتظار بعض الوقت لمعرفة ما إذا كان الرئيس السادات سيطبق بالفعل العزل السياسي علماً بأنه كرر مرات عدة أنه لن يكون هنالك عزل سياسي.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن عضو مجلس الشعب ممتاز نصار الذي يتمتع بسمعة جيدة في عالم القضاء قال خلال مناقشة مشروع قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي" في مجلس الشعب إن المادة 40 في الدستور تنص على أن جميع المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات ومنها الحقوق السياسية التي يجب ألا يُحرم منها أحد "والنص في مبادئ الإستفتاء على العزل السياسي والحرمان من هذه الحقوق يتعارض مع مبادئ الدستور. ولقد أعطي المدعي الإشتراكي صلاحيات تدخل في صميم إختصاص السلطات القضائية...".

نأتي الآن إلى طرح بعض التساؤلات.
هل إن نظام الرئيس السادات لم يكن يعرف أن لـ "حزب الوفد" طموحات؟

وهل إن "حزب الوفد" لم يكن يعرف أن الرئيس السادات لا يمكن أن يتحمل أحزاباً غير موالية؟
وما هي الآثار المترتبة على قرار "حزب الوفد" حل نفسه؟

وما الذي سيحدث لـ "الوفد" بعد الآن؟
وعلى هذه التساؤلات نجيب على النحو الآتي:
عندما قرر قدامى "الوفديين" العودة إلى ساحة العمل السياسي كان منطلقهم أن في مصر فراغاً حزبياً وأنهم حزب له في أذهان الناس تراث كبير، فضلاً عن أنهم بالعودة إلى العمل الحزبي يحفظون رؤوسهم من جهة ويثأرون من الثورة التي سعت إلى إقتلاع جذورهم من جهة أخرى. وفي أعقاب عمليات جس نبض كثيرة قام بها فؤاد سراج الدين في أوساط العائلات المصرية البورجوازية، وبالذات في أوساط العائلات القبطية وقف على مشاعر من النوع الضاغطة فقرر المضي في السعي لإعادة تأليف الحزب الذي وجد أن هذه العائلات ما زالت على انتمائها العاطفي له. وإستقطب فؤاد سراج الدين أيضاً شخصيات غير "وفدية" بل إن بعضها تعاطى العمل السياسي مع جمال عبد الناصر. ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال الدكتور حلمي مراد. وهذه الشخصيات لم تلجأ عن قناعات إلى "الوفد" لتحتمي به وإنما هرباً من الانتماء إلى حزب الحكومة أو الحزب الآخر، أي "حزب التجمع" الذي يضم اليساريين والناصريين. وهرب هذه الشخصيات سببه أنها شخصيات مستقلة، فضلاً عن أن لها طموحات سياسية تريد تحقيقها. وإستناداً إلى ما نعرفه عن هذه الشخصيات يمكن القول إن كثيرين من الذين التفوا

حول "الوفد" بنوا حساباتهم على أساس أن حزب الحكومة يفتقر إلى الجذور الشعبية، وأن ذلك سيتوضح في أول انتخابات نيابية حرة يتم إجراؤها في ظل وجود الأحزاب. وإذا أمكن تأمين الفوز في نسبة من المقاعد لا يعود في استطاعة حزب واحد - أي حزب الحكومة - أن يحكم وحده. وعندئذ لا بد من اعتماد حُكم الائتلاف السائد في أنظمة كثيرة.

وإذاً، كانت لـ "الوفديين" طموحات. وكان الرئيس السادات يعرف هذه الطموحات. ومنذ البداية شهر سيفه في وجه "الوفديين" العائدين. وكان الإشهار بحجة أن "الوفديين" ضد ثورة 23 يوليو. ولكن المصادقية لم تكن عميقة لأن ممارسات نظام الرئيس السادات كانت في بعض جوانبها غير متوافقة مع ثورة 23 يوليو 1952. يضاف إلى ذلك أن بعض مستشاري الرئيس السادات أمثال حسن التهامي، ومعظم صحفه وصحافيه، كتبوا عن عبد الناصر ما لا تجوز كتابته، وما لم يقله "الوفد" نفسه.

ولقد نصح أحدهم الرئيس السادات بأن يغلق الأبواب والنوافذ في وجه عودة "الوفد" و"الوفديين" على أساس أن هؤلاء يخططون لكي يكونوا البديل العربي والدولي، فضلاً عن الداخلي، لحُكمه، لكنه ردّ عبارة قال فيها ما معناه إنه قادر على قطع رقبتهم في أي لحظة.

ومن الطبيعي أن يكون "حزب الوفد" مدركاً تمام الإدراك أن الرئيس السادات لا يمكن أن يتحمل أحزاباً غير موالية. ولو أخذنا في الاعتبار مضمون أحاديث ومناقشات لنا مع بعض "الوفديين" في الفترة التي سبقت إعلان تأليف الحزب لوقفنا على حقيقة أساسية بالنسبة إلى هذه المسألة. إن "الوفديين" القدامى كانوا يدركون تماماً أن الرئيس السادات لا يمكن أن يتحملهم إلا إذا كانوا على يمينه أو على يساره أو على مقربة منه. أي موقع آخر يضعون أنفسهم فيه لا يتحملة وغير مستعد للقبول به. ولكن بعض هؤلاء قال لنا ونحن نناقش معهم المسألة ما معناه إن العودة إلى العمل السياسي ضرورية وظاهرة صحيحة. وهم يشعرون أن الخط السياسي الخارجي الذي ينتهجه الرئيس السادات سليم ويتوافق مع مبادئهم ونظرتهم.

أما مسألة النجاح والفشل، فإن الذين ناقشنا الأمر معهم قالوا لنا إن عودة "الوفد" نجاح وكبحه ليس إنتكاسة، وإنما نعرف إلى درجة التأكيد أن الرئيس السادات لن يقبل بنا كحزب معارض ومتأكدون من أننا لن نكون الحزب الذي يوالي، فله حربه ولنا

مواقفنا.

والآن ما الذي سيفعله "الوفديون"؟ وما هي الآثار المترتبة على القرار الذي إتخذه "الوفد" بجل نفسه؟ نعود إلى أوراق قديمة سجلنا عليها بعض الملاحظات خلال مناقشات لنا مع بعض القيادات "الوفدية"، ونرى أنها المدخل المناسب للإجابة عن ذلك.

لقد أبلغتنا هذه القيادات، عندما سألناها لماذا لا يعود الحزب بإسم جديد وقيادات شابة تأخذ في الاعتبار التغيير الجذري الذي حدث خلال عشرين سنة في الخارطة المصرية مجتمعاً وسياسة وأفكاراً، إن أي تسمية أخرى لن تثير في نفوس المصريين المتعاطفين مع "الوفد" أو الذين كانوا يشكلون قواعده الشعبية، أي شجون. هذا على صعيد التسمية. أما على صعيد القيادات الشابة فإن الأسلاف "الوفديين" يحتاجون بعض الشيء إلى مشورة الخلف وحُسن تفهُّمه للأمور من منطلق التجربة التي عاشها الخلف وممارساته السياسية في فترة تشكّل أهم أنواع العمل السياسي.

والآن بعدما عاش "الوفد" أربعة أشهر عصيبة وجد نفسه بعد الإجراءات التي قرر الرئيس السادات إتخاذها يختار الحل الذي يُبقي على بعض هالته في نفوس الناس. والحل الذي إختاره هو حل نفسه.

ولأن الوفد ليس من نوع الأحزاب التي تعمل تحت الأرض فإن ممارساته بعد الآن ستكون كما كانت عشية إعلان قيامه. وهي ممارسات أي طبقة بورجوازية. أما نوابه فإختاروا أن يكونوا مستقلين. والإستقلالية هنا معناها أنهم جاهزون للعودة "وفديين" رسميين إذا أُتيحت لهم الفرصة مستقبلاً.

ولكن الرئيس السادات الذي يرى في قرار "حزب الوفد" حل نفسه ضربة قوية وجُهدت إلى تجربته قد ينشط في سبيل قيام "الوفد" الذي يوالي، والذي إذا ولى لا يعود يلقى، ولا يعود بديلاً، ولا يعود "وفداً"، ولا يعود حزباً.

ويبقى "حزب التجمع"، وقصة هذا الحزب وظروفه ورده على إجراءات الرئيس السادات...

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 يونيو (حزيران) 1978

التضامن الممنوع

إنتهت الجولة العربية التي قام بها الرئيس جعفر نميري من دون أن يتغير شيء في الموقف. والتضامن

الذي طاف الرئيس السوداني مُكلِّفاً من مجلس الجامعة العربية بتحقيقه ما زال بعيد التحقيق.

وعملياً إن الرئيس السادات أرجأ مرتين تحقيق هذا التضامن. المرة الأولى عندما لم يخدم مهمة صديقه الرئيس نميري بأن يتزحزح بعض الشيء عن موقفه من المبادرة وترك الرئيس السوداني نتيجة لذلك يتحرك في فراغ. والمرة الثانية كانت عندما إستأنف الرئيس نميري جولته العربية. وبدلاً من أن يقول الرئيس السادات كلاماً يخدم مهمة نميري فإنه تحدّث عن مفاجأة سيعلنها في 23 يوليو 1978.

أما ما هي المفاجأة ولماذا بالذات في ذكرى قيام ثورة 1952 فأمر قد يكون مرتبطاً بعود أميركية أعطيت للرئيس السادات، أو ربما بحسابات لا تزال عرضة للضرب والطرح والجمع والقسمة من جانب الرئيس السادات أيضاً. أو ربما بمبادرة سلام أوروبية تكون البديل لمبادرة السادات.

المفترض من حيث المبدأ أن يدعو الرئيس نميري الذي عاد من جولته الأولى معجباً بعقلانية الموقفين السوري والجزائري، لجنة التضامن إلى إجتماع يُعقد في الخرطوم من أجل إحاطتها علماً بنتائج مهمته، وهو أمر متفق عليه. ونعتقد أن مطالبة الرئيس نميري أن يوضح للرأي العام العربي حقيقة الموقف في ضوء جولته، لا تشكّل أي إخراج له. فالرأي العام العربي من المحيط إلى الخليج تواق إلى أن يعرف مَنْ هم الذين يعرفون امر إحياء التضامن العربي، وإلى متى سيستمرون يعرفون.

لقد كانت مشكلة إعادة الروح إلى التضامن العربي مرتبطة منذ البداية بموقف الرئيس السادات. فالأكثريّة العربية ترى ضمناً أن يعيد النظر في موقفه الناشئ عن زيارته التي قام بها إلى إسرائيل. ومجموعة دول الصمود والتصدي طالبت بأن يعلن الرئيس السادات فشل المبادرة. ومن خلال هذا الإعلان يصبح الحديث حول ضرورة عودة التضامن ممكناً.

ومن الواضح أن الرئيس السادات لم يعلن ذلك. ولأنه لم يعلنه فقد وضع الرئيس نميري في خانة المهمات الباهتة. ومن هنا فإن الرئيس نميري بما له على الرئيس السادات كان عليه أن يحصل منه مسبقاً على وعد بزحزحة الموقف. ولكن لا الرئيس نميري إشتراط أو طلب الوعد ولا الرئيس السادات من جانبه أظهر أي إستعداد لإعادة النظر في موقفه. وسارت الأمور في طريق صعبة. وكان لافتاً للإنتباه أن يقول الرئيس السادات (في لقاء مع ضباط وجنود الجيش الثاني يوم الثلاثاء 6

يونيو 1978) بينما صديقه الرئيس نميري يواصل جولته العربية الثانية "إن مبادرة السلام لم تقبل كما يدعي البعض، والنتائج التي تظهر كل يوم نتيجة المبادرة هي في صالح العرب كما أنها وضعت إسرائيل في مكانها الصحيح أمام العالم. إن المبادرة لم تقبل ولم تقم بإلغائها لأننا مفتوحو العقل والقلب إذا ما قدّمت إسرائيل عناصر جديدة، أما العناصر القديمة فمرفوضة تماماً، ونحن على إستعداد لأن نعطي إسرائيل الأمن والسلام ولا شيء من السيادة...".

ومع أن الرئيس السادات قال للضباط والجنود ليوازن به كلامه "سوف أعطيكم الأمر كما أعطيته لكم في أكتوبر 1973 إذا لم تُحقق جهود التسوية الكرامة لمصر وسيانته على أرضها"... إلا أن إصراره على أن المبادرة لم تقبل يوضح بما لا يقبل المناقشة أنه ليس مهتماً بأمر التضامن العربي.

ونلاحظ أنه في كل يوم تتأجل فيه إعادة الروح إلى التضامن العربي تحدّث مضاعفات وتتشأ تعقيدات جديدة. وفي التوتر المستجد في العلاقات السعودية - الجزائرية الناشئ عن إتهامات جزائرية للسعودية وإيضاحات لا تخلو من التهديد ردت بها السعودية على هذه الإتهامات، ما من شأنه التأكيد بأن التعقيدات ستتزايد ما دام التضامن العربي لا يتحقق، وهي تعقيدات قد تخدم بعض الشيء موقف الرئيس السادات، لكنها خدمة آنية في أي حال، وخدمة سلبية.

ويبقى أننا نخاف بعدما لم يُكتب لمحاولة الرئيس نميري النجاح أن تدخل المنطقة العربية في متاهات بحيث لن يعود هنالك أي أمل بتحقيق التضامن ويتكرس إنقسام العالم العربي، وهو الإنقسام الذي نعيشه ونعاني منه. إننا نخاف بالفعل. ومن حقنا أن نخاف إلا إذا روى لنا الرئيس نميري بعض حقائق الموقف العربي أو ما من شأنه أن ينفي إفتراض الشائع بأنه ممنوع على العرب أن يتضامنوا منذ زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 يونيو (حزيران) 1978

حرب السادات ضد اليسار المصري!

بعدما وقّع الرئيس أنور السادات يوم السبت 4 حزيران - يونيو - 1978 على قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي" الذي وافق عليه البرلمان

المصري بأغلبية ساحقة تنفيذاً لنتيجة الإستفتاء الذي تم في 21 أيار/ مايو 1978، توجّه إلى منطقة الإسماعيلية. وللرئيس السادات في الإسماعيلية ذكريات وله استراحة جميلة بناها له نسيبه عثمان أحمد عثمان يطيب له الإقامة فيها مثلما تطيب له الإقامة في إستراحة القناطر الخيرية الواقعة على بعد عشرين كيلومتراً من وسط القاهرة.

وفي الإسماعيلية أيضاً قيادات الجيش التي من الضروري أن يزورها ليوضح لقادتها لماذا إتخذ الإجراءات في حق بعض السياسيين والكتّاب والصحافيين والفنانين ولماذا الإستفتاء وإلى أين تسير مصر وما هي أوضاع الجبهة المدنية. وكان عليه أن يوضح لأن العسكريين، وتلك ظاهرة مستجدة، بدأوا منذ سنة يتابعون في إستمرار ما يجري على الجبهة المدنية، وكثيراً ما سَجَلُوا ضيقهم من الذي يجري في أوساط المدنيين الذين يبالغون في إستثمار نصر عسكري حققه الجيش المصري خلال حرب 1973، من دون أن ينتبهوا إلى أن الأرض ما زالت محتلة.

وقبل الإجراءات الإستثنائية قام الرئيس السادات بزيارات كثيرة إلى الوحدات العسكرية وتعمّد أن يهاجم امامهم الذين إتخذ في حقهم الإجراءات. امام الجيش هاجم محاولات القدامي للعودة. هاجمهم كثيراً كثيراً وقام بعملية تحريض معنوية زارعا في نفوس العسكريين مخاوف خلاصتها أن الباشاوات العائدين سينشطون على حساب الجيش. ولكن العسكريين ما أن تكامل نمو الضيق في نفوسهم تجاه الباشاوات الحالمين بالعودة العاملين من أجلها حتى فوجئوا بأن الرئيس السادات قرر السماح لـ "حزب الوفد" بالعودة. وإذا لماذا كانت تلك الحملات ما دام الرئيس مقرراً ضمناً أنه سيسمح بعودة الماضي؟

وقبل الإجراءات الإستثنائية هاجم الرئيس السادات بعض السليبيات التي تحدث في الجبهة المدنية ثم فوجيء العسكريون بأن هذه السليبيات تزداد من دون أن يحسمها الذي في يده الحسم.. أي الرئيس السادات.

وقبل الإجراءات الإستثنائية سمع العسكريون قصصاً أقرب إلى الخيال عن صفقات تتم وسمسرات فظيعة وطبقة من المليونيرات تنمو وحياة بذخ يعيشها البعض ومشاريع لا تخلو من الشبهات يتم العمل ومن أجل تحقيقها تحت مظلة شعار الإنفتاح ومنها على سبيل المثال لا الحصر مشروع هضبة الأهرام. وسمعوا أيضاً كلاماً من الرئيس عن ضرورة القيام بتغيير.

ولكنهم فوجئوا بأن التغيير كان باهتاً ولا جدوى منه. وبعدما وقّع على قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي" كان لا بد للرئيس السادات من أن يقول إيضاحات أو تبريرات بالنسبة إلى اليساريين الذين يحظون بشيء من التفهم في صفوف صغار الضباط والجنود. والتفهم ليس مذهباً سياسياً بقدر ما هو تفهم إجتماعي إذا جاز التعبير. وعندما تصل إلى هؤلاء عشرات الرسائل من الأهل والأصدقاء والأقارب في القاهرة والأرياف وفيها يتحدثون عن الشجع والصفقات وعمليات السمسرة المحظية بشيء من الحماية الرسمية، يقابل ذلك الغلاء الفاحش والتميز الذي يتمتع به البعض على حساب الأكثرية المحرومة... يصبح من الطبيعي أن يتفهم هؤلاء الضباط والجنود إعتراضات اليسار وانتقاداته ولا يتفهموا دفاعات حزب الحكومة وصحفها ومجلاتهما، فضلاً عن أن في أوساط هؤلاء الضباط والجنود كلاماً كثيراً حول التسليح وكيف أن حجم السلاح ونوعيته غير متوافق مع حجم المشكلة. ومثل هذا الكلام طرح نفسه بقوة على الساحة السياسية نتيجة التعتن الإسرائيلي الذي أدى في النهاية إلى إفشال مبادرة الرئيس السادات.

ومن الطبيعي أن الضباط والجنود ما كانوا ليعلّقوا الأهمية القصوى على موضوع السلاح لو أن المبادرة السياسية افادت في شيء. ومن هنا نفهم حرص الرئيس السادات على أن يُطمئن هؤلاء العسكريين بالنسبة إلى موضوع السلاح فيقول لهم يوم الأحد 11 حزيران (يونيو) 1978 في ختام جولته الميدانية لمنطقة قناة السويس (غاب عنها وزير الحربية الفريق أول عبد الغني الجمسي الذي قام في تلك الفترة بزيارة رسمية إلى الولايات المتحدة) ما معناه إن مصر ستنتج في العام 1980 أول قاذفة مقاتلة موضحة في حديثه امام طياري وقادة الدفاع الجوي في قاعدة بلبيس الجوية أن ذلك يأتي في نطاق خطة كاملة لتطوير القوات المسلحة بكل فروعها وقواتها سيعرضها الفريق أول الجمسي فور عودته من الولايات المتحدة. وهذا معناه أن الخطة متفق عليها مع الأميركيين.

وقبل هذا اللقاء وهذه التوضيحات أبلغ الرئيس السادات قادة وضباط الجيش الثالث الميداني يوم الأربعاء 7 حزيران (يونيو) 1978 ما معناه إنه لن يسمح لأي ماركسي أن يتولى أحد مناصب قيادات الرأي والإنتاج "لأن من لا إيمان له فلا أمان له". وأضاف: "إن اليمين واليسار إلتقيا على هدف واحد

هو التشكيك في كل شيء وإثارة الأحقاد والهدم وإنني لن أرحم كل من يحاول أن يعيد أحداث 18 و 19 يناير مرة أخرى....".

وقبل أن نوضح مغزى هذه التصريحات والغرض الذي يستهدفه الرئيس السادات من زيارته للوحدات العسكرية، نشير إلى أن النقطة الأساسية في خطابه الذي ألقاه في بور سعيد في ذكرى هزيمة 1967 يوم الثلاثاء 5 حزيران (يونيو) كانت متعلقة باليسار والماركسيين. ومما قاله - وهو بيت القصيد بالنسبة إلى ما سنقوله ازاء الوضع اليساري في مصر قبل الإجراءات وبعدها - يعكس حلمًا يسعى إلى تحقيقه وهو إستحداث ما يمكن تسميته "اليسار الساداتي". لقد قال الرئيس السادات: "إننا لن نسمح للماركسيين بالسيطرة على حزب اليسار وأن يحتكروا قيادته كما أننا لن نسمح للإنتهازيين بالتسلل إلى حياتنا السياسية. إن ثورة مايو أصبحت ثورتين: ثورة التصحيح عام 1971 في مواجهة مراكز القوى والإجراءات الإستثنائية، وثورة التصحيح عام 1978 في مواجهة الإنحراف بالمسار الديمقراطي والعودة بمصر إلى مجتمع ما قبل الثورة. إنني سألجأ إلى الأحكام العسكرية في حالة واحدة فقط وهي إستغلال التجار لمعاناة الشعب ومحاولة رفع الأسعار....".

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ما حصل عليه الرئيس السادات من قائد الطيران اللواء محمود شاكر عبد المنعم لم يحصل مثلاً عليه من قائد الجيش الثالث اللواء أحمد بدوي أو اللواء حلمي عفيفي قائد قوات الدفاع الجوي. فالأول أي قائد الطيران سجّل موقفاً واضحاً ومما قاله: "إننا وإن لم يكن لنا الحق في الإشتراك في الإستفتاء الأخير، إلا أنه يهمننا أن نعلن للشعب أن القوات الجوية تؤيد إجراء اكم الأخيرة لتصحيح المسار الديمقراطي". أما الثاني أي اللواء أحمد بدوي قائد الجيش الثالث فسجّل موقفاً هادئاً جداً غلب فيه الموقف العسكري وتمثّل في قوله: "هذا اللقاء يا سيادة الرئيس هو إستمرار لمهمتنا في تحرير الأرض التي إحتلها العدو في 5 يونيو 1967 ذلك اليوم الذي حوّلته - ثورتكم - ثورة 15 مايو - إلى ذكرى عزيزة غالية بعودة الملاحة إلى قناة السويس. وبفضل قراركم الشجاع يوم 6 أكتوبر 1973 إستعاد الجندي المصري ثقته. وأؤكد لكم يا سيادة الرئيس أننا الآن في تمام الإستعداد تحت لوائكم أباً للعائلة المصرية حفظكم الله لمصر حتى تتصدر مكانتها

المرموقة بين دول العالم". وأما الثالث أي اللواء حلمي عفيفي قائد قوات الدفاع الجوي فسجّل هو الآخر موقفاً هادئاً، بل أكثر هدوءاً، تمثّل بقوله: "إن قوات الدفاع الجوي تقديراً لمسؤولياتها ستظل بمشيئة الله تعمل بكل العزم والتصميم على رفع كفاءتها القتالية وقدرتها الفنية بأسلحتها ومعداتها التي خاضت بها حرب أكتوبر المجيدة متخطية كل الصعوبات".

ومن الجائز الإفتراض أن حسني مبارك نائب رئيس الجمهورية هو الذي يقف وراء هذا التأييد المطلق الذي سجّله قائد القوات الجوية للرئيس السادات، ذلك أن مبارك كان قائداً للطيران المصري قبل أن يؤتى به نائباً لرئيس الجمهورية في إطار معادلة يقال إن محمد حسنين هيكل وراءها وخلاصتها أنه ما دام الرئيس السادات إختار عبد الغني الجمسي ليكون وزيراً للحربية مرئوساً من ضابط بوليس سابق، أي ممدوح سالم رئيس الحكومة، فمن الأصوب تعيين أحد قادة الجيش نائباً لرئيس الجمهورية تقادياً لنشوء حساسيات داخل القوات المسلحة. وهكذا كان. وبالطبع ما يستطيعه حسني مبارك في القوات الجوية لا يستطيعه في بقية أسلحة الجيش.

وفي الوقت الذي كان الرئيس السادات يصب جام غضبه على اليسار والماركسيين متضابقاً في الوقت نفسه من "حزب الوفد" الذي حل نفسه، كان "التجمع الوطني التقدمي الوحدوي" أي اليسار المصري يعقد المزيد من المشاورات لإتخاذ القرار النهائي. فالحزب كان إتخذ قراراً بالتجميد لكنه كان قراراً مؤقتاً جاء في أعقاب إقرار المشروع الذي سُمي "مشروع حماية الجبهة الداخلية والسلام الإجتماعي"، وبعدها إتخذ "حزب الوفد" قراراً بحل نفسه بات لا بد من قرار حاسم: إما حل الحزب وإما عدم حله، ذلك أن التجميد موقف عائم.

وجاء كلام الرئيس السادات يوم 5 حزيران (يونيو) 1978 يوضح أمام قيادات "حزب التجمع" المسألة بكثير من الوضوح. ومعنى قول الرئيس "لن نسمح للماركسيين بالسيطرة على حزب اليسار" أنه، أي السادات يفترض أن "التجمع" سيحل نفسه، وعندها يكلف مجموعة من اصدقائه ومريديه اليساريين تأليف حزب لليسر وتُحل بذلك المشكلة.

وفي ضوء هذا الكلام، فضلاً عن المناقشات التي جرت بين قيادات "التجمع"، تمت الدعوة إلى مؤتمر موسّع حضره اربعمئة من الأعضاء المؤسسين. وفي هذا المؤتمر الذي عُقد يوم الأحد 11 حزيران (يونيو)

1978 تقرر عدم حل "التجمع"، إلا أنه يقرر وقف إصدار صحيفة "الأهالي". وقد أعلن "التجمع" القرار في بيان أصدره بعد مناقشة للموقف استغرقت سبع ساعات.

نأتي الآن إلى تسجيل بعض الملاحظات حول "التجمع" والقرار الذي إتخذه وحول احتمالات مستقبل اليسار في مصر.

الملاحظة الأولى: عندما تقرر السماح بأن تكون هنالك ثلاثة أحزاب في مصر كان الشيوعيون المصريون هم أكثر الناس دراية بالعمل الحزبي وأصحاب تاريخ في هذا الشأن. وكانت حسابات الرئيس السادات قائمة على أساس أن إنضمام الشيوعيين إلى حزب علني يسهل عليه أمر مراقبة نشاطات هذا الحزب ويسهل عليه أيضاً ضربه عند الضرورة. كذلك كانت حساباته قائمة على أساس أن في استطاعته مع الوقت توظيف هذا الحزب في خدمة الخط السياسي له. ولم يخطر في بال الرئيس السادات أن تحدث المفاجأة التي حدثت وتتلخص في أن اليساريين المصريين من ماركسيين وتقدميين لعبوا لعبة ذكية. تشاوروا مع الناصريين وتمكنوا من التفاهم معهم وشكّلوا تجمعاً بدلاً من أن يشكّلوا حزباً أطلقوا عليه "التجمع الوطني التقدمي الوحدوي".

الملاحظة الثانية: على رغم أن "حزب مصر العربي الاشتراكي" كان هو حزب الأغلبية البرلمانية لأنه حزب السلطة، إلا أن "التجمع" استطاع في أشهر قليلة أن يحدث هزة - متواضعة بعض الشيء لكنها مؤثرة - في الرأي العام المصري. ذلك أنه طرح قضايا متصلة مباشرة بهموم المصريين، وهي هموم تؤمن لطارجها إنفاقاً شعبياً مرموقاً.

وبعدما أصدر "التجمع" صحيفة تنطق بإسمه هي صحيفة "الأهالي" أصبح إتصاله بجماهيره أقوى وأكثر جدوى، على رغم أن هذه الصحيفة كانت غير متكافئة مع القدرة الإعلامية والصحافية التي يتميز بها اليساريون والتقدميون والناصريون في مصر. وإلى ذلك إن عدم نشر الأسماء واضحة في الصحيفة (اعتمدت نشر الأسماء الحركية) أعطاها بُعداً ماركسياً.

واستطاعت "الأهالي" أن تحظى في شهرين بالإهتمام البالغ من جانب المواطنين، خصوصاً بعدما انتقلت إلى موقع المتصدي للقضايا التي تتميز بشيء من الحساسية. ولكن هذا التصدي جعل الرئيس السادات يستعجل توجيه الضربة إليها وبالتالي إلى

حزبها. ولعل من أهم مظاهر التصدي ما نشرته الصحيفة في عددها الصادر بتاريخ 3 أيار/ مايو 1978 عن "الرأسمالية العائلية وسر الشركات التي يؤسسها الأبناء والأخوة وشجرة العائلة" مركزة على شركات عثمان أحمد عثمان.

وكان هذا التصدي مكلفاً لكنه فتح الباب وفتح الأعين وأطلق عقال الألسنة التي كانت تتحدث صمتاً عن هذا الإنتشار الضخم لعثمان أحمد عثمان نسيب الرئيس السادات (الإبنة الصغرى للرئيس متزوجة من ابن عثمان أحمد عثمان) وصديقه. وتدلّياً على ما أحدثه الكلام الذي نشرته "الأهالي" في أوساط الرأي العام المصري فإن مجلة "أكتوبر" وهي مجلة الرئيس السادات نشرت مطالعة دفاعية بقلم انيس منصور شملت أيضاً المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب (ابنه متزوج من الإبنة الثانية للرئيس السادات).

وبعد نشر "أكتوبر" هذه المطالعة بثلاثة أيام صدرت التعليمات التي تقضي بالحوّل دون صدور العدد الجديد من "الأهالي" الذي كان مقرراً صدوره يوم 17 أيار مايو. وقد مُنعت الصحيفة من الإستمرار في الطبع بعدما كانت طبعت 17 ألف نسخة من عددها، وبالتالي مُنعت من الصدور. ثم اصدرت "الأهالي" بعد ذلك عدداً وثائقياً ضمّنه برنامج "التجمع". وسرى الإعتقاد بأن هذا العدد هو "عدد الوداع" (الرقم 19) بتاريخ الأربعاء 7 حزيران أي قبل أربعة أيام من إجتماع الهيئة التأسيسية للتجمع ووضعت الصحيفة عنواناً رئيسياً لصفحتها الأولى هو "الأهالي تُصدر عددها الأخير بعد أن قررت الإحتجاب". وفي معرض ذكر أسباب الإحتجاب نشرت الصحيفة الآتي: "سوف نحتجب حتى لا نضطر لأن نكتف في الصدور ما ينبغي أن نتنفس به ... وحتى لا نضطر لأن نمارس - كغيرنا - عادة إخفاء الحقيقة أو تهويلها".

الملاحظة الثالثة: إن الأكثرية داخل "التجمع الوطني التقدمي الوحدوي" ليست ماركسية كما يُخيّل للبعض، ولذا لا يمكن إعتبار "التجمع" بأنه حزب للشيوعيين في مصر خصوصاً أن الجيوب الشيوعية المتطرفة غير مشتركة في "التجمع" وتتخذ موقفاً غير ودي من قياداته. وفي الوقت الذي كان "التجمع" يتشاور في أمر مستقبله ويقرر إتخاذ موقف عقلاني، كان الحزب الشيوعي المصري يُصدر بياناً بالغ الأهمية يقول فيه "إن إنتقال القرار إلى القوى الطبقيّة العملية في التحالف الطبقي القابض على السلطة في مصر

يعني إنحياز هذا التحالف وهذه السلطة إنحيازاً نهائياً إلى الإمبريالية والرجعية. إن التناقض بين هذه السلطة وبين شعبنا أصبح تناقضاً رئيسياً عدائياً لا يمكن حله إلا بتغليب أحد النقيضين على الآخر، أي الإطاحة بهذه السلطة. وإن التحدي الذي تواجهه الطبقة العاملة والحركة الوطنية في مصر وتواجهه معها الطبقة العاملة العربية والثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربي عامة هو تحدٍ إستراتيجي. ولأنه تحدٍ إستراتيجي أساسي فإنه يتطلب إعداد مواجهة إستراتيجية ثورية لا تغني عنها المواقف وأشكال الحركة التكتيكية برغم الأهمية بالنسبة إلى هذه المواقف التكتيكية". وهاجم البيان "الرأسمالية الطفيلية التي يقف على رأسها حفنة من القادة السياسيين وأقربائهم وإنساباتهم وتمتد قاعدتها الإجتماعية لتصل إلى الوف مؤلفة من الموردين والمصدرين والوكلاء التجاريين والسماسرة والمقاولين وباعة المشروبات الوهمية والمهزبين وتجار الشنطة والنصابين وذوي السوابق. وهذه الفئة ليست تسلسلاً طبقياً من أبناء الطبقة الرأسمالية التقليدية وهي لا وطن جغرافياً لها، ووطنها أي مكان في العالم يتيح لها أسرع ربح ممكن بأقل جهد ممكن. إنها فئة طبقية خارجة على القانون وقائمة في الأساس على التحايل عليه". أما بالنسبة إلى الخط السياسي للرئيس السادات فتضمن البيان "إن السلطة السياسية منحازة إلى الرأسمالية والرجعية في الداخل وإلى الإمبريالية وحلفائها في الخارج. وإستمرارية مبادرة السادات تستند إلى سببين أولهما إنها ناتجة عن صداقة وتحالف مع العدو وثانيهما إن الإعتراف بفشلها يعني نهاية القائم بها".

ومثل هذا الكلام للشيوخيين المصريين المتطرفين لا يتطابق مع نظرة "التجمع" إلى الرئيس السادات. "التجمع" له إعتراضات في حين أن الشيوخيين يرفضون النظام جملة وتفصيلاً.

وعلى رغم عقلانية موقف "التجمع" إلا أن الرئيس السادات لم يتحمله، ولم يتحمل الإنتقادات التي كانت توجه إلى بعض سياساته. ولم يقتنع بأن القيميين على "التجمع" ماركسيون من النوع المستنير وجُلهم من أصدقائه (خالد محيي الدين، لطفي الخولي، محمد سيد أحمد). ولعل ضيقه الحقيقي من التجمع يعود إلى أن الناصريين إعتبروا "التجمع" ممثلاً لهم وليس للرئيس السادات أو حزبه.

الملاحظة الرابعة: إن رفض الرئيس السادات لهذا

النوع العقلاني من اليسار معناه أنه سيواجه سرّاً نشاطاً ماركسياً متطرفاً لن يتوقف على رغم حملات المطاردة التي يتعرض لها منذ أن وصل السادات إلى سدة الحكم. وإذا تدكّرنا ما حدث مع اليساريين المحسوبين على الرئيس السادات والذين يمثلهم عبد الرحمن الشرقاوي وكيف أن الرئيس السادات ضاق ذرعاً حتى بيسارية مجلة "روز اليوسف" فأبعد عنها الشرقاوي وأحل محله مرسى الشافعي، وإذا تدكّرنا أيضاً سياسة إبداء حُسن النية التي مارسها لطفي الخولي إزاء السادات وطرحه شعار "مدرسة السادات السياسية" عبر سلسلة مقالات لم يرتح لمضمونها اليساريون، ومع ذلك أبعد الخولي وضرب تجربة مجلة "الطلعة" التي كانت منبراً يسارياً راقياً... إذا تدكّرنا ذلك وأموراً أساسية أخرى فهذا يعني أن اليسار الذي يقبل به الرئيس السادات هو اليسار الذي لا يناقشه في شيء ولا ينتقده في شيء وبارك أي هجوم يشنه على الإتحاد السوفياتي.

وصحيح أن معظم القيادات اليسارية الحالية في مصر كانت منضوية تحت لواء الحزب الشيوعي المصري إلا أنه بعد حل الحزب أيام جمال عبد الناصر وتحول الماركسيين المصريين بالرضى إلى فصيل يرى في الخط الوطني الذي ينتهجه عبد الناصر ما يمكن إعتباره بديلاً عن الإستمرار في العمل الحزبي، لم يعد يُنظر إلى هؤلاء أنهم ما زالوا شيوعيين بالمعنى التقليدي. وكون هؤلاء ماركسيين، من خالد محيي الدين إلى لطفي الخولي إلى محمد سيد أحمد إلى محمد عودة إلى اسماعيل صبري عبدالله إلى فؤاد مرسى إلى أحمد حمروش وإلى كثيرين آخرين، لا يعني أنهم ملحدون تُلصق التهم بهم بطريقة مزاجية وعشوائية. كذلك ليس من اللائق أيضاً تصنيف هؤلاء الناس على أنهم "تربوا في أحضان موسكو". إن هؤلاء ينطلقون في نظرتهم إلى التطورات التي يعيشها الوطن من منهج ثبتت صوابيته وهو منهج سياسة عدم الإنحياز.

ولعل الرئيس السادات في قوله "لن نسمح للماركسيين بالسيطرة على حزب اليسار" يعكس تمنيات في نفسه خلاصتها أنه عندما يحل "التجمع" يشكّل حزب اليسار الذي يريحه. وقد يجد من هو مستعد للقيام بهذا الدور، إلا أنه سيكون دوراً عابراً يؤدي أكثر مما يفيد.

الملاحظة الخامسة: إن "التجمع" تنبهاً منه لمثل هذه الإحتمالات لم يحل نفسه. لكن ذلك ليس السبب الوحيد. وقد يكون السبب الأساسي هو أنه إذا حل

رافقته دعوة الرئيس السادات لتجميد قانون "حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي" تمهيداً لفتح الطريق أمام حوار بين القوى السياسية في مصر. ورافقه أيضاً قرار برفع دعوى قضائية تطالب بإلغاء القانون على أساس أنه "غير دستوري ويشكل خرقاً لحقوق الإنسان". ومعنى ذلك أن "التجمع" ترك الأمر إلى الرئيس السادات واعتبره حكماً وليس خصماً. وما دام القانون تسبب في إشكالات وسيقود إلى المزيد من التعقيدات فإن تجميده يبدو مخرجاً لانقاساً، إنما إذا كان الرئيس السادات يريد حلولاً معقولة بالفعل.. ولكن هجمته الكلامية والإجرائية لا تشجع على توقع ذلك.

الملاحظة الثامنة: إن المفهوم الذي ساد في أعقاب البدء بتنفيذ الإجراءات الإستثنائية هو أن الرئيس السادات يريد إنقاذ البديل وأن وزير الإعلام عبد المنعم الصاوي وجد بعد الإجراءات الفرصة المناسبة لكي يثار من اليسار ومما نشره في صحيفة "الأهالي" حول شركة الإستثمار السعودية - المصرية ودور ابن الوزير فيها، فأدلى يوم 31 أيار/ مايو 1978 بتصريح قال فيه: "إن إبعاد ذوي الإتجاهات الماركسية عن أجهزة الإعلام يُعتبر تأكيداً للحرية ذاتها حتى لا يُستغل مناخ الحرية في غير أغراضه، وضد معتقدات الجماهير وقيمتها ومصلحتها...".

ومثل هذه النظرة من شأنها جعل نسبة الإنلغاف تزداد حول اليسار خصوصاً أن أية معالجة كلامية من الإتجاه المعاكس لا تجدي نفعاً إذا لم ترافقها إصلاحات إجتماعية جذرية. وحتى الآن لا يبدو أن هنالك أية إصلاحات إجتماعية إلا إذا إعتبرنا "المنشور العاجل" الذي أصدرته الإدارة العامة للدعوة في وزارة الأوقاف يوم 11 حزيران/ يونيو 1978 ووجهته إلى أئمة المساجد تطلب فيه "الوقوف ضد الإلحاد والتصدي للتيارات المنحرفة والتيارات المغرضة" نوعاً من الإصلاح الإجتماعي. وهو قياساً بالظروف الصعبة التي يعيشها المواطن المصري ليس إصلاحاً جذرياً.

لقد إهتز مفهوم الحياة الحزبية الذي أراده الرئيس السادات. وبعدما حل "حزب الوفد" نفسه وقرر "التجمع الوطني التقدمي الوحدوي" عدم حل نفسه رافضاً في الوقت نفسه التدخل في شؤونه مشيراً إلى أن سكرتارية الحزب "مخولة إعادة ترتيب الأولويات في عمل الحزب والتقدم بإقتراح أشكال جديدة للعمل"... بعدما حدث ذلك لم يبق في مصر سوى حزب الحكومة وحزب "الأحرار الإشتراكيين" المسالم والذي لن يستفيد إطلاقاً من حل

التجمع نفسه فإنه ليس من السهل إعادة تكوينه من جديد. فهو ليس حزباً يضم نوعية مذهبية واحدة من الناس وإنما هو تجمع يضم الماركسي والوحدوي والناصري والمستقل وغير المؤمن بوسطية حزب الحكومة. وهؤلاء إذا حل "تجمعهم" نفسه قد يتوزعون على أحزاب، أو على الأقل يختارون طريق الإبتعاد نهائياً عن الأحزاب. وفوق ذلك أن صيغة "التجمع" التي حققت في فترة بسيطة ما لم يحققه أي حزب آخر قد تسقط نهائياً في حال الإقدام على قرار الحل.

الملاحظة السادسة: في بداية تشكيل "التجمع" لم تكن القيادة من النوع الصعب المراس بالنسبة إلى الرئيس السادات. ولم يكن سكرتير "التجمع" خالد محيي الدين مقاتلاً حزبياً وإنما إستمر على هدوئه يعمل في ضوء الضوابط التي فرضتها فكرة "الحزب المصنوع". فهو لم يتجاوز الأصول وضغط في أوساط قيادات "التجمع" من أجل عدم التجاوز ربما لأنه أدرك الناس بالرئيس السادات كونهما رفاق ثورة. وعندما أبعد خالد محيي الدين عن المجموعة التي قامت بالثورة وبقي السادات لم تقطع الصلة بينهما. ثم إن خمس عشرة سنة من العمل السياسي الداخلي والخارجي صقلت خالد محيي الدين وجعلته يفضل بإستمرار التصرف كرجل دولة.

لكن الذي حدث هو أنه بعدما بدأت قيادات "التجمع" تنشط في أوساط الناس وتلمس حقائق الضيق الذي تعانيه الجماهير، بدأت قيادات اليسار تعيد النظر قليلاً في مفاهيمها وتظهر تفهماً لما تقوله الجماهير وللمطالب التي تطرحها. وشيئاً فشيئاً وجدت قيادات اليسار بمن فيها خالد محيي الدين انها مطالبة بطرح حاد بعض الشيء للقضايا الداخلية والخارجية. ولمجرد أن حدث ذلك زاد الإنلغاف حول "التجمع". ثم ضغطت الجماهير أكثر فأكثر وجعلت قيادات "التجمع" أسيرة موجة شعبية شعرت هذه القيادات بأن الفرصة مناسبة لتوظيفها حزبياً.

وبعدما صدرت "الأهالي" وأصبحت تنشر أحاديث الناس وهمومهم وضيقهم ومعاناتهم، كبر حجم "التجمع". ولأن الحجم كبر وصار يتكل على الإنلغاف الجماهير حوله فإنه أصبح مطالباً بما هو أكثر. ومن هنا تجرؤه ونشره في "الأهالي" فضائح وأرقاماً وأسماء بعضها من النوع الذي لا يُمس. ولذا بدأ العد العكسي لضرب "التجمع".

الملاحظة السابعة: إن قرار عدم حل "التجمع"

"حزب الوفد" نفسه ولا حتى من الصيغة التي سيختارها اليسار.

وحتى إشعار آخر هناك مخاوف كثيرة من أن تزداد الأمور تعقيداً ويحدث في مصر ما حدث ذات يوم في أندونيسيا.

وتستوقفنا هنا عبارة قالها الرئيس السادات عندما زار قيادة الجيش الثالث يوم 7 حزيران (يونيو) 1978. والعبارة هي: "لن أرحم من يحاولون فرض الأعمال الدمية لتخويف الشعب".

وإستكمالاً لهذه العبارة يستوقفنا قرار إتخذ يوم 11 حزيران، أي بعد أربعة أيام، بتعديل قانون إحراز الأسلحة النارية. وقضى التعديل بإعفاء المواطنين الذين يحوزون أسلحة غير مرخصة من العقوبة إذا طلبوا الترخيص بها حتى نهاية شهر يوليو (تموز) 1978.

ما الذي جرى حتى يقول الرئيس السادات تلك العبارة، ويتخذ القرار المتعلق بالأسلحة غير المرخصة. قد يكون الذي جرى خطيراً. وقد يكون الذي سيجري أكثر خطورة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 يونيو (حزيران) 1978

* * *

الحرب العالمية... عربية؟

بعدما امتلأت المنطقة العربية بوجود عسكري يمثل كل أمم العالم، وبعدما تتكشف لنا يوماً بعد آخر حقائق كثيرة عن طبيعة مشكلة الشرق الأوسط وإستحالة التوصل إلى الحل المعقول والعادل، هل معنى ذلك أننا على أبواب حرب عالمية ثالثة. وهل معنى ذلك أن الأرض العربية من المحيط إلى الخليج ستصبح ساحة اقتتال جيوش العالم وساحة إختبار للأسلحة الجديدة المحرّم استعمالها وغير المحرّم؟

وهل إن نائب رئيس وزراء الصين كان يقصدنا عندما صرّح يوم الجمعة 9 حزيران/يونيو 1978 بأن "نشوب حرب عالمية ثالثة أمر محتوم"؟

وهل إن الحروب الأهلية التي تحدث في المنطقة العربية منذ حوالى خمس عشرة سنة والتي وضعت القوى الكبرى تخطيطاً لها لكي تأخذ في المستقبل أشكالا أكثر ضراوة وأكثر شمولاً، هي المدخل لهذه الحرب العالمية الثالثة التي يشير إليها المسؤول

الصيني؟

وهل إن المطاردات الأميركية - السوفياتية في المنطقة العربية وفي أفريقيا هي التمهيد الطبيعي للحظة الانفجار الكبرى بين الدولتين العظميين؟

وهل إننا عندما نسمع العقيد معمر القذافي يقول يوم 11 حزيران (يونيو) 1978 في الذكرى الثامنة للإجلاء الأمريكي عن قاعدة "ويلس" التي أصبح اسمها بعد ذلك قاعدة عقبة بن نافع "إن الطيران الليبي والبحرية الليبية تحت تصرف الشعب الفلسطيني حتى التحرير، وإنه ليس هناك من حل إلا بالثورة وبالقوة وإن كل المحاولات قد فشلت فشلاً ذريعاً وإن كل الطرق التي سارت فيها سياسات الإستسلام أو حتى السياسات السلمية كانت طرقاً مسدودة"...

هل أننا عندما نسمع القذافي يقول ذلك نفترض أيضاً أن حسابات الرئيس الليبي وتقديراته متوافقة مع تقديرات المسؤول الصيني الذي قال "إن نشوب حرب عالمية ثالثة أمر محتوم"؟

وهل إن سياسة الوفاق السوفياتي - الأمريكي إنتهت وأن ممارسات السوفييات الأخيرة وتهديدات الرئيس كارتر رداً عليها نوع من التأكيد بأن هذه السياسة إنتهت أو إنها على طريق النهاية.. أو على الأقل اهتزت؟

إن الجواب ب نعم على هذه التساؤلات وعلى تساؤلات أخرى كثيرة ليس تجنياً على الحقيقة. فهذه التعقيدات في الموقف ليست طبيعية، وتلك الإستعدادات التي ترافق التعقيدات ليست بسيطة على الإطلاق.

وشبح الحرب العالمية الثالثة ليس جديداً على المنطقة العربية، بل لعلها تقررت من حيث المبدأ لمجرد أن بدأ ظهور النفط وبدأت حركة التحرر العربي.

ولقد حاول جمال عبد الناصر من جانبه وبالتعاون مع قوى دولية لها شأنها إطفاء نار هذه الحرب قبل أن تمتد لتتسع المنطقة وتحرقها. وقد لا يكون نجاح في الإطفاء ولكنه نجاح في إرجاء هذه الحرب.

ومحاولة عبد الناصر تمثلت في مساهمة جادة في خلق فريق عدم الإنحياز. لكن هذه السياسة كانت مرتبطة بأشخاص ولذا فإنها تلاشت لمجرد أن توفي نهرو ثم إهتزت عربياً لمجرد أن توفي جمال عبدالناصر. ولم يبق منها الآن سوى ذلك الرمز المضيء المتمثل بالرئيس اليوغسلافي تيتو.

وفي السنوات القليلة التي إزدهر فيها فريق عدم الإنحياز كان من الصعب على القوى الكبرى أن تتلاعب بالمنطقة لأن فيها حراساً يقظين وسياسة

متوازنة واقية. وفي هذه السنوات القليلة أمكن دول عدم الإنحياز بناء نفسها إقتصادياً وعسكرياً. ولمجرد إهتزاز سياسة عدم الإنحياز وإبدالها بسياسة الإنحياز بدأت الدول الكبرى تتشط في سبيل تحقيق المخططات القديمة المرسومة. والمخطط الأكثر بروزاً فيها هو السيطرة الكاملة على المنطقة والسيطرة لا تكون إلا بالقوة. وعندما تمارس دولتان عظيمتان القوة فإن الذي يحدث هو الحرب العالمية.

في ضوء هذا الواقع المخيف الذي يبدو أننا مقدمون عليه ليس أمامنا من خيار للوقاية سوى إعتقاد سياسة عدم الإنحياز وتنشيطها وإعادة الروح إليها. ففي الستينات أفادتنا وبفضلها إنقينا شر حرب عالمية على أرضنا.

ولكن هل مثل هذا الأمر ممكن؟

هنالك فرق بين الممكن وبين المطلوب. وإننا لنطالب مدركين في الوقت نفسه أنه لكي تكون هنالك سياسة عدم إنحياز، من الضروري أن يكون الأبطال غير منحازين أو على الأقل عندهم إستعداد لذلك، مثلما كان أبطال سياسة عدم الإنحياز منذ أواخر الخمسينات وحتى منتصف السبعينات.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 يونيو (حزيران) 1978

* * *

يمنان .. إنقلابان .. حربان!

يبدو أن لعنة "الألف والنون"، إجتاحت في الأسبوع الماضي "اليمنين" الشمالي والجنوبي في آن واحد، فبعد ظهر السبت 24 حزيران (يونيو) 1978 أغتيل رئيس جمهورية اليمن العربية (الشمال) المقدم أحمد الغشمي بعد أقل من تسعة شهور على حادث إغتيال سلفه المقدم إبراهيم الحمدي. وفيما كان العالم الخارجي يفسر ويحلل طريقة الإغتيال وأسبابها ونتائجها، فوجيء بأحداث دموية - عسكرية إنقلابية في الشطر الجنوبي من اليمن، المعروف دولياً تحت إسم "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية".

صباح الإثنين وفيما كانت صنعاء (عاصمة الشطر الشمالي) تستعد لجنازة المقدم الغشمي، أوردت وكالة الأنباء العراقية "من مكتب مراسلها في عدن البرقية الأولى الآتية: تجري في العاصمة عدن منذ الصباح الباكر - الإثنين 26 يونيو - أحداث غامضة فقد إنتشر

جنود الميليشيا الشعبية في شوارع العاصمة وسدوا منافذ الطرقات المؤدية إلى منطقة "التواهي" (مقر الرئاسة). وحبس العالم أنفاسه بإنتظار البرقية الثانية من "وكالة الأنباء العراقية" التي جاء فيها إن معارك تجري بين أفراد الميليشيات الشعبية، وبين القوات المسلحة. كما إن الإتصالات الخارجية قُطعت بين العاصمة عدن وبين العالم الخارجي.

إستمر غموض الموقف في جمهورية عدن الديمقراطية الشعبية طيلة نهار الإثنين، ولا مصدر للأنباء غير "وكالة الأنباء العراقية". ظن البعض أن إنقلاباً عسكرياً أطاح النظام الماركسي اليساري القائم هناك لمصلحة القوى والأطراف المعارضة للوجود السوفياتي على مدخل مفترق بحر العرب. وكانت جريدة "لوموند" الباريسية ذات السمعة الدولية من ضحايا هذا التصور. في مساء اليوم نفسه، وتحديداً في الساعة بانته هوية الإنقلاب وهدف الإنقلابيين. أطاحت المجموعة السوفياتية في داخل القيادة الجماعية التي كانت تحكم عدن بالرئيس سالم ربيع علي وبأمين عام الرئاسة، ونصبت خلفاً له رئيس الوزراء علي ناصر محمد (39 سنة). وإتضح حينذاك أن المتمردين العسكريين في قاعدة "صلاح الدين" وفي الولايتين الثانية والثالثة، كانوا مؤيدين وموجهين من أمين عام الجبهة و"رجل موسكو" في عدن عبد الفتاح إسماعيل (40 سنة). وقبل شروق شمس الثلاثاء (27 حزيران) كان رفاق سالم ربيع علي السابقين قد "حاكموه" وأعدموه (مع أمين عام الرئاسة) رمياً بالرصاص.

ما قصة الإنقلابين - المجزرتين/ وما علاقة الأول بالثاني؟

إعتاد بعض المراقبين على الفصل بين ما يجري في الشمال اليمني، وبين ما يجري في جنوبه. والحقيقة، هي نقيض ذلك تماماً. فالعائلات والعلاقات بين شطري اليمن متداخلة ومتكاملة لدرجة أنك إذا كنت في أحد اليمنين، وقطعت الحدود بواسطة سيارات الأجرة، فلن تُصدق أن هناك يمنين، بل يمناً واحداً (طبعاً بإستثناء شكل النظام السياسي). بعد مضي أربعين يوماً على إغتيال المقدم إبراهيم الحمدي (الرئيس السابق لليمن الشمالي). تبين أنه أعتيل عشية قراره السفر إلى الشطر الجنوبي لإستئناف "محادثات الوحدة" بين البلدين، وهي المحادثات المعلقة منذ العام 1972 (تاريخ اعلان التوقيع على مباحثات الإتحاد بين شطري اليمن). ولما جاء المقدم الغشمي خلفاً للحمدي زميله في الرتبة العسكرية، لم

ينف هذا الإتجاه، بل أعلن في أحد تصريحاته إلى مراسلي الصحافة الأجنبية، أنه "سيواصل بحث العلاقات الأخوية مع المسؤولين في عدن".

قبل حوالي الأربعين يوماً، وتحديداً في أواخر شهر مايو/ أيار 1978، أعلنت سلطات عدن عن وصول الرائد عبد الله بن العال قائد قوات المظليين في سلاح الطيران الشمالي "كلاجيء سياسي إلى اليمن الجنوبي". وكانت الصحافة العربية قد ركزت على الدور الأساسي للرائد عبد الله في تصفية الأخوين (إبراهيم ومحمد). ولا تستبعد معظم وكالات الأنباء وجود علاقة ما بين ما جرى في الشمال بعد ظهر السبت الفائت (24 حزيران) وما إستتب ذلك ذلك صباح يوم الإثنين (26 منه) في الجزء الجنوبي. فقد أوردت "وكالة الأنباء العراقية" التي كانت المصدر الوحيد الإخباري هناك ما نصه في برقياتها المرسلة من عدن ظهر الإثنين الفائت: "عُقد يوم الأحد 25 حزيران/ يونيو إجتماع موسع للتنظيم السياسي الموحد، ضم أعضاء المكتب السياسي واللجنة المركزية للجبهة القومية وأعضاء مجلس الرئاسة لمناقشة الاتهامات التي وُجّهت إلى اليمن الديمقراطية بشأن تورطها في اغتيال المقدم أحمد الغشمي. ويبدو أن النقاش لم يسفر عن قرارات محددة". (انتهى تعليق الوكالة العراقية).

لكن مصادر دبلوماسية عالمية بشؤون اليمن، ذكرت أن احداث اليمن الجنوبية الأخيرة، كانت حسماً لصراع صامت بين جناحين أساسيين في السلطة. جناح الرئيس سالم ربيع علي الذي كان يدعو إلى تحسين العلاقات مع الجار الكبير (السعودية) وكذلك إلى إقامة توازن بين الخط الصيني في المنطقة ونده الخط السوفياتي، بالإضافة إلى عدم حماسه للتورط العدني في أثيوبيا. وجناح يتزعمه عبد الفتاح اسماعيل (أمين عام الجبهة) الذي كان يدعو إلى "تعميق التجربة الاشتراكية في اليمن الجنوبي، وتعزيز العلاقات مع الاتحاد السوفياتي، ومساندة خطه ومشاريعه في جميع مناطق الصراع حول البحر الأحمر والمحيط الهندي".

بالنسبة إلى اليمن الشمالي، فما زال الوضع محاطاً بغموض شديد. داخلياً، تشكّل مجلس رئاسة جديد قوامه القاضي عبد الكريم العرشي - رئيساً - وعبد العزيز عبد الغني رئيس الوزراء - عضواً - والعقيد علي الشبعا ممثلاً للقوات المسلحة - عضواً. خارجياً اذاع القصر الملكي في الرياض صباح الأحد الفائت، أي

بعد عشرين ساعة على حادث إغتيال المقدم الغشمي بياناً شديد اللهجة جاء فيه "إن المملكة العربية السعودية تقف بحزم إلى جانب شعب اليمن الشقيق للمحافظة على تراثه ومعتقداته، ولدعم إصلاحه وتقدمه، ولن تتساهل أمام أي تدخّل خارجي في شؤون اليمن الداخلية من أي مصدر جاء هذا التدخل". وتنبه المراقبون إلى سرعة ولهجة البيان السعودي مستنتجين أن الحكومة السعودية تولي أحداث شمال اليمن أهمية خاصة نظراً للترابط الجغرافي والإستراتيجي بين البلدين.

والسؤال الآن: ماذا سيحدث في اليمن الشمالي بعد اغتيال ثاني رئيس للبلاد في أقل من سنة واحدة. وإلى أين سيمضي اليمن الجنوبي بقيادة الثنائي عبد الفتاح اسماعيل وعلي ناصر المدعومين من الإتحاد السوفياتي؟

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 يوليو (تموز) 1978

* * *

متى تفعل السعودية؟

ليس هناك عربي واحد لا يعرف المثل الشائع: الصديق عند الضيق. والذي لا يردد هذا المثل سمع به حتماً.

والضيق العربي الراهن لا مثيل له. ومع أنه حالة إختارها بعض الحكام العرب ووضعوا الأمة في أسرها فإن إستمراره يبدو كما لو أنه سيقود الأمة إلى تفكك يصعب بعده إيجاد لحمة بين أي حاكم وشقيق له، جاراً كان هذا الشقيق أم بعيداً.

هنالك ضيق. وفي الوقت نفسه هنالك صديقان بدل الصديق الواحد، ينصحان ويتحركان ويحاولان بذل جهد لتوحيد الموقف العربي قليلاً أو كثيراً.

الصديق الأول هو المارشال تيتو الذي يعز عليه أن يرى العالم العربي على هذه الصورة التي هو عليها. وتعبيراً عن الأسى الذي يحز في نفس هذا الصديق التاريخي للعرب قال في التقرير الذي قدّمه إلى حزبه يوم الثلاثاء 20 يونيو (حزيران) 1978: "إن تضامن الدول العربية هو إحدى الدعائم الأساسية لتسوية أزمة الشرق الأوسط، حيث أن إنقسامها يفيد إسرائيل فقط، وأعداء الأمة العربية".

والصديق الثاني هو الرئيس سيكوتوري الذي جاء إلى مصر ليقول للرئيس السادات كلاماً أكثر شمولاً من

لقد ساد الاعتقاد في السنوات الخمس الماضية بأن في قدرة السعودية أن تفعل ما لا يستطيع أن يفعله الآخرون بالنسبة إلى مجرى السياسة في المنطقة العربية. ومثل هذا الاعتقاد بدأ يخضع لتفسيرات واجتهادات وتساؤلات، لن نتوقف إلا إذا ضغطت السعودية في اتجاه تحقيق التضامن العربي. والضغط يكون إما في إقناع الرئيس السادات أو الطلب منه طي صفحة المبادرة، وإما الإعلان بطريقة أو أخرى بأن المبادرة إنتهت. ومثل هذا الإعلان كفيل بإشعار الرئيس السادات أنه لا يستطيع أن يستمر وحده وبذلك يعود إلى حيث يجب أن يكون... إلى تحت مظلة التضامن العربي.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 يوليو (تموز) 1978

... والآتي أعظم

ما دام التضامن العربي لن يتحقق فمعنى ذلك أننا سنسمع عن المزيد من الإضطرابات وحوادث المزيد من التناقضات. وفي إستطاعة صيغة متواضعة من صيغ التضامن وقف هذا الإنهيار المستمر للموقف والعلاقات العربية.

وفي غياب التضامن تحدث مفاجآت من النوع غير السار لعرب أميركا ويحقق عرب روسيا إنتصارات مهمة على الصعيد الإستراتيجي.

كذلك فإنه ما دامت الولايات المتحدة لا تمارس الضغط المطلوب على إسرائيل فإن إهتزازات من نوع مفاجيء قد تتعرض لها الأنظمة التي تراهن على الموقف الأميركي.

وما حدث قبل أيام في اليمن أمر بالغ الخطورة لم تُد في عملية مواجهته التصريحات التي كانت تُسمع من هنا وهناك وهناك. ومن المؤكد أن جسامه الدور الذي سيمارس بعد الآن في اليمن الديمقراطية سيجعل كثيرين يندمون لأنهم اهتموا بالمرهنة السياسية واعتمدوها أسلوباً للتعامل وفي ظنهم أنها أفضل من التخطيط الإستراتيجي المتوازن الذي يأخذ في الاعتبار أموراً كثيرة.

ولعل أهم مافي التطورات اليمنية أنها أسقطت نظرية طالما عمل الأميركيان في سبيلها كثيراً ولكنها لم تتحقق وهي نظرية "أمن البحر الأحمر". والآن يتأكد لنا

الذي قاله الصديق الأول، أي الماريشال تيتو، في تقرير حزبي مذاع. ولعل الصراحة التي خاطب بها الرئيس سيكوتوري الرئيس السادات هي التي حملت الرئيس المصري على أن يقول يوم الخميس 22 يونيو بعد محادثات مع سيكوتوري "لا إعتراض على زمان أو مكان القمة العربية من أجل تحقيق التضامن. وأنا أبلغت القذافي أنه لا مطالب اقليمية ولا بترولية ولا نقدية منك. إنني مستعد لأن أضع يدي في يد القذافي وليكن ذلك واضحاً لكن المسألة ليست مسألتني أنا والقذافي. هذه مسألة شعبين. حُسن الجوار أهلاً وسهلاً شرط أن لا يشتموا مصر. إن مصر لها في رقبة كل منهم دين بقاء، دين حياة، ومع ذلك إننا جاهزون لعودة العلاقات وليس لنا إعتراض على الزمان والمكان بالنسبة إلى مؤتمر القمة".

ومن الملاحظ أن الرئيس السادات ما زال على موقفه، وهو يريد علاقات حُسن جوار. وحُسن الجوار يعني التعايش العربي وليس التضامن العربي.

عندما تحدّث الماريشال تيتو حول هذا الأمر لم يكن يقصد بـ "التضامن" تعايش دولتين. كما أن الرئيس الغيني سيكوتوري كان على الأرجح في حديثه الصريح المغلق مع الرئيس السادات يدعو إلى التضامن وليس إلى التعايش.

والى ذلك إن الرئيس السادات بإصراره على أن يكرر بأن لمصر ديناً في رقبة البعض، فضلاً عن إشارته إلى نوع آخر من أنواع الديون هو "دين البقاء"... إن مثل هذا الإصرار لا يخدم فكرة السعي لتحقيق التضامن ولا حتى لتحقيق التعايش.

وبعدما لاحظنا أن الرئيس السادات لن يتجاوب مع الصديقين الآخرين تيتو وسيكوتوري، فلا يبقى سوى الطرف المؤثر على الرئيس السادات، ونقصد به المملكة العربية السعودية والمجموعة الخليجية. إن هذا الطرف كان ملبياً في أوقات الضيق المالي، وهو الوحيد القادر على أن يطلب من الرئيس السادات أن يميل ضمناً إلى إعطاء مثل هذا الإنجاز إلى اصدقائه السعوديين والخليجيين على أساس أن هؤلاء لا يتخلون عنه عندما سيواجه ما سيترتب على إعادته النظر في موضوع المبادرة.

وإذا كانت السعودية والمجموعة الخليجية لا تفعل ذلك الآن فمتى ستفعله، علماً بأن مثل هذه الخطوة لا تعني الإنحياز إلى مجموعة الصمود والتصدي ولا تعني تسليماً متأخراً بمنطق هذه المجموعة.

أن الذي حال دون تحقيق هذه النظرية هو أنها كانت فكرة غير عربية وفكرة محورية، وأن العمل من أجلها جرى في إطار عقلية ثأرية وضعت هدفاً لها هو مطاردة السوفييات في المنطقة، بل وطردهم منها، لإحلال الأميركيين محلهم. وكان من شأن خطوات أميركية ضاغطة على إسرائيل أن تشكل نوعاً من التغطية لمثل هذا العمل، لكن الأميركيين تركوا حلفاءهم العرب وحدهم في حين أن السوفييات عملوا مع أصدقائهم وفق تخطيط نلمس الآن نتائجه.

والذي نخافه هو أن تكون التطورات اليمنية سبباً لكي تفتح مصر جبهة جديدة هي جبهة البحر الأحمر وتشغل قوتها البحرية في أمور ثانوية تعتبرها هي أساسية. ومثل هذه الجبهة ستحظى بعطف ومساندة القوى العربية التي لها مصلحة في كتم أنفاس التوجه الجديد في اليمن الديمقراطية. بل إن هذه الحرب قد تكون لحساب هذه القوى. وليس مبالغة التوقع بأن مصر الرئيس السادات يمكن أن تفتح مثل هذه الجبهة. كذلك ليس مبالغة التوقع بأن مصر الرئيس السادات قد تخوض حرباً بحرية ضد اليمن الديمقراطية، تشبه في بعض أوجهها تلك الحرب التي شنتها ضد ليبيا. وكما أنها استهدفت في حربها ضد ليبيا السلاح السوفيياتي الذي حصلت عليه ليبيا فإن حرباً محتملة تخوضها ضد اليمن الديمقراطية ستستهدف السلاح السوفيياتي وما هو أكثر من السلاح: الخبراء السوفييات والقواعد السوفيياتية.

وثمة نقطة بالغة الأهمية تتعلق بالدور الذي يمكن أن تمارسه اليمن الديمقراطية مستقبلاً، بل إنها تمارسه بعض الشيء الآن، وهو "الدور الكوبي". فاليمن الديمقراطية مؤهلة لأن تصبح "كوبا العربية" مثلما أصبحت أثيوبيا أو أنغولا أو الإثنتان معاً "كوبا الأفريقية". وعندما نأخذ في الاعتبار أهمية الدور المتعاظم للقوى الشعبية في اليمن الديمقراطية خلال التطورات الأخيرة، يجوز لنا الافتراض أن هذه القوى مُعدّة لأدوار لا تخلو من المفاجآت خارج البلاد وليس داخلها.

وقد يقال إن مقتضيات الوفاق الدولي تفرض بعض التراجعات من جانب السوفييات لكننا نلاحظ أن الوفاق لم يعد كما كانت عليه الحالة قبل ثلاث سنوات. ولعل التهديدات بالحرب التي تتبادلها موسكو وواشنطن منذ بعض الوقت خير دليل على أن الوفاق ليس على ذلك الإنضباط الذي يفترضه البعض وليس على تلك الصلابة

وإنما هو تكتيكي وسريع العطب.

وتؤكد التطورات اليمنية أن السوفييات بعيدو النظر أكثر بكثير من الأميركيين وأنهم يخططون بطريقة أفضل وأنهم مثل أهل صعيد مصر وأكثر في موضوع الثأر.

وقد يقال أيضاً إن حرباً أهلية بين اليمنيين في الجنوب من جهة وبين اليمنيين في الشمال من جهة أخرى، وبين أهل الجنوب وأهل الشمال من جهة ثالثة، هي التي يمكن أن تشل الطموحات وتبعد شبح الخطر من آبار النفط. ومثل هذه الحرب لا تكلف كثيراً، بل إن البعض يفترض أن المال قد وُزع وتسريب قطع السلاح بدأ.

إن اليمنيين شمالاً وجنوباً حاقدون على النفط العربي الذي لا ينالهم منه شيء، ولذا فهم ليسوا في حاجة إلى تحريصات السوفييات. الصحيح هو أن السوفييات ينسجون على نقطة الضعف هذه ولديهم من الأساليب المتطورة ما يجعلهم ينجحون في أي خطط نوعية. ولعله كان من الأفضل بدل أن نتسلق بتناقضات أهل اليمن ونتفرج على فقرهم، أن تكون هنالك مساهمة جادة في تطوير أحوالهم وفي مساعدتهم. ولكن، للأسف، لم يحدث ذلك، فوجد هؤلاء أنفسهم يقررون التدريب على استعمال السلاح والإنخراط في الميليشيات. أما الذين في يدهم إستقطاب هؤلاء الناس فإنهم تحت وطأة المفاجأة مما حدث لم يجدوا سوى بعض التعليقات في الصحف تحذر وتهول.

لقد كان مفترضاً بعد المفاجأة الصاعقة التي حدثت في أفغانستان أن يحدث نوع من التنبه. وبدلاً من أن يعالج المعنيون الأمور في المنطقة العربية وجدناهم يسارعون إلى نجدة نظام مشكوك فيه في زائير. أرسلوا إليه المال والسلاح والطائرات وتحركوا ديبلوماسياً وفي كل مكان من أجله. كل ذلك مخافة سقوط موبوتو وسيطرة اليسار على زائير. ولقد ظن أهل النجدة أن الدفاع عن موبوتو هو دفاع عنهم، إلى أن فوجئوا بما لم يحسبوا له حساباً وهو أن السوفييات إقتربوا كثيراً منهم بل إنهم على ضفافهم.

يبدو أن الآتي أعظم إذا كانت العقلية السياسية من جانب عرب أميركا لن تتبدل. وهذه العقلية هي التي جعلتهم يصلون يوماً إلى وقت يندبون فيه باب المنذب بدلاً من أن يحافظوا عليه. وإستمرار هذه العقلية قد يكون سبباً لتورطهم في ما قد يندمون عليه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 يوليو (تموز) 1978

دورة في كل عاصمة!

المجموعة شاءت أن تنتشط في سبيل تعميق عزلة مصر، ومن هنا جاءت المقاطعة. وبعد مرور ثلاثة أشهر على تلك الخطوة نرى أن المناقشة هي السبيل الأفضل وأن المشاركة مع تسجيل المواقف بل وكشفها إذا كان هنالك ما يوجب الكشف أفضل بكثير من المقاطعة. والأهم من ذلك كله إن الدورة المقبلة ستأتي في وقت تكون نضجت فيه مواقف كثيرة ورسست التطورات على شيء ما. ولذا فإن المشاركة قد تكون مغرية لكثيرين.

رابعاً- إن رئاسة الدورة المقبلة هي لسوريا. وكون سوريا هي إحدى دول مجموعة الصمود والتصدي فإن ترؤسها يبدو مستغرباً حيث أنه من حيث المبدأ لا يُعقل أن يكون رئيس الحاضرين مضطراً للوقوف في صف ضد آخر. ولذا يمكن سوريا أن تجتبر الرئاسة لغيرها وتقود من مقعدها الحملة التي تريد أن تقودها. ونحن نقول ذلك مفترضين أن سوريا وبقيّة دول الصمود والتصدي التي قاطعت الدورة السابقة قد تجد أنه من الأنسب المشاركة في الدورة المقبلة.

خامساً- إذا حل موعد الدورة المقبلة لمجلس الجامعة واستمرت المقاطعة فمعنى ذلك أن إنقساماً جديداً سيكرّس في مسلسل الإنقسامات العربية حيث سيكون هنالك عرب المقاطعين للجامعة العربية والعرب غير المقاطعين، مثلما هنالك عرب أميركا وعرب روسيا.

سادساً- إننا لا ندري لماذا لا يحدث بالنسبة إلى الجامعة العربية ما يحدث مثلاً بالنسبة إلى الأمم المتحدة. يحضر الجميع. ويناقش الجميع.

سابعاً- لو افترضنا أن الرئيس السادات لن يعيد النظر في موضوع مبادرته، فمعنى ذلك أن تستمر مقاطعة الاجتماعات التي تُعقد في إطار الجامعة العربية إلى ما لا نهاية. معنى ذلك أن نصل يوماً إلى وقت نسمع فيه بمن يكرر المطالبة بنقل الجامعة العربية من القاهرة، علماً بأن منطق أهل الصمود والتصدي قائم على أساس أن مثل هذا الأمر بات مسلماً به بعدما زار الرئيس السادات إسرائيل. وهؤلاء يقولون ذلك رداً على من يناقشهم في موضوع مقاطعتهم وتقوم حجة المناقش على أنه ما دام الرئيس السادات لم يعقد إتفاقاً منفرداً مع إسرائيل فمعنى ذلك أن في الإمكان التفاوض معه ومناقشته شرط أن يعود عن مبادرته. ولكن أهل الصمود والتصدي لا يرون أي أمل من هذا التلاعب بالمواقف ويرون أن الإتفاق المنفرد

هناك دورة عادية سيعقدها مجلس الجامعة العربية يوم الثلاثاء 12 أيلول (سبتمبر) 1978 على مستوى وزراء الخارجية. وبعدما اعتدنا على مسألة إستحالة إنعقاد مؤتمرات إستثنائية على مستوى القمة بتنا نرى في أي إجتماعات تُعقد في إطار الجامعة العربية مظهراً من مظاهر بقاء التشاور العربي، وبتنا نعلل النفس في إمكان حدوث التضامن ما دامت هذه الاجتماعات تُعقد.

وتكتسب الدورة المقبلة المشار إليها أهمية قصوى بسبب أن رئاسة الدورة حسب الترتيب الدوري الأبجدي هي لسوريا، ولكن سوريا تنتمي إلى جبهة الصمود والتصدي التي تضم بالإضافة إلى سوريا كلاً من الجزائر والجمهورية الليبية واليمن الديمقراطية والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية. ولقد قررت هذه الدول مقاطعة إجتماعات الجامعة العربية التي تُعقد في القاهرة كنوع من الإحتجاج على الزيارة التي قام بها الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل.

حول الدورة المرتقبة يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أولاً- إن الإختبار الأول لقرار المقاطعة كان ناجحاً. فدول مجموعة الصمود والتصدي بإستثناء منظمة التحرير الفلسطينية قاطعت أول مؤتمر عربي وعلى مستوى وزراء الخارجية عُقد في القاهرة وفي إطار الجامعة العربية بعد زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل. ومع ذلك فإن مجرد إنعقاد المؤتمر وإتخاذ القرار الذي قضى بتكليف الرئيس السوداني جعفر نميري السعي من أجل تحقيق تضامن عربي كان نوعاً من الوقفة المعنوية من جانب الذين حضروا إلى جانب الرئيس السادات.

ثانياً- يبدو أن تلك الوقفة عرقلت مهمة الرئيس نميري بدلاً من أن تُنجحها، وتدلّياً على ذلك أن المهمة تعثرت منذ البداية وتحولت من جانب الرئيس نميري إلى طواف سياسي. ولكي لا يقال بكل الصراحة إن المهمة فشلت قيل كلام آخر من النوع الذي لا يوحي إطلاقاً بالإطمئنان إلى أن التضامن يمكن أن يتحقق.

ثالثاً- عندما عُقدت الدورة السابقة لمجلس الجامعة العربية (بين 28 و29 آذار/ مارس 1978) كنا نفترض أن تجعل مجموعة الصمود والتصدي من هذه الدورة مناسبة لكي تناقش ما تريد مناقشته. لكن دول هذه

نوع من الشكليات وأنه لا شيء بعدما قام الرئيس السادات بالخطوة التي كان عليه عدم الإقدام عليها وهي زيارة إسرائيل.

ثامناً- في هذا الجو نتأمل كثيراً في معاناة الأمين العام للجامعة محمود رياض الذي يسعى كثيراً من أجل الإبقاء على الحد الأدنى من مظاهر التضامن العربي لكن التناقضات العربية هي التي تعرقل في استمرار مسعاه. لعله في الشهرين المتبقين على إنعقاد الدورة المقبلة لمجلس الجامعة يستطيع أن يفعل شيئاً.

تاسعاً- من المؤسف أن تكون منظمة الوحدة الأفريقية أكثر تماسكاً وأكثر فعالية من الجامعة العربية. وبين دول أعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية حروب وتناقضات ومع ذلك فإنها أكثر تماسكاً وأكثر فعالية من الجامعة العربية ربما لأن المنظمة أعطيت منذ إنشائها قوة حُرمت منها الجامعة العربية التي لم يعد هنالك من يتمسك حتى بروحية ميثاقها على رغم ما في هذا الميثاق من ضعف.

ونعود إلى ما بدأنا الإشارة إليه لنقول إن الدورة المقبلة لمجلس الجامعة العربية ستُعقد في سبتمبر/أيلول 1978. وما دامت الرئاسة فيها لسوريا، وسوريا من مجموعة الصمود والتصدي التي إتخذت قراراً بمقاطعة إجتماعات الجامعة العربية التي تُعقد في القاهرة إحتجاجاً على زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل، فلماذا لا يجوز إتباع تقليد جديد يقضي بعقد مجلس الجامعة في عاصمة البلد الذي تكون الرئاسة له. إن مثل هذا التقليد يعطي بُعداً قومياً لإجتماعات الجامعة. وفي هذه المرة بالذات يشكّل حلاً للمآزق الذي نعاني منه: مآزق المقاطعين والمشاركين.

إن تعقيدات الوضع العربي الراهن هي التي تجعلنا نبحث عن أي وسيلة يمكن بواسطتها اختراق هذا التجمد القائم. والخوف من استمرار تآكل التضامن العربي هو الذي يحملنا على أن نطالب الأمين العام بأن يقترح عقد الدورة المقبلة لمجلس الجامعة في دمشق. ولو أن الرئاسة كانت لغير سوريا لكنا طالبين بالشيء نفسه. ولا نظن أن مثل هذا الاقتراح سيتسبب في ما من شأنه تعقيد الموقف العربي، ذلك أن هذا الموقف معقد ما فيه الكفاية.. بل إنه على شفير الإنهيار.

وفي الأصل إن مثل هذا الاقتراح تطويري بعض الشيء. وفيه أيضاً خروج على رتابة الإجتماعات وعلى صنمية الدور الذي كُتب للجامعة العربية أن تلعبه.

ولن يقال لمحمود رياض إن هو طرح هذا الاقتراح أنه منحاز إلى موقف سوريا ضد موقف مصر. فالجميع يعرفون عنه توازنه لأنه في الموقع الذي يفرض عليه ألا يقول رأيه الحقيقي في التطورات التي تشهدها الساحة العربية.

ولعله سيكون مفيداً أن نسمع رد فعل البعض على إقتراح من هذا النوع. مع الأخذ في الإعتبار أن أي ردود فعل سلبية لن تكون مقنعة.

وتكراراً إن أي تعقيدات قد تنشأ عن مثل هذا الإقتراح تظل أفضل من الوضع العربي الراهن الذي يزداد تأكلاً. ومثل هذا الإقتراح من شأنه قطع الطريق على الدعوات التي تصدر بين الحين والآخر لنقل مقر الجامعة العربية من القاهرة. ويبقى أننا عندما ندعو إلى مثل هذا الإقتراح لا نقصد أي إجتماع طارئ يمكن أن يُعقد في اطار الجامعة العربية، وإنما بالتحديد الدورة العادية التي من المقرر عقدها في سبتمبر/أيلول 1978.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 يوليو (تموز) 1978

الوارث والإرث

تحل الذكرى السابعة والعشرون لثورة 23 يوليو 1952 وقد اكتسبت الطبعة الأخرى لهذه الثورة ملامحها. وإذا كانت هذه الثورة ما زالت ذلك الزمن المضيء بالنسبة إلى بعض الثوريين العرب فإنها أصبحت في مصر من نوع الصور العريضة التي تُعلق على الجدران، أو إذا جاز التعبير مثل صور الفقيد الغالي. هذا بالنسبة إلى الناس، أما بالنسبة إلى النظام الوريث ومن يحيط به فالمسألة مختلفة تماماً.

ولقد كان مفترضاً ما دام الرئيس أنور السادات هو الوحيد الذي بقي إلى جانب جمال عبد الناصر أن يكون الأخير الذي يكيل عليه التراب، أو الوحيد الذي يستمر إلى النهاية محافظاً على ثورة 23 يوليو وعلى قائدها التاريخي جمال عبد الناصر. لكن الذي حدث أن التطاول على ثورة 23 يوليو كان السمة الرئيسية للسياسة المصرية خلال السنوات السبع الماضية.

وهذا التطاول جعل ثقة الناس من مصريي النظام تهتز. أما العرب الذين إفترض الرئيس السادات أنهم سعداء بهذا التطاول فإنهم في مجالسهم كانوا يتندرون

حول هذا الأسلوب الذي يعتمد النظام المصري الراهن في التعامل مع تاريخه. بل إن أحد المسؤولين العرب الذي طرح الكثير من علامات الإستفهام حول المساعدات التي تقدمها دولته للنظام المصري قال امام أحد المصريين من الذين يوصلون عادة الكلام إلى الرئيس السادات: إذا كنتم تفعلون ذلك بأنفسكم وبتاريخكم فإننا نخاف أن تفعلوا الشيء نفسه مع أية دولة تساعدكم إذا هي تباطأت بالمساعدة أو أعادت النظر في موضوع المساعدة لأسباب تتعلق بأوضاعها الداخلية.

وكان من الأسلم - هذا إذا توافر عنصر حُسن النية - بالنسبة إلى النظام المصري الراهن، أن يفصل بين عبد الناصر القيمة والتراث والدور التاريخي وبين ممارسات بعض الأجهزة. لكن الأمور إختلطت وتحول النبل من عبدالناصر إلى ورقة يحاول النظام الراهن أن يلعبها ليكسب أو ليبعد الأنظار عن ممارساته.

ومنذ البداية تبين أن نظام الرئيس السادات محتاج إلى ممارسات تدعم موقفه ومن أجل ذلك كشف عن وقائع ودق بعض الأبواب الموصدة، ولكن الأمور سارت على غير الطريق الصحي والصحيح وأوضحت أن هنالك نوايا معينة تستهدف هدم التجربة المصرية. وبدأت وسائل الإعلام المصرية تفرد صفحاتها للذين في نفوسهم غرض أو للذين عندهم ثارات. وبدأنا نقرأ كلاماً في إتجاه واحد وبهدف واحد لأفراد أهمية كلامهم أنهم من التاريخيين. ولاحظنا أن هذه الكتابات جاءت بعدما كانت أذيعت قرارات تحظر إذاعة أية وثائق أو أسرار عن ثورة 23 يوليو. ثم تبين أن المقصود من إذاعة هذه القرارات هو قطع الطريق على نشر أي وثائق أو أسرار تكون في مصلحة عبد الناصر وتجربته.

وفي الذكرى السابعة والعشرين لثورة 23 يوليو نجد أنفسنا نسجل بعض الملاحظات وبعض التساؤلات. ولأن الملاحظات والتساؤلات كثيرة فإننا نسجل أهمها على النحو الآتي:

أولاً- لقد حدث نوع من الخلط بالنسبة إلى حركة التصحيح التي قام بها الرئيس السادات والتي قرر إعتبارها ثورة أصبحت تسميتها الرسمية "ثورة 15 مايو". فهذه الحركة لم تكن في البداية أكثر من عملية ضرب لـ "نظام أجهزة" آخر يستطيع أن يتعامل معه الرئيس السادات من دون مساءلة أو مناقشة، أي تماماً كما كانت الحالة بالنسبة إلى عبد الناصر و"نظام أجهزته".

لكن اصرار الرئيس السادات على إعتبارها ثورة كان معناه أن هنالك تدبيراً ما في حق ثورة 23 يوليو. وقد ظهر ذلك جلياً في ما بعد.

ثانياً- إن الرئيس السادات يدرك تماماً أن ثورة 23 يوليو هي عبد الناصر، بمعنى أن الثورة بدأت إنقلاباً عسكرياً، لكن عبد الناصر حوّل الإنقلاب إلى ثورة من خلال الممارسات والقرارات وعملية التحول التاريخية. وهو يدرك أيضاً كم أن عبد الناصر قاسى من أجهزته. ونعتقد أن الخدمة العظيمة والتاريخية التي كان الرئيس السادات مطالباً بها هي الإكتفاء بتصحيح مسار الأجهزة وأسرار التجربة. لكن ما حدث هو أن الأجهزة تبدلت وحلت عناصر مطواعة محل عناصر غير موالية. وفي الوقت نفسه بدأت عملية النبل من تجربة عبد الناصر. وحدث ذلك بحجة أن حرية الرأي متاحة. وهي كانت متاحة بالفعل إنما في إتجاه واحد مقرر سلفاً.

ثالثاً- إن كل ممارسات السياسة المصرية لا علاقة لها بروح ثورة 23 يوليو. ونعتقد أنه آن الأوان لكي يحدث نوع من الطلاق بين هذه الثورة والحكم الحالي ما دام هذا الحكم يعتبر أن له ثورته وتوجهاته التي يرى أنها هي الصحيحة وتوجهات عبد الناصر هي الخطأ. فالثورة قد تتحمل تصحيحات ولكنها لا تتحمل طبعات. وفي الأصل إبتعد الناصريون عن الرئيس السادات نتيجة لهذا الإعتقاد. فهم لم ينتموا إلى حزب الحكومة الذي يرعاه ولن ينتموا إلى الحزب الذي يقال أنه سيؤلفه.

رابعاً- إن نظام الرئيس السادات ضد كل حركة ثورية تحدث في العالم الثالث. وهو يتخذ هذا الموقف من منطلق أن أي حركة ثورية هي شيوعية. وهو لا يكتفي بموقف المتفرج بل يرسل قوات من جيشه تحارب هذه الثورة. ومثل هذا الموقف يفقد شرعيته عندما يمارس في ظل كلام يفيد أن النظام يرفض أي مساس بثورة 23 يوليو.

خامساً- إذا كان هنالك نوع من التهيب يحول دون إعلان الطلاق بين نظام الرئيس السادات وثورة 23 يوليو، فإنه التهيب غير المقنع. ذلك أن ما قيل وكُتب، فضلاً عن الممارسات التي تحدثت، يكفي لسقوط جميع أسباب التهيب.

لقد وصل الرئيس السادات إلى الحكم على طريق الشرعية الثورية. شرعية ثورة 23 يوليو. ونحن نتذكر انحناءته الشهيرة أمام تمثال جمال عبد الناصر في

العلاقات السورية - السعودية، ومستنداً بالنسبة إلى العراق على حالة الجفاء المستجدة بينه وبين الإتحاد السوفياتي.

وتدرك الدبلوماسية السعودية أن فتح أي ثغرة في فريق الصمود والتصدي كفيل بهز تماسك هذا الفريق. وصحيح أنها مطمئنة بعض الشيء إلى إمكان إستقطاب منظمة التحرير إلى موقفها، أو على الأقل إلى مشارف الموقف الذي إتخذته من اليمن الديمقراطية، إلا أن ذلك لا يكفي. والمهم إستقطاب دولة من دول الصمود وبالتحديد سوريا أو العراق لأسباب موضوعية ولإستحالة التأثير على ليبيا أو الجزائر.

ولعل الفرصة باتت مناسبة لإتمام عملية مقايضة بين السعودية وفريق الصمود والتصدي: تتخذ السعودية موقفاً متشدداً من مبادرة الرئيس السادات يصل إلى درجة الضغط لإسقاط المبادرة. وفي المقابل تضغط دول الصمود والتصدي على اليمن الديمقراطية من أجل أن لا تذهب بعيداً في موضوع ارتباطها العضوي بالإتحاد السوفياتي، بحيث لا تتجاوز علاقاتها بموسكو الإطار الذي لا يُقلق أحداً. ممكن أم غير ممكن؟

إن عالم السياسة يقوم على تعدد الحركات وعلى المرونة. ومثل هذه المقايضة تقيد الموقف السعودي والخليجي عموماً، وتشكل نوعاً من التسليم بصوابية موقف دول الصمود والتصدي من مبادرة الرئيس السادات.

والأهم من هذا كله إن المقايضة هذه قد تكون في الوقت الراهن المدخل الذي لا مدخل غيره لخروج العرب من المأزق ومن حالة الإنقسام التي هم عليها، والبدء من جديد في رحلة تقوم على أساس التضامن.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 22 يوليو (تموز) 1978

إذا فشلت قمة "كامب ديفيد"

عندما أعلن أن قمة أميركية - مصرية - إسرائيلية ستعقد في "كامب ديفيد" كان الإنطباع الذي ساد هو أن حلقة أخرى من التعثر ستضاف إلى مسلسل حلقات المساومة حول قضية الشرق الأوسط.

وسلفاً لم يفترض أحد من الذين من حقهم الافتراض

مجلس الشعب. لكن يبدو الآن أن إستمرارية الدعم للنظام رهن بعدم وقف الهجمة على عبد الناصر من جانب أهل النظام.

وإذا كانت ثورة عبد الناصر وتجربته وإنجازاته غير راسخة في مصر كما يفترض النظام، فإن ذلك سيسهل عليه أمر الطلاق. لكننا في غاية الإقتناع بأن الأمر غير ذلك تماماً.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 22 يوليو (تموز) 1978

المقايضة في شأن المبادرة!

يتضح يوماً بعد يوم الجانب المتشدد من الدبلوماسية السعودية. فالقرارات التي إتخذتها الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية يومي الأول والثاني من تموز (يوليو) 1978 تعكس هذا التشدد. والجولات اللاحقة التي قام بها وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل إلى كل من دمشق وبغداد تعكس هي الأخرى هذا التشدد. وهناك تحركات وإتصالات في كل مكان لا يعلن عنها تدخل في نطاق التشدد المشار إليه.

والتشدد سببه أن الدبلوماسية السعودية كانت تنتظر أن يفتح لها الرئيس الراحل سالم ربيع علي أبواب اليمن الديمقراطية على مصراعيها، فإذا المجموعة ذات التوجهات العقائدية والسياسية الماركسية تنهي سالم ربيع في ساعات وثقل الأبواب التي كان سيفتحها، وفي المقابل تتأهب لخطوات تجعل من العلاقات بين اليمن الديمقراطية والمعسكر الإشتراكي وعلى رأسه الإتحاد السوفياتي، علاقة عضوية، بحيث تقوم وبشكل تدريجي "كوبا" وإلى قوى عسكرية تحارب من أجل قضايا التحرر في القارة الأفريقية... ربما كمرحلة أولى. ولقد حدث أن السعودية حققت إنتصاراً مهماً عندما تمكنت في الدورة الطارئة من أن تنتزع من الدول العربية التي شاركت الحد الأدنى من الوقفة الديمقراطية. لكن الإجراءات لم تُتخذ بالإجماع العربي نتيجة أن دول الصمود والتصدي تقاطع إجتماعات الجامعة العربية التي تُعقد في القاهرة. ومن أجل ذلك فإنها إجراءات لن تكون فعالة.

ومن هنا جاءت زيارة سعود الفيصل إلى دمشق وإلى بغداد مستنداً بالنسبة إلى سوريا على خصوصية

والإجتهد أن هذه القمة ستسفر عن نتائج من شأنها أن تساعد على تحقيق إنفراج في أزمة الشرق الأوسط. ولعل سبب ذلك أن كل المحاولات الأميركية - المصرية - الإسرائيلية الماضية تعثرت، فضلاً عن أنه ما دامت الولايات المتحدة لم تمارس منذ البداية أسلوب الضغط فإنها لن تمارسه بعد ذلك، بل وقد لا تستطيع ممارسته على الإطلاق.

والمظهر الخارجي للقمة الثلاثية المرتقبة يوحي أنها حلقة في سيناريو متفق في الأصل عليه. بدأ بزيارة الرئيس أنور السادات إلى إسرائيل واستؤنف بزيارة رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن إلى الاسماعيلية، وتسلسل على النحو الذي بات معروفاً. لكن هذه القمة لا تبدو كذلك إذا أخذنا في الاعتبار التصريحات التي أدلى بها بيغن منذ أن تم الإعلان عن موعد القمة الثلاثية. فهو كما نلاحظ لا يزال أسير صلفه وغروره. وهو ذاهب إلى القمة غير مستعد لتعديل موقفه. بل وأكثر من ذلك إنه أعلن أنه ليس ذاهباً إلى قمة "كامب ديفيد" بجديد وأنه سيعمل من أجل الحصول على مواقف جديدة من الجانب المصري.

وتطرح قمة "كامب ديفيد" ثلاثة تساؤلات أساسية هي: لماذا هذه القمة. وما الذي يمكن أن يحققه. وما هو الوضع الذي ستشهده منطقة الشرق الأوسط في حال فشلها؟

وبشيء من الربط والتحليل يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات على النحو الآتي:

لماذا هذه القمة؟

إن الجواب البدهي عن ذلك هو أن إدارة الرئيس كارتر بدأت تشعر بالحرج وبدأت ترى ضرورة تحقيق أي نتائج ايجابية بالنسبة إلى موضوع رعايتها للوضع القائم في إسرائيل ومصر. وصحيح أنها مطمئنة إلى أن حرباً جديدة لن تنشب في المنطقة نتيجة أن موازين القوى - فضلاً عن الظروف النفسية والسياسية التي فرضتها زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل - لا تسمح بذلك، إلا أنها قلقة من التطورات التي يمكن أن تحدث فجأة، وتمتد ظاهرة الإنتشار اليساري التي بدأت في أفغانستان وتكررت في اليمن الديمقراطية والتي تخيم على إيران وقد تدق فجأة أبواب تركيا.

والى ذلك، فإن مستشاري الرئيس كارتر بدأوا يلحظون إنحسار أهمية رئيسهم في أعقاب تعاطيه بالصراع العربي - الإسرائيلي بطريقة غير مألوفة في دنيا الرئاسات الأميركية. ففي الماضي كان رئيس أميركا يقف إلى جانب إسرائيل فقط، ولذا لم تكن هنالك

أمامه سوى مشكلة عربية، في حين أنه الآن يقف موقفين في الوقت نفسه، ولذا فإنه مواجه بمشكلتين وبدأت تداعياتهما تتعكس على أشياء كثيرة في الداخل، ومن أجل ذلك لابد من حسم. وقد يأتي الحسم بمثابة خطوة تاريخية هي الأولى في تاريخ الرئاسات الأميركية لكنه قد يقطع الطريق على طموحات الرئيس كارتر في تجديد الولاية، أو قد يكون ذلك تمهيداً جيداً لتجديد الولاية.

ومن هنا فإن الرئيس كارتر يبدو كما لو أنه في مأزق ويتحرك بالنسبة إلى أزمة الشرق الأوسط داخل نفق. ومن الطبيعي أنه لا يستطيع البقاء في ظل هذا التأرجح. وقد يجد نفسه إذا كانت قمة "كامب ديفيد" لم تحقق له وضعاً متوازناً، يوافق على خطة موضوعة سلفاً - كما يقال - وتقضي بإنهاء بعض القيادات الراهنة في منطقة الشرق الأوسط وبالذات القيادة الإسرائيلية والقيادة المصرية، وإحلال قيادات جديدة متفاهم معها سلفاً على خطط لا تقوم على التسويق والإكثار من الأخذ والرد، وتأخذ في الاعتبار هيبة الولايات المتحدة التي تزداد إنحساراً. فالدور الأمريكي حتى الآن ليس دور الدولة الكبرى. وبشيء من المقارنة يبدو دور أميركا مثل دور فرنسا أو بريطانيا أو حتى النمسا أو رومانيا.

وفي الماضي كرر الرئيس السادات مطالبته بأن تلعب الولايات المتحدة دور الشريك وليس دور الوسيط. وقد تهرَّب الرئيس كارتر من ذلك لكننا لا نعتقد أنه بعد قمة "كامب ديفيد" يستطيع التهرب من حقيقة لا جدال فيها وهي أنه شريك وليس وسيطاً على الإطلاق. وفي هذه المسألة نجح الرئيس السادات في ذلك وخفف بعض الشيء من الجمل الملقى على كتفيه.

وحتى الإعلان عن قمة "كامب ديفيد" كانت الولايات المتحدة تمارس فيه دور الوسيط. وتمثلت الوساطات في جولات قام بها مبعوثون ومهمات قام بها وزير الخارجية. لكن مرحلة الوساطة لم تسفر عن أي نتائج وبقي كل شيء يراوح مكانه. وإذا كان ممكناً بالنسبة إلى الإدارة الأميركية إحتواء فشل مهمات الوساطة فإنه ليس سهلاً عليها إطلاقاً تحمُّل نتائج المحاولة الأولى في مرحلة ممارسة دور الشريك.

ونأتي إلى التساؤل الثاني وهو: ما الذي يمكن أن يحققه قمة "كامب ديفيد"؟

والجواب البدهي عن ذلك أن صدور بيان يوحي بفشل هذه القمة معناه إصابة إدارة الرئيس كارتر بسهم

بالتسويق معها - لكانت وفرت على نفسها الوصول إلى المأزق الذي تعيشه الإدارة الأميركية في هذه الأيام. ويبقى التساؤل الثالث: ما هو الموضوع الذي ستشاهده منطقة الشرق الأوسط في حال فشل قمة "كامب ديفيد"؟

وهذا التساؤل أيضاً له جواب بدهي وهو أن الفوضى ستعم ومناطق تفجر جديدة ستصبح حديث الناس ومادة لوكالات الأنباء والصحف والإذاعات. وفي الوقت الحاضر هناك حالات تأجيل لهذه الفوضى وذلك التفجر. وهناك أطراف كثيرة تنتظر النتائج التي ستسفر عنها تلك القمة. وهناك أوضاع سياسية أكثر يتوقف مصيرها على نجاح هذه القمة أو فشلها. وفي الواقع إن وضع الرئيس السادات هو أكثر الأوضاع دقة وحساسية. وهو قد يدفع ثمن فشل هذه القمة لأن الفشل معناه أن كل مرافقاته إنتهت إلى لا شيء.

ولكنه قد لا يدفع الثمن وحده وإنما سيشاركه في ذلك كل الحكام العرب الذين يراهنون سراً على الموقف الأمريكي. وسيشارك الرئيس السادات وهؤلاء جميعاً في دفع الثمن الرئيس كارتر نفسه.

وفي ضوء خطورة مثل هذا الأمر لا يمكن لقمة "كامب ديفيد" إلا أن تنجح... على الأقل النجاح الذي يمكن المراهنين من الإستمرار في المراهنة، ويمكن المراهن عليه من الإستمرار كحصان قادر على أن يخوض أعقد سباق في التاريخ المعاصر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 2 سبتمبر (أيلول) 1978

* * *

هذا الشغف بالماضي

لا نعرف إلى أي مدى يمكن أن يذهب الرئيس أنور السادات في موضوع الحزب الذي قرر أن يقوده بنفسه والذي إختار له اسم "الحزب الوطني الديمقراطي". وموضوع الحزب هذا يستوجب بعض الملاحظات التي يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى: إن ظاهرة شغف الرئيس أنور السادات بالماضي تتكرر بشكل واضح لا يخلو من الحدة للمرة الثانية. المرة الأولى في أعقاب حسم مسألة الخلافة بإختياره رئيساً للجمهورية، حيث أعاد الإعتبار إلى سرايا عابدين وإتخذ منها مقراً رسمياً لرئاسة الجمهورية علماً بأنه لم يحضر إلى هذه السرايا سوى

من نوع السهام الحادة وفي الصميم. ومعناه أيضاً أنه غير مؤهل للتعاطي في مثل هذه الأزمة بعد الآن. ومعناه بكثير من الوضوح أنه فاشل وعليه ألا يفكر بتجديد ولايته ويراوح.

وعلى هذه الأرضية سيتم اللقاء الثلاثي. وأي نتيجة شكلية لا تكفي، بمعنى أنه لا يمكن لإدارة الرئيس كارتر أن تتحمل تحقيق النتائج التي إصطلح على تصنيفها بأنها من النوع الذي يحفظ ماء الوجه. إن النتائج التي تجعل الموقف الأمريكي أقوى مما هو عليه الآن، هي النتائج ذات النوع الصاعق والراسخ التي تشكّل رداً قوياً على الإنطباع السائد وهي أن أي مسعى لإيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط لن يكتب له حظ الولادة إذا كان الإتحاد السوفياتي غير مشارك فيه.

وقد يقال إن محادثات قلعة "ليدز" في بريطانيا فشلت ومن الطبيعي إذاً أن تفشل محادثات "كامب ديفيد". وقد يقال ذلك وأكثر على أساس أن وزراء الخارجية الثلاثة عقدوا المحادثات التمهيدية ولم يوفقوا في مساعيهم، وعلى أساس أن ليس هناك معطيات جديدة إستجبت. وهذا منطقي إلا أن الذي يمكن أن يقال أيضاً هو أنه لولا فشل محادثات وزراء الخارجية لما كان للقمة الثلاثية في "كامب ديفيد" أن تُعقد، ولذا فإن إدارة الرئيس كارتر بدأت تستشعر خطورة فشل تعاطيها في أزمة الشرق الأوسط ولا بد من تحقيق نتائج أساسية.

ولعل صدور بيان بتجديد النيات يحمل توافيق الرؤساء الثلاثة هو الحد الأدنى الذي يمكن إعتبار التوصل إليه إنقاذاً لقمة "كامب ديفيد"، من السقوط في الفشل. وأية نتائج أخرى يمكن التوصل إليها تُعتبر إضافات مهمة، بل وبالغة الأهمية.

وصدور بيان بتحديد النيات، يحمل توقيع رئيس الولايات المتحدة معناه تعمد أميركا الشريكة وليس أميركا الوسيطة. وإذا كانت إسرائيل درجت في الماضي على تجاهل القرارات الدولية التي يوقع عليها ممثلو حكام معظم دول العالم، إلا أنها قد لا تستطيع تجاهل بيان - هو بمثابة القرار - يوقع عليه رئيس الولايات المتحدة. هذا مع الأخذ في الإعتبار أن إسرائيل كانت تتجاهل في الماضي القرارات التي تكون أميركا نفسها شريكة في صنعها. ولا يُستبعد أن يكون التجاهل في الماضي مثل هذا مدروساً ومتقفاً عليه مع أميركا نفسها. ولو أن الولايات المتحدة رفضت في الماضي مثل هذا الأسلوب - هذا إذا كان الرفض لم يتم

مرات قليلة جداً حيث أنه جعل من منزله ومن استراحاته المقر الرسمي للإستقبالات والمحادثات. أما المرة الثانية فكانت عندما إعتبر مصطفى كامل مثلاً يُحتذى به ويستند إلى تسمية حزبه خلال إختياره اسم الحزب الذي قرر تشكيله ويجعل من منزل مصطفى كامل الذي أمر بتجديده مقراً للحزب.

وفي البداية تكون نسبة الحماسة عالية للأشياء والقرارات الكبيرة لكنها تتحسر تدريجياً. وعلى هذا الأساس - وقياساً بما حدث بالنسبة إلى سرايا عابدين - يمكن الإفتراض بأن ما قيل من أن الرئيس السادات سيخصص يومين من كل أسبوع يلتقي خلالها بأعضاء حزبه في المقر الدائم للحزب، أي في منزل مصطفى كامل، قد لا يُطبّق تماماً.

وقبل أن يُعزّر الرئيس السادات عن شغفه بـمصطفى كامل عبّر كثيراً عن شغفه بالزعيم التركي كمال أتاتورك وكيف أنه وهو صغير رأى صورته معلقة في منزل والديه.

وهذا الشغف من جانب الرئيس السادات برجال وفترات سبقت ثورة 1952 مؤشر إلى ضيقه من الفترة التي بدأت بعد تلك الثورة التي أذاع بلاغها الأول بصوته.

الملاحظة الثانية: هناك دوافع كثيرة وراء إقدام الرئيس السادات على إنشاء حزبه لعل أبرزها إثنان. الدافع الأول هو أن تجربة المنابر سارت على غير ما خُطّط لها. فالحزب الأول أي "حزب الوسط" الذي كان حزب الحكومة التي هي حكومته كان إذا جاز التعبير مثل جيش ضباطه أكثر من عساكره. وكانت قاعدة القيادة في هذا الحزب أكبر من قاعدته الشعبية. والحزب الثاني أي "حزب اليسار" لم يقف إلى جانب الرئيس السادات، وبالتالي لم يعد هو اليسار الذي يريده السادات. أما "حزب اليمين" الذي رفع الإشتراكية شعاراً بل وسمّى نفسه إشتراكياً فإنه لم يساهم في أي إفادة يبغيها الرئيس السادات.

وفي البداية إفترض الرئيس السادات أن شخصه - محاطاً أو فوق ثلاثة منابر - أمر من شأنه أن يقيه مخاطر الصراعات الحزبية، بل وإفترض أن الصراعات ستكون بين المنابر الثلاثة حول من يكون أكثر ولاء للرئيس وأكثر حظوة بتأييده وثقته. لكن الأمور سارت على غير ما إفترض وأصبح مستهدفاً من جانب "حزب اليسار"، من دون أن تكون لحزب الدولة وللحزب الآخر القدرة على مواجهة تيار اليسار. وفي مثل هذه الحالة

أمامه أمران: إما أن يتقهم طروحات أهل اليسار وبالتالي يقربهم إليه أو يقترب هو بعض الشيء منهم. وإما أن يعتبر الطروحات بما حفلت به من مواقف لا تخلو من الحدة نوعاً من التجرؤ الذي لا يتحملة ويرد الرد الذي يتناسب مع هذه الطروحات وذلك التجرؤ. وهذا ما حدث بالفعل.

أما الدافع الثاني وراء إقدام الرئيس السادات على إنشاء حزبه فهو إنهاء تنظيم الإتحاد الإشتراكي. ومن الطبيعي أن مثل هذا الأمر لا يأتي بصيغة قرار وإنما بنشوء تنظيم جديد وبديل.

وعملياً إن فكرة الإتحاد الإشتراكي إنتهت مع قيام المنابر وإن كان إستمر التنظيم ذلك الرقيب يشرف على سير أعمال المنابر. ولكن ضعف بنية الحزب الأول أي حزب الحكومة جعل الناس يقولون إن الإتحاد الإشتراكي كان أفضل... وهكذا.

ومن الضروري ألا تُسقط من الحساب دافعاً قد يكون في مرتبة الأولوية وراء إقدام الرئيس السادات على إنشاء حزبه. وهذا الدافع يتعلق بشخص ممدوح سالم رئيس الوزراء ورئيس "حزب الوسط"، أي حزب الحكومة. وفي الملاحظة الثالثة تفسير لذلك.

الملاحظة الثالثة: حتى قيام حزب الرئيس السادات كان رئيس الوزراء ممدوح سالم هو الشخص الأقوى في النظام وكان عملياً الرجل الثاني. ومن الطبيعي أن يضابق ذلك الرجل المفترض أن يكون ثانياً ونقصه به حسني مبارك الذي عُيّن في هذا المنصب كنوع من إيجاد توازن مع تعيين ممدوح سالم رئيساً للوزراء. ومنذ أواخر 1976 والرجلان يخوضان معركة صامتة لكي يكون أحدهما هو الرجل الثاني. وكان الصراع يتم في إطار معادلات عربية ودولية وليس في إطار لعبة الحكم الداخلية وحدها. وفي السنتين الأخيرتين كسب حسني مبارك مواقع أساسية الأمر الذي جعل وضع ممدوح سالم يتأثر قليلاً.

ولم يحدث أن وقف الرئيس السادات مع أحد في مصر كما وقف مع ممدوح سالم. فقد اجتازت مصر أزمات بالغة الخطورة تكفي واحدة منها لتغيير الحكومة لكن الرئيس السادات لم يتخذ قراراً في هذا الشأن. وكانت أمامه فرصة مناسبة خلال أحداث 18 و19 يناير 1976 لكي يوقف تأصل ممدوح سالم أو يحده بعض الشيء وذلك بتغييره والإتيان بشخص آخر كرئيس للحكومة ولكن المعادلات العربية فضلاً عن إتساع دائرة أهمية "اللوبي" الذي يقوده ممدوح سالم،

جعلت على ما يبدو من غير السهل تحجيم ممدوح سالم عن طريق إتخاذ قرار.

ولقد قيل الكثير في شأن ممدوح سالم على رغم الإهتزازات التي تحدث. وقيل الكثير الكثير عندما كانت الأزمات الداخلية الكبرى تنتهي فقط بتعديلات وزارية طفيفة.

وهناك أكثر من تساؤل بقي من دون جواب حول السر الذي يكتنف ظاهرة ممدوح سالم وكيف أنه الوحيد الذي بقي بين الذين وقفوا إلى جانب الرئيس السادات في عملياته المثيرة التي إستهدفت ضرب علي صبري والآخرين في حين أن سائر الذين إتخذوا مواقف مماثلة لموقف ممدوح سالم تساقطوا واحداً بعد الآخر وفي ظل ظروف إتسم بعضها بما يشبه الجو الدراماتيكي.

إن الدور السياسي لممدوح سالم الذي قفز بسرعة من رجل أمن إلى رجل سياسة إلى رجل دولة إلى مركز قوة من نوع غير مألوف، هو الذي يجعلنا نفترض أن ليس من السهل إنهاؤه بالأسلوب التقليدي، وهو الذي يجعلنا نفترض أن من جملة دوافع الرئيس السادات إلى تشكيل حزبه هو إنهاء ممدوح سالم.

ومعروف أنه لمجرد إبعاد أي شخص في مصر عن الموقع الرسمي الذي يشغله لا تعود هنالك أي مشكلة بإستثناء حالات قليلة من نوع حالة محمد حسنين هيكل على سبيل المثال. المشكلة الأساسية بالنسبة إلى البعض وإلى شخص من نوعية ممدوح سالم هي في طريقة إبعاده عن موقعه السياسي.

وإذا حدث كما هو معتقد ولم يعد ممدوح سالم رئيساً للوزراء فإن الحزب الذي سيتزعمه سيذوب كحبات الملح في لحظات، لأنه في الأصل ليس حزب القاعدة الشعبية العريضة، ولأن أركان القاعدة القيادية وهي الأقوى على الفور إلى الحزب الذي شكّله رئيس الجمهورية.

الملاحظة الرابعة: استوقفنا عبارات قالها فكري عبيد الأمين للأمانة العامة لـ "الحزب الوطني الديمقراطي" في مؤتمر شعبي. هذه العبارات هي: "إن نزول الرئيس السادات إلى الشارع السياسي ليس بدعة بل ضرورة، فهو رجل سياسي من الطراز الأول". وإن برنامج الحزب الوطني ببساطة شديدة: أنور السادات. فالرجل هو البرنامج، لأن البرنامج عبارة عن مواقف وأسلوب عمل. فأنور السادات فجر ثورة 23 يوليو وثورة التصحيح في 15 مايو وألغى الحراسات وعبر بنا من الهزيمة إلى النصر وغزا القدس عبوراً وأرسى قواعد

الديمقراطية الحقيقية...".

ومثل هذا الكلام لا يبدو واقعياً وإنما هو كتلة من العواطف المتأججة سبق لممدوح سالم أن قال مثلها الكثير ومع ذلك فلم يُقد هذا الكلام في شيء. ومعنى هذا الكلام أيضاً أنه لن يكون هنالك أي حوار داخل الحزب الجديد، فضلاً عن أنه لن يكون هنالك أي نقاش.

ومثل هذه النظرة ستقود تدريجياً إلى نوع من التعبد لرئيس الحزب وستقود أيضاً إلى المزيد من ضيق الصدر حيث لن يُسمح بأحزاب أخرى. وشيئاً فشيئاً سنرى أن مصر ستصبح محكومة من حزب واحد.

وفي أحسن الأحوال يمكن أن يصل هذا الحزب إلى الوضع الذي كان عليه حزب الرئيس الموريتاني المقلوب مختار ولد داهه الذي أكدت الأحداث الأخيرة التي شهدتها موريتانيا أن الحزب على رغم عراقته تهاوى في لحظات ولم يستطع أن ينقذ رئيسه من بنادق جنود ولد سالك الضابط الذي كان مغلوباً على أمره وحاكماً وكل شيء.

ويبقى تساؤل: كيف يمكن توعية جيل جديد بأحلام وأفكار تعود إلى ثلاثة أرباع قرن. ولماذا هذا التبرؤ في إستمرار من ثورة ثبت أنها هي التي أنهت الوجود البريطاني وهي التي تعني شيئاً بالنسبة إلى جيلين على الأقل.

ولا نعتقد أن الرئيس السادات سيستمر على حماسته الحالية لموضوع الحزب لأن مشكلة مصر تتجاوز بكثير هذه المحاولات. هذا من جهة. ولأن مشكلة مصر من جهة أخرى لن تحلها الحزبية والأحزاب إنما إعتقاد خط سياسي متوازن. ذلك أن الحزب هو في النهاية دعوة المصريين إلى المزيد من التناحر وفتح جروح جديدة في جسد ينزف.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 9 سبتمبر (أيلول) 1978

تباطؤ كارتر وإستعجال السادات!

الجانب الآخر من حياة الإضطراب والصراعات والفقر والتخلف موجود في "كامب ديفيد". فهو "ديزني لاند" إنما للكبار. ويستطيع المتعبه أعصابهم وأفكارهم والقلقون أن يسترخوا ويفكروا بهدوء من دون أن يقطع تفكيرهم غزال شارد من الغزلان التي تتجول في

غابات هذا "الكامب" الذي سماه الرئيس الراحل إيزنهاور بإسم حفيده ديفيد، أو يعطل إستغراقهم مرور طير أمهم من تلك الطيور النادرة التي تستوطن تلك الغابات.

ولقد جاء الرئيس جيمي كارتر إلى "كامب ديفيد" هارباً من تعقيدات واجهته منذ أن بدأ يتعاطى بأزمة الشرق الأوسط، ويريد في شكل أو آخر حلحلة هذه التعقيدات مخافة أن تؤثر على البقية المتبقية من مستقبله السياسي داخل بلاده ومن سمعته العالمية.

وجاء الرئيس أنور السادات إلى "كامب ديفيد" هارباً من مشاكل لا حصر لها داخل مصر، واجهته منذ أن إختار خطأ في إدارة الصراع العربي - الإسرائيلي يتسم بالمغامرة وبالمباغته فابتعد عنه الحلفاء وتكتل في الوقت نفسه الذين ما زالوا يرون أن في قدرة الأمة أن تصمد وتستعيد بالقوة ما أخذ بالقوة.

وجاء مناحيم بيغن إلى "كامب ديفيد" هارباً من واقع مستجد داخلي. فهناك تيار يتعاضم شأناً يريد السلام والتخلص نهائياً من الدعوات المباغته إلى الإستنفار والإلتحاق بالوحدات. وهناك مخاوف مستمرة من عمليات فدائية هنا وهناك، فضلاً عن أنه إذا كانت ثلاثون سنة من الإغتصاب والإحتلال لم تؤمن الإستقرار المطلوب لإسرائيل فإن معنى ذلك أنها دولة مبنية على باطل.

وفي الوقت الذي كان الهاربون الثلاثة يتداولون للمرة الأولى على أرض أميركية، وذلك هو العنصر الأكثر أهمية في موضوع قمة "كامب ديفيد"... في هذا الوقت كان هنالك من يتمنى أن تسفر المحادثات عن نتيجة تشبه في مضمونها النتيجة التي أسفرت عنها قمة إيزنهاور - خروتشوف في "كامب ديفيد". وكان هنالك من يتأهب للعمل في ضوء فشل الثلاثة في الوصول إلى نتيجة مكتفين بذكريات جميلة. ومن الطبيعي إن صورة الموقف كانت ستبدو أفضل لو أن قمة "كامب ديفيد" كانت هي البديل لزيارة إسرائيل التي قام بها الرئيس السادات. ولو أن هذه القمة عُقدت والرئيس السادات لم يزر إسرائيل لكان تأثير الدور الأميركي أقوى، ولما كانت المقاطعة العربية للرئيس السادات على الحدة التي هي عليها لأنه زار إسرائيل.

من هنا إن مسؤولية فشل قمة "كامب ديفيد" - إذا إنتهت من دون أي نتيجة إيجابية - يتحملها الرئيس كارتر لكثرة ما تباطأ، والرئيس السادات لأنه إستعجل. وكلاهما قدم لبيغن ورقة لم تكن في الحسبان يلعب بها

وهو بهذه الورقة يواجه التيار الذي يتعاضم شأناً داخل إسرائيل مطالباً بالسلام.

ومن باب المصادفة إنه قبل أيام قليلة من إنعقاد قمة "كامب ديفيد"، نشر معهد الدراسات الإستراتيجية الدولي تقريره السنوي، وخلاصته إن الدول العربية وإسرائيل مستمرة في بناء ترسانة أسلحة ضخمة على الرغم من الجهود التي تبذل لإحلال السلام، ويعلن العقيد معمر القذافي - ربما ليس من باب المصادفة - أن بلاده حصلت على طائرات "ميغ 25" أكثر الطائرات الحربية السوفياتية تطوراً.

فهل معنى ذلك أنه إذا فشلت القمة الثلاثية في "كامب ديفيد" - ستكون هنالك جولة جديدة من القتال العربي - الإسرائيلي؟

والجواب عن ذلك هو أن الجولة مستبعدة لأن تباطؤ الرئيس الأميركي وإستعجال الرئيس السادات ساهما في تفكيك إرادة الحرب عند بعض العرب. وهذا أهم ما في تلك الورقة التي يلعب بها بيغن.

وإذا لم تحدث مفاجأة من النوع الصاعق في "كامب ديفيد"، فإن الوضع العربي بعد هذه القمة سيكون أسوأ مما هو عليه اليوم، مثلما إن الوضع بعد زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل بات أسوأ بكثير مما كان عليه قبل الزيارة.

ويقودنا ذلك إلى تساؤل: هل معنى ذلك أن أحداثاً تستهدف التغيير ستكون سمة المرحلة المقبلة في العالم العربي، وأن هذه الأحداث هي التي ستحسم المسألة سلماً أم حرباً؟

يبدو أن هذا الإحتمال هو الوارد بعد سقوط كل الإحتمالات بما فيها إحتمال تحقيق المعجزة في "كامب ديفيد"... إلا إذا خيبت هذه القمة كل الظنون وكل المراهقات.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 9 سبتمبر (أيلول) 1978

القلق الأميركي البالغ

في أعقاب عودة الرئيس أنور السادات من زيارته إلى حيفا وصل إلى القاهرة السفير الأميركي المتجول روبرت شتراوس، ولوحظ حرصه على أن يدلي فور وصوله بتصريح قال فيه: "إننا هذه المرة نبدي قلقاً بالغاً لأننا لم نحصل على معلومات أو تفاصيل عما دار من

أحاديث بين الرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن في لقائهما في حيفا".

وهذه اللهجة في التصريحات مستجدة على الدبلوماسية الأميركية. ففي التصريح إشارة إلى "قلق بالغ" وفي التصريح إشارة أخرى إلى أن خطوط الإتصال مقطوعة بين واشنطن وحليفيهما الرئيس السادات ومناحيم بيغن.

ويُفهم من هاتين الإشارتين أن الرئيس المصري ورئيس الوزراء الإسرائيلي مستقلان ولا يتحركان في إطار السيناريو الأمريكي وهذا يبدو مستغرباً كل الإستغراب، ذلك أنه منذ توقيع إتفاقات "كامب ديفيد" والإثنان لا يخرجان على حدود مخططة في دهاليز البيت الأبيض. ومن المؤكد أنهما لا يتآمران على القرار الأمريكي.

والذي يسمع كلام السفير شتراوس يتبادر إلى ذهنه التساؤل الآتي: منذ متى تشعر الإدارة الأميركية بقلق بالغ من تحرك جرمين يدوران في فلكها؟ ولكن في الوقت نفسه من المهم وضع خطوط تحت هذه العبارة للسفير شتراوس لأن الأيام قد تكشف بعض الحقائق.

وموجب وضع الخطوط أن العبارة صريحة جداً فضلاً عن أنها قيلت من أجل النشر. وكان يمكن السفير شتراوس أن يكتفي بالقول إنه جاء إلى القاهرة لكي يطلع من الرئيس السادات عما دار من محادثات في لقاء حيفا، ثم يتوجه إلى إسرائيل ويقول الشيء نفسه، بدلاً من أن يقول إن حكومته "تتألم بقلق بالغ...".

وإلى ذلك إن مثل هذه التصريحات لا يبدو أن في استطاعتها أن تزيل من أذهان الدول العربية قناعاتها بأن إدارة الرئيس كارتر ليست بريئة مما يفعله السادات وبيغن. والشواهد في هذا الشأن كثيرة. وفي تصريحات الرئيس كارتر الأخيرة ما فيه الكفاية لكي يكون القلق بالغاً - في حال تواجده - على السادات وبيغن وليس منهما.

وتكراراً إن تصريحات شتراوس ستظل لغزاً في عالم إدارة الرئيس كارتر المليء بالألغاز، إلى أن يتبين سبب هذا "القلق البالغ" وهل هو نتيجة مخاوف من أن يدمر له شريكاه في صفقة "كامب ديفيد" محاولات تدور في السر من أجل علاج لوضعه الداخلي المستعصي بعدما اظهرت إستفتاءات أجريت حديثاً أن ثلاثة أرباع المواطنين لا يريدونه رئيساً.

وأية محاولة تتجاوز إتفاقات "كامب ديفيد" معناها سقوط حليفه (السادات وبيغن)، خصوصاً إذا كان الرئيس كارتر قد بات ميالاً إلى الإقتناع بأن تلك الإتفاقات كانت من جملة أسباب تدني شعبيته بدليل أن هذه الشعبية كانت ملحوظة قبل تلك الإتفاقات وبدأت الانحسار بعد الإتفاقات.

وفي هذا الإطار يبدو من المهم الأخذ في الاعتبار إصرار الرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن على ترويج الأنباء التي تقيد أنه بات من الضروري عقد قمة مع الرئيس كارتر وإصرار دوائر البيت الأبيض في الوقت نفسه على إستبعاد هذه القمة. وواضح أن إصرار السادات وبيغن على هذه القمة هدفه إنقاذ وضعيهما اللذين يتواصلان تهديداً بعدما ثبت أن صُلحهما لا يعني تحقيق سلام في المنطقة، وأن رفض الرئيس كارتر لهذه القمة مرده الإقتناع بأنه يحتاج إلى خطوات تعزز وضعه وأن قمة يعقدها مع السادات وبيغن قد تتسبب له في تعقيدات هو في غنى عنها فضلاً عن أنه بهذه القمة سيبدو أمام العرب أنه لا يملك من أساليب التفاهم معهم سوى أسلوب الإستفزاز. ذلك أن الدول العربية عندما تطالبه بموقف يأخذ في الإعتبار المصالح المشتركة ويرد على هذه المطالبة بالكثير من التجاهل ثم يعقد قمة مع السادات وبيغن، فإنه بذلك يستفز.

ولا بد أن إدارة الرئيس كارتر لاحظت وبكثير من الإهتمام مدى تأثير صلابة الموقف العربي على أعمال وقرارات قمة عدم الإنحياز. ذلك أن مؤتمر هافانا لم يكن بين عرب فقط لكي يُنظر إلى قرارات هذا المؤتمر وتوصياته بشيء من الإستخفاف أو بحيث يقال إن المسألة لا تعدو حالة غضب من جانب أكثرية العرب على مصر كما حاولوا تصوير الأمر في أعقاب قرارات قمة بغداد. لقد شاركت في المؤتمر ثلاثة أرباع دول العالم، وتبين كم أن موقف العرب مؤثر داخل هذه المجموعة. والقرارات والتوصيات التي إتخذها المؤتمر موجّهة في الدرجة الأولى ضد إتفاقات "كامب ديفيد" وليس ضد الولايات المتحدة. ومن المؤكد أنه لو عُقدت قمة هافانا ولم تكن سبقها بأشهر صفقة "كامب ديفيد" المرفوضة من العرب لما كان لهذه القمة أن تتخذ أي قرارات أو توصيات ضد السياسة الأميركية بإستثناء بعض التلميحات والانتقادات، ولما كان العرب داخل المجموعة بمن فيهم مصر أعربوا عن غير التمنيات فقط بأن يتبدل الموقف الأمريكي في إتجاه تحقيق الحل

العدل والشامل في الشرق الأوسط.

كذلك لا بد أن الرأي العام الأميركي الذي قد لا يكون تنبّه لغضب العرب الصامت على إتفاقات "كامب ديفيد" وبالتالي لم يكتث لإدانتهم الإتفاقات ورفضهم لها، شعر بعد الإدانات الصادرة عن المنحازين أن أساليب حكومته وحلوله يجب أن تتبدى في شكل أو آخر. وستطالعنا بعد اليوم وبين الحين والآخر الإستفتاءات التي ستؤكد ذلك.

ونعود إلى مسألة "القلق البالغ" التي جاءت في تصريح السفير شتراوس ونتساءل: هل بدأ الرئيس كارتر من خلال هذه العبارة التي جاءت على لسان ممثله الشخصي يشعر بخطورة ما فعله وأن "قلقه البالغ" معناه أنه على أهبة إعادة نظر في مسائل كثيرة؟

إن الوضع الداخلي للرئيس كارتر يحمل على الإعتقاد بأن هناك إعادة نظر ما على الطريق. وفي الماضي كانت تأشيرة الدخول إلى عالم الفوز بالرئاسة في أميركا هي إستعطف إسرائيل وتقديم الوعود إليها وتسجيل كل التعهدات التي تريدها. أما في الظروف الراهنة فإن مثل هذه الأمور لم تعد كما كانت عليه في الماضي. ذلك أنه على رغم أن الضغط العربي على الولايات المتحدة ما زال "الضغط البارد" فإنه أوصل الرئيس كارتر إلى الشعور بـ "القلق البالغ".

ومع إقتراب معركة التجديد في الولايات المتحدة سيدخل الضغط مداراته الساخنة إلى أن يذنب أهمية إتفاقات "كامب ديفيد" وينهي اركان هذه الصفقة التي تبين كم أنها كانت مرتجلة ومفتعلة وليس فيها أي تعقّل وإنما جموح وإنجذاب نحو اللامعقول.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 22 سبتمبر (أيلول) 1978

الصفقة: تساؤلات مصرية

لم يحدث أن طُرحت أسئلة وأثيرت تساؤلات حول الذي جرى في "كامب ديفيد" وإتسم بطابع "الصفقة". وسنحاول هنا طرح الأسئلة والتساؤلات والإجابة عنها. أولاً- من المستفيد ومن الخاسر في هذه الصفقة

وما هو نوع الكسب. كذلك ما هو نوع الخسارة؟

والجواب: الثلاثة مستفيدون. الرئيس جيمي كارتر مستفيد. والرئيس أنور السادات مستفيد. ومناحيم بيغن مستفيد. كارتر إستفاد في أنه أنقذ نفسه وسمعته من دون

أن يؤذي إسرائيل في شيء وذلك هاجسه الأساسي. والسادات إستفاد في أنه كسب الرئيس كارتر إلى جانبه. ومناحيم بيغن إستفاد في أنه حصل على ما يريد من دون أن "يتنازل" عن شيء، علماً بأن "التنازلات" كانت ستتم حول أرض ليست له أصلاً، وفي الوقت نفسه حقق حلاً إسرائيلياً قامت أربع حروب من أجله.

هذا على صعيد الإستفادة. أما على صعيد الخسارة فإن إثنين من أصل ثلاثة هما الخاسران وتوازي نسبة خسارتهما مقدار ما حققاه من كسب. الأول هو جيمي كارتر الذي فقد هيئته من جانب العرب وحديثاً من جانب الفلسطينيين انفسهم في أنه قد يكون الرئيس الأول في تاريخ الولايات المتحدة الذي ينصف حقوقاً ضائعة. والثاني هو أنور السادات الذي بدا واضحاً للعرب جميعاً أنه في تحرّكه وضع شخصه فقط في الحساب وظهر حاملاً سيف الإنتقام من جميع العرب. ثانياً: هل تستفيد مصر من صفقة "كامب ديفيد"

وما هو نوع الإستفادة؟

والجواب: قبل أن يغادر الرئيس السادات واشنطن عائداً إلى مصر عن طريق المغرب قال رداً على سؤال لأحد أفراد الجالية المصرية في الولايات المتحدة: "إن الرئيس كارتر صديق عزيز حبيب لمصر في كل ما تريد، وبسلطة "السوبر باور" أي القوة العظمى وغنى "السوبر باور" سيقف إلى جانب مصر ويكون بتصرفها من دون تحقُّظ".

ومعنى كلام الرئيس السادات أنه مقابل التنازلات الكبيرة التي قدّمها سيحصل على مساعدات من الولايات المتحدة وأن الرئيس كارتر وعد بذلك. وإذن فإن الرئيس السادات مطمئن من هذه الناحية. وقبل أن تتم الصفقة كان من الصعب على الرئيس كارتر أن يساعد الرئيس السادات بغير المساعدات التي سبق وقدّمها في خلال السنتين الماضيتين، وهي مساعدات لا تقدّم ولا تؤخّر في شيء للرئيس السادات للوضع الداخلي الأفضل. وقبل هذه الصفقة كانت الشركات الأميركية غير مطمئنة ولا تقدّم على العمل والإستثمار في مصر لكنها بعد هذه الصفقة وبتوجيهات من الإدارة الأميركية نفسها ستعمل وتستثمر في مصر. هكذا يُفترض.

ثالثاً: هل أن الشعب المصري في أكثريته مع هذه الصفقة وما سر هذه الظاهرة؟

والجواب: قد تكون بعض تظاهرات التأييد التي نسمع أو نقرأ عنها منظّمة. ولكن الأكثرية المصرية مع

رابعاً: والجيش؟ أين يقف الجيش المصري من هذا كله؟ ثم أليس الجيش هو الذي ثار يوم 23 يوليو 1952، ومن أجل فلسطين؟

والجواب: منذ يوم السادس لحرب أكتوبر (تشرين الأول) 1973 بدأ الرئيس أنور السادات ينفذ الخطط التي كان آخرها إتفاق "كامب ديفيد". وقد تدرجت الخطط وتشعبت وشملت القطاعين المدني والعسكري. وبدأنا نسمع كل فترة عن إبعاد الشخصيات المدنية والعسكرية التي شعرت أن الأسلوب الذي يعتمد عليه الرئيس السادات سيقود في نهاية المطاف إلى حلول تُبعد مصر عن المجموعة العربية. ونلاحظ أن الذين أُبعدوا تعرضوا لمضايقات، ولم يَتَح لأحدهم التعبير عن رأيه، إلا أن هؤلاء، من الدكتور محمود فوزي إلى محمد حسنين هيكل إلى الدكتور مراد غالب إلى حافظ إسماعيل إلى إسماعيل فهمي إلى محمد رياض وآخرين كثيرين لم يستسلموا بسهولة واستمروا في مجالسهم الخاصة يحللون الموقف من وجهة نظرهم المرفوضة من جانب الرئيس السادات الذي أحاط نفسه بمجموعة لا تناقش ولا تحاول وضع ضوابط. هذا بالنسبة إلى المدنيين. وبالنسبة إلى العسكريين حدثت عملية فكفكة حقيقية للمؤسسة. قادة حرب 1973 وُضعوا على الرف وضباط الصف الثاني في هذه الحرب مُنحوا ترقية مفتعلة. وقبل أسابيع وضع الرئيس السادات على رأس الجيش الثاني والجيش الثالث قائدين يجنحان إلى السلم، وفعل الشيء نفسه بالنسبة إلى البحرية والطيران، فضلاً عن أن الإهتمام الملحوظ من جانب الدولة بالجيش تركّز على إنشاء لواء صاعقة. ورجال الصاعقة هم الذين يقومون بالعمليات الخاصة. وإذا أخذنا في الاعتبار مدى ما أنفق على لواء الحرس الجمهوري الذي يتم تجهيزه لأنوار متصلة بعض الشيء بالسياسة لوقفنا على حقيقة أساسية هي أن هموم الرئيس السادات العسكرية إنحصرت منذ بدء خطط السلام في تحقيق القوة التي تحمي هذه الخطط.

وثمة نقطة أساسية تتعلق بالعسكريين عموماً وهي نقطة نفسية. فالذي حدث بعدما اجتاحت السياسة وتبعها الإنفتاح الإقتصادي الساحة في مصر شعر العسكريون أن أهل السياسة والإنفتاح يستثمرون إنتصاراتهم العظيمة التي حققوها خلال حرب 1973، ومن أجل ذلك بدأوا يتصرفون على أساس أنهم ليسوا على إستعداد للمضي في الحماسة من أجل الحرب. وقد شجع النظام هذه الحالة وعززها بأن تباطأ في موضوع تأمين السلاح للجيش. وتعميق الخلاف مع الإتحاد السوفياتي جزء من

الصفقة لسبب أساسي وهو الشعور بأن الصفقة ستتسبب لمصر في إنتعاش هي في شوق إليه. ولعله ليس مبالغة القول إن الرئيس السادات إعتبر الإستقبال الشعبي العفوي الذي جرى في مصر للرئيس السابق نيكسون الذي جرى بدءاً بمطار القاهرة وإنتهاءً بالإسكندرية، بمثابة إستفتاء له على سياسته الأميركية. وهو منذ ذلك الوقت يراهن على الورقة الأميركية التي كادت أن تهتز بعد سقوط فورد. أما لماذا الإهتزاز، فلأن المصريين يتطلعون إلى مردود سريع ولأنهم عندما يلاحظون تعثراً في المردود يُظهرون ضيقهم.

وهذا معناه أن المصريين اجروا استقبلاً تاريخياً للرئيس السابق نيكسون ظناً منهم أنه سينقلهم فجأة إلى خانة الرخاء. ووقفوا إلى جانب الرئيس السادات في توجهه الأميركي على أساس أن الورقة الأميركية رابحة وتعود بالخير على البلد. ومعنى ذلك أيضاً أن هذا الإنفراج من جانب الأكثرية المصرية نحو أميركا وخطها يمكن أن يصبح خطراً حقيقياً على الحاكم الذي هو الرئيس السادات إذا حدث نوع من التباطؤ - خصوصاً الآن بعد الصفقة - من جانب الولايات المتحدة في إغداق المال على مصر.

وفوق ذلك إن الإعلام المصري الموجّه لعب دوراً بارزاً في مسألة التخريب لأميركا، فضلاً عن أن أي صوت سياسي غير متحمس أو مقتنع بذلك تم ضربه. ونصل من هذا إلى أن الأكثرية المصرية المتحمسة الآن ستصبح أقلية إذا لم تحدث الأعجوبة، أي إذا لم يتدفق المال الأميركي على مصر. وقياساً بسوابق أميركية لا نعتقد أن المسألة ستكون بالصورة التي هي في ذهن الأكثرية المصرية.

ولكن هل معنى ذلك أن الأكثرية المصرية المتحمسة الآن ستصبح أقلية إذا لم تحدث الأعجوبة، أي إذا لم يتدفق المال الأميركي على مصر؟ وقياساً بسوابق أميركية لا نعتقد أن المسألة ستكون بالضرورة تلك التي هي في ذهن الأكثرية المصرية.

ولكن هل معنى ذلك أن الأقلية المصرية ليست مؤثرة؟ إنها في الواقع غير مؤثرة وتشكّل في مجموعها إتجاهاً يمكن أن يكون المدخل إلى تزايد نمو أزمة ضمير وطنية عند المصريين، أو تكون وعاء الصحة المصرية. وأهم ما في هذه الأقلية أنها تمثّل النخبة المتقفة التي لا مصالح لها، والتي ترى أنه لا حياة لمصر من دون العرب، وأن طريق مصر إلى المشرق يمر في فلسطين وليس عبر سفارة مصر فيها وسفارة إسرائيل في القاهرة.

الأربعاء 20 أيلول (سبتمبر) 1978 وفيها أن القوات المسلحة تؤيد "الإنجاز الكبير الذي تحقّق في مؤتمر "كامب ديفيد"...". تعني أن الوضع سليم تماماً ومطمئن جداً داخل الجيش؟

إن ذلك هو اللغز الكبير.

وللمناسبة إننا لا نعتقد أن "وزارة الحربية" ستبقى تحمل هذا الاسم بعد الآن. وقد يتم تغيير الاسم فلا تعود حربية ما دام أمر الحرب قد إنتهى.

خامساً: والقدس؟ هل من الطبيعي أن ينظر الأزهر إليها نظرة السياسة نفسها والنظرة كما لخصها الرئيس السادات في لقائه مع الطلبة المصريين قبل مغادرته واشنطن هي: "رأينا أن تبقى القدس القديمة تحت الحكم العربي والجديدة تحت الحكم الإسرائيلي ولهما بلدية مشتركة. أما أماكن العبادة فلا بد أن تكون حرة في الوصول إليها وأن يكون التنقل إليها حراً بلا تمييز. وأن يبقى حائط المبكى تحت إدارة إسرائيل. أما كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وغيرهما من الأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية فللعرب والمسلمين والمسيحيين حقوق تاريخية فيها".

والجواب: لا نعتقد أن المسألة ستكون بهذه البساطة. ونعتقد أن تأخر شيخ الأزهر في إرسال برقية تأييد إلى الرئيس السادات تعود إلى تعقيدات شهداها الأزهر. وكان شيخ الأزهر بعث ببرقية التأييد يوم 21 أيلول في حين أن البابا شنودة سبقه في إرسال البرقية بيومين. إن الاسئلة والتساؤلات كثيرة. وما أوردها كان بعضها المصري. وفي التحليل النهائي لهذه الاسئلة والتساؤلات ولمحاولات الإجابة عنها، لا نتوقع أن تسير الأمور على ما من شأنه أن يُعتبر مطمئناً. وكل ما في الأمر الآن أن حالة الذهول ما زالت سائدة. وعندما يصحو الجميع على الحقائق تتضح صورة الموقف.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 30 سبتمبر (أيلول) 1978

كي لا تمر الإتفاقيات

على رغم أن قراراتها جاءت مرنة فإن القمة الثالثة لـ "جبهة الصمود والتصدي" ما زالت شعاعاً نضالياً في ظلمة الإنهيار الذي تعيشه الأمة، وأحدث حلقاته ما تم في "كامب ديفيد" حيث فصلت الولايات المتحدة مصر

هذا الأمر. ومن الطبيعي أن العسكري يتحمس للحرب إذا كان مطمئناً إلى أن في يده السلاح الذي يقاتل به والجبهة الداخلية التي تحميه. لكن بعدما يكتشف أن المسألتين غير موجودتين لا يعود ذلك المتحمس.

وقد أشاع الإنفتاح الإقتصادي أجواء عطّلت بعض الشيء حماسة بعض العسكريين للحرب، خصوصاً أنه رافق ذلك تباطؤ حقيقي في موضوع إجراء المناورات الحربية في إستمرار. فلم تعد القيادة تُجري المناورات كالسابق. أما معظم الضباط فبدأوا يتطلعون بشغف إلى حياة مدنية مريحة ووظائف في القطاع المدني تدر الربح الوفير. وقيل في حينه كيف يُسمح بمثل هذه الأجواء والإحتلال ما زال قائماً وقد تنشب الحرب في أي لحظة ولا يكون هنالك مقاتلون وسلاح؟ ويبدو أن القيادة السياسية سمحت بذلك على أساس إطمئنانها إلى أنه لا حرب بعد اليوم.

وتجدر الإشارة في معرض التحدث عن هذه الظاهرة إلى أن القيادة العسكرية اكتشفت مرة أن الإقبال على الإلتحاق بالكليات الحربية ينحسر تدريجياً فلجأت إلى ما من شأنه إغراء الشباب بأن إستحدثت شهادة في الكلية الحربية تُعطى لمن يلتحق بالكلية ويتخرج ضابطاً وهي شهادة في إدارة الأعمال. والغرض من ذلك هو تظمين الشباب إلى أن في إستطاعتهم أن يعملوا في القطاع المدني بعد ذلك. ومع هذا لم يحدث الإقبال المطلوب. وفي ضوء ما أدلى به الرئيس السادات من تصريحات وهو في واشنطن بعد اتمام الإتفاقيات يمكن القول أن عمليات تسريح ضخمة ستجري داخل الجيش. ويكفي كمؤشر لذلك أن ننبت هنا بعض ما قاله السادات وأبرزه "لقد فرغنا من معركة التحرير. ولم يعد مطلوباً مني أن أبعث بأولادي لكي يموتوا في سبيلنا مرة كل خمس سنوات. خلاص إنتهت المعركة ونحن سنتجه إلى معركة التعمير. وحتى الوحدات التي سأسرّحها من القوات المسلحة ستتولى مهمة كتائب البناء والتعمير في سيناء".

وقد يتساءل البعض: ألا يُعقل أن يكون بلد أمضى إحدى عشرة سنة تحت الإحتلال قد فرّخت فيه نوعيات عسكرية رافضة وغاضبة من النوعية نفسها التي فرّختها الحرب الأولى على أرض فلسطين؟ وألا يُعقل أن تكون هنالك خلايا تشكّلت وتعمل في صمت وستعبّر عن رفضها لما جرى بأن تثور على كل شيء؟

وهل أن البرقية التي بعث بها وزير الحربية الفريق أول عبد الغني الجسمي إلى الرئيس السادات يوم

عن العرب، وتحاول الآن دمجها في إطار إستراتيجية أميركية - إسرائيلية واحدة.

والملاحظ أن قرارات القمة الثالثة لم تكون قادرة على ضرب إتفاقات "كامب ديفيد" إلا إذا كانت هناك مقررات سرية إرتأى الرؤساء عدم الإعلان عنها وإتفقوا على أن يكثفوا الجهد من أجل تنفيذها. ولعل العقدة الأساسية التي جعلت أهل الصمود والتصدي لا يتخذون القرارات الحاسمة هي أن بعضهم حريص على ألا تتأثر المعادلة المعمول بها منذ ثلاث سنوات وهي توسيع دائرة الإقترب من الولايات المتحدة من دون أن يؤثر ذلك على طبيعة التعامل والعلاقات الجيدة مع الإتحاد السوفياتي.

ونلاحظ أن مصر حرصت، فيما قمة الصمود والتصدي تعقد جلساتها، على التأكيد أن إتفاقات "كامب ديفيد" ستُنفذ خلال شهرين بدلاً من ثلاثة أشهر. وكنا نتوقع أن يشكّل مثل هذا التأكيد عنصراً ضاعطاً على المجتمعين بحيث تأتي قراراتهم متقدمة بعض الشيء. لكن مثل هذا الأمر لم يحدث. ولأنه لم يحدث فإن فرصة تنفيذ تلك الإتفاقات خلال شهرين تبدو متاحة إلا إذا حدث نوع من التحالف الحقيقي بين "عرب الصمود والتصدي" و"عرب السعودية". ومثل هذا التحالف قد يحدث إذا تبين أن مسألة تطوير العلاقات مع الإتحاد السوفياتي - وهذا ما أوكلت قمة الصمود والتصدي إلى الرئيس حافظ الأسد أمر تحقيقه - لن تتجاوز الإطار اللفظي. والرئيس الأسد يدرك ذلك تماماً ويعرف أن عرب السعودية قد يتخذون موقفاً من الولايات المتحدة، بل وقد يأتي الموقف حاداً، إلا أنهم يرون أن الدب الروسي والذئب الإسرائيلي سيان.

وبعدما قال أهل الصمود والتصدي كلمتهم تبقى الكلمة للسعودية ومن معها: فإذا جاءت الكلمة عبارة عن موقف حاسم فإن هذا الموقف بالإضافة إلى موقف جماعة الصمود والتصدي، كفيلاً بضرب إتفاقات "كامب ديفيد" .. وإلا فإن الإتفاقات ستتمر تحت سمع الأخيرين وبصرهم.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 30 سبتمبر (أيلول) 1978

إستراتيجية الخلاص

قمة الملك خالد والعقيد معمر القذافي مثل قمة

الراجلين الكبيرين الملك فيصل والرئيس جمال عبدالناصر. وبين القمة الأولى والقمة الثانية أحد عشر عاماً، لكن هذه الأعوام - وعلى رغم ما شهدت من تغيرات - لم تُلغ البدهية التي تقوم على أساس أن وحدة الهدف هي الأساس وأنه ليس بالضرورة ألا تكون هنالك وحدة هدف إلا إذا كانت هنالك وحدة صف.

وهي قمة القدرات العسكرية والمالية وقمة القناعات القومية والإسلامية المشتركة، وقمة الطرفين اللذين لا يستطيعان تناسي مشاعر خيبة الأمل من الحاكم الذي أعطياه ما لم يحصل عليه حاكم في تاريخ العلاقات الثنائية. فالذي أعطته ليبيا للرئيس أنور السادات في بداية حكمه كان بلاحدود. وبعدما أخذ ما أخذه إتجه إلى السعودية ورصيده في ذلك أنه ضرب ليبيا وشهر بثورتها.

وعندما أعطته ليبيا أنما أعطت لأنها بالمفهوم الثوري لا تريد للثورة المصرية أن تسقط أمام الفريق العربي التقليدي. وعندما أعطته السعودية إنما أعطت لكي يواصل الإبتعاد عن الخط الثوري الذي تركه عبد الناصر بعده.

وكما أن المساندة الليبية تكتسب أحقية مطلقة في مفهوم ثورة الفاتح من سبتمبر وتطلعاتها، فإن المساندة السعودية تكتسب هي الأخرى أحقية مطلقة في إطار مفهوم المملكة وتطلعاتها ونظرتها إلى نوعية الحكم والحكومات التي يجب أن تسود في المنطقة.

لكن المؤسف أن الرئيس السادات جعل من مصر موضوعاً قابلاً للمساومة. يساوم مع ليبيا على أساس أنه لن يتخلى عن النهج الثوري ولن يضعف أمام إغراءات الفريق العربي التقليدي، ويساوم مع السعودية على أساس أن ثمن تخليه عن النهج السعودي وإستمراره في تقطيع أوصال هذا النهج يجب أن يكون باهظاً جداً. وفي عملية البيع والشراء والمساومة كان الرئيس السادات يبالغ أمام المسؤولين الليبيين في إنتقاد البلاط السعودي. وبعدما تخلى عن ليبيا أصبح في أحاديثه مع المسؤولين السعوديين يبالغ في إنتقاد العقيد القذافي ورفاقه في الحكم ويطلعهم على أشياء عرفها من القذافي والمسؤولين الليبيين في لحظة ثقة عابرة به. وهو في هذا الدور لم يكن يخدم بلده على الإطلاق، ذلك أن خدمة مصر تكون بإعتماد الأسلوب السياسي الذي يوفق بين الإبقاء على الثورة الليبية كحليفة له، وعمقاً سياسياً وعسكرياً بالغ الأهمية لمصر، وبين الإبقاء على المملكة العربية السعودية سنداً مالياً

وعسكرياً ومعنوياً له. ولقد كان من السهل عليه إعتقاد هذا الأسلوب. فإسرائيل تحتل، والجيش المصري الذي أعاد عبد الناصر بناءه يستعد لإنجاز التحرير الكامل. والسبيل الأسلم لمرحلة ما بعد عبد الناصر هو التعايش المثالي بين مصر وجميع الدول العربية، والحصول من كل دولة على الممكن والتمتير.. أي أسلوب يأسر عرفات الذي أصبح مدرسة في التعاون والتعامل.

ولقد كان من الممكن أن تتجاوز كل من السعودية وليبيا أسلوب التناور الذي إعتمده الرئيس السادات وتتقبلا على مضض هذا الأسلوب أملاً في أن يقوم صاحبه بإعادة النظر فيه مما يجعل العلاقات تسير في إطار سليم ومتوازن لو أن الرئيس السادات يقرر، في لحظة عدم وفاء، الإنسلاخ عن العرب وعقد صلح مع إسرائيل واضعاً أمام حلفائه الجدد كل دقائق الأمور العربية التي تُعتبر أسراراً ومواطن قوة. وهو إلى ذلك لا يبدو مناوراً وإنما منحازاً إلى درجة التحالف مع إسرائيل. وفي هذا الموقف بات يشكّل خطراً أساسياً على كل دولة عربية وبالذات على الدول ذات القدرات العسكرية والمالية ومنها المملكة العربية السعودية وليبيا.

وحتى قبل إنعقاد القمة السعودية - الليبية كان الموقف العربي من الرئيس السادات لا يخلو من المرونة. وهذه المرونة ليست مقررّة وإنما أوجدتها حالة الإرتباك العربي الناشئة عن المخاوف من أن تنعكس قرارات المقاطعة لنظام الرئيس السادات على الشعب المصري. ومن الواضح أن هذه المخاوف كانت لمصلحة الرئيس السادات وأنها وفرت عليه متاعب المقاطعة الشاملة التي كان سيصعب عليه مواجهة آثارها.

وليس واضحاً ما إذا كانت هذه المرونة ستستمر، أم أن العقيد القذافي إستطاع إقناع العاهل السعودي بأنه لا بد من نقلة أساسية في مسألة معاقبة نظام الرئيس السادات، تجعل دائرة العزلة تضيق حوله وتجعل المواطن المصري يقترب قليلاً من نقطة التنبيه فالصحوّة.

ويبقى أمران:

الأول يتعلق بطبيعة العلاقات السعودية - الليبية التي في حال تعزيزها يمكن أن تشكّل نموذجاً فريداً من نوعه في التعامل، فضلاً عن أنها ستحدث إنفراجاً في أوساط الثوريين العرب. وهذا يتطلب بالدرجة الأولى الإكثار من اللقاءات والإكثار من التشاور وأن يكون رجل الدبلوماسية الليبية المعتمد لدى السعودية مقرباً

ظروف وحساسية هذه المرحلة. فلقد أُهدر وقت كثير من أجل أن يحدث بعض الإنسجام في العلاقات السعودية - الليبية ولا موجب لتعريض الوضع المستجّد في العلاقات إلى أي خطأ. ومن المهم الأخذ في الاعتبار أن الجماهيرية الليبية كانت آخر دولة عربية ثورية تُسلم بالقناعات المستجدة وبضرورة التعاون المتوازن مع المملكة العربية السعودية، ومن أجل ذلك فإن إبقاء هذا الإنجاز في منأى عن أي إهتزازات أمر في غاية الأهمية. وما دام ليس للسعودية رعايا في ليبيا وبالعكس وليست كل منهما محتاجة للآخرى فمعنى ذلك أنها علاقة بين أهل القمة ومن الضروري أن يكون التشاور في إطار إرادات أهل القمة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بالأثر الذي من المؤكد بدأ يُحدثه لقاء القمة السعودي - الليبي في وجدان المواطن المصري. وإختيار بنغازي وليس طرابلس وحدها للقاء القمة هو إنذار وتبليغ في الوقت نفسه. إنذار إلى نظام الرئيس السادات بأن العالم العربي متكاتف متضامن بمن فيه السعودية والجماهيرية الليبية في وجه مخططاته. وتبليغ إلى جيش مصر وشعبها بأن العالم العربي وفي طليعته المملكة العربية السعودية والجماهيرية الليبية ينتظر عودة مصر العربية ذات الدور الوطني.

هو تبليغ يسبق على الأرجح إسقاط المرونة من الحساب وهي المرونة التي بفضلها يواصل الرئيس السادات التجريح بالعرب والتهكم عليهم.

يبقى أيضاً أن لقاء بنغازي بين الملك خالد والعقيد القذافي ليس فقط رداً قومياً على لقاء القمة المصرية - الإسرائيلية في حيفا ولكنه خطوة متقدمة على طريق وضع الإستراتيجية العربية الجديدة التي قد تكون إستراتيجية الخلاص، تماماً مثلما أن قمة الراحلين الكبيرين الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر كانت قمة بداية مرحلة الثأر من هزيمة 1967... ومن تناقضات السنوات التي سبقت تلك الهزيمة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978

في إنتظار التصدي!

الآن وبعدما نفذ الرئيس السادات مخططه، تاركاً الأمة غارقة في بحر من الذهول، نجد أنفسنا نحاول

الإجابة عن سؤالين مطروحين في الساحة العربية،
هما:

- كيف استطاع الرئيس السادات أن يفعل ذلك وحده أم أنه أقدم على ما أقدم عليه مطمئناً إلى أن هنالك جبهة عربية تحميه؟
- أين الرفض العربي وما الذي استطاع أن يفعله هذا الرفض؟

وبكثير من الهدوء يمكن الإجابة على النحو الآتي:
من الطبيعي القول إن الرئيس السادات لم يذهب إلى "كامب ديفيد" وحيداً، وإنما ذهب تحميه بعض المواقف التي اعتبرت تصرّف رئيس عربي بقضية تخص الأمة كلها "عملاً داخلياً" وأنه لا يجوز التدخل بقضايا ذات شأن داخلي. ونقصد بـ "التصرف" الزيارة التي قام بها الرئيس السادات إلى إسرائيل. ومثل هذه الزيارة لا يمكن إعتبارها إطلاقاً شأنًا داخلياً. ومن المؤكد أن حركة الرئيس السادات كانت ستبدو بطيئة بعض الشيء لو أن بعض المواقف العربية اعتبرت الزيارة شأنًا عربياً يهم الجميع وليس شأنًا داخلياً يهم مصر وحدها. ومن المؤكد أيضاً أن خطوة الرئيس السادات الأخيرة ما كانت لتتم بهذه السرعة وتلك السهولة لو أن المواقف العربية التي اعتبرت زيارة إسرائيل شأنًا داخلياً مصرياً إتخذت موقفاً آخر غير الذي إتخذته.

وعملياً إن الرئيس السادات لم يكن منزعجاً رغم مظاهر المقاطعة على مستوى القمة بالنسبة إلى موضوعي التشاور والتزاور، من هذه المواقف. وكل ما كان يتمناه هو أن يستمر الموقف الصامت صامتاً إلى ما بعد لقاء "كامب ديفيد" الذي كان على علم به من دون غيره على ما يبدو. وهو إعتبر الموقف الصامت سلاحاً شهّره في وجه الرافضين، وأي ردود فعل تظهر عنه بعدما يكون أنجز ما هو مخطط لإنجازه في "كامب ديفيد" لا تعود ذات شأن لأن ظروف الإتفاقات من نوع يصعب على الفريق العربي الصامت التصدي له نتيجة دخول الولايات المتحدة بشكل مباشر في المعادلة الجديدة.

وفي هذا الصدد، من الضروري الإشارة إلى امرين في منتهى الأهمية يؤكدان ذلك: الأمر الأول تمثّل بكلام قاله الرئيس السادات يوم 20 أيلول/سبتمبر 1978 لمجموعة من الصحافيين والمعلقين الأميركيين في أعقاب صدور إتفاقات "كامب ديفيد". وهو قاله بهدف الإحراج في الدرجة الأولى، ولكي يؤكد أن

الصامتين لا يستطيعون الإقدام على ما من شأنه عرقلة خطته.

وخلاصة كلام الرئيس السادات هو: "إن الجانب الأعظم في العالم العربي يؤيدنا. فمصر وحدها تمثّل أربعين مليون نسمة. وإذا أضفنا الرئيس نميري والسودان وسكانه عشرون مليون نسمة، وأضفنا أيضاً الملك الحسن الثاني في المغرب فمعنى ذلك إضافة عشرين مليون آخرين. وإذا أضفنا السعودية والإمارات وسلطنة عُمان والصومال وجميع الآخرين فمعنى هذا أن أكثر من تسعين بالمائة من العالم العربي يؤيدنا ومعناه أننا لسنا معزولين".

أما الأمر الثاني فتمثّل أيضاً بكلام استطرادي قاله الرئيس السادات تعليقاً على إفاد الرئيس كارتر وزير خارجيته سايروس فانس إلى السعودية والاردن وجاء فيه: "... إلا أن هذا لا يعني على الإطلاق أنني بدون موافقة السعودية والاردن سأترجع وأتردد.. وسوف أمضي قُدماً".

لقد كان مؤلماً بالنسبة للمسؤولين السعوديين أن يسمعو من الصديق الذي وقفوا معه الوقفة التي لم يفقوا مثلها من قبل منذ حرب 73 وحتى زيارة إسرائيل، مثل هذا الكلام الذي قد يتدرج إلى كلام من نوع الكلام الذي قاله الرئيس السادات بحق الجزائر وليبيا وسوريا، فقط لأن هذه الدول رفضت مجاراته في خطته، أو من نوع الكلام الذي قاله في حق الإتحاد السوفياتي على رغم ما فعله السوفيات بمصر عسكرياً. وصحيح أن السعودية ردت على ما قاله الرئيس السادات في شأن الذين يؤيدونه بأن أعلنت موقفاً قائماً على اللباقة الدبلوماسية، إلا أن هذا الرد يُعتبر تحليلاً للإتفاق وليس موقفاً منه. لكنه التحليل الذي يشكل المادة الأساسية للموقف الذي ننتظر من السعودية أن تتخذه. ومن البدهي أنه عندما تنشأ حالة من نوع الحالة التي نشأت في أعقاب إتفاقات "كامب ديفيد" لا يعود يكفي دولة مثل السعودية معارضة هذه الإتفاقات أو الإعلان عن أنها لا تعتبرها "صيغة نهائية مقبولة للسلام"، وإنما لا بد من التصدي كلاماً حاداً وممارسة الضغط الذي يحقق الصيغة النهائية المقبولة للسلام ما دامت قررت أن إتفاقات "كامب ديفيد" ليست الصيغة النهائية المقبولة. وإذا تصدت السعودية يتصدى معها كثيرون. أما إذا كانت لن تتصدى فإن كثيرين لن يتصدوا وسيتظللون بموقفها.

ولا نعتقد أن السعودية لن تتصدى. ونحن نبني

إعتقادنا على ظروف موضوعية، وهي أنه إذا كانت الآن وقبل أن يتم التوقيع النهائي بين مصر وإسرائيل في مهلة أقصاها ثلاثة أشهر لن تتصدى فإنها لن تستطيع بعد ذلك التصدي إطلاقاً. وواضح أن المسألة باتت مسألة وقت، وأن التصدي الآن ممكن لأن الجرح ساخن. لكن بعد أن يبرد الجرح تفتر الهمم ويصبح التصدي في نظر الإدارة الأميركية نوعاً من التصدي للرئيس كارتر والولايات المتحدة، ويصبح التعامل في ضوء هذه المعادلة نوعاً من المأزق الذي ليس من السهل الخروج منه.

والى أن تنتقل السعودية من موقف المعارض إلى موقف التصدي والضابط بقساوة سيبقى الرئيس السادات مطمئناً إلى أنه يحظى بتأييد عربي وهو لن يرتعش من الاعتراض وإنما من التصدي.

نأتي الآن إلى السؤال الآخر المتعلق بالرفض العربي وما الذي استطاع أن يفعله هذا الرفض. وفي هذا الصدد يمكن القول إن الرفض شحذ بعض الشيء الهمم العربية ولولاها لكان حدث نوع من التساقط.

وقد يقال إن حدة الرفض العربي ساعدت الرئيس السادات على الإندفاع الذي إختاره ونتائج تحركاته، وأنه كان منذ البداية مصمماً على السير في المخطط المتفاهم عليه سواء كان الرفض حاداً أو غير حاد.

ولكن من المؤكد أن الرفض كان سيلعب دوراً أساسياً لو أنه لم يبد منذ الخطوة الأولى في قمة طرابلس وحتى الخطوة الجديدة في قمة دمشق مروراً بالخطوة الثانية في قمة الجزائر، رفضين: الرفض الخائف من أن يقوده إدخال الإتحاد السوفياتي في أصول لعبته السياسية إلى صيغة من صيغ التحالف مع موسكو وبذلك يفقد حرية الحركة، ويترك المجال للإنعكاسات على إستقلاليته. والرفض الخائف من أن يفقد وبدا حديث العهد مع الولايات المتحدة ويقطع خطوط إتصال من الصعب ترميمها مع الادارة الأميركية.

وقد يقال أيضاً إن الرفض كان مطالباً منذ البداية بتغليب الإستراتيجية على التكتيك، وأنه لو فعل ذلك لكان استطاع أن ينجز الكثير. وهذا صحيح لو أن الرافضين كانوا متجانسين لكنهم لم يكونوا كذلك، وكان بعضهم أسير صراع بين مشاعره الوطنية ومصالحه السياسية، بل إن بعض البعض كان مشتت المشاعر. وإذا جاز القول فإن الرفض العربي كان يفتقد إلى الخطة بينما الرئيس السادات كان يتحرك وفق خطة.

وصحيح أن خطة الرئيس السادات كانت أقل تعقيداً لأنها خطة الراغب في مصالحة إسرائيل، إلا أن الرفض العربي كان مطالباً بالتحرك وفق خطة تقوم على أساس إستقطاب الصامتين أو طرُق أبوابهم في عقر دارهم بدلاً من إنتظارهم يقتنعون بمنطق الرفض. ولقد تبين أن الإنتظار كان غير مجد لأن الصامتين ما زالوا، حتى بعد إتفاقات "كامب ديفيد"، يوجسون بعض الخشية من منطق أهل الرفض.

وفي غياب هذا الحوار نشط الرئيس السادات وفعل ما يريد. ونعتقد أن اللقاء الذي تم في قاعدة المفرق الجوية الأردنية بين الملك حسين والعقيد معمر القذافي وياسر عرفات كان سيبدو مجدياً أكثر لو أنه تم قبل إتفاقات "كامب ديفيد" بوقت طويل وليس نتيجة إعلان تلك الإتفاقات. كذلك نعتقد أن حواراً بين أهل الرفض وعرب السعودية في الأشهر الماضية كان سيقود إلى وقفة مشتركة أفضل في الوقت الحاضر.

... ومع ذلك ما زالت الفرصة متاحة قبل أن يحدث التوقيع النهائي بين السادات وبيغن.

وإذا حدث التوقيع يكون قد قُضي الأمر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978

* * *

كلام إلى محمود رياض

لا ندري لماذا لا يكون للسيد محمود رياض الأمين العام للجامعة العربية رأي في الذي حدث في "كامب ديفيد"؟ ولا ندري لماذا لا يلجأ إلى ميثاق الجامعة التي يتولى أمانتها ويحدد الرأي في ضوء هذا الميثاق.

ومثل هذا الرأي كان من المنتظر أن يقوله عندما زار الرئيس السادات إسرائيل. ومع ذلك لم يقوله وراح يعمل من أجل تحقيق تضامن عربي. وبعد الذي تم في "كامب ديفيد" ما زلنا ننتظر أن يقول محمود رياض ذلك الرأي. ما زلنا ننتظر أن يقول الرأي القانوني على الأقل في هذه الإتفاقات. وفي ميثاق الجامعة العربية وقرارات مؤتمر القمة الكثير مما يمكنه الإستناد إليه.

ونحن في غاية الإطمئنان إلى أن الأمين العام لا يقول الرأي المطلوب ليس لأنه مصري، ففي مواقفه ما يؤكد صدق حسه القومي والوطني والعروبي، وإنما لا يقول الرأي لأنه لا يدري ما الذي يجب أن يقوله، ولأنه عندما يرى الوضع الإنقسامى الذي يعيشه العالم العربي

لا يعود من السهل عليه أن يحدد ذلك الرأي.

ولكن ذلك لا يشكّل الحثيثة المقبولة. ومن أجل ذلك نتمنى عليه إحتراماً منا لدوره ولمواقفه ولصدق وطنيته أن يترك للدول العربية جامعتها، وأن يوجه رسالة يوضح فيها جوهر الأسباب، إذا كان من الصعب سرد تفاصيل الأسباب الموجبة للترك.

إن محمود رياض لم يأت ليُشغل وظيفة، وإنما بدأ منذ اليوم الأول لتسلمه منصب أمانة الجامعة، يبشر بأحلام قومية، وبدأ يعمل من أجل جامعة جديدة بكل معنى الكلمة. وهو لذلك أحاط نفسه بالخبراء والمستشارين المتميزين. ولم يبق عقل عربي متميز إلا وإستعان به محمود رياض ووضعه إلى جانبه. وبدأت هذه العقول تُعد الدراسات العلمية التي تفيد. ولكن هذا الإتجاه إصطدم بواقع سياسي حاد وبحروب عربية وبتحول في الإتجاه السياسي تجاه إسرائيل.

وجاءت فترة بدت فيها الدول العربية وكأنما تريد إنهاء الجامعة العربية. فالبعض لا يحترم بنود ميثاقها. وهناك من له طموحات في إزالتها بحيث يصبح الطريق ممهداً أمام تزايد شأن الرابطة الإسلامية، وهناك آخرون إعتبروا أن الجامعة دون مستوى التفاعل الثوري المطلوب. وهؤلاء يطالبون الآن بنقل مقر الجامعة من القاهرة بعدما قرر الرئيس السادات تبادل الإعتراف مع إسرائيل.

هل في هذا الجو يمكن أن يعمل شخص نحترمه ونقدّر جهوده وصدق وطنيته ومفهومه للتعاون العربي؟ من المؤكد أن الجامعة التي ينجح في تطويرها وتعزيزها شخص مثل محمود رياض ليست هي الجامعة الحالية. وهو لكي يستمر يجب أن يكون صورة مماثلة لمن يمثّل. ولأنه ليس كذلك، ولا يمكن أن يكون كذلك، نطالبه بأن يترك الجامعة لأهلها ويحافظ على بريقه وماضيه ومواقفه التي عرفناها منه أكثر من مرة وكلها مواقف تدعو إلى الإعتراز.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 7 أكتوبر (تشرين الأول) 1978

بومدين العائد

بقدر ما كان قلقنا على الرئيس هوارى بومدين عندما توجه إلى موسكو لأسباب صحية، بالقدر نفسه شعرنا بالكثير من الإرتياح والإطمئنان بعدما عاد

الرئيس الجزائري إلى بلاده.

وقلقنا له ما يبهره. ذلك أن الأوضاع الراهنة التي تعيشها الأمة العربية محتاجة إلى ديناميكية بومدين وعناده النضالي والقومي.

ولعله من الضروري في هذه المناسبة أن نتساءل بعد هذا الضجيج الذي رافق وجود الرئيس بومدين في موسكو: أليس بومدين إنساناً من لحم ودم ويمكن أن يرقد في السرير؟ ثم، أليست له حقوق المواطن العادي، في أن يهتم بصحته إذا هو تعب ومن دون أي ضجيج وتكهات؟

لقد أرق الرجل بما فيه الكفاية. وكانت السنتان الماضيتان في حد ذاتهما وبما حفلتا به من أحداث ومحاولات حصار نوعاً من المرض. ولو تذكرنا جولات بومدين وإستقبالاته ومعاناته والتهجمات التي كانت كأنها سهام الحادة التي وُجّهت إلى شخصه من الذين لولاه لما كان شعب الجزائر وقف معهم.. إننا لو تذكرنا كل ذلك لإقتنعنا أن مرض السنتين كان يستوجب العلاج في الخارج.

أما لماذا في الإتحاد السوفياتي وليس في أي عاصمة من عواصم الغرب فلتفادي تحويل المسألة إلى مظاهرات إعلامية يتسلى بها الآخرون.

ونحن متأكدون من أنه كان في حال بقاء بومدين في الجزائر، وإستقدام من يعالجه، لكان معنى ذلك إبقاؤه في دائرة المعاناة المباشرة. ومن المؤكد أنه كان سيقطع العلاج مرة وربما مرات في اليوم الواحد لكي يتشاور أو يستقبل. فالرئيس بومدين - على حد ما نعرفه - مكابر بالنسبة إلى مسألة المرض، بمعنى أنه يرفض أن يفتنع بأن الظروف الصحية تتطلب أحياناً الخلود إلى الراحة. ولذا كثيراً ما بلغنا أنه كان يأتي إلى مكتبه في الوقت الذي يُفترض أن يكون راقداً في سريره، ويقوم بمهمات تستدعي التنقل بالطائرات في وقت تضغط الظروف الصحية إلى درجة تتطلب منه أن يسترخي بعض الشيء في منزله.

ولقد ألمنا جداً أن ينسى الذين للجزائر عليهم الكثير، كل ما فعله الرئيس بومدين لهم وللهون أنفسهم في عملية رُصد لعلاجه وصحته متمنين أن يكون في الأمر ما هو أكثر من الإرهاق الصحي. وفي الوقت نفسه يوزعون الإشاعات التي تتحدث عن وضع صحي دقيق يجتازه ذلك العنيد في نضاله وفي رفض الإنحناء أمام المرض والإرهاق.

إن عودة الرئيس بومدين معافى أمر يبعث على

الإطمئنان. فالمرحلة تحتاج إلى الكثير من جهده، وأمامه داخلياً وعربياً وخارجياً الكثير لكي ينجزه. ويبقى أنه أراد أن تكون فترة الإستراحة والعلاج مسألة تخصه وليست مادة للتسلية. ولكنهم لم يتركوا له حتى أبسط الحقوق.

يبقى أيضاً أن الضجيج الذي رافق ذهابه إلى موسكو وخلال فترة المعالجة أفاد بعض الشيء، ذلك أن أهم ما في الصورة الأخيرة له في موسكو قبل أن يستقل الطائرة إلى الجزائر هو أنه كان يبتسم. ولا ندري إذا كانت الابتسامة نتيجة الإحساس بالراحة بعد الإرهاق الكثير، أم انها ابتسامة رد الفعل لما قيل ونُشر حول أسباب الغياب الذي إستغرق 45 يوماً في موسكو. المهم انها ابتسامة. والمهم أن الرئيس بومدين يبتسم. وتكراراً إن هوارى بومدين إنسان من لحم ودم. من حقه أن يمرض، ويتعالج. ومن حقه أن يرتاح بعدما اتعبه الذين وقف معهم في ساعات الشدة، ومن أجل أن يستأنف نشاطاً مرحلة النضال الطويل.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 25 نوفمبر (ت) 1978

* * *

دولة البعث الواحد

جاء كلام الأستاذ ميشال عفلق الذي قاله في بغداد أمام أعضاء الدورة الثامنة عشرة الإعتيادية في مدرسة الإعداد الحزبي يوم الأحد 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1978 يعزز كلاماً كنا سَمعناه حول موقف مؤسس البعث من مساعي عودة الحزب موحداً بحيث لا يعود جائزاً القول: البعث السوري والبعث العراقي. وإستطراداً لا يعود جائزاً - على سبيل المثال - القول: البعث السوري في لبنان والبعث العراقي في لبنان إلى آخره... وإنما البعث فقط.

مما قاله الأستاذ عفلق في المناسبة الحزبية التي أشرنا إليها: "إن أروع ما تحقّق في الطرف الأخير كرد على التحدي الإستعماري الصهيوني هو هذا اللقاء التاريخي بين سوريا والعراق. إن لقاء سوريا والعراق ليس لقاءً بين قطرين، إنما هو لقاء الأمة العربية بذاتها. لقاء الجماهير العربية بنفسها وبروحها النضالية، بأملها في المستقبل. إننا دخلنا ودخلت الجماهير العربية في الوطن الكبير في مرحلة إسترداد الثقة بالنفس والإستبشار بالمستقبل والتصميم على مواصلة

الكفاح بشعور بالقوة لا مثيل له".

ولكي يعطي هذا المفهوم المذهبي بعده التنفيذي جاءت كلمة صدام حسين في اليوم نفسه خلال جلسة عقدها مجلس التخطيط تشكّل سندا لكلام الأستاذ عفلق. ومما قاله صدام حسين: "إن علاقتنا الجديدة مع سوريا ينبغي أن تكون وحدوية. فهي ليست علاقة حُسَن جوار لأن سوريا ليست قُطراً أجنبياً. لذلك إن المطلوب هو بناء الأرضية للعمل الوجدوي بصورة سريعة ودقيقة وليست متسعة، وبزمن ثوري وليس بزمن تقليدي".

وما سَمعناه بالتواتر حول موقف الأستاذ عفلق يتلخص في أن مؤسس البعث يعتبر أن وحدة بين سوريا والعراق تتم في المرحلة الراهنة بالذات هي إنجاز عمره. ولعله من هذا المنطلق وقف في إحدى المرات لا يؤيد أي محاولة قاسية تستهدف ضرب الدور السوري في لبنان متجاوزاً في ذلك كل الظروف السابقة متصرفاً بعقلية واعية وليس بعقلية الثأر والإنقام.

وكلام الأستاذ عفلق ثم كلام صدام حسين اللذان قِلا قبل أيام من لقاء دمشق بين الرئيسين حافظ الأسد وأحمد حسن البكر يشكّلان مدخلاً إلى بضع ملاحظات حول محاولة التوحد السوري - العراقية نسجلها على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى: إن مرحلة التباعد السورية - العراقية بين أهل البعث الواحد لم تكن متأصلة. أو على الأقل، إن العداوة لم تكن في مستوى ما عكسته الإتهامات والممارسات. ويبدو أن صحوة أهل البعث الواحد بقيت في منأى عن الإتهامات بدليل أنها عندما حدثت ظهر كم أنها ليست مصابة بسهام الإتهامات والممارسات التي أطلقت على مدى سنوات. وسيذكر تاريخياً للرئيس حافظ الأسد أنه المبادر إلى نقل العلاقات من خانة الإنهيار إلى الخانة النقيض.

الملاحظة الثانية: من الواضح أن الجانبين السوري والعراقي آثرا المباشرة بحلحلة المسائل السياسية. وهما لو لم يفعلا ذلك لما كان لقمة بغداد أن تتعقد. ومن هنا إن تصميم الجانبين على التقاهم بدا كما لو أنه الجواب على السؤال الكبير: ما دامت سوريا البعثية لا تتفاهم مع العراق البعثي، فأى نتائج يمكن توقّعها من مؤتمر القمة؟

ومعنى ذلك إنه لا بد من حدوث تقاهم سريع. لكن السرعة التي تم التقاهم بها عكست إنطباعاً بأن الجانبين متشوقان لمثل هذا التقاهم ومتأهبان له، وأن كلا منهما في إنتظار خطوة من الآخر. بل إن كلا

البعث الواحد، أي بين البعث على ضفاف بردى والبعث على ضفاف دجلة والفرات، يتم بعيداً عن التسرع.. وهذا مظهر صحي، لكن التباطؤ ربما يُفقد المحاولة عافيتها.

ويبدو أن ما يعتبره البعض تباطؤاً يراه البعثي المستتير طارق عزيز الذي سئل مرة في أعقاب إنتهاء جلسات الحوار على مستوى القمة بين بعث سوريا وبعث العراق: هل أنتم جادون في الوحدة. فأجاب بعبارة تقطع الطريق على مزيد من الأسئلة: جادون بدليل أننا لم نعلن.

وفي إطار التسرع وعدم التسرع تستوقفنا عبارة صدام حسين: "إن المطلوب بناء الأرضية الأساسية للعمل الوحدوي بصورة سريعة ودقيقة. وليست متسعة، وبزمن ثوري وليس بزمن تقليدي". كذلك يستوقفنا رأيه في أن المطلوب ليس وفاقاً بعثياً وليس علاقات حُسن جوار وإنما علاقات وحدوية.

الملاحظة الخامسة: قبل إتفاق سوريا والعراق على التفاهم كان عدم تفاهم الجانبين يشكّل الحلقة الأكثر حدة في مسلسل الإنهيار العربي. وجاء الإتفاق يضيق دائرة هذه الحلقة، ثم جاءت بعد ذلك القمة العربية في بغداد لوقف الإنهيار عند حده. ولكن ذلك لا يكفي ولا بد من بدء محاولة للصعود إلى فوق. ومن هنا إن المسؤولية السورية - العراقية كبيرة جداً. بل إننا لا نبالغ إذا افترضنا أن عدم البدء في محاولة الصعود إلى فوق معناه أن يواصل الإنهيار إلى القاع.

وإذا جاز رسم صورة أكثر وضوحاً لقلنا: إن الإنهيار إذا حدث سيجرف في طريقه تلك المبادئ التي وُضعت في الأصل من أجل نهوض حقيقي للأمة.

الملاحظة السادسة: من الضروري الأخذ في الاعتبار أن الدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، فضلاً عن إسرائيل، لا تريدان ولادة دولة البعث الكبرى. ولكل دولة أسبابها وحيثيات رفضها لمثل هذا الأمر، خصوصاً أن ولادة مثل هذه الدولة ستقلب ميزان القوى في المنطقة، وستبعث أمجاد جبهة عدم الإنحياز، فضلاً عن أن مواجهة إسرائيل سلماً أو حرباً لإسرائيل ستسلك مسلك الحسم. فالعراق أصبح غنياً أو بالأحرى تجاوز مخاوف الفقر وتلك نقطة تعطيه المزيد من الإستقلالية. وجيش العراق لم يُستنفد بعد. وبالنسبة إلى سوريا، فإنها صمدت في وجه كل محاولات إسقاطها وإدخالها إلى الفخ، وحافظت على إستقلالية في تحركها، فضلاً عن أن جيشها على رغم

منهما تواق إلى أن يكون البادئ بالخطوة. ولو أن التفاهم كان فقط من أجل أن تتعقد القمة ويظهر البعث ولو تهيئاً أمام الآخرين بأنه يطالب بوحدة الصف العربي وهو ليس منقسماً، وبالصمود وهو ليس منهكاً من كثرة ما أرهق نفسه وأرهق الآخرين معه بالملاسنات... لو أن التفاهم كان مجرد مظهر لما كان له أن يتم.

وفي الأحاديث والمصارحات التي سبقت لقاء البعث بقطيبه في بغداد قبل القمة العربية في الأحاديث التي تلت ذلك ما يؤكد أن البحث وفي التوحد جاء نتيجة قناعات بالدرجة الأولى. ومع أن مرحلة ما قبل القناعات لم تكن مبررة ما فيه الكفاية، إلا أن المهم أن البحث في التوحد لم يُعتبر صفحة منزوعة من كتاب البعث وإنما صفحة تحت بعض أسطرها الكثير من الخطوط والكثير الكثير من علامات الإستفهام والتعجب.

الملاحظة الثالثة: نحن نفهم لماذا أثر الجانبان البحث في المسائل السياسية قبل الخوض في المسائل الحزبية. فالمسألة السياسية بين أهل البعث الواحد ليست بالتعقيد الذي هي عليه المسائل الحزبية. لكننا في الوقت نفسه نرى في قول الأستاذ ميشال عفلق "إن اللقاء التاريخي بين سوريا والعراق ليس لقاءً بين قُطرين إنما هو لقاء الأمة العربية بذاتها" كما لو أنه فتوى من كبير الحزب وأستاذه وفيلسوفه. بل إنه أكثر من فتوى. إنها توصية، أو وصية. فالفتوى تجيز أو تحرم، أما كلام الأستاذ عفلق فيبدو كما لو أنه وصية نذكرنا بوصية ذلك الأب الذي جمع أولاده وطلب من كل واحد منهم أن يأتي بعود من القصب ومارس أمامهم الإختبار الذي أفادهم: لوى العود الواحد فإنكسر، لكنه عندما جمع العيدان كلها إستعصى على أي منهم كسرهما.

ولعل قناعات الأستاذ عفلق التي يعبر عنها بالكلام الذي قرأناه وبالكلام الذي سمعناه بالتواتر، تنطلق من هلع إستبد به في الأشهر الأخيرة عندما إرتسمت أمامه وبشكل مجسّم صورة واقع البعث، وكيف أن النضال من أجل مد رقعة تحوّل إلى عملية تدمير من جانب أهله بأنفسهم.

وفي رأينا إن القناعات تنطلق أيضاً من خوف حقيقي يصل إلى درجة الهاجس من أن ينقضي العمر ولا يشهد من أسس البعث، التوحد، وبذلك يفقد البعث مع مرور الزمن منطقته.

الملاحظة الرابعة: صحيح أن الحوار بين أهل

محاولة إنهاك بعض عناصره في الجبهة اللبنانية، ما زال الجيش الذي يُعد لدور أكبر.

ومن هنا إن سوريا والعراق على درجة عالية من التنبه، كي لا تحدث وحدة ينهيهما في لحظات - كما حصل عام 1958 - ضابط هجانة ومجموعة ضباط تحركوا إستناداً إلى وهم، أو دفعوا ليضربوا المحاولة الوحيدة المتقدمة بين مصر وسوريا.

وفي هذا الإطار لا بد من كلمة: إن القوى العظمى ليست تلك الاسطورة أو تلك القوة التي لا يمكن قهرها. ولعلنا نتذكر كيف إستطاع جنود وأفراد رباهم "هوشي منه" و"جياب" أن يهزوا الدولة الأعظم أميركا. إن هنالك عوامل داخلية والكثير من الأمانى التي لا قدرة للدول العظمى على مواجهتها. والوحدة هي أعظم الأمانى العربية، كانت وما زالت، ليست لسوريا والعراق وحدهما، وإنما في كل بقعة عربية من المحيط إلى الخليج. وسيتبين ذلك إذا سمعنا البيان الذي يعلن قيام دولة الوحدة بين سوريا والعراق. إن سماعنا هذا البيان سيعني أن عقدة الإنفصال لن تعود ذلك الكابوس في النفوس العربية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 9 ديسمبر (كانون الأول) 1978

* * *

المنهج والأسلوب

ستتقن القضية العربية كثيراً هوارى بومدين. فلقد أعطاها فوق القدرة على العطاء، وتحمل من أجلها ما لا طاقة لأحد على تحمله.

وليس من الضروري تعداد ما أعطاه بومدين للقضية العربية، لكن المعلن من العطاء هو دون ما لم ولن يعلن. المهم انه كان يعطي في الوقت المناسب، بل وفي اللحظة الحرجة التي يشكل العطاء فيها إنقاذاً لموقف أو وفقاً لتدهور.

كذلك ليس من الضروري أيضاً تعداد ما تحمله بومدين. المهم أن هذا المناضل النموذجي في شجاعته تحمل في كبرياء وبذلك حافظ على مسلكية كم يبدو العالم العربي في أشد الحاجة إليها.

ولقد اعطى بومدين بإسم الجزائر، وتحمل بالنيابة عن الجزائر ما تحمله... الجزائر الدور والمنهج والمصير والعروبة.

وهذه الجزائر.. جزائر هوارى بومدين هي المعول

عليها الكثير من أجل أن تتقي القضية العربية المزيد من التعثر. الجزائر التي صمدت إلى النهاية قومياً وفلسطينياً. والجزائر التي لم تجعل توازنها وإعتدالها الثوري يدخلان في صحارى التيه. والجزائر التي إختارت أن تبقى ثورتها لها فلا يتم تصديرها للآخرين.. أي تبقى الثورة التي يُحتذى بها.

ومن الطبيعي أن يكون المسؤولون الجزائريون بعقلية العامل من أجل إستمرار خط، ليس بعقلية الوارث أو المتربص، يخططون الآن لإعتماد أسلوب متميز في إدارة البلاد. من الطبيعي مثلاً أن يحدث تعديل في الدستور يقود إلى صيغة حُكم يكون فيها هنالك رئيس دستوري ورئيس وزراء قوي مسؤول أمام البرلمان. من الطبيعي أن يحدث ذلك، وقد يحدث، وهو أمر يخص الجزائريين، إنما يهنا أمر أساسي وهو أن يبقى تعاطي جزائر ما بعد بومدين مع القضية العربية مثل تعاطي جزائر بومدين. التعاطي الذي لا يُقلق أحداً من دون أن تتنازل الجزائر عن قضايا لبعضها قدسية المبادئ.

إن التأثير العربي والدولي والأفريقي لوفاء بومدين كان شاملاً. وهو في أي حال ليس ذلك التأثير الذي سببه ظروف المرض، ولا العلاقة الشخصية، ولا الإحترام والتهيب للذات كان يحظى بهما، وإنما هو تأثير على منهج في التعامل مع الآخرين. ولعل في إستمرار هذا المنهج ما من شأنه أن يخفف من وطأة التأثير. وهذا ما نتمنى أن يحدث ويحققه الذي، أو الذين، سيحكمون الجزائر بعد بومدين.. أي يكون هنالك إفتقاد لهوارى بومدين النهج والأسلوب.

وتبقى كلمة، لقد عرفنا وعرف العالم كله الجزائر على أنها بلد المليون شهيد. وكان الإنبهار بها كبيراً. وبعد الذي فعله بومدين خلال فترة حُكمه، ليس مبالغة تعريف الجزائر بأنها بلد المليون شهيد.. وهوارى بومدين.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 يناير (كانون الثاني) 1979

* * *

لماذا لا يجرب السادات

لم يحدث من قبل أن بدأ رئيس وزراء جديد في مصر نشاطه بمسائل خارجية كما يحدث مع الدكتور مصطفى خليل. فهو منذ أن أسند إليه منصب رئيس

الوزراء يهتم بـ "الجبهة الداخلية".

وليس السبب، كما يبدو للوهلة الأولى، هو أنه ليس هناك وزير خارجية أصيل وأنه في إنتظار تعيين وزير خارجية، يتولى رئيس الوزراء شخصياً إهتمامات "الجبهة الخارجية". إن ذلك من الأسباب الوجيهة والرئيسية لكنه ليس السبب الأساسي. أما السبب الأساسي والموجب لمثل هذا الإهتمام الذي يبدو خروجاً على المألوف فهو إقتناع الدكتور مصطفى خليل بحساسية المعادلة الجديدة للحكم في مصر، والقائمة على أنه من أجل أن تكون هنالك أوضاع داخلية مستقرة لا بد من وضع خارجي مُقنع يحمي هذه الأوضاع. وفي السابق كانت المعادلة تقوم على أساس أنه من أجل الحصول على وضع خارجي أفضل لا بد من وضع داخلي مشجع ومستقر.

لقد تسلّم الدكتور مصطفى خليل منصب رئاسة الحكومة في ظروف بالغة التعقيد. والوضع الداخلي جيد نسبياً وهناك تماسك سببه التحرك الخارجي الذي قام به الرئيس السادات. وبعدما حدثت ثغرات في هذا التحرك بات من الطبيعي التخوف على تماسك الجبهة الداخلية، ثم زاد التخوف بعدما تزايد حجم المأزق نتيجة عناد إسرائيل وممارسة الولايات المتحدة ضغطها على مصر فقط ونمو قناعات لدى الرئيس السادات بأن الحل الذي يرضي غير وارد لأن الولايات المتحدة لا تمارس ما ظن أنها ستمارسه نتيجة تجاوباته المتزايدة. ومن أجل ذلك وجد الدكتور مصطفى خليل أنه إذا لم يتحسن الوضع الخارجي بعض الشيء فإن كل خطئه على صعيد الجبهة الداخلية ستتأثر شيئاً فشيئاً. وهو من أجل ذلك تحرّك ليكمل ما كان الرئيس السادات بدأه. وعلى رغم أن تحرّكه لم يحقق بعد نتائج ملموسة إلا أن المواطنين ما زالوا مستعدين للإنتظار على ما يبدو. والدليل على ذلك قرارات زيادة أسعار بعض السلع. فقد رفضت الحكومة الأسعار ولم تحدث أية ردود فعل شعبية. وعدم حدوث ردود الفعل التي إفتترض البعض أنها ستكون شبيهة بردود الفعل التي تمثلت في الأحداث المعروفة بـ "18 و19 يناير" يعود إلى معالجة لبقّة لنشر القرارات من جهة، وإلى الإستعداد من جانب الناس للمسايرة على أساس أن ما سيأتي به النظام من مكاسب التسوية سيعوضهم الكثير، وسيعوضهم في الدرجة الأولى المساعدات العربية التي حُجب بعضها والتي ستُحجب نهائياً في حال إقدام الرئيس السادات على قرارات نهائية. ويقودنا هذا كله إلى القول إنه من

المؤسف جداً أن تكون هنالك قناعة واحدة متوافرة بالنسبة إلى النظام المصري وتقوم على أساس أن الولايات المتحدة ستحقق لهذا النظام التسوية التي يستطيع أن يرد بها على الآخرين بالقول إنها التسوية الشاملة.

إن الرئيس السادات ما زال على ما يقول به وهو أنه لن يعقد صلحاً منفرداً مع إسرائيل، علماً بأن هنالك من يرى أن هذا الصلح تم بمجرد أن زار الرئيس السادات إسرائيل وبمجرد أن رد له مناحيم بيغن الزيارة في الإسماعيلية. وما دام الرئيس كارتر في أشد الحاجة إلى إنجاز التوقيع على أساس أن ذلك سيشكّل بالنسبة إليه ورقة سياسية يخوض بها معركة التجديد ومن دونها قد يستحيل التجديد أو تكون الولاية الثانية له بعيدة جداً... ما دام الأمر كذلك فإن بإستطاعة الرئيس السادات أن يستمر على موقفه الحالي أي عدم توقيع الصلح بالشكل الذي تريده إسرائيل ويحظى برضى الولايات المتحدة على أن يفتح أبواباً سبق له أن أوصدها وأهمها الباب السوفياتي والباب العربي. ونعتقد أن ذلك بات ضرورياً في ضوء التطورات التي لم يكن هو شخصياً سعيداً بحدوثها في إيران. ونعتقد أنه في مثل هذه الخطوة التي يمكن أن يخطوها كمناور على الأقل قادر أن يُقلق بعض الشيء الرئيس كارتر وسيُخفّضه على أن يخفف الضغط قليلاً على مصر ويزيده كثيراً على إسرائيل.

وليس هنالك ما يقلق الرئيس كارتر في هذه المرحلة بالذات أكثر من هذه الخطوة التي تفيد أيضاً في أنها ستكون الإختبار النهائي لقدرة الرئيس كارتر على إغضاب إسرائيل.

إن مخاوف إنسحاب مصر من الهيمنة الأميركية أصبح يشكّل ورقة في يد الحاكم الأميركي تساوي إلى حد ورقة الأصوات اليهودية. ولا ندري لماذا لا يمارس الرئيس السادات هذه الورقة. ولماذا لا يجرب مع رئيس وزرائه الدكتور مصطفى خليل فيوفده في جولة عربية وفي زيارة إلى موسكو. إن مثل هذا الأمر لن يحل مسائل يشعر الدكتور مصطفى خليل أن مصر في حاجة إليها، وإنما من شأنه حل إشكالات يبدو أن حلها سيقود إلى وضع بالغ الخطورة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 يناير (كانون الثاني) 1979

الصحة المسيحية والصحة الإسلامية

عندما نقرأ أو نسمع أن الأولويات في مبادئ حركة الغضب الإيرانية هي مقاطعة إسرائيل ووقف مدنها بالنفط وإعتبارها عدوة للمسلمين، ونقرأ ونسمع كيف أن العكس يحدث في الدولة العربية الأولى مصر، نجد أنفسنا نستغرب هذه المفارقة، ونجد أنفسنا نتساءل: أي موقف عظيم كان يمكن أن تخوض الأمة به حربها ضد إسرائيل لو أن مصر ما زالت على مبادئها الفلسطينية.

وفي الوقت نفسه نجد أنفسنا نتساءل: ما هذه المفارقة العجيبة: عندما كانت مصر الفلسطينية محتاجة إلى موقف إيراني جيد كان نظام الشاه يوغل في التعامل مع إسرائيل. وعندما ارتفعت مبادئ الثورة في إيران وأصبحت الأمبراطورية فلسطينية التوجه إبتعدت مصر كثيراً جداً، بل إنها إنقلبت فلسطينياً.

لقد جاهد العرب قرابة عشرين سنة من أجل أن تكون هنالك مشاعر فلسطينية في الدول الإسلامية وخصوصاً في إيران وتركيا، ولكن الجهاد تعثر. واستمر تعامل نظام الشاه مع إسرائيل وتعامل تركيا مع إسرائيل ثغرة من الثغرات الكثيرة في الموقف العربي - الإسلامي، وكرس إنباعاً غدتته إسرائيل بأن فلسطين لا تهم المسلمين.

وهذا الموقف من جانب الثائرين في إيران قد يكون صحو متأخرة أو قد يكون تكفيراً عن جريمة التعامل الطويلة بين شاه إيران وإسرائيل، إلا أنه موقف في غاية الأهمية. بل لعل هذا الموقف دون غيره من المواقف العربية هو الذي يعيد الثقة أو بعضها إلى النفوس العربية.

وليس بالضرورة أن نشغل أنفسنا الآن بالتساؤل: لماذا هذه الصحة الفلسطينية في إيران الآن وماذا وراء هذه الصحة؟

إن مثل هذا التساؤل سيقود إلى المزيد من التنظير الذي هو مضية للوقت. فنحن كنا نتمنى تبديلاً طفيفاً في موقف شاه إيران لم نحصل عليه. وما دما الآن أمام تيار شعبي فلسطيني يسود إيران فمن الضروري استثمار هذا الموقف الجديد.

وفي البداية كان هنالك الكثير من التحفظ تجاه حركة الغضب الإيرانية. ولعل المتحفظين إفترضوا أن عرش الشاه ثابت كالجبل لا يتزعزع وأن حركة الخميني ظاهرة لن تلبث أن تذوب. ونتيجة لهذا إفتراض سجل

البعض مواقف غير واضحة. أما الآن فنعتقد أن الموقف الوحيد الذي لا بد من تسجيله هو الموقف الواضح. فالعرش الذي ظن البعض أنه ثابت وأن الولايات المتحدة لا تسمح بزحزحته ولا حتى بهزه، إضطرب. وقد تبين أن أصوات المظلومين أقوى بكثير من فعاليات الطائرات حتى لو كانت من نوع "فانتوم". وبقدّر ما تكون هنالك وقفة عربية مع حركة الغضب الإيرانية... بالقدّر نفسه يمكن تفادي حالة الأسف التي تزداد نمواً في صدور قادة هذه الحركة. وعدم محاصرة هذه الحالة معناه الدخول مستقبلاً في متاهات الخلاف والعتاب.

وإلى ذلك إن وقفة عربية مع هذه الحركة تعني تشجيع جميع المسلمين في العالم على أن يقفوا فلسطينياً الوقفة نفسها التي وقفها الغاضبون في إيران. ومثل هذه الوقفة ستحقق أمراً أساسياً وهو تقوية أداة الضغط على الولايات المتحدة بإعتبار أن معظم المسلمين خارج الإتحاد السوفياتي والصين هم حلفاء، في شكل أو آخر، الولايات المتحدة. ومن المؤكد أن الولايات المتحدة لا تريد أن تفقدهم مجموعة بعد الأخرى.

وصحيح أن حركة الغضب الإيرانية أفادت في أنها جعلت بعض العرب يتهيبون فلا ينساقون في لعبة السلام الأميركية ويترثثون بعض الشيء، إلا أنه لا بد من مراجعة المواقف العربية حيالها لسببين:

الأول- إن هذه الحركة التي يقودها الإمام آية الله الخميني تكتسب يوماً بعد آخر ملامح حركة عدم إنحياز جديدة تقوم على أساس ديني. وقد تصبح هذه الحركة بعد إكمال نمو الملامح هي الشكل الجديد لعدم الإنحياز. وهي القاعدة بالثورة على الظلم. ونلاحظ أن الإمام الخميني تحرك ضمن دائرة الظلم والمظلوم والظالم من دون أن يشغل نفسه في إرتباطات الشرق والغرب. لم يركز على العلاقة الإيرانية - الأميركية إلا بما هو معقول وصارخ، ولا على نوعية العلاقة الإيرانية - السوفياتية. وهو في موقفه هذا كمن يريد أن يقول بالصوت العالي: إننا نعادي من يعادينا ونسال من يسالنا.

الثاني- إن حركة الغضب الإيرانية صحو إسلامية بكل ما في الكلمة من معنى. وواضح أن سبب حدوثها ناتج عن كثرة إحتمال الضيق والمعاناة.. وكون هذه الصحة تأخرت لا يهم، فالمهم أنها حدثت. ولو أن حركة الغضب لم تتجاوز أفقها الداخلي لتصل إلى

مشارف حدود القضية الفلسطينية ثم تقتحم هذه الحدود وترفع شعارات فلسطينية تبدو قياساً لبعض المواقف العربية، متطرفة نسبياً، لما كانت تعنينا في شيء. لكن هذه الوقفة من جانب الحركة إزاء فلسطين والقضية الفلسطينية وهذا التحديد القاطع لموقفها من إسرائيل، يبشران بأفاق جديدة.

ولنسلم جدلاً أن الحافز الحقيقي وراء هذا الموقف هو القدس وليس أي مدينة فلسطينية أخرى. ولكن، فالذي إحتل القدس ويغير في معالمها هو العدو نفسه الذي يحتل يافا وحيفا وصفد ونابلس وغزة وغيرها... قد تكون القدس هي السبب. وهذه في نظرنا نقطة تخدم الجانب السياسي في معركتنا مع إسرائيل. ومن يدري فقد تكون هذه الصوحة الإسلامية الآتية من إيران بداية صوحة مسيحية في معظم دول الغرب من أجل القدس أيضاً المستباحة من إسرائيل. وقد تكون المدخل إلى دعوة تُتَبَّه من لم ينتبه إلى الأثر الذي يحدثه الظلم في نفس المظلوم.

والذي لا شك فيه أن صوحة مسيحية مماثلة للصوحة الإسلامية الراهنة في إيران من شأنها أن تجعل إسرائيل ترضخ أو تتلاشى.

ومن أجل أن تقوم الصوحة المسيحية لا بد للصوحة الإسلامية من أن تصل إلى نهاية الطريق. ولكي تصل إلى نهاية الطريق لا بد من وقفة إسلامية إلى جانبها. وهكذا، ما أخذ بالقوة يُسترد بالقوة... أو بالصوحة. صوحة من النوع الذي حدث في إيران ولا يزال. وصوحة مسيحية لا نعرف أين ستبدأ ولكنها من المؤكد ستحدث. مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 يناير (كانون الثاني) 1979

* * *

الرغبة السوفياتية المرفوضة

يأتي تصريح وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل يوم الإثنين الماضي الذي ينفي فيه وجود أي إتصالات أو مباحثات لإقامة علاقات بين المملكة وكل من الإتحاد السوفياتي والصين الشعبية في وقت كثر فيه الكلام حول هذه المسألة.

وفي ضوء هذا التصريح يمكن تسجيل بعض الملاحظات وتسجيل بعض المعلومات. والملاحظات - المعلومات هي:

- الملاحظة الأولى: عندما يقول الوزير السعودي

إنه ليس هنالك إتصالات ومباحثات لإقامة علاقات بين المملكة وكل من موسكو وبكين فإنه يعني أن بلاده لم تُجَر من جانبها هذه الإتصالات أو المباحثات. لكن ذلك لا يعني أن الحديث في هذا الشأن ليس مطروحاً من جانب السوفيات على الأقل وليس وارداً كتمنيات من جانب الصينيين.

وفي حدود ما نملك من معلومات يمكن القول إن الإتحاد السوفياتي يحاول في شكل أو آخر إقامة علاقات مع السعودية. ومنذ أن بدأت مرحلة الوفاق الأمريكي - السوفياتي إفتراض السوفيات أن المسألة باتت ممكنة وأنه يمكن المملكة العربية السعودية في ضوء هذا الوفاق الدولي أن توافق على إقامة علاقات معهم. لكن ذلك لم يحدث. وفي أعقاب إخراج السوفيات من مصر إفتراض الإتحاد السوفياتي أنه بات من الممكن - على رغم إقتناعه بأن الإرادة السعودية كانت في صلب القرار الذي إتخذه الرئيس أنور السادات - التفاهم على صيغة من صيغ العلاقة بينه وبين المملكة العربية السعودية، لكن ذلك لم يحدث.

بعد ذلك بدأ السوفيات تنفيذ خطط جديدة يستهدفون من ورائها إقناع المملكة العربية السعودية بضرورة إقامة علاقات معهم. ولعل محاولة جذب الأردن إلى جانبهم كانت جزءاً من هذه الخطط. ثم حدثت الخطوة المتقدمة في هذه الخطط والتي تمثلت بتشجيع قيام نظام ماركسي في عدن فضلاً عن تكثيف الحملة الإعلامية على السعودية. ولكن السعوديين ردوا على ذلك برفض قاطع لهذا النظام المجاور. وكانت لهم أغلبية في إستصدار قرارات من الدول العربية تستهدف الضغط على هذا النظام. وكون هذه القرارات لا تتخذ ليس معناه أن السعودية تخلت عنها.

إزاء ذلك بدأ السوفيات يبحثون عن أسلوب جديد يمكن من خلال إعتماده إقناع السعودية بإقامة علاقات معهم. وفي الزيارة الأخيرة التي قام بها صدام حسين إلى موسكو طلب السوفيات منه أن يسعى لدى المملكة العربية السعودية لإقامة علاقات معهم.

- الملاحظة الثانية: هل وعد صدام حسين بالسعي، وهل فاتح المسؤولين السعوديين بالأمر؟ لا ندري. إنما لا بد من الإشارة إلى أمرين يشكّلان حيثيات الطلب من صدام حسين:

الأمر الأول هو أن نجاح صدام حسين في الدور المعتدل الذي مارسه قبل قمة بغداد وخلال إنعقاد هذه القمة، وهو إعتدال وجدت المملكة العربية السعودية

وحول الحدث والحادث لنا ملاحظات نسجلها على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى: من الضروري الإشارة إلى الأسلوب الذي عامل به الإعلام المصري أحداث إيران خلال سنة لأن مثل هذه الإشارة تفسر أشياء كثيرة. لم يلتزم الإعلام المصري ضحفاً إذاعات ومجلات الحياض المفترض الإلتزام به في مثل هذه الحالات، وسجل إنحيازاً واضحاً للشاه ضد الثائرين عليه، وفي استمرار كان التعتيم حول ما يحدث في إيران هو السائد في أجهزة الإعلام المصرية، في حين أن أحداث إيران وظاهرة الثورة التي يقودها الامام آية الله الخميني من المنفى كانت الشغل الشاغل للإعلام العالمي. وفي بعض المراحل عرض الرئيس السادات إرسال بعض رجال الكوماندوس المصريين إلى إيران. وأحيط العرض بسرية كاملة. ويبدو أن الرئيس السادات لم يكن في ذلك الوقت مستوعباً تماماً طبيعة الإنتفاضة التي تعيشها إيران. ولم يكتب للعرض أن يتحقق لأسباب مصرية في الدرجة الأولى ولقناعات لدى الشاه بأن المسألة ليست بهذه البساطة التي يمكن لبعض المقاتلين حسمها.

الملاحظة الثانية: إضافة إلى الأسلوب الإعلامي المشار إليه، سجل الرئيس السادات، عبر الأهر، موقفاً ضد حركة الخميني، وكان هذا الموقف هو الوحيد الذي سجلته دولة إسلامية. وعلى رغم أن الأهر لا يرفض قرارات الحاكم أو رغباته أو أوامره - وهذه صفة معروفة عنه - إلا أن الموقف لم يخدم في شيء، فضلاً عن أنه أدخل الأهر في مسألة متشابكة ومعقدة لا مصلحة له على الإطلاق في دخولها، ولم تأت زيارة الشاه إلى أسوان عفوية وإنما في ضوء إتصالات بينه وبين السادات سبقت إتخاذه (أي الشاه) القرار بالرحيل، وعندما إتخذ الشاه القرار غادر الرئيس السادات القاهرة إلى اسوان التي كانت بدأت تشهد إجراءات أمنية لا مثيل لها. وقبل أربعة أيام من وصول الشاه كانت مجلة "أكتوبر" تنشر النبأ الآتي: "من المتوقع أن تتوقف شخصية هامة في اسوان للقاء الرئيس السادات. وليس معروفاً الآن أين تذهب الشخصية بعد ذلك".

الملاحظة الثالثة: حول الإعلام المصري زيارة الشاه للرئيس السادات إلى حدث إعلامي بارز مظهر أن المهم في الأمر هو وصوله إلى اسوان وليس إستسلامه بل سقوطه في بلده إذا جاز التعبير، وقد كتبت الصحف، وبحماسة عن هذه الزيارة كما لو أنها تتم للمرة الأولى، وكان واضحاً تركيزها على الإستقبال

نفسها توافق على كل القرارات التي صدرت تحت مظلتها، حمل السوفييات على أن يطلبوا من صديقهم مفاتحة المملكة بالأسلوب والمنطق اللذين إعتدما في مخاطبة قادتها قبل القمة وخلالها وبعدها.

أما الأمر الثاني فهو أن الإتحاد السوفياتي إفترض أن خروج السعودية على تمنيات الرئيس كارتر بأن توافق على إتفاقات "كامب ديفيد"، وتصديها لهذه الإتفاقات، ثم موقفها بعد ذلك المتمثل في إعتداد مواجهة الخطوة خطوة ضد الرئيس السادات... هذه المظاهر جعلت الإتحاد السوفياتي يفترض أن الحديث مع المملكة العربية السعودية في شأن إقامة علاقات معه يمكن أن يكون مجدياً.

- **الملاحظة الثالثة:** جاءت أحداث إيران بعد ذلك لتشكّل في نظر البعض حيثية من الحيثيات. وبعد التصعيد الخطير في هذه الأحداث إنطلقت النغمة التي يعود تاريخها إلى ربع قرن. ثم جاء نفي وزير الخارجية السعودية يضع حداً لها.

- **الملاحظة الرابعة:** قد يجوز التساؤل: لماذا هذا الإلحاح من جانب الإتحاد السوفياتي لإقامة علاقة مع السعودية؟

لعل الجواب هو أن المسألة معنوية في الدرجة الأولى، فضلاً عن أن الإتحاد السوفياتي كدولة كبرى لا يتحمل مقاطعة دولة صغرى له. ثم إن الدولة الصغرى مؤثرة في سياسات عربية وخليجية كثيرة.

ومن المؤكد أن هنالك في الإتحاد السوفياتي من يرى أن رفض دولة صغرى إقامة علاقات مع الدولة الكبرى يشكّل نوعاً من الخلل المعنوي، خصوصاً أن المواطن العادي يتساءل: لماذا للولايات المتحدة علاقات مع الجميع ولا ترفض دولة من الدول إقامة علاقات معها أما نحن فهنالك من يرفض إقامة العلاقات معنا؟

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 يناير (كانون الثاني) 1979

* * *

الحدث الكبير والحادث المستغرب

مثلما أن خروج الشاه من إيران هو بمثابة حدث كبير، فإن إنفراد الرئيس أنور السادات في إستقباله وبالشكل الرسمي الذي تم فيه الإستقبال هو بمثابة حادث مستغرب.

قدمه الشاه، علماً بأنه لو قدم ما وعد به لما كانت الأوضاع الإقتصادية على ما هي عليه في مصر. ونحن نستند إلى مواقف ومواقع لا نراها كذلك. وعلى سبيل المثال أن الرئيس الجزائري "الراحل" هواري بومدين قدم للرئيس السادات خدمة من الصعب تقدير أهميتها خصوصاً أنها جاءت في ظروف بالغة القساوة خلال حرب 1973، لكن الرئيس السادات بمجرد أن خالفه بومدين في توجهاته فتح النار بالكلام القاسي عليه ولم يوقف هذا الكلام حتى عندما دخل بومدين رحلة الموت البطيء، في حين أنها كانت مناسبة لكي يمارس الوفاء الذي تشير إليه أجهزة الإعلام المصرية. والعقيد معمر القذافي لقي من الرئيس السادات ما هو أقطع لأنه يخالفه في توجهاته، فقد شن الرئيس السادات حرباً عليه. وحكام السعودية والخليج قدموا الكثير للرئيس السادات، لكن بمجرد أن إستقطع هؤلاء خطه السياسي وتعامله مع إسرائيل بدأ يقول عنهم كلاماً من نوع لم يتوقعوا سماعه منه وبدأ الإعلام المصري يتهم السعودية بأنها ملحدة. وحكام الخليج بأنهم حديثو النعمة .

وحتى في معرض الترحيب بزيارة الشاه إلى مصر، تناول أنيس منصور الذي يكتب من حين لآخر كما لو أنه ناقل أخبار الرئيس السادات، في مقال له في الأهرام "حكام الخليج" بقوله: "...فلو كانت للشاه عيوب فليس وحده في الخليج العربي أو في الخليج الفارسي".

الملاحظة الرابعة: "إن هنالك كثيرين، بل وكثيرين جداً في مصر غير حزب التجمع الذي هاجم الزيارة وأعلن وقوفه مع الشعب الإيراني، لم يتساءل بينه وبين نفسه، لماذا يجب أن يكون الشاه غير المقبول في بلده مقبولاً في بلدنا؟ ولماذا يجب أن نخسر دولة وشعباً من أجل شخص؟ وطبعاً لا جواب عن التساؤلات سوى إنه إستثناء يحدث ولا رأي لأحد فيه.

ويجيء شاه إيران إلى مصر من دون غيرها يفرض البحث عن القواسم المشتركة بين نظام الشاه ونظام الرئيس السادات.

هل هناك قواسم؟ وما هي؟

ما هل هنالك قواسم، فهذه مسألة باتت واضحة بعض الشيء، ويمكن تسجيلها على النحو الآتي :

- في نظام الشاه لإيران نمو مضطرد للرشوة وفي نظام الرئيس السادات يزداد نمو هذه الظاهرة.

- الفساد الذي إستشرى في إيران تحت ظل حكم

الشعبي وكيف أن الرئيس السادات ركب مع صديقه سيارة مكشوفة، علماً بأن هذا الأمر كان لو تم في القاهرة أو في الإسكندرية وليس في مدينة مثل اسوان. وكنموذج على هذه الكتابات نسجل فقرة مما كتبه موسى صبري في "الأخبار" التي كانت أكثر إنفعالاً في إبراز النبأ، وهذه الفقرة هي: "كان مشهداً مثيراً من مشاهد التاريخ، نزول شاه إيران على الاراضي المصرية وإستقبال السادات له في مطار اسوان...". وفي واقع الأمر إن إستبدال كلمة "مثيراً" بكلمة "مستغرباً" هو أفضل ما يعكس حدوث الإستقبال.

ولا نعتقد أن الشاه كان سيستقبل بالسجادة الحمراء وبالموسيقى وطلقات المدفع لو أنه إختار التوجه إلى مكان آخر غير مصر، ولا نعتقد أنه خارج هذا المكان كان سيتوجه إلى المطار وينقل معه إلى هناك الدولة، خصوصاً أن الزيارة ليست رسمية وتخضع لطقوس البروتوكول ثم، وهذا أهم ما في الأمر، فإن السادات دمر كل الجسور مع الذين سيحكمون إيران بمد الشاه، أما إذا كان الرئيس السادات يراهن - وهو شديد بمسألة الرهان - على أن الشاه عائد إستناداً إلى تجربة العودة الأولى في 22 أبريل/ نيسان 1953. وفي مثل هذه الحال يصبح الإثنان أقوى قوة ضاربة في المنطقة ويحصل الرئيس السادات من الشاه على ما لا يحصل عليه من الآخرين. لكن إذا لم تأت نتيجة الرهان كما يتصور السادات فبأي أسلوب سيقم علاقات مع إيران الخمينية؟ وكيف سيبرر للحكام الجدد إنحيازه الشاهاني؟ وقد لا تكون المسألة خاضعة لأي رهان. كذلك قد

لا يكون الرئيس السادات يتوقع ظهور جاذب جديد يعيد الشاه إلى العرش على أساس أن الظروف قد تغيرت، وقد لا تكون المسألة عملية وفاء من جانب الرئيس السادات للشاه الذي وظف بعض الملايين لمصر - الإنفتاح. قد لا تكون المسألة كذلك إطلاقاً وإنما مسألة تحديات من جانب الرئيس السادات - الشغوف - وتلك ظاهرة باتت معروفة في سيكولوجيته - بالتحدي. قد يكون في لحظة تأمل إلى ما آل إليه مصير الشاه فافتراض أن البعض سيشمت ولو ضمناً، فقرر أن يتقدم من دون أن يحسب بهدوء مردود التحدي، وقد يكون أيضاً يتحدى ألاف المصريين الذين يتعاطفون ضمناً مع الخميني على رغم إرادة النظام وعلى رغم الموقف السلبي من جانب الأزهر ضد الحكم.

ولقد ركز الإعلام المصري كثيراً على أن المسألة مسألة وفاء من جانب الرئيس السادات رداً على ما

الشاه سيستشري في مصر تحت حكم الرئيس السادات.

- الإتجاه السياسي للنظامين واحد وهو إتجاه وصل إلى درجة التحالف مع الولايات المتحدة، لكن الشاه نجح في معادلة ويرفض الرئيس السادات اعتمادها بالنسبة إلى العلاقة مع الاتحاد السوفياتي.

- فوارق الدخل متشابهة بعض الشيء.

- ظاهرة الإستعلاء وعدم التشاور موجودة عند الإثنين: الرئيس محمد أنور السادات، والشاه محمد رضا بهلوي.

- الاعجاب بالنازية مشترك. فالشاه متأثر بوالده الذي تعاون مع الحكم النازي، وفي تاريخ الرئيس السادات مواقف نازية.

- الرئيس السادات والشاه شغوفان بمسألة الأناقة والتمتع بالحياة. ولكنهما في الوقت نفسه يتحدثان كثيراً عن التقشف.

تلك هي بعض أوجه الشبه. أما المسائل التي لا تبدو مشتركة فهي:

- سلوك السلطة في مصر هو غير سلوكها في إيران.

- القمع في مصر ليس بإتساع ما حدث في إيران، وهو بالتأكيد ليس بالقمع الحديدي.

- المخابرات الإيرانية متعاونة مع المخابرات الأميركية والإسرائيلية، بينما تتمتع المخابرات المصرية بسمعة وطنية.

- الجيش في مصر وطني وجنرالاته لا يمكن أن يتلقوا التعليمات من الأميركيين كما حدث بالنسبة إلى جنرالات الشاه.

- لم يعد في مصر معتقلات. وبإستثناء علي صبري وبعض أفراد مجموعته الذين ما زالوا في السجن، ليس هنالك معتقلون سياسيون، في حين أن المعتقلات في إيران كثيرة والمعتقلون السياسيون أكثر من أن يحصوا. وبدلاً من اعتماد أساليب القهر والتعذيب والتصفيات التي مارسها جهاز السافاك في إيران، فأن ما يحدث في مصر لا يتجاوز شل حركة أي معارض للنظام وتطويل مسألة البت بأية قضية وعلى سبيل المثال إن القضية التي تتناول المتهمين 18 و19 يناير الشهيرة ما زالت قائمة. وما يقال حول هذه القضية يمكن أن يقال حول

التحقيقات التي أجراها المدعي الإشتراكي، فعلى رغم أن هذه التحقيقات إنتهت إلا أن القرار حولها لم يصدر وقد لا يصدر قريباً. وإذا جاز التعبير فإن نظام الشاه في إيران إعتد أسلوب حذف الرقاب بالسيف في حين أن نظام الرئيس السادات إكتفى بأسلوب إشهار السيوف وإبقائها مسلطة فوق الرقاب.

الملاحظة الخامسة: إستكمالاً للملاحظة الرابعة

يمكن طرح التساؤل الآتي: لماذا رجل الدين في إيران له تأثيره إلى حد أن كبير رجال الدين الامام أية الله الخميني هز عرشاً كانت تحميه مخابرات أميركا وطائراتها ونفوذها - وهي حماية شكلت جملة دوافع عند الرئيس السادات لإقامة المحور المصري - الإيراني وشجعتة على أن يناور مع حكم السعودية والخليج مطمئناً إلى سلامة هذا المحور؟ ولماذا رجل الدين في مصر لا قوة له علماً بأن التأثير الديني واحد في البلدين؟ والجواب على ذلك هو في تكوين طبيعة السنة في مصر وأهل الشيعة في إيران، أهل السنة في مصر كانوا تاريخياً وبإستمرار جزءاً من النضال، وأهل الشيعة كانوا بإستمرار حركة الرفض والثورة. وإلى ذلك إن مشكلة الظلم الإجتماعي التي تصدى لها الإمام الخميني ونجح في التصدي، فاقت في مصر أيام عبدالناصر الذي سبق الخميني في التصدي، ونلاحظ أن الشعارات الخمينية شبيهة بعض الشيء بالشعارات التي رفعها عبد الناصر، والمعارك السياسية التي يخوضها الخميني ضد الوجود الأجنبي شبيهة بعض الشيء بالمعارك التي خاضها عبد الناصر إبتداء من تأميم قناة السويس. ومع أن هزيمة 1967 تركت ظلاماً قاسياً على هذه الإنجازات إلا أنها لم تحذف من على الخارطة الاجتماعية مبادئ المساواة والعدالة التي حققها عبد الناصر للمصريين.

وما دامت رقعة الظلم الإجتماعي ضاقت في مصر، فضلاً عن أنه لا معتقلات، ولا أساليب قمع ملموس كتلك التي مارسها رجال السافاك في إيران، وما دام لا خطوة نهائية على طريق الصلح المصري - الإسرائيلي المنفرد فإن الظروف ليست مهيأة لنمو ظاهرة الخميني في مصر.

وتبقى كلمة. أن إستقبال الرئيس السادات للشاه في مصر وإستضافته حق لا يجادلُه أحد فيه خصوصاً أن بين الإثنين ما هو أكثر من الود، فضلاً عن أن مصر بعيدة عن إيران ولا خوف عند الرئيس السادات

من ردود فعل من جانب خصوم الشاه. فلا هو على الحدود. ولا هو على الحدود المجاورة للذين على الحدود.

ولكن هنالك بديهيات وهنالك تقديرات، وليس معقولاً أن نفرش السجادة الحمراء لأمبراطور ترك القصر بعد أن شارف الغاضبون على إقتحامه ونطلق له المدفع ترحيباً.

وتكراراً: إن المسألة ليست مسألة وفاء وإنما هي مسألة تحد. ولا ندري ما إذا كان الشاه روى للرئيس السادات ما الذي فعله به التحدي.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 يناير (كانون الثاني) 1979

* * *

أين السوفيات؟

وسط هذه الأجواء التي يعيشها الوطن العربي وهي أجواء لم يشهدها من قبل، هنالك حيرة تتملك نفس كل مواطن عربي من الموقف السوفياتي إزاء ما جرى ويجري في المنطقة. ولا بد أن كثيرين يتساءلون: لقد فهمنا الموقف الأميركي، إنهم أرادوا مصر وكان الرئيس أنور السادات خير متجاوب. وأرادوا أن يكون الحل لهم وحدهم، ولقد شجعهم العرب على تحقيق ذلك، وسعوا من أجل الحل الذي يطمئن إسرائيل ويكرس إحتلالها للأرض العربية وإغتصابها للحق الفلسطيني وقد نفذوا ما أرادوا.

ذلك هو الموقف الأميركي، وهو في غاية الوضوح، لكن أين هو الموقف السوفياتي؟

وكأنما الذين يطرحون هذا التساؤل يفترضون أنه ما دام الأميركيون فعلوا ما فعلوه فمن تحصيل الحاصل أن يرد عليهم السوفيات بما من شأنه إرضاء مشاعر الذين لا يقرون صوابية المخطط الأميركي وعدالته.

وكما إن المخطط الأميركي لم يفرض فرضاً وبقوة السلاح فإن التصدي السوفياتي لا يمكن توقعه من دون تأمين الأسباب الموجبة، بل ليس تجنياً تصنيف هذه الأسباب على إنها مغريات.

لقد تأمنت للمخطط الأميركي فرص التحقيق لأن العرب أرادوا ذلك، بل ودعموا ذلك. ولم تكتب للتصدي السوفياتي فرص التحقيق بسبب العرب أيضاً.

وزيادة في الإيضاح يمكن القول إن العرب في السنين الخمس الماضية إنقسموا عربين، عرب أميركا

وعرب معاداة الإتحاد السوفياتي.

وهذه القسمة جعلت المعادلة التقليدية تهتز، ولم تعد كما كانت في الستينات حيث العرب عربان عرب أميركا وعرب معاداة الإتحاد السوفياتي.

وعندما تم التوقيع على إتفاقات كامب ديفيد ساد إنطباع بأن المعادلة قد تستقيم وتعود إلى ما كانت عليه، لكن الذي حدث هو أن الإتجاه سار في تأمين إستمرار الوضع الذي نعيشه، ولذلك لا يبدو في الساحة وجود حسي للإتحاد السوفياتي بينما الأميركيون يفعلون ما يريدون ويتحول الموقف لمصلحتهم بشكل لم يحدث من قبل، وبعد توقيع الصلح المصري - الإسرائيلي، إستمر الإنطباع السائد بأن السوفيات لا يمكن أن يقفوا مكتوفي الأيدي أو يواصلوا إصدار البيانات والتعليقات المضادة، وإنما لا بد سيقدمون على ما من شأنه إرباك الأميركيين وعرقلة خططهم وإفساد جو فرح الهيمنة الذي يعيشونه.

وقد يكون السوفيات يرون التروي على أساس أن المخطط الأميركي لا يمكن أن ينجح، وإنه من الممكن التصدي من خلال الثغرات التي يمكن أن تحدث، لكن تصديهم لن يفيد بعد أن يكون الأمر الواقع قد فُرض، ومن المؤكد أن السوفيات كانوا سيمارسون دوراً ما لو أنهم شعروا أن بين العرب من هو مستعد للوقوف معهم، لكنهم لماذا يقفون ما دام العرب على الوضع الذي أشرنا إليه، أي ما داموا عربين: عرب أميركا وعرب معاداة الإتحاد السوفياتي.

لكن من الذي جعل العرب فريقاً مع أميركا وفريقاً آخر يعادي الإتحاد السوفياتي؟

لعل الإتحاد السوفياتي هو السبب، ولعل إختياره الوفاق مع الولايات المتحدة كان إيداناً بتطور الوضع العربي نحو الشكل الذي هو عليه الآن.

على هذا الأساس فإننا قد لا نشهد تبديلاً في الوضع إلا إذا حدث ما من شأنه تقويض الوفاق الأميركي - السوفياتي، وستستمر الولايات المتحدة إلى حين حدوث ذلك تنفذ المخططات التي تريد ولا من يتصدى لها.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 3 مارس (آذار) 1979

* * *

التقويم الليبي

لاحظنا في بعض الأوساط العربية خلال الشهرين

الماضيين كثرة التساؤل حول بعض المفاهيم الدينية التي يطرحها العقيد معمر القذافي، بل إن مناقشات كثيرة جرت مع البعض في شأن هذه المفاهيم.

وفي جولة أخيرة لي في منطقة الخليج وجدتُ عدداً من الأصدقاء يقولون لي: إستناداً إلى أنك تعرف العقيد القذافي والتقيت به عدة مرات وأجريت معه حوارات... إستناداً إلى ذلك كله هل لك أن توضح لنا ما هو سر حرصه على إعادة النظر في مسألة التأريخ الإسلامي بحيث لا يبدأ التأريخ من هجرة الرسول وإنما من وفاته. وهل أن الأمر مهم إلى هذه الدرجة، وهل سيستمر العقيد القذافي مصراً على إعتقاد التأريخ الإسلامي بدءاً من وفاة الرسول بينما جميع المسلمين في جميع أنحاء العالم يعتمدون التأريخ بدءاً من الهجرة.

وجدتُ نفسي أمام سؤال صعب، ولكن لا بد من جواب، وكان الجواب على النحو الآتي:

أما أن العقيد القذافي سيستمر مصراً فهذا أمر لا جدال فيه. فالمسألة بالنسبة إليه ليست تجريبية. وعلى سبيل المثال فإن التقويم لهذا اليوم المعتمد في الصحافة الليبية، وكان هذا اليوم (الاثنين 19 شباط/فبراير 1979) هو "الاثنين 22 من ربيع الأول 1388 من وفاة الرسول الموافق 19 فبراير 1979".

وأستطيع القول إن العقيد القذافي لم يتخذ قراره في مسألة التأريخ الجديدة إلا في ضوء معطيات وقناعات. فهو يرى أن هجرة الرسول ليست أهم حدث في حياته وهناك ما هو أهم. هنالك نزول الوحي عليه. هنالك فتح مكة. هنالك واقعة بدر.

وسألني الأصدقاء: لكنه إختار وفاة الرسول ولم يختار أي حدث من تلك الأحداث التي ذكرتها.

وقلت: في حدود ما أعرفه عن فكر العقيد القذافي يمكنني القول إنه يرى في وفاة الرسول انقطاع الصلة المباشرة بين السماء والأرض. وما دام النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين فإن الوفاة تجسّد هذا الإنقطاع الذي نشير إليه.

وعاد الأصدقاء يسألون: وعلى هذا الأساس يمكن أن نتوقع من العقيد القذافي إعادة النظر في التأريخ المسيحي أيضاً.

وقلت: وفي حدود ما أعرفه أيضاً عن فكر العقيد القذافي يمكنني القول إن ذلك لن يحدث لأن الأخ العقيد يرى أن ميلاد عيسى بن مريم معجزة توجب أن تكون بداية تأريخ.

وقبل أن يواصل الأصدقاء طرح أسئلتهم قلت: من

المهم أن نأخذ في الإعتبار أن العقيد القذافي ليس تقليدياً ولا يمكن أن يصبح تقليدياً. بهذه النظرة يمكن أن نفهم إعادات النظر التي يقدّم عليها: من تحويل الدولة إلى "جماهيرية".. إلى رأيه في الأحاديث النبوية المنسوبة إلى الرسول.. إلى التقويم الإسلامي الذي قرر أن يكون بدءاً من وفاة الرسول عام 632 وليس من هجرته عام 622 أو ميلاده عام 570 أو بداية نزول الوحي عليه عام 610 أو فتح مكة عام 629.. إلى المزيد والجديد فترة بعد أخرى.

ولكن الأصدقاء أصروا على جواب عن التساؤل الآتي: ألا تعتقد أن أمر التقويم الإسلامي الجديد سيبقى مقتصر الإعتقاد في ليبيا فقط كما الحالة بالنسبة إلى الثورة الشعبية التي ينادي بها العقيد القذافي؟

وقلت: هذه مسألة في علم الغيب. ولكن ألا ترون في أحداث إيران أنها ثورة شعبية؟

تلك كانت خلاصة مناقشة هادئة بيني وبين بعض الأصدقاء الخليجيين لمست فيهم إهتماماً بتجربة العقيد القذافي وبالأفكار الإصلاحية والتغييرية التي يطرحها. ولكن لا بد من إضافة، بل من إضافات أسجلها بشكل ملاحظات على النحو الآتي:

- **الملاحظة الأولى:** إن الإجتهد أمر جيد. ولكن أي إجتهد لا يُطرح في وقت ملائم من شأنه أن يتسبب في حدوث اشكالات. والعقيد القذافي بما يخزنه من أفكار ثورية ليس محتاجاً إلى الطروحات ذات الطابع التقجيري من نوع إعادة النظر في التأريخ الإسلامي بحيث يبدأ من وفاة الرسول وليس من هجرته. إن الأمة تعيش الآن ظروفاً بالغة الدقة والحساسية بل نكاد نقول إنها مصيرية. ومن حقنا أن نقلق من أن تتحول مسألة إعادة النظر في التأريخ الإسلامي إلى معركة إنصرافية يشارك فيها المعتمون والملتحون الذين قد يجدونها فرصة لإقتحام ميدان التغيير الإجتماعي الذي يحارب عليه العقيد القذافي.

- **الملاحظة الثانية:** مع التقدير الكامل لحجة العقيد القذافي في إعادة النظر في مسألة التأريخ فإننا نرى أنه فتح معركة مع عمر بن الخطاب تلك الشخصية العظيمة التقدمية في الإسلام. فالتأريخ ابتداء من الهجرة إجتهد ارتآه عمر بن الخطاب. وعندما توفي الرسول لم يكن هنالك تأريخ بالهجري. وكأنما نقض هذا الإجتهد لعمر بن الخطاب هو بمثابة إنقاص لقدرته على الإجتهد. وهذا الإنقاص يقلل من عظمة أفكاره عموماً التي ركزت على العدالة الإجتماعية.

- **الملاحظة الثالثة:** إن الجماهيرية تشكّل مليوني مسلم من أصل ألف مليون هم عدد المسلمين في العالم. وصحيح أن العقيد القذافي من النوع الذي يطرح فكرة أو نظرية ويدعو الآخرين إلى الأخذ بها، لكننا نرى أن هنالك معارك أكثر أهمية يجب أن تُخاض مع الذين يتمسكون بالتجمد ويرفضون التوقف عند مبادئ العدالة التي ينادي بها الإسلام.

وإلى ذلك إن مسألة إعادة النظر في التقويم الإسلامي كانت حساسة وستستمر كذلك، وإن أحد أبرز الحجج ضد كمال أتاتورك أنه غيّر التاريخ الهجري. وفي الزمن الراهن إن أحد منطلقات الثورة التي قام بها الخميني في إيران هو أن الشاه غيّر التقويم الهجري، مع الأخذ في الاعتبار أنه استبدله بالتقويم الفارسي.

ونحن نرى أن المسألة تحتاج إلى بعض التشاور. فإذا كان أمر اعتماد التقويم بالصيغة التي أرادها العقيد القذافي سيقصر على الجماهيرية الليبية فقط فإن الأمر لن يأخذ البعد الشمولي. وعندما وضع عمر بن الخطاب إجهاده بأن يبدأ التقويم بهجرة الرسول أخذ بذلك كل مسلم. أما الآن فإن الأخذ بالإجهاد الجديد يبدو صعباً إلا إذا نشأت في الدول الإسلامية ظروف حُكم مشابهة لتلك الظروف السائدة في الجماهيرية.

- **الملاحظة الرابعة:** من حق العقيد القذافي أن يقول: هل ننتظر إلى ما لا نهاية لكي نطرح فكرة أو نظرية، وأين هم المسلمون الذين يمكن أن يلتقوا على فكرة حتى نتشاور معهم؟

ولعل الجواب عن ذلك هو أن مسلمي العصر الراهن يمكن أن يتقبلوا المناقشة في أي إجهاد إذا كان لهذا الإجهاد بُعد اجتماعي.

ونحن نعتقد أن إعادة النظر في التقويم الإسلامي بحيث يبدأ من وفاة الرسول كما إجهد العقيد القذافي بدلاً من هجرة الرسول على نحو إجهاد عمر بن الخطاب لا تتضمن أي بُعد اجتماعي، إلا إذا كانت المسألة تدخل في نطاق إسلام جديد يدعو إليه العقيد القذافي ولن تظهر الآثار إلا في ضوء المزيد من إعادة النظر.

ويبقى أننا مع المزيد من الإجهاد سبيلاً لبلورة البُعد الاجتماعي للإسلام، لكننا لا ندري ما الذي ستقّمه إعادة النظر في التقويم الإسلامي هذه وما الذي ستؤخره.

وتكراراً إن هذا النقض من جانب ثوري تقديمي معاصر هو العقيد معمر القذافي لإجهاد إرتاه أحد

الوجوه الثورية التقدمية المضيفة في تاريخ الإسلام هو عمر بن الخطاب، تم في ظروف لها طابع القرار الذي لم يرافقه توضيح.

... ومن أجل ذلك فإن كل مسلم سمع بالقرار يتساءل ولا يجد جواباً. والذين ناقشناهم خلال الجولة الخليجية كانوا من الصنف المثقف. ومع ذلك إنهم يسعون وراء ما من شأنه أن يوضح. ولو أن القرار إتخذ في ضوء مناقشة فكرية رحبة وشمولية لكان الأمر على جانب من الوضوح.

وأنا شخصياً من الذين يرون أن يُفتح باب المناقشة في هذا الأمر، وأن يقول كل مسلم رأيه في مسألة الإجهاد الذي إرتاه العقيد القذافي بجعل التقويم الإسلامي يبدأ من وفاة الرسول وليس من هجرته. فقد يكون في المناقشة ما من شأنه أن يثري ويفيد.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 مارس (آذار) 1979

* * *

من أجل الوفاق المغربي

بالقدر الذي بهرثنا عملية إختيار الشاذلي بن جديد رئيساً للجزائر خلفاً للرئيس هواري بومدين، بالقدر نفسه نجد انفسنا مهوورين بعملية إختيار رئيس السلطة التنفيذية والوزراء الذين سيساهمون في إكمال ما بدأه بومدين على طريق التطوير والبناء والحفاظ على الإستقلال والسيادة.

ونعتقد أن الظروف الآن باتت مهيأة من أجل حل المشاكل العالقة ومنها مشكلة الصحراء التي كانت تؤرق الرئيس بومدين والتي يجب أن تسقط من طريق الرئيس الشاذلي بن جديد كقضية تؤرق وتقلق.

وفي إطار ما نملكه من معلومات حول المساعي التي تدور من أجل إيجاد حل لمشكلة الصحراء، نرى في المسعى الأفريقي أنه من المساعي الحميدة التي يُكتب لها النجاح إذا إنحسر بعض الشيء عناد بعض أطراف القضية.

إن قضية الصحراء قد تتحول إلى جرح ملتهب إذا لم يُحسم أمرها ويتم التوصل إلى صيغة الحل. ونحن نرى أن إستفتاء يقول فيه أهل الصحراء رأيهم، وتشرف عليه لجنة مشتركة تمثل منظمة الوحدة الأفريقية والجامعة العربية، هو المدخل الحقيقي من أجل إيجاد حل.

إنها لم تُخرج تكوينها عن مفهوم النقابة أو الإتحاد النقابي، مع الفارق أن في قدرة النقابة أو الإتحاد أن يصنعا حدثاً صغيراً أو كبيراً، في حين أن الجامعة لم تستطع أن تفعل شيئاً.

ولقد قيل الكثير في شأن الجامعة العربية وتوجهاتها. قيل مثلاً إنها واقعة تحت تأثير السياسة المصرية. وقيل مثلاً إنها من أجل ذلك فهي جامعة من أجل مصر وليس من أجل العرب. وقيل إنه لو حدث ذات مرة الخروج على التقليد المفروض وتم إختيار أمين عام غير مصري للجامعة لما كانت حالها ما إنتهت إليه.

ومن الواضح أن أمر الجامعة العربية ما كان ليُطرح أو ليصبح بنداً من بنود معاقبة الرئيس السادات لأنه عقد صلحاً منفرداً مع إسرائيل، حتى لو أن مقر الجامعة كان خارج مصر.

والآن، وبعدما تقرر أمر نقل الجامعة العربية بجميع أجهزتها من القاهرة، هنالك تساؤلان أساسيان في شأنها: الأول: إذا كانت تجربة ربع القرن الأخير لم تأت مجدية فكيف يمكن أن تكون تجربة الجامعة في السنين المتبقية حتى العام 2000 مجدية؟

الثاني: هل إن قرار النقل كان لا بد منه؟

وحول التساؤل الأول يمكن القول إن التجربة السابقة للجامعة العربية لم تكن مجدية لأن الدول الأعضاء أرادت كذا، فهناك ميثاق لم يأخذ به أحد، وهنالك دوائر لم يشجعها أحد. وظهرت الجامعة في سنواتها الأخيرة كما لو أنها مجرد منظمة مؤتمرات، شأنها في ذلك شأن الذين يُنظّمون الحفلات.

ومن أجل ذلك فإن وضع ميثاق جديد للجامعة لتلقي الدول الأعضاء على ضرورة التقيد به أمر من شأنه أن يخفف عن هذه الدول في الساعات الصعبة مشاكل هي في غنى عنها، فضلاً عن أن إنشاء قوة عسكرية تابعة للجامعة شبيهة ببعض الشيء بقوات الأمم المتحدة، من شأنه أن يحل الخلافات العربية الطارئة، خصوصاً أن هذه الخلافات تتجدد في استمرار وتأخذ طابع المجابهة العسكرية في أغلب المرات.

ومن المؤكد أن قوة عسكرية عربية تقف بين المتجابهين العرب من شأنها أن تقطع الطريق على قوى تأتي من كوبا أو من غيرها، ذلك أن المتجابهين عندما يجدون وسطهم زملاء لهم عرباً لن يتصرفوا بغير ما تفرضه مشاعر الزمالة والأخوة. وإلى ذلك فإن مثل هذه القوة تساعد على التعجيل ببدء الحوار السياسي في سبيل التوصل إلى نتيجة ترضي الجميع.

وحتى إذا إختار أهل الصحراء الإستقلال، وهو الأمر الذي من الطبيعي أن يحدث، فإن من الأنسب التسليم بهذا الإختيار وتشجيع الصحراويين بعد ذلك على أن يدخلوا في إتحاد مع موريتانيا، أو مساعدتهم على بناء أنفسهم، لأن تركهم معناه إفساح المجال أمام النفوذ الأجنبي لكي يستقر بينهم.

وفي أي حال إن حلاً سلمياً لهذه المسألة من شأنه أن يوفر على كل الأطراف عملية إستنزاف لا نهاية لها، وهو إلى ذلك سيكون مدخلاً إلى وفاق مغربي قد يُحتذى به في مناطق كثيرة، فضلاً عن أنه سيُسقط ولو إلى حين المراهنات التي تتحدث عن إنفجار كبير من النوع اللبناني أو النوع اليمني يشغل دول المغرب العربي بحرب، أو بحروب، تصرفها عن الإهتمام بقضايا التنمية والهموم القومية للمشرق.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 مارس (آذار) 1979

* * *

الجامعة المنقولة!

عندما أنشئت الجامعة العربية كان الغرض من وراء الإنشاء هو قيام نوع من الكيان العربي الذي من شأنه جعل الكلمة مسموعة ومؤثرة، ويومها لم يكن هناك نفط في المنطقة، وكان الجميع فقراء بنسبة أو أخرى. ولعل إختيار مصر كان في الدرجة الأولى لأنها أغنى الفقراء.

ومع الوقت ظهر النفط وانتشر، وأصبحت كلمة الدولة النفطية هي المؤثرة. وهي الفاعلة وهي المسموعة. وبدأ كيان الجامعة يضم يوماً بعد آخر إلى أن باتت تجمعاً عربياً لا تُرسم السياسات فيه بل ولا قدرة له على التنفيذ.

وفي حين إرتضى الأمين العام السابق عبد الخالق حسونة هذا الواقع للجامعة، فإن الأمين العام الذي تلاه ونعني به محمود رياض إختار مسلك التطوير من دون أن يدري أنه يتجاوز بذلك نظرة غير معلنة لأوضاع الجامعة. وتقوم هذه النظرة على أنه من غير الطبيعي أن تكون الجامعة العربية أكثر تطويراً وتنظيماً من وزارات خارجية بعض الدول العربية، ومن غير الطبيعي أن تكون الفعل، وإنما رد الفعل في استمرار.

وعملياً، إن تجربة الجامعة العربية في الربع القرن الأخير على سبيل المثال لم تكن مضيئة ومجدية، بل

من الضروري أيضاً ألاّ تنحصر المنظمات التابعة للجامعة في مكان واحد وبالتحديد في مقر الأمانة العامة.

وقد يقال إنه لا جدوى من الجامعة العربية، ولذلك فليكن هناك بحث عن صيغ أخرى، ولتكن هناك محاولة جدية لجمع العرب في وحدة أو إتحاد، وهذا صحيح إستناداً إلى التجربة السابقة للجامعة. لكن أين هي الدول التي يمكن أن تلتقي على فكرة الإتحاد أو الوحدة؟

ولعله من المؤلم جداً للنفس أن تكون جيبوتي آخر دولة تنضم إلى عضوية الجامعة ويأتي إنضمامها قبل فترة وجيزة من إبتعاد مصر. وإذا اعتبرنا إنضمام جيبوتي أنه وليد الحاجة إلى هوية، فإن إبتعاد مصر هو وليد التخلص من الهوية، ومع الوقت سيكتشف كل مصري أن الجامعة على ما هي عليه من إرتباك وتعقيدات كانت رمزاً للهوية التي من دونها سيكون الإرتباك أكبر والتعقيدات أشد.

ومن الواضح أن الكثيرين داخل إجتماعات مؤتمر بغداد كانوا في حيرة لا مثيل لها. فهم إذا قرروا تعليق عضوية مصر ونقل الجامعة من القاهرة يكون معنى ذلك أن مصر إبتعدت نهائياً، ومعناه إستبعاد حدوث مفاجآت مستقبلاً تصحح فيها مصر مسار الخطوات الإنفرادية التي أقدم عليها نظام الرئيس السادات. وإذا هم لم يفعلوا ذلك يكون معناه أنهم يسلمون بصوابية ما سلكه الرئيس السادات.

وهكذا فإن الرئيس السادات وضع الجميع، حتى بعض المتعاطفين معه ضمناً، في موقف محرج، ولعله في التصريحات التي صدرت عنه أو البيانات الرسمية التي أصدرتها حكومته كان يستحث العاملين من أجل نقل الجامعة على تنفيذ قرار العقوبات الإقتصادية على عدم التباطؤ. وفي ذلك ما من شأنه جعل جميع المتحفظين مستريحي الضمير. فهو بدل أن يقول كلاماً ملطفاً بعض الشيء، عندما طرحت فكرة نقل الجامعة إذا هو عقد صلحاً مع إسرائيل، قال بكثير من التهكم "فليأخذوها مبروكة عليهم". وهو بدل أن يساعد الذين حاولوا في مؤتمر بغداد الأخير إتخاذ عقوبات طارئة وقابلة لإعادة النظر، ترك أجهزته الرسمية تتهم جميع المشاركين في ذلك المؤتمر.

ويبقى أن الشأن الذي كان للجامعة العربية هو أنها كانت في مصر التي تقود الصف العربي. أما وقد تخلت مصر وتقرر نقل الجامعة منها فإن الجواب عن

كذلك يبدو من الضروري جداً من أجل جامعة تفيد في السنين المتبقية على العام 2000 أن يُنص، وبكثير من الوضوح، على عدم تدخّل دولة عضو في الجامعة العربية عسكرياً، في دولة بعيدة عن العرب، إذ ليس معقولاً أن تحارب قوات عربية من أجل دعم نظام غير عربي، وهذه الحالة عشناها في الستينات وفي السبعينات، ولقد كان مؤلماً أن الأمين العام المساعد العسكري للجامعة العربية هو الذي يعطي الأمر بالتدخل أو على الأقل يُنفّذه. ومن أجل ذلك فليس معقولاً أن يكون رئيس أركان الدولة التي فيها مقر الجامعة هو الأمين العام المساعد العسكري، وإنما من الأفضل أن تكون هنالك لجنة عسكرية تناقش أمر هذه التدخلات وتكون لها كلمة الحسم في النهاية.

أما مكاتب الجامعة في الخارج فهي في حد ذاتها تحتاج إلى تخطيط وتحتاج إلى إعادة نظر شاملة. ولقد ثبت أن هذه المكاتب هُزمت في معركة التبشير بالقضية العربية طوال السنوات الخمس عشرة الماضية، ومن المهم ألاّ تُهزم في التجربة الجديدة للجامعة العربية وأن تكون في مستوى الواقع المعقد الذي تعيشه الأمة في ضوء خروج مصر الذي كانت تشكّل دائرة الثقل.

وحول التساؤل يمكن القول إن الدول العربية التي قررت أن يكون نقل الجامعة من القاهرة هو إحدى وسائل المعاقبة إنطلقت من قاعدة مقلقة سلفاً عندما إرتأت أن يكون المقر الجديد للجامعة بلداً بعيداً نسبياً عن خط المواجهة، وليس مضطراً مستقبلاً لعقد إتفاق مع إسرائيل مثل ذلك الإتفاق الذي عقده الرئيس السادات. وكأنما الذين جلسوا يخططون لإختيار المكان وضعوا نصب أعينهم أن مقر الجامعة يمكن أن يستقر في تونس في حين أن نقله إلى عاصمة تشهد تطورات مماثلة لتلك التي شهدتها مصر يعني أن على العرب أن يعقدوا مستقبلاً مؤتمراً آخر لنقل مقر الجامعة، وهكذا يصبح أمر الجامعة صعباً لا تستقر على مكان شأنها في ذلك شأن سفارة ما تُبدّل مكانها مرات كثيرة تبعاً لظروف زيادة عدد الموظفين أو وجهة المكان.

ومعنى هذه النظرة أن الذين قرروا نقل الجامعة إنما نظروا إلى الأمر كوسيلة معاقبة قبل أن ينظروا إلى مستقبل هذه المنظمة وإلى الذي يمكن أن تفعله.

وفي أي حال إن المكان ليس مهماً سواء كان في المغرب أو في المشرق. ولعله من الضروري جداً أن تتعدد أمكنة إنعقاد الإجتماعات والمؤتمرات مستقبلاً، بحيث ينعقد كل مؤتمر في عاصمة ما، فضلاً عن أنه

طبيعة شأن الجامعة مستقبلاً يبدو صعباً خصوصاً أنها مطالبة بدور سياسي ضخم وليس بدور فني وتنظيمي. يبقى أيضاً أنه إذا كانت المأساة العربية كبيرة لأن مصر ابتعدت عن العرب ولم تعد في جامعتهم فإن مأساة مصر ستكون أكبر بكثير. فالجامعة، تكراراً، هي على رغم دورها الذي إختاروه لها رمز الهوية، وإذا قرروا أن يكون الدور مستقبلاً أكثر أهمية فإن الجامعة يمكن أن تكون أكثر من مجرد رمز للهوية. يمكن أن تكون رداً من الردود الكثيرة على التهاوي العربي. ولكن المواطن العربي لا يبدو متفائلاً. ومن حقه ألا يكون متفائلاً، إستناداً إلى التجربة الماضية التي كانت شعار الجامعة فيها "واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا". وهذه الآية الكريمة لا تزال تنتظر من يأخذ بها. ولا تزال الشعار المطلوب للجامعة العربية في تجربتها الجديدة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 7 أبريل (نيسان) 1979

المشهد الدرامي

إنه مشهد درامي بكل معنى الكلمة، مشهد ما كان عقل يتصوره. مشهد ما كان أحد ليفترض إمكان حدوثه. مشهد يهز الوجدان ويعصف بالمشاعر. مشهد مصر التي كانت قلعة العرب الصامدة وملاد الأحرار وصانعة البطولات، وصانعة الوحدة يتسابق العرب إلى الإبتعاد عنها بعدما كانوا يتسابقون للجوء إليها. مشهد مصر التي كانت سند القضية الفلسطينية والمدافعة عنها، ترتفع فيها الأعلام الإسرائيلية ويزورها الإرهابي الذي سفك دماء عربية عزيزة. مشهد مصر التي كان أزهرها رمز حضارة إسلامية عريقة فإذا بشيخ الأزهر يشارك مع المشاركين في الترحيب بالإرهابي الزائر الذي يسجن المسجد الأقصى ويحرقه.

مشهد مصر التي كانت أم الدنيا تنتهي هكذا دمياً يتسلى بها مقامرون مسلوبو الإرادة، من هوة الصفقات وتخطيط السياسات في ضوء تقارير الإستخبارات.

مشهد مصر التي كانت كلماتها مقبولة على رغم حدة العاطفة فيها بعض الأحيان، لم تعد كلماتها هي المقبولة والمقتعة لكثرة ما فيها من تهكم على الآخرين الذين رفضوا من أجلها في الدرجة الأولى هذه المسلكية

التي إعتدتها الرئيس أنور السادات.

مشهد مصر التي لم تجد ما تقوله بعدما رفض رئيسها أن يعتذر عما فعله ويقف إلى جانب الأشقاء العرب، من الذين قرروا في بغداد معاقبة النظام سوى "إن قرارات مؤتمر بغداد لم يصدرها حتى الآن هؤلاء الذين يحق لهم إصدارها". هل هذا الكلام موضوعي؟ كل الدول العربية التي إجتمعت وقررت لا يحق لها الكلام. فقط يحق له الكلام فكري مكرم عبيد الذي قال تلك العبارة دون أن يخطر في باله أنه يضحك على أربعين مليون مصري ويستغفلهم.

مشهد مصر التي وضعها النظام في أجواء من الأوهام وزرع في نفوس شعبها مشاعر البغضاء والكرهية ضد العرب. من المؤكد أننا ما كنا لنصدق أن مثل هذا المشهد يمكن أن يحدث ولكنه مع الأسف حدث. وأكثر الجوانب تفجعاً في هذا المشهد أن الحاكم المصري في حالة نشوة من الذي يحدث.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 7 أبريل (نيسان) 1979

كي يكتمل التضامن... ويستمر!

كانت الدعوة إلى التضامن العربي في السنتين الأخيرتين هي الدعوة السائدة. وكان ملاحظاً أن كل مسؤول عربي لا يترك مناسبة خطابية أو مقابلة صحافية تجرى معه تمر إلا ويقول إنه لا حل للمأزق الذي تعيشه الأمة العربية من دون التضامن، وأنه بالتضامن يمكن تحقيق المعجزات. وواضح أن التضامن العربي يحدث عند ساعة الخطر الحقيقية. فهو حدث في قمة الخرطوم عام 1967 بعدما تأكد للملوك والرؤساء العرب أن هزيمة عبد الناصر تعني هزيمتهم جميعاً وتعني بالتأكيد فقدان فلسطين، ومن أجل ذلك سارعوا إلى وضع القرارات التي من شأنها مساعدة عبد الناصر على تجاوز المحنة.

ومع أن ملامح التضامن إرتسمت في الأفق العربي خلال أول قمة عربية دعا إليها عبد الناصر وعُقدت في القاهرة عام 1964 وكانت عملياً من أجل فلسطين إلا أن التضامن الفعلي لم يحدث للمرة الأولى سوى عام 1967 وفي خلال إنعقاد قمة الخرطوم. وخلال حرب 1973 ظهر التضامن العربي مرة

ويمكن أن تستقر في ضوء متغيرات كثيرة ليست في الحسبان.

إن ثورية جديدة أفرزها مؤتمر بغداد هي الثورة على التسليم بالخطط التي سار فيها الرئيس السادات حتى التوقيع. وكل دولة عربية إلتزمت بالقرارات التي أصدرها المؤتمر يمكن إدراجها في خانة الثورية الجديدة. وبمعنى أكثر وضوحاً إن الأكثرية العربية المطلقة التي إجتمعت وقررت في بغداد هي أكثرية ثورية.

والى ذلك إن المواطن العربي الراض لخطط الرئيس السادات ليس في وضع نفسي يتحمل به ما هو أكثر من هذه الثورية التي نشير إليها. والمواطن الفلسطيني في الأراضي العربية المحتلة يكفيه الآن مثل هذه الوقفة الثورية الراضة حتى من جانب بعض الدول التقليدية العربية. وهو ليس في الوضع النفسي الذي يمكنه تقبل ما هو أكثر.

ولا بد أن الكثيرين لاحظوا ضيق الرئيس السادات من هذه الثورية العربية الجديدة، وكيف أنه يحاول تقويض هذا الإنجاز المهم عن طريق عدم التعرض لبعض الدول العربية التي شاركت في مؤتمر بغداد والتركيز في الهموم على الدول الأخرى. وواضح من ذلك أنه يريد أن يضرب الفريقين بعضهما البعض الآخر، خصوصاً أن الذين لا يهاجمهم إستمروا حتى اللحظة الأخيرة مترددين في إتخاذ قرارات مقاطعة حادة ضده.

فالتضامن العربي حتى عام 1967 وعام 1973 كان من أجل مساعدة مصر التي تناضل في سبيل فلسطين بينما تضامن عام 1979 هو بهدف وقف المساعدات عن النظام المصري وقطع العلاقات الدبلوماسية معه لأنه لم يكتف بوقف النضال من أجل القضية الفلسطينية وإنما يحاول تعطيل عملية التضامن العربي في سبيل إستمرار النضال.

ويبقى أنه بقدر ما أن المهمة الأساسية هي المحافظة على هذه الطبعة الجديدة للتضامن العربي، بالقدر نفسه هنالك حاجة قصوى إلى إستكمال الحلقات الثلاث المفقودة في هذه الطبعة وبالذات الحلقة الأساسية بين هذه الحلقات ونعني بها السودان.

فالسودان غير الصومال وعمان وإستمراره بعيداً عن الطبعة الجديدة للتضامن العربي يعني إستمرار الرئة التي يتنفس بواسطتها نظام الرئيس السادات تعمل، فضلاً عن أنه بذلك يستمر قادراً على ممارسة دور يتجاوز بعض الشيء حدوده.

أخرى. وكان السبب في حدوثه هو أنه إذا هُزمت مصر وسوريا مرة أخرى فإن فلسطين ستفقد نهائياً وستسود إسرائيل. وكان هذا الشعور بالخطر هو الذي دفع بكل عربي حاكماً أو محكوماً إلى التعبير عن التضامن بوقفة مسؤولة وفعالة إلى جانب مصر وسوريا.

منذ اليوم الخامس للحرب بدأ الرئيس أنور السادات عملية تطويع التضامن وقلب المفهوم الحقيقي له وتوظيفه في خدمة خطط من أجل التسوية. ومن أجل ذلك إضطرب الموقف العربي. وعندما حدث الإضطراب بدأ الرئيس السادات يغذي هذا الإضطراب بحيث يذوب التضامن العربي في حرب التناقضات. وهو كان يدرك تماماً أنه إذا حدث وذاب التضامن يستطيع أن يفعل ما يريد.

وفي الوقت نفسه كان يشدد على أهمية التضامن العربي لكي يغطي عملية التدمير المستمرة لهذه الظاهرة. وكان أيضاً يواصل التركيز على فك أسس التضامن الداخلي. ولعل أهم أمرين حدثا في هذا المضمار أنه إستعدى المصريين على العرب وإستعدى العرب على بعضهم ثم إستعدى المصريين بعضهم على بعض. وعندما شعر أن هذه البلبلة في الموقف عموماً هي المناخ الذي من خلاله يستطيع تحقيق خطط التسوية التي وعد بها إندفع مطمئناً.

وفي لحظة إستشعار حقيقي بالخطر حدث نهوض حقيقي في مسألة التضامن وتحقق تضامن عربي لم يحدث من قبل.

وأهمية هذا التضامن أنه من أجل السلم بقدر ما هو من أجل الحرب. السلم إذا امكن تحقيقه. والحرب على التسوية إذا كانت ستفرض فرضاً.

وإذا جاز القول فإن التضامن العربي الجديد هو ترجمة واقعية للاءات الخطوط الثلاث. وهو إذاً من أجل فلسطين.

ولقد كانت هذه الأسطر ضرورية كتمهيد لتساؤل لا بد من طرحه وهو: إن حالة التضامن المستجدة قد تتعثر نتيجة مواقف تصدر عن بعض المتضامنين في حق متضامنين آخرين، وتتسم بشيء من الحدة. أليس من الأسلم تجميد مثل هذه المواقف وعلى الفور من أجل ألا يتأثر التضامن الذي تحقق في مؤتمر بغداد؟ إن هذا ما يتمناه كل مواطن عربي، فضلاً عن أنه ليس أمام الرئيس السادات سوى المراهنة على تعثر التضامن. في إستمرار التضامن تبقى خطته قابلة للإهيار. وفي تعثر التضامن يمكن لخطته أن تعيش

وعلى مستويات القمة خصوصاً أن للرئيس نميري على قيادة المقاومة الكثير بدءاً بما أقدم عليه خلال أزمة 1970 في الاردن ومروراً بمواقف شجاعة كثيرة. وما دامت الطبعة الجديدة هي من أجل فلسطين في الدرجة الأولى فإننا نتمنى حدوث التشاور الذي ذكرناه. ... وخير البر عاجله.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 14 أبريل (نيسان) 1979

حرب أميركا على الاعتدال العربي

الطريق الأكثر سهولة لاستمرار وصول النفط العربي إلى الولايات المتحدة هو أن تُكثر الإدارة الأميركية من التطمينات وتُقلل من التهديدات. والإكثار من التطمينات يكون بتحديد مواقف يرتاح لها أهل النفط. أما التهديدات فمن الضروري أن تقل وتتلاشى مع الوقت.

ولا ندري ما الذي أصاب الإدارة الأميركية بحيث انها تتصرف تماماً مثل الذين يبالغون في حدتهم حيالها. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الحدة التي تتسم بها أحياناً بعض المواقف العربية مبررة في حين أن التهديدات ليست مبررة، فضلاً عن أنها لا تُحدث الانحسار المطلوب في حدة المواقف المشار إليها.

ولعله كان من الأفضل لو أن قرارات التصدي العربية التي إتخذت في بغداد أظهرت بعض الجدية في مسألة المقاطعة، بمعنى أن تُتخذ قرارات تستهدف مقاطعة الولايات المتحدة أو تُجمدها بحيث تبقى هذه القرارات سلاحاً يمكن إعماله في وجه الولايات المتحدة في الوقت المناسب.

ومناسبة هذا القول أن الولايات المتحدة للأسف، لم تتجاوب مع الرغبة الجامحة في عدم مقاطعتها. وبدلاً من أن يكون ذلك سبباً لإعادة النظر في المواقف فإن الإدارة الأميركية ترد على الاعتدال العربي بإطلاق التهديدات، تهديداً تلو الآخر. فهي ساعة تهدد بإحتلال منابع النفط وساعة أخرى تهدد بقطع المساعدات عن سوريا. ولا بد أن في جعبة هذه الإدارة أنواعاً أخرى من التهديدات تنتظر الوقت المناسب لإطلاقها.

وعندما نقرأ أن مجلس النواب الأميركي قرر بأكثرية 193 نائباً ضد 177 قطع مساعدة عن سوريا قيمتها 45 مليون دولار بسبب إمتناعها عن تأييد المعاهدة

وصحيح أن السودان ليس تلك الدولة النفطية ولا تلك التي تملك الأرصدة ولكن إنضمام السودان إلى الأكثرية العربية المتضامنة يشكّل ضربة موجعة إلى النظام المصري توازي في قوتها الضربة التي وجّهتها جزئياً، أو أنها ستوجهها كلياً أي دولة من دول الأرصدة والنفط. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن السودان لا يؤيد الرئيس السادات في النتائج التي وصل إليها تحرُّكه، ومع الأخذ في الاعتبار أن تمهّل السودان في إتخاذ موقف يبلور فيه مجموعة مواقف ليست لمصلحة الرئيس السادات في أي حال له ما يبرره. فالعلاقات المصرية - السودانية ترابطت وتشابكت في السنين الأربع الماضية، ثم أن هنالك بضعة الوف من السودانيون يعيشون في مصر بينهم ثلاثة عشر ألف طالب وهي حالة لا تشبهها حالة بين أي من الدول العربية ومصر.

ولكن التمهّل لا يعني أن موقفاً توضيحياً من جانب السودان لن يصدر. وسلفاً من الضروري ألا نضع أنفسنا في جو توقّع اعلان الموقف الحاد. وإذا جاز التعبير فإن الأكثرية العربية المتضامنة فريقان: الفريق الحاد في موقفه والفريق المرن. أما الموقف المتوقع من السودان فلن يكون هذا أو ذاك وإنما الموقف الكثير المرونة.

أما لماذا لا بد من الموقف حتى ولو جاء كثير المرونة، فلأن الرئيس جعفر نميري لا يبدو مستعداً لتقبّل وجود سفير له في القاهرة إذا كان فيها سفير إسرائيلي، فضلاً عن أنه يرى بأن ما حققه الرئيس السادات لا يتناسب مع تمنيات وشروط سودانية بعضها أعلن وبعضها الآخر لم يعلن.

ولعل الإشارة هنا تبدو ضرورية إلى أنه عندما تحدّد يوم الإحتفال بتوقيع المعاهدة المصرية - الإسرائيلية في واشنطن كانت التعليمات المرسلة إلى السفير السوداني لدى الولايات المتحدة بألاً يشارك في الإحتفال.

وعندما تقررت زيارة مناحيم بيغن إلى القاهرة كان سفير السودان في العاصمة المصرية في طريقه إلى الخرطوم لكي لا يسجل على بلاده أنه كان في القاهرة التي وصل إليها بيغن في زيارة رسمية.

تبقى أيضاً كلمة يمكن أن توجّه إلى القيادة الفلسطينية في الدرجة الأولى وهي أن الوقوف إلى جانب الرئيس نميري من أجل تحديد موقف أساسي أمر بالغ الأهمية. ومثل هذه الوقفة تكون بالتشاور الثنائي

المصرية - الإسرائيلية نتساءل كم أن العقلية الأميركية لا تزال بعيدة عن فهم الواقع العربي، وكيف أن أسلوب التعامل السياسي مع الآخرين لا يأخذ في الاعتبار المعاناة القومية لهم وإنما تكون النظرة دائماً نظرة بائع ومشتري.

وعندما نقرأ أن الولايات المتحدة تجهز القوات الخاصة لكي تُحركها عند الضرورة وتحتل منابع النفط بالقوة نتساءل كيف أن المفهوم الإستعماري هو الذي يبرز عند الإدارة الأميركية عندما تواجه إمتحاناً في رغبتها أن تكون طرفاً عادلاً.

ولا ندري لماذا تتسنى الإدارة الأميركية أن سوريا عندما فتحت الباب أمام حوار لا ينقطع مع الولايات المتحدة إنما استهدفت إسقاط إنطباع بأن السوريين ليسوا مستعدين لأي حوار. كذلك لا ندري لماذا تتسنى الإدارة الأميركية أن الجهد الخارق الذي بُذل في إجتماعات بغداد كي لا تُتخذ قرارات سلبية في حق الولايات المتحدة إنما إستهدف ألا يتأثر الحوار ويحدث تنشيط له.

وبدلاً من أن تتفهم هذه الإدارة حُسن نوايا وصدق رغبات الأكثرية العربية نراها تضيق ذرعاً بهذه النوايا والرغبات. وبدلاً من أن ترد إلى الإعتدال العربي الجميل على بعض ما سعى إليه من أجل تفادي معاقبة الولايات المتحدة نراها تستعد هي للمعاقبة.

أليس التهديد بإحتلال منابع النفط هو نوع من أنواع الرغبة بالمعاقبة؟ وأليس التهديد بقطع المساعدات عن سوريا هو أيضاً نوع من أنواع المعاقبة؟ إنه كذلك، وهو يعكس كم أن الإدارة الأميركية لا تأخذ في الإعتبار الحريصين على تجنبها المتاعب، ربما لأن هؤلاء لم يعتمدوا الأسلوب الذي تفهم به هذه الإدارة.

وهذا المفهوم من جانب الإدارة الأميركية فضلاً عن أنه يتسم بالصلف، فإنه يُضعف الموقف العربي المعتدل ويجعل حجة المعتدلين العرب غير مقبولة مع الوقت. وإذا كان المعتدلون نجحوا في المؤتمرات العربية السابقة في الإبقاء على الولايات المتحدة في منأى عن أي مقاطعة أو معاقبة، فإن الموقف لن يستمر على حاله. ولن يكون مستغرباً أن الموقف من الولايات المتحدة سيتبدل في أول إجتماع عربي يشارك فيه الذين حضروا إجتماعات بغداد، ذلك أن الاطراف التي تساهلت في الماضي لا يمكن أن تستمر متساهلة. كما أن الاطراف التي سعت من أجل هذا التساهل وحصلت

عليه ستواجه بالكثير من المساءلات ولن يكون من السهل الرد على هذه المساءلات بما من شأنه أن يُقنع. وعلى سبيل المثال لو وقف طرف عربي متساهل في أول إجتماع يُعقد وعلى مستويات إتخاذ القرار، وطلب من الطرف العربي الذي سعى من أجل التساهل أن يعيد النظر في موقفه ما دامت الإدارة الأميركية لا تريد أن تتفهم هذه الرغبة في عدم معاداة الولايات المتحدة، فما الذي يمكن أن يقوله الطرف الثاني؟

إن حجة هذا الطرف ضُعفت بسبب نوعية رد الإدارة الأميركية على الإعتدال العربي وهي النوعية التي يغلب فيها التهديد على التفهم والتي نلاحظ أن هنالك حرصاً من جانب الإدارة الأميركية على أن لا تبلغ هذه التهديدات بأسلوب يحافظ على بعض اللياقات، وإنما بإعلان ذلك صراحة عن طريق الصحف والإذاعات.

وببقى أن النفط العربي الذي يصل بانتظام إلى الولايات المتحدة إنما كان يصل بفضل الإعتدال العربي والذي لولاه لكان هذا النفط هو الشغل الشاغل لكل مواطن أميركي.

والغريب أنه بدلاً من أن تكون الإدارة الأميركية في هذه الأثناء تهيء نفسها لمزيد من التفهم لهذا التيار المستجد في العالم العربي، فإنها كانت تواصل تدريب القوات الخاصة التي يمكنها بواسطتها احتلال منابع النفط العربي، كما لو أن الإعتدال العربي بتساهله مع الإدارة الأميركية إقترب جريمة بحق الولايات المتحدة ولا بد من الرد عليها بإحتلال لمانابع النفط يكون مكملاً لإحتلالها لمصر وإحتلال إسرائيل لفلسطين وأراضي بعض الدول العربية.

... والإحتلالات الثلاثة في أي حال أميركية.

إن أهم ما أمكن الإدارة الأميركية تحقيقه في السنوات الخمس الماضية، وهو ما لم تستطع تحقيقه خلال ربع قرن، أنها جعلت العرب معتدلين ازاءها. وبدلاً من أن ينعكس هذا الإعتدال عليها، تحاول ضربه كما لو أنها تتأثر من مرحلة التطرف العربي في الستينات. وبدلاً من أن تقترب بعض الخطوات من المعتدلين نلاحظ أنها تمارس أشد أنواع التطرف في مواقفها.

ويتضح يوماً بعد آخر أن الإدارة الأميركية ترى أن الإعتدال العربي يستمر تطرفاً ما دام لا يتبنى ما يريده. وترى أن الإعتدال العربي المقبول في نظرها هو الإعتدال الذي لا يبدي حرصاً على قضايا متصلة

بالإستقلال والسيادة القومية والأمانى الوطنية.

وقد تكون الولايات المتحدة إكتفت بالعبرة التي أخذتها من الموقف المصري. وقد يكون هنالك بين المستشارين المسموعي الكلمة في البيت الأبيض من قال للرئيس كارتر - هذا إذا سلّمنا بأن كارتر نفسه يفكر بطريقة أخرى - ما معناه: لا ضرورة لأي تغيير في الموقف، فما دامت مصر الدولة الكبرى والأساسية إنتقلت من نقطة المعاناة إلى نقطة رُبط سياستها بالإدارة الأميركية، فإن الآخرين لا قدرة لهم على أن يفعلوا شيئاً، وعليهم أن يسيروا على الخط نفسه الذي سار عليه السادات.

ولكن مثل هذه النظرة قد تبدو معقولة إذا كانت نوعية القيادات العربية الأخرى من نوعية قيادة الرئيس السادات وهي ليست كذلك تماماً، ولن تكون كذلك على الإطلاق لظروف موضوعية.

وقد نكتشف أن الإدارة الأميركية محيطة بهذه الظروف وتدرّك محاذيرها، أو أنها غير محيطة وهذا ما يمكن إستبعاده.

وقد تكتشف الإدارة الأميركية متأخرة أن حربها على الإعتدال العربي ربما تبدأ في أي لحظة إذا كانت ستتواصل الإنذارات والتهديدات. وعندها ستري أن هذه الحرب لن تنبّت لها السلم المصري - الإسرائيلي فضلاً عن أنها ستعني العودة من جديد إلى مواجهة أجواء التطرف في المنطقة العربية. وقد تكون المواجهة هذه المرة صعبة جداً.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 22 أبريل (نيسان) 1979

* * *

عدي أمين.. والعرب!

لم يفعل الرئيس الزائيري موبوتو للعرب ما فعله الرئيس الأوغندي عدي أمين، ومع ذلك فإنه لمجرد أن طرق الخطر أبواب زائير إهتزت مشاعر بعض الدول العربية وعبرّت عن إهتزاز مشاعرها بإرسال قوات تحارب لدعم نظام موبوتو. أما عندما طرق الخطر أبواب أوغندا فإن كثيرين تناسوا ما فعله عدي أمين من أجل القضية العربية. وبإستثناء ليبيا التي حاولت متأخرة نجدة نظامه، فإن جميع الدول العربية راحت تتابع عبّر بعض الإذاعات ووكالات الأنباء ما يجري في أوغندا. ولم نلاحظ أن دولة من هذه الدول إهتمت أو

أهتزت لها مشاعر.

ولعل عدي أمين هو الحاكم الأفريقي الثاني الذي تداخل مع العرب وحاول أن يمزج بين قضية بلاده وقضية العرب. أما الأول فكان باتريس لومومبا الذي ردّد العرب اسمه في الستينات كما لم يرددوا اسماً أجنبياً من قبل. وهذا يعود إلى أن العلاقة بينه وبين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت أكثر من وثيقة. وفي الستينات كانت القاعدة التي إعتمدتها الشعوب العربية المؤيدة للتيار الذي يقوده عبدالناصر تقوم على أنه من كان مع عبد الناصر له التقدير الذي لعبد الناصر... أو بعضه.

ولم يترث عدي أمين في موضوع تداخله مع العرب. ولمجرد أن خذله الغرب في تحقيق طموحه لبناء جيش قوي أظهر مشاعر ودية تجاه الدول العربية وإتخذ مواقف جيدة إزاء القضية الفلسطينية. وهو لم يكن في ذلك طالب ود أو باحثاً عن مال بقدر ما كان يشعر أن معاناته شبيهة في بعض أوجهها بمعاناة العرب أو بعضهم.

ولقد حدث في بعض المرات أن شعرت دول عربية كثيرة بشيء من الحذر حيال مواقف عدي أمين التي كانت تتسم بالمغالاة. ولكنه لم يكن يفتعل هذه المواقف التي أوضحت في بعض المرات أنه غيور على القضايا العربية وبالذات القضية الفلسطينية أكثر من العرب أنفسهم.

ولعل ما كان يفرضه الحذر أو يساعد على فرض الحذر أو وجوبه أن عدي أمين كان في بعض ممارساته يبدو فولكلورياً بعض الشيء. ونتيجة لذلك كان بعض العرب يتساءلون في أمر موقف يتخذه: هل أن هذا الموقف جدي أم لا؟

ولا ريب أن كثيرين يتذكرون جرّص عدي أمين على أن يرتدي الزي القومي للبلد الذي يزوره. ولا تزال صورته وهو يرتدي العباءة والكوفية والعقال خلال إحدى زيارته للسعودية في مخيلة الكثيرين.

أما أسلوب التعامل الداخلي فتَمَثَّل في التصفيات الدموية التي أصبحت السمة الرئيسية في حكمه. وهذه التصفيات وضعت معظم الدول العربية المتعاطفة مع عدي أمين في موضع المحرّج لأن المثقفين في أوغندا كانوا يتمنون على هذه الدول أن تضغط عليه لا أن تؤيده.

وإضافة إلى موقفه المؤيد للقضية الفلسطينية، فإن عدي أمين أفاد بعض العرب كثيراً لأنه بالموقف

المعادي لإسرائيل الذي إتخذته جعل الدول الأفريقية تنقف إلى جانب العرب وتتخلى عن علاقات إكتسبت في بعض المراحل صفة التميز، فضلاً عن أن تحوّل عيدي أمين أفاد في إطلاق بعض العرب على حقائق متصلة بالقوة العسكرية الإسرائيلية وقف عليها من خلال إقامته بعض الوقت في إسرائيل حيث تابع دورة تدريب للمظليين، ثم بعدما توثقت علاقة التعاون على الصعيد العسكري بينه وبين إسرائيل.

ولكن عيدي أمين إستأنف مبالغاته بطريقة بدأت ترزعج كثيرين من الحكام العرب. فهم لا يريدون التخلي عنه، لكنه عندما يقول عن الرئيس نيريري الصديق لعدد كبير منهم أنه لشدة حبه له فإنه كان تزوجه لو أنه امرأة فإن الأمر يدخل دائرة الإزعاج، وعندما يطلب من الملكة اليزابيث دعوته إلى زيارتها من أجل "اقامة مريحة" في قصرها، فإنه يُقلق ويزعج من دون أن يدري معظم الحكام العرب الذين لا يريدون للعلاقات البريطانية - العربية أن تتأثر.

وإلى ذلك إن عنصر الإزعاج وصل حداً غير معقول عندما بدأ عيدي أمين يعمل من أجل بعث شعارات منسوبة إلى بعض العرب وحاولوا جاهدين إزالتها من الأذهان. وهذه الشعارات متعلقة باليهود. ولعل كثيرين يتذكرون الرسالة التي بعث بها إلى الأمين العام للأمم المتحدة بعد العملية الفدائية في المدينة الأولمبية في ميونيخ والتي أسفرت عن مقتل عدد من الرياضيين الإسرائيليين. وقد تضمنت الرسالة أسف عيدي أمين لأن هتلر لم يقتل عدداً أكبر من اليهود. وقد بدا في موقفه مزائداً على معظم الحكام العرب. وفي الوقت نفسه يمكن القول إن عيدي أمين كان يزيل عن قلوب بعض الحكام العرب هموماً محبوسة وضيقاً لم يعرفوا كيف يمكن التخلص منه، وذلك لأنه كان في بعض الأحيان يقول بالنيابة كلاماً لا يصدر عنهم نتيجة حسابات وتقديرات.

ولقد ظن عيدي أمين أن في قدرته جمع كل العرب بإتجاهاتهم وتناقضاتهم حول شخصه، لكنه تناسى أمراً مهماً وهو أن العرب من دون إستثناء باتوا يشكون من عبء صداقته أو ارتباطهم بعيد عيدي أمين إلى درجة أن هؤلاء باتوا يرون أن إستمرار أسلوبه في التعامل مع الآخرين ومع الناس في الداخل من شأنه أن يكثف الظلال التي بدأت تُلقي عليهم من قبل معظم الحكام والمثقفين الأفارقة.

وفي بعض المرات بدأ بعض الحكام العرب يضيّقون

ذرعاً بمزاجه المتقلب ومفاجأته. فهو يلفت النظر ويستمرار إلى أن الإستقبال الذي يجري له في مطار بلد عربي ما يزوره لم يكن فخماً. وهو في إحدى الزيارات شكّا من أنه لم يلاحظ وجود مارشالات بين مستقبله من الضباط، على أساس أنه مارشال. وهو كان يتضايق كثيراً لأن بعض الحكام العرب لا يردون له الزيارة في بلاده.

ولقد روى لي أحد الحكام العرب كيف أنه أصر على أن يرافقه هذا الحاكم في رحلة نهريّة في مناطق تتكاثر فيها التماسيح، وكيف أنه تضايق في الوقت نفسه لأن هذا الحاكم وافق. ومعنى ذلك أنه كان سيتلذذ بتخويف الحاكم الزائر من مسألة التماسيح وأنه كان يتوقع أن يرفض الحاكم الدعوة فيتلذذ مرة أخرى بحمله على قبولها.

كذلك روى لي الحاكم كيف أن عيدي أمين شكّا له مرة خلال إنعقاد مؤتمر موسّع في عاصمة الحاكم من أنه لا يستطيع أن يقيم في الفندق المخصص لرؤساء الوفود ويفضل الإقامة في فندق آخر لأن لديه معلومات تفيد أن هنالك مؤامرة لإغتياله في ذلك الفندق. وأصر على أن الحاكم أوضح له في أن ذلك يعني وضع خطة حراسة خاصة في حين أن خطة الحراسة في فندق رؤساء الوفود وُضعت بدقة وبإحكام شديدين، وعلى رغم أن الحاكم إستفسر شخصياً عما إذا كان هنالك في فندق رؤساء الوفود أي موظف أجنبي، وقيل له إنهم كلهم من أبناء البلد.

وأضاف الحاكم أن عيدي أمين طلب بعد ذلك أن يخصّص له جناح في فندق رؤساء الوفود مع الإبقاء على الجناح الذي خُصّص له في الفندق الآخر. وكان له ما أراد أيضاً. وتبين أن الغرض من ذلك هو أن يكون متميزاً. كذلك تبين أن مؤامرة الإغتيال كانت مختلفة لأن عيدي أمين كان يخفي فجأة من الفندق وفي غفلة من الحراس ويتوجه إلى سوق الخضار في المدينة ويتمشى هناك ويتبسط في الحديث مع الباعة. ولكن هذا الحاكم يلتقي مع حكام عرب آخرين في إنصافهم عيدي أمين، حيث أن هؤلاء يؤكدون أن كل مساعدة حصل عليها من الدول العربية أنفقتها على الناس وعلى بناء الجيش، على نقيض بوكاسا امبراطور أفريقيا الوسطى مثلاً الذي لم ينفق أي مبلغ من مساعدات كثيرة حصل عليها على مصالح عامة وإنما على شخصه وأسرته.

ولكن دموية عيدي أمين وعمليات الإفتراس المستمرة

للمتقفين الذين كرههم لأنه ليس منهم، فضلاً عن مزاجيته والتعقيدات التي كان يسببها لعدد من الحكام العرب، ألقت ظلالاً كثيفة على إنجازات أساسية حققها في الداخل. وعندما وقعت الواقعة لم يجد مَنْ يقف معه من العرب بإستثناء العقيد معمر القذافي الذي إستمر يرى في نجدة عيدي أمين ما من شأنه أن يقي الإسلام والمسلمين في اوغندا مخاطر كثيرة. ولكن النجدة جاءت متأخرة.

ولم يتأمن لعيدي أمين من العرب ما تأمن للرئيس الزائيري موبوتو. ولو أن ما جرى له حدث قبل أن يتم الصلح المصري - الإسرائيلي لكان سقوطه إعتبر نكسة كبرى، لكنه سقط بعد الصلح المذكور. وليس هنالك ما يُقلق العرب الآن سوى هذا الصلح.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 28 أبريل (نيسان) 1979

الثواب بعد العقاب

عندما يدين مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية ويدين دور الولايات المتحدة الذي أوصل مصر إلى توقيع معاهدة، فإن ذلك يدخل في نطاق العقاب الذي يتوالى إنزاله بنظام الرئيس السادات.

وهكذا بعد العقاب العربي يأتي العقاب الإسلامي. وعلى الطريق هنالك العقاب الأفريقي والعقاب الذي ستفرضه مجموعة دول عدم الإنحياز.

إدانة بعد إدانة بعد إدانة، وتدنيد بعد تنديد بعد تنديد. ومن الواضح أن كل ذلك بهدف إسقاط نظام الرئيس السادات.

وإذا كان الكثيرون لا يوضحون أن ذلك هو الهدف من المقاطعة ومن الإدانات والتنديدات فإن اللواء مصطفى طلاس، أوضح ذلك بما فيه الكفاية عندما أعلن أن سوريا ستظل تعمل من أجل إسقاط النظام المصري.

ومن حق المواطن العربي أن يقلق بعض الشيء إزاء هذا الذي يجري. فالتحرك العربي في سبيل إسقاط الرئيس السادات تحوّل إلى هدف إستراتيجي، وأصبحت هذه المسألة كما لو أنها قضية العرب الكبرى وسيكون الأمر محرجاً جداً إذا كان الإسقاط لن يحدث. ومن المحتمل ما دامت هذه قضية العرب الأولى، أن تتحرك الولايات

المتحدة في سبيل الإبقاء على نظام الرئيس السادات، وتلك مسألة ليست صعبة جداً على أساس أن العرب الذين أخفقوا في وقف إندفاع الرئيس السادات في إتجاه عقد صلح مع إسرائيل ربما لن يتمكنوا إذا كانت حربهم ضد النظام المصري ستقتصر على الإدانات والتهديدات والمقاطعة بالشكل الذي تمت فيه.

وسيستمر قلق المواطن العربي قائماً ما دام العرب لا يضعون خطة كان من المفترض أن توضع من قبل وبالتحديد منذ أن زار الرئيس السادات إسرائيل فكان التصدي لهذه الخطوة من نوع يشجع على المضي في المخطط إلى نهاية الطريق.

وقد يقال إن مثل هذه الخطة لم توضع بأمل أن يتوقف تحرك الرئيس السادات ويعود إلى المجموعة العربية. وكان في هذا الافتراض الكثير من السذاجة لأنه من غير الممكن أن يعود رئيس مصر إلى العرب بعدما زار إسرائيل، كما أنه كان من غير الممكن أن يرحب العرب بعودته.

وعلى هذا الأساس فإن خطة واضحة المعالم وإستراتيجية الأبعاد كان من شأنها لو أنها وُضعت منذ البداية أن توضح معالم الطريق أكثر. خطوة تقوم على أساس أن وضعاً جديداً نشأ في العالم العربي ومن الضروري مواجهته ليس بالعقاب وحده، خصوصاً أن هذا العقاب ما زال حتى الآن وحتى إشعار آخر لا يشكل الضربة القاصمة. خطة يكون فيها الثواب متساوياً مع العقاب. وتكون فيها الإجراءات فعالة وليست مجرد إجراءات ضاغطة. خطة تُقنع الشعب المصري أن الثواب ينتظره إذا هو تحرك في سبيل إسقاط النظام. فنحن لا نعرف ما الذي سيقدمه العرب للشعب المصري في حال تحركه لإسقاط نظامه. ونحن لا ندري لماذا يقتصر الأمر على سحب السفراء وقطع العلاقات مع الإبقاء على المصالح. إن رعاية المصالح هي الأساس ولا يكفي أن تقطع دولة عربية علاقاتها مع نظام الرئيس السادات وتوكل إلى دولة صديقة أمر رعاية مصالحها. إن السفراء عادة ينحصر دورهم في أمور بروتوكولية وفي إقامة المآدب والحفلات. ومن أجل ذلك فإن سحبهم أو عدمه لا يؤثّر بقدر ما يؤثّر وقف المصالح بشكل أساسي.

وتحضرنا في هذه المناسبة حالة تعني الكثير. لقد كانت العلاقة مقطوعة بين مصر والولايات المتحدة وعدد من الدول العربية، لكن المصالح إستمرت وليس مهماً أنها كانت تُرعى بشكل كبير أو صغير. وفي فترة

إنقطاع العلاقات وإستمرار رعاية المصالح كان المصري الذي يريد أن يسافر إلى الولايات المتحدة يحصل على تأشيرة ويسافر. وكان العرب الآخرون أيضاً يفعلون الشيء نفسه، ويأتي كثيرون من الولايات المتحدة إلى مصر وبقيّة الدول العربية على رغم أن العلاقات مقطوعة.

وفي إطار الخطة التي نفتقدها لا ندري ما هي التصورات العربية لما بعد إسقاط الرئيس السادات أو غيابه وهل أن الأمر الواقع الذي فرضته على الولايات المتحدة سيستمر بعد غياب الرئيس السادات وهل أن العرب سيكفيهم ذلك؟

وحتى الآن ليس واضحاً للشعب المصري ما هو الثواب الذي سيناله في حال تحرّكه من أجل إسقاط الرئيس السادات. إنه يسمع تنديداً وإدانة ويسمع عن ضغوط، ويسمع في المقابل من جانب رئيسه كلاماً يتجاوز أحياناً الحدة إلى ما هو أفظع بحق الذين يتحركون ضد خطته. ولكنه لا يسمع شيئاً عن الثواب. ومن أجل ذلك فإنه لا يبدو مستعداً للمغامرة من أجل المجهول.

وفي الفترة التي تلت زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل وسبقت توقيع معاهدة الصلح كانت هناك بعض العروض لكنها بدت في حينه محاولة تبرئة ذمة مع أن المطلوب ليس ذلك تماماً.

وقد يجوز التسليم بأن العرب أذهلهم مباغته الرئيس السادات لهم فلم يضعوا خطة واكتفوا بإتخاذ المواقف التي يأملون في أن تتجح كوسيلة ضغط تنهي حاكماً خاب ظنهم فيه وساورهم ندم لكثرة ما فعله بهم.

ولكن هذه المرحلة إنتهت وبدأت أو بالأحرى من الضروري أن تبدأ مرحلة التخطيط، كي لا يفاجأوا في لحظة لا يتوقعونها بغياب الرئيس السادات ولا تكون هنالك خطة تنفيذ على الفور لمواجهة الوضع الجديد.

وثمة نقطة أخرى وهي أنه قبل معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية كان هنالك إنقسام ازاء الدور الأمريكي. وحالياً نلاحظ أن الإنقسام لم يعد حاداً بين الاطراف العربية. فقد إتضح تماماً ما يمكن أن تعطيه الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي بعد المعاهدة الثانية للحد من الأسلحة الإستراتيجية (معاهدة سالت 2) ذلك أن الإتحاد السوفياتي في طبيعته الجديدة لن يكون على الإطلاق الإتحاد السوفياتي الذي يمكن الإتكال عليه في مجال التناور. وما بدأه الكسي كوسيغين والرئيس الأمريكي الراحل جونسون في غلاسبرو عام 1967

سيُتَوَجَّه بريجنيف وكارتر في لقائهما يوم 15 حزيران (يونيو) 1978 في النمسا.

وعلى هذا الأساس فإن الآمال التي يمكن تعليقها على القطبين يجب ألا تصل إلى مرتبة الرهان. وقد يكون هذا الوضع الجديد مناسبة لفك الارتباط في شكل أو آخر مع هاتين الدولتين من دون أن يعني ذلك تدمير العلاقات معهما، كما حدث بين الرئيس السادات والسوفييات. وفك الارتباط، أو إذا جاز التعبير، تحجيم العلاقات هو في إستقطاب أوروبا التي ستكون حالها قريبة من حال العرب عندما سيسجل الوفاق الأمريكي - السوفياتي بقاء بريجنيف وكارتر نقطة متقدمة. ولدى أوروبا السلاح الذي يريده العرب والتكنولوجيا التي يحتاجها العرب. وليس لدى أوروبا نظرة الدولتين الكبيرين للعرب.

كذلك قد يكون لدى الصين ما يحتاجه العرب. والتوجه نحو الصين وهي الدولة الوحيدة في العالم بما فيه العالم العربي، التي لم يصلها اليهود بعد قد يفيدنا أيضاً. ولكنه قد لا يفيدنا إذا حدث أن بدأت التكنولوجيا الأمريكية، التي هي في شكل أو آخر تخص اليهود، بالوصول إلى الصين.

وبدلاً من أن يضع هذا الموقف العرب في الحيرة من الضروري أن يكون هنالك الكثير من التخطيط لمواجهة وضع جديد. فالوفاق الأمريكي - السوفياتي يشكل عنصراً مشجعاً للعرب لكي يعيدوا النظر في معادلات كثيرة، بل وحتى ليستعيدوا بالقوة من إسرائيل أرضاً إغتصبها وحقوقاً فلسطينية سلبها. فالوفاق الذي سيسجل آخر مراحل بقاء بريجنيف وكارتر لا يعطي شرعية الدولتين الكبيرين لبعض حالات الأمر الواقع فقط وإنما يعطي الدول الصغرى الحق بأن تسوي أوضاعاً معقدة.

أما كيف يعطيها فذلك يعود إلى أن الدولتين أزالتا بشكل نهائي شبح الصدام بينهما ومن أجل ذلك فإنه لا موجب للتخوف من أن تؤدي مجابهة ما في المنطقة العربية إلى حرب بين الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة.

وقد يقال إن الوضع الجديد الذي تسبب الرئيس السادات في حدوثه يبدو بالغ التعقيد. ذلك أن الرئيس السادات بالذي فعله إنما أخرج من المعركة 40 في المئة من القوة البشرية و 70 في المئة من التأثير السياسي و 72 في المئة من القدرة القتالية. ولكن في إستطاعة الخطة التي تتضمن الثواب أن تعيد النظر

في هذا الوضع، جذرية كانت الإعادة أو نسبية. ... هذا إذا تجاوز العقاب طبيعته الضاغطة بحيث أصبح أكثر فعالية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 19 مايو (أيار) 1979

* * *

لن تكون مصر رومانيا العرب

بفضل جهود مصر قامت حركة عدم الانحياز، ومع ذلك كانت مصر قبل أيام هي محور المناقشات التي دارت داخل المؤتمر الوزاري في مكتب تنسيق حركة عدم الانحياز المؤلف من 25 بلداً والذي عقد إجتماعه في كولومبو.

كانت مصر محور النقاشات بالمعنى السلبي وليس بالمعنى الإيجابي، كما كانت حركة عدم الانحياز تنشط في شكل لا مثيل له من أجل دعم الموقف المصري. وبالمعنى السلبي كان هنالك تياران: تيار ينادي بتجميد عضوية مصر في حركة عدم الانحياز، يقابله تيار يرى التمهّل بعض الوقت.

ولأن روحية عدم الانحياز تقوم على الصيغة الثالثة، فقد إنتهى المؤتمر الوزاري إلى قرار بإدانة المعاهدة المصرية - الإسرائيلية وإحالة مسألة إسقاط عضوية مصر من حركة عدم الانحياز إلى مؤتمر قمة الدول غيرالمنحازة الذي سينعقد في هافانا في أيلول/سبتمبر المقبل (1979).

وقد إتخذ القرار الوسط في وقت كانت أجهزة الإعلام المصري تركز على أن المؤتمر يعارض إتخاذ أية إجراءات ضد مصر وأنه لا يجاري ضغوط سوريا والعراق والجزائر، وفي وقت كان فيه الدكتور عصمت عبد المجيد الديبلوماسي المصري البالغ الرقة والتهذيب يحاول في المؤتمر - متجاوزاً قناعاته - توضيح أن ما فعلته مصر كان من أجل الحق العربي ومن أجل قضية فلسطين، وهو كلام لم يُقنع احداً لأنه غير مقنع لا لأن أحداً لا يريد أن يقتنع.

وما حدث من قبل عندما قررت الدول العربية مقاطعة النظام المصري ثم عندما قرر المؤتمر الإسلامي في "قاس" تجميد عضوية النظام المذكور، سيحدث مثله من الآن وصاعداً. سيرد النظام على ما توصل إليه مؤتمر كولومبو بإطلاق الإتهامات وكشف بعض الأوراق السرية. وقد نسمع الرئيس السادات يقول

للمنحازين ما قاله في العرب الذين قاطعوه. بل إننا قد نسمعه يقول إن اللامنحازين إتخذوا قرارهم تحت وطأة الخوف من "الإرهاب الكوبي" مثلما أن العرب إتخذوا قراراتهم خوفاً من "الإرهاب البعثي"، وهو في أي حال منطق غير مقنع. ولا نعتقد أن قائداً من نوعية المارشال تيتو قلق من أن يجتاحه المقاتلون الكوبيون، كما أنه يمارس منذ وقت طويل سياسة متوازنة ومستقلة، وتصدى للسوفييات إنما بشكل جعل مكانته محترمة لديهم وليس كما تصدى الرئيس السادات ففقد تأييدهم فضلاً عن تقديرهم واحترامهم له.

ولقد كان واضحاً منذ أن أدان البيان المشترك، الذي صدر عن المحادثات التي أجراها المارشال تيتو في الجزائر مع الرئيس الشاذلي بن جديد، المعاهدة المصرية - الإسرائيلية أن مؤتمر كولومبو سيسير في الإتجاه نفسه وهو إتجاه يشبه الإتجاه الذي سلكه الرئيس السوداني جعفر نميري الذي إنتقد الصلح المصري - الإسرائيلي من دون أن يدينه وأيد مقررات مؤتمر بغداد من دون أن يكون عازماً على تنفيذها.

فإذا كان المارشال تيتو نجح في ألا تتجاوز الأمور الحد الذي وصلت إليه في مؤتمر كولومبو فليس من أجل شخص الرئيس السادات أو حرصاً على نظامه بقدر ما هو من أجل ألا تتهاوى حركة عدم الانحياز التي يشعر بأن واجبه التاريخي أن تبقى ما دام هو على قيد الحياة.

والى ذلك إن بين مؤتمر كولومبو الذي أدان معاهدة الصلح المصري - الإسرائيلي وبين قمة دول عدم الانحياز حوالى ثلاثة أشهر ستكون في الواقع فترة مضمّنة بالنسبة إلى المارشال تيتو، ذلك أنه إذا استمرت الحالة على ما هي عليه ولم تحدث مفاجآت ما كفيلة بإسقاط المعاهدة المصرية - الإسرائيلية، فإنه سيجد نفسه في قمة هافانا يتخذ مرغماً وحزناً القرار الذي يصعب عليه إتخاذه وهو الموافقة على تجميد عضوية مصر في حركة عدم الانحياز، ذلك أنه إذا لم يوافق فعنى ذلك أن يواجه وتواجه معه الدول الأعضاء إقتحام إسرائيل للساحة المحايدة، وتجديد طلب كان سعى من أجله بن غوريون في أواخر الخمسينات لكي تتضمن إسرائيل إلى كتلة عدم الانحياز، ورفض الطلب في حينه لأن عبد الناصر هدد بالإنسحاب من مؤتمر كان ينعقد في تلك الفترة.

والى ذلك يمكن لإجراءات كتلة عدم الانحياز أن تنحصر فقط في الموقف الذي تم إتخاذه في مؤتمر

الإبتعاد وذلك التبرؤ فترة طويلة جداً، فإن الأمر لن يكون كذلك على الأرجح بالنسبة إلى "روديسيا العربية" التي يواصل نظام الرئيس السادات إعلان معالمها. إن مصر لا يمكن ان تكون "روديسيا العرب" على رغم كل الممارسات والتحديات.

مجلة "المستقبل". باريس - 16 يونيو (حزيران) 1979

عبارة القذافي

عندما تشارف الثورة الليبية على الذكرى العاشرة ولا تقرر الولايات المتحدة والسياسة الأميركية عموماً وفي منطقة الشرق الأوسط على وجه التحديد تفهم هذه الثورة يصبح من الطبيعي تلمس ضيق العقيد معمر القذافي من الموقف الأمريكي.

لكن العقيد القذافي عبّر عن ضيقه يوم الإثنين 12 حزيران/يونيو 1979 بأسلوب لم نألفه فيه ويبعث على الإستغراب والقلق في الوقت نفسه.

ففي الخطاب الذي ألقاه لمناسبة الذكرى التاسعة لجلاء القوات الأميركية عن ليبيا وردت العبارة الآتية: "ففي الوقت الذي تفرض فيه أميركا الحظر حتى على طائرات الركاب المدنية، يبيع لنا الإتحاد السوفياتي القاذفات الإستراتيجية. اذن، هذا صديق وذلك عدو. "طرز" في أميركا وفي صداقة أميركا وفي "بوينغ" أميركا...".

ولولا عبارة "طرز" في أميركا وفي صداقة أميركا وفي "بوينغ" أميركا لكان خطاب العقيد القذافي يؤدي الغرض كاملاً ويحدد الموقف بكل وضوح. لكن العبارة المشار إليها أفقدته قوته على رغم أنها قد تكون أشعلت الحماسة في صفوف الناس والسامعين والقارئ.

وإذا جاز القول فإن العقيد القذافي قال هذه العبارة في لحظة إنفعال معيّنة. وهذه اللحظة قد تكون جاءت عندما امتدت يده تصافحان مجموعة من الطيارين الليبيين الذين حققوا جزءاً من حلمه في أن يكون لليبيا طائرات وطيارون ليبزيون يقودونها ويدافعون بها عن بلادهم، وتلك لحظة انفعال مصدرها الفرح الكبير الذي يولد الثقة والإعتزاز بالنفس. وقد تكون لحظة الإنفعال جاءت نتيجة يأس مفتر في السياسة الأميركية ونتيجة معلومات بأن الإدارة الأميركية لم تعد تمنع في أن

كولومبو، أي إدانة المعاهدة وإدانة السياسة الأميركية، لو أن مؤتمر القمة - صاحب السلطة في مسألة إتخاذ قرار بطرد أو تجميد عضوية - كان سينعقد في غير هافانا. لكن إنعقاده في العاصمة الكوبية فضلاً عن أن الرئيس السادات لم يترك جسوراً قائمة مع الكوبيين سيجعل من الصعب تغليب الصفح على المعاقبة.

وثمة نقطة تبدو أساسية وهي أن الرئيس السادات قد لا يساعد من جانبه الساعين إلى قرارات لا تتسم بالحدة ضده في كتلة عدم الإنحياز لأنه لا دور له في قيام هذه الكتلة وإنما الدور لجمال عبد الناصر. وقد بات واضحاً أنه لا يستسيغ أي إنجاز مرتبط بسلفه الراحل. ومن هنا فقد نجده يشجع، في معرض الإنتقاد، أي خطوات يمكن أن تقود إلى تفجير كتلة عدم الإنحياز، وهو تشجيع سيحظى برضى الولايات المتحدة التي تريد لهذه الظاهرة أن تختفي من ساحة الوجود السياسي. وقد تستغل السياسة الأميركية في الرئيس السادات بعض نقاط الضعف لكي تحمله على مواجهة قرار إدانة المعاهدة المصرية - الإسرائيلية بما من شأنه أن يساعد على تدمير كتلة عدم الإنحياز التي ترى الولايات المتحدة أن هويتها الراهنة تساعد على إقترابها من الإتحاد السوفياتي.

وتكراراً، إنه لأمر محزن أن يوصل الرئيس السادات مصر إلى ظرف تضطر فيه دول كتلة كانت دائماً تشكل السياج القوي الذي يحميها مخاطر كثيرة وتتجدها في أوقات الشدة إلى أن تنشط لتجميد عضوية مصر في هذه الكتلة.

ولكنها ليست مسؤولية هذه الدول، تماماً مثلما أن قرار المقاطعة العربي لم يكن مسؤولية الذين قاطعوا. كذلك لن تكون الدول الأفريقية هي المسؤولة عندما ستجد نفسها ايضاً مضطرة لإتخاذ قرارات لا بد منها على صعيد عضوية مصر في منظمة الوحدة الأفريقية. إنها مسؤولية نظام الرئيس السادات الذي يُبعد عن مصر اشقاءها واصدقاءها وحلفاءها من أجل صلح مع إسرائيل فرضته الولايات المتحدة بالترهيب والترغيب، وهذا الصلح لن يستمر مهما بلغت درجة الترهيب والترغيب.

يبقى أن الرئيس السادات يوصل مصر من دون أن يدري، أو أنه يدري كثيراً، إلى وضع يشبه في بعض أوجهه وضع روديسيا التي كانت دول العالم، دولة بعد دولة، تحرص على الإبتعاد عنها أو التبرؤ منها. وإذا كان النظام الروديسيي مستمر، على الرغم من هذا

يشن الرئيس السادات حرباً على ليبيا يشغل بها الجيش المصري الذي يُكثر من التساؤلات بعدما أبرم الرئيس السادات الصلح المصري - الإسرائيلي.

وأياً كانت نوعية لحظة الإنفعال فإن عبارة "طرز في أميركا..." لم تكن موفقة، فضلاً عن أنها قد تجر بعض المتاعب على الثورة الليبية، تماماً كما حدث مع عبد الناصر عندما قال عبارته الشهيرة "فلتشرب أميركا مياه البحر...".

ويعرف العقيد القذافي أكثر من غيره ما الذي فعلته عبارة عبد الناصر، التي هي، للمناسبة، أقل حدة بعد ترجمتها إلى الإنكليزية، من عبارة القذافي، وكيف أن الولايات المتحدة إنتقمت من ثورة وقضت على انجازات وعلى خط قومي وثوري. كذلك، إن العقيد القذافي يعرف أكثر بكثير من غيره أن جمال عبد الناصر، في لحظات صفاء عاشها بعد نهوضه من هزيمة 1967، لام نفسه على تلك العبارة وعلى نوعية حربه الكلامية التي شنّها على الولايات المتحدة، لكن اللوم جاء بعدما إنتقمت أميركا، وكان إنتقامها موجعاً.

والى ذلك هناك خصوم تاريخيون للولايات المتحدة لم تصل بهم الحالة إلى حد تسجيل عبارات من نوع عبارة "طرز في أميركا..." ولعل في خصومة فيدل كاسترو للسياسة الأميركية ما من شأنه أن يشكّل مثلاً حياً على ذلك. ولا نعتقد أن مخاوف التجاوز هي السبب في أن كاسترو لا يورد في خطابه عبارات من نوع عبارة العقيد القذافي، وإنما لأن قاموس العمل الثوري يتحمل عبارات من نوع "أميركا نمر من ورق" ولا يتحمل عبارات من نوع "طرز في أميركا...".

وعملياً، إن عبارة "طرز في أميركا..." قد لا توجع الولايات المتحدة ولكنها تُحرك فيها مشاعر الإنتقام، ومعنى ذلك أننا نستدرجها لكي تنتقم وتُنهي ثورة نمت وصمدت في أجواء من التحديات، وتقضي على إنجازات كُلف تحقيقها الكثير، فضلاً عن أن مثل هذه العبارة من شأنه التسبب في هز الأثر الذي أحدثته تهديد العقيد القذافي بقطع النفط عن الولايات المتحدة إذا هي لم ترفع الحظر على الطائرات المدنية التي تريدها ليبيا. إن التهديد بقطع النفط موقف يكتسب صفة الإستراتيجية، في حين أن عبارة من نوع "طرز في أميركا..." ليست أكثر من عبارة مناقشات لا تخرج إلى الناس وإنما تبقى في إطار جلسات المباشطة.

ويبقى المهم وهو: طبيعة العلاقات الأميركية - الليبية. هذه العلاقات ذات تعقيدات لا يبدو أنها قابلة

للحل لأن الطرفين إختارا لها بالممارسة السياسية التي يعتمدانها أن تبقى كذلك. ولقد حاول العقيد القذافي أن يستبدل العلاقة بين ليبيا والولايات المتحدة بعلاقة شعبية، ولكنها محاولة غير مجدية. ويحاول بين الحين والآخر إستقطاب الجامعات والمراكز الدراسية الأميركية وفي تصوره أنه بذلك يمكن إستحداث عناصر ضغط على السياسة الأميركية لعلها بذلك تُسلم بخطه الثوري وتداخلته في مناطق كثيرة.

وما دامت التعقيدات ليست قابلة للحل على ما يبدو، فإن التعايش غير الودي هو الأفضل، وفيه السلامة كثيرة أو قليلة. والتعايش غير الودي يستوجب أولاً عدم قطع النفط مخافة أن يؤثر على العلاقة الشعبية المستجدة، خصوصاً أن قطع النفط يصبح سلاحاً فعالاً إذا إستعمله الجميع. كذلك يستوجب التعايش غير الودي الإستغناء عن عبارات من نوع "طرز في أميركا..." ليس لأن الإستغناء عنها يسهل أمر جعل التعايش ودياً بعض الشيء، وإنما لأن مثل هذه العبارات تُعزّض الثورة الليبية للمخاطر، فضلاً عن أن قاموس العمل الثوري لا يتحمل مثل هذه العبارات مهما بلغت درجة الضيق، وأياً كان نوع هذا الضيق.

يبقى أيضاً أن الأمة تعيش مرحلة لا تشبه على الإطلاق المرحلة التي عاشتها في الستينات. وفي المرحلة الراهنة يكفي عدم التسليم بالإرادة الأميركية والأمر الواقع الذي تحاول فرضه. إن ذلك أمر في منتهى الأهمية، وهو يشكّل أهم أنواع المجابهة للسياسة الأميركية. وما عدا ذلك يحتاج إلى الكثير من التبصر والقليل من المخاطبة التي تحرك مشاعر الإنتقام.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 23 يونيو (حزيران) 1979

من "أبو هيثم إلى أبو غدي"

في لقاء القمة السوفياتية - الأميركية في فيينا لاحظ الذين شاهدوا إجتماعات القمة على شاشات التلفزيون كيف أن ليونيد بريجنيف يسمع بصعوبة، ولاحظوا من قبل كيف أن مراسم التوديع مثل مراسم الإستقبال كانت سريعة جداً من أجل تقادي حدوث أمر صحي مفاجيء للزعيم السوفياتي.

والأهم من ذلك كله إن منظر بريجنيف وهو يوقع إتفاقات "سالت" بعدما وقّعها الرئيس جيمي كارتر كان

منظراً محزوناً. فقد كانت يده ترتعش، ليس لأن الإتفاقات لم تأت كما يريد لها ولا تهيباً من الآثار التي ستترب على التوقيع، وإنما لأن وضعه الصحي في غاية الدقة. كذلك إنه من الصعب تناسي منظر وزير الخارجية السوفياتية اندريه غروميكو عندما سقط مغماً عليه وهو في الأمم المتحدة قبل أشهر، وكيف أن الذين شاهدوا المنظر افترضوا أن الرجل توفي وإنتهى أمره. وعلى رغم ذلك فإن غروميكو إستأنف عمله كوزير للخارجية السوفياتية من دون أن تتاح الفرصة أمام كثيرين في الوزارة مؤهلين لهذا المنصب.

ولا يبدو المارشال تيتو مستعداً لترك الحكم لآخرين رغم أنه يسير نحو أماكن بعيدة ليتحدى - ربما - الذين يقولون في السر أو الجهر، داخل يوغوسلافيا وخارجها، إنه يكفي، ويجب أن يختار المارشال من يواصل مسيرته نيابة عنه.

تلك في أي حال أمثلة عابرة من حالات نعيشها. وهناك حالات أخرى من نوع أكثر تعقيداً مثل حالة ماو تسي تونغ الذي لم يتزحزح عن الحكم على رغم أن وضعه الصحي بالغ الدقة وحالة الجنرال فرانكو الذي إختار من يخلفه لكنه رفض حتى لحظة الحياة الأخيرة التخلي عن الحكم له وإستمر يعيش بفضل الآلة التي تجعل القلب ينبض سبعة أشهر، ومثل حالة ديكتاتور البرتغال سالازار الذي دخل الغيبوبة لكنه إستمر في كل فترة صحو قصيرة ينادي الوزراء لكي يعقد إجتماعاً. لكن الذي يحدث هو أنه ما أن يكون شمل الوزراء إلتأم حتى تعاود سالازار الغيبوبة، ثم يصحو مرة أخرى فيطلب الوزراء وعندما يأتون يغيب... وهكذا.

ومناسبة هذا الكلام هو ما حدث قبل أيام في العراق عندما فاجأ الرئيس أحمد حسن البكر العراقيين والعرب والعالم بأنه تخلى عن مسؤولياته في الحزب والدولة لنائبه صدام حسين وذلك بسبب أوضاعه الصحية.

ومن خلال النقاط الآتية يمكن إعطاء فكرة واضحة أو قريبة من الموضوع عن الذي حدث.

أولاً: إن الرئيس أحمد حسن البكر مريض بالفعل فضلاً عن أن وجدانه زلخ بالمآسي الشخصية. فهو يعاني من السُكّر. وقبل سنتين خضع للعلاج في فرنسا ولم يستفد ما فيه الكفاية. هذا على صعيد المرض. أما على صعيد المآسي التي تتغل الوجدان فإن الرجل يعيش أحزاناً متصلة. في العام 1974 توفيت زوجته بعد مرض عضال. وبالنسبة إلى رجل في الستينات تعني وفاة الزوجة الكثير خصوصاً أنها كانت عزيزة

جداً على قلبه، وزاد مرضها من درجة إعتزازه بها فضلاً عن أنها كانت رفيقة النضال وليست فقط رفيقة العمر. ومنذ وفاتها والرجل يعيش حالة إكتئاب لا يدري سوى القليلين جداً نوعيتها. وقبل سنة فُجع البكر ب وفاة ابنه محمد، ابن الثالثة والعشرين في حادث سيارة، وكان حزنه على وفاة الزوجة ما زال كبيراً، وجاء الحزن الجديد على الابن الذي كان عزيزاً جداً على قلب الوالد فكبر حجم الحزن. وخفف من وطأة هذا الحزن أن العراقيين شاركوا بصمت في "أحزان الأب". ثم عاد الحزن كبيراً جداً بعدما توفي زوج إبنته.

وعندما تأتي الابنة والأحفاد إلى زيارة الجد يكون الفرح كبيراً جداً في نفس الجد المحزون لكن عندما تأتي الابنة أرملة والأحفاد يتامى فإنه يصبح من الصعب تصوّر حالة حزن الجد ومشاعره.

وتلك في أي حال أحزان شخصية، لكن إذا أضفناها إلى الأحزان الحزبية فإن حالة المحزون تصبح فجيرة. والرئيس البكر عاش كل اللحظات الحزينة التي مر بها "حزب البعث" وكانت أحياناً محن حقيقية.

ثانياً: في أجواء الحزن هذه، كان الرئيس البكر يمارس منصبه في الدولة والحزب. وكثيراً ما كان يعجز عن أن يصارح الناس والرفاق بأنه متعب ويحتاج إلى الراحة. وكان يشعر أيضاً بأنه لا يكفي أن يعمل خمس ساعات أو أقل أحياناً في اليوم بينما يأتي صدام حسين مع طلوع الشمس إلى مكتبه ويستمر يعمل حتى ما بعد منتصف الليل. وإلى ذلك يشعر بمرارة لأنه لا يسافر ولا يلبي الزيارات الرسمية، حتى زيارة سوريا أناب فيها صدام حسين.

وفي الوقت نفسه كان بعض المحيطين به يتألمون من أجله خصوصاً عندما يصر - على رغم وضعه الصحي - على زيارة المستشفيات والضباط والمشاريع. يتألمون ولا يُعبّرون له عن ألمهم حرصاً منهم عليه.

ثالثاً: في ضوء ذلك كله قرر أن يتيح المجال أمام قيادة ديناميكية. وإتخذ القرار يوم 10 تموز/ يوليو 1979 على أن ينقذ يوم 16 تموز أي اليوم الذي جلس فيه الرئيس البكر وراء مكتب في مبنى الإذاعة والتلفزيون أمامه الميكروفونات وآلات التصوير التلفزيوني وألقى خطاباً لم يلاحظ مستمعوه في الثلاثين الأولين منه أن الرئيس البكر سيتخلى، ثم لاحظوا ذلك بعدما بدأ تلاوة الثلث الأخير.

في الثلاثين الأولين تحدّث عن ثورة السابع عشر من تموز 1968 وما حققه "حزب البعث"، وتحدّث عن

الدور القومي للعراق منوهاً بـ "العلاقة الجديدة مع سوريا التي تتجه بعونه تعالى نحو الوحدة".

وبعدما تحدّث عن "أن اخلاق البعث التي تنطلق من ضمير الشعب ومن تراث الأمة وتجسّد قيم الوفاء ونكران الذات والإيثار والاستعداد لتقديم كل التضحيات من أجل الأمة ومن أجل الأهداف القومية السامية"، قال إنه إنطلاقاً من هذه الأخلاقيات "سأتحدث عن القرار الذي إتخذته والذي شاركني فيه اخواني ورفاقي في القيادة"... أي قرار التخلي.

وسرد لمرحلة تاريخية سريعة عن نفسه منذ العام 1941 إلى دوره في ثورة 1958 ثم تناول بعض ظروف محنة 1963 قبل أن يتوقف عند المرحلة التي بدأت مع قيام ثورة 17 تموز (يوليو) 1968.

وبدأ الرئيس البكر بعد ذلك يتحدث عن ظروفه الصحية..." ومنذ فترة ليست بالقصيرة كنت أحيث رفاقي في القيادة عن أن حالتي الصحية لم تعد تسمح لي بتحمل المسؤولية التي شرفّنتني بها القيادة وكنت أطلب منهم أن يريحوني من هذه الأعباء، غير أن كرم الرفيق صدام حسين والرفاق في القيادة كان يدفعهم إلى رفض البحث في ذلك، وكانوا يعبرون عن إستعدادهم لتخفيف كل ما يمكن تخفيفه عن كاهلي من الأعباء".

وفي سياق الحديث حول الظروف الصحية، أوضح الرئيس البكر أمراً في منتهى الأهمية وهو أن صدام حسين يمارس منذ فترة المهمات الرسمية التي يمارسها الرئيس البكر. وأوضح ذلك في قوله: "... وكان الرفيق صدام حسين بحكم موقعه الفعلي (نلاحظ هنا استعماله لكلمة الفعلي) والدستوري في القيادة ومجلس قيادة الثورة يتحمل عني منذ فترة طويلة كثيراً من الأعباء..."

وأوضح أيضاً أن مسألة الرغبة في التخلي قديمة "... ولكن حالتي الصحية بلغت في الآونة الأخيرة حداً لم أعد قادراً فيه على تحمّل مسؤولياتي بالشكل الذي يُرضي ضمير ويتناسب مع عظيم المهمات التي كلفّنتني بها القيادة. لذلك فقد ألححت على الرفيق صدام حسين وعلى رفاقي في قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة ومن موقع الأخوة والعلاقات الرفاقية التي تجمعنا بأن يلبوا طلبي بأن أعفى من مسؤولياتي في الحزب والدولة، وإنني لأشعر بالراحة اليوم لأن رفاقي قد لبوا طلبي هذا".

ومن الملاحظ أن الرئيس البكر ركز في نهاية خطابه كثيراً على شخص من سيخلفه، أي على شخص صدام حسين، ليزيل من الأذهان أي علامات

استفهام قد تعلق حول طبيعة علاقتهما، وأية تفسيرات يمكن أن تُطرح بشأن الظروف المستجدة. وفي معرض التركيز قال: "... وإنني إذ أهنيء الأخ الرفيق صدام حسين على تحمّله شرف المسؤولية في قيادة الحزب والثورة، أشعر بالثقة العميقة في أن القيادة قد إختارت بحق الرجل المؤهل للقيادة خُلقاً ونضالاً وشجاعة ومقدرة. فالرفيق صدام حسين كان خلال سنوات النضال المبررة قبل الثورة، المناضل الشجاع والأمين الذي يحظى بإحترام وثقة مناضلي الحزب. وكان في صبيحة الثورة في مقدمة الرجال الشجعان الذين إقتحموا قلاع الديكتاتورية والرجعية. وكان طيلة مسيرة الثورة الحافلة، القائد الفذ القادر على مواجهة كل الصعاب وتحمّل كل المسؤولية، لذلك حظي بالحب والإحترام من قبل كل الرفاق في قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة ومن كل مناضلي الحزب وأبناء الشعب".

هنا تبدو الإشارة ضرورية إلى أن القرار رقم 894 هو آخر قرار يصدر عن مجلس قيادة الثورة ويحمل توقيع أحمد حسن البكر بصفة كونه رئيساً لهذا المجلس يشير إلى أن المجلس عقد جلسة ناقش فيها الأمر يوم 10 تموز (يوليو) 1979، وأن الفترة بين إتخاذ القرار وإعلانه وتنفيذه، وهي أسبوع، كانت تستهدف إحاطة القيادات بالأمر، وتحضير خطاب التخلي وتنظيم الدولة بما يتلاءم والإختيارات الجديدة.

وفي هذه الفترة تم إعداد قرارين يحملان توقيع صدام حسين بصفة كونه رئيس مجلس قيادة الثورة اذيعا لمجرد أن أعلن الرئيس البكر تخليه. القرار الأول يحمل رقم 895 ويعلن إنتخاب صدام حسين رئيساً لمجلس قيادة الثورة بالإجماع وإنتخاب عزة إبراهيم نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة بالإجماع أيضاً. والقرار الثاني يحمل الرقم 896 ويقضي بإستحداث منصب نائب أو أكثر لرئيس الوزراء وتعيين القيادات الحزبية في مواقع وزارية.

والملاحظ هنا أن هذه القيادات تسلمت مواقعها في الدولة حسب المواقع التي تشغلها في الحزب: عزة إبراهيم إنتُخب نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة وطه الجزائري الذي عُيّن نائباً لرئيس الوزراء وطارق عزيز الذي عُيّن نائباً لرئيس الوزراء... هؤلاء أعضاء في القيادة القومية. وسعدون غيدان نائباً لرئيس الوزراء ويتولى ديوان رئاسة الجمهورية، وعدنان خيرالله الذي عُيّن نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع... هؤلاء من الأعضاء القدامى في مجلس قيادة الثورة.

ومعنى هذه التعيينات أن الوضع التنظيمي للحزب قوي وأن الحزب فوق الدولة في العراق.

رابعاً: إستكمالاً لقطع الطريق على أي علامات استفهام يمكن أن تُطرح، يمكن وضع خط أو خطوط تحت عبارة وردت في الخطاب الذي ألقاه الرئيس صدام حسين (بعدما أصبح رئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس قيادة الثورة وأميناً عاماً لحزب البعث) يوم 17 تموز (يوليو) بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لثورة 1968. والعبارة التي وردت في خطاب الرئيس صدام هي: "إستمعتم أمس إلى خطاب الأب والرفيق الكبير أبو هيثم، وإن ما جاء في خطابه هو صيغة متفردة بين كل تجارب العالم. إن نقل السلطة من قائد إلى قائد وبالأسلوب الأخلاقي والدستوري الطبيعي الذي جرى في بلادنا وفي حزبنا وفي ثورتنا حالة فريدة من نوعها بين تجارب العالم القديمة منها والمعاصرة. إنه لم يحدث في التاريخ القديم، ومنه تاريخ أمتنا على إشراقه في التاريخ المعاصر، أن يكون في السلطة ولأحد عشر عاماً قائدان ضمن قيادة واحدة، بخواصها المعروفة لكم من دون أن يؤدي ذلك إلى خلل خطير في المسيرة من الناحية الخلقية أو من الناحية العملية، من دون أن تنتهي العلاقة بينهما إلى إقصاء أحدهما لكي يبقى الآخر، أو أن تؤدي العلاقة إلى ما يجعلنا نملك الأرض دون أن نحظى بنصيب خاص في قيم السماء وقيم التاريخ المشرف والمشرق. وطيلة هذه المسيرة حافظنا على قيم الرجولة والشرف وقدمنا لرفيقنا الكبير والعزيز أبو هيثم كل متطلبات المحبة والإحترام التي يستحقها بجدارة، كرجل مخلص لوطنه وأمته ومخلص لحزبه ومبادئه وقيمه قدم للحزب والأمة خدمات جليلة سيذكرها التاريخ بالتقدير والإكبار".

خامساً: الإنطباع الأولي عن إبتعاد الرئيس أحمد حسن البكر هو أن مديني البعث امسكوا بالقيادة بعدما كانت القيادة بعثية عسكرية - مدنية. لكن طبيعة العمل السياسي داخل الجيش العراقي، حيث أن الجيش مجبر لحساب "حزب البعث"، لا تجعل مثل هذا الإنطباع يسود ويستقر. فالجيش هو جيش الحزب.

ولا يزال ماثلاً في الأذهان ما حدث للشيعيين عندما تجاوزوا الأمر وأنشأوا تشكيلاً سرياً داخل الجيش، حيث أن قيادة "البعث" أنهت هذا التشكيل ومن دون أن تستوقعها ردت فعل الإعدامات التي حدثت ومن دون أن تأخذ في الإعتبار إنعكاس ذلك على طبيعة العلاقات العراقية - السوفياتية وعلاقات العراق

عموماً مع دول الكتلة الشرقية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القوانين الرسمية في العراق تُحرّم صراحة على غير البعثي ممارسة العمل السياسي داخل الجيش.

وفي بدايات حكم "حزب البعث" كانت هنالك تكتلات ومحاور أقطابها جنرالات كبار، لكن قيادة الحزب تمكنت خلال سنوات من إنهاء هؤلاء الجنرالات في شكل أو آخر، وأحلت محلهم ضباطاً بعثيين.

سادساً: على مدى إحدى عشرة سنة لم تسجل تطورات العراق التي يُعلن عنها أزمة بين الرئيس أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين. وعلى رغم أن الصيغة التي حُكم بها العراق كانت في غاية التميز، إلا أنها كانت في الوقت نفسه تفتح بإستمرار الباب أمام كل الإحتمالات، إلا أن أياً من هذه الإحتمالات لم يحدث.

وعندما نقول إن الصيغة كانت متميزة فلأن قوة الرئيس والنائب متوازنة، بل إنه لم يسجل تاريخ الحكم في الفترة المعاصرة أن نائب الرئيس كان في القوة التي كان عليها صدام حسين. ومع ذلك مارس الرجل انضباطه الحزبي إلى اللحظة الأخيرة، من دون أن ينسى مرة مخاطبة الرئيس البكر بـ "الرئيس القائد". ومثل هذه المخاطبة تحدث بين إثنين تكون مسافة القوة ومساحتها بينهما طويلة وليست في غاية الاختصار كما هي بين أحمد حسن البكر ونائبه. وقبل ثلاث سنوات قلّد الرئيس البكر نائبه صدام حسين وسام الرافدين من الدرجة الأولى.

وعندما نقول إن الصيغة التي حكم بها الإثنان كانت متميزة، لا تُسقط من الحساب أن فارق العمر بين الإثنين ربع قرن، أي أن الرئيس البكر ينتمي إلى جيل وينتمي نائبه صدام حسين إلى جيل آخر.

ومثلما أن صدام إلترن بالصيغة على رغم أنه قوي أو القوي، فإن أحمد حسن البكر إلترن أيضاً بتلك الصيغة على الرغم أنه الرئيس.

ومن أجل ذلك فإن هذه الصيغة فضلاً عن إبتعاد الرئيس البكر بالشكل الذي إبتعد به وبيانه الذي ألقاه والخطاب الذي ألقاه الرئيس... هذه الأمور تشكّل فصلاً بالغ الأهمية من التاريخ الذي يضم أدبيات "حزب البعث". وهو فصل مناقض تماماً لفترة بدا فيها الحزب دموياً وشرساً.

ويبقى أن إستقالة الرئيس أحمد حسن البكر تشكّل حالة نقض حادة وواضحة لظاهرة الرغبة في أن تكون الرئاسة مدى الحياة وهي ظاهرة تعم معظم دول العالم

الثالث. وآخر ما يحدث في إطار هذه الظاهرة أن برلمان الرئيس السادات يسن مادة في الدستور تخول السادات أن يبقى رئيساً مدى الحياة. وتشكّل الإستقالة أيضاً نقضاً حاداً وواضحاً لظاهرة الوصول إلى الحكم بدبابة وبلاغ رقم واحد.

يبقى أيضاً أن التطورات الأخيرة في العراق تجعل الذاكرة تعود إلى ما حدث في مصر عام 1967 مع فاروق كبير في الظروف. ففي تلك السنة قرر جمال عبد الناصر في أعقاب الهزيمة أن يتحى لذكرا محبي الدين، إلا أن المصريين رفضوا وجددوا العهد لعبد الناصر. لكنهم في العراق، بعدما قرر الرئيس البكر أن يستقيل بخطبة وداع مؤثرة، ودّعوا السلف بعواطفهم واستقبلوا الخلف بعواطف مماثلة.

... وعلى هذا الأساس فإن صورة البكر الذي كان "الرئيس القائد" وأصبح "الأب القائد". لن تتساقط. فما حدث لا يعني تبديلاً في السياسات. حلّ "أبو عدي" محل "أبو هيثم".*

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 28 يوليو (تموز) 1979

الشاه في مصر

درج الرئيس أنور السادات على أن يستحصل من برلمانه على موافقة دستورية على أي أمر يعرف سلفاً أن من الممكن أن تكون له ردود فعل شعبية. ولأن البرلمان هو برلمان الرئيس السادات فإنه لم يحدث أن طلب الرئيس السادات موافقة على أمر ما دون أن يحصل على هذه الموافقة.

وفي العادة إن الرئيس السادات لا يطلب موافقة دستورية على أمر سيتخذها وإنما على أمر يتخذها ولا يقبل التراجع عنه. وهو لا يتشاور مع البرلمانين قبل أن يعلن عن الأمر وإنما يعلن ليتحول الأمر إلى إرادة رئاسية لا يجوز النقاش فيها. وعلى سبيل المثال إن الرئيس السادات فاجأ برلمانه بأنه سيمنح شاه إيران محمد رضا بهلوي اللجوء السياسي في مصر خلال مقابلة أجرتها معه صحيفة "جويش كرونيكل". ويعرف

(*) للإحاطة بالمزيد من التوضيحات والمعلومات عن هذه الواقعة غير المسبوقة وعن الجانب الشخصي من الرئيس صدام كرب أسرة وكيف يتعامل مع أفرادها زوجة وإبنين

كثيراً ماذا تعني بالنسبة إلى قطاع كبير جداً من المصريين إقامة الشاه على أرض مصر بينما الثورة الإسلامية في إيران تطارده. ويعرف أيضاً أن هنالك مشاعر ضمنية تتأصل يوماً بعد آخر في نفوس أعداد كبيرة من المصريين. ويعرف أيضاً أن الشاه يكون الورقة التي يمكن أن يلعبها ليكسب. ويعرف في الوقت نفسه أن إحتضان الشاه سيترك بصمات مشبوهة على صفحات مضيئة من التاريخ المصري.

إنه يعرف هذا كله ويعرف أشياء كثيرة، ومع ذلك فإنه يصير على إستضافة الشاه وفي الوقت نفسه ينفذ يديه من الآثار التي ستترتب على ذلك بتحميل برلمانه مسؤولية قرار خاطيء.

وفي بداية الأمر قد لا يعترض بعض المصريين على هذه الخطوة ويعتبرون خطوة الرئيس هذه ذكية وأنها نقطة جذب للعملة الصعبة التي في حوزة الشاه ينفقها في مصر بدل أن ينفقها في دول أخرى. ولكنهم في النهاية سيكتشفون الحقيقة وسيرون كم أن إقامة الشاه ليست أكثر من تحديات لسمعة مصر وتاريخها أقدم عليها رئيسهم تحميه مظلة البرلمان المصري الذي لا يناقش في شيء.

كأنما البرلمان المصري هو برلمان الشاه.

مجلة "المستقبل". باريس 28 يوليو (تموز) 1979

"الرجل القوي" في بيته ومع أولاده! (*)

نحن الذين لم نعرف صدام حسين إلا من بعيد، عرفنا فيه أنه "الرجل القوي" من دون أن نعرف شيئاً عن الجانب الشخصي والعائلي فيه. وإستمر هذا الجانب لا نعرفه، بل ولا يعرفه أحد في العراق وخارجه بإستثناء القلة، إلى أن صدر عدد الثامن من مجلة "المرأة" التي ينشرها الإتحاد العام لنساء العراق (عدد تموز/ يوليو 1978) وعلى غلافها صورة ملونة لصدام حسين وعنوان: "المرأة" في ضيافة أسرة السيد النائب. وفي بضع صفحات قدّمت المجلة تفاصيل من داخل بيت صدام حسين ونشرت صوراً عدة له ولزوجته

وثلاث بنات، يُستحسن الإطلاع على كتاب فؤاد مطر المعنون "صدام حسين. السيرة الذاتية والحزبية وأسلوب الحكم وإدارة الصراع. (1937 - 1980).

ولأولاده.

الزوجة هي السيدة ساجدة خيرالله. روى صدام حسين كيف أصبحت زوجته كالآتي: "قصتنا كقصص الكثيرين من الذين يمرون بحياة مثل حياتنا. في العادة يتجه تفكير البنت أو الولد إلى أقرب الناس اليهم. بدأ تفكيري عندما كنت في الرابعة أو الخامسة من العمر حين كانت أمي تقول لي: عندك ابنة خال أعطاك إياها جدك. ولم أكن قد رأيتها آنذاك. إرتكزنا على ذلك الوعد وظل ينمو في تفكيري. وحين هربت من العراق في أعقاب محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم وصدور الحكم بالإعدام عليّ، أبديت رغبتني بخطبتها. وبمجرد أن عرف الأهل برغبتني أرسلوا إليّ خبراً بالموافقة. وأعلنت الخطوبة وأنا في القاهرة وهي في بغداد، ولم يتم الزواج حتى قيام ثورة 14 رمضان وعودتي إلى بغداد. ونحن كعائلة أساس علاقتنا لا تقوم على كم يدفع من المهر مع ابنة العم وابنة الخال. والعلاقة تقوم على تقوية الأواصر في الدرجة الأولى، ومع ذلك نص عقد زواجنا، كشرط من شروط عقد الزواج، على مهر معجل ومؤجل ولكن ذلك لم يكن هو الأساس".

وأكملت الزوجة، التي ما زالت تعمل مديرة مدرسة "لأن الكسل لا يعجبني"، ما رواه الزوج على النحو الآتي: "تزوجنا في 5-5-1963. قضينا معاً خمسة أشهر وبعدها حدثت "ردة تشرين". كنت حاملاً في الشهر الثاني وصدر أمر إلقاء القبض على "أبو عدي" فإضطر إلى الإخفاء. كان مختفياً هنا في العراق أولاً، ثم تسلل إلى سوريا لمهمة حربية ثم عاد متخفياً إلى العراق. بعد 5-9-1964 ازدادت مضايقة الأمن لي حيث كان "أبو عدي" الوحيد الذي لم يكن قد أُلقي القبض عليه بعد من بين الرفاق في القيادة. فانتقلت إلى بيت أهلي، ثم أُلقي القبض على "أبو عدي" وكنْتُ أتردد عليه في معتقله في معسكر التاجي أو دائرة الأمن أو المعتقل رقم واحد، إلى أن أفلح في الهروب من السجن في 23 تموز (يوليو) 1966. وفي شهر تشرين من العام نفسه أُلغيت الدعوى ضده وصدر العفو عنه فانتقلت معه إلى بيت آخر، إلا أنه كان في تلك الفترة كثير الانشغال بالنضال وتوحيد صفوف الحزب والإعداد للثورة وكان لا يبيت في البيت إلا نادراً...".

أبناء صدام حسين هم: عدي (14 سنة) قُصي (13 سنة) رغد (11 سنة) رنا (8 سنوات) والصغيرة حلا. وحول هؤلاء قال صدام حسين: "إنهم خمسة. ولن يضايقني أن يصبحوا عشرة. فأنا شخصياً ضمن الأسرة أحب العدد الكبير" (نحن الآن في منتصف العام 1979).

أضاف: "إن حياتنا من نوع خاص جداً. لا أقضي في البيت أكثر من 3 ساعات يومياً وبعض أيام العطل، لكن المهم هو أن الفترة التي أقضيها في البيت تكون صميمية. من الخطأ أن يفرض الآباء الصمت أو العزلة بحجة التعب. حين أعود ينتظرنني الأطفال من الباب. أُقبلهم. أحتضنهم. ويتحلقون حولي. إن علاقتنا على رغم الفترة القصيرة التي نقضيها معاً صميمية جداً".

وأكملت زوجته: "إنهم يشتركون معه حتى في تغيير ثيابه. كل واحد منهم يتناول قطعة".

ويوضح صدام حسين: "ليس لأنني أميل للكسل. أنا أحب أن أنجز حاجاتي الخاصة بنفسني بما في ذلك شرب الماء. أقوم بشرب الماء متى عطشت ولو أن الجميع يحبون أن يقدّموا لي قدح الماء. إلا أنني أتركهم يفعلون ذلك للمشاركة في البيت".

وقال صدام حسين في معرض الحديث حول الهوايات: "أنا وعدي نلتقي عند قراءة كتب التاريخ العربي والإسلامي. وأحياناً نتبادل الكتب. وأنا ألعب الشطرنج مع عدي الذي يغلبني في كثير من الأحيان. أما قُصي فهو قليل القراءة، ورغد لديها إهتمامات بالقراءة. أم عدي تميل إلى متابعة الأخبار العلمية والطبية وأنا أحضر لها المجلات والمطبوعات العلمية التي تردني إلى المكتب، بينما هي تتولى إطلاعنا على آخر أخبار المنجزات العلمية ونحن على مائدة الطعام. أقرأ كل أنواع الشعر. على رغم أن ساعات عملي تتعارض وساعات البث التلفزيوني لكننا نشاهد معاً برامج الأطفال يوم الجمعة ومسلسل البيت الصغير وقد تابعت مع العائلة بعض مباريات بطولة كأس العالم كما شاهدنا مباراة العراق وإيران إذ كنت مريضاً في حينها...".

وحول المستقبل الذي يرسمه لأبنائه قال صدام حسين: "لست من النوع الذي يؤمن بأن الأب يجب أن يخطط على ورقة مستقبل كل إنسان من أفراد عائلته، ولكني أؤمن بالدفع العام للإتجاهات السياسية حتى يستطيع الأبناء من خلال التوجيه العام أن يختاروا لأنفسهم عند وصولهم إلى مرحلة النضج. وأحب أن أبين شيئاً وأؤكد عليه وأغرسه في ذهن أولادي يتعلق بنقطة لديّ فيها شواهد من حياة المجتمع وهي أنه يجب ألا تتكون لدى الأبناء نزعة وراثة مذهبية عن رب العائلة عندما يكون في موقع متميز في السياسة أو الدولة أو العمل الحزبي. أما بالنسبة إلى البنات الثلاث فأنا كأب لا أفرق بين أبنائي بل إنني في مرحلة طفولتهم أحببت البنات ابتداءً من رغد، وليس لدي أي تصوّر عن تربيتهن يختلف عما قلته

بالنسبة إليهم جميعاً. وإذا ما وُجد تصوّر لدى بعض العوائل بأن البنت عالة فنحن لا ننظر لها على هذا الأساس، وإنما لا نفرّق في النظرة الأبوية بين البنت والإبن. وفي عائلتنا لا أؤمن بالتصور القائل بالبنت يجب أن تلقى التوجيه من أمها فقط، أي بالتقسيم الميكانيكي في التربية. ورغم أن الأولاد في عائلتنا هم الأكبر سناً فإن عموم التربية التي أنشئهم عليها والحديث معهم والسلوك الذي يشاهدونه يقوم على أساس التفاهم. نحن نوصيهم أن تكون العلاقة مبنية على الاحترام. فالصغير يحترم الكبير، والكبير يحترم الصغير. والتنازل عن بعض الخصوصيات ليس تنازلاً إنما هو عمل ضروري في سبيل الإنسجام العام. مع هذا تحصل لدينا تجاوزات ويكون أبطالها عادة عُديّ ورغد....".

وحول كيفية التوصل إلى القرار في البيت قال صدام حسين: "هنالك شيء إسمه الحوار وهناك الرأس القيادي. ولا تُسقطوا من الحساب أنه ما من سفينة بلا ريان. هناك فرق بين الريان والمتسلط. الريان هو الذي لا يستطيع تأدية دوره إلا بأخذ رأي كل من في السفينة، أؤمن إلى النهاية بدور المبادر والدور القيادي غير المتسلط في العائلة أؤمن أن يبقى للرجل ضمن علاقة التفاهم دور قيادي. وهذا المبدأ لا يخل بحقوق المرأة. لا يوجد تقسيم، هذا حقي وهذا حقها. عندما أحضر يكون دوري موجوداً وعندما أغيب يرتفع دورها. وليست هنالك عائلة تعيش على طول الخط بدون وجود مشاكل وخلافات تجري مناقشتها، ولكن يجب أن يكون ذلك ضمن إطار عام هو التفاهم. والنشء المهم في العلاقات الزوجية أن يتجنب الرجل إشعار المرأة بأنها مغلوبة على أمرها لأنها امرأة وهو رجل، فإذا شعرت بذلك إنتهت حياتها كأسرة".

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 28 يوليو (تموز) 1979

رياح التعقل ومشكلة الصحراء

من المهم أن تشجع الدول العربية رياح التعقل الهادئة التي تهب على الصحراء في المغرب العربي. فالتشجيع معناه إبعاد شبح الحرب عن هذه المنطقة وهو أمر لا بد تتوق إليه كل الأطراف المتشابكة في مشكلة الصحراء.

وقبل الموقف المستجد الذي إتخذته موريتانيا لم يكن من السهل إطلاق مثل هذه الدعوة، لكن إختيار

موريتانيا هذا الموقف المتعقل وإستعدادها للحوار مع البوليساريو والإعلان عن أنه ليس لها مطالب في الصحراء وأنها فضلاً عن ذلك لا تريد الحرب... إن مثل هذا الموقف يبدو إذا جاز التعبير تأشيرة دخول واضحة إلى قلب المشكلة.

لكن الموقف الموريتاني وحده لا يكفي. هنالك موقف المغرب الذي يحتاج إلى جهد عربي لجعله يكتسب بعض المرونة. ولا بد أن هذا الجهد المطلوب بذله مع الملك الحسن الثاني من شأنه أن يقود إلى وضع يمكن أن يسهّل فيه الحوار ويثمر.

وحتى الآن يبدو المسعى الذي بذله الحكماء الأفارقة هو المسعى الأفضل. فهؤلاء تركوا الأمر إلى إستفتاء يقرر فيه شعب الصحراء انتماءه. ومثل هذه الخطوة ليس بالضرورة أن تُقلّ أهداً لأنها عاقلة وعادلة. لكن الذي سيحدث أن هنالك من سيقف في وجه هذه الخطوة ليس حباً بالصحراء وشعبها وإنما في سبيل تنفيذ ثارات قديمة.

وبكثير من التبسيط يمكن القول وفي ضوء الموقف الموريتاني المستجد أن عدم التجاوب مع الحل الأفريقي يعني المزيد من الحشود والمزيد من العمليات الفدائية والمزيد من الدم والأسرى والمفقودين، أي أنه يعني المزيد من التعقيدات التي ستؤدي في النهاية إلى حرب لا تنتهي وإلى مآزق لا يمكن إيجاد حلول لها.

أما التجاوب فمعناه أن السلام سيبسط نفوذه في منطقة المغرب العربي ومعناه أيضاً أن الإشكال التاريخي بين المغرب والجزائر سيجد له مخرجاً وستعود العلاقات بين الدولتين قوية وجيدة. وإلى ذلك، إن التجاوب سيعني فك آلة الحرب التي تستنزف أموالاً من الواجب انفاقها في التنمية، خصوصاً أن منطقة المغرب هي في أشد الحاجة إلى المزيد من التنمية.

إن تأمين حق تقرير المصير لشعب الصحراء هو أبسط ما يمكن أن تقدّمه الدول العربية لهذا الشعب من دون أن يتسبب ذلك في إغضاب فريق وإرضاء فريق. وواضح أن مثل هذا الأمر يبدو ممكناً لأن الدول العربية ليست منقسمة، أو على الأقل لم تعد منقسمة في شكل أو آخر إزاء المشكلة. فلا يمكن تصنيف دول عربية ما على أنها مع المغرب أو مع الموقف الجزائري الذي يتبنى قضية البوليساريو.

وفي الفترة التي سبقت الصلح المصري - الإسرائيلي كانت هنالك تحالفات ومحاور، بل إن لعبة الصراع إقتضت أن تكون هنالك دول عربية تقف مع

المغرب ودول أخرى تقف مع الجزائر، لكن الصلح ومن قبله حركة التغيير الضخمة التي حدثت في إيران جعلت هذه الدول تعيد النظر في كثير من المفاهيم ووضعت أولويات لمشاكل جديدة ليست مشكلة الصحراء واحدة منها في أي حال.

ومما لا شك فيه أن مثل هذا التبدل هو لمصلحة حدوث انفراج في قضية الصحراء، إنما المهم هو سرعة التحرك لتحقيقه. وقد يكون في تحرك الدبلوماسية الكويتية تدعماً السعودية ما من شأنه أن يحقق الكثير. وفي الفترة الماضية تحركت الدبلوماسية الكويتية في أكثر من اتجاه وحقق بعض الإنجازات حيث تحركت وبدلاً من ترك الأمور تأخذ مجرى التحديات بعد الموقف الموريتاني المستجد فإن التحرك العربي كفيل بتحقيق انفراجات ملموسة، ذلك أن نوعية المخاطبة هي الأساس الآن.

وإلى ذلك إن جهداً ولو جاء نسبياً يبذله الأمين العام للجامعة العربية يمكن أن يفيد كثيراً خصوصاً أن مشكلة الصحراء قريبة من الأمين العام مكاناً ومشاعر. ويبقى أنه سيكون مستغرباً أن ندعو العالم إلى ضرورة مساعدتنا في تأمين حق المصير للشعب الفلسطيني ولا يكون هنالك سعي من أجل تأمين هذا الحق لشعب الصحراء خصوصاً أن المسيرة الخضراء لم تحسم المشكلة.

هل يبدأ الجهد العربي للاستفادة من رياح التعقل الهادئة الناشئة عن الموقف الموريتاني المستجد من قضية الصحراء؟

إن الجميع يتمنون ذلك. بل إنهم يتمنون حدوث التحرك قبل أن تعود الرياح عاصفة ويتجدد سقك الدماء العربية فوق صحراء عربية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 11 أغسطس (آب) 1979

* * *

الخميني المدني.. واللعبة الخطرة

ليس مصادفة ظهور شاهبور بختيار المفاجيء في باريس. وبالتحديد ليس مصادفة ظهور الرجل في اللحظة التي بدأ العراق يعيش ظروفاً قاسية في بعض جوانبها.

ومثلما أن ظهور بختيار المفاجيء ليس مصادفة، فإن الكلام المتزايد عن احتمال عودة الشاه إلى إيران،

وإعلان الرئيس السادات منحه حق اللجوء في مصر ليس أيضاً مصادفة. إن هذين الأمرين وما يرافقهما من جزئيات هما جزء من لعبة مدروسة ومخطط لها تستهدف إزالة آثار الصحو الإسلامية التي أحدثها نجاح الثورة في إيران.

والذين وضعو المخطط أخذوا في الاعتبار جملة أشياء منها أن يكون هنالك "خميني مدني" وأن هذا الخميني المدني يمكن أن يكون شاهبور بختيار.

وتستوقفنا هنا مسألة أساسية حول أن الظهور المفاجيء لبختيار ليس مصادفة. فالرجل في فرنسا منذ أشهر. وما قاله كان يمكن أن يقوله منذ أن استقر به المقام خارج بلاده. وإذا فإن ظهوره، أو إظهاره، مرتبط بخطة مدروسة. وقد يستتبع الظهور تحويل مكان إقامته إلى "محبة مدنية" تلغي من الأذهان هالة "المحبة الدينية" التي كانت للإمام الخميني في "توفل لو شاتو".

بل إن بختيار يحلم بالدور التاريخي، ويحلم بالعودة التاريخية إلى إيران المماثلة لعودة الإمام الخميني. وهو لم يخف حلمه عندما قال رداً على سؤال في المؤتمر الصحافي الذي عقده في باريس "إن شارل ديغول عمل من الخارج لتحرير فرنسا أثناء الاحتلال النازي".

ويلاحظ أن بختيار يلعب ورقة الحرية والديمقراطية والوضع الإقتصادي وهي أوراق يمكن أن يستوعب معانيها المواطن الأوروبي ويستقبلها بنظرة إيجابية. لكن مثل هذه الأوراق تنطبق على الحكم في إيران لو كان الحاكم هو الشاه وليس سلطة الإمام الخميني. ومن المؤكد أن كلام بختيار كان سيبدو مؤثراً لو أنه لم يتوقف سوى عند السلبيات في ما يحدث في إيران ولها تحت مظلة الحكم الثوري الإسلامي. ذلك أن هنالك إيجابيات كثيرة حققتها الثورة الإسلامية ولا يجوز لأي رجل دولة من نوعية بختيار إسقاطها أو تجاوزها مهما كانت حساسيته، كرجل مدني، من رجال الدين الذين يسيطرون نفوذهم الآن على إيران.

وأياً كان تأثير كلام وموقف الاتجاه العلماني الذي يقوده بختيار على الناس فإن هذا الاتجاه سيزداد نمواً، فالإعلام العالمي الذي كان لا يتحدث سوى عن الخميني والتفاعلات التي تحدث في إيران سيضيف بعض إهتمامه بعد الآن على أي كلام يصدر عن بختيار. بل إن هذا الإعلام سيرتاح بعض الشيء لأنه بدل أن يتصدى مباشرة للخميني وينتقد ممارسات تحدث في إيران تحت مظلة الحكم الثوري الإسلامي

يكفيه أن يمارس التصدي والنقد عن طريق نشر كلام وتصريحات بختيار.

وللمناسبة، هنالك ممارسات تحدث في إيران تساعد بختيار على أن يتوسع في النقد وفي إستكمال رسم لوحات السلبيات. وبقدر ما يتضاءل حجم هذه السلبيات بالقدر نفسه يخفت صوت الذين قرروا خوض الحرب العلمانية ضد الثورة الدينية في إيران.

وإذا جاز التصنيف فإن هنالك نوعين من السلبيات يبدو أنهما يشكّلان مخاطر على الثورة في إيران: نوع مرتبط بهيكلية الحكم والنوع الآخر متصل بالحياة الاجتماعية.

بالنسبة إلى النوع الأول إن الثورة الإسلامية في إيران تمارس ما يمارسه أي مجلس قيادة ثورة عسكري. وبمعنى آخر إن ما يحدث في إيران حدث مثله في أي دولة عربية أو دولة من دول العالم الثالث قامت فيها حركة تغيير على أيدي مجموعة من الضباط شكّلوا مجلس قيادة ثورة. لمجرد أن تتجج الحركة ببسط الضباط نفوذهم على كل شيء، ليس رغبة في بسط النفوذ، أو ليس فقط لرغبة في بسط النفوذ، وإنما نتيجة المخاوف من جهة وعدم الثقة بالآخرين من جهة أخرى، فضلاً عن مشاعر ناشئة عن أنه ما دام هؤلاء الضباط إرتأوا تحمّل المخاطر ونفّذوا عملية التغيير التي كان يمكن أن تكلفهم حياتهم لو فشلت فإن من حقهم أن يسودوا. ونتيجة لذلك كله تحدث خلخلة لأن قاعدة أهل الثقة وليس أهل الخبرة تتسبب غالباً في إرتباكات الحكم.

ولقد حدث في إيران ما حدث في دول عربية ودول عدة في العالم الثالث. آيات الله الخمينيون يمارسون ما مارسه الضباط على أساس أن الثورة ثورتهم وأنهم أحق من الآخرين بأن يحافظوا عليها. وفي ذلك ينسى هؤلاء مثلما نسي من قبلهم الذين قاموا بحركات تغيير عن طريق العسكريين، أن الثورة ما كان لها أن تتجج لولا إلتفاف الناس حولها. وإذا فإنه من الضروري معرفة ماذا يريد الناس من وراء إلتفافهم وترجمة ذلك إلى أفعال. لكن الذي يحدث في إيران أن آيات الله الخمينيين يفرضون ما يرون هم شخصياً أن الناس يريدونه. وبصفة كونهم رجال دين فإنهم يتصورون الأمور كلها على أنها مسجد وصلوات وتصوّف وإبتعاد عن ملذات الدنيا وإتصال مستمر بالله وتقشّف وتعبد.

وهذا يقودنا إلى الأمر الآخر وهو الأمر الاجتماعي. ففي كل يوم يحدث في إيران ما يدعو إلى الإستغراب.

وقبل فترة تقَرّر على سبيل المثال منع الموسيقى. ومثل هذا الأمر طبيعي إذا كان الهدف تحويل كل إيران إلى مجتمع آيات، أما إذا كان الهدف تحقيق إصلاح اجتماعي فإن منع الموسيقى لا يخدم هذا الهدف. وفي التبرير الذي سمعناه من بعض الخمينيين أن نسبة الذين يستمعون إلى القرآن وصلت إلى حد واحد في الألف أما بقية النسبة فإنها للذين يسمعون الموسيقى الغربية والشرقية، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن في الترتيل لحناً موسيقياً سماوياً، كذلك في الأناشيد النبوية. وما يقال حول الموسيقى وحول أشياء كثيرة متصلة بالحياة الاجتماعية يبدو واضحاً أن عامل السرعة يرافق نشرها. وقد يكون مرد ذلك إلى أن الإمام الخميني يأخذ في الإعتبار سيئته ويتطلع إلى أن يرى المجتمع الأمثل الذي يحلم به وقد تحقّق قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر. ولكن هذا التحرك العلماني المصير ضد الثورة الإسلامية في إيران ليس كل شيء وإنما هنالك موقف الثورة الإيرانية الذي إتخذته لمصلحة الثورة الفلسطينية. ولا يجوز إستبعاد التحليل الذي يقول إن الولايات المتحدة تتقدّ منذ بعض الوقت إستراتيجية تقوم على أساس إحداث فجوة بين الثورتين بهدف عزل الثورة الإيرانية وإقفال أجواء عمقها العربي. بل إن التحليل المشار إليه مبني على أساس أنه إذا قبلت الثورة الفلسطينية بما هو دون ما تنتظر إليه الثورة في إيران فإن الفجوة لا بد ستحدث. ونظرة الثورة في إيران إلى مستقبل الثورة الفلسطينية نظرة ثابتة وبعيدة المدى وليست تكتيكية كما يمكن أن يحدث من جانب الولايات المتحدة.

وهنا يبرز سؤال: ولماذا هذه الهواجس من جانب الولايات المتحدة إزاء الثورة الإسلامية؟

والجواب هو أن في إستطاعة الولايات المتحدة إحداث تناقضات في أي تيارات ذات طابع أو هدف قومي. لكن من الصعوبة بمكان مواجهة أي مد إسلامي كذلك المد الذي أحدثته الثورة الإسلامية في إيران. ومن أجل ذلك فإنها تبدو مستعدة لتفهم أي تحركات من نوع تحرّك بختيار وغيره، ومستعدة لمؤازرة هذه الحرب العلمانية في شكل أو آخر خصوصاً أن هؤلاء العلمانيين يستهدفون في الدرجة الأولى إسقاط الثورة الإسلامية وليس تصحيح مسارها.

وتبقى حقيقة أساسية هي أن إسقاط الخميني سيكون أكثر إثارة من إسقاط الشاه. فالشاه نظام له جذوره. أما الخميني فإنه صحوة. ولأنه صحوة فإن الولايات المتحدة

لا تريد له أن يستمر. بل إن الدول الكبرى كلها لا تريد له الإستمرار. ولقد نجحت الإدارة الأميركية حتى الآن في أن توسّع فجوة التناقضات الإيرانية - العربية، حيث أن الحوار العربي المطلوب لم يحدث بالشكل الواعي الذي يمكن أن يتحول إلى علاقة عضوية. جاء دور السعي للإنقضاخ على هذه الثورة قبل أن تسود ويصبح في قدرتها تحريك مشاعر المسلمين حيث وُجدوا في العالم.

وسواء كان ظهور شاهبور بختيار جزءاً متفاهماً عليه من هذا السعي أم أنه ظهور عفوي فرضته ظروف أمنية من جهة وإستكمال تراكم السلبات داخل إيران من جهة ثانية، فإن الظهور يعني أن حرب العلمانيين ضد ثورة الخميني قد بدأت.

ومن المهم أن تحدد الدول العربية موقفاً من فريقين الحرب، علماً بأن هنالك موقفاً ضمناً محدداً سلفاً وهو أن أكثرية هذه الدول مع "الخميني المدني" الذي يحلم بالعودة إلى إيران أي مع بختيار أو ما يمثله. وهي معه لسبب بدهي هو أنها بعد مرور ستة أشهر وبضعة أيام على نجاح الثورة الإيرانية لم تؤكد أنها مع "الخميني الإمام" فضلاً عن أن بعض هذه الدول يتحرك منذ ذلك الحين بما يمكن أن يجهض الثورة الإسلامية.

وتكراراً، إن كل المحاولات لضرب ثورة الخميني قد تُضرب إذا لم يحدث التناقض الأساسي بينها وبين الثورة الفلسطينية وهو ما يجري تنفيذ مضمون إستراتيجيته. وليس أمامنا سوى إنتظار اللعبة التي ظهر فجأة في باريس شاهبور بختيار ليجرب حظها فيها. واللعبة في غاية الخطورة على أي حال.

مجلة "المستقبل". باريس - الخميس 11 أغسطس (آب) 1979

كارتر الفلسطيني

قياساً بنوعية العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل وبالمواقف السابقة للرئيس كارتر، فإن أي كلام يقال حول رغبته بإيجاد حل معقول للقضية الفلسطينية يقابل من جانب أهل القضية والمتعاطفين معها بالتحفظ. بل إن هؤلاء يفترضون عندما يسمعون كلاماً معقولاً من جانب الرئيس كارتر، أن في الأمر كميناً يتم نصبه أو ثغرة يجري العمل في سبيل فتحها في جدار الصمود وعدم التفريط بالحق والنضال المستمر في سبيله.

ومن حقنا أن نفترض ذلك لأننا على مدى عشرين سنة لم نشعرنا بالولايات المتحدة بوقفة موضوعية، فهي دائماً إلى جانب إسرائيل، وهي لا تفكر بغير أمن إسرائيل، بل إنها بإستمرار، كانت مستعدة للمحاربة إلى جانب إسرائيل إذا تطلّب الأمر كذلك.

وإذن، فإن أي تبدل، ولو كان هذا التبدل طفيفاً في موقفها يقابل من جانب العرب بالحدز. وهكذا، إذا سمعنا أن الولايات المتحدة إتخذت موقفاً صلباً إلى جانب إسرائيل نصّ ذلك على الفور، في حين أننا إذا سمعنا أنها في صدد انتهاج الطريق إلى موقف عادل للقضية الفلسطينية لا نصّ ذلك، حتى وإن كان في الأمر ما يؤكد ذلك.

وإذن، إن المسألة مسألة ثقة مفقودة من جانب العرب. مسؤولية فقدان الثقة تقع على عاتق الولايات المتحدة لا على العرب. فهي عوّدتنا على ألا ننق، وهي أكدت لنا بإستمرار أنها مع إسرائيل، وأنها مع العرب بقدر ما يكون العرب راضين بمساندتها لإسرائيل، وهي أيضاً لم تترك دولة عربية تقف بصلاية إلى جانب القضية الفلسطينية إلا وأتعبتها وعاقبتها وحاولت التدخل في شؤونها.

وفي هذه الأيام يتزايد الحديث عن تبديل محتمل في الموقف الأمريكي، وبدأ الحديث يطغو على أحاديث التدخل العسكري الأمريكي المباشر في مناطق النفط. ووصل الحديث إلى نقطة بالغة الأهمية عندما قال الرئيس كارتر في مقابلة صحافية إن القضية الفلسطينية تشبه حملة الحقوق المدنية في الولايات المتحدة.

وكان رد فعل إسرائيل حاداً. هنالك من إحتج وهنالك من أبدى ضيقه وأسفه، وهنالك من عبّر عن منهجية وصلف وغرور كما فعل أحد مساعدي مناحيم بيغن الذي قال: "إننا موجودون ولا نتطلع لأن يعترف أحد بوجودنا. إنها إهانة للإدراك". وفي الماضي سجّل الرئيس كارتر مواقف لا ترضى عنها إسرائيل، وإزاء عدم الرضى تراجع عن هذه المواقف. لكن المواقف السابقة ليست في مستوى الموقف الجديد وأهميته، فضلاً عن أن عدم الرضى الإسرائيلي في السابق ليس في مستوى عدم الرضى الراهن. وهذه المرة لن يكون التراجع سهلاً أمام الرئيس كارتر.

وإزاء هذا الموقف الأمريكي الجديد، ما الذي يمكن أن يفعله العرب؟

هل يعتبرون الأمر مجرد كمين يحاول الرئيس كارتر أن ينصبه لهم ويمتنع به ضيقهم الذي لا بد

سيترجم إلى مواقف نفطية وإقتصادية؟

أو، هل إنهم يعتبرون الأمر مجرد حلقة في مسلسل اللعبة الانتخابية الأميركية يضغط بها كارتر على إسرائيل ويشترى بتخويفها الأصوات التي تؤمن له التجديد المريح بعد أشهر؟

وهل إنهم إزاء ذلك يقفون موقف المتفرج على هذا السجال الأمريكي - الإسرائيلي، ولا يقتحمون الساحة إلا عند إنتهاء هذا السجال؟

وهل يواصل العرب التذكّر بأن الرئيس كارتر كان قادراً على أن يفعل شيئاً للقضية الفلسطينية ويقول الكلام الذي قاله من دون أن يحدث ذلك الإنقسام المريع في العالم العربي ويعزل مصر عن المجموعة العربية؟

من المؤكد أن الموقف المستجد للرئيس كارتر لم يأت إختياراً وجاء نتيجة ضيق الأصدقاء التقليديين للولايات المتحدة في المنطقة العربية. كما جاء نتيجة مخاوف من أن يدفع الرئيس كارتر ثمناً باهظاً للصالح المصري - الإسرائيلي.

وبدلاً من التفرج وإعتبار أن التسليم بصدق نوايا الرئيس كارتر يعفي الرئيس السادات من بعض ما فعله... بدلاً من هذا كله، من المهم جداً الإستفادة من الموقف الأمريكي المستجد. والإفادة تكون بالمزيد من الإلتفاف حول موقف عربي موحد، وتفعيل قنوات الإتصال مع الإدارة الأميركية. ويبقى أن معركة التجديد للرئيس كارتر لا تتم بأصوات اليهود ورضى إسرائيل فقط، وإنما بنفط العرب وثروتهم ورضاهم. وكأنما الرئيس كارتر، بموقفه المستجد، يريد أن يقول ضمناً للعرب: مزيداً من الضغط يبلور الموقف المستجد ويجعله حقيقة. هل نفعل؟

فلنكن تجربة لن نخسر منها شيئاً إذا كنا لن نستفيد. ففي النهاية إن الرئيس كارتر هو الذي سيتحمل النتائج.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 18 أغسطس (آب) 1979

نظرة جديدة ودور أكبر

درج العقيد معمر القذافي على أن يحدد بنفسه وبعيداً عن الطقوس البروتوكولية اسماء الذين يرى أن يشاركوه في إحتفاله بذكرى ثورة الفاتح من سبتمبر.

وكان في إستمرار حريصاً على أن يقدم قادة حركات التحرير في العالم إلى جانبه في المناسبات الماضية. في الذكرى العاشرة سيكون هناك حكام ومسؤولون عرب بعضهم لم يسبق له أن زاروا الجماهيرية الليبية. وهنالك بعض البعض الذي ساد إنطباع بأنهم لن يزوروا الجماهيرية ما دامت ثورة القذافي في نظرهم تخطط للتدخل في شؤونهم وقلب أنظمتهم.

ولولا الجولة التي قام بها العقيد القذافي وشملت ثلاثة أرباع العواصم العربية لكان الإنطباع الذي نشير إليه سيستمر قائماً، بل وراسخاً. ولكن هذه الجولة كانت ضرورية لأنها بما تخللها من إستقبالات وإهتمامات على الصعيدين الرسمي والشعبي أدخلت تعديلاً أساسياً على نظرة العقيد القذافي للآخرين. ومثل هذه النظرة تشكّل عنصراً مساعداً في الإستراتيجية التي يسعى القذافي من أجل وضعها، والتي كان الهدف الأساسي من جولته هو تجميع القواسم المشتركة بحيث يمكن وضع الأساس لتلك الإستراتيجية. ولا نظن أن أسلوب التصنيف الذي كان قائماً في الماضي سيستمر في هذه الجولة. كذلك لا نظن أن صورة الماضي ستستمر هي القائمة. تلك خيارات تكتسب بعض الخصوصية وليس بالضروري أن تكون هي قاعدة بناء العلاقات وتطويرها. وإلى ذلك فإن هذه التطورات التي تعيشها المنطقة العربية أفرزت بعض البدهيات، بل ووضعت مبادئ عامة للعمل الوطني، وأكدت هذه التطورات أن التصنيف السليم في المرحلة الراهنة هو: من مع القضية الفلسطينية ومن هو ضدها. أو من هو الصامد ومن هو غير الصامد.

ثم من المؤكد أن مفاهيم جديدة أفرزتها تلك الجولة. ونعتقد أن العقيد القذافي لن يترك هذه المفاهيم من دون توظيف.

وهنا يبرز السؤال: لقد عرف العرب العقيد القذافي خلال السنوات التسع الماضية "رجل الثورة" فهل أنهم مع بداية الذكرى العاشرة سيعرفون فيه "رجل الدولة". ومثلاً أنه لم يكن ثورياً تقليدياً فإنه لن يكون رجل دولة تقليدياً أيضاً. وإذا عمل وقاد بالحماسة التي تميز بها في السنوات السابقة فإن دوراً متألفاً يمكن أن يمارسه. وفي خلال هذه السنوات بذلت جهود مضيئة من أجل بناء جيش ليبي قوي وجّهز. وجرى حملة تدريب على إستعمال السلاح شملت معظم الشبان الليبيين. وبعدها كانت ليبيا دولة يتندر الآخرون على قوتها العسكرية وجيشها، أصبح يُحسب لها حساب.

زال على قناعاته بأن الوحدة حتمية وقد تنقضي سنوات أخرى ولا تتحقق الوحدة. إلا أن قناعات القذافي لن تتأثر. فالوحدوي بداية لا يمكن أن ينتهي غير وحدوي مهما كانت الصدمات.

وفي المقابل يبدو القذافي أكثر ثقة بالنفس لأن مفاهيمه الإسلامية التي بشر بها منذ السنتين الأوليين لقيام الثورة بدأت تسود، بل إنها قد تحولت إلى قضية في بعض الدول التي كانت تعترض على هذه المفاهيم ويشكل الاعتراف بالتالي عقبات في سبيل تطوير التعاون السياسي. وإلى ذلك فإنه عندما نادى بالثورة الشعبية إستقبل البعض ذلك بالإستغراب ثم جاءت الثورة التي شهدتها إيران لتؤكد صدق حدسه.

ونعود إلى ما بدأناه وهو أن الذكرى العاشرة قد تكون، أو أنها يجب أن تكون، بداية ولادة مفاهيم جديدة بالنسبة إلى الآخرين. مفاهيم ونظرة تُتهي أسلوب التصنيف الذي ساد في الماضي وهو: هذا رجعي وهذا ثوري... الخ.

وإنهاء مثل هذا الأسلوب يمهّد الطريق أمام دور أكثر تأثيراً في صنع القرار العربي. فالقرار العربي دائماً باهت لأنه يخلو من الإطمئنان ويستند فقط إلى موجبات ومفاهيم محورية. ونعتقد أنه قد آن الأوان لكي تتبدل النظرة. وفي جولته الأخيرة لمس العقيد القذافي، أو بالأحرى لأبد أنه لمس ماذا يعني إطمئنان الآخرين له وإلى أنه لا يخطط من أجل تصدير الثورة لقلب الأنظمة. وهذا الإطمئنان على سبيل المثال هو الذي جعل تقييم القذافي وتقييم أهل البلاط السعودي للموقف واحداً.

وتبقى كلمة نقولها في الذكرى العاشرة لثورة الفاتح من سبتمبر وهي: لقد أصبحت الجماهيرية الليبية دولة مواجهة أساسية. ولأنها أصبحت كذلك فإن دورها بات أكثر خطورة من قبل وبات الخطر عليها أكثر أيضاً. ولذا نعتقد أن على الحناجر الليبية في الأجهزة الإعلامية أن تتفهم حقائق الواقع الجديد وتعيد النظر كثيراً في الحماسة وفي الكثير من العبارات... بل في معظم العبارات.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 سبتمبر (أيلول) 1979

محنة نقابة الصحافة في مصر

على رغم أوضاع صعبة عاشها بعض رجال

ولقد كانت الحرب الليبية - المصرية حافزاً لكي يضاعف العقيد القذافي جهده من أجل تطوير القوات المسلحة وتعزيزها. وفي السنتين اللتين تلتا تلك المواجهة المفجعة حدث المزيد من التدريب والمزيد في التسليح. وهنالك سعي لا يتوقف من أجل أن تكون الجماهيرية دولة نووية.

ولعل الجماهيرية هي الدولة الوحيدة بين الدول التي تعتمد في تسليحها على السوفيات، والتي إستحدثت أسلوب تعامل مع الإتحاد السوفياتي يبقيه في منأى عن تداخلاته المألوفة مع الدول التي يسلمها. ومنذ البداية كان العقيد القذافي حريصاً على نمو هذا المناخ ومن أجل ذلك فإن العلاقة متوازنة إلى حد كبير. وللمناسبة فإن الجماهيرية الليبية هي الدولة الوحيدة تقريباً التي طلبت أن تأتي قطع غيار الطائرات والدبابات والشاحنات وبقية أنواع المعدات العسكرية أولاً وذلك حتى لا تكون قطع الغيار وسيلة ضغط ويحدث مع القذافي ما حدث مع كثيرين. والجماهيرية هي الوحيدة أيضاً التي رفضت أن يكون هناك تقسيط في المشتريات على رغم إلحاح السوفيات، ومعنى ذلك أنها سيدة قرارها. بل إن العقيد القذافي هو الإستثناء في قاعدة التعامل الفكري، حيث أنه وضع نظرية تستهدف مواجهة الماركسية في النهاية، بل وتستهدف مواجهتها أولاً وأخراً وفي الدرجة الأولى، وإحترم السوفيات توجهاته تلك.

وفي الذكرى العاشرة تبدو النظرية العالمية الثالثة مكتملة بعدما صدر الفصل الثالث من "الكتاب الأخضر" الذي يتضمن "الحل الإجتماعي". وكان أصدر وطبق الفصل الأول الذي يتضمن حل "مشكلة الديمقراطية" والفصل الثاني الذي يحدد النظرة إلى الاشتراكية ويتضمن "الحل الإقتصادي".

وعلى رغم التعثر الذي رافق ثورات القذافي في الداخل إلا أنه يبدو مصمماً أن تبلغ الثورة التي إستحدثها في التعليم وفي الزراعة الهدف الذي يطمناه. اما خطط التصنيع التي يتواصل تنفيذها فإنها خففت بعض الشيء مشاعر الخوف من نزوب ثروة النفط وليس هنالك بدائل لها.

ولكن تبقى الوحدة هي الأمل المنشود على رغم الصد الذي يلاقيه العقيد القذافي في كل مرة يطلب الوحدة أو يعرضها. وقد يكون الألم الذي يعتصر في نفسه لأن الوحدة لم تتحقق بعد على رغم هذه السنوات الطويلة على ثورته من نوع الآلام الموجهة. ولكنه ما

الصحافة في مصر خلال فترة حُكم جمال عبد الناصر وكان السيد أنور السادات في تلك الفترة مسؤولاً إلى حد كبير عن هذه الأوضاع الصعبة، إلا أن العمل الصحافي إستمر راقياً ومتألقاً ولم تحدث هجرة صحافية كتلك الهجرة التي حدثت بعد ذلك. والأهم من هذا كله أن الصحافيين إستمرت لهم نقابتهم وبقيت للنقابة هالتها وإستمر لها دورها بأفائه عربياً ودولياً.

وفي فترة حُكم عبد الناصر كان الإجراء الذي يُتخذ غير مزاجي لأن الرئيس عبد الناصر كان يقرأ بنفسه، وإذا إعترض فعلى ضوء إستنتاج ما يقرأه وليس على ضوء إستنتاج الآخرين.

والزملاء الذين درج الرئيس السادات على الإجتماع بهم منذ أن تسلّم الحُكم يتذكرون الإجتماعات التي كان يعقدها معهم أيام أوكل إليه الرئيس عبد الناصر مهمة الإشراف السياسي على الصحافة. وعندما يقارنون بين أسلوب المخاطبة في تلك الفترة ثم أسلوب المخاطبة بعد ذلك يتبين لهم أن الأسلوب واحد والنظرة واحدة وهي نظرة ليست ودية في أي حال.

وفي الفترة التي تسلّم فيها الرئيس السادات الحُكم درج عدد من رجال الصحافة في مصر على أن يكتبوا في إستمرار وبأسلوب لا يخلو من التهكم عن الرأي الواحد أيام عبد الناصر وعن الصحافيين الذين إنتهوا موظفين في مصانع منها مصنع أحذية "باتا" لكن حُجج هؤلاء باتت واهية جداً بعدما أعلن الرئيس السادات أمامهم ومن دون أن يناقشه أحد رغبته في إلغاء نقابة الصحافة في مصر.

وقد لا يشعر بالغبن وبأهمية الدور الذي تلعبه النقابة أولئك الذين يشكّلون القيادة الإعلامية في مصر وهم أفراد، إلا أن الأكثرية الساحقة من أبناء الجسم الصحافي ستشعر أنها ستصبح في حال إلغاء النقابة من دون سبب يحميها.

وإذا كان الصحافيون المصريون ناضلوا طويلاً كثيراً من أجل أن تكون نقابتهم أكثر تطوراً وأكثر فعالية بالنسبة إلى حمايتهم، فإنهم بعد الآن سيجدون أنفسهم إذا نفّذ الرئيس السادات رغبته يطالبون ويناضلون من أجل أن تكون لهم نقابة.

والملاحظ أنه منذ البداية كان هنالك إتجاه في سبيل إلغاء النقابة علماً بأنها لم تمارس ما من شأنه أن يُقلق النظام. إلا أن هاجس السادات من الزملاء المهاجرين أو المهجّرين كان يتفاعل في إستمرار، الأمر الذي جعل النظام يفكر في حسم المسألة بالشكل الذي

حُسمت فيه، أي إلغاء النقابة وتحويلها إلى ناد. ومن الضروري تسجيل بعض المحطات التي إجتازتها رغبة الرئيس السادات في إلغاء النقابة قبل أن يعلنها أمام القيادات الإعلامية قبل أيام. ففي هذا التسجيل، فضلاً عن أن نص مذكرة أرسلها أحد الزملاء في مصر مع التمنيات بنشرها الممنوع في مصر، ما من شأنه أن يوضح الكثير.

ونبدأ بالمحطات:

أولاً- بعدما بدأ الرئيس السادات تحرّكه في إتجاه الحل السياسي حدث إنقسام في الجسم الصحافي إزاء هذا التحرك. ووجد عدد كبير من الصحافيين تعزّزت في نفوسهم قناعات بالممارسة الديمقراطية التي يعتمدها الرئيس السادات بأن الرئيس ليس مع تعدّد الرأي إلا إذا كان هذا الرأي في إتجاه التأييد.. والتأييد الكامل.

ثانياً- عندما أصبح الحل السياسي حقيقة قائمة بدأ عدد كبير من الصحافيين يعيشون حالة معاناة وطنية وهو أمر ضاق النظام به ذرعاً. ثم تبين لهؤلاء أن الرقابة أشد قساوة وشراسة وأنه غير صحيح أن هنالك حرية رأي فبدأ يفكر عدد منهم بالتصدي، وقرر عدد آخر التوقف عن الكتابة، وإختار البعض مغادرة مصر إلى الخارج.

ثالثاً- لم يتحمل الرئيس السادات هذه الظروف التي تسود الصحافة المصرية وبدأ في كل مرة يجتمع فيها إلى رؤساء التحرير ورؤساء مجلس الإدارة يهاجم ويتوعد. وعندما قوي صوت الذين يكتبون في الخارج بدأ يطلب من النقابة الإقتصاص نقابياً من هؤلاء. ولما لم تقتص النقابة بدأ يطالب في خطبه بـ "تطهير الجسم الصحافي من الذين باعوا شرفهم وأقلامهم وخانوا مصر".

رابعاً- لم يحدث شيء مما يريده الرئيس السادات. وعندما عقد صلحاً مع إسرائيل بدأ يدرك محاذير أن النقابة غير متجانسة مع سياسته. وسعى من أجل نقيب ينفّذ له ما يريد، أي يكون نقيباً لسياسته وليس لمصلحة المهنة ورجالها. ووقف أمام وضع بالغ التعقيد خصوصاً أن الزميلين اللذين خاضا معركة النقيب رفضا مسايرته في أمر الإجراءات التي يسعى إلى إتخاذها بحق عدد كبير من الصحافيين المصريين في الداخل وعدد لا بأس به من الصحافيين والكتّاب الذين غادروا مصر إلى الخارج. والزميلان هما عبد الرحمن الشرقاوي وكامل زهيري اللذان أمضيا وقتاً طويلاً يوضحان فيه انهما ليسا مرشحي النظام وإنما يرشح كل منهما نفسه

من أجل المهنة وبإسمها. وجاء حل مجلس الشعب ليفتح الطريق أمام تشريعات جديدة منها تشريع يقضي بجعل الصحافة سلطة رابعة. وقد تحدّث الرئيس السادات في هذا المجال كثيراً وأوحى بأنه عندما يسعى من أجل أن تكون الصحافة سلطة رابعة فإنه بذلك يخدمها ويعزز شأنها.

خامساً- حقق الرئيس السادات ما سعى إليه. حال دون انتخاب نقيب جديد للصحافة طالب التشريع المطلوب الذي يقضي بإلغاء النقابة. والملاحظ أن ذلك يتم تحت مظلة سيادة القانون وفي إطار التشريع الدستوري وسط أجواء مفتعلة حول أن الصحافة بعد الآن سيكون لها شأنها. ويتم الإلغاء في إطار تبريرات لا تبدو مقنعة. من هذه التبريرات أنه ما دامت الصحافة ستكون سلطة رابعة فإنها لا تعود محتاجة إلى نقابة وأن شأنها يجب أن يكون مثل شأن بقية السلطات. فالسلطة التشريعية أي مجلس الشعب ليس لها نقابة. والسلطة التنفيذية أي مجلس الوزراء ليس لها نقابة. وهكذا الحالة بالنسبة إلى السلطة الأولى، أي سلطة رئاسة الجمهورية.

سادساً- في ضوء ذلك يرى الرئيس السادات أن يكون للصحافة نادي مثل نادي القضاة أو نادي الضباط. وفي ضوء ذلك أيضاً يفترض الرئيس أن ما يريده سيتحقق وهو: صحافة ساداتية مئة في المئة. نأتي إلى المذكرة المرفوعة من مجلس نقابة الصحفيين والتي من خلال قراءة متأنية لها يمكن الوقوف على حقيقة المعاناة وعلى ظروف الإجراءات التي تمت. ونورد نص المذكرة على النحو الآتي:

"إن مجلس نقابة الصحفيين وقد تابع ما أذيع في شكل تصريحات رسمية حول مستقبل النقابة ومستقبل الصحافة وبعد أن إستعرض وجهات النظر المطروحة، فإنه يود أن يؤكد على عدد من المبادئ الأساسية التي يمكن أن تحكم التنظيمات المقترحة كما تحكم النقاش الدائر حولها:

أولاً- يرى مجلس النقابة أن أي تنظيم مقترح ينبغي أن يضع في الإعتبار تراث العمل الصحفي والعمل النقابي في مصر.. فقد كان لمصر شرف إصدار أول صحيفة عربية، وكان لها شرف استحداث تنظيم نقابي للصحافيين منذ نحو أربعين عاماً.

وخلال تلك الفترة احتلت الصحافة المصرية التي أصبحت مدرسة للصحافة العربية مكان الصدارة. كما احتلت النقابة المصرية كنفابة رائدة بين 19 نقابة عربية

نفس الموقع. وأي تنظيم مقترح ينبغي أن يكون بمثابة إثراء لهذا الدور وليس إضعافاً له.

لقد تزايد دور نقابة الصحفيين خلال الفترة الماضية ومنذ الأربعينات، وأصبحت بحكم قوانينها الثلاثة (1941-1955-1970) مسؤولة عن الدفاع عن المهنة وترقيتها. وكان كل قانون يصدر يضيف ولا يُنقص حتى أصبحت النقابة تنظّم الإشتغال والإعتزال، كما تُنظّم الحقوق الأساسية للصحافي الخاصة بالعمل والإجازة والمرض والمعاش. واختصت النقابة بالتأديب في المخالفات والجرائم المهنية وأصدرت ميثاق الشرف الذي وافق عليه الإتحاد الإشتراكي كلائحة لأداب المهنة.

وخلال تلك الفترة التي حاولت النقابة خلالها أن تواكب التطورات السياسية والاجتماعية، ناضلت النقابة لإقرار حق العمل، وعدم جواز نقل الصحافي إلى عمل غير صحافي.

وقبل ذلك وبعده كانت النقابة دائماً - بالقانون والأحكام القضائية والإتفاقات الودية - إلى جوار قضية حرية الصحافة وقضية حماية الصحفيين، وهو الدور الطبيعي لنقابة مهنية تضم أصحاب الرأي والقلم.

وخلال هذه الفترة أيضاً، توثقت علاقات عربية وأفريقية ودولية للنقابة. حتى أن قانون إتحاد الصحفيين الأفريقيين نص على أن يكون رئيسه بإستمرار هو نقيب الصحفيين المصريين، وحتى أن أمانة إتحاد الصحفيين العرب كانت تضم دائماً ثلاثة من الصحفيين المصريين، وكانت الرئاسة دائماً لهم. كما تساهم حالياً نقابة الصحفيين في إنشاء إتحاد جديد للصحافيين في دول عدم الإنحياز. كما ساهمت عام 1950 في إنشاء إتحاد الصحفيين الدولي في براغ والذي تحصل فيه النقابة المصرية على مقعدين في مجلس الرئاسة.

ثانياً- يرى مجلس النقابة أن كل ذلك التراث، وكل الدور الذي تلعبه نقابة الصحفيين في حماية المهنة يمكن أن يكون مهدداً لو تم الأخذ بالفكرة التي ينادي بها السيد رئيس مجلس الشعب وهي فكرة أن تكون النقابة نادياً للصحافيين.

ويرى المجلس أن ذلك- لو تحقق- فإنه يمثّل وضعاً فريداً وشاداً تنفرد به مهنة الصحافة دون غيرها من المهن، ومن شأنه أن يعكس نفسه على مهنة الصحافة ومكانة الصحافة عند الرأي العام المصري والعربي.

وإذا كان للصحافة وجهان: وجه مهني، ووجه سياسي وثقافي وتربوي، فإننا يجب أن نفرّق بين الأمرين. فشؤون المهنة ترعاها نقابة مهنية، أما الخط السياسي والثقافي فتلك مسؤولية جهة الإصدار والتنظيمات السياسية والثقافية في المجتمع.

وفي حدود الدفاع عن المهنة فإنه يصبح منطقياً أن تظل ضوابط القيد في نقابة الصحفيين، وأن تظل عمليات القبول بالجدول والشطب منه والمحاسبة على المخالفات المهنية.. يصبح منطقياً أن يظل ذلك من اختصاص نقابة الصحفيين فهي وحدها المسؤولة عن المهنة لا يشاركها تنظيم آخر. وهي - كأي نقابة أخرى - سيدة جدولها طبقاً للقانون.

وإذا كان قانون نقابة الصحفيين قد راعى الطبيعة الخاصة للمهنة فوضع ضمانات التحقيق مع الصحفي وجعلها على ثلاث درجات نقابية وقضائية، وإختص إحدى دوائر محكمة الإستئناف بالطعن في قرارات هيئة التأديب، وكذلك إذا كان القانون قد إستقر على ذلك طوال سنوات طويلة، فإنه يصبح منطقياً أن يرفض مجلس نقابة الصحفيين أي سلطات أو جهات إستثنائية للتحقيق مع الصحفيين أو مساءلتهم في ما يمس عملهم المهني. كما ترفض النقابة فكرة تجريم الرأي وتري في القانون العام ما يحمي المجتمع ويقتض له عند اللزوم.

ثالثاً- وأياً كان التنظيم المقترح للنقابة أو الصحافة، فإن من الطبيعي ألا يتم ذلك في غيبة القاعدة الصحافية أو غيبة مجلس النقابة المعبر عنها. وعلى هذا الأساس، وإمتداداً لما كان المجلس قد بدأه من عقد جلسات للإستماع فإن المجلس يدعو لفتح حوار واسع بين الصحفيين، كما يدعو لترتيب لقاء بين المجلس والمسؤولين في الحكومة ومجلس الشعب للنقاش حول القضية.

رابعاً- وتمهيداً للحوار حول قضية الصحافة، يرى المجلس أن مبرر التنظيم الجديد للصحافة هو الانتقال من مرحلة التنظيم السياسي الواحد إلى مرحلة التنظيمات السياسية المتعددة، وهي مرحلة تستتبع بالضرورة تعدد وجهات النظر، وتعدد المنابر ووضع تنظيم صحفي يحقق ذلك.

ويرى المجلس أن أي تنظيم مقترح ينبغي أن يعزز حرية الصحفي وأن يثري العمل الديمقراطي، وتشمل حرية الصحافة حرية إبداء الرأي وحرية نشر المعلومات الموضوعية والأمنية الكاملة.

وينبغي أن يتضمن التنظيم القادم ما يضمن أمن

الصحافي وحرية، فلا يحاسب أو يتأثر رزقه أو يُمس عمله المهني بسبب رأي أبداه أو معلومات صحفية قام بنشرها. وإذا كانت السلطة الرابعة شعاراً يجب تقنينه والبحث عن مضمون له فإن مجلس النقابة في حال إقرار هذا الشعار ليرى أن يكون مرادفاً لفكرة الإستقلال، معززاً لفكرة الحرية، وليس قيداً عليها بأي حال.

خامساً- وفي ظل ذلك كله، وإلى أن يتم البت برأي في قضيتي الملكية وحرية الصحافة والصحافيين، فإن إقامة هيكل جديدة للإشراف على الصحافة قضية سابقة لأوانها، ولا يمكن حسمها قبل أن تتناقش القضايا الأساسية التي تضع تصوراً يلائم مرحلة التعدد السياسي التي بدأت في مصر أخيراً.

سادساً- إن مجلس النقابة ليشعر بالقلق بشأن تصريحات السيد رئيس مجلس الشعب لما لها من معان لا يمكن ترجمتها إلا أنها قيد جديد يسلب البقية الباقية من أمن الصحافي وحرية، ومن هنا فإن المجلس يعود ويناشد كل الجهات المسؤولة أن تكون بداية التنظيم نقاشاً واسعاً بين الصحفيين والمهتمين بالصحافة.

وافق مجلس النقابة على هذه المذكرة بالإجماع في جلسته المنعقدة يوم الثلاثاء 3 يوليو 1979.

ويبقى السؤال الكبير هو:

هل في إستطاعة الرئيس السادات أن يلغي نقابة الصحافة ويحولها كما يريد إلى ناد!

المعروف عن الرئيس السادات أنه عندما يقرر أمراً ينفّذه. وإلغاء نقابة الصحافة هو قرار إتخذه بينه وبين نفسه ويمكن أن ينفّذه، إلا إذا أخذ في الإعتبار أنه ليس مؤيداً في هذا القرار حتى من الصحفيين المصريين المحسوبين عليه، وأنه في هذا القرار سيحرك مشاعر الغضب في صفوف نقابات أخرى في مصر وفي صفوف نقابات الصحافة في العالم. وظروف مصر الراهنة، وهي ظروف مقلقة بعض الشيء للنظام، لا تسمح بهذا كله.

وإذا، قد تحدث مساومة مقابل إيجاد مخرج يتراجع في سبيله الرئيس السادات عن رغبته، أي بمعنى آخر يقضي بأن توافق نقابة الصحافة على معاقبة بعض الزملاء المغضوب عليهم وتبقى النقابة، أو بالأحرى من أجل أن تبقى النقابة. يحدث ذلك أو لا يحدث؟ إن محنة نقابة الصحافة في مصر تشارف على النهاية. وهي نهاية مأساوية في أي حال.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 سبتمبر (أيلول) 1979

الطرف العربي في قيادة حركة عدم الإنحياز

مجرد إنعقاد قمة عدم الإنحياز في هافانا يعني أن الأمور إختلعت بعض الشيء . ذلك أن هذا الانعقاد تم في بلد منحاز ، وإنحيازه مسألة في غاية الوضوح . وكوبا ، إلى جانب أنها منحازة إلى جانب الاتحاد السوفياتي ، قامت في السنوات الثلاث الماضية بدور عسكري في القارة الأفريقية كان لمصلحة الاتحاد السوفياتي ، ولا تزال في الذاكرة أنباء العمليات التي قام بها الجنود الكوبيون في بعض مناطق القارة . وهناك أنباء عن دور أو أدوار أخرى قيد الإعداد للقيام بها مستقبلاً . ولكننا كعرب ، نجد أنفسنا نميز بين إنحياز وإنحياز . فالمنحاز للإتحاد السوفياتي مثل كوبا هو في النتيجة منحاز إلى قضايانا وهذا معناه أن انحيازه مقبول ، في حين أن الإنحياز إلى الولايات المتحدة لا يعود مقبولاً ولا مفعولاً لأن الولايات المتحدة منحازة إلى جانب إسرائيل وتمدها بكل ما يمكنها من الإعتداء على شعوبنا وأراضيها ، ولعل من المحزن أن العرب ، بشخص الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، ساهموا في تحقيق الإنفراج الدولي بين المعسكرين الشرقي والغربي وفي ظلهم أن هذا الإنفراج سيحقق لهم الحل لأوضاع صعبة تعيشها بلادهم لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل أن الأوضاع الصعبة إزدادت تعقيداً وإستفادت القوتان العظميان ، الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي ، من الإنفراج . ومنذ العام 1972 بداية الإنفراج الدولي وحتى الآن نلاحظ أن قواعد التعايش السلمي بين القوتين العظميين والتي لفريق عدم الإنحياز الفضل الكبير في تحديد معالمها تتعزز يوماً بعد آخر ، وفي كل مرة تلوح في الأفق نُذُر الصدام ثم لا يحدث الصدام يتبين كم أن هذه القواعد تزداد صلابة .

ويبدو بعد مرور أربع وعشرين سنة على فكرة عدم الإنحياز أنه من الضروري إعادة النظر في الأهداف والصياغة والمبادئ ، بل وفي التسمية ، وبحيث يصبح في إمكان العرب قطف ثمار حركة كان لهم الفضل الكبير في تشوئها ونموها وتعزيزها ، ومثل هذا الأمر مطلوب في حياة الزعيم التاريخي الوحيد الباقي على قيد الحياة ، من قادة الحركة ، ونعني به المارشال تيتو الذي إنطلق بالفكرة من مؤتمر "بانونغ" الذي دعا إليه عام . ذلك أن حركة عدم الإنحياز هي في قادتتها قبل أن تكون في الأهداف ، بدليل أن مؤتمرات القمة التي عقدت أيام كان القادة التاريخيون

للحركة أحياء .. من نهرو إلى نكروما إلى سوكارنو إلى عبد الناصر كانت أكثر تأثيراً من القمم التي عقدت بعد ذلك .

والى ذلك ، من المهم جداً أن يكون منذ الآن تنبؤه لمستقبل حركة عدم الإنحياز بعد تيتو ، ذلك أنه من الواضح ، أن غياب المارشال تيتو معناه غياب آخر التاريخيين من قادة الحركة ، خصوصاً وأن التاريخيين الآخرين الذين صنعوا الحركة وبنوا مجدها الحقيقي لم يهينوا الأشخاص القادرين على أن يمارسوا الدور الذي يتناسب مع أهمية الحركة ، فضلاً عن أن معظم الذين خلفوا القادة التاريخيين إنتهجوا سياسة محازة وانقضوا على الحركة يشوهون جوهرها وإختاروا الإنحياز وهم يحملون راية عدم الإنحياز ، وكان ذلك أقصى أنواع التشويه للحركة ، في الهند حدث ذلك ، وفي غانا حدث شيء مماثل ، وفي مصر حدث ما هو فظيع ، وفي أندونيسيا حدث ما هو أفظع ... وهكذا .

والأمر الذي يدعو إلى الإستغراب هو أن بعض القادة العرب الحاليين لا يهينون أنفسهم منذ الآن للدور المطلوب ، وهو دور قيادي في حركة عدم الإنحياز بعد غياب تيتو ، في حين أن الزعيم الكوبي فيديل كاسترو يتحرك وينشط على أمل أن يكون هو الوريث التاريخي الوحيد الباقي على قيد الحياة من قادة حركة عدم الإنحياز . هنا تجدر الإشارة إلى أن ما حدث قبل أشهر في بغداد كان مدخلاً أساسياً إلى عدم إنحياز عربي ، فقد إنتقى العرب كما لم يلتقوا من قبل حول موقف موحد برفض التسليم بالأمر الواقع الاميركي ويرفض في الوقت نفسه الرد على ذلك بوضع أوراقهم وقضيتهم في أيدي الإتحاد السوفياتي على أساس أن من شأن ذلك أن يشكل أداة ضغط فاعلة على الولايات المتحدة ، وفي هذا الموقف الذي سجلوه تعميق لمفهوم عدم الإنحياز ويعني بالتالي أنهم الأكثر جدارة بقيادة فريق عدم الإنحياز أو المشاركة وهي شكل رئيسي في القيادة . وهم في الموقف الذي إتخذوه كانوا أقرب ما يكونون إلى الموقف الذي تقوم عليه السياسة التقليدية التي يعتمدها المارشال تيتو .

وتواجد الطرف العربي غير المنحاز في قيادة الحقبة المقبلة لحركة عدم الإنحياز من شأنها أن تقيد في حين أن ترك القيادة للرئيس الكوبي وحده من شأنها أن تشكل عنصر إستقزاز فقط ، ذلك أن الطرف الذي لا بد من ممارسة كل الضغوط عليه من أجل أن يعيد النظر قليلاً أو كثيراً في مواقفه هي الولايات المتحدة ، وفي قدرة العرب أن يضغطوا في حين أن كاسترو سيكون ذي ضغطة

مستقراً ومنحازاً سلفاً.

طالبه أي من القادة العرب الذين إلقي بهم بدولة فلسطينية مستقلة، ولكن هؤلاء القادة يطالبون في العلن بدولة فلسطينية مستقلة وذلك بسبب إعلانهم إلزامهم بقرارات قمة شباط. كذلك ان الرئيس كارتر بهذا الموقف المستغرب من جانبه يتهم بعض الذين كانوا محسوبين على أنهم أصدقاء الولايات المتحدة. ونقطة الإستغراب في الأمر أنه بدلاً من أن يوفر المناخ المعقول لإستعادة حرارة الصداقة بين بلاده وهؤلاء الحكام فانه يصب الميز من المياه الباردة ويوسّع شقة التباين والخلاف.

ولنفترض أن هنالك بعض الحكام العرب الذين ينطق عليهم قول الرئيس كارتر أنهم يطالبون في العلن بدولة فلسطينية بسبب إلزامهم بقرارات قمة الرباط، لكنهم في السر لا يطالبون. لنفترض أن ذلك تخمين صحيح، فهل أن هذا الأمر هو الذي يحول بين الولايات المتحدة وسعيها من أجل المساعدة على تأمين دولة فلسطينية، وهل إن الرئيس كارتر في حال إبداء رغبته بضرورة قيام هذه الدولة سيتصدى له العرب ويهاجمون مسعاه، وسيقول له الفلسطينيون إننا لا نريد ذلك؟

إن مثل هذا الرفض لن يحدث على الإطلاق. لأن الدول العربية، من دون إستثناء، بما في ذلك مصر غير المتحالفة مع إسرائيل ترى أنه لن يكون هنالك إستقرار في المنطقة من دون إيجاد الحل العادل المتمثل بإقامة دولة فلسطينية. إن هذا الحل هو الذي سيوقف الإستنزاف الدموي والعسكري وهو الذي سيجعل المواطن العربي يلتفت بعض الشيء إلى قضايا وحياته.

وعلى رغم هذه البدهية فإن الأمر يحتاج إلى رد عربي واضح ومحدد يدحض عجز الرئيس كارتر وتردده وتراجعاته ويكشف عن حقيقة نواياه ويوقف أسلوب تعامله مع القضية الفلسطينية وهو أسلوب يوضح ما فيه الكفاية أن الرجل يتسلى ويجهض الفرص التي تتاح أمام إيجاد الحل العادل. وقد يقول الرئيس كارتر في حال صدور الرد العربي أن ذلك يتوافق مع ما قاله، وهو أن القادة العرب يقولون في العلن غير ما يبطنون، لكن مع ذلك لا بد من الرد الذي يؤكد أن الرئيس كارتر لا يقول الحقيقة.

وليكن الرد عبارة عن بيان موقع من الحكام العرب وموجه إلى الرأي العام الأميركي. وقد يقال إن ذلك مخالف لأصول اللياقات الرسمية

والسؤال هو: من من العرب هو الذي سيقود؟ إن الامر يحتاج إلى شخص وليس إلى مجموعة أشخاص، وما دامت المسألة لا تتم بالانتخاب فضلاً عن أن قضية العرب الأساسية هي فلسطين وبسببها كانت قمة بغداد والتي كانت المدخل الاساسي إلى عدم إنحياز عربي... ما دام الأمر كذلك فإن تأمين الأجواء لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات لكي يمثل وجهة النظر العربية في فريق عدم الإنحياز هو البديل الأفضل.

نقول ذلك على أساس أن العرب لا يريدون من حركة عدم الإنحياز سوى المزيد من صمود العالم الثالث إلى جانب القضية الفلسطينية، وعلى أساس أن في إستطاعة ياسر عرفات، وبإسم القضية، أن يتمنى على الآخرين الذين يخططون لوراثة الحقبة المقبلة وفي طليعة هؤلاء كاسترو أن يكون أقل إنحيازاً عندما يتطلب الأمر ذلك وإلى ذلك إن قضية فلسطين باتت أساسية بالنسبة إلى دول العالم الثالث، ومثل هذا التكليف لياسر عرفات ليس تشريعاً بقدر ما هو مناسبة لتعزيز مسعى الحصول على مواقف أكثر قوة لمصلحة القضية الفلسطينية، خصوصاً أن نوعية العلاقة التي تربطه بمعظم زعماء العالم الثالث تسهل عليه وعلى العرب الكثير.

ويبقى أن تصعيد نجم ياسر عرفات كقطب في حركة عدم الإنحياز قد يزيل من أذهان الغرب أو بعض دوله المخاوف التي تعززها إسرائيل باستمرار وهي أن الدولة الفلسطينية ستكون بؤرة شيوعية يمارس الإتحاد السوفياتي من خلالها بعض الطموحات التي لم يتسن له ممارستها في الفترة التي سبقت إخراجها من المنطقة العربية. ... وتلك مخاوف من المهم إزالتها بشكل أو بآخر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1979

من الحكام العرب

إلى الرأي العام الأميركي

مرة أخرى يكرر الرئيس جيمي كارتر عبارة لا تبدو مقنعة لأحد وهي لا تستهدف سوى زرع الفتنة وإحداث تناقض عربي وفلسطيني. وخلاصة العبارة المقصودة إنه لم يحدث مطلقاً أن

ولأسلوب التعامل بين الدول .

...ولكن أسلوب الرئيس كارتر تجاوز كل الأصول، وقد يكون في نوعية الرد العربي ما من شأنه أن يجعل رئيس الولايات المتحدة يوقف هذا الإستخفاف وتلك الممارسات التي وصلت إلى حد محاولة زرع الفتنة بين أبناء القضية الواحدة.

وعملياً ان الرئيس كارتر يوجه الإتهام إلى عدد من الحكام العرب وفي ظنه أنه بهذا الإتهام يحول الأنظار عن نقاعسه وتردده وتراجعاته في كل مرة يقترب من نقطة التسليم بضرورة أن يكون للفلسطينيين دولة.

ولكن إتهامات الرئيس كارتر التي لا يستفيد منها سوى التحالف المصري - الإسرائيلي، توجب رداً سريعاً يكون في مستوى نوعية الإتهام.

وقد يقال إن الحكام العرب لا يتركون مناسبة إلاّ ويعلمون فيها ضرورة أن يكون للفلسطينيين دولة، ولا يخلو بيان مشترك بين دولة عربية وأخرى من الإشارة إلى الأمر، ولذا لا موجب للرد على الرئيس كارتر.

كذلك قد يقال ان ما يتم الإعلان عنه يلزم الطرف الذي يعلن، وما دامت كل الدول العربية أعلنت ما فيه الكفاية عن ضرورة أن يكون للفلسطينيين دولة، لذا لا يعود هنالك موجب للتوضيح أو للرد القاسي.

قد تقال كل هذه الأمور ومعها أمور أخرى، ولكن يبدو أن الرد العربي الواضح على الرئيس كارتر بات ضرورة بعد ما بدا الرئيس الأميركي عملية بذر شقاق خطيرة في التجمع العربي وثمة سؤال حول السبب الذي يجعل الرئيس كارتر يحرص على أن يكرر مثل هذه العبارة التي تفيد أن الحكام العرب هم ضد الدولة الفلسطينية في السر ومعها في العلن.

وفي معرض الافتراض يمكن القول ان هنالك أكثر من سبب قد يكون أهمها على الإطلاق أن قناعات الرأي العام الأميركي بضرورة أن يكون للفلسطينيين دولة باتت تضغط على الرئيس كارتر من أجل أن ينشط في هذا السبيل، وأنه نتيجة عدم القدرة خوفاً من الضغط الصهيوني عليه يرمي المسؤولية على العرب ويهول ما معناه للشعب الأميركي أنه لا ينشط من أجل حل يرضي الفلسطينيين لان الدول العربية لا تريد ذلك وهو لا يريد أن تكون للولايات المتحدة مشاكل مع الدول العربية، وكأنما لا وجود للمشاكل، أو كان الذي حدث في أعقاب قمة بغداد وحدث شرخ في علاقات الولايات المتحدة ببعض الدول العربية الصديقة لا يعني شيئاً، ولم يتقهمه الرأي العام الأميركي أو بعض قطاعات منه

ما فيه الكفاية.

وهذا الموقف من جانب الرئيس كارتر يعزز خيبة أمل عدد من الحكام العرب به، وفي الوقت نفسه يعزز وجهة نظر حكام آخرين. يعزز خيبة أمل الذين لا يتخذون الموقف المتشدد إزاء إدارته وفي ظنهم أن ذلك سيجعله عاجلاً ام آجلاً بعيد النظر ويستوعب المشاعر والأمني العربية. ويعزز وجهة نظر الذين يرون أن الرئيس كارتر لن يقدم على الخطوة الشجاعة لأنه أسير إلترامات لا قدرة ولا قناعة له على إعادة النظر فيها.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1979

الفرق بين موقفين

لا نطن أن شعب المغرب في محنة ولا نطن أن إستقلال هذا البلد مهدد. وقبل كل شيء لا نعتقد أن مشكلة الصحراء توجب إستتفار الجيش وتعبئة الناس وتوزيع السلاح عليهم.

هنالك مشكلة، وهي تحتاج إلى الكثير من التعقل. وأي معالجة لا تقوم على التعقل ستتعثّر. وبعد كل تعثر سيكون هنالك المزيد من التعقيد والمزيد من التأزم والمزيد من عدم الإستقرار.

ومناسبة هذا الكلام موقفان. موقف مصري يستهدف تشويه صورة المغرب. وموقف سعودي عاقل يستهدف مساعدة المغرب على الخروج من مأزق. وفي قراءة متأنية لهذين الموقفين نتكشف لنا أشياء كثيرة.

ومن حيث التوقيت فإن الموقف السعودي سبق الموقف المصري بثلاثة أيام. وعلى هذا الأساس يبدو الموقف المصري الحاد محاولة لتقويض الموقف السعودي المتعقل.

يوم الثلاثاء 28 آب (أغسطس) 1979 كانت وزارة الخارجية السعودية في جدة تشهد إجتماعاً مطولاً بين وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل وزميله الموريتاني أحمد ولد عبدالله الذي كان وصل على رأس وفد كبير ليقول للمسؤولين السعوديين ما معناه إن ما بينكم وبين المغرب يحملنا على أن نضع بين ايديكم الموقف ونقبل بما ترونه مناسباً.

ومن خلال التصريح الذي أدلى به الوزير السعودي بعد الإجتماع يمكن تلمس الجواب. وفي هذا التصريح

ورد الآتي: "إننا نتطلع إلى حل لمشكلة التوتر القائم بين الجزائر والمغرب ومنع الصدام بين دول المنطقة وهذا يجب أن يحرص عليه كل إنسان مخلص لعروبته وإسلامه".

بعد ثلاثة أيام وبالتحديد يوم السبت أول من أيلول (سبتمبر) 1979 كان الرئيس أنور السادات يقول في مؤتمر صحفي عقده في الاسكندرية وإشترك فيه وزير خارجية ألمانيا الغربية هاينز ديترش غينشر: "إننا مع شعب المغرب والملك الحسن الثاني رغم اساءة السياسيين المغاربة للشعب المصري. وإذا طلب المغرب مساعدة عسكرية فسوف أسعى للحصول على موافقة مجلس الشعب (البرلمان) والحزب الوطني الديمقراطي".

وفي اليوم التالي صدرت الصحف المصرية بعناوين بارزة تتحدث عن هذا الموقف فضلاً عن تعليقات تشيد بهذا الموقف. وكانت لافتة للنظر عناوين صحيفة "الأهرام" وقولها "إن الاتصالات بدأت بين السادات والحسن على رغم العلاقات المقطوعة بين البلدين".

إذاً المملكة العربية السعودية تسعى من أجل تطويق الأسباب التي تقود إلى التفجر، والرئيس السادات يسعى من أجل تشويه الموقف الذي إتخذه المغرب وكان موضع ترحيب الشعب المغربي، ذلك أن الفترة التي سبقت الصلح المصري - الإسرائيلي أفرزت إنطباعات بأن الملك الحسن الثاني هو طابع هذا الصلح والمشارك في شكل رئيسي في وضع السيناريو الذي يتم التنفيذ على أساسه، وهذا أحدث في نفس كل مواطن مغربي ألماً كاد لشدة إعتصاره يُحدث النزف ويعذب الضمير. ومن أجل ذلك شعر المغاربة بالكثير من الإعتزاز بالنفس والراحة المعنوية بعدما أوضح الملك الحسن من خلال موافقته على مقررات قمة بغداد ثم من خلال قرارات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في "قاس" أن المغرب لا يمكن إلا أن يكون مع الإجماع العربي ومع القضية الفلسطينية وأن مفهومه للحل السلمي الذي سعى من أجله لم يكن كما فعل الرئيس السادات على الإطلاق.

هنا يرد سؤال: هل هنالك بالفعل إتصالات بين الملك الحسن الثاني والرئيس السادات، وهل أن قوات مصرية سترسل أو أرسلت بالفعل مع معداتها إلى المغرب لتحارب أبناء الصحراء والجيش الجزائري والموريتانيين؟

إستناداً إلى كلام الرئيس السادات أو إلى نعماته الثلاث رداً على سؤال عن احتمال إرسال مساعدة عسكرية، وإلى قول "الأهرام" إن الاتصالات بدأت بين الإثنتين على رغم العلاقات المقطوعة، يمكن الإفتراض

بأن القوات قد أرسلت ولن يوقفها قول الرئيس السادات أنه سيسعى للحصول على موافقة البرلمان المصري و"الحزب الوطني الديمقراطي" أي على موافقة شخصه، لأن البرلمان برلمانه والحزب حزبه.

ويمكن أيضاً الإفتراض أن الإتصالات والقرار والتحركات تمت قبل فترة وأن الرئيس السادات إختار يوم الأول من أيلول 1979 للإعلان عنها لتكون في بعض جوانبها رداً على التجمع العربي الذي شهدته ليبيا إحتفالاً بذكرى ثورة الفاتح من سبتمبر وبالذات على العرض العسكري الذي ظهرت فيه أنواع كثيرة من الصواريخ عابرة الحدود ومدفعية صاروخية متطورة؛ والذي حرص العقيد معمر القذافي على أن يجري في بنغازي المدينة الأقرب إلى الحدود مع مصر. فليس معقولاً أن يجري العرض هناك وتشارك فيه قوات رمزية من بعض الدول العربية ويتواجد هذا العدد الكبير من الحكام العرب ولا يقول الرئيس السادات شيئاً للشعب المصري وللقوات المصرية المرابطة على الجبهة الليبية. ومن هنا جاء الإعلان عن أنه سيساند المغرب عسكرياً مظهرًا جبهة التضامن العربي على أنها هشة ويمكن اختراقها، مؤكداً أو مطمئناً قواته المرابطة في الجبهة الليبية أنه قوي عسكرياً. وليس واضحاً ما إذا كان الوضع الداخلي للملك الحسن الثاني يحتمل مثل هذه المساندة من الرئيس السادات. كذلك ليس واضحاً كيف يمكن أن يزيل الملك من أذهان المغاربة ما قاله الرئيس السادات في حق المغرب يوم صدرت قرارات مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في "قاس" وهو مؤتمر رفع من الشأن المغربي إسلامياً الكثير. وقد حدث بعدما قرر المؤتمر تعليق عضوية مصر أن ثار الرئيس السادات كما لم يثر من قبل. وصادف أنه في تلك الفترة كان في بلدة طنطا يُجري حواراً مع أساتذة الجامعة هناك. وفي هذا الحوار الذي جرى يوم 13 أيار (مايو) 1979 لم يهاجم "السياسيين المغاربة" وإنما الملك والحكم. قال على سبيل المثال "إن المغرب لعب دوراً خسيساً"، وأن السعودية دفعت للمغرب لكي ينعقد مؤتمر "قاس" ويتم فيه تعليق عضوية مصر وأن العراق أرسل نغماً للمغرب. وقال أيضاً: "عمل ترك الملك الحسن مؤسف وزى ما قلت كانت فعلتو خسيصة".

لقد أوحى الرئيس السادات في المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه إستعداده لمساندة المغرب بأن تدهور العلاقات يقع على أكتاف "السياسيين المغاربة". ومثل هذا الأمر سيلقي عبئاً ليس سهلاً على الملك الحسن شخصياً. فهو قد إنهم قبل ثلاثة أشهر من قبل الرئيس

السادات بالخسة. وعبارة "الملك الحسن عمل ترك" ليست عبارة يمكن تجاوزها. وفي بعض الأحيان تبدو إزالة الإساءة الشخصية أهم بكثير من قضايا أخرى.

من هنا نصل إلى الأمر الأهم وهو أن في قدرة عرب قمة بغداد أن يفعلوا الكثير. فإذا كانت الظروف الداخلية للملك الحسن الثاني هي التي ضغطت عليه من أجل أن يطلب النجدة من الرئيس السادات، فإن من المهم الإسراع لمناقشة دقة هذه الظروف الناشئة عن التطور المفاجيء المتمثل بتبدل الموقف الموريتاني. ونحن نقول ذلك إفتراضاً. ونفترض أيضاً أن الملك الحسن طلب النجدة وأنه طلبها وفي ظنه أن الرئيس السادات لن يعلنها في الشكل الذي أعلنت فيه.

وإستناداً إلى خصوصية العلاقة السعودية - المغربية نفترض أن في قدرة المملكة أن تُحوّل إعلان الرئيس السادات على أنه سيساعد المغرب عسكرياً إلى أمر يخصه ويعلنه من جانبه فقط آملاً في أن يحل به إشكالاً وإرتباكات ناشئة عن أسلوب إنتهجه في حل أزمة بالغة التعقيد. وقد يكون إنتقال الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء من طرابلس حيث شارك في إحتفالات الذكرى العاشرة لثورة الفاتح من سبتمبر إلى المغرب هو الترجمة العملية لما قاله الأمير سعود الفيصل "إننا نتطلع إلى حل لمشكلة التوتر القائم بين الجزائر والمغرب...".

وتكراراً إن مشكلة الصحراء لن تحلها المساعدة العسكرية المصرية خصوصاً أن هذه المساعدة تتم في وقت ذهب الرئيس السادات بعيداً في موضوع التحالف مع إسرائيل. ولن يحلها العناد، وإنما التبصر والتعقل. كذلك لن يحل المشكلة سلاح من أميركا يأتي عن طريق مصر ليقول أبناء القضية الواحدة.

وحتى إذا حققت المساعدة العسكرية التي يعلن عنها الرئيس السادات اغراضها، فإنه سيبقى في ذاكرة كل مغربي أن النجدة جاءت من حاكم قال عن ملكه أنه "خسيس. عمل ترك".

والكلمة أولاً وأخيراً للحسن الثاني.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 سبتمبر (أيلول) 1979

في إنتظار نجاح مسعى أبو عمار

عندما ينجح الرئيس ياسر عرفات في توحيد الموقف

العربي حول القضية التي يمثلها ويتحقق إجماع من نوع غير مألوف وتزول التناقضات في لحظات من أجل ما يمثلها عرفات...

وعندما يحقق عرفات نجاحاً آخر في قمة عدم الإنحياز ويوحد موقف ثلاثة أرباع دول العالم حول ضرورة إدانة إتفاقات "كامب ديفيد" والصلح المصري - الإسرائيلي...

عندما يستطيع عرفات بما يمثلها ومن أجل ما يمثلها تحقيق هذين الإنجازين يصبح من الواجب عليه إقناع اطراف الصراع الدائر في الجناح المغربي من العالم العربي بأن إستمرار هذا الصراع يخدم الصلح المصري - الإسرائيلي وإتفاقات "كامب ديفيد". ذلك أن أطراف الصلح والإتفاقات تكسب جولات في الرهان عندما تشدد حدة الصراع والتناقضات بين أطراف تصدت لها، عربية كانت هذه الأطراف أو منتمية إلى مجموعة عدم الإنحياز.

وبالنسبة إلى الأطراف المتصارعة في الجناح المغربي من العالم العربي هنالك حالة من الضعف إزاء القضية الفلسطينية. وفي إستطاعة بضع كلمات من ممثل الشعب الفلسطيني أن تطفئ نار الصراع. في المغرب يشعرون بضعف إزاء القضية الفلسطينية، وفي الجزائر يشعرون بضعف مماثل.

ولقد قَدِّمت الدولتان الكثير لهذه القضية. قَدِّمتا المساعدات والسلاح والمواقف التي لا يعلن عنها. ولكن الوضع الراهن للقضية الفلسطينية من الحساسية بحيث أن إنفجار الصراع بين المغرب والجزائر قد يأخذ في لحظة من رصيد القضية الفلسطينية ما أعطته الدولتان على مدى السنين العشر الماضية.

وغير معقول ما تدرده اطراف هذا الصراع خلال المناقشات التي تجري وراء الأبواب المغلقة من أنه ليس بالضرورة أن تَقْلُق الثورة الفلسطينية من إنفجار الصراع لأن هذا الإنفجار لا يعني أن الإلتزامات الأدبية والمادية إزاء الثورة يمكن أن تتأثر، خصوصاً أن الإنفجار في حال حدوثه هو من أجل قضايا متصلة بالهموم الداخلية، وليس بالقضية الفلسطينية. إن هذا التظمين لا يبدو معقولاً لأن الصراع يعني الإنصراف والإنشغال، فضلاً عن أن المعركة التي تخوضها القضية الفلسطينية الآن لا تحتمل نشوب صراعات بين الدول التي تؤيدها من خلال إدانة إتفاقات "كامب ديفيد" والصلح المصري - الإسرائيلي.

وإلى ذلك إن إنفجار الصراع معناه نشوء ظروف جديدة من شأن بعض التعقيدات فيها أن تُحدث خللاً

أساسياً في المعادلات الراهنة. ولا تزال ماثلة في الأذهان محاولة الرئيس السادات فُتح ثغرة في جبهة قمة بغداد، والتمثلة بتصريحات أدلى بها يوم السبت أول من أيلول (سبتمبر) 1979 وقال فيها إن مصر تساند المغرب والملك الحسن الثاني تجاه قضية الصحراء "فنحن مع شعب المغرب والحسن على رغم اساءة السياسيين المغاربة لشعبنا...".

ولقد أفادت هذه المحاولة لأن شيئاً من التراخي بدأ يظهر على صمود هذه الجبهة وكان لا بد من بعض التنبه. بل قد يمكن القول إنه لولا هذه المحاولة لما كانت الدبلوماسية السعودية قررت أن تبدأ تحركاً واسع النطاق، وهو تحرك يمكن أن يبلور بنود جدول أعمال القمة العربية التي باتت من الضروري عقدها، ولما كان العراق طوى صفحة من كتاب العلاقة بينه وبين سوريا، ولما كان الملك حسين إختار المرونة إستراتيجية وليس تكتيكاً في حوار الذي له صفة التفاوض إلى حد ما مع ياسر عرفات.

وصحيح أن هذا التحرك العربي في اتجاه تطويق الصراع الدائر بين المغرب والجزائر أجهض بعض الشيء محاولة الرئيس السادات الذي يلعب على مسألة حالة عدم الإستقرار في المجموعة العربية التي تصدت له وقاطعته، إلا أن ذلك لا يعني أن الرئيس السادات وبمؤازرة من الولايات المتحدة وإسرائيل لن يكرر المحاولة وبأسلوب آخر. ومن هنا فإن مسألة إنجاز الوفاق المغربي - الجزائري تبدو ملحّة. من هنا أيضاً نفترض أن في إستطاعة ياسر عرفات تحقيق هذا الإنجاز يساعده في ذلك أنه على رغم إنتمائه الثوري إلى الجزائر يبدو حريصاً جداً على المغرب. ومثل هذه المواصفات تُكسبه مصداقية لا بد من توافرها في سبيل تحقيق الوفاق المطلوب.

وقد لا يكون من السهل إيجاد الحل، فالمسألة أكثر تعقيداً وتحتاج إلى وقت طويل ومعالجة ومثابرة في السعي، لكن لا يبدو أن تجميد الصراع مسألة مستعصية. إن تجميد الصراع بين المغرب والجزائر يعني وضّع العلاقات المتأزمة على طريق الإنفراج، وفي أجواء الإنفراج يسهل إيجاد الحل.

ولا نظن أن أبو عمار ينتظر من يملئ عليه ممارسة مثل هذه الأدوار التوفيقية بل قد يكون خطأ خطوات بعيدة على هذا الطريق. لكن الذي نتمناه هو أن يكون هنالك دعم حقيقي من كل الدول العربية لهذا المسعى من جانب قائد الثورة الفلسطينية. ونحن نقول ذلك على

أساس أن هنالك من قد يضع لسبب أو آخر ألغاماً في طريق المسعى.

وتكراراً، إن الأسلوب الذي إعتمده ياسر عرفات عندما شارفت قمة بغداد على الطرق المسدودة والذي نجح، هو نفسه الأسلوب الذي إعتمده أبو عمار خلال إنعقاد قمة هافانا. وهو الأسلوب المطلوب إعتماده في مواجهة حليف الثورة الفلسطينية المغرب والجزائر بحقائق الإنتكاسة التي يمكن أن يسببها إنفجار الصراع على الصحراء وكيف أن انعكاس ذلك على القضية الفلسطينية سيكون بالغ الخطورة.

ذلك أمر. وهناك أمر آخر يبدو ياسر عرفات أيضاً مطالباً به وحده دون غيره وهو أمر الثورة الإيرانية التي يبدو أنها تستعجل - أو نتيجة ظروف داخلية لا تخلو من التعقيد - تصدير نفسها إلى الجيران وإلى جيران الجيران.

ويعرف ياسر عرفات حجم القلق الذي تعيشه بعض الأنظمة العربية ازاء هذا الأمر. كذلك يعرف مدى معاناة هذه الأنظمة التي لا تريد أن تفتح الباب أمام صراعات مع الثورة في إيران.

وكما أن ياسر عرفات قادر على أن يطلب من الحليفين المغاربيين تجميد صراعهما لأن الظروف الراهنة للثورة الفلسطينية تحتاج إلى ذلك، فإنه قادر أيضاً على أن يطلب من الثورة الحليفة في إيران الشيء نفسه.

أما لماذا يطلب ذلك، فلأن الوضع العربي الراهن هو الوضع السليم نسبياً بالنسبة إلى الثورة الفلسطينية. وأي أوضاع تنشأ عن إنفجار الصراع المغربي - الجزائري، وعن إصرار الثورة الإسلامية في إيران على تصدير نفسها سينعكس على الثورة الفلسطينية.

ولن نقول إننا في إنتظار مسعى ياسر عرفات لأنه سعى في ضوء تحليلاته وتقديراته، وإنما نقول: إننا في إنتظار نجاح مسعى أبو عمار.

وعندما يسعى أبو عمار ينجح. هكذا عودنا.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 سبتمبر (أيلول) 1979

هل يتجاوب الشاذلي القليبي؟

نتمنى أن تُوقف الحكومات العربية زحف شركات البيوت الجاهزة وأن يحدث نوع من التنبه إلى التشوهات

التي تُحدثها هذه الشركات في المجتمع العربي.

إن هنالك عشرات الشركات التي تقدّم عروضاً لبناء البيوت الجاهزة سواء كانت هذه البيوت صغيرة ومستقلة أو عمارات شاهقة.

ويحدث أن حكومات كثيرة في العالم العربي ترحب بهذه العروض وتوافق عليها لأسباب عدة منها تعاظم أزمة السكن وضرورة إيجاد منازل للمواطنين، ومنها أن بناء المساكن يكون جزءاً من خطة تنمية شاملة ولا يجوز إنجاز مراحل من هذه الخطة وبقاء مراحل أخرى، ومنها أيضاً أن عملية البناء ليست سهلة وتحتاج إلى وقت طويل وأعداد وفيرة من العمال، ومنها أيضاً أن إستيراد مواد البناء لا يتم وفق مواعيد تتناسب مع الرغبة في تنفيذ الخطط.

ووسط هذه الأجواء التي تبدو قابضة بالنسبة إلى الحكومات والأجهزة الرسمية التنفيذية، ترمي شركات البيوت الجاهزة عبّر وكلاء لها أو ممثلين يأتون خصيصاً بفكرة إنجاز كل ما تريده الحكومات وبسرعة. وتبدو هذه الشركات في عملها هذا مثل صياد محظوظ يرمي شبابه وعندما يسحب هذه الشباك يكون الصيد دائماً وفيراً، أي أن الحكومات والأجهزة تبتهج للفكرة وتوافق عليها بالحد الأدنى من المناقشة أو الأخذ بالرد. وفي خلال أشهر قليلة تتجزر الشركات بناء عشرات المنازل والعمارات. فكل شيء جاهز ولا يحتاج لغير التركيب. الأبواب جاهزة. والجدران جاهزة. والنوافذ جاهزة. والسقوف جاهزة. والأدوات الصحية جاهزة. كل شيء يتم تركيبه وفق تصميمات أعدتها الشركات من دون أن يضيف أحد شيئاً على هذه التصميمات أو يُحدث تعديلاً فيها. وهو لو أصر على إحداث التعديل لكان أربك الشركات لأن ذلك يعني وضع تصميمات جديدة وتصنيع الأبواب والأسقف والنوافذ وخلافها مما تحتاجه عملية البناء بشكل جديد. وهذا لا يمكن أن تقبل به هذه الشركات بسهولة.

هنا يحدث نوع من المأزق. إذا أصرت الحكومات على التعديل ترفض الشركات، وهذا يضايق الحكومات والأجهزة الرسمية التنفيذية لأنها تريد إنجاز عمليات البناء حتى لو كانت التصميمات على غير ما تريده الحكومات. ومن هنا يحدث رضوخ كامل ويتم الإنجاز وفق مشيئة الشركات. وبعد ذلك تقوم العمارات وتصبح المنازل مستعدة لإستقبال المواطنين وتبدأ الحكومات حملاتها الإعلامية وحول كيف أنها حققت للمواطنين آماله. ومعنى ذلك أنها حريصة عليه.

لكن أحداً لا يأخذ في الإعتبار أن البناء الذي أُشيد أحدث تشوهاً مخيفاً في أشكال مدننا. فالبناء بالمفهوم العربي والإسلامي مدروس بحيث أن الساكن يبدو مرتاحاً وسعيداً ومن أجل ذلك نلاحظ أن جميع الذين أسكنوهم في المنازل الجاهزة، صغيرة ومستقلة كانت أم عمارات شاهقة، يضيقون ذرعاً بمعيشتهم ولا يبدو أن أحداً منهم مطمئن ومرتاح ويشعر أن هنالك روابط نفسية بينه وبين المسكن الذي يأوي إليه.

وثمة مسألة في غاية الأهمية وهي أن هذه المنازل الجاهزة التي تشبه غابة من الحجارة، تُبنى على أنقاض أحياء قديمة تدكها جرارات شركات البناء الجاهزة كما لو أنها عدوة، في حين أن هذه الأحياء يجب أن تبقى ويرمّم المنزل الذي يحتاج إلى ترميم. أما إزالة هذه الأحياء فتبدو مثل عملية سلخ صفحات من تاريخ أو تمزيق صفحات من كتاب الماضي وهو كتاب في غاية الروعة والأصالة والجمال.

ونود أن نسأل هذه الحكومات والأجهزة التي لا تأخذ في الإعتبار مثل هذه الملاحظات: هل في إستطاعة أحد بإستثناء الغارات خلال حروب أن يغيّر من معالم منزل قديم في بريطانيا أو فرنسا، وهل مسموح بأن يحدث طغيان من جانب الأبنية الجاهزة على الأبنية ذات الأصالة؟

إن ذلك مستحيل. ومن أجل ذلك تبدو مدنهم في الغرب جميلة وتعكس روعة تاريخهم القديم. ونحن عندما نتمنى أن تُوقف الحكومات العربية زحف شركات البيوت الجاهزة لا نكون في ذلك من دعاة عدم البناء، وإنما لحرص على هندستنا العربية وزخرفتنا الجميلة، ومن أجل الأجيال المقبلة التي إذا إستمرت الحالة على ما هي عليه سنرى أننا نفقد إلى شخصية في موضوع البناء.

ومن أجل ذلك نقترح على الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي دعوة مهندسي البناء العرب إلى مؤتمر يناقش المسألة بعمق ويخرج بتوصيات وقرارات تحلّل وتحرم. فمثلاً أن هنالك مؤتمرات عربية سياسية تحلّل على سبيل المثال اعتماد النضال من أجل الإستقلال الإقتصادي وتحريم الإمبريالية والإستغلال، يجب أن يكون هناك مؤتمر يخرج بتوصيات وقرارات تحلّل التطوير العمراني وضرورة البناء والتوسع، وتحريم هذه الأحياء والأسواق القديمة وإقامة أي بناء لا تتوافر فيه الشخصية العربية والإسلامية.

وقد يقال: هذه قضية بسيطة، وهنالك قضايا أهم.

ونحن في الحقيقة لا ننتقص بدعوتنا هذه من القضايا الأهم، ولكن القضية التي نحن في صددتها مهمة أيضاً. فقد نكتشف بعد حقبة قصيرة أو طويلة من الزمن أننا نعيش في غابات من الحجارة ولا نعرف أن فن العمارة عندنا أصيل جداً.

ونحن في إنتظار أن يتجاوب الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي مع هذه الدعوة، وفي إنتظار رأي القارئ أيضاً في هذه الدعوة. ونحن نرى أن هذه المسألة من النوع الذي يحتمل النقاش وإبداء المزيد من وجهات النظر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 سبتمبر (أيلول) 1979

وعد ولي العهد ووعيده!

عندما يقول الأمير فهد ولي عهد المملكة العربية السعودية ورئيس وزرائها في حديث صحفي مناسيته الرد على سلسلة جديدة من الاتهامات صدرت عن الرئيس أنور السادات الذي بلغ ضيقه أشده بعد القمة السعودية - الليبية في بنغازي... عندما يقول الأمير فهد "يبدو أن الحل العادل للقضية الفلسطينية قريب بإذن الله"، فمعنى ذلك أنه يعد العالم العربي بأمر كبير وأن هنالك خططاً ما قيد الإنجاز، وأن ولي العهد السعودي ما كان ليعلن ذلك لو لم يكن مطمئناً إلى أن هذه الخطط تجاوزت المرحلة التي يمكن أن تشكّل خطراً عليها أو تجهضها.

ومن هنا قد نفهم ضيق الرئيس السادات وإتهاماته. فهو قد يكون عرف بأمر هذه الخطط، وبالتالي أدرك أن الحل العادل معناه ضرب الحل غير العادل الذي يقوم على إتفاقات "كامب ديفيد" المرفوضة عربياً وإسلامياً، مع الأخذ في الاعتبار أن نسبة الرفض العربي هي الأقوى.

وعلى رغم أن المعطيات التي بنى عليها الأمير فهد قوله ليست ملموسة، إلا أنه من الممكن الربط بين هذا القول وبين كلام آخر سبق هذا الكلام ببضعة أيام. ففي يوم الأربعاء 27 أيلول (سبتمبر) 1979 أدلى الأمير فهد لوكالة الأنباء السعودية بتصريح قال فيه: "إننا نراقب بإهتمام حركة العرض والطلب والأوضاع الاقتصادية ونحس بمسؤوليتنا تجاه شعبنا الذي ترتبط مصالحه بمصالح دول العالم الصديقة. ولقد وجدنا

نتيجة ذلك ان الحاجة ماسة لأن تمتد فترة زيادة الإنتاج لثلاثة أشهر أخرى، تكون الأوضاع البترولية قد إستقرت بعدها وإستطاعت الدول المستهلكة أن توفر احتياجاتها من الوقود لمواجهة موسم الشتاء المقبل. ونأمل أن تنتهز الدول المستهلكة الكبرى هذه الفرصة لإتخاذ خطوات جادة نحو تخفيض الإستهلاك ووضع حد للتبذير في استخدام الطاقة".

ولا نظن أن المسألة ذات طابع نفطي فقط. ولو كانت مجرد هموم نفطية لكان وزير النفط السعودي الشيخ أحمد زكي اليماني هو الذي أعلن ذلك وليس ولي العهد شخصياً.

وإذاً، فإن تصريح الأمير فهد هو موقف سياسي، وقد يكون نتيجة مفاوضات شاقة دارت بصمت بينه وبين الإدارة الأميركية. وقد تكون هذه الإدارة طلبت أن يعلن الأمير فهد شخصياً عن تمديد فترة زيادة الإنتاج ثلاثة أشهر أخرى كشرط لإعطاء الوعد الذي على أساسه أبلغ الأمير فهد بعد ذلك بحوالى أسبوعين (الأربعاء 10 تشرين الأول/ أكتوبر 1979) صحيفة "الشرق الأوسط" التي تصدر في لندن: "يبدو أن الحل العادل للقضية الفلسطينية قريب بإذن الله..."، والذي على أساسه أيضاً إنتقل الحديث حول القمة العربية من مرحلة الجدوى وعدمها إلى مرحلة تحديد الموعد وهو الأسبوع الأخير من تشرين الثاني (نوفمبر) 1979.

ولعل الأمير في تصريحه الأول لم يكن هاجسه هو ما أورده في تصريحه، بل لعله أورد بعض التمنيات بهدف التلميح عن حقيقة القصد. ومن هنا يمكن قراءة الفقرة الأخيرة من تصريحه الذي أعلن فيه تمديد فترة زيادة إنتاج النفط ثلاثة أشهر... ونأمل أن تنتهز الدول المستهلكة الكبرى هذه الفرصة لإتخاذ خطوات نحو تخفيض الإستهلاك ووضع حد للتبذير في استخدام الطاقة" على النحو الآتي: "... ونأمل أن تنتهز الدول الكبرى هذه الفرصة لإتخاذ خطوات جادة نحو تخفيض مساندتها لإسرائيل ونظام الرئيس السادات ووضع حد لتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني...". نقول ذلك على أساس أن تخفيض الإستهلاك ووضع حد للتبذير لا يشكّلان هموماً بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية، وإنما هما إسقاط مخطط "كامب ديفيد" وإسقاط نظام الرئيس السادات.

ويبدو أن الأمر كان يتطلب موقفاً ليبيّاً أكثر مرونة، ومن هنا يمكن القول إن زيارة الملك خالد إلى الجماهيرية الليبية تبدو - على رغم أنها رد على زيارة

الحرب العربية على أميركا... وبسلاح النفط؟
الأرجح أن هذا ما سيحدث، إلا إذا إستتقت إسرائيل
الأمر وبدأت حرباً على العرب لن تريحها في أي حال.
مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 أكتوبر (ت) 1979

السلاح الحربي وعجز الميزانية

في مشروع الميزانية اللبنانية للعام 1980 جدول
برسوم وتعديلات مقترحة لمواجهة العجز.
ولعل أغرب تعديل في هذا الصدد هو المتعلق برسم
رخصة حيازة السلاح الحربي التي تنص عليها المادة
104 من قانون صدر بتاريخ 18 حزيران (يونيو) 1952
ثم غُذِلَ بقانون صدر في 19 كانون الثاني (يناير)
1970.

بالنسبة إلى هذا الرسم أصبح 300 ليرة لبنانية، وهي
غير مرتفعة بالمقارنة مع الرسم المحدد لحيازة سلاح
صيد (250 ليرة لبنانية) والرسم المحدد على جواز
السفر (50 ليرة لبنانية عن سنة) وعن رسم سمة كل
لبناني مسافر إلى الدول العربية (15 ليرة لبنانية) وإلى
الدول الأخرى (30 ليرة لبنانية) وعن الرسم المخصص
للحصول على رخصة تنقيب عن منجم أو استثمار
منجم (150 ليرة لبنانية) وعن الرسم المخصص
للحصول على شهادة ايداع تسجيل براءة اختراع أو
علامة فارقة الخ...

ولا ندري ما هو السر في هذا التمسك بمادة وُضعت
في الأصل لأسباب غير مبررة منذ سبع عشرة سنة
ونعني بها هذه الشرعية لحيازة سلاح حربي.
ولقد كانت الحرب الأهلية التي حدثت عام 1958
مناسبة لإلغاء هذه المادة أو لتعديلها، ولكن ذلك لم
يحدث وبقيت المادة على حالها إلى أن كان التعديل
الذي صدر عام 1970 مبقياً عليها مكتفياً بزيادة الرسم
المفروض.

هنا نتساءل: أليست الحرب الدائرة في لبنان منذ
أربع سنوات أفضل المناسبات لكي تُلغى هذه المادة أو
تُعَدَّلَ حيث يصبح الرسم المفروض على حيازة سلاح
حربي مرتفعة جداً؟

وهناك سؤال متعلق بهذه المادة: لو أن الدولة كانت
ستحصل رسم حيازة السلاح الحربي الموجود الآن مع
اللبنانيين - علماً إنه بيديهم من دون إجازة - لكانت حلت

العقيد معمر القذافي للسعودية - كحلقة في سلسلة
الحلقات التي شكّلت في مجموعها ما عبّر عنه الأمير
فهد بقوله "يبدو أن الحل العادل للقضية الفلسطينية
قريب بإذن الله".

وقياساً بموقف الجماهيرية الليبية التقليدي إزاء الحل
الفلسطيني والموقف الذي تضمّنه البيان الصحافي عن
محادثات الملك خالد والعقيد القذافي يمكن تلمّس هذه
المرونة. فقد تضمّن البيان تأكيد المملكة العربية
السعودية والجماهيرية الليبية "رفضهما لإتفاقية معسكر
داوود (تسمية وسط تجمع بين إتفاقية "كامب ديفيد" كما
تشير إليها السعودية و"إسطنبول داود" كما تشير إليها
ليبيا) لأنها لا تحقق آمال الشعب الفلسطيني في
إسترداد حقوقه المشروعة وبناء دولته على أرضه
ووطنه وتحرير القدس من براثن الصهيونية". وهذه
الفقرة تعني قبول الدولتين بدولة فلسطينية وبأن تكون
القدس مدينة كل الأديان. ومثل هذا القبول من جانب
ليبيا يتسم بشيء من المرونة.

في ضوء ذلك ما هو المحتمل حدوثه؟
لقد كان رد الفعل الأميركي على إعلان الأمير فهد
تمديد فترة زيادة الإنتاج ثلاثة أشهر ترحيباً حاراً.
ونلاحظ أن الرئيس كارتر شخصياً هو الذي أبدى
الترحيب، أي أن الذي رَحَّب هو المفروض فيه أن
يترجم إلى واقع ما تضمّنه قول الأمير فهد "يبدو أن
الحل العادل للقضية الفلسطينية قريب بإذن الله...".

وفي الماضي كانت حجة كارتر أن أحداً من الحكام
العرب الذين إجتمع بهم لم يفاتحه بأمر إقامة دولة
فلسطينية، فهل تكون القمة العربية المقبلة مناسبة
لإعلان هذا الأمر ومن جانب كل عرب قمة بغداد
وبقية الحكام الذين وقفوا مع الرئيس السادات على
أساس أن أميركا معه لكنهم لن يستمروا على موقفهم
هذا إذا تقرر أن يكون هنالك حل عادل للقضية
الفلسطينية؟

الأرجح أن ذلك هو الذي سيحدث. وعلى ضوء هذا
الإعلان العربي الجماعي تُقرر إدارة الرئيس كارتر تنفيذ
وعدها للأمير فهد الذي وعد بدوره العالم العربي.
في ضوء ذلك تبدو أزمة الشرق الأوسط كما لو أنها
في أكثر شهورها إثارة. وقد تكون الأشهر الثلاثة التي
ستستمر فيها زيادة إنتاج النفط هي أشهر المخاض...
وتبلور رغبة أميركا إزاء قيام الدولة الفلسطينية.

وإذا لم يحدث ذلك فهل أن وعد وليّ العهد الأمير
فهد بن عبد العزيز سيصبح وعيداً، أي بمعنى آخر تبدأ

مشكلة العجز، ولكانت عمّرت لبنان ولكانت خصصت مبلغاً كبيراً للإحتياط.

وحول المادة أيضاً هنالك تساؤل: هل بعد كل الذي جرى للبنان واللبنانيين لا تزال هنالك مادة في قانون تحلّل حيازة السلاح الحربي.. وبكثير من التباهي ينشر تعديل لهذه المادة يقضي برفع رسمها بضع ليرات؟ إن ذلك لأمر محير.

وإستناداً إلى التعديلات والزيادات التي حدثت بالنسبة إلى إقتناء هذين النوعين من السلاح نلاحظ أن الفرق بين رسم إقتناء السلاح الذي يقتل إنساناً ورسم إقتناء السلاح الذي يقتل عصفوراً هو 50 ليرة فقط. يبقى أيضاً سؤال: يحدث بين الحين والآخر أن تكون هنالك مطالبة بجمع السلاح من أيدي الناس. كيف سيتم ذلك وهنالك مادة في القانون تحلّل إقتناء السلاح الحربي.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (ت) 1979

قرار مستغرب!

في خلال سنتين من الحركة السياسية العربية المرنّة توضّحت معالم معادلة جيدة ما كان لأحد أن يتوقع حدوثها بهذه السرعة وبهذا الشكل. وهذه المعادلة من شقين:

الأول- يخصّ الدول العربية. فبعدما كانت الدول التي تقول بدولة فلسطينية قليلة جداً أصبحت كل الدول العربية تقول بهذه الدولة.

الثاني- يخصّ العالم الخارجي. فبعدما كانت دول هذا العالم لا تُقرّ بأن يكون للفلسطينيين دولة وأن تؤخذ في الاعتبار حقوقهم المشروعة، باتت الدول التي تُقرّ بهذه الحقيقة تشكّل الأكتريّة. وبات موقف الدول التي لا تُقرّ بهذه الحقيقة ضعيفاً جداً ومستغرباً.

وفي معرض الإستغراب يمكن القول إن موقف البرلمان الهولندي قبل أيام كان يدعو إلى الدهشة. فهو بدل أن يضغط على حكومته لكي تفعل ما فعلته بعض الحكومات الأوروبية وما ستقدم عليه حكومات أخرى، وافق على قانون جديد ضد إجراءات المقاطعة العربية للشركات التي تتعامل مع إسرائيل يحظر على الشركات الخضوع لإجراءات المقاطعة. وهذا القرار من جانب البرلمان الهولندي قد يمكن فهمه بأنه خطوة تكتيكية

تسبق خطوات لاحقة شبيهة بالخطوات التي أقدمت عليها بعض الدول الأوروبية وبالخطوات التي ستقدم عليها مستقبلاً دول أخرى. لكن من الصعب فهمه إذا كان موقفاً إستراتيجياً. ولو سلّمنا بأنه كذلك وبأنه يستهدف إبلاغ إسرائيل بأن هولندا معها في هذه المرحلة التي تشهد صحوّة عالمية إزاء القضية الفلسطينية، فإنه لن يفيد في شيء، فضلاً عن أنه سيُعقّد العلاقات بين الدول العربية وهولندا، وسيفرض على هذه الدول التعامل مع هولندا بالأسلوب الذي تعاملت به مع كندا قبل فترة والذي حقق غرضه حيث أن كندا أنهت قراراً سبق أن إتخذته ويقضي بنقل سفارتها إلى القدس.

إن القرار الذي إتخذه البرلمان الهولندي هو بمثابة إستعدادات للحرب في زمن السعي الدولي من أجل السلم، ومن أجل ذلك فهو قرار مستغرب ويشكّل مادة لجداول أعمال وزراء الخارجية العرب الذين سيتولون تحضير الموضوعات التي سيبحثها الملوك والرؤساء العرب في قمتهم المقبلة.

وصحيح أن هذا الموقف من جانب البرلمان الهولندي لا يُقلق، لكنه يزعج في وقت يتكهن المستشار كرايسكي بأن جميع الدول ستعترف قريباً بأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وفي وقت ينسب فيه إلى وزير خارجية بلجيكا قوله إن الشعب الفلسطيني حقيقة أساسية وحقوقه الوطنية مسألة مسلّم بها ومن التهور إغفالها أو الإشارة إليها بعبارات ذات طابع إنساني فقط، وفي وقت يقول فيه رئيس وزراء كندا إنه ألغى قراره بنقل سفارة بلاده إلى القدس لأنه يود تشجيع خطوات التسوية، وفي وقت تستعد دول أوروبية كثيرة لإتخاذ موقف إيجابي إزاء الشعب الفلسطيني.

لعل وعسى يكون قرار البرلمان الهولندي مجرد خطوة تكتيكية تسبق خطوة إيجابية لا بد من إتخاذها في إطار إعتراف دولي شامل بحقوق الشعب الفلسطيني. أما إذا كان غير ذلك فهذا معناه أن هنالك معركة عربية مع هولندا... ولن تكسب هولندا. ويمكنها التأكد من ذلك بالإطلاع على ما حدث عندما حاولت القفز فوق واقع جديد.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (ت) 1979

الفرق بين إحتفالين

عندما نرى كيف احتقلت الجزائر باليوبيل الفضي لثورتها وكيف احتقلت مصر قبل أسابيع بالذكرى السابعة والعشرين لثورتها تتضح لنا ثلاث حقائق.

الحقيقة الأولى: تتعلق بالأصالة الثورية. فالرئيس الشاذلي بن جديد إحتفل بذكرى ثورة ينتمي إليها وكان فخوراً بدعوة كثيرين إلى مشاركته في هذه الذكرى. في حين أن الرئيس أنور السادات يضيق ذرعاً بثورة 23 يوليو ويعبر عن ضيقه بشتى الوسائل. ربما لأنه في تلك الثورة كان دائماً رجل دولة وليس رجل ثورة.

وأحياناً يتصرف الرئيس السادات مع ثورة 23 يوليو تصرف المنتقم والهازيء خالطاً بذلك بين الثورة وبين أسلوب تعامل به معه قائد تلك الثورة وبعض المحيطين به. وهو أحياناً ينيب عنه نائبه السيد حسني مبارك لإلقاء خطاب الذكرى، أحياناً يقرأ هو الخطاب الذي يركز فيه على التجريح بالثورة. وهو في معظم الأحيان يحرص على ألا يشاركه أحد في هذه الذكرى كما لو أن قائد ثورة 23 يوليو كان ذلك الإبن العاق داخل الأسرة وليس من المهم التباهي به بعد موته.

الحقيقة الثانية: تتعلق بالشعور الشخصي. فالرئيس الشاذلي بن جديد يُقر ويعترف بأن ثورة الجزائر هي المهمة وهي التراث وهي المجد العظيم للبلاد. وهو في ذلك شأنه شأن هوارى بومدين وشأن كل القيادات الثورية النقية. وهو في ذلك أيضاً يشعر أن شخصه يذوب في الثورة. وهو على هذا الأساس أتى رئيساً للبلاد وليس على أساس الصدفة أنه دستورياً نائب لرئيس الجمهورية.

أما الرئيس أنور السادات فإنه يعتبر أن شخصه هو الأساس، بل إنه يرى أن شخصه أهم من مصر نفسها. وفي إطار هذه المشاعر لا تعود الثورة مهمة، مع الأخذ في الاعتبار أنه على رغم كل هذا التجريح وهذا التمثيل بشخص قائد ثورة 23 يوليو ستظل الثورة المصرية أهم الأحداث العربية في التاريخ العربي المعاصر، ولن يلغي أهميتها أن هنالك الكثير من العقوق بها.

ومن منطلق شعور الرئيس الشاذلي بن جديد بأن الثورة هي الأهم وهي الأساس وهي كل شيء، بدا حريصاً في اليوبيل الفضي على أن يعتبر هذا التكريم الذي يحظى به هو أنه يقود تلك الثورة العظيمة. أما الرئيس السادات فإنه من منطلق شعوره بأنه هو الأهم وأن شخصه هو الأساس يبدو حريصاً على إزالة معالم الثورة.

الحقيقة الثالثة: لأن الثورة الجزائرية هي ثورة الرئيس الشاذلي بن جديد مثلاً هي ثورة هوارى بومدين وثورة كل من شارك وناضل وإستشهد، فإنه من الصعب على فرد أن يساوم عليها، وأن يوافق على الإستهانة بها والقبول بتشويهها وإزالة الهالة التي لها في المنطقة، كما حدث بالنسبة إلى الرئيس أنور السادات الذي فعل العكس.

فهو في جلسات مقايضة طُلب منه أن يلغي الثورة ويشوه معالمها وإنجازاتها فلم يتردد وبدأ يصور الثورة على أنها أساليب قهر، ويصور إنجازاتها على صعيد الحلول الاشتراكية على أنها حلول تفكير الناس.

وفي جلسات مقايضة مماثلة بدأ يحرص على إظهار الثورة بأنها التحجر وعدم الواقعية وذلك لأنها مع القضية الفلسطينية ولأنها تعمل من أجل الوحدة.

هذا الأمر مرتبط بحقيقة الإنتماء الثوري. ولا نعتقد أن أطراف صفقات المقايضة وضعوا وزناً للرئيس السادات منذ أن تجاوب، وبسرعة، مع العروض التي قدّموا وحصلوا عليها وتركوه وحده في تهجماته وفي تشويه حقائق متصلة بالثورة المصرية.

يبقى أن نظرة العالم إلى الرئيس الشاذلي بن جديد كانت نظرة تقدير واحترام وهو يحتفل باليوبيل الفضي للثورة الجزائرية. ولم تكن كذلك عندما إحتفل الرئيس السادات بذكرى الثورة المصرية.

يبقى أيضاً أن مشاكل البلد وهموم الناس ليست سبباً لكي يشوه الحاكم مرحلة مضيئة من تاريخه. فمشاكل الجزائر أكثر تعقيداً من مشاكل مصر. والفرق بين الرئيس الشاذلي بن جديد والرئيس أنور السادات أن الأول يستمد قوته من تراثه، ومن أجل ذلك يشعر بالإعتزاز وبالقوة ويحظى على تقدير الآخرين له، في حين أن الثاني يفترض أن قوته في نهش تراثه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 نوفمبر (ت) 1979

هل يُسقط الخميني لعبة الأمم؟

مع كل ساعة تأجيل لإيجاد صفة حل للأزمة الرهائن الأميركيين المربوطة أياديهم وأرجلهم ليل نهار في طهران تقترب هذه الأزمة من مرحلة الورطة التي لا حل لها، أو أن حلها يحتاج إلى الكثير من التنازلات. ولعل تعقّد الأزمة ناتج عن أن الأميركيين إعتادوا، إزاء

مشاكل تنشأ مع دول الشرق الأوسط ودول العالم الثالث عموماً، أن يطلبوا التنازلات من هذه الدول من دون أن يقدموا هم أي تنازل، وعندما تقدم هذه الدول التنازلات يسهل فجأة أمر حل المشاكل مهما بلغت درجة تعقيدها.

ومشكلتهم الرئيسية الآن هي أنهم افترضوا أن الإمام الخميني يمكن أن يتنازل مع أن كل ممارساته تشير - ومنذ أن ترع في "قم" على البطانية عائداً من المنفى - إلى أنه لا يساوم ولا يبدو مستعداً لأي تنازل.

كما أن مشكلتهم تكمن في أن كل حلفائهم في المنطقة لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً. لا إسرائيل تستطيع أن تفعل شيئاً، ولا مصر تستطيع أن تفعل شيئاً، ولا الحلفاء التقليديون في مقدورهم أن يفعلوا شيئاً، وهم الآن مستعدون - في سبيل إحداث ثغرة في الموقف الإيراني يهز من هيبة الإمام الخميني - أن يقدموا الكثير، لكن الأمر بلغ الحد الذي بات فيه أحداث الثغرة ليس عملية سهلة.

ولم يشهد التاريخ وضعاً بتعقيدات الوضع الأميركي الإيراني، حتى يمكن الإستئناس بالأسلوب الذي إعتد في التعامل مع هذا الوضع، أو الإستعانة بالسحر الذي إستخدم من أجل إيجاد الحلول.

لقد حدث أن تبادلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي جواسيس لكن إيجاد حل لهؤلاء تم في إطار معادلة حفظت لكل دولة هيبتها.

أما بالنسبة لما هو حاصل بين أميركا وإيران فإن كل الحلول الممكنة تعني أن أميركا ستدفع من هيبتها الكثير إزاء أي حل تعتمده.

إذا سلمت الشاه إلى إيران ستفقد هيبتها من جهة، وستجعل من الصعب على حاكم في العالم أن يسير في خطها.

وإذا لم تسلم الشاه فمعنى ذلك أن رعاياها الرهائن سيكونون في خطر وهو أمر لا يمكن أن يتحملة الرأي العام الأميركي، فضلاً عن أن العلاقات مع إيران ستبقى متوترة، وقد يستتبع ذلك قطع النفط الإيراني عن الولايات المتحدة.

وإذا أعلنت الولايات المتحدة أن الشاه توفي فجأة فإن إيران لن تصدق أنه قضى متأثراً بمرضه وإنما جرت تصفيته، وهذا لن يحل شيئاً من الأشكال. إضافة إلى أن الولايات المتحدة ستظل في أعين الإيرانيين تخفي وثائق وتتحفظ على ثروات كانت للشاه.

وقد يحدث أن يتوفى الشاه بشكل طبيعي، لكن

وفاته لن تحل شيئاً لأن الشرخ في العلاقات حدث، وليس من السهل إيجاد علاج له.

وإذا سلمت الولايات المتحدة الشاه إلى الرئيس أنور السادات فإن المشكلة ستكون أكثر تعقيداً لأن معنى ذلك هو تحدي الثورة الإيرانية. ومعناه أيضاً أن عدم التجاوب مع ما تريده، فضلاً عن أن حجة عدم قدرة الشاه الصحية على السفر ستسقط تلقائياً.

وإذا إختارت الولايات المتحدة التشدد وقررت التدخل عسكرياً لإنقاذ الرهائن فإنما ستغرق على الأرجح في بحر الثورة الإسلامية الذي لا قرار له، فضلاً عن أن ذلك سيجعل القنبلة الموقوتة في منطقة الشرق الأوسط تنفجر وتصيب شطاياها الأميركيين قبل غيرهم.

والى ذلك، إن جميع رعايا أميركا في كل دولة إسلامية سيصبحون هدفاً لحيوب خمينية غير منظورة. وإذا تعثر المسعى الفلسطيني للإفراج عن الرهائن فإن ذلك يسقط الاعتقاد بأن ما يحدث يدخل في نطاق سيناريو تم الاتفاق عليه قبل أن يبدأ عرضه على الرأي العام العالمي.

كما أن تعثر المسعى الفلسطيني معناه أن الثورة الفلسطينية لها في قلب الخميني حيز متواضع وليس القلب كله.

وحتى إذا نجح المسعى الفلسطيني مقابل إعراف من الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبدء حوار معها يقود إلى تحقيق الدولة الفلسطينية فإن ذلك لن يكون بالأمر المقبول، ضمناً، من معظم الأنظمة العربية التي لن تكون مرتاحة إلى أن ما قدمته للقضية الفلسطينية في ربيع قرن جاء الخميني وقطفه في لحظات.

ولو أن الخميني يناصب العداء الولايات المتحدة ويوطد في الوقت نفسه علاقاته بالاتحاد السوفياتي لسهل على الأميركيين التفاوض مع السوفيات في إطار لعبة تقاسم النفوذ وحلوا المشكلة بالتالي هي أحسن، لكن الخميني أقفل الباب أمام السوفيات وهو لن يناصبهم العداء لأنهم - بإستثناء العداء الإيديولوجي من جانبه لماركسيته - لم يفعلوا ما فعله الأميركيين بإيران طول حكم الشاه.

ولو أن في إيران نظاماً تدخل معه الولايات المتحدة في حوار وفي تبادل مصالح لربما كان سهل الأمر، لكن في إيران موجة لا قدرة للولايات المتحدة على مواجهتها قبل أن تصل هذه الموجة إلى الشاطئ وتستقر.

ولو أن علاقة الثوريين بالثورة الإيرانية كانت جيدة لأمكن عن طريق هؤلاء الوصول إلى قواسم مشتركة، لكن العلاقة على شيء من الحدة، ولا يعني عدم انفجارها أنها بخير.

ولو أن لإيران مصالح في الولايات المتحدة أمكن الإقتراض بأن سلاح المصالح يمكن أن يحقق الغرض. وهنا تبدو الإشارة ضرورية إلى أن إدارة الرئيس كارتر بعدما بحثت عن مصالح إيران في أميركا لتضغط من خلالها ولم تجدها، إتجهت إلى فرض إجراءات على طلاب ومواطنين إيرانيين يناهز عددهم الخمسين ألفاً. ولا بد أن الرأي العام الأميركي شعر بألم لا مثيل له وهو يرى رئيسه يستجد بإدارة الجوازات والهجرة لحل مشكلة تتجاوز بكثير الصواريخ السوفياتية التي نُصبت في كوبا.

ويبقى أن الإدارة الأميركية تسجل للمرة الثانية خطأ جسيماً في الحسابات والتقدير. المرة الأولى كانت عندما إستهانته بالثورة الإسلامية واعتبرت أن الأمر يمكن حله عن طريق شاهنور بختيار، ثم فاجأها الإمام الخميني كالأعصار.

والمرة الثانية كانت عندما إفتترض أنها تستطيع أن تستقبل الشاه المريض وتستضيفه ولن يكون في وسع الخميني أن يفعل شيئاً.

... ولكن الخميني فعل. ويبدو كما لو أنه يُسقط لعبة الأمم. وحتى إشعار آخر ما زال هو سيد الموقف والقرار.

مجلة "المستقبل". باريس- السبت 17 نوفمبر (ت) 1979

* * *

عبد الناصر والخميني:

المواجهة المتشابهة

من كان يصدق أن الصين بعد ماوتسي تونغ ستصبح شبه حليفة للولايات المتحدة؟

ومن كان يصدق أن مصر يمكن أن تصبح بعد ربع قرن من المجابهة للسياسة الأميركية في المنطقة، دولة تتأصب العداء لكل الدول والسياسات التي تعترض على هذه السياسة؟

ومن كان يصدق أن تتحول فجأة إيران، التي علقت عليها الولايات المتحدة الأمل وسلحتها، لكي تتولى

بالنيابة عنها حماية السياسات الأميركية في المنطقة، إلى دولة تقود حرباً بالغة الشراسة ضد أميركا وتوجه إليها يومياً ضربات لم يعتد عليها حكام البيت الأبيض؟ إن أحداً قبل ساعات من وفاة ماوتسي تونغ ما كان ليصدق أن الولايات المتحدة ستصبح في نظر حلفائه نمراً يخيف بدل أن يكون هراً من ورق، كما رُبع ذلك في أذهان السبعمة مليون صيني ماوتسي تونغ، وإن أحداً قبل ساعات من وفاة جمال عبد الناصر ما كان ليصدق أن تنتهي مصر من بعده جرمياً يدور في الفلك الأمريكي، وإن أحداً قبل أن تنتصر ثورة الخميني ما كان ليصدق أن تنتهي إيران دولة توجه الضربات ضربة تلو الأخرى إلى السياسة الأميركية ويجد حكام البيت الأبيض أنفسهم عاجزين عن إتخاذ القرار الحاسم إزاء ما يحدث لأميركا من جانب إيران...

وعندما بدأ عند الناصر حربه على أميركا كانت هنالك ثغرات في هذه الحرب لأنما كانت في بعض جوانبها لمصلحة الإتحاد السوفياتي من دون أن يخطط عبد الناصر لذلك. وعندما خاض الرئيس أنور السادات الحرب ضد الإتحاد السوفياتي فإنها كانت عن سابق تخطيط لمصلحة أميركا.

أما الحرب التي يخوضها الخميني الآن ضد الولايات المتحدة فإنما خالية من الثغرات لأن العلاقات التي بين الثورة الإيرانية والإتحاد السوفياتي ليست أفضل كثيراً من العلاقات الإيرانية - الأميركية. وصحيح أن السوفيات في نهاية الأمر لا يريدون لأميركا أن تنتصر في إيران، إلا أنهم في الوقت نفسه لا يريدون لشوكة الخميني أن تستمر تدمي وأن معنى فوزه بالجولة الراهنة من هذه الحرب أن نفوذه سيمتد وكلمته ستصبح مسموعة أكثر ومفاهيمه الإسلامية ستسود وهي أمور يصعب عليهم مواجهتها.

ومثلما أن السوفيات إفترضوا أن الوفاق هو الصيغة النهائية للتعايش ومن أجل ذلك لم يشغلوا أنفسهم بوضع إستراتيجيات بديلة لمواجهة أوضاع تستجد مثل الوضع الراهن في إيران، فإن الدول العربية لم تشغل نفسها في وضع إستراتيجية تواجد بما الوضع نفسه، ربما لأنها على مدى بضعة أشهر شغلت نفسها في رهان حول الفترة التي يمكن أن تعيشها ثورة الخميني وهنالك من إفترض أن هذه الثورة ما دامت في إطار المفهوم الديني والاجتماعي فإن من السهل مواجهتها بالإجراءات، وإنه ما دام هنالك بين إيران والولايات المتحدة معاهدة عسكرية لم تنتهها ثورة الخميني فمعنى ذلك أن الشبهات

على هذه الثورة كثيرة، ومعنى ذلك أنه لا ضرورة للمخاوف، أي بمعنى آخر إن الدول العربية لم تقتصر أن تصل التطورات الإيرانية - الأميركية إلى مشارف دائرة الحرب الوطنية، ولكنها وصلت، وليس مهماً أنها وصلت بسبب الشاه، إذ لولا الترسبات التي تواجدت على مدى ربع قرن لما كان لهذه الحرب الدائرة الآن بين إيران وأميركا أن تصل إلى الحد الذي وصلت إليه.

وقد يجوز الافتراض أن الخطوة الخمينية والمتمثلة بهذه الحرب التي يخوضها ضد السياسة الأميركية الإمام الخميني أبعدت الحل المعقول للمسألة الفلسطينية بنسبة ما أحدثته خطوة الرئيس السادات عندما انفرد بضلع مع إسرائيل، فقبل ذلك الصلح المنفرد كان من الممكن أن تصل لعنة الأخذ والرد بين العرب والولايات المتحدة إلى الحد الذي يمكن من خلاله الحصول على الحد الأدنى المعقول للمسألة الفلسطينية. وقبل الخطوة الخمينية كانت الدبلوماسية الفلسطينية بدعم عربي كبير بدأت تقترب من مشارف الحل المعقول. أما الآن فقد طفت أصوات الحرب الإيرانية - الأميركية ولم يعد صوت الدبلوماسية الفلسطينية مسموعاً كما كان قبل شهر، علماً بأنه كان سيبدو الصوت الأعلى لو أن الخميني أعطى الثورة الفلسطينية ورقة إنقاذ رهائن السفارة الأميركية في طهران، أو طلب أن يكون الإفراج عن الرهائن مرتبطاً بحدوث تغيير في الموقف إزاء القضية الفلسطينية، لكن ذلك لم يحدث إلا إذا كان الخميني سيعطي الثورة الفلسطينية هذه الورقة بعد أن يلعب إلى النهاية ورقة إسترجاع الشاه وقد يكون الإمام الخميني يتذكر باستمرار ظروف العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 ويرى أن القضية الوطنية للمسلمين تكون في تحجيم الضغط والتأثير من جانب الولايات المتحدة عليهم. بل انه قد يكون يتطلع إلى أن يحدث للولايات المتحدة ما حدث لبريطانيا بعد عدوان 1956 حيث أنها لم تعد عظمى بعد ذلك العدوان ولم تعد إمبراطورية وتهالكت بالتدرج وقد يكون يرى أن كل الأوضاع الصعبة التي يواجهها المسلمون في منطقة الشرق الأوسط سببها الشعور بالقوة وبالعظمة من جانب الولايات المتحدة، فضلاً عن أنه ليس هنالك قيادات تريد أن تخوض حتى الإستشهاد الحرب من أجل القضية الوطنية. وقد يكون الخميني يرى أنه لا حلول على الإطلاق لقضايا المسلمين إلا إذا حدث للولايات المتحدة ما حدث لبريطانيا عام 1956 وقد لا يكون خائفاً من مسألة إنفراد الاتحاد السوفياتي بالقوة إذا

ضعفت القوة الأميركية، فالسوفيات قد يكونون في نظره أقوى لأن الولايات المتحدة قوية، وإذا إهتزت القوة الأميركية تصبح القوة السوفياتية غير ذات تأثير لأن هنالك قضايا إجتماعية وسياسية داخل الاتحاد السوفياتي قابلة للتفجر وقد يقال أن عبد الناصر هز هيبة بريطانيا العظمى وتصدى لأميركا، ولكن مصر دفعت بعد ذلك الثمن كبيراً فهل إن ذلك سيكرر مع إيران؟

قد تكون الإجابة المقنعة صعبة على هذا السؤال إنما من الممكن تلمس ملامح جواب من خلال الملاحظات التالية :

الملاحظة الأولى - إن عبد الناصر كان صاحب دعوة قومية بينما الخميني صاحب دعوة دينية، والشعور الديني أقوى من الشعور القومي.

الملاحظة الثانية - إن عبد الناصر خاض معاركه برأي عام خارجي يتفوق إندفاعاً وحماسة للنضحية على الرأي العام الداخلي، أما الخميني فإنه يقود معركته برأي عام داخلي قوي جداً وأهم ما فيه أن قاعدته الشعبية من الشباب، وأن بعض المشاركين في الإستشارة والتنفيذ خريجو الجامعات الأميركية وعاشوا سنوات طويلة في الولايات المتحدة وخبروا نقاط القوة والضعف في أميركا.

الملاحظة الثالثة - إن عبد الناصر شأنه شأن الخميني إستدرج الآخرين إلى المواجهة، ولكن عبد الناصر كان آنذاك في السن الذي تتقلب فيه الحماسة على التأني كما هي الحال بالنسبة للخميني. وطبيعة القرار تختلف كلياً بين قائد في الثمانية والثلاثين من العمر وضابط، وبين قائد في الثمانين ورجل دين.

الملاحظة الرابعة - إستدرج عبد الناصر الآخرين (تأميم قناة السويس) إستهدف في التفكير الباطن ضرب الإستعمار البريطاني والفرنسي في العالم العربي، وإستدرج الخميني الولايات المتحدة يستهدف في التنكير الباطن هز هيبته وإضعاف شوكتها ولقد وقعت بريطانيا في الخطأ عندما إعتدت وبدأت تسير على طريق التفتت كأمبراطورية. وقد يقود الولايات المتحدة خطأ ترتكبه إلى وضع مماثل.

الملاحظة الخامسة - من خلال مقارنة بسيطة يمكن القول أن ما فعله الملك فاروق خلال حكمه فعله الشاه محمد رضا بهلوي، ومن هنا إن المواجهة التي خاضها عبدالناصر مع الغرب كانت في إطار القضية الوطنية، وليست في الإطار الشخصي كما حدث الآن مع الخميني، عبد الناصر وضع الملك فاروق في يخت

وبين الغرب، يعيد الناس إلى جذورهم على أن "كنتم خير أمة أخرجت للناس" ليست مجرد كلمات وإنما يجب أن تكون حقيقة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 نوفمبر (ت) 1979

القوة الفلسطينية المتضامنة

منذ أن بدأت الثورة الفلسطينية عملياتها عام 1965 كثر الكلام حول موقف فلسطيني الداخل. وكنا بين الحين والآخر نسمع كلاماً لا يقال بغرض النشر من مسؤولين عرب خلاصته أنه ما دام فلسطينيو الداخل لا يقررون العصيان على سلطات الاحتلال الإسرائيلي، فإن سلطات الاحتلال ستبقى مطمئنة إلى حد ما.

ثم جاءت قضية بسم الشكعة(*) تمثل سلاحاً فلسطينياً جديداً يضاف إلى السلاح العسكري المتمثل في العمليات التي نفذتها فصائل المقاومة والسلاح السياسي الذي توج بالسعي الديبلوماسي الفلسطيني والذي يحقق يوماً بعد آخر إنجازات بالغة الأهمية.

ولقد حققت قضية بسم الشكعة الغرض المطلوب حيث أنها عززت في نفوس فلسطيني الداخل مشاعر الصمود فضلاً عن أنها أكدت أمراً في منتهى الأهمية وهو أن الصمود يأتي نتيجة الصبر والمثابرة والتضامن. فلو أن بسم الشكعة لم يصبر ويثابر لما كان زملاؤه رؤساء بلديات الضفة الغربية وقفوا إلى جانبه. كما أنه لولا وقوف رؤساء البلديات إلى جانب زميلهم لما كان له أن يصمد.

وإلى ذلك إن قضية بسم الشكعة عمّدت ولادة قوة فلسطينية سياسية جديدة هي قوة رؤساء البلديات، وهي قوة كانت حسابات الولايات المتحدة والرئيس أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن تقوم على أساس أنها القوة التي ستخدم صفقة "كامب ديفيد" ثم أثبتت التطورات أن هذه القوة من الوطنية والإخلاص للقضية الفلسطينية التي تمثلها منظمة التحرير بحيث

بلدات الضفة الغربية. ولم يثنه هذا العمل الإرهابي عن مواصلة نضاله من أجل القضية الفلسطينية طوال خمس سنوات في إقامة جبرية في منزله فرضتها سلطات الاحتلال. ومن أقواله "إذا كان الصهيونية استطاعوا بتر أقدامي لكنني لن أساوم ولن يستطيعوا قطع نضالي".

نقله إلى الخارج مع توديعه رسمياً ثم حاكم عهده بعد ذلك ولم يحاكم شخصه، أما الخميني فيصر على محاكمة الشخص، وتلك في أي حال ثغرة في الموقف العام للثورة الإيرانية لأن هنالك تمازجاً بين الموقف الشخصي والموقف الوطني.

لقد خاض عبد الناصر المواجهة لأنه أمم قناة السويس، ويخوض الخميني المواجهة لأنه يريد من الولايات المتحدة أن تسلمه رأس الشاه، ولعل طبيعة سبب المواجهة عند عبد الناصر هي التي أوجدت له رأياً عاماً عربياً لا مثيل له، كذلك لعل طبيعة سبب المواجهة عند الخميني هي التي جعلته لا يستقطب الرأي العام الإسلامي. في حين إن الخميني كان سيحدث زلزالاً عربياً إسلامياً لو أنه أعلن وبكثير من الوضوح أنه يحتجر الرهائن في سبيل الضغط على الولايات المتحدة لتغيير موقفها من القضية الفلسطينية.

الملاحظة السادسة - لقد خاض الناصر معركة المواجهة ومصر بلد فقير في حين أن الخميني مستند إلى بحيرات الغاز والنفط في إيران وإلى الأرصادة المتراكمة وإلى الذهب الكثير وبقدر ما يشكل ذلك عنصر إطمئنان للشعب الإيراني بأنه لن يجوع من جراء مواجهة الخميني للولايات المتحدة، إلا أن حصارات إقتصادية متعددة قد تجعل المواد الغذائية مسألة في غاية الصعوبة بالنسبة إلى الشعب الإيراني، وفي زمن الحصار يصح رغيف الخبز أغلى من سبيكة الذهب وتصبح المياه أغلى من النفط بكثير.

وتكراراً إذ نحن إفتراضنا في صدد أن يكرر مع الولايات المتحدة ما فعل عبد الناصر مع بريطانيا العظمى فإن معنى ذلك أن المسألة تتجاوز بكثير لوي الأذرع والعض على النواجذ. ونعود إلى ما بدأناه في بداية هذا الكلام مع إضافة بسيطة هي:

... ومن كان يصدق أن الولايات المتحدة بكل قوتها وعظمتها هزها شيخ في الثمانين إسمه آية الله الخميني يجلس على بطانية ويقضي وقته في الصلاة والتسبيح والتأمل. لكلمته فعل السحر على مرديه. لا يتساهل ولا يتنازل ولا يساوم. يرى أن الموسيقى حرام ويتمنى لو يستطيع أن يبني جداراً مثل جدار الصين بين بلاده

(*) يوم 2 يونيو/ حزيران 1980 تعرض بسم الشكعة رئيس بلدية نابلس والشخصية الوطنية الفلسطينية العروبية (بعثي سابق) إلى محاولة إغتيال نفذها تنظيم صهيوني إرهابي سري وذلك بإنفجار عبوة وضعت في سيارته أدى إلى بتر ساقيه. وقد أشعلت هذه العملية شرارة إنتفاضة في عدد من

يستحيل عليها التجاوب مع أي إغراءات تأتي من أميركا ومصر وإسرائيل.

نجد أنفسنا وسط إنبهار لا حدود له بمسلكية بسم الشكعة القائمة على الصبر والصمود وبمسلكية زملائه رؤساء بلديات الضفة الغربية نتمنى لو يحدث في المقاومة الفلسطينية توحّد في الموقف شبيهه بتوحد الموقف الذي ظهر من رؤساء بلديات الضفة الغربية. نقول ذلك على أساس أن ليس هنالك توحّد حقيقي في الموقف، وإنما هنالك تضامُن وتوحد في العمل وتناقض وراء الكواليس.

ولقد أظهرت قضية بسم الشكعة أن هنالك تبديلاً أساسياً في نظرة الرأي العام العالمي إلى القضية الفلسطينية وعندما تتراجع سلطات الاحتلال الإسرائيلي عن قرارات إتخذتها في حق رئيس بلدية نابلس فلأنها وجدت أن الرأي العام العالمي بإستتكاره الصامت والمعلن لهذا الأسلوب شكّل أداة ضغط قوي على السلطات الإسرائيلية يقابله تصميم من الشكعة على أنه لن يعيد النظر في الصمود ويدعم هذا الصمود كل رئيس بلدية في الضفة الغربية المحتلة إعتبر نفسه بسم الشكعة وتصرف على هذا الأساس.

ما الذي يعنيه ذلك؟

إن قضية بسم الشكعة جاءت اختباراً هو الأول من نوعه للمقاومة المدنية. وهو اختبار ناجح في كل المقاييس. ونجاح هذا الإختبار سيمهد الطريق أمام خطوة في إطار المقاومة المدنية مطلوب الإقدام عليها في الشهر المقبل. ففي السادس والعشرين من كانون الثاني/يناير 1980 ستحدث محاولة لفتح الحدود بين مصر وفلسطين، وهذا متفق عليه بين الرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن في إطار صفقة "كامب ديفيد". وفي الأسبوعين الأخيرين حرص المسؤولون المصريون على التأكيد بأن هذه الخطوة ستتم في موعدها، وأن تبادل التمثيل الدبلوماسي سيتم أيضاً في موعده.

وإذا كانت قمة بغداد ومن ثم قمة تونس لم تجعلها، بقرارات المقاطعة التي إتخذت فيهما، الرئيس السادات يعيد النظر في مغامرته ويقرر المضي حتى آخر التورطات، فإن في قدرة مقاومة مدنية يقودها رؤساء بلديات الضفة الغربية وغزة بالأسلوب الذي إعتدوه إزاء

إعتقال زعيمهم بسم الشكعة أن يربكوا خطوة التطبيع التي يريدها الرئيس السادات ويؤكدوا أن فتح الحدود يكون بإرادة فلسطينية وليس بقرارات نابعة من التورط.

ولقد أوضح رئيس بلدية غزة رشاد الشوا الموقف ببضعة أسطر "نحن في قطاع غزة لنا تحفظنا بأن الحدود ستفتح بين غزة ومصر بإعتبارنا تحت الاحتلال ولسنا جزءاً من إسرائيل. إننا نعتبر هذا الإجراء خطوة غير قانونية، وعلى مصر إذا أرادت تطبيع علاقاتها مع إسرائيل أن تذهب وتفتح حدودها بعيداً عن أرضنا. أما من جهتنا فعندما نملك زمام أمورنا وتصبح لنا دولة مستقلة سنقرر بأنفسنا فتح أو عدم فتح الحدود مع مصر أو غيرها وليس لأحد حرية التصرف نيابة عنا".

وعندما نلاحظ أن هذا الموقف حدده الشوا بعد ساعات من تراجع إسرائيل عن قراراتها وإطلاق سراح زميله رئيس بلدية نابلس يتبين لنا أن قضية بسم الشكعة أفادت وستفيد بعد اليوم كثيراً. ومن الواضح أن الشوا عندما يقول هذا الكلام الذي قاله فإنه يستند إلى أن القوة الفلسطينية المتضامنة أي قوة رؤساء بلديات الضفة الغربية المحتلة ستساند موقفه، وعندها سيبدو عدم فتح الحدود بين مصر وإسرائيل عن طريق غزة أفضل بكثير من فتحها.

وتكراراً، إن صمود بسم الشكعة وتضامُن زملائه رؤساء البلديات معه والدعم المعنوي غير المحدود له من جانب الفلسطينيين في الخارج أو الذين يعيشون تحت الاحتلال الإسرائيلي هي التي جعلت سلطات الاحتلال ترضخ وتفرج عنه. ومناسبة هذا القول والتأكيد عليه أن الصحافة المصرية صوّرت بسم الشكعة على أنه أحد العاملين في إطار مخطط "كامب ديفيد" وذلك عندما نشرت نبأ الإفراج عنه تحت عنوان: "نجحت جهود مصر وتقرر الإفراج عن الشكعة وإعادته إلى عمله"... في حين أنها تجاهلت ما قاله الشكعة قبل إعتقاله "إننا نرفض إعتبارنا قادة سياسيين لأن القيادة الوحيدة، وكما يعلم العالم كله، هي منظمة التحرير الفلسطينية".

... وهي ليست المرة الأولى التي تروي فيها الصحافة المصرية الحقائق معكوسة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 ديسمبر (ك) 1979

* * *

العرب... وإيران بني صدر

أخيراً حُسمت بعض الأمور في إيران وبقيت بعض الأمور التي تحتاج إلى حسم. أصبح لإيران رئيس جمهورية يحظى بثقة الأكثرية الساحقة من شعب إيران وهو شاب. وهو ينتمي إلى العصر، وهو علماني. وهو صاحب أفق متطور، وهو ثوري، وهو على دراية تامة بالظروف الموضوعية في العالم العربي.

ولا بد أن أبو الحسن بني صدر يدرك كل الإدراك أن الذي أوجد حالة الحذر العربية من الثورة الإيرانية هو بعض المبالغات وبعض الطروحات من جانب آيات الله في إيران، فهؤلاء أوحوا بل وتصرفوا على أنهم أول الثوريين وآخرهم وأن الثورة الإيرانية هي خير الثورات وليس هنالك ثورة خيرة من قبلها ولن تكون الثورة خيرة من بعدها إلا إذا سارت في هديها. وهؤلاء أيضاً تصرفوا على أساس أن الإسلام الحق هو إسلام آيات الله وما عدا ذلك فهو ليس بالإسلام. ومن أجل ذلك فإن رجل إيران المستنير أبو الحسن بني صدر لا بد أن يأخذ في الاعتبار مشروعية التحفظ من جانب الأكثرية العربية على الثورة الإيرانية ولا بد أيضاً أن يأخذ في الاعتبار أسباب الحذر العربي الذي ما زال قائماً حتى الآن.

وقد يكون من الظلم في مكان مطالبة رجل إيران الجديد أن يحل كل الإشكالات العالقة بين بلاده والآخرين قبل أن تتوضح بعض المعالم وقبل، وهذا هو الأهم، أن يتبين ما إذا كان في قدرة أبو الحسن بني صدر أن يتخذ القرار أو على الأقل يشارك في صنعه، لا أن يأتي القرار من فوق وما عليه سوى التنفيذ، كذلك قد يكون من الظلم في مكان مطالبة بترتيب أوضاع بلاده وعلاقاتها المتوترة مع الخارج قبل أن ينجز القسم الأساسي من ترتيب الأوراق الداخلية. لكن من الضروري أن تصدر عنه إشارات أو إيماءات تجعل الآخرين يردون عليها بالمثل، فهو من دون الإطمئنان العربي والدولي له لن يستطيع أن يرتب بسهولة أوراق إيران الداخلية بل أن حصوله على ثقة العرب وإطمئنانهم يشكل ورقة أساسية يلعبها في وجه عسكري إيران الذين إفترضوا أن ثمن وقوفهم إلى جانب الخميني ومساعدته على إسقاط حكم الشاه هو أن يتقاسموا السلطة بعد أن تستقر الأمور. وجاءت تزكية الخميني للمدني المستنير أبو الحسن بني صدر تخيب آمالهم وقد يترتب على ذلك نمو ضفائن في نفوسهم يعبرون عنها في الوقت المناسب.

من الضروري أن تصدر عن أبو الحسن بني صدر ما يجعل الخليجيين يطمئنون إلى إيران وما يجعل العراق يثق بالعهد الجديد في إيران وما يجعل السعودية تعتبر أنها ليست واحدة من الأهداف الإيرانية وما يجعل العلاقات بين الثورتين الإيرانية والليبية وإلى ذلك هنالك مسألة الرهائن التي لا بد من إيجاد حل لها وإستناداً إلى وجهة نظر أبو الحسن بني صدر في مسألة الرهائن يمكن القول، أو بالأحرى الإفتراض، بأن هذه المسألة ستُحل إذا كان آية الله الخميني سيسمح له بشيء من المرونة في ممارسة منصبه، وهنالك كثيرون جداً سمعوا من بني صدر في الأسابيع القليلة الماضية وجهة نظره التي ترى أن تتحول مسألة الرهائن من مسألة ثأرية إلى قضية مصلحة تستفيد منها إيران. وهنالك شخصيتان عربيتان سمعتا من بني صدر تفاصيل وافية حول كيف يمكن الإستفادة من هذه المسألة. بل أن هاتين الشخصيتين نشطتا كل في اتجاه وأحدثت الخطوات التي تمت بفضل تحركهما حتى الآن ليونة في الموقف الأميركي. وبعدما بات أبو الحسن بني صدر في موقع قوي في السلطة من الضروري أن ينتهي الإشكال المتعلق بالرهائن.

وقد يكون مثل هذا الأمر صعباً بعض الشيء على الخميني على أساس أنه من النوع الذي لا يقبل بالمساومة ولا يؤمن بالتنازلات. لكن الأمر ليس بهذه الصعوبة بالنسبة إلى بني صدر ذلك المرن المدرك كل الإدراك لظروف العصر وحساسية التعامل مع الدول الكبرى.

وإذا جاز التوضيح فإن ما يبدو مستحيلاً على رجل الثورة يمكن إعتباره سهلاً بالنسبة إلى رجل الدولة. وبني صدر هو رجل الدولة وظروفه تختلف تماماً عن ظروف الخميني رجل الثورة.

إن الإمام الخميني لا يبدو مستعداً للتراجع في مسألة الرهائن ويبدو مستعداً لتقبل أية مخاطر لأنه يعتبر الإستشهاد حقاً. لكن بني صدر يدرك أيضاً أن الأمر لن يقتصر على الإستشهاد وإنما قد تؤدي المخاطر إلى تقطيع إيران وسيطرة الولايات المتحدة على إيران ومنطقة الخليج عموماً من دون أن تشكل المقاومة أو الاعتراضات ما يحول دون حدوث السيطرة، ولعل في ما حدث في أفغانستان ما يؤكد ذلك، لقد غزا الإتحاد السوفياتي أفغانستان ووضع العالم أمام الأمر الواقع. وليس هنالك ما يشير إلى أن هذا الأمر الواقع سيتبدل. وإلى ذلك هنالك أمر في غاية الأهمية يدركه ولا بد

الإيرانيين. وبقدر ما كانت هنالك حماسة من جانب الإيرانيين على انتخاب رئيس لهم بالقدر نفسه كانت هنالك حماسة من جانب الأنظمة العربية لكي يكون هنالك رئيس جمهورية، أياً كان رئيس الجمهورية. أما وأن بني صدر هو الذي إنتُخب فإن ذلك يشكل إضافة إلى الشعور بالإطمئنان.

لكن ذلك لا يكفي، فيقدر ما هو ضروري أن يبادر بني صدر ويطمئن الأنظمة العربية، بالقدر نفسه تبدو هذه الأنظمة مطالبة بأن تعبر عن ترحيبها به. وفي استطاعة بعض الكلمات التي تصاغ بها برقيات التأييد، والرسائل أفضل من البرقيات، أن تُشعر رجل إيران الجديد بأنه الشخص الممكن التعاون معه وليس فقط التعايش.

يبقى أيضاً أن الأشهر القليلة الماضية أوجت بأن المنطقة على أبواب انفجارات بسبب إنعدام وجود جسور بين الثورة الإيرانية والدول العربية. ... ولقد أن الأوان مع الولادة القيصريّة لإيران الدولة، والدولة الثورية، أن تبني هذه الجسور، بذلك يحدث الإطمئنان، وبذلك تبتعد عن المنطقة أساطيل أميركا وأحلام الإتحاد السوفياتي.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 2 فبراير (شباط) 1980

ورقة ضغط تنتظر اللاعبين

في أيدي العالم العربي والإسلامي ورقة ضغط لا مثيل لها جاءت في الوقت المناسب. وإذا كان الغزو السوفياتي لأفغانستان سيئاً من معظم الجوانب فإن له إيجابية واحدة وهي أنه من دون أن يعتمد السوفييات ذلك وضّع في أيدي العرب والمسلمين الورقة التي نشير إليها. وقبل هذه الورقة كانت الحاجة ماسة إلى وسائل ضغط يمارسها العرب والمسلمون على الولايات المتحدة. ولكن الأجواء التي أفرزها الصلح المصري - الإسرائيلي في المنطقة العربية جعلت من الصعب البحث عن وسائل الضغط خصوصاً أن بعض التعقيدات والإشكالات التي لا تخلو من الخطورة حدثت في الدولة التي في قدرتها أن تمارس الضغط ونعني بها المملكة العربية السعودية. ومن هنا القول إن الإيجابية الوحيدة للغزو السوفياتي هي أنها وضعت في أيدي أهل القرار في البلاط السعودي ورقة هم في أشد الحاجة إليها.

رجل إيران الجديد أبو الحسن بني صدر وهو متصل بالثورة الفلسطينية. إنه يدرك أن الثورة الإيرانية كادت لولا التعقل من جانب القيادات الفلسطينية تُحدث فجوة أو فجوات بين الأنظمة العربية والثورة الفلسطينية، ومن أجل ذلك من المهم أن تأخذ إيران في الاعتبار طبيعة العلاقات التاريخية بين الثورة الفلسطينية والأنظمة العربية وتتوقف عن تعبئة بعض القيادات الفلسطينية ضد هذه الأنظمة.

وتبقى ثلاثة أمور :

الأول: إن الدول العربية إرتاحت ضمناً لفوز أبو الحسن بني صدر لأنها تتطلع إلى علاقات أفضل مع إيران بل أنها تقترض حدوث حوار عربي - إيراني يشكل في محصلة نتائجه ضغطاً على الدول الكبرى، وبالذات على الولايات المتحدة وهذه الدول إرتاحت ضمناً لأنها تقترض أن الحوار غير الممكن مع السلطة الدينية لأكثر من سبب، بات ممكناً مع رجل دولة مثل بني صدر.

وحتى إذا كان بني صدر سيستمر أسير إرادة السلطة الدينية فإن الحوار معه ممكن ومفيد. إنه على الأقل يشكل صلة الوصل بين هذه الدول وبين السلطة الدينية في إيران ومتى قارنا بالظروف التي كانت سائدة من قبل، حيث لا وجود لصلة الوصل هذه، وحيث كان بني صدر نفسه وزيراً للإقتصاد والتخطيط لا يقوم بهذه المهمة، أمكننا إدراك أهمية وجوده الآن كرئيس للجمهورية.

الثاني: بما أن بني صدر يدرك ضمناً إن إيران هي وراء الحذر والتحفظات القائمة عند الأنظمة العربية فإن تبديل هذه الصورة يبدو أمراً ضرورياً، وقد يكون إرسال مبعوثين له إلى الدول العربية يوضحون ويطمئنون أمراً في غاية الأهمية.

وصحيح أنه يملك ثقة إيرانية كبيرة إلا أن الثقة العربية به ستدعم موقفه في وجه سلطة آيات الله الذين قد يعرقلون خطته خصوصاً إذا وجدوا أنفسهم مبعدين عمداً عن ساحة القرار، وفي وجه العسكريين الذين قد يضايقهم أنهم لم يحصلوا على ثمن مشاركتهم في إسقاط سلطة الشاه.

الثالث: لقد تميزت إنتخابات الرئاسة في إيران بإقبال شعبي كبير وهذا يعود إلى أن الإيرانيين يريدون أن تستقر الحال وتحل الدولة محل الثورة أو على الأقل ستتواكب الدولة مع الثورة. ويريدون أن يكون هنالك نظام يحل محل الفوضى ... وهكذا.

وحال الدول العربية كان إذا جاز التعبير من حال

ولعل في النقاط الثلاث الآتية ما من شأنه أن يوضح أهمية هذه الورقة والأثر الكبير الذي يمكن أن ينتج عنها إن هي مورست وكما يجب.

النقطة الأولى: لقد فعلت الولايات المتحدة المستحيل من أجل تكوين موقف دولي ضد الإتحاد السوفياتي. ولم يحدث أن بذلت الجهد الذي بذلته من أجل مواجهة السوفيات نتيجة الغزو الذي قاموا به. بل إن الحملة الدبلوماسية والإعلامية التي قامت بها تتساوى مع الخطوات التي أقدمت عليها لمواجهة واقع الأمر الماركسي في كوبا. ثم تبين لها أن كل الجهد الذي تقوم به لن يحقق شيئاً من دون مواجهة ذات طابع ديني للسوفيات. ولولا مؤتمر إسلام آباد - على رغم أنه لم يجمع كل العرب والمسلمين - لما كان في أيدي الولايات المتحدة أن تفعل شيئاً، باستثناء قرار مقاطعة الألعاب الأولمبية. ولا ندري كيف سيكون حال إدارة الرئيس كارتر لو أن الغزو السوفياتي تم بعد انتهاء دورة الألعاب الأولمبية، أو لو أن هذه الدورة كانت ستعقد بعد سنتين مثلاً وليس بعد أشهر قليلة كيف كانت ستواجه إدارة الرئيس كارتر السوفيات وبماذا؟

النقطة الثانية: من الواضح أن إدارة الرئيس كارتر تريد أن تواجه الغزو السوفياتي بأموال النفط العربي. ومن هنا جاءت زيارة بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي إلى السعودية. ويستفاد من المحادثات التي أجراها المسؤول الأميركي مع أهل القرار في الحكم السعودي أن الولايات المتحدة تتطلع إلى أن تتصدى السعودية ودول الخليج للغزو السوفياتي وتتولى هذه تأمين نفقات التصدي.. أي بمعنى آخر تدفع هذه الدول للولايات المتحدة ثمن الأسلحة الأميركية التي ستعطى لباكستان ولثوار أفغانستان من أجل إقلاق الوجود السوفياتي في كابول. وفي العادة تبدأ المساعدات قليلة ثم تصبح عبئاً حقيقياً. والرقم التقديري للأسلحة المطلوبة هو مليار دولار، لكن هذه الأسلحة لن تبقى سليمة. سيتم تدمير بعضها ووقوع بعضها غنائم، لأن المواجهة هي مع دولة عظمى وليست مع دولة يمكن تحقيق نوع من التكافؤ معها.

ومن الطبيعي أنه إذا تم إقرار مبدأ المساعدة فإن التباطؤ في مواصلة المساعدات بعد ذلك يصبح مستحيلاً. وهكذا سيصبح المليار مليارين، ثم ثلاثة وهكذا.

النقطة الثالثة: لا ندري لماذا بالنسبة إلى إسرائيل يجب أن يكون الموقف مختلفاً. فالولايات المتحدة تعطي

إسرائيل كل السلاح الذي تريده من دون أن تتقاضى شيئاً، في حين أن على عرب النفط أن يدفعوا للولايات المتحدة تكاليف مواجهة تريدها ضد الإتحاد السوفياتي. ومن هنا يبدو الأمر في بعض جوانبه وكأنما المطلوب هو الحصول على مال النفط العربي مقابل مواجهة شخص الولايات المتحدة. ومن هنا أيضاً تلتقي أطماع السوفيات مع أطماع الأميركيين. أطماع السوفيات أن يقتربوا - إذا إستقرت لهم حال أفغانستان - من النفط العربي وتكون لهم حصّة فيه. وأطماع الأميركيين في أن يكونوا أخذوا من مال النفط سلفاً الكثير الذي يعوّضهم ما قد يشاركهم فيه السوفيات في المستقبل القريب أو البعيد.

وإذا كان لا بد من تمويل المواجهة الأميركية للسوفيات، فلتكن هنالك في الوقت نفسه مطالب، بمعنى أن يكون التمويل مشروطاً، لأن التمويل المشروط يحقق أغراضاً لم تتحقق حتى الآن.

والشروط كثيرة، وهي ليست من النوع التعجيزي. يمكن أن يكون أول الشروط هو تخفيف درجة تسليح إسرائيل. ويمكن أن يكون ثاني الشروط إصدار بيان تعهّدي في موضوع القدس لا يكون لمصلحة إسرائيل. ويمكن أن يكون ثالث الشروط إعراف الولايات المتحدة بالحقوق المشروعة للفلسطينيين في إقامة دولة لهم... وهكذا.

من هنا القول إن الغزو السوفياتي لأفغانستان هو ورقة ضغط لا مثيل لها في أيدي عرب النفط بالدرجة الأولى، وفي أيدي المملكة العربية السعودية على وجه التحديد.

وقد يجوز الافتراض في ضوء التصريحات الأخيرة للأمير فهد بن عبد العزيز، أن المملكة العربية السعودية ستلعب على طريقها ورقة الضغط هذه. وفي إنتظار أن يتم ذلك، هناك حقيقة ثابتة وأساسية وهي أنه إذا لم يمارس الضغط العربي الآن على الإدارة الأميركية التي تبدو شوكتها ضامرة بعض الشيء، فإنه سيصبح من الصعب بعد أن تقوى هذه الشوكة ممارسة الضغط المشار إليه.

ويبقى إن قول أحد أهل القرار في الحكم السعودي وهو وزير الخارجية سعود الفيصل "إن المملكة العربية السعودية ترفض إقامة قواعد عسكرية أجنبية أو تقديم تسهيلات عسكرية لأي دولة في أراضيها" يبدو خطوة متقدمة على طريق ممارسة الضغط. ولكن الخطوة الكبرى لا تزال غير واضحة المعالم. وهنا تجدر الإشارة

إلى أن رجل الدبلوماسية السعودية لم يعلن ذلك على الأرجح نفياً لإشاعات أو أنباء تنشرها الصحف، وإنما رداً على مطالب قد يكون رجل الأمن القومي الأميركي عرضها عندما زار السعودية.

يبقى أيضاً أن نتمنى ألا يكون تمويل المواجهة العسكرية عن طريق باكستان وثورات أفغانستان للغزو السوفيياتي هو الدليل لمسألة التسهيلات والقواعد التي طلبتها الولايات المتحدة من السعودية، ولمسألة ممارسة ورقة الضغط على الإدارة الأميركية، ذلك أن التمويل هنا نوع من التسهيلات.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 16 فبراير (شباط) 1980

قبل غياب الإمام

إعتدنا أن نرى الإمام آية الله الخميني يجلس على بطانية مرتدياً عمامته وعباءته. وأصبح منظره هذا هو الشائع وهو الذي شد أنظار العالم وحرك بعض المشاعر في نفوس المسلمين. تلك هي الصورة التي إنطبعت في أذهان الناس عن الإمام الخميني من دون أن تؤثر عليها صورته وهو واقف يحيي الجماهير.

ولو أن الإمام الخميني كان في السن التي تعني أنه سيعيش طويلاً لكان صانعو البروتوكول في العالم أدخلوا في تصميماتهم القاعدة الخمينية التي تقضي بالجلوس أرضاً، علماً بأن قاعدة الجلوس أرضاً إعتمدتها أحياناً العقيد معمر القذافي لكنه لم يثبتها كقاعدة بالشكل الذي ثبتها فيه الإمام الخميني، ذلك أن العقيد القذافي كان يستقبل الآخرين أحياناً جالساً على الأرض وأحياناً أخرى جالساً على مقاعد وكنبات.

كذلك لو أن الإمام الخميني كان في السن التي تعني أنه سيعيش طويلاً لكان يستقبل حكماً عرباً ومسلمين ودوليين كثيرين، ولكننا رأينا هؤلاء يجلسون أرضاً ويتحدثون مع الإمام.

وجلس الحكام أرضاً قد يكون عادياً في نظر البعض، لكنه قد يتسبب في نشوء ضيق وتأزم لا حدود لهما، كما حدث مرة عندما ذهب الرئيس أنور السادات، أيام الودّ مع ليبيا، لزيارة العقيد القذافي ففوجئ بأنه جالس أرضاً ويلف نفسه بالعباءة الليبية المعروفة بـ "الجرد". وقد جلس الرئيس السادات آنذاك أرضاً إلى جانب العقيد القذافي لكنه كان طوال الجلسة متضايقاً

ومتأزماً، ولكي لا نستترسل في أمر الجلوس أرضاً ونخرج بذلك عن القصد من وراء كلامنا هذا، نعود إلى الإمام الخميني وبالتحديد إلى صورة أخرى ظهر بها على العالم في الأسبوع الماضي وتمثله راقداً في السرير داخل المستشفى بقميص نوم أبيض وعلى رأسه قلنسوة سوداء اللون وإلى جانبه قائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات وحفيده حسين الخميني ولقد حرّكت فينا هذه الصورة مشاعر معيّنة، ومن خلال هذه المشاعر نشأت الفكرة التي نحن في صدد معالجتها.

إننا ندعو للإمام آية الله الخميني بطول العمر ونتمنى له الصحة ولكننا في الوقت نفسه نعتقد أن أمر العلاقات العربية الإيرانية يحتاج إلى معالجة وهو في كامل صحته، ذلك أن تصحيح مسار هذه العلاقات إذا كان لن يتم والإمام الخميني حي بيننا، فإنه سيترك في النفس بعد ذلك آلاماً وآثاراً لا تخدم العلاقات العربية - الإيرانية مستقبلاً.

ومن المؤكد أنه إذا قال الإمام الخميني الآن كلاماً في شأن هذه العلاقات، يجب أن يصحح المسار وتتطوّل العلاقات وقد حل التوافق، بل والتطابق، محل الحذر. أما إذا كان لم يفعل ذلك، فإن أي تصحيح يقدم عليه الرئيس أبو الحسن بني صدر ومن بعده لن يزيل آثار الحذر القائم.

وحتى على صعيد الداخل، إنه كان من الصعب إيجاد حل لمشكلة الرهائن في غياب الإمام الخميني، وكان من الصعب إيجاد حل لتناقضات الأقليات في غياب الخميني وسيكون من الصعب إذا غاب الخميني ولم تحسم علاقة العلماء والعلمانيين، ولم يحدد دور آية الله والنقطة الحمراء التي لا يجيز لهم وضعهم الديني تجاوزها... أن يفعل بني صدر ومن معه ومن بعده شيئاً في هذا الأمر.

والذي يهمننا في الدرجة الأولى هو طبيعة العلاقات العربية - الإيرانية. إن هذه العلاقات بدأت متوترة ولا تزال من دون قواعد وضوابط. وعلى رغم أن هنالك شبه حالة تعايش بين بعض العرب وإيران، وهنالك تعبير بالصوت العالي عن الحذر من جانب البعض الآخر، إلا أن عدم الإطمئنان هو الذي يسود هذه العلاقات. لا الثورة الإيرانية كسبت العالم العربي عمقاً وسنداً لها. ولا العالم العربي نجح في توظيف الذي جرى في إيران لمصلحة الموقف العربي إزاء الصراع مع إسرائيل، وقد يمر وقت طويل قبل أن يتبين ما إذا كان السبب في ذلك هو النيات غير المعلنة أم أنه مجرد الحيرة في

إتخاذ موقف واضح وبسبب هذه الحيرة كثرت التصريحات لدى بعض الآيات فولدت بلبله قادت إلى الحذر الذي ما زال قائماً في نفوس بعض العرب حتى الآن.

وقبل فترة حدثت محاولة كلامية لتطمين السعودية، لكن المحاولة توقفت، علماً بأنها كانت لن توصل إلى نتيجة ما دام الكلام ليس صادراً عن الإمام الخميني، وهنالك أيضاً رغبة لدى الرئيس بني صدر لكي يُطمئن العرب إدراكاً منه أنه إذا كان لا يستطيع أن يحكم مرتاحاً من دون مباركة الإمام الخميني له فإنه أيضاً لا يستطيع أن يحكم مرتاحاً إذا كان الحذر العربي من الثورة الإيرانية سيستمر قائماً، لكن الرئيس بني صدر، على حد قول بعض الذين إجتمعوا به قبل أيام، يترث في أمر إتخاذ المبادرات التي تطمئن العرب، مخافة أن يجهضها تصريح من هنا أو تصريح من هناك يصدر عن بعض الآيات الذين يرون أن الثورة الإيرانية يجب أن تأخذ طريقها في التصدير وإلا فإنها ليست ثورة، وهؤلاء على رغم تجبير الكثير من السلطات إلى الرئيس بني صدر ما زالوا في موقع التأثير ولا ندري ما إذا كان قائد الثورة الفلسطينية السيد ياسر عرفات أوضح للإمام الخميني عندما زاره قبل أيام في المستشفى، كيف أن التناقض بين الثورة الإيرانية وأكثرية الدول العربية إنعكس في بعض جوانبه على الثورة الفلسطينية، وإن ترك الوتر العربي - الإيراني مشدوداً في المزيد من الإنهاك للثورة الفلسطينية، ولكن الذي يعرفه البعض هو أن قادة الثورة الفلسطينية أفاضوا في الشهرين الماضيين في مناقشة هذه المسألة واستقر الرأي بهم على مفاتحة الإمام الخميني بالأمر، وعلى أهمية المفاتحة قبل غياب الإمام.

لماذا قبل غياب الامام؟

لأن قيادة الثورة الفلسطينية أدري من كثيرين بظروف الثورة الإيرانية، وبالتعقيدات الكثيرة داخل هذه الثورة، وهي أيضاً أدري من كثيرين ماذا يعني بقاء إشكالات عالقة إذا غاب الإمام الخميني فجأة.

وصحيح أن الإمام الخميني حسم مسألة الرئاسة، ثم حسم أمر المؤسسة الدستورية التي سيكتمل تبلورها بقيام "المجلس الإسلامي" وهو تسمية الثورة الإيرانية للبرلمان، إلا أنه لم يحسم أمر الجسور التي تربط الثورة الإيرانية بالدول العربية.

وإذا غاب الإمام فجأة والإشكالات العربية - الإيرانية غير محلولة، فإن عملية حلها ستقود إلى إشكالات أكثر

تعقيداً حيث أن الإجتهدات ستكثر في هذا الشأن وسيهدر الكثير من الوقت في مناقشة هل كان الإمام يريد ذلك؟ وما هو تصوُّركم لو كان الإمام بيننا، ماذا سيقول وأي قرار سيتخذ؟

إن صورة الإمام الخميني يرقد في سريريه في المستشفى هي الدافع إلى هذا الكلام الذي نكتبه مرفقاً بالدعوة له بطول العمر والصحة الجيدة لكي يزيل هو شخصياً التناقض العربي الإيراني مخافة أن يتحول هذا التناقض في غياب الإمام إلى تناحر.

مجلة "المستقبل". باريس- السبت 1 مارس (آذار) 1980

* * *

عندما يتلاسن المسلمون في "البرت هول"

بعد ظهر السبت 13 أبريل/ نيسان 1980 إستقبلت "البرت هول" إحدى أجمل القاعات التي تعرض في لندن البرامج الفنية الراقية وفرق الأوركسترا الممتازة التي تقدم المقطوعات الكلاسيكية الخالدة بضع مئات من المسلمين جاءوا لمتابعة أعمال ندوة إسلامية نظمها "المجلس الإسلامي الأوروبي" تحت عنوان "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته" ومناسبتها القرن الخامس عشر هجري الذي بدأ قبل أشهر..

حول هذه الندوة التي رافقها التعثر منذ اللحظات الأولى هنالك بضع ملاحظات يمكن تسجيلها على النحو الآتي:

الملاحظة الأولى: إن مثل هكذا ندوة يوجب إختيار نوعية الذين يتابعون مناقشاتها، فهي ليست مهرجاناً إسلامياً ولا هي إحتفال بمناسبة دينية معينة، كذلك إنها ليست تجمعاً جماهيرياً الغرض منه الإحتجاج أو تسجيل موقف، إنها ندوة يفترض أن تكون ذات هالة، ويفترض من أجل الموضوع المنعقدة من أجله أن تتسم بالهيبة والوقار والجدية.

لكن الذي حدث هو أن بضع عشرات من المسلمين الذين يقطنون في بريطانيا وهم من الهند وباكستان وماليزيا وإيران وبعض الدول العربية أتوا إلى القاعة وتوزعوا في الردهات، وكأنهم في صدد متابعة أعمال مهرجان ديني، فالذين إصطحبوا معهم أطفالهم. والذين أتوا على أساس أن الندوة مناسبة لتسجيل موقف سياسي

وإطلاق هتاف أو شعار ولقد بدا الأمر في غاية الغرابة عندما كان بكاء طفل يرافق كلام متحدث في الندوة، أو كانت حالة مشاكسة بين ولدَيْن أتيا مع أولاد كثيرين برفقة آبائهم وأمهاتهم تشد إنتباه الذين يتابعون حديث أحد المشاركين في الندوة ... وهكذا.

من هنا أنه من الضروري في ندوات من هذا النوع مراعات إختيار الجمهور المدعو لمتابعة أعمال الندوة فلا يسمح لسيدة تحمل طفلها الرضيع بالدخول ولا لأولاد يضجون ويتشاكسون وليسوا في السن التي تسمح لهم بفهم ما يدور من مناقشات ولا لفتية يصلحون للتظاهر وحمل الصور وإطلاق الهتافات وليس لمتابعة ندوة يفترض أن تكون أهم الندوات وأرقاها، كذلك من الضروري مراعاة الافق الفكري للمدعو لأن الندوة ليست خطبة جمعة وليست خطبة عيد وإنما ذات أفق أكاديمي، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن المسلمين القاطنين في بريطانيا يشعرون بحنين إلى أي مناسبة دينية ويتسارعون لمتابعتها ما دامت عن الإسلام وما دام هنالك مقررء يتلو بعض آيات الذكر الحكيم وما دام هنالك متحدثون يرددون أسماء عزيزة على قلوبهم وبالذات إسم الرسول الكريم.

الملاحظة الثانية: لقد شارك في الندوة مفكرون مسلمون من نوعية جيدة وقدم بعضهم أبحاثاً في غاية الرقي لكن هؤلاء في معظمهم يمثلون تيارات سياسية هي في أغلبها تيارات الإخوان المسلمين والجمعيات والجماعات الدينية المنتشرة في الدول الإسلامية، وهذا الإختيار أعطى الندوة هوية معينة بمعنى أنها كانت ندوة التيارات الإسلامية السياسية التي تخوض مع الأنظمة معارك فكرية وغير فكرية.

وإلى ذلك إن الامين العام للمجلس الإسلامي الأوروبي السيد سالم عزم عزز هذه الهوية عندما أدخل في الخطاب الإفتتاحي الندوة في متاهات وإشكالات. ونحن لا ندري ما الذي جعله ينتصر للإخوان المسلمين ضد النظام في سوريا وما الذي جعله يتجاوب مع هتافات إنطلقت من شرفات "البرت هول". ولا ندري ما الذي حمله على أن يضع التصنيفات بالشكل الذي ترتاح له نفوس المشاهدين وحناجرهم.

لقد تحولت الندوة بسبب ذلك ومنذ اللحظات الأولى إلى منبر سياسي. وبدلاً من أن يكون هنالك تنبّه في صفوف متبعي الندوة ويكون هنالك إصغاء وتكون هنالك إستفادة روحية، كان هنالك نوع من التلاسن لا علاقة له على الإطلاق بموضوع الندوة لقد تبادلت

الشرفات الهتافات والإتهامات، وكان الأمر محزناً جداً.

الملاحظة الثالثة: إن تهيئة أعمال الندوة إفتقدت إلى التوازن، فضلاً عن أن الدول الأفريقية لم تتمثل، كذلك دول المغرب العربي وإلى ذلك إن الدراسات والأبحاث التي أُلقيت لم تستتبعها مناقشة، علماً بأنه كان من شأن المناقشة أن تثري الغرض الذي من أجله عقدت الندوة.

الملاحظة الرابعة: إنها المرة الأولى التي يلتقي فيها مفكرون وعلماء مسلمون يصدرن في إطار ندوة جمعتهم بياناً يحدد رأيهم في بعض المسائل المتصلة بالدين الإسلامي وهؤلاء ينتمون إلى المذهبين السني والشيعي.

ولولا حدة التعبير عن هذه المواقف بما يتناسب مع التوجهات السياسية للمشاركين في الندوة لكان أمكن إعتبار البيان وثيقة تستحق المناقشة في ندوات لاحقة.

الملاحظة الخامسة: من المآخذ على هذه الندوة أن البيان لم يأخذ في الإعتبار المسألة القومية مكتفياً بالتركيز على "الوحدة الإسلامية" وبدأ كما لو أنه مؤتمراً خاص بـ "الإخوان المسلمين".

وتكراراً إن ندوة "الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته" كان يمكن أن تتجح لو أنها لم تبدأ متوترة ولم يحول الامين العام للمؤتمر الاسلامي الأوروبي جلسة الإفتتاح إلى منبر لمس فيه شخصياً قضايا أنية يدور في شأنها خلاف كبير فنشأ عن ذلك تلاسن بين فرقاء مسلمين ترك إنطباعاً سيئاً في النفس. وإخفاق الندوة لا يعني انها الندوة الأولى والأخيرة التي تتعقد لمناسبة بدء قرن هجري جديد، بل إنه من الضروري التحضير لندوة أكثر رقياً وأكثر إعداداً يلتقي فيها المفكرون المسلمون ولا تكون منحازة لفئة معينة من الفكر الإسلامي. ندوة تعقبها مناقشات ويحضرها مفكرون أجنبان يشعرون بالحاجة القصوى إلى من يحدثهم عن الإسلام. ندوة وهذا هو الأهم لا تكون عبارة عن تجمع جماهيري يحضرها الأب مع أولاده أو الأم مع أطفالها الرضع.

مجلة "المستقبل". باريس- السبت 26 أبريل (نيسان) 1980

الجامعة العربية: السنة المؤقتة الأولى!

مع حلول يوم 28 حزيران/ يونيو 1980، أي بعد أقل من شهر، يكون إنقضى على نقل مقر الأمانة العامة للجامعة العربية إلى تونس سنة كاملة. وخلال هذه السنة

إستطاع المسؤولون التكيف نسبياً مع الوضع الجديد للجامعة على رغم أن النقل ترك آثاره على كثيرين منهم، وهي آثار مادية ونفسية في الوقت نفسه.

وخلال هذه السنة إستطاع الأمين العام الشاذلي القليبي أن يضيف على المنصب الكثير من الدينامية. فهو في طواف شبه مستمر عربياً ودولياً وأفريقياً.

وهناك حالة من التعاطف العربي مع الجامعة المنقولة. ذلك أن بعض الدول العربية التي إتخذت قرار النقل تشعر بأن الجامعة في مكانها الجديد يجب أن تنجح. ومن أجل ذلك فليس هنالك حتى الآن تباطؤ في دفع الإلتزامات من جانب أحد، كما أن المؤتمرات التي تعقدها الجامعة لا تقاطع من أحد وتأتي في معظم الأحيان على المستويات المطلوبة. وهذا الإقبال مرده إلى إثبات ظاهرة الإلتزام للجامعة العربية.

وعلى رغم أن ملفات الجامعة ومكتبة وثائقها لا تزال تحت الحجز في القاهرة، فإن الأمور تسير بشكل جيد وهنالك إستساح دائم لأوراق ومستندات ووثائق بهدف إنشاء مكتبة متكاملة.

ومنذ بضعة أيام نوقشت التعديلات الواجب إدخالها على ميثاق الجامعة، ولكن يبدو أن التعديلات التي سيُطرحها الأمين العام على القمة العربية المقبلة لن تلمس بعض عيوب الميثاق كما ستكتفي بتعديلات متعلقة بهيكلية الجامعة. وفي إجتماعات المنظمات المتخصصة لم يعترض أحد ولم يتقدم أحد بإقتراحات، ومن جانبه فإن الأمين العام تحرّك ضمن شعور بأن معظم الدول الأعضاء تعتقد بأن الوقت ليس وقت تعديل الميثاق.

وحديث الميثاق وضرورة تعديله ليس حديثاً جديداً. بإستمرار كان هذا الحديث وارداً قبل عام 1967، ثم كانت حرب 5 حزيران وما إستتبعها ولم يعد أحد يفكر في أمر الميثاق. وقبل حرب 1973 تزايد الحديث في شأن تعديل الميثاق ثم جمّدت الحرب. وبعد نقل الجامعة إلى تونس لا يبدو أن أحداً الآن مهوم ولا مهتم بأمر الميثاق.

ولا ندري إلى متى سيستمر العمل في ميثاق وضع عام 1945 وكانت مواده آنذاك ملائمة مع الظروف السائدة. لكننا الآن في الثمانينات وهنالك ظروف مستجدة ومن الضروري مراعاتها.

وبعد التعديلات التي ستتناول هيكلية الأمانة العامة وليس الجوهر والتي من المتوقع إقرارها خلال إنعقاد القمة المقبلة في عمان، سيكون بالإمكان ملء المراكز الشاغرة في الجامعة.

وتجدر الإشارة إلى أن أسعد الأسعد الأمين العام المساعد الذي كانت خدمته ستنتهي في التاسع من أيلول وجدد له القليبي سنتين آخرين يشغل إضافة إلى الأمانة السياسية أمانات الإعلام والتنمية الإجتماعية والإدارة الصحية وإدارة الشباب والرياضة والإدارة القانونية، فضلاً عن الأمانة العسكرية.

ومعروف أن التقليد يقضي بأن يكون الأمين العام المساعد للشؤون العسكرية من الدولة التي تتخذ الجامعة منها مقراً. وفي إستمرار أن يكون رئيس أركان جيش هذه الدولة هو الأمين العام المساعد للشؤون العسكرية. وعندما كانت الجامعة العربية في القاهرة كان الأمين العام المساعد للشؤون العسكرية هو رئيس أركان الجيش المصري. وعملاً بهذا التقليد يُفترض أن يكون رئيس أركان الجيش التونسي هو الأمين العام المساعد للشؤون العسكرية. لكن الأمين العام الشاذلي القليبي إختار منذ البداية محمد بن سلامة ليكون أميناً عاماً مساعداً (وهو رئيس مكتبه) وعلى هذا الأساس لا يعود ممكناً وجود أمينين عامين من دولة واحدة. وإلى جانب أسعد الأسعد هنالك أمينان عامان مساعدان ثابتان، هما عبد الحسن زلزلة للشؤون الاقتصادية ونهاد الباشا للشؤون الإدارية والمالية. وقد باتت مهمة الإثنين أساسية بعدما إستقر الأمر على عقد أول قمة إقتصادية عربية. ويُعد الدكتور زلزلة منذ بعض الوقت الدراسات والإحصاءات والأفكار إستعداداً للقمة الإقتصادية الأولى الذي كان في إستمرار منذ أن كان في الجامعة العربية في القاهرة يحدثنا عن أهميتها ويقول لنا ما معناه إنه إذا عقد الملوك والرؤساء العرب قمة إقتصادية ونجحت هذه القمة فإن القمم السياسية ستجد طريقها إلى النجاح فوراً.

ومن المقرر إنعقاد مثل هذه القمة في عمان في تشرين الثاني (نوفمبر) 1980، وسيسبقها إنعقاد مؤتمر لوزراء المال والإقتصاد والخارجية.

وتبقى ثلاث ملاحظات حول الجامعة العربية لمناسبة هذه الكتابة حولها مع إقتراب الذكرى الأولى لنقلها من القاهرة إلى تونس.

الملاحظة الأولى- عندما نُقرر نقل الجامعة من القاهرة كان القرار يشير إلى أن النقل مؤقت. أي بمعنى آخر إنه جزء من عقوبات قررت قمة بغداد فرضها على نظام أنور السادات.

ومع أن كل عربي يتمنى أن يستمر النقل مؤقتاً وتعود الجامعة إلى القاهرة بعد أن تعود مصر إلى العرب، إلا أن إستمرار الجامعة تعمل بمناخ "المؤقت" من شأنه أن يُفسح

في المجال أمام حالة نفسية عند الموظفين كباراً وصغاراً لا تشجع على دينامية العمل.

وإستناداً إلى واقع الحالة المصري والدولي لا يبدو أن "حالة الموقت" ستنتهي قريباً. وإلى ذلك إن "حالة الموقت" إنعكست على المسؤولين التونسيين أنفسهم حيث أنهم يتعاملون مع الجامعة العربية تعامل الضيف وليس المقيم. وعلى سبيل المثال فإنه لم يتم حتى الآن إجراء إتفاقية مع الحكومة التونسية ومعنى ذلك أن موظفي الجامعة العربية بدون حصانات عملية.

الملاحظة الثانية- إستكمالاً للملاحظة الأولى يمكن القول إن المبنى الحالي للجامعة العربية (27 شارع خير الدين باشا - تونس) لا يليق بالدول العربية ولا حتى بتونس.

وقبل أن يتسلم محمد مزالي مسؤولية الحكم في تونس كـ "وزير أول"، أي رئيس للوزراء وكأمين عام للحزب الدستوري، كانت هناك حساسية من العرب والعروبة، وكان الهادي نويرة (شفاه الله) يفضل إبتعاد تونس عن التعاطي المباشر مع الهموم العربية. لكن مزالي عروبي ويرى في إختيار العرب تونس لتكون مقراً للجامعة العربية تكريماً لبلده وكسباً معنوياً كبيراً لا يجوز التفريط به. ومن أجل ذلك إننا نتساءل هنا: ما الذي يحول دون إختيار قطعة أرض كبرى في أجمل منطقة في العاصمة تونس وتقديمها لكي يقام عليها مبنى للجامعة العربية، أي كما فعلت مصر عندما تبرعت بالأرض لكي يُبنى عليها مبنى الجامعة العربية؟

وفي الوقت نفسه لماذا لا تشجع الدول العربية هذه الفكرة؟

الملاحظة الثالثة- وإستكمالاً للملاحظتين الأولى والثانية تجدر الإشارة إلى أن الأمانة العامة تدفع ما قيمته نصف مليون دولار إيجاراً للمبنى التعتيس الذي تشغله الجامعة في تونس والمؤلف من ست طبقات، فضلاً عن أنها تدفع ألوف الدولارات للفنادق المخصصة لإجتماعاتها، وهي إجتماعات كانت تتعقد في قاعة الجامعة قبل نقلها من القاهرة إلى تونس.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 31 مايو (أيار) 1980

الحل في تطوير البيان السعودي

يوم الأربعاء 25 حزيران (يونيو) 1980، وفيما حالة

التوتر على الحدود المصرية - الليبية تزداد حدة، أصدرت الحكومة السعودية بياناً تضمن قلقها وأسفها الشديد لتتردي الموقف على تلك الحدود ودعوتها إلى التصرف بحكمة.

الذي يمكن قوله في هذا البيان:

أولاً: إنه أقرب إلى الواقعية من البيانات والأقوال التي صدرت عن بعض الأطراف العربية والتي أوجحت بأن هذه الأطراف ستكون خط الدفاع الأول عن الجماهيرية الليبية إذا أعلن الرئيس السادات الحرب عليها.

ثانياً: لا يبدو أن البيان صدر لتبرئة الذمة أو من أجل تسجيل أي موقف، وإنما يحمل في طياته نداءات إلى الجيش المصري وليس إلى الرئيس السادات من أجل التبصر وإدراك أبعاد اللعبة الخطيرة التي يدفع الرئيس المصري جيشه إليها. وفي المقابل إنه يحمل في طياته نداءات إلى العقيد معمر القذافي من أجل تفادي فخ استدراجه إلى حرب من شأن حدوثها أن يحول أنظار المصريين عن المآزق التي يعيشها نظام الرئيس السادات بعد تعثره في تحقيق سلام مقبول.

واللافت للإنتباه أن البيان الذي تحدثت عن حالة وعن دولتين لم يورد إسم الرئيس السادات ولا إسم العقيد القذافي، بل يجوز الإفتراض أنه لم يورد إسم العقيد القذافي كي لا يورد إسم الرئيس السادات. وتلك ليست مسألة عفوية وإنما مدروسة بدقة، بل وبكل دقة.

لقد تحدثت البيان عن حالة التوتر السائدة على الحدود المصرية - الليبية. ولم يدع الرئيس المصري والليبي إلى "التصرف بحكمة وتغليب المصلحة العربية قبل أي إعتبار آخر"، وإنما جاءت دعوته في المطلق. وكل ذلك لا يعني أن المملكة تساوي بين نظام يعترف بإسرائيل هو نظام الرئيس السادات الذي قطعت العلاقات معه بسبب ذلك، وبين نظام يسير في خط التصدي للصلح مع إسرائيل هو نظام العقيد القذافي.

والأرجح أن البيان السعودي عندما لم يتضمن أسماء قائدي النظامين فليدهية هي التخوف من أن تسجل المملكة على نفسها أنها ناشدت رئيساً عربياً مرفوضاً منها هو الرئيس السادات. ومن المؤكد أنه لو ورد اسم الرئيس السادات في سياق العبارة التي تضمنتها البيان وهي الفقرة الداعية إلى التصرف بحكمة لكانت الصحف المصرية الصادرة في اليوم التالي نشرت البيان السعودي تحت عناوين رئيسية في صفحاتها الأولى من نوع "السعودية تتأشد الرئيس السادات..." وليس كما نُشر

تعرف أنه في الوقت الذي كان السادات يملي كلامه على "الأهرام" كان وزير الدفاع المصري والقائد العام للقوات المسلحة الفريق أحمد بدوي يعقد اجتماعاً في مكتبه مع الجنرال تامير مساعد وزير الدفاع الإسرائيلي في شؤون الأمن القومي. ومثل هذا الاجتماع بين قائد عسكري عربي مسلم مغلوب على أمره وقائد عسكري صهيوني معاد للعرب والإسلام ليس بروتوكولياً، والأرجح أنه شمل الوضع على الحدود المصرية - الليبية.

ثالثاً: إن البيان السعودي جاء بعد حوالي ثلاثة أسابيع من استقبال العقيد القذافي لسفير السعودية في طرابلس (على غير عادته في استقبال السفراء إلا في الحالات الطارئة) وذلك لإعطاء مواجهة مصر الطابع القومي.

ومن هنا يمكن اعتبار البيان السعودي أنه هو الرد، وأنه أذيع بعدما كان قد أبلغ بصيغة رسالة إلى العقيد القذافي. كما يجوز الافتراض أن الرئيس الليبي حمل السفير السعودي رسالة ما كي ينقلها إلى حكومته.

رابعاً: إن أخطر ما في الحرب المصرية - الليبية إذا وقعت أن العقيد القذافي سيرد على محاولة تحطيم بعض القواعد والمطارات، بالصواريخ العابرة الحدود. ومثل هذا الأمر سيوقع خسائر بشرية، وسيكون ذلك سبباً في التقاف المصريين حول نظامهم وتجاوز التحفظات الكثيرة عليه.

ومن هنا إن الحل هو في تطوير البيان السعودي إلى بيان عربي شامل يتضمن، وبكل الوضوح، أمرين: مناشدة الجيش المصري التنبه إلى مخاطر مغامرة يقوده إليها الرئيس السادات.

ومناشدة العقيد القذافي سحب قواته من بعض المناطق على الحدود مع مصر. وهذا ليس من أجل الرئيس السادات، وإنما من أجل جيش مصر الذي ستحتاجه الأمة ذات يوم لمواجهة إسرائيل.

ويبقى أن تعطيل اللغم المزروع على الجبهة المصرية - الليبية مسؤولية قومية. وأي نفخ في نار الموقف القابل للإلتهاب سيسبق منه نظام الرئيس السادات في الدرجة الأولى. والبيان السعودي هو بداية محاولة تعطيل. وهي محسوبة بكل دقة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 5 يوليو (تموز) 1980

* * *

كناً متواضع في تلك الصفحات مرفقاً بتعليق لـ "مصدر مصري مسؤول" ليس المهم فيه تحميل العقيد القذافي مسؤولية التوتر وإنما تفسير البيان السعودي على غير حقيقته، وهذا يمثل في الفقرة الخامسة من التعليق التي جاء فيها "إذا كانت المملكة العربية السعودية تريد أن تقوم بدور الوسيط...". وهنا تجدر الإشارة إلى أن التعليق نُشر بصيغة واحدة في صحيفتي "الأهرام" و"الأخبار" لكن "الأخبار" نشرته على أساس أنه تعليق منها على البيان، بينما نشرته "الأهرام" على أساس أنه تعليق لـ "مصدر مصري مسؤول".

وفي الفقرة الخامسة أيضاً عبارات توحى بأن الرئيس السادات شخصياً هو الذي أملى التعليق المذكور وأنه بعدما كان أملى التعليق طلب أن تتضمن الصيغة التي تنشرها "الأهرام" العبارة التي يفسر فيها البيان السعودي على طريقة تفسيراته لموقف الرئيس جعفر نميري والتي إنتهت إلى أن الرئيس السوداني قرر أن يضغط على بقية مشاعر عنده تجاه الرئيس السادات. والعبارة المشار إليها هي: "إذا كانت المملكة العربية السعودية تريد أن تقوم بدور الوسيط في تغليب المصلحة العربية والتصرف بحكمة كما جاء في البيان السعودي (تكراراً ليس في البيان السعودي ما يتضمن الرغبة في التوسط) فعليها أولاً أن تتأكد من الحقائق التي دعت إلى تصاعد الموقف، وسوف تكتشف أن الحشود العسكرية هي على الجانب الليبي فقط وليست على الجانب المصري، وعليها أن تتحقق من حجم هذه الحشود الليبية الموجهة ضد مصر والتي هي أسلحة سوفيتية متطورة صنعتها أيد شيوعية لضرب المسلمين تماماً كما تفعل في أفغانستان، وهي ليست أسلحة موجهة ضد إسرائيل وأعداء الأمة الإسلامية...".

وفي هذا الكلام الذي أملاه الرئيس السادات على صحيفة "الأهرام" لكي تنشره ينسى أن السلاح السوفياتي الذي تصنعه الأيدي الشيوعية أمر لم تسجل السعودية اعتراضاً عليه وليس من طبعها أن تعترض. وينسى أنه عقد صلحاً مع إسرائيل. وينسى أن السلاح الشيوعي المعترض عليه سبق له أن استخدمه ضد إسرائيل في حرب أكتوبر 1973. كذلك إنه في كلامه يحاول تصوير السعودية وكأنها لا تدري سلفاً بالفخ الذي ينصبه وهو فتح معركة مع ليبيا ثم تصويرها على أنها حرب مع الاتحاد السوفياتي، وبذلك يجعل المملكة العربية السعودية تضطر إلى الوقوف بجانبه.

والإلى ذلك يفترض أن المملكة العربية السعودية لا

بيان الطائف

وقرار قمة الطائف هو اللغم العربي الكبير في الساحة الأميركية - الإسرائيلية. وقد تم زرعُه في أدق اللحظات وأخرجها بالنسبة إلى الإدارة الأميركية. بل إن الأسلوب الذي إعتمد في عملية الزرع شبيهه بالأسلوب الذي إعتمده مناحيم بيغن في زرع لغم القدس في الساحة الأميركية - العربية.

إن بيغن زرع اللغم وفي تفكيره أن الولايات المتحدة لن تقول لا للإجراءات التي إتخذها في شأن المدينة المقدسة، على أساس أن موسم الانتخابات يستوجب على إدارة الرئيس كارتر وعلى الجمهوريين الطامعين في خلافته أن يتجاوبوا مع هذا الإبتزاز الإسرائيلي. أما اللغم السعودي - العراقي فإنه زرع وفي تفكير مصمميهِ أن لا يذهب التجاوب مع الإبتزاز الإسرائيلي إلى حد تأييد إجراءات احتلالية تتعلق بالمدينة المقدسة. فإذا كان من الممكن السكوت على الإبتزازات التي تحصل بموجبها إسرائيل على المال والسلاح، فإنه لا يمكن السكوت على إبتزازات تتعلق بالمدينة المقدسة.

والى ذلك إن مصممي قرار قمة الطائف أخذوا في الإعتبار أن تجاوب الولايات المتحدة مع الإجراءات الإسرائيلية يعني نجاح الرئيس كارتر أو ريغان أو غيرهما في الانتخابات وتعزيز موقف أميركا داخل إسرائيل، وسقوطها نهائياً في المنطقة العربية، في حين أن عدم التجاوب معناه سقوط بيغن واستطراداً سقوط الصلح المصري - الإسرائيلي بما يمثله هذا الصلح من رموز.. إلا إذا كانت الإدارة الأميركية الحالية أو اللاحقة ستتشبث وتتعامل مع قرار الطائف وصانعيه تعاملًا عسكرياً وتأمرياً تستخدم فيه إسرائيل والرئيس السادات. ومثل هذا التعامل سيكون معناه إنفجار المنطقة العربية والإسلامية ضد السياسة الأميركية.

إن قرار قمة الطائف بالكلمات القليلة التي حوّاها "إن البلدين سيقطعان العلاقات السياسية والإقتصادية مع أي بلد يقبل بضم إسرائيل للقطاع الشرقي المحتل من مدينة القدس" هو أول عملية ثار لإغتيال الملك فيصل الذي قال إنه يريد الصلاة في المسجد الأقصى، ولمجرد أن قال ذلك قتلوه. وهو بالكلمات القليلة التي حوّاها يشكّل وقفة جادة ومسؤولة وذات بُعد قومي وإستراتيجي في وجه المؤامرة الجديدة. وهي وقفة من النوع الذي لا يحتمل أي تراجع على رغم المخاطر التي قد تنشأ عنها. ويبقى أمران:

- الأول: إن قرار قمة الطائف يحتاج إلى إلتفاف عربي وإسلامي. ففي الكلمات القليلة التي حوّاها لا

من المحزن أن صحافة مصر إستقبلت الصيغة التي توصلت إليها قمة الطائف بين الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس صدام حسين بشيء من السخرية والتشكيك، في حين أن هذه الصيغة كانت أكبر قرار عربي يُتخذ منذ قمة بغداد حتى الآن، وكانت أفضل مناسبة يستطيع الرئيس السادات من خلالها الإقترب من الصف العربي الذي إبتعد عنه، بدل أن يلجأ إلى الإعتكاف في جبل موسى.. إلا إذا كان الإعتكاف سيتبعه إتخاذ موقف جديد يقضي بالتقرب في شكل أو آخر من الصف العربي. ومثل هذا الإقترب هو الورقة الوحيدة الشعبية الراجعة الآن في يدي الرئيس السادات. وهو إذا إتخذ مثل هذا الموقف وألغى إتفاقية "كامب ديفيد" فإنه سيعود إلى العرب قوياً وليس ضعيفاً لأن الشعب المصري في أكثريته الساحقة سيؤيد ذلك بعدما تبين له أن حديث السلام كان وهماً وسراباً، فضلاً عن أن هذا الشعب لا يمكن أن يرتضي بأن يسجل التاريخ عنه أنه شريك في وضع يد إسرائيل على المدينة المقدسة.

والقول إن صيغة الطائف هي أكبر قرار عربي يُتخذ منذ قمة بغداد لا يحتمل الأخذ والرد، ذلك أن المملكة العربية السعودية تعلن إلتزامها بقطع العلاقات السياسية والإقتصادية مع أي بلد يقبل بضم إسرائيل للقطاع الشرقي المحتل من القدس.

وإذا أخذنا في الإعتبار أن الإجراءات الإسرائيلية لن تكتسب صفة الأمر الواقع من دون تأييد الولايات المتحدة في الدرجة الأولى لها، جاز القول إن قرار الطائف الذي حظي لمجرد صدوره بتأييد عربي كبير هو أكبر قرار عربي صدر منذ قمة بغداد التي حفلت بالقرارات الكبيرة الكثيرة والتي حالت دون إنهاء الموقف العربي أمام صفقة "كامب ديفيد" والتي إنتهت إلى الصلح المصري - الإسرائيلي.

إن قرار قمة الطائف يستهدف ضمناً الولايات المتحدة في الدرجة الأولى. فهي إذا إعترفت بالإجراءات الإسرائيلية المتعلقة بالقدس فمعنى ذلك أن المملكة العربية السعودية ستقطع العلاقات السياسية والإقتصادية معها. ومعنى ذلك أيضاً أن النفط السعودي أيضاً سيُستعمل كسلاح في وجه الولايات المتحدة، خصوصاً أن هذا النفط هو محور العلاقات السياسية والإقتصادية بين المملكة والولايات المتحدة.

يغني عن الإكثار من التنديد والشجب والإستتكار، والمطالبات غير المدروسة. ونعني بالإلتفاف وقوف الجميع بقوة وراء القرار كي لا يبدو أن هنالك تبايناً عربياً في شأنه.

- الثاني: إن هناك حاجة إلى تشاور بين الدول العربية والإسلامية والفاتيكان يؤدي إلى إتخاذ الكرسي الرسولي موقفاً يوضح فيه أن شأن القدس ليس شأنًا إسلامياً فقط وإنما هو شأن مسيحي أيضاً. بل إن الفاتيكان مطالب بأن يقطع هو أيضاً العلاقات مع أي دولة توافق على الإجراءات الإسرائيلية.

لقد أوقفت قمة بغداد عند إنعقادها انهياراً في الموقف العربي. وها هو قرار قمة الطائف يوقف تصدعاً كاد يحدث ويحاصر حالة يأس بدأت تنتشر. وعلى هذا الأساس فإن الأمة بخير.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 16 أغسطس (آب) 1980

مهمة الشاذلي بن جديد وياسر عرفات

عندما يدعو وليّ العهد السعودي الأمير فهد بن عبد العزيز إلى الجهاد المقدس وفي أعقاب لقاء القمة السعودي - العراقي في الطائف، فهذا معناه أن المملكة العربية السعودية تنظر إلى موضوع القدس نظرتها إلى مكة المكرمة، وبما معناه أيضاً أنه إذا كانت قوة النفط لن تحمي القدس من السقوط، فإنها بعد ذلك لن تحمي مكة المكرمة أيضاً من السقوط. وعندما تسقط مكة يسقط الإسلام، ويتساقط المسلمون.

وصدور كلام الأمير فهد بعد لقاء القمة في الطائف بين قائد المملكة والرئيس صدام حسين له وقع أكبر. ولكن الجهاد المقدس لا يتحقق قبل إقفال الثغرات التي تُضعف من شأن التضامن العربي والإسلامي. ومن هنا فإن إقفال تلك الثغرات واجب مقدس. وإذا كان الطرفان السعودي والعراقي إتفقا عندما تشاورا في الطائف وإنتهى التشاور بينهما إلى ذلك القرار الكبير بقطع العلاقات السياسية والإقتصادية مع أي دولة توافق على الإجراءات التي إتخذتها إسرائيل... إذا كان الطرفان إتفقا على أمر إقفال الثغرات فمعنى ذلك أن ثمة خطوات على الطريق، لأن الجهاد يحتاج إلى مجاهدين.

والحديث حول الثغرات يجعلنا نتوقف أمام الثغرة الأكثر تشابكاً وتعقيداً وهي الثغرة العراقية - الإيرانية

التي لا بد من إيجاد حل لها.

وفي هذا الإطار نتمنى أن تكون قمة "أوبيك" التي ستعقد في الأسبوع الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1980 في بغداد مناسبة لتحقيق إنفراج عراقي - إيراني سيقود، في حال حدوثه، إلى إنفراج عربي - إيراني.

وفي ضوء بعض المعلومات يمكن القول إن دعوة رسمية وجهت من العراق إلى الرئيس أبو الحسن بني صدر للإشتراك في تلك القمة وأن الترتيبات إتخذت على أساس أن الرئيس الإيراني سيشارك. بل إن هذه الترتيبات شملت الدار المخصصة لسكن الرئيس الإيراني والطاهي الذي يطهو الأطعمة الإيرانية ومدبرة الدار التي تتكلم الفارسية... الخ.

وإلى ذلك إن السفارة الإيرانية تعمل في بغداد ولم تنقطع الرحلات الجوية بين البلدين على رغم حالات المواجهة العسكرية التي تحدث بين الحين والآخر، وعلى رغم الحملات الإعلامية في الصحف والإذاعات وهي حملات متبادلة.

وأهمية مشاركة الرئيس بني صدر في قمة "أوبيك" الثانية أنها ستكون مناسبة لكي يلتقي قادة الثروة العربية التي يُفترض أنها ستكون الوسيلة الأكثر فعالية في الجهاد المقدس من الملك خالد بن عبد العزيز إلى الرئيس صدام حسين إلى أمير دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد إلى رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان إلى حاكم دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني إلى العقيد معمر القذافي (إذا قرر المشاركة شخصياً) إلى الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد الذي إتخذ من قرار قمة الطائف موقفاً تميّز به عن مواقف بقية دول جبهة الصمود والتصدي.

وإلى ذلك أيضاً إن مشاركة الرئيس بني صدر تكون أيضاً مناسبة لكي يتشاور مع قادة الدول الأخرى في "الأوبيك" من رئيس نيجيريا إلى رئيس الغابون إلى رئيس فنزويلا إلى رئيس الأكوادور إلى رئيس اندونيسيا. وهؤلاء، بالمواقف الجيدة إلى جانب الحق العربي والإسلامي، يمكن أن يشكّلوا العمق الآسيوي والأفريقي والأميركي - اللاتيني لسلاح النفط في معركة الجهاد المقدس، فضلاً عن أن هذا التشاور مع قادة الثروة العربية ومع قادة الثروة الأفريقية والآسيوية والأميركية - اللاتينية يمكن أن يزيل الكثير من اللبس وعلامات الإستفهام ويجعل الإنفراج هو البديل لحالة التأزم القائمة ولحالات الحذر التي تشكّل الجامع المشترك في

الشاذلي يأخذها في الاعتبار. وهو في مثل هذه الحالات لا نتمنى أن يكون متفجعاً.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 23 أغسطس (آب) 1980

السلح العربي المفقود في زمن اللأرب واللاصلح!

هناك ظاهرة تزداد وضوحاً منذ سنتين وهي أنه في كل مرة تصل فيها السياسة الإسرائيلية إلى مأزق تبدأ محطات التلفزيون الأوروبية بث أفلام تستهدف إستقطاب مشاعر الأوروبيين نحو إسرائيل.

وفي السنتين الماضيتين بات معلوماً سلفاً أن إسرائيل تُحرك هذه الآلة الفاعلة، أي الإعلام التلفزيوني كما لو أن هنالك مأزق. ولا تزال في الذاكرة الهجمة الإعلامية التلفزيونية يوم حققت الثورة الفلسطينية انتصاراً دبلوماسياً في أوروبا وباتت على مشارف تحقيق إنتصار في أوساط الرأي العام الأوروبي. ففي الوقت الذي بدأت الإنتصارات تتلاحق عرضت محطات التلفزيون الأوروبية والأميركية فيلم "هولوكوست" بهدف إستقطاب مشاعر الناس، وبحيث يقال ما معناه إن هذا الشعب الذي تعرّض للكثير على أيدي النازية من حقه أن يفعل ما يشاء، بل من حقه حتى أن يعتدي على الآخرين.

وهذا السلح الإعلامي الذي تستعمله إسرائيل أفادها كثيراً لأن ما تبغيه حصلت عليه. فهي حققت الغرض لأنه لم يكن هنالك في المقابل إعلام عربي يتصدى.

ومنذ أسابيع وفي الوقت الذي بدأت فيه إسرائيل اعتداءاتها على جنوب لبنان وكثّر التنديد بذلك، ثم بعدما أعلنت إجراءاتها المتعلقة بتوحيد القدس وجعلها العاصمة الأبدية لها، لجأت إسرائيل لتغطي ذلك ولتطمس حالات تجاؤب بعض دول العالم مع القرار الذي إتخذ في قمة الطائف إلى السلح الإعلامي إياه. وبدأت بعض محطات التلفزيون في العالم تبث الأفلام التي تصوّر ما قاساه اليهود وكيف أنهم تعرّضوا لعمليات الإبادة والتشريد.

وبسبب غياب الإعلام العربي فإن ما استهدفته إسرائيل تحقّق. فالمواطن الأوروبي لا يتحدث سوى عن هذا "الظلم التاريخي" الذي لحق باليهود.

العلاقات بين الثورة الإيرانية ومعظم دول العالم. إن الثورة الإيرانية أقفلت الأسوار على نفسها طوال أكثر من سنة، وأوجدت بالتصريحات والمواقف الإنفعالية حالات حذر عند الجيران وعند الآخرين. وطوال هذه الفترة لم يقدّم حاكم بزيارة إيران ولا قام مسؤول إيراني ذو شأن بجولات توضّح للآخرين نيات الثورة وتطلعاتها، بإستثناء جولة وزير الخارجية صادق قطب زاده الذي زاد التعقيد تعقيداً ورفع نسبة الحذر بدل أن يزيله وعزز الشكوك بدل أن يزرع الإطمئنان. ومن هنا فإن مشاركة الرئيس بني صدر في قمة "أوبيك" الثانية التي ستعقد في بغداد من شأنها أن تحل إشكالات كثيرة وتقلل من نسبة الظلال الكثيرة التي رافقت مسيرة الثورة الإيرانية.

وقد يقال إن حدة الأزمة الراهنة بين العراق وإيران تحول دون مشاركة الرئيس بني صدر في قمة "أوبيك". والجواب عن ذلك أن الأزمة التي كانت بين البلدين عام 1975 لم تحل دون لقاء الشاه محمد رضا بهلوي وصادّام حسين (الذي كان آنذاك نائب رئيس الجمهورية) خلال إنعقاد قمة "الأوبيك" الأولى في الجزائر بترتيب من الرئيس هوري بومدين وإنتهى إلى تحقيق إنفراج في العلاقات العراقية - الإيرانية.

وقد يقال أيضاً إن لقاء الجزائر تم بين رجل العراق القوي ورجل إيران القوي، في حين أن الوضع الآن مختلف حيث أن تيار آيات الله هو الأقوى في إيران وليس تيار الدولة الذي يقوده الرئيس بني صدر، وأن لقاء الرجلين القويين هو الذي حقق الإنفراج. هذا صحيح، إلا أن هناك ظروفًا ومتغيرات وحسابات جديدة للموقف، فضلاً عن أنه إذا شارك الرئيس بني صدر في قمة "أوبيك" التي ستعقد في بغداد فإنه سيشارك بمباركة من الرجل القوي في إيران آية الله الخميني أو لا يشارك إذا كان الإمام الخميني لا يريد لهذا الأمر أن يحدث. ومشاركته تعني أنه يأتي إلى القمة قوياً.

ويبقى أن مشاركة الرئيس بني صدر هي مهمة تقع على عاتق طرفين عربيين يحظيان باحترام وتقدير كل من العراق وإيران، وهذان الطرفان هما: الرئيس الشاذلي بن جديد وقائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات. يبقى أيضاً أنه عندما أوجد الرئيس الراحل بومدين صيغة الإنفراج العراقي - الإيراني كان الخطر الإسرائيلي على أبواب الأمة. أما الآن فإن المصير العربي مهدّد. وعندما يتهدد المصير العربي يسقط العالم الإسلامي. وتلك معادلة نعتقد أن الرئيس

إننا في هذا الإطار نتساءل: ما الذي لا يجعل الجامعة العربية تتولى تنفيذ مجموعة من الأفلام السينمائية والتلفزيونية التي تصوّر ما يحدث في جنوب لبنان وما يحدث للفلسطينيين.

إن هناك عشرات الفنانين العرب فضلاً عن عدد كبير من الفنانين الأجانب الذين يتعاطفون مع القضية العربية عموماً. وهؤلاء قادرون على إخراج أفضل الأفلام وأجودها وأصدقها.

المطلوب أن تكون هذه الأفلام جاهزة بحيث عندما تعرض أي محطة تلفزيون فيلماً يحقق لإسرائيل أغراضها ويغطي على الآثار التي تتركها إعتداءاتها، يُرد على ذلك بعرض واحد من هذه الأفلام بدل أن يحتج السفراء العرب أو مندوبو الجامعة العربية أو ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية. وهؤلاء يعيرون عادة عن احتجاجهم ببيان أو تصريح لا يُنشر في بعض الأحيان.

وقد يقال إن محطات التلفزيون هذه لن تبث أي فيلم من النوع الذي نشير إليه. وهذا غير صحيح إلى حد ما. قد تكون هناك بعض المحطات التي تخضع لتأثيرات أو لتدخلات إسرائيلية، لكن هنالك محطات تخضع لإشراف الحكومات.

ولا نظن أن هذه الحكومات ستتمرد على إرادة الحكومات وترفض رغباتها. وإذا أخذنا في الاعتبار طبيعة العلاقات بين هذه الحكومات وبعض الدول العربية وهي علاقات في غاية الجودة وتتحكم بها مصالح سياسية مشتركة، لجاز القول إن أي دولة عربية تبدو قادرة على أن تطلب من بعض الحكومات الأجنبية - ويُفَعَد طلبها - عرض فيلم يوضح الظلم اللاحق بالعرب من إسرائيل رداً على فيلم يخدم إسرائيل بشكل أو بآخر.

ولكن المهم أن تكون الأفلام جيدة وفي مستوى الأفلام التي تخدم مصلحة إسرائيل، وهي عموماً أفلام في غاية التقنية. وعلى سبيل المثال لا الحصر نعتقد أن الحكومة الفرنسية لن ترفض عرض فيلم أنجزه العرب رداً على الفيلم الذي بثته إحدى محطات التلفزيون الفرنسية قبل أيام والذي يخدم المخطط الإسرائيلي.

إننا ونحن نكتب ذلك نعرف أن الأمين العام للجامعة العربية الشاذلي القليبي يدرك أهمية العمل السينمائي والنور الذي يؤديه الفيلم المصنوع جيداً على الصعيد الإعلامي. ونعرف أيضاً أنه قبل أن يصبح أميناً عاماً كانت له بعض الإهتمامات على صعيد خلق صناعة سينما عربية جيدة. ومن أجل ذلك فإنه يبدو مطالباً بإعطاء هذا الجانب من الجهد الإعلامي بعض الإهتمام.

والى ذلك إننا نعرف أن الأمين العام ليس على بينة من حقيقة ما يحدث في الجنوب. ونعتقد أنه بقدر ما هو هام وجود ممثل له في بيروت يتابع التطورات السياسية، فإنه بالقدر نفسه من الأهمية يُفترض أن يكون هنالك عدد من الفنانين العرب وبعض الفنانين الأجانب الأصدقاء والمتعاطفين مع القضية العربية ويعملون في جنوب لبنان على إنتاج فيلم من النوع المصنوع جيداً يُعرض في بعض محطات التلفزيون الأجنبية التي تبث الأفلام المتعاطفة مع إسرائيل وذلك للتقليل من الأثر الذي تتركه تلك الأفلام في نفوس مشاهديها، فضلاً عن أن مثل هذا الفيلم من شأنه تعريف العالم بقضية الجنوب وبما يفعله الإسرائيليون هناك من جهة، وتعريف العرب من المحيط إلى الخليج بما يحدث هنالك خصوصاً أنهم لا يعرفون عن هذه القضية إلا من خلال ما يُنشر في الصحف وما تبثه الإذاعات وهو لا يعطي صورة حقيقية عن واقع الحالة.

ومرة أخرى، إن لوم محطات تلفزيون العالم والإعتراض على بث أفلام تتعاطف مع إسرائيل لا يكفي، وإنما من الضروري أن يكون هنالك رد بالمثل. ولنفترض أن إحدى محطات التلفزيون في العالم تلقت إعتراضاً من دبلوماسي عربي على عرض فيلم يخدم مصلحة إسرائيل، وقالت لهذا المعارض أرسل لنا فيلماً عن جنوب لبنان ونُعد بأن نبثه إذا كان جيداً، فماذا سيفعل هذا الدبلوماسي سوى الإعتذار بأن هذا الفيلم ليس موجوداً عنده بالشكل الجيد أو العادي وليس موجوداً أيضاً لدى أي حكومة عربية... وحتى ليس موجوداً عند الأمين العام الشاذلي القليبي الذي نتمنى عليه أن يعطي هذه الناحية بعض الإهتمام خصوصاً أنه أدرك بأهمية الأمر، وإن أحداً من الحكام العرب لن يعترض إذا هو بادر ونفَعَد مثل هذه الفكرة التي تبدو في زمن اللاحرب واللاصلح سلاحاً نحن في أشد الحاجة إليه، خصوصاً بعدما تبين أن إسرائيل تستخدمه بدقة وتحقق من ورائه الكثير.

إن سلاح الإعلام التلفزيوني هو السلاح العربي المفقود في زمن اللاحرب واللاصلح. ولأن هذا الزمن قد يطول فمن أجل ذلك لا بد من همة، خصوصاً أن المال متوافر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 سبتمبر (أيلول) 1980

الإرادة الصومالية في أيدي الإدارة الأميركية

في الوقت الذي كان نوو الشأن (وهم من العسكريين)

تضغط ما فيه الكفاية، أو إن هذه الأطراف أو بعضها لم تضغط إطلاقاً على أساس مسايرة الولايات المتحدة بعض الشيء. وليس معقولاً أن يمنح الرئيس سياد بري الأميركيان تسهيلات أميركية لو أن الضغط حصل بالشكل الجدي. والذي يجيز إفتراض ذلك أنه في الوقت الذي كان ذوو الشأن في حُكم الرئيس سياد بري يُبرمون الإتفاقات مع الولايات المتحدة لمنحها التسهيلات كانت بعض دول أوروبا وأميركا اللاتينية تتقل سفاراتها من القدس وكانت هنالك دول أخرى تستتكر الإجراءات الإسرائيلية المتعلقة بتوحيد المدينة وجعلها عاصمة إسرائيل. وهذه الدول لم تفعل إلا لأنها لمست جدية في قرار الضغط الذي إتخذ في القمة السعودية - العراقية في الطائف. وهي لو لم تلمس هذه الجدية لما كانت نقلت سفاراتها.

وكما أن الدول الأوروبية والأميركية واللاتينية ما كانت لتقل سفاراتها من القدس لو أنها لم تتأكد من جدية قرار الضغط العربي الذي إتخذ في الطائف، فإن الصومال ما كانت لتوافق على أن تمنح الولايات المتحدة تسهيلات عسكرية لو أنها كانت متأكدة من أن العرب سيتعاملون معها بالشكل الذي يُقلق نظام الرئيس سياد بري. وهم قادرون على ذلك. فالصومال ليست البلد القادر على أن يعيش من دون الدعم العربي بل إنها لا تستطيع، لوحدها، مواجهة الأزمات المفاجئة من نوع أزمة العطش التي واجهتها قبل فترة. ولعل الجانب الذي يدعو إلى الإستغراب في موضوع الصومال أنها ستسير في مخطط "كامب ديفيد" بينما الدول العربية التي تساعدنا هي المتصدية لهذا المخطط.

والى ذلك إن الموقف الصومالي يشكّل ثغرة في جدار القرار العربي. وعلى رغم أنها ليست الثغرة الوحيدة إلا أنها الثغرة التي تُلقى ظلالاً على القرار العربي، حيث أن هنالك دولاً كثيرة تقول ضمناً، وعبر الصحف للعرب، ما معناه إنه قبل مطالبتنا بمواقف تخدم أهدافكم، أقنعوا الخارجيين عنكم باتخاذ هذه المواقف. أقنعوا الصومال على الأقل...

وما دامت هنالك قمة ستعقد بعد أسابيع فإن معالجة أمر هذه الثغرات تبدو أمراً ملحاً. وفي هذه القمة لا بد من مساءلة الذين يمارسون موقفين في وقت واحد، وبينما المطلوب الإلتفاف حول موقف واحد. والرئيس سياد بري من الذين يمارسون الموقفين. وبعد المساءلة لا بد من تحديد موقف لا عودة عنه.

في نظام الرئيس محمد سياد بري يتفقون في واشنطن مع إدارة الرئيس جيمي كارتر على منح التسهيلات العسكرية للولايات المتحدة في الأراضي الصومالية مقابل مبلغ لا يتجاوز المائة مليون دولار، كان أحد وزراء دولة الإمارات يفتح في الصومال معملاً لتكرير السكر يمثل أحد أهم مشاريع التنمية في الصومال.

ولقد ساهمت في تمويل هذا المشروع دولة الإمارات بمبلغ 95,5 مليون دولار، والمملكة العربية السعودية بمبلغ 82 مليون دولار. أما الجزء المتبقي من المبلغ وهو 8,5 مليون دولار فقد غطاه الصندوق الخاص لمساعدة دول العالم الثالث التابع لمنظمة "أوبك".

وهذه الأرقام تعني أن ما حصلت عليه الصومال من الولايات المتحدة مقابل منحها تسهيلات عسكرية هو دون ما حصلت عليه مرة واحدة من دولتين عربيتين هما المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات، فضلاً عن أن الدولتين ساهمتا في عملية تخدم كل الشعب الصومالي في حين أن مردود التسهيلات العسكرية المقدمة لا تشكّل أي إفادة مستقبلية ناهيك بالظلال التي تتركها على مسألة السيادة والتوجه الوطني للدولة.

وإذا كان الرئيس سياد بري يفترض أنه بمنحه هذه التسهيلات العسكرية للولايات المتحدة سيحصل مستقبلاً على ما يريده من الإدارة الأميركية فإن طبيعة التعامل بين الولايات المتحدة والآخرين تُسقط هذا الإفتراض. وعلى سبيل المثال لا الحصر هنالك الحالة المصرية. فالذي منحه الرئيس السادات للأميركان ليس شيئاً أمام الذي حصل عليه منهم. بل إن هنالك دلائل تشير إلى أنه لم يحصل على شيء، حتى ولا على الضمانة بالوقوف معه في ساعات الشدة.

وإذا كان الرئيس سياد بري إفتراض - وهو يمنح التسهيلات - أن الولايات المتحدة ستمدّه بالسلاح المتطور الذي يجعله يتساوى في القوة مع خصمه الرئيس الأنثوي منغيسستو، فإن نظرة الولايات المتحدة إلى الحكم القائم في أثيوبيا تُسقط هذه الإفتراضات. وهنا تجدر الإشارة إلى أن الرئيس جعفر نميري لمس حقيقة هذه النظرة. وفي ضوء هذا اللمس وجد أن الخطوة الأكثر صوابية هي التعايش مع نظام الرئيس منغيسستو. وقد تحقّق هذا التعايش الذي يبدو أنه مرشح لكي يتكرس.

ولكن الأهم من ذلك كله أن إصرار الصومال على منح الولايات المتحدة قواعد عسكرية على رغم معارضة الدول العربية لذلك معناه أن الأطراف التي عارضت لم

ويبقى أننا سمعنا في الأيام الأخيرة حججاً من بعض المتعاطفين مع الموقف الصومالي خلاصتها أن الرئيس سياد بري وضع الإرادة الصومالية في أيدي الإدارة الأميركية اضطراراً وليس إختياراً، حيث أنه لا ينال من الدول العربية سوى الفتات. ومثل هذه الحجج لا تبدو تُقنع أحداً ولا تعطي المسلك الذي إنتهجه الرئيس سياد بري أي مشروعية، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن العرب المقتردين كانوا يساعدون الصومال قبل أن يخرج الرئيس سياد بري على الإجماع الذي تقرر في قمة بغداد ويختار الوقوف إلى جانب الرئيس السادات. وبعد هذا الإختيار من جانبه بات من الطبيعي أن يتخذ منه العرب المقتردون الموقف الذي يشير إلى أن الصومال لا ينال من الدول العربية سوى الفتات.

يبقى أيضاً أن هنالك دولاً عربية كثيرة تعيش ظروفاً إقتصادية بالغة التعقيد ولكنها مع ذلك ضغطت على نفسها وحافظت على إرادتها بدلاً من أن تضعها في أيدي الإدارة الأميركية أو أي إدارة أجنبية أخرى. هنالك الأردن. وهنالك موريتانيا. وهنالك اليمن. وهنالك السودان. وكان في إستطاعة حكام هذه الدول أن يضعوا الضرورة الوطنية على الرف ويقعوا أسرى الوهم بأن الولايات المتحدة وغيرها ستشتري همومهم الإقتصادية بقواعد عسكرية لها. لكن هؤلاء لم يسلكوا في هذا الوهم ولم يمنحوا أميركا تسهيلات عسكرية هي نتيجة للظروف الراهنة، تعقيدات للعرب الذين يرفضون المساييرة في صفقة "كامب ديفيد".

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 سبتمبر (أيلول) 1980

* * *

إلى الزميل موسى صبري: الوحدة لمصلحة أولادك وأحفادك

الذي يطالع الصحف المصرية هذه الأيام يحزن على مستوى الحقد الذي وصلت إليه بعض الأقالام، (نخص بالذكر قلم الزميل موسى صبري في "الأخبار") وبعض الريشات (نخص بالذكر ريشة الزميل صلاح جاهين في "الأهرام") على الخطوة الوحودية التي اتفق في شأنها الرئيسان حافظ الأسد ومعمّر القذافي.

نحزن كل الحزن لأمرين:

الأول: إن أصحاب هذه الأقالام وهذه الريشات كتبوا

ورسموا الكثير عن سوريا حافظ الأسد وليبيا معمّر القذافي يوم كان الرئيس أنور السادات، من دون وقفة الإثنتين إلى جانبه في أحلك الساعات وأشد اللحظات تعقيداً، لا يستطيع أن يتحرك، ومن أجل ذلك كان يرى فيهما خير الأصدقاء وخير المنجدين.

الثاني: إنه لولا الرئيس حافظ الأسد لما كان لحرب أكتوبر أن تتم، ولولا الصديق معمّر القذافي وآخرون من القادة العرب الذي تتهم عليهم بعض الأقالام المصرية، لما كان في إستطاعة الرئيس السادات أن يناور في فترة أفادته المناورة السياسية الكثير.

إننا نحزن كل الحزن لأن هذه النظرة من خلال ما كتبه الزميل موسى صبري في "الأخبار" قبل أيام حول محضر مختلق لمحادثات الوحدة بين الرئيسين الأسد والقذافي ليست حقيقية. وإذا كانت تلك نظرته إلى الوحدة العربية وإلى الرئيسين حافظ الأسد ومعمّر القذافي - وبالتالي إلى بقية القادة العرب - وهي نظرة تهكمية خالية من الجدية، فإن هنالك آلاف المصريين، بل ليس مغالاة القول، إن هنالك ملايين المصريين من الذين ما زالوا يتمسكون بالأصالة وبالأصول يرون أن الرئيس حافظ الأسد لم يقمّ إلى مصر سوى الخير وأن العقيد معمّر القذافي لم يقمّ إلى مصر سوى الخير، وأن العرب من دون إستثناء لم يقمّموا لها - ولا زال بعضهم حتى الآن يقمّم - سوى الخير.

ويا عزيزنا الزميل موسى صبري...

إن الوحدة العربية هي أمل الملايين بمن فيهم ملايين المصريين. إنها الأمل في أنها كفيلة بتحقيق الرخاء والسيادة والإستقلال لهم. وإذا كان أمر السيادة والإستقلال ليس قضية بالنسبة إليك فإنه بالنسبة إلى كثيرين هو الأساس وهو القضية.

وإلى ذلك، إن الوحدة السورية - الليبية، وأي وحدة بين قطرين عربيين، هي لمصلحة أولادك وأحفادك فضلاً عن أنها تشكّل ضغطاً على الإسرائيليين الذين أعطاهم نظام الرئيس السادات الكثير ولم يحصل إلا على القليل.

إن هذه الوحدة التي نتمنى لها أن تقوم وتتعرز ستجعل الإسرائيليين يخفون من وطأة صلفهم عليكم، في حين أنه من دون هذه الوحدة سيستمر الذئب الإسرائيلي يتسلى بنهش الجسد المصري. وهو لولا الـ 2500 مليون جنيه التي تصل سنوياً من مداخلات بعض الأخوة المصريين العاملين في الخارج ومعظمهم في الدول العربية، لكان النهش أكثر فظاعة.

كخليفة للراحل هوري بومدين - الشاهد الأمين على إتفاق 1975، ولكن لأنه القائد العربي الذي يريد الخير للثورة في إيران ويريد بقاء العراق بعيداً عن إشغاله عن دوره القومي الكبير.

ويبقى أن شبه حالة الحرب بين العراق وإيران تدور بينما العلاقات الدبلوماسية لم تنقطع، وبينما الترتيبات التي تُعد في بغداد لإنعقاد القمة الثانية لدول "الأوبك" تأخذ في الاعتبار أن الرئيس أبو الحسن بني صدر أو من ينوب عنه سيشارك في هذه القمة.

وهذان العنصران، فضلاً عن العنصر الأهم، والمتمثل في أن العراق استعاد تلك المساحات من الأرض، بيدوان مشجعين إذا قرر الرئيس الشاذلي بذل المسعى.

ويبقى أيضاً إننا نكتب ذلك وفي ظننا أن الرئيس الجزائري لم يبدأ المسعى. أما إذا كان هذا المسعى قد بدأ بالفعل، فإننا ندعو له بالتوفيق، وندعو للمسعى الآخر، أي مسعى قائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات، بأن يحقق الغرض ويكمل أحدهما الآخر.

... ومن أجل خير العرب وخير المسلمين نتمنى وندعو.

مجلة "المستقبل". باريس - 20 سبتمبر (أيلول) 1980

الفريق يحقق حلم العقيد

بعد إحدى عشرة سنة من المثابرة، يحقق الفريق حافظ الأسد حلم العقيد معمر القذافي الذي قاد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 وهدفه أن يكون صاحب دور في قيام الوحدة العربية.

وفي هذه السنوات الطويلة قاسى العقيد القذافي الكثير من أجل الوحدة، وعانى الكثير الكثير. كذلك فإنه في هذه السنوات الطويلة كان هو في استمرار المبادر إلى طرح الوحدة. طرحها على جمال عبد الناصر فرد عليه بالتروي. وطرحها على أنور السادات فماطل الرئيس المصري كثيراً ثم ضرب له هذا الطرح. وطرحها على الرئيس جعفر نميري فكان الجواب أن ظروف السودان لا تسمح وأنه قبل توحيد ليبيا والسودان لا بد أولاً من توحيد السودان. وكادت تتم الوحدة بين ليبيا وتونس لولا أن تيار الشوفينية التونسية انتصر في اللحظة الأخيرة وأنهى كل شيء. وطرحها على هوري بومدين فطلب منه تأجيل البحث في الأمر. ثم طرحها على الشاذلي بن جديد فطلب منه الشيء نفسه.

لقد كنا نتمنى لو أنك عالجت أمر الوحدة السورية - الليبية بغير الأسلوب الذي ظهر في تخيلك لمحضر المحادثات بين الرئيسين حافظ الأسد ومعمر القذافي، كأن تعالج سلبيات الوحدة وأخطاءها علماً بأن فكرة الوحدة لا تحوي أية سلبيات وليست خطأ على الإطلاق. كنا نتمنى ذلك على أساس أنه قد يأتي وقت تتبدل فيه الظروف وتجد قلمك يسطر على الورق كلاماً جيداً عن الوحدة التي تكون فيها مصر طرفاً طال الزمان أم قصُر... يجد الزميل صلاح جاهين ريشته ترسم بإعتزاز ما يرسمه الآن بأسلوب يجعل المصري قبل شقيقه في أي قطر عربي يضحك - وقد يحزن - على الذي رسم بدل أن يضحك للفكرة المرسومة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 سبتمبر (أيلول) 1980

مسعى الشاهد الأمين

هنالك شبه حالة حرب بين العراق وإيران يرافقها صدور بلاغات عسكرية من الطرفين المتحاربين تتحدث عن إسقاط طائرات وتدمير منشآت ووقوع أسرى.. إلخ. وحتى الآن لا يبدو الغرب مكتثراً إلى حد ما بشبه حالة الحرب الدائرة منذ أسبوعين على أساس أنها تدور في المنطقة الوسطى من الحدود الإيرانية - العراقية. أي أن الغرب بعدم إكترائه مطمئن إلى أن مناطق النفط في منأى عن هذه الحرب، وما دامت كذلك فلتتواصل إلى ما لا نهاية!

وما يحدث بين العراق وإيران ليس أمراً مفاجئاً. فمنذ أكثر من ثلاثة أشهر والمناوشات على الحدود يومية. ولا يبدو أن شبه الحرب ستنتهي عند الهدف الذي حدده العراق منها وتحقق وهو استعادة مساحة من الأرض إلى السيادة العراقية كان نص على عودتها للعراق إتفاق الجزائر عام 1975 بين شاه إيران يومذاك وصدام حسين الذي كان في ذلك الوقت نائباً للرئيس، وهو الإتفاق الذي رعاه الرئيس الراحل هوري بومدين! أما لماذا لن تنتهي عند الحد - الهدف الذي حدده العراق فلأن الذي بين العراق وإيران يتجاوز كثيراً كثيراً الخلاف حول بضعة كيلومترات من الأرض.

وعلى رغم أن ما بين البلدين يتجاوز الخلاف حول هذه المساحة من الأرض فإننا ندعو الرئيس الشاذلي بن جديد إلى أن يبذل مسعى في اتجاه التوفيق. ندعوه ليس لأنه -

ومن الطبيعي الافتراض أنه لم يترك حاكماً عربياً
إلتقاء إلا وطرح عليه الوحدة وسمع أجوبة تراوح بين
الإعتذار والتمني بإعتماد التريث. وعندما أنشأ جبهة
الصمود والتصدي كان في تقديره أنه يمكن تطوير هذه
الجبهة بحيث تتحول إلى وحدة، ولكن شيئاً من ذلك لم
يحدث.

وعندما قام إتحاد الجمهوريات بين مصر وسوريا
وليبيا، إفتراض أنه من الممكن تطوير هذا الإتحاد إلى
وحدة، لكن الإتحاد نفسه إنتهى إلى لا شيء.

بعد إحدى عشرة سنة من المثابرة تحقّق لمعمر
القذافي حلمه. دعا إلى وحدة اندماجية بين ليبيا وسوريا،
ورد عليه الرئيس حافظ الأسد مرجحاً. وكان الإتيافق
وكان التفاهم على أن تعالج اللجان الأمور التفصيلية
خلال شهر.

حول هذه الوحدة هناك بعض الأمور التي يمكن
الإشارة إليها على النحو الآتي:

أولاً: إن المناخ العربي القائم يتسم بشيء من
الإسترخاء. ولا يشبه رد فعل الجماهير العربية إزاء
الخطوة التي حدثت رد الفعل الذي حدث عشية وحدة
1958. ولكن ذلك ليس معناه أن إفتقاد الخطوة إلى
الحماسة الجماهيرية على مستوى الوطن العربي يشكّل
ثغرة وخطراً على الوحدة المتفق عليها. ولو أن الحماسة
الجماهيرية بقيت الوحدة من المخاطر لما كانت سقطت
وحدة 1958 التي حظيت بحماسة لا مثيل لها. ولكن
جماهير وحدة 1958 تخلت عن الوحدة عندما هجم
الإنفصاليون وأنهم كل شيء في ساعات.

ثانياً: إنه قياساً بالظروف التي كانت سائدة قبل
إعلان وحدة 1958 بين مصر وسوريا والظروف السائدة
الآن، فإن الحاجة إلى الوحدة تبدو في هذه الظروف
ضرورة قومية. عام 1958 لم تكن فلسطين إحتلت
بالكامل. ولم تكن هنالك أراض لبعض الدول العربية
محتلة من قبل إسرائيل. وكان المسجد الأقصى بخير
والقدس حرة يحج إليها العرب والمسلمون. وإلى ذلك لم
يكن هنالك صلح مصري-إسرائيلي. وعلى الرغم من
أن الظروف الراهنة بالغة الصعوبة والتعقيد فإن المشاعر
الاقليمية والشوفينية هي الأكثر صلابة. ومن أجل ذلك
فإن قيادة الوحدة المتفق عليها مطالبة بالعمل في سبيل
التخفيف من نسبة هذه المشاعر وإحلال مشاعر وحدوية
بدلاً منها. وهذا رهن بالصيغة والمنهج.

ثالثاً: صحيح أن وحدة المتجاورين هي الأقوى وهي
الأكثر قدرة على الإستمرار إلا أن عدم توافر القنوات

بتوحد المتجاورين لا يعني أن يستمر الوجوديون جغرافياً
لا يقدمون على خطوات توحيدية. إن مشكلة الأمة
العربية هي في تعدّد الكيانات. فالكيان الواحد أفضل من
الكيانين. وكيانان أفضل من جملة كيانات. وفي كل مرة
يحدث إختصار لكيان من الكيانات العربية يكون معنى
ذلك أن التجزئة قابلة للزوال.

وإلى ذلك إن وحدة غير المتجاورين قد تشجع في
حال نجاحها الكثيرين على أن يتحدوا إستناداً إلى
التجانس وليس إلى الجوار. وفي الظروف الراهنة تبدو
وحدة المتجانسين ممكنة أكثر من وحدة المتجاورين.

رابعاً: هنالك في الخطوة الوجودية المتفق في شأنها
ظاهرتان على غاية من الأهمية. الأولى، هي أن سوريا
التي اعتادت تاريخياً أن تكون المبادرة في طلب الوحدة
كانت هي المطلوب منها التوحد هذه المرة حيث أن
المبادرة جاءت من العقيد القذافي. أما الظاهرة الثانية،
فهي أنها المرة الأولى التي تحدث فيها وحدة أحد طرفيها
دولة نفطية وقوية عسكرياً. ومعنى ذلك أن النفط العربي
سيُستعمل للمرة الأولى كسلاح لصيغة جديدة في
المواجهة مع الولايات المتحدة.

وهذه الظاهرة تقودنا إلى طرح التساؤل التالي:
هناك إتفاقات حول وقف إطلاق النار ملتزمة بها
سوريا. وإستناداً إلى بعض الكلام الذي رافق السعي
الوحدوي بين سوريا وليبيا فإن هذه الإتفاقات ستُغى من
جانب دولة الوحدة المتفق في شأنها. وإلا كيف سيكون
إسقاط إتفاقية "كامب ديفيد".

وما يتمناه المرء هو عدم حدوثه، إلا إذا كان هناك
إستعداد عسكري لمواجهة إسرائيل. كذلك هنالك مسألة
استنزاف الولايات المتحدة التي يتمنى المرء عدم التصعيد
في شأنها مخافة أن تُجهض الولايات المتحدة هذه
الوحدة؟

وبدلاً من أن يكون الهدف هو إستنزاف الولايات
المتحدة التي بات وضّعها أفضل في المنطقة بعد
الإنتقال العسكري في تركيا، ليكن الهدف من الوحدة
الضغط على الولايات المتحدة. ونقول ذلك على أساس
ظروف موضوعية وعلى أساس أن السند الدولي للوحدة
المتفق في شأنها (أي الإتحاد السوفياتي) سيصبح بعد
الإنتقال العسكري في تركيا في موقع الدفاع في
أفغانستان بعدما كان في موقع الهجوم.

خامساً: كان ملفتاً للإنتباه أن وزير الخارجية السورية
عبد الحليم خدام قام بجولة شملت أقطاراً عربية وإستثنى
أقطاراً عربية أخرى، في حين أن المطلوب هو عدم

لن تحقق النجاح المرجو منها، فضلاً عن أنها فرصة مهمة بالنسبة إلى قائد تاريخي مثل هوارى بومدين لكي يحقق حلاً تاريخياً أو شبه حالة وفاق بين العراق وإيران. وتمكّن هوارى بومدين من جمع الرجلين القويين، ولم يلاحظ أن الرجلين مترددان في إيجاد صيغة تعايش ما بينهما، تحل محل التأزم والمداخلات المتبادلة. وفي أعقاب إجتماعين تم التفاهم على توقيع معاهدة بدت في حينه مجففة بعض الشيء بحق العراق.

وعندما حدث هذا التفاهم قيل الكثير حوله، وأبدت أطراف عربية كثيرة تشكيكها في الموقف العراقي، بل إن الأمر وصل إلى حد الاتهامات التي سبقت بشكل مبطن أحياناً وبالصوت العالي أحياناً أخرى.

ولقد قضت المعاهدة بإجراء تخطيط نهائي للحدود البرية بناء على بروتوكول القسطنطينية لسنة 1913 ومحاضر لجنة تحديد الحدود لسنة 1914، وتحديد الحدود النهرية حسب خط "تالوك". كذلك تضمنت المعاهدة العودة إلى الرئيس هوارى بومدين عند الإقتضاء، وإزالة جميع العوامل السلبية في طريق العلاقات.

ولأن المسألة الأمنية كانت هدفاً، خصوصاً بالنسبة إلى الشاه، فإن المادة الثالثة من المعاهدة ذات الثماني مواد، كانت نوعاً من التعهد بممارسة "رقابة صارمة وفعالة على الحدود لفرض وقف جميع التسلّلات ذات الطابع التخريبي من حيث أتت". وما لم توضحه هذه المادة وبالتفصيل ورد في البروتوكول المتعلق بالمسائل الأمنية الملحق بالمعاهدة.

كان العراق في غاية الإرهاق عندما وقّع المعاهدة. فعلى مدى سنة سبقت التوقيع كانت الحرب مع الأكراد المدعومين من الشاه قد استنزفت الكثير من المال والسلاح فضلاً عن الرجال (60 ألف قتيل وجريح بينهم 16 ألفاً من العسكريين). وكانت المعاهدة أمراً مطلوباً. وكانت إيران في غاية التألق على صعيد التسليح حيث أن الولايات المتحدة أمدت الشاه بكل السلاح والمعدات العسكرية التي طلبها. وهو إرتضى عقْد المعاهدة لأن العمليات التي تتم عبر الحدود مع العراق أصبحت ترهقه، وهذا ما بدا واضحاً من خلال البروتوكول الأمني الملحق بالمعاهدة والذي كان الشاه شخصياً وراء معظم ما تضمنته.

في أعقاب توقيع المعاهدة نشطت اللجان من أجل وضع المعاهدة موضع التنفيذ، وسطّ انفراج ملحوظ في العلاقات وهذوء على الحدود. وكان من المقرر أن يقوم

الإستثناء. ففي هذه الظروف بالذات هناك حاجة إلى إستقطاب الجميع حول الخطوة الحدودية بعيداً عن مسألة الفرز التي كان الحديث حولها عالي النبرة بعض الشيء خلال السعي الحدودي.

ويبقى سؤال: هل لو إن هذه الخطوة الحدودية تمت قبل أن يعقد الرئيس السادات الصلح مع إسرائيل فإن الصلح كان سيتم؟

وليس مهماً الإنشغال الآن بهذا الأمر. المهم هو الدعاء بأن تتقي الخطوة الحدودية المخاطر وتتجاوز الألغام خلال الأيام المتبقية على الشهر المتق على أن تُعلن الإجراءات والتفاصيل مع إنتهائه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 20 سبتمبر (أيلول) 1980

حرب السيادةتين من المخاطر إلى الشطّ إلى...

إختيار إسم "حرب السيادةتين" للحرب الدائرة بين العراق وإيران يأتي على أساس أن العراق إسترد سيادته على أرض كانت موضوعة تحت اليد الإيرانية، وعلى أساس أنه بالإنتصار العسكري الذي حققه على إيران قد تصبح له السيادة العسكرية في المنطقة العربية عموماً وفي منطقة الخليج على وجه التحديد، خصوصاً أن مصر باتت، نتيجة للصلح مع إسرائيل، غير ذات شأن على صعيد القوة العسكرية قياساً بالماضي.

ولولا الحرب التي لا يبدو الرئيس صدام حسين ميالاً إلى إعتبارها أنها الحرب، لما كان من الممكن طرح الفرضية المتعلقة بالجزء الآخر من السيادة، أي السيادة العسكرية في المنطقة.

والى ذلك، إنه إذا كان الذي حدث ليس حرباً، فما هي الحرب؟

وقد يفيد التسلسل في توضيح صورة ما حدث، قبل الدخول في تسجيل بعض ما قد يحدث. وما قد يحدث مستقبلاً من شأنه أن يكون بالغ الدقة والخطورة.

على هامش قمة دول "أوبيك" الأولى التي عُقدت في الجزائر مطلع آذار/ مارس 1975 وجد الرئيس الراحل هوارى بومدين أنه ما دام الجليد لن يذوب قليلاً أو كثيراً بين الشاه محمد رضا بهلوي ورجل العراق القوي (نائب رئيس مجلس قيادة الثورة آنذاك) صدام حسين فإن القمة

الشاه بزيارة رسمية إلى العراق، لكن الشرط الذي وضعه جعل الزيارة تلغى. وكان الشرط هو إبعاد الإمام الخميني عن العراق في فترة الزيارة وهذا ما رفضه العراق، ورفض أيضاً صيغة ملطفة للشرط وهي إبعاد الإمام الخميني عن النجف حيث أن الشاه يتطلع إلى زيارة المراقدة المقدسة في كربلاء والنجف.

ودخلت إيران في مرحلة من الفوضى بعدما إشتد ساعد الثورة الإيرانية. وتأجل تنفيذ المعاهدة، ثم قامت الثورة وسقط حكم الشاه، والمعاهدة مجرد حبر على ورق.

إفترض العراق أن ما لم يُنفَّذ في أيام الشاه سيُنفَّذ بعد قيام الحكم الثوري. ولكن التوتر في العلاقات بلغ أشده بين العراق وإيران، وصدرت عن السلطة الثورية في إيران تصريحات ومواقف شعرت القيادة العراقية أنها تستهدف تحريك المشاعر الطائفية. وتلت هذه التصريحات والمواقف حوادث أمنية تميز بعضها بالتحدي. (حادثة إلقاء قنبلة في جامعة المستنصرية، ثم إلقاء قنبلة من مدرسة إيرانية على موكب جنازة ضحايا حادثة الجامعة، ثم معاودة محاولة اغتيال طارق عزيز عضو مجلس قيادة الثورة الذي استهدفته قنبلة الجامعة المستنصرية. وقبل ذلك محاولة اغتيال وزير الإعلام لطيف نصيف جاسم بقنبلة أمام مبنى وزارة الإعلام).

إضافة إلى هذه الحوادث والتصريحات بدأت إيران تستقطب جماعات كردية مناوئة للحكم في العراق. وفي الوقت نفسه كان العراق يُجري إتصالات مع كل العناصر المعادية للثورة في إيران.

وكان واضحاً من خلال النظرة والممارسة أن الهدف المركزي للإمام الخميني هو إسقاط حكم الرئيس صدام حسين، وهو لم يُخفِ ذلك، حيث أنه في أعقاب إعدام آية الله محمد باقر الصدر في العراق دعا الجيش العراقي إلى ترك التكتلات والإنقضاض على حُكم الرئيس صدام بإعتباره ليس "حُكماً مسلماً". كذلك كان واضحاً أن الهدف المركزي للرئيس صدام حسين هو إسقاط حُكم الخميني الذي بدأ يتعامل معه على أساس أنه "عنصري وفارسي".

وفي مطلع أيلول/سبتمبر 1980 بلغ الرئيس صدام أن هنالك إستعدادات في الجانب الإيراني من الحدود، وأن المدنيين في بعض المناطق العراقية يتعرضون يومياً لنيران المدفعية الإيرانية.

ولقد حدث أن بلغه ذلك في وقت كانت اكتملت خطة لتحرير الأراضي العراقية المحتلة من جانب إيران.

وعلى رغم تأكده من أن هذه الأراضي لن تعاد بالحسنى إلا أنه لم يُسقط من تحركه المسعى الدبلوماسي. ومن أجل ذلك طلب الرئيس صدام من الخارجية العراقية إرسال مذكرة بالوسائل الدبلوماسية إلى الحكومة الإيرانية يطلب فيها إنسحاب القوات العسكرية الإيرانية من هذه الأراضي وأهمها منطقة "زين القوس"، على أساس أن ضرب المواقع المدنية العراقية جاء منها.

وحدث بعد تسليم المذكرة أي يوم 7 أيلول/سبتمبر 1980 أن القوات الإيرانية لم تتسحب وإنما تم تدعيمها وبدأت الطائرات الإيرانية تحلق فوق هذه القوات. وكان ذلك معناه بالنسبة إلى الرئيس صدام تنفيذ خطة التحرير.

وفي الوقت الذي كان الرئيس صدام يستقبل في مكتبه بالقصر الجمهوري صباح الإثنين (8 أيلول/سبتمبر 1980) أعضاء المجلس الأعلى للحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية ويقول أمامهم في سياق كلمة حول أهمية الانتصار على الأمية "إن كل مواطن عراقي أصبح مستعداً لأن يسفح دمه رخيصةً من أجل الوطن ومن أجل المبادئ..." كانت القوات العراقية تتقد على الحدود خطة استعادة الأراضي وهي خطة أطلقت عليها اسم "عملية صدام حسين".

ولم تستغرق العملية الوقت الكثير. بدأت بقصف مدينتين إيرانيتين مقابلتين ثم إسقاط طائرتين وأسر عدد من العسكريين. وفي خلال ساعات استغرقتها معركة اتسمت بالسرعة والكفاءة والشجاعة جرت يوم 9 أيلول/سبتمبر 1980 حسم الجيش العراقي الأمر لمصلحته. أعاد "زين القوس" إلى السيادة العراقية ورفع العلم العراقي فوقها، وأسر أعداداً من الجنود الإيرانيين وأوقع خسائر فادحة في القوات الإيرانية وإستولى على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والوثائق.

وبدأت البيانات العسكرية تتتالى وتحدثت عن إسقاط المزيد من الطائرات وإحداث المزيد من الخسائر واستعادة المزيد من الأرض، حيث أن رقعة المعارك امتدت. ثم دخل الطيران العراقي في المعركة ليرفع من سخونتها.

وفي اليوم السابع لبدء الحرب، وكان الرئيس صدام حسين اطمأن إلى النتائج، دعا مجلس قيادة الثورة إلى إجتماع عُقد صباح الأربعاء 17 أيلول/سبتمبر 1980 وتقرر فيه إعتبار معاهدة الجزائر بين العراق وإيران ملغاة. وجاء إعلانه بعدما كان الرئيس أبو الحسن بني صدر أوحى بأن إيران لن تُطبّق المعاهدة من جانبها

(أبلغ وكالة الصحافة الفرنسية قوله: "من وقّع إتفاق الجزائر؟ حتى نظام الشاه لم يطبقه...").

ثم دعي المجلس الوطني العراقي (أي البرلمان) إلى جلسة إستثنائية ألقى الرئيس صدام فيها خطاباً أوضح فيه ظروف معاهدة الجزائر وأعلن استعادة سيادة العراق على شط العرب، وقال مخاطباً دول العالم: "إننا نؤكد للعالم أن العراق الذي كان يقوم بإدارة شؤون الملاحة في شط العرب طبقاً لحقوق السيادة الكاملة قبل آذار/مارس عام 1975 قد أثبت قدرة وكفاءة حقيقتين ومسؤولية عالية في ذلك، وإن العراق اليوم أكثر قدرة على تأدية واجباته في هذا الشأن".

وفي ضوء قرار الرئيس صدام صدر بيان عراقي توضيحي وفني يشير إلى أن السفن التي ترغب في استخدام شط العرب للملاحة يجب أن ترفع العلم العراقي فقط. وأن تتبع التعليمات والأوامر التي تصدرها الجهات العراقية المختصة بتنفيذ لقرار إلغاء إتفاق الجزائر.

وذكر البيان أن قرار إلغاء إتفاق الجزائر يعني أن شط العرب أصبح بأكمله نهراً وطنياً تحت السيادة الكاملة للعراق، وأن إلغاء الإتفاق يعطي العراق حق السيادة الكاملة على إقليمه البري وفضائه الجوي وإصدار أوامر تتعلق بالملاحة. كما أن القرار العراقي يوجب على السفن دفع رسوم للعراق مقابل عبورها شط العرب وانتفاعها من الخدمات الملاحية المقدمة لها. وكذلك الإتصال بنقاط الأدلاء العراقيين البحرينيين الذين يرشدون السفن في شط العرب إلى أفضل السبل الصالحة للملاحة فيه.

وجاء في البيان أيضاً إن بسط السيادة العراقية الكاملة على شط العرب يمنح العراق حق الإختصاص قانونياً بجميع المسائل الجنائية والمدنية التي يمكن أن تطرأ على شط العرب، وتحمل نفقات إدارة وصيانة الملاحة، بإعتباره شطاً عراقياً وطنياً.

وقد بدأ العمل على الفور في ضوء القرار المعلن. وفق هذا التسلسل حدثت التطورات المتعلقة بالحرب العراقية - الإيرانية. ونأتي الآن إلى تسجيل بعض النقاط حول هذه الحرب والنتائج التي إنتهت إليها، وحول احتمالات قد ترد مستقبلاً.

- أولاً: إن معاهدة الجزائر وُقعت في 6 آذار/مارس 1975 على هامش إنعقاد القمة الأولى لدول "الأوبك". والحرب العراقية - الإيرانية حدثت قبل شهرين من القمة الثانية لدول "الأوبك" المقرر عقدها في بغداد.

ويجوز الإفتراض أن إيران إستدرجت العراق إلى هذه

الحرب لأمرين: أولهما توحيد الصف الداخلي وخلق وضع يستحيل فيه على القمة الثانية لـ "الأوبك" الإنعقاد في بغداد، من دون أن تأخذ السلطة الثورية في إيران في الإعتبار إحتمال الهزيمة التي وقعت في صفوف الجيش الإيراني. أما الأمر الثاني فهو إحتمال أن يكون قرار الإستدراج قراراً لحرب وقائية قد يخوضها العراق في أية لحظة.

وإلى ذلك إن هذه الحرب هي الأولى بين إثنين من دول "الأوبك". ولو كان هنالك خطر من هذه الحرب لكانت دول العالم الكبرى والصغرى إستغفرت نفسها منذ اللحظة الأولى، لكن ذلك لا يعني أن هذه الدول لم تحبس الأنفاس وتراقب بدقة واهتمام بالغين ما يجري مخافة أن تتعكس الحرب على النفط الذي يصل إليها من الدولتين المتحاربتين (يُصدّر العراق 3.2 مليون برميل يومياً من نفطه إلى العالم وتُصدّر إيران 2.3 مليون برميل).

- ثانياً: منذ اللحظة الأولى شدد الرئيس صدام حسين على أنه لا يريد الحرب ولا يطمع في أراضي إيران، وإنما يريد استعادة أرض عراقية لا تعيدها إيران بالحسن. وهو بهذا الحرص أراد أن يقول للدول الكبرى أن تبقى بعيدة عن الأمر ولا تتدخل في شكل أو آخر. كذلك إنه بإستقباله سفير فرنسا دون غيره من سفراء الدول الكبرى (إستقبله بعدما إتخذ مجلس قيادة الثورة يوم 17 أيلول/سبتمبر 1980 قرار إلغاء إتفاق الجزائر) أعطى فرنسا بعض التميز. وقد يكون في الرسالة الشفهية التي طلب من السفير نقلها إلى الرئيس فاليري جيسكار ديستان، أوضح مسائل تجعل فرنسا توضح بالنيابة ومن دون تكليف لبعض الدول الكبرى، طبيعة العملية العسكرية العراقية ضد إيران، فضلاً عن التوضيح بأن السلاح الفرنسي في أيدي الجيش العراقي إستعمل في الإطار التحريري وليس في الإطار العدواني.

- ثالثاً: لقد حدثت الحرب في الوقت الذي اتضحت معالم الرهان لدى الطرفين كل على الآخر. رهان الإمام الخميني يقوم على أنه بالثورة الإسلامية قادر على إسقاط النظام في العراق. ورهان الرئيس صدام حسين يقوم على أن الغلبة هي للمسألة القومية، وأنه يجب إثبات ذلك والإمام الخميني على قيد الحياة.

ثم جاء الإنتصار العسكري الذي حققه الجيش العراقي في استعادة السيادة على المخافر والأراضي واستعادة السيادة على شط العرب كما لو أنه إبلاغ للثورة الإيرانية بأنه إذا كانت لديها طموحات في مسألة

تصدير الثورة فإن للعراق أيضاً طموحاته وله وجهة نظره وهو قادر على أن يثبتها بالجيش المنتصر.

ولقد تجاوز هذا الانتصار مسألة أن يكون الترجمة العملية لما تعهد به الرئيس صدام عندما خطب في الجامعة المستنصرية يوم الأربعاء 2 نيسان/ أبريل 1980 (أي في اليوم التالي لإلقاء القنبلة على الحشد الجماهيري في الجامعة) وأطلق فيه قسّمه الشهير (والله. والله. إن الدماء الطاهرة التي سالت في الجامعة المستنصرية لن تذهب سدى". فالإنتصار الذي حدث لم يكن عملية أخذ بالتأثر وإنما كان تصحيحاً لوضع خاطئ واستعادة لحقوق أخذها الشاه من العراق بالقوة واستعادها صدام حسين من سلطة الخميني بالقوة.

- رابعاً: هنالك تساؤل أساسي حول أن الجيش العراقي خاض الحرب بأسلحة سوفياتية وفرنسية وحقق إنتصاراً على الجيش الإيراني ذي التسليح الأميركي، ومعنى ذلك أن السلاح الأميركي هُزم بالسلاح السوفياتي والسلاح الفرنسي.

والذي يخفف من وطأة هذه النظرة لدى الولايات المتحدة أن العراق سيد نفسه. فالعلاقات العراقية - الأميركية على توترها التقليدي. والعلاقات العراقية - السوفياتية ليست بالجودة الكافية، فضلاً عن أن الولايات المتحدة ترى أن أيام الحرب التي جرت بين العراق وإيران أثبتت أن الذي لحقت به الهزيمة هو الطاقة القتالية للجيش الإيراني وليس السلاح الذي إستعمله.

والى ذلك فإن الحرب جرت بينما العلاقات الأميركية - الإيرانية سيئة، وهناك غارة فاشلة قامت بها قوات أميركية لتحرير الرهائن الأميركيين في إيران. وكان يمكن لهذه الغارة لو لم تفشل من اللحظات الأولى وتحدث مجابهة إيرانية مسلحة لها أن يتبادل المغيرون والمدافعون تدمير السلاح الواحد الذي هو سلاح أميركي.

وعلى رغم أن الولايات المتحدة تتمنى حدوث تغيير في إيران إلا أنها ترى أن يتم هذا التغيير في إطار تفاعلات داخلية وليس نتيجة نصر يحرزه العراق، ذلك أن الإنتصار الكامل للعراق سينعكس على الوضع في الخليج من حيث أنه سيجعل الشوكة العراقية أقوى والنقل العراقي أكثر تأثيراً في مواجهة مصر وإسرائيل.

ولكن من شأن الإنتصار الكامل للعراق أن يجعل الولايات المتحدة تعدل قليلاً أو كثيراً في أسلوب التعامل مع قيادة الرئيس صدام حسين. كذلك من شأن الإنتصار الكامل أن يعيد الإتحاد السوفياتي النظر في تحليلاته

التي ترى أن في إمكان الشيوعيين أن يكونوا بديلاً للقيادة العراقية الراهنة. ومن شأن المهمة التي بدأها عضو مجلس قيادة الثورة طارق عزيز في موسكو يوم الأحد 21 أيلول/ سبتمبر 1980 أن تضع الكثير من النقاط على الحروف. وكون المبعوث العراقي مدنياً وليس عسكرياً لا يلغي احتمال البحث في مسائل عسكرية. وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذا الإتصال بين بغداد وموسكو يتم للمرة الأولى على هذا المستوى منذ أن تسلم صدام حسين المسؤولية الكاملة في 17 تموز/ يوليو 1979.

- خامساً: أهمية الإنتصار العراقي أنه تحقق بسرعة وبالحد الأدنى من الخسائر وبقوة ذاتية، بل وبقوة بعثية. فالجيش العراقي يتميز عن كل جيوش منطقة الخليج بأنه عراقي مئة بالمئة وأن الضباط الكبار والصغار الرتبة هم في أكثرتهم الساحقة حزبيون بعثيون.

وأهمية الإنتصار أيضاً أنه تم على الجيش الذي يُفترض أنه أقوى جيش في منطقة الشرق الأوسط. ولكن الحرب أظهرت أن هذا الجيش ليس مترابطاً في القاعدة وفي القمة، وأن التفاعلات التي حدثت خلال الأشهر الأربعة عشر الأخيرة في إيران إنعكست عليه فأفقدته الهالة والقدرات التي كانت له في الماضي.

والى ذلك إن الجيش العراقي خاض الحرب وهو على نسبة عالية من التماسك، فضلاً عن أن ثقة القيادة به كبيرة جداً ولا وجود للتشكيك به وبولائه للثورة، مثلما هي حال الجيش الإيراني حيث أن الشك قائم بكل عنصر من عناصره وبالذات العناصر القيادية وصغار الضباط. وتدلّياً على هذا التشكيك أن المطاردات والتصفيات والتسريحات لم تتوقف على الإطلاق.

وفي هذا الإطار هنالك ظاهرة بدت لافتة للإنتباه، فعندما قامت الحرب التحقت عناصر كانت هاربة من الخدمة العسكرية في العراق بوحداتها، في حين أن العناصر العاملة في الجبهة الإيرانية هربت ولم تدافع. وقد تكون هذه الظاهرة ناشئة عن أن العراق خاض الحرب بقضية بينما الجندي الإيراني لم يدافع لأنه لا وجود لقضية.

- سادساً: عندما نقل العراق الحرب من البر إلى الشط وأعلن الرئيس صدام حسين إلغاء إتفاق الجزائر واستعادة شط العرب حدث في بعض الأوساط العربية والدولية رهان حول إمكانية تحقيق ذلك. وهذه الأوساط بنت رهانها على أساس أنه إذا فقدت إيران الشط فإنها ستخسر الحرب نهائياً، فضلاً عن أن السلاح البحري

اتفاق الجزائر عند السؤال الذي يراود ذهن هذه الأطراف وذهن القطاعات العربية الشعبية المتعاطفة مع الثورة الإيرانية وهو أن الإمام الخميني شيء والشاه شيء آخر. وما يجوز فعله مع الشاه لا يجوز مع الإمام الخميني. وفي هذا الصدد قال "... ولقد أثبت الخميني ومن يتحمل معه مسؤولية الحكم في إيران أنهم لا يختلفون عن الشاه في شيء في أطماعهم التوسعية وفي مواقفهم العنصرية من العرب. فلقد تمسكوا بخلاف الحق بكل الأراضي التي إحتلها الشاه في العراق كما تمسكوا بإحتلال الجزر العربية الثلاث طمب الكبرى وطمب الصغرى وأبو موسى، وجددوا حتى تلك الدعوات التوسعية التي تخلى عنها الشاه تحت ضغط الإرادة العربية، وبالنسبة إلى العراق رفضوا حتى إعادة الأراضي التي وافق الشاه على إعادتها بموجب إتفاقية 1975".

كذلك من المهم أن نأخذ في الإعتبار أن الرئيس صدام حسين خاض الحرب ليس على أساس أنها تخص العراق وحده وإنما على أساس أنها تخص العرب. وعندما أعلن استعادة شط العرب فإنه لم يكتف بتحديد الأحقية العراقية به "... وهكذا يعود الشط عراقياً وعربياً بالإسم والحقيقة".

- **ثامناً:** في أعقاب بدء الحرب تحرك طرفان عربيان بهدف التوسط في حين أن تحركهما كان يجب أن يبدأ منذ بضعة أشهر. وصادف أن الطرفين لهما ظروف مشابهة. الطرف الفلسطيني يخوض حرب تحرير من أجل استعادة أرضه التي اغتصبها الصهيونية. والطرف الجزائري الذي خاض حرب تحرير طويلة من أجل السيادة على الأرض. ومن أجل ذلك فإن مسعى التوسط هنا باهت بعض الشيء.

ولكن مهمة الطرفين أساسية في ضوء النتائج التي ستنتهي إليها الحرب. فالعراق إسترد أرضه واستعاد شط العرب وهي أمور مسلم بها. وفي إستطاعة الطرفين السعي الآن لإيجاد أرضية وفاق بين العراق وإيران، على أن يُزال اللغم الباقي (أي الإستمرار في احتلال الجزر) وهو ما يقره الطرفان المتوسطان وبقية الأطراف العربية وليس العراق وحده.

وعلى سبيل المثال إن الطرف الفلسطيني سمع تحليلاً لأمر الوفاق الممكن بهدف أن ينقله إلى إيران. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد عزّام الأحمد كان الدبلوماسي العربي الوحيد الذي إستقبله الرئيس صدام في مكتبه في القصر الجمهوري بعد قليل من إتخاذ مجلس قيادة الثورة

العراقي ليس في قوة وأهمية السلاح البحري الإيراني (يقدر معهد الدراسات الإستراتيجية أن السلاح البحري الإيراني يضم 20 ألف رجل بينما سلاح البحرية العراقي يضم 4250 رجلاً، فضلاً عن أن سلاح البحرية الإيراني كان أكثر أسلحة الجيش الإيراني تأثراً من التطورات التي ما زالت تعيشها إيران منذ سقوط الشاه وقبل السلطة الثورية الدينية بقيادة الإمام آية الله الخميني.

ولكن الذي حدث أن العراق أعلن إعادة شط العرب عراقياً من دون أن يشكّل السلاح البحري الإيراني أي عقبة في وجه هذا القرار. إلا أن إيران، كما يبدو، ستحاول المستحيل من أجل إبقاء الوضع في مناطق الشط في حالة ارتباك إذا تعذر عليها بقاء وجود لها فيه.

ومن الجائز الافتراض أنه في أعقاب استعادة شط العرب سيكون هنالك تركيز استثنائي من جانب العراق على سلاحه البحري علماً بأن المعلومات المتوفرة تُمكن من القول إن خطط تطوير هذا السلاح بالتعاون مع إيطاليا بدأت، وهي تتسم بالسرعة.

- **سابعاً:** من شأن الإنتصار العسكري العراقي الكامل على إيران أن يقلل من استحالة استعادة الجزر العربية الثلاث المحتلة من قبل إيران. فهذه الجزر احتلت في زمن التفوق العسكري للجيش الإيراني. وعندما لا يعود التفوق كاملاً يصبح أمر الإستعادة أكثر يسراً، ولكن هذه الجزر ليست للعراق وبالتالي فإنه يفقد إلى أحقية استعادتها. لكن الإنتصار العراقي سيقود مع الوقت إلى نشوء معادلات جديدة منها أن دول الخليج التي كانت في الماضي لا تطالب بحقها في الجزر على أساس أن لا قدرة لها على مواجهة إيران قد لا تتمسك بعد الآن بهذه المخاوف إلا إذا كانت ستظل تحسب حساباً للسلاح المذهبي الذي لم تستعمله إيران حتى الآن بالشكل المنظم وإن كانت لم توقف التلويح به بين الوقت والآخر.

وإلى ذلك بدا ملاحظاً أن الدول العربية (باستثناء الأردن وقطر) لم تعلن تأييدها في شكل أو آخر للعراق في مسألة استعادة أرض له من إيران وبسط سيادته على شط العرب. كذلك بدا ملاحظاً أن الأطراف التي تنف إلى جانب الثورة الإيرانية لا تتخذ موقفاً ضد العراق خصوصاً أنها في الفترة التي تلت توقيع العراق إتفاق الجزائر انتقدت في شكل أو آخر هذا التوقيع.

ومن المهم أن نأخذ في الإعتبار هنا أن الرئيس صدام توقف في سياق الخطاب الذي أعلن فيه إلغاء

قراراً بإلغاء إتفاقية الجزائر، وقبل أن ينتقل الرئيس صدام إلى المجلس الوطني ويعلن ذلك من هناك. ولكن، هل توافق إيران؟

قبل أن يعلن الرئيس صدام استعادة شط العرب والأراضي التي كانت إيران لا تعيدها، كانت وكالة الصحافة الفرنسية تسأل الرئيس أبو الحسن بني صدر (الذي سبق أن قام بجولة في طائرة هليكوبتر على القوات الإيرانية التي هُزمت) عن إمكان حل تفاوضي للخلاف الحدودي، فأجاب: "ليست هناك حدود بين بلدين مسلمين والموضوع ليس هنا. إن المطالب الإقليمية ليست سوى مبرر ولا أعتقد أن ثمة إمكانية للبحث. وإذا كان العراق صادقاً فما عليه إلا إثبات ذلك ووقف عدوانه المسلح...".

وإذا كان هذا هو رد إيران على الطرف الفلسطيني الذي نقل إليها وجهة نظر العراق فإنه لا مجال لأي وساطة.

ويبدو أن الرد كان هذا، لأنه بعد أربعة أيام من ذلك، تولى الرئيس بني صدر قيادة الجيش في محاولة لمواجهة العراق، وتصادعت تبعاً لذلك حدة الحرب في شط العرب. لكن هذا التصعيد من جانب إيران قد يكون أيضاً بهدف تحقيق إنتصار ما أو فتح ثغرة في جدار الإنتصار العراقي يسبقان أي مسعى للتوسط جزائرياً كان أو فلسطينياً.

والحرب قد تستمر طويلاً لأن إيران لا تتحمل استئثار العراق بسيادتين: السيادة على أرضه وشطه، والسيادة العسكرية في المنطقة.

... وفي الشق الآخر بيت القصيد الذي هو مستقبل الثورة في إيران.

ويبقى أن الحرب العراقية - الإيرانية هي حرب المفاجآت. وإذا كانت التطورات في البداية سارت بشيء من البطء، إلا أنها بعد ذلك تلاحقت بشكل يحبس الأنفاس وبالذات بعدما أصدر مجلس قيادة الثورة العراقي يوم الإثنين 22 أيلول (سبتمبر 1980) بياناً تضمن الإيعاز إلى القوات العراقية بتوجيه ضربات إلى الأهداف العسكرية الإيرانية.

وفي الوقت الذي كانت إذاعات العالم تتناقل هذا البيان كانت القاذفات العراقية بدأت تنفيذ ما طُلب منها حيث أنها أغارت على عدد من المطارات والقواعد العسكرية داخل إيران وعطلتها عن العمل. وكان مطار طهران بين هذه المطارات الأمر الذي حمل السلطات الإيرانية على إغلاقه. وفي اليوم التالي قام سرب إيراني

من عشرين طائرة بغارات على المدن الرئيسية في العراق منها بغداد لكن الذي حدث أن العراقيين أسقطوا جميع الطائرات التي يتشكّل منها السرب.

وإلى ذلك إن البيان وضع المنطقة في حالة حرب قد تكون طويلة، بل إن الدوائر الغربية وبالذات في لندن وواشنطن ألححت إلى أن "حرب الخليج" تقترب. ورافق صدور البيان إجراءات توجي بطول الحرب، منها أن إثنين من وزراء خارجية الكويت والشيخ محمد المبارك وزير خارجية البحرين) عادا إلى بلديهما بعدما كانا وصلاً إلى لندن في طريقهما إلى نيويورك للإشتراك في أعمال الجمعية العمومية للأمم المتحدة. ومنها أيضاً أن مطار بغداد أقفل في وجه الملاحه وأن الطائرات العراقية ستستعمل مطار الكويت إلى حين إعادة فتح المطار. ومنها أن الكويت أعطت العراق تسهيلات وفتحت أراضيها أمام ألوف العراقيين الذين تم إجلاؤهم من البصرة. ومنها أيضاً أن قوات عراقية محمولة بدأت التحرك في اتجاه عبادان وسط إحتمال تمكين سكان عربستان من إعلان دولة مستقلة يعترف بها العراق ودول أخرى كثيرة، ومعنى حدوث ذلك أن إيران تصبح بلا ثروة نفطية. ومنها أن إيران قد تلعب في أي لحظة ورقة إغلاق مضيق هرمز وبذلك تُدَوّل الحرب. ومنها أن القوات العراقية قد تضرب الوجود العسكري الإيراني في الجزر الثلاث المحتلة طمب الكبرى وطمب الصغرى وأبو موسى على إعتبار أن الأوامر المعطاة من مجلس قيادة الثورة تشير إلى ضرب القواعد العسكرية الإيرانية من دون تحديد ما إذا كانت داخل إيران أو خارجها. وفي الجزر قواعد، أو على الأقل، وجود عسكري إيراني.

والأهم من ذلك كله إن البيان جعل التحرك السياسي والعسكري الخليجي أكثر ديناميكية بل وقيل إنه لمجرد أن صدر البيان العراقي بدأت الإتصالات لإصدار بيان سعودي يستقطب الخليجين ويعلن الوقوف إلى جانب العراق. وقد أخذت هذه الإتصالات في الإعتبار أن عدم إنتصار العراق في الحرب معناه أن تكون وطأة الإيرانيين أشد في مرحلة ما بعد الحرب.

أما على الصعيد السوري - الليبي - الفلسطيني فإن السؤال الكبير إستمر من دون جواب حتى بعدما دخلت الحرب مدارها الخطر. والسؤال هو: هل يتخذ هذا المثلث موقفاً متميزاً أم أنه يؤيد العراق أو يقف إلى جانب إيران، مع الأخذ في الإعتبار أن هذا المثلث

تصرّف كمراقب في الأيام العشرة الأولى من الحرب،
فهل يستمر على تصرّفه هذا؟!

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 سبتمبر (أيلول) 1980

المسعى الإسلامي - الأوروبي

على رغم ما للدول العربية، ومن بينها العراق، من تحفظات على الرئيس الباكستاني ضياء الحق، فإن إختياره للقيام بدور الوسيط بين العراق وإيران أثّج صدور معظمها. فهي لا تريد للحرب أن تتواصل، وهي تعرف أن إستمرارها معناه أن تطورات كثيرة ستحدث يومياً وتؤدي إلى مزيد من التعقيدات في الموقف، وتنتج المجال أمام الدول الكبرى لكي تخرج عن حيادها الذي التزمت به حتى الآن وتتدخل في شكل أو آخر.

وعندما نشير إلى أن هنالك تحفظات عربية على الرئيس ضياء الحق، فلأنه لم يتجاوب مع معظم الحكام العرب الذين ناشدوه وتمنوا عليه أن لا ينفذ حكم الإعدام بحق ذو الفقار علي بوتو. ولكن هذه التحفظات لم تصل إلى الحد الذي يؤثر على العلاقات العربية - الباكستانية التي استمرت جيدة.

وإذا جاز القول فإن الرئيس ضياء الحق كان ينوب عن معظم الدول العربية في مهمة التوسط وبالذات عن العراق ودول الخليج والسعودية والأردن والجمهورية الليبية حيث هنالك عشرات الخبراء والفنيين المدنيين والعسكريين الباكستانيين الذين يشاركون في خطط التنمية وفي التدريب العسكري في بعض هذه الدول. وهو في الوقت نفسه كان ينوب عن الولايات المتحدة التي تربطها به علاقات ذات تميّز ونظرة مشتركة إلى الشيوعية والدور السوفياتي.

ولقد جاء إختيار الرئيس ضياء الحق مثالياً لأنه إلى كل ما ذكرناه يعرف ماذا تعني الحرب، وعاش تجربة بنغلادش التي قامت على أساس إنتصار الهند عسكرياً على باكستان، فضلاً عن أن العلاقات الباكستانية - الإيرانية تتسم بالود وليس فيها ما من شأنه أن يجعل الرئيس ضياء الحق غير مسموع الكلمة من الإيرانيين.

وعندما بدأ الرئيس ضياء الحق مهمته وجاء إلى طهران فإن تمنيات عربية كثيرة له بالنجاح حدثت. ولكي يسهّل الرئيس صدام حسين هذه المهمة فإنه أعلن، وهو منتصر، إستعداده للقبول بوقف إطلاق النار

شرط أن تتوقف إيران عن إطلاق النار أيضاً. ولقد أعلن ذلك كي لا يقال إن المنتصر لا يتيح المجال أمام الوساطة أن تأخذ مداها، وكي لا يظهر العراق أمام العالم أنه غير مكترث بالتطورات التي تنشأ عن الحرب وأثارها الدولية.

ولكن على رغم ذلك فإن الجانب الإيراني لم يشجع هذه الخطوة. فالإمام الخميني لم يستقبل الرئيس ضياء الحق وإنما إستقبله الرئيس أبو الحسن بني صدر علماً بأن الكلمة الأخيرة وإتخاذ القرار هما للإمام الخميني. ولم يكتف الإمام بأنه لم يستقبل الوسيط الإسلامي وإنما أعلن رفضه وقف إطلاق النار وقال ما معناه إن الحرب ستستمر حتى آخر جندي إيراني وإن على الإيرانيين أن يدافعوا عن مدنهم.

إزاء ذلك ما الذي يمكن أن يحدث؟

إن المألوف هو أن المنتصر لا يطلب وقف إطلاق النار، وينتظر أن تأتي المبادرة من الطرف غير المنتصر. ولكن الرئيس صدام هو الذي بادر وأعلن إستعداده لقبول وقف إطلاق النار في وقت بلغ التوغل العراقي داخل إيران حوالي 80 كيلومتراً، وبعدما سقطت مواقع ومدن إيرانية كثيرة. وإلى ذلك إنه أبدى إستعداده في وقت لم يدفع فيه بثقله العسكري إلى المعركة حيث أن هنالك قطعات كثيرة من الجيش لا تزال في ثكناتها داخل العراق لم يُطلب منها الإشتراك في الحرب، وفي وقت لا يشكو فيه من نقصان في الذخيرة أو في قطع الغيار. وهو للمناسبة إستفاد من تجربة حرب الشمال مع الأكراد في السبعينات يوم كانت إيران الشاه تدهم بالسلاح والذخيرة، بينما كانت الذخيرة وقطع الغيار تشكّل الثغرة الأكثر إتساعاً وخطورة بالنسبة إلى الجيش العراقي. ومن أجل ذلك وفي ضوء تلك الإستفادة يُفترض أنه يخوض حرب الثمانينات بمخزون كبير جداً من الذخيرة وقطع الغيار.

والرئيس صدام أبدى إستعداده للقبول بوقف إطلاق النار بينما معنويات شعبه مرتفعة وبينما قدرته على مواصلة الحرب واضحة، وبينما هو يتجول في شوارع بغداد يتفقد الناس وقوات الجيش الشعبي التي أثبتت قدرتها على أن تشكّل البديل للجيش النظامي في زمن الحرب، بل وأكثر من ذلك حيث أن بعض عناصر الجيش الشعبي تمكنت خلال الغارات الجوية من إسقاط طائرات إيرانية.

وما دام المنتصر يطلب وقف إطلاق النار وغير المنتصر يرفض ويصر على القتال فإن معنى ذلك أن

وحدوث مثل هذا الشيء كفيل بأن يجعل الأمور تستقيم، وكفيل بتحقيق وفاق عراقي - إيراني يحفظ لكل ذي حق حقه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 4 أكتوبر (تشرين الأول) 1980

بن جديد... وليس غيره

مرة أخرى نجد أنفسنا نطالب الرئيس الشاذلي بن جديد بأن يقوم بالمسعى الحميد الذي يخفف من وطأة الحرب العراقية - الإيرانية، هذا إذا كان من الصعب تعطيل الألغام الكثيرة الباقية في هذه الحرب.

ومنطوق المطالبة أن الرئيس بن جديد دخل إلى السياسة من باب الحرب وهذا يعني الكثير. كذلك إنه يعرف معنى تحرير الأرض والتراب وهذا أيضاً يعني الكثير.

كذلك فإن منطوق المطالبة يعود إلى أن الرئيس بن جديد بدأ مع بداية الحرب محاولة لا يلغي عدم الإكثار من الحديث الإعلامي حولها أنها لم تكن معمرة. وفي هذا الإطار جاءت إتصالاته بالرئيس صدام حسين والرئيس أبو الحسن بني صدر والأمير فهد بن عبد العزيز والشيخ جابر الأحمد.

والى ذلك إن الرئيس بن جديد من النوع القادر على تحميل نفسه الكثير من الضغط من أجل التوصل إلى الحل المعقول أو شبه المعقول.

وقد يقال إنه لكي تكون هنالك وساطة يجب أن تتوفر بعض الشروط. وفي غياب هذه الشروط لا يمكن للوساطة أن تثمر بل قد يجوز القول إنها لا يمكن أن تبدأ.

ومن شروط الوساطة أن يطلب أحد طرفي النزاع القيام بمسعى للتوسط أو يكون الطرفان مستعدين للقبول بمبدأ الوساطة.

وهذه الشروط ليست متوافرة الآن بالنسبة إلى الحرب العراقية - الإيرانية. ولو أنها كانت غير متوافرة عام 1975 لما كان في استطاعة الرئيس هوراني بومدين أن يحقق النجاح الذي حققه.

إن العراق يرفض أن يكون الوسيط عربياً إنطلاقاً من نظريته بأن في مثل هذه الحرب يفترض أن يكون العرب مع العراق وليسوا وسطاء بينه وبين إيران. لكنه في ذلك لا يعني أنه ضد مبدأ الوساطة التي تأتي من طرف

مفاجآت كثيرة ستحتفل بها الأيام القليلة المقبلة. فالمنتصر سيجد نفسه يوسع دائرة الضغط من أجل إجبار الطرف الآخر على الرضوخ لمنطق الحرب. والإمام الخميني سيظل يرفض ليس لأن بعض المساعدات التي تصله سراً يمكن أن تجعل الميزان العسكري يميل لمصلحة إيران وإنما لأن استمرار الحرب سيجعل الأطراف الدولية أكثر إستعداداً للتدخل. وهو يبنّي حساباته على أساس أن التدخل الدولي سيربك العرب قبل إيران لأن إيران في الأصل مرتبكة.

من هنا إنه لا بد من تدعيم للسعي الذي بدأه الرئيس ضياء الحق.

وقد يقال ما هو التدعيم المطلوب من العرب لمسعى الرئيس الباكستاني بعدما حصل من العرب على كل ما من شأنه أن يجعل مهمته تتجح؟

والجواب هو أن التدعيم المطلوب هو في جعل بعض الأطراف الدولية لا تستعجل التدخل وهذا يكون من خلال تنسيق بين الوسيط الإسلامي المدعوم عربياً ووسيط أوروبي يشكل الرئيس فاليري جيسكار ديستان نموذجاً مثالياً لما يمكن أن يكون عليه هذا الوسيط، خصوصاً أن ما ينطبق على الرئيس ضياء الحق من أنه يمثل معظم العرب ينطبق أيضاً على الرئيس جيسكار ديستان الذي يرتاح إلى مساعاه معظم العرب، فضلاً عن أن عضو مجلس قيادة الثورة العراقي طارق عزيز أبلغه عندما إجتمع به قبل أيام في باريس رغبة الرئيس صدام حسين في أن يبذل من جانبه المسعى الذي يؤدي إلى الحل العادل.

وقد يحدث إذا سار المسعيان الإسلامي والأوروبي في الإتجاه السليم أن تنشأ قوة ضغط إيرانية يكون من نتائجها عودة كفة آية الله شريعتمداري إلى الرجحان على كفة آية الله الخميني. وقبل أشهر رجحت الكفة الشريعتمدارية على الكفة الخمينية ثم جاءت المحاولة العسكرية الأميركية الفاشلة لإنقاذ الرهائن لتجدد الإنقاذ الشعبي حول الخميني.

وللتذكير فإن وجهة نظر شريعتمداري تقوم على أن ولاية الفقيه التي يتمسك بها الخميني حدثت في الفترة بين سقوط الشاه وإنتخاب أبو الحسن بني صدر رئيساً للجمهورية، وأن آيات الله يجب أن يبتعدوا عن الساحة السياسية وينصرفوا إلى التعبد في "قم" ويتركوا للسياسيين المقننين أمر إدارة البلاد وإعادة بنائها وترميم الجيش وتنظيم العلاقات مع دول العالم بعيداً عن هواجس وأحلام تصدير الثورة.

إسلامي أو دولي. وفي ضوء هذا الأمر جاءت موافقته على المسعى الإسلامي وإستعداده للقبول بالمسعى الدولي.

ومن هذه النقطة يمكن الوصول إلى ما نعتقد أن في إمكان الرئيس بن جديد أن يفعله. يعزز دور الوسيط الإسلامي وينشط في الإتجاه الأفريقي وإتجاه دول عدم الإنحياز، ويجعل من الجزائر مكاناً يلتقي فيه رئيس يمثل المجموعة الأفريقية ورئيس يمثل مجموعة عدم الإنحياز فضلاً عن الرئيس ضياء الحق الذي يمثل المجموعة الإسلامية. ومن شأن مثل هذا الإجتماع الذي يُفترض أن تضع الجزائر ثقلها لإنجاحه أن يضع تصوراً للحل الذي يضع حداً للحرب التي كلما طالت شكّلت عبئاً على أطراف كثيرة.

وإلى ذلك هنالك قمة دول منظمة "أوبيك" المفترضة إنعقادها في بغداد في الأسبوع الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1980. وما دام من المتعذر في حال إستمرار الحرب وتعرض بغداد لغارات جوية إيرانية عقّد مثل هذه القمة في العاصمة العراقية، فإن مبادرة تأتي من الرئيس بن جديد لعقد هذه القمة في الجزائر تبدو الآن أكثر من ضرورية. بل إن هذه القمة قياساً بالظروف الراهنة المحيطة بها تبدو كما لو أنها أهم مصادفة كان سيبدو من المستحيل إيجادها لو أنها كانت غير واردة وغير مقررة من قبل.

وقد يجوز الافتراض بأنه يصعب على الرئيس بن جديد أن يبادر لأنه في طبعه يتحاشى الأجوبة الراضية، ولكن مثل هذا الافتراض ليس أساسياً أمام هول الحرب في حال إستمرارها وأمام فظاعة التعقيدات الدولية التي ستتشأ عن ذلك.

وثمة ما يجيز القول بأن الجزائر هي وحدها المهيأة لإنعقاد القمة الثانية لدول "الأوبيك". فهي بالإضافة إلى أنها استضافت القمة الأولى عام 1975 فإن هنالك أسباباً موضوعية تجعل عقد القمة في أي دولة أخرى من دول "الأوبيك" متعذراً إلى حد ما. وعندما نعرض أسماء هذه الدول يتبين لنا ذلك، المملكة العربية السعودية والكويت وقطر ودولة الإمارات مع الموقف العراقي في شكل أو آخر. والجماهيرية الليبية مع الموقف الإيراني. وتبقى بعض الدول الأفريقية والأميركية اللاتينية التي لن يتوجه إليها أحد من حكام المنطقة العربية في هذه الظروف بالذات. وهذه الدول هي الغابون وفنزويلا والأكوادور وإندونيسيا.

والذي يجيز القول بأن الجزائر هي وحدها المهيأة

هو أنها على رغم إقرارها ضمناً بالحقوق العراقية وبأن هنالك عدم رغبة إيرانية في تنفيذ إتفاقية الجزائر، إتخذت موقفاً هادئاً من موضوع الحرب. وهي حتى إشعار آخر ترى أن القوة العربية تحتاج إلى عمق إسلامي وتتنظر إلى إيران على أنها دعامة أساسية في هذا العمق.

ومثل هذه النظرة تساعد على أن يقوم الرئيس بن جديد بالمسعى الذي نطالب به، خصوصاً أن الرئيس بومدين عندما جمع صدام حسين والشاه محمد رضا بهلوي عام 1975 لم يجمعهما ولم ينشط في سبيل إنجاح محادثتهما على أساس أن العراق وإيران دولتان من دول "أوبيك" وإنما على أساس أن القوة العراقية يجب أن لا تُستترَف وعلى أن العمق الإسلامي في إيران يجب أن يقف إلى جانب هذه القوة وليس في وجهها. وعندما نطالب الرئيس بن جديد بالمسعى وبالمبادرة فمن أجل أن يجمع على هامش قمة "الأوبيك" التي تبدو الجزائر مهيأة لتكون مكاناً لإنعقادها الرئيسين صدام حسين وأبو الحسن بني صدر. ومثل هذا اللقاء لا بد سيحدث... طال أمد الحرب أم قصر. وإستعجال عقده يوفر على الطرفين المزيد من الإستتراف والدمار. ويبقى أمران:

الأول: إن الظروف ملائمة جداً للمسعى الذي نطالب الرئيس بن جديد به. وهذه الظروف لن تعود ملائمة في حال دخول الدول الكبرى طرفاً فيها في شكل أو آخر. ومن خلال ما يذاع وما يقال يبدو أن هذه الدول أعدت العدة للتدخل وأنها تنتظر فقط الفرصة المناسبة.

الثاني: إنه ما دام الرئيس صدام حسين أفسح المجال أمام المسعى الحميد من خلال موافقته على وقف إطلاق النار ومن خلال إستعداده لقبول مبدأ الوساطة على أن لا يكون الوسيط عربياً، فإن المسعى الذي نطالب الرئيس بن جديد به ليس بالتعجيز الذي كان سيبدو عليه لو أن فكرة التوسط مرفوضة جملة وتفصيلاً.

وتكراراً إننا نتمنى أن تكون هنالك مبادرة جزائرية من دون أن يطلب أحد المتنازعين منها ذلك. والذي نعرفه أنه عندما يتخاصم طرفان لهما مكانة في نفس طرف ثالث فإن هذا الطرف لا ينتظر أن يطلب منه المتخاصمان بذل المسعى الحميد، وإنما يتقدم ويحاول التوفيق. وعندما يكون هذا الطرف من نوع الشاذلي بن جديد فإننا نعتقد أنه يصعب عليه أن يكتفي بقرأة البيانات العسكرية الصادرة عن الطرفين ويوصي بنشرها وإذاعتها بالتساوي.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 11 أكتوبر (ت) 1980

قراءة في معاهدة ألغيت ومعاهدة أبرمت

يوم الخميس 9 تشرين الأول/ أكتوبر 1980 تم التوقيع في موسكو على معاهدة للصدقة والتعاون بين الرئيس حافظ الأسد وليونيد بريجنيف الأمين العام للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي.

ولأن هذه المعاهدة التي جاءت بطلب غير معلّن من السوفييات تبدو في بعض جوانبها - ولعله الجانب الأساسي - رداً ثانياً من جانب الاتحاد السوفياتي على الرئيس أنور السادات والولايات المتحدة، فإنه قد يكون من المناسب عقد مقارنة بين المعاهدة مع الاتحاد السوفياتي التي سبق للرئيس السادات أن ألغها في تموز/ يوليو 1972 والمعاهدة التي وقّعها حديثاً الرئيس حافظ الأسد.

ومن خلال الملاحظات الآتية يمكننا تبيين ظروف المعاهدتين، ويمكننا تلمس أشياء كثيرة:

أولاً: التسمية التقليدية السوفياتية للمعاهدة هي "معاهدة الصداقة والتعاون". وصيغة هذه المعاهدة دائماً جاهزة في أدراج القيادة السوفياتية. ولكن الذي يحدث هو أن بعض العبارات يجري عليها نوع من التعديل حسب ظروف ونوعية الطرف المتعاقد معه.

وقد درجت العادة على أن السوفييات يصرون على عقد المعاهدة مع حلفائهم غير ميسوري الحالة والذين يعيشون ظروفاً دقيقة مالياً وأمنياً ويحتاجون بالدرجة الأولى إلى السلاح.

وإذا كان الطرف المتعاقد معه صاحب وضع إستراتيجي فإن هذا الطرف يستطيع أن يمارس بعض القوة بحيث يضيف على المعاهدة ما يريد، أو بعض ما يريد.

وعلى سبيل المثال فإن الرئيس حافظ الأسد تمكّن من خلال الوضع الإستراتيجي البالغ الأهمية لبلاده أن يضيف إلى المعاهدة التي وقّعها مع بريجنيف عبارات وكلمات لم ترد في المعاهدة المصرية - السوفياتية، من نوع "... ومواصلة النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية في كافة أشكالها وظواهرها بما فيها الصهيونية"، وهي الفقرة الواردة في مقدمة المعاهدة السورية - السوفياتية وفي المادة الثالثة. ومثل هذه الفقرة لم ترد إطلاقاً في المعاهدة المصرية - السوفياتية، ولم ترد أيضاً كلمة إسرائيل وإنما عبارة "إزالة آثار العدوان". ولو أن الفقرة المشار إليها في المعاهدة السورية - السوفياتية تحدثت عن مواصلة النضال "ضد إسرائيل" وليس فقط "ضد الصهيونية" لكان إعتبر ذلك بمثابة

تحقيق الأمنية.

ثانياً: إنه لكثرة الحديث منذ حوالي سنتين عن أن معاهدة ستوقع بين سوريا والاتحاد السوفياتي فإن التوقيع لم يرافقه الضجيج الذي رافق توقيع المعاهدة المصرية - السوفياتية.

وقبل بضعة أسابيع من سفر الرئيس الأسد إلى موسكو وتوقيعه كان القاصون والدانون قد باتوا متأكدين من أن المعاهدة ستوقع، في حين أن المعاهدة المصرية - السوفياتية وُقعت في غفلة من الجميع ومن دون تهيئة نفسية.

والى ذلك إنه عندما وصل نيقولا بودغورني إلى القاهرة يوم 25 أيار/ مايو 1971 لم يكن أحد يدري أن في جيبه نسخة من معاهدة يطلب توقيع الرئيس السادات عليها، في حين أنه عندما سافر الرئيس الأسد إلى موسكو كان واضحاً كل الوضوح أن الهدف من زيارته هو التوقيع ثم العودة إلى دمشق.

وصحيح أن القيادة في الاتحاد السوفياتي جماعية إلا أن هنالك أولويات وأهميات. وعندما يوقع المعاهدة مع سوريا عن الجانب السوفياتي ليونيد بريجنيف لا يكون لها الأثر نفسه الذي للمعاهدة المصرية - السوفياتية التي وقّعها عن الجانب السوفياتي الرجل الأقل أهمية في "الترويك" وهو نيقولا بودغورني.

ولقد بدا الاتحاد السوفياتي على شيء من العقوق تجاه أصدقائه أو حلفائه في مصر لأنه إرتضى توقيع معاهدة مع الرئيس السادات في الوقت الذي كان فيه علي صبري (المحسوب على السوفييات) وبقية أفراد المجموعة الناصرية قد وُضعوا في السجن بتهمة التآمر ضد الرئيس السادات، وفي الوقت الذي كان واضحاً للسوفييات كل الوضوح أن السادات غير مؤمن بالعلاقة معهم، وهذا ما تبيّن بعد ذلك عندما أنهى الرئيس السادات المعاهدة من دون مبرر وطرّد الخبراء السوفييات البالغ عددهم 15 ألف خبير وسط حملة تشهير لم تحدث بين الاتحاد السوفياتي ودولة تربطها بها علاقات متميزة.

وقد يكون السوفييات صدّقوا الإبتهاج بالمعاهدة الذي أشاعه الرئيس السادات فغضّوا النظر عما حدث لعلي صبري والآخرين. وفي معرض الحديث عن الإبتهاج يجوز التذكير بعبارة للرئيس السادات قالها يوم 2 حزيران (يونيو) 1971 وبرسم كاريكاتوري لصلاح جاهين (الذي أصبح بعد ذلك يحصر رسوماته في كل ما يسيء إلى العرب ويعزز إتجاه الصلح المصري - الإسرائيلي) نُشر

وكذلك تقوية قدرتها على مواجهة العدوان عموماً".
والفرق كبير بين النصين. النص الذي تضمنته
المعاهدة المصرية - السوفياتية معناه أن الإتحاد
السوفياتي يدرّب الجيش المصري على الأسلحة التي يتم
توريدها إلى مصر وبهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلي
(من دون تحديد العدوان في النص وعلى أنه إسرائيلي)
أما النص الذي تضمنته المعاهدة السورية - السوفياتية
فيؤحي بأن الإتحاد السوفياتي يرى في سوريا حدوداً
إستراتيجية له يجب أن تدافع سوريا عنها بموجب
المعاهدة. ومرد هذا القول هو أن الفقرة تتضمن عبارة
تتحدث عن دفاعين وليس عن دفاع واحد "... وفقاً
لمصالح تعزيز قدرتهما الدفاعية". ولما كانت سوريا لن
تمد الإتحاد السوفياتي بالسلاح فإن تعزيز قدرته
الدفاعية هنا تأتي بمعنى الحدود الإستراتيجية.

رابعاً: قد يجوز القول إن الإتحاد السوفياتي إستفاد
من الآثار السلبية التي تركها إقدام الرئيس السادات على
إلغاء المعاهدة والأسلوب الذي إعتده في طرد الخبراء
وهو أسلوب يقوم على التشهير بالإتحاد السوفياتي، وأن
المادة 13 من المعاهدة السورية - السوفياتية تتضمن
هذه الإلتفاتة. فهي تنص على "إن أي اختلافات قد تنشأ
بصدّد تفسير أو تطبيق أي حكم من أحكام هذه المعاهدة
سوف تُحل بصورة ثنائية وفقاً لروح الصداقة والتفاهم
والاحترام". وهذه المادة لم ترد أصلاً في المعاهدة
المصرية - السوفياتية. ويبدو واضحاً من صياغة
كلماتها أنه إذا كانت هنالك لسوريا مستقبلاً، اعتراضات
ما أو إجتهاادات في شأن مواد المعاهدة، فلنُعالج بما لا
يُتيح المجال أمام أسلوب كذلك الأسلوب الذي إعتده
الرئيس السادات. وإلى ذلك يلاحظ أن المادة 14 تنص
على أن عمر المعاهدة هو 20 سنة أي أنها تنتهي في
العام ألفين، في حين أن عمر المعاهدة المصرية -
السوفياتية التي لم يُكتب لها أن تعيش أكثر من 14
شهوراً، كان 15 سنة.

خامساً: لقد وقّع الرئيس حافظ الأسد المعاهدة بعد
إتفاق بينه وبين العقيد معمر القذافي على إقامة وحدة
اندمجية سورية - ليبية. وإنجاز المعاهدة قبل إعلان
تلك الوحدة قد يكون أمراً مدروساً بين الرئيسين السوري
والليبي. وعندما يتم الإعلان عن الوحدة سيكون معنى
ذلك أن الإتحاد السوفياتي وقّع معاهدة مع طرفين هما
سوريا وليبيا وليست سوريا وحدها. وإذا أضفنا إلى ذلك
المعاهدة السوفياتية - اليمنية الجنوبية نجد أن الجزائر
هي الوحيدة بين دول الصمود والتصدي التي لا ترتبط

بعد يومين من توقيع المعاهدة. أما عبارة الرئيس
السادات فهي: "لقد حاولت صحافة الغرب ودعاياته أن
تُصور أمورنا الداخلية وكأنها تغيير في خطنا السياسي.
وكانت هذه المعاهدة رداً حاسماً على محاولة التشكيك
بمسيرتنا. وقد أكدنا بالمعاهدة أن صداقتنا للإتحاد
السوفياتي ليست صداقة مرحلة وليست تكتيكاً ولكنها
صداقة كل المراحل وهي إستراتيجية ثابتة".

وأما الرسم الكاريكاتوري الذي نشرته "الأهرام" يوم 30
أيار (مايو) 1971 (بعد يوم من مغادرة بودغورني
القاهرة ومعه توقيع السادات على المعاهدة) فكان يمثل
السادات وبودغورني يقفان أمام شكل مجسم للمعاهدة
مع التعليق الآتي: "وادي كمان سد عالي" وكانت
"الأهرام" نشرت لصالح جاهين رسماً آخر لم يستقبله
بودغورني بالترحيب عندما عرض عليه الصحيفة
السفير السوفياتي في القاهرة. وكان الرسم يمثل
بودغورني يحمل يافطة كتب عليها "نحن معك يا
سادات" وبدأ السادات يهيم فرحاً بمعانقته.

والقصّد من ذلك كله هو القول بأن المعاهدة
المصرية - السوفياتية لم توقّع نتيجة اقتناع الطرفين
ببعضيهما البعض وعُقدت في جو من العجلة ولم يُغيّر
من حقيقة ظروفها جو الإبتهاج الذي أشاعه الرئيس
السادات.

أما المعاهدة السورية - السوفياتية فإنها وقّعت في
ظروف مختلفة، فالطرفان المتعاقدان يلتقيان على
الحاجة الماسة من جانب كل منهما للآخر.

ثالثاً: بالمقارنة مع المعاهدة المصرية - السوفياتية
فإن المادة المتعلقة بالنواحي العسكرية تبدو في المعاهدة
السورية - السوفياتية ذات مضمون غير تقليدي. فهي
تنص على أنه "سوف يواصل الطرفان المتعاقدان
الساميان تطوير التعاون في المجال العسكري على
أساس الإتفاقيات المعقودة بينهما في هذا الصدد، وفقاً
لمصالح تعزيز قدرتهما الدفاعية"، في حين أن المادة
التي تضمنتها في هذا الصدد المعاهدة المصرية -
السوفياتية تنص على الآتي: "... وتعزيزاً للقدرة الدفاعية
للجمهورية العربية المتحدة سيواصل الطرفان المتعاقدان
الساميان تطوير التعاون في المجال العسكري على
أساس الإتفاقات المناسبة في ما بينهما. ويشمل هذا
التعاون بشكل خاص العون في تدريب أفراد القوات
المسلحة للجمهورية العربية المتحدة في استيعابهم للعتاد
والأسلحة التي يتم توريدها إلى الجمهورية العربية
المتحدة من أجل تقوية قدرتها على إزالة آثار العدوان،

بمعاهدة مع الإتحاد السوفياتي.

وفي مثل هذه الحالة يستطيع بريجنيف وهو يعيش أيامه الأخيرة أن يقول لشعوب الإتحاد السوفياتي إن زعامته عوّضت بعد ثماني سنوات مصر التي لا تعوّض وأن معاهدته مع سوريا تكون ليبيا طرفاً فيها في حال قيام الوحدة تشكّل ما هو أكثر من التعويض.

سادساً: لن يكون الرئيس الأسد مضطراً لإشراك الشيوعيين في الحكم كما حدث بالنسبة إلى الرئيس السادات عندما عيّن في أعقاب توقيع المعاهدة الدكتور إسماعيل صبري عبد الله (وهو ماركسي) وزيراً للتخطيط. فالشيوعيون السوريون ممثلون في الحكم قبل المعاهدة. ولكن هؤلاء سيجدون بعد المعاهدة أنهم في وضع أفضل.

والى ذلك إن عقد المعاهدة يشكّل تحدياً للإتجاهات الدينية التي حاولت أن تنثير المتاعب في الأشهر الأخيرة في وجه بعض الرموز السوفياتية في سوريا. تلك مقارنة عابرة في أهم معاهدين عقدهما الإتحاد السوفياتي مع دولتين عربيتين.

والعبرة في نوايا المتعاقدين وبأسلوب تنفيذ بنود المعاهدة من الطرف الأقوى الذي هو الإتحاد السوفياتي.

مجلة "المستقبل". باريس - 18 تشرين الأول (أكتوبر) 1980

جمعية السادات العربية والإسلامية

يوم الأربعاء 8 تشرين الأول (أكتوبر) 1980 أصدر الرئيس أنور السادات قراراً جمهورياً بإنشاء ما سماه "الجمعية التأسيسية لجامعة الشعوب الإسلامية والعربية". وقضى القرار بأن يكون السادات رئيساً للجمعية ووزير الأوقاف المصري نائباً للرئيس والدكتور سيد نوفل (ما غيره) أميناً عاماً وهارون المجدي أميناً عاماً مساعداً للشؤون الإسلامية.

وقد وضع الرئيس السادات يده على مبنى الأمانة العامة للجامعة العربية لتكون مقراً لجمعيةه التي هي في الواقع جمعية وليست جامعة. وطلب إبلاغ السفارات الإسلامية العاملة في مصر بالقرار وبدأ يستعد لإفتتاح أول دورة للجمعية في الأول من محرم 1401 هجري.

وإستناداً إلى ما أذيع رسمياً من معلومات فإن هدف الجمعية هو "بناء التضامن الإسلامي الصحيح" و"التكامل العربي الفعال" و"الإعداد لغد إسلامي عربي

أفضل" و"التخطيط لحشد الإمكانيات الإسلامية والعربية في سبيل الأهداف والمبادئ والمصالح المشتركة ومن أجل الحرية والكرامة والرخاء للإنسان المسلم والعربي" و"متابعة القضايا والأحداث الإسلامية والعربية والدعوة إلى مواقف عملية مدروسة معها" و"العمل بجميع الوسائل المتاحة لتسوية الخلافات الراهنة وبناء الروابط الأخوية الوثقى وتنميتها" و"وضع مشروع للتعاون الإسلامي في مختلف المجالات" و"وضع مشروع متكامل للعمل العربي المشترك سياسياً ودفاعياً وإقتصادياً واجتماعياً وثقافياً".

حول هذا القرار يمكن قول الآتي:

أولاً - إن القرار يشكّل خطوة متقدمة على صعيد العزلة العربية والإسلامية التي يعيشها النظام المصري. ولولا مشاعر الضيق في نفس الرئيس السادات الناشئة عن هذه العزلة لما كان طرح فكرة "جامعة الشعوب العربية والإسلامية" التي - تكراراً - هي في الواقع جمعية وليست جامعة.

والى ذلك إن الرئيس السادات في طرّحه هذه الفكرة يحاول الإيحاء بأن مشكلته هي مع الأنظمة العربية والإسلامية وأن لا مشكلة بينه وبين الشعوب العربية والإسلامية. وهو إيحاء يخصه ولا يعكس الحقيقة. ذلك أن مشكلة الرئيس السادات بعد الذي فعله هي مع الشعوب العربية والإسلامية قبل أن تكون مع الأنظمة. وهي مشكلته مع الشعب المصري قبل بقية هذه الشعوب. والدليل على ذلك هو أن الرئيس السادات يطرح فكرته بعد تكاثر تساؤلات أبناء الشعب المصري حول هذه العزلة من جانب العرب والمسلمين والتي تضيق يوماً بعد آخر على مصر. ولولا هذه التساؤلات لما كان الرئيس السادات طرح الفكرة التي لن يُكتب لها أن ترى النور، على الأرجح.

ثانياً - إن فكرة التلويح بجامعة الشعوب هذه ليست جديدة. وقد سبق أن طُرحت أيام عبد الناصر. وعندما طُرحت في الماضي كان لها ما يبررها. فعبد الناصر كانت له شعبية عربية وإسلامية. وكانت تلك الشعبية تمثل إحدى أوراق الضغط التي يلعبها ضد الأنظمة التي كانت في معظمها ثورية ومحافظه تناصبه العداء ويناصبها ما هو أكثر من العداء.

وفي الفترة التي خطرت فكرة جامعة الشعوب العربية في ذهن عبد الناصر كان إذا ألقى خطاباً يسمعه ألاف المواطنين العرب وإذا إتخذ قراراً تهتم هذه الألاف بمضمونه وإذا تصدى لحاكم عربي ما يجد بين هذه

الألوف من يقف معه.

أما بعد الصلح المصري - الإسرائيلي فإن قلة عربية وإسلامية هي التي تكثر بما يصرح به الرئيس السادات وبالخطب التي يلقيها وبالقرارات التي يتخذها. وهذه القلة تتابع وتهتم على أساس أن بعض الأمل يراودها في أن الرئيس السادات سيعلم في خطاب أو تصريح أنه أعاد النظر في توجُّهه وقرر أن يعود بمصر إلى مكانتها: القلب النابض في جسم الأمتين العربية والإسلامية.

ثالثاً - إن الرئيس أنور السادات ينسى أنه يطرح فكرته بينما يضع دول عربية، من بينها مصر، تحت الإحتلال الإسرائيلي بشقيهِ المعنوي والعسكري، وبينما تواصل إسرائيل التي تصالح معها الاعتداءات، وبينما تواصل أيضاً تهديد القدس من دون أن يتصدى لها.

كذلك إن الرئيس السادات يطرح فكرته بينما يستمر الحق الفلسطيني مسلوباً وبينما تستمر الأوضاع التي تفجرت نتيجة للصلح المصري - الإسرائيلي في بعض الدول العربية، على حالها.

والذي يدعو إلى الإستغراب هو أن الرئيس السادات، وضع لجمعيته أهدافاً من دون أن يأخذ في الإعتبار أنها أهداف لا يمكن أن يحققها حاكم إرتضى التعايش مع إسرائيل على الوقوف جنباً إلى جنب مع العرب والمسلمين في مواجهتها.

إن من أهداف الجمعية بناء التضامن الإسلامي وهذا أصلاً قائم. وحيث إهتز هذا التضامن فإن الإهتزاز كان نتيجة للصلح المصري - الإسرائيلي. ومن أجل بناء حقيقي للتضامن الإسلامي فإن المطلوب أولاً عودة مصر إلى مكانها ومكانتها.

ومن أهداف الجمعية تحقيق "التكامل العربي الفعال". ومثل هذا التكامل لا يكون مع مصر المتصالحة مع إسرائيل. ولعل الرئيس السادات يدري أنه حتى التكامل بين مصر والسودان لم يتم بعدما إرتبط هو بصلح مع إسرائيل.

ومن أهداف الجمعية "التخطيط لحشد الإمكانات الإسلامية والعربية في سبيل الأهداف والمبادئ والمصالح المشتركة". ونخاف أن يكون الصلح مع إسرائيل - كما فعل هو - من جملة الأهداف التي يريدها الرئيس السادات أن تحدث.

ومن أهداف الجمعية "وضع مشروع للعمل العربي المشترك سياسياً ودفاعياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً". ومعنى ذلك أنه يريد أن تكون الجمعية للدفاع عن هذا الصلح... إلا إذا كان في عقله الباطن لم يعد ينظر إلى

الأمر سوى من زاوية من مع أميركا ومن هو ضدها. ويحاول من خلال الهدف الأخير الذي أشرنا إليه الإيحاء بأن يكون العمل العربي المشترك هو من أجل مواجهة الإتحاد السوفياتي لا أكثر.

ويبقى أن الرئيس أنور السادات الذي يلتقي مع نظرة الشيوعيين إلى إسرائيل (كلاهما يؤمن بالتعايش معها) يحاول من خلال جمعيته التي طلع بها على شعبيه (تحت اسم جامعة) في أشد اللحظات شعوراً بعزلة مصر عربياً وإسلامياً، أن يعكس الحاجة الملحة الأساسية التي يعرف ضمناً على رغم كل الضباب الذي ينشره حولها، أن لا حل لمشكلة مصر من دونها. وهذه الحاجة هي العودة بمصر إلى مكانها ومكانتها.

يبقى أيضاً أن الرئيس السادات طرح فكرته في وقت تبدو حاجة الشعوب العربية والإسلامية إلى شعب مصر وبالعكس أكثر من ضرورة. ولن يجهض هذه الحاجة أن الرئيس السادات يحاول بجمعيته تحويل الأنظار عن هذه الحقيقة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 25 أكتوبر (ت) 1980

إنتخابات أميركا... والبيان العربي الذي لا يصدر

مرّت الأيام الصعبة التي تسبق عادة معركة إنتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة، من دون أن يعكر جوها موقف عربي يستوقف المتنافسين من كارتر إلى ريغان إلى أندرسون.

وبدل أن ينشغل هؤلاء بتقديم مواقف ترضي العرب فإنهم انصرفوا إلى صياغة المواقف التي تجعل إسرائيل لا تنزعج ولا تقلق.

وهم لم ينشغلوا لأن العرب لم يشغلهم، وانصرفوا إلى صياغة المواقف التي ترضي إسرائيل لأنه لم يبق مسؤول إسرائيلي إلا ونشط في سبيل الحصول من المرشحين الثلاثة على المزيد من التعهدات.

وفي حين أن المعركة ستتنتهي بفوز واحد من الثلاثة، وأي واحد من هؤلاء أعطى إسرائيل من التعهدات ما يساعدها على مواصلة التعتنت ثلاث سنوات أخرى، فإن العرب لن ينالهم في حال الفوز سوى الأذى لأنهم لم يعملوا من أجل الحصول من أحد

المرشحين الثلاثة، وبالذات من قطبي المعركة كارتر وريغان، على تعهدات مثل تلك التعهدات التي حظيت بها إسرائيل.

وقد يقال إن مطالب العرب بسيطة، وإنها معروفة وقد تحددت في مناسبات كثيرة ومن أجل ذلك فما هو جدوى تكرار الحديث حولها. وهذا كلام لا يبدو مقنعاً في شيء ولقد كان مناسباً تسجيل هذه المطالب والإعلان عنها بصيغة جديدة وطرحها على الرأي العام الأمريكي.

إن القادة العرب بإستثناء الرئيس أنور السادات لهم مطلب واحد من الولايات المتحدة وإن اختلف التعبير عنه وأسلوب المطالبة به. وهذا المطلب هو أن يسود السلام العادل في المنطقة العربية ويتم الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ومنها حقه في إقامة دولته.

ولو أن بياناً عربياً يحمل توافيق هؤلاء القادة صدر ونُشر في صفحات الصحف الأمريكية وبثته الإذاعات ومحطات التلفزيون الأمريكية، لكان شكلاً رداً مناسباً على المرشحين الثلاثة الذين ابتكروا عبارات وصيغ تعبير تُرضي إسرائيل ويهود أميركا من دون أن يخطر في بال أحد منهم ماذا يجب أن يقول من أجل أن يُرضي العرب.

لقد كنا نتمنى أن يجمّد القادة العرب خلافاتهم وتناقضاتهم لبضع دقائق يوقع كل منهم على بيان يحمل عنوان "هذه مطالبنا من رئيس أميركا". ولقد كنا نتمنى أن يبادر الأمين العام للجامعة العربية إلى تشكيل لجنة تضع صياغة هذا البيان ويطوف به على القادة العرب يضعون توافيقهم عليه ثم يذيعه ويتولى نشره داخل أميركا قبل خارجها.

كنا نتمنى ذلك لأن الناخب الأمريكي الذي سيتوجه إلى صناديق الاقتراع نسي في غمرة جنون المعركة أن هنالك قضية العرب التي لم يتطرق لها أحد من المرشحين ولم يُشر إليها في سياق التعهدات التي سجّلها على نفسه، وهي تعهدات بعضها يتعلق بالحياة الداخلية بالولايات المتحدة وبعضها الآخر يتعلق بأمن إسرائيل وسلامتها.

كنا نتمنى أن يصاغ ذلك البيان ويُنشر يومياً في كل صحف أميركا وعلى مدى الشهر الصعب الذي يسبق المعركة، ويذاع من محطات التلفزيون الأمريكية بعد كل خطاب يلقيه أحد المرشحين وتبثه هذه المحطات. كنا نتمنى ذلك ولو جرى النشر والبث بأسلوب

إعلاني.

كنا نتمنى أن يقرأ المواطن الأمريكي في صحيفته اليومية مطالب العرب التي نشير إليها. وهو لو قرأها لكان تنبّه إلى أن هنالك قضايا شائكة لا يتطرق إليها المرشحون للرئاسة. وكنا نتمنى أن تلي كل نشرة أخبار من محطات التلفزيون الأمريكية إذاعة للبيان العربي الذي يطالب بحقوق وبموقف أميركي عادل.

ولا نعتقد أن اللياقات وطقوس البروتوكول تحوّل دون مثل هذه الخطوة. فالبيان لا يمجّد القادة العرب ولا يتحدث عن إنجازات حققها كل منهم داخل بلده لكي يبدو مثل هذا الأسلوب لا يعني المواطن الأمريكي في شيء، وإنما يتحدث عن مطالب عادلة وعن حقوق تقر الولايات المتحدة بإستمرار اغتصابها.

وإلى ذلك إن نُشر مثل هذا البيان كان سيجعل المرشح للرئاسة يرتبك ويضطر لأن يقول كلاماً حوله. ولكن ذلك لم يحدث وتركنا المرشحين للرئاسة في أميركا يسترسلون في تقديم التعهدات لإسرائيل إلى درجة أن اليهود سيحتارون لمن يقترعون من بين المرشحين الثلاثة. فكل منهم تعهّد وبالف في التعهدات. وكل منهم أعلن أن قضيته الأساسية هي إسرائيل. وكل منهم ركع في الكنيسة وارتدى القنسوة... وهكذا. ولكنهم في النتيجة سيجدون أنفسهم يقترعون إما لكارتر أو لريغان، على أساس أن لكارتر عليهم فضل شق الصف العربي بسبب تلك الصفقة التي تمت في "كامب ديفيد" وانتزع بموجبها مصر من العرب، وعلى أساس أن ريغان بالنزعة التشددية التي عنده قد يتساهل مع الإسرائيليين في موضوع توحيد القدس وجعلها عاصمة موحدة لإسرائيل.

وقد يقال إنه بدل كل هذا التضییع للوقت، ليكن الإستعداد لإنتزاع الحق بالقوة هو الأسلوب الذي لم يُجد أسلوب غيره، ولتكن ممارسة الضغط الفعال على الولايات المتحدة هي الأمر المطلوب بدل بيانات الاسترحام هذه، وليكن توجيه إنذار للمرشحين لرئاسة أميركا بأن مصالح أميركا ستُضرب ورموزها حيث وُجدت في المنطقة العربية ستكون في خطر ما لم يتعهدوا بتنفيذ مطالب العرب وما لم يُقروا بحقوق الشعب الفلسطيني.

قد يقال ذلك وأكثر، لكن تجربة إيران مع أميركا ماثلة أمامنا منذ اللحظة التي احتجّزت فيها الثورة الإيرانية الدبلوماسيين العاملين في السفارة الأمريكية في طهران إلى اللحظة التي يتزايد الحديث حول "كامب

ولولا أن هذه الوساطة لم تتجج، ولم يُكتب قبل ذلك لفكرة التوسط العربي أن ترى النور، لما كان للوساطة التي تصاغ أسسها الآن في إطار دول عدم الإنحياز أن تُطرح قيد التداول.

وعلى رغم المخاطر التي يمكن أن تحيط بتلك الوساطة من جانب الدول الكبرى فإنها يجب أن تستمر ويجب أن تثمر. فليس هنالك وساطة أفضل وأكرم منها ولن تكون هنالك حلول أفضل وأكرم من الحلول التي يمكن أن تضعها اللجنة التي تصوغ أسس الوساطة.

ويشكّل نجاح الوساطة تحدياً كبيراً للدول الكبرى التي لا تريد لدول عدم الإنحياز أن تنتعش ويصبح لها حضور سياسي كبير ومؤثر. وعلى رغم أن الدول الكبرى يمكن أن تُظهر بعض الإبتهاج الإعلامي إزاء وساطة عدم الإنحياز إلا أنها ضمناً لا تريد لها أن تتجج. ولكن من المهم جداً أن تتجج. وأهمية نجاحها أن الحل يمكن أن يصبح مثالياً لمواجهة مشاكل الآخرين وهي مشاكل متوافرة بكثرة بين دول عدم الإنحياز.

وإلى ذلك، إن نجاح وساطة دول عدم الإنحياز يعطي أرجحية للحل العادل الذي يعطي كل ذي حق حقه، وليس حقه وحق غيره، ويتيح المجال أمام إستتباط مخارج لأطراف تعاملت مع الحرب بغير تبصّر وتهيئ أرضية لأسلوب التعايش في ما بعد. كذلك فإن نجاح الوساطة سيكون سبباً لتطوير إلزامية القرار الذي يصدر عن دول عدم الإنحياز.

والقول بأن هذه الوساطة يجب أن تتجج يستند إلى بدهية وهي أن البديل لفشل الوساطة معناه إستمرار الحرب ما دامت الوساطة العربية مرفوضة والوساطة الإسلامية غير ذات جدوى.

وإذا جاز تصوّر سيناريو للتطورات المحتمل حدوثها في الأيام المقبلة فإنه من الممكن رسم خطوط هذا السيناريو على النحو الآتي:

أولاً: يحدث المزيد من الإتصالات التي لا يعلن عنها مع كل من العراق وإيران. وتعزز الجرائر دورها وجهدها بعد أن تكون ساعدت إيران في موضوع الإفراج عن الرهائن الأميركيين. وإنهاء هذا الموضوع يشكّل في حد ذاته مناخاً جديداً يسهل فيه على السلطة الإيرانية التفكير بهدوء.

ثانياً: في ضوء هذه الإتصالات التي ستحتاج في بعض مراحلها إلى جهد إستثنائي يبذله الرؤساء مع الطرفين العراقي والإيراني ترتأي اللجنة التي تُبقي على بلغراد مقراً دائماً لها إدخال وزير الخارجية العراقية

ديفيد" أميركي - إيراني للبحث في مسألة الإفراج عن الرهائن والبدء بصيغة تعامل بين الطرفين مع الأخذ في الاعتبار أن الطرف الإيراني هو الذي أعاد النظر ولم يتغير شيء في أسلوب أميركا، ومع الأخذ في الاعتبار أيضاً أن "الكامب الأميركي - الإيراني" يحدث في وقت نفوذ فيه المرشحان القويان في إنتخابات أميركا وهما كارتر وريغان يديهما من مسألة الإعتراف المحتمل بمنظمة التحرير الفلسطينية ومن مسألة القدس التي باتا ميالين لتسليمها لإسرائيل.

ويبقى أننا عندما نطالب بذلك البيان فلكي يعاد النظر في التقليد المتبع منذ سنوات وهو أن العرب يجمّدون قراراتهم ويوقفون خطواتهم في الأشهر الثلاثة التي تسبق معركة الرئاسة في أميركا في حين أن إسرائيل تعمل في هذه الأشهر ما لا يعمل من أجل أن يكون الرئيس هو الشخص الذي يلبي لها مصالحها. ولم نسمع مرة أن إسرائيل أرجأت إتخاذ قرار ما في انتظار انتهاء معركة الرئاسة.

وما دمنا نعرف أن الرئيس الذي لا يحظى بتأييد إسرائيل له لن يفوز فمعنى ذلك أن هذا الرئيس هو سلفاً ضدنا. وما دام ضدنا فلنعبّر سلفاً عن أننا نحن ضده أو نمارس الضغط عليه من أجل أن يقف في منتصف الطريق، أو على الأقل ننشر ذلك البيان كي نبداً أمام الرأي العام الأميركي الذي سيقترح لهذا المرشح أو ذاك أننا أصحاب حق معتصّب.

وما دمنا لم نجرب ذلك من قبل فإنه من الخطأ الافتراض بأن مثل هذه الخطوة لن تقود إلى نتيجة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 1 نوفمبر (ت) 1980

* * *

الحل المثالي للخميني وصدّام

ليس أمراً يدعو إلى الأسف الشديد كون الوساطة الإسلامية لم تتجج في وقف الحرب العراقية - الإيرانية. وهي لم تتجج لأن مضمون توجّوها يحوي الكثير إزاء الإتحاد السوفياتي. وإلا فما معنى أن تبتهج لها بعض الأطراف الأوروبية والولايات المتحدة ويحدث تركيز إعلامي على مساعها.

كذلك ليس أمراً يدعو إلى الأسف الشديد كون الوساطة الإسلامية لم تتجج لأنها تحركت بتوجه يقوم على أن الحرب دائرة بين مسلمين.

وزير الخارجية الإيرانية في عضويتها.

ثالثاً: في هذه الأثناء تحدث بعض التمنيات على الرئيس صدام حسين بأن لا تواصل القوات العراقية التوغل وبأن يحدث من الجانب الإيراني وقف للغارات الجوية.

وقد يجوز الافتراض في هذا الشأن أن عدم حسم وضع مدينة عبادان من جانب العراق على رغم القدرة العسكرية على ذلك سببه تبصر من جانب الرئيس صدام حسين بالبعد الذي سينشأ عن سقوط هذه المدينة. إن سقوطها معناه أنه لن يكون هناك حل على الإطلاق، فضلاً عن أن سيطرة العراق على عبادان تجعل أمر الإجلاء عنها لأسباب معنوية صعباً على الجيش العراقي وعلى القيادة السياسية في العراق أيضاً.

كذلك قد يجوز الافتراض أن إكثار الرئيس صدام من الحديث في الأيام العشرة الماضية حول أن القوات العراقية أنجزت أهدافها الأساسية، وقول الفريق أول عدنان خيرالله نائب القائد العام للقوات المسلحة "إن المنجز في حجم الأهداف والمساحة المسيطر عليها وأهميتها لم يرد له مثل في تاريخ الحروب الحديثة من حيث الوقت والمساحة وطبيعتها الطبوغرافية والعسكرية"... إنه قد يجوز الافتراض أن ذلك تهيئة لا بد منها لحل سياسي لا مفر منه.

رابعاً: بعد ذلك تتعقد قمة السبعة غير المنحازين في بلغراد (رؤساء يوغسلافيا وباكستان والهند والجزائر وكوبا وزامبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية) وتتخذ توصيات بشأن وقف الحرب وتدعو الرئيس صدام حسين والرئيس بني صدر إلى الانضمام إلى هذه القمة.

ولكي يحقق اللقاء الحد الممكن والمعقول من النجاح يُفترض أن لا يأتي الرئيس صدام وي طرح على الطاولة حجم إنتصاراته وهو كبير ولا أن يطرح الرئيس بني صدر حجم الإنكسارات وهو أيضاً كبير. إن معنى مثل هذا الطرح أنه لن يكون هنالك حل.

ومن أجل ذلك فقد ترتأي قمة السبعة أن تطلب من الرئيسين الموافقة على تفويضها بوضع الحل والتعهد بقبول الصيغة.

ولأن الاتصالات التي ستكون جرت قبل ذلك، ومعظمها في السر، هي التي ستشكل أسس الصيغة المعقولة، فإن الأمر عندئذ سيبدو سهلاً بعض الشيء. ويبقى أنه قد يقال: هل بهذه البساطة ستنتهي الأمور.

والجواب عن ذلك أنه مثلما أن هنالك حرباً تُستعمل

فيها كل الطاقات، هنالك أيضاً ضرورة للتعايش.

والتعايش في ظل أغصان زيتون مجموعة عدم الإنحياز أفضل بكثير من الإحتراب إلى درجة الوصول إلى العيش في مرمى الأساطيل وحاملات الطائرات. والرئيس صدام حسين أدري بفضاعة الأمر من غيره.

يبقى أيضاً أن قائد الثورة الفلسطينية ياسر عرفات سيكون الأكثر إبتهاجاً إذا كُتب لهذا السيناريو أن يسير وفق خطه البياني الصحيح، وأمكن إيجاد الحل في إطار دول عدم الإنحياز.

أما لماذا الأكثر إبتهاجاً، فلأنه سعى كثيراً كثيراً... وأبو عمار ليس فقط ثورة حتى النصر، وإنما أيضاً سعي حتى إستتباط الحل.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 نوفمبر (ت) 1980

السادات بعد سقوط كارتر...

واحتمال سقوط بيغن

قد يجوز القول إن العرب ساهموا في إسقاط الرئيس جيمي كارتر. فهم عندما قاطعوه احتجاجاً على سياسته إزاء الشرق الأوسط أضعفوه وأضافوا بذلك سبباً موجباً إلى جملة الأسباب التي يأخذها الناخب الأميركي في الاعتبار عندما يضع ورقته في صندوق الاقتراع.

كذلك، وفي السياق نفسه، قد يجوز القول إن العرب ساهموا في إنجاح رونالد ريغان، لأنهم لولا مقاطعتهم واستنكاراتهم على مدى سنتين لسياسة الرئيس كارتر لما كان الرئيس الأميركي ضَعُف إلى الدرجة التي أوجبت على الناخب الأميركي إختيار خصمه رئيساً للولايات المتحدة.

ولو أن مؤسسات إستطلاع الرأي العام الأميركية من نوع مؤسسة "غالوب" قامت بإستطلاع داخل العالم العربي تستهدف من خلاله إستكشاف موقف المواطن العربي من الإنتخابات الأميركية لوجدت أن الأكثرية الساحقة لا تحب إعادة إنتخاب الرئيس كارتر. وكل ذلك بسبب صفة "كامب ديفيد" التي يرى المواطن العربي أنه بسببها ابتعدت مصر عن العالم العربي وبسببها حدثت التفجرات في مناطق عربية كثيرة. كذلك فإن مؤسسات الإستطلاع كانت ستكتشف أن موقف المواطن المصري مختلف تماماً عن موقف نظام الرئيس

السادات، وأن هذا المواطن يدرك تمام الإدراك أن ما جرى لمصر كان بسبب الرئيس كارتر وأنه من أجل ذلك يتمنى له السقوط. وهو عندما يتمنى سقوط الرئيس كارتر فمعنى ذلك أنه يأمل في أن يؤدي سقوطه إلى سقوط صفقة "كامب ديفيد".

ولا ندري إذا كان الرئيس المنتخب للولايات المتحدة سيأخذ في الاعتبار المشاعر العربية التي كانت واحداً من الأسباب التي أضعفت خصمه الرئيس كارتر وحققت له بالتالي الفوز في رئاسة أميركا. ولكن من حقنا الاعتقاد بأنه سيأخذ بها على أساس أن الفوز الذي حققه الجمهوريون من النوع الإستثنائي الذي لا يطمح فقط إلى حُكم يوم أربع سنوات وإنما إلى حُكم يتجدد. ومثل هذا الطموح لن يكون في منأى عن الإهتزاز إذا كان موقف العرب من الولايات المتحدة سيبقى على الحال التي هي عليها منذ أن وُلدت صفقة "كامب ديفيد".

ومن هذه الزاوية يمكن النظر إلى قول الرئيس المنتخب رونالد ريغان في الحديث الصحافي الأول له بعد إنتخابه والذي نشرته مجلة "تايم" يوم 6 تشرين الثاني (نوفمبر) 1980 بشيء من الإيجابية. فهو في ما يتعلق بالشرق الأوسط قال إنه يرغب في لقاء الملك حسين قريباً لمناقشة مشكلة الشرق الأوسط.

أما لماذا يمكن النظر إلى هذا القول بشيء من الإيجابية، فلأسباب الآتية:

- لأنه يعني إبتعاداً أو شبه إبتعاد عن صفقة "كامب ديفيد". ولو أنه قال في حديثه الصحافي الأول بعد إنتخابه أنه يرغب في لقاء الرئيس السادات لكان الأمر واضحاً وهو أن الخلف مثل السلف في هذا الأمر.

- لأنه يبدو دعوة مبكرة لمحاورة العرب الذين لا يعادون أميركا وإنما يعادون مخطط "كامب ديفيد".

- لأن الملك حسين يجمع في شخصه مواصفات تُميزه عن كثيرين آخرين تصدوا لـ "كامب ديفيد". فهو على خط المواجهة وهو في الخط المعتدل وهو في حوار لا ينقطع مع الإتحاد السوفياتي وهو في علاقة مستجدة لكنها تواصل النمو مع المقاومة الفلسطينية وهو في تحالف مستجد مع العراق في حربه ضد إيران وهي حرب أساء الرئيس كارتر في النظرة وفي أسلوب التعامل معها وإفترض من خلال الأسلوب الذي إعتمده وعبر عنه ببعض التصريحات أنه يمكن أن يحقق فوزاً في الإنتخابات.

وإلى ذلك إن الملك حسين رجل الحوار الجيد ورجل

المنطق القومي السليم والرجل الذي يبني الجسور ويعرف كيف يقبها مخاطر الإنهيار.

وإذا أضفنا إلى هذه الأسباب السبب الأساسي وهو الضرورة العربية الملحة لمحاورة عهد جديد بدأ في الولايات المتحدة جازت لنا المطالبة بأن يقف العرب وراء بالقوة التي تتيح له أن يحاور العهد الأمريكي الجديد بصفة المتحدث بإسم مجموعة وبإسم موقف وليس بإسمه الشخصي وإسم مملكته.

وفي هذا الإطار يجوز القول إن ثلاث سنوات من الإختبار أوضحت الكثير بالنسبة إلى الملك حسين. فهو بدل أن يلبي الدعوات الملحة والصلفة من جانب إدارة الرئيس كارتر ومن جانب الرئيس السادات للإلتزام إلى صفقة "كامب ديفيد" إتخذ الموقف المتصدي وجعل قنوات الحوار مع المقاومة الفلسطينية تنشط وفي الشكل العاقل. وهو بدل أن يتساهل ببعض الشيء في موضوع صفقة "كامب ديفيد" تصلب وترك الصفقة تتآكل.

وقد يقال ما جدوى هذا الحوار ما دام العهد الأمريكي الجديد ملتزماً بوعود قطعها على نفسه إزاء إسرائيل ومنها الوقوف إلى جانبها في موضوع توحيد القدس وجعلها عاصمة دائمة لها.

ومثل هذا القول يبدو صحيحاً إذا كنا لا نميز بين رونالد ريغان المرشح ورونالد ريغان الذي فاز، وإذا كنا لا نميز بين رونالد ريغان الذي خاض المعركة ورونالد ريغان الذي حقق إنتصاراً ساحقاً. وهذا الإنتصار الساحق يقلل بعض الشيء من تأثير إسرائيل عليه. ولو أن ريغان كان يعرف أن هنالك قطاعات عريضة من الديموقراطيين وغير اليهود ستصوت له لما كان بالغ في قطع العهود على نفسه تجاه إسرائيل. ولكن أصوات اليهود التي نالها ريغان ليست هي العقدة التي ستلازم إتخاذ قراراته.

وإلى ذلك إن ريغان يدرك ولا بد كيف أن الحوار الأمريكي - العربي إقتصر منذ صفقة "كامب ديفيد" على حوار طرحاه الرئيسان كارتر والسادات. ويدرك ولا بد أن هذا الحوار لم يثمر. ويدرك ولا بد وهذا هو المهم أن الأطراف العربية الأخرى إزاء ذلك لم تقرر الإبتعاد عن الولايات المتحدة ولكنها جمّدت الحوار إلى أن يأتي المحاور الأمريكي العاقل والبعيد النظر.

في ضوء كل ذلك تأتي الجملة التي وردت في الحديث الصحافي الأول لرئيس أميركا المنتخب رونالد ريغان من نوع الجملة التي يوضع تحتها خط، بل بضعة خطوط. وفي ضوء كل ذلك هنالك ضرورة للرد العربي

عليها بالشكل الذي يفيد. فهناك اقتناع من جانب العهد الأميركي الجديد بضرورة الحوار مع العرب، وبالذات الذين تصدوا لـ "كامب ديفيد". وفي الوقت نفسه هناك ضرورة عربية لمباشرة الحوار مع الولايات المتحدة بعد أن أقفل الرئيس كارتر كل أبواب الحوار واكتفى بترك الباب الأميركي - المصري مفتوحاً.

وإذا جاز القول إن الأسلوب الذي إعتمده الرئيس كارتر إنتهى إلى وجود حاجز نفسي كبير بين أميركا والعرب وفي إستطاعة الملك حسين أن يفعل الكثير في إزالة هذا الحاجز. وعندما إختاره ريغان دون غيره لبدء الحوار فإنه كان يعكس رغبة الولايات المتحدة في أن يبدأ هذا الحوار، فضلاً عن أن إختيار الملك حسين للمواصفات التي سبق الإشارة إليها، دون غيره، إنما هي لتسهيل الأمر على العرب.

وتكراراً إن الدعوة المبكرة من جانب الرئيس الأميركي المنتخب للتحاور مع الملك حسين تبدو نوعاً من الإعتراف من جانبه بالجميل العربي حيث أن وقوف العرب ضد كارتر كان من جملة أسباب إسقاطه، وتبدو أيضاً مثل كرة ألقيت على المرمى العربي وهناك ضرورة للرد.

أما كيف يكون الرد؟

إن هناك قمة عربية تقرر إنعقادها في عمان وبتزايد حديث التأجيل في شأنها.

وبعد هذه القمة يدشن الملك حسين الحوار العربي - الأميركي. وهو إذا ذهب من قبل العرب قوياً فإنه سيعود إلى العرب أقوى.

ومثل هذا الحوار قد يفيد في إسقاط مناحيم بيغن في الإنتخابات الإسرائيلية في شباط (فبراير) 1980.

وعندها لا يبقى من "كامب ديفيد" سوى الرئيس أنور السادات. ولا ندري كيف سيمكنه البقاء بعد سقوط كارتر وإحتمال سقوط بيغن.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 نوفمبر (ت) 1980

نميري الذي تصوّف بعدما بدأ يتعالج

على مدى السنوات الخمس الماضية سمعتُ كلاماً كثيراً حول اهتمامات وتوجهات الرئيس جعفر نميري الإسلامية. سمعتُ أنه كان عندما يسافر يفرش سجادة الصلاة داخل الطائرة ليصلي. وسمعتُ أنه بعدما ينهي

الصلاة يُمضي ساعتين يقرأ في المصحف الشريف. وسمعتُ أنه أعاد قراءة الإسلام بتأن بدءاً من الدعوة وإنتهاءً بالظروف التي عاشها المسلمون في أعقاب وفاة الرسول (). وسمعتُ أن الركن الإسلامي في مكتبته الخاصة في منزله يضم عشرات الكتب القديمة والحديثة وباللغتين العربية والإنكليزية. وسمعتُ أن أمتع اللحظات عنده هي التي يقضيها مساءً في حديقة منزله مع هذه الكتب. وسمعتُ أنه في بعض الأحيان يبقى مع بعض هذه الكتب حتى ساعات الصباح الأولى. وسمعتُ أنه عندما يقرأ يضع هوامش على بعض صفحات هذه الكتب ثم يدون في دفتر بعض الملاحظات.

وقد إحترتُ، في أمر هذه الإهتمامات والتوجهات، مع كثيرين من السودانيين إحتاروا وأكثروا من التفسيرات والإجتهادات. وفي بعض المرات تصورتُ أن هذه النزعة التدينية من جانب الرئيس نميري مردها الظروف التي عاشها في هذه السنوات وبالذات تلك الظروف التي سال فيها دم سوداني كثير وتعطلت فيها موجات الحوار ليحل محلها الإحتراب في شكل أو آخر.

وعندما غادر الرئيس نميري السودان فجأة إلى الولايات المتحدة في مطلع الصيف الماضي (1980) ودخل المستشفى هناك إفترضتُ مع كثيرين من الأصدقاء السودانيين لم يتسن لهم الوقوف على ظروف السفر المفاجئ أن التوجهات الدينية للرئيس نميري قد يكون سببها المرض خصوصاً أن الإنسان في لحظات الفجبة أو المرض الشديد الوطأة يتجه إلى ربه.

وفي الأسبوع الماضي (مطلع نوفمبر 1980) عرفتُ أن هذا المنحى الصوفي للرئيس نميري وتلك التوجهات الدينية سببها أنه منذ أن بدأت التوجهات تظهر في بعض ممارساته وفي حياته اليومية كان في صدد وضع كتاب. وقد استغرقت فترة تحضير الكتاب وتدوينه حوالي خمس سنوات، وهو بعنوان "النهج الإسلامي لماذا؟".

وهو ليس من نوع "البحث عن الذات" الذي وضعه الرئيس أنور السادات، كذلك هو ليس من نوع "الكتاب الأخضر" الذي وضعه العقيد معمر القذافي، وإنما هو معالجة لموضوع محدد في ضوء تجربة أحد عشر عاماً من الحكم حفلت بالإنجازات والأهوال، وفي ضوء عبارة سمعها من الجنرال الأميركي الذي كان يلقي محاضرة أيام دراسة نميري في كلية أركان الحرب والقيادة في الولايات المتحدة. والعبارة هي "إن عدونا في العالم هو الشيوعية والدين الجديد". ويتذكر الرئيس نميري أنه عندما سأل الجنرال ما الذي يقصده بـ "الدين الجديد"

أجاب: دين محمد أحدث الأديان.

وفي خمسمائة صفحة من الحجم المتوسط يعالج الرئيس نميري مسألة النهج الإسلامي مشيراً في بعض الصفحات إلى أن المصالحة الوطنية التي حدثت جاءت في إطار هذا النهج.

ولكن ذلك لا يعني أن ما حفلت به سنوات الحكم لم تنعكس على الرئيس نميري فُتحرك فيه بعض الشجون التنيدية والتصوفية. ولا يعني أيضاً أن الظروف الصحية لا تستوجب منه ذلك، علماً بأنها ظروف طبيعية بالنسبة إلى رجل لم يسبقه الذين حكموا من قبله في مسألة التوجه إلى الناس حيث أنه على مدى عشر سنين زار كل هذه شبه القارة التي هي السودان سيراً على الأقدام وعلى ظهور الجمال والخيول وداخل قطارات من النوع الذي لا يريح وفي طائرات حربية وسيارات جيب، فضلاً عن أنه بصفة كونه ضابطاً أمضى السنوات العشرين التي سبقت تسلمه الحكم في جولات ومهام أشد مشقة.

والأقصى من طلب الأطباء أن يقلل الرئيس نميري من الجهد الشاق وأن يرتاح يومين في الأسبوع (يوم الإثنين إضافة إلى يوم الإجازة الرسمي الذي هو يوم الجمعة) أن بعض أهل الحكم تصرفوا في هذه الفترة كما لا يجوز لهم التصرف، وبنوا التصرفات على الإجتهدات والتخمينات والطموحات التي تتسم بالجموح، والتقى هؤلاء من دون أن يريدوا ومن دون أن يدروا مع العناصر التي تدعو وهي في الخارج إلى التغيير في الداخل.

وقد يقال إن عدم توضيح طبيعة الظروف الصحية التي اجتازها الرئيس نميري هي التي جعلت هؤلاء يرسمون على الورق وداخل بعض المكاتب الرسمية صورة الإرث إذا جاز التعبير. ولكن ماذا سيوضح لهم الرئيس نميري. وهل أنه في غياب التوضيح تكون مهمة هؤلاء إستنباط أفكار وصياغات للمستقبل أم الإلتفاف حول قيادة لم تتوقع وهي تزرع هؤلاء في مواقع مسؤولة وحساسة أن يكونوا من ذوي النزعة التي تميل إلى الإنقضاض في لحظة الحاجة القصوى إلى الإلتزام.

والى ذلك لماذا التوضيح ما دامت الظروف الصحية نتيجة إرهاق فاق التحمل ونتيجة هموم تجاوزت الحد المعقول. ولماذا التوضيح ما دامت تلك الظروف عابرة. ومن المفارقات التي تستوقف المرء أن الظروف الصحية التي يعيشها معظم الذين رسموا على الورق صورة الإرث أكثر دقة من الظروف الصحية التي

اجتازها الرئيس نميري. كذلك من المفارقات التي تستوقف المرء أن ما رسمه هؤلاء يتجاوز بكثير ما يتطلع إليه الطرف الآخر في المصالحة الوطنية أي السيد الصادق المهدي. فالسيد الصادق يطالب بالإستقرار وبالإستمرار وبمشاركة أكثر اتساعاً في التنظيم السياسي عبر إنتخابات جديدة من القاعدة إلى القمة، في حين أن أولئك طرحوا قيد التداول فكرة قيام مجلس شورى رئاسي من حكام الأقاليم المنتخبين أو "تختفي مؤسسة الرئاسة المنقذة وتُستبدل برئاسة دورية من حكام الأقاليم المنتخبين".

ومثل هذه الفكرة تبدو من النوع القابل للبحث ولا غبار عليها لو أنها طُرحت في ظل ظروف غير تلك الظروف التي طُرحت فيها. فهي طُرحت فجأة وقيلت خارج إطار التنظيم السياسي وهي جاءت ضمن تخطيط ولم تأت عفوية. وهي جاءت أيضاً تتجاوز ما كان نُشر قبل شهر من طرحها حول ضرورة حدوث "ثورة داخل الثورة". وهي لا تخلو في بعض حيثياتها من بعض التأثير بيت الشعر الذي يقول "أعلمه الرماية كل يوم فلما إشتد ساعده رماني"، هذا مع الأخذ في الإعتبار أن الذين طرحوا الفكرة هم من بين الذين علمهم الرئيس نميري الرماية وبذل مشقة كبيرة في تعليمهم وفي إبقاء حقل الرماية الذي يتدربون فيه في منأى عن رماة أكثر قدرة على الإصابة. ومع الأخذ في الإعتبار أيضاً أن الساعد لم يشد إلى الدرجة التي تؤهل الذين تعلموا الرمي.

إن فكرة الحكم الإقليمي هي أحد أبرز الإنجازات التي حققها الرئيس نميري. ولن يقلل من أهمية هذا الإنجاز ذلك التوزيع الأوركستراي لفكرة البديل التي طرحها الحاكم المكلف للإقليم الشرقي، بحيث أن هذا التوزيع قضى بأن تصاغ الفكرة من بعض أهل الحكم في الخرطوم وفي غفلة عن الرئيس نميري، وبأن تعتمد قاعدة التباغت في طرحها من خلال الإذاعة التي نقلت خطاب طارحها على الهواء، وبأن يُستكمل ذلك بتسجيل خلاصة لها في صحيفة "الأيام" وردت في سياق النبأ ولم يرد في العنوان وهذا مخالف لأصول وضع العناوين بمعنى أن العنوان يُفترض أن يعكس أهم ما في النبأ.

كذلك فإن الأقصى من طلب الأطباء أن يقلل الرئيس نميري من الإجتماعات بعدما كانت معظم ساعات ليله ونهاره إجتماعات متواصلة، وأن يخلد إلى النوم المبكر بعد أن كان لا ينام أحياناً قبل طلوع الفجر، وأن يقلل من الإستقبالات بعد أن كان يُكثر منها، وأن يخفف من

تأثره بالتطورات بعد أن كانت هذه التطورات شاغله الأساسي... إن الأقسى من طلبات الأطباء هذه هو أن قطار المصالحة الوطنية كثير التوقف وفي محطات تخلو عادة من الحركة، علماً بأن محرك هذا القطار عندما أعطي إشارة الإنطلاق كان قد تم وضع معدل لسرعته غير معدل السرعة التي مشى بها بعد ذلك. وفي إستطاعة رجل المسعى الحميد فتح الرحمن البشير أن يؤكد ذلك. بل إن الرجل لا يقول غير ذلك.

ولو أن الوقت كان يسمح وكان لمصالحة هذا التراخي في الحسم لما كان هنالك ما يُقلق. لكن الذي يحدث أن قطار المصالحة يتحرك كما لو أن الأمر نزهة في أعماق السودان، في حين أن المطلوب الآن وأكثر من أي وقت مضى أن يسير القطار بسرعة روح المصالحة ويصل إلى المحطة الأخيرة المحددة له مخافة أن يتكاثر الذين يحولون الخطوط فجأة ومن داخل السودان أو خارج حدوده.

وعندما يسمع المرء تحليل السيد الصادق المهدي وخلصته إنه مع الإستمرار والإستقرار، أي مع إستمرار الرئيس نميري وإستقرار النظام، ولكنه في الوقت نفسه لا يشارك في تحمل مسؤولية فإن ذلك يشكل أحد الأسباب في أن قطار المصالحة كثير التوقف. وهو سياتوقف أكثر وأكثر إذا إستمر السيد الصادق لا يرى الحل إلا من خلال إعادة نظر جذرية في التنظيم السياسي (أي الإتحاد الإشتراكي السوداني) تأتي في أعقاب إنتخابات جديدة تجري تحت إشراف لجنة تضم عدداً من الضباط وبعض القضاة وبعض أساتذة الجامعات، أو من خلال مؤتمر مصالحة وطنية يضم القوى السياسية والفئوية والجيش لبحث المستقبل.

ولكن الصادق لم يعد على التصلب الذي كان عليه من قبل. وهو بعدما إجتمع يوم الخميس 3 تشرين الأول/أكتوبر 1980 لمدة ساعتين بالرئيس نميري بدا الصادق أكثر اقتراباً من الواقع خصوصاً أنه يعتقد بأن الصراع الدولي يقترب من حدود السودان وليس معقولاً ولا مقبولاً أن يقترب هذا الصراع بينما أهل المصالحة في السودان ما زالوا يناقشون الجزئيات ويعترضون على التسميات. إنهم إذا استمروا على هذه الحالة فمعنى ذلك أنه قد يصيبهم ما أصاب أهل الثورة الإسلامية في إيران.

وفي ذلك الإجتماع لمس الصادق إصرار الرئيس نميري على مسألة المشاركة من خلال التنظيم السياسي. وفي ذلك الإجتماع جرى نوع من التأمل في الواقع

السوداني وفي الواقع العربي والإسلامي، ولم يجر نقاش. وعندما تكون الجلسة جلسة تأمل فمعنى ذلك أن طرفيها (أو أطرافها) متفاهمان ومتفقان في الرأي أو على الأقل إن التوجه واحد وإن اختلفت بعض الشيء نتائج التحليل.

ومع أنه كان من الأجدي للسودان لو أن الملف الذي بلغ الرئيس نميري حوى أوراقاً عن مهمة قام بها الأول كمساعد للرئيس للشؤون العربية والإسلامية أو كممثل شخصي له، بدل أن يحوي نُسَخاً من محاضرات حول الإسلام ألقاها الصادق في طشقند وبلغراد، ولكن تقديم هذا الملف بما حواه بدا كما لو أن صاحب الملف أراد أن يقول للرئيس نميري ما معناه إنه كان في جولة فكرية. وعندما يقتصر النشاط الذي يمارسه، في الخارج، الصادق المهدي غير المشارك بفعالية في موضوع المصالحة الوطنية فهذا له دلالات.

كان لا بد من الإشارة إلى الأمرين اللذين لمسئ مدى قساوتهما على الرئيس نميري قبل أن أنقل بعض ما يدور في خاطره. وأنا هنا أحاول أن أعكس ما يفكر به الرئيس نميري بمعنى أن الأمر ليس حديثاً صحافياً تقليدياً وإنما هو تسجيل ملاحظات وخواطر وبعض الآراء عن اللقاء الأول به في أعقاب الظروف الصحية التي فاجأته واضطرته إلى دخول المستشفى في الولايات المتحدة.

إن الرئيس نميري يرى أن الغرب والشرق يلتقيان حول أن الإسلام حضارة يجب أن تتوقف، وهما عندما إتخذا في بداية الحرب بين العراق وإيران موقف الحياد فعلى أمل أن يخفف الصراع الدموي بين الإسلام العربي والإسلام الأعجمي من عظمة حضارة هذا الدين. وهو حزين لأن الطرفين لم يتبها إلى ذلك، وشديد الحزن لأن المسعى الإسلامي الحميد لم يُكتب له أن يحقق نتائج على الفور.

ويرى الرئيس نميري أن الثورة الإيرانية كان أفضل لها وللعالمين العربي والإسلامي أن تظل مجرد صخرة إسلامية داخل حدود إيران تصحح الظلم الذي حدث في الإمبراطورية من جوانبه المختلفة، وهو يستغرب هذا الإصرار المتزايد من جانب بعض آيات الله على تصدير الثورة وعلى الإستهانة بالجيران والأصدقاء.

ويتوقف الرئيس نميري طويلاً عند ظاهرة رفض السلطة الثورية في إيران للمسعى الحميد الذي أبدت إستعدادها للقيام به أطراف إسلامية وعربية ومن دول عدم الإنحياز. وفي الوقت نفسه يتوقف عند الإتهامات التي ساقها العراق ضد إيران وبالتحديد إتهام سلطة

إنهيار ستلسع ناره القريين والبعيدين والأبعدين لا يوجب عقد قمة. فما الذي يوجب عقد القمة؟ إذا كان سقوط الرئيس كارتر وبوادر سقوط صيغة حل أزمة الشرق الأوسط في إطار صفقة كامب دايفيد لا توجب عقد قمة للاتفاق على سبل مواجهة التطورات التي ستحدث مع تولي الرئيس رونالد ريغان، فما هو الذي يوجب عقد القمة؟

وهذه في أي حال ليست الأسباب الموجبة الوحيدة لعقد القمة. ولو أننا كنا في معرض تحديد الأسباب لوجدنا أن هناك مئة سبب وأكثر توجب الإنعقاد. أليس التشاور بين الملوك والرؤساء وهو أقل الأسباب الموجبة، سبباً وجيهاً لإنعقاد القمة؟

لقد تزايدت الأحداث في الأيام القليلة الماضية حول ضرورة تأجيل إنعقاد القمة. وجاء حديث التأجيل يركز على أن هنالك خلافات كثيرة وأنه في ظل هذه الخلافات لا تحقق القمة الغرض من إنعقادها.

ولو أن أمر وجود الخلافات العربية كان ظاهرة مستجدة لجاز الأخذ بصوابية هذا الكلام لكن الخلافات كانت دائماً موجودة وكانت القمم التي تتعقد بدءاً من قمة القاهرة عام 1964 وإنهاء بقمة تونس تحقق نتائج جيدة.

والى ذلك أن إنعقاد قمة عمان لمصلحة الذين يعارضون إنعقاد القمة ولمصلحة الذين يؤيدون إنعقادها. فلكل طرف ظروفه ولكل طرف إشكالاته العربية والدولية، ومن شأن القمة إيجاد حلول ومخارج للظروف والإشكالات.

وقد يجوز القول أنه من حُسن حظ الجميع أن هنالك قمة متفق سلفاً على إنعقادها ومحدد للإنعقاد الزمان والمكان. ولو أن قمة عمان ليست مقرر لما كان هنالك حل للظروف العربية السائدة سوى التشاور من أجل عقد قمة. ومن هنا فإن الترحيب بهذه القمة هو المطلوب وهو الضروري.

كذلك قد يجوز القول إن البواعث على المطالبة بتأجيل القمة تدخل في إطار إنتظار نتائج الحرب الدائرة بين العراق وإيران على أمل أن تحسم النتائج لمصلحة إيران، أو على الأقل تتوقف الحرب عند نقطة لا يبدو فيها العراق وقد حقق إنتصاراً نسبياً. وبمعنى آخر أن البواعث على المطالبة بالتأجيل قد تكون مستندة إلى توقع حدوث ثغرة دفرسوار في الجانب العراقي تعزز وجهة نظر العرب المعترضين على الحرب. وهذا الأمر معناه قبول بإستمرار الحرب مع أن

الإمام الخميني بأنها "مجوسية". وفي هذا الصدد يتساءل: بعد يوم أو يومين أو أكثر، ومهما طال أمد الحرب، سيكون هناك وفاق ما بين العراق وإيران. وما دام ذلك سيحدث فلماذا الإتهامات التي من هذا النوع. وإلى ذلك إنه كعسكري يرى أن الأيام الثلاثة الأولى للحرب تكفي العراق. فقد سجل فيها نقاطاً كثيرة لصالحه. فالمطلوب توجيه تحذير عملي وليس مواصلة الحرب إلى ما لا نهاية.

ويرى أن ما يحدث في أي بلد عربي يؤثر في شكل أو آخر في السودان. ويبدو أسفاً كل الأسف لما إنتهت إليه الحالة بين المملكة العربية السعودية والجمهورية الليبية. ويتابع الوضع المتفجر في تشاد، ويقول إنه يتوقع في هذا الشأن كل ما يبدو مستبعداً توقُّعه.

وعلى صعيد الداخل يبدو الرئيس نميري مرتاحاً لتجربة حكام الأقاليم ولكنه يلاحظ أن انحرافاً عن الأهداف حدث في بعض الأحيان، وأن الإنحرافات التي حدثت ستؤخذ في الإعتبار عندما سيتم الإنتقال بالحكام من مرحلة التكليف إلى مرحلة التثبيت. وإلى ذلك هنالك على ما يبدو إعادة نظر في بعض المواقع والوزارات من المحتمل أن تجري خلال الأشهر الثلاثة المقبلة.

ويبقى أن الظروف الصحية للرئيس نميري قضت بأن يقلل من الحركة الشاقة وليس من التحرك. فهو على سبيل المثال توقَّف عن ممارسة رياضته المحببة "السكواش"، لكنه يمارس يومياً لعبة التنس والسباحة ويلعب كرة القدم بين الحين والآخر. وهو توقَّف عن تخمين السيجار ولا يبدو أسفاً على ذلك. وسيزور في الأسبوع الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر الجاري أديس أبابا ليرد الزيارة إلى الصديق المستجد منغيستو.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 15 نوفمبر (ت) 1980

قمة عمان... والأسباب الموجبة

إذا كانت محاولة إسرائيل ضم الجولان إليها. لا توجب عقد قمة وقبل الضم وليس بعده. فما هو الذي يوجب القمة؟

وإذا كانت الحرب العراقية - الإيرانية التي لا تزال متواصلة لا توجب عقد قمة. فما هو الذي يوجب عقد قمة؟

وإذا كان خطر الإنهيار الكامل في لبنان. وهو

الخرطوم 1967 وقمة بغداد 1978. ففي هاتين القمتين تقاهم الذين كان مستحيلاً عدم تقاهمهم وانتقلت الأطراف التي بدا أنه من المستحيل أن تتفق. وفي الظروف الراهنة أن عدم المتقاهمين كثيرون وعدم المتفقون أكثر.

... ولكنه وضع لن يستمر بعد قمة عمان التي نتمنى أن تتعقد وتثمر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 22 نوفمبر (ت) 1980

* * *

كيف وعد السادات الأسد بالإستقالة؟

يوم 19 تشرين الثاني (نوفمبر) 1980، صادفت الذكرى الثالثة للزيارة التي قام بها إلى إسرائيل الرئيس أنور السادات.

حول هذه الذكرى هنالك واقعة وبضع ملاحظات. ونبدأ بالواقعة التي تكشف عن سر كبير جداً يعرفه أكثر من حاكم عربي، لكن أحداً لا يشير إليه من قريب أو من بعيد.

فبعدما فاجأ السادات الحكام العرب بأنه سيقوم بزيارة إلى إسرائيل عقد مجلس الجامعة العربية دورته التاسعة والستين في مبنى الجامعة في القاهرة بين 17 آذار (مارس) و4 نيسان (أبريل) 1978 بحضور 18 وزير خارجية. ولأنه كان من الصعب على هذا المجلس إتخاذ قرارات حاسمة بشأن الزيارة التي كان الرئيس السادات قام بها إلى إسرائيل، فقد تم الإتفاق على تشكيل لجنة يرأسها الرئيس السوداني جعفر نميري وتضم عدداً من وزراء الخارجية ويكون هدفها العمل من أجل عقد قمة عربية يشارك فيها الرئيس السادات وتكون مشاركته بمثابة عودة عن الخط الذي بدأ السير فيه.

وبعد هذا القرار إختار الرئيس نميري أعضاء اللجنة مراعيًا في ذلك أن يكون لدول المواجهة ممثل في هذه اللجنة (وقد إختار وزير خارجية الأردن) وأن تتمثل كل دول المساندة (وقد إختار وزراء خارجية المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الإمارات) كذلك إختار وزير خارجية اليمن الشمالية لأنها كانت في ذلك الحين بادرت في السعي إلى تحقيق التضامن العربي وعقد قمة لهذا الغرض.

وقبل أن يعلن الرئيس نميري أسماء أعضاء اللجنة دعا من أجل إشراك الجزائر ومنظمة التحرير الفلسطينية

المفروض هو السعي لمحاصرتها ووقفها. وفي إستطاعة قمة عمان أن تحاصر الحرب وتوقفها بل أن في إستطاعة هذه القمة أن تحقق تعايشاً عربياً - إيرانياً لم يتحقق قبل الحرب العراقية - الإيرانية وقد لا يحققه إستمرار العرب منقسمين حول هذه الحرب.

وعلى رغم أن كلاماً على غاية من الحدة رافق الحرب العراقية - الإيرانية، وإتهامات كثيرة جرى تبادلها، فإن هنالك حقيقة ثابتة تتجاوز كل ذلك. وهي أن وقف الحرب مسؤولية عربية في الدرجة الأولى. كذلك فإن تحقيق التعايش العربي - الإيراني هو أيضاً مسؤولية عربية وعندما تكون رغبة الطرف الأقوى في الحرب وهو الطرف العراقي هي وقف القتال والتعايش وهو لم يخف ذلك إطلاقاً فإن ذلك يساعد على ما هو مطلوب.

وقد يجوز القول إن بياناً عربياً مؤيداً من الجميع يطالب بوقف الحرب ويدعو إيران إلى تنفيذ إتفاقات الحدود بينها وبين العراق من شأنه أن يوقف لعبة التناقضات على الخلافات العربية التي تمارسها إيران. كذلك قد يجوز القول ان تعبيراً عن الرغبة في علاقات جيدة وراسخة مع الجارة الشقيقة إيران يتضمنه البيان العربي من شأنه أن يفيد.

وإذا كان مثل هذا الأمر لن يحقق الوفاق العراقي - الإيراني المطلوب فإنه على الأقل يوقف الحرب. وعندئذ يتكفل الملوك والرؤساء الذين ستضمهم القمة الإسلامية في مكة المكرمة بعد شهرين في وضع الأسس وإيجاد الصيغة المناسبة للتعايش.

ويبقى أمران:

الأول: ما دامت القمة العربية المقرر إنعقادها في عمان تأتي في إطار إجتماعات القمة الدورية فإن تأجيل إنعقادها يعني شبه إلغاء لمبدأ الدورية المتفق في شأنه. الثاني: لقد ضاق صدر المواطن العربي بما يحدث في وطنه. ضاق صدره بالخلافات والإتهامات وبالمؤمرات وأصبح على مضض يسمع الحجاج التي يسوقها الرئيس أنور السادات في تبرير إبتعاده عن العرب. ومن شأن القمة أن تجعل هذا المواطن يستعيد حالة الإطمئنان على المصير التي يفقدوها.

وتكراراً، إن المستغرب قياساً بالظروف الراهنة التي يعيشها الوطن العربي هو عدم إنعقاد القمة. أما عقدها فهو الأمر الطبيعي.

وإذا كُتِبَ للقمة أن تتعقد فإن ما يتمناه المواطن العربي هو أن تأتي بنتائج من نوعية النتائج التي أسفرت عنها أهم قمتين في تاريخ القمم العربية وهما قمة

وقال الرئيس الأسد إنه في كل مرة كان يبلغه حدوث أمر من الأمور الثلاثة المشار إليها كان يتصل بالرئيس السادات ليسأله عن صحة ذلك فيؤكد له الرئيس السادات بأن هذه المعلومات كاذبة، لكن - والكلام للرئيس الأسد - نفجاً بأن الرئيس السادات ينقذ ما قاله عند الإستفسار بأنها معلومات كاذبة.

وأشار الرئيس الأسد إلى أن الملك حسين إتصل به فجأة ذات يوم وطلب منه ضرورة الإتصال بالرئيس السادات لتبديد حالة فتور لمسها الملك. وبعدما إتصل به أبلغه الرئيس السادات أنه سيزوره في دمشق بعد يومين. وكان تلقى قبل ذلك تقريراً يفيد أن وزير خارجية مصر إسماعيل فهمي أبلغ وزير الخارجية السورية وبقية وزراء الخارجية العرب خلال إجتماعهم في تونس أن الرئيس السادات ليس جاداً في خصوص ما أعلنه في مجلس الشعب المصري (البرلمان) حول إستعداده للقيام بزيارة إلى إسرائيل وأن الأمر لا يعدو مبالغة لفضية كشف بها الرئيس السادات مقدار مدى التعنت الإسرائيلي الرفض للسلام العادل. لكن - والكلام للرئيس الأسد - تبين بعد وصول الرئيس السادات إلى دمشق أنه كان جاداً في إعلانه الإستعداد لزيارة إسرائيل وأنه سيقوم بالزيارة ويريد من سوريا تأييده. وعندما حاول الرئيس الأسد أن يثني الرئيس السادات قال له الأخير ما معناه إنه مصمم على القيام بهذه المبادرة وأنه يتعهد أمامه - أي أمام الرئيس الأسد - بأنه في حال فشل المبادرة سيستقيل من منصبه. وقال الرئيس السادات مخاطباً الرئيس الأسد: "إن حسني مبارك بديل ممتاز لي وتستطيع أن تتعاون معه بسهولة".

وأوضح الرئيس الأسد للرئيس نميري أنه في ضوء ما إنتهت إليه مبادرة الرئيس السادات يرى أن إعادة العلاقات بين دول الصمود والتصدي ومصر مرتبطة بسحب الرئيس السادات المبادرة، وأنه بموجب تعهده (أي الرئيس السادات) بالإستقالة في حال فشل المبادرة يرى أن يستقيل ما دامت المبادرة قد فشلت.

وقال الرئيس الأسد إن مضاعفات خطيرة نشأت عن الزيارة التي قام بها الرئيس السادات إلى القدس وأن هذه المضاعفات لن تزول إلاً بإستقالة الرئيس السادات. وبعدما عدّد الرئيس الأسد المضاعفات شدّد في نهاية تقييمه لمبادرة الرئيس السادات على أن يفى (أي الرئيس السادات) بما تعهّد به ويقدم إستقالته لأن

في اللجنة. وإزاء إعتذار الطرفين (وجاء الإعتذار منسجماً مع موقف دول جبهة الصمود والتصدي) أعلن عن اللجنة التي عقدت إجتماعها الأول في الخرطوم يومي 22 و23 نيسان (أبريل) 1978 بحضور الأمين العام للجامعة العربية (آنذاك) محمود رياض. وظهر في الإجتماع إتجاه يرى أن يقوم الرئيس نميري لوحده بجولة على الدول العربية يسعى فيها لتحقيق التضامن وعقد مؤتمر قمة يشارك فيه الرئيس السادات.

بدأ الرئيس نميري جولته التي كان يمكن أن تحقّق هدفها لولا أن الرئيس السادات رفض من البداية مبدأ وقف الإتصالات المصرية - الإسرائيلية.

ونحن هنا سنتجاوز مواقف بعض الدول العربية* التي أبدت لرئيس لجنة التضامن تأييدها لما فعله الرئيس السادات على أساس أن هذه الدول أعادت النظر بعد ذلك في موقفها، ونعرض بعض ما دار في اللقاء الطويل الذي تم بين الرئيسين السادات والأسد عندما جاء الرئيس المصري إلى دمشق ليطالب من الرئيس السوري تأييده لفكرة زيارة إسرائيل، خصوصاً وأن أجهزة الإعلام المصري تحدثت لمناسبة الذكرى الثالثة للزيارة عن "أن رجل الشارع في دمشق ردد بحماس: إذهبوا على بركة الله. لقد سئنا مزايدات التجار. السادات هو الرجل".

وإلى ذلك إن هذه الأجهزة لم تشر إلى حقيقة ما قاله الرئيس السادات للرئيس الأسد وإكتفى الزميل موسى صبري بتسجيل عبارة واحدة في صحيفة "الأخبار" وردت في كلام الرئيس السادات وهي: "هذه مسؤوليتي أمام شعبي وأمام الأمة العربية. ولو فشلت فعندي الشجاعة أن أصارح الجماهير".

وما قاله الرئيس السادات رواه الرئيس الأسد للرئيس نميري عندما إنقضى به يوم 5 أيار (مايو) 1978 بعد قليل من وصوله من الإسكندرية حيث كان يحاول إقناع الرئيس السادات بوقف الإتصالات مع إسرائيل من أجل تحقيق التضامن العربي وعقد مؤتمر قمة.

ومما قاله الرئيس الأسد إن علاقاته توثقت بالرئيس السادات قبل وأثناء حرب تشرين الأول (أكتوبر) 1973 وأن الخلافات التي حدثت بينهما بعد الحرب نشأت عن مباحثات "الكيلو 101" بين مصر وإسرائيل، وعن إتفاقية سيناء لفض الإشتباك وعن إعادة فتح قناة السويس والسماح للسفن الإسرائيلية بالمرور فيها.

* للمزيد من الإحاطة بالجولة يمكن الإطلاع عليها بالوثائق في كتابنا المعنون "التضامن العربي ذلك المستحيل... الذي

مرقه السادات شر تمزيق" والذي صدرت طبعته الأولى عام 2002 (الناشر العربي الدولي).

زيارة إسرائيل هو تحقيق السلام فإن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث ولن يحدث. وكل ما يمكن حدوثه هو صلح بين النظام في مصر ودولة إسرائيل.

وفي الأشهر القليلة التي تلت الزيارة كان هناك تيار شعبي داخل مصر يقف وراء الرئيس السادات ويساند تحركه على أساس أن هذا التحرك سيحقق السلام. وشيئاً فشيئاً انحسر هذا التيار وأصبحت قوة الرئيس السادات بالشرعية التي يملكها وليس بالشعبية التي كانت تشكل إضافة مهمة إلى قوة الشرعية.

وإذا جاز القول فإن شعبية الرئيس السادات مع حلول الذكرى الثالثة للزيارة داخل إسرائيل تفوق شعبيته داخل مصر. لكن الشعبية التي له داخل إسرائيل لم تشكل حتى الآن عنصر ضغط في وجه التصلب الإسرائيلي وهي لو كانت كذلك لأمكن الاستفادة من هذه الشعبية.

الملاحظة الثالثة - إنه إذا كان الهدف أيضاً وأيضاً من الزيارة هو إستقطاب الرأي العام العالمي فإن الإستقطاب حدث. ولكن لمن ولماذا الإستقطاب؟ لقد تبين أن الإستقطاب سببه أن الرئيس السادات تنازل لإسرائيل. وهو إستقطاب لا يتطلب أية مشقة. ولو أن الدول العربية قررت أن تفعل ما فعله الرئيس السادات لكانت حظيت من الرأي العام الدولي على الإستقطاب الذي حصل عليه الرئيس السادات، وأكثر.

والى ذلك إن أهمية الإستقطاب تكون في قدرة الرأي العام الدولي على التأثير على خط ما. ومنذ أن قام الرئيس السادات بالزيارة وحتى الذكرى الثالثة لها لم يلاحظ أحد أن الرأي العام الدولي ضغط في شكل أو آخر على إسرائيل أو على الإدارة الأميركية.

وعندما يقرر منحيم بيغن بناء المزيد من المستوطنات ويقرر توحيد مدينة القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل، وهذا حدث بعد الزيارة، ومن دون أن يتحرك الرأي العام الدولي، فهذا معناه أن لا فائدة تُرجى من هذا الرأي العام.

وعندما يقرر الرئيس السادات مد إسرائيل بمليون متر مكعب يومياً من مياه النيل مقابل إزالة المستوطنات وحل مشكلة القدس بشكل يأخذ في الاعتبار الحقوق العربية، ويرفض بيغن ويقول: "إن الآمال القومية للشعب الإسرائيلي ليست للبيع..." إنه عندما يحدث ذلك، فإن الرأي العام الدولي سينبهر بموقف بيغن وليس بالعرض الذي قدّمه الرئيس السادات، بل إنه قد يلوم

المبادرة فشلت ولم تُحقق إلا ما تريد إسرائيل تحقيقه. إلا أن الرئيس نميري قدّم تحليلاً من جانبه وأمكن في ضوء هذا التحليل أن يعدّل بعض الشيء في الموقف السوري. وخلاصة هذا الموقف كما أبلغه الرئيس الأسد إلى الرئيس نميري هي:

1- إن سوريا لا تشترط إقالة الرئيس السادات، لكنها تشترط صدور إعلان من جانبه بفشل المبادرة. وهي مستعدة للتساهل في الأمر بحيث يتضمن الإعلان أن المبادرة فشلت نتيجة للتعنّت الإسرائيلي.

2- في ضوء هذا الإعلان توافق سوريا على عقد قمة عربية موسعة على أن تتولى لجنة التضامن قبل الإنعقاد إعداد ورقة.

3- تتعقد القمة في إطار مقررات قمتي الجزائر والرباط وتتحدد فيها مسؤوليات والتزامات كافة الأطراف العربية بما فيها دول المواجهة.

4- لا تمنع سوريا في العودة إلى الشرعية الدولية في إطار مؤتمر جنيف وبحضور الإتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وبقية الأطراف المعنية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية.

تلك هي الواقعة. والأرجح أن الرئيس أنور السادات عرض هذا التعهد على الرئيس حافظ الأسد على أمل أن يتجاوب معه في موضوع زيارة القدس. لكن التجاوب لم يحدث.

ونأتي الآن إلى تسجيل بضع ملاحظات لمناسبة الذكرى الثالثة للزيارة:

الملاحظة الأولى - إنه إذا كان الهدف من زيارة إسرائيل هو كسر الحاجز النفسي بين العرب والإسرائيليين، فإن هذا الهدف لم يتحقق. بل إن هذا الحاجز لا يزال قائماً بين الفلسطينيين والإسرائيليين، أو على الأقل بين المصريين في أكثريةهم الساحقة والإسرائيليين في أقليةهم البسيطة. وعندما يقاطع المصريون وفي أكثريةهم الساحقة استقبال ضيوف الرئيس السادات أمثال منحيم بيغن وإسحق نافون فإنهم بذلك يعبرون عن أن الحاجز النفسي لا يزال قائماً بالنسبة إليهم.

كذلك فإنه عندما يرفض المصريون السفر إلى إسرائيل ويقاطعون سفير إسرائيل في القاهرة ولا يكثرثون لإفتتاح مكتب في القاهرة لشركة الطيران الإسرائيلية فهذا نوع من التعبير عن أن الحاجز النفسي لا يزال قائماً.

الملاحظة الثانية - إنه إذا كان الهدف أيضاً من

يتسم بالخلافات. والقول بأن ذلك من سوء الطالع مرده إلى أن الجو العام إنعكس على بعض الأطراف التي ستتحمل مسؤولية تمويل المشاريع والهيئات الاقتصادية التي صدرت في شأنها التوصيات والمقررات.

وعلى سبيل المثال فإن تمويل عقد التنمية العربية ما كان ليتأثر "رأسماله" بالشكل الذي إقترحه العراق لو أن المناخ السياسي العربي كان على غير حاله التي رافقت إنعقاد قمة عمان. ولكن هذا الرأسمال تأثر كثيراً ربما - والمعذرة سلفاً من أصحاب الشأن - لأن بعض الممولين أخذوا بالقاعدة المألوفة في دنيا التجارة وهي إن رأس المال جبان.

وزيادة في التوضيح يجوز القول إن الموارد التي إقترح العراق تخصيصها لعقد الثمانينات هبطت نتيجة المناخ السياسي الذي نشير إليه بمعدل الثلثين. فالعراق إقترح تخصيص موارد بحدود 1500 مليون دولار سنوياً لهذا العقد. وكان يمكن بعض الممولين من الذين شاركوا في قمة عمان إقرار العقد بالموارد المقترحة له، لكن هؤلاء وجدوا في المناخ السياسي السائد ما جعلهم يتغيّبون ويقررون أن تكون الموارد 500 مليون دولار بدلاً من 1500 مليون.

ومن المؤكد أن هؤلاء كانوا لن يُعَدّلوا في الرقم المقترح لو أن القمة إنعقدت بالإجماع ولم يحدث الإنقسام الذي حدث. فمشاركة الجميع كانت ستوحي بالإطمئنان، والإطمئنان كان سيعني الإستقرار. وفي جو الإستقرار كان الذين سيمولون لن يتذكروا تلك القاعدة المألوفة في دنيا التجارة. هذا مع الأخذ في الاعتبار بأن هؤلاء بتمويلهم عقد التنمية العربية لا يوظفون بهدف الإستثمار وإنما يشاركون في واجب قومي يستهدف دعم التنمية العربية الشاملة المشتركة وتقليص الفوارق التنموية بين أجزاء الوطن العربي.

والقول بأن هؤلاء الممولين كانوا سيُبقون على الرقم المقترح مرده أن المجلس الإقتصادي والإجتماعي العربي كان أقر في دورته الخاصة في عمان (9 - 7 - 1980) مشروع عقد التنمية من دون اعتراضات من جانب أي من الممولين على الفكرة أو على الرقم المخصص للموارد. ومن هنا فإن المناخ الذي ساد بعد ذلك وإستمر سائداً حتى عشية إنعقاد القمة هو السبب في التهيّب الذي حدث من جانب بعض الممولين.

وفي أي حال فإن تخفيض رقم الموارد لا يلغي أهمية المشروع. فهو أول عقد للتنمية العربية المشتركة. وإقراره بالرقم الذي أقر به هو في حد ذاته إنجاز سياسي، على

الرئيس السادات لأنه تراجع عن العرض - وهذا ما حدث قبل أيام - وسبب ذلك أن الرأي العام الدولي ليس ميالاً إلى الذين يتساهلون في قضايا أمتهم والذين يتنازلون عن الكثير من الحقوق لأعدائهم.

الملاحظة الرابعة - إنه إذا كان الهدف من الزيارة هو توظيف سلاح التعقل، فإن هذا السلاح يفيد إذا كان الذي يستعمله قوياً وليس باحثاً عن القوة من خلال استعماله.

وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن حملة التجريح التي قادها الرئيس السادات على مدى ثلاث سنوات ضد الحكام العرب، مع كثير من التركيز على الذين ساعدوه، بدت في نظر الرأي العام الدولي أمراً مسلماً من دون أن تُكسبه صفة الحاكم المتعقل. ومن المؤكد أن هذا الرأي العام مشدود إلى الحقيقة التي أفرزها الصلح المصري - الإسرائيلي، وهي أن السلام في المنطقة إرادة الجميع وليس إرادة حاكم واحد.

الملاحظة الخامسة - إن الأخطر من سقوط المخطط الذي سار به الرئيس السادات هي المغامرة التي يُقدّم عليها على أمل تغادي محاذير السقوط المحتمل لهذا المخطط.

وقد تكون المغامرة حرباً يشنها ضد ليبيا ويسبقها تغيير يسعى إلى إحداثه في السودان. وهذه المغامرة لم يُسقطها الرئيس السادات من حساباته إطلاقاً. ... لكن حسابات الرئيس السادات لا تتسم في معظمها بالدقة.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 29 نوفمبر (ت) 1980

مقررات ضد التخلف... والخلافات

من المؤسف أن المناخ العربي السياسي السائد أخذ من وهج المقررات والتوصيات ذات الطابع الإقتصادي التي أصدرتها قمة عمان. ولو أن هذه المقررات والتوصيات صدرت خلال إنعقاد قمة بغداد أو خلال إنعقاد قمة تونس حيث كان التضامن العربي على أحسن صوره لكانت حظيت بحماسة من جانب الملوك والرؤساء تفوق بكثير حماسهم لها خلال إنعقاد قمة عمان.

وقد يجوز القول إنه من سوء طالع هذه المقررات والتوصيات أنها صدرت في ظل مناخ سياسي عربي

عنصر جذب للأموال العربية بحيث تُستثمر في الدول العربية بدلاً من أن يتم استثمارها في الولايات المتحدة والدول الأوروبية. فهي تنص على حماية المال العربي المستثمر من أي تدابير خاصة أو عامة من المصادرة إلى الاستيلاء الجبري إلى نزع الملكية إلى التأميم. وهي وفرت الحماية القضائية لرؤوس الأموال وحصرت أمر المنازعات التي قد تنشأ عن التطبيق بمحكمة الاستثمار العربية وذلك إلى حين إنشاء محكمة العدل العربية.

ومع الأخذ في الاعتبار أن ظروف الذين غابوا عن القمة وبالتالي لم يوقعوا الإتفاقية تختلف عن ظروف الذين حضروا ووقعوا، إلا أن الإتفاقية صيغت بشكل سيصعب على بعض الذين غابوا عدم الاستفادة منها مستقبلاً. وهذا يتطلب توقيهم عليها. فالذين حضروا هم في معظمهم لديهم المال للاستثمار ونهجهم الإقتصادي لا يشكل عنصر تردد في أمر الموافقة، في حين أن بعض الذين غابوا ينهجون النهج الإشتراكي الذي يتمسك بحرفية التطبيق وهذا معناه رفض لأي قيود من نوع المصادرة والتأميم. ولكن الإتفاقية تبدو مغرية إلى الحد الذي يجيز لبعض هؤلاء إعادة النظر في المنهج للاستفادة من خير الاستثمارات العربية.

ويبقى أن المقررات والتوصيات ذات الطابع الإقتصادي التي إتخذتها قمة عمان، ستشكل بعد التطبيق من جانب الجميع - إذا حدثت الموافقة مستقبلاً من الذين قاطعوا قمة عمان - تحولاً بالغ الأهمية على الصعيد الإقتصادي. وسيكون التحول لمصلحة المواطن العربي الذي يطحنه التخلف... والخلافات السياسية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 6 ديسمبر (كانون الأول) 1980

* * *

وحدة الرافضين

منذ أن حقق رونالد ريغان الفوز الكبير في إنتخابات الرئاسة الأميركية وهناك سهام توجه إليه من جانب طرفي صنف "كامب ديفيد" الرئيس أنور السادات ومناحيم بيغن. وواضح أن الإثنين يحاولان تخويف ريغان بحيث عندما يتسلم منصبه رسمياً كرئيس للولايات المتحدة يواصل السير في خطط سلفه الرئيس جيمي كارتر بطل تلك الصنف، أو على الأقل لا ينسفها.

وهذه السهام التي توجه إلى ريغان عبارة عن تحذيرات مبطنة وردت في سياق تصريحات أدلى بها

أساس أن المناخ السياسي العربي السائد هو حالة طارئة ستزول عاجلاً أم آجلاً ويحل محلها الإستقرار. وفي ظل الجو البديل يمكن إضافة المليار المحذوف أو ربما أكثر. وبالإضافة إلى إقرار عقد التنمية ووضع موضع التنفيذ، هنالك إستراتيجية العمل الإقتصادي العربي المشترك التي أقرتها قمة عمان. وهذه الإستراتيجية التي شارك فيها خبراء من معظم الأقطار العربية لم تستوقفهم حالة التناحر السياسي، تحدد أسلوباً متطوراً للتعاون الإقتصادي من شأن الأخذ به التوصل إلى تخلص الموارد المادية العربية من كل سيطرة أجنبية، وتحرير الإقتصاد العربي من التبعية ورفع قدرته على التفاعل كشريك متساو مع مراكز القوى في الإقتصاد العالمي.

ولعل الذين صاغوا هذه الإستراتيجية أخذوا في الاعتبار أنه ما دام من الصعب قيام الوحدة السياسية، وقيامها يجعل العرب في مركز القوة المؤثر في القضايا الدولية، فإن نجاح إستراتيجية العمل الإقتصادي العربي المشترك قد تجعل الحكام العرب، نتيجة للتأثير الذي ستحدثه هذه الإستراتيجية دولياً، يقررون توحيد الصف إلى الدرجة التي لا تعود الخلافات التي يمكن تسويتها بإتصال هاتفي تتحول إلى خلافات تراق فيها الدماء.

والقول بأن الإستراتيجية المشار إليها تحدد أسلوباً متطوراً للتعاون الإقتصادي مرده إلى أن هذه الإستراتيجية لا تتوقف عند التعاون في إطار إقامة المشروعات ذات التمويل المشترك أو حدوث التدفقات المالية والبشرية وإنما تركز على الأمن العسكري والأمن الغذائي وتفتح لهذا الغرض برامج لا تبدو مستعصية التحقيق. وهي كانت ستبدو مستعصية التحقيق لو أن الملوك والرؤساء لم يقرروا بنودها، لكنهم بعدما أقروا هذه البنود باتت سهلة إلى حد ما.

وفي الماضي، وبالتحديد أيام كانت الجامعة العربية في القاهرة وكان محمود رياض هو أمينها العام، وضعت دراسات كثيرة في هذا الشأن، لكن هذه الدراسات لم تتحول إلى مشاريع يقرها الملوك والرؤساء. ومن أجل ذلك فإن ما حدث في قمة عمان مؤشر إلى تبدل في النظرة إلى الأعمال ذات الطابع الإستراتيجي.

ولكن مثلما أن عقد التنمية العربية يحتاج إلى الإستقرار فإن إستراتيجية العمل الإقتصادي العربي المشترك تحتاج هي الأخرى إلى الإستقرار.

وإلى ذلك إن قمة عمان أقرت الإتفاقية الموحدة لإستثمار رؤوس الأموال العربية في الدول العربية. وأهمية هذه الإتفاقية أنها تضمنت أسساً تشكل في مجموعها

واحد.

ولو أن الجميع شاركوا في قمة عمان وأقروا التوصية التي أقرها الذين شاركوا في القمة بالنسبة إلى إتفاقية "كامب ديفيد"، والتي أكدت رفض هذه الإتفاقية، لكانت الحملة التي تُحركها إسرائيل ضد أي إتجاه قد يسلكه ريغان ويكون متفهماً لأهمية العلاقات العربية - الأميركية، أقل تأثيراً مما هي عليه الآن.

وقد يكون ريغان وسط هذا الإنقسام في الصف العربي الواحد المتصدي لإتفاقية "كامب ديفيد" ترك أذنيه تصغيان إلى ما يرافق حملة الدوائر الصهيونية، ثم إستتبع ذلك - كما يتردد - بأن أبلغ كلاً من مصر وإسرائيل بأنه يريد الحفاظ على إطار "كامب ديفيد" عندما ستعالج إدارته أزمة الشرق الأوسط بعد أن يتسلم بشكل رسمي منصبه. ولو أنه لم يُكتب للعلاقات السورية - الأردنية ذلك الإنفراج بفضل المسعى الحميد الذي قام به الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس الوزراء السعودي، لربما كانت الدوائر الصهيونية المؤثرة في الولايات المتحدة سعت في سبيل استمالة الإدارة الأميركية المرتقبة إلى صفها مستخدمة هذه الدوائر في سعيها النقطة الأكثر ضعفاً في الموقف العربي وهي نقطة إنقسام العرب المتصدين لـ "كامب ديفيد" على أنفسهم.

إن حملة الدوائر الصهيونية والرئيس أنور السادات لن تتوقف من أجل أن تتبنى إدارة ريغان المرتقبة خط "كامب ديفيد". والرد على ذلك هو بمزيد من وحدة الصف بين الدول العربية الراضية لهذا الخط. فقبل التمني على الإدارة الأميركية المرتقبة رفض هذا الخط، من المهم الظهور أمامها موحدتين متماسكين، وأن هذا التوحد وذلك التماسك يشكّلان سلاحاً في يدها تستخدمه ضد الحملة التي تقودها الدوائر الصهيونية.

وتكراراً، إن ضجيج حملة أطراف "كامب ديفيد" يتعالى ويتطلع إلى أن يكون له تأثيره عندما ستصوغ الإدارة الأميركية المرتقبة القرارات المتعلقة بأزمة الشرق الأوسط. ومن المهم أن يكون الموقف العربي حاضراً عندما ستصوغ إدارة الرئيس ريغان القرارات. وهذا الحضور يكون في وحدة صف الدول العربية ووحدة هدفها ضد صفقة "كامب ديفيد". وهذا ما إنقذه المواطن العربي عشية إنعقاد قمة عمان وما يأمل تعويضه في قمة مكة المكرمة شرط أن تُكرر المملكة العربية السعودية في جبهات عربية أخرى ما فعلته إزاء الجبهة السورية - الأردنية.

الرئيس السادات، وحملة تشهير تحدث بين الحين والآخر وتكون بعض الصحف الأميركية مسرحاً لها، وهي حملات يقف وراءها الإسرائيليون. وصحيح أن هذه الحملات لا تزال حتى الآن في إطار مرحلة التشكيك إلا أنها مرشحة لأن تتصاعد. وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى التشكيك الصهيوني الذي بدأ يتزايد حول ألكسندر هيج المرشح لأن يكون وزيراً للخارجية في عهد ريغان، وحول السناتور تشارلز بيرسي المرشح لأن يكون رئيساً للجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي. والتشكيك سببه أن الإثنين أكثر تفهماً لضرورة أن تكون العلاقات العربية - الأميركية أفضل مما كانت عليه في سنوات ولاية كارتر، فضلاً عن أن السناتور بيرسي "متهم" بأنه خلال زيارة قام بها قبل أيام إلى موسكو أبلغ الزعيم الشيوعي السوفياتي ليونيد بريجنيف تأييده لقيام دولة فلسطينية برئاسة ياسر عرفات، وأن هذه "التهمة" كشفتها برقيات بعثت بها السفارة الأميركية في موسكو إلى وزارة الخارجية في واشنطن حول محادثات أجراها بيرسي في موسكو.

واللافت للانتباه هنا ليس سرعة تحرك الدوائر الصهيونية لإلقاء ظلال على بعض الشخصيات الأميركية المتفهمة لأهمية العلاقات بين العرب والولايات المتحدة، ولا أساليب الإبتدال التي تمارسها هذه الدوائر، وإنما الذي يلفت هو أن الجبهة العربية المتصدية لـ "كامب ديفيد" لا تقوم بحركة مضادة لتلك الحركة التي تقوم بها إسرائيل والدوائر الصهيونية المؤثرة في الولايات المتحدة.

كيف؟

المفروض أن جميع الدول العربية، بإستثناء عُمان والصومال، (مؤقتاً) هي ضد إتفاقية "كامب ديفيد"، وإن تعددت أنواع معارضة هذه الإتفاقية. ولقد كان من الضروري أن تظهر صلابة التصدي العربي لهذه الإتفاقية بعد فوز رونالد ريغان وسقوط بطل الصفقة جيمي كارتر. لكن الذي حدث بدلاً من ذلك هو أن أهل الموقف الواحد - وإن تعددت الأساليب - انقسموا على أنفسهم وكما لو أن إتفاقات "كامب ديفيد" تتطلب فريقاً يتصدى بإعتدال وآخر يتصدى بتطرف. وما حدث عشية إنعقاد قمة عمان كان الدليل على ذلك الإنقسام غير المبرر وغير المنطقي في هذه الظروف بالذات.

إن إتفاقية "كامب ديفيد" من النوع الذي لا يحتاج إلى إعتدال وتطرف، لأن مجرد عدم الإعتراف بها هو الرفض الكامل لها، وهو الإعتدال والتطرف في وقت

وحتى الآن لم تسجل الإدارة الأميركية المرتقبة على نفسها رسمياً أنها منحازة إلى صيغة "كامب ديفيد"، لكن ما يحدث يبعث على القلق وقد يصبح القلق في محله إذا لم تحدث مبادرات سريعة في إطار توحد الموقف العربي.

وبعد تعطيل حقل الألغام السوري - الأردني وهو أصعب الحقول وأكثرها تعقيداً يصبح مستغرباً بقاء حقول أخرى قابلة للتفجير.

والكلام موجّه في الدرجة الأولى إلى الأمير عبد الله بن عبد العزيز الذي حال في أيام دون اشتعال نار كانت ستكوي العرب سنوات. فلقد كان سعيه موضع الإعجاب والتقدير. وفي الموضع نفسه كان موقف الملك حسين والرئيس حافظ الأسد اللذين تجاوبا.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 ديسمبر (ك) 1980

* * *

تنظير أم دردشة

التصريحات الأخيرة التي أدلى بها الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بيللا إلى صحيفة "لوموند" تستحق أكثر من ملاحظة، ولعل أهمها: إن بن بيللا، الذي نتذكر فيه حماسته القومية، لم يعد على هذه الحماسة. ففي تصريحاته الأخيرة إلى الصحيفة يتحدث عن القومية بلهجة الإنفصاليين. فهو يعتبرها "اختراعاً غريباً" وهو يراها أمراً غريباً عن قيمنا ومعتقداتنا. وهو يرى البديل في الإسلام "الذي يعطي فرصاً أفضل من أجل تحرير حقيقي".

وقد تكون هذه المشاعر لدى بن بيللا ناشئة عن انفعالات نفسية وثأرية، لأن أصدقاءه أو مريديه من الحكام العرب القوميين أخفقوا في السعي للإفراج عنه. كذلك قد تكون ناشئة عن ظروف سنوات الإحتجاز الطويلة. وهذا أمر بديهي لأن الإنسان عندما يعيش ظروفاً صحيحة دقيقة أو ظروفاً شخصية، كإحتجاز الحرية، كما حدث لبن بيللا، فإنه يتجه بالتدرج نحو التدين. وإذا كان هذا الشخص من نوع بن بيللا فإنه يجد نفسه يبحث عن مبرر لتوجهه المستبد. وليس هنالك من مبرر سوى التقليل من أهمية الفكرة القومية، وإن كان بن بيللا في تصريحاته الأخيرة يتصل منها ويعتبرها "اختراعاً غريباً عن قيمنا ومعتقداتنا". وإلى ذلك إنه لمن المحزن جداً أن تصل الحالة بين

بيللا إلى حد تصويره فكرة القومية على أنها سلعة يمكن الإستفادة منها عند الحاجة ثم رميها عندما لا تعود ثمة حاجة لها. ومن خلال كلامه في تصريحاته الأخيرة نلمس ذلك "كنت من دعاة القومية عندما كان الأمر يتعلق بتحرير بلدي، وتخلّيت عن هذه الفكرة في الوقت الذي أصبحت بلادي مستقلة".

ويبقى أن هذا الكلام من جانب بن بيللا حول فكرة القومية قد تبتهج له وسائل الإعلام الغربية وتُفرد له المساحات. ولكنه يقلل من بقايا هالة له حافظ عليها كثيرون بينما كان يعيش ظروفاً صعبة، وفي ظن هؤلاء أنه سيخرج ذات يوم من الإحتجاز وهو أقوى إيماناً بعرويته وبقوميته العربية.

يبقى أيضاً إننا في حيرة من أمر ما تضمنته تصريحات بن بيللا. هل هي تنظير.. أم دردشة؟

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 13 ديسمبر (ك) 1980

* * *

وثيقة مكة المكرمة

عندما يجد المسلم نفسه في المسجد الحرام في مكة المكرمة يشعر بحالة ضعف تجاه ربه ووجد نفسه من دون أن يعتمد ذلك يتلو متممة وأحياناً بصوت عال بعض ما يمكن أن تسعفه به الذاكرة من آيات القرآن الكريم.

ويحدث أيضاً أن يشعر المسلم بصفاء ذهن لا مثيل له وبالحاجة إلى العناية الإلهية تخفف عنه بعض أثقال الدنيا وهي كثيرة.

ويشعر أيضاً أنه في جو من الأمان وأن ربه هو الذي يحميه ويقيه مكاره الدنيا وهي أيضاً كثيرة. ومن دون أن يعتمد فإنه يبوح لخالقه تعالى بذنب إقترفه أو إساءة تسبب بها لأحد أو بتقاعس عن واجب ألحق الضرر بشأن من الشؤون.

وإذا كان المسلم من النوع الذي يحمل الكثير من أثقال الدنيا على كتفيه فإن شريط الحوار بينه وبين خالقه يطول. وإذا كانت الإساءات التي إرتكبها في حق آخرين كثيرة فإن طلب الصفح من الله سبحانه وتعالى يكون كثيراً جداً.

وفي ساحة المسجد الحرام يشعر المسلم بأن الحياة قصيرة ويشعر بأنه يجب ألا يتسبب في إيذاء أحد وبأن يفعل الخير للآخرين إذا كان قادراً على ذلك ويصد

إلى النهاية ولا يستطيع أن يحول دون أجواء التسامح التي تغمر وجدانه وقلبه.

في المسجد الحرام سيلتقي قادة الأمة الإسلامية، وقليلون هم الذين لا تجمعهم المشاكل والعداوات، بل إن بين بعضهم دماءً كثيرة سالت وأحقاداً كثيرة تراكت وضغائن لا حصر لها تولدت. ولو أن هؤلاء إلتقوا في قاعة إجتماعات عادية لكانت القاعة تحولت إلى ساحة يقال فيها - والعياذ بالله - كلام من نوع لا يستسيغ المرء سماعه أو قراءته. لكن رهبة المكان ستجعل من الصعب على أحد أن يفعل ذلك. وفي هذا خير وبركة لأن معنى ذلك أن المتخاصمين والذين باتت خلافاتهم لا تُحل إلا بالثأر سيجدون أنفسهم لا يفعلون إلا ما يفرضه عليهم المكان.

وقد يقال ما الذي في إستطاعة هذا العدد الكبير من حكام الأمة الإسلامية عمله. لقد تأخروا وآثروا الانغماس في المشاكل وتركوا الآخرين لا ينظرون إليهم بجدية؟ والجواب عن ذلك هو أن في إستطاعة هذا اللقاء التاريخي أن يفعل الكثير والكثير جداً.

يستطيع أن ينهي الخلافات. ويستطيع أن يضع "وثيقة قمة مكة المكرمة" يُقسم موقعوها بأن لا إحتراب بين أهل الصف الواحد ولا خلافات بين أهل الصف الواحد ولا ثارات بين أهل الصف الواحد. وثيقة يلتزم من يوقعها بإحترام مبادئ القمة الإسلامية فلا تكون هنالك تدخلات وإنما تعاون علا شأن هذا التعاون أم جاء متواضعاً. وثيقة تجعل التضامن الإسلامي حقيقة لا جدال فيها.

هل هذا ممكن أم غير ممكن؟
من البدهيات القول إن الأمر أكثر من ممكن شرط جعل ضغوط الذات لا تطغى على الشعور بواجب مراعاة واجبات الوطن والمواطن. وحقوق الجار والجيرة. وإلى ذلك إن هذه القمة الإسلامية تتعقد في زمن تحدث فيه استهانات لا حصر لها بالحق الإسلامي. وتتعد في زمن يواصل فيه اليأس الإنتشار في النفوس. وسبب هذا اليأس هو الشعور بأن القادة المسلمين قادرين لكنهم لا يترجمون قدراتهم إلى أفعال.

ويبقى أن هذه القمة بالنتائج التي ستسفر عنها هي الحسم في مسألة ما إذا كان المسلمون "خير أمة أخرجت للناس" وأن المرء ليستغفر الله وهو يتحدث بهذه الصيغة عن هذا القول الكريم.

يبقى أيضاً إن الحد الأدنى المطلوب من الذين سيضمهم هذا اللقاء التاريخي في مكة المكرمة وهو

عنهم الشر ما إستطاع.

وتتأهب المسلم وهو في هذا المكان المقدس مشاعر بالزهد وبالتصوف بحيث لا تعود الأمور مهمة حتى إذا كانت مهمة. وينتابه أيضاً شعور بأنه لم يعط ما فيه الكفاية وأنه أخطأ كثيراً.

ويشعر المسلم وهو في المسجد الحرام أنه مهما بلغ شأن القوي فإن الله هو الأقوى.

ويتمنى المسلم وهو في المسجد الحرام لو أنه جاء إلى هذا المكان المقدس معافى من كل ما لا يرضي الله.

وبعد أن يغادر المسلم المسجد الحرام يشعر أنه قد تجدد وأنه إنسان آخر وأن ما كان يعصف في وجدانه من أمور وما كان يرهق ضميره من عذاب وما كان يضغط على روحه من أثقال، قد إنتهت وأنه أصبح معافى تماماً.

وهذه المشاعر تبقى أياماً هي أكثر أيام المسلم سعادة.

ولو سألنا أي مسلم يسر الله له السبيل فزار المسجد الحرام حاجاً أو لتأدية مناسك العمرة لقال ما أقوله بل ولربما أفاض في الحديث حول سعادة تلك الأيام. ومناسبة هذا الكلام أن هنالك قمة إسلامية ستعقد في الأسبوع الثالث من كانون الثاني (يناير) 1981 في مكة المكرمة وأن الجلسة الافتتاحية ستكون في الحرم الشريف.

وأهمية هذا المؤتمر الإسلامي ليست في زمانه فقط وإنما في مكانه. فعندما يلتقي قادة العالم الإسلامي في فندق أو في قصر أو في قاعة إجتماعات عصرية شيء وعندما يلتقون في الحرم الشريف شيء آخر.

إن اللقاء في هذا المكان من شأنه أن يُسقط العداوة. ونعتقد أن معظم قادة العالم الإسلامي سبق لهم أن حجوا أو أدوا مناسك العمرة وإنتابتهم المشاعر التي سبق أن أشرنا إليها.

واللقاء في هذا المكان من شأنه أن يجعل الصفاء يحل محل الغضب. والذي يحتاج إليه قادة العالم الإسلامي هو الشعور بلحظات صفاء. وهم إذا شعروا بها أمكنهم النظر إلى القضايا، مهما تشابكت وعظم شأنها، بالكثير من التعقل وبعيداً عن ضغوط الشعور بالذات التي تجعل الكبرياء أحياناً تتقدم على الحقيقة الوطنية.

ومهما كابر هذا القائد المسلم أو ذاك فإنه وهو في الحرم الشريف لا يستطيع أن يترك الحقد يأخذ مجراه

الأول من نوعه في التاريخ الإسلامي منذ عهد الخلفاء الراشدين هو الخروج متصافحين متضامنين ملتزمين بـ "وثيقة قمة مكة المكرمة" التي نتمنى أن تصاغ بما يحول دون بقاء التناقض وأحياناً الإحتراب السمة المميزة للعلاقات بين الدول الإسلامية.

أما الحد الأقصى الذي يتمناه كل مواطن مسلم فهو أن تتخذ قمة مكة المكرمة توصية بأن تتعقد القمة الإسلامية المقبلة في المسجد الأقصى في القدس. وهم إذا اتخذوا هذه التوصية فإنهم بقدراتهم يستطيعون وضعها موضع التنفيذ.

لقد بدأنا الكلام بالحديث حول المشاعر التي تفرضها رهبة المكان الذي ستتعد فيه القمة الإسلامية وهي مشاعر حقيقية وتفرض نفسها.

ولكن عدم الالتزام بـ "وثيقة قمة مكة المكرمة" وقبل ذلك عدم إصدار هذه الوثيقة معناه ترك الأمور تتجهج المنهج التقليدي. ونعني بذلك أن فترة المشاعر التي تنشأ في النفس لدى المسلم وهو في زيارة الحرم الشريف تعيش بضعة أيام، وبعدها تعود مشاغل الدنيا وهمومها. وبالنسبة إلى الحكام إن مشاغل الدنيا وهمومها عبارة عن خلافات وتلاسنات وحالات إحتراب.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 27 ديسمبر (ك) 1980

ربيع الحل الدولي لحرب الخميني وصدّام

مع دخول الحرب العراقية - الإيرانية شهرها الرابع يفتح العراق جبهة جديدة في خط المواجهة مع إيران هي الجبهة الشمالية، وهكذا يصبح شريط الحرب ممتداً من البحر إلى الجبل.

ومع دخول الحرب شهرها الرابع أيضاً يعلن الرئيس صدّام حسين في جلسة مطولة لمجلس الوزراء العراقي يوم 24 كانون الأول (ديسمبر) 1980 أن مواقع القطاعات العراقية في ديزفول والأحواز وعبادان وكيلان هي حدود العراق العسكرية مع إيران "وأن هذا الوضع بصورة عامة هو الخارطة العسكرية الصحيحة للعراق في الدفاع عن أرضه في حالة حرب قائمة بينه وبين إيران". وبعد 24 ساعة من هذا القول انفجر الوضع من البحر إلى الجبل وفي كل المناطق. وكان حدث عشية القول تطور عسكري مهم تمثّل بغارة ليلية شنتها القوات العراقية على عبادان وهي الأولى من نوعها منذ أن

بدأت الحرب.

وبقدر ما أن هذه الخطوة تعكس انطباعاً بأن الحرب ستطول أكثر وأكثر، بالقدر نفسه يمكن الافتراض بأنها واحدة من خطوات تندمج في سياق الأسلوب الذي إعتمه الرئيس العراقي منذ أن بدأت الحرب وهو خوض الحرب بكل الإقتدار الممكن مع الإيحاء المستمر للإيرانيين بالقدرة على ضربهم، أو بما معناه إنه "ما دام أمر ضربكم ممكناً حيثما كنتم فتعالوا نتفاوض".

وبعد الأخذ في الإعتبار أن فتّح الجبهة الشمالية يستهدف إسقاط رهان الإيرانيين على مسألة ولاء الأكراد للنظام الذي يقوده الرئيس صدّام، إلا أنه في الوقت نفسه يبدو بمثابة بديل للخطوة الحاسمة في ما يخص عبادان، فضلاً عن أن فتّح الجبهة الشمالية سيجعل تركيا أقرب إلى هموم ومخاطر الحرب من ذي قبل. وقد يجوز التساؤل: بدل أن يفتح الرئيس صدّام الجبهة الشمالية، لماذا لا يُقدّم على الخطوة الحاسمة في ما يخص عبادان، خصوصاً أن إسقاط عبادان سيشكل ضربة بالغة القساوة للسلطة الثورية في إيران؟

هل هو توفير المزيد من الضحايا لأن معركة عبادان ليست معركة بسيطة، أم هل هو التخوف من خطوة إيرانية إنتحارية رداً على إسقاط عبادان تتمثل بتدمير سد "الدرز" وإغراق القوات العراقية المرابطة في مناطق جنوب إيران، علماً بأن مثل هذه الخطوة ستعني إغراق أراضي المنطقة كلها وإغراق ما بقي من سكان فيها؟

الواقع أن مسألة عبادان تشكل في بعض جوانبها مأزقاً. وإذا استبعدنا العملية الإنتحارية فإنه على رغم أن الدخول العسكري العراقي إلى عبادان يبقى، على رغم ما سيسقط فيه من ضحايا، أكثر سهولة من الخروج السياسي من المدينة.. فإن الرئيس صدّام حسين إتجه شمالاً وفتح جبهة عند المثلث العراقي - الإيراني - التركي يؤكد من خلالها أن ولاء الأكراد ليس مشكوكاً فيه من جهة ولا يقفل الباب أمام محاولات إيجاد الحل العادل والمتوازن بين العراق وإيران من جهة ثانية. ففتّح الجبهة الشمالية يشكّل عنصر ضغط بينما إسقاط عبادان معناه إغلاق صفحة التفاوض وقطع الطريق على محاولات قد يُكتب لها أن تنتعش بعض الشيء من أجل إيجاد حل للحرب العراقية - الإيرانية. وقد لا يحل ربيع 1981 إلا وتتضح هذه المحاولات إلى درجة يصبح من الممكن الأخذ بإحداها.

لماذا في ربيع 1981؟ وما هي هذه المحاولات؟

إن إستمرار العراق في وضعه العسكري الحالي وعدم قدرة الإيرانيين على تعديل هذا الوضع بشكل جذري معناه أن إيران لن تتحمل أكثر من ثلاثة أشهر.

وفي الشهرين الماضيين حاولت إيران إلى حد الإستماتة إبعاد القوات العراقية عن المواقع المتواجدة فيها، إلا أن ذلك بدا غير متيسر. وراهن الإيرانيون على أن الشتاء بأقطاره ووجوله وتلوجه لن يكون لمصلحة القوات العراقية، لكن يتبين حتى الآن أن الإيرانيين ليسوا أفضل من العراقيين في حرب الشتاء.

وبعدما أمكن العراق حماية المدن من خلال شبكة الدفاع الجوي المهمة التي زرعها في بداية الشهر الثالث للحرب أصبح همه تعزيز خطوط الجبهة.

ونأتي إلى المحاولات الممكنة توافرها مع ربيع 1981. وقبل الحديث حول هذه المحاولات من المهم الإشارة إلى أمرين رد عليهما الرئيس صدام في جلسة مجلس الوزراء المشار إليها.

الأمر الأول هو كشفه عن طبيعة الوساطات التي بوحث في شأنها. وإستناداً إلى ما رواه فإن بعض الأطراف إقترحوا عليه التراجع مع الإحتفاظ بزين القوس وسيف سعد والتفاوض على شط العرب. كذلك، إستناداً إلى ما رواه، فإن دولة كبرى إقترحت عليه مشروع حل يقوم على أساس لا غالب ولا مغلوب، وأنه رفض هذا المنطق لأنه يرى أن العراق منتصر وأن إيران مهزومة، وأنه خارج إطار هذا المفهوم لن يكون هنالك حل. "... وإننا لا يمكن أن نغلط مثل هذه الغلطة. فالحدود العسكرية لنا في حالة الحرب هي هذه الحدود، وإن أية حالة غير هذه مع بقاء حالة الحرب تُلحق بالعراق أذى بليغاً حيث أنه لا وجود لضمانات".

في مثل هذه الحالة من هو القادر على أن يوجد الضمانات؟ إنها المؤسسات أو المنظمات الدولية وليس هنالك أحد غيرها على ما يبدو بات القادر على إيجاد صيغة للحل. وعلى رغم أن الرئيس صدام لم يوجه نداء إلى هذه المؤسسات لكي تعمل، إلا أنه ضمناً لا يعارض مسعاها. وقد يجوز الإفتراض أنه شجع كل هذه المؤسسات على أن تنشط. وتمثل تشجيعه بإستقباله كل موفدي هذه المؤسسات الذين أتوا إلى بغداد. شجّع موفدي المؤتمر الإسلامي. وشجّع موفدي الأمم المتحدة. وشجّع موفدي كتلة عدم الإنحياز.

في ضوء ذلك ما هي المؤسسة الأكثر قدرة على إيجاد الحل؟

إن المؤتمر الإسلامي لا يبدو قادراً ما فيه الكفاية لأنه

لكي ينجز مهمة إيجاد حل للحرب يُفترض أن يحظى بتأييد طرفي الحرب. وبالنسبة إلى العراق لا أثر لوجود ممانعة، على رغم أن بعض القنوات العراقية لا تتسجم مع طبيعة تكوين المؤتمر. لكن إيران ترفض ولها مواقف من جميع الدول المنضمة إلى المؤتمر الإسلامي. فهي تراها "غير ثورية" وترى أيضاً أنها إذا أقرت بكيانية المؤتمر الإسلامي فإن ذلك سينعكس على رؤيتها للثورية الإسلامية. وإلى ذلك فإن إيران لا يمكن أن تعطي المؤتمر الإسلامي هذه الورقة لأنها - أي ورقة الحل - ستجبر إلى المملكة العربية السعودية، بينما العراق بحكم طبيعة العلاقة المستجدة والتميزة بينه وبين المملكة العربية السعودية لا يعارض ذلك على الإطلاق.

وكتلة عدم الإنحياز تبدو أيضاً غير قادرة لأن رغبة العراق القوية في أن تضع هذه الكتلة الحل يقابلها رفض إيراني قوي لهذه الكتلة. وهذا يعود إلى أن إيران لن تعطي الورقة لكتلة سيترأسها عام 1982 الرئيس صدام حسين، وستعقد قمتها المقبلة في العام نفسه في بغداد. فضلاً عن أنها ترى في أيديولوجية الرئيس الحالي للكتلة (أي فيديل كاسترو) ما من شأنه أن يتعارض مع توجهاتها الإسلامية.

ولكن الرئيس صدام يبذل جهداً كبيراً من أجل أن يتاح لكتلة عدم الإنحياز أمر إيجاد الحل انطلاقاً من قناعاته بأن هذه الكتلة تحتاج إلى ما من شأنه أن يعزز دورها. وفي هذا الإطار هنالك سعي لعقد قمة مصغرة لكتلة عدم الإنحياز. وهنالك خطوات متقدمة تحققت في هذا السبيل. وفي الزيارة الأخيرة التي قام بها عضو مجلس قيادة الثورة العراقي طارق عزيز إلى هافانا قبل أسبوعين تشاور المسؤول العراقي مع الرئيس كاسترو في أمر هذه القمة، وتمّ التفاهم على مواصلة التشاور، وعلى أن يقوم الرئيس كاسترو من جانبه بتحريك يستهدف عقد تلك القمة.

وتبقى المؤسسة الثالثة والأخيرة القادرة على إيجاد الحل وهي مؤسسة تميل إيران إلى تحبذ إسناد الأمر لها، ولا يعارض ذلك العراق على رغم الأرجحية التي يعطيها لكتلة عدم الإنحياز. والمؤسسة الثالثة التي نعنيها هي الأمم المتحدة. وإذا كُتب لهذه المؤسسة أن تكون هي الجهة التي ستضع الحل للحرب الدائرة بين العراق وإيران فمعنى ذلك أن القوات الدولية ستتواجد في بقعة لم تتواجد فيها من قبل، وأن هذه القوات ستبقى في المواقع التي توضع فيها للحيلولة دون تبادل إطلاق النار، على أن يتم في الوقت نفسه التفاوض على صيغة

الحل التي يقبل بها الطرفان. وقد تأخذ مرحلة التفاوض وقتاً يتجاوز بكثير الوقت الذي إستغرقته الحرب، لكنها في النهاية تُحقق الحل الذي يأخذ في الإعتبار الصيغة المثلى للتعايش من دون أن يتوقف عند ظروف الإنتصار والهزيمة.

والذي يجيز الإفتراض بأن الحل سيأتي عن طريق الأمم المتحدة هو أن نقاط الإلتقاء التي لمسها المبعوث الدولي عندما زار كلاً من طهران وبغداد تفوق إلى حد ما نقاط الإلتقاء التي لمسها مبعوثو المؤتمر الإسلامي وكتلة عدم الإنحياز.

ولكن مسعى الأمم المتحدة يحتاج إلى خطوات تسبقه، ويحتاج إلى دعم المؤتمر الإسلامي وإلى دعم كتلة عدم الإنحياز. ومن هنا يمكن تعليق أهمية كبيرة على القمة الإسلامية التي ستعقد في مكة المكرمة يوم 26 كانون الثاني/يناير 1981.

وحيثيات تعليق الأهمية تكمن في الآتي:

أولاً: إن الطرفين العراقي والإيراني سيشاركان في هذه القمة. وهنالك إتجاه في إيران لكي يترأس وفد إيران رئيس وزرائها محمد علي رجائي. ولعله من الأفضل أن يأتي رجائي بدلاً من الرئيس أبو الحسن بني صدر لأن رجائي هو الأقوى، ولأنه رجل الإمام الخميني أكثر من بني صدر، ولأن أي حديث مع مسؤول إيراني لا يدور في فلك الإمام الخميني لن يؤدي إلى نتيجة.

ثانياً: إن معظم الدول الإسلامية أعضاء في كتلة عدم الإنحياز، ومن شأن التشاور بينها وبين طرفي الحرب أن يساهم بفعالية في تمهيد أرضية الحل المرتقب.

ثالثاً: إن الأمين العام للأمم المتحدة الدكتور كورت فالدهايم سيشارك في القمة الإسلامية بصفة مراقب. وحضور فالدهايم يشكّل فرصة للقيام بدور مدعوم إسلامياً وعربياً وأفريقياً وأسيوياً لإيجاد حل متوازن للحرب العراقية - الإيرانية. ومن الطبيعي الإفتراض بأن فالدهايم سيأتي إلى القمة الإسلامية ومعه تصورات يناقشها وراء كواليس القمة، وليس لسماع وجهات نظر. فهو قد سمع ما فيه الكفاية ونقل له مبعوثوه ما يساعده على وضع تصورات لخطوات يرى أن تتبشر بها المؤسسة التي يترأسها. وهو إلى ذلك يرى أن لا مصلحة من إتساع الحرب رقعة وزمناً، وأن الوضع الحالي الذي إنتهت إليه الحرب مثالي كقاعدة للتفاوض. بل قد يجوز القول إن في جعبة الأمين العام للأمم المتحدة وعوداً من طرفي الحرب تشكّل في بعض جوانبها ما من شأنه

أن يقود إلى الحل.

وإلى ذلك أيضاً، إن القمة الإسلامية ستعقد بعد أن يكون بدأ عهد جديد في الولايات المتحدة هو عهد رونالد ريغان الذي لم يسجل حتى الآن أنه راغب في أن تبقى حرب الخليج على تصاعد مستمر.

ونعود إلى ما بدأناه لنقول تكراراً إن إعلان الرئيس صدام حسين فتح الجبهة الشمالية وقوله إن مواقع القطعات العراقية في ديزفول والأحواز وعبادان وكيلان "هي حدودنا العسكرية مع إيران في حالة الحرب" لا يعينان أن الرئيس العراقي طوى ورقة الحل في كتاب الحرب. إن إعلانه وقوله المشار إليهما يعينان أن الرجل رفع قليلاً نسبة الضغط على إيران من أجل أن تتجه نحو التفاوض. وهو لو كان يريد أن يطوي صفحة الكتاب لكان عزز جبهة عبادان وأسقطها، على رغم ما سيتطلب ذلك من تضحيات، بدل أن يفتح جبهة في المثلث العراقي - الإيراني - التركي.

ولكن الرجل لم يفعل ذلك لأن إسقاط عبادان يعني إسقاط الحل. وهو ليس ضد الحل.

ويبقى أنه إذا إنقضى ربيع 1981 ولم يتحقق الحل، والحل في إطار الأمم المتحدة، فمعنى ذلك أن صورة مفزعة ستشهدا المنطقة وتحالفات جديدة ستحدث وتقلب بعض المفاهيم.

والأرجح أن ذلك الربيع لن ينفضي من دون حل لأن الظروف الموضوعية تؤكد أن إيران لا تستطيع أن تواصل رفض حقيقة سلّم بها الجميع وهي أنها خسرت الحرب بعدما لم تتمكن من إبعاد القوات العراقية عن أراضيها، وإستعاضت عن ذلك بالإعلان عن أنها لن تُوقف إطلاق النار قبل إنسحاب القوات العراقية، ثم جاءها الرد على ذلك بأن جبهة جديدة فُتحت وتوغلاً جديداً حدث.

لعل وعسى تقتنع إيران. فمن شأن اقتناعها إتاحة المجال أمام حل عن طريق الأمم المتحدة يعطي كل ذي حق حقه.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 3 يناير (كانون الثاني) 1981

هل يزيل ريغان آثار صفقة "كامب ديفيد"؟

بعد أيام سيتسلم رونالد ريغان منصبه كرئيس للولايات المتحدة الأميركية. وحول هذه المناسبة يمكن قول الآتي:

من كل العرب. وهو منحاز، بينما تتطلب مهمة تقصي الحقائق شخصاً غير ذي هوى. وكيسنجر منحاز إلى أطراف صفقة "كامب ديفيد" وهم كارتر والسادات وبيغن. وهو عندما بدأ جولته الأخيرة بزيارة الرئيس السادات وتبادل معه التصريحات التي يشيد كل منهما فيها بالآخر، فإنه عبّر عن إنحيازه الكامل.

والى ذلك إن إعلان كيسنجر وهو في القاهرة عن أنه سيزور بعد مصر كلاً من إسرائيل والمملكة العربية السعودية والأردن وسلطنة عُمان والصومال بدا كما لو أنه عملية تأمرية خطط لها مع الرئيس السادات وهدفها الإيحاء منها بأن السعودية والأردن ليستا ضد صفقة "كامب ديفيد" وأن هنالك حواراً جديداً حول هذا الأمر سيديره كيسنجر، علماً بأن السعودية والأردن تجاوزتا مسألة الرفض ونقض اليد من تلك الصفقة إلى مرحلة الإشتراط على الإدارة الأميركية المرتقبة بأن تنشيط العلاقات المشتركة مستقبلاً مرتبطاً بالتخلي نهائياً عن صفقة "كامب ديفيد" وإشتراط صيغة بديلة تأخذ في الاعتبار أن العرب ليسوا فقط أنور السادات. ومثل هذا الإشتراط لم يعلن ولم يشر إليه من قريب أو بعيد، ولكن هنالك كثيرين داخل إدارة ريغان المرتقبة يعرفون ذلك، بل قد يجوز القول إن بعضهم سمع من بعض العرب كلاماً وبلغ هذا الكلام مسامع الرئيس المنتخب ريغان.

والملفت أن هذا التحرك المفاجئ لكيسنجر والذي ترتسم فوقه عشرات علامات الاستفهام جاء في وقت الإعداد للقمة الإسلامية التي ستعقد جلستها الافتتاحية يوم 26 كانون الثاني/يناير 1981 في مكة المكرمة وتستأنف الجلسات في الطائف، وهي القمة التي ستبلور وبشكل حاسم القرار العربي - الإسلامي لمواجهة الأمر الواقع الذي حاولت إدارة الرئيس كارتر فرضه.

وفي ضوء إنحياز كيسنجر إلى صفقة "كامب ديفيد" فإن تحرّكه المفاجئ المشار إليه يبدو كما لو أنه محاولة لإرباك خط سير القمة الإسلامية.

سادساً - إن شخصاً من نوع هنري كيسنجر لا يمكن أن ينقل الحقيقة إلى الإدارة الأميركية الجديدة لأنه منحاز إلى صفقة مرفوضة من العرب. ومن الطبيعي إزاء شخص من نوعه لا يتحمل أن يعيش في الظل أن يحاول حتى اللحظة الأخيرة العودة إلى دائرة الضوء من خلال التأكيد على إستمرارية روح تلك الصفقة مستنداً في ذلك إلى أن له في الإدارة الأميركية التي ستبدأ عملها رسمياً بعد أيام حظوة ما.

ولكن هذه الإدارة التي تضم في طاقمها عناصر تنظر

أولاً - إن العرب يعلّقون على إدارة رونالد ريغان أهمية قصوى على أساس أنهم أمام رئيس أميركي واثق من نفسه وغير مرتّهن للقوى الصهيونية في بلاده فضلاً عن أنه شجاع ولا يميل إلى اعتماد سياسة التردد. ومن المفترض أنه واع تماماً للنتائج السيئة التي نشأت عن أسلوب سلفه الرئيس جيمي كارتر في المعالجة التي إعتدّها لحل أزمة الشرق الأوسط. بل من الجائز القول إن الحذر العربي من السياسة الأميركية بلغ أشده بعد الصفقة التي عقدها الرئيس كارتر مع الرئيس أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن، ونعني بها صفقة "كامب ديفيد".

ثانياً - القول بأن العرب يعلّقون أهمية قصوى على إدارة ريغان متصل برغبتهم في أن تزيل هذه الإدارة آثار صفقة "كامب ديفيد" وتشرع في وضع الحل العادل والمقبول للصراع العربي - الإسرائيلي.

ثالثاً - من البدهي الافتراض بأن إدارة ريغان تدرك تمام الإدراك أن هناك مقاطعة عربية للولايات المتحدة شملت حتى تلك الأطراف التي تربطها بها صداقات وعلاقات قديمة. وتدرك أيضاً أن هذه الأطراف لا يمكن أن تتراجع عن الخط الذي يرفض صفقة "كامب ديفيد"، وإنها على رغم كل الضغوط التي مارسها إدارة كارتر والمؤامرات التي دبرتها تلك الإدارة ترى أن الحد الأدنى الذي يمكن أن تقبل به لعودة روح التشاور إلى العلاقات مع الولايات المتحدة هو إسقاط صفقة "كامب ديفيد" وإزالة آثارها.

رابعاً - لقد بدا مستغرباً كل الإستغراب أن يتسلل الدكتور هنري كيسنجر فجأة إلى المنطقة العربية قبل أيام من تسلّم رونالد ريغان منصبه رسمياً. وعلى رغم أن كيسنجر أوحى بأنه مبعوث الإدارة الأميركية المقبلة إلى بعض دول المنطقة إلا أن هذه الدول نظرت بالكثير من الشكوك إلى الأمر وتعاملت معه على هذا الأساس. وهي في تعاملها هذا تخدم تلك الإدارة. ولو أن كيسنجر هو بالفعل مبعوث تلك الإدارة لكان رد الفعل من جانب الدول العربية التي أعلن كيسنجر أنه سيزورها أكثر تشدداً، لأن ذلك كان سيبدو بمثابة استفزاز من جانب الإدارة الأميركية المقبلة لهذه الدول.

خامساً - إذا سلّمنا بأن إدارة ريغان ليست ملمة تماماً بحقائق الموقف العربي وأنه من الطبيعي أن تستقصي هذه الحقائق قبل أن تتسلم الحكم رسمياً فإن إختيار الدكتور كيسنجر لهذه المهمة ليس ذلك الإختيار السليم لعدة أسباب. فهو رجل إتفاقية "كامب ديفيد" المرفوضة

الجهاد المقدّس... والجهادات الأخرى

لو أن المكان الذي إجتمع فيه القمة الإسلامية الثالثة لم يكن السعودية لكانت نسبة الذين سيقاطعون هذه القمة من بين الملوك والرؤساء العرب والمسلمين كبيرة. ولكن المكان يمثل جزءاً من الدور الأساسي لهذه القمة. ويبقى الجزء الآخر المرتبط بما سيقرر في هذه القمة وما سيُتخذ من توصيات.

إن التناقضات التي تعززت في السنتين الماضيتين بين عدد من الحكام العرب والمسلمين كثيرة ومتشعبة. وعندما يوافق هؤلاء ومن دون أي تردد على المشاركة في القمة الإسلامية الثالثة فهذا معناه أنهم يشاركون من باب مساندة البلد المضيف أولاً. وهذا يرتب على السعودية دوراً يتجاوز الدور التقليدي، بمعنى أن يكون هنالك تركيز داخل المؤتمر وعلى هامشه من أجل تقليص نسبة التناقضات بين بعض المشاركين على أمل إحداث تعايش في المرحلة اللاحقة. أما إذا إنتهت أعمال المؤتمر وإستأنف المتخاصمون بين الأعضاء خصوصاً منهم فمعنى ذلك أن فرصة جيدة ذهبت دون الإستفادة منها.

ونجاح القمة ليس في جعل الدول الأعضاء المشاركة توافق على قرارات وتقر توصيات. ولكن النجاح الأساسي هو في موافقة بعض الأطراف أولاً على التعايش فيما بينها، وعلى وقف التجريح المتواصل في حق بعضها.

ولم يحدث من قبل تعليق أمل على قمة عربية وإسلامية كالأمل المعلق على هذه القمة. وتعليق الأمل مرده إلى أن هذه القمة قد تعوّض الكثير مما فات، وتضع منهجاً للتعامل والتعايش، وتحسم أمر الجهاد الذي على العرب والمسلمين خوضه، وهل هو "الجهاد المقدّس" الذي نادى به المملكة العربية السعودية قبل حوالي خمسة أشهر أم هو الجهاد، أو الجهادات الأخرى الممكنة؟

ولا ندري، للمناسبة، كيف يمكن للقمة الإسلامية أن تقر توصية بإعتماد "الجهاد المقدّس" إذا كان عدد كبير من المشاركين فيها يخوضون ضد بعضهم البعض حروباً باردة أحياناً وساخنة أحياناً أخرى.

إن الظروف السائدة الآن في العالم العربي والإسلامي تشبه إلى حد كبير الظروف التي كانت سائدة عام 1964 عندما دعا جمال عبد الناصر إلى قمة شارك فيها الجميع. وتشبه أيضاً الظروف التي سادت

بالكثير من الحذر إلى صفقة "كامب ديفيد" وتترك أن نجاح الولاية الأولى للرئيس ريغان يتوقف في الدرجة الأولى على الأسلوب الذي سيعتمده في التعامل مع العرب، لا تبدو مستعدة لتغليب ظروف الخطوة على تفهم جوهر مشكلة الشرق الأوسط ومحاولة إستنباط صيغة جديدة للحل الذي بات أكثر من ضروري.

ولعل أبرز العناصر المشار إليها هو السناتور الجمهوري تشارلز بيرسي الذي يبدو مقتنعاً بأن المدخل إلى الحل الأمثل هو تأييد الولايات المتحدة لفكرة قيام دولة فلسطينية برئاسة ياسر عرفات. وعندما يصّر ريغان على أن يكون بيرسي هو رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، على رغم ما قالته صحيفة "نيويورك تايمز" يوم 6 كانون الأول/ديسمبر 1980 من أنه أبلغ القيادة السوفياتية عندما إجتمع بها خلال زيارته موسكو في ذلك الشهر تأييده لقيام دولة فلسطينية برئاسة عرفات، فمعنى ذلك أن ريغان لن يقع فريسة بقايا ثعالب صفقة "كامب ديفيد". وفي إستطاعته، من خلال قنوات بيرسي وكثيرين آخرين حاولت إدارة كارتر خنق أصواتهم العادلة، أن يضع الأساس السليم لخطوة متزنة وعادلة.

ويبقى أن الأطراف العربية، سواء تلك التي تربطها علاقات تقليدية وتاريخية بالولايات المتحدة، أو الأطراف الثورية العربية التي حالت دون تمكين الإتحاد السوفياتي من أن يحقق مكاسب على حساب الموقف الأمريكي، لن يكون في إمكانها مع بداية عهد أميريكي جديد أن تستمر على الموقف الذي إتخذته من الإدارة الأميركية في أعقاب عقد صفقة "كامب ديفيد". إن هذه الأطراف اختارت مقاطعة إدارة كارتر ولم تسجل في الوقت نفسه تطرفاً ضد الولايات المتحدة. وهي فعلت ذلك على أساس أن كارتر إقترب خطأ مميتاً، وأنه لا بد سيدفع ثمن هذا الخطأ. وهو قد دفع الثمن بالفعل.

وعلى هذا الأساس فالكلمة الآن لريغان. وهناك الكثير من التمنيات العربية بأن يصحح موقفاً إفتعله سلفه، ومن الضروري أن ينتهي بإنتهائه.

لعل وعسى لا يفعل ذلك فقط، وإنما يطرح الأساس للحل الذي لا يضطر العرب في أكثريتهم، وللمرة الأولى، إلى إتخاذ القرارات التي لا تخدم العلاقات العربية - الأميركية في أي حال.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 10 يناير (ك) 1981

في أعقاب إتفاقية "كامب ديفيد" والتي بسببها كانت مبادرة صدام حسين (وكان وقتها نائباً للرئيس) في إنعقاد قمة بغداد. وكما أن قمة 1964 ثم قمة بغداد كانتا مظهرًا عكس أهمية التضامن والقدرة على اتخاذ القرار المجدي فإن القمة الإسلامية الثالثة هي المؤهلة وهي المطالبة في الوقت نفسه بإثبات أن هنالك تضامناً عربياً - إسلامياً، وأن هناك أيضاً قدرة عربية - إسلامية على اتخاذ القرار المجدي.

ومثل هذا الأمر لا يبدو مستعصياً، خصوصاً أن هنالك حاجة قصوى إلى قرار عربي - إسلامي يواجه به الملوك والرؤساء الذين سيجتمعون في مكة المكرمة ثم في الطائف والذين يمثلون حوالي 720 مليون مسلم منتشرين في آسيا وأفريقيا، وفي الاتحاد السوفياتي الذي أخذ منهم أفغانستان، والولايات المتحدة التي أخذت منهم مصر. وحتى الآن لم يحدث إستصدار للقرار الجدي الذي يشكّل أداة ضغط من أجل استرجاع أفغانستان، ولم يحدث أيضاً إستصدار للقرار الذي يعيد مصر إلى الصف العربي والإسلامي.

وإلى ذلك هنالك عهد جديد سيبدأ في الولايات المتحدة بعد أيام هو العهد الجمهوري الذي يمثله رونالد ريغان. وحتى الآن لا يبدو أن عهد ريغان سيتصرف مع العرب والمسلمين كما تصرف الرئيس كارتر. ولكن إدارة كارتر، ما كانت لتواصل التصرف بالشكل الذي حدث لو كان هنالك موقف عربي إسلامي غير متمسك بالمرونة التي تمسك بها. ومن هنا فإن القرار العربي - الإسلامي المؤمل صدوره عن القمة الإسلامية يمكن أن يشكّل بلورة للخط الذي ستتجهه إدارة ريغان. ومن المؤكد أن هذا الخط لن يختلف كثيراً عن الخط الذي انتهجته إدارة كارتر إذا كان الموقف العربي والإسلامي سيتمسك فقط بالمقاطعة السلبية للإدارة الأميركية من دون إرفاق هذه المقاطعة بالقرار الذي يجعل تلك الإدارة تتصرف بشكل آخر.

وكدليل على أن الإدارة الأميركية المقبلة قد لا تعتمد خطأ آخر إذا كان القرار العربي - الإسلامي المجدي لن يصدر، هو أن الرئيس المنتخب ريغان يقوم بممارسات سياسية تشير إلى أنه قد يُسقط من الحساب أسلوب "كامب ديفيد"، لكنه قد لا يُسقط روح تلك الإتفاقية.

وقد يجوز التساؤل هنا: هل إن إعلان "الجهاد المقدس" هو القرار المطلوب؟ والجواب عن ذلك إن "الجهاد المقدس" هو آخر

الخطوات التي يمكن إتخاذها، بل إنه الخطوة التي قد تصبح واردة إذا كانت بقية الجهادات التي تسبقها لم تحقق المطلوب، علماً بأن هذه الجهادات هي الأكثر فعالية.

وحول "الجهاد المقدس" والجهادات الأخرى هنالك ما يمكن قوله وما من شأنه أن يشكّل في مجموعه ملامح القرار العربي - الإسلامي الذي يمكن أن يكون مؤثراً:

أولاً - إن الصوت العربي ما زال غير مسموع من قبل الرأي العام الأميركي. وفي الوقت الذي كان يُفترض في هذا الصوت أن يُسمع بهدف التأثير، جاء صوت الرئيس أنور السادات وحل محله. وهو، أي صوت الاتجاه الذي يمثله الرئيس السادات، ما زال الأقوى في أوساط الرأي العام الأميركي. ومثل هذا الأمر يحتاج إلى نوع من الجهاد العربي - الإسلامي هو غير "الجهاد المقدس" وإنما الجهاد الإعلامي بحيث ينصت الرأي العام الأميركي إلى صوت الأكثرية العربية والإسلامية وليس إلى صوت الاتجاه الذي يمثله الرئيس السادات.

وصحيح أنه من تحصيل الحاصل أن يكون صوت الاتجاه الذي يمثله الرئيس السادات هو الصوت المسموع أكثر لدى الرأي العام الأميركي على أساس أنه ينادي بالإعتراف بإسرائيل والعيش معها وبالحد الأدنى من الإشتراطات، وعلى أساس أن الآلة الإعلامية الأميركية يهودية في معظمها ومن مصلحتها أن تثير بهذا الاتجاه وتعمم إنتشاره لكي تثبت عدم أحقية بقية العرب والمسلمين بمطالبهم... صحيح أنه من الطبيعي أن يكون صوت الرئيس السادات هو الصوت المسموع، إلا أن الرأي العام الأميركي سيعلم الصوت العربي إذا كان جدياً وإذا كان يحمل في نبرته ما من شأنه إشعار هذا الرأي بالتضرر.

ثانياً - في التصريح الذي أدلى به الأمير فهد بن عبد العزيز وليّ العهد السعودي ودعا فيه إلى "الجهاد المقدس" طرح سؤالاً أتبعه بالدعوة إلى "الجهاد المقدس" الذي بدا أنه الجواب عن السؤال. وكان السؤال: ماذا أفادنا الإعتدال؟

وليس المطلوب من القمة الإسلامية إسقاط الإعتدال بأسلوب المخاطبة والتعامل مع الولايات المتحدة، وإنما المطلوب تشغيل عملية الحوار المقطوع مع الإدارة الأميركية. وهذا نوع من أنواع الجهاد وهو جهاد صعب ولكنه ضروري. وهو أيضاً جهاد لن يفيد إذا كان الطرف العربي - الإسلامي سيقول لإدارة ريغان: ماذا ستفعلون

بالنسبة لأزمة الشرق الأوسط، وبالذات إلى موضوع القدس، لكنه يصبح مفيداً إذا قيل لهذه الإدارة ما معناه إن طبيعة العلاقات الإقتصادية بما في ذلك موضوع النفط ستتأثر في حال أن الولايات المتحدة لن تعيد النظر خلال سنة على الأكثر في أمر موقفها من الصراع العربي - الإسرائيلي لمصلحة الخط الذي تتبناه الأكثرية العربية - الإسلامية. وهذا الخط هو الأكثر اعتدالاً والذي لا يتحمل أي تراجع، في حين أنه قابل للإتجاه في طريق التطرف.

وفي أيدي هذه الأكثرية سلاح لم يكن متوافراً قبل الحرب العراقية - الإيرانية. لكنه بات متوافراً بعد خمسة أشهر من بدء هذه الحرب. وهذا السلاح يُسقط النظرة الأميركية الإستراتيجية إلى إسرائيل وإلى صيغة القوة العربية التي تمثلها مصر والمتحالفة مع القوة الإسرائيلية، وهي الصيغة التي تقوم عليها فلسفة إتفاقيات "كامب ديفيد".

وإذا جاز القول فإن الحرب العراقية - الإيرانية أسقطت إلى حد كبير، هذه الصيغة بعدما تبين أن لا مصر ولا إسرائيل معاً، أو منفردتين، في قدرتهما أن تفعلوا شيئاً في هذه الحرب. وإذا كانت واردات النفط في العالم الغربي لم تتأثر بينما الحرب مشتتة فلأن طرفي الحرب أرادا ذلك وعن قنوات وحسابات، وليس بسبب ما تفعله إسرائيل أو مصر أو الإثنان معاً. هذا فضلاً عن أن الإثنتين لم تفعلوا شيئاً في موضوع أزمة الرهائن بما يحقق إنقاذ هؤلاء بإستثناء الدور الذي مارسه الرئيس السادات وهو السماح بأن تنطلق الطائرات الأميركية من مصر في "عملية كارتر" الشهيرة لإنقاذ الرهائن والتي إنتهت إلى كارثة.

وإلى ذلك، وبالنسبة إلى موضوع الرهائن أيضاً، فإن الإثنتين، مصر وإسرائيل، لا تصلحان للدور الآخر أي الدور الذي ينهي أزمة الرهائن بالتفاوض السلمي، بينما الجزائر قامت بهذا الدور وهي أحد أركان التجمع العربي - الإسلامي الذي يتصدى لإتفاقية "كامب ديفيد" أسلوباً وروحاً.

وإذا جاز القول فإن لجنة تختارها القمة الإسلامية وتمثل السعودية ولبنان والجزائر والسودان وغينيا والسنغال وتبدأ الحوار مع إدارة الرئيس ريغان إنما هو أمر لا يحتمل التأجيل على أن تنقل هذه اللجنة إلى تلك الإدارة الموقف العربي - الإسلامي بصيغة تكون دون الإنذار وأكثر من التحذير.

وقد يقال: ولماذا كل هذا التخريج. إنه يكفي أن نقول

ذلك المملكة العربية السعودية ومن دون إيفاد ممثلين والدخول في مفاوضات المناقشة والحوار، وذلك على أساس أنها إذا هددت السعودية بقطع النفط فإن الآخرين سيحذون حذوها. وهذا صحيح، إلا أن القضية لا تخص السعودية وحدها، وإن موقفاً يمثل العرب والمسلمين معاً يشكل إضافة قوة إلى القرار المطلوب من السعودية، فضلاً عن أنه يشكل - في الوقت نفسه - حماية لهذا القرار. فكما أن هذا القرار قد تحتاجه الإدارة الأميركية كعنصر مساعد لبلورة الموقف المطلوب، فإنه قد يبدو تحدياً لا قدرة لهذه الإدارة على تحمله. وبالتالي فقد ترد عليه بالمزيد من التواجد العسكري في المنطقة وهو ما من شأنه أن يفقد القرار العربي - الإسلامي أهميته ويقيد حركته. وهنا دور الحماية التي أشرنا إليها.

وعندما يلاحظ الرأي العام الأميركي أنه على رغم إتفاقية "كامب ديفيد" لم يتأثر من موضوع النفط لأن العرب لم يستعملوا هذا السلاح، فإنه سيفترض ضمناً أن عرب النفط والقدرات المالية والإقتصادية راضون عن تلك الإتفاقية، وأنه من أجل ذلك فلا مانع من إستمرارها.

ويجوز القول إن مبعوثين مخولين من الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامي يسافرون إلى الولايات المتحدة ويجوبون مندها موضحين هذا الأمر في شكل أو آخر قد يساعدون على تغيير هذه الصورة.

ومن المهم جداً في هذا الإطار أن لا يأتي التوضيح مستنداً إلى سلاح "الجهاد المقدس" وإنما إلى إرادة عربية - إسلامية حقيقية بإستعمال أسلحة أخرى وجهادات أخرى من نوع سلاح النفط. فالرأي العام العالمي يتشدد أكثر إذا كان المسلمون سينقلون طبيعة الصراع مع إسرائيل من الإطار القومي والسياسي إلى الإطار المذهبي. وقد يحدث أن هذا الرأي العام سينظر إلى الأمر كما لو أن المسلمين يسعون إلى استعادة القدس من المسيحيين واليهود معاً. ومثل هذا الأمر سيقود إلى تعقيدات جديدة تحتاج إلى حقبة أخرى من سنوات التوضيح.

ويبقى أن في يدي القمة الإسلامية التي ستعقد في مكة المكرمة (جلسة الافتتاح) وفي الطائف (جلسات العمل) أكثر من ثلاثة أرباع أوراق الحل. وحتى إذا افترضنا أن في يدي هذه القمة نصف هذه الأوراق فإن النسبة ليست بسيطة في أي حال. ولكن أهمية الأوراق في أسلوب استعمالها. وهذه النسبة الكبيرة من أوراق الحل في يدي تلك القمة مردها أن الأكثرية الساحقة من العرب والمسلمين مشاركين في هذه القمة، وأن الذين في قدرتهم الضغط هم في طليعة المشاركين. وإذا كانت هذه القمة لن

تخرج بالقرار العربي - الإسلامي الذي يضغط في اتجاه تغيير الموقف الأميركي فأى قمة أخرى بعد الآن ربما لن تكون قادرة.

يبقى أيضاً أنه حدث قبل أن إنعقدت القمة أن سقط الطرف الأساسي في إتفاقية "كامب ديفيد" أي الرئيس كارتر. وقد يحدث بعدها، وربما قبل إنعقادها، أن يسقط الطرف الثاني في تلك الإتفاقية، أي مناحيم بيغن. وفي مثل هذه الحالة لا تعود للطرف الثالث، أي الرئيس السادات، القدرة على الإستمرار. وبقليل من الضغط العربي - الإسلامي يمكن إقناع الإدارة الأميركية الجديدة بصيغة جديدة للحل.

لكن المطلوب هو رسم معالم هذه الصيغة في القمة الإسلامية وفي القمم الثنائية والثلاثية التي ستنتم على هامشها، وذلك كي لا يتكرر ما حدث في قمة بغداد عندما اكتفت تلك القمة بإصدار قرارات ضد خط "كامب ديفيد" من دون أن تضع بدائل.

وقد يجوز القول إنه في ذلك الحين كان مجرد إصدار القرارات يشبه المعجزة، وأنه كان يكفي إصدار القرارات. وهذا إلى حد ما صحيح. لكن الوضع الآن لا يحتمل الكثير، وأن المطلوب هو وضع بديل أو بدائل لأن القرارات أصلاً ما زالت قائمة.

وقد يكون وضع البديل مع الأسف هو أصعب أنواع الجهاديات لأنه يتطلب إنهاء الجهاديات التي يخوضها كثير من المشاركين في القمة الإسلامية ضد بعضهم البعض وإحلال الثقة قبل كل شيء محل المشاعر التي في نفوس هؤلاء.

وهذا الأمر بالذات، أن يكون الجهاد الأكثر ضرورة الذي يمكن أن تقوده المملكة العربية السعودية وتتجج فيه؟ إننا نتمنى ذلك. فلا يكفي أن الجميع لا يعترضون عندما يكون مكان الاجتماع فيها، ويحضرون، وإنما أن يعود هؤلاء من الاجتماع متعاونين متكاتفين يطمئن كل منهم إلى الآخر.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 17 يناير (ك) 1981

* * *

من خفايا علاقات مصر الساداتية - الكيسنجرية مع موسكو

إذا كان الرئيس أنور السادات لن يكبح بعض الشيء

جماح غضبه على الإتحاد السوفياتي فإن حدوث قطيعة بين الإتحاد السوفياتي ومصر يبدو احتمالاً وشيك الوقوع. وقد نفاجأ ذات يوم وربما كان قريباً جداً بأن الرئيس السادات طلب ترحيل الدبلوماسيين العاملين في السفارة السوفياتية في القاهرة وقطع العلاقات مع الإتحاد السوفياتي، إلا إذا كانت لعبة الرهائن التي مارسها إيران تلذ له فيلعبها في شكل أو آخر.

وقد يجوز القول إن الخطوة الأخيرة التي أقدم عليها الرئيس السادات والتي تمتثلت بإلقاء القبض على إثنين من الدبلوماسيين السوفيات العاملين في مصر، مؤشر إلى أن الرئيس المصري في صدد خطوات أخرى على صعيد إحاطة العلاقات المصرية - السوفياتية بالمزيد من التوتر. كذلك قد يجوز القول إن تلك الخطوة والخطوات المحتملة التي قد تليها، موحى بها من الدكتور هنري كيسنجر الذي يلتقي مفهومه مع مفهوم صديقه الرئيس السادات بالنسبة إلى ضرورة مواجهة الإتحاد السوفياتي. وليس من قبيل المصادفة أن إعلان الرئيس السادات عن إلقاء القبض على إثنين من الدبلوماسيين السوفيات جاء في أعقاب اللقاء الذي جرى في "ميت أبو الكوم" بلدة الرئيس السادات بين الرئيس السادات والدكتور كيسنجر.

ومن المحتمل أن يكون كيسنجر نصح صديقه الرئيس السادات بمواصلة تصعيد حربه على الإتحاد السوفياتي على أساس أن هذه الورقة هي الوحيدة التي يستطيع أن يلعبها مع الإدارة الأميركية الجديدة والتي قد تعوّضه بعض الشيء بقية أوراق كثيرة خاسرة لعبها، فضلاً عن أنها في رأيه قد تكون الورقة الوحيدة التي يستعملها من أجل ملاقاته المملكة العربية السعودية ودول الخليج مستقبلاً.

وإذا جاز القول فإن العلاقات المصرية - السوفياتية شبه مقطوعة منذ وقت طويل. وإذا حدث وأقدم الرئيس السادات على إعلان قطع العلاقات فإنه يكون بذلك أعلن عن حالة قائمة بالفعل ومنذ وقت طويل.

والقول بأنها حالة قائمة مرده إلى الآتي:

أولاً: ليس هنالك حوار سياسي بين النظام المصري والحكومة السوفياتية.

ثانياً: إن الخارجية المصرية لا تعامل السفارة السوفياتية على أنها سفارة إحدى الدول الكبرى في العالم.

ثالثاً: هنالك رقابة على السفارة السوفياتية وهنالك تشدد في مساءلة من يطرق أبوابها.

قبل أيام دول العالم غير الشيوعي إلى تقديم السلاح إلى مصر لمقاومة "الخطر السوفياتي" المتواجد في الأراضي الليبية.

ثامناً: هنالك فرق كبير بين التصريحات التي تستهدف إحداث بعض المرونة في المواقف بهدف تحقيق أغراض يستفاد منها أو حسم أمر صفقات سلاح أو قضايا تمويلية عالقة، وبين التصريحات التي تستهدف التشويه والتجريح.

وبالنسبة إلى الرئيس السادات فإنه لا يريد من الإتحاد السوفياتي شيئاً. لا يريد السلاح حتى ولو قدموه له. ولا يريد التمويل حتى ولو كان الإتحاد السوفياتي في وضع القادر على التمويل. وفي السنتين الماضيتين حاول السوفيات أكثر من مرة انتهاز الفرصة في التقرب من الرئيس السادات ولكنه رفض وابتعد. وهم فعلوا ذلك على أساس أن أي شيء يحصلون عليه في مصر أفضل من لا شيء، ومخافة أن تتطور الأمور إلى حد إقدام الرئيس السادات على قطع العلاقات الدبلوماسية. إن كل ما يستهدفه الرئيس السادات هو تهشيم سمعة الإتحاد السوفياتي والتجريح به وليس الضغط بهدف الحصول على مكاسب. ولو حدث أن الإتحاد السوفياتي عرض على الرئيس السادات الآن سرباً من طائرات "الميج 25" مقابل أن تتحسن العلاقات قليلاً فمن المؤكد أنه سيرفض. إنها حربه ضد السوفيات وهو يقودها بحماسة لا مثيل لها. وفي بعض مجالسه المغلقة يقول إن مهمته هي مطاردة السوفيات في الشرق الأوسط وأفريقيا واصطيادهم كالعصافير حيث يتواجدون.

والى ذلك إن الرئيس السادات ساعد الجماعات الأفغانية المعارضة للحكم الماركسي في أفغانستان من موقع مهمته في التصدي للسوفيات حيث وجدوا. وأنشأ "جامعة الشعوب العربية والإسلامية" لهدفين: أحدهما مقاومة العزلة التي فرضتها الدول العربية والإسلامية عليه. أما الهدف الآخر فهو أن تكون "الجامعة" التي تحارب السوفيات بكل الجاهلية الممكنة وبصرف النظر عن أن الإتحاد السوفياتي دولة تتقاسم مع الولايات المتحدة (التي يرتاح إليها فقط الرئيس السادات ويطمح إلى أن يحذو الآخرون حذوه) وضع قرار حل مشاكل العالم.

وما يفعله الرئيس السادات مع السوفيات - بدءاً من الخطوة التي تمثلت بطرد الخبراء السوفيات وانتهاءً بالخطوة التي تمثلت بإعلانه إلقاء القبض على إثنين من الدبلوماسيين السوفيات العاملين في مصر -

رابعاً: ينظر نظام الرئيس السادات إلى السفارة السوفياتية نظرة أمنية وليس نظرة سياسية، إلى درجة أن هذه السفارة تبدو وكأنها تقع في قطاع جهاز المخابرات وأجهزة وزارة الداخلية لا في قطاع وزارة الخارجية المصرية.

خامساً: يكاد لا يخلو أي خطاب يلقيه الرئيس السادات أو أي حديث صحفي يدلي به، من هجوم على الإتحاد السوفياتي. وفي هذه الخطب والأحاديث تركيز على "الخطر السوفياتي".

كذلك فإنه لا يترك دولة من دول الغرب إلا ويوغر صدرها على الإتحاد السوفياتي، ويعرض عليها تسهيلات عسكرية لمواجهة ما يسميه دائماً "الخطر السوفياتي".

ويحدث أيضاً أنه عندما يستقبل شخصيات أوروبية (أهم شخصية إستقبلها قبل أيام كان وزير الخارجية البريطانية اللورد كارينغتون) يتحدث أمامهم عن الإتحاد السوفياتي بأسلوب عدائي ويستغرب لماذا لا تشاركه هذه الشخصيات النظرة إلى الإتحاد السوفياتي.

سادساً: إن الصحف المصرية ترصد أي نبأ ضد الإتحاد السوفياتي وتنشره بعناوين مسيئة. وعندما قام الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف بزيارته الأخيرة إلى الهند حدث نوع من الإبتهاج في هذه الصحف للتظاهرات التي جرت ضده. وعندما تزايد الموقف تعقيداً في بولندا أبدت هذه الصحف إبتهاجاً مماثلاً واستمرت ترصد التطورات ليس بأمل إلغائها بما يتيح المجال أمام تسوية تسيطر على النهج الماركسي في بولندا، وإنما بأمل أن يحدث صدام عسكري سوفياتي - بولندي وينتهي النهج الماركسي.

سابعاً: لم يتوقف الرئيس السادات مرة عن مهاجمة "الخطر السوفياتي" الجاثم على حدوده. ولم ينظر إلى التسليح العسكري المتقدم الذي حققته الجماهيرية الليبية عن طريق الإتحاد السوفياتي على أنه رغبة من دولة صغيرة تريد أن تحمي نفسها وتجربتها، وإنما على أن السوفيات يريدون من وراء ذلك ضرب نظامه.

والى ذلك إنه في كل هذا لم يأخذ في الاعتبار الموقف الإستقلالي الذي إتخذه نظام العقيد معمر القذافي من الإتحاد السوفياتي. ولم يأخذ في الاعتبار أيضاً أن العقيد القذافي مع إزدهار العلاقات السوفياتية - الليبية لكنه ضد أيديولوجية السوفيات وضد طموحاتهم في المنطقة.

وكان لافتاً للانتباه أن رئيس الأركان المصري دعا

تتفاعل ألقى الرئيس السادات (يوم 29 كانون الثاني/يناير 1977) خطاباً حول الإنتفاضة قال فيه "إن الإتحاد السوفياتي يهاجم السلام الإجتماعي وإن دموية الصراع هي الأساس عنده". وفي اليوم نفسه كان رئيس وزرائه آنذاك ممدوح سالم يقول "إن الإنتفاضة مؤامرة شيوعية وإن هدف الشيوعيين فرض حكم شيوعي".

وليس مصادفة أنه في الذكرى الرابعة لتلك الإنتفاضة يُعلن أن السوفيات يواصلون العمل لتأليب الناس عليه. ومثل هذه التهمة، خصوصاً عندما يكون المتهم هو الإتحاد السوفياتي، جنائية في نظر الرئيس السادات عقوبتها قطع العلاقات.

وتكراراً إن العلاقات مقطوعة، أو إنها على الأقل شبه مقطوعة، بين مصر والإتحاد السوفياتي. وإذا حدث أن الرئيس السادات أعلن شيئاً عن قطع العلاقات فإنه يكون بذلك أعلن حالة شبه قائمة. والمسألة مسألة مزاج شخصي وليست مصلحة دولة في أي حال.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 24 يناير (ك) 1981

* * *

العرب... وجمهورية فرنسا ميتران

قد يجوز القول إن العرب، حكماً وشعباً، تابعوا بإهتمام بالغ إنتخابات الرئاسة الفرنسية وكما لو أن هذه الإنتخابات تبدو في بعض جوانبها وكأنها قضية عربية. فهل هي كذلك؟

وقد تشكل الملاحظات الآتية في مجملها الجواب، أو ما من شأنه أن يوضح بعض المعالم. والملاحظات هي: أولاً، إن عدداً كبيراً من الملوك والرؤساء العرب فوجئوا بسقوط فاليري جيسكار ديستان وفوز فرنسا ميتران لأنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار بعض البدهيات، ومنها إن المواطن الفرنسي صاحب مزاج يختلف عن مزاج المواطن العربي، بمعنى أن الفرنسي لا يتحمل على الإطلاق أن يحكمه شخص أربع عشرة سنة متتالية، وأن الحرية المتاحة له - وغير المتاحة للعربي - تجعله يعبر عن رفضه لمن لا يأخذ هذه البدهية في الاعتبار.

ثانياً، من المستغرب أن الملوك والرؤساء العرب لم يفتحوا قنوات إتصال مع فرنسا - ميتران من قبل، مع أن الرجل لا يتعاطى العمل السياسي في السر، ومع أنه مرشح دائم لرئاسة الجمهورية. وقد يكون السر في عدم

يذكرنا بما حدث في الستينات بين عبد الناصر والأميركان. فقد تدهورت العلاقات إلى حد القطيعة. وتخللت مراحل التدهور إتهامات بالتجسس. وفي كل خطوة خطاها نظام عبد الناصر ضد الأميركيكان كان يحدث في المقابل المزيد من التعزيز للوجود الديبلوماسي والسياسي السوفياتي في مصر. وحتى بعدما تسلّم الرئيس السادات الحكم جاءت فترة أصبح فيها السفير السوفياتي في القاهرة هو الرجل الثاني في النظام المصري، إذا جاز قول ذلك، مثلما هي إلى حد ما حال السفير الأميركي الآن.

ولكن كل ذلك كان مبنياً على الغرض وعلى الهوى وعلى الرغبة في الثأر!

والقصد من هذا القول هو، كما حدث للسوفيات على يديّ الرئيس السادات قد يحدث للأميركان على يديه أو على يديّ من سيخلفه. ومن أجل ذلك فإنه ليس من مصلحة الأميركيكان أن يبتهجوا لأن الوجود السوفياتي في مصر يقترب من درجة الصفر بينما وجودهم يقترب من درجة المئة. فكما أن ما يحدث للسوفيات لا يبدو منطقياً فإن ما يحدث للأميركيين ليس منطقياً على الإطلاق.

ويبقى أمران:

الأول: إن ما يبرر الإفتراض بأن الحالة قد تصل بين الإتحاد السوفياتي ونظام الرئيس السادات إلى درجة القطيعة الكاملة هو أن الرئيس المصري إضافة إلى كل ما سبق أن ذكرناه مقتنع بأن السوفيات يحرضون الشعب المصري عليه، وأن الشخصين اللذين أعلن أنه تم إلقاء القبض عليهما كانا يقومان بحملة تشكيك في أوساط المواطنين ضد النظام.

الثاني: إن الرئيس السادات، مع حلول ذكرى الإنتفاضة الشعبية (18-19 كانون الثاني/يناير 1977) الشهيرة، يجد نفسه ثائراً على الإتحاد السوفياتي ويقول عن السوفيات كلاماً لم يسبق لهم أن سمعوه من قبل.

وعلى رغم أن تلك الإنتفاضة بدأت نتيجة خطأ من الحكومة وتطورت نتيجة أن النفوس معبأة ضد الأحوال السائدة واشتدت بالشكل الذي كاد يُسقط النظام نتيجة سوء تعامل الأجهزة مع تلك الإنتفاضة، إلا أن الرئيس السادات ما زال على ما يبدو مقتنعاً بأن الإتحاد السوفياتي كان وراء تلك الإنتفاضة. وعندما هدأت الإنتفاضة بدأ الرئيس السادات حملة على الإتحاد السوفياتي كان واضحاً لمن تابعها بدقة أن الأمور ستسوء وقد تحدث القطيعة. وعلى سبيل المثال فإنه في مثل هذه الأيام من العام 1977 وكانت آثار الإنتفاضة

الولاية للرئيس ميتران أو حتى التجديد لتجربة الحكم اليساري.

وهذا معناه أن الرئيس ميتران ليس أسير تعقيدات، وأن أمامه مجالاً رَجَباً للعمل بمرونة تقلل من أثر المخاطر عليه. ومن هنا فإن مواقف السابقة ووعوده الكثيرة لإسرائيل، وهي مواقف وعود في معظمها على حساب العرب وضد أمانهم وتمنياتهم، تتطلب الكثير من إعادة النظر. ولكن الذي قد يحول دون ذلك هو أن هذه المواقف وتلك الوعود مرتبطة بقناعات وإيديولوجية واضحة المعالم. وهنا وجه الخطورة، خصوصاً إذا كان الرئيس ميتران سيحكم ضمن إطار تلك القناعات والإيديولوجية.

رابعاً، إن صيغة الدور الفرنسي التي وضع أسسها الجنرال ديغول وتبلورت بشكل جيد في السنوات الخمس الأخيرة من ولاية الرئيس جيسكار ديستان هي الصيغة التي وجدت فيها الدول العربية المقتدرة، أو بعض هذه الدول، الحل للإشكالات والمشاكل الكثيرة، ووجدت فيها فرنسا الحل لإزدهار إقتصادي تتمناه ويحول دون تدفُّور وإفلاسات وبطالة وتراجع في التصنيع العسكري والمدني. وهذه الدول تتمنى أن يواصل الرئيس ميتران العمل بهذه الصيغة، فيلبي لبعض هذه الدول طلباتها من السلاح موفراً عليها أمر الإضطراب للتوجه نحو الإتحاد السوفياتي لهذا الغرض، أو الرضوخ تماماً للإرادة الاميركية، ويلبي للبعض الآخر التقنية والكثير من مستلزمات خطط التنمية والتي لا يطلبها المحتاجون إليها إلا عندما تتأمن طلباتهم من السلاح.

وهذه التلبية أفادت فرنسا في أنها جعلتها تحدث المزيد من التطور في صناعاتها الحربية والمدنية، وجعلت الفرنك يستمر قوياً إلى اللحظة التي بدأت فيها إستقضاءات الرأي العام تأتي لمصلحة ميتران. ثم إهتز الفرنك كما لم يهتز من قبل مع وصول ميتران إلى الحكم.

وإذا كانت برقيات التهئة التي بعث بها الملوك والرؤساء العرب إلى الرئيس ميتران لم تتضمن ما يريدونه منه بوضوح، إلا أن هؤلاء، في معظمهم، قلقون من أن يقدم الرئيس ميتران عل خطوات تتسجم مع قناعاته وإيديولوجيته والعود التي وعد بها إسرائيل.

وقد يجوز القول انه لم يحدث أن ينشط السفراء العرب في باريس من قبل بالشكل الذي نشطوا عليه بعد فوز ميتران وسقوط جيسكار ديستان. ولقد بذل هؤلاء الجهد الكبير، وسعوا كثيراً من أجل إستقراء جيد للخط

فتح هذه القنوات هو أن العرب، حكماً وشعوباً، إعتبروا ان الموقف السياسي الذي إنتهجه الجنرال ديغول بعدما قامت الحرب العربية - الاسرائيلية في الخامس من يونيو/ حزيران 1967 هو الموقف الذي يريدون من فرنسا أن تنتهجه في إستمرار، وأن من يتطلع إلى رئاسة فرنسا مطالب بإنتهاج هذا الموقف.

ولكن ميتران ليس مرشح ظروف أو صدف، وإنما صاحب افكار سياسية، يعرف معظم الحكام العرب أنها تتناقض بعض الشيء مع الموقف الذي يرتاحون إليه، ويعرف هؤلاء أيضاً إن فرص فوز ميتران ليست ضئيلة إلى الحد الذي تجعل هؤلاء لا يكثرثون بأمر فتح القنوات معه.

ولقد بدا معظم الملوك والرؤساء العرب، حتى الساعات القليلة التي سبقت يوم الإنتخاب، في غاية الإطمئنان إلى أن النتيجة ستأتي بالشكل الذي يريهم. بل لعله من الجائز القول أن معظمهم كان ينتظر فقط إعلان فوز فاليري جيسكار ديستان. وتلك كانت حال معظمهم خلال معركة الرئاسة الاميركية قبل بضعة أشهر.

ثالثاً، إن عدم مبادرة العرب إلى فتح قنوات مع ميتران قبل سنوات أو على الأقل قبل أشهر لا يعني بالضرورة ان الجمهورية السادسة ستكون غير ودية مع العالم العربي. ولكن المواقف السابقة التي إتخذها ميتران، وهي حادة نسبياً تجاه القضايا العربية، تجعل حالة عدم الود واردة إذا كان ميتران - الرئيس لن يعيد النظر في

بعض مواقف ميتران - المرشح، وإذا كان لن يأخذ بالإعتبار إن للعالم العربي دوراً أساسياً في قدرة فرنسا، وعلى مدى سنوات، على ممارسة الدور المستقل والقوي في الوقت نفسه.

هل يعيد فرنسوا ميتران - الرئيس النظر في مواقف فرنسوا ميتران - المرشح أم لا؟

من الخطأ الافتراض بأن إعادة النظر التي نعيها تشكل مأزقاً بالنسبة إلى الرئيس ميتران، ذلك أن جمهوريته ستستمر - إذا لم تحدث مفاجآت تحمل في طياتها مكروهاً ما كما حدث للرئيس رونالد ريغان - سبع سنوات. وإذا كانت السنوات السبع التي أمضاها الرئيس فاليري جيسكار ديستان حلت بالكثير من التعثر فأدى ذلك إلى أستحالة التجديد سبع سنوات أخرى، فإن السنوات السبع من الجمهورية السادسة ستحفل بالكثير من التحولات، الأمر الذي سيجعل من المستحيل تجديد

الذي

سينتهجه فرنسوا ميتران - الرئيس. بل إن بعض هؤلاء أبلغه في شكل أو آخر (وتلك معلومة مسنودة إلى مصادر وثيقة الاطلاع في باريس) بعض الرغبات والتمنيات، على أساس أن المسألة في غاية الأهمية بالنسبة لبعض الملوك والرؤساء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرئيس صدام حسين، وهو أكثر القادة العرب الذين إستهدفهم فرنسوا ميتران - المرشح، تعمّد تجاوز الجانب البروتوكولي في برقية التهئة التي بعث بها إلى فرنسوا ميتران الذي فاز بالرئاسة، وأبلغه أمرين أساسيين: الأول هو "تأكيد رغبة العراق في إستمرار وتطوير علاقات الصداقة والتعاون مع فرنسا"، مع التركيز على أن هذه العلاقات "خدمت بكل تأكيد، خلال السنوات الماضية، المصالح الجوهرية والمشروعة لشعبي العراق وفرنسا". أما الأمر الثاني فتمثل بقول الرئيس صدام حسين في برقية التهئة... وأننا توافقون إلى تطوير علاقات التفاهم والتعاون بين الأمة العربية وفرنسا، بما يخدم مصالحها المشتركة، ويسهم في إزالة العدوان والتوتر في منطقتنا ويساعد الشعب العربي الفلسطيني على نيل حقوقه المشروعة التي إعتترف بها وساندها المجتمع الدولي المؤمن بالحرية والعدل. وبما يساهم جدياً في تحقيق السلام والإستقرار في العالم".

خامساً، ان الرئيس جيسكار ديستان لم يعط الحد الأقصى الذي يمكن أن تعطيه فرنسا، ولكنه أعطى الحد المعقول الذي لم يتردد العرب في أن يعطوا بالمقابل الحد الأقصى لفرنسا. ولكي تستمر الحال على ما كانت عليه يفترض بالرئيس فرنسوا ميتران أن لا يضع موضع التنفيذ أفكار وتعهدات فرنسوا ميتران - المرشح.

وكخطوة أولية، يتطلع العرب إلى كلام يقوله ميتران الرئيس ويزيل بعض الشيء القلق، أو بالأحرى، الهواجس الناشئة عن ميتران المرشح. كلام يأتي رداً على برقيات التهئة العربية الكثيرة التي جاء في طيات معظمها ما يشير إلى أن الهواجس العربية كثيرة.

فهل يفعل الرئيس ميتران ذلك، أم أنه لن يتجاوز مسألة أن معظم العرب كانوا حتى لحظة فوزه بالرئاسة يتمنون ألا يفوز، وأنه من أجل ذلك يجب أن يعاملهم بالمثل، وبما لا يجعلهم يشعرون بالإطمئنان؟

إنه إذا أقدم على الخطوة الأولى التي نشير إليها لن يجعل فقط معظم العرب، حكاماً وشعوباً، مرتاحين

ومطمئنين إلى إستمرار فرنسا على مواقفها إزاء العرب، وهي مواقف عادلة في حدها الأدنى، وإنما سيُسقط تمنيات أطراف دولية كالإماني الغربية التي تتطلع إلى أن تشكل مع بريطانيا البديل الغربي للعرب، وكالولايات المتحدة التي تتطلع إلى أن يقود نشوء تناقض حاد في العلاقات العربية - الفرنسية في عهد ميتران، إلى جعل المملكة العربية السعودية تتمسك بالسلاح الأمريكي وبالتقنية: الأميركية، ولا تعلق آمالاً كثيرة على البديل الفرنسي، وكالاتحاد السوفياتي الذي خسر كثيراً عندما أصبحت فرنسا، على مدى سنوات، تشكل بديلاً له على صعيد التسليح، وهو بديل بدا أنه مهم وقابل دائماً للتطور السريع.

وتبقى حقيقة، وهي أنه حتى قبل الإنتخابات الأخيرة لم يكن واضحاً أن الوضع الفرنسي يشكل قضية أو ما يشبه القضية بالنسبة إلى معظم العرب حكاماً وشعوباً. لعل وعسى يأخذ ذلك في الإعتبار الرئيس فرنسوا ميتران، فيعزز العلاقة بدل أن يساهم في حدوث حالات من فك الارتباط يخسر من جرائها العرب قليلاً، وتخسر فرنسا كثيراً.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 23 مايو (أيار) 1981

* * *

بادرة ميتران نحو العرب

ما دام الرئيس فرنسوا ميتران في صدد إتخاذ بادرة ودية تجاه الدول العربية، فمعنى ذلك أن العلاقات العربية - الفرنسية ستكون بخير. لكن التنبؤ والمزيد من التنبؤ، ضروري جداً، كي لا يحدث ما من شأنه تشكيل مخاطر على هذه البادرة.

والبادرة التي نشير إليها هي ما أعلنه قبل أيام وزير الخارجية الفرنسية كلود شيسون من أن الرئيس ميتران سيوفد مبعوثين إلى الدول العربية، وإن الحكومة الفرنسية تعترم إحترام جميع التعهدات السياسية والتجارية بما فيها العقود الخاصة بالأسلحة، التي أخذتها فرنسا على عاتقها قبل إنتخاب الرئيس ميتران.

واللافت للنظر أن الإعلان عن هذه البادرة لم يتأخر، ذلك أنه بعد أيام قليلة من تسلّم الرئيس ميتران منصبه وتشكيل حكومة إنتقالية، جرى الإعلان عن البادرة. وقبل هذا الإعلان كانت المواقف العربية قد تحسّبت

تماماً وبات المطلوب من الرئيس ميتران الرد على الملوك والرؤساء العرب الذين أبرقوا إليه مهنئين وأرفقوا عبارات التهنية ببعض التمنيات التي هي في واقع الحال مطالب ومواقف .

وقد يجوز القول إنها من المرات القلائل التي تكون فيها برقيات التهنية عبارة عن مطالب ومواقف أكثر منها عبارات ترحيب. كذلك قد يجوز القول إن الرئيس ميتران وجد نفسه بدلاً من أن يتصرف بالمثل، يرد على البرقيات بالأسلوب البروتوكولي وهو يطلب بعد ذلك من وزير خارجيته الإعلان عن البادرة التي تقضي بإيفاد مبعوثين من الرئيس الفرنسي إلى الدول العربية. وفي التصريح الذي أدلى به الوزير فقرة تشير إلى أن المبعوثين سيتوزعون على جميع الدول العربية وليس على دولة دون أخرى، أو مجموعة دون أخرى. وهذا يدل على عمق إنتشار مصالح فرنسا مع العرب على جميع الأصعدة العسكرية والاقتصادية والتقنية.

وهذه الخطوة تشكل في حد ذاتها تقليداً بقدر ما أنه سيفيد إدارة الرئيس ميتران، بالقدر نفسه سيجعل الدول العربية أكثر إطمئناناً لفرنسا وأكثر إرتياحاً لها. ومن المؤكد أن مبعوثي ميتران سيجدون أن المهمة التي سيقومون بها من أكثر المهمات يسراً، هذا إذا كان إختيار العناصر مدروساً بحيث لا يفسد المبعوثون مهمتهم ببعض الأفكار حول طبيعة الصراع العربي - الإسرائيلي، وبحيث يتصرفون مع الملوك والرؤساء العرب الذين سيقابلونهم، على أساس أنهم مبعوثو فرنسو ميتران الرئيس وليس فرنسو ميتران المرشح بما رافق الترشيح من علامات إستفهام ومواقف لا يرتاح إليها العرب تماماً. بل إن هؤلاء المبعوثين قد يلقون من الملوك والرؤساء والمبعوثين العرب الذين سيجتمعون إليهم ما لم يلقه من قبل مبعوث أو مبعوثون دوليون زاروا المنطقة العربية.

وإذا حدث أن أوفد الرئيس ميتران المبعوث الذي يشارك في صناعة القرار (وزير الخارجية على سبيل المثال) بدلاً من المبعوثين الذين تقف صلاحياتهم عند أمر الإستقصاء، فإن ذلك سيؤخر الكثير من الوقت مع الأخذ بالإعتبار أن مسيرة التعامل بين فرنسا والعرب إقتصاديًا وعسكريًا لم تتأثر حتى الآن ولكن المخاوف كثيرة من إحتمال تأثرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الأطراف العربية لم تؤرّم الأمر حتى الآن تاركة للرئيس ميتران أن يضع الخطوط العريضة لأسلوب التعامل. وبقدر ما أن هذه الأطراف

في عجلة من الأمر لمعرفة نوعية الوفود بالقدر نفسه يبدو الرئيس ميتران مطالباً هو الآخر بتخطيط معالم ذلك الأسلوب على أساس أن التطورات التي تشهدها المنطقة العربية تحتاج إلى حضور فرنسي يكون أكثر قدرة على المشاركة في إستنباط صيغة حل ما للأسباب الناشئة عن تلك التطورات. من المهم جداً أن لا يسقط الرئيس ميتران من الحساب أمراً يعلق عليه بعض العرب أهمية قصوى وهو مسألة إشراك الشيوعيين في الحُكم فضلاً عن موضوع التأميمات المنتظرة. وهم في هذا الصدد لا ينظرون إلى الأمر على أنه قضية داخلية تخص فرنسا وإنما يعتبرون أنفسهم طرفاً فيها إلى حد ما. ومن المؤكد أن الجنرال جاك ميتران (شقيق الرئيس) وجد نفسه وهو يتحادث مع المسؤولين السعوديين أمام أسئلة وإستفسارات حول الأمر المشار إليه. ولقد شعر هؤلاء بأنهم يستطيعون مع جاك ميتران أن يبحثوا ويستفسروا عن كل شيء على أساس أنهم أمام شقيق الرئيس الفرنسي لا مجرد مبعوث. وقد يجوز الإفتراض هنا أن الرئيس ميتران أراد أن يسمع من المسؤولين السعوديين كل شيء فإختار أن يقوم شقيقه بهذه المهمة. ولو أن المبعوث كان شخصاً آخر لما كان، على الأرجح، حظي بالإهتمام الذي حظي به جاك ميتران الذي لم يبدأ مهمته من القاعدة إلى القمة وإنما وجد أبواب الذين في القمة تُفتح له. كذلك قد يجوز الإفتراض أن رسالة الرئيس ميتران إلى الملك خالد كانت رسالة لياقات. وأن الأمر الأساسي والمهم هو الحديث الذي جرى بين الشقيقين الملك خالد ووليّ عهده الأمير فهد وبين شقيق الرئيس الفرنسي. ومضمون هذا الحديث لم يصل إلى الرئيس ميتران في رسالة جوابية وإنما من خلال جولة رحبة في الأفق عرّضها الشقيق على شقيقه. ولأن الشقيق (جاك ميتران) جنرال من جهة وفائز في شركته - وضمن أصول المناقشة الشرعية التجارية - بعقد قيمته 134 مليون دولار لتنفيذ مشروع القمر الصناعي العربي وهو ما كانت تسعى شركة أميركية لتحصل عليه، فإنه سيكون أميناً جداً في نقل التصورات السعودية لشقيقه الرئيس وقد يضيف عليها تقديرات وتصورات. وهو قد يكون أوضح للمسؤولين السعوديين أن أمر إشراك الشيوعيين في الحُكم والتأميمات ليس ذلك الأمر المُلح وأنه وارد إنما في سياق برامج الرئيس ميتران وليس في ذلك الأولوية على الإطلاق.

ويبقى أن محصلة التشاور الفرنسي - السعودي، وفي إنتظار بعثة التشاور العربي - الفرنسي، فضلاً عن

بعض الملاحظات التي سبق أن دُونها ميتران في أعقاب زيارته للجزائر عام 1978 قد تفيد في توضيح شكل العلاقة الفرنسية - العربية مستقبلاً، خصوصاً أن الرئيس ميتران هو الآن في صدد رسم ملامح هذه العلاقة .

وقد يجوز القول إن الجزائر تستطيع طبعاً الكثير في هذا الشأن، فهي الدولة العربية الوحيدة التي كانت علاقاتها حتى لحظة سقوط فاليري جيسكار ديستان أكثر من جيدة مع فرنسوا ميتران. وإكتسبت العلاقة أهمية قصوى بعد زيارة ميتران للجزائر وإجتماعه بالرئيس هواري بومدين ومناقشاته الرحبة مع مسؤولي جبهة التحرير . وعلى هذا الأساس فليس مستغرباً أن من أولى برقيات التهئة العربية التي تلقاها الرئيس ميتران كانت من الرئيس الشاذلي بن جديد وهي برقية تحاشى الرئيس الجزائري أن تبقى محتوياتها في منأى عما يمكن أن يحرج الرئيس الفرنسي، على أمل أن يؤدي ذلك إلى دفعه لفهم الموقف العربي. وفي البرقية بدا واضحاً تماماً أن الرئيس الشاذلي يطالب الرئيس ميتران بـ "تدعيم الثقة والتفاهم" لأن في ذلك ما من شأنه "أن يساهم في بعث سلام وأمن لجميع شعوب المنطقة وبالتالي يساعد على إقامة تعاون دولي من أجل عالم أكثر عدلاً وأكثر تضامناً".

يبقى أيضاً أن نوعاً من التنسيق بين الدول العربية إزاء أسلوب التعاون مع جمهورية ميتران، يبدو ضرورياً، تنسيق قبل المبادرة وتنسيق بعد المبادرة. ففي التنسيق قوة. وكلما لاحظ الرئيس ميتران أن الموقف العربي موحد، وجد نفسه يقترب منه.

هل يحدث ذلك؟

إننا نتمنى.

مجلة "المستقبل". باريس- السبت 6 يونيو (حزيران) 1981

* * *

ماذا فعل بن جديد في موسكو؟

على رغم ان زيارة الشاذلي بن جديد إلى الإتحاد السوفياتي (بدأت يوم الإثنين 8 يونيو/ حزيران 1981 وإستغرقت ثلاثة أيام) مبرمجة من العام الماضي إلا أنها، نتيجة للتطورات المثيرة التي تحدث في العالم الثالث عموماً، وهي تطورات ناشئة عن حالة التوتر السائدة في العالم، بدت كما لو أنها زيارة مفاجئة قام بها

الرئيس الجزائري إلى موسكو.

ولقد إعتدنا على مدى ربع قرن من التعامل العربي - السوفياتي، أن نقيس نجاح أي لقاء بين قائد عربي والقيادة السوفياتية على مدى ما يحصل عليه الطرف العربي من سلاح سوفياتي، ولكن الرئيس الشاذلي لم يذهب إلى موسكو ليطلب سلاحاً ولم يصطحب معه مستشارين عسكريين لكي يمكن إعتبار هؤلاء بمثابة مؤشر إلى موضوع التسليح. علماً بأن الرئيس هو في الأصل قائد عسكري، وهو بعدما تسلم الرئاسة بات القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهذا معناه أنه الأكثر معرفة بإحتياجات جيش الجزائر والأكثر قدرة على البت وعلى إتخاذ القرار عند الضرورة.

وإذا كان الرئيس الشاذلي لم يذهب إلى موسكو ليطلب السلاح فما هو الهدف من زيارته إذن؟ وهل هي حلقة في مسلسل زيارات القادة العرب الذين تجمعهم بالإتحاد السوفياتي علاقات ذات تميز؟

إن الكتابة في العادة عن نتائج الزيارات التي يقوم بها حكام ومسؤولون من دول العالم الثالث إلى الإتحاد السوفياتي لا تعطي صورة واضحة عن حقيقة ما جرى وما تم الاتفاق عليه خلال المحادثات، وذلك ناشئ عن السرية التي يحرص عليها الجانبان. في حين أن الصورة تبدو أكثر وضوحاً عندما يكون الزائر مسؤولاً أميركياً أو من إحدى الدول الأوروبية، وذلك ناشئ عن أن السرية لدى الجانب الأميركي أو الأوروبي ذات مفهوم يتناقض تماماً مع المفهوم السوفياتي. وبسبب هذا التناقض يصبح من السهل الوقوف (وطبعاً من الطرف غير السوفياتي) على بعض ما من شأنه أن يعطي صورة عما جرى في المحادثات واللقاءات.

ولكي لا نغوص في أمر هذه الظاهرة فإننا نكتفي بتسجيل بضع نقاط في الأسطر الآتية من شأنها مجتمعة أن تشكل بعض مقومات الجواب عن السؤال الأساسي:

ماذا فعل الرئيس الشاذلي بن جديد في موسكو؟

والنقاط التي نحن في صدها هي:

أولاً: على رغم أن الشاذلي بن جديد كان قبل أن يتسلم منصبه القيادية في الجزائر (قيادة الحزب وقيادة الدولة) شريكاً في صناعة القرارات الكبرى، فإنه بعدما تسلم القيادة وجد أن إطلالة ميدانية من جانبه على القوى والدول والقضايا التي ترتبط الجزائر بها في شكل أو آخر تبدو ضرورية. من هنا جاءت جولته الحربية ثم جولته الأفريقية التي كانت الأولى من نوعها يقوم بها

حاكم عربي بإستثناء الرئيس جعفر النميري. ومن هنا أيضاً جاءت زيارته إلى الإتحاد السوفياتي. وأهمية هذه الزيارة انها جاءت قبل زيارته الأوروبية فضلاً عن أنها بمثابة رد على جهات كثيرة لا تزال تواصل التردد بأن الشاذلي بن جديد سينقلب يميناً وأنه بعد نجاح الجزائر في موضوع إفراج إيران عن الرهائن الأميركيين بات الطريق ممهداً أمام الإتحاد يميناً.

ثانياً: في الإطار نفسه نتحدث تلك الجهات عن العلاقة الإقتصادية المزدهرة بين الجزائر والولايات المتحدة من دون أن تأخذ هذه الجهات بالإعتبار أن ميزان التبادل التجاري الجزائري - الأمريكي هو في إستمرار لمصلحة الجزائر. وان ميزان التبادل الجزائري - السوفياتي هو لمصلحة السوفيات.

ولقد كانت الزيارة مناسبة للتشاور في هذا الخلل وقد أدى التشاور إلى التفاهم على زيادة حجم التبادل التجاري وتوسيع مجالات التعاون الفني. وفي هذا الإطار أيضاً لاحظت القيادة السوفياتية أن الرئيس الشاذلي حرص على أن يكون المصنع الوحيد الذي يريد زيارته هو مصنعاً للمباني الجاهزة. وقد زار المصنع بالفعل. وطلب أن يشاهد بعض المباني التي شُيِّدت من إنتاج هذا المصنع. فرتبوا له زيارة حي كامل من المباني الجاهزة. وكأنما الرئيس الشاذلي، وبأسلوب الإيماءات الذي يتقنه، أراد أن يقول للسوفيات: هل نتعاون في هذا المجال خصوصاً أننا نعاني في الجزائر من أزمة سكن.

هنا تجدر الإشارة إلى أن إعادة بناء مدينة الأصنام إكسبت الفنيين الجزائريين خبرة في موضوع بناء المساكن الجاهزة. وأن الرئيس الشاذلي لمس ذلك حسب التقارير التي رفعها هؤلاء إليه.

ثالثاً: لوحظ أن القادة السوفيات كانوا ممتنين للرئيس الشاذلي أنه ذكر بالخير وفي خطاب علني خلال زيارته الخبراء السوفيات الذين عملوا في برامج وخطط التنمية في الجزائر. من دون أن ينسى أولئك الخبراء الذين قضوا هم ينزعون الألغام التي سبق أن زرعتها فرنسا. وموضوع الخبراء بالذات لا يخلو من حساسية بعد الذي فعله الرئيس أنور السادات بالخبراء السوفيات، فضلاً عن الحملة الشرسة التي يشنها الإعلام الغربي ضد الخبراء السوفيات في المنطقة العربية ودول العالم الثالث عموماً. وكيف يركز على أن دورهم سلبي تاركاً المجال رجباً أمام قطاعات عريضة من الرأي العام في هذه الدول لكي تصدق ذلك.

رابعاً: يبدو أن القيادة السوفياتية كانت تحتاج إلى

معرفة الرئيس الشاذلي بن جديد عن قُرب وليس عبر تقارير السفارة السوفياتية في الجزائر أو فريق الخبراء في شؤون دول المغرب العربي في الأكاديمية السوفياتية. وعندما أبدى القادة السوفيات رغبتهم في أن يمدد الرئيس الشاذلي زيارته ويقوم بزيارة جمهوريات أخرى في الإتحاد السوفياتي، فإنما كانوا يريدون من وراء ذلك معرفة الرجل أكثر وأكثر.

وتشاء الصدفة أن زيارة الرئيس الشاذلي حدثت بعدما كان إثنان من القيادة السوفياتية سبق لهما أن زارا الجزائر، قد غابا كل في ظرف مختلف، وهما نيقولا بودغورني الذي أقصي عن الحكم والكسي كوسيغين الذي توفي بعد مرض إشتدت وطأته.

ولو أن الزيارة تمت والقيادة السوفياتية على ما كانت عليه في الماضي، لكان الرئيس الشاذلي وجد في "الترويك" إثنين سبق لهما أن زارا الجزائر. وهو أمر يقرب أحياناً المسافات بين الحكام.

وفي إطار الحديث حول رغبة القيادة السوفياتية في أن تعرف الرئيس الشاذلي عن قرب يمكن الافتراض بأن تلك القيادة وجدت نفسها بعد التحادث المطول مع الرئيس الشاذلي، وبعد وضع خطوط تحت عبارات صدرت عنه أنها أمام قائد يتحرك من موقع الثقة الكاملة بالنفس لا يشكو من عقدة الماركسية ولا يخاف من أن يُتهم بالشيوعية وإيمانه كبير بسياسة عدم الإنحياز. كذلك وجدت القيادة السوفياتية نفسها أمام قائد بقدر ما هو حريص على علاقات وطيدة مع الإتحاد السوفياتي بالقدر نفسه يرى أن تسير العلاقات في خط متوازن بحيث لا يكون الإفراط في رفع درجة إزدهارها سبباً يقلق الجيران والأبعد قليلاً أو كثيراً، خصوصاً أن القلق يقود مع الوقت إلى حالات من التوتر.

وإلى ذلك فإن القيادة السوفياتية لاحظت ولا شك مدى حساسية الرئيس الشاذلي من بعض الادوار السوفياتية الخارجية. وبالذات، ذلك الدور الذي قام به السوفيات في أفغانستان والذي يبدو في بعض الملامح والممارسات كما لو أنه دور إحتلالي أو على الأقل تدخل حاد في الشؤون الداخلية لدولة أخرى.

ولكن على رغم حساسية الرئيس الشاذلي من هذه الأدوار التي أشرنا إليها فإنه لم يشارك في شكل أو آخر في حملة التجريح ضد الدور السوفياتي في أفغانستان. ومثل هذا الأمر كان موضع تقدير القيادة السوفياتية. والتعبير عن التقدير عند السوفيات يكون بالإكثار من الإحترام أولاً وإبداء الإستعداد لتنفيذ الطلبات عندما تكون

هنالك طلبات لدى الضيف الزائر ثانياً. وعدم التباطؤ بالتنفيذ بعد ذلك.. ثالثاً.

لكن عدم المشاركة في حملة التجريح ليس معناه أن لا يكون هنالك موقف ما من الأمر. ومن هنا نلاحظ جِرس الرئيس الشاذلي على أن يسجل الموقف المراد تسجيله وفي عقر الدار السوفياتية. وبالتحديد، في الخطاب الذي ألقاه في حفلة أقامها القادة السوفيات لتكريم ضيفهم الجزائري. وفي هذا الخطاب قال الرئيس الشاذلي: "ان السمات التي تتميز بها علاقاتنا في جميع الميادين وإحترام مبادئ المساواة والفوائد المتبادلة التي تقوم عليها تلك العلاقات. وعدم التدخل في الشؤون الداخلية التي تتميز بها، كل هذا يمثل صورة لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الدول...". وهذه العبارة وبالذات ما يشير إلى التدخل في الشؤون الداخلية لها عند القادة السوفيات مفهومين. فهي إذا صدرت من موقع النية الطيبة تبدو مسموعة ومقبولة، أما إذا صدرت من موقع النية غير الطيبة فإنها تبدو نوعاً من الإستفزاز، والسوفيات قوم ليس من الحكمة إستفزازهم وهم سمعوا العبارة وقبلوها على أساس أنها صادرة من موقع النية الطيبة.

ويبقى أن ما نكتبه عن هذه الزيارة هو نوع من الإستنتاج المستند إلى القليل من المعلومات والكثير من التصريحات والمواقف المعلنة. لكن ذلك لا يعطي صورة كاملة للوضوح عما حدث بين القيادة السوفياتية والرئيس الجزائري خصوصاً أن السوفيات كانوا شديدي الإهتمام بالتحليل الذي عرضه الرئيس الشاذلي للوضع السائد في أفريقيا وللمشكلة اللبنانية.

مجلة "المستقبل" باريس - السبت 27 يونيو (حزيران) 1981

هيغ وإهانات بيغن!

كشفت صحيفة واشنطن بوست عن واقعة حدثت الأسبوع الماضي ولها أكثر من معنى. وخلاصة هذه الواقعة أن وزير الخارجية الأميركية الكسندر هيغ أثار غضب مناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل لأنه طلب منه أن تستشير إسرائيل الولايات المتحدة مستقبلاً قبل أن تستخدم السلاح الأميركي في عمليات شبيهة بعملية الهجوم على المفاعل النووي العراقي في 7 يونيو (حزيران) الماضي ...

وتضيف رواية الصحيفة الأميركية حول تلك الواقعة: أن رد بيغن كان عاصفاً للغاية إلى درجة أن هيغ جمع من كل مكاتب وزارته كل البرقيات الواردة من إسرائيل بخصوص هذا الموضوع. حول هذه الواقعة يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً- إن الواقعة ليست مكتملة وقد تكون المصادر التي سُربت الواقعة إلى الصحيفة أعطتها وثائق ونصوص أحاديث ولكن الصحيفة جُرساً على هيئة وزير خارجية الولايات المتحدة إكتفت بنشر نبأ مختصر حول الذي جرى بين هيغ وبيغن تاركة لقارئها أن يتصور نوعية العبارات التي تضمنها الأخذ والرد وهي عبارات مؤذية في أي حال للطرف الذي إعترض، ونعني به وزير خارجية الولايات المتحدة.

ثانياً- الجديد في الأمر ليس أن بيغن أسمع وزير الخارجية الأميركية كلاماً قاسياً أو في منتهى القساوة، وأنه صار معروفاً أن أسلوب بيغن في التعامل السياسي يقوم على إعتقاد المخاطبة بكلام صلف. هكذا تعامل مع الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان. وهكذا تعامل مع مستشار ألمانيا الغربية هلموت شميت. وهكذا تعامل مع الرئيس الفرنسي الحالي فرنسو ميتران. وهكذا تعامل مع وزير الخارجية البريطانية اللورد كارينغتون. لكن الجديد في الأمر هو أن بيغن لا يتورع حتى عن إعتقاد الأسلوب نفسه مع المسؤولين الأميركيين الذين يشغلون مناصب متقدمة.

ثالثاً- إستنادا إلى ما نشرته الصحيفة الأميركية حول الواقعة التي نحن بصددتها فإن بيغن تناول على هيغ، على رغم أن وزير الخارجية الأميركية لم يسجل إعتراضاً حاداً على قصف المفاعل النووي العراقي وإنما طلب أن تستشير إسرائيل الولايات المتحدة مستقبلاً قبل إستخدام السلاح الأميركي في عمليات مشابهة. وقد يجوز الإفتراض أن بيغن - وإستناداً إلى عقلية وأسلوب تعامله مع الآخرين - أراد أن يقول للوزير الأميركي ما معناه أن أحداً قبلك لم يطلب ذلك حتى تطلب أنت. أو أن ما كنتم تطلبونه من رؤساء حكومات إسرائيل قبلي لا يمكن أن تطلبوه مني.

لذلك قد يجوز الإفتراض أن بيغن تعمد تأزيم الوضع مع هيغ، على أساس أن مخططه هو القيام مستقبلاً بعمليات أخرى مشابهة لعملية المفاعل النووي العراقي، وأن العلاقات بين الولايات المتحدة والدول التي ستنتم فيها العمليات الإسرائيلية العدوانية من النوع الذي يقلق الإدارة الأميركية ويزعجها. وإذا إرتضى بيغن الآن مبدأ

الإستشارة فمعنى ذلك أن تلك العمليات لن تتم، لأن الولايات المتحدة ولظروف ومصالح خاصة ستجهد هذه العمليات بشكل أو بآخر .

رابعاً- لو أن حاكماً عربياً ترتبط بلاده بعلاقات مالية مع الولايات المتحدة، تعامل مع وزير الخارجية بالأسلوب الذي يعتمد عليه منحيم بيغن لكانت قامت قيامه الإدارة الأميركية وصدرت التوجيهات إلى الأجهزة الأميركية المختصة لإغلاق هذا الحاكم والإستمرار في إغلاقه حتى سقوطه.

وفي السنين الماضية دُرِّجَت الإدارة الأميركية على معاقبة الموظف الذي تعترض إسرائيل على مسلكه. وهذا على الأقل ما حدث مع اندرو يونغ، المندوب الأميركي لدى الأمم المتحدة. فهل أن إعتراض بيغن على ما طلبه وزير الخارجية الأميركية سيقود مع الوقت إلى أن إدارة الرئيس ريغان ستستغني عن هيغ؟ وطرح مثل هذا السؤال يستند إلى بعض الحقائق والبيدييات ومنها أن عقلية وإرتباطات هيغ فضلاً عن ماضيه العسكري لا تجيز له تقبل ملاحظات حادة من رئيس وزراء إسرائيل. ومنها أن هيغ، بعدما نشرت صحيفة "واشنطن بوست"، أصبح في وضع لا يجوز له التسليم به تجاه أركان الخارجية الأميركية وتجاه سفراء أميركا في إسرائيل والدول العربية. وإذا كان من السهل على هيغ أن يتحمل ملاحظات حادة يقولها له رئيس وزراء إسرائيل فمعنى ذلك أن سفير الولايات المتحدة في إسرائيل لن يكون في وسعه أن يعترض بعد على أمور من الضروري أن يعترض عليها. وأن سفراء الولايات المتحدة لدى الدول العربية لن يتمكنوا بسهولة من مواجهة التحرك في دائرة الهالة التقليدية ما دام رئيسهم (أي وزير الخارجية الكسندر هيغ) يعامل من جانب رئيس وزراء إسرائيل كما لو أنه وزير خارجية هندوراس مثلاً وليس وزير خارجية الدولة العظمى الأولى في العالم.

خامساً- إن الذي يجعل بيغن يتناول على هيغ بالشكل الذي تناول به موحياً بأن هيغ مجرد موظف هو أن الإدارة الأميركية إرتضت في الماضي معاقبة الموظفين والمسؤولين الذين تحتج عليهم إسرائيل في حين أنها لو لم تفعل ذلك لكان حدث نوع من التريث لدى إسرائيل .

وعندما يتذكر بيغن في اللحظة التي طلب بها هيغ الإستشارة قبل القيام بعملية عدوانية من نوع عملية المفاعل النووي العراقي، أن كارتر تخطى، بسبب

إعتراض إسرائيل، عن واحد من أصدقائه العديدين والمقربين وهو أندرو يونغ، فلماذا لا يُسمع هيغ، وهو يطلب الإستشارة، كلاماً من النوع القاسي تاركاً تفسير بقية علاقات سيناريو العقاب للرئيس ريغان الذي تربطه بهيغ صداقة من نوع الصداقة التي كانت تربط كارتر باندرو يونغ .

ويبقى إننا بعد هذا كله نصل إلى حقيقة بالغة المروءة وهي أن ما قاله بيغن لوزير الخارجية الأميركية هو ما كنا نتمنى أن يقوله - في صيغة أخرى - بعض الحكام العرب بعد حدوث الغارة الإسرائيلية على المفاعل النووي العراقي بطائرات أميركية متطورة.

ولكن المجال متاح بإستمرار للقول وللعمل أيضاً.

صحيفة "المستقبل" - 18 يوليو (تموز) 1981

الضمانات بدلاً من التعهد

إعتاد العرب في السنوات القليلة الماضية سماع بعض الأصوات الأميركية العادلة. وبين الحين والآخر كانت هناك شخصيات أميركية تسجل موقفاً يبدو في بعض جوانبه لمصلحة العرب.

وهذه المواقف كانت تصدر في معظمها عن شخصيات سبق لها أن شغلت مناصب رسمية في الإدارة الأميركية. وأكثر هؤلاء كانوا من السفراء.

ولكن هذه الأصوات لم تكن تصدر في الوقت المناسب الذي يفيد العرب. ذلك أن اصحابها يسجلون بعض المواقف في مصلحة التعاون مع العرب ولمصلحة القضية الفلسطينية بعد أن يكونوا تركوا العمل الرسمي وإنتقلوا إلى العمل الخاص. وفي ميادين العمل الخاص يسجل بعضهم تلك المواقف أملاً في الحصول على مشاريع في الدول العربية للشركات التي يتعاملون معها. أما الباقون فإنهم يسجلون هذه المواقف عن قناعات. ولو كان في إستطاعتهم تسجيلها وهم في الموقع الرسمي لكانوا فعلوا ذلك.

والملاحظ أن معظم الذين سجّلوا مواقف لمصلحة العرب والقضية الفلسطينية هم من الذين عملوا كسفراء للولايات المتحدة في بعض الدول العربية أو أنهم من الذين عملوا في الخارجية الأميركية ..

وكان من شأن بعض المواقف أن تشكّل تحولاً في الأسلوب الأميركي الذي يعتمد بعض المبعوثين أو

حتى بعض وزراء الخارجية، لو أنها قيلت في حينها. لكن ذلك لم يحدث. ومن الطبيعي ألا يحدث لأن معنى حدوثه أن يجعل صاحب الموقف نفسه عرضة للتشهير الصهيوني به. وليس غائباً عن الذاكرة ما حدث على سبيل المثال لمندوب الولايات المتحدة في الأمم المتحدة اندرو بونغ لأنه عقد إجتماعاً مع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية زهدي الطرزي في منزل مندوب الكويت (آنذاك) عبدالله بشاره ..

ولكن عدم إقدام هؤلاء على تسجيل مواقف بشكل علني لا يعني - خصوصاً إذا كانوا من السفراء - أنهم لم يسجلوا تلك المواقف في شكل أو آخر. ولعل المواقف التي سجلها على سبيل المثال هيرمان ايلتس الذي عمل سفيراً للولايات المتحدة في القاهرة في الفترة التي قام فيها الرئيس أنور السادات بتحويلات أساسية في اتجاه أميركا إلى أن وصلت إلى إتفاقات كامب دافيد... لعل المواقف التي سجلها السفير ايلتس هي الدليل على أن ما تراه الدبلوماسية الأميركية وهي في واشنطن وتحت تأثير الضغط الصهيوني هو غير ما تراه هذه الدبلوماسية عندما تكون على أرض الواقع.

ولولا أن السفير ايلتس كشف عن بعض مواقفه بعدما كان ترك العمل الرسمي لما كان في إستطاعة أحد أن يلاحظ أن سفير أميركا لدى مصر المطلوب منه تنفيذ إتفاقات كامب دافيد غير مقتنع ما فيه الكفاية بجدي هذه الإتفاقات. بل أن كثيرين من المسؤولين المصريين عقدت الدهشة ألسنتهم بعدما عرفوا بشكل أو آخر أن السفير ايلتس لم يكن من المؤيدين لإتفاقات كامب دافيد بنسبة تأييد الرئيس السادات لها. أما المسؤولون الإسرائيليون فإنهم كانوا يعرفون، ومن خلال عناصرهم وعيونهم الساهرة في الخارجية الأميركية، بأمر مواقف السفير ايلتس، وهي العيون التي تقرأ تقارير السفراء وبرقياتهم وتسحب صوراً عن بعضها.

وصحيح أن اصحاب هذه المواقف لن يجعلوا الإدارة الأميركية تعيد النظر في خطوات وأفكار ومشاريع طرحتها وتتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي، إلا أنهم كانوا، إذا جاز القول، أداة تشويش. وأمكنهم إرباك الفريق الذي أوكلت إليه الإدارة أمر وضع الأفكار والمشاريع. ومناسبة هذا الكلام إتفاق وقف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية الذي سيبقى في إستمرار، منذ اللحظة التي تم فيها توقيعه وحتى إشعار آخر محور قرارات كبرى ستتخذ أو خطوات سيتم التفاهم في شأنها فضلاً عن أنه سيكون في إستمرار محور أي كتابات

وتحليلات حول أزمة الشرق الأوسط...

إن بعض الجوانب المهمة في هذا الإتفاق هي أنه سيجعل سيف الصهيونية المسلط على بعض الرؤوس في الولايات المتحدة أقل فعالية. وسيحمل كثيرين من الأميركيين الذين لهم تحفظات على إسرائيل وعلى طبيعة التعامل الأميركي - الإسرائيلي أن يقولوا في شكل أو آخر كلاماً من نوع الكلام الذي كان لا يقال في السابق. وإذا جاز القول فإن ما قاله الرئيس الأميركي الأسبق جيرالد فورد بعد حوالى أسبوع من إتفاق وقف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية ما كان ليقوله لولا أن الجو العام الذي أحدثه الإتفاق يحثه على ذلك. ولكن فورد الذي سلّم مقاليد الحكم إلى جيمي كارتر وجد نفسه يقول في برنامج تلفزيوني - ومن دون أن يحسب حساباً للمواقف - كلاماً يبدو إلى حد ما في مصلحة العرب والقضية الفلسطينية. وعلى رغم أن هذا الكلام ليس ضد إسرائيل في شيء، إلا أن مجرد حديثه عن الإتفاق كان سيعني في نظر إسرائيل أنه موجّه ضدها.

ولو قلنا كل ما قاله فورد أو قال بعضه يوم كان رئيساً لأميركا، أو أتاح الفرصة أمام كثيرين لكي ينوبوا عنه في التعبير لكانت الحال أفضل بكثير، لكن فورد الذي أصبح رئيساً لأميركا عن طريق الصدفة تصرف كما يتصرف كل المتطوعين إلى رئاسة أميركا وهؤلاء يؤثرون الصمت على جرائم إسرائيل وحماقاتها ولا يقولون كلمة حق في القضية الفلسطينية إلا إذا كانت من نوع كلمة الحق التي يراد بها باطل. وعندما وجد فورد أن أمر الإستمرار في الحكم بالإختيار الشعبي ليس في سهولة تسلّم الحكم بطريق الصدفة لم يعد يثير التطلعات إلى أعلى.. لكنه أثر الصمت، ثم جاء وقف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية ليجعل الرئيس الأسبق أكثر رغبة في أن يقول كلاماً مخزوناً في صدره يعزز فيه من جهة وضعه في ميدان العمل الخاص (العرب طرف في عمل ما في شكل أو آخر) ويعزز فيه من جهة ثانية، وضع إدارة صديقه الرئيس رونالد ريغان التي تستطيع أن تتباهى بأنها حققت شيئاً على طريق إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط، مع الأخذ بعين الإعتبار أن المسافة التي تفصل بين الذي قدمته هذه الإدارة وبين ما يفترض منها أن تقدمه، شاسعة جداً.

وقبل إتفاق وقف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية لم يكن من السهل على صحف أميركية ذات تأثير كبير كصحيفة "واشنطن بوست" مثلاً أن تدعو (حدث ذلك بعد أيام قليلة من إعلان الإتفاق) الإدارة

إتفاق وقّف إطلاق النار، في حين أنها الطرف الذي يقع على عاتقه أمر حسم هذا الإتفاق من الإنتكاسات. من هنا تجوز مطالبة الإدارة الأميركية بإعتبار ذلك التعهد لاغياً علماً بأنه يمكن، من باب الإجتهاد، الإعتبار بأن التعهد ألغي في الفترة بين اللقاء الذي جرى بين الولايات المتحدة بشخص اندرو يونغ - ومنظمة التحرير الفلسطينية بشخص زهدي الطرزي وبين إبعاد يونغ من منصبه. وللتذكير فإن إدارة الرئيس كارتر لم تعاقب اندرو يونغ على الفور. وخلال الفترة التي سبقت المعاقبة تحت وطأة التشهير الإسرائيلية كان الرجل يمثل أميركا ومن هنا القول إنه خلال هذه الفترة على قصرها تعاملت الولايات المتحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية من دون أن تعلن المنظمة قبولها بحق إسرائيل بالوجود قولاً وعملاً كما يتضمن التعهد.

لقد حدثت متغيرات كثيرة. وتأخرت الولايات المتحدة كثيراً في إتخاذ الموقف العادل. وهي لو كانت إعترفت من قبل بمنظمة التحرير لكانت وفّرت على المنطقة الكثير من الآلام والمخاطر، ووفرت على نفسها الكثير من العداء من جانب الشعب الفلسطيني لها. ومثلما أنها أجازت لنفسها التعهد بأن "لا تتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية ما لم تقبل المنظمة بحق إسرائيل في الوجود قولاً وعملاً، فإنها مطالبة وفي ضوء المتغيرات الكثيرة ومنها الظروف الموضوعية التي أدت إلى إتفاق وقّف إطلاق النار الفلسطينية - الاسرائيلية أن تقدم تعهداً من نوع آخر يشجع الطرف الفلسطيني على أن يثق بالولايات المتحدة، أو تنتهي ذلك التعهد وتستبدله بضمانات.

وأمام الرئيس ريغان منذ أيام لائحة بتلك الضمانات، إقترحها عليه مبعوثه إلى المنطقة فيليب حبيب تستند على مفهوم جديد يقوم على أنه بالنظر إلى خصوصية العلاقات الأميركية - الاسرائيلية فإن إعتراف منظمة التحرير بأميركا بعد إعتراف أميركا بها هو نوع من الإعتراف بحق إسرائيل في الوجود من دون أن يقود ذلك بالقول أو العمل.

ويبدو أن إقتراحات فيليب حبيب هي من النوع المقبول عند الرئيس ريغان، ومن النوع الذي يُجيز النقاؤل بأن صيغة ما للحل هي الآن قيد الإعداد.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 8 أغسطس (آب) 1981

* * *

الأميركية إلى التعامل مباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية وإلى القول: "ذلك أن الدرس المستفاد من الأسبوعين الماضيين (فترة القصف المتبادل) تتلخص بأن المنطقة تمر بحقبة جديدة تتطلب من الولايات المتحدة إعادة النظر في مواقفها وهو أمر لم تختبره أميركا منذ عدة سنوات..."

وقبل وقّف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية، كان مجرد تفكير الإدارة الأميركية في إعادة النظر في التعهد الأميركي الذي صدر عام 1975 غير وارد، وله - إذا جاز القول - صفة التحريم. إلا أنه بعد الإتفاق بات من الممكن بالنسبة إلى تلك الإدارة إعادة النظر كثيراً أو قليلاً في هذا التوجه من دون أن تعني إعادة النظر تخلياً عن إسرائيل ..

وإلى ذلك إن إعادة النظر باتت أكثر من ضرورية ليس من أجل الأمن العربي وإنما من أجل أمن إسرائيل نفسها ما دامت الولايات المتحدة حريصة على هذا الأمن وبعدما أثبتت الايام القليلة التي قصفت فيها الصواريخ الفلسطينية قرى ومستوطنات الجليل أن السلاح المتطور الذي تعطيه الولايات المتحدة إلى إسرائيل يساعدها أحياناً في إلحاق هزيمة لكنه لا يقيها متاعب حالة الذعر التي تسببها الصواريخ الفلسطينية. وعندما يُذيع الجيش الإسرائيلي أن القرى والمستوطنات التي أصابتها الصواريخ الفلسطينية بلغت 27 قرية ومستوطنة وإن سكان هذه القرى والمستوطنات أمضوا حوالى أسبوعين في الملاجئ فمعنى ذلك أنه يقول بشكل أو آخر للمتشددين داخل إسرائيل أن عليهم تفهم الظروف.

ومن المؤكد أن صواريخ فلسطينية أطول مدى كانت ستطلق لو أن إتفاق وقّف إطلاق النار لم يتم. وكان ذلك سيعني أن الجحيم سيتسع طويلاً وعرضاً.. وفي الأعماق. وإمتلاك المقاومة الفلسطينية هذه الصواريخ ليس سراً. وقدرتها على تعويض ما تخسره منها خلال الغارات الإسرائيلية باتت واضحة.

لقد قضى التعهد الأميركي الذي صدر عام 1975 بأن: "لا تتعامل الولايات المتحدة مع منظمة التحرير ما لم تقبل المنظمة بحق إسرائيل في الوجود قولاً وعملاً وإذا كان مثل هذا التعهد يبقى منسجماً مع طبيعة العلاقة الأميركية - الإسرائيلية قبل إتفاق وقّف إطلاق النار فإنه بعد هذا الإتفاق يبدو مستهجنًا.

وإذا جاز القول فإن إستمرار العمل بالتعهد معناه أن الإدارة الأميركية هي التي تخرق، وبأسلوب خاص،

حُسين حظ الصحراويين

وسوء حظ اللبنانيين

الاسبوع الماضي (المقصود مطلع آب/ أغسطس 1979) استطاعت لجنة القمة التنفيذية التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية في أعقاب يومين من المحادثات في نيروبي التوصل إلى إتفاق لوقف إطلاق النار بين المغرب ورجال البوليساريو وإجراء إستفتاء تشرف عليه الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية. وجاء الإتفاق بعد إعتقاد ورقة عمل سودانية قدّمها الوفد السوداني في لحظة بدت فيها أعمال اللجنة أنها تسير نحو مأزق كما اشارت إلى ذلك وكالات الأنباء.

حول هذا الحدث الذي يمكن أن تكون له آثار في منتهى الأهمية مستقبلاً يمكن ملاحظة الآتي:

- أولاً: مع أن المشكلة هي بين طرفين معيّنين عربيين هما المغرب وجبهة البوليساريو وطرفين مهتمين عربيين أيضاً هما الجزائر وموريتانيا، فإن الذي امكنه إيجاد الحل كان منظمة الوحدة الأفريقية وليست الجامعة العربية. بل إن إجتماعات نيروبي عُقدت في معزل عن الجامعة العربية وحقت نجاحاً كبيراً..

- ثانياً: في الوقت الذي كانت لجنة السبعة والمعروفة بإسم "لجنة حكماء أفريقيا" تتوصل بفضل مرونة متناهية مارسها الطرفان المعنيان بمشكلة الصحراء والطرفان المهتمان بالمشكلة، كانت لجنة المتابعة التي تشكّلت لإيجاد حل للمشكلة اللبنانية لا تزال تواصل الإجتماع في بيروت ولا تتمكن من الإتفاق مع الرئيس الياس سركيس على أكثر من الإستمرار في التحرك لوقف إطلاق النار ووقف الحملات الإعلامية..

ولعلّ من سوء حظ لبنان أن ليس له بعض الجذور الأفريقية وإلا كانت لجنة حكماء أفريقية مماثلة أوجدت له حلاً بوقف الحرب الدائرة على أرضه..

وقد يجوز التساؤل هنا: ما الذي يجعل "لجنة حكماء أفريقيا" تتجح في إيجاد حل لمشكلة الصحراء ولا تستطيع لجنة المتابعة أن تجد شيئاً للبنان؟

هل لأن "لجنة حكماء أفريقيا" هي على مستوى القمة بينما لجنة المتابعة العربية على مستوى سفراء؟

أم هل أن النجاح سببه أن الحكمة الأفريقية أكثر فاعلية من العلاج العربي للمشاكل؟

أم لعلها الأسباب التي من غير السهل الإشارة إليها من قريب أو بعيد هي السبب الحقيقي في أن لجنة الحكماء الأفريقية تتجح ولجنة المتابعة العربية لا تتجح؟ هنا تجدر الإشارة إلى أن مشكلة الصحراء ليست أقل تعقيداً من المشكلة اللبنانية. فكما أن نار الحرب اللبنانية أنتت على ارواح بريئة واستنزفت طاقات وقدرات، فإن حرب الصحراء كانت لها نتائجها المفجعة. كذلك إن الأطراف الدولية التي كانت موجودة داخل المشكلة اللبنانية هي نفسها كانت موجودة داخل مشكلة الصحراء. ولكن مع ذلك أمكن إيجاد حل لمشكلة الصحراء أو بتعبير أدق، أمكن وضع المشكلة على طريق الحل.

كذلك تجدر الإشارة إلى أن وضع مشكلة الصحراء على طريق الحل وتعثّر وضع مشكلة لبنان على الطريق نفسه ليس سببه أن مشكلة لبنان حديثة العهد بينما مشكلة الصحراء مزمنة فكلاهما من مواليد سنة واحدة (1975) وكلاهما سالت من أجله دماء كثيرة.

إن الذي وضع مشكلة الصحراء على طريق الحل هو أن اطراف هذه المشكلة وجدوا أن إستنزاف القدرات والثروات لن يوصل إلى نتيجة. وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يكون هنالك حل يقوم على المنطق بدلاً من أن يبقى أسير العناد. وهكذا ارتفعت الرايات البيضاء على غيرها من الرايات وارتفعت صيحات الوفاق على صيحات الحرب وإبتعد شبح تصادم القوى الكبرى على أرض الصحراء وعلى حساب شعوب المنطقة ليحل محله مناخ إمكانية التعايش.

ثالثاً: إن النتيجة التي إنتهت إليها "لجنة حكماء أفريقيا" هي تأكيد لأهمية التعاون العربي - الأفريقي في حل المشاكل المتفجرة. وهذه النتيجة ليست لمصلحة طرف آخر إلا إذا جاز إعتبار التعقل هو الطرف الذي إنتصر وأن إنتصاره كان على حساب عدم التعقل.

والى ذلك إن الذي جعل أعمال لجنة الحكماء تتجح هو إحساس أعضاء اللجنة بأنهم إذا لم يتوصلوا إلى صيغة توضع بموجبها مشكلة الصحراء على طريق الحل فمعنى ذلك أنه سيكون من الصعب الإبقاء على هذه اللجنة وبالتالي سيكون من الصعب مستقبلاً حل أي مشاكل متفجرة.

رابعاً: الذي ساعد على إستنباط الحل الذي يرضي هو أن معظم أعضاء اللجنة شاركوا في الإجتماعات وهم مصممون على أنه لا بد من حل لمشكلة الصحراء يقوم على تفاوض بين الحكومة المغربية وجبهة

البوليساريو. كذلك فإن الذي ساعد على إستتباط الحل هو أن لجنة الحكماء السبعة لجنة تنفيذية بمعنى أنها قادرة على أن تتخذ القرار الذي تترأيه من دون العودة إلى القمة الأفريقية. وهنا نجد أنفسنا نقارن بين حال لجنة المتابعة العربية التي لا تُحقق أي نتائج ايجابية وبين لجنة الحكماء التي حققت في مؤتمر واحد النتيجة الكبرى المطلوبة. وفي المقارنة يتبين أن لجنة المتابعة لا تمثل كل العرب وإنما بعض الدول المعنية وتلك نقطة ضعف فيها، وإن اللجنة فيها لا تستطيع أن تبت في شيء لأنها ليست لجنة تنفيذية. وهي إذا عقدت إجتماعاً على مستوى وزراء الخارجية فإن الوزراء يجب أن يعودوا إلى الملوك والرؤساء وهؤلاء أيضاً لا بد يرون أن من الأفضل التشاور قبل إتخاذ قرار ما. وقد يتطلب التشاور إرسال وزراء الخارجية وانتظار عودة الوزراء ثم استدعاء السفراء لإبلاغهم بما يجب أن يفعلوه... وهكذا. ومعنى ذلك أن ما يمكن حسمه في دقيقة أو في ساعة على أبعد تقدير إذا كانت اللجنة تنفيذية يتطلب بضعة أيام عندما تكون اللجنة من نوع لجنة المتابعة التي لا تتجح في إيجاد حل للمشكلة اللبنانية.

خامساً: لوحظ أن أعمال اللجنة إتسمت بالحد الأقصى من المسؤولية فلا مشاحنات ولا مناورات ولا مزادات. وإلى ذلك، إن الطرفين المهتمين أي الجزائر وموريتانيا تجنبا ما من شأنه إستفزاز الطرفين المعنيين أي المغرب والبوليساريو. وبقدّر ما إن هذا التصرف يبدو طبيعياً منهما بالفكر نفسه شكّل خطوة لمصلحة إستصدار القرار المناسب.

والقصد من هذه الإشارة هو القول بأن ما يرافق أعمال لجنة المتابعة العربية التي تتولى إيجاد حل للمشكلة اللبنانية لم يرافق أعمال لجنة الحكماء. في لجنة المتابعة كانت هنالك مكامن كثيرة مهمتها إصطياد أي فرصة حل أو إقتناص أي بارقة أمل وضربها في شكل أو آخر، في حين أنه في لجنة الحكماء كانت هنالك إذا جاز التعبير عيون ساهرة مهمتها أن تُبقي المناقشات في منأى عن أي شطط وأن تُخفف من نسبة التوتر إذا حدث أن ارتفعت تلك النسبة قليلاً وأن تُبقي المناقشات على الطريق الذي يوصل إلى الحل.

سادساً: إن الإستفتاء سيتم. وكما هو واضح ومؤكد إنه سيتم بقناعة وحماسة الطرفين المعنيين. وإذا جاز لنا أن نتمنى فهو ألا يقرر شعب الصحراء أنه يريد دولة مستقلة. فهو لا يملك مقومات لذلك، فضلاً عن أنه كلما زادت الأمة العربية دولة مستقلة كلما تزايدت رقعة

المشاعر الانفصالية.

أما ما نتمناه في المقابل فهو أن يُرضي ابناء الصحراء ذاتهم أولاً وأن يختاروا التعقل والمنطق ثانياً، وهو التعقل نفسه الذي جعل "لجنة حكماء أفريقيا" تختار لهم صيغة حق تقرير المصير. وفي الإستفتاء ما من شأنه أن يُرضي الذات على أساس أن ابن الصحراء عبّر عما يجيش في صدره إلا أن ذلك لا يكفي. ومن المهم أن يبدأ منذ الآن التفكير بما يحقق له نموه وتقدمه.

سابعاً: إن صيغة الحل الذي إختارته "لجنة حكماء أفريقيا" للنزاع الدائر بين المغرب والبوليساريو لا خوف عليها لأنها محمية من قبل 50 دولة أفريقية هي الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية. وإلى ذلك إنه لا خوف عليها من التعثر لأنها الصيغة المناسبة الوحيدة للطرفين المعنيين، والتي ليس لمصلحة أحد من الطرفين رفضها، فضلاً عن أنها الصيغة التي تُتهي شبه حالة إنقسام حول مشكلة الصحراء. وتتمثل حالة الإنقسام في أن 26 دولة من أصل الدول الخمسين التي تتألف منها منظمة الوحدة الأفريقية معترفة بالبوليساريو وجمهوريتهم الصحراوية.

ويبقى أمران:

الأول هو أن نجاح "لجنة حكماء أفريقيا" سيصبح قدوة. فهو نجاح قياسي. وهو صادر عن نوايا طيبة. وبعد الإستفتاء وما يستتبعه من إستقرار ستكون منطقة المغرب أكثر قدرة على أن تساند منطقة المشرق مساندة حقيقية.

أما الأمر الثاني فهو أن الحكمة لا تُطلب من الصين كما إعتدنا أن نسمع أو على الأقل من الصين وحدها، وإنما من أفريقيا أيضاً. وبإلتنا نتعلم من هذه الحكمة فنعطل في منطقة المشرق تلك الحقول الكثيرة من الألغام. وتكراراً نقول: من حُسن حظ الشعب الصحراوي أن امره كان بين أيدي "لجنة حكماء أفريقيا". ومن سوء حظ الشعب اللبناني أن ليس له لجنة حكماء تعالج احواله.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 5 سبتمبر (أيلول) 1981

* * *

هل هو إتفاق ضد العرب؟

قبل أيام أعلنت الولايات المتحدة وإسرائيل عن إتفاق

للتعاون الإستراتيجي بينهما. وقد بدأ هذا الإتفاق مستهجنًا ومفاجئًا لأنه كان مأمولاً من الرئيس رونالد ريغان أن يمارس على رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن ضغوطاً في سبيل إيجاد حل لأزمة الشرق الأوسط لا أن يعزز إتجاه بيغن الرفض لكل الحلول الممكنة.

حول هذا الإتفاق وحول رد الفعل العربي عليه وحول سبب مواجهة هذا التحالف المعلن عنه بين الولايات المتحدة وإسرائيل يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً: هناك بعض الاطراف العربية فاجأتها الخطوة التي حدثت وكأن ما فعلته الولايات المتحدة مع إسرائيل في السنوات الخمس عشرة الماضية كان بعيداً عن التعامل الإستراتيجي.

إن السلاح الذي قدمته الإدارات الأميركية إلى إسرائيل كان مندرجاً في خانة التعاون الإستراتيجي. وفي الخانة نفسها تدرج الأموال والمساعدات الضخمة التي أعطتها الولايات المتحدة لإسرائيل. وفي الخانة نفسها أيضاً تدرج الممارسات السياسية الأميركية والمواقف الأميركية سواء في علاقاتها مع الدول العربية أو في مجلس الأمن والأمم المتحدة.

لقد تعاملت الولايات المتحدة مع إسرائيل في السنوات الخمس عشرة الماضية التعامل الذي يمكن تسميته بـ "التعاون الإستراتيجي". والجديد الذي حدث هو أن ما كان يحدث في السر سيحدث بعد الآن في العلن.

ثانياً: لقد جاء إتفاق التعاون الإستراتيجي الأميركي - الإسرائيلي، في أعقاب المشروع الذي طرحه الأمير فهد بن عبد العزيز ولي عهد المملكة العربية السعودية، لتحقيق تسوية عادلة في الشرق الأوسط. وهو مشروع من شأن عدم موافقة الإدارة الأميركية عليه أن يوسع دائرة التيار المستجذ الذي يتزايد في الولايات المتحدة وهو تيار يقول ما معناه: يكفي ما قدمناه لإسرائيل وعلينا أن نصغي للآخرين. وقد يكون مناحيم بيغن إستنتج بشكل أو آخر، أو تبلى في شكل أو آخر، بأن إدارة الرئيس ريغان ميالة إلى الموافقة على المشروع السعودي إذا هو حظي بموافقة الدول العربية التي تعارض إتفاقيتي كامب دايفيد، فبادر إلى الحصول على ما من شأنه أن يشكل حماية لإسرائيل، فكان إتفاق التعاون الإستراتيجي. وهذا الإستنتاج معقول إلي حد ما على أساس أن الفترة التي سبقت زيارة بيغن الأولى إلى إدارة الرئيس ريغان خلت من أي إشارات إلى أن الرجل سيلقى إستقبالاً متميزاً وسيحصل على ما لم يحصل عليه هو أو أي حاكم إسرائيلي من قبل من الولايات المتحدة. بل قد يكون العكس هو الصحيح بمعنى

أن تلك الفترة، وبالأذات بعد قصف المفاعل النووي العراقي والغارات الوحشية على مناطق التواجد الفلسطيني في بيروت وجنوب لبنان، حصلت بشيء من الإستهجان الأميركي الرسمي الشعبي للممارسات التي ينتهجها بيغن، بل إن كلاماً كثيراً قيل في هذا الشأن كان أبرزه على الإطلاق قول مجلة "تايم" في عددها الصادر أواخر شهر أغسطس/ آب الماضي: "إن إسرائيل سارت شوطاً بعيداً في طريقها إلى أن تصبح لا مصدر قوة مشكوكاً فيه فحسب، بل عبئاً واضحاً على مصالح الولايات المتحدة...".

إن الفترة التي سبقت وصول بيغن إلى واشنطن كانت - إذا جاز القول - تمثل شبه حالة فتور للعلاقات. والقصد من ذلك إن إتفاق التعاون الإستراتيجي لم يأت نتيجة إنسجام تام في العلاقات وإنما فرضته تطورات يمكن أن تحدث مستقبلاً. وهذه التطورات متصلة بمشروع السلام الذي طرحه الأمير فهد بن عبد العزيز، خصوصاً أن بيغن بادر وطرح فكرة إتفاق التعاون الإستراتيجي على أساس أنه إذا وافقت إدارة الرئيس ريغان على مشروع الأمير فهد يكون كسب سلفاً ضماناً كبيراً. أما إذا تعثر المشروع، لسبب أو آخر، فإن بيغن يكون ربط إسرائيل بالولايات المتحدة بشكل يصعب إختراقه مستقبلاً من أي دولة عربية أو شرق أوسطية. وإلى ذلك، أن بيغن يكون أرضى مشاعر إدارة الرئيس ريغان وأكد لها أن الذي يهم إسرائيل هو الولايات المتحدة وليس كامب دايفيد فقط.

ثالثاً: إستكمالاً للملاحظة الثانية يمكن القول إن فتح الباب أمام تعديل في بعض مبادئ المشروع الذي طرحه الأمير فهد بن عبد العزيز يبدو إلى حد ما ضرورياً، وذلك من أجل تأمين تأييد عربي قوي للمشروع. وحتى الآن لا يبدو التأييد العربي كافياً. وفتح الباب أمام تعديل بعض مبادئ المشروع من شأنه تبديل الصورة الراهنة، هذا مع الأخذ بالإعتبار أن التعديل عندما سيحدث لن يستهدف كثيراً جوهر المشروع وإنما يرمي إلى عدم ربط الحل بشخص. وهو أمر يبدو بالنسبة إلى عدد من القادة العرب على شيء من الحساسية.

رابعاً: بقدر ما أن لإتفاق التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل الكثير من المحاذير والسلبيات إزاء العرب، بالقدر نفسه، يبقى حدوثه مفيداً لبعض الشيء. بمعنى أنه لا جدال بعد الآن بأن أي عدوان إسرائيلي على العرب بعد الإتفاق سيكون عدواناً إسرائيلياً - أميركياً مشتركاً ولن يفيد فيه التوضيح.

وإلى ذلك قد يكون هذا الإتفاق هو وسيلة الضغط

المتحدة والدول التي تتسلح منها بحيث يصبح هذا الإتفاق الدائرة الثانية للدائرة الأولى والتي هي الحلف الأطلسي، ويمهّد الطريق بذلك أمام تقاوم الصراع الدولي في المنطقة بدلاً من أن يكون المطلوب هو تخفيض حدة الصراع.

ويبقى: إن إتفاق التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل يعني في بعض أوجهه ان الولايات المتحدة خائفة على إسرائيل إذا وقع السلم في الشرق الأوسط ومتخوفة من احتمال تدهور العلاقات الأميركية - العربية إذا ما بقيت إسرائيل تفعل بالسلاح المتطور - الذي تحصل عليه من أميركا - ما تريد بالعرب. وفي ضوء الخوف والتخوف جاء الإتفاق الذي ما كان ليم التوصل إليه لو أن إسرائيل لن تستعيد منه ولو أن الولايات المتحدة ليست محتاجة له.

يبقى أيضاً: ان إسرائيل لم تكن متعاونة مع الإتحاد السوفياتي ثم توجهت إلى أميركا فجأة لكي يبدو الإتفاق الذي تم التوصل إليه مفاجئاً أن إسرائيل تعيش بفضل مال أميركا وتعتدي بسلاح أميركا. وتزداد غطرسة لأن أميركا تتبنى الخطأ الإسرائيلي. والإتفاق عبارة عن مرحلة جديدة من تاريخ علاقات عضوية إلى حد ما، بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

وتكراراً إن الإتفاق يحتاج من جانب العرب إلى الكثير من التأمل والتبصّر وحسن التصرف وإلى القليل القليل من الإنفعال.

ولأسباب التي أوردناها ولأسباب أخرى كثيرة يعرفها الحكام العرب الذين في القمة يحتاج الأمر إلى مباشرة الحوار العربي مع إدارة الرئيس ريغان. فالإتفاق الذي تم هو في بعض جوانبه دعوة إلى العرب من أجل أن يبدأ ذلك الحوار... وفي واشنطن. فيقدر ما يبدو هذا الإتفاق إتفاق أميركا وإسرائيل على العرب بالقدر نفسه يبدو الإتفاق ضرورياً في نظر أميركا لوضع اليد على القرار الإسرائيلي. ومن خلال الحوار وحده يمكن الجزم بنوعية الإتفاق. وبالتالي، إتفاق العرب أيضاً بعضهم مع البعض الآخر إذا هم لمسوا من خلال الحوار مع إدارة الرئيس ريغان أن الإتفاق كان عليهم وليس من أجل إعادة ترتيب أوراق التعامل الأميركي بما يرضيهم ويساعد على إيجاد صيغة للسلم في المنطقة العربية.

مجلة "المستقبل". باريس - السبت 19 سبتمبر (أيلول) 1981

* * *

الأميركية الوحيدة على إسرائيل لوقف إعتداءاتها على العرب من وقت الإعلان عن الإتفاق حتى وقت خروج صيغة للسلم في منطقة الشرق الأوسط. وفي هذا الإطار يمكن القول أنه لن يكون من السهل على إسرائيل، بموجب إتفاق التعاون الإستراتيجي، معاودة إعتداء من نوع الإعتداء الذي تعرض له المفاعل النووي العراقي. ولن يكون من السهل عليها الإعتداء على آبار النفط على أساس أنه لم يبق سوى هذه الآبار بالإضافة إلى العتبات المقدسة الإسلامية في السعودية والعراق - أهدافاً لم تصل إليها أيدي العدوان الإسرائيلي.

ولكن ثمة سؤالان: هل إن إسرائيل التي تعيش منذ إنشائها على العدوان يمكن أن يردعها إتفاق حتى إذا كان هذا الإتفاق مع الولايات المتحدة؟

وهل انه غابت عن البال تلك الإهانة التي وجهها بيغن إلى وزير الخارجية الأميركية الكسندر هيغ لأن هيغ طلب من بيغن (أشارت صحيفة "واشنطن بوست" إلى الواقعة في الأسبوع الأول من يوليو/ تموز 1981) أن تستشير إسرائيل الولايات المتحدة مستقبلاً قبل أن تستخدم السلاح الأميركي في عمليات شبيهة بعملية الهجوم على المفاعل النووي العراقي؟

إنه من الصعب الإجابة عن ذلك قبل إنقضاء فترة طويلة على الإتفاق الذي تم التوصل إليه. كذلك ثمة سؤال ثالث: هل إن إتفاق التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل سيوقف حرب إسرائيل على الفلسطينيين لأن إستمرار هذه الحرب - بعد الإتفاق - يعني تعاون أميركا وإسرائيل على ضرب الفلسطينيين وهو ما لا تريده إدارة الرئيس ريغان، أو بالأحرى ما لا مصلحة لها فيه؟ والجواب عن ذلك هو أن الحرب قد لا تتوقف إلا أنه لن تكون هنالك بعد الآن غارات إسرائيلية على العمق الفلسطيني من نوع الغارات التي كانت تحدث في الماضي. ومن هنا فإن إتفاق التعاون الإستراتيجي قد يكون عملية تثبيت أميركية فعالة لحالات وقف إطلاق النار العربية - الاسرائيلية بما في ذلك حالة وقف إطلاق النار الفلسطينية - الإسرائيلية.

خامساً: إن إتفاق التعاون الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل تعزيز لمعاهدة الصداقة والتعاون التي بين الإتحاد السوفياتي وبعض الدول العربية والأجنبية. وإذا كانت تسمية "إتفاق تعاون" أكثر رقة من تسمية "معاهدة صداقة وتعاون" إلا أن الهدف من الإثنين واحد.

ومن السابق لأوانه الإفتراض بأن "إتفاق التعاون" لن يقتصر على إسرائيل وإنما سيطبق مستقبلاً بين الولايات

السابقون فقط ... تعذبهم ضمائرهم

في طريق عودتهما بطائرة واحدة من القاهرة بعد تشييع جنازة الرئيس أنور السادات نسبت وكالة اليونيتدبرس إلى الرئيسين السابقين جيمي كارتر وجيرالد فورد قولهما إنه من الضروري إعترااف الولايات المتحدة بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقبل أيام وقف بريجنسكي الذي كان يصوغ القرارات والمواقف الكبرى للرئيس كارتر وقال في إحدى المناسبات "شئنا أم أبينا فإن الفلسطينيين يمثلون عاملاً في مشكلة الشرق الأوسط. وإنني لا أطلب بالإعترااف بمنظمة التحرير الفلسطينية لكن عدم اجراء أي شكل من أشكال الحوار معهم أمر لا يخدم مصالح الولايات المتحدة".

وفي الوقت نفسه تقريباً كان ماك هنري الذي عينه كارتر مندوباً لأميركا في الأمم المتحدة خلفاً لزميله اندرو يونغ الذي فقد منصبه لأنه تجرأ واجتمع بمندوب المنظمة في منزل مندوب الكويت، يقول بصفته الجديدة كأستاذ جامعة أنه لا بد من فتح حوار من جانب الولايات المتحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية.

وقبل بريجنسكي وماك هنري سمعنا كثيرين شغلوا في السابق مواقع رسمية يقولون في أحاديث وتصريحات أن على الحكومة الأميركية الإعترااف بمنظمة التحرير الفلسطينية، وأنه لا سلام من دون هذا الإعترااف وان إنحياز الولايات المتحدة إلى إسرائيل لا يخدم مصالح الشعب الأميركي.

وقبل بريجنسكي وماك هنري أيضاً سجل سفير الولايات المتحدة في سوريا موقفاً ملفتاً للنظر. ولكن من المؤسف أن تسجيل الموقف جرى بعدما كان السفير أصبح هو الآخر من السابقين.

وواقعة تسجيل الموقف المشار إليه تستحق أن تُفرد ببعض التفصيل.

السفير تالكوت سيللي. ومن محاسن الصدفة أن هذا الدبلوماسي وقف على حقيقة أزمة الشرق الأوسط وخفاياها حيث أنه عمل لوقت طويل في الكويت والسعودية ولبنان وتونس والأردن قبل أن يستقر به المطاف في سوريا التي قضى فيها السنوات الأخيرة من خدمته في السلك الدبلوماسي الأميركي.

وطوال عمله في الدول المشار إليها لم يسجل موقفاً علنياً لمصلحة القضية الفلسطينية اللهم إلا إذا كان ينصف القضية في التقارير التي يبعث بها إلى حكومته.

ويبدو أن عدم تسجيل الموقف المنصف كان يؤرق السفير. ومن أجل ذلك فإنه إختار لإعلان موقفه صيغة ترضي من دون أن تسبب له في إشكالات مع حكومته. ولهذا الغرض إستدعى مندوب "الاسوشيتدبرس" الذي أجرى معه مقابلة طالباً منه عدم توزيعها قبل أن يكون غادر الأراضي السورية. وهذا ما حدث، حيث أن الوكالة وزعت المقابلة من دمشق بعدما كانت الطائرة التي أقلت السفير قد دخلت الأجواء الدولية، أي بعدما أصبح السفير "مسؤولاً سابقاً".

وفي تلك المقابلة دعا تالكوت سيللي إدارة الرئيس ريغان إلى فتح حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية، وإلى إبدال صيغة كامب دايفيد صيغة أخرى تستند إلى قاعدتين هما: الإنسحاب الإسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة بما في ذلك إزالة المستوطنات وحرية تقرير المصير للفلسطينيين مشيراً إلى أن الرئيس حافظ الأسد "سيكون مستعداً للتفاوض حول تسوية ما إذا ما تعهدت إسرائيل بالعودة إلى حدود ما قبل حرب 1967 وبمعاملة الفلسطينيين بعدالة".

وعلق على التعهد الأميركي بعدم الإعترااف التحرير أو التفاوض معها والذي قطعه في العام 1975 وزير الخارجية الأميركي الأسبق هنري خلال مفاوضات إتفاقية سيناء بين مصر وإسرائيل والولايات المتحدة وقال: "إن تعهد لا يشمل الحوار، بل ينص على التفاوض والإعترااف. وبإمكاننا أن نجري محادثات تمهيدية المنظمة من دون أن نعترف بها على أن يأتي الإعترااف الرسمي في مرحلة لاحقة".

وحدث نتيجة هذا كله ما هو أهم حيث أن مجلة "تايم" ذات التأثير وصلت إلى حد نشر مقالة طويلة خلصت فيها إلى "أن إسرائيل سارت شوطاً بعيداً في طريقها إلى أن تصبح لا مصدر قوة مشكوكاً فيه فحسب بل عبئاً واضحاً على مصالح الولايات المتحدة .

إننا ونحن نرجب بهذه المواقف نجد أنفسنا نتساءل. ما دامت تلك قناعة كارتر، فلماذا لم يعلنها في حينه؟ وإذا كانت تلك قناعة فورد فلماذا لم يسبق كارتر في إعلانها؟

إنهما لو فعلاً ذلك لكانا وفرا ألوف الضحايا التي سقطت نتيجة تأييدهما للعنوان الإسرائيلي ولموقف إسرائيل الذي يرفض الإعترااف بمنظمة التحرير الفلسطينية.

وما دامت تلك قناعة بريجنسكي، فلماذا لم يعلنها وهو في موقعه الرسمي الكبير خصوصاً أنه متأكد من

أن الموقع لن يدوم؟

وما دامت تلك قناعة ماك هنري فلماذا لم يعلنها في إحدى جلسات الجمعية العمومية وبالصوت العالي، خصوصاً أنه متأكد سلفاً من أنه سينتهي سواء أعلن هذا الموقف أم لم يعلنه، أستاذاً في الجامعة.

وما دامت تلك قناعات مسؤولين آخرين وسفراء للولايات المتحدة عملوا في عواصم عربية، فلماذا لم يعلنوا عن هذه القناعات إلا بعدما أصبحوا مسؤولين سابقين؟

ولماذا لم يسمح السفير تالكوت سيللي بأن توزع الوكالة تصريحاته التي أدلى بها وهو في دمشق إلا عندما أصبحت طائرته في الأجواء الدولية، وبعدها صار مسؤولاً سابقاً؟

هل هو الخوف من إسرائيل أم الخوف عليها؟

وهل إن "اللوبي" الإسرائيلي في الولايات المتحدة سيستمر يضم المسؤولين العاملين بينما "اللوبي" العربي لا يضم سوى المسؤولين السابقين !

والى متى، علماً بأن المستفيدين من الدور العربي ليسوا من بين الذين يتألف منهم "اللوبي" العربي؟

مجلة "المستقبل"، باريس- السبت 17 أكتوبر (ت) 1981

الجمهورية

المقالات من 24 مايو 1988 إلى 8 سبتمبر 1990

انطباعات من جنيف

فؤاد مطر

التفتحت في جنيف الأسبوع الأول من المحادثات العراقية - الإيرانية المشتركة حول بعض النقاط من القضية التي تم فيها اتفاق الطرفين على التفاوض بين الطرفين على الاتفاقية...

تحفظات من أجل سلام العالم

فؤاد مطر

من الواضح ان هناك شعورا لدى البعض بان اعلان ايران قبولها بقرار ٥٩٨ يجب ان يكون موضع امتنان العالم والعرب بوجه خاص...

الدم الذي جف الدماء والشهيد الذي وفر سقوط الظلم

فؤاد مطر

النصر الذي حققه العراق لانه قيادة رئيس تحرير مجلة النضال وصحبه ليس يوم الامن القومي والامن الغذائي

نهر مازن في المفاوضات على طريقة تحرير الشفاه

فؤاد مطر

من المتطبيع بالخساسة ان رئيس دولة من نوع صدام حسين ان يكون الوقت حدها كندا...

لا تخوف منه ولا تخوف عليه

فؤاد مطر

من المتطبيع بالخساسة ان رئيس دولة من نوع صدام حسين ان يكون الوقت حدها كندا...

حالة دفاع عن النفس

فؤاد مطر

قبل أسابيع كان وزراء الخارجية العراقيين يستعدون لاجتماعات الامم المتحدة...

عدم التدخل في معاهدة مطلوبة

فؤاد مطر

من اجل عقد عهدة عربية تحت هذه العهدة متأخرة عن كل ان هذا ان يكونه صدام حسين...

الحزم العربي والدولي مع الأكثر تطرفا في ايران

فؤاد مطر

مع الاتصالات التي وصلت من ايران عن طريق بعض المصادر الموثوقة ان هذه الاتصالات...

آه وان العجزة العربية المعاكسة

فؤاد مطر

تسببت الظروف السياسية التي مضت للعجزة العربية في المواقف المتعددة...

محاولة فاشلة لمحاورة الانصار

فؤاد مطر

تخبره كثيرا ان ذلك انصرفت الى ان انصارها انصارا واصرا على ان تشجيعها...

الاعتراض المطلوب لكي ينطلق قطار السلام

فؤاد مطر

لنطرح على سبيل المثال ان الرئيس رفيعان قد قبل ان يعقد اللقاء الاول...

انطباعات من جنيف

فؤاد مطر

التفتحت في جنيف الأسبوع الأول من المحادثات العراقية - الإيرانية المشتركة حول بعض النقاط من القضية...

الاعتراض المطلوب لكي ينطلق قطار السلام

فؤاد مطر

لنطرح على سبيل المثال ان الرئيس رفيعان قد قبل ان يعقد اللقاء الاول...

الاعتراض المطلوب لكي ينطلق قطار السلام

فؤاد مطر

لنطرح على سبيل المثال ان الرئيس رفيعان قد قبل ان يعقد اللقاء الاول...

الاعتراض المطلوب لكي ينطلق قطار السلام

فؤاد مطر

لنطرح على سبيل المثال ان الرئيس رفيعان قد قبل ان يعقد اللقاء الاول...

الحزب العربي والدولي

مع الأكثر تطرفاً في إيران

أفادت المعلومات التي وصلت من إيران عن طريق بعض المصادر المطلعة أن حدة الصراع تتزايد هناك في ضوء نتائج الانتخابات النيابية التي جرت قبل أسابيع، وإنتهت بمفاجآت لعل المفاجأة الأهم هي انحسار نفوذ مَنْ يسمون بـ "المعتدلين" وتزايد شأن مَنْ يسمون بـ "المتطرفين" ومن المهم سلفاً وضع كلمة "المعتدلين" حيث وردت بين قوسين تدليلاً على أن الوصف ليس في محله، وأن الحقيقة هي أن الذين يحكمون هم "المتطرفون" وأن الذين كسبوا الجولة في الانتخابات النيابية الأخيرة هم الأكثر تطرفاً.

ومثل هذه المفاجأة لها "إيجابيتها" ذلك أنها تطرح تساؤلاً خلاصته: إذا كانت أحوالنا طوال ثماني سنوات على ما كانت عليه نتيجة إمساك "المعتدلين" في إيران مقاليد الحكم. فكيف إذن ستكون عليه الحال بعدما انحسر تيار هؤلاء أمام هجمة الفريق المتطرف؟ لقد أشعل "المعتدلون" الحرائق في المنطقة طوال ثماني سنوات.

ورمى "المعتدلون" بالألوف من الفتية والشباب وقوداً للحرب التي فرضوها على العراق.

وطوال ثماني سنوات تسبب "المعتدلون" بحالات من المآسي لا حصر لها داخل إيران وخارجها.

وبعد إختبار نتائج السنة الأولى من الحرب كان من الطبيعي أن تتوقف المعارك وتتعايش المشاعر العربية مع المشاعر الفارسية ولكن "المعتدلين" في إيران كانوا يوقظون الفتنة عندما تهدأ أو عندما تلوح في الأفق بوادر وفاق محتمل.

وطوال ثماني سنوات أقفل "المعتدلون" الأبواب أمام أي طرف يحاول بذل مسعاه الحميد، أو لجنة تحاول أن تتوسط من أجل تحقيق هدنة إذا استعصى تحقيق الحل الشامل.

وطوال ثماني سنوات رفض "المعتدلون" كل مبادرة حُسن نية تأتي من العراق، وفي كل مرة كان العراق لا يطوي صفحة المبادرات وإنما يطورها لعل وعسى يحدث لها قبول لكن "المعتدلين" في إيران كانوا لا يتجاوبون ويردون على التحية بالمزيد من التحريض والمزيد من إشعال حرائق الحرب، بدل أن يردوا على

التحية بمثلاً أو بأحسن منها.

وطوال ثماني سنوات لم يسلم طرف عربي من أذى "المعتدلين" كذلك لم يسلم طرف مسلم غير عربي من هذا الأذى. ولقد شمل الأذى الجميع بمن في ذلك الذين تعاونوا أو الذين تحالفوا مع الحكم الإيراني، وشمل أيضاً الذين سكتوا على ممارسة هذا الحكم وتعامله مع بعض الدول العربية.

وطوال ثماني سنوات حدثت حالات من التمزق العربي بسبب الفريق "المعتدل" في إيران وحدث خلط لا مثيل له في مسألة الفرز بين العدو والصديق إلى درجة بات مغفوراً في نظر بعض الدول العربية والإسلامية التي تعادي "إسرائيل" التعاون بين الحكم الإيراني و"إسرائيل" من دون أن يطرح هذا البعض الأسباب التي تجعله لا يعترض على هذا التعاون ويواصل تعاونه أو تحالفه أو الصمت على ممارسات ذلك الحكم.

وطوال ثماني سنوات أفرغ "المعتدلون" الحكم الإيراني أموراً كثيرة من معناها فما عاد الانتصار إنتصاراً، ولا الإستشهاد إستشهاداً ولا الصبر صبراً، ولا الفروسية فروسية، ولا التدين تديناً، ولا المرونة مرونة، ولا الإنسان له قيمة، ولا الإستعمار إستعماراً. وهكذا.

وطوال ثماني سنوات حدثت بسبب ممارسات "المعتدلين" إنشقاقات خطيرة جداً في الصف الإسلامي. وبعدما كان العالم يتحدث عن الإسلام ديناً متسامحاً ويتعامل معه على هذا الأساس بات يتعامل مع العالم الإسلامي على أساس أنه كثير التفكك وليس مؤهلاً لمجاراة تطورات العصر ومواكبة الحضارة.

وطوال ثماني سنوات أمعن "المعتدلون" في إيران تهشيماً بالإستقرار العربي ووسّعوا رقعة الأطماع إلى أن وصلت إلى حد تحويل موسم الحج إلى مناسبة تحل فيها الفوضى محل العبادة.

وطوال ثماني سنوات نشأ جيل من خاطفي الطائرات والتعامل مع المخطوفين الأبرياء بقسوة لا مثيل لها في تاريخ الطيران.

هذه الأمور وغيرها كثير هي ما ابتكره "المعتدلون" في الحكم الإيراني. مع الأخذ في الإعتبار أنهم كانوا متطرفين، ومثالاً ورمزاً للتطرف. وبسبب هذه الأمور أريق دماء وانتشر الدمار وكأنما هدف هؤلاء هو إفقار العالم العربي وتجفيف بحيرة الثروة العربية.

وإذا كانت هذه هي حالنا مع "المعتدلين" في الحكم الإيراني، فكيف إذا ستكون حالنا مع الفريق المتطرف

الذي "تبشّرنا" المعلومات الواردة من إيران بأنه هزم الفريق "المعتدل"؟

من المؤكد أن حالنا ستكون أكثر سوءاً إلا إذا قرر العالم العربي أنه لا تعامل بعد الآن مع الحُكم الإيراني إذا كان لن يرتضي العيش مع العرب بما يوصي به الله ورسوله وبما يدعو إليه عقلاء العرب المسلمين عرباً وغير عرب، وبما يريده الناس الذين ضاقوا ذرعاً بالتطرف والمتطرفين.

ومن محاسن الصدق أن هنالك قمة عربية ستعقد بعد أيام وفي وقت بات لا بد من وقفة عربية لمواجهة التعتن الإيراني.

فهل تحدثت هذه الوقفة في القمة العربية الاستثنائية في الجزائر، أم سنترك للفريق الإيراني الأكثر تطرفاً مواصلة ما بدأه الفريق المتطرف والذي تصفه المعلومات الواردة من إيران بأنه الفريق "المعتدل" من تمزيق للوحدتين، وحدة الصف العربي ووحدة الهدف لهذا الصف؟

هذا هو المطلوب من القمة العربية التي ستعقد بعد أيام. أما ما هو متوقع من هذه القمة وهل إنها ستحسم الأمر مع الفريق الإيراني الأكثر تطرفاً بعدما أمضت ثماني سنوات لا تحسم مع الفريق المتطرف فإنه متروك لوجدان الملوك والرؤساء ولضميرهم. وإذا استطاع الملوك والرؤساء حسم هذا الأمر فإن بقية الأمور تصبح ممكنة الحسم وأكثر سهولة مما يتصور البعض. وإننا لمنتظرون.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الثلاثاء 24 مايو (أيار) 1988

* * *

المتوكل على الله

إذا جاز لي كواحد من أبناء الأمة الذين يؤدون واجبهم في ميدان الكتابة أن أقترح فإنني أتمنى أن نرفق عبارة "المتوكل على الله" بعد اسم الرئيس صدام حسين من الآن وصاعداً.

وهذه العبارة تبعث على الإرتياح من جهة وتبدو كما لو أنها نسمة تراثية في زمن إختلطت فيه الأسماء بالألقاب والصفات كما لم تختلط من قبل.

ورافق العبارة يتم حيث ورود اسم الرئيس صدام وفي أية مناسبة. فإذا كانت هنالك زيارة تفقدية تكون صياغة النبأ: تفقد "المتوكل على الله" الرئيس صدام

حسين القطعات الأممية ...

وإذا كانت هنالك مراسم تقليد أنواط وأوسمة تكون صياغة النبأ: قلّد "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين أوسمة الرافدين وأنواط الشجاعة عدداً من القادة.

وإذا كانت هنالك زيارة لدولة عربية تكون صياغة النبأ: قام "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين بزيارة إلى عمان والتقى أخاه الملك حسين ثم عاد إلى بغداد..

وإذا كان هنالك أداء للعمرة تكون صياغة النبأ: وصل "المتوكل على الله" صدام حسين إلى جدة يرافقه بعض أعضاء القيادة وبعدما أدى مناسك العمرة في مكة المكرمة وتشرف بزيارة قبر الرسول في المدينة المنورة عاد بسلامة الله إلى بلده وشعبه.

وإذا كانت هنالك زيارة لمناسبة عيد الأضحى للمراقد المقدسة في كربلاء والنجف تكون صياغة النبأ: زار "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين المراقد المقدسة في كربلاء والنجف وتفقد المواطنين وأحوالهم في بعض قرى المنطقة.

وإذا كان هنالك أداء يمين دستورية لمناسبة تعيين تكون صياغة النبأ: أدى اليمين الدستورية أمام "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين المحافظون الجدد..

وإذا كانت هنالك مناسبة لإفتتاح جامعة أو جامعات جديدة تكون صياغة النبأ: إفتتح "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين الجامعات التي تم إنشاؤها في زمن الحرب.

وإذا كانت هنالك مشاركة في مؤتمر عربي تكون صياغة النبأ: توجه "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين إلى الجزائر للمشاركة في أعمال القمة العربية الإستثنائية التي تنعقد هناك.

وإذا كان هنالك مؤتمر شعبي عربي تكون صياغة النبأ: إفتتح "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين المؤتمر الشعبي الذي ينعقد في بغداد تحت شعار المنطقة بعد الحرب.

وإذا كان هنالك نصب تذكاري جديد تكون صياغة النبأ: إطلع "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين على تفاصيل النصب التذكاري الذي سيتم إنشاؤه تخليداً لحلول السلام.

وإذا كانت هنالك حكومة جديدة لمرحلة ما بعد الحرب تكون صياغة النبأ: عرض "المتوكل على الله"

الرئيس صدام حسين أمام الحكومة الجديدة لدى إستقبال رئيسها وأعضائها أفكاراً من شأنها تطوير العمل في الوزارات كافة بما يجعل طاقة الإنتاج قادرة على توفير مستلزمات تصدير الإنتاج العراقي إلى الخارج.

وإذا كان هنالك تدشين لأنبوب جديد ينقل النفط العراقي تكون صياغة النبأ: إفتح "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين الأنبوب الجديد الذي تم إنشاؤه خلال الحرب وبدأ تشغيله في الأسبوع الأول لإحلال السلام.

وإذا كانت هنالك إحتفالات لمناسبة تحرير الفاو أو تحرير الشلامجة أو للمناسبتين معاً في يوم واحد بسبب تقارب حدوثهما تكون صياغة النبأ: إستقبل "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين سبعة عشر طفلاً وسبع عشرة طفلة يمثلون محافظات العراق لمناسبة يوم التحرير.

وإذا كانت هنالك إنتخابات عامة لبرلمان ما بعد الحرب الذي يتسم بالحيوية والمسؤولية العالية تكون صياغة النبأ: أدلى "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين بصوته في مدرسة "بلاط الشهداء".

وإذا كانت القمة الأولى لدول عدم الإنحياز بعد إنتهاء الحرب العراقية - الإيرانية ستعود بعد غياب إلى الإنعقاد في بغداد تكون صياغة النبأ: حدد "المتوكل على الله" الرئيس صدام حسين أمام ملوك ورؤساء دول عدم الإنحياز المجتمعين في بغداد خمسة مبادئ لسلام لا يترزع في العالم وذلك في ضوء تجربته العميقة في ميدان الحرب والسلام.

وأنا لن أضيف هنا أمثلة لأنها كثيرة.. ولكنني أرى ضرورة التوضيح بأن هذه الصفة ترتبط بإسم الرئيس صدام حسين هي من وجهة نظري ضرورية.

ولنحدد الأسباب الموجبة التي تؤكد ذلك:

فهي ضرورية لأنه توحى بتقوى المتواضع الواثق من نفسه. وعندما نقارن على سبيل المثال بين من يطلق على نفسه لقب "آية الله" أو "روح الله" يتبين كم أن "المتوكل على الله" وصف يتسم بالتواضع والتقوى بينما "آية الله" أو "روح الله" يعكس العجرفة والتكبر.

وهي ضرورية لأن الرئيس صدام حسين ربط الحرب المفروضة على العراق بالأسماء والتعابير التراثية. فهذا إسم قائد عربي مسلم وهذا إسم بطل آخر وتلك موقعة تبدو كمنازة في التاريخ الإسلامي.

وهي ضرورية لأنها توحى بالتقرب من الله ورسوله فضلاً عن أننا في زمن يستبد بالواحد منا الحنين إلى مسحة من التصوف والتأمل في أمور الدين بقدر التأمل في أمور الدنيا.

وهي ضرورية لأنها مرادفة للتوفيق والنجاح. وعندما نتأمل في الذي حدث يتأكد لنا ذلك. ويتأكد لنا أيضاً أن تحرير الأرض إرتبط بتسميته "رمضان مبارك" و"توكلنا على الله".

وهي ضرورية لأن معناها يبعث الدفء في النفس وهو أمر له معناه الكبير في هذا الزمن القاسي.

وهي ضرورية لأنها تؤكد أن من يتوكل على الله يحالفه التوفيق بينما الذي يرى أنه "آية الله" و "روح الله" لا يلقى من ربه مثل هذا التوفيق.

وأعود إلى ما بدأت فاقول مضيفاً إن "المتوكل على الله" صفة محبة إلى النفس. وعندما تكون هذه الصفة مرادفة لإسم الرئيس صدام حسين الحازم والشجاع والواثق من نفسه فإنها تزداد تحبباً.

وأود التوضيح بأن حرص الرئيس صدام على أن يشكر الله سبحانه وتعالى بعد تحرير الفاو فيتوجه إلى مكة والمدينة، كانت المنطلق لما أقترحه هنا. ثم جاءت تسمية عملية التحرير الثاني "توكلنا على الله" لتشكيل دافعاً لي ككاتب وصحفي أن أسجل كتابة ما دار في بالي من خواطر في شأن ربط إسم الرئيس صدام حسين بتسمية "المتوكل على الله".

ومثلما يقال إن الإسم على المسمى فإنه من الممكن القول إن الصفة تليق بالرئيس صدام لأن بالتوكل على الله يتألق يوماً بعد آخر.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الإثنين 30 مايو (أيار) 1988

حزيران العراقي.. وحزيران الآخر

منذ إحدى وعشرين سنة تعاني الأمة من تلك النكسة المريعة التي حدثت في 5 حزيران 1967 عندما تحطمت الآمال وتناثرت الأحلام مثل الشظايا بفعل الهزيمة التي حدثت يومذاك.

وعندما نتأمل في معاناة الأمة بعد ذلك اليوم يتبين لنا أن أزمة الإنسان العربي هي أزمة ثقة بالنفس وأزمة مصداقية في الدرجة الأولى.

وبسبب ذلك اليوم بات لا يتحمل الكلام الذي

يصدر عن هذا المسؤول أو ذاك، وبات يشكك في كل شيء، وبات أسير هواجس تقوم على أن القيادة ليست مع المواطن وأن المواطن، نتيجة ذلك، لا يسجل الولاء الكثير النقاء للوطن.

كذلك إنه بسبب ذلك اليوم حدثت إختراقات للنفسية العربية وتسربت إلى العقول مفاهيم غريبة عن المثل والتقاليد.

ونتيجة لذلك اليوم بات الإنسان العربي يشعر أنه يعيش في عالم من تشويه الحقائق ويشعر بأن أحداً لا يقول الحقيقة.

وكان مؤملاً أن تشكّل حرب 1973 بالنتائج الطيبة على الصعيد العسكري علاجاً لهذه الحالة المفجعة، لكن الذي حدث هو أن التوظيف الرسمي لهذه النتائج كان بمثابة صدمة قاسية. ذلك أن الأمر انتهى إلى صفقة دولية، ونعني بها صفقة "كامب ديفيد" التي عمقت الجرح الذي أصاب النفسية العربية، وبذلك إستمر حزيران رمزاً للإحباط الذي حدث وللهبوط الكثير الحد في المعنويات العربية.

ومن هنا فإنه عندما ينتقل العراق خلال ثلاثة أشهر من نصر إلى نصر ويحقق في شهر حزيران بالذات نصراً متوهجاً، فإنه يكون بذلك قد حاول إزالة الآثار التي نشأت عن 5 حزيران 1967 وكلها من النوع السيء.

إن عمليات التحرير التي يخطط لها ويقودها شخصياً الرئيس صدام حسين لم تعد أهميتها بعد السنة الثامنة للحرب تنحصر في كفاءة المقاتل العراقي وحسن تدريبه، ولا في القدرة المذهلة على الصبر والإستعداد غير المحدود للتضحية من أجل تحرير الأرض التي يحتلها الحكم الإيراني، وإنما باتت أهميتها تنحصر في توافر المصادقية العربية في شخص أحد الذين يتصدرون قيادة العمل القومي ونعني به الرئيس صدام حسين.

إن الكفاءة تأكدت مع السنة الأولى للحرب، ثم بدأت تتطور وتعمق جذورها سنة بعد أخرى.

وحسن التدريب تأكد مع السنة الأولى للحرب ثم بدأ يتطور ويتعمق بحيث أنه عندما حل ذكرى سنة جديدة للحرب تكون هنالك آلاف جديدة من المقاتلين أنهموا تدريباً جاداً وشاقاً.

ولا نعتقد بالنسبة إلى موضوع الصبر أن هنالك قيادة وشعباً وجيشاً واجهوا العدوان والعناد والعنجهية كما فعلت قيادة صدام حسين ومعه الجيش والشعب.

وما يقال في شأن الصبر يقال بالنسبة للتضحية. ثم جاءت الإنتصارات التي تعيش الأمة هذه الأيام وهجها لتؤكد المسألة الأساسية، وهي أن قيادة صدام حسين من النوع الذي يفى بالوعد. هو وعد بالتحرير وحققه. ووعد ببناء جيش يحمي العراق ويدافع عن الأمة وهذا يؤكد الذين أنجزوا الإنتصارات.

وإذاً، فإن أزمة المصادقية الناشئة عن محنة حزيران 1967 ستبدأ بالإنحسار، بعد الذي حفل به من إنتصارات حزيران 1988 ومثل هذا الأمر يشكّل إنجازاً بالغ الأهمية.

أما لماذا هو إنجاز، وبالعالم الأهمية، فلأن الجماهير العربية تتطلع إلى القائد الذي تمنحه الحب والتأييد، وعلى أن يمنحها الصدق وتنفيذ ما يتعهد به. وها هو الرئيس صدام حسين يحقق ذلك ميدانياً. ويحققه في الهواء الطلق وعلى مرأى الجميع بما في ذلك الأقمار الإصطناعية التي تلتقط الصور. وعندما يكون في إستطاعة قيادة أن تفعل ذلك وفي ظل الظروف الأكثر صعوبة وتعقيداً ونعني بها ظروف الحرب بإنتصاراتها ومآسيها، فإنه يصبح بالتالي أكثر يسراً أن تفي بكل ما تتطلبه مرحلة السلم والتي بدأ العد التنازلي لها.

وبعد اليوم فإن أي وعد من جانب قيادة الرئيس صدام حسين بتعويض الأمة عندما يسود السلام تضحيات زمن الحرب، لن يكون موضع أخذ ورد، ولا موضع تساؤل، ولا موضع إستغراب، ما دام هذا الوعد يأتي من القائد الذي إختبرته الأمة في زمن الحرب فكان أباهاً وأمها على حد قول المثل الشعبي الذي تتوارثه الأجيال، والذي سيكون كذلك أباهاً وأمها في زمن السلم.

والذي يؤكد ذلك هو أن للرئيس صدام ذاكرة من نوعية كثيرة التميز، فضلاً عن أنه كان في زمن الحرب المستمرة يخطط لزمن السلم الذي سيبدأ قريباً، وتلك حالة غير مطروقة.

وتكراراً إن حزيران 1988 أزال آثار حزيران 1967، أو على وجه الدقة أنه بدأ بإزالة هذه الآثار. والذي عاش مثلي مرحلة ما قبل حزيران 1967 بأمالها وأحلامها، ومرحلة ما بعد حزيران 1967 بمرارتها، ويعيش الآن مرحلة حزيران 1988 التي تقوم فيها قيادة الرئيس صدام حسين بعملية إزالة الآثار السيئة، يستطيع أن يتصور أهمية ما نعيشه

هذه الأيام. ذلك أن المسألة تتجاوز بكثير مسألة قدرة قتالية وكفاءة مقاتلين وتضحيات وتحرير أرض محتلة، حتى تُعد الخطوة الأهم على طريق إعادة الثقة بالنفس إلى الإنسان العربي، وهي الثقة التي إهتزت بفعل هزيمة يونيو 1967 ومن دون أن تتجح إنتصارات حرب 1973 في تقويمها وذلك لأسباب ناشئة عن نوعية الذين كانوا يحكمون وحولوا الإنتصار إلى عملية توظيف خاسرة.

وهذا الأمر بذاته هو الجوهر وهو الأساس.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الإثنين 4 يوليو (تموز) 1988

* * *

تحفظات من أجل سلام العالم

من الواضح أن هنالك شعوراً لدى البعض بأن إعلان إيران قبولها بالقرار 598 يجب أن يكون موضع إمتنان العالم والعرب بوجه خاص، من دون أن يطلب المسؤولون في هذه الدولة أو تلك وثائق الموافقة الإيرانية على القرار ويقرأوها بالكثير من التأنّي، بمعنى أن يمسكوا بالقلم قبل الشروع في القراءة لكي يضع كل منهم خطوطاً تحت هذه الكلمة أو تلك العبارة ويحاول البحث بين السطور عن النيات، التي هي ليست، على ما توضح الوثائق، طيبة على الإطلاق.

ومن الواضح أن هنالك الكثير من العتب من جانب البعض لأن إيران إستعجلت في إعلان قبولها بالقرار 598 بينما هؤلاء رتبوا أمورهم ومصالحهم على أن هذه الحرب يجب ألا تتوقف أبداً وأن حرائقها تبقى مشتعلة أفضل من إنهاء هذه الحرائق.

ومن الواضح أن هنالك البعض الذي إستكثر على العراق هذا التحفظ المشروع بينما تناسى أن القرار 598 هو في النهاية قرار عراقي إكتسب الشرعية الدولية لأنه منطقي وأنه لا فضل لإيران في هذا القرار على الإطلاق.

نعم إن القرار 598 هو في النهاية قرار عراقي بمعنى أنه جاء نتيجة ست سنوات وأكثر من السعي للسلام، بحيث لم تحدث معركة إلا وسبقها دعوة من الرئيس صدام حسين لإنهاء الحرب وتحقيق السلام، ولم تنته معركة إلى إنتصار إلا وأتبعها الرئيس صدام بالتأكيد على ضرورة أن يكون هنالك سلام وأن يكون هنالك تعايش وأن يكون هنالك إتفاق.. بل إنه وصل

إلى حد أن يسهّل الأمر على الحُكم الإيراني فيقترح المشاريع التي لا تأخذ في الإعتبار حق العراق فقط وإنما حق إيران أيضاً.

وعندما نقول إن القرار 598 عراقي فهذا معناه أن الرئيس صدام حسين حريص عليه، وأن التحفظ الذي أبداه العراق كان من أجل أن يأخذ هذا القرار فرصته ويكون بالفعل قرار سلام.

إن مسألة وقف إطلاق النار لا تحتاج إلى قرار تُوافق عليه بالإجماع الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن. بل إن هنالك فترات كثيرة لم تشهد فيها الجبهة العراقية - الإيرانية إطلاق نار لكن ذلك لا يعني أن المعارك إنتهت ولن تتجدد في أي لحظة. وعندما وضعت الدول الكبرى قرار رقم 598 فإنها بالتأكيد لم تضعه من أجل أن تتوقف قوات على الجانبين عن إطلاق النار وإنما من أجل أن يتفق العراق مع الحُكم الإيراني على إنهاء الأسباب التي جعلت لغة الحوار بالرصااص تكبر وتتطور إلى حرب طاحنة.

وحتى إذا إجتمعت لجان عسكرية مشتركة للبحث في مسألة وقف إطلاق النار فهل إنها تستطيع أن تتجاهل الأسباب التي من أجلها بدأ إطلاق النار والموجبات التي من أجلها سيتوقف إطلاق النار. ألن يجد هذا المسؤول العسكري العراقي نفسه يتبادل مع المسؤول العسكري الإيراني تساؤلات وإستفسارات في هذا الشأن؟

والطرف الدولي ألن يستغرب إذا كان مثل هذا الأمر لن يحدث؟

إن المنطقي والطبيعي هو أن وقف إطلاق النار يكون نتيجة طبيعية لقرار تتخذه القيادة السياسية في كل من الدولتين المتحاربتين بعد أن يجتمع الطرفان بصيغة أو أخرى وعلى مرحلتين أو أكثر ومن خلال ممثلين في الدرجة الأولى. وهذا يعني أنه إجراء شكلي وليس هو القضية. ولكنه في الوقت نفسه هو البداية الصحيحة لعملية السلام.

والى ذلك إن العراق عندما يقول بالحل الشامل في ظل التفاوض المباشر فإنه يتحدث باللغة التي يفهمها العالم ويريد أن يسمعها. ومن المؤكد أن دول العالم حتى تلك التي لا تتمنى للعراق أن تنتهي الحرب وهو في أوج تألقه تحترم موقفه وتأخذ على محمل الجدية توجهه. ومثلما أنه ما كان للدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي أن تتفقا على الوفاق من

وأنه ما دام قد حرر هذه المساحات فإنه يطالب بصيغة جديدة للقرار.

والآن عندما يعلن العراق أنه يريد حلاً شاملاً وثابتاً ويرى ضرورة التفاوض المباشر من أجل هذا الحل فإنه يستعمل اللغة التي يفهمها العالم بدوله الكبرى والصغرى. وهو يستعمل هذه اللغة في زمن بدأ العالم يرفض ما من شأنه تعزيز صفو السلام الذي يصبو إليه ويريده مع بداية القرن الحادي والعشرين.

والفرق بين قيادة الرئيس صدام حسين والقيادة الإيرانية أن الأولى تخطط للقرن الذي سيبدأ بعد بضع سنوات ومن أجل ذلك تريد للسلام أن يستقر، وأن الثانية تواصل السعي إلى الورا ومن أجل ذلك تقول شيئاً وتضمّر أشياء أخرى.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الإثنين 1 أغسطس (آب) 1988

* * *

الإعتراض المطلوب

لكي ينطلق مسار السلام

لنفترض على سبيل المثال أن الرئيس ريغان قال قبل أن يعقد القمة الأولى له مع الرئيس غورباتشوف إن توقعه على أي إتفاق مع الرئيس السوفياتي في شأن الحد من الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى هو أمر يفعله إنما لا يتمناه أو أنه مثل السم.. فهل إن الرئيس غورباتشوف كان سيجتمع مع الرئيس الأميركي ما دامت تلك مشاعره أو يقبل بشبه إتفاق معه؟

أو لنفترض على سبيل المثال أيضاً أن الرئيس غورباتشوف قال بعد لقاء القمة الثاني بينه وبين الرئيس ريغان إنه تم الإتفاق على أن تتولى لجان من الجانبين الكشف على قواعد الصواريخ بهدف حصرها وتدميرها لكنه كان يتمنى ألا يأتي يوم يشاهد فيه لجنة أميركية تنتقل من منطقة إلى أخرى داخل الإتحاد السوفياتي وتحصي الصواريخ التي سيتم تدميرها.. فهل أن الرئيس ريغان كان سيرتاح إلى هذا القول ويتعامل معه بروح رياضية وتسير الأمور وكأنما لم يتم الإدلاء بمثل هذه التصريحات؟

إن الرد على ذلك هو أن أيّاً من الرئيسين كان سيرفض مثل هذا المنطق وكان أمر الوفاق سيتعثر. الرئيس غورباتشوف كان سيشك في الرئيس ريغان إذا

خلال تعطيل الألغام التي يمكن أن يشعل انفجارها في أي لحظة حرباً بينهما من دون أن يزور الرئيس غورباتشوف واشنطن ويرد الرئيس ريغان له وذلك بعد لقائين تمهيديين في دولتين محايدتين، فإنه لن يكون هناك وفاق وتعايش بين الدولتين اللتين تخوضان منذ ثماني سنوات حرباً في غاية الشراسة إذا كان لن يحدث أمر مماثل من السهل إيجاد الصيغ الكثيرة له عندما يقتنع الطرفان وبالحماسة نفسها كما حدث مع كل من الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتي.

وما دام العراق يسعى للسلام ويريده ويحارب من أجله بينما الحُكم الإيراني ما زال على نيّاته غير الطيبة على الإطلاق، فمن الطبيعي أن تستمر الحال على ما هي عليه إلى أن يأتي الذين نصّحوا الحُكم الإيراني بقبول القرار 598 ويكملوا النصيحة بدعوته إلى القبول بالتفاوض المباشر من أجل الحل الدائم وفي سبيل نزع الفتيل نهائياً بحيث لا تتجدد الحرب بعد الآن.

ومثلاً أن الحل في إطار المساعي الإسلامية كان أفضل للحُكم الإيراني من القرار 598 فإن القبول بالتفاوض المباشر القائم على أساس النية الطيبة يبقى أفضل بكثير من حالة الإستسلام والإنهيار والتفكك التي قد يصل إليها ذات يوم إذا كان لن يقر بالحقائق الموضوعية والتي يمكن تلخيصها بمعادلة تقوم على أن الحرب لا تنتهي من دون تفاوض مباشر. لا الحرب العراقية - الإيرانية ولا الحروب التي سبقتها بإستثناء الحروب التي تفنّد إلى الإعتراف المتبادل من جانب دولها ببعضها البعض.

ويبقى أن العراق عندما سعى من أجل التعايش مع الحُكم الإيراني فإنه كان يخدم قضية السلام في العالم. وعندما صمد في الحرب كان أيضاً يخدم هذه القضية. وعندما نشط دبلوماسياً وفي كل المحافل كان يخدم قضية السلام. وعندما كثّف الضربات كان يخدم قضية السلام.

وحتى عندما إرتضى القرار 598 بينما القسم الكبير من أراضيه محتل فإنه كان يخدم قضية السلام بما في هذا القرار من إجحاف بحقه.

وبعدما حرر بنفسه أراضيه فإنه بدا أكثر حرصاً على السلام لأنه لم يعلن ما معناه أن القرار 598 عندما تم وضعه أخذ في الإعتبار مراعاة ظروف إيران كونها تحتل هذه المساحات الشاسعة من أراضي العراق وهي الأراضي الإستراتيجية والغنية بالثروات،

كان ينظر إلى إتفاق هدفه السلام على أنه جرعة سم. وهو كان سيشارك على أساس أنه بهذا القول يحرض على الوقيعة ويدعو حكام المرحلة المقبلة إلى أن يفعلوا عكس ما فعله هو أي يستأنفوا خطة إنجاز المزيد من الصواريخ وتطويرها بشكل لا مثيل له.

والرئيس ريغان كان سيرتاب في هذا الكلام الذي يقوله الرئيس غورباتشوف ذلك أنه إذا كانت تلك مشاعره ويعد الخطوة إثماً وكان يتمنى ألا يأتي يوم يشاهد فيه لجنة أميركية تحصى داخل الاتحاد السوفياتي الصواريخ التي سيتم تدميرها فهذا معناه أنه يقول لشعبه إنه مضطر لهذا الأمر وأن على الذين سيأتون من بعده أن يفعلوا عكس ما فعله.

وإلى ذلك إن الرئيسين قد يتبادلا الريبة والشكوك. وإذا هما فعلاً ذلك وواصلوا المحادثات وجرى التوقيع على إتفاق هش فهذا معناه تقويض مصالح والإستهانة بحياة شعوب ومستقبلها.

ولو أن بريطانيا بعد حرب طويلة وطاحنة مع ألمانيا سمعت كلاماً في سبيل وقف القتال من نوع الكلام الذي يريده خميني ومن حوله فهل كانت ستطمئن وتعد الأمر منتهياً. كذلك إنه لو حدث لفرنسا على سبيل المثال أو لإيطاليا أو لأي دولة من الدول الأعضاء في مجلس الأمن ما حدث للعراق مع إيران فهل أن أية دولة ستتقبل الأمر ببساطة وتقول إن الأقوال ليست شيئاً وإن الحرب إذا كانت ستجدد فلن يقف في طريقها إتفاق جاء بعد مفاوضات مباشرة أو إتفاق خلا من التفاوض مباشرة.

من المؤكد أن أحداً لن يقبل مثل هذا الأسلوب. فليس هنالك قبول للسلام وفي الوقت نفسه إستعداد للحرب. وإلى ذلك إننا بحكم كوننا مسلمين ننظر إلى الأعمال على أنها بالنيات.

ومن المؤكد أيضاً أن دول العالم عندما تقارن بين المواقف ستجد أن العراق أبدى تحفظات لأنه صاحب موقف مبدئي وأن إيران وافقت على القرار 598 وهي تتدب وتلطم.

ونجد أنفسنا نتساءل: أليست موافقة إيران بعد سنة على صدور القرار 598 هي التسوية بعينه؟ وهي المماثلة بعينها؟ وهي أيضاً الإستهانة بخمس عشرة دولة بذلت جهداً خارقاً من أجل إصدار قرار متوازن؟ وكدليل على سوء النية أنها لم تؤجل موافقتها على القرار 598 لأن أرضها محتلة وتأمل من عدم الموافقة كسب الوقت لتحرير الأرض وهذا حق مشروع وإنما

لجأت إلى التسوية والمماثلة والتأجيل على أمل أن تتحقق لها أحلامها في غزو العراق. وهي في الوقت الذي كانت غارقة في الأحلام وتستتهين بقرار إتخذته بالإجماع خمس عشرة دولة كانت قيادة الرئيس صدام بالمبدئية المعروفة عنها تُعد الخطط التي تُحرر بها الأرض من دون أن تسجل موقفاً واحداً من شأنه أن يبدو في نظر البعض أنه عدم إستعداد لتنفيذ القرار 598.

من هنا تبدو التحفظات والشكوك والريبة بالموقف الإيراني من جانب العراق حالة دفاعية تزول إذا صدرت عن الطرف الإيراني مواقف وإجراءات تزيل الشكوك ومشاعر الحذر.

وتلك مهمة الأمين العام للأمم المتحدة وواجب أصحاب القرار 598 وهم خمس عشرة دولة. ذلك أن هذه الدول عندما سعت من أجل قرار يصدر عن مجلس الأمن فإن السعي لم يكن من أجل أن تسكت المدافع على الجانبين فقط، وإنما من أجل أن يكون هنالك حل عراقي - إيراني ينسجم مع المرحلة الجديدة التي يتطلع إليها العالم في ظل وفاق نسجت الدولتان الكبريان خيوطه بالحد الأقصى من التأني هذه المرة.

ولا نعتقد أن إسكات مدافع على الجبهتين يحتاج إلى كل هذا السعي الذي بذلته الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن والدول الأخرى.

وبقي أنه ليشير الدهشة أن الدول التي سعت من أجل القرار 598 تعدد مدخلاً إلى حل شامل لا يتأثر بمغامرات يقوم بها الحكم الحالي في إيران أو من يخلفه، في حين أن حكم الآيات يرى في القرار أنه هدنة، وكأنما هنالك في تاريخ العالم هدنة تحتاج إلى 15 دولة كبرى وأكبر من أجل أن يلتقي وزراء خارجيتها لوضع قرار يمنع إطلاق النار.

فهل سيحدث الإعتراض وبذلك تتراجع ويكمل قطار السلام رحلته؟
لعل وعسى.

صحيفة "الجمهورية"، بغداد - الأحد 7 أغسطس (آب) 1988

إنطباعات من جنيف

أمضيْتُ في جنيف الأسبوع الأول من المفاوضات العراقية - الإيرانية المباشرة على بُعد خطوات من

القاعة التي تم فيها اللقاء الذي كان الاعتقاد بأنه لن يتم يتقدم على الاعتقاد بأنه سيتم.

أمضيئ الأسبوع الأول من اللحظة التي تم فيها اللقاء المرشح أن يصبح تاريخياً إلى اللحظة التي إكتمل فيها اليوم الأخير من الأسبوع التي كانت حصيلته معلومات لقاءات وإنطباعات.

وتسنى لي قبل أن يدخل أعضاء الوفود لعقد الاجتماع وفق الترتيب الذي تم التفاهم عليه، أن أقرأ على وجوه الأعضاء المشاعر التي تختلج في صدر كل منهم.

فهذا الأمين العام للأمم المتحدة عاقداً الحاجبين مشدوداً إلى أبعد الحدود، ولأنه على هذه الحال فإن المساعدين على دين الأمين العام رأيتهم عاقدي الحواجب مشدودي الأعصاب إلى أبعد الحدود.

وهذا هو نائب رئيس وزراء العراق وزير الخارجية الأستاذ طارق عزيز يدخل وهو منشراح الصدر وعلى وجهه ملامح المسؤول الواصل من نفسه ومن القضية التي جاء من أجلها. ولأحظت أيضاً أن بقية أعضاء الوفد مثل رئيس وفد العراق في غاية الثقة من قضيتهم وفي غاية الاعتزاز بالنصر العسكري الذي قاده صدام حسين وبسببه كانت خطوة المفاوضات المباشرة بعد الخطوة التي سبقتها وهي وقف إطلاق النار.

وهذا هو علي أكبر ولايتي وزير خارجية إيران يتوجه إلى مكان اللقاء مهموماً يتحرك بخطى ثقيلة تشبه خطى من تضطره الظروف إلى لقاء لا يريده. وإذا كانت تلك حال الدكتور ولايتي فإن حال معظم بقية أعضاء الوفد أكثر همماً.

وفي العادة إننا نحن معشر الصحفيين، نحرص عند إنعقاد المؤتمرات المهمة أو اللقاءات الشاقة التي تتسم بالتعقيد أن نقرأ الموقف على وجوه الحكام أو الوفود المشاركة في هذا المؤتمر أو ذاك اللقاء. ومن القراءة هذه نلمس معالم الطريق بمعنى إننا نعرف من قسمات وجه ذاك أنه آت لكي يقلب الطاولة بما عليها من أوراق وأفكار كما تقول إحدى عبارات لغة المؤتمرات، ونعرف من قسمات وجه هذا المسؤول أو ذاك أنه مخول من ملكه أو رئيسه بأن يكون إلى أبعد الحدود متفهماً ومتجاوباً مع إرادة الأكثرية.

والذي لاحظته ولاحظه صحفيون وإعلاميون أتوا إلى جنيف من عدد كبير من دول العالم لمتابعة المفاوضات المباشرة من أجل تحقيق السلام الدائم والشامل في الخليج والمنطقة العربية عموماً من خلال

إتفاق عراقي-إيراني واضح... الذي لاحظناه هو أن الوفد الإيراني ليس مخولاً وليس متجاوباً وليس متفهماً. وفي الوقت الذي بدأ الاجتماع الأول للمفاوضات المباشرة بين الأمين العام للأمم المتحدة والوفدين العراقي والإيراني كنا نخوض مناقشات في جلسات ودية حول فجاجين القهوة وأنواع المياه المعدنية السويسرية. ولقد إلتقى الصحفي الأبيض مع الصحفي الأشقر، مع الصحفي الأسمر مع الصحفي الأصفر على أنهم طوال سنوات عملهم السابقة في تغطية المؤتمرات التي تتعقد في هذا البلد أو ذاك لم يلاحظوا أن وفداً يشارك في مؤتمر للسلام يكون مثل الوفد الإيراني حزيناً إلى هذه الدرجة، وكأنما السلام موكب جنازة وليس مناسبة فرح. وإلتقى الصحفي والتلفزيوني والإذاعي ومندوب وكالة الأنباء ونحن نترقب النبأ الذي يشير إلى أن الاجتماع قارب على الإنهاء لنعرف النتيجة التي حققها... إلتقى هؤلاء على أن السلام يحتاج في الدرجة الأولى إلى مَنْ يريده، وإلى مَنْ يؤمن به، وإلى مَنْ هو مستعد للتضحية في سبيله. وإلتقينا جميعاً على أنه إذا كان الوفد الإيراني سيتصرف داخل الاجتماع بالمفاهيم التي تعكسها قسمات وجهه ورئيسه ووجوه زملائه أعضاء الوفد التي لاحظناها، فإننا يجب أن نضع أنفسنا في أجواء التشاؤم وليس في أجواء التفاؤل.

وعندما غادر المجتمعون القاعة وعرفنا أن النتيجة غير مشجعة تأكد لنا أن قراءة قسمات الوجوه كانت صحيحة. ذلك أن الوفد الإيراني نسي ماذا جنى من سياسة فرض الشروط في الماضي ونسي الهزائم التي منيت بها إيران وإضطرت نظام الحُكم إلى القبول بقرار (598) وجاء إلى جنيف بملي شروطاً بدل أن يتفاوض بحكمة، وجاء يريد أن يأخذ من دون أن يعطي، وجاء تنقصه النوايا الطيبة التي أشار الرئيس صدام حسين منذ اللحظة الأولى لقبول الحُكم الإيراني بالقرار (598) إلى ضرورة توافرها.

ولقد بلغنا كصحافيين وإعلاميين بعد الإستقصاء أن الوفد الإيراني إنهمك طوال الجلسة الأولى في الحديث حول التمسك بإتفاقية الجزائر عام 1975 التي لم يحافظ عليها منذ اللحظة الأولى لسقوط أمبراطورية الشاه وقيام أمبراطورية آيات الله.

وإلتقينا كصحافيين وإعلاميين على نقطة أساسية بصيغة التفاؤل وهي: وهل كان للحرب أن تحدث وتستمر ثمانية أعوام لو أن الحُكم الإيراني حافظ على

يتآمرون لأنهم لم يعتادوا على قائد عربي ينتصر

عندما ماطل الإيرانيون سنة كاملة قبل أن يوافقوا على القرار (598) كان أكثر ما يثير التساؤل هو: على ماذا يتكل الإيرانيون، ولماذا هذه المماطلة؟ وعندما إستقر الرأي على تنفيذ القرار وبدء سريان وقف إطلاق النار وعلى أن تبدأ المفاوضات المباشرة بعد خمسة أيام من التنفيذ، حاول الإيرانيون أن يماطلوا. وكان أكثر ما يثير التساؤل هو:

على ماذا يتكل الإيرانيون ما دام العراق حر أرضه في عمليات كان الإنتصار العراقي فيها بحجم الهزيمة التي لحقت بإيران.

وعندما بدأت المفاوضات المباشرة في جنيف برعاية الأمين العام للأمم المتحدة وراح الوفد الإيراني يضع العراقي في وجه إخراج هذه المفاوضات من النفق الذي وجدت نفسها فيه، كان أكثر ما يثير التساؤل هو:

على ماذا يتكل الإيرانيون، ولماذا المماطلة وتمييع المواقف وتضييع الوقت وعدم الإقرار بحقائق جديدة أفرزتها ثماني سنوات قد تكون أصعب السنوات في التاريخ الإسلامي وفي تاريخ العرب وفي التاريخ الحديث للعالم؟

وعندما كان يمر اليوم ولا يتحقق شيء، ثم ينقضي يوم آخر وتتعدد الأصوات الإيرانية التي تحرض الوفد الإيراني المفاوض في جنيف على المزيد من المماطلة والمزيد من التعتن والتمسك باتفاقية سبق للحكم الإيراني نفسه أن تبرأ منها، لأنه يريد التدخل، ويريد بسط النفوذ، ويريد تصدير الثورة عبر كل المنافذ... إنه عندما يحدث ذلك فإن أكثر ما كان يثير التساؤل هو:

الهزيمة وقد حدثت. التداعي الداخلي وما إنه يتواصل. عدم القدرة على تعبئة الناس ما إنه أمر واضح كل الوضوح حيث لم يعد في إستطاعة أقطاب الحكم إقناع أحد بالتوجه إلى جبهات القتال خصوصاً أنها جبهات ملتزمة عملياً بوقف رسمي لإطلاق النار. التعبئة الدينية لم تعد مثل السابق بل قد يجوز الافتراض أن ألوفاً كانوا يهرعون إلى المساجد لتأدية صلاة الجمعة وسماع خطبة هذا أو ذاك من رجال خميني الذين يحكمون، باتوا يفضلون البقاء في منازلهم

اتفاقية 1975، وكيف يمكنه أن يحافظ عليها وشعاره الأساسي يقوم على تصدير "الثورة" وهذا معناه ليس إسقاط اتفاقية وإنما إسقاط كل نظام خليجي وعربي وإسلامي.

ويبقى أنه على رغم الإعتقاد بأن الحكم الإيراني سيعود عاجلاً عن موقفه من طلب العراق الذي أعلن أن شط العرب عراقي، فإن المرء يجد نفسه متألماً لأن الحكم الإيراني يهدر الوقت في بحث أمر لا يجوز البحث فيه. وكيفي أن يتذكر هذا الحكم إلى ماذا إنتهت طروحاته وشروطه في الماضي، لكي يتأكد من أنه في موضوع التمسك باتفاقية 1975 لن يحصل على شيء.

وليس من مصلحة الحكم الإيراني تذكيره بطروحاته وشروطه الماضية.. ألم يعتبر أن العراق جزء من إيران، فأسقط الرئيس صدام حسين ذلك بوضع إيران نفسها على شفير البعثة؟! وألم يشترط لوقف الحرب إسقاط نظام الحكم في العراق فردت قيادة صدام حسين على ذلك بأنها وضعت الحكم الإيراني في وضع من لا يمكنه فيه أن يستمر؟!!

وما يحدث في جنيف تأكيد لذلك.. كان سهلاً قراءته على وجوه أعضاء الوفد الذاهب إلى جنيف من أجل السلام على دوي صيحات الحرب في طهران، قبل أن نسمعه من أسنة هؤلاء.

وقد لا يطول الوقت الذي نجد فيه الحكم الإيراني يتمسك بما يطرحه العراق الآن، ونعني بذلك تسهيلات الملاحاة في الخليج العربي وتطهير شط العرب، بينما هو الآن يرفض ما ينادي به العراق وهو أن يكون الشط عراقياً خصوصاً أنه المنفذ الوحيد للعراق على العالم.

وهذا الإحتمال هو أكثر الإنطباعات واقعية التي وجدت نفسي أخرج بها من أسبوع حافل في قصر الأمم في جنيف (المقر الأوروبي للمنظمة الدولية). لكن المهم الأخذ بقاعدة (يظفر أخيراً من يصبر كثيراً).

... والصبر كان من الدروس التي إستفادها العراقي مواطناً أو مسؤولاً من الحرب. بل إنه كان من الدروس الأكثر أهمية.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الإثنين 5 سبتمبر (أيلول) 1988

وتأدية الفريضة داخل المنزل والتأمل في الحال الذي وصلت إليها البلاد والتمني على الله سبحانه وتعالى أن يعجل بالإنفراج. وإذا كانت تلك هي الحال - من دون التطرق إلى تفاصيل الحياة اليومية وحجم معاناة المواطن الإيراني - فلماذا المماثلة ولماذا لا يتعامل المفاوض الإيراني في جنيف مع المفاوضات بموضوعية، وبذلك يساعد على ولادة الحل الدائم والشامل الذي يحقق سلاماً تنعم به الأجيال التي من حقها على الأجداد التفكير بمصير آمن لها؟ وعلى ماذا يتكل الإيرانيون عندما لا يفعلون ذلك، أو فلنقل إنهم يفعلون العكس؟

وعندما بدأ الضجيج الأميركي حول ظروف تتعلق بعناصر تدخل في إطار لعبة "الورقة الكردية" وكيف أن بعض السياسيين الأميركيين إستيقظت فيهم الشهامة والمشاعر الإنسانية تعاطفاً مع عناصر كردية متمردة. بات واضحاً بعض الشيء سر المماثلة الإيرانية. وعندما تطور الأمر من حملة عنبر وسائل الإعلام الأميركية وبعض وسائل الإعلام الأوروبية، إلى قرار لمجلس الشيوخ الأميركي يدعو إلى فرض عقوبات إقتصادية على العراق، فإن المسألة باتت واضحة كل الوضوح بمعنى أن هنالك داخل الولايات المتحدة مراكز قوى. بعضها في موقع إتخاذ القرار، وبعضها في موقع الإعتراض على القرار، تساند الحُكم الإيراني في الوقت المناسب.

وليس مستبعداً أن تكون رموز العلاقة الأميركية - الإيرانية التي تنشط من دون أن تؤثر عليها الحملات التي تصدر من إيران ما دامت حملات لفظية لا أكثر، هي التي كانت تماطل أولاً تكون هنالك موافقة على القرار (598) وهي التي بدأت تماطل بعدما فاجأها قيادة الرئيس صدام حسين بقدرتها على تحرير الأرض المحتلة في مسألة القبول بالقرار وهي التي بعدما ظهرت الآثار الإيجابية للتحرير على النفسية العربية وكيف أن شأن العراق بات كثير الأهمية نصحت بقبول القرار (598) كي لا يتداعى الحُكم الإيراني إلى درجة السقوط.

وهذه الرموز نفسها هي التي عززت في جنيف شأن المماثلة وهي التي جعلت المفاوضات المباشرة تحدث إنما من دون أن تكون المفاوضات ومن دون أن تكون مباشرة. وهي هي وليس أحداً غيرها التي فتحت فجأة وبكل ما تملك من وسائل إعلام بالغة الأهمية ملف "الورقة الكردية" في محاولة لإحياء

الظروف نفسها التي كانت سائدة بين العراق وإيران قبل العام 1975 والتي حاول صدام حسين أن يضع نهاية حاسمة لها لكن الشاه أبقى على الأمر شبه عالق ثم جاء الحُكم الخميني لينسف الحد الأدنى ويشعل حرباً نأمل ألا تتجدد بعد الآن. وفي الحالتين تكون "الورقة الكردية" هي محور محاولة تستهدف العراق. قبل 1975 كانت تستهدف من أن يصبح دولة ذات شأن على صعيد القوة وصعيد التنمية وبعد 1975 بعدما بدأ يشق طريقه من أجل أن يكون الدولة ذات الشأن القوي والدولة المتقدمة، أو بين الدول الأكثر تقدماً في العالم الثالث على صعيد التنمية.

والقول بأن العناد الإيراني يستند إلى هذه الرموز ليس من نوع الكلام الذي يتسم بالمبالغة. وعندما نقارن بين التفوق الذي حققه العراق في الأشهر الخمسة وبين هذه الهجمة عليه يتأكد لنا ذلك، وتتأكد لنا أيضاً بعض الحقائق، ومن بينها اللوبي الصهيوني في مجلس الشيوخ الأميركي الذي يقود هذه الهجمة ضد العراق، وهو ما كان ليقودها لو أن الحرب ما زالت مستمرة وعملية إنهاك القوة العراقية متواصلة. وما كان ليقودها لو أن كثيرين في الغرب عموماً وفي (إسرائيل) في الدرجة الأولى، ممن لهم دور في تحديد السياسات العليا لم يعتادوا على عالم عربي يكون فيه قائد منتصر، ولم يعتادوا على حالات صمود عربية، ولم يعتادوا على عرب يستبسلون ويضحون ويمارسون القتال بصبر الراغب في التفوق. وعندما يأتي صدام حسين ويضع أمامهم معادلة جديدة يكون هو بطلها، وهو رمز نصر مؤكد تحقق بعد ثماني سنوات من الإستبسال والتضحية، فمن الطبيعي أن تنشأ عن هذه المعادلة حالة إرتباك يمكن أن تتطور بحيث تصبح حالة تأمر.

وأجيز لنفسني ككاتب أتيح له أن يلتقي مرات عدة بالرئيس صدام ويتابع منهجه وأسلوب تفكيره وتعامله من التطورات، أن أقول بأن الرئيس صدام كان يتوقع أن يكون التأمر هو رد فعل مراكز القوى الدولية التي أشرنا إليها وأبرزها اللوبي المساند (إسرائيل) في مجلس الشيوخ الأميركي، على الإنتصار العراقي.

وصحيح أن هذا اللوبي لا يستطيع منع حدوث هزيمة لإيران، إلا أنه قادر بالآلة الإعلامية المؤثرة التي يملكها أن يقوم بالمزيد من التشويه والتميع، يساعده في ذلك أن الإدارة الأميركية مشغولة

بالتحضير لعهد جديد سيبدأ بعد أشهر قليلة، أو للعهد الحالي يتواصل ليضع سنوات أخرى.

ويبقى أن هذه الهجمة الأميركية تأتي أيضاً بمثابة رد فعل على مواقف إتخذتها قيادة صدام حسين. وعندما تدعم هذه القيادة القضية الفلسطينية وتعزز شأن الشرعية الفلسطينية وعندما تكون السبّاقة ومن دون الإنشغال بتحليل المواقف إلى مساندة الإنتفاضة والضفة الغربية على الرغم من الظروف التي يواجهها العراق، فهل إن (إسرائيل) لن تتأثر في شكل أو آخر؟ ولقد إختارت (إسرائيل) الثأر عن طريق اللوبي المساند لها في مجلس الشيوخ الأميركي مخافة أن تتحول مغامرة عسكرية تقوم بها ضد العراق إلى ثمن فادح تدفعه، وذلك في ضوء الإنجازات التي تحققت في ميدان منازلة إيران ومخافة أن ينقلب السحر على الساحر. وهي إختارت الثأر بعدما مهدت له بتصريحات أدلى بها كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين. وتتحدث حول التبدّل الذي جرى لميزان القوى وبروز العراق كدولة ذات شأن عسكري في المنطقة.

ولكننا ونحن نقول ذلك نجد أن أنه من الضروري ترك هامش بسيط ننظر فيه إلى الهجمة الأميركية على أنها محاولة خفية من جانب بعض مراكز القوى الأميركية وتحظى (أي المحاولة) بتأييد ضمني من الإدارة الأميركية للضغط على العراق بهدف الحصول من عراق السلام على مكاسب ومواقع ذات تميز في مجالات التنمية والتصنيع من جهة، ولكي يتعامل في مفاوضات السلام مع إيران تعامل غير المتفوق وذلك من أجل أن تبقى ماء الوجه الإيراني محفوظاً من جهة أخرى، هذا مع الأخذ في الاعتبار أن إصرار العراق على أن يكون هنالك إتفاق جديد يأخذ في الحسبان مصالحه ومصالح إيران في الوقت نفسه لا يعني أن يتصرف تصرف المتفوق. وفي أكثر من مناسبة خلال الحرب وقبل وقف إطلاق النار وبعد بدء المفاوضات المباشرة ردد الرئيس صدام ذلك وأشار إلى الحرص على التعايش المتبادل القائم على الإحترام.

وتكراراً، إن مراكز القوى الدولية التي تحاول النيل من شأن العراق أو ترمم جسوراً مع إيران على حسابه، إنما تحاول بذلك النيل من كل الدول العربية التي ساندت العراق ودعمت موقفه. وهي تنفذ مخططاتها لأنها إعتادت على حكام عرب لا ينتصرون. وبدلاً من أن تكيف نفسها للتعامل مع هذا النمط الجديد من الحكام

ونعني به الرئيس صدام حسين الذي أبقى على سياسة بلاده متوازنة على الرغم من كل ما واجهه وبقي ينتهج خطأ مستقيماً في التعامل لا إلتواء فيه، نجدها تفيض إنسانية على عناصر كردية متميزة وكأنها ستكون أكثر رفقا بالأكراد من القيادة التي أعطت هؤلاء الحكم الذاتي.. إلا إذا كان اللوبي الذي يشن داخل مجلس الشيوخ الأميركي هذه الهجمة الشرسة على العراق ويوصي بالعقوبات ويكثر من التهديدات، هو لوبي حالات التمرد في العالم، وأنه إنتظر الساعة الفاصلة في معركة الرئاسة الأميركية وخطة "التطبيع العربي - الإسرائيلي" لكي يلعب ورقة قد تكون مزعجة إلا أنها ليست مقلقة خصوصاً بالنسبة إلى صدام حسين الذي عوّدا على تجاوز الحالات المزعجة والمقلقة والأشد إقلاقاً طوال عشرين سنة.

... والله معه.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الثلاثاء 13 سبتمبر (أيلول) 1988

* * *

محاولة فاشلة لمحاصرة الإنتصار

نخطئ كثيراً إذا نحن إعتبرنا أن الرأي العام العالمي ضدنا وأن ذلك يوجب علينا أن نعود إلى مخاطبة دول العالم بالأسلوب الذي كان سائداً في الستينات.

ولماذا يجب أن يكون الرأي العام العالمي ضدنا إذا كنا نناضل من أجل حق وننتبع في ذلك الأصول. ولناخذ العراق على سبيل المثال ولنسأل أنفسنا:

لماذا يجب أن يكون الرأي العام العالمي ضده؟

إن الرأي العام العالمي مأخوذ بالصبر الذي تحلى به العراق. ومأخوذ بمثابرة القيادة العراقية وإصرارها على أن تستعيد أرضاً إحتلتها إيران.

والرأي العام العالمي مأخوذ أيضاً بالظاهرة التي تبدو حالة إستثناء وهي أن المنتصر يسعى إلى السلام، والأكثر إقتداراً يدعو إلى التعايش وتبادل إحترام السيادة وخيارات الشعوب.

إن الرأي العام العالمي يرتاح للشجاع، فلماذا إذاً سيكون ضد القيادة الشجاعة؟

والرأي العام العالمي يرتاح للواقعيين، فلماذا سيكون ضد قيادة تتعامل مع الواقعية بشعور عال من المسؤولية؟

قد تكون هنالك بعض الحكومات التي إتخذت مواقف تبدو ضد العراق، وهنالك بعض وسائل الإعلام الأجنبية التي عرضت التطورات بما يسيء إلى العراق، شوّهت المواقف عن سابق تصميم، وذلك لأن الحكومات ووسائل الإعلام هذه وجدت في النتيجة التي إنتهت إليها الحرب تعارضاً مع مصالح ومع مراهنات على أن الحرب إذا كانت لن تنتهي بمنتهى هو إيران فإنها في أسوأ الأحوال ستنتهي وفق صيغة "لا مغلوب ولا غالب". ثم جاءت النتيجة عكس كل التوقعات أو فلنقل التمنيات.

ومن الطبيعي في مثل هذه الحال أن نجد هذه الحكومة أو تلك، غير مرتاحة للتألق الذي حققته قيادة صدام حسين فعمدت إلى التشويش قدر المستطاع. كذلك من الطبيعي في مثل هذه الحال أيضاً أن نجد أن هذه الصحيفة أو المجلة أو تلك المحطة التلفزيونية، تتجاوز واقع الحال بكثير، وفي ظنها أن هذا التشهير سيقلب الحقائق بحيث يتحول العراق المنتصر إلى طرف تظلل النتائج التي حققها غيوم ثقيلة.

إن الرأي العام الدولي يتأثر بمشاهد مأساوية وتصريحات عاطفية إلا أنه في الوقت نفسه بسبب عمق وعيه وثقافته محصن بما فيه الكفاية. والذين يعيشون في أوروبا يلاحظون كيف أن المواطنين في أكثريتهم باتوا يضيّقون ذرعاً بالأفلام التي تصور معاناة اليهود على أيدي الحُكم النازي، وهي أفلام تتعهد الصهيونية بنفوذها المتشعب عرّضها عندما تكون هنالك صفقة لمصلحة "إسرائيل" أو هنالك عدوان "إسرائيلي" وتريد "إسرائيل" من خلال هذه الأفلام إمتصاص ردود الفعل السلبية عليه.

لقد حدث في الأيام الماضية نوع من التزوير للحقائق، وكل ذلك بهدف محاصرة الإنتصار العراقي. ولكن ذلك لن يحقق أي نتيجة إلا إذا إعتبرنا أن ما حدّث هو حصار لنا. والرد على مثل هذه المحاولة وإجهاضها هو الإبتعاد عن الإنفعال مخافة أن تحوّلنا هذه المشاعر إلى شعب يضيق العالم بإنفعالاته بدل أن يزداد إعجاباً بالصبر الذي تحلى به والشجاعة التي تميز بها طوال ثماني سنوات من الحرب الشرسة والتي تبدو بسبب وطأتها وكأنها ثمانون سنة.

ويبقى أن هنالك مراكز دراسات كثيرة في العالم منهكة منذ بعض الوقت بإعداد تقييم عن أوضاع المنطقة في ضوء الإنتصار العراقي وفي ضوء النمو العسكري المذهل للعراق. وهنالك حكومات كثيرة في

العالم تضع على الورق تصورات كثيرة للأوضاع التي قد تنشأ عن مركز القوة الجديد في العالم وتتساءل عما إذا كان النمو العسكري العراقي اللافت للإنتباه سيصبح القدوة والمثل الذي يحتذى به.

وسيكون من المحزن أن نعتبر أنفسنا، أو من أجل الدقة يعتبر بعضنا أنه في حالة حصار من قبل العالم بينما الإهتمام بالشأن العراقي يستحوذ على التفكير الدولي.

كذلك سيكون من المحزن أن يتم الرد على بعض محاولات التشويش بالمزيد من الإنفعال من دون أن يأخذ الذين يفعلون أن للتألق ثمنين: ثمناً باهظاً مجبولاً بدم الشهداء خلال الحرب وثمناً باهظاً جداً لا يستطيع دفعه إلا الذين يعرفون كيف يأخذون المكان المناسب في حلبة المتفوقين والمقتدرين. وهو ما يفعله الرئيس صدام حسين بحسابات دقيقة. ومن واجب العرب من المحيط إلى الخليج الإطمئنان إلى أن هنالك من يقوم بهذه المهمة على خير وجه.

أليس الذي خطط وسار بخطى وثقة خلال الحرب هو الذي يخطط ويسير بالخطى نفسها الآن؟

ومن هنا فإن المعادلة تستقيم وبالمزيد من الصبر والقليل من الإنفعال. وبذلك يزداد الرأي العام الدولي إعجاباً وتقديراً وتعيد بعض الحكومات ووسائل الإعلام الدولية النظر في حملة التشويش التي بدأتها بهدف حجب شمس الإنتصار.

ولكنها سحابة عابرة وتزول. ومن المهم التنبه إلى أن هنالك خطة شريرة قد يكون هدفها إيهامنا بأن الرأي العام الدولي ضدنا وأنها في حالة حصار.

وتتجح الخطة إذا صدّق أي واحد فينا من المحيط إلى الخليج هذا الكلام.

ومن هنا القول: لماذا يجب ألا نحقق إذاً لواضعي الخطة الشريرة غايتهم؟

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الأحد 9 أكتوبر (تشرين الأول) 1988

حالة دفاع عن النفس

قبل أسابيع كان وزراء الإعلام العرب يسجلون بعدما أنهوا إجتماعات دورتهم في بغداد موقفاً مسانداً للعراق. وكان الموقف الذي سجلوه عفويّاً وبدا فيه الوزراء كما لو أن كلاً منهم يؤيد بلده من خلال تأييده

للعراق.

وقبل أيام كان وزراء إعلام الدول الإسلامية يسجلون في نهاية إجتماعات مؤتمريهم الأول الذي عقده في مدينة جدة موقفاً مسانداً للعراق. وكان الموقف الذين سجلوه عفواً وبدا فيه الوزراء كما لو أن كلاً منهم يؤيد بلده من خلال تأييده للموقف العراقي. وهذا التأيد والمساندة، وبما يشبه الإجماع من وزراء الإعلام العرب والمسلمين ليس من أجل المسaire ولا بدافع اللياقات وإنما هو، إذا جاز القول، حالة دفاع عن النفس.

إنها حالة دفاع عن النفس بمعنى أن كل دولة عربية أو إسلامية عندما تُعرب عن أملها في تحقيق سلام عادل ودائم بين العراق وإيران وهذا ما يطالب به العراق، فإنها تُبعد عن نفسها مخاطر حرب قد تستهدفها بالشكل الذي إستهدفت به إيران... العراق. وإنها حالة دفاع عن النفس بمعنى أن كل دولة عربية أو إسلامية عندما تحيّي إنتصار الرغبة في السلام التي أدت إلى وقف إطلاق النار العراقية - الإيرانية، وتصفها بأنها إنتصار للإسلام ولوحدة المسلمين، فإنها تعلن سلفاً أن من تهىء نفسه الإعتداء عليها، فإنما يكون بذلك لا يريد للإسلام أن ينتصر ولا يتمنى للمسلمين أن يتوحدوا.

وإنها حالة دفاع عن النفس، بمعنى أن كل دولة عربية أو إسلامية عندما تقر تضمين البيان الختامي للمؤتمر الذي جرى عقده في مدينة جدة، وسيكون إنعقاده دورياً مرة كل سنتين، ضرورة أن يضمن السلام الذي يجري السعي لتحقيقه وفق صيغة قرار مجلس الأمن الدولي (598)، الحقوق التاريخية للعراق ويؤكد سيادته على أرضه، فإنها تقول ما معناه إن لهذه الدولة، مثلما لكل دولة حقاً تاريخية وسيادة ولا تريد لأي طرف أن يمس هذه الحقوق وتلك السيادة.

وإنها حالة دفاع عن النفس بمعنى أن كل دولة عربية أو إسلامية عندما ترى تضمين البيان الختامي للمؤتمر فقرة تنص على ضرورة عدم التدخل في الشؤون الداخلية كل من العراق وإيران، فإنها تطالب بذلك أن لا يتدخل أحد في شؤونها الداخلية بالشكل الذي إتبعته إيران عندما تدخلت في شؤون العراق إلى الدرجة التي تسبب تدخلها في حدوث حرب إستمرت ثماني سنوات.

وتكرراً، إن هذه المساندة للعراق في المؤتمرين اللذين أشرنا إليهما وفي مؤتمرات أخرى كثيرة سيعقدها

المسؤولون العرب والمسلمون بعد الآن وعلى جميع المستويات، هي حالة دفاع عن النفس لأن كل دولة من هذه الدول لا تريد أن يصيبها ما أصاب العراق من جراء فرض الحرب عليه.

وقبل أن يحرر العراق أراضييه كانت هذه الدول تسجل بعض مواقف التأيد والمساندة، إلا أن هذه المواقف كانت، إذا صح التعبير، لنجدة العراق، ولو بالوقفة المعنوية التي يعبر عنها الشاعر العربي القديم "فليحسن النطق إن لم يُحسن الحال...".

أما أن تستمر هذه الدول في تسجيل المواقف بصيغة تتسم بمزيد من الإصرار والحزم بعد أن حرر العراق أراضييه، فإن هذا يعني أن تلك الدول، في ضوء تأملها بما إنتهت إليه الحرب وإصرار إيران عليها، تحاول أن تدافع عن نفسها، والدفاع عن النفس لا يكون لحظة وقوع العدوان، وإنما يمكن أن يسبق ذلك، وعندما يكون تحسباً لوقوع العدوان.

وفي عالم تتزايد فيه رقعة الصراعات إتساعاً يصبح التحسب حالة تنبّه ويصبح الدفاع عن النفس واجباً.

ويبقى أن هذه المواقف العربية والإسلامية المساندة للعراق، سواء في مؤتمر وزراء الإعلام العرب في بغداد أو وزراء إعلام الدول الإسلامية بعد ذلك في مدينة جدة وبرعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، هي رد غير مباشر، لكنه رد حازم، على الهجمة الظالمة على العراق من بعض الأوساط الأميركية والأوروبية التي تتأثر إلى حد ما بالضغط الصهيونية. وكأنما تقول هذه الدول للذين قاموا بالهجمة إن العراق ليس وحده، وتقول أيضاً إننا في الوقت نفسه أقوياء بالعراق.

ومن المؤكد أن هذا الرد، سيجعل بعض الحكومات ترى أن الحد من هذه الهجمة هو الأفضل.. وهذا ما نعتقد أنه سيحدث... وإن تأخر قليلاً نتيجة تعقيدات الإنتخابات الرئاسية والحزبية والبرلمانية في هذه الدولة أو تلك.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الخميس 20 أكتوبر (1) 1988

عدم التدخل في معاهدة مطلوبة

هنالك سعي من أجل عقد قمة عربية تبحث موضوع لبنان.

وصحيح أن هذه القمة متأخرة عشر سنين إلا أن عقدها الآن من شأنه أن يؤكد أمرين أساسيين: .. والحرص على إنقاذه مخافة أن يتلاشى ككيان أو يكون ثمن قيام الكيان الفلسطيني الموحد زوال الكيان اللبناني الموجود.

ومنذ بضع سنوات يسمع المرء كلاماً كثيراً عن لبنان فهذا الطرف العربي الذي يتغنى بجمال لبنان. وذاك الذي يتذكر بإعتزاز أيام الدراسة فيه. وهذا الذي يشيد بالحريات التي كانت سمة من سماته المتميزة الكثيرة. وهذا الذي يبدي إعجابه بنظامه المصرفي.

والكل يُجمع على أن لبنان بمناظره وأسواقه وبحره وأنهاره وجباله وسهوله ومدنه وقراه ومكتباته والخدمات السياحية والفندقية والتعليمية ومستشفياته الراقية وغيرها من المزايا التي لا تتوافر حتى في بعض دول أوروبا، أمور لا يمكن تعويضها على الإطلاق إذا إستمرت الحال على ما هي عليه.

إن المرء يسمع الكثير من هذا الكلام. لكن في الوقت نفسه لا تحدث خطوات تترجم هذه المشاعر.

وبصرف النظر عن الأسباب والظروف التي جعلت الكثيرين من أهل القرار العربي لا يترجمون مشاعرهم إلى أفعال حاسمة ومن أجل ذلك وصلت مشكلة لبنان إلى الوضع المحزن الذي وصلت إليه، فإن السعي الذي يحدث منذ بعض الوقت لعقد قمة تبحث قضية لبنان يمكن أن يعوّض هذا البلد ما أصابه خلال ثلاث عشرة سنة ويعوّض اللبنانيين أحزان السنوات الصعبة التي واجهوا فيها الأهوال.

ولكن ما هو المطلوب لكي تتجح هذه القمة؟ إنها ليست القمة التي ستجمع المساعدات مثل قمة الخرطوم 1967 ومعظم القمم التي عُقدت بعد ذلك وكان إنعقادها في الدرجة الأولى من أجل جمع المال لدعم الصمود.

ولا هي مثل قمة الجزائر من أجل الإنتفاضة الفلسطينية وتأمين الدعم لها.

كما أنها ليست قمة من النوع الذي يقاطعه البعض أو يتمثل البعض فيه بمستوى أقل من رئيس الدولة، أو تكون هنالك تحفظات من هذا الحاكم أو ذاك على توصيات وقرارات تتخذها القمة. فهل يجوز أن يتغيب حاكم عن قمة مطالبة بقرار تاريخي في مسألة كيان بلد شقيق، أو يحتفظ حاكم على توصية تصون كيان هذا البلد؟

وهي أيضاً ليست قمة لياقات ولا يجب أن تكون

كذلك.

إنها إذا جاز القول غرفة عمليات يتولى كونسلتو أطباء داخل هذه الغرفة إجراء عملية دقيقة ومن النوع الذي لا يتحمل أي خطأ لمريض إذا نحن فقدناه لن يكون من السهل تعويضه.

وإذا أمكن عقد القمة فإن مجرد الإنعقاد يشكّل نجاحاً بنسبة خمسين في المائة ثم تبقى نسبة الخمسين في المائة الأخرى وهي الأهم. ذلك أن مجرد الإنعقاد هو من حيث التشبيه مثل إنسان في منتصف النهر أمامه ضفة عليه أن يصل إليها مثل الضفة التي إنطلق منها. ومن مصلحته أن يواصل السير نحو الضفة الثانية بدل أن يعود من حيث إنطلق وما دام لا يمكن أن يبقى في منتصف النهر. والقول إن الخمسين في المائة الأخرى هي الأهم على أساس أن قراراً لا بد من إتخاذه فيها ويقضي بعدم تدخّل أي دولة عربية في شؤون الدول الأخرى. ومثلما إن هنالك معاهدة الدفاع العربي المشترك التي تبقى قاعدة جيدة على رغم عدم إلزام البعض بها، فإن قرار عدم تدخّل دولة في شؤون دولة أخرى يجب أن تكون له صفة المعاهدة. وهذه المعاهدة الأخرى مطلوبة. لأنه بسبب خلو قاعدة العمل العربي المشترك منها فإن مشكلة مثل المشكلة اللبنانية ستنفجر، ذلك أنها لم تعد مجرد شوكة في الخصرة وإنما أخطر من ذلك بكثير.

في إنتظار القمة التي يجري السعي لعقدها، وبإنتظار ذلك القرار أو تلك المعاهدة في شأن عدم التدخل، فإن اللبنانيين والعرب الذين عرفوا لبنان وأحبوه وذاقوا مرارة البدائل في أوروبا وبعض الدول الأخرى، يعيشون للمرة الأولى منذ ثلاث عشر سنة على موعد مع نهاية سارة لمأساة لا مثيل لها. ومن الطبيعي أن يفرح من يتخبط في بحر عاصف إذا وجد من يخلصه.

.. والقمة العربية التي يجري السعي لعقدها هي خشبة خلاص لوطن يكاد يلفظ أنفاسه تحت سَمْع وبصر الذين في أيديهم الإنقاذ ولكنهم لم يفعلوا وقرروا في اللحظة المناسبة أن ينقذوا ما يمكن إنقاذه.. ولو كرة الطامعون.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الأحد 30 أكتوبر (تشرين الأول) 1988

* * *

الدم الذي حقن الدماء والشهيد الذي وُفّر سقوط الشهداء

النصر الذي حققه العراق للأمة هو قيادة وقضية وشهداء.

قيادة وطنية لا يغيب التاريخ عن بالها وبالذات الفصول العالقة في هذا التاريخ ونعني هنا التاريخ العربي والإسلامي.

وقضية تتلخص في أن التدخل في شؤون الغير أمر مرفوض وأن عدم مواجهة التدخل من اللحظة الأولى معناه إضافة المصير العربي بشخص العراق إلى قائمة القضايا العالقة.

وشهداء إفتدوا بدمهم أمتهم التي تعدد المتلاعبين بها بحيث أن الأمر لم يعد يقتصر على الكبار وإنما وصلت الحال إلى حد أنه حتى آيات إيران يريدون أن يجربوا حظهم في التلاعب.

وصحيح أنه ليس هناك شهيد بمواصفات الشهيد العراقي إلا أنه في الوقت نفسه ليس هناك تكريم حظي به شهيد مثل تكريم قيادة صدام حسين. ومن هنا يجوز القول إنه من الطبيعي عندما تكون القيادة متميزة يكون الشهيد متميزاً أيضاً.

وبعد اليوم ان الشهيد العراقي بات النموذج الذي يحتذى به وبات الرمز.

وقد نخطيء إذا نحن إعتبرنا الشهيد العراقي مجرد حالة بطولة فقط. ذلك أن كل شهيد عراقي وُفّر على الأمة سقوط آلاف الشهداء لأنه عندما يكون مخطط الحُكم الإيراني تصدير الثورة فهذا معناه الإجتياح ومعناه أن يدافع شعب كل بلد عربي عن سيادته ومعناه أن يسقط الشهداء. وإذا فإن الشهيد العراقي إفتدى بإسقاطه أحلام الذين يريدون تصدير الثورة عشرات الشهداء في هذا البلد العربي أو ذاك بل إنه إفتدى مئات الشهداء في هذه الدولة الإسلامية أو تلك. وهو إفتدى الآخرين لأنه عندما أوقف الغزو للعراق فإنه أوجد في نفوس العرب والمسلمين حالة من الطمأنينة تبلورت معالمها وبانت أهميتها مع معارك التحرير التي توجت النصر.

واللافت للانتباه هو أن قيادة صدام حسين تعاملت مع الشهيد كقضية وليس كحادث من الطبيعي وقوعه في زمن الحرب. والقول بأنها تعاملت مع الشهيد على أنه قضية يتمثل في التذكير بإستمرار بأن حصة

الشهداء في النصر الذي تحقق كبيرة. وكاد التعامل يصل إلى حد أنه لا فضل لعراقي على آخر إلا بالإستشهاد ومن هنا ننظر إلى مقولة "الشهداء أكرمنا جميعاً".

وإلى ذلك إن قيادة صدام حسين بلورت مفهوماً كثير التميز للشهيد إلى حد أنه بات النموذج وبحيث أنه سيقال بعد الآن: الإستشهاد وفق النموذج العراقي يحقق النصر وبصوت الوطن. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن الإستشهاد لم يعد حالة بعثية وإنما بات حالة عراقية. ونحن نقول ذلك على أساس أن ما كنا نسمعه في الماضي من مناقشات مع بعض أصدقائنا البعثيين كان يرى أن النضال حالة بعثية فقط والإستشهاد حالة بعثية فقط. وحققت قيادة صدام حسين المفهوم الذي نشير إليه وهو أن الإستشهاد في ظل قيادته حالة عراقية حيث أن الذين قاتلوا من أجل الوطن والأمة لم يكونوا البعثيين وحدهم كما أن الذين إستشهدوا كانوا بعثيين وغير بعثيين. لقد تحققت التعددية بالشهداء.

ويبقى أن تعامل قيادة صدام حسين مع الشهيد ككل تعامله مع القضايا التي تتسم بالسمو، هو تعامل جعل الشهيد موجوداً في ضمير كل عربي. فهو مثلما أنه لا يترك مناسبة وإلا ويتحدث فيها عن الأمة والعرب مع التشديد على أن العراق كان يحارب نيابة عن العرب، فإنه كذلك لا يترك مناسبة إلا ويتحدث فيها عن الشهيد ودوره في النصر الذي تحقّق إلى درجة أن الشهيد بات موضع حسد بدلاً من أن يكون مناسبة للحسرة عليه.

ونحن عندما نقول ذلك فعلى أساس أن الرئيس صدام حسين أوجد في التاريخ الذي سيكتبه المؤرخون لعراق الثمانينات مكاناً للحديث عن الشهيد كقضية ومثّل عليا وليس كأرقام كما هي الحال لدى الطرف المعتمي.

يبقى أيضاً أن الحُكم الإيراني بالحرب التي فرضها على العراق إستند إلى الوهن الذي أصاب العمل القومي وأراد أن يستعمل الدين جسراً يحل فيها الخيار الديني محل الخيار القومي. وعندما تنصّدى قيادة الرئيس صدام حسين لهذا التوجه الخبيث بمنطق قومي ويستمر على وتيرة واحدة طوال ثماني سنوات فهذا معناه أن كل بطل سقط شهيداً ساهم في إفشال الخيار الديني على الطريقة التي أرادها آيات الحكم الإيراني وحافظ على الخيار القومي صامداً بحيث لا يتداعى

إلى أن بدأ الرئيس صدام حسين خطة تطوير هذا الخيار بحيث يكون الخيار التضامني إذا جاز التصنيف.

وتكراراً إن الشهيد العراقي هو شهيد الأمة العربية والعالم الإسلامي مثلما هو شهيد العراق. وهو إشتشهد ليوفر سقوط الآلاف من الشهداء. وهو حقن بدمه دماء إخوة له في العروبة والإسلام.

أما لماذا هو المطلوب منه بالذات ذلك؟

والرد على هذا السؤال هو: لكل إنسان دور وقدر وواجب. وكان دور الشهيد العراقي وقدره وواجبه أن يصون بحياته الأمة والوطن.

تحية للشهيد في يومه.

وتحية تقدير إلى "أخو الشهداء" صدام حسين...

أبو عدي.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الخميس 1 ديسمبر (كانون الأول) 1988

* * *

إنطباعات وتمنيات

لا أدري ما الذي يجعلنا نفرح لأن بنازير بوتو باتت زعيمة باكستان للسنوات المقبلة؟

هل لأنها تحيي مجد والدها ذو الفقار علي بوتو وتؤكد المقولة الشعبية "من خلف ما مات.. وهي مقولة نردها كعرب كل بلهجته التي تختلف عن لهجة الآخر؟

أم هل لأن الذي قاسيناه كعرب وبالذات في سنوات الحرب العراقية - الإيرانية من موقف الحُكم السابق كان مرهقاً إلى الدرجة التي جعلتنا نشعر بالإرتياح لأن حُكماً جديداً أمسك بدفة القيادة في البلد الذي تحول من بلد صاحب دور، أو هكذا يجب أن يكون، إلى بلد يلتف على قضايانا بدل أن يلتف حولها؟

إن مشاعر كثيرة من الإرتياح والفرح والتفاؤل غمرتنا لأن بنازير بوتو باتت الزعيمة الأولى في باكستان. وفي البداية تمنينا لها عندما قررت خوض معركة الانتخابات أن تفوز ويكون لها حضور سياسي ملحوظ. وعندما بدأت أخبار باكستان تتحدث عن إتساع شعبية بنازير بوتو إنعكس ذلك إرتياحاً في نفوسنا. وبعدما جرت الانتخابات ونالت بنازير بوتو النسبة العالية من الأصوات في الانتخابات وبدأ مرشحو حزب والدها يفوزون في الدوائر التي خاضوا

المعركة فيها شعرنا بحالة إطمئنان إلى أنه بات لنا في باكستان سند بعد ما أمضينا سنوات طويلة قلقين كعرب من ذلك الحُكم الذي يريد من العرب خيرهم ومساندتهم والذي يساوم في علاقاته بدل أن يكون صاحب مبدئية ويعتمد التعامل المبني على الأصول.

وصحيح أن مشاكل باكستان أكثر من أن تحصى وأن هنالك إرثاً ثقيلاً من المشاكل والقضايا العالقة يفرض على بنازير أن تعالجها... إلا أن العلاقات العربية - الباكستانية دقيقة وتحتاج إلى التأمل فيها فوراً وليس تركها إلى ما بعد حل المشاكل الداخلية. والذي يساعد بنازير بوتو على إيجاد حلول سريعة للتعقيدات التي تتسم بها علاقات باكستان بالعرب هو هذا الإرتياح العربي الشامل لوجودها على رأس الحُكم في بلادها.

وقبل أن تتسلم بنازير الحُكم كانت باكستان الدولة الإسلامية الأولى من دون دور إيجابي... بل إن الدور الذي كانت تقوم به كان لمصلحة الحُكم الإيراني تسايهه في أطماعه وتمده بالكثير وتنب عنه حتى في تنفيذ بعض المخططات.

وحتى في موضوع إيجاد تسوية سلمية للحرب العراقية - الإيرانية كانت باكستان تتكأ وتضع العراقيل مع أنه كان في إستطاعتها أن تفعل شيئاً. وفي السنة الأولى للحرب إفترضنا أن الوقت لا يكفي أو أن الزمن غير مناسب وأن تحقيق التسوية يحتاج إلى المزيد من النضوج ثم يبدأ يتبين لنا أن الحُكم الباكستاني ليس فقط لا يسعى من أجل التسوية وإنما هو لا يريد للحرب أن تتوقف.

المهم أن ذلك الحُكم إنتهى. وكانت النهاية إشارة إلى أن الذين يتلاعبون بأقدار الأمة يدفعون الثمن غالباً. وحل حُكم جديد تقوده سيدة شابة نعلق عليها آمالاً كبيرة. بل أن الآمال المعلقة على بنازير بوتو هي بحجم خيبات الأمل من حُكم ضياء الحق.

ولقد وصل تعليق الآمال والترحيب العربي بها إلى الحد الذي تبدو فيه باكستان كما لو أنها الدولة العربية الثالثة والعشرون. ولا بد أن بنازير بوتو الواعية والمتقفة تدرك أهمية هذا الترحيب العربي بها ومن المؤكد أنها لن تفرط فيه.

ويبقى أن الأهم من هذا كله أن فوز بنازير أكد مسألة مهمة في العالم الثالث وهي أن جيل الأبناء هو موضع ترحيب الناس وهذا يتوقف على مدى إحساس الناس بصدق وطنية الآباء وإخلاصهم لبلدهم ونضالهم

وتضحياتهم. ومن المؤكد أنه لولا وطنية البانديت نهرو وإخلاصه ونضاله لما كان للهند أن تلتف حول إبنته انديرا ويحيطها الشعب الهندي بكل الإهتمام والرعاية. كما أنه لولا إخلاص انديرا ووطنيتها وتفانيها لما كان للشعب الهندي أن يحيط بكل الإهتمام والرعاية إبنتها راجيف بعد أن تم إغتيالها في ظروف مماثلة لإغتيال جون كينيدي رئيس الولايات المتحدة قبل ربع قرن.

وما يقال عن أنديرا غاندي ثم عن راجيف إبنتها وحفيد زعيم الهند الكبير البانديت نهرو، يقال عن بنازير بوتو التي أحاطها الشعب الباكستاني بكل الإهتمام والرعاية تقديراً منه لدور والدها ولوطنيته وإخلاصه. ومن المؤكد لو أنه كان ذو الفقار علي بوتو مجرد رجل سياسة فقط لما كان هذا الوهج حتى بعد موته. إلا أنه رجل مبادئ وصاحب قضية. والناس تذكر بالخير من كانت عنده هذه الموصفات.

ومن الطبيعي التساؤل: وهل إن الشعب الباكستاني إختار بنازير بوتو وإلتف حولها كبادرة ولاء لوالدها الراحل، وتعاطفاً من الأكثرية الباكستانية معه، وتأثراً بالظروف التي أحاطت بتصنيفته على يدي الجنرال ضياء الحق؟

والجواب عن ذلك هو: من الطبيعي أن يكون التعاطف والولاء نتيجة تأثر بالظروف المشار إليها، إلا أن ذلك لا يعني أن بنازير بوتو لم تكابد هي الأخرى بل ناضلت وقاست وعاشت مشاكل شعبها وتأقلمت مع المطاردات المستمرة وذوقت شظف العيش. كما أنها لم تخلط بين التميز والإمتيازات بمعنى أن من كان متميزاً لا يجب أن يفهم المسألة على أنها المبالغة في التمتع بالإمتيازات على أنواعها أو أن تطغى على التميز فيفقد الإنسان بذلك توازنه.

والى ذلك إن بنازير بوتو لم تتبعد عن التفاصيل الحياتية اليومية لأبناء شعبها، ولا إبتعدت أيضاً عن التقاليد. وبدلاً من أن تكون دراستها في أوكسفورد الجامعة البريطانية الشهيرة وهارفرد الجامعة الشهيرة في الولايات المتحدة مناسبة لخلع الجلد الآسيوي على أمل أن يحل محله الجلد الأميركي والبريطاني الغربي... فإنها إكتسبت من الغرب الكثير وأضافته إلى تقاليدها. ومن المؤكد أن هذه الصفات والمواصفات تطابقت مع الورقة الراجعة كونها إبنة ذو الفقار علي بوتو فكان التكريم الذي جاء بشكل مباينة لزعامتها.

كذلك فإنه لولا أن راجيف لم يكن من النوع الذي يملك الهيبة والثقة بالنفس والسمعة الطيبة والحرص على

الإهتمام بمشاكل الناس وتقدير حساسية منصب والدته - عندما كان ما يزال إبناً لرئيس الوزراء - وحساسية تراث جده.. إن راجيف لو لم يكن كذلك لما كان الهنود قالوا بلغة الممالك: ماتت أنديرا. عاش راجيف. كذلك لما كان الباكستانيون قالوا وباللغة نفسها وعندما حان الظرف المناسب: مات ذو الفقار علي بوتو. عاشت بنازير.

وتكراراً إن بنازير بوتو أشاعت بفوزها الذي أفرحنا كعرب شعوراً بالطمأنينة كنا نفتقده في باكستان. وليس هناك ما يشيع الإطمئنان، أكثر من الشعور بأن الدولة التي كانت تشوش علينا كعرب باتت معنا أو محايدة. ونقول ذلك، على الأقل من باب التمني.

ولعل هذا ما يجعل كثيرين في العالم العربي يشعرون كما لو أن بنازير هي إبنتهم أو أختهم، وأنها إستحقت عن جدارة أن تحيي ذكرى والد ناضل وكابد وقاسى وأخلص وضحى.

وعندما يكون الإبن على طريق الأب فإن الجميع يرتاحون. وهذا ما فعلته بنازير. ولأنها إعتمدت القاعدة التي يلخصها الدعاء اليومي "يا رضى الله ورضى الوالدين" فإنها نالت ما تستحقه وما يستحقه الآباء عندما يخلد الأبناء ذكراهم العطرة مثل انديرا وراجيف في الهند وبنازير في باكستان. وفي هذه الحال فإن الحكم يصبح تراثاً وليس مجرد وراثة.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الخميس 8 ديسمبر (كانون الأول) 1988

تحرير مآزق المفاوضات

على طريقة تحرير الفاو

من الطبيعي بالنسبة إلى رئيس دولة من نوع صدام حسين أن يكون الوقت عنده ثميناً جداً. بمعنى أن أية ثانية تمر من دون الإستفادة منها لا يمكن تعويضها. والرئيس صدام حسين ليس هكذا بسبب الحرب وإنما لأنه منذ السنة الثانية لتسلّم الحكم قبل عشرين سنة يخوض معارك يشكّل الوقت العامل الأساسي فيها. ولعل أهم المعارك على الإطلاق معركة التنمية التي إختصر صدام حسين سنواتها، ومعركة محو الأمية التي إختصر أيضاً سنواتها. ثم جاءت الحرب لتؤكد كيف أن يوم صدام حسين هو غير اليوم العادي. وأن هذا القائد قادر على أن ينجز في وقت

واحد أكثر من عمل. وأنه على الرغم من ذلك يتمنى في قرارة نفسه لو كان اليوم الواحد عبارة عن مئتين وأربعين ساعة بدلاً من أربع وعشرين ساعة.

وعندما يتوجه صدام حسين من إجتماع بالغ الأهمية إلى المطار ثم إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة لتأدية مناسك العمرة. ثم التوجه إلى المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية قبل العودة إلى بغداد، وإستئناف الإجتماعات والزيارات إلى الجبهة والإطلاع على التقارير وكتابة الملاحظات على كل تقرير مرفوع إليه.. إنه عندما يحدث ذلك في خلال أقل من يومين في حين يحتاج إنجازها في الظروف العادية إلى أكثر من شهر، فهذا مؤشر على حرص الرئيس صدام على الإستفادة من الوقت.

كذلك إنه عندما يقوم الرئيس صدام بزيارة مماثلة إلى القاهرة ويوصل النهار بالليل وينجز المحادثات المهمة مع الرئيس حسني مبارك ويزور مناطق عاش فيها أيام كان طالباً ولأجناً سياسياً في القاهرة، ثم يشاهد عرضاً في الأوبرا المصرية ويكون في بغداد بعد ساعات لحضور اليوم الأخير من مهرجان المريد ويستمتع إلى الشعر ويشهد إعلان توزيع جائزته الأدبية القيمة.. إنه عندما يحدث ذلك في يوم من 24 ساعة، بينما يحتاج ذلك في الظروف العادية إلى أسبوع في الأقل والإستعداد الذهني والنفسي والراحة بين مناسبة وأخرى، فهذا مؤشر على حرص الرئيس صدام على الإستفادة من الوقت فضلاً عن الحيوية التي يتم فيها توظيف الساعة بحيث لا تذهب هدراً أية دقيقة لأنها ستكون على حساب أمر آخر.

وهذان مثالان من أمثلة كثيرة لا حصر لها تعكس مدى حرص الرئيس صدام على الوقت، ورفضه أي مساس من أي مسؤول يعمل في ديوانه وفي الدولة عموماً بالوقت. وليس مبالغة القول إن ضئط ساعة الدولة يتم على وقت صدام حسين لأنه الوقت الأكثر دقة، ولأنه رئيس الدولة الذي يدرك كم أن عنصر الوقت حاسم في القرارات الكبرى والخطوات الأكبر على صعيد بناء الدولة.

ومناسبة الإشارة إلى مسألة الوقت وحرص صدام حسين على الإستفادة حتى من الثواني.. ما حدث يوم الأحد 29 يناير/كانون الثاني 1989 عندما إستقبل الرئيس صدام لمدة أربع ساعات يان الياسون ممثل الأمين العام للأمم المتحدة بيريز دي كويلار. وعندما يستقبل رئيس دولة من نوعية صدام حسين

زائراً لمدة أربع ساعات فإن علينا أن نفترض أن الرئيس وظّف هذا الوقت لتنشيط عملية السعي لتحقيق السلام بين العراق وإيران.

وعندما يحرص الرئيس صدام شخصياً على أن يشرح، وعلى مدى ساعتين (على أساس أن نصف الوقت أو أقل تستغرقه، في مثل هذه اللقاءات، الترجمة) لممثل الأمين العام للجامعة طبيعة الصراع العربي - الفارسي (والحرب التي حدثت بين العراق وإيران وجزء من هذا الصراع) فلكي يتقهم هذا المسؤول الدولي، ما دام يقود المفاوضات العراقية - الإيرانية المباشرة في جنيف، بعض الحقائق التي يمكن أن تساعده عندما يجلس بين الطرفين خلال المفاوضات أو عندما يستقبل كلاً منهم على حدة.

ومن المؤكد أن الرئيس صدام فعل ذلك على أساس أن الحرب العراقية - الإيرانية ليست مثل الحرب الأميركية - الفيتنامية لكي يكون التفاوض فيها تقليدياً، ولا هي مثل الحرب التي شهدتها أفغانستان، وإنما هي جزء من صراع يشبه في بعض أوجهه، الصراع العربي - الإسرائيلي.. ومن دون إستيعاب حقائق هذا الصراع لا يمكن للتفاوض أن يتقدم ولا للحل الدائم أن يتكرس.

وإلى ذلك إن أهمية مثل هذا الأمر هي أن الياسون سيستطيع عند إستئناف المفاوضات التمييز بين كلام وكلام، بمعنى أنه إذا قال رئيس الوفد الإيراني كلاماً لا يلتقي مع الحقائق الموضوعية للصراع العربي - الفارسي فإن الياسون لن يتصرف مع هذا الكلام تصرف من يدير جلسة وإنما سيعرف أن القائل غير واقعي وأنه بسبب ذلك تتعثر عملية التفاوض... وهكذا.

كما أن ممثل الأمين العام، الذي من الطبيعي أن يكون قد كتب تقريراً دقيقاً عما سمعه من الرئيس صدام إلى الأمين العام للأمم المتحدة. بات هو ورئيسه، بفضل لقاء الساعات الأربع بين الرئيس صدام والياسون، أكثر إحاطة بالنيات العراقية. وإذا حدث أن جدد رئيس الوفد الإيراني القول في جلسة مقبلة بأن الرئيس الوفد العراقي غير مفوض مثلما حدث في الماضي، فإن الياسون سيكون. وفي الأقل بينه وبين نفسه، مطمئناً إلى أن رئيس الوفد العراقي مفوض، بدليل أن ما يقوله سمعه هو شخصياً - أي إلياسون - من الرئيس صدام حسين عندما إجتمع إليه لمدة أربع ساعات.

ويبقى أن هذا الإهتمام من جانب الرئيس صدام بتوضيح الحقائق شخصياً لممثل الأمين العام هو بادرة من مبادرات الرئيس غير المطروقة التي تستهدف تنشيط عملية السلام المتعثرة.

وقبل هذه المبادرة كانت مبادرته بإطلاق سراح 255 من الأسرى الإيرانيين وبعدها كانت مبادرته بفتح المجال الجوي أمام الطائرات المدنية المتوجهة إلى إيران والموافقة على تشكيل اللجنة العسكرية المختلطة. وكل هذه المبادرات أشبه على الصعيد الدبلوماسي بعمليات تحرير الأرض في الفاو والشلامجة وحلجة على الصعيد العسكري والتي قادها الرئيس صدام حسين بنفسه وإنتهت إلى إجبار الحُكم الإيراني على القبول بالقرار (598).

وهي مبادرات تستهدف تحرير مأزق المفاوضات ولا يقوم بها إلا رجل الدولة الحريص على السلام والذي لا يريد للوضع بين بلاده وإيران أن يستمر حرباً باردة بعد أن كان حرباً ساخنة.. بل كثيرة السخونة. والمبادرات لن تتوقف. وبعد أيام سيكون العالم العربي والدول الكبرى على موعد مع نقلة نوعية من التحرك الدبلوماسي العراقي من أجل السلام.. الشامل والدائم.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الأحد 5 فبراير (شباط) 1989

* * *

يوم الأمن القومي والأمن الغذائي

إذا جاز التصنيف فإن يوم 8 شباط سيزل في نظرنا وحتى إشعار آخر هو "يوم الأمن القومي والأمن الغذائي" للعالم العربي. ففي هذا اليوم من عام 1980 وقف الرئيس صدام حسين خطيباً يحدد أمام حشد جماهيري مبادئ الإعلان القومي الذي أراده ميثاقاً لتنظيم العلاقة بين الدول العربية.

ويرفض الإعلان وجود الجيوش والقوات العسكرية على أية أرض عربية وينادي بتحريم اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة من قبل أية دولة عربية ضد أية دولة عربية أخرى وعدم اللجوء إلى استخدام القوات المسلحة في المنازعات مع الأمم المتحدة والدول المجاورة إلا في حالة الدفاع عن السيادة والدفاع عن النفس. كما أن الإعلان يؤكد ضرورة تضامن الأقطار العربية ضد أي عدوان أو إنتهاك يقوم به أي طرف

أجنبي للسيادة الإقليمية، وإبتعاد الأقطار العربية عن دائرة الصراعات أو الحروب الدولية وإلتزامها الحياد التام وعدم الإنحياز إزاء أي طرف من أطراف الصراع أو الحرب ما لم ينتهك أحد أطراف الصراع أو الحرب السيادة الإقليمية العربية والحقوق الثابتة للأقطار العربية التي تكفلها القوانين والأعراف الدولية.

ويدعو الإعلان إلى إلتزام الأقطار العربية بإقامة علاقات إقتصادية متطورة وبناءة، في ما بينها بما يوقر ويعزز الأرضية المشتركة للبناء الإقتصادي العربي المتطور.

ولقد حرص الرئيس صدام على أن يوضح بأن الإعلان لا يشكّل بديلاً عن ميثاق الجامعة العربية وعن معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الإقتصادي بين دول الجامعة.

وعند التأمل في البنود الثمانية للإعلان القومي نستوقفنا الرؤية المستقبلية للرئيس صدام ويستوقفنا أيضاً إقتناعه في ضوء تجربة طويلة وعميقة من أجل تحقيق الوحدة والحرية والإشتراكية بأن الطريق إلى الوحدة يبدأ بالوفاق وأن الطريق إلى الحرية يبدأ بالتخلص من الوجود الأجنبي العسكري في الأرض العربية وأن الطريق إلى الإشتراكية يبدأ بتحقيق الأمن الغذائي من خلال التعاون في المجالات الإقتصادية.

ومثل هذه الرؤية إذ تأتي منه تختلف عما إذا كانت أتت من رئيس غير وحدوي في نشأته وفي منطلقاته، بمعنى أن صدام حسين هو رمز العمل الوحدوي وأنه عندما ينقل هذا الرمز وهو في موقع القيادة والمسؤولية الكاملة المفهوم الوحدوي من آفاقه العاطفية إلى المدار الواقعي فإنه يقطع الطريق بذلك على أية مزايدات وأي هبوط حاد لدى المتمسكين بالعمل الوحدوي وفق مبادئ تغلب فيها الرومانسية على الواقعية.

كذلك إنه عند التأمل في البنود الثمانية للإعلان القومي يستوقفنا كيف أن الرئيس صدام شاء منذ اللحظة الأولى لتسلّمه المسؤولية كاملة في الحزب والدولة أن يقول من خلال هذا الإعلان للعرب من المحيط إلى الخليج مواطنين ومسؤولين أن هذا الإعلان هو منهاجه وإن واجبه في السنوات المتبقية من القرن العشرين هو تضيق شقة التباعد بين العرب، كما أن واجبه هو إختصار حجم الهوة بين أغنياء العرب وفقرائهم بمفهوم التعاون والتكامل في المجال الإقتصادي.

وعندما نقول ذلك ونشير بالتحديد إلى أن الرئيس

صدّام أراد الإحياء بأن الإعلان القومي هو منهاجه فإننا نستند إلى أن الرئيس لم يؤجّل إذاعة الإعلان وإنما حدث ذلك بعد فترة تعد وجيزة من تسلّم المسؤولية كاملة.

ويبقى أن الرئيس صدّام عندما عرض الإعلان القومي كصيغة تعاون تُبقي لكل دولة كيائها ونظام حكمها فإنه بدا بذلك كمن يقول إنه إذا كانت الوحدة صعبة التحقيق والجامعة العربية ليست فعالة بالشكل الذي تتطلبه مرحلة العمل العربي فهذا هو الإعلان القومي الذي تحول دون إنحسار الأمل بالوحدة ويحسم الظاهرة الخطيرة التي بدأت تستشري وهي ظاهرة تقول بأن العمل القومي أفلس.

يبقى أيضاً أن الإعلان القومي عرضه الرئيس صدّام قبل ست سنوات من ولادة الوفاق الدولي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. ولو كُتب للإعلان أن يأخذ فرصته لكان الوفاق العربي سبق الوفاق الأميركي – السوفياتي وكان للعرب مكانة أكبر بالنسبة إلى الدولتين العظميتين وهما يناقشان مشاكل العالم وكان الحيز العربي أكبر لدى ترتيب الأولويات بين الرئيسين ريغان وغورباتشوف.

ولكن على الرغم من كل ذلك يبقى الإعلان القومي صيغة بالغة الأهمية ما دام لم يبادر أحد بعد إذاعة الإعلان إلى طرح صيغة أهم. وهي صيغة بالغة الأهمية لأنها تجمع بين الوفاق السياسي والتعاون الاقتصادي، أي أنها تحقق الأمن القومي والأمن الغذائي اللذين هما محور الإهتمام لتقليص الهموم في المرحلة الراهنة وحتى سنوات طويلة قد تستغرق ما تبقى من القرن العشرين. وعلينا أن نتذكر بأن الوفاق الأميركي – السوفياتي كان بهدف تحقيق أمن المواطن في كلا البلدين وتأمين متطلبات الحياة من غذاء وكساء.

وحتى لا يبدو إهتمام صاحب الإعلان القومي، ونعني به الرئيس صدّام حسين يتجاوز التذكير بهذا الإعلان، إلّا إننا في ضوء ما نعرفه عن الرئيس نقول إنه لو كان، سينفض اليد منه لما كان أذاعه وأنه من أجل ذلك فإن إصراره على السلام الشامل والدائم مع إيران. ثم كيف سينفض اليد من صيغة تبدو مثالية في واقعيتها وتبدو حلاً في زمن الصعب إيجاد المعادلات المنطقية فيه والإعلان القومي عبارة عن معادلة منطقية.

ولو كُتب للعرب التأمل فيها إلى درجة الغوص في

أعمق البنود الثمانية للإعلان القومي لكان حدث ما تمناه الرئيس عند إذاعته الإعلان وهو مساندة الجماهير له. لكن الحرب إندلعت ويات العرب مشدودين إلى العراق. وكانت الحرب شرسة إلى درجة أن الإهتمام بالإعلان القومي بات مسألة ثانوية أما وقد إنتهت الحرب، أو فلنقل أنها أوشكت على الإنتهاء، فإن العودة إلى التأمل في الإعلان القومي تبدو ضرورية.

والتأمل ضروري لأن هذا الإعلان هو البوابة التي يمكن دخول العرب منها إلى ساحة الوفاق آمين مطمئنين متعاونين.

صحيفة "الجمهورية". بغداد – الإثنين 13 فبراير (شباط) 1989

لا خوف منهم ولا خوف عليه

ما دخل الإقتصاد أمراً إلّا وأصلحه. وعلى هذا الأساس فلا خوف من "مجلس التعاون العربي" الذي تم الإعلان عنه خلال لقاء القمة الرباعي الذي تم عقده في بغداد يوم الخميس 16 فبراير (شباط) 1989 بين الملك حسين والرئيس صدّام حسين والرئيس حسني مبارك والرئيس علي عبدالله صالح.

لا خوف من أن تنفصم عراه. ولا خوف من أن تصيبه نكسة لأنه لا يأخذ بقاعدة الطمع والهيمنة. كما أنه في منطلقاته حريص على أن تبقى الكيانات على حالها ويبقى الإعلام على حاله ويبقى لكل دولة نسيدها ولكل نظام خصوصيته.

ولا خوف من محاولة إختراقه لأنه في توجهه مبني بأبواب مفتوحة فهو خيمة كبرى متينة الأوتاد ورحبة وتتسع للجميع ما داموا منتجين من دون التوقف عند تصنيفات من نوع هذا شقيق غني وهذا شقيق فقير وهذا شقيق مهموم. وفي ضوء هذا الواقع فإن تعاون الأشقاء هو الحل لكل شقيق ما دام هؤلاء واقعيين ومنتجين.

و"مجلس التعاون العربي" تتم ولادته في زمن كثرت فيه الولادات لحالات مماثلة. أو أن أوجه الشبه بها كثيرة. وكل هذه الولادات تؤكد أن أزمة العالم إقتصادية وليست أزمة سياسية وأنها أزمة مال وإستثمار وأعمال وليست أزمة عقائد واتجاهات سياسية.

ونقول ذلك وأماننا أمثلة وشواهد لا حصر لها.

هذا هو الرئيس غورباتشوف من أجل الأزمة الإقتصادية بعيد النظر. في البداية قرر أن يحدث بعض التعديلات في القوانين من دون أن يتعارض ذلك مع العقيدة الماركسية. وعندما وجد أن ذلك ليس سهلاً وأن المسألة مسألة وقت وكسب هذا الوقت ضروري وضع العقيدة جانباً، أو فلنقل أقدم على عملية تحييد للعقيدة، وبدأ إنطلاقته التي تستهدف إيجاد حلول للأزمة الإقتصادية أولها توسيع هامش الحوار والتعبير عن الرأي عند المواطن.

وهذه هي الدول الأوروبية من أجل الأزمة الإقتصادية تقرر التقليل من الحواجز التي تفصل بينها. ولن تمر سنتان إلا ونحن أمام أوروبا غربية واحدة على الصعيد الإقتصادي. وكل ذلك سيتم من دون أن تستفيد دولة على حساب أخرى، أو تأخذ دولة من طريق أخرى، أو تطمع دولة بأخرى، أو تقلل دولة من شأن أخرى.

وهذه هي الدول الإشتراكية تبدأ التوجه دولة بعد أخرى نحو مفاهيم جديدة تأخذ في الاعتبار أن أزمة العالم الإقتصادية تحتم تغيير النظرة وتعديل الأسلوب وإعتماد المرونة.

وإذا كانت هذه الدول تفعل ذلك فمن الطبيعي أن يكون في المنطقة العربية تنبّه إلى هذا الأمر. ومن هنا يمكن النظر إلى "مجلس التعاون العربي" على أنه حالة تنبّه أو تيقّظ جاءت في الوقت المناسب.

وإلى ذلك إن "مجلس التعاون العربي" بالصيغة التي طرحها قادة العراق ومصر والأردن واليمن صيغة صحيحة لأنها تقوم على صفاء القلوب والنيات. وعندما يتأمل المرء في الإجماعات التي عقدها القادة الأربعة وفي أسلوب المداولات وكيف أنهم يلتقون كمن يؤدي صلاة الجماعة من دون لقاءات ثنائية وراء الكواليس بين هذا القائد وذاك ومن دون أن يعرف الغير بما تم البحث فيه، فإن ذلك يدعو إلى الإطمئنان.

أما لماذا الإطمئنان فلأن أحداً لا يتشاطر على الآخر، كما أنه ليس هنالك إثتان يحاولان التحالف ضد الغير. وأسلوب الكواليس كان الآفة التي أصابت العمل العربي المشترك منذ القمة الأولى في أنشاص وحتى القمة الأخيرة في الجزائر. والذي كان يحدث هو أنه لمجرد أن يبدأ اللقاء حتى تكثر الإجماعات بين الكواليس. وهي أساءت بدليل أن العمل العربي المشترك متعثر.

كما أن المرء عندما يتأمل في الإتفاقية التي

أصدرها القادة الأربعة ويقرأ السطور وما بين السطور يستوقفه هذا الحرص والتأني والواقعية إلى درجة أنه يحتار في وضع هذه الإتفاقية لأنها مناسبة لكل واحد من القادة الأربعة.

ويبقى أن الأهم من هذا كله هو أن "مجلس التعاون العربي" راسخ لأنه مبني على قواعد سليمة. ولأنه راسخ فلا خوف من تداعياته. وهو خيمة تستوعب كل عربي منتج. ومثلما أن المسلم يدخل المسجد مطمئناً ويؤدي الفريضة مرتاحاً فإن العربي يجد في "مجلس التعاون العربي" الذي وضع القادة الأربعة الملك حسين وصدّام حسين وحسني مبارك وعلي عبدالله صالح توافيقهم على إتفاقيته وبنوده أنه الخيمة التي يمكن أن يناقش في داخلها همومه في المرحلة التي تسود الأزمة الإقتصادية العالمية شرقاً وغرباً.

وفي إنتظار أن يدخل هذه الخيمة آخرون نتمنى لهذه الخطوة أن تتطور وتصل. ونقول ذلك مع تسجيل حقيقة أساسية وهي أن قوة المجلس هي في الإنسجام الذي بين قادته، وأي عضو جديد ليس على الإنسجام الحالي من شأنه أن يتسبب في الإرتباك وفي إنشغال البال.

مبارك لنا جميعاً هذا الإنجاز الذي يغلب فيه التفكير الموضوعي على العاطفة والحماسة، والذي لا خوف منه ولا خوف عليه.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - السبت 18 فبراير (شباط) 1989

آن أوان الهجرة العربية المعاكسة

تسببت الظروف السياسية التي عاشتها المنطقة العربية في الخمسينات بحدوث موجة من الهجرة حيث أن أعداداً من المتعاطين في الشأن العام لم يتحملوا مسألة الحُكم العسكري ولم يتعايشوا مع واقع الانقلابات العسكرية، فضلاً عن أن الذين قاموا بهذه الانقلابات كانوا لهؤلاء بالمرصاد فضايقوهم من أجل أن يرحلوا وبذلك تخلو لهم الساحة أو أنهم إبتهجوا برحيلهم الطوعي وإعتبروه خطوة طيبة لمصلحة الإقليميين.

ومع موجة الإشتراكية التي سادت المنطقة العربية في الستينات حدثت موجة هجرة أخرى حيث أن المثات الذين فوجئوا بالواقع الجديد ولم يستطيعوا تحمّله هاجروا لعلهم يجدون في بلاد الله الواسعة ما

يعوّضهم من مكاسب أفقدتهم إياها قرارات الاشتراكية. وبسبب الحرب التي شهدتها لبنان حدثت موجة هجرة ثالثة وكانت تلك أكثر الموجات إتساعاً لأنها لم تقتصر على اللبنانيين وإنما شملت ألوف الذين إختاروا لبنان في الهجرتين الأولى والثانية ليكون بسبب وضعه المناسب الوطن الثاني البديل لهم إلى حين إستقرار الأوضاع في بلدانهم.

ونتيجة لموجات الهجرة الثالثة بات هناك ما يجوز إعتباره (العالم العربي الثاني) وهو عبارة عن بضعة ألوف من معظم الدول العربية شاءت الظروف السياسية أو اضطرتهم إلى أن يتوزعوا على عدد من الدول في أوروبا وأفريقيا وأميركا اللاتينية والولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

وعلى مدى خمسة وثلاثين سنة أصبح الذين هاجروا آباء وأجداداً وبات للأبناء عدد من الأطفال. وإذا أمكن إحصاء عدد أفراد (العالم العربي الثاني) لتبين أنه بمئات الألوف بل إنه بات بضعة ملايين.

وقد يكون هؤلاء الذي هاجروا شعروا في البداية ببعض الإرتياح بمعنى أن الذي هاجر بسبب ضيقه من وصول العسكريين إلى الحُكم بإنقلاب مفاجيء قد يكون شعر ببعض الإرتياح لأنه يعيش في بلد لا وجود لمثل هذه المفاجآت والتقلبات فيه، إلا أنه ومقابل ذلك واجه ضيقاً أشد وطأة وهو أنه لا قيمة له خارج وطنه، وأنه يبقى غريباً مهما إرتفع شأنه.

كذلك قد يكون الذي إرتاح في هجرته إلى بلد رأسمالي من مشاكل الاشتراكية والأجواء العدائية التي أحدثتها في نفوس البعض، إكتشف مقابل ذلك أن الرأسمالية ملأى بالعيوب وأن كرامة الإنسان ليست مصانة للحد الذي يعتقد.

وهؤلاء الذين هاجروا من لبنان هرباً من الهمجية الذي إنتشرت فيه، ورفضاً منهم للإنتماء إلى الميليشيات، هم أكثر الذين عانوا من الهجرة وفي الوقت نفسه أكثر الذين تكتسب هجرتهم مشروعية، بمعنى أنهم على حق في هجرتهم. ذلك أن الفرق كبير بين المواطن العربي الذي هاجر لأنه لا يتحمل الحُكم العسكري، أو إحتجاجاً على الاشتراكية وقراراتها، وبين مواطن هاجر هرباً من القصف العشوائي والتعصب والإستهتار بالقيم.

وقد دفع معظم الذين هاجروا الثمن غالباً ذلك أن جيلين من الأبناء العرب يعيشون في الخارج حياة تعصف بها التناقضات. وهل هناك أقسى على النفس

من أن الإنسان يعرف لغة البلد الذي هاجر إليه، إلا أنه لا يعرف لغة وطنه الأم أو من إنسان له تقاليده ولأبنائه أو أحفاده تقاليد أخرى أو من إنسان يصوم ويصلي إلا أن الأبناء والأحفاد لا يعرفون الصلاة ولا يؤدونها. كما أنهم لا يصومون ولا يحتفلون بالأعياد والمناسبات الدينية أو يحلمون عندما يكبرون بتأدية فريضة الحج.

ولقد حدث أن هجرة هؤلاء جميعاً بدأت على أساس أنها هجرة مؤقتة بمعنى أن الذي هاجر هرباً من العسكريين الذين قاموا بإنقلاب إفترض أن الحُكم العسكري سيزول، وأن الهجرة تبعاً لذلك ستكون مؤقتة. ولكن الذي حدث أن الهجرة طالت بأن إستمر الحُكم العسكري ولم تتبدل سوى الوجوه. كما أن الذي هاجر هرباً من الاشتراكية إفترض أن ما قبل الاشتراكية سيعود وأن الهجرة تبعاً لذلك ستكون مؤقتة لكن زمن الاشتراكية طال وفاق التوقعات.

ولذلك إن الذين هاجروا من لبنان تصرفوا على أساس أن الذي حدث في هذا البلد إنما هو حالة إستثنائية لا تلبث أن تزول بسرعة ويستعيد البلد الجميل هدوءه وإستقراره لكن الحالة الإستثنائية باتت على ما يبدو حالة راسخة وطالت الهجرة إلى حد أنها دخلت عامها الرابع عشر من دون أن يكون هناك في الأفق بصيص أمل.

والآن ما العمل؟

إن هذه الألوف من العرب التي هاجرت بسبب الظروف التي أوردناها يجب أن تعود. والعودة لا يمكن أن تحدث إلا بزوال الأسباب الموجبة.

وعندما نتأمل في الواقع الراهن في العالم العربي نتأكد لنا بعض الحقائق الموضوعية ومنها أن المنطقة العربية مقبلة على مرحلة من الإستقرار. حيث أن الظاهرة الإنقلابية إنحسرت وإنحسرت أيضاً التوجهات الاشتراكية بمفاهيمها السابقة.

وعند المزيد من التأمل نلاحظ أن المغامرات الإنقلابية لم تعد مقبولة من الناس، وأن العسكريين لا يجب أن يحصلوا على أكثر مما هم حاصلون عليه.

وهو أن يكونوا جزءاً من النظام، ونلاحظ أيضاً أن إعادة النظر في التوجهات الاشتراكية تحدث ببطء إلا أنها تتطور يوماً بعد آخر. ويحدث إلى جانب ذلك أيضاً توجه ملموس نحو إعتداد أجواء تميل نحو الليبرالية وممارسة حرية الرأي في إطار من التحسس بالمسؤولية.

وحدوث مثل هذين الأمرين يُفقد الذين هاجروا في الخمسينات والستينات حجتهم ويشكّل ما يشبه الدعوة إليهم بالهجرة المعاكسة.

ولكن تبقى الحلقة الأهم في إيجاد حل للمشكلة اللبنانية. وإذا حدث ذلك فهذا معناه أن الهجرة المعاكسة ستحدث بشكل شامل وتتحسر نهائياً ظاهرة (العالم العربي الثاني).

وقبل قيام (مجلس التعاون العربي) كانت كفة التشاؤم تميل على كفة التفاؤل بالنسبة إلى حل المشكلة اللبنانية. ثم تساوت الكفتان. لكن الحل لن يحدث قبل أن تتجح كفة التفاؤل. وهذا ما نتوقعه في ظل الأجواء الجديدة في التحرك العربي والذي يتمثل في زيارة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للعراق ثم زيارته لمصر بواذر خير قد تنهي أربعة عشر عاماً من العذاب وتزيل الشوكة الأكثر إيلاًماً في الخاصرة العربية.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - الخميس 6 أبريل (نيسان) 1989

تأجيل يدعو إلى الإستغراب

عندما أذيع رسمياً أن مجلس الجامعة العربية سيعقد يوم الجمعة الحادي والعشرين من أبريل/ نيسان عام 1989 إجتماعاً غير عادي في تونس للبحث في التطورات المأساوية في لبنان إنتابنا شعور بالإرتياح إنطلق من إنطباع بأن الدول العربية تتصرف بمسؤولية، وأنها بسبب فداحة الخسارة الناشئة عن إستمرار التفجر في لبنان، قررت التحرك بسرعة وعقد إجتماع طارئ لوزراء الخارجية يحاولون خلاله وضع تصوّر من شأنه محاصرة الحريق إذا كان إخماده متعذراً في الوقت الحاضر.

ذلك كان شعور المراقب من بعيد، وشعور المواطن العربي الذي يعيش في بلده خارج لبنان والذي يستبد به الحزن بسبب المأساة التي يعيش فيها لبنان وسكانه الصامدون على الرغم من كل الأحوال. أما شعور اللبنانيين كان من الصعب وصفه، وكان مزيجاً من الحذر والفرح. الحذر من أن يتعثر الإجتماع فلا يحقق النتيجة المرجوة وهي في الحد الأدنى وقف إطلاق النار، والفرح بأن الدول العربية مازالت مهتمة بأمر لبنان وتعتد الاجتماعات الرسمية من أجل البحث عن

حلول لمشكلته شبه المستعصية.

وبين التشاور لعقد الإجتماع غير العادي لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية وتحديد موعد الإجتماع، كانت قد سالت دماء مئات الاطفال والنساء وكبار السن من جرّاء القصف السوري والأطراف اللبنانية الحليفة للحكم السوري، ومن جرّاء الرد على هذا القصف من جانب الذين يطالبون بإخراج القوات غير اللبنانية من لبنان بما في ذلك القوات السورية.

وبالإضافة إلى ذلك كانت القذائف قد سقطت بالألوف على أحياء بعض المناطق اللبنانية من دون إستثناء، وأحدثت دماراً لا مثيل له وخسائر من الصعب تحديد حجمها. ومن المؤكد أن منظر القذائف تتساقط حتى على البحر حيث هنالك سفن يمكن أن تنقل جرحى إلى خارج لبنان بدا لمن شاهده كما لو أنه أمام شاشة تعرض فيلماً سينمائياً يعتمد على اللامعقول من أجل جذب الإنتباه وجعل الفيلم يحقق عوائد مرتفعة لشدة إقبال الناس عليه.

وبين إنتهاء أمر التشاور إلى الإتفاق على تحديد يوم الجمعة الحادي والعشرين من أبريل موعداً لعقد الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية على مستوى وزراء الخارجية والإعلان رسمياً قبل يوم من حلول الموعد عن تأجيل الإجتماع إلى يوم السادس والعشرين من أبريل، كان المزيد من الدم قد سالت والمزيد من الأبرياء قد تحولوا إلى ضحايا والمزيد من القذائف حصدت الكثير من مظاهر الحياة في هذا البلد الذي يكتوي بنار الحرب البشعة المفروضة عليه منذ أربع عشرة سنة.

ولقد كان وقع نبأ التأجيل من النوع المضحك المبكي. بل إن هذا التأجيل بدا كما لو أن الطبيب بدل أن يهرع إلى نجدة المريض قرر الإخلاء أولاً إلى قيلولته، أو أن رجل الإطفاء بدل أن يوجّه خرطوم المياه إلى الحريق المشتعل أمامه والتي تنبعث من بين لهيب النار والدخان أصوات الأنين والإستغاثة قرر أن يتأمل في هذا المنظر "الرومانسي" أو أن الجراح الذي يقع على عاتقه واجب إجراء العملية الجراحية لأحد المرضى إرتأى أن ينجز بعض المهمات الخاصة أو الزيارات الشخصية أو تلبية دعوة لمناسبة إجتماعية قبل أن يتوجه إلى غرفة العمليات وإجراء العملية الجراحية التي لا تحتل التأجيل.

هكذا بدا نبأ التأجيل ووقعه على النفس ونحن

نستمع إليه.

ولو أن موجبات التأجيل كانت منطقية لكان الأمر مقبولا فليس هنا سوى "ظروف خاصة تتعلق بإرتباطات بعض الإخوة وزراء الخارجية".

والى ذلك إن في تاريخ الزيارات الرسمية العربية وفي تاريخ الجولات التي يقوم بها المبعوثون والممثلون الشخصيون للملوك والرؤساء مناسبات حدث فيها تأجيل لزيارة رسمية أو قطع لجولة لأسباب خاصة من نوع وقوع حادث عائلي مفاجيء أو وفاة شخص عزيز أو نتيجة الإصابة بالأنفلونزا يمكن علاجها ببعض الأسبرين أو المضادات الخفيفة.

إن انعقاد الدورة الطارئة لمجلس الجامعة العربية كان لن يتسبب في حدوث المعجزة، لكنه في الأقل كان سيعطي الدبلوماسية العربية مصداقية تحتاج إليها خصوصاً بعد ما تعرضت مصداقيتها للكثير من النكسات خلال مراحل صعبة من الحرب العراقية - الإيرانية واجهها العمل العربي المشترك عندما كانت تتعقد الاجتماعات من دون أن تحسم، وعندما كانت تتأجل باللحظات التي كان الإنعقاد من شأنه أن يقلل من حدة النزف أو يرفع قليلاً درجة المعنويات.

ويبقى أن نعرض معاً ما الذي يمكن أن يحدث من لحظة إعلان التأجيل إلى اليوم الجديد الذي تم تحديده للإنعقاد. إن عشرات الاطفال الذين أصابتهم الشظايا ربما يموتوا وثمة مسألة لافتة للإنتباه وهي أنه عندما يسافر وزراء الخارجية أو يغيب هذا الوزير أو ذاك عن بلده يكون هنالك وزير بالنيابة. ولا نعرف لماذا لا يبدو طبيعياً حضور الوزراء بالنيابة بدل التأجيل، فضلاً عن أنه خلال الزيارة التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز قبل بضعة أيام إلى القاهرة صدرت عن العاهل السعودي تصريحات تفيد أنه بالنسبة إلى المؤتمرات العربية (وكان يقصد القمة) سيتم اعتماد قاعدة الأكثرية وليس الإجماع. والقصد من هذه الإشارة هو القول أنه إذا كان من الممكن للدورة الإستثنائية لمجلس الجامعة أن تتعقد من دون حضور الوزراء الثلاثة، وذلك عملاً بالقاعدة التي أوضحها الملك فهد يصبح من الطبيعي إنعقاد الدورة لمن ينوب عن الوزراء الثلاثة هذا مع وضع بعض الخطوط تحت ملاحظة أن الأسباب الموجبة التي أوردها نأب التأجيل قابلة للأخذ والرد، وهي أسباب تبقى أقل أهمية بكثير من هول المأساة اللبنانية التي تحتاج من الدول العربية إلى وقفة شجاعة وتنسم بالنخوة

والصدق. يمكن أن يتواصل النزف عندهم فتفيض أرواحهم أو تحدث مضاعفات للجراح التي أصابت أجسادهم بحيث يتم بتر ساق هذا الطفل أو ذراع تلك الطفلة.. وهكذا.

إن عشرات النساء يمكن أن يسوء وضعهن الصحي وبذلك يحدث إنهيار داخل العائلة.

إن العشرات من الكبار في السن يمكن أن يسقطوا أمام سوء العلاج والتغذية حيث لا مجال للطبابة والإعتناء بالمسنين لأن المستشفيات وبالطاقة المتواضعة التي تعمل بها ملأى بالذين أصيبوا إصابات خطيرة من جراء القصف.

إن ألوف القذائف قد تنصب فجأة على رؤوس الناس وبيوتهم ويكبر بذلك حجم المأساة بدل ان ينحسر بعض الشيء.

إن المزيد من الشعور بخيبة الأمل سيحدث لدى اللبنانيين المغلوب على أمرهم، شعور ناشيء عن أن إخوانهم العرب لا يضعون حداً لمأساتهم.

وهذه الحالات هي على سبيل المثال لا الحصر. يبقى أيضاً أن التأجيل الذي حدث كان مخيفاً لأنه ترك إنطباعاً بأن ما دام لبنان بات الحالة الميؤوس منها فماذا يقيم أو يؤخر بدل الغد أو تأجيله أسبوعاً أو أسبوعين أو أكثر ما دامت الحرب اللبنانية دخلت عامها الخامس عشر..

هل هذا هو الإنطباع. وهل هذا هو التشخيص؟ أم أن الإجتماع الإستثنائي لم يحدث وتأجل أسبوعاً لأن القرار العربي في شأن لبنان لم يتم التقاهم بعد عليه. وهذا الأمر لم يحدث في إنتظار أن يتم التقاهم الدولي. وما فائدة عقد إجتماع إستثنائي لمجلس الجامعة إذا كان وزراء الخارجية سيصلون صباحاً ويعقدون جلسة أو إثنين ويسافرون في اليوم التالي من دون توصية حاسمة؟

الفائدة هي في أنه سيبعث الأمل في النفس. وسيجد بضعة ألوف من اللبنانيين يعيشون تحت القصف وفي ظل أكثر المآسي هولاً في التاريخ العربي الحديث أن الأشقاء إذا كانوا عاجزين فليس معنى ذلك أنهم غير مهتمين.

ويكفيهم.. يكفي اللبنانيين ذلك إلى أن يأخذ الله بيدهم أو يجازي الذي أو الذين، يتلذذون بتعذيبهم على النحو الذي يجري منذ أربعة عشر عاماً.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - 1989

* * *

قمة هلسنكي: العملاقان.. والمارد

بعد القمة الأميركية - السوفياتية الأولى التي جرى عقدها في جنيف من 19 إلى 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 1985 كان أقصى ما نتمناه كعرب هو ألا ينسى الرئيسان ريغان وغورباتشوف عندما سيعقدان قمتهم الثانية الوضع في المنطقة العربية فيساهمان في وقف الحرب العراقية - الإيرانية ويتفقان على صيغة حل للأزمة في لبنان وصيغة حل أخرى تتسجم مع المنهج المرن للقيادة الفلسطينية.

ولكن الذي حدث هو التجاهل التام بحيث أن القمة الثانية التي عقدها الرئيسان ريغان وغورباتشوف في ريكيافيك عاصمة آيسلندا يومي 11 و 12 أكتوبر 1986 لم تتطرق على الإطلاق إلى القضايا المشار إليها. وكان ذلك بمثابة خيبة أمل لنا كعرب لأن المحنة الناشئة عن استمرار الحرب العراقية - الإيرانية والمحنة الناشئة عن استمرار الحرب اللبنانية والمحنة الناشئة عن عدم إيجاد صيغة حل للقضية الفلسطينية كانت بمثابة إستنزاف لا مثيل له وكانت إلى ذلك بمثابة إزهاق للأرواح وتبديد للطاقات والثروات وإحباط للمعنويات.

وإفترضنا أن الرئيسين الأميركي والسوفياتي بعدما أنجزا الإتفاق المتقدم في شأن إزالة الصواريخ النووية المتوسطة المدى خلال القمة الثالثة التي عقدها في واشنطن من 8 إلى 10 ديسمبر (كانون الأول) 1987 سيضعان على الطاولة أمامهما القضايا التي تعينا كعرب والتي أشرنا إليها ولكنهما تعاملتا مع هذه القضايا بالتجاهل.

كل ذلك يحدث ونحن على قارعة التاريخ ننتظر ويكون إنتظارنا مجبولاً بالدم وتكون ثرواتنا تذوب في جحيم الحرب المفروضة علينا.

ولقد كان واضحاً أن القوتين العظميين لا تريدان الإهتمام بقضايانا ربما لتقدير من كليهما بأنه مادام لا خوف من هذه القضايا فلماذا لا يتواصل التأجيل ويعالج الطرفان كل القضايا التي تخصهما. وهذا ما حدث بالفعل.

ففي الوقت الذي كان الرئيس ريغان يزور ضريح لينين في الساحة الحمراء على هامش القمة التي عقدها مع الرئيس غورباتشوف في موسكو من 29 مايو إلى 2 يونيو 1988 كانت الدماء تغلي في عروقنا نتيجة هذا التجاهل من جانب الدولتين

العظميين.

وبعد القمة الأولى التي عقدها في مالطا يومي 2 و3 ديسمبر (كانون الأول) 1990 الرئيس غورباتشوف مع جورج بوش الذي بات رئيساً للولايات المتحدة خلفاً للرئيس ريغان بات واضحاً لدينا أننا كعرب على هامش جدول الأعمال وأن مرحلة جديدة بين الدولتين العظميين بدأت وستطول ولن يكون هنالك إهتمام بقضايانا.

وجاءت القمة التالية بين الرئيس بوش وغورباتشوف في واشنطن من 30 مايو إلى 3 يونيو 1990 تؤكد أن الدولتين العظميين إتفقتا علينا أو فلنقل إن الرئيسين إتفقا ألا يختلفا على أمر نكون نحن كعرب طرفاً فيه. وأغلب الظن أن الإدارة الأميركية إخرقت هذا الواقع وتسالت منه لنقوم بالدور النشع الذي قامت به وتمثل بإرسال ثلث جيشها إلى منطقة الخليج بحجة أن دولة صديقة لها مهددة وهي حجة تغلب فيها الإفتعال على الحقيقة.

وعندما يقرر الرئيسان بوش وغورباتشوف عقد قمة بينهما فهذا معناه أن الدولتين العظميين لم تكونا على حق عندما كانتا في الماضي تعتبران بأن قضايا العرب ليست من النوع المستعجل ولا هي أيضاً من النوع الذي يثير القلق في النفوس.

أما لماذا ليستا على حق فلأن الأزمة الراهنة في الخليج أثبتت أنها قادرة على أن تقلب الطاولة التي عقدا حولها ثمانية إجتماعات على مستوى القمة وقادرة على أن تقلبها بما تحويه من خطط وأوراق وإتفاقات تم التوصل إليها.

والأهم من هذا كله أن هذه الأزمة تؤكد حقيقة أساسية وهي أن عدم تعاطي الدولتين خلال سنوات القمم من 1985 إلى 1990 مع القضايا التي تهمنا كعرب وبالإهتمام العالي وعدم الإستهانة كان خطأ فادحاً إرتكبتاه، وأن القمة التاسعة يوم الأحد المقبل قد تكون لتصحيح الخطأ أو لتدأرك أمور جسيمة يمكن أن تحدث.

ويبقى أنه عندما نقرأ ما صرح به وزير الخارجية السوفياتي ادوارد شيفارد نادره يوم الثلاثاء الماضي والذي دعا فيه إلى مؤتمر دولي عن الشرق الأوسط نتذكر على الفور مبادرة 12 أغسطس 1990 التي طرحها الرئيس صدام حسين كصيغة حل لكل الأمور العالقة. وهي مبادرة شمولية كبيرة.

يبقى أيضاً أنه إستناداً إلى تجربتنا مع القمم

الأميركية السوفياتية السابقة فإننا يجب ألا نتفاعل كثيراً من القمة التاسعة التي ستنعقد يوم غد الأحد (9 سبتمبر) في هلسنكي.

لكننا إستناداً إلى واقع حال الأزمة نفترض بأن الرئيسين بوش وغورباتشوف سيخاطب كل منهما الآخر ولو صمناً قائلاً: أي وفاق هذا الذي حققناه وأي إتفاقات هذه هي التي أنجزناها ما دام في إستطاعة قيادة تاريخية من نوع قيادة صدام حسين التذكير بأسلوب غير مطروق بالقضايا العربية العالقة.

والأسلوب غير المطروق ليس الإنتظار على الأبواب لعل الرئيسين يمنحان العرب بعض الإهتمام، وإنما وضعهما أمام لحظة حاسمة يتخذان فيها قرارات واقعية إن لم نقل عادلة، أو تتطور الأمور التي قد تنتهي بإهتزاز قاعدة القوة بحيث لا يعود الإتحاد السوفياتي الدولة العظمى ولا تعود الولايات المتحدة الدولة الأعظم ولا تعود الأنظار، كما كانت الحال في الماضي تتجه إلى لقاء العملاقين ما دامت الأزمة التي بروح عالمية من المسؤولية والحس القومي والإنساني الرئيس صدام حسين ليست بتلك البساطة كما كانت تتصور لقاءات القمة الأميركية - السوفياتية أي أنه إذا كان رئيسا الدولتين العظميين عملاقين فإن هذه الأزمة أقرب ما تكون مارداً.

صحيفة "الجمهورية". بغداد - السبت 8 سبتمبر (أيلول) 1990

* * *

This image is a dense collage of numerous small newspaper clippings from various Arabic news sources. The clippings are arranged in a grid-like fashion, overlapping each other. They feature several prominent portraits of Syrian leaders, including Hafez Assad and Bashar al-Assad, often accompanied by their names in bold Arabic script. Headlines and short articles are interspersed throughout, covering topics such as domestic Syrian politics, regional tensions, and international diplomatic efforts. Some clippings include dates or specific event references. The overall composition suggests a comprehensive overview of recent news coverage related to Syria and its leadership.

عندما ذهب عبدالحكيم عامر إلى دمشق لإنقاذ تجربة الوحدة فعاد بالإنفصال

ما الذي حققته الوحدة بين مصر وسوريا من وجهة نظر سامي شرف مدير مكتب الرئيس جمال عبد الناصر لشؤون المعلومات التي هي وجهة نظر رئيسه، أو مستوحاة منها في أي حال؟ يقول سامي شرف: «إن الوحدة نجحت في تحقيق الإستقرار الذي لم نتعم به سوريا من قبل منذ بدأ تاريخها الحديث بعد الحرب العالمية الأولى ووفرت لها كل المقومات لنقوم بدورها العربي، وكانت مساندها للقوى الوطنية والديمقراطية في لبنان حاسمة في ألا يتحول لبنان إلى قاعدة لنظرية أيزنهاور بملء الفراغ تحت حكم طائفي، وساندهت القوى الوطنية في العراق حتى قامت ثورة 1958 ثم أسقطت حلف بغداد.

وإستطاعت سوريا في ظل الوحدة أن تحقق تغييرات إجتماعية كانت تتطلع إليها منذ الإستقلال..».

ويشير إلى أن عبد الناصر كان يرى السير بخطوات متأنية لتحقيق الوحدة وأنه خلال المحادثات التي أجراها مع السياسيين والضباط السوريين طرح أموراً تعجيزية - إلغاء الأحزاب على سبيل المثال - من أجل تأخير الإتفاق على إعلان الوحدة. كذلك يشير إلى أن أعضاء الوفد المصري في المحادثات كانوا يؤيدون وجهة نظر عبد الناصر بإستثناء عبد الحكيم عامر «الذي كان متحمساً للوحدة الشاملة ويؤكد أن كل المصاعب يمكن التغلب عليها».

ويعدد أسباباً أخرى لرغبة عبد الناصر في التآني من بينها «عدم وجود إتصال جغرافي بين سوريا ومصر الأمر الذي يجعل سيطرة الحكومة المركزية محدودة خاصة في حال قيام ظرف طارئ في سوريا» ولأن ضباط سوريا مسيّسون، ولأن الوحدة تُفقد الزعامات والأحزاب السورية النفوذ الذي هي عليه قبل الوحدة، فضلاً عن أن حزب البعث كان يرفض صيغة «الإتحاد القومي» وهو التنظيم السياسي الواحد القائم في مصر، ولأنه ليس من السهل إنجاز توحيد القوانين بين القطرين وبالذات ما يتعلق بالتجارة وتنقل الأفراد. ثم يتحدث عن الإشاعات التي بدأ إطلاقها ومصدرها دمشق بهدف التشويش على الوحدة، ومنها

إشاعة تتعلق بتهجير مليون فلاح مصري إلى منطقة الجزيرة وه غير صحيحة، وأخرى حول هيمنة ضباط مصريين على الجيش السوري. ويوضح النقطة الأخيرة المتعلقة بالهيمنة قائلاً: «حقيقة الأمر أنه من أجل تحقيق الإندماج الكامل بين الجيش المصري والسوري تقرر إيفاد عدد من الضباط المصريين للعمل في دمشق ونقل عدد من الضباط السوريين للعمل في القاهرة. وكان من رأي المجلس العسكري الذي ضغط من أجل إتمام الوحدة أن الإجراء الأول الذي لا بد من إتخاذه هو دمج الجيشين عند قيام الوحدة، الأمر الذي لم يؤخذ به خوفاً من حدوث هزة في القوات المسلحة يترتب عليها نوع من فقدان التوازن.

ويشير إلى أن الإشاعات كانت تتبدد عندما يزور عبد الناصر دمشق، وأن الصراع على السُلطة يتجدد عند عودته إلى القاهرة، وأنه من أجل ذلك قرر إيفاد عبد الحكيم عامر بصفة كونه القائد العام للقوات المسلحة إلى دمشق لحل المشاكل، وأنه نتيجة فشل عامر في إحتواء الصراع على السُلطة بدأت تحدث إستقلالات وتحالف حزب البعث مع بقية القوى السياسية ضد عبد الحميد السراج بإعتبار أنه يشكّل عقبة في وجه رغبتهم في السيطرة على الوضع. "وهذا بدوره كان يتخذ من الإجراءات التي تُظهر الحُكم وكأنه بوليسي.

ثم يضيف أن عبد الناصر حسماً للأمر أوفد عبد الحكيم عامر إلى دمشق وفي ظنه أنه قادر على معالجة الوضع أفضل من عبد الحميد السراج الذي نقله إلى القاهرة وعيّنه نائباً لرئيس الجمهورية. ومع أن عبد الناصر كان يرمي من قراره هذا حماية السراج الذي تزايدت حملة الأحزاب وبعض الضباط عليه وخصوصاً في أعقاب تفاقم ردود الفعل على التأمينات والقوانين الإشتراكية، إلا أن السراج إعتبر القرار موجهاً ضده وإستند في إعتباره هذا إلى قرار آخر أصدره عبد الناصر وقضى بدمج إدارة المخابرات السورية مع إدارة المخابرات المصرية ونقل بعض عناصر المخابرات السورية إلى القاهرة.

ويقول سامي شرف إن عبد الناصر حاول طمأنة السراج من القرارات اللذين أصدرهما «إلا أن المسائل كانت أخذت شكلاً جدياً لدرجة أن السراج فكّر في الإنتحار في فندق شبرد في القاهرة بعد محاولة مني شخصياً بتكليف من الرئيس عبد الناصر لإفهامه حقيقة الأمور في جلسة طويلة بيننا في الفندق. وبعدما

تركته راودته فكرة الإنتحار».

ولا يوضح سامي شرف كيف كان السراج سينتحر، وكيف عرف عبد الناصر بالأمر، أو هل أن الرجل أقدم على الإنتحار وتم إنقاذه، وأن ما يقوله سامي شرف هو مجرد إشارة عابرة إلى الواقعة. لكن كثيرين يعرفون أن السراج كان يشكو من حالة صداد بالغة القساوة (مستمرة معه حتى الآن على رغم المعالجة الدقيقة) وهذه تساعد عادة المصابين بها وبعد نوبة صداد حادة على التفكير في التخلص من حياتهم.

بعد ذلك - وكان السراج عاد إلى دمشق - يشير سامي شرف إلى حدوث إنقلاب الانفصال يوم 28 سبتمبر (أيلول) 1961 الذي أيده البعث من خلال صلاح البيطار وأكرم الحوراني، وكيف غادر عبد الحكيم عامر دمشق إلى القاهرة بعد موافقته على طلبات قادة الإنقلاب، ولأن البلاغ رقم 9 أوحى بأن هدف الإنقلاب هو المحافظة على الوحدة وإجراء إصلاحات في الجيش. لكن سرعان ما صدر بلاغ لاحق هو بلاغ الانفصال.

وفي ضوء ذلك أرسل عبد الناصر قوات إلى سوريا لقمع حركة الانفصال ثم أصدر قراره الشهير بعودة القوات، وأصدر تعليمات للوفد المصري لدى الأمم المتحدة بعدم الاعتراض على قبول سوريا عضواً في المنظمة الدولية، وتعليمات مماثلة بعدم الاعتراض على عودتها إلى الجامعة العربية.

واللافت للنظر أن سامي شرف لا يقوم بعملية نقد لبعض الممارسات التي أدت إلى حدوث الانفصال والتي يتحملها المصريون في الدرجة الأولى، وذلك لأن مصر كانت هي المهيمنة على القرار السوري. وهو عندما لا يفعل ذلك ولا يفعل الشيء نفسه أشخاص آخرون كانوا في تلك المرحلة داخل دائرة القرار أو على مشارفها، فإن الحقيقة تستمر غائبة.

وإلى ذلك فإن ما لا يشير إليه سامي شرف هو أن إستقادة مصر من أخطاء واقعة الانفصال كانت بسيطة جداً، بل دليل أن عشرات الأخطاء حدثت بعد ذلك عندما أرسل عبد الناصر قوات إلى اليمن لنجدة الثورة التي حدثت هناك. وهو لو كان إستقاد لكان تأني ما فيه الكفاية، وكانت مصر لن تستدرج إلى أمر تبين في ما بعد أن سلبياته فاقت بكثير إيجابياته، ذلك أن مصر إنشغلت باليمن عسكرياً وسياسياً ومالياً وإلى درجة أنه عندما بوغتت بحرب 1967 وجدت نفسها عاجزة عن مواجهة العدوان الإسرائيلي الذي يتبين في

ما بعد أنه كان بمثابة إنعطاف في الحياة المصرية والعربية عموماً.

وقد يكون سامي شرف يؤثر الإبتعاد عن عملية النقد الذاتي المطلوبة لأنه كان أحد رموز تلك المرحلة، ومن كانت هذه حاله، وبالذات في العالم الثالث، يؤثر الإبتعاد عن النقد الذاتي (سواء لشخصه أو لمرحلة شارك فيها) لأن مثل هذا النقد ليس، ولا يبدو أنه سيكون، تقليداً متبعاً. أو ربما إن النقد المشار إليه معناه كشف أوراق وحقائق ووثائق وأسماء وأرقام ليس هذا أوانه لكن في الوقت نفسه ربما يكون سامي شرف في صدد إعداد مذكراته لينشرها في الوقت المناسب على نحو ما يفعله كثيرون في دول الغرب عموماً وما نتمنى أن يحدث في العالم الثالث لأننا بذلك نعرف ما الذي جرى لتدارك ما الذي يمكن أن يتكرر.

وهو إذا روى بعض الوقائع على نحو روايته لواقعة تهريب عبد الحميد السراج من دمشق بعد حدوث الانفصال، فإنه يخدم الحقيقة... المنشودة دائماً.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 26 أبريل (نيسان) 1997

* * *

سفراء وقناصل وكيفية الإستفادة من

الفرصة التي تحدث كلمح البصر

لكم يتمنى المرء على الدبلوماسيين العرب الذين عملوا كسفراء أو قناصل في بعض دول العالم أن يكتبوا ذكرياتهم في العمل الدبلوماسي وبالذات عن المواقف المحرجة التي واجهها هذا السفير أو ذاك القنصل وكيف أمكنه التعامل معها.

وكذلك عن الفرص التي لا تعوّض وكيف أمكن هذا السفير أو ذاك القنصل إقتناصها وتوظيفها لمصلحة بلده، وبالذات تلك الفرص التي تحدث مثل لمح البصر ويكون مطلوباً من الدبلوماسي سرعة البديهة وحسن التصرف ولباقة التعامل كي لا تمر الفرصة وهيئات أن تتكرر.

ومن المؤكد أن هنالك سفراء وقناصل عرباً كثيرين عملوا في دول لها أهميتها في القرار الدولي أو لها تأثيرها كقوة دعم وحققوا لبلادهم مكاسب طيبة من خلال حذاقة منهم في التعامل مع الفرص التي لا تعوّض. ومن المفيد الكتابة حول ما فعلوه لأنهم بذلك

يفيدون أجيالاً من الدبلوماسيين من خلال إعطائهم أمثولات في أسلوب التعامل. فضلاً عن أن أي كتابة لا تُسبب كشفاً لأمر تتعلق بالأمن القومي هي كتابة مشروعة ومطلوبة.

وهذا التمني ورد في خاطر بعدما سمعتُ من أحد خيرة الدبلوماسيين العرب السفير محمد خضر الذي ودع الميدان الدبلوماسي منتصف أغسطس/ آب 1997 عن واقعة حدثت معه عندما كان سفيراً لسوريا في الهند (من 1982 إلى 1985) وتوضح كيف يجب التعامل مع الفرصة التي تمر كلمح البصر.

يقول محمد خضر الذي كانت لندن هي آخر محطات عمله الدبلوماسي (حيث مثّل فيها بلاده من 6 يونيو/ حزيران 1991 إلى منتصف أغسطس/ آب 1997) أنه في مطلع العام 1982 توجه إلى نيودلهي سفيراً لبلاده لدى الهند وسفيراً غير مقيم لدى دول مجاورة لها (سيريلانكا، نيبال، أفغانستان، بورما، مملكة بوتان، بنغلاديش). ومنذ الأشهر الأولى لعمله هناك إكتشف أن الإنطباع السائد عن الهند بأنها منفى ولا يتمنى بعض الدبلوماسيين السوريين إنتدابهم للعمل فيها إنما هو إنطباع خاطئ على عكس النظرة المصرية حيث أن السفير الذي يتم تعيينه في الهند يرى أن هذا التعيين تكريم له. كذلك إكتشف أن الهند مدرسة لمن يعمل في الحقل الدبلوماسي، ومن الأمثولات التي يتعلمها الدبلوماسي في هذه المدرسة، عدم التهيب من موقف والتعامل معه إلى حد السيطرة عليه. هذا فضلاً عن الأمثولات في المجال الثقافي والسياسي والتعددية. وهو يذكر بالخير زميله الألماني زمناك الذي سأله هل هو سعيد في الهند وأجابه السفير الألماني بأنه في غاية السعادة وأن المانيا تعتبر الهند من دول الفئة (ألف) وأن مكانها في خارطة الأهمية السياسية هو قبل الصين وبعد اليابان. ولقد لمس عمق هذه النظرة الألمانية للهند بعدما راقب عن كثب فترة ترؤس الهند لحركة عدم الإنحياز (من 1983 إلى 1986) ومشاركته في المؤتمرات التي تتعقد في إطار الحركة.

في تلك الفترة كانت أنديرا غاندي هي رئيسة الوزراء وكان واضحاً أنها تقوم بتحضير ابنها راجيف ليكون الوريث بعدها لكنها تريد تحضيره بطريقة غير إستفزازية وبحيث يتدرج الإبن في إستيعاب شؤون الدولة والحكم ويرتبط بالناس والمشاكل والقضايا التي فرضت ظروف المسؤولية الكبرى على والدته أن لا

تعطيها بعض الإهتمام والكثير من التنبه، وقد أسندت انديرا إلى راجيف مسؤولية قطاع الشباب وبذل الإبن جهداً ملحوظاً لكي ينجح في مهمته.

وحرص السفير محمد خضر على أن يزور راجيف ويؤسس لعلاقة معه من دون أن يخطر في باله أن ظروفاً مأساوية ستحدث حيث يجري إغتيال الرئيسة انديرا ويتسلم راجيف الرئاسة من بعدها.

بعد ذلك زار غورباتشوف الهند ولقي فيها إستقبالاً منقطع النظير يشبه ذلك الإستقبال التاريخي الذي لقيه الرئيس الأميركي ايزنهاور عندما زار الهند. ولقد تزامن مع زيارة غورباتشوف أن العلاقات مقطوعة بين بريطانيا وسوريا وهناك تشدد من جانب الرئيس الأميركي رونالد ريغان ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر نحو سوريا وفرض عقوبات عليها.

وهنا حدث ما لم يتم التخطيط له وإنما أتى على نحو ما شاءته الأقدار.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 2 أغسطس (آب) 1997

حديث من 3 دقائق تحت الأضواء

تثير الإهتمام وعلامات الإستفهام

إصطف خمسون سفيراً في مطار نيودلهي لإستقبال غورباتشوف الذي يقوم بزيارته الأولى إلى الهند وكانت سبقتُه هالة من الإعجاب الدولي به وبحركة التغيير المفاجئة التي ساهمت بعد ذلك في زوال ما كان يسمى الإتحاد السوفياتي. وعند وصول دور السفير السوري محمد خضر لكي يصافح الزعيم السوفياتي سأله غورباتشوف: هل أنت قريب للرئيس الأسد؟

ويبدو أن غورباتشوف وجّه سؤاله هذا بعدما تأمل في ملامح السفير التي فيها الكثير من ملامح الرئيس الأسد فضلاً عن أن قامته السفير بطول قامته رئيسه أو أقل قليلاً وهي قامته رشيقة.

تذكر السفير محمد خضر الهجمة التي تواجهها بلاده من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وكيف أن حديث العقوبات على السنة المسؤولين في هذين البلدين وعلى صفحات الصحف وشاشات محطات التلفزيون وألسنة المذيعين والمذيعات ومعدّي البرامج،

ووجد أن الفرصة جيدة لتصرف يلفت الأنظار الدولية فقرر أنه ما دام الرئيس غورباتشوف لم يكتف بمصافحته وإنما سأله عما إذا كان يمت بصلة القرابة إلى الرئيس الأسد، فعليه أن يطيل الحديث مع الزعيم السوفياتي خصوصاً أن الكاميرات والأضواء تلتقط صور اللقاء. وهنا يلعب حُسن التصرف وسرعة البديهة الدور الأساسي. ويجد السفير محمد خضر نفسه يقول لغورباتشوف بالإنجليزية: إنني لست قريب الرئيس الأسد وإنما أنا ممثله لدى الهند. أما على صعيد الشبه فإن ما هو مدعاة إعترازي قبل الشبه الفيزيولوجي، الشبه الفكري. وإرتاح غورباتشوف للجواب الذي كان يتولى مترجم ترجمته من الإنجليزية إلى الروسية. ثم وجد السفير محمد خضر نفسه يحاول الاستفادة ما أمكنه من الفرصة التي لا تعوض فقال للرئيس غورباتشوف: متى ستزورنا في سوريا لنستقبلك بنفس حرارة إستقبال الهند لك. وأجاب: إنه في ضوء ظروفه سيفعل ذلك.

إستغرق الحديث ثلاث دقائق وكان الزائر الكبير مرتاحاً وهو يسأل ويستمتع وكل ذلك تحت الأضواء. وقد أثارت هذه الوقفة علامات إستفهام كثيرة لأن الكل يريد أن يعرف ماذا يقوله الزعيم السوفياتي لسفير دولة تطالب دولتان كبيران هما الولايات المتحدة وبريطانيا بفرض العقوبات عليها. بل إن السفير السوفياتي لدى الهند تقدم نحو زميله السوري ليسأله عما كان يتحدث مع الرئيس غورباتشوف.

ومن حيث لا يتوقع وجد السفير محمد خضر الرئيس راجيف غاندي الذي طالما تطلع إلى بناء علاقة متميزة معه يشد على يديه عندما صافحه بعدما كان إنتهى من مصافحة غورباتشوف وحديث الدقائق الثلاث معه. وإرتأى السفير أن يستفيد من الفرصة التي طالما إنتظرها. ووجد نفسه يقول للرئيس الهندي بعدما سأله راجيف عن ظروف بلاده إزاء الهجمة الأميركية - البريطانية عليها: إنني مهما رويت لك فإنني لا أستطيع أن أشرح الظروف التي نواجهها وكيف أن حركة عدم الإنحياز التي ننتمي إليها تلتزم الصمت إزاء ما تفعله الولايات المتحدة وبريطانيا معنا. ان الضغوط التي نواجهها صعبة جداً وهي نتيجة صدق موقفنا ولا بد أنكم أدري بذلك.

كان الأسلوب الذي إعتمده السفير محمد خضر في مخاطبة الرئيس الهندي مؤثراً. وما حدث عندما أثار حديثه مع الرئيس غورباتشوف لمدة ثلاث دقائق

الكثير من علامات الإستفهام، حدث أيضاً عندما لاحظ السفراء والمسؤولون في الدولة الهندية وقوفه طويلاً مع الرئيس راجيف.

أنهى الرئيس الهندي المصافحة قائلاً للسفير محمد خضر: إتصل بي. وإعتبر السفير أن ما أراده قد تحققت الخطوة المهمة منه وأن عليه السعي من أجل تحقيق الخطوة الأهم. وفي الحالتين يكون المطلوب هو حُسن التصرف ولباقة التخاطب وعدم الإغراق في التفاصيل وإعتماد المفردات التي تخدم الهدف.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 16 أغسطس (آب) 1997

محمد خضر ودور اللباقة في إقناع راجيف غاندي بزيارة دمشق

عندما يقول رئيس وزراء الدولة الكبرى الثانية من حيث الأهمية (بعد الصين) في حركة عدم الإنحياز لسفير دولة صار لها شأنها في الحركة بعدما باتت جزءاً من دولة الوحدة (مصر وسوريا) أن يتصل به فهذا معناه أن على السفير أن يشحذ همته وفكره ويتصرف بحيث لا تغرق الصدفية في بحر مشاغل رئيس وزراء الهند.. وما أكثر هذه المشاغل التي هي في معظمها مشاكل.

وما فعله السفير محمد خضر هو أنه لمجرد أن عاد إلى مكتبه من الإستقبال الإحتفالي الباهر للرئيس غورباتشوف (والذي قطف منه وبفضل حُسن التصرف إنجازين بدل الإنجاز الواحد) إتصل على الفور بمكتب الرئيس راجيف غاندي وطلب موعداً لمقابلة رئيس الوزراء. ولا بد أن مدير مكتب الرئيس الهندي تابع على التلفزيون كيف أن طالب الموعد كان نجم المجتمع الديبلوماسي خلال الإستقبال الذي جرى للزائر السوفياتي الكبير حيث أن غورباتشوف إستوقفه لثلاث دقائق وأن الرئيس راجيف شد على يديه دون غيره من السفراء وإستوقفه لبعض الوقت أيضاً. ومثل هذه الملاحظة عجلت ولا بد في أن يكون طلب المقابلة من الأولويات. وهذا ما حدث حيث أنه بعد ثلاثة أيام أي فور إنتهاء زيارة غورباتشوف مباشرة كان السفير محمد خضر يقابل الرئيس راجيف ويدور بينهما حديث شمل أموراً كثيرة. وباللباقة نفسها التي

إعتمدها مع غورباتشوف عندما قال له "متى ستزورنا في سوريا لنقيم لك إستقبالاً يمثل الإستقبال التاريخي الذي لقيته من الشعب الهندي"، فإنه أنهى لقاءه مع راجيف بالقول "إن اخوانكم في سوريا يتطلعون إلى رؤيتك بينهم فمتى سنراك...؟". وحصل السفير على موافقته وبقي عليه أن يسعى من أجل تحديد الموعد. وبدأ يتحين الفرص المناسبة، إلى أن كان شهر رمضان من العام 1988 حيث تلقى السفير من نائبة مسلمة في البرلمان الهندي دعوة إلى إفطار وأشارت إلى أنها موجهة إلى السفير وزوجته لأن الرئيس راجيف سيحضر وبرفقته زوجته.

في هذه الأثناء كانت الأوضاع اشتدت سوءاً في لبنان وبالذات في الجنوب من دون أن يردع المجتمع الدولي إسرائيل عما تفعله وترتكبه من عدوان تلو العدوان. وخلال الإفطار وجد السفير أنه إذا كان لن يحرك مع راجيف مسألة الزيارة خلال هذا الإفطار فإنه ربما لن تتاح مناسبة أفضل لمثل هذا الأمر، وطوال الوقت كانت عيناه مركبتين على راجيف ينتظر البرهة التي يمكن فيها التقدم نحوه ومباسطته في الحديث. ولمجرد أن حانت البرهة فإنه كان إلى جانبه بلمح البصر.

وكان السؤال الأول من راجيف حول هذا الذي يحدث في لبنان وتأثيره على سوريا. وإرتأى السفير أنه بدل أن يشرح له ويضيع الوقت في الشرح فإنه أجابه: إنني مهما رويت لك لا أستطيع تصوير ما يحدث. ولذا من الأفضل أن تذهب بنفسك وتستمع إلى الرد على إستفساراتك من الرئيس حافظ الأسد الذي سيسره ويسر الشعب السوري رؤيتكم في دمشق.

ومرة أخرى فعلت اللباقة في الإجابة فغلبها حيث أن الرئيس راجيف قال للسفير إنني سأزور سوريا في يونيو/ حزيران، (جرى الحديث أواخر أبريل/ نيسان)، وأبرق السفير على الفور بذلك إلى حكومته.

ويقول محمد خضر إن هذا الإفطار كان أشهى إفطار رمضان لأنه حقق فيه إنجازاً في منتهى الأهمية. فقد زار راجيف سوريا وكانت الزيارة ناجحة. وشملت الزيارة تدمير بعدما قرأ راجيف وزوجته عنها في كُتب أهدتها زوجة السفير إلى زوجة الرئيس راجيف لمجرد أن حصلت الموافقة على الزيارة وتحديد الموعد للقيام بها.

وأهمية زيارة راجيف غاندي إلى سوريا أنها كانت المرة الأولى منذ خمسة وثلاثين عاماً التي يقوم فيها

رئيس وزراء الهند بزيارة إلى سوريا. وتشاء الصدف أن الزيارة الوحيدة لرئيس وزراء الهند قبل هذه السنوات إلى دمشق كانت زيارة قام بها البانديت نهرو جد راجيف وكانت سوريا عندما زارها معروفة بالفطر الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة.

كذلك تشاء الصدف أن دمشق التي زارها راجيف هي نفسها دمشق التي إستضافت مرتضى ذو الفقار بوتو لبضع سنوات تزوج خلالها من فتاة لبنانية في دمشق وأنجب منها ولده ذو الفقار. ثم غادر مرتضى بعد ذلك إلى باكستان ليخوض غمار العمل السياسي خصماً لشقيقته رئيسة الوزراء بنظير والتي في الأشهر الأخيرة من عهدها جرى إغتيال مرتضى وإنهارت عائلة بوتو بشكل درامي. وما جرى لمرتضى جرى أيضاً لراجيف الذي تم إغتياله بعدما إغتالوا والدته أنديرا من قبل. والهدف واحد في الدولتين الجارتين اللدودتين من جانب الذين خططوا للإغتيال وهو ألا تحكم العائلتان إلى الأبد بعد الإغتيال.. وهو ما يبدو أنه سيحدث على رغم أن الديمقراطية ضاربة جذورها في البلدين.

ويبقى أن هذه الامور وغيرها كثير تستحق ممن عايشها وعاش ظروفها مشابهاة خلال رحلة طويلة في العمل الدبلوماسي دامت أربعة وثلاثين عاماً وبالذات في قبرص وبعض دول أميركا الجنوبية أن ينصرف في مرحلة التقاعد إلى تدوينها.

لعل محمد خضر وكثيرين غيره من نجوم الدبلوماسية العربية وجنودها المجهولين يفعلون ذلك.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 23 أغسطس (آب) 1997

أصول التخاطب لتحسين العلاقات

بين دولة ثورية ودولة محافظة

تحقق لـ سيد مرعي النجاح الأولي للهدف الذي جاء من أجله، ما دام رئيس وزراء بريطانيا قال: "إننا نستهدف دائماً تحسين العلاقات معكم".

والقول بأن النجاح الأولي تحقق هو على أساس أن الرغبة في التحسين ليست مقتصرة على مصر وإنما على بريطانيا أيضاً. وإزاء هذا الشعور من جانبه

إرتأى سيد مرعي أن يرضي الطرف البريطاني أخذاً في الاعتبار شعور الغطرسية لدى هذا الطرف فقال مخاطباً ويلسون: "إننا نشترك أيضاً معكم في الرغبة في تحسين العلاقات والدليل على ذلك هو حضور هذا الوفد نفسه. وإذا كنتم تشعرون بأننا لسنا جادين في ذلك فإننا مستعدون للعودة فوراً إلى القاهرة. وإذا كان وجود أحمد سعيد ضمن الوفد يمثل تحدياً ضدكم في بلادكم فإنني مستعد لأن أمره بأن يغادر لندن فوراً....".

وكان لهذا الكلام وقعه الطيب في نفس ويلسون الذي بادر إلى سؤال سيد مرعي عن الخطوة التي يقترحها وأجابه بأن يقوم بزيارة مصر. وهو كان يعرف أن ويلسون (رئيس وزراء بريطانيا) لن يلبى الدعوة إلا أنه دعاه وفي خاطره أنه إذا كان سيقول لا فإنه في الحد الأدنى سيوفد وزيراً، وهذا ما جاء سيد مرعي من أجله إلى لندن. وعندما قال ويلسون إن ارتباطاته لا تسمح له للقيام بالزيارة فإن سيد مرعي اقترح عليه إرسال أحد وزرائه شرط ألا يكون مايكل ستوارت وذلك لضمان أن الرئيس عبد الناصر سيستقبله.

ولم يكتف ويلسون بالموافقة وإنما ودع ضيفه بالقول "أريد قبل إنصرافك أن أتأكد من أنني لم أخطئ معك وأن تتأكد من أن كل طلباتك مجابة....".

وغادر سيد مرعي إلى الفندق وهو في غاية الإرتياح لما حققه وأبرق إلى الرئيس عبد الناصر بالنتائج.

وظن سيد مرعي أن مقابلة هارولد ويلسون كانت آخر الإهتمام البريطاني بالوفد الذي يترأسه، ثم فوجئ بأن أربعين نائباً بريطانياً نصفهم من المؤيدين لإسرائيل إتصلوا يطلبون الإجتماع بـ سيد مرعي لمناقشة أمر العلاقات المصرية - البريطانية. ويقول إنه تردد كثيراً في أمر هذا اللقاء لكنه ذهب إلى مجلس العموم على رغم إعتراض السفير حافظ إسماعيل. ويشير إلى الجو العاصف الذي ساد اللقاء وكيف أنه خرج متفوقاً على النواب المعادين لمصر والمتعاطفين مع إسرائيل. لكنه لا يوضح لنا مشاعر أحمد سعيد الذي إستأنف بعدما عاد الوفد البرلماني المصري إلى القاهرة الحملة من إذاعة "صوت العرب" على بريطانيا، إنما من دون الدعوة إلى قتل الإنجليز أو ذبحهم. ومثل هذا التبدل الطفيف يؤكد صوابية إشراك أحمد سعيد في الوفد.

في طريق العودة إلى القاهرة بعد توقّف في روما علم سيد مرعي أن عبد الناصر أعلن رسمياً أن

بريطانيا كانت سترسل وزيراً إلى مصر للمساهمة في تحسين العلاقات، ولكن مصر ترفض حضور هذا الوزير لأن وزير الخارجية البريطانية أصدر في اليوم نفسه تصريحاً معادياً لمصر.

ومع أن الجهد الذي بذله سيد مرعي لإنهار في لحظات ونتيجة عدم تقدير، أو نتيجة تأمر قوى خفية وربما لأن إسرائيل تدخلت وراء الكواليس لإفشال هذا المسعى، إلا أنه كان درساً في أسلوب التحادث من أجل حل المشاكل المستعصية والأزمات الكثيرة التعقيد بين دولتين وخصوصاً بين مصر وبريطانيا. وقد يبدو الحديث عن المشاكل والأزمات مستغرباً عند التأمل في العلاقات التي بين مصر وبريطانيا منذ أن تسلم أنور السادات الحكم بعد وفاة عبد الناصر، لأن هذه العلاقات تبدو سمناً وعسلاً. إلا أننا نتحدث هنا عن زمن مضى كانت فيه العداوة هي الأرضية التي تقوم عليها العلاقات بين البلدين.

وتكراراً إن المهم في ما رواه سيد مرعي هو أنه أعطانا فكرة عن ضيق صدر الدول المتقدمة ومن بينها بريطانيا من الحملات الإعلامية التي كانت إذاعة "صوت العرب" تقودها في الستينات بشخص أحمد سعيد وتلاميذه ومقلديه. وأوضح أيضاً أمراً مهماً وهو أنه لو جاء إلى لندن لتحسين العلاقات منطلقاً بسعيه من التفكير الثوري المتشنج لما كان إستطاع أن يقوم بالمهمة على النحو الذي أوردناه. ولكن الرجل الذي ينتمي في الأصل إلى مصر الملكية قام بعملية مزج بين التفكير الثوري المتشنج عموماً والتفكير المحافظ المتمزمت أحياناً وإستخرج من هذا المزيج صيغة أفادت في التحادث مع الحكومة البريطانية... وبحضور أحمد سعيد الذي أخرج الإنجليز من برودتهم عندما رأوه بينهم عضواً في وفد رسمي... وكان الذي كان.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 6 ديسمبر (كانون الأول) 1997

عندما تصيب الدهشة زعيم الصين لدى رؤية أميركا

في الستينات أيام كان للعالم الشيوعي شأن ومجد ويثير المخاوف والهواجس في نفوس أقطاب العالم

الرأسمالي، وقف الزعيم السوفيياتي الشهير نيكيتا خروتشوف على منبر الأمم المتحدة ثم فاجأ المجتمع الدولي بأنه خلع فردة حذائه وبدأ يضرب بها على المنصة.

وفي حينه إحتار أقطاب المجتمع الدولي في هذه الحركة البهلوانية لزعيم دولة عظمى. هل هي تعبير عن القوة؟ هل هي للإستخفاف بالآخرين؟ هل هي مؤشرات تصرفات تصدر عن بعض الناس أحياناً في عمر مبكر؟

ودخلت تلك الحركة البهلوانية في سجل غرائب تصرفات حكام العالم، إلا أن أحداً لا في داخل دول المعسكر الشيوعي ولا في بقية دول العالم هذا حذو خروتشوف وبقيت الحركة أمراً خاصاً بزعيم ملأ الدنيا بنكاته ومرحه، يوزعها على زواره من الحكام أو على الحكام الذين يزورهم. وكان يخص الرئيس جمال عبدالناصر والمسؤولين المصريين عموماً بالمزيد من النكات والتعليقات الساخرة ربما على أساس أن لروح النكتة عند المصريين شهرة ذائعة الصيت وأراد خروتشوف أن يكسب ود المصريين بالنكتة أو ربما أراد أن يقول لهم ضمناً ما معناه إن صيت النكتة هو للمصريين وأن الفعل له أي خروتشوف.

بعد ذلك إختفى تماماً أثر وجود روح المرح والنكتة في الدول الشيوعية وتحديداً لدى المسؤولين فيها، أو بكلام أكثر دقة إن أحداً من زعماء هذه الدول لم تصدر عنه في مناسبات علنية وزيارات رسمية ما يوحي بروح النكتة والمرح، مع الأخذ في الاعتبار أن هؤلاء في جلساتهم غير الرسمية يمكن أن يسردوا النكات الكثيرة أو يتحدثوا بأسلوب مرح وساخر، فهم في النتيجة بشر، والإنسان بطبعه إما كثير الجدية وإما كثير المرح وإما بين بين. وما نحن في صدد هنا هو فقط الزعماء وليس الناس العاديين.

وقد طال غياب ظاهرة المرح وروح النكتة على زعيم شيوعي ثم سقط الإتحاد السوفيياتي تلك القلعة الكبرى للعقيدة الماركسية، وتساقت من بعده الدول الشيوعية دولة بعد دولة بعد دولة وبقيت الصين الدولة الوحيدة المتمسكة بالعقيدة الماركسية إضافة إلى كوبا الحائرة بين الإستمرار في هذه العقيدة وبين إعادة النظر قليلاً أو كثيراً. ثم إنبعثت الظاهرة فجأة وهذه المرة أيضاً عن الرجل الأول في القيادة الصينية الرئيس جيانغ زيمين. وتشاء الصدفة أن يحدث الإنبعث المشار إليه في الولايات المتحدة وخلال زيارة رسمية قام بها الرئيس

الصيني أواخر أكتوبر (تشرين الأول) 1997 وشملت إلى جانب واشنطن ست مدن أميركية وإستمرت ثمانية أيام وهو رقم غير مألوف في الزيارات الرسمية.

ومثلما فاجأ خروتشوف المجتمع الدولي بروحه المرح وبفردة حذائه يضرب بها على منصة الخطابة في قاعة إجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، فإن الرئيس الصيني جيانغ زيمين فاجأ المجتمع الدولي خلال زيارته المشار إليها بروح ماثلة إلا أنه حافظ على رقي في التعبير لم يلزم خروتشوف، وذلك بأنه في لحظة نشوة أطلق لحنجرته العنان وبدأ يغني وكأنه مطرب على خشبة مسرح. ولم يزعج الأميركيون وهم يتابعون على شاشات عشرات المحطات التلفزيونية التي تبث تفاصيل الزيارة، مما فعله زائرهم الصيني الكبير ووجدوا في روحه المرح التي بلغت ذروتها بالغناء إنساناً ظريفاً تستحق بلاده أن تزار. وربما هذا ما أراده الرئيس الصيني من حركته الغنائية منطلقاً من قناعة أنه مهما قال للأميركان كلاماً عقائدياً فإنهم لن يستمعوا إليه ولن يأبهوا به، في حين أن مخاطبتهم بلغتهم قد تتسبب في إنجاح الزيارة. واللغة هنا بمعنى الروحية والنفسية.

وهو لم يكتف بالغناء والحرص على أن يكون دائماً مبتسماً أو على وشك الإبتسامة سواء في حديقة البيت الأبيض أو داخل جامعة هارفرد حيث ألقى خطاباً، وإنما فعل أمراً آخر لم يفعله خروتشوف وهو أنه إختار العشاء الوداعي الذي أقيم له في أحد فنادق لوس انجليس (على مقربة من هوليوود عاصمة السينما) ومنه غنى ليقول للمحتفين به ولعشرات رجال الأعمال والفعاليات المتنوعة وبينهم تسعة صيني "إن الصين ستكون في القرن الحادي والعشرين قد أصبحت دولة قوية ديموقراطية ومتقدمة ثقافياً..". ومثل هذا الكلام يرتاح له سامعوه وبالذات أبناء الصين المنتشرون في دول العالم هرباً من القبضة الشيوعية.

وبصرف النظر عن إتفاقات ذات طابع إستراتيجي تم التوصل إليها خلال الزيارة فإن الرئيس الصيني أحدث هزة خفيفة في العقيدة الأميركية. فمضيفه الرئيس كلينتون إنبهر بشخصية الضيف الذي يمثل مليار نسمة وجاءه يحذثه بمنطقات كونفوشيوس بدل منطقات ماركس ولينين، وهو ما يمكن إستنتاجه من التصريح الذي أدلى به مستشار الرئيس كلينتون لشؤون الأمن القومي ساندي برغر بعد الإجتماع الرسمي لساعة ونصف الساعة (عملية ثلاث أرباع الساعة أما النصف

عندما تجرأ حسين الشافعي على إغاظه عبد الناصر أمام وزرائه

يطيب لبعض الحكام في دول العالم الثالث أن يقولوا في الاجتماعات الرسمية أنهم يفضلون المصارحة على الإطراء أو على الصمت. وهناك حكام يطلبون من وزرائهم التحدث بصراحة عن أمور عامة يواجهها البلد ويتضايق الحاكم من مضاعفاتها.

وهم يفعلون ذلك عندما تصل الأزمات إلى حافة الانفجار ويجدون أن من الأفضل أن يشاع بأنهم طلبوا من الوزراء والمسؤولين التحدث بصراحة وأنه إذا كان هؤلاء لم يصارحوا الحكام فإن المسؤولية في ذلك تقع على عاتقهم، وإلى ذلك فإن بعض الحكام يرمون من وراء مطالبة المسؤولين التحدث بصراحة إلى إمتصاص الانطباع السائد بأن أمور الدولة هي قرار الرجل الواحد الذي هو الحاكم يتخذه دون مناقشة أو من دون الأخذ ببعض مضامين المناقشة إن هي حدثت.

والسائد في عدد من دول العالم الثالث هو أن أكثرية المسؤولين التنفيذيين في الدولة يؤثرون السلامة الشخصية أو البقاء في المنصب، فلا يناقشون حتى إذا طلب الحاكم منهم ذلك وألح في الطلب، ومعظم هؤلاء يدرك في قرارة نفسه أن الحاكم عندما يطلب من المسؤولين التحدث بصراحة والمناقشة من دون قيود فإنه في الوقت نفسه يفترض أن الذين يتحدث أمامهم لن يتجاوزوا مع ما يطلبه. ومن لا يدرك ذلك يكون هو الإستثناء وأحياناً يكلفه عدم الإدراك الكثير كأن يغضب عليه الحاكم فيهمله في الحد الأدنى أو يعفيه من منصبه في الحد الأقصى أو ينتهز أول فرصة تعديل في المناصب ليضعه في الموقع غير المناسب أو الأقل أهمية من الموقع الذي كان فيه، أو يخصه بمهمة تعجيزية أو معرضة للفشل وبذلك يحرجه ويُنهي دوره في الحياة السياسية العامة.

وهناك وقائع كثيرة تؤكد هذه الحالة التي نشير إليها. وما خفي من هذه الوقائع يكون عادة هو الأعظم. وثمة واقعة، رواها سيد مرعي في أوراقه السياسية التي لها صفة الذكريات تعكس مرارة ما يصيب المسؤول إذا طلب منه الحاكم أن يتحدث بصراحة وإمتثل المسؤول إلى الطلب.

وبطلا الواقعة هما الرئيس جمال عبد الناصر

المتبقي للترجمة)، ومما قاله المستشار (وليس الناطق بإسم البيت الأبيض كما درجت العادة) إن الرئيسين أجريا محادثات "أشبه ما تكون بالمحادثات الفلسفية". والمواطن الأميركي إرتاح إلى الزائر الصيني الكبير البالغ من العمر واحداً وسبعين عاماً ويتصرف بعقلية شبابية قريبة من القلب، وهذا سببه أن الرئيس زيمين قرر من قبل أن يصعد إلى الطائرة في مطار بكين في طريقه إلى واشنطن أنه في مهمة إستثنائية وليس في زيارة تاريخية والهدف من المهمة هو أن يستقطب الرأي العام الأميركي الذي لا يحب من الصين سوى أكلاتها المنتشرة في الولايات المتحدة والمغوبة من عموم الأميركيين، وأن يؤكد لهذا الرأي العام أن صين هذه الايام والسنوات المقبلة هي غير صين الماضي، وأنه غير ماوتسي تونغ وشو ان لاي وعشرات المعمرين من القادة الصينيين الذين زرعوا الرعب في نفوس العالم ضمن مقولة أن الصين نمر مفترس. ولقد حقق نجاحاً باهراً في هذه المهمة.

وهكذا فإن خروتشوف أضحك الأميركيين بمرجه وبضربة فردة حذائه لكنه في الوقت نفسه إستفزهم وأثار عليه وكر الدبابير في الكرملين من خصوم وطامحين للزعامة الذين إستندوا في جملة حيثيات توجيه الضربة القاضية إليه على واقعة فردة حذائه. أما الرئيس جيانغ زيمين فإنه أشاع البهجة في نفوس الأميركيين لكنه في الوقت نفسه طمأنهم من دون أن تُسقط من التوقعات وكر الدبابير الصيني. ويبقى أنه في الحالتين يشكّل عامل الدهشة عنصراً أساسياً في حاليّ المرح الشيوعيتين وهي حالة أصابت كلاً من خروتشوف قبل أكثر من ثلاثة عقود وأصابت الزعيم الصيني جيانغ زيمين خلال زيارته إلى الولايات المتحدة لمجرد أن شاهد أميركا. والدهشة التي نشير إليها هي حالة يقرها علماء النفس الذين يرون أن الإنسان عندما يشاهد أمراً باهراً لم يشاهده في حياته فإنه يقف من كثرة الدهشة والإنبهار مشدوهاً أمام الذي يراه.. أو أنه يعبر على نحو ما فعل خروتشوف الذي ضرب بفردة حذاء على منصة الخطابة في الأمم المتحدة وما فعله الزعيم الصيني جيانغ زيمين الذي غنى واعتمر قبعة مثلثة القرون من القرن الثامن عشر وروى نكاتاً باللغة الإنجليزية.. التي لا يعرف منها سوى بضع كلمات.

صحيفة "المجلة". لندن - السبت 13 ديسمبر (كانون الأول) 1997

وحسين الشافعي أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة والذي يقول عنه سيد مرعي إن مساهمته في المناقشات السياسية الجماعية قليلة ونادرة. وكان ذلك في أعقاب هزيمة 5 يونيو 1967 حيث أن الرئيس عبد الناصر طرح في إحدى جلسات مجلس الوزراء للمناقشة أسباب الهزيمة وإنعكاساتها طالباً من الحاضرين إبداء أي ملاحظات وآراء.

وبدأ الحديث بالقول إنه قد آن الأوان للمصارحة من أجل معالجة الأخطاء وإشترط ألا يتسرب أي كلام يقال إلى الخارج.

ويشير سيد مرعي إلى أن حسين الشافعي تحدثت بإنفعال وإختار كلمات تعبر عن إقتناعه بما يقول وإرتاح لحديثه الوزراء الذين فاجأهم أسلوبه في التخاطب وإختياره كلمات ومفردات حادة، كذلك نشير إلى أن الضيق ظهر على الفور على وجه عبد الناصر ربما لأن الشافعي كان يخاطب الرئيس مباشرة ويقول له: "إن الخطأ الذي إرتكبناه قبل النكسة كان رفع الشعارات العديدة وعدم تنفيذها وإن الشعب فقد الثقة في قيادته بسبب كثرة هذه الشعارات وعدم الرغبة في تنفيذها. وبالإضافة إلى ذلك فإن الطريقة التي حكمت بها أجهزة الأمن والرقابة كالمخابرات والمباحث العسكرية قد أزلت البقية الباقية من ثقة الشعب في قيادته، ولقد كنا جميعاً نعرف حُكم هذه الأجهزة ونستتكر تلك الشعارات، ولكن دون جدوى".

ويضيف سيد مرعي أن مظاهر عدم إرتياح عبدالناصر لما قاله أحد رفاق ثورته حسين الشافعي كانت واضحة على وجهه "كما أن صوت تنفسه يوشك أن يكون مسموعاً"، وبعدما إنتهى الشافعي من الكلام كان لا بد من الرد، ويقول سيد مرعي إنه كان واضحاً أن عبد الناصر "يبدل مجهوداً من أجل التظاهر بالهدوء والتحكم في كلماته وضبط أعصابه". ثم يسرد وعلى النحو الآتي خلاصة ما قاله عبد الناصر: "الأخ حسين الشافعي يثير هذا الكلام هنا للمرة الأولى، بل ويتكلم في هذا الموضوع للمرة الأولى، والسؤال هو: لماذا لم يوجه هذا النقد قبل ذلك؟ وإذا كان يعرف بهذا كله قبل النكسة، فلماذا لم ينبه إليه؟ ثم إذا كان لغيره عذر في صعوبة إبلاغي بوجهة نظره، فما عذره هو؟ علماً بأنني كنت دائماً أسمح لأي منكم بالإتصال بي في كل وقت، وكل منكم يستطيع دائماً إبلاغي، بما يريد، ولقد كان في إستطاعة الأخ حسين أن يقول لي ما يشاء وفي الوقت الذي يشاء وبالطريقة التي يشاء، وكل هذا قبل

أن تحدث الكارثة فعلاً، ولكن هذا لم يحدث، بدلاً من ذلك فإنني لا أذكر أبداً أن الأخ حسين الشافعي قد طلب مني أي شيء قبل النكسة، أو تحدثت معي بشأن أي قضية سوى مرتين إثنين، إحداها كانت وساطة من جانبه لرفع الحراسة عن أحد الأشخاص والثانية كانت لحل مشكلة تتعلق بأحد اقربائه، ولم يحدث في أي مرة أن أثار الأخ حسين الشافعي أي شيء مما يشكو منه الآن، وهو الأمر الذي يريد أن يلقي بمسؤوليته على غيره، وإذا كانت تلك هي الصورة كما يراها حسين الشافعي، وإذا لم يكن يشارك قبل النكسة في كل ما يجري ويوافق عليه، فلماذا إستمر في الحكم؟".

ما الذي حدث بعد ذلك؟

مجلة "المجلة". لندن - السبت 20 ديسمبر (كانون الأول) 1997

حساسية عبد الناصر المفردة

من الذين يتشفون به

ساد صمت رهيب في قاعة مجلس الوزراء بعدما إنتهى الرئيس جمال عبد الناصر من رده على ملاحظات رفيق ثورة 23 يوليو 1952 حسين الشافعي، ومن المؤكد أن عرقاً كثيراً تصبب من الوزراء الذين كانوا يستمعون إلى نقد الشافعي والهجوم المضاد الذي قام به عبدالناصر وكأنما الإثنان ليسا رفيقي ثورة وليس حسين الشافعي أكثر أعضاء مجلس قيادة الثورة تحملاً لمظالم لحقت به تقبلها بصدر رحب من أجل عبد الناصر.

ولاحظ سيد مرعي "إن عبد الناصر وهو يرد على الشافعي وصل إلى قمة توتره وتأثره، أما الشافعي فلقد تغير لون وجهه تماماً ويبدو أنه لم يكن يتوقع أن يكون لكلماته كل هذا التأثير على جمال عبد الناصر، وحاول الشافعي من جانبه أن يخفف من وقع حديثه فقال أشياء مثل أنه لم يكن يقصد تخلصاً من مسؤولية وأنه شخصياً روحه فدأ لجمال عبدالناصر".

ويبدو أن الواقعة التي نشير إليها تحولت إلى حدث بالغ الأهمية إنما في نطاق المسؤولين وبالذات أولئك الذين كانوا حاضرين في جلسة المصارحة المباشرة، ونقول في نطاق الحاضرين لأن الصحافة بطبيعة

الحال لا تنتشر ولأن الذين كانوا في الجلسة إلتزموا الصمت خشية أن يروي أحدهم في مجلس أو أمام أصدقاء أو مقربين ما حدث ويشاع الخبر ويدفع الراوي المسؤول ثمن عدم كتمه السر.

ولكن سيد مرعي كان يريد أن يقول رأياً في الذي حدث ووجد في صديقه محمد حسنين هيكल الضالة المنشودة، وهو بطبيعة الحال فعل ذلك لأن الأستاذ هيكل يعرف تفاصيل ما جرى على رغم أنه لم يشارك في جلسة مجلس الوزراء.

ويعرف من النبع أي من جمال عبد الناصر على نحو ما إعتاد الرئيس أن يفعله معه حيث يُطلعه على كل شيء أو على معظم ما يرى إطلاعاً عليه، فضلاً عن أن الأستاذ هيكل لن يقول لعبد الناصر إن سيد مرعي كانت له ملاحظة في شأن ما قاله الرئيس عن حسين الشافعي.

وخلاصة ملاحظة سيد مرعي هي أن الرئيس عبدالناصر "ربما يكون قد قسا أكثر من اللازم على حسين الشافعي" وأن كلمات الشافعي "ربما كانت جافة في مظهرها، ولكن منطقته مقبول في جوهره"، أما رد هيكل على ذلك وكما أورده سيد مرعي فكان على نحو الخلاصة الآتية: "إنك لا تعرف أن لهذا الموضوع جذوراً، ولم يكن تلقائياً كما بدا لك في مجلس الوزراء، المسألة هي أن هناك إتجاهاً يمثله بعض رفاق عبد الناصر في إستخدام النكسة للتشفي منه شخصياً.. وإذا كنت تتصور أن الرئيس هو الذي كان قاسياً في كلماته فإنني أؤكد لك العكس...".

كذلك يشير سيد مرعي إلى انه عندما قال لهيكل "إنني لو كنت في مكان حسين الشافعي وقلت ما قاله ورد عليّ الرئيس بما رد لكنت على الأقل إنسحبُ من الجلسة مباشرة..." فإن الأستاذ هيكل ضحك وقال أنه من الخير أن هذا لم يحدث وأن الشافعي - وهذا لم يعرف به سيد مرعي - حاول بعد جلسة مجلس الوزراء المشار إليها أن يعتذر للرئيس عما قاله وأنه من يومها طلب مقابلته أكثر من مرة (ومعنى في ذلك أن عبد الناصر لم يقابله) وأن الجو سيتم تصفيته بينهما في النهاية.

ثم يؤكد سيد مرعي كلام صديقه هيكل فيشير إلى أنه في الجلسة التالية لمجلس الوزراء دخل عبد الناصر قاعة الإجتماع ومعه الشافعي.

وبصرف النظر عما لحق بالشافعي من ضرر نتيجة وجهة نظره التي أشرنا إليها وكيف أن الرجل

بات منذ تلك المصارحة من غير المرضي عنهم ثم بات خارج دائرة أهل القرار بعدما تسلّم أنور السادات الرئاسة خلفاً لعبد الناصر... بصرف النظر عن ذلك فإن واقعة الشافعي أوضحت أمراً في منتهى الأهمية وهي أنه إذا كان الشافعي وهو ابن النظام وأحد المشاركين في ثورة 23 يوليو 1952 ينتقد ويسجل الحد القليل من المصارحة في جلسة لمجلس الوزراء، فكيف إذن هي الحال بالنسبة إلى الآخرين المعترضين أو المعادين؟

ويبدو أن صدر الشافعي كان يخترن بالكثير من الإعتراضات، وأن ما قاله في جلسة مجلس الوزراء التي تطرّق إلى الحديث عنها سيد مرعي لا يشكّل أكثر من خمسة في المائة مما بدأ بقوله الرجل بعد ذلك في حوارات ومقابلات صحافية وكلها ملأى بالمرارة من بعض ما حفلت به سنوات الحُكم الثوري في مصر، لكن أهمية ما قاله في الجلسة هي أن الكلام كان بحضور عبد الناصر وكان موجّهاً إليه، وقيل في أشد الظروف حساسية بالنسبة إلى عبد الناصر وإلى مصر عموماً، وقيل أيضاً، بحضور وزراء وهذا ما يسبب أشد الحرج لحاكم، في حين أن كلام الشافعي بعد ذلك قيل في وقت كانت الظروف تبدلت تماماً في مصر في أعقاب وفاة عبد الناصر وقيام عهد جديد إذا جاز القول إنقلبت فيه مصر على الناصرية وبدأت تعيش العهد الساداتي الذي لم يكن لحسين الشافعي ولكل من هو ناصري مكان فيه، ولكن ما قاله الشافعي في الحوارات والمقابلات الصحافية التي تشير إليها يشكّل مساهمة في محاولة حل طلاس وخفايا دهاليز الحُكم في مصر... وما أكثرها.

مجلة "المجلة"، لندن - السبت 27 ديسمبر (كانون الأول) 1997

* * *

ظاهرة الكلام العربي الذي تلثم

بعد صفتين ولعبة

هنالك ظاهرة مستجدة على بعض أهل القرار العربي وبالأذات أولئك الذين تفرض عليهم المواقع الرسمية التي يشغلونها الإدلاء بالتصريحات والتحدث إلى وسائل الإعلام من خلال مؤتمرات صحافية. وتتمثل هذه الظاهرة في أن المسؤول الذي يتحدث

أو يدلي بتصريح حول موضوع الساعة منذ أن إنعقد مؤتمر مدريد ونعني به موضوع العملية السلمية والصراع العربي - الإسرائيلي، يتأني كثيراً وهو يتحدث وتخرج الكلمات من فمه متقطعة وإلى درجة أن العبارة التي كان يستغرق قولها ثوان باتت تحتاج إلى دقائق. وفي بعض الأحيان نلاحظ بعض المسؤولين ينطقون كلمات بشيء من الصعوبة وهناك بعض آخر نلاحظ التأزم على وجهه وهو يدلي بتصريحه ليس نتيجة رهبة الميكروفون أو أضواء آلات التصوير التلفزيوني، وإنما لأن المسؤول الذي يتحدث يبدو غير مقتنع بما يقوله أو أنه يتهيب الموقف ويخشى أن تصدر عنه عبارة تتقاطع مع الخط السياسي العام للدولة التي يمثلها. وهذه الظاهرة التي نشير إليها لم تكن قائمة قبل مؤتمر مدريد، وكان المسؤول العربي في هذه الدولة أو تلك ينطلق في الحديث عندما يسأله رجال الإعلام عن الموقف من الصراع العربي - الإسرائيلي. فليس هنالك ما يوجب التهيب، ولا ضرورة على الإطلاق لنطق العبارة كلمة كلمة أو حرفاً حرفاً. كذلك لا ضرورة لإسترخاء تفصل بين العبارة والأخرى.

لماذا ذلك؟

لأن المسألة كانت واضحة، هنالك حق عربي يتفق عليه كل المسؤولين من المحيط إلى الخليج وهنالك باطل إسرائيلي لا خلاف في النظرة العربية إليه. وإنطلاقاً من هذه البديهية فإن المسؤول العربي لا يجد إحراجاً في أن يقول ما يدور في خاطره ولن يتهيب الموقف ويخشى من تقاطع كلامه مع الخط السياسي للدولة التي يمثلها.

ويتذكر الواحد منا كيف أننا، عندما نستمع إلى أحد رجال القرار العربي يدلي بتصريح أو عندما نُجري معهم مقابلة صحافية، كنا نتعب وكيف أن أعلامنا كانت تلهث وراء كلامهم المنطلق على سجيته. ونتذكر كذلك كيف أننا كنا نحرص على أن تبقى آلة التسجيل مع الواحد منا لكي نضمن أننا سنسجل بأمانة كل الكلام فلا تقوتنا عبارة أو تختلط علينا كلمة تتداخل مع كلمة أخرى نتيجة سرعة المتحدث المسؤول في الكلام. أما بعد مؤتمر مدريد فإننا لم نعد كذلك، حيث أن ظاهرة التريث والتمهل والخشية من الإرتباك عند الإدلاء بتصريح أو عند الإجابة عن أسئلة خلال مقابلة صحافية باتت هي السائدة، أو فلنقل إن هذه الظاهرة باتت هي القاعدة وأن طلاقة المتحدث ومن دون الخشية من تعثر أو تقاطع صارت هي الإستثناء.

والظاهرة التي نشير إليها لا تقتصر على بعض أهل القرار العربي وإنما تشمل أحياناً مسؤولين أجانب وبالذات أولئك الذين لهم مصالح مع دول عربية لم تحسم بعد مسألة الصراع مع إسرائيل ويخشون من أن يتسبب تصريح يدلي به هذا المسؤول أو ذلك أو عبارة منسوبة إلى هذا الوزير أو ذلك في أزمة تنعكس آثارها على المصالح. ومن المؤكد أن هؤلاء المسؤولين سيشعرون بالإرتياح عندما يستقر أمر العملية السلمية لأنهم عند ذلك لن يجدوا أنفسهم عند الإدلاء بتصريحات خلال زيارة أو خلال مقابلة تلفزيونية يبحثون مثل بعض المسؤولين العرب عن العبارات التي لا تتسبب في تعقيد الأمور أو في فقدان مناصبهم.

وما نقوله عن بعض أهل القرار العربي يشملنا ككتاب ومعلقين ومحللين ويشمل بالذات أولئك الذين يعيشون مثل حالنا صدمة العملية السلمية أو بالأحرى السلام المخادع الذي بدأه الرئيس أنور السادات سامحه الله ويعيش وطأته الرئيس حسني مبارك أعانه الله. ونحن منذ صفقة كامب ديفيد الشهيرة وصولاً إلى صفقة أوسلو المريرة مروراً بلعبة مؤتمر مدريد الحافلة بعلامات الإستنهام والتعجب الكثيرة نترث عموماً عندما نكتب عن الطرف العربي في هذه المحطات المؤدية للحق العربي خشية أن نجد أنفسنا ومن دون أن ندري نسائي بين الطرف العربي المسلوب حقوقه وبين الطرف الإسرائيلي السالب لهذه الحقوق. ومن كثرة الخشية يضغط البعض على قلمه ويتسلى البعض الآخر بصب جام الغضب على نتائها.

وفي الحالتين فإن البعض مقرر. ولن تستقيم الأمور إلا إذا عاد الحق إلى أصحابه وبالطريقة التي إستلَب فيها هذا الحق. وعندما سيبدأ أهل القرار العربي الإدلاء بتصريحاتهم حول العملية السلمية والصراع العربي - الإسرائيلي من دون تقطيع العبارات ومن دون إعتدال أسلوب الإدلاء بالتصريح كلمة كلمة بدلاً من أن يكون عبارة عبارة وكذلك من دون التهيب والتريث وكثرة التأني في إختيار الكلمات... إنه عندما سيبدأ أهل القرار العربي ذلك فهذا معناه أن الظاهرة المستجدة التي عالجنا ملامحها في الأسطر السابقة ستتحسر بالتدرج ولن تتلعثم لغة الكلام وستعود الأجواء إلى ما كانت عليها قبل صفقات السلام الخاسرة لنا كعرب والمربحة لإسرائيل.

ولا يختلف عربي مع عربي على أن أحوال الأمة كانت على كثير من السوء في الزمن الذي نشير إليه

إلا أن الكرامة لم تكن مهدورة على نحو ما آلت إليه الأمور بعد ذلك وإلى الآن... وحتى إشعار آخر.

مجلة "المجلة" - لندن - السبت 3 يناير (كانون الثاني) 1998

* * *

تمنيات بصيغة الإنذار

ومطالب بصيغة التحذير

في الوقت الذي إلّ تأمّ الشمل الإسلامي وإتخذ القادة المشاركون في القمة الإسلامية مقاعدهم وكانوا في وضع نفسي جيد نسبياً إنطلق من واشنطن صوت يفتقد هو الآخر إلى اللياقة مثله مثل التصرف التركي وهدفه إرباكهم وتنغيص الأجواء الطيبة التي تسود مؤتمراتهم.

كان الصوت هو صوت المتحدث بإسم وزارة الخارجية الأميركية جيمس فولبي الذي بدا مرتبكاً وعلى شيء من الحيرة وكثير من العنجهية. الإرتباك تمثّل في قوله إنه "لن يستخلص أي نتيجة من وجود مشاركة كثيفة في هذا المؤتمر...". والحيرة تمثّلت في رد على سؤال حول المقارنة بين المؤتمر الإقتصادي في الدوحة الذي تعثّر إلى درجة الإنهيار وبين القمة الإسلامية التي بدأت منذ اللحظة الأولى ناجحة. وفي رده على السؤال قال: "إن الأمر يشبه المقارنة بين البرتقال والنجاح إنهما في الحقيقة حدثان مختلفان جداً، وليس مفاجأة أن ترسل الدول الإسلامية وفوداً لحضور هذا المؤتمر". وتبقى العنجهية التي تمثّلت بتحذير المتحدث الأميركي "من أي محاولة لإستصدار قرارات تعزل إسرائيل أو تمارس ضغوطاً على الدول الإسلامية التي تربطها بها علاقات دبلوماسية..." وتغليف التحذير بإشارة إلى أن الولايات المتحدة تريد وتشجع على إندماج إسرائيل بدول المنطقة.

ومع أن الخارجية الأميركية تعرف أن التحذير لا يفيد وهو لو أفاد لكان مؤتمر الدوحة (الذي تعتبره الإدارة الأميركية تقاحاً مع أنه حبة صبار ذات الشوك المزعج) إنعقد من دون أن يقاطعه حتى الذين تربطهم بالولايات المتحدة علاقات طيبة مثل المملكة العربية السعودية ومصر والمغرب... مع أن الخارجية الأميركية تعرف ذلك إلا أنها وجدت نفسها تفعل في عهد الرئيس بيل كلنتون ما سبق أن فعلته مع القمة العربية التي

جرى عقدها في مايو (أيار) 1990 الخارجية الأميركية في عهد الرئيس جورج بوش. ويتذكر معظم وزراء الخارجية العرب الحاليين، وأتذكر ويتذكر معي عدد من رفاق مهنة الصحافة والكتابة، تلك المذكرة التي وجهتها الخارجية الأميركية إلى الأمانة العامة للجامعة العربية في الوقت الذي كان وزراء الخارجية العرب يعكفون في بغداد على إعداد جدول أعمال القمة التي دعت إليها منظمة التحرير الفلسطينية وجرى عقدها بما يشبه الإجماع وعلى مستوى أهل القمة يوم 28 مايو 1990 (أي قبل شهرين وخمسة أيام من الإجتياح العراقي للكويت). وتضمنت تلك المذكرة التي أُرُجعت رموز الدبلوماسية العربية عبارات في منتهى الإساءة لأنها ذات طابع إستقزازي وبدأت الخارجية الأميركية في هذه العبارات كمّن يحدد جدول الأعمال للقادة العرب. ومن هذه العبارات خمس نوردها على النحو الآتي:

1- نأمل أن يتفادى الزعماء العرب خلال القمة الحماسة اللفظية المفرطة ونحثهم بدل ذلك على الإهتمام بمنهج بناء يعزز آفاق تحرك حقيقي نحو مسيرة السلام...

2- "على سبيل المثال نأمل أن يقوم الزعماء العرب بالتعبير عن الدعم الكامل للجهود التي يبذلها فلسطينيون ومصر لإجراء حوار إسرائيلي -فلسطيني في القاهرة وتجاوز المواقف المعتمدة في القمة الأخيرة في الدار البيضاء (مايو 1988) وذلك بإقرار مبدأ السلام مع إسرائيل خلال المفاوضات، وعدم الاكتفاء بتأييد خطة السلام الفلسطينية الصادرة في نوفمبر 1988 مثلما كان الشأن في الدار البيضاء، بل يتعين كذلك تأييد تصريحات عرفات في ديسمبر 1988 معترفاً بحق إسرائيل في الوجود وقابلاً لقراري مجلس الامن 242 و 338.

3- "إن اتباع القمة لمنهج متشدد لن يعمل إلا على تعزيز مواقف تلك العناصر من طرفي النزاع التي لا ترغب في أن يتحقق تقدم في مسيرة السلام. ومن المهم بمكان عدم الخلط بين مسألة المستوطنات التي نعارض بشدة إقامتها في الأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ العام 1967 ومسألة حق اليهود السوفيات في الهجرة إلى إسرائيل والتي نعتبرها من حقوق

الإنسان الأساسية. بل يجب أن نميز تمييزاً كاملاً بين المستوطنات في الأراضي المحتلة التي نعترض عليها جميعاً وتوطين المهاجرين الذين قدّموا مؤخراً في إسرائيل نفسها، وهي عملية شرعية تماماً، ونأمل أن تعمل القمة على توضيح هذا التمييز وأن لا تُصدر أي بيان قد يُعتبر محاولة للوقوف ضد حق اليهود السوفيات في الهجرة أو ضد مصلحة إسرائيل الأساسية في قبولهم داخل إسرائيل ذاتها.

4- "يتهم العراق الولايات المتحدة بالسعي للهيمنة على الشرق الأوسط إثر إنحسار دور السوفيات في المنطقة وبشن حملة إعلامية ضد العراق لتعزيز هجوم إسرائيلي يدكه دكاً. هذا كلام لا معنى له، فالولايات المتحدة تسعى لترى العراق يواصل إعادة البناء السلمي والإضطلاع بدور مسؤول في المنطقة. وتقر الولايات المتحدة بالدور الهام الذي يضطلع به العراق وبأنه يشكل قوة هامة في العالم...".

تلك هي أهم العبارات التي تضمنتها المذكرة الأميركية فكيف تعامل أهل القمة العربية معها وما هي أوجه الشبه بظروف المنطقة عام 1990 عام إنعقاد تلك القمة العربية الإستثنائية في بغداد... وظروفها عام 1997... عام إنعقاد القمة الإسلامية التي تبدو هي الأخرى إستثنائية مع أنها عادية، أو أن القمة عادية لكن ظروف المنطقة والعالم الإسلامي عموماً ظروف إستثنائية ونكاد نقول... مصيرية.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 17 يناير (كانون الثاني) 1998

* * *

العرب والمسلمون بين إستفزاز الدولة الكبرى وتحديات الدويلة الصغرى

لم تشأ الخارجية الأميركية توجيه المذكرة إلى الملوك والرؤساء ولا إلى الحكومات وإنما وجهتها إلى الأمانة العامة للجامعة العربية تاركة لهذه الأمانة أن تتصرف على النحو الذي تقرضه عليها أصول التبليغ والتبليغ المعتمدة. وما فعله الأمين العام للجامعة زمنذاك الشاذلي القليبي هو أنه بعث بنسخة من المذكرة إلى كل دولة من الدول العربية. أما ما فعلته

الحكومة العراقية المضيفة للقمة فهو أنها نشرت نص المذكرة في صحفها الصادرة يوم إجتماع وزراء الخارجية ربما بهدف الضغط على بعض الوزراء الذين يفضلون إعتقاد أقصى المرونة مع السياسة الأميركية خشية عدم تكرار الإستعجال في إصدار قرارات عزل مصر في قمة بغداد الأولى عام 1978. وبعد النشر لم يعد هنالك ما يمكن تجاوزه. من هنا يمكن القول إن المذكرة إقتحمت روحية البحث في جدول أعمال القمة من دون أن يتم إدراجها كبند في هذا الجدول.

ومع أن أحداً من وزراء الخارجية العرب لم يسجل ملاحظة حول نشر الصحافة العراقية لنص المذكرة، إلا أن كثيرين منهم كانوا يفضلون لو أن تشاوراً حول أمر النشر حدث بعد مناقشة وبذلك لا يعود هنالك مجال للإحراج، بل وقد تنتهي المناقشة إلى إصدار رد فوري ومن قبل الأمين العام على المذكرة وليس ترك الأمور تسير على النحو الذي سارت عليه حيث أن وزراء الخارجية تعاملوا مع المذكرة برفعها إلى الملوك والرؤساء ليقرر هؤلاء المناسب حيالها. ثم تبين أن الملوك والرؤساء أوكلو إلى الأمين العام مهمة الرد الذي لم يكن على الإطلاق بقوة الأثر الذي أحدثته المذكرة.

وثمة ملاحظة وهي أن ظروف المذكرة الأميركية تختلف كثيراً عن ظروف التحذير. ففي العام 1990 لم يكن هنالك ما يشبه الإجماع العربي على القبول بإسرائيل كدولة من دول المنطقة ولم يكن هنالك مؤتمر مدريد ولا إتفاقية أوسلو ولا أيضاً حرب الخليج الناشئة عن إجتياح القوات العراقية للكويت، ولذا إعتمدت الإدارة الأميركية الأسلوب الأعنف، في حين أنها بالنسبة إلى القمة الإسلامية تجد نفسها وقد تداعت مواقف صمود عربية وإسلامية كثيرة وبحيث يمكن الإكتفاء بتصريح يدل به المتحدث بإسم الخارجية الأميركية عوضاً عن مذكرة يتم توجيهها بإسم الوزارة.

ولكن بصرف النظر عن الظروف التي نشير إليها فإن الأسلوب الأميركي في التعامل مع أي تجمع عربي أو إسلامي يمكن للمشاركين فيه الإلتقاء حول جوامع مشتركة وبالذات في ما يتعلق بالمسألة الفلسطينية والعملية السلمية العادلة، يكون دائماً أسلوباً مستهجنًا تتحكم فيه نوازع الغطرسة والهيمنة، وهو كذلك أسلوب تنقرد به الولايات المتحدة بدليل إننا لم نسمع أن أيّاً من الدول الكبرى الأخرى فعلت ذلك. وبالنسبة إلى المذكرة وكذلك إلى التحذير يبدو الأسلوب الأميركي وكأنما هو تدخّل بالجملة، أو أنه تدخّل في الشؤون السيادية لعشرات

الدول العربية والإسلامية دفعة واحدة.

وفي تقديرنا إن الإدارة الأميركية لو تريثت قليلاً إلى ما بعد إنتهاء القمة العربية الإستثنائية في بغداد في مايو (أيار) 1990 ولم تستعجل إرسال المذكرة، وتريثت أيضاً قليلاً إلى ما بعد إنتهاء القمة الإسلامية في طهران ولم تتسرع في إطلاق التحذير، لكانت ستجد أن الدول العربية والإسلامية ستناقش بالكثير من الهدوء العلاقة مع الولايات المتحدة بما يجعل هذه العلاقة تستقر.

... ولكن الإدارة الأميركية بالمذكرة عام 1990 ثم بالتحذير عام 1997 تبدو كمن لا يريد سوى إستقزاز العرب والمسلمين وإلحاق الأذى بهم لوحدها أو بمشاركة إسرائيل... وحديثاً الإبن التركي غير البار والذي صدم أبناء قومه الشعب التركي في أكثرية الساحقة وصدم أيضاً الشقيق المسلم من أندونيسيا إلى سوريا، بما فعله عندما إستضاف وزير الدفاع الإسرائيلي وجلس يتباحث معه في السُّبل التي تؤذي الجيران العرب والمسلمين بينما هنالك قمة إسلامية إنعقدت في طهران وناقشت بمسؤولية مستقبل أمتين تتعرضان لتحديات من دولة كبرى لا تريد أن تتفهم خصوصية المسألة العربية والإسلامية ودولة زرعتها الإرادة الدولية في المنطقة لتعكر الصفو وتهدد التراث والمقدسات... والهوية.

مجلة "المجلة" - لندن - السبت 24 يناير (كانون الثاني) 1998

* * *

المؤرخ دون غيره أقنع الرئيس المحزون بكتابة مذكراته في الحكم من الصعود إلى الهبوط

لولا الكاتب والمؤرخ اللبناني الثقة يوسف إبراهيم يزبك لما كان الشيخ بشارة الخوري أول رئيس جمهورية لبنان المستقل كتب مذكراته والتي من محاسن كتابتها أن ذلك حدث في وقت كان الشيخ بشارة على حيوية ملحوظة على رغم تجاوزه السبعين (زمن كتابة المذكرات).

والعروف في معظم دول العالم الثالث عن الذين حكموا أو شغلوا مناصب مرموقة أن هؤلاء يترددون في كتابة المذكرات خشية أن تتكأ هذه المذكرات جراحاً إندملت بفعل الزمن، أو تفتح الباب من جديد أمام

مساجلات بين الذي كتب والذين تناولهم في بعض صفحات مذكراته. وثمة مسألة أخرى لا يقولها هؤلاء وهي أنهم عندما يترددون في كتابة المذكرات فلأن هنالك في بعض مراحل حكمهم أو خلال بعض سنوات توليهم المسؤوليات مواقف وممارسات ليست لمصلحة تاريخهم السياسي على الإطلاق وهم إذا كتبوا مذكراتهم ولم يأتوا على ذكرها فإن العارفين بأمرها سيتهمون هؤلاء بأنهم غير موضوعيين وبذلك تفقد المذكرات بريقها وتتضاءل أهميتها. ووسط هذه الهواجس والمخاوف يتزايد تردد من يُفترض فيهم أن يكتبوا مذكراتهم. ثم يحدث أن معظمهم لا يكتب ويترك بعدم الكتابة فجوات في مساحة المعرفة عن فترات حكم وتولي مسؤوليات بعضها في غاية الأهمية.

ولكن المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك إستطاع أن يقنع الشيخ بشارة بأن يروي المذكرات ويترك له أمر الكتابة بما لا ينكأ الجراح ولا يفتح الباب أمام الصراعات وينصف الأشخاص ولا يتناول على الحقيقة. والأهم من هذا كله هو أن يوسف يزبك أقنع صديقه الشيخ بشارة بأن الإشارة إلى بعض الوقائع تغني أحياناً وتقي الكاتب محاذير الغوص في التفاصيل، فضلاً عن أن التهيب أمام القليل من الأحداث والوقائع وأشخاصها لا يجب أن يلغي الحديث عن الكثير من أحداث ووقائع تشكل في معظمها محطات مضيئة في تاريخ الوطن. وهكذا تعاون الرئيس الشيخ بشارة الخوري وصديقه المؤرخ يوسف إبراهيم يزبك في كتابة مذكرات الأول التي جاءت مزيجاً من أفراح وأحزان رجل في قمة السلطة. كان الرئيس يروي ويوسف يزبك يتولى الصياغة ثم يمسك الرئيس بقلمه ويمضي الساعات الطويلة يحذف ويضيف ثم يعاود الحذف ثم يقرأ مرة وثانية وثالثة الصفحات التي تم إنجازها. ومن أجل ذلك طال زمن إنجاز كتابة المذكرات إلي أن صدرت وفي حياة صاحبها.

إنما كيف صدرت؟

لقد إرتأى الشيخ بشارة أن يتم طبع 99 نسخة من كتابه المعنون «حقائق لبنانية» والذي صدر بجزئين. ثلاث نسخ مرقمة بحرف و 96 نسخة مرقمة من 4 إلى 99. لماذا؟ انه لم يوضح ذلك ولكن من باب الإجتهد يمكن القول إن خشية الرئيس صاحب المذكرات إستمرت قائمة وأنه في إحترازه من ردود الفعل إرتأى أن من السهل السيطرة على مئة نسخة وحجبها عن الناس إلا أنه لا يعود سهلاً مثل هذا الأمر إذا تم طبع

الكتاب بجزئيه بكميات تتجاوز في الحد الأدنى ثلاثة آلاف نسخة.

وقد يكون من الضروري تقديم الرئيس بشارة لقارئ أواخر التسعينات من القرن العشرين قبل أن نستخلص من مذكراته بعض ما قد يتناسب مع الظروف التي يعيشها العالم العربي والعلاقة اللبنانية السورية في شكل خاص.

المعروف إن لقب الشيخ حكر على من هم رجال الدين في الدول الإسلامية، وكذلك على من هم من أفراد الأسر الحاكمة في بعض دول الخليج وعلى من هم رؤساء عشائر في السواحي العربية. كما أن هذا اللقب يلزم أشخاصاً لهم مكانة متميزة ومرموقة في المملكة العربية السعودية. إلا أن كثيرين يجهلون أن هذا اللقب يتمتع به إلى جانب رجال الدين الإسلامي في لبنان، عدد من المسيحيين، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الشيخ بيار الجميل وأبناء الشيخ أمين والشيخ بشير وكان الأخير الذي قاد المعسكر المسيحي في الحرب الأهلية التي اندلعت عام 1975 واستمرت ست عشرة سنة وصل إلى سدة رئاسة الجمهورية إلا أنه إغتيل وهو ما زال رئيساً منتخباً وجيء بشقيقه الشيخ أمين الذي شغل منصب الرئاسة ست سنوات. كذلك أن من بين هؤلاء الذين يحملون هذا اللقب الشيخ بشارة الخوري موضوع حديثنا هنا.

ومن يحمل هذا اللقب فإن أبناءه وأحفاده يتوارثون هذا اللقب، تمام على نحو ما يتوارثه الذين يحملون لقب أمير وهم من المسيحيين. وليس هنالك أمير ومسيحي سوى في لبنان مع الأخذ في الاعتبار أن هنالك مسلمين يحملون كذلك لقب أمير، ومن غرائب الأمور أن هنالك عائلة يحمل أبنائها لقب أمير وهي في الوقت نفسه عبارة عن عائلتين: عائلة مسيحية وصل أحد أبنائها الأمير فؤاد شهاب إلى رئاسة الجمهورية بعدما كان قائداً للجيش، وعائلة مسلمة وصل أحد أبنائها الأمير خالد شهاب إلى رئاسة الحكومة. ومثل هذا الأمر كنا نشقى في محاولة توضيحه لإخواننا العرب عندما نزورهم في دولهم أو يزوروننا في لبنان أو نلتقي بهم في دول أوروبية أو عربية. وكثيراً ما كان بعض الأخوة العرب يسألوننا كيف هو شيخ مع أنه مسيحي وكيف أن في العائلة التي تحمل اسماً واحداً من هو أمير ولكنه مسيحي، وأمير ولكنه مسلم. وفي بعض الأحيان كنا نختصر التوضيح بالقول إنها أمور موروثية تعود إلى ثلاثة

قرون وأنها إستقرت في لبنان لأنه أكثر الساحات قدرة على التعايش مع غرائب الأمور ومع التناقضات.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 14 فبراير (شباط) 1998

عندما يكتب الحاكم بنفسه كتاب

إستقالته بينما البرلمان... برلمان

الشيخ بشارة الخوري من مواليد أغسطس (آب) 1890 وتخرج من جامعة باريس، وبعدما عمل في مكتب المحامي إميل إده (والد الزعيم السياسي المعارض ريمون إده الذي عاش حتى وفاته في باريس إحتجاجاً على الوجود السوري في لبنان ورفضاً للإحتلال الإسرائيلي) لجأ إلى مصر على نحو ما فعل لبنانيون كثيرون نتيجة لما حدث في وطنهم جراء الحرب العالمية الأولى.

تم عاد ليجد أن لبنان بات تحت الإنتداب الفرنسي. وبسبب مشاعره الودية نحو فرنسا منذ أن كان طالباً في لبنان ثم بعدما نال شهادته الجامعية في الحقوق من جامعة باريس، فإنه تعاون مع الإنتداب الفرنسي لفترة إستيقظ بعدها شعوره الوطني فإستقال من وظيفته التي اسندها الفرنسيون إليه وهي «أمين عام حكومة الجبل» وعاد ليعمل في المحاماة. لكنه تعرض لضغوط ومغريات وعاد إلى الوظيفة من جديد رئيساً لمحكمة الحقوق متمسكاً إلى حد كبير بوطنيته.

بعد ذلك بدأ نجمه يلمع في دنيا السياسة إلى أن أسند إليه أول رئيس جمهورية في لبنان صديقه شارل دباس مهمة تشكيل حكومة زمن كانت القاعدة الطائفية غير قائمة، بمعنى أن يكون رئيس الجمهورية ماروني ورئيس الوزراء مسلماً سنياً ورئيس مجلس النواب مسلماً شيعياً. ونقول ذلك على أساس أن شارل دباس كان مسيحياً أرثوذكسياً وأن اكثرية النواب الموارنة في مجلس النواب عام 1932 رشحوا الشيخ المسلم الشني محمد الجسر رئيساً للجمهورية رداً على ترشيح نواب آخرين الشيخ بشارة الخوري الماروني (شيخ مسلم في مواجهة شيخ مسيحي!) ليكون رئيساً للجمهورية. ومع أن المسألة كانت لعبة سياسية متقنة أدارها إميل إده لإقصاء خصمه العنيد الشيخ بشارة عن منصب الرئاسة إلا أنها أرسيت تقليداً وهو أنه من

الممكن أن يكون رئيس الجمهورية مسلماً وأنه يكفي لذلك فقط تعديل دستوري يجيز بموجبه التوزيع الذي تركز إعتماده وهو أن تكون الرئاسة الثلاث موزعة على الطوائف الثلاث (رئاسة الجمهورية للطائفة المارونية ورئاسة الحكومة للطائفة السنية ورئاسة البرلمان للطائفة الشيعية). ولقد ثبت إتفاق الطائف (1989) هذه الرئاسة.

بعد انتخابه عام 1943 رئيساً لجمهورية لبنان المستقل واختياره رياض الصلح رئيساً للوزراء سجل الشيخ بشارة مواقف لا ترتاح لها فرنسا أشار إلى بعضها في مذكراته من بينها أنه تمارض فلم يحضر الحفل السنوي الذي درجت جمعية الصليب الاحمر على إقامته في فندق صوفر (مصيف مثالي في الجبل) برعاية المندوب السامي الفرنسي. وعندما كثرت الإستفسارات والتعليقات في شأن غيابه قال «إن رئيس الجمهورية اللبنانية لن يذهب بعد اليوم إلى حفلة لا تكون تحت رعايته...».

كذلك فإنه عندما عوتب لأن رئيس الوزراء صديقه وحليفه رياض الصلح رفض أن يذهب مع الوزراء لزيارة المندوب السامي الفرنسي كما جرت العادة من قبل رد معلقاً: «إن رياض الصلح رجل مهذب وليس مثله من يعرف واجباته ومن المستحيل أن لا يرد الزيارة إذا زاروه».

بعد ذلك إندلعت ثورة وطنية في لبنان شعارها تحقيق الوحدة الوطنية والإستقلال التام وإنتهت بإرغام سلطات الإحتلال الفرنسي على الإفراج عن الرئيس بشارة الخوري وحكومته من سجن راشيا الذين أودعوا فيه رداً على تعديلهم للدستور اللبناني بما يحره من القيود الإنتدابية. وبالإفراج عن أركان الدولة ومؤازرين لهم بدأ عهد الاستقلال الحقيقي وتم جلاء الجيوش الأجنبية عن لبنان 31 ديسمبر (كانون الأول) 1946.

وهذا الإنجاز الوطني للشيخ بشارة الخوري جعله يشعر أن أي تجاوزات تحدث في عهده يجب أن يتقبلها الشعب بصدور رحب وأي أخطاء يجب أن يغفرها له، ونتيجة ذلك إستشرى الفساد والمحسوبية والرشوة وإلتهم بعض أفراد العائلة المكاسب وإستأثروا بالمصالح المهمة، وتعرض القضاء إلى إساءات والصحافة المعارضة إلى اضطهاد والحريات إلى قيود بالغة القساوة وأجريت انتخابات فاز فيها أنصار العهد ومحاسبيه وأغنياؤه من دون أن يتمكن من الفوز معارض واحد. وهكذا فبعدما كانت الصورة مضيئة

وكان الشيخ بشارة نجماً وطنياً ساطعاً في سماء السياسة اللبنانية، بات الرجل موضع غضب الناس على كافة مشاربهم. ثم تقاعمت الأمور لأن الرجل وجد أنه ما دام مجلس النواب مجلسه بالكامل فلماذا لا يجدد ولايته ست سنوات أخرى. وشجعه على ذلك أن حكومته التي يتزأسها رياض الصلح سايرته في هذه الرغبة ودفعته نحو الأخذ بالتجديد بدل أن تنفيه عن ذلك. كما أن معظم الصحف التي أغدق العهد عليها المال والمساعدات شاركت في لعبة التجديد وبدأ اللبنانيون يقرأون في صحفهم مقالات عن رئيسهم وكأنما هو قديس.

وكان تجديد الرئاسة بمثابة عاصفة عاتية إنعكست على وهج الإنجاز الوطني للرئيس وعلى الأجواء الطيبة التي سبق أن حققها مع الدول العربية حيث أرسى علاقات متميزة ومحترمة في الوقت نفسه وبالذات مع سوريا.

وعلى رغم أن المجلس النيابي مجلسه والحكومة حكومته إن الثورة الشعبية البيضاء التي إندلعت ضده وكان للرئيس السوري زمذاك أديب الشيشكلي يد في بعض جوانبها، أجبرته على تقديم إستقالته وقد كتبها بنفسه.

... وليس هنالك لحظة قاسية على من هو سدة الحكم أن يكتب بنفسه إستقالته.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 21 فبراير (شباط) 1998

عندما تزاور شكري القوتلي

وبشارة الخوري قبل نصف قرن

صادفت أيام 22 و23 و24 فبراير (شباط) من عام 1998 مرور نصف قرن الزيارة الأولى لرئيس الجمهورية السورية إلى لبنان.

كان ذلك عام 1947، ومناسبة الزيارة هي أن الرئيس اللبناني الشيخ بشارة الخوري كان زار دمشق في يونيو (حزيران) 1946 ودعا صديقه الرئيس شكري القوتلي لزيارة لبنان. ومنذ توجيه الدعوة وقبولها بدأ التحضير لإستقبال لائق للرئيس السوري. ونلاحظ كيف أن الشيخ بشارة شكر الله سبحانه وتعالى لأن الطقس الذي خشي (الرئيس اللبناني) أن يكون ممطراً

وبارداً وبذلك لا يأتي الإستقبال بالأبهة التي يريدها، جاء ربيعياً ومشمساً و دافئاً ويخصص الشيخ بشارة بضعة أسطر لوصف مراسم الإستقبال من لحظة الوصول إلى لحظة تبادل الخطب والأوسمة في حفلة تم خلالها إطلاق الألعاب النارية.

ونلاحظ بهجته باللافتات النارية وأجملها على حد قوله «معانقة العلمين السوري واللبناني في لافتة واحدة»، كذلك نلاحظ إرتياعه للإستقبال الجماهيري العفوي الذي يلقيه الرئيس القوتلي من اللبنانيين والتصفيق بدون إنقطاع لموكبه. ويقول «إن الناس خلال حفلة خاصة في ميدان سباق الخيل في اليوم الثاني للزيارة كانت تمر أمام المقصورة الرسمية وعلى وجوهها علامات البشر والحبور، والرئيس السوري يحييها وكأن دمعة إرتسمت في مقلتيه أمام تلك الحماسة المتفجرة من أعماق الصدور...».

ثم يروي الرئيس اللبناني انه عندما سأل صديقه الرئيس السوري في ختام اليوم الثاني من الزيارة، وكان مضنياً وحافلاً بالمآدب والإستقبالات، أجابه: «لا حساب لتعب الجسم عندما يكون القلب في حبور...». أما عند لحظة التوديع الرسمية بعد إنتهاء الزيارة فإن الشيخ بشارة الخوري كتب عنها يقول: «... ولما ودعته في فرن الشباك (مدخل مدينة بيروت في إتجاه طريق دمشق) أغرورقت عينا كل منا بالدموع وتعانقنا طويلاً، وإذا ظهر عناق الإستقبال عناق صديقين فقد كان عناق الوداع عناق أخوين...».

الأسطر قليلة، لكنها من نوع ما قل ودل حول زيارة رسمية، وتعكس كلماتها مدى تباذل المحبة شعباً وحكماً ورئياً بين لبنان وسوريا قبل نصف قرن.

أما الزيارة غير الرسمية التي قام بها الرئيس شكري القوتلي لصديقه الشيخ بشارة الخوري فجاءت نتيجة إشكال نفطي خلاصته أن شركة النفط الأميركية (التابلاين) سعت، بعدما أنجزت إتفاق إمرار أنابيب النفط بالأراضي اللبنانية وجعل مصبها في الشاطئ اللبناني، إلى إتفاق مماثل مع سوريا، لكن المحادثات تعثرت ووصلت إلى حد أن الشركة أذرت الحكومة السورية خطي بقطع التفاوض معها إذا هي لم تسارع إلى توقيع الإتفاق. وقد إستاءت الحكومة السورية من هذا التصرف فلجأ مدير شركة النفط إلى الرئيس اللبناني لإيجاد حل لهذا الإشكال بالنظر إلى العلاقة التي تربطه بالرئيس السوري. وبعد أن يشير الشيخ بشارة في أوراقه إلى أنه لام شركة النفط على تصرفها

تحرك لإيجاد الحل من منطلق أن الإتفاق اللبناني لا قيمة له من دون الإتفاق بين سوريا والشركة، وذلك لأن وصول الأنابيب إلى لبنان مشروط بإجازة إمرارها في سوريا. وبلغت التسعينات يمكننا القول إن المسارين على الصعيد النفطي كانا قبل نصف قرن بمثل المسارين على صعيد الإنسحاب الإسرائيلي والعملية السلمية التي عاش البلدان الكثير من المتاعب بسبب تشدد حكومة بنيامين نتنياهو وتفهم الإدارة الأميركية دون وجه حق لهذا التشدد الإسرائيلي.

أما كيف تحرك الشيخ بشارة لإيجاد الحل بين شركة النفط الأميركية والحكومة السورية فإنه يعرضه في أوراقه التي هي بعض مذكراته. ومما يرويه في هذا الشأن هو أنه تبادل الرأي مع رئيس الوزراء رياض الصلح الذي إتصل برئيس وزراء سوريا جميل مردم وأنه (أي الشيخ بشارة) إتصل بصديقه شكري القوتلي وتمت دعوة الإثنين إلى القيام بزيارة تم الإتفاق على أن تكون غير رسمية. وقد لبي الرئيس القوتلي ورئيس وزرائه جميل مردم الدعوة، وكان اللقاء يوم 27 أغسطس (آب) 1947 في قصر بيت الدين (المقر الصيفي إستتساباً لرئاسة الجمهورية اللبنانية).

ولكي لا تبدو الزيارة أنها من أجل البحث في - الإشكال النفطي مع أنها كذلك، فإن الرئيسين بحثا في تصريحات أدلى بها العاهل الأردني الملك عبدالله وتعلق بمشروع سوريا الكبرى الذي ينشط الملك في سبيله، وصاغاً بياناً مشتركاً مع أن الزيارة ليست رسمية تماماً، يشجب كل فكرة ترمي إلى تغيير الوضع الراهن والشكل الجمهوري في البلدين السوري واللبناني...».

ويضيف الشيخ بشارة قائلاً: «وأذعنا البيان بسرعة خاطفة فكان له وقع الغيث على الأرض العطشى». وما هو الأهم من ذلك هو أن الرئيس اللبناني أنجز حل الإشكال النفطي الذي أشرنا إليه بحيث تسحب الشركة الأميركية الإنذار وتعاد المفاوضات من جديد ثم يتم التوقيع في أيام ثم يشير الشيخ بشارة إلى أحاديث الذكريات الطيبة خلال الليلة التي قضاها الرئيس القوتلي

ومن معه بضيفة الرئيس اللبناني. كذلك يتحدث عن إصرار الرئيس القوتلي صباح اليوم التالي على أن يعود من دون مواكبة رسمية وكأنه في بلده، وعن توقفه بضع ساعات في مصيف صوفر (منتصف الطريق بين بيروت ودمشق) لتناول الطعام في البيت

الذي يصطاف فيه جميل مردم.

ونلاحظ هنا أن رئيس وزراء سوريا يصطاف في لبنان وليس في إحدى البلدات السورية.

كذلك يروي الشيخ بشاره الخوري أنه خلال وجوده في قصر بيت الدين إستقبل الرئيس القوتلي وعدداً من أعيان بلدة فالوفا (مصيف ذائع الشهرة في لبنان)، تمنوا عليه زيارة بلدتهم التي كانت مصيف القوتلي قبل توليه الرئاسة. ونتيجة إلحاح الشيخ بشاره وأعيان فالوفا تمت الموافقة وتحدد يوم 11 أيلول (سبتمبر) موعداً لها وبحيث يتم التوقيع خلال زيارة البلدة، لكن الرئيس القوتلي طلب من حكومته أن يتم التوقيع على الإتفاق صباح يوم الزيارة، وبحيث يحمله معه كبرى سارة، أو كهديّة من سوريا إلى اللبنانيين ممثّلين ببلدة فالوفا.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 28 فبراير (شباط) 1998

* * *

كيف إستقبلت سوريا أول رئيس لبناني زارها وكيف عاتبوه لأنه سيزور تركيا؟

ينهي الشيخ بشاره حديثه عن الإستقبال الرائع الذي لقيه الرئيس القوتلي من أهالي بلدة فالوفا بالقول وبغفوية وبساطة تعكس بصدق المحبة المتبادلة بينه وبين الرئيس القوتلي وإستطراداً بين لبنان وسوريا: «... وقبيل الإنصراف أخذت السماء تمطرنا رذاً فإستبشرنا خيراً: ورافقتُ شكري بك بسيارتي حتي بلدة المديرج وإتجه مع صحبه نحو دمشق وقفلت راجعاً إلى بيت الدين...».

ومن المهم التوضيح بأن قصدي من إبراز هذه اللحاحات في مذكرات الشيخ بشاره الخوري، الحافلة بالمواقف والأحداث المفرحة والمحنة، هو القول بأن بساطة التعامل وعمق العلاقة الشخصية بين اللبناني والسوري أظهرت البلدين وكأنهما بلد واحد.

ولكن هذه الظاهرة لم تدم طويلاً لأن سوريا دخلت في دوامة الانقلابات العسكرية ثم عادت وظهرت مرة ثانية مع تسلم الفريق حافظ الأسد الحكم وقيام علاقات شخصية مع الذين تعاقبوا على الرئاسة في لبنان من سليمان فرنجية إلى الياس سركيس إلى أمين الجميل إلى الياس الهراوي إلى اميل لحود إلى ميشال سليمان.

وقد زار الرؤساء الأربعة دمشق مرات عدة. وبسبب حالة عدم الإستقرار في لبنان والظروف المضطربة في المنطقة عموماً فإن زيارات الرؤساء الستة كانت جافة في معظمها لأنها زيارات عمل وسريعة وليست مثل الحال الذي كانت عليه قبل 51 سنة بين الرئيسين بشاره الخوري وشكري القوتلي.

ومن المؤكد أنه لو كان لبنان مستقراً وليست فيه هذه التيارات السياسية التي تنظر إلى الدور السوري نظرة غير ودية على الإطلاق لكان الرئيس حافظ الأسد فعل مع لبنان ما يفعله مع مصر، أي يقوم برد الزيارة للرؤساء اللبنانيين الذين يزورونه، خصوصاً أن زياراتهم هي للتشاور ومن نوع زيارات الرئيس حسني مبارك إلى سوريا وزيارات الرئيس حافظ الأسد إلى مصر، وهي زيارات عمل وتشاور وتستغرق بضع ساعات. وقد جاز الإفتراض أن زيارة الرئيس الأسد شخصياً مؤجلة إلى ما بعد إكتمال الحلول وإنسحاب إسرائيل من الجولان ومن الجنوب اللبناني، وأنه في إنتظار ذلك يوفد نجله الدكتور بشار بين الحين والآخر في زيارات للتشاور فقط. لكن الأسد الأب توفي وتسلم الابن بشار الحكم وريثاً لوالده. لم تنشأ ظروف ضغطت عليه للإسحاب عسكرياً وأمنياً من لبنان.

وإذا كان هذا الود وتلك البساطة هما العلامة المميزة للزيارة الرسمية الأولى لرئيس الجمهورية السورية (الرئيس شكري القوتلي) إلى لبنان فأى حال كانت عليه الزيارة الرسمية الأولى لرئيس الجمهورية اللبنانية (الشيخ بشاره الخوري) إلى سوريا.

وتفيد مذكرات الشيخ بشاره أن الزيارة تمت في 8 يونيو (حزيران) 1946 وأن صديقه الرئيس القوتلي إستقبله في نقطة على مسافة أربعة كيلومترات من العاصمة وان من ضمن البرنامج لليلة الأولى عشاء رسمياً في حديقة القصر الجمهوري «التي ظهرت بأجمل حلة من المصابيح الكهربائية والرياحين» ومشاهدة الألعاب النارية ثم مشاهدة فيلم مصري شاهده أيضاً وفود من الدول العربية جاءت للمشاركة في دورة للجامعة العربية في بلودان وأراد الرئيس القوتلي أن يكون أعضاء الوفود ضيوف حفلة العشاء الرسمية تكريماً للرئيس بشاره الخوري.

ومثلما توترت العلاقات بين سوريا وتركيا بسبب خلافات المياه والتحالف الإسرائيلي - التركي، فإنها كانت زمنذاك على درجة من السوء نتيجة سلب تركيا للواء الإسكندرون السوري وأن الرئيس القوتلي على

إطمأن قلب لبنان من خطر الانقلاب السوري بعد رسالة جاءت من الملك عبدالعزیز

من خلال ما رواه الشيخ بشارة الخوري عن الانقلاب العسكري الأول في سوريا نتلمس حجم المخاوف التي سادت اوساط الحكم في لبنان من جهة وأهمية الإستقرار الذي كان عليه البلدان عندما كان النظامان فيه متجانسين من جهة أخرى.

قام بالإنقلاب العسكري قائد الجيش حسني الزعيم يوم الاربعاء 30 مارس (آذار) 1949، وقد تسلم قائد الانقلاب جميع السلطات الدستورية وتم إعتقال الرئيس شكري القوتلي ورئيس الوزراء خالد العظم.

ولم يشعر المسؤولون اللبنانيون بخوف يماثل خوفهم لدى سماعهم النبأ الصاعق. وإستناداً إلى طبيعة العلاقات الرسمية والشخصية والزيارات الرسمية وغير الرسمية المتبادلة بين اهل الحكم في كلا البلدين والصراع البريطاني - الفرنسي على المنطقة والذي لم تهدأ صولاته وجولاته، فإنه من الطبيعي ان يشعر المسؤولون اللبنانيون بالخوف وخصوصاً أن مسألة إ العسكري جديدة على المنطقة ولا يعرف المرء ما الذي يمكن أن يفعله الجنرالات إذا هم إنتقلوا فجأة من التكنات إلى السرايات. وما يفعلونه صار معلوماً بعد ذلك وعلى مدى ثلث قرن.

وإلى جانب الخوف من المفاجآت غير السارة هنالك الرئيس شكري القوتلي الصديق المثالي والمخلص للبنان وطناً وشعباً وحكومة والذي كان في القصر ثم بات في السجن. ويريد اهل الحكم اللبناني وبالذات رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح الإطمئنان إلى مصير هذا الصديق، كما إنتابهم الحذر الشديد من إحتمال إنتقال عدوى الانقلاب إلى لبنان أو من إحتمال أن يكون للانقلاب السوري إمتداد لبناني.

وبدأ اهل الحكم يتصلون بمختلف الأوساط السياسية والديبلوماسية العربية والأجنبية للحصول على المزيد من المعلومات والحقائق حول الانقلاب العسكري الأول في سوريا، وذلك لكي يتم عليها بناء الموقف من هذا الانقلاب وكيف سيكون التعامل معه. أما الصحافة اللبنانية المتأثرة زمناً برئيس الوزراء رياض الصلح على نحو تأثير رئيس الوزراء الحالي

رغم العلاقة الطيبة بينه وبين الرئيس بشارة الخوري وجد نفسه يتحدث بفثور عن زيارة سيقوم بها الرئيس اللبناني إلى تركيا بعد إنتهاء زيارته إلى سوريا. وقد لطف الشيخ بشارة الاجواء بقوله «إنني قصدت من زيارة سوريا رسمياً إظهار ما يكنه لبنان ورئيسه للشعب الشقيق من محبة وتقدير قبل أن أزور تركيا، خصوصاً وإنني لبّيت دعوة الرئيس التركي ولم يكن لي عذر بعدم تلبيتها لأنها زيارة مجاملة من شأنها أن تدعم الكيان اللبناني في الظروف الحاضرة ولا سيما عندما يستقبل رئيس لبنان بعد زوال الإنتداب الفرنسي كرئيس دولة مستقلة تجاه تركيا التي كانت لها حتى عام 1918 شبه سيطرة علينا ولو إسمية....».

ويضيف الرئيس بشارة الخوري الى هذه النقطة توضيحات ومعلومات تتمثل بقوله: «وكان التفاهم سائداً بيني وبين شكري بك لحظت انه أكثر تفهماً لقصدنا من رئيس وزارته سعدالله الجابري الذي لم يوافق قلباً على زيارتي لتركيا. وقد أضفت أن قضية إسكندرون لا تنتهي إلا بتحكيم دولي عندما تدق الساعة في غيب التاريخ. وإقترحت أن تتبادل سوريا وتركيا التمثيل السياسي وفهمت من شكري بك أن هذه المسألة قد بُحثت قبلاً وسيتم التبادل بين البلدين في وقت ليس بالبعيد....».

وينهي الشيخ بشارة حديثه حول زيارته إلى سوريا بالقول: «كانت الزيارة موفقة جداً. والغيمة التي خيمت لحظة قصيرة ما لبثت أن تبددت إذ إتضحت نياتنا الطيبة نحو جارتنا العزيزة....».

ونقرأ بين سطور مذكرات الشيخ بشارة انه حاول إثارة موضوع الإسكندرون خلال زيارة تركيا مع رئيسها عصمت اينونو الذي لاحظ أن عدداً من كرام السيدات التركيات ينحنين في الحفلات الرسمية على يده ويقبلنها إحتراماً له على كونه أحد منقذي تركيا بعد أتاتورك...»، ولكن الأتراك كانوا متشددين وما كان سيثيره على الأرجح هو فكرة التحكيم الدولي التي إقترحها مع الرئيس شكري القوتلي.

... وضاع لواء الإسكندرون، ولحقت به فلسطين، وقد تلحق بهما جزر الامارات (ابو موسى وطمب الكبرى وطمب الصغرى). والبقية تأتي إذا كانت الصحوة العربية والإسلامية لن تحدث، وقبل فوات الأوان.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 7 مارس (آذار) 1998

رفيق الحريري فانها تعاملت بقساوة مع الانقلاب ونشرت المقالات والأخبار والتحليلات التي تعكس عدم الترحيب به.

وكان الموقف الرسمي على نحو ما يروي الشيخ بشارة الخوري «هو الحياد التام. وقد إلترمناه منغصين يملأ نفوسنا القلق على شكري بك القوتلي العزيز علينا جميعا والقري إلينا كشخص وكرئيس دولة تعاوناً وإياه على الخير ما قدر الله...». ويضيف: «ولكن حسني الزعيم سيء الظن ككل رجل يقدم إقدامه فأخذ يتهم رياض الصلح بأنه هو الذي أوعز إلى بعض الصحف اللبنانية بمهاجمة الوضع الجديد وبأنه يقوم بمساع حثيثة لدى الدول العربية لتسويد صحيفة صاحب الانقلاب لديها حتى لا تعترف بحكومته...».

وما لم يكن في إستطاعة الشيخ بشارة أن يقوله عن إنقلاب حسني الزعيم في حينه قاله بعدما بات الشيخ خارج الحكم وعندما إقتنع بكتابة مذكراته التي نقرأ فيها قوله «إن كل عاقل يقدر الحكم الدستوري تقديره الصحيح رأى في حركة حسني الزعيم وهي تمرد شخصي إنتقامي، مجازفة خطيرة أساءت إلى سورية وإلى جميع الاقطار العربية....». وهذا الكلام هو نقيص رؤيه الشيخ بشارة المعلنة في الإنقلاب السوري عند حدوثه.

والأهم من هذا كله أن الحكم اللبناني تريث كثير في مسألة الإعتراف بالوضع السوري الجديد وأنه قبل أن يتم ذلك حدث تشاور مع كل من مصر والسعودية، التي رد عاھلھا الملك عبد العزيز على رسالة برفقية تلقاھا من حسني الزعيم يتمنى عليه الإعتراف بالوضع الجديد. وكان للرسالة البرقية التي أرسلھا الرئيس اللبناني إلى العاھل السعودي الملك عبد العزيز (بعدما أرسل إليه الملك نسخة من رسالة حسني الزعيم ورده عليها)، الأثر الفعال في إطمئنان القلب اللبناني وفي بناء تصوّر مشترك لما سيكون عليه التعامل العربي مع أول حالة إنقلابية في العالم العربي. وقد صاغ الشيخ بشارة برفقته على النحو الذي لا يقلق العهد الإنقلابي وفي الوقت نفسه يأخذ في الإعتبار الوضع الخاص بالرئيس شكري القوتلي. وفي هذا الصدد تستوقفنا في الرسالة البرقية المشار إليها الأسطر الآتية: «نشاطر جلالته إھتمامه وإرتقابه الاحداث الجارية وحرصه على ورفاھية فخامة شكري بك القوتلي. إن الموقف الحاضر في سوريا يستدعي إنتباھا ما بعده إنتباه مع العلم أنه وإن لم يثبت للآن

تدخل غريب عن سوريا في الإنقلاب الحاضر فهذا لا يمنع إمكان إستغلاله من جهات متعددة (كان يقصد العراق والأردن بذلك). نرى أن لا يترك صاحب الإنقلاب معرضاً إلى شتى المداخلات والتأثيرات وأن يداوم جلالته الإتصال بالكولونيل المشار إليه. كما انه يجدر بمصر وبالجامعة ان تتبعا هذه الخطة حتى ينجلي الموقف. وخلاصة القول إن جامعة الدول العربية تجابه في رأينا أكبر تجربة عرفتها منذ تأسيسها وتفوق بالخطورة القضية الفلسطينية ذاتها...».

بعد ذلك تسارعت التطورات. وحاول حسني الزعيم أن يضغط على العرب المترددين في مسألة الإعتراف بالوضع الإنقلابي بعقد تحالف بينه وبين الملك فاروق وقام لهذا الغرض بزيارة سريعة إلى القاهرة إستغرقت زمناك بضع ساعات وإنتهت بأن مصر قررت الإعتراف. وتتابع الإعتراقات بعد ذلك (ومن بينها يوم 23 أبريل/ نيسان إعتراف لبنان صباحاً إعتراف السعودية ظهراً وإعتراف مصر مساءً. ولكن العهد الإنقلابي لم يعمر طويلاً، ذلك أن ما أخذ بإنقلاب يؤخذ بإنقلاب مماثل. فالحكم الذي أخذه حسني الزعيم بانقلاب يوم الأربعاء 30 مارس (آذار) 1949 أخذه منه بإنقلاب مماثل يوم الأحد 14 اغسطس (آب) 1949 الزعيم سامي الحناوي الذي كان أقرب الضباط إلى حسني الزعيم. ولكنها شريعة الإنقلابات العسكرية التي لا تستوقفها مثل هذد المسائل.

وبقدر ما أن لبنان إبتھج بسقوط حسني الزعيم... بالقدر نفسه بدأت متاعبه مع الذين من بعده.

مجلة"المجلة". لندن - السبت 14 مارس (ذار) 1998

* * *

من تسليم أنطون سعادة

إلى تسليم حمدالله وبابكر النور

على رغم أن الشيخ بشارة لم يتقبل فكرة أن يقوم جنرال بإنقلاب عسكري ويعمد إلى إسقاط الشرعية (وهذا ما فعله الزعيم حسني الزعيم مع الرئيس شكري القوتلي) إلا أن الامر الواقع فرض على الرئيس اللبناني أن يتعايش مع الحاكم السوري الجديد الذي يدرك ماذا يعنى أن يكون لبنان مؤازراً له. وبعد متاعب حدودية أعقبتها إجراءات إقتصادية ألحقت الضرر بلبنان تقرر أن يلتقي

الرئيسان السوري واللبناني في بلدة شتورا القريبة من الحدود مع سوريا. وأوكل الشيخ بشارة الخوري إلى قائد الجيش زمذاك الزعيم فؤاد شهاب مهمة الإشراف على إستقبال حاكم الدولة السورية.

وتشاء الأقدار أن يصبح فؤاد شهاب بعد ذلك ببضع سنوات (أي في العام 1958) أول رئيس عسكري للجمهورية في لبنان، إنما من دون إنقلاب عسكري.

وقد لفتت أنظار الشيخ بشارة التدابير التي إتخذها فؤاد شهاب ابتداء من نقطة الحدود مثل توزيع الدرك والجيش والدبابات والآليات «كأننا في عرض عسكري لقوانا!». ولا يوضح الشيخ بشارة ما إذا كانت هذه الإجراءات تكريمية خصوصاً أن الزائر عسكري وتغنيه أبهة الإستقبالات العسكرية، أو إنها إجراءات إحترازية خشية أن يعقب الزيارة إجتياح من قوات حسني الزعيم للبنان وفي حال حدوث ذلك يكون الجيش اللبناني جاهز. كذلك هناك إفتراس آخر وهو أن قائد الجيش اللبناني اراد من هذه الإجراءات دعم الموقف السياسي لرئيس الجمهورية وإبلاغ حسني الزعيم انه من الأفضل ألا يستهين بالشأن العسكري اللبناني. مجرد افتراضات وتخمينات وإجتهادات لم يوضحها الشيخ بشارة مكتفياً بالعبارة التي أوردناها وهي أن التدابير التي إتخذها الزعيم فؤاد شهاب لإستقبال الزعيم حسني الزعيم بدت «كأننا في عرض لقوانا!».

ومن الطبيعي في ضوء ما سمعه حسني الزعيم من رسله إلى كل من المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية والإتصالات مع الملكين عبد العزيز وفاروق (والإثنان يعنيهما أمر لبنان في وجه تطلعات المملكتين الأخريين العراقية والأردنية وطمعهما به وبسوريا معاً) أن يكون ودوداً أو ألا يكون زعيماً إذا جاز التعبير، في حديثه مع الرئيس اللبناني الذي أوضح ما يجب أن تكون عليه العلاقة بين البلدين بالنقاط الآتية: أولاً_ البلدان مستقلان يتم الواحد الآخر إقتصادياً ويدعم الواحد الآخر سياسياً: ثانياً يؤلف البلدان محوراً صغيراً كما كان الحال في عهد شكري القوتلي يسعى لتقوية الجامعة العربية ويقوم بدور الوسيط في صراع العروش التي لها مرام ويعاكس كل مشروع يرمي إلى تحقيق مشروع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى ويراعي القائمين على أمور العراق وشرقي الأردن معاً "إذ ليس من الحكمة تحديهم ويكفي أن ندافع عن أنفسنا دون إستفزاز أحد..».

وانتهى أمر الزيارة على خير وبدا الشيخ بشارة الخوري مرتاحاً لقيام حسني الزعيم بها قبل يوم من

الإستفتاء الذي جرى في سوريا على إنتخابه رئيساً للجمهورية معتبراً أن لذلك مغزى ومعنى. لكن هذا الإرتياح لم يظهر في المذكرات عندما بدأ يكتبها وكان هو بات خارج الحكم والزعيم حسني الزعيم بات في نمة الله بعد الإنقلاب عليه من قبل صديقه الزعيم سامي الحناوي والحكم بإعدامه هو ورئيس وزرائه محسن البرازي. ودليلاً على ذلك عبارة وردت في تلك المذكرات وهي «وفي الخامس والعشرين من شهر حزيران (يونيو) 1949 جرى الإستفتاء «بملاء الحرية» - ومن كان يجرؤ على ترشيح نفسه ضد قائد الجيش ومن المضحكات المبكيات أن بعض الصحف في بيروت أخذت تتغنى بحرية الإنتخاب وتتعى الحريات في لبنان!». ونلاحظ أن الشيخ بشارة وضع كلمتي بملاء الحرية» بين مزدوجين دلالة التشكيك لدى من يكتب في أمر ليس مقتنعاً به.

وعدم إرتياح الحكم اللبناني للعهد الإنقلابي في سوريا لا يعني أن الإثنان لم يتبادلا بعض الخدمات في الفترة القصيرة التي عاشها ذلك العهد ومن بينها أن رجلي ذلك العهد (حسني الزعيم ومحسن البرازي) ساندوا الحكم اللبناني في مواجهته للحزب القومي السوري الإجتماعي الذي أعلن الثورة على الحكم. ويثبت الشيخ بشارة في مذكراته كوثيقة تظهر نوايا الحزب، الأمر الذي أصدره أنطون سعادة زعيم الحزب والذي كان يلقب نفسه بـ «القائد الأعلى» إلى اتباعه في السلك العسكري اللبناني ويقول فيه «على جميع الرفقاء القوميين الإجتماعيين المنخرطين في السلك العسكري في الجيش أو في الدرك أو في الشرطة أن يعتبروا أنفسهم ابتداء من اليوم الثالث من شهر تموز (يوليو) 1949 معبئين في صفوف الثورة القومية الإجتماعية في لبنان. فعليهم عرقلة جميع الأعمال والتدابير التي يأمر بها الطغاة القائمون على الحكم الحاضر في لبنان، والإلتحاق بالمناطق المحتلة من قبل القوات القومية الإجتماعية عند أول فرصة تلوح لهم...». وفي اليوم التالي (4 تموز) صدر من «القيادة العليا» وبتوقيع «القائد الأعلى» انطون سعادة أمر آخر ختم بعبارة «... لذلك، فإن الحزب القومي الإجتماعي يعلن الثورة الشعبية العامة. فالى الثورة على الطغيان والخيانة أيها الشعب النبيل...» وتشبه ثورة انطون سعادة قبل 47 سنة في بعض مراميها «ثورة الجياع» التي أطلقها الشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لـ «حزب الله» عام 1997 وانتهت نهاية مأساوية.

وهنا نأخذ في الاعتبار أنه مثلاً أن منطقة بعلبك

هي إحدى قلاع «حزب الله» وإحدى قلاع الشيخ صبحي الطفيلي فإنها كانت قبل نصف قرن إحدى قلاع أنطون سعادة والحزب القومي السوري الإجتماعي.

أما ما هي الخدمة التي قدّمها عهد حسني الزعيم للحكم اللبناني فبات هذا العهد سمناً وعسلاً بعدما كان شديد المرارة، فهي أنه بعدما تطورت حركة أنطون سعادة وتكاثرت دعواته إلى الثورة على النظام حدثت مطاردات لأتباعه إضطرته إلى اللجوء إلى سوريا معتقداً عدم إرتياح الحكّمين السوري واللبناني لبعضهما يؤمن له الملاذ الآمن في سوريا.

لكن الذي حدث هو أن الحكّمين عقدا صفقة على ظهر الحزب القومي إنتهت إلى أن حسني الزعيم وافق على تسليم أنطون سعادة إلى السلطات اللبنانية طريقة تسليم العقيد معمر القذافي الضابط السوداني المقدم بأكبر النور والرائد فاروق حمد الله إلى الرئيس جعفر نميري الذي أعدمهما بعد التآمر عليه. وإتفق الرأي بين رئيس الجمهورية الشيخ بشارة ورئيس الوزراء رياض الصلح على ضرورة الإسراع في إعدام سعادة. وهذا ما حدث وتسبّب للبنان بأحداث مأساوية من بينها أن الحزب القومي السوري أخذ بثأر زعيمه حيث جرى إغتيال رياض الصلح يوم الإثنين 16 تموز (يوليو) 1950 على طريق مطار عمان وكان عائداً من زيارة رسمية إلى الأردن. وجاء إغتيال رياض الصلح بعد احد عشر شهراً من إنهاء عهد حسني الزعيم وإعدامه هو ورئيس وزرائه محسن البرازي وكأنما حدث ذلك أيضاً في سياق عملية الأخذ بالتأثر لإعدام أنطون سعادة. اما الشيخ بشارة الخوري فأستمر هاجس الخوف من الإغتيال بلا حقه حتى اليوم الأخير من حياته.

مجلة "المجلة"، لندن - السبت 21 مارس / آذار 1998

يوم زار رئيس لبنان بغداد عبر البوابة السورية وأوصى حكام العراق بالمحافظة على اليهود وأرزاقهم

خشية أن يبدو لبنان وكأن ما يعنيه فقط هو العلاقة المميزة مع سوريا فإن الرئيس اللبناني الشيخ بشارة الخوري زار في كانون الأول (ديسمبر) 1947

العراق إنما على الطريقة التي يقوم بها رئيس وزراء لبنان في التسعينات رفيق الحريري عندما يلي دعوات لزيارات رسمية لبعض الدول، حيث أنه يسافر بعد أن يزور دمشق أو يعود من السفر عن طريق دمشق.

والعلاقة بين لبنان والعراق زمناك (أي قبل 51 سنة من العام 1998) كانت في معظم جوانبها علاقة إصطيافية. وجهاء القوم في العراق يطيب لهم تمضية أشهر الصيف في لبنان وملك العراق فيصل الثاني (الذي كان تحت وصاية خاله عبد الإله) أمضى أياماً كثيرة في لبنان وجرى ذات مرة إستقبال رسمي له في مطار بيروت وكان لافتاً للنظر أنه إستعرض حرس الشرف في المطار وهو محمول بين يدي مرافقه الشخصي فضلاً عن أنه كان يمر على بيروت عندما يسافر إلى أوروبا أو يعود منها. وعند إنعقاد القمة العربية الأولى في إنشاص بدعوة من الملك فاروق (28 أيار/ مايو 1946) نشأت علاقة شبه ودودة بين الرئيس اللبناني والوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله الذي وجّه دعوة رسمية إلى الشيخ بشارة لزيارة العراق. وهو أي - الرئيس اللبناني - كان يحتاج إلى مثل هذه الزيارة لتحقيق توازن مطلوب بين سوريا والعراق.

قبل أن يتوجه موكب الرئيس اللبناني إلى بغداد عن طريق البر توقف الشيخ بشارة وأعضاء الوفد المرافق له في دمشق حيث تناول طعام الغداء إلى مائدة صديقه الرئيس شكري القوتلي. وبعد اجتياز الحدود السورية مع الأردن بدأت الرحلة الرئاسية في إتجاه بغداد وهي على نحو ما هي عليه رحلات المسافرين إلى بغداد من مشقة منذ فرض الحصارات (ومن بينها الحصار الجوي) على العراق عام 1991 عقاباً من سلسلة عقوبات بسبب غزو الكويت يوم 2 آب/ أغسطس 1990.

وقد أنست الحفاوة العفوية الشعبية وأبهة الحفاوة الرسمية، الرئيس اللبناني مشقة ثلاثين ساعة من السفر بواسطة السيارات لكي يصل من بيروت إلى الأردن إلى الرمادي إلى بغداد. ومع أن الوصول كان بالسيارات إلا أن الإستقبال الرسمي جرى في مطار بغداد حيث كان الوصي على العرش وأركان الحكومة في المطار ينتظرون وصول الموكب الرئاسي. ثم تبين أن إختيار المطار ليكون مكان الإستقبال الرسمي سببه أن أرض المطار تتسع للمواطنين - وبالذات الذين يصطفون في لبنان أو أولئك الذين يحملون

ويخططون لتمضية صيف فيه - الذين يريدون الترحيب برئيس الدولة التي لا يعلو صيف على صيفها والتي هي بوابة مليكهم عند السفر أو عند العودة من السفر وإستناداً إلى ما رواه الشيخ بشاره الخوري فإن إستقبال العراقيين على جانب الطريق من المطار إلى قصر الضيافة كان شبيه ذلك الإستقبال الذي جرى بعد ذلك بعشرين سنة للرئيس جمال عبد الناصر عندما وصل الى الخرطوم للمشاركة في القمة العربية آنياً من غبار هزيمة 1967 التي أدمت كبرياءه وكبرياء العرب عموماً فعوضه السودانيون بإستقبالهم التاريخي على جانبي الطريق (من مطار الخرطوم إلى مقر إقامته في فندق السودان) أحزاناً يضيق بها صدره.

ونلمس من مذكرات الشيخ بشاره أموراً لم نعرفها ككتّاب وصحافيين عن الأمير عبد الإله ومنها أنه في الحفلات الرسمية قلماً يكلم أحداً حتى الوزراء وقلماً يصافح أحداً ولا يتقدم أحد منه ما لم يدعه إليه. ومن الطبيعي أن تصيب الدهشة الشيخ بشاره خصوصاً أنه رئيس دولة لا وجود لمثل هكذا تزمّت وعجرفة في بروتوكولها. ويشير الشيخ بشاره إلى أنه في حفلة أقامها محافظ بغداد طلب من رئيس التشريفات أن يسأل الوصي عما إذا كان من مانع يمنع أن يطوف (أي الشيخ بشاره) على المدعوين ويحدّثهم في حلقاتهم من دون التقيد بالبروتوكول وأن الوصي وافق ورحب فكان للرئيس اللبناني ما أراد وكان للمدعوين ما تطلّعوا إليه وهو أن تخفف زيارة الرئيس الشيخ بشاره الخوري من جفاف بروتوكول الوصي على العرش. ويذكر الشيخ بشاره كيف أنه في عشاء أقامه رئيس الوزراء أذن للشاعر محمد مهدي الجواهري أن يلقي قصيدة وجد نفسه لشدة إعجابه بها يتناول وسام الإستحقاق اللبناني عن صدر أحد اللبنانيين الحاضرين ويعلقه على صدر الشاعر بين هتاف المدعوين وتصفيقهم. ويذكر أنه في المقابل حدث أن عضو الوفد النائب أديب الفرزلي ألقى قصيدة مدح فيها الأخير عبد الإله والعراقيين فعلق الأمير على صدره وساماً عراقياً.

ثم أنشبت فتاة عراقية قصيدة تمدح فيها لبنان ورئيسه فعلق الشيخ بشاره على صدرها وساماً لبنانياً. وهكذا يتأكد أن مردود شعر المدح أموال لدى بعض الحكام وأوسمة لدى بعضهم الآخر. والتوسيم الذي أشرنا إليه هو في أي حال لفئة طيبة من الحكام نحو الشعر والشعراء.

ويتحدث الشيخ بشاره كيف أنه توجه خلسة ومن وراء ظهر رئيس الوزراء رياض الصلح إلى كنيسة قديمة للكلدان الكاثوليك حيث شارك في قداس أقيم فيها وكيف أن رياض الصلح قال بعدما روى له أي إستقبال لقيه من نصارى العراق الذين حدّث أن رأوا رئيس دولة عربي يصلي في كنيسة: «ألم يسبق أن قلت لفخامتك أن رئيس لبنان المسيحي سيلعب دور فرنسا في حماية نصارى الشرق إذا وجبت الحماية؟». ومن سوء حظ زيارة أول رئيس لبناني للعراق أن قرار تقسيم فلسطين صدر صباح اليوم الثاني للزيارة وأن تظاهرات صاخبة ضد القرار وضد الصهيونية شهدتها بغداد وسائر العواصم العربية. ولكن الشيخ بشاره الخوري إنتهز فرصة وجوده في بغداد ليوصي الأمير عبد الله والحكومة العراقية بالمحافظة على أرواح اليهود العراقيين وحماية أرزاقهم. وهو فعل ذلك لأنه يعرف كيف يعبر العراقيون عن غضبهم وكيف يترجم هؤلاء مشاعرهم.. وبالذات مع اليهود.

ومثلما ذهب الشيخ بشاره عبر البوابة الدمشقية إلى بغداد فإنه عاد الى بيروت عبر البوابة نفسها وبعد إستراحة في القصر الجمهوري في دمشق. وفي بيروت وجد غضب اللبنانيين على قرار التقسيم بمثل ما هو عليه غضب العراقيين والسوريين ولذا ردد أمام أركان الحكم: يا لها من غلطة دولية، غلطة قرار التقسيم. إنها ستكلف الشرق والغرب ثمناً باهظاً جداً.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 28 مارس (آذار) 1998

* * *

مشاعر العظمة وراء غضب رئاسي لبناني بسبب وسام ملكي

تصلح سيرة الشيخ بشاره الخوري أول رئيس جمهورية لبنان الذي نال إستقلاله من فرنسا، لتكون فيلماً سينمائياً على نحو الفيلم الذي أنتجته هوليوود عن الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة ريتشارد نيكسون الذي كان نائباً للرئيس إيزنهاور في الخمسينات وتمتع بصلاحيات الرئاسة في فترة مرض الرئيس ثم عاد الى الترشيح حينما سنحت له الفرصة عام 1969 ضد هوبرت همفري (خليفة جونسون). وحينما فاز إنطلق يحقق أحلامه الدولية بلقاءات

تاريخية أهمها لقاء الزعيم السوفياتي نيكيتا خروشوف في موسكو والزعيم الصيني ماوتسي تونغ في بكين، فضلاً عن زيارة تاريخية قام بها إلى مصر بعدما كان أنور السادات تسلم الرئاسة وقرر الإنفتاح إلى أبعد الحدود على الولايات المتحدة. وجاءت فضيحة ووترغيت التي تجسس فيها على مقر الحزب الديمقراطي لتقضي عليه وتضطره للإستقالة وكان بذلك أول رئيس أميركي يستقيل من منصبه إضطراراً ونتيجة فضيحة سياسية إلا إذا اضطرت تفاعلات الفضائح الجنسية الرئيس بيل كلنتون للإستقالة وبذلك يتعادل الحزبان في الولايات المتحدة بمسألة الإستقالة الناشئة عن فضيحة.

وصل الشيخ بشاره الخوري إلى قمة التألق الذي يتمتع به أي حاكم، لكن الضعف الذي تحرك بفعل نفاق المحيطين به والمستفيدين من خيارات رئاسته جعله يميل لفكرة تجديد الرئاسة. ولقد غمرت البهجة نفس الشيخ بشاره وهو يبدأ ولايته الثانية في سبتمبر (أيلول) 1949.

وفي ذروة الإبتهاج جاءه نبأ وفاة خصمه التاريخي الرئيس إميل إده (والد العميد الأستاذ ريمون إده) فأرتأى وقد حصل على الولاية الثانية أن يبدو أمام اللبنانيين أنه فوق الخصومات فأظهر الرغبة في تقديم واجب العزاء لكن ريمون إده رفض قبول التعزية وهو أمر يؤاخذ عليه العميد الذي إستمرت عنده بعد نصف قرن مثل هذه المشاعر تجاه خصومه اللاحقين أمثال العماد ميشال عون والرئيس السابق أمين الجميل. أما لماذا يؤاخذ على مسألة رفض قبول تعزية تأتي من رئيس البلاد فلأن هذا التصرف ليس لائقاً في حالات العزاء حيث يجب أن تتلاشى الأحقاد أمام اللياقات. ولكن الجو العام السائد زمنذاك وإنقسام المسيحيين اللبنانيين بين معارض للشيخ بشاره وموال له جعل تصرف ريمون إده الذي أشرنا إليه يبدو عادياً. ودلالة على ذلك الإنقسام أن بعض الشخصيات المارونية من سياسيين ورجال دين إنتهزوا فرصة وجود الملك عبدالله (جد الملك حسين) في زيارة رسمية إلى لبنان فزاروا العاهل الأردني وسجلوا أمامه شكواهم من الشيخ بشاره وشكواهم عليه. وبطبيعة الحال فإنه عندما يحدث ذلك فإن الغضب يستبد في نفس الرئيس المضيف لأنه يشعر جراً تلك الشكوى أنه أهين.

ولم تستقر أجواء إبتهاج الشيخ بشاره بتجديد الولاية لأن المعارضين نشطوا في كل الإتجاهات وإزداد

تشكيكهم بشرعية الرئيس وبالبرلمان الذي جدد الولاية له. وقد أحدث ذلك في نفسه شعوراً بالإستهانة تعزز بواقعة لم يتحملها الرئيس وبطلها الملك فاروق. فقد تباع الوزيير المفوض (بمرتبة سفير اليوم) للبنان في القاهرة أن الملك فاروق ينوي إيفاد بعثة لإهداء الشيخ بشاره الخوري الوشاح الأكبر لوسام محمد علي الكبير رداً متأخراً (خمس سنوات) على الوسام الأعلى الذي أهداه إلى الملك عام 1944. ولكن الشيخ بشاره رفض معتبراً أن في الأمر بعض الإنقاص من شخصه لأن البروتوكول المصري وكتاب المراسم الملكية المصرية يشيران إلى أن القلادة هي التي تُهدى إلى الملوك والرؤساء لأنها فوق الوشاح مرتبة. ومن جهته فإن الملك فاروق الذي كان يعيش في أواخر ثلاث سنوات من حكمه ظروفأ مقلقة لم يتفهم ملاحظة الرئيس اللبناني ولم يرد عليها بتصحيح نوعية التوسيم وإنما تصرف على أساس انه ما دام للشيخ بشاره مثل هذا التحفظ فلا ضرورة لإيفاد بعثة ملكية تقلده الوشاح. وفي الحالتين جاء التصرف مخطئاً وجاء نتيجة طغيان مشاعر العظمة على أي شيء آخر. العظمة بالنسبة إلى الملك فاروق على أساس أنه «ملك مصر والسودان وصاحب النوبة ودارفور وكردفان» كما هو اللقب الرسمي ومن هو ملك على هذا النحو يجب ألا يخطئه أحد أو يرفض إرادته أحد حتى إذا كان هذا المخطئ والرافض حاكماً مثله أكل ونام وشرب في قصره على نحو ما حدث في قمة إنشاص وهي القمة العربية الأولى والتي كان الرئيس اللبناني الشيخ بشاره الخوري احد المشاركين فيها والموقعين على بيانها الختامي الذي كُتب بماء الذهب.

مجلة "المجلة"، لندن - السبت 4 أبريل (نيسان) 1998

إنطباعات ودموع رئيس مهزوم في أيامه الأخيرة

لم ينته الجفاء غير المعلن بين رئيس لبنان وملك مصر (بسبب الوسام الملكي الذي وجد فيه رئيس لبنان شيئاً من الإستهانة) عند هذا الحد، ذلك أن الشيخ بشاره إنتظر مناسبة زواج الملك فاروق للمرة الثانية (زواجه من ناريمان صادق أم ولده الوحيد بعد

ذلك الأمير أحمد فؤاد) يوم السادس من مايو (أيار) 1951 ليرد إهانة التوسيم بطريقة أخرى حيث أنه أبرق مهنئاً ولم يرسل هدية الأمر الذي أثار إستغراب الديوان الملكي فأرسل المستشار كريم ثابت إلى المفوضية اللبنانية للإستفسار. ويورد الشيخ بشارة بقية تفاصيل هذه الواقعة على النحو الآتي: «سألنا المفوضية رأينا في الجواب فأجبتنا بأن لبنان كان يود من صميم الفؤاد أن يكون أول من أهدى هدية بمناسبة القران، غير أن عدم إعلامنا بالأمر الذي عرفناه من الصحف وعدم معاملتنا سابقاً بما يقتضيه نظام التشريفات، وعدم مقابلتنا بالمثل من حيث الأوسمة، بعد الذي أظهرناه للبعثة المصرية من التكريم قولاً وفعلاً سنة 1944 وبعد الذي قامت به بعثتنا في السنة نفسها من مراسم... كل ذلك يمنع الرئاسة أن تلبي طلبكم. إن الكرامة لا تقاس بالمساحات. وهذا لا يمنع أن نستمر على مصر ومليكيها أعم الخيرات والبركات لهذه المناسبة السعيدة، مما عبّرنا عنه ببرقية صدرت عن القلب رغم خيبة الأمل في شؤون عديدة تعرفونها...». وأضاف الشيخ بشارة إلى البرقية المشار إليها ملاحظة إستنسب عدم تضمينها البرقية وتبلغتها المفوضية اللبنانية بوسيلة أخرى، وخلصتها إن رئيس الوزراء رياض الصلح سينتھز فرصة وجود وزير الخارجية المصري محمد صلاح الدين في دمشق «ليؤكد له وجهة النظر هذه متبنيّاً الإساءة إلى علائق البلدين من جرّاء إهمال الملك واجبات اللياقة نحونا ومعاملتنا بالمثل...».

إنقضى العام 1949 على توترات شديدة سادت الأشهر الثلاثة التي أعقبت تجديد الولاية. وبدأت المتاعب على الفور مع حلول العام 1950: تظاهرات شعبية. وحملات على العهد في الصحف. وقطيعة إقتصادية مع سوريا. ومرض حليف مخلص هو عبد الحميد كرامي (والد الإبنين اللذين تسلّموا في مراحل لاحقة منصب رئيس الوزراء وهما رشيد وعمر). وإضرابات.. ومحاولة فاشلة لإغتيال حليف العمر ورفيق النضال رياض الصلح. ثم وفاة عبد الحميد كرامي بعد صراع مع المرض. ثم إغتيال رئيس الوزراء رياض الصلح على طريق مطار عمان بعد إنتهاء زيارة رسمية إلى الأردن. وتصعيد المعارضة داخل البرلمان. وإتساع نطاق الإضرابات التي شملت إقفال الأسواق.

ثم بدأت حملة طعن بالشيخ بشارة لخصها الزعيم

الدرزي كمال جنبلاط الذي تصدر صفوف المعارضة بمقالة في صحيفته «الأنباء» عنوانها «جاء بهم الأجنبي فليذهب بهم الشعب» نقلتها عنها وضمن خطة هجوم ساحقة على العهد 8 صحف أخرى. وردّت الحكومة بتعطيل بعض الصحف وسجن بعض الصحفيين. ووجد الشيخ بشارة نفسه فجأة وسط عاصفة عاتية. ونلاحظ حالته النفسية في شهر مايو (أيار) 1952 من خلال سطور قليلة أوردتها في مذكراته على النحو الآتي: «إن إشمئزاي كبير من قلة الإنصاف وقلة الوفاء ومن الصغارات التي بدت لي منذ فترة، إذ صار يحلو - بل صارت «موضة» - عند كل طمّاع أو مستاء أو معارض أن يُحمّل الرئيس شخصياً وزر الآخرين، في حين أن شؤوناً كثيرة كان يُجريها بعضهم دون معرفتي أو دون موافقتي ورضاي. وهكذا صار كل سهم يصب إلى مقام الرئاسة، وهي لا تملك حق الدفاع عن النفس وليس بمقدورها أن تدخل في جدل مع المعارضين من رجال السياسة والصحافيين. وأما الموالون فلاهون بشؤونهم.. والأقرباء والأنسباء يتناحرون في ما بينهم.. والرئاسة تدفع الثمن...».

ونتيجة لهذه الحالة ولمشاعر الإحباط التي إستحكمت به فإن أول ما خطر في بال الشيخ بشارة هو الإستئناس برأي قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب (صار بعد ذلك رئيساً للجمهورية). وقد إستدعى قائد الجيش إلى اجتماع وروى له مشاعره إزاء ما يحدث وإشمئزازه من الوضع الذي إنتهى إليه لبنان وكيف «أصبحت صورته قاتمة سوداء في عيون الأجانب». ومن خلال ما أوردته الشيخ بشارة في مذكراته نلاحظ أنه إرتأى تسليم الحكم إلى قائد الجيش وهي خطوة يحبذها ضمناً الرئيس المدني عندما تقوى شوكة المعارضين المدنيين على حكمه فيقرر كوسيلة للإنتقام منهم إستعمال ما لديه من صلاحيات في نطاق الدستور وترغيب قائد الجيش في تسليمه مقاليد الحكم الذي بدوره ينتقم له من المعارضين. ولكن اللواء فؤاد شهاب كما يتبين كان بعيد النظر فرفض الفكرة وطلب من الشيخ بشارة الإستمرار في الرئاسة. ولكن مثل هذا الموقف لم يغيّر من الوضع السيئ شيئاً. ودخلت سوريا (كان رئيسها زمناك أديب الشيشكلي) على الخط وعملت على تأزيم الوضع المتأزم أصلاً. وإنتهى الأمر إلى أن المعارضة قادت حملة جمّع توقيع النواب على عريضة تطالب الرئيس بالإستقالة.

وخشية أن يصيب لبنان ما أصابه في النصف الثاني من السبعينات بعد إصرار المعارضة المسلحة، التي نجحت في ضرب المؤسسة العسكرية، على ألا ينهي الرئيس سليمان فرنجية فترة رئاسته، فإن الشيخ بشارة إرتضى عدم التصدي للأقدار وكتب بنفسه كتاب إستقالته بعدما سلّم اللواء فؤاد شهاب مهمة رئاسة حكومة إنتقالية تُشرف على إنتخاب رئيس جديد للجمهورية.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 11 أبريل (نيسان) 1998

الفرق بين أسلوب الملك فيصل وأسلوب الشيخ سعد

يتحدث الدكتور غازي القصيبي بشغف ومرارة عن فترة التدريس في الجامعة بعدما حصل على الدكتوراه. ويستعمل مفردتين ملحوظتين هما "التيسير والتيسير" بمعنى التشويق والتعقيد ليقول إنه من أنصار التيسير. وعن تصحيح أوراق إمتحانات الطلبة يفيدنا أنه كان بعد التصحيح يضيف عشرة في المئة من درجة المادة إلى كل الذين يحتاجون هذه النسبة ليصلوا إلى الحد الأدنى المطلوب للنجاح "... ولم أكن أفعل ذلك مدفوعاً بسخاء حاتمي وإنما جِرساً على توخي العدالة وعلى ألا يُظلم أحد بسبب ضغط الإمتحان النفسي.

ويعبر عن سعادته عندما رأى في الحكومة التي تشكلت في صيف 1995 وزراء كانوا يوماً من طلبته أو كانوا طلبة في الكلية خلال عمله فيها.

وهو يرى أن التدريس فن لا علاقة له بكمية العلم التي يخترنها المدرس... ويضيف أنه عندما رزقه الله بنتاً وثلاثة أولاد كان يقول لهم إنه يكتفي منهم بالنجاح ولا يتوقع الإمتياز. وهو في هذه النظرة ينتسب إلى الآباء الذين يغردون خارج السرب الذي يتصف أفراد بأنهم لا يريدون لأبنائهم سوى التميز والعلامة الأعلى. ثم نرى الدكتور غازي فجأة قذافياً في مسألة الألعاب. ومن يقرأ ما كتبه العقيد معمر القذافي في كتابه الأخضر قبل عشرين سنة من إصدار القصيبي ذكرياته الإدارية في كتاب، يكتشف أن المسألة هي إقتباس وتوارد خواطر في الوقت نفسه. وفي حديثه عن رياضة الملاكمة يقول القصيبي "إنها في رأيي ردة

وحشية إلى عصور الغاب". أما العقيد القذافي فكان سجل في كتابه الأخضر رأيه في الملاكمة وفي رياضات أخرى على النحو الآتي: "إن الملاكمة والمصارعة بأنواعها دليل على أن البشرية لم تتخلص بعد من كل السلوك الوحشي، ولكنها ستنتهي حتماً عندما يرقى الإنسان درجات أكثر على سلم الحضارة...".

ولعل الدكتور غازي هو الوحيد - وأقول ذلك في حدود قراءاتي - الذي نسف الهالة الراقية التي للعبة الشطرنج والتي هي لعبة النخبة في العالم، وذلك من خلال الفقرة التي أوردها في ذكرياته الإدارية على النحو الآتي:

"المنافسة، حتى في الألعاب لا تستهويني. أقعْتُ عن لعب الشطرنج وكنت أولعْتُ به فترة، عندما لاحظْتُ ذلك التصميم المتجهم على "قتل" الطرف الآخر....". وهذه الروحية عموماً فيها نفحة من نفحات غاندي وهي في أي حال نفحة إستثنائية غير مألوفة في دول العالم الثالث.

ويشير إلى أنه في خريف 1968 وأثناء فترة التحضير للدكتوراه تزوج "وكان الزواج بسيطاً في تكاليفه ومظاهره" لأن التي إختارها شريكة حياته كانت أجنبية "ألمانية". وهو يذكرها بالخير لأنها لم تكن من الزوجات المشاغبات وكانت شريكة النجاح الذي حققه "... ولولاها لم أستطعت أن أنصرف بكل جوارحي إلى الخدمة العامة..".

في تعليقاته على ظاهرة إنفضاض الأصدقاء عن الشخص عندما "يعتزل المنصب أو يعتزله المنصب" يقول إن الأصدقاء الحقيقيين "لا يجيئون مع المنصب ولا يذهبون بذهابه". وإفترضُ بحُسن النية أن الدكتور غازي يعزي نفسه بهذا القول من إقتناعه به.

وهو شخصياً كان سيعاني وطأة الإنفضاض بعدما إعتزله المنصب لو كان لم يعوّض غازي القصيبي بالقصيدة والرواية والخاطرة، غازي القصيبي الذي هو في دائرة صانعي القرار المسندة إليه وفي سن مبكرة وزارات خدماتية في غاية الأهمية. وفي سياق الحديث عن غازي القصيبي الشاعر والناشر والروائي تتضمن الذكريات الإدارية بضعة أسطر حول المعالجة العادلة والراقية من جانب الملك فيصل للضجة التي أثارها ديوان للقصيبي يحمل تسمية "معركة بلا راية" وصدر عام 1970 والتي - أي الضجة - حركها مقال من دون توقيع في صحيفة كويتية أعطى كاتبه إنطباعاً

بأن الديوان يبدو كما لو أنه نسخة جديدة من الكتاب الشهير "رجوع الشيخ إلى صباه". وكما يروي القصبي في ذكرياته الإدارية فإن وفوداً طالبت الملك فيصل بمعاينة القصبي وفصله من الجامعة (مع أن جهات الإختصاص في المملكة أجازت الديوان) وأن ما فعله الملك فيصل كأمثولة - على الأرجح - أراد منها عدم إطلاق الأحكام جزافاً على الناس طلب من بعض مستشاريه قراءة الديوان وإبداء الرأي فلم يجد هؤلاء ما يوجب الضجة. ولكن الملك فيصل لم يكتفِ بذلك، خصوصاً أن الضجة تحولت إلى ضجيج، وشكل لجنة، ضمت وزير العدل ووزير المعارف ووزير الحج والأوقاف (وجميعهم من المتعمقين في دراسة الشريعة). وإنتهت اللجنة إلى أنه لا يوجد في الديوان شيء يمس الدين أو الخلق". ويشير القصبي شاكرًا إلى الموقف الذي إتخذه في حينه الأمير عبدالله بن عبد العزيز الذي حث الملك فيصل على عدم الإستجابة إلى مطالب الغاضبين. هكذا يكون لديوان شعر مثل هذا الإهتمام غير المسبوق حيث ينشغل به أهل القمة وتتشكل لجنة وزارية من أجل أن تفتي بشأنه. وإنتهى الأمر بهزيمة المعارضين الغاضبين المطالبين بالعقاب على نحو هزيمة غاضبين من النوع نفسه بعد 28 عاماً أثاروا في الكويت عاصفة هوجاء في وجه حكومة الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح بسبب إجازة وزير الإعلام الشيخ سعود ناصر الصباح بعض الكتب التي رأى فيها الغاضبون ما يمس الدين والخلق. وبدلاً من أن يتجاوب الشيخ سعد مع الغاضبين ويُقصي وزير الإعلام فإنه أجرى تعديلاً وزارياً رفع بموجبه الشيخ سعود إلى موقع وزاري أهم (وزارة النفط) وأسند وزارة الإعلام إلى تكنوقراط هو الزميل يوسف محمد السميث الذي يتمتع بكفاءة عالية في المجال الإعلامي.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 16 مايو (أيار) 1998

* * *

الفرق بين تعامل الملك فيصل

والملك خالد داخل رحلة في القطار

فجأة وجد غازي القصبي نفسه عميداً لكلية التجارة ليس بسبب الكفاءة ولا الأقدمية ولا التخطيط وإنما لأنه كان عضو هيئة التدريس السعودي الوحيد الذي لم

تكن لدى وكيل الجامعة تحفظات عليه... لكن فترة العمادة على نحو ما يروي كانت صخرة ثقيلة جاثمة على صدره من جهة وكانت أيضاً عاملاً مهماً في بلورة أسلوبه في الإدارة، وهو أسلوب يحاول صياغته بشكل نظرية خلاصتها أن الإدارة لها مفهومان: الدفاعي والهجوم. ويضيف على سبيل التوضيح والتعريف القول: "الإداري الهجومي لا ينتظر القرارات ولكن يستبقها والإداري الدفاعي يحاول أن يبتعد عن إتخاذها. الهجومي لا يهتم أن يخسر وظيفته أما الدفاعي فكل شيء يهون لديه في سبيل البقاء في موقعه...". ولكي لا تقوم قيامة الإداريين الدفاعيين الذين تبلغ نسبتهم (من وجهة نظرنا وربما من وجهة نظره أيضاً) في العالم الثالث حوالي 95 في المئة عليه فإنه يستطرد قائلاً: "لا أريد أن يفهم أحد أن الأسلوب الهجومي هو بالضرورة أفضل من الأسلوب الدفاعي. هناك مؤسسات لا يمكن أن تدار بأسلوب هجومي كوزارات المالية والخارجية والتخطيط وأجهزة المراقبة، ومؤسسات ينعشها الأسلوب الهجومي كوزارات الخدمات بصفة عامة...".

فجأة أيضاً تجد غازي القصبي نفسه رئيساً لمؤسسة السكك الحديدية ومقرها الدمام في المنطقة الشرقية، وشجعه على ذلك أن الأمير سلطان بن عبد العزيز ألمح له أن هذه الوظيفة مؤقتة وأنها مرحلة عبور إلى الوزارة. وغادر الرياض إلى الدمام بالقطار. وهو يروي لقارئ ذكرياته الإدارية أن الخط الحديدي نشأ بقرار شخصي من الملك عبد العزيز الذي إقتبس الفكرة من مصر التي زارها رسمياً في منتصف الأربعينات وإستخدم في تنقلاته القطار. وكان حريصاً على ربط أجزاء المملكة الشاسعة ببعضها ببعض. وبعدها عاد من مصر طلب من شركة أرامكو بناء خط حديدي من الدمام إلى الرياض. وعندما ترددت الشركة متذرة بأن خبرتها لا تشمل بناء السكك الحديدية أصر على ذلك. وإصرار الحكام وبالذات الملك عبد العزيز معناه ان طلباته يجب أن تتحقق. ومع الأسف إنه لم يُكتب لفكرة تعميم القطار على المناطق السعودية أن تُنفَّذ لأن السعوديين وبسبب الطفرة باتوا مستعجلين أكثر وإختاروا التنقل بالسيارات والطائرات، وشجعهم على ذلك أن الدولة بنت شبكات من الطرقات على نحو ما هي عليه هذه الشبكات في الولايات المتحدة وأوروبا. لكن من المؤكد أنه لو إستقر أمر القطار وربط المملكة من أقصاها إلى أقصاها

وفي كل الإتجاهات لكانت الصورة على غير ما هي عليه اليوم. وفي إعتقادنا أنه مع نهاية الربع الأول من القرن الواحد والعشرين قد نرى أن الملك الذي سيكون من جيل الأحفاد سيبعث الفكرة التي حلم بها الجد عبد العزيز وذلك لدواعي الكثافة السكانية من جهة ولأنه لا شيء يربط البلاد ببعضها مثل القطار وهذه بريطانيا على سبيل المثال لا الحصر.

وما يكتبه القصيبي عن القطار السعودي ممتع ويضيف الكثير من المعلومات. ومما يرويه أن الملك فيصل بن عبد العزيز قرر في خريف عام 1974 أن يزور المنطقة الشرقية وقرر أن يأتي بالقطار الذي لم يسبق له طوال فترة حكمه أن إستعمله. وخلال فترة وجيزة وبفعل نظرية "الإداري الهجومي" أمكن تجهيز عربة ملكية جديدة تحتوي على صالة وغرفة نوم وغرفة طعام، وذلك لأن العربة الملكية القديمة باتت بعد سنين من عدم الإستعمال غير صالحة. وبعد أن يوضح أن الملك فيصل لم يستعمل غرفة النوم يروي غازي القصيبي الذي سافر في معية الملك ما حدث خلال الرحلة الملكية بالقطار من الرياض إلى الدمام على النحو الآتي:

"جلس الملك على مقعد بقرب النافذة ولم يتحرك طيلة الرحلة التي إستغرقت قرابة السبع ساعات لم ينطق الملك خلالها إلاّ بجملتين أو ثلاث. ما أدهشني هو أنه إستطاع البقاء هذه الفترة الطويلة دون أن يتململ أو يغير جلسته أو يطلب شيئاً أو يقول شيئاً. وعلى خلاف الملك الذي كان صامتا يتأمل الفضاء والصحراء من النافذة، كان وليّ العهد الامير خالد بن عبد العزيز يتكلم بطريقة العفوية المميزة ويروي ذكرياته عن رحلات سابقة بالقطار في الولايات المتحدة وأوروبا. وكان حديث الذكريات مليئاً بالطرف والنوادر التي إشتهر رحمة الله بروايتها..."

عمل القصيبي عميداً لكلية التجارة وهو ليس بالكفاءة التي تؤهله لهذا المنصب لكنه شغل المنصب بجدارة إلى أن تم تهجيره منه، وحدث له الشيء نفسه مع رئاسة مؤسسة السكك الحديدية. ولكن ما بدأ يروي حول ديناميكية أظهرها في الموقعين وفي إدارة ميناء الدمام حقق له فرصة العمر حيث أن الأمير فهد بن عبد العزيز الذي كان في صدد تطبيق خطة تنمية تقوم على نظرية "إشباع الحاجات الأساسية" أشركه في وفد رسمي في رحلتين مهمتين إلى الولايات المتحدة وفرنسا.

وفي ربيع 1975 وبعدما بات وليّ العهد الأمير خالد ملكاً والأمير فهد ولياً للعهد في أعقاب إغتيال الملك فيصل، عُيّن القصيبي أميناً عاماً لمجلس البترول الأعلى الذي كان يترأسه الأمير فهد وبتوجيه منه "وعندما ذهبْتُ لأشكره قال لي: هذا تكليف مؤقت. هناك مهمة أكبر في إنتظارك..."

وكانت هذه المهمة هي إشراكه في "حكومة الدكاترة" التي تميزت بأنها ضمت سبعة وزراء من حملة شهادة الدكتوراه وهو رقم قياسي في ذلك الزمن لكنه لم يعد قياسياً بعدما بات عدد حملة الدكتوراه في مجلس الشورى والذي هو إنجاز يُحسب أيضاً للملك فهد بن عبد العزيز كبيراً. ويسجل القصيبي وجهة نظر عن الحكومة الجديدة تتمثل بقوله: "لم يكن هناك وزير واحد من الوزراء الجدد لم تُنقد خلال فترة الدراسة الأوضاع في المملكة نقداً لا يخلو من حدة. ولم يكن هناك وزير واحد لم ينجرّف (مثل الظفاريين الذين باتوا وزراء لدى السلطان قابوس) خلال مرحلة من المراحل مع التيار القومي والناصرى الثوري...." ويضيف إلى ذلك إعتراضاً بالجميل يقوله نيابة عن نفسه وعن الآخرين على النحو الآتي: "هناك كلمة حق أخرى لا بد أن أقولها عن النظام وهي أنه عبر تجربتي الوزارية التي إستمرت قرابة عقد من الزمان (وزيراً للكهرباء ثم وزيراً للصحة) لم يكن هناك أمر واحد موجّه إليّ بإعطاء هذا العقد أو ذاك، أو هذه الشركة أو تلك، لم يكن هناك قرار واحد فُرض عليّ فرضاً. لم يكن هناك عمل واحد قمت به وأنا معذب الضمير. إن للمملكة مثل غيرها من بلاد العالم نصيبها من الفساد وإستغلال النفوذ، إلاّ أنني أستطيع أن أقول إن تجربتي وتجربة عدد من المساعدين الذين عملوا معي مباشرة كان بعضهم يوقعون عقوداً بمئات الملايين ولم يكن الواحد منهم يملك سكناً، تدل أو أرجو أن تدل أن وُضع المملكة في ما يخص النزاهة والانحراف أفضل بكثير من دول العالم الثالث..."

وفي الصفحات التي يروي فيها ذكرياته عن التجربة الوزارية يقول القصيبي إن الله إبتلاه بالوزارة وهو في سن الخامسة والثلاثين. ولا أدري شخصياً لماذا لا يقول إن ما يراه بلية إنما هو نعمة من الله على عباده. كذلك إنه يتحدث عن الإنجازات بطريقة توغر صدور عشرات الذين تسلموا مناصب وزارية وهو أمر لا أرى من الضروري نقله لأن وزر الناقل أحياناً في شريعة الكتابة والصحافة هو بمثل وزر القائل.

وبعد الوزارة تأتي مرحلة العمل الدبلوماسي التي لا أدري إذا كان الدكتور غازي يعتبرها أيضاً بلية في حين أنها كانت هي الأخرى نعمة... أو مكروهاً من النوع الذي يحمد الله سبحانه وتعالى عليه. أتمنى له المزيد من العطاء والإبداع شعراً ونثراً، قصصاً وروايات... وذكريات.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 23 مايو (أيار) 1998

يوم كانت سوريا ملكية أكثر من مصر الملكية..

من الظواهر اللافتة لكاتب مثلي يراقب ويرصد تطور العلاقات المصرية - السورية، ظاهرة الإستقرار التي هي عليه هذه العلاقات بين الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد. ففي عهديهما المستمرين تساوى الود وحدث تكافؤ في التعامل وهما أمران إفتقدتهما العلاقات طوال أربعة عقود. وما كان يحدث هو أن العلاقات إما لصالح مصر على حساب سوريا وإما ضد مصر إلى حد الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة وتوجيه ما يمكن إعتباره أكثر أنواع الضربات قساوة للحاكم المصري الذي هو جمال عبد الناصر.

ومن المؤكد أن التجانس في شخصية الحكام يلعب دوراً أساسياً في طبيعة العلاقات. ولو أنه ليس هنالك الكثير من الجوامع المشتركة بين شخصية الرئيس حسني مبارك وشخصية الرئيس حافظ الأسد لربما كان الإستقرار الذي نشير إليه صعب الحدوث. وقد يجوز الإفتراض أن سلوكية الطيارين توحد القلوب والمفاهيم والنظرة إلى الدنيا عندما يجد هؤلاء أنفسهم وقد باتوا حكاماً.

ولكن أكثر ما يثير الدهشة في العلاقات المصرية - السورية هو ذلك الود الذي تميزت به أشهر العلاقة بين الملك فاروق والزعيم حسني الزعيم رائد الانقلابات العسكرية في سوريا. ونقول لبضعة أشهر على أساس أن حُكم حسني الزعيم لم يعيش طويلاً.

بدأت سوريا في العلاقة التي نشير إليها ملكية أكثر من الملك فاروق. وتكفي واقعة إحتفال سوريا بذكرى جلوس الملك فاروق على عرش وادي النيل للتدليل على ذلك. فهذا الإحتفال ليس عادياً ويفيدنا الوصف

الذي نشرته صحيفة «القبس» أن الإحتفال السوري بذكرى جلوس الملك فاروق، أو «ليلة العيد» كما سميتها الصحيفة، جرى على نحو لم يحظ به الرئيس جمال عبد الناصر عندما أبرم الوحدة مع سوريا. ونورد هنا الوصف على النحو الآتي: «إحتفلت دمشق أمس (السبت 7 مايو/ أيار 1949) بعيد جلوس جلالة الملك فاروق فإزدانت في المساء بأبهى حلة وتدفقت الجماهير مع الغروب إلى ساحة الشهداء والشوارع المؤدية إليها والمحيطه بسراي الحكومة للإشتراك في عيد عاهل مصر العظيم. وكانت الزينات في مداخل السراي والساحة جميلة متناسقة وإحتلت حديقة الساحة الكبرى الأعمدة الخشبية التي تحمل الألعاب النارية وتسبق الناس إلى إحتلال الشرفات بعد أن خلت الطرقات من موضع قدم وكان الهزيع يتعالى في الفضاء معلناً الغبطة والفرحة بعيد الملك الشاب. ومن خلال هذا المزيج من اللغظ والحداء والبهجة أقبلت من بعيد أصداء الموسيقى فأفسحت الجماهير لها المجال، وتقدمت فرقة الحرس الجمهوري بخطوات رشيقة تشق طريقها بين الصفوف المتراسة من الناس، وتوقفت قليلاً عند ملتقى شارع رامي بساحة الشهداء. وبعد توقّف بضع دقائق سارت نحو شارع النصر وتعالّت الهتافات للزعيم ولجلالة الفاروق.

وإنطلقت فرقة موسيقى الحرس الجمهوري سرية من الدرك تحمل المشاعل ويحيط بها راكبو الدراجات من شرطة الجيش.

ثم أقبل على الأثر خيالة الدرك يمتشقون السيوف ويتهادون على سروج الخيل بإتزان وهيبة على أكتافهم أشرطة القصب تلمع في الليل، وتلت الخيالة فرقة موسيقى الجيش تنثر أنغامها وتهز مشاعر الجمهور وتلهب أكفهم. وأقبلت بعد ذلك خيالة الجيش وسرية من الجنود حملة المشاعل وتلاها فرسان الجركس ترن سنابك خيلهم على الإسفلت مترنة مع تهادي أكتافهم وتمایل أجسامهم. وجاءت بعدئذ أفواج الكشافات الصغار والكبار تتقدمهم موسيقاهم ولها رنين وأنغام متحمسة.

وخلال هذا كله كان مذياع محطة دمشق يحمل إلى الجماهير المشربة الأذان الأنباء والأوصاف والأحاسيس. والجماهير تلتقط كل ما تسمع وتغترف من معين الفرحة الكبرى التي تغمر دمشق وأبناءها بروادها.

وفي الساعة الثامنة بدأت الألعاب النارية. بعد ذلك تفرقت الجماهير وفي نفوسها أصداء المهرجان وفي

أحداقها ألوانه واضواؤه وفي القلوب الهتاف للفاروق وللزعيم والدعاء لكي يمد الله في عمر البطلين ليعملا على رفعة العروبة وعزتها ويحفظ شرفها وكرامتها...». ومثل هذا الوصف ينسجم تماماً مع روحية الكلمة التي القاها الزعيم حسني الزعيم وكانت الأولى والأخيرة من نوعها في تاريخ العلاقات السورية - المصرية.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 25 يوليو (تموز) 1998

أميرة الشعب ورئيس الطبقة المتوسطة

يكاد رد الفعل الشعبي الذي قوبل به انتخاب قائد الجيش اللبناني العماد إميل لحود رئيساً للجمهورية في لبنان خلفاً للرئيس إلياس الهراوي يشبه في بعض جوانبه ومن حيث العفوية رد الفعل الشعبي في بريطانيا إزاء النهاية المأساوية للأميرة ديانا.

وكما أن ألوف البريطانيين وسكان بريطانيا وزوارها إندفعوا وعلى مدى أسبوع كامل يحملون باقات الورود ويضعونها أمام القصر الملكي في لندن وعلى مساحة رحبة من الأرض المجاورة للقصر الذي كانت تسكنه الأميرة ديانا، فإن مئات اللبنانيين إندفعوا أيضاً وبحماسة منقطعة النظير لرفع اللافتات في الشوارع ولصق صور الرئيس المنتخب على جدران العاصمة.

ومع أن اللبنانيين على شيء من المهارة في إستنباط عبارات التأييد أو التنديد إلا أن ما قرأناه هذه المرة مكتوباً على لافتات التأييد ليس نفاقاً ويتميز بعفوية تعكس حجم المرارة التي في نفوس الناس من المعاناة الإقتصادية في الدرجة الأولى. وصادف أن إختيار العماد إميل لحود تزامن مع بدء الموسم الدراسي الذي يئن من وطأة أقساطه تسعون في المئة من الآباء فوجد هؤلاء في مجيء لحود مناسبة لكي يخففوا بكلام التأييد الممزوج بالأمال عن صدورهم التي تكاد تنفجر.

وليس هذا فحسب بل إن حديث الناس الذي كان حول ضيق ذات اليد والفساد المستشري وإحتكار طبقة من المسؤولين والحاشية الخاصة للمكاسب والإمتيازات، والعجز عن تأمين متطلبات العيش في الحد الأدنى، تحول فجأة إلى حديث عن الأيام الطيبة المقبلة وكيف أن العهد الجديد سيعيد الى لبنان ظاهرة الطبقة المتوسطة التي تراجعت أمام إجتياحين: إجتياح

الفقراء لهذه الطبقة، وإجتياح رموز أغنياء الحرب ثم أغنياء مرحلة ما بعد إتفاق الطائف الذي أنهى الحرب للبنانيين. الفقراء الذين كانوا قلة في لبنان باتوا هم الأكثرية والأغنياء الجدد بات غناهم بأحجام وأرقام جعلت من كانوا يشكّلون الطبقة المتوسطة قريبين هم بدورهم من خط الفقر الذي إتسعت رقعته على مدى تسع سنوات إتساعاً مخيفاً.

وكما أن باعة الورد في بريطانيا عاشوا أسبوعين من الإزدهار من كثرة الكميات التي باعوها للناس الذين أرادوا التعبير عن حزنهم على الرحيل المأساوي للأميرة ديانا، فإن خطاطي اللافتات في لبنان عاشوا أيضاً أسبوعين مماثلين لكثرة ما كتبوا من لافتات إشتراها مئات من اللبنانيين أرادوا التعبير عن إبتهاجم بالرئيس الجديد. وفي الحالتين حدث الإزدهار الذي نشير إليه في ظل إستمرار وضع إقتصادي مضطرب ويميل إلى السوء.

وفي الحالتين، إن هذا الإندفاع العفوي في التعبير سببه ظلم ذوي القربى. ظلم التقاليد في بريطانيا وظلم الزوج الذي هو ولي العهد الأمير تشارلز بالنسبة إلى حالة الأميرة ديانا. وجاء إغراقها من جانب الناس بالورود والبطاقات والرسائل بمثابة إحساس بوطأة هذا الظلم، وجاء رفضاً له. أما بالنسبة إلى حالة إبتهاج اللبنانيين برئيسهم الجديد فإن السبب الحقيقي لهذا الإبتهاج هو ظلم الامر الواقع طوال تسع سنوات لهم، وعندما جاءت الفرصة المناسبة وتمثلت بإنتخاب قائد الجيش رئيساً للجمهورية فإنهم من دون تريث ومن دون تحفظ وبعفوية غير مألوفة بالنحو الذي جاء ترحيبهم، سجلوا إبتهاجهم. وهم سيكونون في أحسن حال إذا إستطاع ضخ بعض الحيوية في شرايين الطبقة المتوسطة رئيس العهد الجديد خصوصاً أنه ينتمي إليها بحيث تنتعش هذه الطبقة وتستعيد شيئاً فشيئاً أهميتها.

وعندما يحدث ذلك سيستقر لبنان على الصعيد الإجتماعي مع ملاحظة أن حكامه الحاليين تناسوا أنهم ينتمون إلى الطبقة المتوسطة وتصرفوا على أساس أنهم من طبقة إستثنائية هي طبقة الإقطاع السياسي والإقطاع الإجتماعي. ومن المؤكد أنهم لو لم يتناسوا لكانوا أكثر حضوراً في وجدان الناس ولما كان لمشاعر المرارة أن تتأصل في النفوس.

ومن باب التفاؤل يجوز القول إنه مثلما أن رد الفعل العفوي لدى الناس في بريطانيا على الرحيل

المأساوي لأُميرة الشعب ديانا احدث بداية تغيير في مفاهيم الملكة والأسرة الملكية في بريطانيا وجعل قطاعات عريضة من البورجوازية تنتبه قليلاً، فإن رد الفعل العفوي لدى الناس في لبنان إزاء انتخاب قائد الجيش العماد لحود رئيساً للجمهورية أحدث بداية تعديل في نظرة البعض. لكن المطلوب هو التغيير وليس التعديل. ولا بد من حدوث هذا التغيير لأنه بات قضية العهد الجديد. وإلاّ فما معنى أن يقول الرئيس الجديد بعد دقائق من إعلان انتخابه أنه سيكون المثل والمثال؟

وتبقى أوجه تشابه من المهم الإشارة إليها وهي التقاني في الخدمة الإجتماعية لدى الأميرة ديانا، والتقاني في إعادة بناء الجيش اللبناني الذي تسلمه العماد لحود وهو ممزق شر تمزيق ومنقسم شر تقسيم وتائه بين الميلشيات وأمرائها. أوجه الشبه هي التواضع لدى الأميرة ديانا وعدم إنبهار العماد لحود بالظواهر الإجتماعية المستشرية في المجتمع اللبناني.

وثمة الجامع المشترك الذي هو الإبتسامة. الأميرة ديانا عاشت لا تفارقها الإبتسامة ولازمتها حتى الرحيل المأساوي. والعماد لحود ظهر على الناس مبتسماً وحتى الآن لا تفارق الإبتسامة وجهه. وبهذه الإبتسامة جعل اللبنانيين يتفاءلون خيراً به.

ويكفي أن يطبق بإخلاص مقولته إنه سيكون المثل والمثال، وإنه سيعيد قليلاً ويعمل كثيراً، أو بمعنى آخر يكفي أن يمارس طوال ست سنوات في الرئاسة ما مارسه طوال تسع سنوات في قيادة الجيش، وبذلك ينجح في أن يكون رئيس الطبقة المتوسطة التي هي الأكثرية الساحقة مثلاً نجحت ديانا في أن تكون أميرة الشعب. رحمها الله وحماه من كل مكروه ومن الكارهين والحاسدين.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998

عندما يشمت رئيس لبنان بأحوال بعض أبنائه

في الوقت الذي كان معظم الحكام العرب يرحبون بالإتفاق الإسرائيلي _ الفلسطيني برعاية الرئيس كلينتون والذي تم التوصل إليه يوم الجمعة 23 أكتوبر/

تشرين الأول 1998، كان الرئيس اللبناني إلياس الهراوي وعلى عكس بقية الحكام يشن بعد أربعة أيام الإثنين 27 أكتوبر وأمام المؤتمر الهندسي العربي الذي عقد دورته الواحدة والعشرين في بيروت حملة على القيادة الفلسطينية إتسمت منطلقاتها بالغضب والأسف وروح الثأر والشماتة، وبدأت المفردات التي صاغ الرئيس اللبناني (الذي كان عند إلقائه كلمته أمام المؤتمر الهندسي العربي باقياً له في الحكم 27 يوماً) وكما لو أنها مزيج من مفردات الشيخ بشير الجميل عندما كان يتناول بالحديث المسألة الفلسطينية والفلسطينيين في لبنان ومن مفردات الدكتور جورج حبش وأحمد جبريل وأبو نضال وأبو موسى ونايف حواتمه والشيخ احمد ياسين وبعض قادة حركة "حماس" والدكاترة ادوار سعيد وحنان عشراوي وحيدر عبد الشافي وآخرين كثيرين عندما يتاولون بالنقد والتحليل ممارسات الرئيس عرفات وبعض أركان القيادة الفلسطينية.

ولقد استوقفنا في حملة الرئيس الهراوي فقرتان، الأولى جاءت على النحو الآتي: «في الماضي حملوا (يقصد الفلسطينيين) وزر قضيتهم خمسين عاماً وجرى نزف جبهة المواجهة وجبهة المساندة. وحملوا لبنان كل لبنان وزر اطماعهم ومناوراتهم وهددوا دولتنا فأشغلونا هنا سنوات وسنوات بإعادة بناء الدولة، وفي المقابل يرضون بشبه دويلة لهم هناك، ولا يسألون جنونا الذي إجتاحتهم إسرائيل واحتلتهم بسببهم، ولا عن الجولان الذي فقدته سوريا نتيجة إلزام سوريا الحق العربي والكرامة العربية، بل ها هم يعتبرون ننتيا هو شريكهم وهو الذي يرفض إعادة الجولان وتطبيق القرار 425 بنصه وروحه...». والفقرة الثانية جاءت على النحو الآتي: «لن نسأل هؤلاء اين فلسطين، بل نسألهم أين القرارات الدولية المتعلقة بالحقوق الفلسطينية. نسألهم أين القدس وأين المسجد الأقصى، نسألهم أين عودة اللاجئين وفلسطيني الشتات، نحن هنا في لبنان نرفض أي شكل من أشكال التوطين، وهم هم لم يحركوا ساكناً بشأن المستوطنات الإسرائيلية في عقر ما تبقى من أرضهم...».

ثم وجّه الرئيس الهراوي نداء الإستغاثة الآتي: «من تفرّدوا في أوصلو قبل أعوام لتسليم القضية، آخر ما طالعنا به تواقيعهم قبل أيام يجعلنا نكر نداءنا: أنقذوا السلام من النيات الإسرائيلية، وأنقذوا الحق العربي من أيدي بعض المفاوضين العرب...».

ونحن عندما نقارن بين رد فعل مصر وبين رد فعل الرئيس الهراوي يتبين لنا كم أن الفرق في النظرة شاسع جداً وكذلك في المشاعر.

فالرئيس حسني مبارك كان يستقبل عرفات قبل ذلك وبدا هو الآخر مطمئناً إلى سلامة الموقف الفلسطيني علماً بأن الرئيس عرفات عرض على الرئيس مبارك النص الرسمي للإتفاق الفلسطيني- الإسرائيلي ولم يعرض عليه الوثائق السرية التي تكون عادة ملحقة بالإتفاق ولا يتم نشرها. ومن أجل ذلك فإن نداء الرئيس الهراوي لن يكون له صدى وسينتهي مجرد «فشة خلق» على نحو ما يلخصه التوصيف الشائع، مع التذكير بأنه كان من الممكن تسجيل هذه الوقفة من دون نكء الجراح التي من واجب كل لبناني وفلسطيني التعاون من أجل ألا تبقى مفتوحة. فالذي أصاب الفلسطينيين في لبنان من أطراف لبنانية كان محنة تشبه في بعض جوانبها المحنة التي أصابت لبنان نتيجة ممارسات بعض القيادات الفلسطينية التي إعتبرت لبنان مقراً وليس ممراً ودولة يمكن أن تصبح دائمة وليس محطة مؤقتة.

والى ذلك فإن الرئيس الهراوي وبقية المسؤولين اللبنانيين يعرفون تمام المعرفة أن حالهم بمعزل عن سوريا لن تكون أفضل من حال عرفات، وكانوا ربما سيبرمون إتفاقات أكثر تنازلاً من الإتفاق الذي أبرمه عرفات مع نتتياهو تحت وطأة الضغوط والإغراءات الأميركية.

وخلاصة القول إنه إذا إعتبرنا أن ما فعله الرئيس عرفات بقبوله إتفاق «واي بلانتیشن» المعروض أصلاً للنقض بعدما تعرض للتأجيل كان خطأ، فإن هذه الوقفة من الرئيس الهراوي والتي تجمع بين الغضب والشماتة والإشارة بإصبع الإتهام لم تكن في محلها لمن يعرفون حقائق الوضع في المنطقة. والأمران ظالمان. الذي فعله الرئيس عرفات يشكّل ظلماً فادحاً ألحقه بالقضية وبالشعب الفلسطيني، والذي قاله الرئيس الهراوي يشكّل ظلماً ألحقه رئيس يعرف أن القاعدة التي أقرها الملوك والرؤساء العرب منذ قمة «فاس» لا تزال هي الأساس وفحواها أن العرب يقبلون ما يقبل به الفلسطينيون بصرف النظر عما إذا كان القبول طواعية أو عن إضطرار. وعندما تكون تلك هي القاعدة لا يعود جائزاً تسجيل عبارات من نوع عبارات الرئيس الهراوي التي أوردناها والتي هي بمثابة رصاصات رحمة تم إطلاقها من دون رحمة. ونقول

ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن وقفة الرئيس الهراوي من القيادة الفلسطينية ليست جديدة ولكن المفردات التي إستعملها هذه المرة هي الجديدة.

والملاحظ أن الرئيس الهراوي لم يأخذ في الإعتبار أن الفلسطينيين هم أحوال بعض أبنائه، كذلك لم يأخذ في الإعتبار أن العهد الجديد في لبنان بدءاً من 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998 ربما لإعتبارات دولية وعربية وكذلك في ضوء تأكيد إلترام الحكومة الإسرائيلية بدقة تنفيذ الإتفاق الإستفزازي المغضوب عليه، يمكن أن يكون أكثر تفهماً للإتفاق وأقل غضباً عليه... ومن دون شماتة بالقيادة الفلسطينية التي وقّعته.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998

* * *

شيخ القمة التي لا تنعقد

في كل مرة يجدها رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان فرصة مناسبة للتذكير بضرورة التلاقي العربي فإنه يبادر على الفور. ولعل الشيخ زايد هو أكثر الحكام العرب حماسة للقمة العربية واحد أبرز دعااتها.

وكون هذه الدعوات من جانبه لا تتحقق لا يعني أن يصاب الشيخ بالإحباط ويأس. ومن هنا نراه يكرر النداء خلال لقاء أو مناسبة وطنية أو عبر تصريح أو مقابلة صحافية تجرى معه.

ونقطة القوة في دعوات الشيخ زايد أن الرجل هو أقل الحكام العرب حاجة الى القمة. ذلك أن المسألة الكبرى التي تشغل باله وتعكر عليه صفاء بهجته بالنقلة النوعية في تطوير دولة الإمارات وأيضاً في تحضيرها هي أكبر من قدرة القادة العرب على حلها. ونعني بهذه المسألة بقاء الجزر الثلاث طمب الكبرى وطمب الصغرى وأبو موسى تحت الإحتلال الإيراني وهو امر يؤرق الشيخ زايد لأنه لا يتمنى أن يغادر الدنيا - أطال الله عمره - والإحتلال الإيراني للجزر قائم، ولأنه في الوقت نفسه لا مجال لإنهاء هذا الإحتلال بالقوة الإماراتية ولا حتى بالقوة العربية. ولكن لقاء القمة قد يفيد في تداول الرأي وفي توصيل رسائل ذات دلالة إلى أهل الحكم الإيراني من نوع الرسالة التي بعث بها القادة العرب إلى أهل الحكم التركي

عندما ساندوا سوريا برفضهم الإنذارات التركية وتديدهم بالتصريحات المعادية والإستفزازية التي صدرت عن رئيس الجمهورية التركية ديميريل ورئيس الوزراء مسعود يماظ.

وقد يقال ما الذي ستتجزه لقاءات القمة العربية إذا كان بعض القادة العرب يتناقلون في التوجه إلى عاصمة إنعقادها، ومن قبل يتباطأون في تلبية الدعوة إلى الإنعقاد؟ بل ما الذي ستتجزه إذا لم يكن هنالك إيمان بجدوى إنعقادها على نحو إيمان قادة أوروبا بأهمية قممهم الدورية وإيمان الدول الأفريقية بضرورة أن يتم لقاء قادتها سنوياً في الموعد المحدد للقمة التي يعقدونها وفي العاصمة التي يكون تم إختيارها في القمة السابقة؟

قد يقال هذا لكنه قول مردود، ذلك أن في إستطاعة القمة العربية أن تنجز الكثير في حال توافر الإيمان بأهميتها والإلتزام بعقدها مرة كل سنة أو مرتين على نحو ما جاء في دعوة الشيخ زايد الأخيرة. وفي تاريخ مؤسسة القمة مؤتمرات كانت قراراتها بالغة الأهمية وشكلت نقطة تحوّل في العمل العربي المشترك. وهذه قمة الخرطوم عام 1967 بلأاتها الثلاث التي أوقفت الإنهيار المعنوي الناشئ عن الهزيمة، وبالمساعدات التي قدمتها الدول النفطية لدعم الصمود والعمل على إزالة آثار العدوان. كذلك هذه قمة فاس عام 1981 التي وضعت مشروع السلام العربي المعروف بـ «مشروع الملك فهد». وهذه قبل الإثنتين قمة القاهرة عام 1964 التي بها تم إحياء ظاهرة إجتماع الملوك والرؤساء بعدما كانت توقفت عند القمة الأولى في أنشاص عام 1946. ثم هناك قمم كثيرة الأهمية والتميز كانت قراراتها في زمن الإنعقاد من النوع المطلوب ولا يجوز النظر إليها من زاوية الأوضاع الراهنة لأنها عند ذلك تبدو قرارات غير واقعية.

وفي غياب الإجتماعات الدورية للملوك والرؤساء تبدو هنالك جفوة بين بعضهم في حين أن اللقاء الدوري يولّد إنطباعات بأن القادة العرب دائماً على موعد للقاء. وما داموا على موعد فإن من كان على خلاف مع آخر سيرى في اللقاء مناسبة لمناقشة الخلاف أو مناسبة لطى صفحة هذا الخلاف وبذلك لا تعود الأزمات حبيسة الصدور ولا تعود بالتالي تتفاقم. وهذه تجربة الإجتماع الدوري لقادة دول مجلس التعاون الخليجي وكيف أن تواصل اللقاءات يبذل في إستمرار غيوم الخلافات التي تظلل أحياناً سماء علاقات

البعض منهم.

وقد يكون الشيخ زايد الذي يزور ويُزار في إستمرار يلمس أكثر من غيره أهمية أن يلتقي الملوك والرؤساء. ولعله من أجل ذلك تحدّث عن الخسارة الكبيرة على مستقبل الأمة العربية نتيجة أن القمة العربية لا تتعقد. ويبقى أنه إذا كانت القمة المرجوة ستبقى عسيرة الإنعقاد فإن التزاور العفوي البعيد بعض الشيء عن طقوس الزيارات الرسمية يبدو أمراً طيباً لو جرى الأخذ به. تزاور على الطريقة المعتمدة من الرئيسين حسني مبارك وحافظ الأسد (زيارة مقابل زيارة)، أو زيارة إستجمام ونفاهة على نحو ما فعل العقيد معمر القذافي الذي عبّر موكبه الرئاسي الحدود مع تونس يوم الإثنين 19 أكتوبر (تشرين الأول) 1998 وأمضى في جنوب تونس حيث البحر والرمل والواحات خمسة أيام إرتاح فيها وإستجم وتحادث مع الرئيس زين العابدين بن علي ثم عاد موكبه تاركاً إنطباعات طيبة. ولقد سجل العقيد القذافي بهذه الزيارة تقليداً مستحباً ومفيداً في الوقت نفسه.

والتقليد مستحب لأنه أوحى بأن الحكام مثل سائر المواطنين يشعر الواحد منهم بالحاجة إلى أن يستجم ويرتاح فيزور أحياناً أو صديقاً له في بلد آخر. والتقليد مفيد لأن مثل هذا التزاور يحقق التآلف بين القلوب فضلاً عن أن الحكام بشر ويحتاج الواحد منهم أحياناً إلى أن يشكو همومه إلى من يثق به أو هو صديقه خصوصاً إذا كان هذا الصديق صاحب تجربة قديمة في الحكم أو يعاني من كثرة المشاكل إلى درجة بات صاحب نظرية في التعامل معها والتغلب عليها على نحو ما هي حالة الملك حسين شفاه الله.

يبقى أن دعوة الشيخ زايد القادة العرب إلى التزاور واللقاء الدوري هي من الدعوات النصوحة المخلصة. وهو عندما يدعو مرة أخرى فإن الدعوة لن تكون الأخيرة، إلا إذا أخذ الملوك والرؤساء بالفكرة خصوصاً بعدما طال زمن تباعدهم وإكتشف كل منهم أن هذا التباعد لم ولن يحل المشكلة، فضلاً عن أنه يحفر الأحقاد والبغضاء في نفوس البعض حفرًا. وهو أمر يدركه تمام الإدراك شيخ القمة التي تبدو مستحيلة ويصر الشيخ على انها ضرورية. ولأنها كذلك فإنها ممكنة... ولو بعد حين.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998

أرزة تنتظر مجاورة نخلة... أكاديمية الملك فهد للعلوم والتكنولوجيا في لبنان؟

لا يملك المرء وهو يقرأ عن هذا التوجه التعليمي والتنويري للأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز خارج المملكة سوى التقدير، ومن بدايات هذا التوجه للرئيس العام لرعاية الشباب في المملكة العربية السعودية إفتتاحه يوم الإثنين 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1998 وخلال زيارة قام بها إلى القاهرة مدرسة تحمل اسم جده الملك عبد العزيز تم إنشاؤها في ضاحية مصر الجديدة وهي مدرسة نموذجية للغات تتكون من ستين فصلاً دراسياً ومعمل بلغت تكاليفها أكثر من مليون جنيه مصري قَدَّمها الأمير فيصل. وهناك مدرسة نموذجية كبرى أعلن الأمير عن تبرُّعه الشخصي لبنائها ستحمل اسم الملك فهد بن عبد العزيز وسيتم البدء بالبناء لمجرد أن تختار وزارة التربية والتعليم الموقع المناسب لها.

ونقرأ أيضاً أن الأمير فيصل إفتتح على هامش ما أعلنه مدرسة تحمل اسم الملك عبد العزيز بعد تحديثها وتطويرها وتضم ألفي طالب. كما أنه تبرع للأزهر بمليون دولار وبمليون آخر للأطفال المعاقين ومليون ثالث لعلاج الأمراض المستعصية.

والتبرع لأعمال الخير ليس أمراً مستغرباً لأنه بات من التقاليد توارثه أبناء الملك عبد العزيز عن والدهم ويأخذ به الأحفاد كتقليد وكرثاء. لكن التوجه من جانب أحد الأحفاد الأمير فيصل نحو مصر وبناء مدرسة وتحديث أخرى والإعلان عن أنه سيتعهد ببناء مدرسة ثالثة هو ما يلفت النظر وما يستوقف المرء. وما دام التوجه قد بدأ فإنه سيتكرر. وما أحوج مصر إلى مدارس عصرية كما انه ما أحوج المدارس القائمة الى تحديث لكي تواكب العصر.

وقد يبدو هذا التوجه كما لو أنه تأكيد للسير على نهج الملك فهد بالنسبة الى التعليم عموماً وما حققه أبو فيصل في هذا الشأن في وزارة المعارف التي تولّاها عندما أنشئت للمرة الاولى في المملكة. وما سمعناه مرات كثيرة من الشيخ ناصر المنقور عن تلك الحقبة. وهو الذي كان أحد السواعد الفاعلة في ترجمة طموح وزير المعارف الأمير فهد نحو تحقيق نهضة تعليمية مثالية في المملكة - يدعو الى التقدير. كذلك فد يبدو هذا التوجه انه تحية من تحيات الشكر في

اواخر القرن يبعث بها الأمير فيصل إلى مصر تقديراً منه لدور مدارسها وجامعاتها في تلك النهضة وذلك على أساس أن طليعة الجامعيين السعوديين عادوا في أواخر الأربعينات ومعظم الخمسينات بشهاداتهم من كليات جامعة القاهرة. وليس ما هو افضل للرد على جمائل التعليم والتثقيف من بناء مدرسة أو مدارس وتحديث كلية أو كليات وتأمين إحتياجات معهد أو معاهد.

ومع أن هذا التوجه للأمير فيصل يأتي في ظروف عادية تعيشها مصر، إلا أنه بالنسبة الى التعليم والمدارس في العالم العربي وبالذات في مصر التي تعيش في إستمرار تحت وطاة الكثافة السكانية، تبدو الظروف دائماً غير عادية. ونتذكر في هذا الشأن كيف أن خادم الحرمين الشريفين بعدما تابع أهوال ما أحدثه الزلزال في مصر عام 1992 تصرف من وحي هواجس التعليم فكانت توجيهاته بإعادة بناء مئات المدارس التي دمرها الزلزال.

ويتمنى المرء، بل ويتوقع، أن يتواصل هذا التوجه من جانب الأحفاد وعلى نحو ما بدأه الأمير فيصل في مصر، وأن نقرأ ونسمع أن هنالك عشرات المدارس في معظم العواصم العربية سيجري بناؤها أو تجهيزها أو تحديثها حاملة إسم الملك فهد. ومن المؤكد أنه اذا بلغت الأمير فيصل حقيقة اوضاع عشرات المدارس في بعض العواصم والمدن والقرى العربية لكان تصرف على نحو ما فعل في مصر.

وإذا جاز للمرء ان يقترح وهو يتمنى، فإن لبنان الذي يحاول جاهداً النهوض بفضل "إنفاق الطائف" الذي رعاه وسهر عليه الملك فهد هو في أشد الحاجة إلى أكاديمية تعنى بالعلوم والتكنولوجيا وتستوعب عشرات الواعدين من شبان وشابات لا يجدون بسبب ضيق ذات اليد مكاناً لهم في الجامعات التي يمكن أن تصقل مواهبهم وتقوم بتحضيرهم كنواة علمية وتكنولوجية عربية للقرن الواحد والعشرين. وفي ضوء النجاح الذي حققته فكرة الأكاديمية في لندن وغيرها فإن إنشاء «أكاديمية الملك فهد للعلوم والتكنولوجيا» فوق بقعة ما من بيروت أو ضواحيها سيكون بأهمية الجامعات التي انشئت في لبنان مثل الجامعة الأميركية والجامعة اليسوعية وجامعة بيروت العربية وغيرها. وستكون الأكاديمية هذه، خصوصاً إذا رعاها الأبناء والأحفاد كبادرة تكريم من جانبهم لراعي النهضة التعليمية الملك فهد، بمثابة منارة علمية تشع على

المنطقة العربية وتؤكد أن المواهب كثيرة وأن الذين يتعهدون هذه المواهب بالرعاية أكثر.

وكما مصر كذلك لبنان، كلاهما بلدان عربيان عزيزان على قلب المملكة منذ مرحلة التوحيد وحتى الزمن الراهن. ولبنان بالذات له في نفوس أبناء الملك عبد العزيز وأحفاده مكانة على كثير من الخصوصية والتميز. ولولا هذه المكانة لما كان لصيفة الطائف ان تتبلور ولتطبقها ان يتم ولمواصله السهر عليها أن تكون على نحو ما هو حاصل.

وفي تقديرنا أن إنشاء «أكاديمية الملك فهد للعلوم والتكنولوجيا» بالنسبة إلى لبنان هو بأهمية الوديعة التي ساعدت على تثبيت أوتاد الخيمة اللبنانية بعدما كادت الريح تعصف بها.

وفي ظل مثوية تأسيس المملكة تبدو مثل هذه الاكاديمية وكأنما هي نخلة يتم زرعها إلى جانب الأرز اللبنانية. وهل هنالك ما يدعو إلى الإطمئنان افضل من هذه المجاورة؟

وما يأمله اللبنانيون الواعدون الموهوبون في مجال العلوم هو ألا يطول انتظارهم لرؤية مبنى الاكاديمية يقام ويصقلون مواهبهم في رحابه. أو بتشبيه وجداني ألا يطول إنتظار الأرز اللبنانية لمجاورة النخلة السعودية لها.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 5 ديسمبر (كانون الأول) 1998

أبنائنا وأحفادنا

الذين سيشرّبون مياه البحر

جاء فصل الشتاء على الدول الأوروبية ببرده ورياحه وأمطاره وثلوجه وبذلك ستتتّش الأرض وستزداد إخضراراً لمجرد أن يهل فصل الربيع. وفي الوقت نفسه سيزداد تدفق الأنهار ولا ينخفض منسوب البحيرات. وأما الينابيع فسيكون عطاؤها على خير ما يكون العطاء. وستتّش أحوال شركات المياه المعدنية.

وعلى رغم ذلك فإن المواطن الأوروبي يظل خائفاً من شتاء لا يكون ممطراً ما فيه الكفاية ولا يكون كريماً بالثلوج كما هو متوقع. وبسبب هواجس الخوف هذه نراه على درجة عالية من التنبه في استهلاك المياه

بحيث لا تضيع قطرة ماء في غير محلها. وهناك تربية مائية - إذا جاز القول - تبدأ مع الاطفال منذ الصغر وتقوم على أن هذر المياه هو بمثابة تفریط بأهم مصادر الحياة ومن أجل ذلك فلا يجوز هذر المياه عند إستعمالها ولا عند ري الحدائق أو غسل السيارة أمام مرآب المنزل في عطلة نهاية الاسبوع وهي عادة شائعة في دول الغرب.

ونتيجة لهذه التربية المائية فإننا نجدهم في الدول الأوروبية لا يشكون من الجفاف وذلك لأن إحتياطي الماء لديهم، بفضل الترشيح في الإستهلاك وبفضل التربية المائية التي هي بمثابة التربية الوطنية، متوافر دائماً، وهو في نظرهم مثل الإحتياط النقدي ومثل الإحتياط النفطي. وهكذا فالطمأنينة موجودة وعلى خير ما يكون عليه الإطمئنان. والقصد من هذا التقدم هو المقارنة مع أحوالنا عموماً في العالم العربي حيث أننا نتيجة فقدان التوجيه والترشيح ونتيجة العشوائية التي يتم بها إستعمال المياه فإننا على موعد مع أزمة مائية خانقة تبدأ بعد سنتين. وإستناداً إلى أرقام أفادنا بها بعض الخبراء العرب (ونشرتها زميلتنا صحيفة "الشرق الأوسط" قبل ايام)، فإن معدل نصيب الفرد العربي ونتيجة للنمو السكاني المتزايد لا يزيد عن ألف متر مكعب في العام وهي بمفهوم هؤلاء الخبراء نسبة ما دون خط الفقر المائي. وبالمقارنة مع الآخرين فإن وضعنا العربي المائي هو الأسوأ ذلك أن حصة الفرد في أفريقيا تبلغ 5100 متر مكعب سنوياً وحصة الفرد في الدول الآسيوية تبلغ 3300 متر مكعب سنوياً وفي الدول الأوروبية تبلغ حصة الفرد 4100 متر مكعب سنوياً. أما الأغنى في هذا المجال فهو الأميركي الشمالي حيث تبلغ حصته 17500 متر مكعب سنوياً. كذلك وبلغة الأرقام نفسها سيبلغ عدد سكان العالم العربي حوالي 700 مليون شخص عام 2030 وعندها ستصبح الفجوة نتيجة النمو السكاني 282 مليار متر مكعب أي بما معناه أن الموارد المائية لن تفي عند ذلك بأكثر من 60 في المئة من الإحتياجات الضرورية للإنسان.

إزاء ذلك فإن أبنائنا وأحفادنا على موعد غير سار على الإطلاق ولن يكون أمامهم سوى مياه البحار التي ستكون حتى بعد التحلية ذات مذاق لا يمكن تحمّله. ومياه البحار أيضاً مشكلة كثيرة التعقيد إذ أن تكلفتها عالية ولا قدرة لدول عربية كثيرة في الجناحين المشرقي والمغربي على تأمين هذه التكلفة. وإذا فإن

الربع العربي الأول من القرن الواحد والعشرين قد يكون بداية صراع بعض مناطق من عالمنا العربي مع العطش على نحو الصراع مع المجاعة التي واجهتها بعض الدول الأفريقية في الربع الأخير من القرن العشرين.

والأمل معقود لتفادي العطش العربي على الترشيح والتربية المائية في الدرجة الأولى وعلى إعادة استخدام المياه العادمة التي تفيد تقارير الخبراء أنها تصل إلى 20 مليار متر مكعب سنوياً.

وأيضاً، وهذا هو خير الأمل، على أن يسود السلام المنطقة وبذلك نستطيع بنسبة من الميزانيات العسكرية المرتفعة دائماً المباشرة بالتخطيط لحلول تقي الأبناء والأحفاد محنة العطش، إلا إذا أخطأت تقديرات الخبراء وأرقامهم. ولم يحدث أن أخطأ الخبراء عندما يعالجون المشاكل بوعي وضمير وإحساس بالمسؤولية.

ويبقى في هذا المجال تذكير وهو أننا في الماضي وعندما كان العرب بضعة ملايين من المحيط إلى الخليج ردنا مراراً وبشيء من التبسيط عبارة "أشرب ماء البحر" كنموذج من الشتائم أو التحديات المتهذبة ثم جاء الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عام 1967 يعطي هذه العبارة أهمية سياسية كبرى عندما خاطب الولايات المتحدة قائلاً "إذا مش عاجبها فلتشرب مياه البحر وإذا كان البحر الأبيض لا يكفي فلتشرب أيضاً مياه البحر الأحمر....". وسامحه الله على ذلك القول لأن الولايات المتحدة هي التي تسقينا منذ ذلك العام مواقف أشد ملوحة في آثارها علينا من ملوحة مياه البحرين الأبيض والأحمر.

مجلة "المجلة"، لندن - السبت 12 ديسمبر (كانون الأول) 1998

وحيدة والديها التي بدأت تضرس

صدق المثل الذي يقول إن الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون، ولم يستثن المثل أحداً، الأمر الذي يعني أنه ينطبق على أي آباء وعلى أي أبناء وأنهم إذا كانوا حكماً فليس معنى ذلك أن أبناءهم لا يضرسون. وهذه حالة رئيس الدولة الأعظم بيل كلينتون وزوجته هيلاري التي تقاسمه مجد الرئاسة والحكم منذ اللحظة الأولى لفوزه بالرئاسة تأكيداً لذلك.

وفي الوقت الذي لا تتوقف ملاحقة الرئيس ومساءلته وتترايد الإيحاءات في شأن مصيره وتتردد احتمالات من بينها أن الرئيس سيدخل السجن بعد انتهاء ولايته الرئاسية أو يفقد منصبه قبل انتهاء الولاية وينتقل في هذه الحال من البيت الأبيض إلى السجن.. في هذا الوقت بدأت صحف «التابلويد» في الولايات المتحدة تنشر الأخبار وتنقل عنها الصحف الجدية عما أصاب وحيدة كلينتون وهيلاري من جزاء تفاعلات فضيحة التحرش الجنسي. ومن هذه الأخبار أن الابنة تشيلسي التي بانّت في ذروة سن المراهقة تعاني الكثير من مضاعفات فضيحة والدها حيث أن صديقها في جامعة ستانفورد (ضواحي سان فرانسيسكو) التي يدرس فيها إبتعد عنها لأنه، وهو المتدين، رأى أنه يجب أن ينهي علاقته مع ابنة رئيس تولك الألسن سمعته وتنشر الصحف والمجلات وكذلك تبث محطات التلفزيون القصص المثيرة عن حالات التحرش الجنسي التي حدثت معه داخل جدران البيت الأبيض مركز رئيس أهم دولة في العالم.

ومن الأخبار التي تنشرها الصحف أن الابنة المراهقة تشيلسي تراجع طبيباً نفسياً لعلاجها من صدمة نشأت عن ترك صديقها لها، وأن الابنة أبلغت اصدقاء وصديقات لها أن والديها على أهبة الانفصال والطلاق وأن ذلك مؤجل إلى ما بعد انتهاء ولاية الرئيس.

وعلى رغم الأثر النفسي العميق لحالة الابنة المراهقة يتظاهر الوالد الرئيس والوالدة التي تشاركه مجد الرئاسة بأنهما غير مباليين ويظهريان في المناسبات وهما يضحكان وبالذات بعدما حقق الحزب الديمقراطي فوزاً في الانتخابات الأخيرة وكذلك بعدما مضى الرئيس قُدماً في توجيه ضربة إلى العراق أجهضها الرئيس صدام حسين في اللحظة الأخيرة بتراجع عن مسألة وقف التعامل مع المفتشين الدوليين. ولكن هذا التظاهر لا يعني أن حالة الابنة الوحيدة بدأت تسبب أزمة حقيقية للوالد الرئيس وللوالدة هيلاري. وكلاهما يسعى في طريقة أو أخرى مع الصحف لكي تبتعد عن التعاطي في خصوصية ابنتهما الوحيدة.

ومع أن الحالة تختلف كلياً فإن المسكينة تشيلسي بدأت تعيش ظروفاً مشابهة لتلك الظروف التي سبق أن عاشتها الأميرة ديانا التي وجدت الصحف الشعبية البريطانية خصوصاً والعالمية بوجه عام في أسفار

من صبر ظفر في إيطاليا ومن لجّ كفر في السودان

من المؤكد أنه لو كانت الشيوعية شيوعية وما زالت على ما كانت عليه قبل سقوط الاتحاد السوفياتي وتناثر جمهورياته التي إستعادت حريتها وسيادتها، لما كان ليحدث في إيطاليا الذي حدث يوم الأربعاء 21 أكتوبر/ تشرين الأول 1998 عندما أقسم ماسيمو دالما وهو الشيوعي السابق اليمين الدستورية كرئيس للحكومة الإيطالية التي تضم في صفوفها وزراء ماركسيين وذلك للمرة الأولى منذ قرن عندما تشكلت في العام 1947 حكومة وحدة وطنية شارك فيها الشيوعيون بشخص زعيمهم زمذاك بلميرو تولياتي الذي تم إسناد منصب وزير العدل إليه، وفي الحكومة الجديدة تم إسناد المنصب إلى ماركسي.

وإذا كان هذا المنصب لا يبدو براقاً في حكومات كثيرة في دول العالم فإنه في إيطاليا كان وما زال منصباً بالغ الحساسية وذلك لأن ظاهرة المافيا تواصل الإنتشار وهي كلما إزدادت رقعة إنتشارها كلما تعاظمت مسؤولية وزارة العدل.

ومع أن الشيوعيين في إيطاليا يشكلون نسبة عالية ويشغل المتفوقون منهم مواقع مهمة في القطاعين العام والخاص إلا أنهم لم يحققوا حلمهم في الوصول إلى كرسي رئاسة الحكومة لبلد يقع الفاتيكان على مشارف عاصمته (روما). وأكثر ما أمكنهم الوصول إليه هو المقعد الوزاري قبل خمسين سنة ثم لم يعودوا قادرين على أكثر من الفوز ببعض المقاعد النيابية. وهم بفضل شهرتهم التي ذاع صيتها في أنهم متمردون على القيادة العالمية للماركسية (أي الاتحاد السوفياتي) وينهجون نهجاً مستقلاً وينشطون بفعالية في أوساط شعبية، كسبوا مواقع لهم في الرأي العام الإيطالي.

والأهم من هذا كله أنهم في مسألة التدين أبدوا جزيل الإحترام للمعتقدات وللكنيسة ولقي ذلك ترحيباً بهم من مختلف شرائح المجتمع الإيطالي المتعصب لكاثوليكيته، فضلاً عن أنهم بهذا النهج وضوعوا الفاتيكان في موضع غير المتصدي لهم والمتعاون مع أحزاب اليمين والولايات المتحدة في سبيل تحجيمهم. والذي جعلهم يفعلون ذلك هو ان العقيدة الماركسية لم تستطع أن تطفئ فيهم شعلة التمسك بالحرية أو تجعل العقيدة الحزبية (أي الماركسية) تطفئ على

الأميرة وتتقلتها وحياتها الشخصية وعلاقاتها مادة يومية أوصلت الأميرة إلى حافة الإنهيار العصبي.. فالنهاية المأساوية بعد ذلك. وعندما تبدأ هذه الصحف بالنشر فإنها تتابع وتعمد إلى المزيد من التصعيد. وبالنسبة إلى تشيلسي فإن والدها الرئيس تمنى على الصحف الشعبية وأبرزها «نيويورك بوست» عدم التعرض إلى إبنته ويقال إنه حصل من هذه الصحف على ما يشبه التعهد بأن تترك (أي الصحف) إبنته تعيش حياة عادية وطبيعية بعيدة عن الأضواء. وعندما خرقت الصحيفة المشار إليها التعهد وجدنا الناطق بإسم البيت الأبيض جو لوكهارت يقول «إن أسلوب المعايير المهنية لبعض صحف التابلويد تتحدث عن نفسها بنفسها وإنني لا أعتبر (نيويورك بوست) من وسائل الإعلام...». ومثل هذا التعليق للناطق الرئاسي يوضح إلى أي مدى يستبد الضيق في نفس الرئيس كlintون، لكن مفردات هذا التعليق تجعل تلك الصحف تزداد شراسة وتزداد ملاحقة لأخبار الإبنة الوحيدة المعدبة نفسياً. كما أن هذا التعليق المتوتر قبل بتعليق لبعض رؤساء تحرير الصحف الشعبية خلاصته أن تشيلسي لم تعد صغيرة الأمر الذي يعني أنهم سيتعاملون معها تعاملهم مع أي فتاة أميركية في مثل عمرها وينشرون كل ما يعرفونه عن إخبارها حتى إذا كانت مثل أخبار وصور ديانا التي كانت تهز كيان الأميرة الحزينة.

وحتى إذا إلتزمت الصحف وسأيرت الرئيس كlintون فإن شبح فضائح التحرش الجنسي للرئيس ستظل تلاحق الإبنة تشيلسي داخل الكلية وفي الملعب وفي أي مكان تقصده. وسترى رفاقها يحدقون في وجهها كلما رأوها ما دامت الصحف الجدية ومحطات التلفزيون الأميركية تنشر كل يوم الجديد عن فضائح الوالد الذي لم يأخذ في الإعتبار قبل أن يضعف أمام مراهقة مهووسة بالجنس إقتحمت أبواب البيت الأبيض وإستمتع بمداعباتها أن له إبنة وحيدة يهون الحرمان في سبيل أن تعيش في ظل أمجاد والدها رئيس الدولة الأعظم في العالم وليس تحت وطأة فضيحة مخجلة لوالدها ولوالدتها ولها وللولايات المتحدة نفسها المحكومة من رئيس إستمتع بأكل الحصرم داخل البيت الأبيض وها هي إبنته الوحيدة تضرس يومياً نتيجة فعلته غير المشرفة.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 19 ديسمبر (كانون الأول) 1998

* * *

العقيدة الدينية. وهم في ذلك مثل الشيوعيين السودانيين الذين إستمروا حريصين على عدم طغيان العقيدة الحزبية على العقيدة الدينية وأسقطوا من قاموسهم مسألة الإلحاد. بل أنهم بذلوا جهوداً لدى الإتحاد السوفياتي في أواخر الستينات لكي يكون هنالك إهتمام بالمسألة الدينية وبالذات في دول العالم الثالث حيث لهذه المسألة حساسية مرهفة.

وعلى رغم النشاطات الملحوظة التي بذلها الشيوعيون السودانيون إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى مناصب وزارية إلا من خلال ضباط ثورة 25 مايو (أيار) 1969 التي إعتبرتهم سنداً شعبياً لها وأوكلت الى عدد منهم مناصب وزارية إفترضوا بعدما حصلوا عليها أن في إستطاعتهم الإمساك بمقاليد السلطة فكانت المحاولة الانقلابية التي انتهت دموية ثم أنهت عليهم. وهذا هو الفرق بين الشيوعي الذي يصبر إلى أن تحين الفرصة على نحو ما حصل يوم الأربعاء 21 أكتوبر (تشرين الاول) 1998 في إيطاليا حيث ترأس الحكومة شيوعي سابق وأشرك فيها بعض الشيوعيين، وبين الشيوعي المستعجل الذي لم يصبر ولجأ إلى الانقلاب وكان الذي كان في السودان، مع ان الشيوعيين في السودان يرددون في مجالسهم شأنهم في ذلك شأن بقية المواطنين القول المأثور "من صبر ظفر ومن لج كفر....".

وعند التأمل في الحكومة الإيطالية الجديدة التي يتألفها للمرة الأولى ماسيمو داليمو الشيوعي الملتزم سابقاً والذي تزعم بعد سقوط الإتحاد السوفياتي حزباً جديداً يحمل تسمية «حزب اليسار الديمقراطي»... اننا عند التأمل نلاحظ أن الرجل متفهم للمتغيرات وأنه يعمل من أجل صياغة مفهوم يساري للعولمة يقوم على أسس تستقطب كل الذين يعتنقون العقيدة الماركسية وبذلك لا تعود الشيوعية لديهم أكثر من ذكرى. وهو في هذا السبيل يطرح أفكاراً ترى أن عولمة الإقتصاد يجب أن تقتزن بعولمة الحقوق، ويرى «إن هناك إمكانية حقة لنشوء يسار عالمي قادر على مجابهة تحديات العولمة». كذلك يرى الآتي: «إن اليسار أمام خيارين، إما أن يساعد على نمو المؤسسات والسلطات فوق القومية، أو أن العمل السياسي لن يكون ذا قيمة أبداً. وإذا ما عزلنا انفسنا فإننا سنكون كالمتركون في العراء غارقين في خلافات محلية وغارقين في وهم القدرة على العمل والتحرك خارج عملية التوحيد وغارقين في وهم إستعادة

العلاجات القديمة مثل توفير فرص العمل بزيادة الإنفاق الحكومي ورفع الضرائب...».

وتبقى نقطة جديرة بالإهتمام وهي تتمثل بالإطلاقة المريحة لليسر الإيطالي وحرصه على ألا تهتز صورة إيطاليا بلد الجمال والأزياء والحياة الحلوة. ومن هنا فإن رئيس الحكومة تصرف كأنه راسمالي ويميني مستتير فاشرك الجميع في حكومته وإختار من أصل 25 وزيراً 6 نساء أسند إليهن حقائب مهمة بينهن سيدة أرستقراطية وجميلة ومولودة أصلاً في نيويورك من أب كان يعمل مراسلاً صحافياً وهي النائبة في البرلمان جيوفانا ميلاندرى الذي أسند إليها منصب وزارة الثقافة من دون أن يسبب هذا الإختيار ضيقاً في صفوف الرأي العام وذلك كون الوزيرة المتزوجة من محام ثري شيوعية. وبإختياره 6 نساء كسب الرأي العام النسائي خصوصاً أن تمثيل المرأة في الحكومة اليمينية السابقة إقتصر على ثلاث نساء.

ويبدو أن دفة لغة التخاطب مع الولايات المتحدة ومع اليمين الأوروبي عموماً ستؤول رئيس الحكومة الجديدة في إيطاليا، الذي كان قيادياً فاعلاً في الحزب الشيوعي قبل أن يتزعم حزباً يسارياً أسقط منه كلمة الشيوعية، إلى أن يعمل بالتعاون مع بقية الزعماء الإشتراكيين في أوروبا على إنشاء كتلة تكون الطبعة الجديدة والمنقحة للماركسية في القرن الواحد والعشرين. وعندما نرى أنه من أصل 15 بلداً عضواً في الإتحاد الأوروبي هنالك 11 بلداً تقوده حكومات اشتراكية لا يعود إفتراضنا مستغرباً.

والأمل كبير في أن ترؤس هذه الكتلة الولايات المتحدة وتنبهها عند الضرورة الى ما تفعله وتتصحها بأن تتخلى عن فكرة أن العالم يجب ان تحكمه دولة واحدة. وإذا حدث ذلك يشعر العالم ببعض الإستقرار المفقود... المنشود.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 28 نوفمبر (تشرين الثاني) 1998

أوجه شبه بين جنازتين وزعيمين

يوم تشييع جنازة الرئيس جمال عبد الناصر (الخميس الاول من أكتوبر/ تشرين الاول 1970) سار بضعة ملايين في الجنازة والى درجة أن النعش الموضوع على عربة مدفع بدا كما لو أنه نقطة بيضاء

في بحر أسود. ويوم التشييع بكى الرجال وإنتحبت النساء ومزق ألوف الفقراء من رجال ونساء وفتية وفتيات في المدن والأرياف جلايهم الممزقة أصلاً. وسار في الجنازة زعماء من الشرق الصديق لعبد الناصر والغرب الذي كانت علاقات بعض دوله فاترة مع مصر. أما الزعماء الأشقاء العرب فإنهم ساروا في الجنازة تغمر نفوسهم مشاعر الحزن. وتناسى الجميع ما حفلت به سنوات الستينات من خصومات وصراعات. وفي بعض العواصم العربية، جرت مسيرات تشييع وحدث إنتحاب وبكاء وتنكيس أعلام وغصت السفارات بالمعزين. وتكاثر الكلام في شأن من سيحكم بعد عبد الناصر وهل أنه سيملاً الفراغ الذي أحدثه غيابه.

بعد 29 عاماً تتكرر الظاهرة مع جنازة الملك حسين حيث أنه يوم تشييع الملك (الاثنين 8 فبراير/ شباط 1999) كان يوماً مشهوداً. وكان بكاء وإنتحاب. وتمثل العالم كله في الجنازة العربية الثانية التي تغلب عليها صفة الجنازة - الظاهرة.

ومثلما أن الكلام تكاثف في شأن من سيحكم مصر بعد عبد الناصر ومن سيملاً فراغه فإن الشيء نفسه حدث بالنسبة إلى الملك حسين مع الفارق أن فراغ من بقي في الحكم 46 عاماً مثل الملك حسين يكون أكثر صعوبة من فراغ من حكم 19 عاماً مثل عبد الناصر.

واللافت للإنتباه بعض التشابه في طريقة التوريث حيث أن عبد الناصر وفي لحظة خوف من مؤامرة تستهدف حياته، أو لحظة شعور بالإطمئنان أكثر نحو شخص دون آخرين أبعد بعض رفاقه في مجلس قيادة الثورة الذين لهم أحقية في أن يخلفه أحدهم ثم إختار بشكل مباغت أنور السادات ليكون مصادفة هو النائب الوحيد لرئيس الجمهورية والذي يقع عليه الإجماع ليخلف وبموجب الدستور عبد الناصر. أما الملك حسين فإنه في لحظة فقدان الأمل بالشفاء عاد على وجه السرعة إلى بلاده ليتخذ قراره بإعفاء شقيقه الأمير حسن من منصب ولي العهد الذي يشغله منذ 33 عاماً.

ثم نصل إلى التشابه في مسألة المشاركة العربية والدولية في جنازة عبد الناصر قبل 20 عاماً ثم جنازة الملك حسين يوم الاثنين 8 فبراير/ شباط 1999 لنلاحظ ونستنتج أن الحرص على اللياقات يتلازم مع الحرص على المستقبل والمصير.

بالنسبة إلى مصر كان الحرص ظاهرياً ومستتراً على أن يستغل الإتحاد السوفياتي ظروف مصر - وكان زمنذاك في أوج شأنه ومهابته - فيحاول وضع

اليد عليها ويمارس من الضغوط التي تؤثر على القرار المستقل والتي حقق له المشاركة في رسم سياسة مصر من خلال دعمه شخصيات معينة لتشغل مواقع مهمة في الحكم الوريث.

وعندما نتذكر أحوال مصر زمنذاك نفترض أنه قادر على ذلك. فالبلد يعاني من إحتلال إسرائيل للضفة الشرقية من قناة السويس، والبلد يعيش حرب إستنزاف، والبلد يعيش ظروفاً إقتصادية صعبة، والبلد يحاول إعادة بناء الجيش ويحتاج الى السلاح. وإلى ذلك إن الوضع النفسي للشعب بالغ السوء. وإقترح الأشقاء العرب والولايات المتحدة الموقف وحدث ذلك في لحظة الهجمة السوفياتية. وبينما تصرف السوفيات علناً وأجبروا الرئيس الوارث أنور السادات على عقد معاهدة مع الإتحاد السوفياتي فإن الولايات المتحدة ومعها بعض الأشقاء العرب تصرفت سراً ونجحت بدليل أن السادات طرد الخبراء السوفيات وألغى المعاهدة، وبدليل آخر يتمثل في ما هي عليه مصر بعد ذلك وحتى الآن حيث أنها باتت إحدى الدول الحليفة الأكثر أهمية للولايات المتحدة.

وبالنسبة إلى الأردن كان الحرص مزدوجاً، الولايات المتحدة ودول الغرب عموماً تخشى أن يكون رحيل الملك حسين فرصة أمام الرئيس صدام حسين لكي يستقطب الأردن إلى جانبه معتمداً في ذلك على قطاعات شعبية مؤيدة له داخل الأردن وبذلك يمتلك ورقة راسخة تساعد في فك الحصار الدولي عليه. والأشقاء العرب يخشون أن تستغل إسرائيل الظروف الصعبة والشائكة التي تعيشها المملكة الأردنية الهاشمية فتجتاح البلد وتحسم مشكلة توطين الفلسطينيين ومن أجل ذلك إلتفوا حول العهد الجديد من حلال مشاركتهم في جنازة الملك حسين والتي لم تكن مشاركة لياقات فقط. وعند التأمل في الحضور المفاجيء للرئيس الأسد ومشاركة الكويت في شخص ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله الأكثر رفضاً للتطبيع مع الأردن وفي التصريحات التي أدلى بها ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز.

وأوجه الشبه كثيرة، وما أوردناه هو فقط على سبيل المثال لا الحصر لجنازتين كانتا ظاهريتين ولزعيمين شغلا الدنيا العربية... والدولية.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 20 يناير/ كانون الثاني 1999

صراع جامعات على أرض مصر بين فرنسا وأميركا

هنالك صراع من نوع جديد على مصر لا علاقة للقوة والسلاح وللطائرات والدبابات والزوارق الحربية المتقدمة به.

والصراع الذي نشير إليه هو بين الولايات المتحدة وفرنسا. وقد تم قبل بضعة أسابيع وضع اللبنة الأولى لإنشاء "الجامعة الفرنسية في مصر" عندما وقع 150 من رجال الأعمال والمثقفين المصريين وثيقة تأسيس هذه المؤسسة التعليمية التي كان الرئيسان حسني مبارك وجاك شيراك باركا في مايو (أيار) من العام 1998 مشروع إنشائها.

المعلومات الأولية حول هذه الجامعة أفادت أن عدداً من رجال الأعمال المصريين ممن لهم مصالح جارية مع فرنسا وكلاء لشركات فرنسية في مصر تشاوروا في أمر إنشاء الجامعة مع بعض المسؤولين المصريين ممن تخرجوا من جامعات في فرنسا مثل رئيس البرلمان الحالي (مجلس الشعب) الدكتور أحمد فتحي سرور والأمين العام للجامعة العربية الدكتور عصمت عبد المجيد وأنهم أبدوا إستعدادهم لتأمين نفقات بناء الجامعة وتأثيثها وتأمين المختبرات اللازمة لها. ثم خطا هؤلاء خطوة متقدمة عندما وضعوا دراسة مفصلة وبالأرقام لما ستكون عليه الجامعة وللتكلفة اللازمة وهي حوالي ثلاثين مليون دولار أودع هؤلاء في حساب مصرفي ثلاثة ملايين على أن يتم إستكمال تغطية المبلغ.

ما الذي يجعل رجال الأعمال هؤلاء يفكرون بمثل هذه الخطوة ذات الطابع الحضاري؟ هل من أجل تمتين العلاقة والروابط مع فرنسا والشركات الفرنسية التي يمثلونها في مصر، أم من أجل المزيد من الكسب على أساس أن مثل هذه الجامعة ستحقق الربح الوفير لأكثر من سبب بينها أن هنالك حوالي ثلاثة آلاف طالب مصري يتخرجون سنوياً من المدارس المصرية ذات المنهاج الفرنسي وهي مدارس خاصة ولا يجدون الجامعة التي يمكنهم مواصلة تعليمهم فيها فيضطرون إما إلى السفر إلى فرنسا أو إلى بلجيكا وسويسرا وكندا إذا كانت الأحوال ميسورة، وإما إلى البقاء في مصر والتحول إلى جامعات مصرية أو إلى الجامعة الأميركية وبذلك ترتبك دراستهم، فضلاً عن أنهم مع

الوقت ينسون اللغة الفرنسية التي تعلموها في المرحلة الابتدائية ثم المرحلة المتوسطة ثم المرحلة الثانوية. ومن المؤكد أنه عندما تكون هنالك جامعة فرنسية في القاهرة فإن هذا العدد الكبير من الطلبة سينتسب إليها. كما أن الرغبة في الإنتساب إلى الجامعة الفرنسية ستتزايد مع الوقت. وبطبيعة الحال فإن هذا الإقبال سيعقبه إزدهار وبحيث أن الجامعة الفرنسية ستكون إستثماراً مالياً مجزياً، خصوصاً أن هذه الجامعة ستقتصر على تخصصات لا تشمل الآداب والفلسفة وتقصر على الطب والصيدلة والهندسة بأنواعها والكومبيوتر والإدارة والإقتصاد والزراعة والسياحة واللغات الحية والترجمة الفورية، أي بمعنى آخر ستهتم بالتخصصات التي يتطلع إليها كل أب يريد لأبنائه وبناته التخصص الذي يؤمن لهم العمل والكسب على الفور داخل مصر وخارجها.

وما هو لافق للإنتباه أن الحكومة الفرنسية تعاملت منذ أن تبلغت الفكرة بإهتمام كبير. فهي ستزود الجامعة بحوالي نصف أعضاء الهيئة التدريسية، وهي ستتبنها رسمياً بحيث يصدر في مايو (أيار) المقبل مرسوم من الحكومة الفرنسية بإنشائها وبحيث تتمكن هذه الجامعة من بدء التدريس مع حلول العام ألفين.

ويبقى ثمة تساؤل: هل إن الرئيس شيراك هو شخصياً وراء الفكرة وأن السيناريو قضى بأن تزرع الشركات الفرنسية الفكرة في نفوس وكلائها من رجال الأعمال المصريين كي لا يكون هنالك تفسير إستعماري للفكرة بمعنى أن ينبري من يقول إن فرنسا تريد الدخول إلى مصر على جناح جامعة وأن هذا هو إستعمار ثقافي؟

من الجائز إفتراض ذلك، وإفتراض أن الرئيس شيراك عندما دعم بقوة تعيين الدكتور بطرس غالي أميناً عاماً للفرنكوفونية، فإنما كان يتطلع نحو أفق بعيد هو أن يكون الصراع كمرحلة أولى بين الولايات المتحدة وفرنسا على أرض مصر صراع جامعات أي الجامعة الفرنسية التي إستقر الأمر على إنشائها في وجه الجامعة الأميركية التي بدأت تستقطب الميسورين من المصريين، وذلك في إنتظار أن تصبح فرنسا قادرة على خوض صراع السياسات التي تستأثر الولايات المتحدة به ولا تتيح لأي من الدول الكبرى الإقترب من مصر بالذات التي تعتبرها كوكباً يتلأأ في سماء النظام العالمي الجديد.

وتبقى ملاحظة وهي أن الإهتمام اللافت للانتباه من الرئيس شيراك بفكرة إنشاء الجامعة الفرنسية في مصر لا يبدو إفتعلاً لنشر لغة بلاده في بلد كان الإنكليز يستعمرونه، ذلك أن اللغة الفرنسية كانت تُعتبر اللغة الأجنبية الأولى في مصر حتى العام 1912 وأن مدرسة الحقوق الفرنسية في القاهرة إستمرت قائمة من 1878 إلى 1956 وأن هنالك حوالي 40 ألف طالب يدرسون في المدارس الفرنسية الخاصة في مصر، كما أن هنالك رؤية في أوساط بعض المثقفين والمسؤولين ورجال الأعمال ترى أن العلاقة بين مصر وفرنسا عريقة منذ أيام محمد علي وأن ما فعله نابليون وديلسبس (الذي أنشأ قناة السويس) يوجب على المصريين وهم على عتبة دخول قرن جديد إعادة النظر كثيراً في رؤيتهم إلى الماضي وبحيث تتضمن الرؤية شيئاً من الإنصاف.

وقد تكون الجامعة الفرنسية في مصر خطوة على طريق بلورة هذه الرؤية مستقبلاً، أو يكون هدفها إزالة الإنطباع الحذر في نفوس الجيل المصري المخضرم عن فرنسا.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 30 يناير (كانون الثاني) 1999

* * *

ذكريات ملكية كثيرة المرارة

الآن وبينما الملك حسين قام بإعادة ترتيب البيت الهاشمي وإتخذ لهذا الغرض قرارات من النوع الشبيه بالصدمة الكهربائية، تبدو العودة مفيدة إلى سلسلة أحاديث نُشرت في شكل كتاب باللغة الفرنسية أولاً قبل أربع وعشرين سنة، ثم بعد ذلك بالعربية وتحت إسم "مهنتي كملك".

الكتاب عبارة عن أسئلة طرحها فريدون صاحب جم وأجوبة الملك عنها. وعندما أجرى المؤلف اللقاءات مع الملك كان الحسين على أهبة دخول العقد الرابع من العمر أي في عز الشباب لمن هم في سدة الحكم وكان إجتاز سنوات بالغة الصعوبة حافلة بحقول الألغام والمؤامرات والتحديات والقرارات المصيرية. والأهم من هذا كله أنه كان موفور الصحة ولم يقترب منه بعد مرض السرطان الذي هاجمه في الغد للامفاوية بعدما بدأ العقد السادس واضطره للعلاج الكيميائي في "مايو كلينيك" في الولايات المتحدة لمدة

سنة أشهر عاد بعدها إلى الأردن يوم الثلاثاء 19 يناير (كانون الثاني) 1999 ليعيد ترتيب البيت الهاشمي ويختار من سيواصلون بعده خصوصاً أنه عائد لإستكمال العلاج ويريد أن يطمئن إلى وضع المملكة التي كانت في إستمرار عرضة للإعصارات السياسية تتجو منها بخسائر جسيمة في معظم الأحيان.

والغرض من العودة إلى هذا الكتاب هو أن يطّلع القارئ على جوانب من سيرة الملك حسين الذي كان دائماً - ولا يزال - أحد الأرقام الصعبة في المعادلة الراهنة في المنطقة.

كيف يعمل، كيف يتخذ القرار، كيف يواجه النوائب، وكيف وكيف وكيف... الخ.

ومع الأخذ في الإعتبار أن هذه السيرة تتوقف عند العام 1975 إلا أن شخصية الملك لم تتغير كثيراً بعد ذلك وإلى حين إصابته بمرض السرطان بدليل أنه حرص عند عودته إلى عمان من لندن يوم الثلاثاء 19 يناير (كانون الثاني) 1999 أن يقود طائرته بنفسه، وذلك لأنه عودنا على مدى ثلاثة عقود أن يفعل هذا الشيء. وعاد أيضاً يعتمر الكوفية الحمراء التي كثيراً ما كانت تغطي رأسه. أما الحرص الأهم فهو سرعة المبادرة بإتخاذ قرارات إعادة ترتيب البيت الهاشمي وأبرزها إعفاء شقيقه الأمير حسن من منصب ولي العهد الذي شغله منذ العام 1965 وإسناد المنصب إلى الابن الأكبر الأمير عبدالله بن الحسين الذي سنلاحظ من خلال ما سنقرأه في السطور الآتية مدى تعلق الحسين بحده الملك عبدالله وإلى درجة أنه عندما رزق بنجمله البكر من الأميرة منى (البريطانية الأصل) سماه عبدالله تيمناً بإسم الجد وليس "طلال" تيمناً بإسم الوالد.

يقول الملك في أجوبته أنه يستيقظ في السادسة صباحاً ويبدأ في مكتبته في قصر بسمان إستقبال الوزراء والمساعدين وقادة الجيش والسفراء وأنه لا يحدد ساعة معينة لتناول الطعام وأحياناً ينقضي الوقت من دون أن يأكل، ويبقى في مكتبته أحياناً إلى الحادية عشرة ليلاً.

وهو يشعر بالأسف الشديد لأنه لا يجد متسعاً من الوقت لعائلته. ويشير الى حرصه على زيارة معسكرات الجيش والقواعد الجوية وكذلك زيارة العشائر. كذلك يشير إلى أنه كان الوحيد الذي طار الى المغرب ليكون إلى جانب الملك الحسن الثاني يؤازره بعد

مؤامرات الصخيرات التي أعقبها الحديث في الأروقة الدولية عن مستقبل الملكية في المغرب. وهو عند التطرق إلى المؤامرات التي استهدفته يقول إنه لا يخشى إلا الله "لأنني رأيت الموت وجهاً لوجه مرات عدة".

وعند الحديث عن طفولته فإنه يقول إنها كانت بسيطة وسعيدة وأن أسرته كانت فقيرة. ويشير لتأكيد مسألة الفقر إلى أنه بعد سنة من ولادته أنجبت والدته طفلة ماتت بعد شهرين من ولادتها من جرّاء البرد القارس حيث قضى عليها مرض ذات الرئة لأننا كنا لا نملك من الموارد ما يسمح بتدفئة بيتنا الصغير...". ثم يشير في مكان آخر إلى أنه في العام 1950 وعندما كان والده الأمير طلال ولياً للعهد فإنه - أي طلال - كان يتقاضى من الدولة راتباً مقداره ألف دينار وكان الراتب في الأربعينات أقل من ذلك. ويروي كيف أنه وهو طفل زار برفقة والدته ابن عمه فيصل في بغداد وإستهواه من بين ألعاب كثيرة لدى ابن العم دب من المخمل حاول أن يأخذه عند العودة إلى عمان لكن ابن العم لم يتجاوب مع الرغبة وعوضته الوالدة بعد عودتهما إلى عمان دباً مماثلاً إشتريته بعدما باعت آخر حلية لديها. لكن الأمور تغيرت بعد ذلك حيث انه قام في العام 1945 بزيارة ثانية إلى ابن العم فيصل (وكانا بلغا العاشرة من العمر) وأن ابن العم الكثير الثراء بالمقارنة مع أحوال الحسين وعائلته أهدها دراجة هوائية كانت متعته قبل أن تقرر والدته (الملكة زين) بيعها في وقت لاحق بخمسة دنائير بسبب ضائقة مالية اضطرت الوالدة لبيع الكثير من متاع الدارة المتواضعة التي تتألف من خمس غرف وغرفة إستحمام واحدة. ويريد الملك حسين من هذه الواقعة وغيرها القول إن الفقر ليس عيباً وأن العيشة البسيطة علمته أن يقدر قيمة المال.

ويروي وقائع كثيرة عن السنتين اللتين أمضاها في كلية فيكتوريا في الإسكندرية وكيف أن جده (الأمير عبد الله زمذاك) كان هو الذي يدفع أقساط المدرسة لأن الراتب السنوي الذي يحصل عليه والده (ولي العهد الأمير طلال زمذاك) كان بالكاد يكفي للحاجات المعيشية. وفي هذه الكلية التي كانت في الأربعينات مدرسة أثرياء المنطقة العربية إكتسب أنواعاً من الرياضة بينها لعب السيف وهذا أفرح جده.

عندما بلغ السادسة عشرة، وكان ما زال يتابع دراسته في كلية فيكتوريا، إزداد تعلّق جده به يقابل

ذلك تباعداً بين الجد وابنه طلال (والد الحسين) الذي كان معتل الصحة وهذا ما أعاقه بعد ذلك عن الإستمرار في إدارة شؤون المملكة بحكمة.

ونصل إلى يوم الإثنين 16 يوليو (تموز) 1951 وهو يوم عصيب عاشه الحسين حيث إغتيل فيه رئيس وزراء لبنان رياض الصلح على طريق مطار عمان وكان في زيارة رسمية إلى الأردن. وعند الحديث عن الغضب الشديد الذي أصاب الملك عبد الله عندما بلغه النبأ يشير إلى أن جده خاطب مرافقه العسكري الذي كان خصمه لمرافقة رياض الصلح ونجا من الإغتيال قائلاً: "كيف تجرؤ أن تبقى حياً" كذلك يشير إلى أنه ذهب يبحث عن عمه نايف بتكليف من جده ليكون الى جانبه في هذا الظرف العصيب ولكن لم يعثر عليه وأن الجد وضع يده على جبين الحفيد (الحسين) وقال في حشجة مخاطباً الله "هذا اليوم هو أكثر أيام حياتي إيلاماً وشدة. ابن مريض (أي طلال) أحمل عبأه، والآخر (أي نايف) في أوج الأزمة يجد الوسيلة للإختفاء...". وللحديث بقية.

السلالة الهاشمية الثالثة تبدأ فرصتها

بعد حادثة إغتيال الزعيم اللبناني رياض الصلح في عمان إزدادت علاقة الملك عبد الله بحفيده حسين حيث بدأ يشركه في لقاءات ويسأل المدرسين عن دروسه الخاصة ويتناول في معظم الأحيان فطور الصباح معه وكان يتألف من القهوة البدوية المعطرة بقليل من حب الهال أو من الشاي بالنعناع مع الخبز المرقوق بلا زبدة ولا مربى. وكان الحسين يسمع جده يقول أثناء تناول فطور الصباح "إن المرء يعمل بصورة أفضل عندما تكون معدته شبه خاوية...".

وأوكل الجد إلى حفيده مهمة المترجم عندما يزوره أجنب يتكلمون الإنكليزية وذلك لأن الجد كان يفهم الإنكليزية لكنه لم يكن يتكلمها. وعند تناول العشاء مع جده كان الحسين يسمع الكثير من العبارات والنصائح التي أفادته بعد ذلك عندما وجد نفسه ملكاً للبلاد في سن مبكرة.

ويروي واقعة تتعلق بالعطوس الذي كان جده يستنشقه وهي عادة كانت مألوفة في الأربعينات والخمسينات. فقد طلب جده أن يعطيه عليه العطوس. وعندما جاءه بها متفحفاً ولاحظ الجد ذلك فإنه قال

له: عليك بالتجربة. وبدلاً من أن يجرب على نحو طريقة جده في تناول هذا المكيف البريء (غير المخدر) إي إستنشاق ذرات قليلة جداً باستعمال طرفي الإبهام والأصبع التالي من اليد، فإنه استنشاق كل محتويات العلبة وبدأ يعطس لمدة ساعة متواصلة بينما الجد يضحك. ومن بعد هذه التجربة لميستعمل الحسين العطوس على الإطلاق.

يتحدث الحسين بمرارة عن الفاجعة التي أصابته بإغتيال جده الملك عبدالله (وهو في التاسعة والستين من العمر) يوم الجمعة 20 يوليو (تموز) 1951 في المسجد الأقصى أي بعد أربعة أيام من إغتيال رياض الصلح في عمان. ويتذكر كيف أن السفير الأميركي نصح الملك عشية مغادرته عمان إلى القدس (وكان يوم الأربعاء) عن طريق نابلس بعدم السفر لأن هنالك مؤامرة للإعتداء عليه وكيف أصر الجد على الزيارة. كذلك يتذكر كيف أن كثيرين طلب منهم الملك مرافقته إلى القدس إعتذروا وكيف أن كل أصدقاء جده من كبار المسؤولين وأعيان الدولة الذين كانوا معه عمدوا إلى الفرار وهم يخفون وجوههم عند إطلاق النار على بعد مترين على الملك وإصابته في رأسه وإنتشار عمامته على الأرض.

كان الحسين إلى جانب جده عندما جرت عملية الإغتيال. ويتذكر كيف أن القاتل وجه إليه المسدس وأطلق رصاصة ضربت أحد أوسمة بذلته العسكرية ثم إرتدت. ويقول في هذا الصدد أنه سلم من الأذى بفضل جده، الذي كان أصر عليه عند مغادرة عمان إلى القدس أن يرتدي البذلة العسكرية وأنه تردد في إرتدائها لأنه كان أرسلها إلى التنظيف ولا يملك غيرها ثم إستردها إزاء إلحاح الجد على أن يرافقه مرتدياً البذلة العسكرية التي على صدرها بعض الأوسمة. وبعد صدمة الإغتيال تذكر الحسين ما قاله جده قبل ثلاثة أيام وكأنما كان يستشعر الكارثة "أرجو أن تشعر يا ولدي أن عليك في يوم ما أن تتحمل مسؤوليات جسام. وإني لأعتمد عليك أن تصنع المستحيل لكي لا تضيع جهودي سدى. إنني أعتمد عليك في الإستمرار في خدمة شعبي". ووضح أن الملك حسين يفترض من هذه العبارة أن جده أراد القول إنه (أي الحسين) سيكون الملك من بعده وليس الإبن (طلال والد الحسين) الذي كان بدأ يتدأوى في سويسرا.

بعد عودة طلال إلى الأردن ليخلف والده توجه الحسين إلى بريطانيا لمتابعة دراسته في كلية "هارو"

ثم في الأكاديمية الملكية العسكرية في "ساند هيرست". لكن بعدما إزدادت وطأة المرض على الملك طلال عقد مجلسا النواب والأعيان جلسة سرية صباح يوم الحادي عشر من أغسطس/ آب 1952 إستغرقت عشر ساعات وتقرر فيها بالأكثرية وإستناداً إلى الدستور خلع الملك طلال ونقل إمتيازاته الملكية إلى وريثه. وبسبب حادثة الحسين تم تشكيل مجلس وصاية من ثلاثة أشخاص.

كانت الدورة المكثفة ومدتها ستة أشهر التي أمضاها الحسين في أكاديمية ساند هيرست تجربة غير عادية ساهمت في تكوينه الفكري وإعداده الشخصي كرجل، فضلاً عن انه خبر فيها قساوة الحياة العسكرية والحزم الذي تتسم به. وهذا أفاده كثير الافادة عندما تسلم في الثاني من مايو/ أيار 1953 سلطاته الدستورية كملك. وكان في السابعة عشرة من العمر، وصادف أن إبن عمه فيصل الثاني باشر في العراق ولايته الملكية أيضاً.

ومنذ ذلك اليوم والملك حسين الذي عرف عشرات من الحكام في العالم يقود مملكة كانت ولا تزال في قلب العواصف العاتية، وهو عملياً عميد الحكام العرب ويمكن أن يكون عميد المعمرين في الحكم على مستوى العالم إذا أعانه الله في التغلب على مرض السرطان الذي هو أقوى من أي عواصف والذي بسببه عاد إلى المملكة لمجرد أن أنجز المرحلة الأولى من العلاج التي إستمرت ستة أشهر لكي يعيد ترتيب البيت الداخلي ويبقي بالإجراءات التي إتخذها وقضت بفتح باب المسؤولية أمام السلالة الثالثة من الأسرة الهاشمية، المملكة على طريق الصمود... والإستقرار.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 6 فبراير (شباط) 1999

إدانة منهم.. وفيهم

قبل أن يُبرم الرئيس (الراحل) أنور السادات الصلح مع إسرائيل، الذي يا ليت لم يُبرمه ولم يتسبب لمصر وللأمة وللصف العربي ببالغ الأذى، كان أكثر ما يضايق الإسرائيليين منا نحن العرب هو تشبيههم بالنازيين. وكثيراً ما كان المسؤولون والكتاب والمتفقون عموماً في العالم العربي يلصقون صفة النازية بالعدو الإسرائيلي ويفعلون ذلك بعفوية وعن كامل الإقتناع.

ونازية الإسرائيليين تبدأ من إعتبار أنفسهم أنهم غير تقليديين ما داموا "شعب الله المختار". أما ممارساتهم منذ أن إنتشرت عصاباتهم في فلسطين وراحت تمنع تقطيعاً في أوصال وطن ليس لهم فكانت أيضاً نازية. وقد تطورت هذه الممارسات في شكل مخيف إلى درجة أن ما فعلوه في "دير ياسين" في الخمسينات وفي "صبرا وشاتيلا" في الثمانينات وفي "قانا" في التسعينات هو بمثل ما فعلته نازية هتلر بهم مع إختلاف أسلوب الإبادة. بعد الصلح الساداتي مع مناحيم بيغن الذي هو أحد رموز النازية الإسرائيلية بدأ المسؤولون الإسرائيليون يبدون أمام المسؤولين المصريين ضيقهم الشديد من الإتهامات التي لا تزال ترد في وسائل الإعلام المصرية. وكان الرئيس السادات كثير التفهم لمشاعرهم هذه فبدأ يهمس في آذان بعض المسؤولين والإعلاميين متمنياً عليهم إستبدال هذا "الكلام الفارغ" ويقصد به وصف الممارسات الإسرائيلية أحياناً بأنها ممارسات نازية بتعابير "أكثر رصانة". ولأن مساحة المناقشة وحرية الرأي والتعبير في عهده لم تكن رحيمة فقد لقيت ملاحظاته التجاوب بالترجى الى حد أن الكلام الذي إعتبره من نوع "الكلام الفارغ" لم يعد يرد في سطور التعليقات في الصحف والإذاعات، إنما من دون أن يغادر مشاعر الكتاب الذين ضغطوا كثيراً على أعلامهم ووجدانهم مسايرة منهم لمناخ السلام الذي ينتشر كغيمة ثقيلة في سماء مصر. ولمجرد أن قضى الرئيس إغتيالاً وتسلم الحكم نائبه حسني مبارك بدأ هامش الحرية والتعبير يتسع. ويخوض الإعلام المصري حتى الآن وحتى إشعار آخر معارك كلامية ضد إسرائيل ترد فيها وبغفوية أيضاً تعابير تؤكد على "نازية" الحكم الإسرائيلي ولا تستطيع حكومة نتنياهو أن تقبل شيئاً لوقفها نتيجة أن هامش التعبير في مصر يسمح بذلك ولأن الممارسات التي تصدر عن حكومة نتنياهو بالذات تؤكد نازية الإسرائيليين أو جنوحهم نحو النازية.

وما ينطبق على مصر ينطبق على الأردن وعلى السلطة الوطنية الفلسطينية التي يقودها الرئيس ياسر عرفات. وقد ضغط الإسرائيليون كثيراً على الطرفين من أجل حذف كلمة النازية من الإتهامات العربية للممارسات الاسرائيلية لكن الأمر أيضاً لا يبدو ممكناً لأن الممارسات يومية ولأنها نازية بالفعل.

وما يثير الإستغراب هو رد الفعل الاسرائيلي. إذ بينما يُفترض بالحكم الإسرائيلي أن يعيد النظر في ممارساته إذا كان بالفعل ينزعج من إصاق صفة "النازية" به نراه يمعن في نازيته وفي الوقت نفسه يحتج على شركائه في

صفقة السلام الذي لن يكون دائماً إذا هو إستمر منقوصاً وغير عادل، لأن بعض وسائل الإعلام تتهمه بأنه نازي في ممارساته وفي منطقاته.

وإستمر هذا التناقض يحدث وإستمرت أيضاً الإحتجاجات إلى أن أكد لنا الإسرائيليون وبأنفسهم أن الكتابات والتصريحات العربية التي تتهمهم بالنازية هي على حق.

وعندما نقرأ يوم الإثنين الأول من فبراير/ شباط 1999 وسط حمى الصراع في معركة الإنتخابات الإسرائيلية الإتهامات التي يتبادلها القطبان الأساسيان في المعركة نجد أننا لم نعلم الإسرائيليون ولكن أنفسهم بظلمون. ونجد أن رأيهم في حق بعضهم هو مثل رأينا فيهم. فهذا أحد مرشحي "حزب العمل" أبراهام بورغ إستفزه شعار حملة نتينياهو الذي أطلقه تكتل "ليكود" وهو "نتينياهو زعيم قوي لشعب قوي" فقال إن الشعار "يأتي في إطار مفاهيم الراج الثالث قبل خمسين أو ستين سنة". وهذا نائب آخر من "حزب العمل" هو شلومو بن عامي يقول إن الشعار "يستدعي إلى الأذهان الأنظمة الدكتاتورية ويعيد شبح الفاشية". وهذا مؤرخ معروف هو مايكل هارسييفور يقول "إن الشعار يذكرنا بأمر من الأفضل نسيانها".

وفي المقابل فإن نتينياهو يرد على ذلك بالأسلوب نفسه قائلاً إن زعيم "حزب العمل" إيهود باراك يقول "إنه الزعيم الواحد للشعب الواحد. وأستطيع أن أقول إن هتلر قال: شعب واحد وزعيم واحد، وبهذا يكون باراك متورطاً بالمثل في الدعاية الهتلرية...".

وخلاصة القول إن قطبي الحكم في إسرائيل (الليكود وحزب العمل) يتبادلان الإدانة ويقران بالنازية. وإزاء ذلك فإننا كعرب كنا وما زلنا أصحاب رؤية كثيرة الوضوح. وكخطوة لا بد منها علينا أن نتمسك بإتهامنا إسرائيل بالنازية وأن نستعمل معها عندما يحين الأوان سلاح المطالبة بالتعويضات وهو السلاح الذي تستعمله ضد ألمانيا وجني من ورائه إبتزازاً المليارات.

وبالنسبة إلى الألمان فإنه قد يأتي وقت يتساءل فيه هؤلاء: ولماذا يجب أن نعوض الإسرائيليين ما داموا نازيين عن جرائم إقترفها نازيون؟ ولو حدث وأطلقوا هذه التساؤلات فإن مثل هذا المنطق سيكون مقبولاً ومقنعاً.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 13 فبراير (شباط) 1999

* * *

بطل مصري في غير زمانه

من سوء حظ الأسير المصري محمود السواركة الذي أفرجت عنه السلطات الإسرائيلية يوم الأربعاء العاشر من فبراير/ شباط 1999 بعد اعتقال دام 22 عاماً أن زمن الإنبهار بالنضال والتضحيات توارى، بدليل أن وسائل الإعلام المصرية لم تُعْطِه حقه من الإهتمام والتكريم، مع أن الرجل على حد القليل من الكثير الذي رواه عن تاريخه النضالي وعن سنوات الاعتقال يشكّل مادة حية لمن يريد الإهتمام بهذا المواطن الذي يملك كل مقومات البطولة.

ونتذكر كيف أن الإعلام المصري كان في الستينات يغتنم فرصة حالة متميزة من حالات البطولة والفداء والتضحية لجعل منها أسطورة. وعلى سبيل المثال لا الحصر هنالك حالة الجزائرية جميلة بوحيرد التي لم يبلغ مستوى النضال والتضحية عندها المستوى الذي سجّله محمود السواركة. ومع ذلك فإن التركيز الإعلامي المصري على جميلة بوحيرد صنع منها أسطورة فبات إسمها على كل لسان وأصبحت رمزاً للنضال الأنثوي كما أنه أعطى الثورة الجزائرية زخماً كانت في أشد الحاجة إليه.

وإذا كان الإعلام المصري ومعه الإعلام العربي لم يعط محمود السواركة حقه فإن الذين يتعاطون صناعة السينما والأعمال التلفزيونية المسلسلة مطالبون بتحويل قصة هذا المواطن إلى عمل سينمائي أو تلفزيوني خصوصاً أن من سيكتب القصة والسيناريو لن يشقى في البحث عن مفاصل الإثارة والتشويق وأنه يكفي أن ينقل على الورق ثم على الشاشة ما يقوله الرجل بدءاً من لحظة اعتقاله وإلى حين الإفراج عنه.

ونقول ذلك مع الأخذ في الاعتبار أنه لو كان الذي جرى للمواطن المصري محمود السواركة جرى لإسرائيلي لكانت الآلة الإعلامية والدعائية الإسرائيلية حوّلتها إلى بطل.

ولكننا هنا نطلب الحد الأدنى مما يمكن ومما يجب أن يحدث.

وأهمية قصة محمود السواركة هي في صموده وفي كشفه عن وسائل التعذيب الإسرائيلية. ومن هذه الوسائل وُضِعَ الأسير العربي في غرفة مثلجة يلي ذلك وُضِعَ في مياه ساخنة ثم إجباره على الجلوس على مقعد خشبي به مسامير مقلوبة تخترق الجسد يلي ذلك قيام جنود إسرائيليين بالسير بأحديتهم فوق

الأسير. وهذا فقط من أجل الإعتراف بما إذا كان ينتسب إلى منظمة ومن هم أعضاء هذه المنظمة. ومحمود السواركة الذي جرى اعتقاله في العريش كان ينتمي إلى منظمة سيناء العربية التي تشكلت بعد هزيمة 5 يونيو 1967 وكان السفير المصري الحالي في إسرائيل محمد بسيوني هو المسؤول عن تدريبه من قبل في كتائب الحرس الوطني عام 1961.

ولا يقتصر التعذيب على ذلك وإنما جري للمعتقل عمليات جراحية لا يكون في حاجة لها. وبالنسبة إلى محمود السواركة فإن الإسرائيليين وضعوه في زنزانة طولها متر ونصف المتر وعرضها 70 سنتمتر لمدة 8 سنوات ومُمتلئة بالحشرات، ثم أجروا له بعد صدور الأحكام بسجنه 7 عمليات جراحية تسبب إجرائها في تدهور حالته الصحية وهذا ما كان الإسرائيليون يريدونه. وإلى ذلك يروي كيف أن جنراً إسرائيلياً بترت ساقه نتيجة إحدى عمليات التفجير التي استهدفت حافلات إسرائيلية عسكرية ونفذها السواركة ورفاق له في منظمة سيناء العربية، "زار السجن بعدما علم بوجودي فيه وطلب السماح له بتفسير عظامي".

وعلى رغم كل هذا التعذيب لا يفقد محمود السواركة عنفوانه الوطني ويرفض إقتراحاً بالإفراج عنه مقابل الإفراج عن الجاسوس الإسرائيلي عزام عزام الذي هو قيد الاعتقال في مصر ويرفض الرئيس حسني مبارك التجاوب مع النداءات الإسرائيلية والأميركية للإفراج عنه.

ويبقى جانب الوفاء من قصة محمود السواركة ويتعلق بزوجه التي رفضت إقتراحه لها بالطلاق وكيف أنها أمضت 22 سنة تنتظره وتتعهد خلالها بتربية إبنتهما، مع الإشارة إلى أن اعتقال الرجل تم بعد 17 يوماً من زفافه.

كذلك يبقى إصرار الرجل على أن يكرر ما فعله لو عاد العمر به 22 سنة إلى الوراء.

ولا يملك المرء إلا أن يشيد بمثل هذه النخوة الوطنية آملين أن يُعْطَى الرجل حقه من التكريم خصوصاً أننا في زمن تحتاج فيه الأجيال العربية إلى إستحضار بطولات ووقفات لأبناء بررة بأمّتهم. ولعل وعسى يجسد لنا أهل الإنتاج السينمائي والتلفزيوني المصري قصة محمود السواركة فيفيدون... ويستفيدون.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 27 فبراير (شباط) 1999



لكي يذاع صيتها كمحامية الأكثر شهرة في الدفاع عن الأزواج المشاهير الذين يقعون ضحية نزوات ويحتاجون إلى المحامي الشاطر الذي ينفذ سمعتهم أو على الأقل لا يهز وضع أعمالهم وزيجاتهم ومناصبهم. وقد يجوز القول إن الحيرة إنحسرت نسبياً بعدما تردد بأن هيلاري كلينتون قررت ترشيح نفسها لعضوية مجلس الشيوخ عن نيويورك لتخلف السيناتور باتريك مونيهان الذي بات على أهبة التقاعد، وأنها لن تتراجع عن خوض المعركة على رغم تمنيات زوجها الرئيس بأن تتريث.

واختيار نيويورك بالذات لكي تُرشح نفسها له معناه، لأن نيويورك هي القلعة اليهودية والتي تضم أكبر تجمع يهودي في العالم بعد إسرائيل. وهي سبق أن أعلنت بشيء من الوضوح خلال مؤتمر خارج الولايات المتحدة أنها تؤيد قيام دولة فلسطينية. وعندما تفوز بالمقعد وتقطع الطريق على عودة السناتور السابق (الجمهوري) الفونس داماتو الذي كان يشغل المقعد قبل السناتور الحالي باتريك مونيهان (الديموقراطي) فإنها تكون ثأرت مرتين بدل المرة الواحدة. ثأرت من مونیکا الفتاة اليهودية التي إصطادت زوجها وحطمت لها كبرياءها كإمرأة متزوجة. والثأر هنا بمعنى أن هيلاري إنتهت صعوداً على طريق القمة وفي عقر اليهود وأن مونیکا إنتهت إنحداراً. وثأرت من الجمهوريين بقطعها الطريق على إمكان عودة داماتو الجمهوري والذي قاد حملة إخضاع كلينتون وهيلاري وقدم لإسرائيل في سبيل عودته من الخدمات ما يفوق التصور.

لكن الثأر الأكبر سيكون من زوجها الرئيس الحالي ذلك أن كلينتون بعد أن يترك الرئاسة سينزوي وسيكون ذلك مؤلماً له لأنه ما زال في سن مبكرة، في حين أنها بفوزها بالمقعد ستصبح عضواً بالغ الأهمية في مجلس الشيوخ وستعرف عندئذ كيف تتأثر يميناً وشمالاً، فضلاً عن أن هذه العضوية ونتيجة الخدمة التي أدتها للحزب الديموقراطي الذي حقق في إنتخابات أخيرة نتائج طيبة على الحزب الجمهوري على رغم فضيحة التحرش الجنسي ومضاعفاتها، ستمهد الطريق لنفسها أمام عودة بالتدرج وكثيرة التآني إلى البيت الأبيض، وبحيث تكون في المستقبل غير البعيد أول إمرأة تصبح رئيساً للجمهورية. وهذا وارد ما دامت باتت في نظر أكثرية بني قومها من الرجال

أفرزت فضيحة التحرش الجنسي التي يتقاسم بطولتها رئيس الولايات المتحدة الدولة التي تتزعم النظام العالمي الجديد بيل كلينتون والفتاة اليهودية اللعوب مونیکا لوينسكي تقليداً جديداً على الحياة الإجتماعية الأميركية، وخلصته إن الزوج يمكن أن يخون العشرة على نحو التعبير الشعبي المألوف ويتحرش بنساء غير زوجته ويمارس معهن الجنس بطريقة أو أخرى وأن زوجته تتقبل هذه الخيانة وتعتبرها مجرد نزوة وتدافع عن زوجها، وهو تصرف غير مألوف ويبدو مثيراً للدهشة وسط الحالات التي تنتهي إلى الهجران في الحد الأدنى والطلاق في الحد الأقصى نتيجة حدوث مثل هذه الخيانة. وكان تصرف هيلاري كلينتون يبعث على الدهشة منذ اللحظة التي كشفت فيها الفضيحة وبدأت الألسن تلوك سمعة سيد البيت الأبيض وينعكس ذلك على سمعة زوجته. فهي لم تكتف بأنها تماكنت أعصابها وإنما دافعت عن زوجها وقادت حملة شرسة ضد خصومه بينما كرامتها تنزف كجرح ناشئ عن نصل سكين حادة، ولم تسجل لحظة واحدة على الأقل أمام الناس أنها إمرأة عادية تهمها كرامتها في الدرجة الأولى. كما أنها وببرودة أعصاب نادرة ظهرت في الحفلات وتبادلت الأنخاب مع زوجها ومع حكام وزوجاتهم زاروا الولايات المتحدة أو زارتهم مع زوجها الرئيس وكما لو أن شيئاً لم يحدث. وبلغ بها كتم الغيظ إنها إحتقلت بعيد الحب يوم 14 فبراير/ شباط وكأنما هي عروس جديدة، وأمطرت رجال الصحافة والتلفزيون وهي داخل الطائرة الرئاسية في رحلة مع زوجها للقيام بزيارة رسمية بإبتسامات مثل إبتسامة "الموناليزا" تلك اللوحة الشهيرة التي يختار المرء في تفسير معناها وهل هي إبتسامة السعادة أو إبتسامة الرضى أو هي فقط إبتسامة المرأة الغارقة في بحر الشّماتة بها التي تكاد الإهانة تكتّم أفاسها ولكنها مع ذلك تتصرف على النحو الذي يلخصه قول الشاعر العربي "... كالطير يضحك مذنباً من الألم".

كذلك يختار المرء في تحديد الغرض الذي يجعل هيلاري تتصرف إزاء فضيحة التحرش الجنسي التي يتقاسم بطولتها زوجها والفتاة اليهودية مونیکا وكما لو أنها محامية - وهي محامية بالفعل - تدافع عن متهم لا أكثر ولا أقل ويههما أن تكسب الدعوى المقامة عليه

والنساء رمزاً للمرأة القادرة على أن ترتضي الإهانة من أجل ألا يهتز الوضع الإقتصادي في البلاد نتيجة إقالة زوجها الرئيس وقيل إنتهاء ولايته من منصبه.

وأي إهتزاز للوضع الإقتصادي هو جريمة لا تُغتفر في نظر أبناء وبنات العم سام، في حين أن رئيس البلاد يمارس الرذيلة داخل البيت الأبيض ويكذب وترتضي زوجته الإهانة ولا تتصرف كأبي امرأة عادية خانها زوجها... إنما هي مسألة فيها نظر.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 6 مارس (آذار) 1999

كنيسة... وتنتصر للشذوذ

يقام سنوياً في لندن إحتفال للشاذين من الجنسين يثير التقزز. ويتم هذا الإحتفال في وضّح النهار حيث تمتلئ الطرق الحيطّة بـ «هايد بارك»، الحديقة المترامية الاطراف في وسط لندن، بالشاذين الذين يتقاطرون من مناطق كثيرة. وسنة بعد سنة تتزايد أعداد هؤلاء من الجنسين، الأمر الذي يعني "إنه قد يأتي يوم على بريطانيا، ونتيجة تشجيع الدولة والكنيسة لظاهرة الشذوذ، يصبح فيه الشاذ هو من ليس شاذاً جنسياً.

وفي كرنفال الشاذين تراهم يخرجون من محطات قطارات الأنفاق متعانقين مبهجين. شاب يطوق خصر آخر. وفتاة ترافق فتاة أحلامها. وعلى الأرصفة يجلس هؤلاء متحابين متجاورين متلاصقين. كما أن المطربين والموسيقيين منهم يقمّون عروضاً غنائية وموسيقية فوق شاحنات مكشوفة ومزركشة. وفي هذا الكرنفال يلتقي وجهاء القوم مع الناس العاديين، وتزول المشاعر الطبقيّة بين من هم في القمة ومن هم في القاع ما دام الشذوذ هو الجامع المشترك بين هؤلاء. وتحدث في هذا الكرنفال ثم بعد إنتهائه من الموبقات، ما يجعل المرء يتساءل: هل هذا هو المجتمع الذي يتغنى بركيه الآخرون؟

وقبل الكرنفال الشاذ وبعده تنشر الصحف بين الحين والآخر، الأخبار التي تثير الدهشة عن وزراء شاذين يصطادون الشباب ليلاً في الحداثق العامة، وعن نجوم يقررون الإعترااف بأنهم شاذون بعدما كانوا

في نظر المعجبات بهم فحولاً يحملن بهم ويعلقن صورهم على أبواب خزائن غرف النوم. ولا يقتصر الأمر على ذلك وإنما يفاجيء أحد النجوم الساطعة في مجال الغناء الحالمات به بأنه شاذ وأنه قرر أن يكون أماً لطفل... كيف؟

كذلك لا تقتصر المفاجآت هذه على الرجال وإنما هنالك النساء اللواتي لهن مفاجآتهن المقرزة أيضاً.

والمثير للدهشة أن الكنيسة الإنجليزية التي هي في النهاية المرجع الذي في إستطاعته تقويم هذا السلوك البشع تقف في اللحظة الحاسمة في صف الشاذين بدل أن تكون في مواجهتهم. وهذا ما يلاحظه المرء عند التأمل في الواقعة التي تتلخص في أن «راديو 4» الذي يبث من خلال هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) وله جمهور واسع من المستمعين، أدار حواراً مع كاتبة مسيحية تدعى آن اتكنز، وهي زوجة قسيس في كنيسة في لندن، إنتقدت فيه مساندة الكنيسة الإنجليزية (البروتستانت) للإحتفال الذي سيقام في إحدى كنائس العاصمة خلال شهر أبريل (نيسان) 1999. ومناسبة هذا الإحتفال هي مرور عشرين عاماً على الإحتفال بالشذوذ الجنسي في أوساط الرجال. وقالت الكاتبة في معرض الإنتقاد، إن تدهور الأخلاقيات العامة وعدم إستعداد الكنيسة الانجليزية للدفاع عن معتقداتها هو الذي دفعها لتوجيه إنتقاداتها تلك، مضيفة القول: «بعد هذا يمكن أن نرى تجمعاً للزناة المسيحيين وتجمعاً آخر لممارسي الجنس قبل الزواج المسيحيين...».

وأنتهت الحوار بدعوة الكنيسة الإنجليزية إلى «العودة الى معايير أخلاقيات الرب وإدانة خطيئة ممارسة الشذوذ». وبمجرد أن بث الراديو الحوار حتى بدأت ماكينة الإتصالات من جانب الشاذين تعمل وتضغط إلى درجة أن رابطة الشواذ من الذكور والإناث إعتبرت الكلام العاقل والأخلاقي الذي قالته زوجة القسيس في الحوار بأنه هجومي. ونلاحظ هنا تعاطف النساء الشاذات مع الرجال الشاذين مع أن الإحتفال هو بمرور عشرين عاماً على الإحتفال بالشذوذ الجنسي في أوساط الرجال.

ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما وصل إلى حد أن الكنيسة البروتستانتية (الإنجليزية) نفسها أصدرت بياناً قوياً طالبت فيه هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) بالإعتذار لبثها الحوار المشار إليه.

ما نتمناه في ضوء ذلك على البروتستانت العرب وهم من خيرة القوم في لبنان وفلسطين أن ينتقدوا هذا

الموقف للكنيسة الإنجليزية التي زار رئيسها لبنان قبل أسابيع. ونقول ذلك خشية أن تتفاقم الأمور ونصل إلى وقت تطلب فيه الكنيسة الأم من بقية الكنائس البروتستانتية من لبنان إلى الولايات المتحدة أن تنتصر للشاذين جنسياً مع أن المطلوب وقفة حازمة معهم... لعل الله يهديهم. وما دامت هذه الكنيسة فعلت ذلك مع الإذاعة وطلبت منها الاعتذار لكي ترضي حركة الشواذ فإنها قد تطلب ما يخشى المرء حدوثه. ... ويا لهذا الزمن الكثير الرداءة.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 3 أبريل (نيسان) 1999

* * *

فحوصات إختبارية

لحكام القرن الواحد والعشرين

هل نصل إلى وقت نسمع فيه أنه مثلما هنالك ضرورة لإخضاع من يريد الزواج إلى فحوصات مخبرية للتأكد من أنه خال من أمراض يمكن أن تدمر الحياة الزوجية، ومن أنه غير مصاب بالإيدز أو مرض جنسي ولا يشكو من العقم.. ستكون هنالك ضرورة مماثلة تحتّم على الدول المحكومة بمؤسسات عربية أن تخضع من سيتولون مقاليد السلطة سواء كانوا في القمة أو وزراء وقادة عسكريين ومديرين إلى فحوصات إختبارية قبل أن يتم إسناد المنصب إلى الواحد منهم.

ونحن نقول ذلك في ضوء ما فعله الرئيس بيل كلينتون وكيف أنه بسبب هوس التحرش الجنسي والذي وصل إلى حد أن مكتب الرئيس في البيت الأبيض تحوّل إلى عش للغرام ومسرح للزنى، وفي ضوء ما نُشر حول فابريزيو روندولينو مساعد رئيس الوزراء الإيطالي ماسيمو دالما لشؤون العلاقات العامة من أنه هاو كبير للصور الخلاعية وأنه يتعب هو وزوجته للحصول على مجلات خلاعية لا تصل إلى إيطاليا. ثم إن الهوس لدى الإثنين روندولينو وزوجته الصحافية سيمونا هيركولاني وصل إلى حد أنهما لم يرتويا من مجلات الخلاعة الإيطالية ثم من المجلات التي كانا يشقيان للحصول عليها من خارج إيطاليا، مع أن المجلات الإيطالية متقدمة على غيرها في هذا المجال، فراحا يبحثان في الإنترنت عما يروق

لهما. كما أنهما كانا في كل مرة يسمعان فيها عن صدور مجلة خلاعية جديدة يسرعان إلى أن يكونا أول المشتركين فيها كي لا يفوتهما عدد وتكون الخسارة كبيرة.

كما إننا نقول ذلك في ضوء ما حدّث لوزراء ومديرين وشخصيات تساهم بفعالية في صنع القرار الدولي السياسي والاقتصادي والعسكري. والأمثلة أكثر من أن تُحصى حول الموبقات الخجلة التي يمارسها هؤلاء تجدهم نهائراً في الوزارات والإدارات يتخذون منها القرارات التي تخص الرأي العام.

وقد يقال إن هؤلاء الذين نستنكر أفعالهم بشر وأنه مثلاً هنالك الصالح بينهم هنالك الشاذ وأن المسألة في النهاية تخص الشخص، والرد على ذلك هو أن المسألة تكون تخص الشخص بالفعل إذا كان لا يشغل منصباً يكون فيه مسؤولاً عن مجتمع بكامله، لأنه عندما يشغل هذه المسؤولية ويسلك المسلك غير السوي الذي تنتج عنه أخطاء وخطايا فإن المجتمع بكامله هو الذي يتأذى.

ولا نظن أن ما فعله الرئيس كلينتون لم يتسبب بالأذى لشرائح كثيرة من العائلات الأميركية تتمسك بالقيم. كذلك تسبب بالأذى ولا بد هوس مساعد رئيس الوزراء الإيطالي الذي أوردنا ما فعله، ونزق وزراء كثيرين في بريطانيا كان بريق المنصب الذي يشغلونه يطغى على حقيقة النزوات في أفعالهم والانحرافات في شخصياتهم. وليس بالضرورة أن يظهر الأذى مباشرة لأنه ليس نتيجة تركيب كيميائي يتم في مختبر وإنما هو تفاعل اجتماعي تظهر مضاعفاته على الأمد البعيد. وليس مبالغة القول إن ابنة الرئيس كلينتون الوحيدة تدفع ثمن فضائح والدها وأنها ستدفع المزيد بعد أن يصبح خارج الحكم وذلك لأن رئاسته للدولة الأعظم في العالم تقلل بعض الشيء من التركيز على الضرر الذي لحق بهذه الابنة. كذلك ليس مبالغة القول إن أذى فادحاً وشعوراً مريعاً بالخجل لحق بأبناء وبنات وأقارب بعض الوزراء في بريطانيا الذين أشهروا شذوذهم نتيجة فضائح مخجلة، وبأفراد عائلة مساعد رئيس الوزراء الإيطالي الذي أشهرت زوجته هوسه بمجلات الخلاعة ومشاركتها لهذا الانحراف مع زوجها الذي يشغل موقعاً متقدماً في المسؤولية. ونحن هنا نسرد أمثلة قليلة على حالات كثيرة تضج بها المجتمعات التي تتميز بمؤسسات الحكم العريقة. ومن حقنا كعرب وصلت بنا الحال إلى أن بعض صانعي

القرار المنحرفين والشاذين والمهووسين في الدول الكبرى لهم تأثيرهم المباشر أو غير المباشر على مصالحنا وقراراتنا وخططنا... من حقنا أن نُكثر من التنبه خشية أن ينتهي الأمر بنا ضحية هؤلاء وأمزجتهم المنحرفة وهوسهم الجنسي الشاذ وغير الشاذ. وعودة الى ما بدأنا به هذا الكلام لنقول، إن الفحوصات الإختبارية التي قد تصبح ذات يوم في القرن الواحد والعشرين أمراً لا بد منه والتي سيخضع لها من سيتولون مقاليد السلطة سواء كانوا في القمة أو وزراء وقادة عسكريين ومديرين، ستشمل في ضوء حالات كثيرة حدثت في القرن العشرين الذي يقترب من الغروب ما يأتي: أن يكون المرشح للمنصب يخاف الله ومتديناً إنما من دون تعصب. أن يكون غير متورط مع أي مافيا. أن يكون غير مستعد لبيع بلده. أن يكون متمسكاً بالإبقاء على ضميره ووجدانه حيئذ. أن تكون لديه مناعة ضد إغراء المال. أن يكون غير عنصري قبل المنصب. أن يكون غير مستعد للتفريط بالوطن وتوقيع إتفاقيات مذلة ومهينة مثل إتفاقية كامب ديفيد وإتفاق أوسلو وإتفاق 17 أيار في لبنان. أن يحترم العائلة ويقدر الحياة الزوجية فلا يخدع الأولى ويستتهر بالثانية على نحو ما فعل الرئيس كلينتون. أن يحترم المقر الرسمي فلا يحول أحد مكاتبه إلى عش للغرام على نحو ما فعل أيضاً الرئيس كلينتون. أن لا يقرب المخدرات ولا يشجعها. أن يكون غير شاذ على نحو ما صدر عن بعض وزراء بريطانيا وغير مهووس بمجلات الخلاعة على نحو ما فضحته زوجة مساعد رئيس وزراء إيطاليا التي تباغت، ربما زيادة في الهوس، بأن زوجها مهووس بمجلات الخلاعة. أن لا يكون قتل أو تسبب في قتل أحد أو سرق أموال الدولة قبل تسلّمه احد المناصب. وتلك في أي حال ليست كل الأمور التي يجب إخضاعها للفحوصات الإختبارية ولكنها الأمور المهمة... خصوصاً بعدما تبين في ضوء ممارسات حكام ووزراء أبرزهم الرئيس كلينتون أن أداء القَسَم لا يكفي وأنه من الشكليات عند بعضهم لأن كثيرين منهم فعلوا تماماً عكس ما ينص عليه اليمين... وتفرضه الأديان السماوية.

مجلة "المجلة". لندن - السبت 10 أبريل (نيسان) 1999

* * *

المقالات من 6 يناير 2002 إلى 6 سبتمبر 2003

لما شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة
لما شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة
لما شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة
لما شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق شهداء اليمن في العراق	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة	أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة أوراق من مظاهرة

الفساد مذكر

والتنبيه مؤنث ... في أميركا

بات لتقليد "شخصية العام" في مجلة "تايم" الأميركية أهمية ملحوظة ذلك أن من تختاره غلافاً لعددها الأخير من السنة ليكون هذه الشخصية يكتسب أهمية مضافة لدى الرأي العام الأميركي. كما أن من يكون "شخصية العام" هو مثل من يفوز بـ "أوسكار" هوليوود أو إحدى الجوائز التي باتت لها شهرة دولية. وجرت العادة ألا يكون الاختيار عشوائياً وإلا فقد التقليد أهميته. ومن أجل ذلك يتم عرض إنجازات هذا الشخص طوال العام ومقارنتها بإنجازات شخصيات أخرى ثم يتم التحديد ويجري البحث بدقة عن صور "شخصية العام" لكي توضع الأفضل بينها على الغلاف. شخصية عام 2002 التي إختارتها "تايم" كانت لافقة للإنتباه وكان الاختيار بمثابة أمثلة في الوقت نفسه سجلتها أميركا الأنثوية ضد أميركا الذكورية، أو فلنقل إن المرأة الأميركية أثبتت في العام الذي نشير إليه (عام 2002) أنها كانت المنبّهة والمصلحة وأن الرجل الأميركي كان الغشاش والمفسد. ولكي لا يبدو الأمر بمثابة تعميم فإننا نقول إن المسألة كانت في إطار عالم "البنس" وعالم "الأمن الداخلي" وهما عالمان لـ "المافيات" حضور فاعل فيهما. كانت "تايم" في صدد إختيار الرئيس جورج بوش الابن ليكون "شخصية" العام على أساس أنه قاد الحزب الجمهوري إلى فوز مهم في إنتخابات التجديد النصفي للكونجرس في نوفمبر الماضي (2001) ثم تراجعت الفكرة بمقتضى الحيشيات التي تتلخص في أن بعض أهداف بوش لم تتحقق وأهمها ثلاثة: الإخفاق في القبض على أسامة بن لادن. عدم إسقاط الرئيس صدام حسين. عدم إنعاش الإقتصاد الراكد. وخطر في بال المحكّمين إسم نيك تشيني نائب الرئيس على أساس أنه العقل المدبر لكل ما تمارسه الإدارة الأميركية من مغامرات بإتجاه الحرب على العراق، لكن هذا الخاطر تراجع بسرعة. ثم كان الإختيار لثلاث نساء تصدرن الغلاف وتقاسمن شخصية العام وهن: الأولى شيرون واتكينز وهي محاسبة كتبت مذكرة لم يتم الأخذ بها تحذر من سقوط شركة "إنرون" في سلسلة من الفضائح المحاسبية. وقد حدث ذلك بالفعل. والثانية هي سينتيا

كوبر التي قامت منفردة بحملة داخل شركة "ورلد كوم" للكشف عن مخالفات محاسبية للتغطية على خسائر بلغت 3,8 مليارات دولار. والثالثة هي كولن رولي من مكتب التحقيقات الإتحادي التي رفعت إلى مدير المكتب مذكرة من 13 صفحة قبل أسابيع من العملية الترويجية يوم 11 سبتمبر 2001 في كل من نيويورك وواشنطن توصي فيها بالتحري عن زكريا موسوي الذي يسمى "الخاطف العشرين" في تلك العملية. من الطبيعي في ضوء الإختيار الذي نكتب عنه، أن تتباهى المرأة الأميركية بدورها كرائدة للإصلاح والتصحيح والتنبيه في المجتمع الأميركي الذي تتأكل فيه القيم دون أن تنتبه لذلك الإدارة الذكورية التي لا يعينها سوى العدوان على العراق وتمكين شارون من الفلسطينيين... وإزعاج الأصدقاء التاريخيين للولايات المتحدة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 6 يناير (كانون الثاني) 2002

* * *

"مكرمة" بوش الابن لـ "بدون أميركا"

قبل أن يكشف مسؤول عسكري أميركي يوم الخميس الرابع من يوليو/ تموز 2002 الذي هو يوم ذكرى الإستقلال الأميركي عن أن الرئيس جورج بوش الابن سيعلم سياسة تسمح للذين يشاركون في "الخدمة العسكرية الناشطة في مكافحة الإرهاب" من غير المواطنين الأميركيين بالتقدم فوراً للحصول على الجنسية الأميركية، لم تكن على معرفة بأن هناك نحو 143 ألف شخص لا يحملون الجنسية خدموا في الجيش الأميركي في الحربين العالمية الأولى والثانية وأصبحوا مواطنين أمريكيين كما حدث مع 31 ألفاً خدموا في الحرب الكورية وآلاف آخرين في حرب فيتنام وحرب الخليج عندما أشعل الرئيس صدام حسين البيت ناراً ولحق به جورج بوش الأب الذي زاد النار أواراً.

ولقد إختار الرئيس بوش الثاني مناسبة عيد الإستقلال للإقدام على "المكرمة" التي لم يقدم عليها بوش الأول ربما لأنه لم يستعن بالمستشارين النين بمطرونة بالأفكار التجميلية للأفعال المستهجنة عموماً على نحو ما فعله مستشارو ابنه الذي قيل له إن في القانون الأميركي مادة تجيز لرئيس البلاد منح الجنسية

سينفذها الإرهابيون، والتناقضات في الروايات عن "البطل" الأسطوري أسامة بن لادن تبثها الفضائيات الأميركية وتنسج وسائل الإعلام الأميركية أيضاً حولها قصصاً أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع.. في ضوء "المكرمة" المشار إليها وبقيّة ما أوردناه لا ندري ما إذا كان المتلفهون من العالم الثالث إلى الجنسية الأميركية سيسارعون إلى التطوع في "فيلق محاربة الإرهاب"، أم إنهم سيرتضون الشقاء في بلادهم على طلب الأمان في النعيم الأميركي.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 20 يوليو (تموز) 2002

* * *

المشير المصري و"المشير الفلسطيني"

ما فعله الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مع صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر في أعقاب هزيمة الخامس من يونيو 1967 فعله الرئيس ياسر عرفات مع "المشير الفلسطيني" العقيد جبريل الرجوب رئيس جهاز الأمن الوقائي في الضفة الغربية في أعقاب الهزائم التي أصابت السلطة الوطنية الفلسطينية.

شعر عبد الناصر في أعقاب تلك الهزيمة أنه بات مرفوضاً من الناس ولذا فإنه إختار الوقفة الكريمة وهي الاعتذار من الجماهير التي أحبته وأوكلت إليه أمر قيادتها على نحو ما يرى. والإعتذار الذي نعنيه يتمثل في قرار التتحي وتسليم المقاليد إلى غيره.

لكن عبد الناصر أعاد النظر وعاد عن قرار التتحي لمجرد أن حاز على الموافقة الشعبية بأن يستمر على قمة الحكم من خلال تظاهرات شعبية عفوية ترفض تنحيه على نحو ما أعلن في بيانه الشهير إلى الأمة يوم 9 يونيو 1967. كما أنه وجد نفسه في ضوء المبايعة الشعبية الجديدة الغافرة له، أكثر استعداداً لمحاسبة المسؤولين وفي مقدمتهم المشير عبد الحكيم عامر. ومن أجل ذلك جمع أقطاب الحكم الناصري وطلب من صديق العمر أمامهم أن يستقيل. لكن الصديق إفترض أن العيش والملح والعشرة الطويلة مع عبد الناصر والشأن الذي له في أوساط كبار ضباط الجيش المصري، تجيز له أن يرفض الطلب ويصل به الإعتداد بالنفس إلى درجة المطالبة بإستقالة عبدالناصر إلى جانب إستقالته وفي وقت واحد.

للذين يحملون إقامة دائمة مشروعة من غير الأميركيين بأن يخدموا في الجيش الأميركي وأن هناك تقليداً يقضي بمنح هؤلاء الجنود الجنسية على وجه السرعة. وقد إنبهر الرئيس بوش الإبن بالملاحظة، لكن كان لا بد من سد ثغرة تتعلق بالحيثيات وبحيث يتم إدماج كلمة "الإرهاب" بهذه الحيثيات وإلا فلا موجب لـ "المكرمة" فضلاً عن أنها ستبدو بمثابة فعل رشوة مسبقة لإغراء مزيد من التواقين إلى الحصول على الجنسية وليست مكافأة متأخرة. وجاءت الحيثية على النحو الآتي: "إن الخدمة في جيش الولايات المتحدة وخصوصاً في أوقات الصراعات هي أكبر عمل وطني. والجيش يخوض صراعاً مسلحاً مع قوى أجنبية معادية، وهي على وجه التحديد الإرهابيون في أنحاء العالم منذ 11 سبتمبر 2002".

في ضوء هذه الفتوى المستحدثة فإن الرئيس بوش الإبن سيصدر أمراً رئاسياً يسمح لحوالي 15 ألف رجل وإمرأة من الـ "بدون الأميركيين" أي المقيمين والعاملين إنما من دون جنسية على نحو "بدون الكويت" بأن يتقدموا على الفور بطلبات ليصبحوا مواطنين أميركان بدلاً من الإنتظار ثلاث سنوات بحسب ما يقتضي القانون بالنسبة إلى الأجانب الذين يخدمون في الجيش وخمس سنوات لحملة البطاقات الخضراء "جرين كارت". تأتي هذه المكرمة في وقت واجه عشرات الألوف من العرب والمسلمين ومن الذين سبق أن نالوا الجنسية الأميركية ظروفاً بالغة الصعوبة بعد 11 سبتمبر، وبحيث لم يعد مهماً أن هؤلاء يحملون جنسية البلاد وكان من شأن موقف حازم من جانب الإدارة الأميركية أن تضع حداً لتلك الظروف الصعبة لهؤلاء الناس صغاراً وكباراً الذين بات كل منهم في نظر أهل الأمن الأميركي "إرهابيين" إلى أن يثبت العكس. أما متى سيثبت فهذا مرتبط أصلاً بالمخطط الذي بدأ يوم 11 سبتمبر 2001 لكي لا ينتهي قبل إنتهاء ولاية الرئيس بوش الإبن الأولى والثانية إذا كانت ممكنة.

في ضوء "المكرمة" الجديدة لسيد البيت الأبيض الذي لم يجعله المعلومون - المجهولون يهنأ بالسنة الرئاسية الأولى وبالعيد الأول للإستقلال في عهده لكثرة التهويل الذي إستبق المستشارون الظاهرون والمخفيون من مدنيين وعسكريين تصميمه على مستوى الولايات الأميركية. ومن جملة هذه التهويلات إخلاء البيت الأبيض لبعض الوقت والتحليق الوقائي فوق هذا البيت والإنذار تلو الإنذار من عمليات

ثم توالى فصول هذه الصفحات المأساوية في تاريخ الثورة المصرية حيث إنتهى الأمر إلى أن مشيرها إنتحر مع بعض الظن بأنهم إنتحروه. وبدأ الجيش المصري بعد ذلك مرحلة إستنهاض الهمم التي إنتهت يوم السادس من أكتوبر 1973 ومع الرئيس الخلف أنور السادات بتحرير سيناء في أعقاب العبور الذي طالما تمنى الرئيس السلف عبد الناصر أن يتم على يديه، لولا أن إرادة الله سبحانه وتعالى قضت بأن يتوفى الرجل بأزمة قلبية صاعقة في الخامسة من عصر يوم 28 سبتمبر 1970 عن 52 عاماً.

الآن تتجدد الواقعة مع "المشير الفلسطيني" جبريل الرجوب الذي بلغ شأنه الأمني في السلطة الوطنية الفلسطينية ما سبق أن بلغه شأن "المشير المصري" في الستينيات، وبحيث بات الحديث عن الشلية في المؤسسة الأمنية على كل لسان. فقد طلب الرئيس عرفات من مشيره الإستقالة لكي يصحح ما يمكن تصحيحه على نحو ما يريد "الصديق الأميركي" الأمر الناهي. في البداية حاول الرجوب أن يعترض وبدأ يشمر عن ساعديه إستعداداً لخوض معركة رفض قرار إيعاده عن "مملكته الأمنية" ثم بدأ يتحدى عن طريق إطلاق التصريحات الصقورية ويحاول تعبئة مريديه وعندما لم يجد حوله من يخوض بهم غمار المواجهة إرتضى متعقلاً أكثر من المشير المصري الرضوخ والقبول بمنصب "محافظ في وزارة الداخلية" بذلك لا يتيح المجال أمام النهاية المماثلة لـ "المشير المصري" بحيث لا ينتحر ولا يهوى الحثيات للدحلانيين وغيرهم من الذين قد تستهويهم لعبة الصراع على السلطان، لتطبيق الأسلوب الذي يندرج ضمن قاعدة "إنتحروه أم إنتحر" بكل حذافير هذا الأسلوب ومقتضياته. والله أعلم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 21 يوليو (تموز) 2002

العربي الأفغاني الأخضر الإبراهيمي

قبل أيام نال الديبلوماسي الجزائري - الأممي المخضرم الأخضر الإبراهيمي الجنسية الأفغانية هدية تقدير له من حميد قرضاي الذي تم تتويجه حاكماً شبه مطلق على أفغانستان، التي ستذهب مثلاً في أنها دون غيرها من بقاع الدنيا هدف للقصف الأميركي

عن طريق الخطأ وبالذات إذا كان القاصف الأميركي المقدام إستهدف عرساً وسقط من جراء صاروخه الذي أطلقه عشرات القتلى والجرحى.

ويستحق الإبراهيمي هذه الهدية لأنه بذل من الجهد في سبيل التوفيق بين الأفغان الذين من الصعب التوفيق بينهم ما جعله يحقق خطوات متقدمة على طريق إيجاد الحل الذي أعقب حملات التأديب الأميركي لأفغانستان الطالبانية. ومن هذه الخطوات تأمين إختيار قرضاي ليكون رئيساً عابراً لبضعة أشهر ثم رئيساً ثابتاً وقد ينتهي أمره رئيساً دائماً كما هي الحال عشرات الذين يأتون على أساس مرحلة إنتقالية ثم ينتهي بهم الأمر ثابتين، ثم بعدما يطيب لهم المقام في رحاب السلطة يعوزون إلى بعض الجيوب والمفاصل في مؤسسة الحكم لكي يطالب هؤلاء بتعديلات في الدستور أو في صيغة التوافق المتفاهم عليها وذلك من أجل أن يبقى هؤلاء في الحكم إلى أبد الأبد.

لن يستفيد الإبراهيمي من جنسيته الأفغانية وجواز السفر الأفغاني المميز الذي جاءه هدية من قرضاي، الذي بات واحداً من نجوم مصمم الأزياء العالمي "غوتشي" يرى فيه أنه وبالذات بعد إختياره العبادة الخضراء علامة فارقة له دون أي أفغاني آخر. أما لماذا لن يستفيد فلأن الرجل يحمل الجنسية الفرنسية إلى جانب الجنسية الجزائرية، ويحمل جواز السفر الأممي بصفة كونه ممثلاً للأمين العام للأمم المتحدة. كما أن مطارات العالم وصالات كبار الزوار مفتوحة له، لكن الذي ناله من أفغانستان سيكون مدخلاً جيداً لمذكراته التي بات من الضروري أن يكتبها ويروي فيها أهم تجربتين له في التعاطي مع القضايا الساخنة كثيرة التعقيد مثل الحرب الأفغانية التي نال بسببها من قرضاي الثناء والجنسية، والحرب اللبنانية التي دخل بسببها ونتيجة جهوده في مرحلة إنجاز إتفاق الطائف الذي أنهى تلك الحرب، ضمن لائحة مجموعة من أهل القرار العربي كانت لهم المساعي المشكورة لإيجاد الحل، وعلى رأس هذه اللائحة الملك فهد بن عبدالعزيز والأمراء عبدالله وسلطان وسلمان وسعود والرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والشيخ صباح الأحمد، وهؤلاء لا يريدون من لبنان لا الجزاء ولا الشكور ولا الجنسية... وإنما أن يتقي اللبنانيون الله فتتوقف مجادلاتهم على مستوى الذين في قمة السلطة نزولاً إلى القاعدة، أو إلى الرأي العام، خشية تفسير كلمة

"القاعدة" على نحوها "الإرهابي"، وذلك كي لا تتطور المجادلات إلى مواجهة فإلى إقتتال وعندها لن يجد أحد من هؤلاء مَنْ يعطيه تأشيرة دخول إلى بلد آخر ولا إلى جنسية مثل الجنسيات التي نالها ألوف من اللبنانيين الهاربين من الحرب إلى بلاد الله الواسعة بين منتصف السبعينيات ومعظم الثمانينيات.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 22 يوليو (تموز) 2002

* * *

النفط ... المشكلة والحل

لولا أن السودان بات دولة نفطية تنتج في الوقت الحاضر مئتين وخمسة آلاف برميل يومياً تكفي لملء الخزانات التي تسد رمق الآليات والمولدات التي تزايدت بشكل مثير للدهشة، وما تبقى يدخل في خزانة الذين غامروا وأخذوا على عاتقهم إنتاج النفط من الآبار التي على نحو ما هي مثيلاتها في العالم الثالث موجودة في نقاط قابلة للتوتر...

لولا أن السودان بات نفطياً لما كان للحرب المتوارثة والدائرة في الجنوب منذ حوالي أربعين سنة مع تقطعات وهدنات تقصّر أحياناً وتطول في معظم الأحيان، أن تبقى أربعين سنة أخرى وربما تبقى أكثر. أليست "حرب داحس والغبراء" جزءاً من صفحات تاريخ هذه المنطقة؟

لكن النفط جاء الحل والمشكلة في الوقت نفسه. الحل على أساس أنه قد ينقل بلدهم من بلد مغترب منه (بفتح الراء) إلى بلد مغترب (بفتح الراء أيضاً) إليه كما هي حال دول النفط، بإستثناء الجزائر لأمر يستعصي علينا فهمه، ويستعصي على الرئيس عبد العزيز بوتفليقة أو الرئيس "أبو الوثام" تفسيره كما يستعصي على إخواننا الجزائريين، الذين بالغوا في تشويه وجه بلدهم النضالي، تبريره.

والمشكلة على أساس أنه بدل أن تنحسر الحرب في الجنوب وتتجج قوات الجيش السوداني في قمع التمرد وبسط السيطرة على مناطق الجنوب، فإن أوار الحرب إشتد وتزايد شأن زعيم التمرد جون قرنق، ليس فقط تشجيعاً لهواه الانفصالي وليس فقط لتعزيز قدراته كوسيلة ضغط على أهل الحُكم في الشمال الذين إستهوتهم التجربة الثورية في إيران، وعلى مصر وليبيا لدواع مختلفة، وإنما لأن آبار النفط هي في مناطق

الجنوب. ومن يستأثر دولياً بهذه الآبار يؤول المفتاح السوداني إلى يديه.

بعد الحادي عشر من سبتمبر بدأ أهل الحكم في السودان يتأمركون خطوة خطوة. وقد أزالوا عن صدرهم عبء أكوام الوثائق والمعلومات التي تتصل من قريب بـ "تنظيم القاعدة" وشيوخها الذين "تسودنوا" قبل أن "يتأفغنوا" تاركين في حمى "إنقاذي" السودان من الأسرار والأسماء والوقائع والخطط، الكثير مما جعل "إنقاذي" الإدارة البوشية يبتهجون كما لم يبتهجوا من قبل بهذه الهدية التي جاءتهم على أهون السبل.

ومنذ تلك اللحظة ورياح إمكانية الاتفاق تهب على السودان، إلى أن أفادت الأنباء بأن أهل الحُكم في الشمال وأهل التمرد في الجنوب دشنوا المرحلة الأولى من الإتفاق الذي بات وشيكاً. والفضل في ذلك للنفط... الذي هو المشكلة والحل.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 23 يوليو (تموز) 2002

* * *

لبنان الذي لم يكافىء الشاعر والعدساني والخولي

تعاطى كثيرون مع موضوع الحرب اللبنانية بغرض محاصرتها في الحد الأدنى ووقفها في الحد الأقصى. وكان هؤلاء يتعرضون للمخاطر التي يمكن دفع حياتهم ثمناً لمسعى حميد يقومون به. وعند الحديث عن أصحاب المساعي هؤلاء نجد القائمة طويلة. ومن بين الواردة أسماؤهم فيها السفير السعودي السابق وزير الإعلام المستشار لاحقاً علي الشاعر والسفير الكويتي السابق الوزير ورئيس مجلس الأمة لاحقاً محمد العدساني والمرحوم الدكتور حسن صبري الخولي الممثل الشخصي للرئيس أنور السادات والأخضر الإبراهيمي السفير الجزائري سابقاً وأحد الأقطاب المساعدين للأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان حالياً والدكتور بطرس غالي سابقاً. ولم يسمع المرء بعدما أمكن إيجاد الحل للأزمة اللبنانية المستعصية وبدأت مسيرة الوفاق في لبنان أن كافأت الحكومات المتعاقبة هذه الكوكبة من أصحاب المساعي الحميدة كأن يقام لهم حفل تكريمي تقال في هؤلاء كلمة الحق التي تتضمن تسجيل العرفان بجميلهم، أو التكريم من

خلال منحهم أرفع الأوسمة أو حتى الجنسية على نحو ما فعل رئيس أفغانستان الجديدة حميد قرضاوي ومن دون التريث في الأمر.

وفي الكويت مشكلة أزلية إسمها الـ "بدون" كادت تتحول إلى حصان طروادة عراقي بعد الإجتياح الذي لن يتكرر ولن يقلده أحد، يوم الخميس 2 أغسطس/ آب 1990 لولا أن التعقل غلب الإحتقان الذي في الصدر. ويصعب على المرء التكهن حول ما إذا كانت هذه المشكلة ستستمر مشكلة وأزلية أم أن الـ "بدون" سيحملون ذات يوم الأوراق الرسمية الثبوتية التي تؤكد بأنهم لم يعودوا "بدون". وبذل النظر إلى الخطوة المتميزة لملك البحرين حمد بن عيسى على أنها ملمح جيد لمصلحة المملكة الصغيرة الحجم القليلة الموارد التي يمكن أن تنقلها الخطوة المتميزة المشار إليها والمتمثلة بحق كل خليجي بالجنسية البحرينية إلى جانب جنسيته الأصلية إلى مشارف الغنى وقلة عون الآخرين، فإن شيئاً من الحذر إستقبل به بعض البحرينيين خطوة ملكهم، مع أنها خطوة قد تفتح المجال أمام الجنسية الخليجية الواحدة على نحو ما حدث مع الأوروبيين الذين باتوا ينتقلون بجواز سفر موحد ودون أن يشعر أي منهم بأنه خسر جوازه الأصلي.

ومن "محاسن" العملية الترويجية يوم 11 سبتمبر الماضي أن مشقة الحصول على الجنسية الأميركية باتت أقل من مشقة الحصول على "البطاقة الخضراء" إنما لمن يتعاون مع السلطات الأميركية وتحديداً الـ "إف. بي. أي" وما أدراك ما هي هذه الجماعة وأي شراسة هم عليها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 25 يوليو (تموز) 2002

خاتمي... والمحظورات الثورية

بعد الفوز المبهر الذي حققه السيد محمد خاتمي على الشيخ هاشمي رافسنجاني في إنتخابات الرئاسة الإيرانية، ساد الإنطباع بأن الخاتمية هي في الطريق إلى أن تكون طبعة الحداثة للخمينية ومن دون أن تعتبر نفسها البديل عنها. كذلك ساد الإنطباع بأن الأبواب المقفلة في الوجه الثوري لإيران ستفتح بالتدرج بحيث تستعاد العلاقات بين الإدارة الأميركية وإيران التي إستدارت مئة وثمانين درجة

من دولة أميركا في المنطقة إلى دولة الثورة على أميركا، وبحيث لا يعود "شارع الإسلامبولي" في طهران يشكّل صخرة عثرة أمام تطبيع العلاقات بين الجمهورية الإسلامية ومصر بأزهرها ومساجدها وتراثها العريق من أيام تحوتمس إلى أيام محمد علي مروراً بالفاطميين. ثم أمكن إستتباط بعض المفاهيم التي إقتنع الجانبان بها بحيث يتم تطبيع العلاقات بالتدريج.

هذا بالنسبة إلى مصر. أما بالنسبة إلى أميركا، فإن عدم رد إدارتها على التحية الخاتمية بمثلها أو بأحسن منها، جعل الرئيس خاتمي بعد فوزه المبهر الثاني والإتفاف الشعب الإيراني حول شخصه من دون الإلتفاف على التراث الخميني يقول عن أميركا الكلام الذي يبدو فيه الرجل وكما لو أنه يميل إلى تبني منطق صقور الثورة الإيرانية الذين ينظرون إلى الغرب عموماً وزعيمة هذا الغرب أميركا على أنهما السبب في الأحوال السيئة التي إنتهى إليها العرب والمسلمون. وبعدما أجازت وزارة التجارة الأميركية إستيراد الفستق والسجاد العجمي من إيران، كبادرة حُسن نية من وجهة نظر إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون، أصاب الرئيس خاتمي إحراج ما بعده إحراج حيث أن الناس في إيران بدأوا يقولون: هذا ما جنيته أيها السيد من إفتاحك على أميركا والغرب.

وفي الوقت الذي لا يبدو أن الرئيس خاتمي فقد إقتناعه بضرورة تطبيع العلاقة مع أميركا بدل مناطحتها، فإن الرجل الذي قلل بخطوات الإفتتاح المتأنيئة من الإندفاع الثوري في إتجاه إجبارية إرتداء النساء لـ "الشادور" وفتح مزيد من النوافذ التي يطل منها الشباب الإيراني على مباحج العصر، وأباح نشر الصحف الإيرانية، وخاض مواجهات ضد التشنج الثوري الذي يستهدف أهل الموسيقى والمسرح والكتاب، لم يتمكن حتى الآن من كسب المعركة ضد أعداء ربطة العنق المحظورة في الإدارات الإيرانية على أساس أنها رمز لـ "الإنحلال الغربي". وقبل أيام أوقف رجال الأمن شاباً إيرانياً بتهمة إرتداء ربطة عنق.

وما يخشاه الخمسة والعشرون مليون إيراني ألا يعود خاتمي رئيساً ويبقى موضوع التطبيع مع أميركا والغرب من جملة الموضوعات العالقة... ومن بينها حرمان الإيراني من إرتداء ربطة العنق وإعتماد الزي الثوري الإيراني في اللباس المقتبس عن الزي الصيني.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 26 يوليو (تموز) 2002

"اليوبيل الذهبي"... للمجازر الإسرائيلية

نتذكر عندما حدثت مجزرة دير ياسين كيف أن المشاعر العربية إلهبت وبات لفظ "دير ياسين" على كل لسان عربي من المحيط إلى الخليج. وفي حينه مشينا في تظاهرات وأطلقنا هتافات إستفطعنا من خلال عباراتها ومفرداتها ما حدث. ولكن المجتمع الدولي إكتفى وضمن قاعدة هضم معدة كل دولة من دول هذا المجتمع لأي أخطاء يرتكبها الصهاينة الذين أهداهم هذا المجتمع دولة إقتنصها من شعب، بالصمت المريب طبعاً.

كان ذلك في الخمسينات. وها نحن نعيش هذه الأيام "اليوبيل الذهبي" للمجازر الإسرائيلية الأمر الذي يعني أن إرتكاب المجازر هو جزء من العقيدة الصهيونية. ونقول ذلك على أساس أنه ليس هنالك إرتكاب مجازر لا نهاية له.

ومما يلاحظه المرء هو عملية التطوير المستمرة من جانب الإسرائيليين للمجازر، وكيف أن العقل الصهيوني يتقن في إستنباط أنواع من هذه المجازر، بحيث لا تكون "مجزرة مدرسة بحر البقر" في مصر مثل "مجزرة مخيم صبرا وشاتيلا" وإلا فإن هذا العقل المجازري سيبدو على شيء من التخلف، ولا تكون "مجزرة مخيم جنين" مثل "مجزرة قانا" وإلا فإن التاريخ الإنساني للصهيونية سيبدو رتيباً، ولا تكون المجزرة الأخرى التي حدثت في غزة قبل أيام، والتي لن تكون الأخيرة في أي حال، مثل المجازر شبه اليومية التي تحدث في المدن الفلسطينية وإلا فإن التدريب المجازري سيبدو منقوصاً ويحتاج إلى إعادة نظر.

ومن خلال التأمل في طبيعة المجازر الصهيونية يلاحظ المرء أن التخطيط لها دقيق وكما لو أن الذي يشرف على رسم سيناريو هذه المجازر هو مخرج هوليوودي صهيوني الهوى بفعل الإنتماء أو التملق لا فرق، وأنه يريد دائماً التنوع بحيث أن الصاروخ الذي ينطلق بكبسة زر من رامبو الإسرائيلي يجب أن يكون أميركياً ومن أحدث أنواع الصواريخ وأشدّها فتكاً، وأن الطائرة التي تقصف يجب أن تكون أميركية ومن المستحسن أن تكون من أحدث طراز، وأن يتم هذا الفعل الشنيع في وقت الشدة السياسية الأميركية كإنتخابات الرئاسة أو الكونغرس. كما أنه يتطلع إلى التنوع بحيث يكون الضحايا الذين يتساقطون عبارة عن أشلاء متناثرة، وبحيث لا يقتصر الأمر على

الرجال فقط، وإنما من الأفضل أن يكونوا من النساء في بعض الأحيان وحوامل إذا أمكن، ومن الأطفال في أحيان أخرى وأن يكونوا من الرضع لأن المشهد سيكون أكثر واقعية وأكثر تأثيراً.

السكوت الدولي على مجزرة "دير ياسين" هو الذي قاد إلى كل المجازر الإسرائيلية اللاحقة. وبعدما باتت الإدارة الأميركية هي المنفردة بالقرار الدولي فإن وزير أي مجزرة تقع بعد المجزرة الأخيرة في غزة سينظر إليها الناس ليس على أنها مجزرة إسرائيلية دولية وإنما على أنها أميركية - إسرائيلية. فإقتضى التوضيح.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 27 يوليو (تموز) 2002

* * *

تأملات في ما بعد مجزرة غزة (1)

في عز أيام الإنتفاضة والحصار المفروض على الشعب الفلسطيني سلطة وبلدات ومدناً ومراكز رسمية ومدارس وجامعات ومستشفيات، أعلن الشارونيون أنهم صادروا سفينة شحن كانت تنقل كميات من الأسلحة إلى السلطة الوطنية الفلسطينية. وقيل إن هذه الأسلحة مشترقة من جهات تتعاطى ببيع السلاح لمن يريد. كما قيل إنها من الثورة الإيرانية هدية عن طريق "حزب الله" اللبناني للمجاهدين الفلسطينيين من جماعة "حماس" و"حركة الجهاد الإسلامي". ولقد تباغت السلطات الشارونية بهذه الطريدة التي إصطادتها هادفة من التباهي إلى القول للإسرائيليين ما معناه إن هذا السلاح كان سيستعمله "الإرهابيون" بالمفهوم الإسرائيلي - الأميركي "المناضلون المجاهدون المقاومون" بالمعنى المنصف والمتعارف عليه دولياً إذا كان هنالك في هذا العالم محايدون، ضدكم وأنكم بعد هذه المصادرة ستنامون قريري الأعين وتجمعاتكم حيث تكون آمنة لا خوف عليكم.

ما حدث هو العكس. فقد تكاثر عدد الإستشهاديين شباناً وصبايا في عمر الورد ولقنوا الشارونيين دروساً محرجة، وأوضحوا أمراً في منتهى الأهمية وهو أن المناضل لا يحتاج إلى أسلحة تأتيه من الخارج وأنه قادر بحزام ديناميتي، يلف به وسطه أو وسطها، تنفيذ العمليات التي تؤكد أن لا مجال لإستمرار الإحتلال ولا خيار أمام الأجيال الفلسطينية غير خيار المقاومة. وقبل أيام نفذت الشارونية مجزرة في حي شعبي

في غزة أرادت منه إغتيال المناضل صلاح شحاده أحد القياديين العسكريين في حركة "حماس" واستعملت لهذا الغرض أحدث أنواع السلاح الذي يستعمل عادة في حروب يكون فيها تكافؤ بين المتحاربين لكي يكون هنالك تمييز بين المنتصر وبين المهزوم. وبدل أن يهب المجتمع الدولي، وبالذات الإدارة الأميركية، ويقول لهؤلاء الشارونيين: ما هذا الذي تقترفونه، فإن هذا المجتمع أبدى بعض العتب الرقيق وكأنما الذي فعله أولئك الشارونيون الشاردون هو أن سيارة أحدهم دهست فتى، وليست طائرة أميركية متقدمة الصنع ومهددة مع التمنيات ومع ثمن الوقود الذي تستعمله، ألقت قنبلة زنة ألف كيلو غرام أصابت المناضل المطلوب بمقتل لكنها حصدت المئات من الأبرياء بين قتيل وجريح بمن في ذلك بضعة أطفال تاتثر لحملهم. في ضوء ذلك تتجمع في الأفق تأملات كثيرة من مصلحة الجميع عدم القفز فوقها تحت أي مبرر أو ذريعة أو تنظير. ومن هذه التأملات أنه بات للفلسطيني على المجتمع الدولي وعلى الإدارة الأميركية تحدياً حقوق كثيرة من شأن تلبيتها إستبعاد انفجار بركان الغضب. ولهذه التأملات بقية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 28 يوليو (تموز) 2002

"الجزيرة" ... وبدعة التضليل

سيصيب الجيل العربي في الربع الثاني من الألفية الثالثة من خيبة الأمل بـ "الظاهرة الجزيرية" ما أصاب جيل ربع الأخير من الألفية الثانية الذي ننتمي إليه من "الظاهرة الأحمد سعيدية".

ودعونا نضع بعض النقاط على الحروف فتقول إن بدعة الإذاعة الملعة أدخلت في بعض سنوات الخمسينيات والستينيات إلى النفوس العربية الكثير من الاعتزاز والثقة بالانتصار على الأعداء وتحقيق الأماني. وكنا بسبب وهج إنجازات وطنية متمثلة بالاستقلال يتحقق في بعض أرجاء الوطن، وبالرحيل المتواصل للقوات الأجنبية من هذه الأرجاء، فضلاً عن بعض الإنجازات التي تلمس الوجدان وتبهر العيون وتشعل الأحاسيس حماساً وبهجة... كنا لا نناقش جوهر بدعة الإذاعة الملعة المتمثلة بـ "صوت العرب"

التي تبث من القاهرة ويتصدر قيادتها صوتاً وكلاماً الإعلامي المرموق أحمد سعيد الذي بات وتحت تأثير الإنبهار والإبهار يخلط الأمور ببعضها. ولقد ترك هذا الأسلوب ما يجوز إعتباره تشويشاً على العقل العربي وتشويهاً للمفاهيم. ثم حدثت نكسة إنفصال سوريا عن مصر وتناثر التجربة الوحشية الأولى، وتلتها هزيمة الخامس من يونيو 1967، لتؤكد لنا أن إصغاءنا من دون تحصين آذاننا وعقولنا لما كانت تبثه "صوت العرب" أحدث شرخاً في نفسيتنا ما زلنا نعاني من تداعياته حتى الآن.

مع أواخر القرن إفتعل المفتعلون بدعة قضائية متمثلة بتلفزيون "الجزيرة" آخر هموم مفتعلها اعتماد الموضوعية نهجاً لهذه المحطة مستبدلة أسلوب اللعلة الإذاعية بلعلة من نوع جديد لا يمت هدفها الحاد للنزاهة في شيء. ولقد ذهب سوء النوايا بالمفتعلين إلى حد إستغلال الحالة النفسية للإنسان العربي فقرروا إسناد مهمة تقريع هذا الإنسان من قدراته وهذا يكون من خلال التهشيم المنظم والمبرمج لكل شيء. من الطبيعي أن تستقطب البدعة الفضائية المتمثلة بـ "الجزيرة" هذا الكم من المشاهدين على أساس أن هذه المحطة مختصة بالشم العشوائي والتخوين والإستهانة وتدمير الذات العربية. كذلك من الطبيعي أن ينشأ نتيجة لذلك نمط جديد من الإعلاميين الذين لا ناصح لهم يقول كلمة الحق التي يراد بها الحق ولا شيء غير هذا الحق وبينهم إلى أنهم من حيث لا يدرون ينقذون مخطط مفتعلية.

هذه البدعة الفضائية لا تريد خيراً للأمة. ولا بد من أن يكتشف الجميع ذات يوم أن "الجزيرة" كانت مجرد بدعة فضائية وكل بدعة إعلامية من هذا النمط تضليل. تماماً كما حدث مع تجربة "صوت العرب"، مع الفارق أن هذه الأخيرة منطلقاتها وطنية وأن العلة هي في الأسلوب ومن أجل ذلك كانت هي الأخرى بدعة ضالة وليست تضليلية... وعندما قررت أن تجد طريقها كان كل شيء إنتهى.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 29 يوليو (تموز) 2002

تأملات في ما بعد مجزرة غزة (2)

عندما نقول أنه بات للفلسطيني حقوق على

المجتمع الدولي وبالذات على الإدارة الأميركية، وقبل مجزرة غزة بكثير، فعلى أساس أن الفلسطينيين شعباً وسُلطة وحركات مقاومة تطالب ود الولايات المتحدة شعباً وإدارة. بل إن الرئيس ياسر عرفات والذين حوله سجلوا في بعض المرات أنهم أميركان ونصف، كما أنهم في معظم المرات تجاوبوا مع التمنيات الأميركية وكأنما الدولة الفلسطينية والقضية الفلسطينية تخص أبناء العم سام أكثر مما تخص فلسطين من أعالي الجليل إلى رمال شواطئ غزة مروراً بيافا وحيفا وعكا وبيت لحم والقدس والخليل ونابلس وأريحا ورام الله.

وطوال أشهر الإنتفاضة منذ ترئس أرييل شارون ذلك الجنرال المتكدر لحماً وشحماً وحقدأ، الهمني المهوروس بجنون العظمة وممتهن تنفيذ المجازر، للحكومة الإسرائيلية في وقت قطعت المساعي شوطاً طويلاً على صعيد إنجاز العملية السلمية، لم يسجل الفلسطينيون الذين فاض بهم الكيل أي عملية فدائية ضد موقع أميركي أو أوروبي أو أجنبي عموماً، وعلى رغم ما في الصدر الفلسطيني من غضب على هذا الظلم التاريخي الذي يعيشه الشعب الفلسطيني وتحمل مسؤوليته في الدرجة الأولى الولايات المتحدة وبريطانيا تليها الدول الكبرى الأخرى. وعندما لا يلجأ الفلسطينيون إلى ترجمة غضبهم إلى عمليات ضد مواقع أميركية وعلى نحو ما حدث للسفارة في بيروت على سبيل المثال، فليس لأنهم ليسوا قادرين، وإنما لأن هذا الشعب يأمل خيراً في أن الإدارة الأميركية ستنتبه ولو بعد حين وستتذكر أن في تاريخ أميركا قادة حرصوا على العدالة وعلى الإنصاف وعلى مقاومة الظلم. كذلك إنه عندما لا يلجأ الفلسطينيون إلى ترجمة غضبهم إلى عمليات ضد مواقع تخص أميركا ودولا أجنبية عموماً، فليس لأن الحكومات وبعض المسؤولين في هذه الدول لم يتصرفوا بما يؤذي المشاعر الفلسطينية ولذا فلا بد من مواجهتهم بالعنف، وذلك أن ما يصدر من تصريحات ومواقف عن هذه الأطراف وبالذات عن بعض المتصهينين في الإدارة الأميركية تجعل الدم الفلسطيني يغلي ويجيز هذا الغليان للفلسطينيين أن يتصرفوا عنفاً وعلى النحو الذي يرون. لم يحدث ذلك ولقد فاض الكيل بالفلسطينيين، خصوصاً بعد مجزرة غزة التي حدثت في الوقت الذي كانت حركة "حماس" قررت إعتقاد "إستراحة إستشهادية" لإعطاء السُلطة الفلسطينية فرصة إسقاط الذرائع، ثم جاءت المجزرة لتجعل من حق الفلسطينيين

على الإدارة الأميركية ومن يساير مواقفها المعاملة بالمثل وإلا أصبحت الفوضى ضد مصالح أميركا سيدة الموقف. وأقل ما هو مطلوب من هذه الإدارة هو إدانة الأفعال الشارونية إنطلاقاً من مجزرة غزة وأن يطلب العرب منها ما سبق أن طلبته منهم في شأن "رفض العنف بجميع أشكاله" وكان لها في قمة شرم الشيخ ما أرادت، أو رفع حمايتها السياسية والعسكرية عن إسرائيل بهدف إختبار ما يمكن أن تفعله الشارونية من دون هذه الحماية، أو وضع قوات دولية - عربية تحمي هذا الشعب الذي يباد من الصهيونية التي تبنيه بدعم المبيدات الأميركية على أنواعها ، أو إرسال أسلحة إلى الفلسطينيين يدافعون بها عن أنفسهم وبذلك لا يعود الفلسطيني محتاجاً إلى قطعة سلاح تأتيه خفية من إيران ولا حتى يشتريها من المستوطنين الذين يسرقون أسلحة وذخائر من مستودعات الجيش الإسرائيلي ويبيعونها للفلسطينيين تأكيداً من هؤلاء المستوطنين على أن اليهودي تاجر حتى بوطنه. وقبل أن يتم كشف هذه التجارة يوم 19-7-2002 وإعتقال بعض المستوطنين والعسكريين الإسرائيليين المتاجرين لم نفتتح بما فيه الكفاية بالكلام الذي قاله الرئيس ياسر عرفات تعليقاً على حادثة صادرة باخرة السلاح لإننا نشترى وخلصته أنه لا حاجة لإستيراد السلاح لإننا نشترى ما نريد منه من الإسرائيليين أنفسهم.

المعذرة من تحفظاتنا السابقة على كلام أبو عمار.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 30 يوليو (تموز) 2002

* * *

الصورة أصدق توضيحاً من الكلام

بعد لقائهما في قصر الرئاسة الفرنسية (الإليزية) يوم الخميس 25/7/2002 وقف الرئيس الضيف حسني مبارك والرئيس المضيف جاك شيراك أمام ممثلي وسائل الإعلام العربية والفرنسية والأجنبية على أنواعها للرد على أسئلة تتعلق بالأوضاع العامة في العالم وتوضيح ما يمكن توضيحه في شأنها، وذلك كون الرئيس مبارك هو أكثر الحكام العرب تدخلاً مع معظم حكام العالم، وكون الرئيس شيراك يتطلع إلى دور يريده لنفسه ولبلده ولكنه دائم التردد في شأنه. إستطاع أحد المصورين التقاط مشهدين للرئيسين من شأن التأمل فيهما الوقوف على الجواب ومن دون

أن يكون ذلك من خلال الكلام. الرئيس مبارك أشار بإصبعه نحو رأسه فبدأ كمن يقول: أنا نفسي محتار في هذا الذي يفعلها أرييل شارون وتسكت عنه الإدارة الأميركية مع أن الفعل الشاروني هو في المحصلة النهائية ضد مصلحة أميركا، وضد تطلعات الرئيس جورج بوش الابن إلى تجديد ولايته الرئاسية والذي هو دائم الخشية من أن يصيبه ما سبق أن أصاب والده من قبل عندما هزمه الناخب الأميركي مفضلاً بيل كلينتون عليه، غير مكترث، هذا الناخب، بحكاية أن كلينتون هرب من أداء الخدمة العسكرية وأن في جسم جورج بوش الأب من الندوب الناشئة عن الخدمة العسكرية ما يجعله واثقاً من نفسه كل الثقة.

هذا بالنسبة إلى الرئيس مبارك وما تعنيه اللقطة التي إختلسها المصور، أما بالنسبة إلى اللقطة التي تم إختلاسها للرئيس شيراك فإنها أظهرت الرجل مذعوراً زاماً شفتيه ماداً يديه بإصبعهما تاركاً إنطباعاً بأنه يقول ما معناه: إنني أبصم بالعشرة أنني ضد هذا الذي يفعله شارون وضد هذا الرضا الأميركي عليه، وجرام أن يتهم أحد فرنسا بأنها لا مانع عندها ضمناً من ذاك الفعل الشاروني وهذا الرضا الأميركي، ومعاذ الله أن يكون موقفنا هو موقف الساكت على الظلم وعلى العنصرية والنازية الشارونية، ولكن الظروف أحياناً تقتضي الأخذ بمبدأ السكوت وتذكروا جيداً محاولة إغتيالي يوم 14 يوليو الماضي وما هي مراميها؟.

على أي حال إن الصورة أصدق توضيحاً من الكلام، كما أن السيف أصدق إنباء من الكتب على نحو ما قال ذلك الشاعر العربي... رحمة الله على فطنته.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 31 يوليو (تموز) 2002

* * *

"مهراجا الفقراء" رئيس المليار

مع أنها ليست المرة الأولى التي يكون فيها رئيس الهند مسلماً، حيث سبق أن تولى هذا المنصب القريب الشبه من حيث السلطات التي يخولها له منصبه بالملكة اليزابيت الثانية وبرئيس دولة إسرائيل، إلا أن انتخاب أبو الفقير زين العابدين أبو الكلام، الهندي المسلم ابن الواحدة والسبعين عاماً المعروف بلقب أبو الصواريخ وفق الأسلوب الفلسطيني وأسلوب أسامة بن

لادن في اعتماد الأسماء الحركية، وبلقب "الرجل الصاروخ" وفق الأسلوب الهندي، له أكثر من معنى. فالرجل ليس من عائلة سياسية ولا هو حفيد من أحفاد مهرجات الهند ولا ينتمي إلى حزب من أحزاب الهند، وإنما هو بسيط مترهب للعلوم النووية والصاروخية وإلى درجة أن هذا الترهب أنساه الإهتمامات الشخصية فعزف عن الزواج كي لا تتافسه زوجة على عشقه للصواريخ ومواصلة تطويرها.

والرجل على عكس المهاتما غاندي الذي خاض الكفاح السلمي مفضلاً العصيان البارد على العصيان الساخن أو إلزام المقاومة من خلال التصدي وإستعمال السلاح. فهو قريب الشبه من ذلك الزعيم الهندي المتميز من حيث السلوك الشخصي ومن حيث العيش البسيط، لكنه في موضوع المواجهة يرى أن المهاتما الذي كسب المواجهة في الزمن الغابر لا يمكن أن يكسب المواجهة في ظل الظروف الراهنة. ولذا فهو يعتبر أن الكلمة الفصل هي للصاروخ كلما تم تطويره كلما كان الحسم أقرب مثلاً، وكلما أمكن تطويل مداه كلما كان الإنتصار يسيراً.

وهنا بيت القصيد من وراء إختيار "أبو الكلام" لهذا المنصب. فهو مسلم والصراع هو مع الجارة المسلمة باكستان. وهو عالم صواريخ والصاروخ هو الذي من شأنه أن يجعل لغة الكلام هي التي تتعطل وتتعلق لغة الصاروخ على سجيته.

والأهم من هذا كله هو النسبة العالية من الأصوات التي نالها الرجل نتيجة أن كل الأحزاب السياسية في الهند إتفقت عليه عدا الحزب الشيوعي مع أن الشيوعيين ليسوا ضد الرجل ما دام فقيراً إسمياً وأصولاً وما دام طبقياً ينتمي إلى النصف البسيط والفقير من النصف الثاني للمليار نسمة الذين هم عدد سكان الهند حيث هنالك ثلث سكانها، الذين يفوقون عدد سكان الدول العربية مجتمعة، تحت خط الفقر، وقد وعدهم "مهراجا الفقراء" أبو الفقير عبد الكلام بأن يقلل من نسبة الفقر من الآن وحتى العام 2007 عندما تنتهي ولايته.

أما كيف سيقصص نسبة الفقر هذه فلا ندري أي وسيلة سيتم إعتماها لهذا الغرض، إلا إذا كان الرجل يعتقد بأن مواجهة الصواريخ البعيدة المدى والنووية في حال حدوثها بين الهند وباكستان، سيدفع ثمنها بضعة ملايين في الجانبين وبذلك يتناقص عدد الفقراء لأن الذين يموتون في الحروب عادة هم الفقراء. والمواجهة

مؤجلة وليست ملغاة، وقد يكون الإتيان بـ "مهرجا الفقراء" أو "الرجل الصاروخ" هو خطوة في اتجاه الإستفزاز ... وليس التهدة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 1 أغسطس (آب) 2002

إلى كوفي أنان أيقظ الله ضميره

مر الأسبوع الأول ونحن في إنتظار تقريرك يا سيادة الأمين العام. وإنقضى الأسبوع الثاني والإنتظار على حاله وكذلك العدوان الشاروني. وإفترضنا أنه كلما إزداد شارون شراسة كلما كان ذلك دافعاً للأمن العام لكي يترك الحرية متاحة أمام ضميره فلا يحجبها من خلال مخاوف أو تحفظات أو أمور شخصية، ولا حتى من خلال تكاثر الضغوط الأميركية عليه.

ثم إنقضى شهر والحال على ما هي عليه. لا التقرير يصدر و لا أربيل شارون يرتدع ولا الإدارة الأميركية تردع... إلى أن فاجأتنا بعد طول إنتظار، وكانت مرت 3 أشهر على المجزرة، بتقرير تساوت فيه مجزرة شارون الدموية التدميرية بوسائل التدمير بـ"مجزرة أدبية" ارتكبها يا سيادة الأمين العام بالألفاظ. فلقد تجنبت في تقريرك إعتبار ما حدث في مخيم جنين بأنه "مجزرة" وأوردت في التقرير عبارات تحير المرء ما إذا كان كاتبها أو قائلها أو ناصبها هو كوفي أنان الأمين العام الذي من واجبه الإخلاص للمنصب الذي يشغله وليس لأربيل شارون. تقول في التقرير "زعم مسؤول رفيع في السلطة الوطنية معناها أن القائل يدعي كلاماً ليس صحيحاً. وهكذا فإن العبارة تقتقد إلى اللياقة بالمقارنة مع العبارات الودودة المتعلقة بإسرائيل ومنها عبارة "إن القوات الإسرائيلية لم تحترم الطبيعة المحايدة لموظفي الإغاثة الطبية والإنسانية وهاجمت عربات الإسعاف". وكنا نفترض أن قلم الأمين العام سيرتجف أمام هذا الفعل الإجرامي المفزع فيدينه بعبارة أو حتى بكلمة لأن إعاقة مهمة موظفي الإغاثة الطبية ومهاجمة عربات الإسعاف أشد وزراً من إقتراف جرم العدوان، بل إنها العدوان الوحشي. لكنك يا سيادة الأمين العام إخترت من قاموس المفردات ما لا يشكّل إنزعاجاً للمعتدي الإسرائيلي مكتفياً بالقول إن القوات المعتدية "لم تحترم الطبيعة المحايدة... الخ". يا لشاعريتك التي فاقت شاعرية

الطيب الذكر ليوبولد سنجور الذي كان الأحرى بك التشبه بسمو أخلاقه وشفافية تعابيره وعمق قصائده. لقد تجنبت ذكر كلمة "مذبحة" أو مجزرة في تقريرك يا سيادة الأمين العام. وإخترت من العبارات ما هو منمق كي لا تزعج خاطر الإسرائيلي، وبذلك فإنك ساويت بين المعتدى عليه وبين المعتدي.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 13 أغسطس (آب) 2002

كاسترو المعبر الذي

لا يسأم تكاليف الحكم

يوم الأربعاء 14 أغسطس/ آب 2002 إحتفل الرئيس الكوبي فيدل كاسترو بعيد ميلاده السادس والسبعين. وإختار أن يكون الإحتفال في واحدة من المدارس التي تم تجديدها لتطوير التعليم في كوبا. ومن إيجابيات تجربة كاسترو في الحكم المتواصلة منذ ثلاثة وأربعين عاماً أنه قلص نسبة الأمية. لكن ما فائدة أن يقرأ الإنسان إذا كان محزماً من إستيراد الكتب والمطبوعات التي تعالج ما يحدث في العالم وتقتصر القراءة على ما هو متاح في كوبا من كتب ومطبوعات عقائدية تعالج أمور الحياة من خلال أدبيات العقيدة الماركسية.

والماركسية راسخة في كوبا، فقط لأن كاسترو متمسك بها، مع أن عملية نفّذ العقول منها شملت كل الدول التي كانت بمثابة أجرام صغيرة تدور في الفلك الكبير الذي كان يُعرف بـ "الإتحاد السوفياتي" ثم تتأثر وبات عبارة عن جمهوريات بعضها يملك العقول والخبرات النووية لكنه يفتقد إلى الخبر الجيد والزبدة وبعض مستلزمات العيش البسيط.

وإحتفال كاسترو بعيد ميلاده السادس والسبعين ومواصلة الإمساك الفردي في الحكم من دون أن يسأم تكاليف الحكم على نحو قول الشاعر البعيد النظر وهو الضرير أبو العلاء المعري الذي سئم تكاليف الحياة بعدما بات على عتبة الثمانين، تجعل المرء مثلاً حالنا نحن الذين تابعنا ثورته منذ قيامها مروراً بأزمة الصواريخ الشهيرة التي ظن الزعيم السوفياتي الظاهرة في تاريخ الحركة الماركسية نيكيتا خروتشوف أنه بنصب البعض منها على أرض كوبا سيجعل الولايات

وهو باق ما دام القلب ينبض وما دام قادراً على إلقاء الخطب الطويلة أمام الرفاق المذهولين بقدرة هذا الرفيق المعمر على أن يواصل الحُكم من دون أي إنجازات تُذكر أو تحسُّن في الوضع المعيشي لبلاد السكر والسيجار .

صحيفة "الوطن". الرياض - أغسطس (آب) 2002

دبلوماسية الكيد

لعزل شارون تماماً (1)

يستطيع أرييل شارون التباهي بأنه حقق "إنجازات" هائلة على صعيد التدمير والتجهير والإعتيال والجرف وإرتكاب المجازر والتفنن في أنواع الحصار والتسبب في سقوط مئات الإسرائيليين في عمليات إستشهادية وإصابة الألوف من الإسرائيليين أيضاً بجروح في العمليات نفسها...

ويستطيع التباهي بأنه منع سيارات الإسعاف الفلسطينية من نقل الجرحى ما داموا فلسطينيين وأحكم الحصار على المستشفيات الفلسطينية، ودمر للفلسطينيين كل المؤسسات التي بنوها خلال خمس سنوات من الثقة الكاذبة بالشريك الإسرائيلي ووضع القيادة الفلسطينية تحت الحصار خلافاً لما هو سائد من أصول التعامل الراقي بين الدول وبين الخصوم في العالم..

ويستطيع التباهي بأنه خاض عدوانه وإرتكب مجازره تحت مظلة "حكومة وحدة وطنية" وبذلك يقطع الطريق على من يعارض جنونه ويطالب بالحجر عليه، وخاض العدوان وإرتكاب المجازر في ظل حماية أميركية لا سابقة لها..

ويستطيع التباهي بأنه طوال أسابيع العدوان مستعملاً الطائرات والآليات المهداة أصلاً إليه من الإدارات الأميركية المتعاقبة، جعل من الموقف الأميركي توأماً للموقف الإسرائيلي، وإلى درجة أن التبريرات الأميركية للعدوان الشاروني أظهرت هذا العدوان على أنه حق مشروع وأنه ما دام للدفاع عن النفس فمن واجب الإدارة الأميركية أن تتفهم وأن تدافع بقوة عن إسرائيل في وجه أصدقاء الولايات المتحدة الذين فاض بهم الكيل من الموقف الأميركي..

المتحدة تركع أو تعيش في خشية دائمة، أن يتساءل: ما الذي فعله كاسترو لبلاده خلال ثلاثة وأربعين عاماً أمضاها حاكماً مطلقاً الصلاحية؟ وما الذي لم يجعله عند إنتهاء الإتحاد السوفيياتي يغتنم الفرصة الذهبية هذه ويقرر طي صفحة كوبا الماركسية والبدء بصفحة كوبا الإفتتاح والتعددية والديمقراطية والإستغناء عن أسلوب الهيمنة على الشعب الكوبي التي هي مثل هيمنة إدارة الرئيس جورج بوش الابن على الإرادة الدولية إنطلاقاً من الهيمنة على الأمم المتحدة؟

إذا كانت المسألة مسألة إيمان بالعقيدة فإن كاسترو ليس أكثر إيماناً بها من سائر القادة الذين حكموا دول أوروبا الشرقية التي كانت تدور في الفلك السوفيياتي وتعتنق الأنظمة فيها العقيدة الماركسية.

وإذا كانت المسألة مسألة أن كوبا تحتاج إلى النهج الماركسي لإصلاح حالها المتدهور، فإن هذه الحال البالغة السوء بدأت مع التطبيق الماركسي وأن العلاج في ضوء ذلك هو في إعادة النظر وليس الإستمرار في إعتقاد الماركسية والتصريح قبل حوالي خمس سنوات بأنه (أي كاسترو) سيكون آخر من يتخلى عن النهج الماركسي.

المسألة مسألة معاندة من جهة وشعور من جانب كاسترو بأنه إذا هو تخلى عن النهج الماركسي فإنه سيبدو أمام الشعب بأنه كان على خطأ طوال العقود التي حكم فيها، من جهة أخرى. والأهم من هذا كله هو أنه إذا قرر أن يعيد النظر فهذا معناه أنه إما سييتحى بالتدرج لأن إعادة النظر تستوجب حكماً مشاركة قوى أخرى في السُلطة، وهو إعتاد على أن يكون الحاكم الفرد غير المقيدة سُلطته بأي إعتراضات من هنا أو تحفظات من هناك، وإما سيتم إقصاؤه في حال أن تيار التغيير بات أقوى بكثير من واقع الحال. إنها محنة بلد سببها في الدرجة الأولى أن كاسترو من سلالة الحكام الثوريين الذين يأتون إلى الحُكم على أساس أنهم سيصححون ممارسات من كانوا من قبل حكاماً للبلاد، لكنهم يستمرئون السُلطة وإلى درجة التمرس فيها إلى اللحظة التي يسترد الله الوديعة بالوفاة الطبيعية أو يلقي هؤلاء نهايات غير سعيدة على الإطلاق.

ويكفي أن نتصور بأن تسعة رؤساء جمهوريات تعاقبوا على الحكم في الولايات المتحدة إضافة إلى عشرات تعاقبوا على الحُكم في دول العالم بينما كاسترو هو وحده ما زال يحكم كوبا منذ العام 1959.

ويستطيع أرييل شارون أيضاً التباهي بأنه مثلاً نجح في جعل الإدارة الأميركية بمثابة خط الدفاع الأمامي عن عدوانه وجرائمه، فإنه أيضاً نجح بالتعاون مع تلك الإدارة، أو بمبادرة "كريمة" من جانبها، في جعل الأمم المتحدة وأمينها العام كوفي أنان بمثابة خط الدفاع الخلفي الذي يحميها من أي محاولة إلتفاف دولية عليه وعلى حلفائه الأميركيين وبالذات الفريق المتصهين في الإدارة الحالية..

ويستطيع أيضاً التباهي بأنه لم يترك أي فرصة للتسوية إلا وسعى إلى تدميرها، وأنه عندما فوجيء بالمبادرة العربية التي بدت كـ "رؤية سعودية" قبل أن تتبناها وبالإجماع القمة الدورية الثانية في بيروت في مارس الماضي (2002)، فإنه لجأ إلى المزيد من العدوان والتدمير وإرتكب بدل المجزرة الواحدة إثنين وعلى إستعداد للمزيد ما دامت هذه الممارسات تقطع الطريق على وصول تلك المبادرة إلى شاطئ الأمان، بمعنى تنفيذها بعد إقتناع الإدارة الأميركية بها على نحو ما لا يزال يأمل ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ليس فقط لأنه صاحب تلك "الرؤية" وإنما لأنه لا يتمنى أن يكون خاب أمله بالرئيس جورج بوش الابن وهو أي الأمير، الذي رأى بعد زيارته إلى الولايات المتحدة قبل حوالي ثلاثة أشهر ولقائه بالرئيس الأميركي أنه أمام "إنسان نبيل". ... ولل كلام بقية.

دبلوماسية الكيد

لعزل شارون تماماً (2)

لن نضيف المزيد من الوقائع السيئة والممارسات العدوانية والإرهابية والعنصرية التي يمكن أن يتباهى بها شارون، لأن القائمة طويلة وكلها مدونة بالدم القاني وبالصور التي يطيب له في لحظات السكون العابرة معاودة رؤيتها على أساس أنها تجعله يشعر بقدرته كمعتد وإرهابي وعنصري وتجعله كنموذج لـ "دراكولا" العصر الحديث يشعر بمتعة الإرتواء من دم الأطفال والفنية والنساء والمسنين.

لكن الذي يمكن قوله إن أرييل شارون على رغم كل موبقاته الإجرامية هذه لم يحقق الأمن والسلام لبني قومه، ولم ينجح في كسر العزلة العربية عليه بدليل أن في إستطاعته زيارة واشنطن متى أراد، وفي إستطاعته أن

يطلب من الإدارة الأميركية إفاد أي مسؤول للتباحث معه، لكن ليس قادراً على تحقيق أمنية عمره في أن يزور مصر التي بين إسرائيل وبينها علاقات نشأت عن إتفاقية كامب ديفيد القائمة نصاً الغائبة روحاً، كما أنه ليس قادراً على أن يزور الأردن ويلقى فيها الإستقبال الذي يجري بموجب البروتوكول للحكام، وعلى أن يزور المغرب ويتذوق طعم الإختراق للجناح المغاربي من الأمة. كذلك ليس قادراً على تحقيق أمنية عمره الأخرى في أن يستقبل في مقر رئاسة الحكومة الإسرائيلية الرئيس حسني مبارك أو الملك عبدالله الثاني. أما إذا كان يرى أن وزير الخارجية القطرية الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني الذي يزور إسرائيل من دون أي موجب عربي وإسلامي لهذه الزيارة فإن الشيخ هو من فريق اللعبة والتلاعب الذي ظن الإسرائيليون أنه سيكبر ويضم المزيد من العرب إلا أن ذلك لا يبدو ممكناً ما دام شارون على حاله التي هي عليها والذي هو كمن يصطاد الحمام البيضاء والبلابل المغردة بالصواريخ المتطورة.

وعندما تأتي الأخبار تتحدث عن إتهام شارون لمصر بأنها تتدخل في الشؤون الداخلية الإسرائيلية كون الرئيس مبارك يستقبل بين الحين والآخر شخصيات سياسية إسرائيلية تتقاطع رؤيتها مع رؤية شارون وأنه، أي مبارك، يدلي بتصريحات "غير محقة ضد الحكومة الإسرائيلية ورئيس وزرائها شارون" على حد قول الأمين العام للحكومة الإسرائيلية جدعون شار، فهذا دليل على ضيق أنفاس شارون من العزلة التي نشير إليها وتأكيد إلى أنه لم ولن يكون رجل دولة، على نحو ما هو رأي الرئيس مبارك وكل قادة دول العالم فيه نستنتي من ذلك الرئيس بوش وبعض أقطاب إدارته ورئيس الحكومة البريطاني طوني بلير من دون سائر المشاركين في حكومته. ومع ذلك فإن شارون يواصل الدور وابق على كرسي رئاسة الحكومة مبقياً على الإستقرار في المنطقة في مهب العواصف. ... ولل كلام بقية.

دبلوماسية الكيد

لعزل شارون تماماً (3)

من باب الإنصاف للرئيس مبارك وللأسلوب الذي

إرتأى إعتاده مع إسرائيل نقول إن "دبلوماسية الكيد" التي تقوم على الإستهانة بالأسلوب الشاروني التي إعتدها الرئيس المصري هي التي قادت في النهاية إلى هذه العزلة التي يشكو منها شارون وذلك من خلال الأمين العام لحكومته. وقبل شارون شعر باراك بهذه العزلة وشعر بها نتيا هو إنما من دون إقفال الباب المصري أمام زيارات قاما بها خلسة إلى مصر في حين أن أرييل شارون لا يمكن أن يقوم بزيارة مماثلة ما دام على ما هو عليه وما دام كل مواطن مصري في وضع المتأهب لمواجهته. وتقوم "دبلوماسية الكيد" للأسلوب الشاروني التي إعتدها الرئيس مبارك على ترك العلاقة قائمة مع إسرائيل وشبه مقطوعة مع الحكومة الإسرائيلية ومقطوعة تماماً مع رئيس هذه الحكومة. وفي الوقت نفسه فإن الباب المصري يبقى مفتوحاً أمام أشخاص من "حزب العمل" وبصرف النظر عن مشاركة هؤلاء في الحكومة الشارونية أمثال وزير الخارجية شيمون بيريز ووزير الدفاع الإيغازار. وإلى ذلك لا يترك الرئيس مبارك مناسبة إلا ويكيد لشارون. وتذكر أي كيد ألحقه به خلال الزيارة التي قام بها الشهر الماضي إلى باريس وكيف أن الكلام الذي قاله (أي الرئيس مبارك) خلال هذه الزيارة من على منبر قصر "الإليزيه" وبعد محادثات في العمق أجراها مع الرئيس جاك شيراك أشعل الغضب في نفس شارون.. فقط لأن هذا الأخير مكشوف حتى أمام من بين بلادهم علاقات ولأنه بينه وبين نفسه مدرك بأنه يقترب الذنوب ضد العملية السلمية ويريد في الوقت نفسه من الآخرين إعتباره "رجل سلام" على نحو ما يراه بهذه الصفة الرئيس بوش الابن.

وإزاء ذلك ما الذي في مقدور شارون أن يفعله؟

هل يمارس ضغطاً على مصر ولدى من، ما دام الجميع على أفضل العلاقة بقيادتها والتفهم لأسلوبها.

أم هل يقوم عبر وسائل الإعلام الصهيونية والمتصهينة في الولايات المتحدة وبعض دول العالم بحملة تجريح بمصر، وما الجدوى من ذلك ما دامت هذه الوسائل لا توفر مصر وحكم الرئيس مبارك بالذات، وما دامت في كل مرة يزور الرئيس الولايات المتحدة تستبق هذه الوسائل الزيارة بحملات من التشويش والإقتراء لا تلبث أن تخمد نارها التي تشعلها الصهيونية؟

أم هل يقرر تخفيض مستوى العلاقة الدبلوماسية مع مصر أو قطع هذه العلاقة وإلغاء إتفاقية كامب

ديفيد وهذا ما تتمناه القيادة المصرية والرأي العام المصري حدوثه؟

ليس في إستطاعة أرييل شارون أن يفعل شيئاً سوى الإنسحاب من الساحة وترك الأمور بيد عقلاء لا يعتمدون أسلوبه الذي دمر كل شيء وتلاعب بالمصائر وانتهك القيم والأصول.

وهو كطلقة أخيرة يراهن على الرأي العام الإسرائيلي ومن أجل ذلك يلوح بالدعوة إلى إنتخابات جديدة وفي إعتقاده أنه سيخرج منها منتصراً. وفي حال حدث ذلك لا سمح الله وتبين أن المواطن الإسرائيلي إختار شارون ولم يتجه نحو إختيار من هو في الحد الأدنى بمثل ما كان عليه إسحق رابين، فهذا معناه أنه لا أمل يرتجى في شأن أي تغيير إيجابي يحدث، وذلك لأن فوز شارون على رغم كل أفعاله وما إقترفه من مجازر وإعتداءات وتلاعب بالقرارات الدولية سيعني عملياً أن من مصلحة العرب والمسلمين وعقلاء العالم الإنتقال من مرحلة رصّد الممارسات الشارونية والإكتفاء بإنتقادها إلى مرحلة التصدي لها وبكل الوسائل خشية أن يصبح السلوك الشاروني السيء هو القاعدة ويصبح السلوك القويم هو الإستثناء.

وأما بالنسبة إلى "دبلوماسية الكيد" المصرية فإننا ونحن نتمنى لها الإستمرار والتصعيد نتمنى أن يحذو الأردن حذوها وذلك على أساس أن الكيد بالجملة يبقى أكثر فعالية من الكيد الفرادي.. وخصوصاً إذا جاء الكيد من الملك عبدالله الثاني.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 21 أغسطس (آب) 2002

"فتوى خاتمية" محرمة أميركياً

خلال زيارته التاريخية لأفغانستان التي باتت مشروع "واحة أميركية" في قلب آسيا بعدما كانت حالة سرابية في عهد الطالبين الذين أوصلوا الأمة إلى وضع لا ندري كيف ستنمكّن من مغادرة الكمان والفخاخ التي يحفل بها، طرح الرئيس محمد خاتمي بإسم إيران التي يمثلها والتي لا تشمل الحلقات الخمينية والثورية المحافظة في النظام، ما يجوز إعتبارها "فتوى خاتمية" في شأن الوجود العسكري الأميركي في أفغانستان. وخلاصة هذه "الفتوى" التي أوردها في ختام المحادثات التي أجراها مع رئيس أفغانستان "الواحة الأميركية"

وشملت من جملة ما شملته مساعدة الحكم الجديد بمبلغ لا بأس به "إن وجود قوات حكومات أخرى لا يمكن أن يكون له مبرر إلا إذا تعاونت مع الحكومة الأفغانية لإعادة الإعمار وإلا فليس هناك أي مبرر لوجودها هنا...".

ولكي يدعم "فتواه" هذه قال "إن إيران لا تعتزم التدخل في عمل هذا البلد وعلى كل البلدان أن ترفض تدخل بلدان أخرى في شؤون أفغانستان. ومن جانبنا فإننا لن نتساهل أبداً مع تنظيم القاعدة...".

ما يلفت الانتباه هو أن الرئيس خاتمي لم يرفض مبدأ وجود القوات الأميركية، وإنما أرادها كاتائب للإعمار بدل أن تكون عبارة عن طيارين يقصفون بالقنابل التي تزن الواحدة منها ألف كيلو غرام ويأتي القصف عشوائياً بحيث أنه لا غضاضة في أن يستهدف القصف أحياناً جماعات تحتل بزواج إين أو إينة.

من الطبيعي في ضوء التأمل في الطروحات الخاتمية منذ مجيء هذا الرجل الظاهرة محمد سيد خاتمي إلى الحكم من خلال إنتخابات حرة حصل فيها على تأييد شعبي لم يحصل عليه من قبل أحد، بمن في ذلك الرئيس السابق هاشمي رافسنجاني الذي هو نصف محافظ ومتشدد ونصف مرن ربما في إنتظار اللحظة التي يعود فيها رئيساً على حسان الثورية إذا فشل الرهان الخاتمي مع أميركا، أو على حسان المرونة إذا أوجبت الظروف تطوير التوجهات المرنة، أي بما معناه يصبح السباق داخل إيران بين من هو معتدل كما حال الرئيس خاتمي الآن ومنذ بات رئيساً وبين من عليه أن يكون أكثر اعتدالاً من أجل تطبيع العلاقة مع الإدارة الأميركية وهو ما يريده خاتمي ولم يثمر سعيه في هذا الإتجاه . ولكنه متقائل. ومن مظاهر تفاؤله هذه "الفتوى" غير القابلة للأخذ بها وبالذات مادام الثنائي تشيني-رامسفيلد ورموز أخرى بعضها منظور وبعضها خفي يقيّدون القرار الأميركي بسلاسل لا تبدو المصالح الصهيونية والفردية غريبة عنها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 26 أغسطس (آب) 2002

باكستان السورية أم باكستان التركية؟

إستباقاً لتحالف الأضداد في باكستان متمثلاً بالزعيمين الحزبين المهجرين خارج البلاد وهما بنظير

بوتو ونواز شريف اللذين باتا على أهبة الإتفاق والعودة لخوض الإنتخابات في باكستان، أجرى الرئيس الباكستاني الجنرال برويز مشرف تعديلاً على الدستور بات بموجبه يملك صلاحية إقالة البرلمان. كما أعلن عن إنشاء "مجلس أمني وطني" برئاسة وعضوية رؤساء سلاح الجو والبحر ورئيس لجنة رؤساء الأركان وثمانية مدنيين من الطبيعي أن يكونوا "مشرفيين" أي يحظون برضى الجنرال الرئيس الذي يريد من خطوته هذه تكريس رئاسة مدى الحياة له.

وفي الحثثات التي أوردتها الجنرال مشرف، وهو يوضح خطوته في مؤتمر صحفي، تستوقفنا صراحته المتمثلة بقوله للمنتقدين خطوته: "إذا أردتم أن تثقوا العسكريين خارجاً، عليكم أن تتركوا لهم مكاناً في الداخل...".

عندما وصل الجنرال مشرف إلى الحكم أبلغ الشعب الباكستاني بأنه لن يكون أكثر من عابر سلطة وأنه سيغادر كرسي الحكم بإرادته وينشر الديمقراطية والإزدهار والإستقرار. وهاهو بعدما إستقر به المقام وأبرم علاقة قوية مع الإدارة الأميركية وشاركها حربها على نظام "طالبان" يؤسس لرئاسة طويلة مغريباً الشعب الباكستاني بنعمة الإستقرار، وبأنه بالتحول الذي يقوم به خطوة خطوة سيقطع الطريق على الإنتخابات العسكرية التي عرفتها باكستان ثلاث مرات خلال 55 عاماً من إستقلالها.

ما الذي يمكن أن يتوقع المرء حدوثه في هذه الدولة التي تعلّق الأمة الإسلامية الآمال عليها كونها الدولة المسلمة الوحيدة التي تملك السلاح النووي وإن كانت هذه الأمة بهذا السلاح لم تحقق التوازن الإستراتيجي المأمول؟

هل ينجح الجنرال مشرف في إستكمال التحول وبحيث لا يتيح للزعيمين المدنيين الأقوى العودة (بنظير بوتو من ملاذها المريح في دبي ونواز شريف من ملاذه السعودي الأمن في مدينة جدة) ولا يتيح للجماعات الدينية فرصة تزعم الرأي العام الباكستاني؟ وهل يأخذ بتجربة الرئيس (الراحل) حافظ الأسد الذي قطع الطريق على الإنتخابات في سوريا وحكم البلاد حوالي ثلاثة عقود ثم أورث الحكم إلى نجله الدكتور بشار الرئيس الحالي؟

أم يعتمد التجربة التركية حيث الحرية الحزبية متاحة والإنتخابات حرة وسلطة المؤسسة العسكرية في سوريا لا تتقدم عليها سلطة رئاسة الجمهورية وسلطة

رئاسة الحكومة... إنما من وراء الستار؟
في إنتظار ما سينتهي إليه الأمر نتمنى لنوويتنا
الوحيدة الاستقرار.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 27 أغسطس (آب) 2002

الصهيونية تفكر وإدارة بوش تُنفذ

مرة أخرى تبتعد الإدارة الأميركية خطوة جديدة عن الموضوع الأساسي الذي هو بمثابة الواجب الملقي على عاتقها أمر القيام به ما دامت صُنفت نفسها مسؤولة عن شؤون العالم لا يشاركها في هذه المسؤولية شريك. واللافت للإنتباه أنها لا تبتعد عملاً بتقديم الأهم على المهم وإنما لأن مثل هذا التباعد يؤدي إلى تأجيل البت في الموضوع الأساسي الذي هو تنشيط العملية السلمية وتحجيم إسرائيل والتسريع في قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

تتمثل خطوة الإبتعاد الجديدة بكلام مازال لم يكتسب بعد الصفة الرسمية، خلاصته أن إدارة الرئيس جورج بوش الابن في صدد التحضير لإطلاق حملة دبلوماسية - إعلامية بتمويل يبلغ 25 مليون دولار تهدف إلى إصلاح وتطوير المؤسسات التعليمية والإقتصادية والسياسية والدفاع عن حقوق الانسان في دول المنطقة العربية. والحجة من وراء هذه الخطوة على نحو ما أفادت صحيفة "واشنطن بوست" الأربعاء 2002-8-21 هي "إن الأنظمة السياسية السلطوية في دول المنطقة قد خلقت أرضاً خصبة للتطرف والإرهاب...".

الذي أوحى بهذه الفكرة هي الصهيونية ومن خلال المعارض السوفياتي السابق اليهودي نتان شارانسكي، الأمر الذي يؤكد أن كل الأفكار ذات الطابع الشرير التي تعتمدها الإدارة الأميركية تنبع من العقل الصهيوني لتصب في البيت الأبيض. واللافت للإنتباه أن ساكني هذا البيت ونعني بهم الرئيس بوش وبقية أقطاب الإدارة من تشيني إلى رامسفيلد إلى كونداليزا رايس إلى الذئاب البشرية المنتشرة في مفاصل أمنية وسياسية حساسة من تلك الإدارة، يتلقفون الأفكار الشريرة على الفور وتبدأ صياغتها من جانب مستشارين متصهينين لكي يتم تنفيذها. ومن هنا لا يستبعد المرء أن تكون عملية الحادي عشر من

سبتمبر هي أيضاً من الأفكار الموحى بها.
وإستناداً إلى المعلومات الأولية حول حملة الترويج الأميركية المرتقبة للديمقراطية والإصلاح، فإن إدارة الرئيس بوش ستتنظم ندوات ومؤتمرات للصحافيين من 11 دولة عربية وستتولى تدريب قادة النقابات وتدعو عشرات النساء من دول المنطقة إلى أميركا و...

و... و .

ما يمكن قوله لهذه المناسبة هو أن الإدارة الأميركية تتصرف وكما لو أنها السُلطة التنفيذية للصهيونية، وأن كل هذه الأفكار ليست سوى عملية تسويق ودفع الإدارة بعيداً عن التعاطي في الأمور المهمة والمستعجلة. وبدلاً من هذا التضيق للوقت فإن الأمر الوحيد المطلوب من الإدارة الأميركية هو إيجاد الحل الشامل للقضية الفلسطينية وإجبار إسرائيل على الإنسحاب من الأراضي التي إحتلتها في حرب يونيو 1967. فهل ستقتنع وهل ستفعل؟.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 28 أغسطس (آب) 2002

لوبي "حكماء أميركا ولوبي" كواسرها

نفقذ منذ أيام وزير الخارجية الأميركية كولن باول. نكاد لا نسمع صوته. ونكاد لا نلاحظ حضوره في ساحة القرار السياسي. ومقابل ذلك يتزايد حضور الكواسر التي يتنوع أسلوب الكشف عن نواياها تجاهنا. وفي الوقت الذي نفقذ جنرال الخارجية الأميركية نرى جايمس بيكر وزير خارجية جورج بوش الأب قفز إلى الواجهة وخاطب الإدارة بمفردات تجمع بين الحرص والتنبيه والتحذير غامراً من قناة الذين يحيطون بالرئيس بوش الابن. وبهذا القفز بدا بيكر و كما لو أنه يقول مثل ملايين في العالم : أين هو كولن باول ولماذا يرتضي هذا الكتم لأنفاسه الدبلوماسية المتوازنة نسبياً من جانب حملة سيوف التهديد في الإدارة الأميركية أمثال ديك تشيني نائب الرئيس الذي ينام ويصحو على هاجس أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة ولو لفترة إنتقالية وجيزة ودونالد رامسفيلد الذي ينام ويصحو هو الآخر على هاجس أن يصبح نائباً لرئيس الولايات المتحدة ولو لفترة عابرة. ومن قبل بيكر كان لورنس ايغليبرغ وزير الخارجية في جزء من عهد الرئيس بوش الأب يسجل هو الآخر ونيابة عن

كولن باول موقفاً في اتجاه التعقل.

وبالإضافة إلى غياب كولن باول بصيغة الموقف وليس كحضور ومشاركة وظهور في الصور نلاحظ قفز الجنرالات السابقين وبعضهم شغل في عهود توارت منصب مستشار الأمن القومي إلى الواجهة مقتحمين الميدان من دون أن يستدعيهم أحد أو يطلب منهم الرأي مسجلين مواقف تبدو بمثابة رؤية هادئة وعاقلة قياساً بالرؤية المتشجعة والحماسة المتنامية لمستشارة الأمن القومي كونداليزا رايس في اتجاه الحرب على العراق. ويبدو هؤلاء وهم الجنرال المتقاعد برينت سكركرافت مستشار الأمن القومي للرئيسين السابقين جيرالد فورد وجورج بوش الأب كمن يقولون لكونداليزا ما معناه: يا مسز رايس إن مصلحة الأمة وعلاقاتها مع الآخرين ليست في التهور.

ومن الجنرالات السابقين الداعين إلى التبصر وعدم التهور جنرال "عاصفة الصحراء" شوارزكوف الذي كان يعمل تحت إمرة كولن باول في حرب دول التحالف على العراق عام 1991. هذا المشهد يجعلنا نفترض أن "لوبي" كواسر أميركا بات يضعف أمام "لوبي" حكماء أميركا الذين يعرفون أكثر مما يعرف الكواسر بأن الحوار هو الأسلم وهو الأفضل... وهو الطريق إلى الحل الذي يحفظ ماء وجه الجميع.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 29 أغسطس (آب) 2002

صراع إرادات إلا إذا...

يبدو وكما لو أن العالم مقبل على "صراع إرادات" أين منه "صراع الحضارات" الذي كان بمثابة القتل الذي أشعل هذه النار التي يتواصل الإكتواء بها على مستوى دول العالم قاطبة.

ما نقصده بـ "صراع الإرادات" هو أن أميركا وبسبب الغلبة الموقته للكواسر على صناعة القرار في إدارتها غير مكرثة بإرادة كل دولة من دول العالم التي ترى أن الحرب على العراق ليست مبررة.. على الأقل لأن ظروف حرب بوش الأب عام 1991 هي غير الظروف الراهنة، وأن الحجة التي تبرر تلك الحرب ليست قائمة الآن، وأن هذه الدول لا تريد مجارة منطق كواسر الإدارة الأميركية في مسألة تغيير النظام في العراق، أو بصريح المطلب إسقاط النظام الذي يقوده الرئيس صدام حسين.

ذلك أنها بمجارة هذا المنطق سترسي سابقة إليها الإدارة الحالية والإدارات اللاحقة، فتقوم بإسقاط أي نظام في أي دولة ومن دون أن تستوقفها تحفظات متحفظين ما دامت هنالك سابقة حدثت.

لقد سجلت كل دول العالم، عدا إسرائيل وجزء من الحكومة البريطانية معارضتها للحرب على العراق. وشعر الرأي العام في هذه الدول بالإرتياح لأن حكومته تتمسك بإرادتها وترفض الانصياع لإرادة الكواسر الذين يمسكون بمفاصل أساسية في إدارة بوش وبات الأمر في ضوء ذلك بمثابة صراع بين الإرادة الأميركية من جهة وإرادات بقية دول العالم، عدا إسرائيل وربما بريطانيا، من جهة ثانية.

ولأن من مصلحة الولايات المتحدة كدولة تسببت الظروف الدولية بنشوء الواقع غير المتوازن المتمثل بأنها الوحيدة الأكثر قوة ولذا ترى أن تهيمن على القرار الدولي، ألا تصل الأمور إلى حد إرتكاب إثم الحرب المبعوضة من الجميع وبذلك تكون تحدث كل الإرادات العربية والإسلامية والدولية، فإن وضع المسألة بين يكون المخرج الذي لا تبدو فن الهيبة الأميركية مهزومة، فضلاً عن إدارة أيدي دورة إستثنائية للأمم المتحدة قد يكون المخرج الذي لا تبدو فيه الهيبة الأميركية مهزومة، فضلاً عن إدارة الرئيس بوش بهذه الخطوة تعيد الاعتبار إلى المنظمة الدولية المرتبكة منذ بضع سنوات لأنها شكلاً منظمة لكل دول العالم عملياً منظمة تأتمر بأوامر علم واحد مرفوع على مبناها هو العلم الأمريكي. أما سائر الأعلام فإنها لمقتضيات الديكور.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 30 أغسطس (آب) 2002

في التهدة... السلامة

في خضم الأخذ والرد في موضوع الضربة العسكرية للعراق التي يصر عليها كواسر الإدارة الأميركية، من خلال رمزيهم الثنائي ديك تشيني - دونالد رامسفيلد، نجد أنفسنا نتساءل: إن الرئيس الأسبق جورج بوش والد الرئيس الحالي يدرك تماماً أنه لولا تأمين التحالف الذي سعى إليه لما كان استطاع عام 1991 خوض غمار "عاصفة الصحراء" لا أعادها الله. ويعرف وهو الذي سبق أن كان مندوباً لبلاده لدى الأمم المتحدة ماذا يعني إستصدار قرار مجلس الأمن،

وكيف أن المنظمة الدولية تشكّل خير غطاء لأي عمل غير مستحب تزيد الولايات المتحدة القيام به. كما أن هذه المنظمة ومن خلال مجلس الأمن الخماسي ومجلس الأمن الموسّع قادرة على إجهاض أي عمل تتطلع الإدارة الأميركية إليه في حال كان هنالك رفض لهذا العمل في الحد الأقصى وتحفظات عليه في الحد الأدنى. وهي من أجل ذلك تقترح على تلك الإدارة وضّح مسألة الضربة للعراق بين أيدي الأمم المتحدة بحيث أنه إذا إرتأى مجلس الأمن إستصدار قرار فإن الإدارة الأميركية تلتزم به أيّاً كانت طبيعة هذا القرار.

وما يلفت الإنتباه هو أن الإدارة الأميركية ترفض هذا المخزّج الذي يحفظ ماء الوجه، على أساس أن موافقتها تعني أنها رضخت للإرادة الدولية وهي لا تريد ذلك وتعني أن الأمم المتحدة لن تعود بعد ذلك أسيرة الهيمنة الأميركية.

كلما ازدادت الإدارة المهووسة بالحرب والهيمنة رفضاً كلما إتسعت رقعة المأزق الذي تواجهه . وما يدعو إلى الدهشة هو أن عدداً من المسؤولين السابقين في إدارات الرؤساء نيكسون وفورد وريغان وبوش الأب وكلينتون أسدوا النصيحة كتابة في الصحف أو تحذيراً من خلال تصريحات أدلوا بها أو من خلال مقابلات بثتها الفضائيات، إلاّ الرئيس الأب الذي يلتزم الصمت مع أن في إستطاعته كبح جماح من كان وزيراً للدفاع في عهده عندما خاض غمار الحرب على العراق عام 1991. وكبح الجماح يكون من خلال إفهام ديك تشيني أن الضربة التي يتكاثر الضجيج في شأنها قد تعصف بعهد ابنه الرئيس مادام القبول العربي والإسلامي والدولي بها مفقوداً. وما دام ليس هنالك قرار في مجلس الأمن في هذا الشأن ... لذا فإن في التهدة السلامة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 2 سبتمبر (أيلول) 2002

* * *

عين إسرائيل الحمراء

على باكستان وأندونيسيا

منذ ربع قرن والعين الإسرائيلية كثيرة الإحمرار على دولتين إسلاميتين كبيرين تأمل في أن تشق

الطريق إليهما ويكون بينها وبينهما العلاقة التي تتقطع نتيجة لها الأواصر العربية - الإسلامية . وهاتان الدولتان هما باكستان التي تمثّل القوة النووية الإسلامية وأندونيسيا التي تمثّل الثقل البشري الإسلامي.

بذلت إسرائيل الجهد الكبير في هذا الشأن وإبتكرت كل أنواع التآمر والضغط الخفية ومن بينها إستمالة الشخص الذي وصل إلى الحكم في غمضة عين إلى أندونيسيا مع أن كل الظروف الصحية والفكرية والشعبية لا تؤهله لذلك، ثم بدأت تتجه نحو باكستان تحاول بالتعاون مع الحليف الأميركي فتح ثغرات في جدار الرفض القاطع من جانب الباكستانيين شعباً وحكومات وعهوداً مدنية وعسكرية لإقامة نوع من العلاقات على الصعيد التجاري والصحي و الزراعي في الحد الأدنى أو على الأقل . ولكن الضمير الوطني والوازع الديني ومشهد الأقصى القابع تحت الأسر الصهيوني ومعاناة الفلسطينيين الناشئة عن الإحتلال الإسرائيلي لوطن آبائهم وأجدادهم وأجداد الأجداد والجندات كان يحول دون تمكين إسرائيل من فتح تلك الثغرات، ولذا بقي الجدار صامداً ولم يفلح الرئيس الأندونيسي السابق عبد الرحمن واحد المرتبط بعلاقة تثير الشبهات والإستهجان بوزير الخارجية الإسرائيلية الحالي شيمون بيريز في الإقدام على أي خطوة إنفتاحية على إسرائيل.. وإن كان جاهزاً لهذا الإقدام لولا أن الرجل دفع إستقالته بالإكراه ثمن نوايا غير طيبة.

الآن وبعدما نجح المخطط الشرير الذي قضى بانفصال تيمور الشرقية تحاول إسرائيل الإنقضاض على أندونيسيا الثابتة على مبدئيتها من البوابة التيمورية، أي بما معناه تكون هذه الدولة الحديثة العهد هي الساحة التي يتم عليها التآمر والتلاعب وتجهيز وسائل الضغط على الحكم الأندونيسي الراض إقامة أي علاقة مع إسرائيل. ومن أجل ذلك نراها سارعت إلى إقامة سفارة فيها تابعة مؤقتاً إلى السفارة في سنغافورة إلاّ أنها ستكون مع الوقت غير البعيد إحدى أهم سفارات إسرائيل في أعماق القارة الآسيوية. كما نراها في ضوء سقوط أفغانستان المريب تحاول الإنقضاض على باكستان من البوابة الهندية ومن أجل ذلك كانت لهفة شيمون بيريز على الهند عندما تصاعدت الأزمة الباكستانية - الهندية. وهي لهفة، الغرض الشرير منها إقلاق باكستان رمز القوة النووية الإسلامية الآسيوية وممارسة كل أنواع الضغط عليها

من أجل أن تقرر تطبيع العلاقة معها.
ولذا نتمنى للدولتين الإسلاميتين الكبيرتين دوام
اليقظة والثبات على المبدئية. والله معهما.
صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 4 سبتمبر (أيلول) 2002

... صمت كوفي أنان ولا صمت أبو الهول

لماذا بعدما قالت الأكثرية الساحقة من دول العالم
أنها ضد ما تريد الإدارة الأميركية القيام به، بشحن من
إسرائيل وشبه مباركة من بريطانيا، ضد العراق لا يقف
الأمين العراق للأمم المتحدة مشجعاً هذا التوجه لعله
بهذه الوقفة يساهم في تنبيه تلك الإدارة إلى مساوئ ما
تعترق القيام به وما يمكن أن ينشأ عن الضربة من
تداعيات تهز الاستقرار الدولي ويتسبب في إنعدام ثقة
دول العالم بمنظمتهم.

ونقول ذلك على أساس أن منصب الأمين العام
للأمم المتحدة لا يفرض عليه الصمت وبالذات عندما
يكون هنالك موجب للكلام، وعلى أساس أنه عندما
تكون دول العالم بنسبة تسعة وتسعين في المئة مع
إتجاه معين فإن الأمين العام أدبياً وديمقراطياً يجب أن
يكون في صف هذا الإتجاه لا أن يلتزم الصمت وكأنما
الأمر لا يعنيه في شيء.

وما يجوز لنا التذكير به هو أن لسان الأمين العام
طلق وأنه سجل مواقف كلامية كثيرة في عدة مناسبات
كانت في معظمها تصب في مصلحة الإدارة
الأميركية. وهذا معناه أنه إذا هو عوتب من جانب
هذه الإدارة على كلام يمكن أن يقوله بل ويجب أن
يقوله، فإن لديه الحجج الكثيرة لكي يرد على المعاتبة
بالقول إنه في عشرات المناسبات لم يقصّر وقال
الكثير من الكلام الذي يناسب تلك الإدارة، ولذا فإنه
عندما يسجل وفي هذه الظروف بالذات كلاماً يعكس
ما يدور في خاطر أكثرية دول العالم ويشغل بالها
فإنما يكون بذلك غير مقصّر كثيراً بواجبه ويكون أيضاً
على قدر من التوازن مطلوب توافره في شخصه.

أما الذي من واجب الأمين العام قوله فهو ما تقوله
ثلاث دول كبرى ونصف دائمة عضوية في مجلس
الأمن وهي الصين وروسيا وفرنسا.. ونصف بريطانيا،

وما تقوله أيضاً معظم الدول الأوروبية وبقية الدول
الأعضاء. وهو إذا قال الكلام الذي يبارك وجهة نظر
هذه الدول لا يكون متجنياً على الحقيقة ويكون بالفعل
مطلب الأكثرية الساحقة التي تريد الأقلية الضئيلة
خنق صوتها وإجهاض يمارس الحد الأدنى من الواجب
ويعزز موقفها الحكيم الذي يقول: ضعوا الأمر بين
أيدي المنظمة التي يترأسها كوفي أنان وما تقرره
المنظمة يكون ساري المفعول.

ماذا في هذا الأمر من سوء يا مستر أنان حتى
تبقى صامتاً... ولا صمت أبو الهول !؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 5 سبتمبر (أيلول) 2002

التهجير الذي يجمع الخصوم

من يصدّق أن أشرس خصمين سياسيين في
باكستان باتا صديقين وحليفين تجمعهما مشاعر
التعاطف بعدما كان الصراع بينهما يصل إلى حد
إعتماد العنف في الحد الأقصى وفتح أبواب السجون
لإيواء جماعة بنظير بوتو عندما يتولى الحكم نواز
شريف أو إيواء جماعة نواز شريف عندما تكون بنظير
هي الحاكمة بأمر جماهير والدها الذي قضى إعداماً
دون وجه حق.

ما أوردته المعلومات هو أن الجنرال برويز مشرف،
الذي كان خطف السلطة من نواز، الذي كان
إستحصلها من بنظير بوتو، أجرى تعديلات غير
طفيفة في الدستور مادام لا أحد يمنعه سوى جنرال
من نسيجه، وقرر إجراء إنتخابات نيابية بمواصفات
بروزية. وهاله أن بنظير ونواز أهم زعيمين سياسيين
علمانيين في باكستان قررا خوض هذه الإنتخابات
فابتكر البروزيون له من المستعصيات ما جعل ترشيح
بنظير المقيمة في الخارج والمتنقلة بين ربوع الخليج
والديار البريطانية غير "قانوني". وكان ذلك بمثابة
رسالة إلى نواز إستوعبها الرجل الذي يعيش في جده
ضيفاً على المملكة بالتوافق مع الجنرال برويز فقرّر
إستباق الرفض وهو الذي كان يظن أن فوزه سيجعله
كما بنظير يشدان الرحال والعودة إلى باكستان
تحميها حصانتها البرلمانية. ولقد تمثّل الإستيعاب
بإعلان نواز شريف عزوفه عن الترشيح. لماذا؟
تضامناً مع بنظير التي رفضوا ترشيحها، كما قالت

أوساطه.

وهكذا فإن من محاسن الحكم البرونزي أنه جعل قلوب الخصوم تتألف وبات المستحيل ممكناً. وبعدما كان واقع الحال يؤكد أن الصراع بين حزب نواز شريف وحزب بنظير بوتو أبدي ولا يمكن الإثنان الإلتقاء على أي جوامع مشتركة، فإن وطأة الغربة القسرية من جهة والحنين إلى الزعامة التي يبغيها الإثنان الآن مع أنهما السبب في عدم الحفاظ عليها، هي التي وحدت بينهما .. وإن كان هذا التوحد بفعل الإضطراب وليس عن إقتناع .

ومن الضروري أن يقتنع الزعيمان المهجران بنظير ونواز أن العيش بعيداً عن الوطن والزعامة تبقى أفضل من مغبات ما سيصيبهما إذا هما عادا خصوصاً أن العودة بالنسبة إلى كل منهما هي خوض تجربة جديدة من التحدي ليست عواقبها بالأمر السهل هذه المرة، ذلك أنه إذا كان الإثنان إتعظا من ظروف الماضي وإستفادا من الدروس وماذا يعنيه إستمرار الصراع بينهما ، فإن الجنرال برويز مشرف يضع أمامه الكثير من عِبر الماضي وماذا أصاب الجنرالات الذين حكموا باكستان من قبل عندما لم يكونوا يقظين بمثل ما هو عليه من التيقظ.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 6 سبتمبر (أيلول) 2002

* * *

بن لادن الخارق الحي - الميت!

إقتربت الذكرى السنوية الأولى للعملية الترويعية في كل من نيويورك وواشنطن يوم 11 سبتمبر الماضي (2001) والبحث مازال جارياً عن أسامه بن لادن زعيم تنظيم "القاعدة" والدكتور أيمن الظواهري العقل التنظيري في التنظيم والملا محمد عمر رئيس "نظام طالبان" الذي تهاوى بفعل حرب لم تنته بعد ولا يبدو أنها بدأت لكي تنتهي، وتم خلالها تجربة قذائف متطورة قادرة على إختراق صخور الجبال وتزرن الواحدة ألف كيلوغرام.

ما هذه القدرة الخارقة لهذا المثلث لكي يصعب العثور عليه؟ وما هذه المهمة المستحيلة للدولة الأقوى في العالم التي لم تتمكن أجهزتها المخبرانية والأمنية والدبلوماسية من القبض على هؤلاء، مع أن معظم دول العالم أبدت من التعاون الكثير وفتحت أمام الأجهزة الأميركية الملفات والأبواب وذلك ضمن إجراءات لم يسبق أن حدثت من

قبل. وإلى هذه التسهيلات غير المطروقة هنالك "اللوتو" العالمي الذي وصل إلى أن الجائزة المخصصة لمن يلقي القبض على أسامه بن لادن ومن معه، أو هو وحده لتسهيل الأمر هي خمسة ملايين دولار.

وأحدث ما قيل في هذا الشأن على لسان جنرال أميركي أن السلطات المختصة في الولايات المتحدة قررت إعتبار أسامه بن لادن ميتاً ما دام لم يتم العثور عليه وأنه قد يكون لقي حتفه خلال واحدة من غارات قذائف الألف كيلوغرام. وما يحمل هذه السلطات على قول ذلك هو أن الذكرى السنوية الأولى للعملية الترويعية إقتربت ولن يكون المواطن الأميركي مقتنعاً بأن كل هذا الذي جرى لم يحقق النتيجة البديهية وهي القبض على من هو متهم بأنه وراء العملية.

ما الذي يمكن قوله في ضوء ذلك ؟

لقد سجلت حالة بن لادن رقماً قياسياً في ذكر الإفتراضات حولها حيث أن عبارة قد يكون قُتل أو عبارة "ربما يكون لقي حتفه" أو عبارة "تعتقد أنه توفي" أو عبارة "الأرجح أنه قُتل" أو عبارة "من المحتمل أن يكون من ضحايا غارة من الغارات" وعشرات العبارات صدرت عن جنرالات أميركان ومتحدثين رسميين وأحياناً وزراء خلال العشرة أشهر الماضية. وهذا يعني أحد أمرين: إما أن بن لادن شخص خارق وقادر على النزول تحت الأرض فلا يعثر عليه أحد بمن في ذلك الرصد الأمني والإغراء الدولار الأميركي. وإما أن أصول اللعبة توجب أن يبقى بن لادن ذلك الحي الميت، كي لا تزول بإعلان موته بقية حلقات سيناريو لعبة الأمم. والتلاعب بأقدار الشعوب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 8 سبتمبر (أيلول) 2002

* * *

جون... جون ماذا فعلت بعمر؟

تنطبق على ما حدث في السودان بين الرئيس عمر البشير والدكتور جون قرنق أمثلة قايين وهابيل، مع الفارق أن أمثلة الأخين الغابريئ لم تحدث في الزمن الأميركي لكي يأخذ الأمر على عاتقه مبعوث من عشرات المبعوثين الذين تضخم الإدارات الأميركية إلى المنطقة لإصلاح ذات البين أحياناً وإلشعال البيوت العربية ناراً أحياناً أخرى.

لقد إتفق عمر مع جون. وجاء الإتفاق برعاية أميركية

وضغوط ومغريات وتنازلات وهدايا ذات طابع إستخباراتي قدّمها "الزول" السوداني لـ "العم سام" المطعون في كبريائه وجاءت الطعنة نجلاء كما لم تأت عليها الطعنات من قبل. كذلك جاء الإتفاق من وراء الظهريّين المصري والليبي مع أن في استطاعة هذين الظهريّين إتعاّب الأخيّن السودانيّين الشمالي والجنوبي على حد سواء، بل إنهما لولا الحرص من جانب الرئيس حسني مبارك وملاحج جرح مستجد من جانب الرئيس العربي - الأفريقي معمر القذافي على عدم إستقزاز الإدارة الأميركية لأمكنهما ضرب الإتفاق في مفاصله الرئيسية.

ومع ذلك فإن الدكتور جون لم يكن عند حُسْن الظن، ذلك أنه ما أن وضعت حركته التوقيع على بيان الإتفاق حتى قرر أن يجرّج الرئيس عمر فيأمر قوات التمرد بأن تهاجم "توريت" ثاني أهم مدينة في جنوب السودان بعد العاصمة "جوبا".

أخطر ما في هذا الهجوم ليس إحتلال مدينة وإيقاع أعداد من القتلى والجرحى، وإنما أنه يكشف النوايا ويثير الشكوك ويعطي الحُكم السوداني مشروعية لمعاودة الإحتراب، فضلاً عن أنه يُظهر البشير على شيء من الضعف أمام شعبه وجيشه ويجعل كفة المتحفظين على الإتفاق الذي تم تميل لغير مصلحة النفاهم.

ومن دون إستعادة "توريت" لن يكون هنالك إتفاق. ومن دون النوايا الصادقة لن يكون هنالك سلام. وأياً كانت مبررات جون فإن منطق عمر هو الأكثر صوابية. وعلى رغم إقتناعنا بأن الإدارة الأميركية لن تسمح بإنهيار الإتفاق، إلا أن عودة المياه إلى مجاريها بين الحكومة والتمرد باتت هذه المرة تمر عبر "توريت". وما دمت تعرف ذلك يا مستر جون فلماذا فعلت ذلك بأخيك عمر؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 10 سبتمبر (أيلول) 2002

ما نتوخى سماعه ذات يوم من أميركا

إذا سمعنا ذات يوم أن الإدارة الأميركية طلبت من الحكومة الإسرائيلية تنفيذاً فورياً ومن دون شروط لقرارات مجلس الأمن وبالذات القرار 242 وإلا فإنها تدعو دول العالم إلى تشكيل تحالف يجبر المتمرّد الإسرائيلي على الإنصياع للإرادة الدولية، فإن شعوراً بالطمأنينة سيسود العالم ، وسنجد شعوب المنطقة

العربية والشعوب الإسلامية أكثر شعوب بقية دول العالم ضغطاً على حكوماتها لكي تتشّىء أفضل علاقة مع أميركا. وستكون هذه الشعوب بمثابة الحُماة لهذه العلاقة من أي إنتكاسات عابرة تصيبها أومخاطر مباغطة تواجهها.

وإذا سمعنا ذات يوم أن الحكومة الإسرائيلية باغتت العالم وقبّل أن يُنفذ التحالف المشار إليه والمعقودة قيادته للدولة الأعظم الولايات المتحدة إنذاره ببضع ساعات أو بضعة أيام، بإصدار بيان يفيد بأن الحكومة التي هي إنتلافية تضم كل ممثلي الأحزاب الإسرائيلية عقدت جلسة إستثنائية وقررت تنفيذ القرارات الدولية، متأسفة على كل ما سبق وفعلته مع الفلسطينيين معوّضة الأذى المتعمد الذي ألحقته بهم بإقرار حقهم المشروع في أن تكون لهم دولتهم وعاصمتها القدس، فإن الإحتقان الذي يكاد يطبق على الصدور سيتبدد شيئاً فشيئاً وستنقل شعوب الأمتين ومعها شعوب العالم ما معناه: هاهي بالضبط إسرائيل التي يمكن مجاورتها والتعايش معها، وتلك هي إسرائيل التي يمكن أن تعيش وتبقى في المنطقة كياناً ينفذ ولا يضر، يشارك في التنمية بما يملك من خبرات فنية ويحترم خصوصيات الآخرين ، ويسهر على مستقبل الأجيال اليهودية ضمن الحدود التي أقرها المجتمع الدولي له، تاركاً الجولان وما عليها للسوريين ومزارع شبعاً للبنانيين ومتفقاً مع الحكومات على الإستفادة ضمن شرعة القانون وليس بموجب شرعة الغاب من الثروة المائية.

ومانقله هنا يوجبّه المنطق. أما عدا ذلك من إنتهاكات أميركية للموضوعية وللمنطق فإنها ستبقى الدولة الأعظم موضع شبهة.

وخيراً فعل أهل الحُكم في العراق عندما باغتوا المجتمع الدولي مساء يوم الإثنين 16 سبتمبر 2002 بالموافقة ومن دون شروط على عودة مفتشي الأمم المتحدة ، ذلك أنهم بخطوتهم الحكيمة هذه لم ينقذوا فقط العراق من شر الضربة العسكرية التي كان الكواسر في الإدارة الأميركية وضّبوها على أشرس ما يكون عليه التوضيب، وإنما قطعوا الطريق على إستشراء نظرة العرب والمسلمين وبقية شعوب العالم عدا إستثناءات - إلى أميركا، في حال أن هذه الأخيرة نفّذت الضربة، بأنها دولة غير نزيهة في إدعائها الحرص على الشرعية الدولية ، وأنها لو كانت نزيهة لوجهت الضربة العسكرية إلى إسرائيل قبل توجيهها

إلى العراق، وبذلك لا يعود هنالك من يقول إنها تكيل بمكيالين... وأحياناً ببضعة مكيالين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 22 سبتمبر (أيلول) 2002

هل لأن المنصب ليس دورياً؟

هل نتوقع أن يأتي يوم تتعامل فيه كل دولة عربية مع الجامعة العربية التي تولى عمرو موسى أمانتها منذ سنتين بترحيب وإجماع ملحوظين، وبمثل تعاملها مع وزارة الخارجية، بمعنى أن يكون هنالك إلزام بالحصة المقررة على هذه الدولة في ميزانية الجامعة لا تضطر الوزير لأن يُكثر من الشكاوى في شأنها.

نقول ذلك وبصيغة التساؤل على أساس أننا منذ المغفور له عبد الخالق حسونة وحتى عمرو موسى مروراً بمحمود رياض والشاذلي القليبي وعصمت عبد المجيد، وإسطنبول العجز المالي في الجامعة دائرة وبأنغام متعددة تجمع بين الشكاوى والأنين والتحذير من المجهول.

ولو أن الجامعة العربية كانت شركة لكان الإفلاس أصابها ولكنها حالة شراكة من دون موجودات عدا أنها واسطة العقد جامعة الشمل، الموقفة بالتمنيات بين المتنافرين والمتخاصمين، العاجزة في استمرار عن إقحام أسوار الخلافات المستعصية ليس عجزاً عن الإقحام وإنما لأن ما بعد الأسوار حقولاً شاسعة من الألغام التي من المستحسن على الأمين العام للجامعة عدم السير بينها مهما كانت درجة اليقظة و الشجاعة مجتمعين قوية عنده.

يوم الخميس 12 سبتمبر وكان الأمين العام فرغ من إنجاز دورة نصف سنوية لمجلس الجامعة العربية وجّه عمرو موسى رسائل إلى وزراء الخارجية يناشدهم سرعة تسديد المساهمات في ميزانية الجامعة والعمل على تسديد المستحقات المؤجلة قبل تسديد المساهمات في ميزانية العام 2003، والتي جاءت ميزانية تقشف تم تحديد مبلغ 35.154.114 مليون دولار لها من أصلها 120 مليون لصندوق الدعوة العربية و 164.114 ألف دولار للمجمع العربي للموسيقى .

في حال سددت بعض الدول الأعضاء المساهمات المتأخرة عن العام 2002 وسددت الدول الأعضاء كلها المتأخرات غير المعترض عليها من العام 1990

إلى العام 1998 وتم في الوقت نفسه تسديد المساهمات للعام المقبل (2003) فإن الأمانة العامة ستشعر بشيء من البجوحة وسيهدأ بال عمرو موسى. لكن هذا الأمر يبدو بمثابة المعجزة التي لن تحصل ربما لأن الدول العربية تشعر ضمناً أن منصب الأمين العام يجب أن يكون دورياً، على نحو ما آلت إليه إجتماعات القمة العربية وعلى نحو ما هو معمول به في كل المنظمات الدولية بدءاً من الاتحاد الأوروبي مروراً بمنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس التعاون الخليجي والاتحاد الأفريقي وصولاً إلى الحلف الأطلسي ... وغيرها كثير.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 25 سبتمبر (أيلول) 2002

الإرتباك المفاجئ في "رالي الضربة"

في معرض التعليق الفوري على الخطوة العراقية الحكيمة المتمثلة بالموافقة على عودة المفتشين الدوليين ومن دون شروط إستوقفتنا عبارات تترك إنطباعاتاً بأن قائلها منزحجون من أهل الحكم العراقي إعتمدوا المرونة نهجاً، وهو ما إفتقدناه فيهم خلال فاجعة الإجتياح عام 1990 وفاجعة الحرب الدولية - العربية - الإسلامية على العراق 1991. وهذا الإنزعاج قد يكون سببه أن تأثير الخطوة بدا كمن كان يقود سيارة في " رالي الضربة العسكرية " بالسرعة التي يتوخى منها إحراز السباق، وأنه قبل أن يصل إلى خط النهاية ببضع دقائق فاجأه عند أحد المنعطفات سرب من الحمام أو طيور السنونو حجب عنه الرؤية لثلاث ثوان كانت السبب في إختلال قيادة سيارته الجامعة التي خرجت عن خط سيرها الأمر الذي أعاق سائقها الماهر عن مواصلة الإنطلاق في إنتظار الميكانيكي الفني الذين سيتولى تأهيلها من جديد إنما مع آمال أقل في أن يحقق السائق الماهر أو "الشومخر الأميركي" الفوز على الآخرين.

وقبل أن نسجل نموذجاً من العبارات نوضح للقارئ أن التوصيف الذي أوردناه ينطبق على الحالة التي نحن في صدد تناولها. فالمسألة أولاً وأخراً تتعلق بإحراز الفوز لنيل الجائزة والتي هي مغامر تذكّرنا بمغامر الغزوات في الزمن الغابر عندما كانت شريعة الغاب هي شرعة الحكام والمحكومين.

العبارة الأكثر لفتاً للانتباه صدرت عن الرئيس جورج بوش الابن الذي قال: "علينا ألا نسمح لأسوأ زعماء العالم بامتلاك وتطوير أسوأ أسلحة. يجب التعامل مع هذا الطاغية من أجل أطفالنا وأطفال أطفالنا..." .

ياليت الرئيس بوش قبل أن يقول ذلك إستمع إلى إنطباعات عضو مجلس النواب الأميركي نيك رغال الذي زار العراق في نروة التصعيد ورأى على الطبيعة ألوف الأطفال المرضى الذين يحول الحصار دون علاجهم على النحو الأفضل.

والعبارة الأكثر تشنجاً صدرت عن وزير الخزانة الأميركي بول أونيل الذي قال: يجب أن يُنحى صدام حسين من منصبه على رغم موافقته غير المشروطة على عودة المفتشين ويجب أن يحدث تغيير للنظام. ما علاقة وزير الخزانة بذلك؟ هناك لغز لا بد يتصل بمغانم إزالة النظام الراهن في العراق.

والعبارة الأكثر إستخفافاً بجوهر الخطوة صدرت عن وزير الخارجية كولن باول الذي قال: "لا يمكننا أن نعتبر رسالة من صفحة وربع الصفحة بأنها نهاية لهذه المشكلة...". هل لو كانت الرسالة العراقية المتضمنة الخطوة الحكيمة من صفحتين أو حتى من مئة فإن الرأي سيختلف؟ خلاصة الأمر: إنهم يريدون الضربة التي لا يريدوا أحد.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 27 سبتمبر (أيلول) 2002

* * *

النصحية المتأخرة لضمير الجنرال

في سلسلة النوع غير المنطقي وغير الموضوعي وغير العادل من تصريحاته وأقواله وأحكامه، تحدث وزير الخارجية الأميركية كولن باول في مقابلة معه بثتها يوم الأحد 8-9-2002 هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) عن الرئيس ياسر عرفات فقال عنه كلاماً لا علاقة له بضميره العسكري كجنرال سابق وبوجدانه كرئيس للدبلوماسية الأميركية. وهو كلام يثير الإستغراب أكثر من أي كلام للجنرال من قبل. ويبدو أنه أراد منه تخفيف دائرة حصار الكواسر في الإدارة له وإستئثارهم بالرأي الذي يسبق إتخاذ القرار. بل يجوز القول إن كولن باول أراد من كلامه رفع "الفيديو

المفروض عليه من مثلث الكواسر ديك تشيني نائب الرئيس ودونالد رامسفيلد وزير الدفاع وكونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي .. وقى الله الشعب الأميركي شرور هذا المثلث وأفكاره التي تحذب منظر الغربان تتعق بسبب الحروب تحرق الأخضر واليابس وتدمر البشر والحجر على نحو حرب شارون على الشعب الفلسطيني، بدل التأمل في منظر حمائم السلام ترفرف على أرجاء المعمورة.

الكلام الذي سمعناه ثم قرأناه لجنرال الدبلوماسية الأميركية كان على النحو الآتي: "إن معظم الفلسطينيين يعتبرون عرفات زعيماً لهم إلا أن عرفات زعيم فاشل لم يحقق السلام ولم يوقف العنف ولم يتخذ إجراءات صارمة بالقدر الكافي ضد المنظمات الإرهابية. وأنا أقول إنها العنف وسنعمل على مساعدة الشعب الفلسطيني في إقامة دولة تسمى فلسطين...". وما يمكن قوله كمداخلة لهذا الحُكم الظالم من الجنرال الدبلوماسي كولن باول هو أنه ليس ناجحاً لكي يعتبر عرفات فاشلاً. والصحيح أن الإدارة الأميركية التي هو منها هي الفاشلة حتى الآن .. على الأقل بالنسبة إلى النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي والصراع العربي - الإسرائيلي عموماً، وأن الذي يُبقي العنف مستمراً هو الموقف الأميركي الذي يعتبر بأن أرييل شارون دائماً على حق وأن عرفات على خطأ. وبدل أن يقول كولن باول للفلسطينيين "إنها العنف وسنعمل على مساعدة الشعب الفلسطيني في إقامة دولة تسمى فلسطين" لماذا لا يعكس القول أي بما معناه تقوم الدولة وبعدها لن يكون من المؤكد هنالك أي عنف.

عندما لن يعود كولن باول وزيراً للخارجية مثل سائر الوزراء السابقين سيقول مثل هذا الكلام وما هو أكثر منه. لكن ما فائدة أن يصحي المرء ضميره بعد فوات الأوان ... وفي الزمن غير المناسب ؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 30 سبتمبر (أيلول) 2002

* * *

الإغظة على مستوى القمة

إنطلاقاً من نظرة الزعيم الصيني التاريخي ماوتسي تونغ إلى أميركا على أنها نمر من ورق فإن الصين إشتربت للقبول بإقامة علاقات دبلوماسية مع الولايات

البنتاغون فُتحت قبل أيام أمام نائب وزير الدفاع التايواني.

وهكذا ففي السياسة ليس هنالك صداقة دائمة وإنما مصالح تتخللها إغاطة عند اللزوم ... ولا وفاء ومبادئ على الإطلاق .

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 2 أكتوبر (ت) 2002

* * *

مصائب قوم عند قوم فوائد (1)

هنالك دائماً ترجمات على أرض الواقع للأمثلة الشعبية وللاقوال المأثورة شعراً كانت أم نثراً. وما ينطبق على حالة الرئيس ياسر عرفات الذي رفع شارون الحصار عنه يوم الأحد 29 سبتمبر/ أيلول 2002 بعد عشرة أيام صعبة عاشها "الختيار" في مكتبه وهو الوحيد الذي لم يشملته التدمير الشاروني وبإشراف "رامبو" الإسرائيلي المجندة في الجيش "تاليا" ... ما ينطبق على حالة عرفات هو قول الشاعر "مصائب قوم عند قوم فوائد".

المصائب موجودة بكثرة لدى الإدارة الأميركية التي تتشبط عبثاً لتأمين تفاهم دولي في شأن مخططاتها لتوجيه ضربة حاسمة إلى النظام في العراق. وفي كل مرة تقترض هذه الإدارة أن التفاهم على أهبة الحدوث تأتيتها المفاجآت متمثلة بمسيرات وتظاهرات ترفض بشدة ما تنوي الإدارة أن تفعله. وقوة هذه المسيرات، وأبرزها ما حدث في الدولة الحليفة بريطانيا يوم السبت 28 سبتمبر 2002، في أنها ليست حياً بالنظام البعثي في العراق وإنما ضد الحرب بشكل عام ورفضاً لسياسة الهيمنة وفرض الأمر الواقع التي تعتمدها الإدارة الأميركية.

وخشية أن يتحول الحصار الشاروني للرئيس عرفات بعدما تم تدمير مباني المجمع الرئاسي في رام الله، عدا المبنى الذي يضم مكتب الرئيس، إلى إنفجار شعبي فلسطيني عارم على نحو إنفجار البريطانيين والإيطاليين والأوستراليين وغيرهم كثيرون ولا يعود في إستطاعة كواسر الإدارة الأميركية إيجاد متفهمين بين أنظمة المنطقة العربية والأنظمة الإسلامية عموماً، فإنها ضغطت أو ترجت شارون من أجل فك حصار فرضه على عرفات وما كان في الأصل عليه فرضه وإرتضته إدارة الرئيس بوش وجاء إرتضاؤها بمثابة

المتحدة أن تقطع هذه الأخيرة العلاقات مع تايوان التي كانت تعتبرها الفرع الذي يجب أن يعود إلى الأصل، على نحو ما كان يتطلع الرئيس صدام حسين إلى الكويت وكلفه هذا التطلع "أم الحصارات" وحرماً عليه مفتوحة بصرف النظر عن أي ذرائع وأي منطق.

كان ذلك قبل 23 سنة. وفي ذلك الزمن أي العام 1979 كانت الإدارة الأميركية التي يترأسها جيمي كارتر مازالت مهمومة من الخطر السوفييتي الداهم خصوصاً بعدما إشتد غيظ ديناصورات الكرملين لأن تلك الإدارة خطفت منهم مصر تلك الجوهرة التي كانت أهم مافي "القلب" أي قبعة الفرو، للشأن الذين هم عليه في منطقة الشرق الأوسط. وكان الهم الأساسي لأولئك الديناصورات هو الإنتقام من "القرصنة" الأميركية المتمثلة بخطف مصر منهم وفي لحظة كان الرئيس (الراحل) أنور السادات يشيد في إستمرار بالعلاقة الإستراتيجية مع الصديق العظيم الإتحاد السوفييتي .

بعد تلك القرصنة بدأ "الرفاق" المصريون الثابتون على العهد مع الإتحاد السوفييتي يرددون في مجالسهم، ومن دون أن يتقبلوا تحليلات الأصدقاء لمصر وأنا منهم، أن طرد السادات للخبراء السوفييات من مصر كان شرطاً أميركياً لإستدراج مناحيم بيغن إلى حدائق البيت الأبيض يشارك السادات تتشق أريج أزهار حدائق هذا البيت. وكان واضحاً من كلامهم هذا أن ديناصورات الكرملين في إنتظار الفرصة المناسبة للإنتقضاء على الإنجاز التاريخي الذي حققه كارتر متمثلاً في أن مصر السادات نفضت يدها بالكامل من السوفييات وباتت الجوهرة تضفي المزيد من الوهج على العلم الحافل بعشرات النجوم. وتحسباً من جانب كارتر لهذا الإنتقضاء قرر تصعيد الغزل مع الصين والإنتقال بالحوار من دبلوماسية كرة المضرب بـ "البنج بونج" إلى الخوض في صفقة تبادل التمثيل الدبلوماسي.

إشترطت الصين أن تقطع الولايات المتحدة مع تايوان إذا كانت تريد إقامة علاقات دبلوماسية كاملة معها. ولأن تايوان ورقة وليست قضية فإن إدارة الرئيس كارتر قالت: ولايهمكم. نقطعها على الفور. وخلال 23 سنة لم تستقبل أميركا رسمياً أي مسؤول تايواني.

فجأة ولأن إدارة الرئيس جورج بوش الابن تريد الضغط على الصين لكي تخفف هذه الأخيرة من معارضتها للحرب البوشية على العراق فإن أبواب

ندبة بشعة في جبين سياسة أميركا. وكان شارون عند حُسن الظن الأميركي به آملاً من ذلك مساعدة حليفه على توجيه أقصى الضربات إلى العراق.

أما الرأي العام الفلسطيني فإنه مبتهج من جهة لأن رئيسه بات خارج الحصار الشاروني .. ولكن ربما ليس إلى الأبد لأن شارون قد يفعلها مرة أخرى في حال لم يقبض الثمن من الإدارة الأميركية دعماً له وتثبيتاً لموقعه في رئاسة الحكومة. وحزين من جهة أخرى لأن فك الحصار جاء بغرض عدم إنشغال البال لإنجاز تنفيذ مخطط العدوان على العراق وكأنما إستتبطت الإدارة الأميركية هذه "المكرمة" كرشوة للفلسطينيين كي لا يرفعوا صور الرئيس صدام حسين بعد الآن وإلا فإن فرض الحصار على رئيسهم سيتجدد، وكي لا يصعدوا إلى سطوح المنازل في حال بدأت الحرب البوشية ضد العراق في إنتظار الإستمتاع برؤية الصواريخ العراقية تتساقط فوق المدن الإسرائيلية وإطلاق التهليلات لهذه الصواريخ على نحو ما حدث عام 1991 ومازال عالقاً في الذاكرة الإسرائيلية حتى الآن... بل وحتى يوم الدين.

وأبو عمار وربعه ليسوا وحدهم المستفيدين من مصائب العم سام. ولذا فللحديث بقية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 4 أكتوبر (ت) 2002

* * *

مصائب قوم عند قوم فوائد (2)

بالإضافة إلى إستفادة الفلسطينيين الشكلية من المصائب الراهنة للعم سام متمثلاً بإدارة الرئيس جورج بوش الابن التي طلبت من أرييل شارون رفع الحصار عن الرئيس ياسر عرفات وإذعانه صاغراً للطلب وإبتهاج الفلسطينيين بـ "المكرمة" البوشية من دون الرضى الضمني عنها، هنالك إستفادة لبنان الذي منذ أن بدأ العمل في مشروع جر ما يحتاجه قانونياً من مياه نبع الوزاني، راح أرييل شارون يطلق التهديد تلو الآخر موحياً بأنه سيشن حرباً على لبنان في حال لم يتوقف العمل في المشروع الذي من شأن ربع مليون مواطن الإستفادة منه.

وإستناداً إلى ما هو معروف عن شارون المتلطف دائماً إلى إرتكاب المجازر والتلذذ بمنظر دماء الناس.. وبالذات إذا كانوا من الأطفال كي لا يصبحوا مقاومين،

والنساء كي لا يحملن ويؤسس إنجابهنّ لجيل المقاومة المقبل، فإنه عقد الإجتماعات الأمنية وطلب من جيشه أن يكون على أهبة الإستعداد. ولا بد أنه أشرف شخصياً على تحضير مجموعة "الكوماندوس" التي سيوكل إليها أمر تدمير المشروع كي يبقى لبنانيو القرى والبلدات الحدودية مثل حال العيس في البيداء التي يقتلها الظمأ بينما الماء على ظهورها محمول على نحو التشبيه المبدع الذي تركه لنا واحد من رموز تراثنا الشعبي الخالد.

بكل الثقة بالنفس والإيمان بالحق المشروع واصل لبنان العمل في مشروع جر مياه نبع الوزاني وتقدياً من جانبها لإشتعال الجبهة اللبنانية - الإسرائيلية مما يؤثر على مخطتها الرامي إلى تنفيذ عدوان حاسم ضد العراق، فإن الإدارة الأميركية سارعت إلى إرسال الخبراء الذين من شأن مسعاهم التخفيف من حدة أزمة بدأت تتصاعد. وكما الحال مع الفلسطينيين فإن الإدارة الأميركية ومن خلال الـ "سوبر ستار" في تلك الإدارة كونداليزا رايس أبلغت إسرائيل بلهجة تجمع بين العذوبة والأسف والتمنيات والرجاءات ما معناه : هل هذا وقته يا صديقنا العزيز أرييل. وهل من مصلحتكم إشغال بالنا بأمور ثانوية تأخذ من طريق تركيزنا على المسألة الأهم وهي تدمير العراق من أجل أن نعيد بناءه؟ بليز مستر شارون.

في ضوء ذلك قرر شارون فجأة إستبعاد الخيار الحربي ضد لبنان الذي سيحتفل منتصف أكتوبر المقبل وفي ظل وهج إنعقاد القمة الفرنكوفونية فيه بإطلاق مشروع جر مياه الوزاني. لكن مع شارون تبقى الخشية مشروعة لأنه من نوع الحكام الذين لا يمكن الوثوق بكلامهم ولأنه أيضاً لن يغفر للبنان الذي أذله جنراً في الثمانينات وها هو يتحداه كرئيس للحكومة من خلال إعتبار نهر الوزاني ينبع من لبنان ليس من أجل أن يرتوي الإسرائيليون... ويعطش أصحاب النبع.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 5 أكتوبر (ت) 2002

* * *

الإزدهار الحزبي

في مملكة محمد السادس (1)

بزّ المغرب لبنان في عدد الأحزاب التي تعمل

أمنة مطمئنة فوق أرض المملكة. وجاءت الانتخابات الأولى في عهد الملك محمد السادس توضح أن المملكة مزدهرة حزبياً ليس فقط أكثر من أي دولة أخرى من دول الاتحاد المغاربي وإنما أكثر من أي دولة عربية وأكثر من أي دولة من الدول التي تشترع الحكومات فيها الأبواب أمام من يريد أن يتحزب وينتمي إلى حزب من الأحزاب.

وما يلفت الانتباه هو أن 26 حزباً خاضت غمار الانتخابات البرلمانية الأولى في عهد الملك محمد السادس وأن كلاً من هذه الأحزاب حصل على حصته من الكعكة البرلمانية وحسب ما تجيز له شعبية الحصول..

من المؤسف أن التيار الإسلامي الأكثر تأثيراً في الشارع المغربي متمثلاً بـ "جمعية العدل والإحسان" التي يتزعمها أحمد ياسين المغرب، الشيخ عبد السلام ياسين لم يشارك في هذه الانتخابات التي كان الملك محمد السادس عند وعده في أن تكون حرة بدليل أن العملية الانتخابية سارت على الوجه الأمثل وإنتهت ببضائع لا دماء سالت ولا تجريحاً حدث. كما أن زملاءنا في الصحافة المغربية كانوا متجربين حيث أنهم لم يحجبوا النشاطات والبرامج التي خاضت الأحزاب الانتخابات على أساسها وبذلك قال الفائز الأكبر "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" الذي حصل على 45 مقعداً من أصل 295 مقعداً ما يريد قوله من خلال الصحافة، وقال الفائز الأصغر "حزب المؤتمر الوطني" الذي حصل على مقعد واحد ما يريد قوله من خلال الصحافة أيضاً.

وتبدو مقاطعة الإسلاميين للانتخابات وللشاركة في الحكم وكما لو أنها باتت عرفاً يقتصر فقط على من هم الأكثر تشدداً في التيار الإسلامي. وهذا على سبيل المثال "حزب الله" في لبنان الذي عندما تبدأ المشاورات لتشكيل حكومة جديدة لايسارع إلى تسمية وزرائه كما يفعل الآخرون معتذراً عن المشاركة. كما على سبيل المثال أيضاً حركة "حماس" في فلسطين التي تفضل عدم المشاركة في السلطة الوطنية الفلسطينية. وهذا الابتعاد قد يكون سببه أن الإنتساب إلى مؤسسة الحكم إما أن يكون إستثنائاً به أو النأي ما أمكن عنه على نحو ما إرتأى الجناح الأقوى من إسلاميي المغرب جماعة الشيخ عبد السلام ياسين الذين تصرفوا من حيث المقاطعة على طريقة المسيحيين المتشددون الذين سبق لهم أن قاطعوا

الانتخابات البرلمانية شر مقاطعة فكانوا الخاسرين والنادمين. وهذا النأي هو في فقر نظرهم وسيلة من وسائل إستقطاب الرأي العام الشغوف عموماً بالذين يعارضون الحكم والحكومة وبالذات في بلد مثل من المغرب يقترب عدد العاطلين عن العمل فيه من السبعة ملايين نسمة وتتجاوز نسبة الأمية فيه الستين في المئة. ومن الطبيعي في ضوء هذا الواقع الصعب أن يستقطب الإسلاميون هذه الشرائح من الرأي العام التي كانت الشيوعية في الماضي تشكل الملاذ لها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 6 أكتوبر (ت) 2002

* * *

الإزدهار الحزبي

في مملكة محمد السادس (2)

ما يلفت الانتباه في الانتخابات البرلمانية الأولى في عهد محمد السادس الذي قرر من دون تردد أن يكون رمزاً للإنتفاح السياسي والإجتماعي على حد سواء، هو أن 11 حزباً من أصل 26 خاضت الانتخابات تأسست بين العامين 2001 و2002 وكأنما التأسيس هو من أجل خوض الانتخابات المشار إليها وأن أربعة من هذه الأحزاب تأسست خلال السنوات الخمس التي سبقت وفاة الملك الحسن الثاني الذي يعود الفضل إليه في تحقيق ما لا يجوز حدوثه في معظم أنظمة دول العالم الثالث وأن لا مانع من أن يكون رئيس الحكومة معارضاً وذلك في نطاق "تجربة تداول السلطة". وكانت تجربة الحسن الثاني إسناد منصب رئاسة الحكومة إلى عبد الرحمن اليوسفي زعيم الحزب التاريخي "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" إيجابية أفادت في تأمين مصالحة وطنية بين من هم في الحكم وبين من هم في المعارضة. أما بقية الأحزاب فإنها موجودة منذ أن تسلم الحسن الثاني الحكم. لكن أحداً منها لم ينتزع من الشارع ما يجعله الأكثر تفوقاً بدليل أن الانتخابات التي نكتب عنها إنتهت إلى أن ما ناله الحزب الثاني "حزب الإستقلال" من المقاعد كان بفارق صوتين عن الحزب الأول "الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية" الذي نال 45 مقعداً، أما "التجمع الوطني للأحرار" و "حزب العدالة والتنمية" فنال كل منهما 38 مقعداً، ونالت

"الحركة الشعبية" 25 مقعداً و"الحركة الوطنية الشعبية" 16 مقعداً و"الإتحاد الدستوري" 14 مقعداً و"الحزب الوطني الديمقراطي" عشرة مقاعد و"جبهة القوى الديمقراطية" عشرة مقاعد و"الإتحاد الديمقراطي" تسعة مقاعد و"حزب التقدم والإشتراكية" تسعة مقاعد و"الحركة الديمقراطية والإجتماعية" سبعة مقاعد و"الحزب الإشتراكي الديمقراطي" ستة مقاعد و"حزب العهد" خمسة مقاعد ورابطة الحريات" أربعة مقاعد و"اليسار الإشتراكي الموحد" ثلاثة مقاعد و"حزب الإصلاح" ثلاثة مقاعد و"الحزب المغربي الليبرالي" ثلاثة مقاعد، ونال كل من "حزب الشورى والإستقلال" و"حزب البيئة و التنمية" مقعدين . أما "حزب المؤتمر الوطني" فنال مقعداً واحداً.

خلاصة الأمر أن كل المشاركين في المولد الانتخابي خرجوا منه على نحو ما يقول المثل الشعبي بما تيسر من الحمص. ولكن هذا الموزاييك الشبيه من حيث النقوش بالسيراميك المغربي يبدو في بعض جوانبه نوعاً من الفولكلور الديمقراطي. وقد يكون بدل كل هذه البحيوحة الحزبية من الأفضل اندماج الأحزاب الصغيرة في حزب واحد وبالذات أولئك الذين إختاروا كلمة "الإشتراكية" لتكون إلى جانب "الديمقراطية" و"الليبرالية" و"الحريات" و"التقدم" جزءاً من الأسماء التي إختاروها لأحزابهم. وهؤلاء كان فوزهم متواضعاً ... وسبقني كذلك.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 7 أكتوبر (ت) 2002

* * *

الإزدهار الحزبي

في مملكة محمد السادس (3)

هنالك الكثير مما يلفت الإنتباه في الانتخابات الأولى في عهد الملك محمد السادس. فعدا كثرة الأحزاب والتي هي ظاهرة غير مألوفة فإن المشاركة النسائية في الانتخابات كانت أيضاً تلفت الإنتباه. لقد بلغ عدد النساء اللواتي رُشحن أنفسهن 697 من أصل 5865 مرشحاً أي ما يشكّل خمسة في المئة من مقاعد البرلمان. والذي شجع على هذا الترشيح أن الملك محمد السادس رأى أن تمثيل المرأة في المجلس بإثنين فقط من أصل 325 يمثلون 91 دائرة إنتخابية

من بينها الصحراء الغربية، لا ينسجم مع مشروع التطوير والإنتفاح على المجتمع الذي يريده، خصوصاً أن عدد من يحق لهم الإنتخاب في المغرب يصل إلى 49 في المئة من أصل 14 مليون ناخب من الجنسين، فكان وراء قانون إنتخابي جديد تم إقراره في يوليو 2002 ويتعلق بلائحة خاصة للمرأة محدداً لها حوالي عشرة في المئة من مقاعد البرلمان، الأمر الذي يعني أن تتمثل المرأة في البرلمان الأول في عهد الملك محمد السادس بثلاثين من أصل عدد نواب المجلس الـ 325. وكان لافتاً أن هذه المبادرة من جانب الملك الشاب تزامنت مع زواجه سلمى البناني المهندسة المتخصصة في المعلوماتية والتي هي من طبقة إجتماعية متوسطة، والتي رآها المغاربة من خلال الصور الفوتوغرافية واللقطات التلفزيونية لمناسبة الزفاف ولمناسبة أخرى إجتماعية تمثلت بحضورهما معاً مأدبة عشاء لمناسبة مهرجان سينمائي إستضافته مدينة مراكش في الوقت الذي كانت الإنتخابات قاربت على الإنتهاء.

وهذا الإنصاف من جانب الملك محمد السادس للمرأة لن يقتصر على "البحيوحة" البرلمانية التي نالتها، وإنما هنالك تعديلات جذرية لقانون الأحوال الشخصية تناقشها منذ فترة "لجنة ملكية إستشارية" تتعلق بالتعليم وسن الزواج، وهي مسائل على درجة من الحساسية الأمر الذي جعل الملك يطلب من هذه اللجنة ألا تكون المرونة على حساب خصوصية المجتمع المغربي وبالذات ما يخص العائلة المغربية.

وفي تقديرنا إن المرأة المغربية، في ضوء هذا التطور المتزايد لها وهذه النسبة من المقاعد في البرلمان التي باتت عليها، ستري أن تشكيل حزب نسائي قد يحقق الكثير.. فضلاً عن أنه يكسر القاعدة الذكورية السائدة في المجتمع الحزبي حيث أن الأحزاب الستة والعشرين الحالية كلها، تأسيساً وقيادة، مقتصرة على الرجال، إلا إذا إرتأت المرأة المغربية أن التفاعل من داخل الأحزاب القائمة، أو تحديداً من بعضها، يبقى الأفضل لها ولتلك الأحزاب التي بات الترهل يصيب بعضها.

وما حدث للمرأة في المغرب برلمانياً لا يعني أنها كانت محرومة من المشاركة في الحياة العامة، بدليل أن السيدة عائشة عمة الملك دشنت ظاهرة المرأة السفيرة. ولكن الفرق كبير بين المشاركة الرمزية لما كانت الحال في الماضي والمشاركة بصيغة الدور

على نحو ما يريد الملك محمد السادس الذي يواصل التطوير والتحديث من دون أن يقفز فوق جوهر الخصوصية. وما فعله سينعكس على الجيران المغاربة والأشقاء المشاركة... بوركت خطواته.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 8 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

"الكابوي" التكريتي

و "الكابوي" التكتاسي

يتمنى المرء مثل حالي ولا بد أن الملايين في القارات الخمس تتمنى أيضاً، لو أن الصيغة التي طرحها طه ياسين رمضان أحد صقور القيادة العراقية، ونقضي بأن تحدث مباراة بالمسدسات بين "الكابوي" التكريتي الرئيس صدام حسين و"الكابوي" التكتاسي الرئيس جورج بوش الابن، هي ما يجب إعتماده عندما تكون هناك خلافات بين الحكام ورغبات دفيئة في أن يصفي حاكم حاكماً آخر بصرف النظر عن موضوعية الحيات.

أما لماذا التمني فلأن الأمر في هذه الحال يقتصر على أن المباراة إنتهت بغير التعادل طبعاً إلا في حال أن العناية الإلهية شاءت، درءاً لتداعيات ما بعد المباراة، أن تغص الرصاصات في مسدس كل من الرئيسين المتبارزين فلا تنطلق وبذلك تصفو القلوب ويبدأ الإثتان حياة جديدة تقوم على التعايش، أو أن الرصاصات تنطلق في لحظة واحدة من الفوهتين وينقسم المتبارزان الإصابة وبذلك يواصل من بعدهما وضمن الأصول الدستورية... وكما لو أن شيئاً لم يكن. وفي الحالين لا يسقط الضحايا الأبرياء، ولا يكون هناك موجب للتدمير، وتخرس المدافع وتعود حاملات الطائرات إلى مراسيها، ولا تكون هنالك غرفة عمليات في ألمانيا جاهزة لإستقبال الجرحى من جنود الأساطيل ولا توابيت لنقل جثثهم. كما لا يكون في المقابل في مدن العراق هنالك موجب لتحضير الأكفان ومجالس الفاتحة والعيول... و... إلخ مما ينشأ عن الحروب والويلات.

وفي أي حال فإن الصيغة التي إقترحها طه ياسين رمضان تنطبق على الرئيسين صدام وبوش كما لا تنطبق على رئيسين آخرين في العالم. فهما الوحيدان

الذان أوجبت لعبة التحدي عليهما الظهور على الناس بمظهر الرجل الذي لا يخشى الأهوال. ونتذكر عشرات المرات التي بثت الفضائيات صوراً لـ "الكابوي" التكريتي الرئيس صدام حاملاً مسدساً أو بندقية مطلقاً النار منها بيد واحدة دلالة على أن اليد لا ترتجف، أو شاهراً سيفاً جاءه هدية فلم يبقه في غمده وإنما سحبه ببراعة السيافين وبهمة الحجاج بن يوسف ونظرتة إلى الرؤوس التي تينع ويحين قطافها. كما نتذكر عشرات المرات التي حرص فيها الرئيس بوش الابن على الظهور بلباس "الكابوي" التكتاسي رداً على "الكابوي" التكريتي.

يتبارزان؟

أم يبقى الأمر مجرد إقتراح؟
أم يقرر سيد البيت الأبيض أن المباراة الأفضل هي في إكتساح العراق عرباً وكرداً وتركماناً وكلداناً وأشوراً سنة وشيعة وصابئة ومسيحيين، نفطاً وتمراً، صحراء ونهراً وخليجاً، بعثاً ومعارضة؟
إنه فيلم أفلام هذا العصر الذي لا مجال فيه للمنطق... ولا قيمة للإنسان.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 14 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (1)

كان اللواء غازي كنعان الذي أمضى عشرين سنة رئيساً لـ "جهاز الأمن والإستطلاع للقوات السورية العاملة في لبنان" قبل أن يصدر قرار يوم الثلاثاء 8 أكتوبر/ تشرين الأول بنقله إلى دمشق رئيساً لـ "شعبة الأمن السياسي" وهي واحدة من أربعة أجهزة أمنية بالغة الأهمية في سوريا، هو الشخص الذي يصح تلخيص أهميته بعبارة "تاريخ لبنان الحديث يمكن إختصاره في رجل هو غازي كنعان".

وباستثناء عبد الحميد السراج في أواخر الخمسينات وبدايات الستينات لم يكتسب ضابط سوري الأهمية التي إكتسبها غازي كنعان مع الأخذ في الإعتبار أن غازي كنعان كان يقيم في لبنان بينما عبد الحميد السراج مقيم جغرافياً في دمشق لكنه مستوطن عملياً في عقول وعواطف ثلاثة أرباع أهل السياسة والأحزاب اللبنانية وشمل إستيوائه أيضاً رؤية بطريك الطائفة المارونية زمنذاك مار بولس بطرس المعوشي الذي

كان مسيحيو الجناح المتشدد في ذلك الزمن يسمونه "غبطة البطريرك محمد المعوشي" بل إن بعضهم وعلى سبيل التفضل كانوا يقولون إن اسمه هو "محمد علي مصطفى أبو بكر عثمان المعوشي".

قرار إستبدال غازي كنعان بنائبه العميد الركن رستم غزاله الذي كان مسؤولاً عن أمن بيروت فاجأ أهل الحُكم على إختلاف مشاربهم، كما فاجأ الذين لا يكونون مشاعر الود لسوريا بدليل أن رؤساء الرئاسات الثلاث في لبنان لم يعرفوا به إلا قبل ساعات من صدوره، ومن ضمن هؤلاء رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي لو كان يدري بالتغيير، كتوقيت وليس كإحتمال، المشار إليه لكان أرجأ سفره يوماً إلى باريس كي لا يغيب عن المشاركة في مراسم الوداع كثير التميز الذي حصل لغازي كنعان من قبل رئيس الجمهورية العماد إميل لحود ورئيس الحكومة رفيق الحريري الذي خص كنعان بإستقبال غير مسبوق حيث أنه إستقبله على درج سراي الحكومة وإصطحبه إلى مكتبه وشارك في الإستقبال رئيس بلدية بيروت عبد المنعم العريس الذي أهدى كنعان مفتاح العاصمة. بالإضافة إلى هذا المفتاح و"وسام الأرز الوطني من رتبة ضابط أكبر" الذي قلّده إياه رئيس الجمهورية و"وسام التقدير العسكري من الدرجة الفضية" الذي قلّده إياه وزير الدفاع خليل الهرابي... كانت الكلمات التي قيلت له من جانب الذين ودعهم ضمن أصول البروتوكول والإنضباط وعدم الخلط بين الأهمية وبين مقتضيات الوداع الرسمي تُلخّص وفي صيغة إيماءات وعناوين لماذا القول من جانبنا في هذا المقال إن التاريخ السياسي والأمني للبنان يتلخص في رجل.

صحيفة "الوطن"، الرياض - الثلاثاء 15 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (2)

عرف أهل السياسة والأحزاب اللواء غازي كنعان شخصية عسكرية بلباس مدني. وكان دائم الظهور على اللبنانيين بالبدلات الأنيقة، يساعد على الأناقة هذه أنه غير مكتنز الجسم وأن ملامحه قريبة من ملامح بعض نجوم السينما ويختار بدلاته وربطات عنقه بما يؤكد الأناقة والشياكة.

ومع أنه كان في المفصل الأقوى في القرار اللبناني

وفي دائرة الخلافات والصراعات، إلا أنه كان يزار ولا يزور إلا في اللحظات التي تتطلب توفيقاً ضرورياً أو إطفاء نار على أهبة الإشتعال. كما أنه كان لا يظهر على الناس إلا إذا كانت هناك زيارة مسؤول سوري كبير للمسؤولين اللبنانيين أو كانت هناك مناسبة للتهنئة أو لتقديم واجب العزاء، وهذا مؤشر إلى حجم الإهتمام من جانب الدولة السورية متمثلة في شخصه لمن يجب تهنئتهم أو تعزيتهم.

ومن كان في مثل وضعه كمرجعية أمنية وسياسية من الطبيعي أن يُزار أكثر من أن يزور. ومن أجل ذلك فإن مكان إقامته في النقطة الأقرب إلى الحدود مع سوريا بات بشهرة العاصمة اللبنانية وذلك لكثرة زواره من أهل السياسة والأحزاب في طريق الذهاب إلى دمشق أو في طريق العودة منها، وفي معظم الأحيان من أجل إتمام الزيارة لمقابلة من هم في القمة، أي الرئيس (الراحل) حافظ الأسد، ثم الرئيس الوارث الدكتور بشّار الأسد، أو لمقابلة من هم دون القمة أمثال عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية والعماد مصطفى طلاس وزير الدفاع أو للإجتماع مع من هم في سفح السُلطة.

وكانت زيارة "أبو يعرب" وهو الأسم الذي يطيب لأهل السياسة والأحزاب مناداة اللواء غازي كنعان به، في عرينه في منطقة الحدود تعني أن الرضى قائم أو أن التوفيق على أهبة الحدوث وصولاً إلى الرضى.

وقبل إلقاء الضوء على مضامين الكلام الذي سمعه "أبو يعرب" من "أبو إميل" أي الرئيس إميل لحود ومن "أبو بهاء" أي الرئيس رفيق الحريري وما كان من الطبيعي أن يسمعه من "أبو مصطفى" أي الرئيس نبيه بري.. من المهم التوضيح أن مسألة عنصر المفاجأة التي إتسمت بها خطوة نقل اللواء غازي كنعان إلى دمشق رئيساً لـ "شعبة الأمن السياسي" بعد تأجيل لتنفيذ القرار إستمر سنتين لإعتبارات داخلية سورية وليست لبنانية... من الجائز التوضيح بأن الخطوة قد تكون مقدمة على ما يجوز الإعتقاد، لمنصب أعلى قريباً أو مكافأة على إنجاز مهمة بالغة الدقة قام بها الرجل. ويمكن عنصر المفاجأة في أن اللواء كنعان بات مثل خزانة البنك التي يتم إيداع كل ما هو ثمين فيها.

وبالنسبة إلى الحُكم السوري ليس هنالك ما يساوي أهمية العلاقة مع لبنان والحرص على أن تبقى في عهدة من بات خبيراً ومطلعاً وقادراً على الإمساك بكل

الخيوط. وإلى ذلك إن بقاء غازي كنعان في موقعه طوال عشرين سنة ترك إنطباعاً بأنه الشخص الذي لا يمكن تغييره ... أو بالأحرى لا يجوز نقله. وهذا سببه أن في بعض الحكومات العربية مسؤولين معمرين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 16 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

من "أبو يعرب" إلى "أبو عبدو" (3)

في كلمة التكريم التي أرفق بها توسيمه للواء غازي كنعان تحدث الرئيس اللبناني (الأول) إميل لحود عما فعله كنعان خلال عشرين سنة أمضاها في لبنان رئيساً لـ "جهاز الأمن والإستطلاع في القوات السورية العاملة في لبنان" فقال "إنه طوال مدة وجوده في لبنان ساهم وبشكل فاعل في تعزيز العلاقات بين البلدين الشقيقين وتعميق التعاون بين الجيشين اللبناني والسوري مظهراً بذلك مناقبية عالية والتزاماً عميقاً للتوجهات التي حددتها القيادتان اللبنانية والسورية منذ عهد الرئيس الراحل حافظ الأسد، والمستمرة حتى هذا اليوم في عهد الرئيس بشّار الأسد.

وعند إحتفال بيروت بشخص رئيس لبنان (الثالث) رفيق الحريري وبشخص رئيس بلدية العاصمة عبد المنعم العريس سمع اللواء غازي كنعان كلاماً طيباً يعوّضه الكلام الذي يفتقد إلى الطيبة وكان يقال في مجالس البعض والذي كان دائماً يصله. وبدا واضحاً أن الرئيس الحريري حرص على أن يتحدث عن كنعان بعدما يكون هذا الأخير تسلّم مفتاح العاصمة من رئيس البلدية وسمع رأي بيروت في الشخص غير المرحب فيه من فئات طالما شهدت العاصمة بيروت تظاهرات من جانبها تلازمت مع هتافات وصيحات إتسمت بالكثير من الحدة والتشنج ضد سوريا. وخلصاً رأي بيروت طبقاً لكلام رئيس بلديتها: لقد أحببت هذه المدينة يا سيادة اللواء طوال الأعوام التي قضيتها في لبنان وإن مدينة بيروت دائماً وفيه لمن يحبها ويرعاها..... وما لم يقله العريس عن موجبات الوفاء قاله كنعان الذي روى أحوال بيروت عندما جاءها قبل ثماني عشرة سنة عندما كانت الميليشيات سائدة في شوارع المدينة وكيف تم إستنهاض الهمم والوضع إلى أن إندثر الميليشيون بين زعامات وصلت إلى الحُكم وأخرى تاهت في غياهب التشبث

والعناد.

لكن تبقى كلمة الرئيس الحريري في تكريمه لغازي كنعان وتكرياته عن عشر سنين من المعرفة به والعلاقة معه هي اللافتة أكثر من غيرها، وتوضح لماذا إستقبل الحريري اللواء المودّع على درج السري وليس في المكتب. ومما قاله الحريري: "يا أخ أبو يعرب، لُكُم أيّد بيضاء كثيرة على هذه البلاد. والهدية التي أهديتونا إياها هي الأخ رستم غزاله (أبو عبدو) الذي قلت لي عندما عرفتني به: سأعرفك بأخ لي يدعى رستم غزاله. وهذا الرجل هو أنا ..."

ومعنى هذا أن الأسلوب الذي إعتده اللواء غازي كنعان طوال عقدين من الزمن في لبنان سيتواصل، وأن التغيير يتعلق فقط بالشخص ... الذي لو قرر ذات يوم أن يكتب مذكراته أو يروي ذكرياته لعرف اللبنانيون حقيقة تاريخهم السياسي الحديث حق المعرفة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 17 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

"الحجاج التكاسي" والرؤوس العراقية

لا ندري إذا كان الرئيس جورج بوش الابن يعرف من التاريخ السياسي للعراق واقعة الحجاج بن يوسف صاحب الخطبة الشهيرة التي قالها يوم لم يكن هناك فضائيات وإنترنت "تبثها على العالم .. ومع ذلك شاعت أكثر من معظم خطب الرئيس جورج دبليو التي هي بمثابة الوقود للآلة الإعلامية الأميركية والدولية عموماً. وعندما نقول لا ندري فعلى أساس أن ما هو ذائع عن صيت الرئيس التكاسي أنه غير شغوف بالقراءة، ولا يحب إشغال البال والوقت في الأمور الجدية مثل تاريخ الشعوب والقضايا التي لا تجد رجال دولة من النوع المتميز يضعون لها الحلول. بصرف النظر عن تلك فإن الرصد الدقيق لكل تصرفات الرئيس بوش الابن وأقواله، وبصرف النظر عما إذا كانت التصرفات مطلوبة ولا خيار عنده سوى القبول بها، وكانت الأقوال هي من عندياته أو فقط تقويله لها وبلسانه... إن الرصد الدقيق يجعلنا نرى أماناً "حجّاجاً تكساسياً" يتصرف على أساس أن هنالك رؤوساً عراقية أئبعت وحان قطافها. وما لن يتم قطفه بالحسنى سيتم قطفه من خلال موكب "الحجّاج

التكساسي" الذي كانت له في أفغانستان تجربة فاشلة مع قبائلها. وهذا الموكب عبارة عن أنواع من السلاح لا تجد الأرض التي يمكن تجربتها عليها لشدة الأذى الذي يمكن أن ينتج عنها وهي أسلحة تتطبق عليها تسمية أسلحة الإفناء الكامل الأمر الذي يجعل أسلحة الدمار الشامل خفيفة الوطأة قياساً بها. وليس في نظر الحجاج التكساسي من هو أفضل من العراق لمثل هذه الاختبارات العلمية من أجل بناء "عالم أفضل" يقوم على "الديمقراطية" التي سيكون فيها "البعث" الأميركي بديلاً لـ البعث العراقي ويكون فيها جنرال أميركي حاكماً للعراق بدلاً من حكامه أبناء البلد.

لكن ثمة سؤال : هل إن ما يريد الرئيس بوش الابن القيام به سيمر هكذا ببساطة؟

وهل إن العراقيين وبالذات عشائر العراق التي لها تاريخ مضيء في مقاومة الإنكليز سيجدون ومعهم عشيرة البعث في "المن والسلوى" التكساسية طعماً ألد مذاقاً مما هم عليه؟

هذا متروك للشجاعة والوطنية والمزاج العراقي، فضلاً عن أن السحر ينقلب أحياناً على الساحر وبحيث أنه بدل أن يخرج الأرنب من القبة فإن الذي سيخرج هو العفريت الذي يجعله يقول لماذا كان رفض الحجاج التكساسي جورج دبليو بوش لما أراده العالم؟ ولماذا كان الإستساخ للحجاج بن يوسف وليس لهارون بن الرشيد. لقد أسأنا التصرف ويا ويلنا مما ستقوله أجيال المستقبل عنا.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 18 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

حرب التشبيهات مفتوحة

على مصراعينها

الرئيس جورج بوش الابن أطلق على الرئيس صدام حسين تشبيهاً هو أنه مثل "جوزف ستالين". ووزيرة العدل الألمانية هيرتا ديبلر غميلين أطلقت على الرئيس بوش تشبيهاً هو أنه مثل "هتلر". وعندما قال الرئيس بوش في إحدى خطبه ما معناه إن له ثأراً على صدام حسين لأنه على حد قول بوش حاول قتل "ماي داداي" أي والده، قال أهل السياسة في الغرب والشرق على حد سواء: هل من المعقول أن

تشن الدولة الأعظم حرباً على دولة أخرى بحجة أن رئيس تلك الدولة (أي صدام حسين) حاول قتل "داداه" .. داداي بوش الأب أي والده . أما أهل السياسة في أوروبا فتساءلوا كيف يجوز لرئيس الدولة الأعظم إستعمال كلمة "داداي" ذلك أنها مثل لو أن الرئيس شيراك إستعمل كلمة "بابا" وطوني بلير إستعمل كلمة، ماي داد، وبيرلسكوني إستعمل كلمة "بابيتو" بدل إستعمال العبارة الخالية من أي دلح، وذلك على أسس أننا لسنا في وسط عائلة يتلاطف أفرادها بالتسميات ينادي الكبير الصغير وبالعكس.

المهم أن حرب التشبيهات إنطلقت وهنالك في القائمة أسماء كثيرة برسم إدخالها إلى معجم مفردات هذه الحرب. ونتساءل هنا: من سيطلق على من تشبيه "هولاكو"؟ ومن سيطلق على من تشبيه نيرون؟

ومن سيطلق على من تشبيه "موسوليني"؟ ومن سيطلق على من تشبيه جنكيز خان ؟

يصعب إستباق إطلاق التشبيهات. لكن ثمة ما يمكن الجزم به وهو أننا لن نجد سفاحاً في مستوى أرييل شارون لكي يكون هنالك من يختار له هذا التشبيه بمعنى أن يقول "إن فلان الفلاني هو مثل شارون".

وصعوبة إيجاد هذا الشخص كون أفعال شارون تشكّل أسوأ أنواع الخجل وإلى درجة أن كثيرين سيطلبون من ربهم إذا هم وصلوا إلى مواقع السلطة، وكانت في نفوسهم نزعة مستحكمة في إتجاه الشر والإستبداد، أن لا يجعلهم يفعلون ما فعله ولا زال يفعله أرييل شارون .. وتلك مذمة لا تساويها في نذاتها أي مذمة لأن دم الأبرياء العالق على الأيدي لا ينفع فيه الماء والصابون ولا تزيله سوى المبيدات ، فضلاً عن أنه إذا أمكن إزالة آثار الدم فكيف يمكن إزالة شوائب السمعة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 20 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

نوبل وجوائزها (1)

مكافأة أديب الإنبهار بالعدوان

من أجل حقيقة مشاعره التي تلخصها عبارة أوردتها في مقال له، حظي الكاتب اليهودي المجري إيمري

وغضبهم.

... ولهذه التأمّلات في جوائز نوبل تنتم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 21 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

* * *

نوبل وجوائزها (2)

كارتر ... والقدس تلك

"العاصمة الروحية"

يثير تساؤلات عدة هذا التأجيل عقدين من الزمن لمنح الرئيس جيمي كارتر جائزة نوبل للسلام في حين نالها آخرون على أهون السبل. ومن هذه التساؤلات : هل إن التريث في شأن منح الجائزة لهذا الرئيس الذي يقترب من الثمانين، سببه أنه بعدما بات خارج السلطة صار يدلي بالتصريحات التي تعكس إنطباعاتاً بأن للشعب الفلسطيني على الإدارة في الولايات المتحدة حق إنصافه ومساعدته على أن تكون القدس عاصمة روحية للأديان الثلاثة.. وبذلك لا يعود المطلب الإسرائيلي التوراتي وارداً ولا تعود القدس تشكل عائناً أمام أي حل.

مع أن الرئيس الأسبق لم يصرح بفكرته هذه خشية أن يصيبها بالأذى المتشددون في إسرائيل، وإستطراداً في اللوبي الصهيوني داخل الولايات المتحدة وبالذات في أوساط الكونغرس، إلا أنه كان في مجالسه يعتمد الإشارة إليها تلميحاً ويتمنى لو أن الإدارات اللاحقة تكمل ما بدأه لأن التوقف عند السلام بين الرئيس السادات ومناحيم بيغن لا يكفي، ذلك أن الذي يعزز هذا السلام هو قبول الرأي العام العربي والرأي العام الإسرائيلي به. وإذا كان هذا القبول لن يحدث فإن إتفاقية كامب ديفيد ستتكتسب.. أي بما معناه تبقى جسراً من دون روح إذا جاز التوصيف. وهي رؤية في محلها تؤكد لنا التطورات التي أعقبت تلك الإتفاقية، وتؤكد لنا الممارسات الشارونية التي بعثت كل الخطوات اللاحقة على طريق العملية السلمية.

وقد يكون أعضاء لجنة جائزة نوبل من رئيسها غونار بيرغ إلى بقية الأعضاء، وجدوا في عدم منح كارتر الجائزة أنه نوع من الإستهانة بالخطوة الأولى الحقيقية على طريق السلام العربي - الإسرائيلي، وأن

كيريشت بجائزة نوبل للآداب. ومهما قيل في حيثيات منح الجائزة من تقييم له صفة التبرير، فإن العبارة التي قالها كيريشت غير المعروف بكثرة الإنتاج الأدبي هي التي أوجبت منح الرجل جائزة لم يحظ بها أي صاحب قلم يعنيه ضميره ووجدانه ويجسد في عمل أدبي معاناة المظلومين من تعسف الظالمين.

العبارة التي نشير إليها هي الآتية : "إنني أعترف بكل صدق أنها المرة الأولى التي شاهدت فيها على الشاشة الصغيرة وأنا في فندق "رينيسنس" في القدس الدبابات الإسرائيلية تجتاح رام الله. لم أستطع كنم فكرة غريزية عبرت في خاطري: يا إلهي، لحسن الحظ إنني أرى نجمة داوود على الدبابات الإسرائيلية وليس مثلاً في عام 1944، على صدري. لست إذاً متجرداً ولا أستطيع أن أكونه أصلاً. لم أؤدّ أبداً دور الجزار النزيه. أترك هذا للمتقنين الأوروبيين الذين يؤيدون هذا الدور في السراء وغالباً في الضراء...".

ما هذا الأدب الإنساني الرفيع وما هذا الوصف الإبداعي للخير. مجرد شخص مبهور بمجزرة تنفذها الصهيونية بإدارة أرييل شارون الذي أمعن جنوده المختبئون داخل الدبابات والمصفحات قتلاً وتدميراً بأشخاص لا يملكون السلاح لكي يقاوموا، ولا تحظى مقاومتهم بإهتمام وسائل الإعلام الأميركية التي هي في معظمها ذات مشاعر معادية لكل من يرفع صوته ضد الظلم والنازية الجديدة والعنصرية المتطورة.

في الوقت نفسه لا نستبعد أن يكون منح هذا الكاتب اليهودي المجري المبهور إعجاباً بمنظر الدبابات الشارونية تمارس "بطولتها" في شوارع المدن الفلسطينية، جائزة نوبل للآداب، هدفه إيجاد نوع من التوازن مع منح الجائزة للسلام إلى الرئيس كارتر تقديراً لجهوده من أجل إيجاد تسوية سلمية للنزاعات الدولية ومن أجل حقوق الإنسان وقول رئيس لجنة نوبل "إن منح الجائزة لكارتر يجب أن يؤخذ على أنه إنتقاد لسياسة الإدارة الحالية في الولايات المتحدة إزاء العراق ولولا هذا التفسير من جانب غونار بيرغ رئيس لجنة الجائزة وتحمله رد فعل المتصهينين على كلامه هذا لكان منح الجائزة لـ الأديب المجري المبهور بعدوان الدبابات الشارونية على فلسطين الحجر والبشر والشجر سيبدو وكما لو أنه فضيحة الموسم، وذلك لأن المنظر الذي يجعل الكاتب المتجرّد مبهوراً به ليس منظر الدبابات الشارونية وما تفعله وإنما منظر الفتية الذين يتصدون لها بصدورهم وحجارتهم وإيمانهم

عدم إستدراك الأمر ومنح كارتر الجائزة وهو ما زال على قيد الحياة سيشكل نقطة خجل في تاريخ هذه الجائزة. ومن هنا منحه إياها وقد بلغ الثامنة والسبعين من العمر.

وبدت حيثيات المنح وكأنما هي موقف متعدد المنطلقات وخلصتها أن السلام في حده الأدنى هو ما إنتهجه كارتر وأن الذين من بعده لن يستحقوا مثل هذه الجائزة.. إلا إذا قرر الرئيس الحالي جورج بوش الابن سلوك طريق الهداية وبذلك يتراجع عن هوس الحرب التي يريد القيام بها في أي لحظة ضد العرب والمسلمين بدءاً بالعراق . ومن غرائب الإفتراضات أن بعض المتصهينين في الإدارة الأميركية أوهموا الرئيس بوش الابن أن فرصته في نيل الجائزة كبيرة لأنه يسعى من أجل سلام العالم عن طريق الحرب والتدمير، وأنه بهذا الفوز يكون حقق ما كان يحلم به والده الذي جلس بعد الحرب التي قادها عام 1991 ينتظر الجائزة وتجديد الرئاسة ... لكنه لم ينل أياً منهما.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 22 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

نوبل وجوائزها (3)

مبادرة عبدالله ورئاسة كارتر

لو أن لجنة نوبل لا تتعرض في معظم الأحيان لضغوط خفية لا تبدو الصهيونية بعيدة عنها، لكان ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز هو الأكثر جدارة بنيل هذه الجائزة. فالرؤية التي طرحها وإنتهت مبادرة تبنتها بالإجماع القمة العربية الدورية الثانية في بيروت في مارس الماضي (2002)، هي الأساس الواقعي والمتوازن للسلام المنشود. بل إن منح الجائزة للأمير عبدالله سيكون تصرفاً موضوعياً بالنسبة إلى الرأي العام العالمي بإستثناء إسرائيل التي رفضت المبادرة على الفور والإدارة الأميركية التي لم تقطع الطريق على الرفض الشاروني وذلك بالإعلان عن أن هذه المبادرة هي الطريق القويم من أجل السلام ما دامت متبناة من كل الدول العربية .. وهذا أمر جديد على طبيعة القرار السياسي العربي.

ومن الجائز القول إن مبادرة من هذا النوع كانت تحتاج إلى إدارة من نوع إدارة جيمي كارتر، الذي

إستمر بعدما بات خارج السلطة يبذل ما في إستطاعته من الجهود لتحقيق تسوية سلمية للنزاعات الدولية، ويرى أن النزاعات يجب أن تحل عبر الوساطة والمسعى الحميد والقانون الدولي وإحترام حقوق الإنسان والتنمية الإقتصادية وعدم الأخذ بالهيمنة أسلوباً للتعامل مع آخرين. ولو أن نهج الإدارة الأميركية الحالية كانت من النسيج نفسه للنهج الذي يراه كارتر والذي إستناداً إليه ترأس لجنة دولية لمراقبة الإنتخابات الفلسطينية عام 1996 وشهد بأنها حرة وفتحت الأبواب الأميركية الموصدة أمام حوار مع كوريا الشمالية وكوبا، لكانت الأمور إختلفت كثيراً ولما كان لهذا التوتر في العلاقات الدولية أن يكون على نحو ما هو عليه بسبب أطروحات الإدارة الحالية التي ترفع شعارات الحرب على الآخرين بهدف إخضاع البعض وإسقاط أنظمة البعض الآخر.

وتجدر الملاحظة في هذا الصدد إلى أن الرئيس الأسبق ومن خلال "مركز كارتر" المنظمة الطموحة غير الحكومية التي أسسها مع زوجته روزالين عام 1982 لكي يشغل بها نفسه وأوقات فراغه وبحيث لا يبدو إهتمامه محصوراً بتجارة الفستق ساعد على تفادي إجتياح أميركي لهاييتي شبيه بالإجتياح الذي بات الرئيس بوش الابن على أهبة القيام به للعراق.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 23 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

نوبل وجوائزها (4)

منطق الحكمة أهم من لغة العضلات

أهمية جائزة نوبل التي أنشأها الصناعي الأسوجي الفرد نوبل بإرادته وتقدم في العاشر من ديسمبر ذكرى وفاته عام 1896، في أن من ينالها يصبح من أعضاء النخبة في المجال الذي يشغله .. فضلاً عن المبلغ المالي الكبير. وبالنسبة إلى كارتر فإن ما سيحصل عليه هو مبلغ مليون دولار. لكن أهمية هذا المبلغ بأصفاره الستة ليست شيئاً أمام أنه ثالث رئيس في الولايات المتحدة ينال هذه الجائزة بعد الرئيس السادس والعشرين تيودور روزفلت عام 1906 عن دوره في التوصل إلى عدد من إتفاقات السلام، والرئيس الثامن والعشرين وودرو ويلسون عام 1919 عن دوره في

بيروت التي جرى تنقيتها

لو كان إخواننا الخليجيون من المملكة العربية السعودية التي تتكسر على مبدئيتها قرون قطعان "البافالو"، إلى سلطنة عُمان التي تحاول جاهدة ومن خلال دبلوماسية نشيطة وعاقلة دفع شرور إحصار الحرب التي يصير بعض أركان إدارة الرئيس بوش من الكواسر على إشعالها، إلى قطر التي جعلت من التشويش نهجاً وعقيدة، إلى مملكة البحرين التي تتمنى إنحسار الموجة الحرجية العاتية لكي تستعيد دورها "الأوفشوري" النشيط، إلى الكويت التي تحاول كبّح جماح بعض الجيوب "الأبوغيتية"، إلى الإمارات التي بُح صوت شيخها الجليل زايد بن سلطان منادياً حي على الوفاق والتوفيق... لو كان إخواننا الخليجيون من الفرنكوفونيين، وتقاطروا إلى عاصمتهم الثانية بيروت للمشاركة في القمة الفرنكوفونية وإستمتموا بالنشاطات والفعاليات الفكرية والفنية على هامش إجتماعات حوالى خمسين رئيس دولة أو من يمثله، لكانوا سيلاحظون أن العاصمة المتجددة في إستمرار قد تتخلت أو تبلّحت، أي بما معناه باتت عاصمة ذات مظهر جديد تحفل بأشجار النخيل معظم شوارعها العريضة.. وبالذات على طول الشاطئ وطول الطريق التي تربط "سوليدير" رفيق الحريري بمطاره الذي طالما أمطروه إتهامات وملاحظات لأنه بَكَر في إنشائه وفي إنشاء عشرات الطرق السريعة .. مع أن هذا التكبير هو من الإنجازات الطيبة للرجل.

خلال أقل من سنة بدأت عشية إنعقاد القمة العربية الدورية الأولى المهداة من الشيخ زايد بن سلطان إلى لبنان الناهض من رماد حرب الستة عشر عاماً وانتهت قبل أسبوع من إنعقاد القمة الفرنكوفونية، تم غرس مئات من أشجار النخيل المتنوع القامة. وبهذا الغرس بدت العاصمة اللبنانية وكأنما هي من أصول خليجية وليست من أصول فينيقية وأن أجدادها هم من الغواصين الباحثين عن اللؤلؤ، وليسوا التجار الذين بشروا باللون الأرجواني تنقله السفن عبر البحار إلى دول العالم من موانئ صور التي باتت صور نبيه بري وصيدون التي باتت صيدا رفيق وبهية الحريري.

المهم أنه من الآن وحتى بضعة أشهر سيجد الخليجيون عندما تبدأ رحلة الصيف، وللبعض رحلة الشتاء والصيف معاً، أن تنخيل بيروت أو تبليجها جعلها تبدو أكثر إشراقاً. وقد يتطور الأمر بحيث يدخل بعد بضعة عقود تعديل على العلم اللبناني بحيث يتم وضع

تأسيس "عصبة الأمم المتحدة التي سبقت" منظمة الأمم المتحدة". وإذا فإن الرؤساء الثلاثة وأخرهم كارتر نالوا الجائزة لأنهم عملوا من أجل السلام الذي رفضه الآخرون من بعد كارتر وهم رونالد ريغان وجورج بوش الابن وبيل كلنتون وجورج بوش الابن .. وإن كان الحكم الموضوعي يستوجب إعتبار كلنتون أقرب إلى مفهوم كارتر من الآخرين، ربما لأن الثلاثة جمهوريون بينما كارتر وكلنتون من الحزب الديمقراطي.

ومع أن إنجاز السلام بين مصر وإسرائيل لم يحقق لكارتر تجديد الولاية وخرج عام 1980 مهزوماً أمام رونالد ريغان الممثل السينمائي السابق الذي لم يصل إلى مرتبة نجومية الفتى الأول والذي حظي بتجديد ولايته وبقي رئيساً ثمانية أعوام. فإن الرجل تصرّف على أساس أن ما كان يمكن أن يفعله في حال تجديد الولاية عليه القيام به وهو خارج الحُكم الذي دام أربع سنوات فقط. ومن هنا تركيزه ومن خلال المركز الذي أنشأه مع زوجته على قضايا السلام والتنمية وحقوق الإنسان وتعطيل ألغام وإفّعال الحروب، متأثراً على الأرجح بما سببته المواجهة مع الثورة الخمينية من عذاب لمجموعة من الدبلوماسيين الرهائن داخل السفارة الأميركية في طهران.

بعد إعلان فوزه بالجائزة قال كارتر "لو أنني عضو في الكونغرس كنت سأصوّت ضد منح الرئيس بوش صلاحية إستخدام القوة في العراق....". أما رئيس لجنة نوبل فقال إن منح الجائزة إلى كارتر يجب أن يؤخذ على أنه إنتقاد لسياسة الإدارة الحالية في الولايات المتحدة.

ولو أن جائزة الملك فيصل تهتم بالأمور ذات الطابع السياسي لكان من حق كارتر على لجنة هذه الجائزة تقديمها إليه ممهورة بعبارة التقدير لهذا الأميركي العاقل الذي يرى أن منطق الحكمة أهم من لغة العضلات، وأن قوة السُلطة هي في إمتلاكها وليس في إستعمالها، وسنظل في إنتظار أن يأتيها الخبر اليقين ذات يوم بأن نوبل السلام إستقرت على شخص عبدالله بن عبد العزيز الذي تبقى مبادرته الأساس الذي لا أساس بمثل صلابته في وجه المهووسين بالحروب والعوان في المنطقة أو عليها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 24 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

النخلة إلى جانب الأرز على العلم... خصوصاً أن أشجار الأرز تنقرض سنة بعد سنة وأشجار النخيل تتكاثر يوماً بعد يوم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 25 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

المبغوض والمشروع من العمليات الجهادية

إحتجز الشيشانيون مساء الأربعاء 23 أكتوبر بضعة مئات من الأشخاص الذي كانوا سعداء بمشاهدة مسرحية غنائية تعرض على أحد مسارح موسكو ويشارك في تأديتها عشرون طفلاً أفادت الأنباء الأولية التي بنتها الوكالات عن العملية أنه تم الإفراج عنهم وتم الإفراج أيضاً عن المسلمين الذين كانوا في المسرح.

حدثت هذه العملية التي حركت في ذاكرتنا عملية فيينا عاصمة "ليالي الأنس" في السبعينات التي إستهدفت وزراء النفط لدول "الأوبك" الذين كانوا في إجتماع توزيع الحصص وقام بها "المناضل الأممي" الذي سلّمه الشيخ حسن الترابي تسليم اليد إلى فرنسا وكلاهما بات في السجن: كارلوس في سجن شيراكي والشيخ حسن في "منتجع" بشيري... حدثت هذه العملية في الوقت الذي كنا نحاول جاهدين إزالة الأثر السيء الذي تركته في نفوسنا، قبل أن تتركه في نفوس الشعب الأوسترالي وشعوب أخرى كثيرة، العملية غير الشجاعة التي إستهدفت فندقاً في جزيرة "بالي" الأندونيسية وذهب ضحيتها عشرات الأشخاص الذين كانوا في رحلة إستجمام إلى هذه الجزيرة الجميلة ومعظمهم جاء لممارسة رياضة الغطس في مياه البحر والتأمل في هذا السحر لـ "مجتمع الأسماك" بألوانها الجميلة وصفاء المياه التي تسبح فيها، ومن دون أن يخطر في بال أحد من هؤلاء أن هنالك مهووسين يفترضون أنهم بتفخيخ فندق وقتل من فيه سينقذون أمة الإسلام من الوعكة التي تعيشها وطال زمنها بحيث أن التوعك بات بمثابة "فيروس" يعيش في المفاصل.

من حق الشيشاني أن يناضل من أجل أن يحصل على حقه، لكن هذا الحق ينتهي عند حد مواجهة

القوات الروسية. أما عندما يصل "الجهاد" إلى مسرح جنوب العاصمة موسكو ويتم تهريب من فيه على نحو ما حدث وفُز الحاضرين بحيث يُعفى المسلم من القصاص ويبقى الأرثوذكسي رهينة... فإن ذلك يصبح إنتهاكاً لـ "شرعة حقوق النضال".

وما يقال عن العملية الشيشانية التي لاتبدو منزهة عن الشبهات بأن وراءها من يريد إقلاق القيادة الروسية الواقعة بحزم ضد الخيار الحربي الذي تريده الإدارة الأميركية للمنطقة العربية بدءاً بالعراق، يقال عن عملية جزيرة "بالي" التي لا تُشرف الجهاد الإسلامي على الإطلاق.

وقد يُقال: وماذا عن العمليات الإستشهادية الفلسطينية؟

والرد على ذلك أن هذه العمليات تبقى مشروعة ما دام الشارونيون هم البادئون وهم الذين لا يميزون بين طفل وامرأة، وشيخ عجوز ومناضل. وبعدما يتوقف العدوان الشاروني تصبح مثل هذه العمليات مبغوضة إلى درجة التحريم... مثلها مثل العملية الشيشانية وعملية جزيرة "بالي".

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 30 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

عودة البشر بعد إستعادة الورق

في كل مرة يسمع المرء نبأً ساراً يتعلق بالأحوال السائدة في المنطقة العربية يئنابه شعور بالطمأنينة يبدد هذا القلق الذي يستشري نتيجة الجنون الأميركي - الشاروني الذي لا ندري كيف ستكون نهايته. من هذه الأخبار السارة التي تستوجب التشجيع بدل التنظير والتشكيك والسخرية أن الحكومة العراقية أعادت إلى الكويت أرشيفها. وبقدّر ما أن المرء أحزنه أن هذا الأرشيف كان من جملة غنائم غزوة الخميس 2 أغسطس عام 1990، بالقدّر نفسه يفرح لأن هذا الأرشيف بقي سالماً إلى أن بات على رأس وزارة الخارجية في العراق وزير من نسيج مختلف عما هو مألوف في الدبلوماسية العراقية الحديدية وبدأ بذل جهود إستثنائية من أجل أن يعود الأرشيف إلى أصحابه. وإذا أراد المسؤول المختص في الأمم المتحدة أن يفصح ذات يوم عن تفاصيل المحادثات والمشاورات التي تمت بينه وبين وزير الخارجية

الدكتور ناجي صبري الحديثي فإنه لا بد له من أن يذكر أن هناك عشرات الملفات التي لم تكن مسجلة في اللائحة المعطاة له من الحكومة الكويتية على أساس أنها، أي هذه اللائحة، هي كل الأرشيف المطلوب إعادته، قد أضافها الوزير العراقي إلى اللائحة مختاراً ومستأذاً الرئيس صدام حسين. من الأخبار السارة التي تتلج الصدر العربي أيضاً أن الرئيس السوداني عمر حسن البشير تسلّم يوم السبت 19 أكتوبر أوراق اعتماد أول سفير كويتي لدى السودان منذ الإجتياح العراقي الشهير لـ "المحافظة التاسعة عشرة" وكما لو أن هناك نظاماً يجتاح محافظته. وأهمية هذا الأمر أن السفير فهد أحمد محمد العوضي سيواصل مع المسؤولين السودانيين الذين تربطهم بالعراق علاقة متميزة البحث في الموضوع العالق الأكثر أهمية من موضوع إستعادة الأرشيف ونعني به موضوع الكويتيين الأسرى في العراق أو الباقين في العراق أو المحتجزين في العراق. أما لماذا سيواصل السفير البحث فعلى أساس أن ملف هؤلاء هو بموجب التوافق من جانب الشقيقتين اللدوين مؤقّتاً الحُكم العراقي والحُكم الكويتي هو بين السودان منذ فترة طويلة ولم يتوقف الشقيق الوسيط وعلى كل مستويات الإتصال مع العراق والكويت عن البحث فيه. وفي إنتظار الخبر السار الآخر المتعلق بإستعادة البشر بعد الخبر السار الأول المتعلق بإستعادة الورق نتمنى للسماء العربية الملبدة ببقايا الغيوم الناشئة عن الإجتياح العراقي للكويت والحرب الدولية - العربية - الإسلامية بقيادة الرئيس جورج بوش الأب رداً على ذلك الإجتياح أو إستكمالاً له ضمّن سيناريو مرسوم كما قد يتبين ذات يوم، أن تصفو وأن يتم ذلك قبل أن يبدأ الإبن بوش حربه... هذا إذا كان لن يعيد النظر في أمر هذه المغامرة... وعندها سيختلط الحابل العربي بالنابل الأميركي ولن يعود من السهل إيجاد مساحة قليلة للفرح في النفوس.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 31 أكتوبر (تشرين الأول) 2002

صراع النصوص في مجلس الأمن

إستتبطت الإدارة الأميركية مشروع قرار لتقديمه إلى مجلس الأمن والحصول على إجماع في شأنه

من الدول الأعضاء ويكون بديلاً مؤقتاً لشن الحرب على العراق أو جسراً يربط بين لحظة إصدار الأوامر لشن الحرب ولحظة المباشرة بها. وقد بدا مشروع القرار في معظم بنوده أنه قذائف من نوع جديد، ذلك أن كل مادة من مشروع القرار المشار إليه تبدو مثل ذلك الذي يخير محكوماً بالإعدام بين إنهاء الحياة شنعاً أو بإطلاق الرصاص عليه.. أو من باب الرأفة وعملاً بالأسلوب الأمريكي إنهاء الحياة خنقاً في غرفة الغاز أو صعقاً بواسطة الكهرباء .

وإفترضت الإدارة أنها من الذكاء بحيث أن إعتراض الدول الأربع الأخرى زميلاتها بالمنطقة بسلاح الفيتو وهي روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا سيكون صعباً بعض الشيء، وأنها بالتالي تبرئ ذمتها أمام الناس ورب العالمين بمعنى أنها تصبح قادرة على القول إنها تركت الأمر للحل الدبلوماسي وإنها في ضوء تعثر دعاة هذا الحل يصبح خيارها الحربي أمراً مشروعاً ولا غبار عليه ، وبحيث أن الحرب على العراق في هذه الحال تصبح حالة تأديب وليست عدواناً.

لكن الذي حدث هو أن "الفيتويين" الأربعة الآخرين كانوا أكثر تنبهاً وجاهزين لداء السقوط في المكيدة الأميركية. هنا بدأ ما يجوز إعتباره صراع النصوص، حيث رأى البعض في مشروع القرار أنه خدعة دبلوماسية أميركية مكشوفة. ورأى البعض الآخر أنه مشروع إدانة تسبق الإبادة . وهناك من رأى أن المطلوب هو الأخذ في الإعتبار كرامة العراق وبحيث يتم الإتفاق على مشروع القرار الذي لايتضمن الثغرات التي تجعل الحُكم العراقي يرفضه. وتجسيدا لهذا الصراع بدأ "الفيتويون" يضعون على الورق، وكما لم يحدث من قبل، الملاحظات والأفكار والتعديلات وهدفهم من ذلك التوصل إلى مشروع قرار موحد لكل منهم بصماته عليه، وهذا شيء جديد على مجلس الأمن ومشاريع القرارات التي يتم عرضها عليه.

ومن الواضح أن الإدارة الأميركية تفضل أن يكون مشروع القرار أميركياً مئة في المئة، وأن الآخرين يصارعون من أجل عدم حدوث ذلك. وقبل أن يصدر مشروع القرار التوافقي كان الصراع بلغ أوجه وكانت تلك المرة الأولى التي نرى في المشهد الدولي صراع "الفيتويين" الذي هو مثل صراع الديوك

على الدجاجة التي تبيض نفطاً ذهباً ونعني بها بلاد الرافدين. وقى الله هذه البلاد ومن حولها شرور الغزوة الأولى في الألفية الثالثة.

صحيفة "الوطن"، الرياض - الجمعة 1 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

القذافي و"جديده" الذي لا ينضب (1)

يتباهى الليبيون وبالذات لبيبو الحقبة الثورية القذافية بمقولة خلاصتها أنه دائماً يأتي من ليبيا "جديد"، أي بما معناه أن ما يأتي منها لا يأتي من غيرها، وأنه دائماً يلفت الإنتباه أو يثير الدهشة. ومن الجائز القول أن التغيير الذي حدث قبل 33 سنة هو أهم الحلقات في مسلسل "الجديد" الذي نشير إليه والذي يتمثل في أن مجموعة من الضباط الليبيين من ذوي الرتب المتوسطة باغتت السياج الأمني الأمريكي - البريطاني حول بلدهم ونجح قائد هذه المجموعة العقيد معمر القذافي يوم "الفتح من سبتمبر" 1969 في إعلان قيام الثورة وإسقاط الحكم السنوسي، بينما الملك إدريس رحمة الله عليه في زيارة رسمية إلى تركيا. ثم يصمد هؤلاء الضباط وتستقر ثورتهم.. وإن كانت "الشرعة الثورية" أوجبت أن يتم إبعاد البعض وتباعد البعض وبقاء البعض الثالث ممسكاً بزمام الأمور.

وخلال ثلاث وثلاثين سنة هي عمر الثورة القذافية، والتي هي "عميدة الثورات العربية" التي قام بها العساكر وأمكنها الصمود وعلى رأسها قائدها منذ البداية، كان مسلسل "الجديد" يتلاحق بحيث أنه كانت لا تمر سنة من دون صدور "جديد" عن ليبيا. ولعل أكثر "الجديد" إثارة هو أن ليبيا جماهيرية وليست جمهورية وأن "شرعتها الثورية" هي كتاب أخضر وأن التسميات المعتمدة فيها بالنسبة إلى الوظائف لا مثل لها في أي دولة ثورياً كان نظامها أو غير ثوري. فلا السفير سفير ولا الوزير وزير ولا الوزارة وزارة. وأما النائب والبرلمان والحزبي والأحزاب فإنها بدعة في نظر القذافي وكتابه الأخضر ولا ضرورة لها في ليبيا. ويحتاج الموثق إلى الأوراق الكثيرة إذا هو أراد أن يسجل عليها وقائع "الجديد" الليبي وبالتفصيل والأسماء منذ قيام الثورة القذافية، بل إن من يريد خوض غمار التوثيق سيرى أن التقليدي من الخطوات يشكّل نسبة

بسيطة بينما غير التقليدي والذي يندرج ضمن مسألة "الجديد" يشكّل النسبة الأكثر. وهذا يعود إلى عدم إقتناع القذافي بالمؤسسات وكيف أنها في نظره مجرد حالة ترهل.

ولأن وقائع "الجديد" لا حصر لها، فإننا نكتفي هنا بالنموذج الأفريقي المتمثل بالإنسحاب المتدرج للعقيد معمر القذافي من فضائه العربي والتحليق في الفضاء الأفريقي. وما حدث هو أن القذافي وبعدما وجد أن لا دور له في الجامعة العربية ولا أمل يرتجى من هذه المؤسسة بدأ يضع على الورق سيناريو ما هو الأفضل بالنسبة إليه وبحيث يكون هذا الأفضل هو أكثر الحلقات إثارة للجدل في "الجديد". ويبدو أن أجواء الخيمة المنصوبة له في حال كان داخل ليبيا أو كان في زيارات خارج الجماهيرية، والتي باتت جزءاً أساسياً من طقوس البروتوكول الليبي يأخذها بالكثير من الاعتبار الحكام الذين يزورهم القذافي، توحى بالكثير من الأفكار التي تصب في عالم "الجديد". وفي رحاب هذه الخيمة كان "كتابه الأبيض" شقيق كتابه الأخضر من حيث الإثارة وليس من حيث المضمون والمنطلقات. ونقول ذلك على أساس أن "الكتاب الأخضر" هو نهج الحكم الصامد للسنة الثالثة والثلاثين بينما "الكتاب الأبيض" هو عبارة عن مطالعة أعدها مدع عام بمكانة رئيس دولة.

صحيفة "الوطن"، الرياض - السبت 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

القذافي و"جديده" الذي لا ينضب (2)

في رؤية أكثر إثارة للجدل من رؤية ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز للصراع العربي - الإسرائيلي جاء العقيد معمر القذافي إلى العاصمة الأردنية عمان في مارس 2001 لكي يشارك في القمة العربية الدورية الأولى. ولقي حضوره وخيمته وتجوّاله إهتماماً من الأردنيين الذي إستحضروا في شخصه ذكريات أيام السعي للوحدي الذي لم يثمر. كما أن حضوره وهو الذي بينه وبين مؤتمرات القمة العربية ود مفقود ترك إنطباعاً بأن القذافي بات رجل دولة كلاسيكياً، وأنه بدافع التقدم في السن ونتيجة التداعيات الناشئة عن الحصار والمشاكسات وخيبات الأمل قرر أن يكون واحداً من الطيور العربية التي تغرد داخل

علي التريكي أمين اللجنة الشعبية للوحدة الأفريقية أي "وزارة الوحدة الأفريقية" بالتسمية التقليدية لهذا المنصب. وفي قمة بيروت بدا أن الزيت العربي يواصل النضوب في القنديل الليبي يقابل ذلك تزايد نسبة الزيت الأفريقي في هذا القنديل.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 3 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

القذافي و"جديده" الذي لا ينضب (3)

عندما رأى العقيد معمر القذافي أن الأشقاء العرب لا يجدونه في الحصار المفروض على ليبيا كأن تحط الطائرات الرسمية وعلى متنها القادة أو يوفد كل منهم من يمثله، على أرض مطار طرابلس ويدلي هؤلاء بالتصريحات المستنكرة للحصار، فإنه بدأ يتساءل عن جدوى الجامعة العربية وكيف أن إسمها لا ينطبق على ما يفترض فيها القيام به من نجدة الشقيق لشقيقه. وبنى رأيه هذا في صيغة رؤية خلاصتها أنه يستطيع فهم أن منظمة الأمم المتحدة تضم كل دول العالم ومن الصعب جمع هؤلاء على موقف واحد خصوصاً تجاه دولة عربية وأن ما ينطبق على الأمم المتحدة ينطبق على "منظمة المؤتمر الإسلامي" لكن هل إنه من الطبيعي عدم إلتقاء الدول العربية الأعضاء في الجامعة على موقف واحد ما داموا كلهم عرباً وكلهم مسلمين وكلهم على إمتداد جغرافي واحد، وما دام الموقف المطلوب ليس أكثر من خرق نظري للحصار.. أي بما معناه يصل المسؤول العربي بطائرته إلى ليبيا وهذا من شأنه حث الآخرين على كسر طوق الحصار.

نظرياً كانت رؤية القذافي في محلها وكان إستهجانه مشروعاً، لكن العرب مجموعة أعراب وهم كذلك منذ أن إتفقوا قبل نصف قرن على إنشاء هذه المسماة "جامعة الدول العربية".

وعندما جس القذافي نبض الدول الأفريقية ووجد لدى بعضها إستعداداً لخوض مغامرة كسر الحصار فإنه بدأ التفكير جدياً في التوجه شطر القارة السوداء. وحيث أنه كان لابد من حثييات قومية لما ينوي القيام به فإنه إنتقد عام 1998 "موقف الجامعة الإنهزامي" من الحصار المفروض على العراق وأطلق التلميح الأولي بأن ليبيا تفكر بالإنسحاب من الجامعة العربية

السرب لا أن يبقى مغرداً خارج هذا السرب.

لكن الإنطباع كان بعيداً عن حقيقة الأمور، حيث أن العقيد القذافي فاجأ الملوك والرؤساء بمشروع كان من الغرابة بمكان، وإلى حد أن الدهشة رفرت في أجواء قمة عبدالله بن الحسين الذي تعترف مملكته الهاشمية بإسرائيل وتتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، إلا أنه لم يخطر في باله، ولا حتى في بال والده المرحوم الحسين بن طلال ولا حتى في بال الجد الذي يحمل الملك نجل الحفيد إسمه، أن يقترح على إسرائيل مقابل السلام العربي الشامل معها وإنضمامها إلى الجامعة العربية التعهد بتنفيذ ثلاثة مطالب أحدها عودة اللاجئين الفلسطينيين. وهذا الإقتراح الذي ينتسب إلى ظاهرة "الجديد" الذي يأتي دائماً من ليبيا أورده العقيد القذافي ضمن "الكتاب الأبيض" الذي هو مشروعه للسلام الذي عرضه على زملائه القادة العرب متمنياً عليهم عدم الكشف عنه. كما أنه من جانبه أثر عدم الإشارة من قريب أو من بعيد إلى المشروع على أساس أنه في إنتظار أن يتبلغ من القادة رأي كل منهم في الإقتراح. وغالب الظن أن القادة لم يردوا، وهذا جعل العقيد القذافي يكشف وفي شكل إيماءات عن المشروع الذي كان من الأفضل لصاحبه أن يتحدث عنه وبإستقاضة من خلال مؤتمر صحافي يعقده على هامش قمة عمان لا أن يكتفي بما أشرنا إليه.

في هذه الأثناء كانت وتيرة الإنتقاضة تتسارع على أرض فلسطين وكان أرييل شارون يزداد شراسة وجنوناً وعدواناً. ثم كانت المفاجأة الكبرى بعد ستة أشهر من إنعقاد القمة وتمثلت بالعملية الترويعية يوم 11 سبتمبر في كل من نيويورك وواشنطن. وعملاً بقاعدة الأهم يتقدم على المهم والأخطر على الخطير.. فإن الحديث عن الإقتراح الليبي المثير تراجع أمام تداعيات تلك العملية الترويعية. ثم بدأ الحديث يتزايد حول رؤية ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز التي وجد فيها القادة العرب خلال إنعقاد قماتهم الدورية الثانية في العاصمة اللبنانية في مارس الماضي (2002) أنها أقرب إلى المنطق من الإقتراح الثوري للعقيد القذافي.

لكن بسبب عدم إهتمام القادة العرب بالإقتراح من جهة وبعض المنغصات اللبنانية للعقيد القذافي من جهة أخرى، لم يشارك في قمة بيروت وكاد ينسف إنعقادها من خلال المطالبة بنقل مكان الإنعقاد إلى مقر الأمانة العامة للجامعة العربية في القاهرة. ولم يتم الإنتقال وشاركت ليبيا في القمة من خلال الدكتور

أغراض شريرة

للحرب النفسية على الإسلام (1)

بسبب الشحن اليومي الشرير في وسائل الإعلام الأميركية المتصهينة التي تحفل بإقتراءات وتجنّيات تتطوّل من كراهية لكل ما هو عربي ومسلم، فإنّ الإنطباع الذي يترسّخ في أذهان الرأي العام الأميركي عن أيّ عملية إرهابية أو جريمة ما هو أنّ مسلماً وراءها وأنّ الدين الإسلامي هو السبب.

وهذا الشحن هو جزء من الحرب النفسية التي ازدهرت في الحقبة النازية وها هي تزدهر في العهد الشاروني وكأنما الصهيونية هي المنبع للجانبين. ويقف وراء هذا الشحن خبراء في شروخ الحرب التي تقوم على قاعدة أنّ التجريح وتشويه الحقائق والإقتراء هي بمثابة الرصاص .. أو أنّها مثل الفتنة التي هي أشدّ من القتل. وما يلفت الانتباه أنّه في ظلّ عملية الشحن اليومي المشار إليها حدثت بعض الإعتداءات التي تثير الشبهات، وكأنما الغرض الشرير منها هو تأكيد إقتراءات الحرب النفسية وترسيخ دُمغ الإسلام والمسلمين بتهمة الإرهاب.

من هذه الإعتداءات العملية الإرهابية التي حدثت في جزيرة "بالي" الأندونيسية مستهدفة أشخاصاً جاءوا إلى الجزيرة هرباً من ضوضاء أحداث الحرب وبحثاً عن بعض الهدوء والراحة... ومن دون أن يخطر في بالهم وفي بال ذويهم في أستراليا وغيرها من دول العالم الغربي أنّهم سينتهون جثثاً محترقة ويعود هؤلاء إلى من حيث أتوا داخل توابيت.

من هذه الإعتداءات الإرهابية أيضاً حكاية جون ألن محمد الذي رُوّع منّي مليون أمريكي بسبب عمليات القنص التي كان يقوم بها. وعند الكشف عنه تبين أنّه لا يمت إلى الإسلام بغير صلة الاسم الأخير الذي أضيف إلى اسمه الأصلي أيّ أنّ اسمه بات "جون ألن" محمد بعدما كان "جون ألن" فقط. ولمجرد إعتقاله نشطت وسائل الإعلام المتصهينة أو ذات التمويل الصهيوني لتتشر وتبثّ النبأ مع التركيز على كلمة "محمد" وليس على "جون ألن" على الإطلاق وعلى أنّه كان أحد جنود "عاصفة الصحراء" حرب الرئيس جورج بوش الأب ضد العراق عام 1991. وتلك هي بعض مقتضيات أساليب الحرب النفسية التي نشير إليها.

في الوقت نفسه كانت الإستعدادات على الجانب

. وبعدما سارع الأمين العام للجامعة الدكتور عصمت عبد المجيد إلى زيارة ليبيا وتطبيب خاطر القذافي فإنّ الرئيس الليبي طوى مسألة الإنسحاب.. إنّما من دون أن يحذفها كخيار لا بدّ منه بدليل أنّه في الخطاب الذي ألقاه لمناسبة الذكرى الثالثة والثلاثين لـ "ثورة الفاتح من سبتمبر" قال "إنّ الجامعة العربية لا معنى لها، ذليلة وفاشلة ولا تساوي شيئاً وإذا فإنّ وجودنا في الإتحاد الأفريقي أصبح ضرورة حتمية...".

لم ينظر الأمين العام الحالي للجامعة عمرو موسى إلى الكلام على أنّه إنذار حاسم من العقيد القذافي، ولذا فإنّه لم يتحرك ويطلب من الدول الأعضاء مساندته في مسعى يقوم به لدى الرئيس الليبي الذي بات على أهبة مغادرة السرب نهائياً، إلى أنّ كانت المذكرة التي قدّمها المندوب الليبي لدى الجامعة إلى الأمانة العامة يوم 24 أكتوبر 2002 وتتضمن الطلب رسمياً الإنسحاب من الجامعة.

وبعد مسعى عاجل قام به الأمين العام مع العقيد القذافي بدأ الحديث عن صيغة تسوية تتلخص في أنّ تدعو ليبيا إلى عقد قمة عربية تناقش الوضع العربي بكلّ الإخفاقات التي تتزايد، وفي هذه القمة يضع القذافي رؤيته أمام الملوك والرؤساء الذين سيقتهمون دوافعه وسيتمنون عليه صرف النظر عن مسألة الإنسحاب. وبذلك يكون عاد عن خطوته التي هو في صدد إتخاذها إنّما بعد تمنيات على مستوى القمة التي قد يكون العقيد القذافي يرى إستضافتها في ليبيا، وليس نتيجة مسعى قام به الأمين العام.

ويوم الثلاثاء 29 أكتوبر إتصل الدكتور علي التريكي وزير شؤون الوحدة الأفريقية بالأمين العام للجامعة ليطلب عقد القمة الطارئة. و"الجديد" الليبي هنا هو أنّه إذا كانت هذه القمة لن تتعقد، وليس بالأمر اليسير عقدها، فإنّ حجة الإنسحاب تكون مبررة من وجهة النظر الليبية على أساس أنّ ليبيا هددت بالإنسحاب ثم جمدت الخطوة وأنّ الأشقاء العرب ليسوا مهتمين كما يجب وعلى هذا فلنكن علاقة ليبيا بالعرب نوعاً من الذكريات على مختلف أنواع هذه الذكريات. وكفى الأشقاء كثرة الأخذ والرد في هذا الموضوع. ومرة أخرى، نجدد التذكير بمقولة أنّه من ليبيا يأتي دائماً "الجديد".

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 4 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

الآخر، روسيا، لكي يحدث فيها ما من شأنه تعميق مشاعر الحذر من المسلمين والكرهية للإسلام خصوصاً أن موقف الحُكم الروسي متقاطع مع الموقف الأميركي - الشاروني من موضوع النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي وموضوع الحرب على العراق . وإنتهت الاستعدادات إلى العملية الدرامية داخل مسرح موسكو التي قام بها بعض المسلمين الشيشانيين وإنتهت إلى مأساة ستكون لها ذيلها التي سيخسر من جرئها في الدرجة الأولى الإسلام والمسلمون.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 5 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

أغراض شريرة

للحرب النفسية على الإسلام (2)

مع أن بعض مثقفي الأمة من ذوي الإنحياز إلى أميركا والغرب عموماً لا يحبذون نظرية المؤامرة، فإن ما يمكن قوله بالنسبة إلى العمليات الإرهابية بدءاً من عملية جزيرة بالي في أندونيسيا إلى عملية المسرح في موسكو وبينهما عمليات القنص الذي تم إعداده وتأهيله بشكل متقن وإختيار إسم "محمد" له ، هو أن الذي خطط لهذه العمليات وإختار العناصر التي تقوم بها وحدد الأهداف ونوعية الإرهاب .. هي مدرسة الشر الصهيونية التي تنفذ ما سبق أن وضعه حكماء صهيون وكان عبارة عن رؤى في صيغة بروتوكولات كنا نفترض أنها خيالية ومستعصية الحدوث، لكننا نرى أنها تحدث في الزمن البوشي - الشاروني.

وزيادة في التوضيح يمكن القول إن تجنيد مدرسة الشر الصهيونية وبالتعاون مع المتصهينين داخل أميركا وخارجها ليس بذلك الأمر المستعصي، خصوصاً بالنسبة إلى أشخاص مشوهي التفكير أمثال جون ألن الأميركي الذي تم تكليفه بعملية القنص التي حدثت وبحيث تنتهي مهمته عند حد معين ويتم القبض عليه ضمن ترتيبات مع رجال الأمن قامت بها الجهة التي جندته في الأصل.

وما يقال عن هذا القنص، يقال عن الذين قاموا بعملية جزيرة "بالي" ، ويقال عن العملية الشيشانية التي يصعب تبرئة الذين قاموا بها تنفيذاً وتخطيطاً من تهمة إيذاء الإسلام.

وبما أن الحرب النفسية متواصلة ويمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة ، فإن واجب المسلم ونحن نعيش أجواء شهر الصوم الفضيل أن يكون واعياً إلى أن هذه العمليات الإرهابية هي شكلاً من أجل الثأر للهجمة على الإسلام لكنها عملياً هي من أجل تعميق كراهية الآخرين للإسلام.

وفي سياق هذه الحرب لا يستبعد المرء حدوث عملية إرهابية شريرة في مكان ما ضد هدف لا مبرر لإيذائه وبغرض أن يقال ما معناه للرأي العام الأميركي خصوصاً والأجنبي عموماً: "أنظروا هذا هو الإسلام وهؤلاء هم المسلمون. إنهم لا يتورعون عن القيام بأعمال إرهابية حتى في شهرهم المفضل شهر رمضان. وهذه العملية هي فقط من أجل تأكيد ما قاله المبشر الأميركي المتصهين جيري فالويل الذي إتهم النبي محمد صلوات الله عليه بأنه كان إرهابياً ورجلاً عنيفاً ورجل حرب...". وما قاله رجل الدين الأميركي القس روبرتسون من أن النبي محمد "كان مجرد متطرف وكان سارقاً وقاتلاً وقاطع طريق وأن الإسلام هو خدعة هائلة" .. ألا شلت ألسنة مثل هؤلاء الناس الذين أوجد المتصهينون لهم أفضل السبل التلفزيونية يوم 18 سبتمبر الماضي (2002) لتعميم أفكارهم المشبوهة والمضللة هذه.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 6 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

وقار الوزيرة وردح المستشارة

عند التأمل في الشخصية التي هي عليها وزيرة الدفاع الفرنسية ميشيل اليو ماري التي قامت قبل أيام بزيارة وقورة إلى المملكة العربية السعودية من حيث الحضور ومن حيث الكلام الذي صدر عنها، ومقارنتها مع مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأميركية كونداليزا رايس التي بينها وبين الوقار على صعيد الإدلاء بالتصريحات عداً مستحکم، نجد كم أن الفرق كبير. أو إن ما نلاحظه هو أن المرأة عندما تشغل منصباً أمنياً في غاية الحساسية والأهمية كمنصب الوزيرة الفرنسية ومنصب المستشارة الأميركية فإن من مقتضيات إشغال هذا المنصب أن تكون وقورة مثل الوزيرة الفرنسية وليست رداًة مثل المستشارة ، التي تملأ الدنيا منذ سنة تهديدات وإنذارات وإتهامات

وتبدو في طباعها هذه وكما لو أنها تكسائية مع أنها ليست كذلك.

ما سمعنا الوزيرة الفرنسية ، التي توحى شكلاً وكلاماً بالإحترام لنفسها وللمنصب البالغ الحساسية التي تشغله، تقوله يوم الأحد 27 أكتوبر بعد المحادثات التي أجرتها مع الأمير سلطان بن عبد العزيز يوحي بوقار هذه المسؤولية، ذلك أنها في تشخيصها للوضع الراهن في المنطقة عراقياً وفلسطينياً ورأيها في التحرك السياسي والدبلوماسي الذي يجري قالت: "إن أي حرب على العراق تؤدي إلى تزايد الإعتداءات الإرهابية في العالم ، وما زالت احتمالات شن حرب على العراق ماثلة بنسبة 50 في المئة . كما أن النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي يتسبب في وضع لا يمكن السكوت عليه. وما نريده هو أن نمارس، نحن الذين نتقاسم الرؤية نفسها، ضغوطاً على الولايات المتحدة لكي تتحرك بنفس الإقتناع والطريقة كما في الموضوع العراقي من أجل العمل على إحترام كل قرارات الأمم المتحدة بالطريقة نفسها مهما كانت الأطراف التي تطبق عليها.... وحول المبادرة العربية التي هي في الأصل رؤية ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز ، قبل أن تتبناها وبالإجماع القمة الدورية الثانية التي عُقدت في بيروت في مارس الماضي، قالت: إنها خطة حكيمة جداً تصب في إطار قرارات الأمم المتحدة وسيصب تطبيقها في صالح الجميع ...". أما الذي نسمعه بين الحين والآخر من كونداليزا رايس فهو كمن يمسك بيده زجاجة نفط ويسكب منها في إستمرار القليل على النار المشتعلة كي لا تنطفئ وبذلك لا يبدأ الحريق.

وفي تقديرنا إن الوقار الأنثوي الفرنسي هنا في شخص وزيرة الدفاع ميشيل اليو ماري هو المطلوب أن يسود في التفكير الأميركي . وإذا فوجئنا ذات يوم بأن كونداليزا بدأت تتحدث بمفردات مثل التي سمعناها من الوزيرة الفرنسية، فهذا معناه أن الحكمة بدأت تتسلل إلى العقل السياسي الأميركي، وسيكون الفضل في ذلك إلى كل الذين يقولون لا للحرب من الألواف الذين يتظاهرون في عواصم العالم الغربي إلى أهل القرار السعودي الذين ينوبون عن الملايين في الأمتين العربية والإسلامية في إعلان الرفض للحرب وإستبدالها ببعض الضغط على إسرائيل التي في حال سلك شارونها طريق الهداية تستقر المنطقة ... ولا يبدو أنه سيهتدي إلا إذا إنفض الناس من حوله أو أصابته في

الصميم عملية إستشهادية من النوع الذي لا قدرة له على إستيعابه.

... وإستقرار العالم من إستقرار المنطقة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

راقون حتى في تظاهراتهم

لم يكن منطقياً على الإطلاق أن يكون هنالك إصرار على منع تظاهرة في جزء من العاصمة اللبنانية من شأنها أن تخفف من إحتقانات تملأ صدور شريحة من اللبنانيين، في حين أن بعض الشوارع في مدن أميركية من بينها العاصمة واشنطن وفي مدن أسترالية وكندية وألمانية وهولندية كانت في الوقت نفسه ملاذاً للألواف الذين يريدون إطلاق صرخة إحتجاج ضد الحرب الظالمة وغير المبررة التي تصر الإدارة الأميركية على خوضها ضد المنطقة بدءاً بالعراق، لأنه غني ولأن أميركا تعاني من عجز قياسي في ميزانيتها للعام 2002 بلغ على نحو ما تم الإعلان عنه رسمياً يوم 26 أكتوبر الماضي 159 بليون دولار.

وهذه التظاهرات التي شهدتها بعض مدن العالم مناسبة لكي نقول لهواة التظاهر في العالم العربي إن التظاهرة تصبح موضع قبول ما دامت ستبقى في الإطار العقلاني على نحو هذه التظاهرات العارمة التي شاهدنا على الفضائيات لقطات منها وكانت في غاية الهدوء وقال المتظاهرون ما يريدون قوله من خلال يافطات رفعوها وليس عن طريق إطلاق العنان للحناجر تقول ما يمكن أن يقال وما يجب ألا يقال أو حرق الأعلام الأميركية التي من الواجب إحترامها. ولأنها كانت هادئة فإن رجال الأمن بدوا فيها كما لو أنهم جزء من المتظاهرين. لا هراوات. ولا خراطيم مياه. ولا قنابل مسيلة للدموع . ولا قوات من مكافحة الشغب يتم إستدعاؤها على الفور لمواجهة المتظاهرين. لقد سار المتظاهرون بأمان في شوارع داخل العاصمة واشنطن وقالوا عبر اليافطات ما قاله آخرون في تظاهرات مماثلة داخل مدن أخرى. ولم تهب قوات الأمن الأميركية على الفور لكي تقمع المتظاهرين بحجة أنهم بتظاهراتهم هذه يناهضون الإدارة الرسمية التي تخطط للحرب. ومن جانبها فإن الإدارة أحاطت

المتظاهرين برجال الأمن خشية أن يخترق الصف من لهم غرض في جعل التظاهرة تتحول إلى صدام بين الموقف الرسمي والموقف الشعبي المعارض. وهذا التصرف من جانب الإدارة جعلها تبدو أقوى، ذلك أنه لن يقال إنها لم تأذن حتى لبضعة ألوف من الرأي العام الأميركي لكي يسيروا في تظاهرة بسلام ومن دون أي أذى يلحق بأحد. وقال المتظاهرون "لا للحرب" و"بدل الإنفاق على الحروب هبوا فرص توظيف للعاطلين عن العمل" وتكفيينا فينتام... عبارات أخرى كثيرة من هذا القبيل. ولم نسمع أن الإدارة أعادت النظر في موقفها إلا إذا كان المزيد من التظاهرات والإكثار من المفردات التي تلهب المشاعر ستجعلان هذه الإدارة تستبدل الخيار الحربي بخيار مسالم.

وقد نسمع أن تظاهرات أخرى حدثت إنما من دون أن تكون على حساب أدب التظاهر والسلوك القويم للمتظاهرين. ففي النهاية إن التظاهر هو لتسجيل موقف وليس لإعلان عصيان على الدولة.

لقد إحترم الذين ساروا في التظاهرات في واشنطن وبعض عواصم دول العالم الغربي أنفسهم وإحترموا في الوقت نفسه سلطات بلادهم التي أجازت لهم التظاهر وتولت حراسة مواكبهم. وهذا بعض ما نعينه من أدب التظاهر... الذي يفقده مع الأسف هوة التظاهر في العالم الثالث وبالذات في لبنان المعروف أنه إحدى قلاع التظاهرات بالحناجر عموماً، والخناجر بين الحين والآخر وحرّق أعلام أميركا... التي نطلب في الوقت نفسه ودها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 8 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

نتنياهو... والحظران المصري والمغربي

كان ينقص سمفونية القتل والتدمير والإغتيال والتجريف الشارونية أن ينتسب إليها بنيامين نتنياهو، هذا العازف الجديد الذي أراد من موافقته على العرض الشاروني بإسناد منصب وزارة الخارجية إليه أن يرفع بنفسه الحظر الرسمي والشعبي المفروض عليه من مصر.

زيادة في التوضيح نقول إن نتنياهو خرج من الحكم مدحوراً مذموماً ناهباً بعض مقتنيات رئاسة الحكومة

مما خف وزنه ولابأس بثمنه. وهنالك حالة قضائية في هذا الشأن. كما أنه خرج من الحكم والغضب يملأ صدره من المفردات التي إستعملها بعض الزملاء في الصحافة المصرية وذهبت مثلاً في فن النعت والتشخيص. ولا ننسى العنوان الرئيسي لإحدى الصحف عندما نشرت إسمه بالحرف المجسم "نتن... ياهو."

لكن غضبه هذا ليس شيئاً إزاء غضبه من الحظر الذي فرضه عليه الملك الراحل الحسن الثاني الذي قرر عدم إستقباله على أرض المملكة المغربية ومن الحظر المصري المشابه.

يحاول هذا النتنياهو الآن إختراق الحظر من خلال منصبه كوزير للخارجية الذي إرتضاه أيضاً على أساس أنه جسر بين منصب وزير الخارجية والمنصب الذي يتوق لإستعادته وهو منصب رئيس الحكومة. تماماً على نحو ما حدث للشطب شيمون بيريز الذي كان وزيراً للخارجية فبات رئيساً للحكومة ثم عاد إلى ما كان عليه. وفي إعتقاد نتنياهو أن إختراق الحظر ممكن ما دام هو وزير الخارجية وما دامت مصر قررت الإبقاء على الإتصالات في الإطار الدبلوماسي الأمر الذي يعني أنه إذا طلب الحضور إلى القاهرة لا يمكن للحكم المصري رفض طلبه، أو أنه إذا كان لا بد من تشاور في الإطار الدبلوماسي تريده مصر لا يمكن للمسؤولين المصريين الثلاثة الذين يترددون عند الضرورة على إسرائيل عدم الإجتماع به. وهؤلاء الثلاثة هم أحمد ماهر وزير الخارجية وأسامة الباز المستشار السياسي للرئيس حسني مبارك ومدير المخابرات اللواء عمر سليمان. وإذا فشل مع مصر فإنه سيجرب مع المغرب أو يكتفي بالحفاوة يلقاها من شيخ الدبلوماسية القطرية حمد بن جاسم.

لكن أي تشاور هذا الذي سيتم مع نتنياهو الذي بدأ يومه الأول بعد إعلان موافقته على العرض الشاروني بأن يكون وزيراً للخارجية بالتصريح حول أنه ليس هنالك شيء إسمه دولة فلسطينية. وهو بهذا التصريح يريد القول أنه إذا كان بيريز ثعلباً في الغابة الشارونية فإنه هو أحد ضباع هذه الغابة. كما أنه بما يقوله لا يبدو مزائداً على شارون وإنما موحياً للإسرائيليين بأنه هو من سيرث شارون وفي القريب غير الأجل، وأنه سيبدأ من النقطة التي إنتهى إليها شارون.

يالسوء حظ الإسرائيليين لأن الإستشهاديين سيتكاثرون بعد هذا التغيير نحو الأسوأ في العهد

الشاروني . ولا يجوز لأحد أن يلومهم .. وبالذات الرئيس عرفات ووزير داخلته هاني الحسن.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 9 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

حكومة مطلوبين للعدالة

ما الذي يمكن أن نتوقعه من الحكومة الجديدة في إسرائيل التي رئيسها سقّاح بإمتياز وإلى درجة الإمتهان ووزير الخارجية سقّاح بالهواية، ووزير دفاعها يواصل بناء نفسه كسقّاح لكي يتبوأ مركز رئاسة الحكومة بعد حين.

تلك هي حال حكومة إسرائيل التي غادرها "حزب العمل" متأخراً كثيراً ليشكلها أرييل شارون من رموز اليمين المتطرف متعمداً إسناد الخارجية إلى بنيامين نتنياهو ووزارة الدفاع إلى شأؤول موفاز وفي اعتقاده أنه بذلك يبدو أمام العالم معتدلاً بالمقارنة مع الشريئين الإثنئين نتنياهو وموفاز. وفي حال إكتمل التشكيل بإسناد منصب وزاري إلى اليمين الأكثر تطرفاً أفيعدور ليرمان "رئيس حزب الاتحاد" فإننا نكون أمام عصابة حقيقية هدفها إهالة التراب على فلسطين كقضية وكسلطة وطنية وكحركة مقاومة.

وما يثير الإستغراب أكثر وأكثر هو أن جنرالي هذه الحكومة مطلوبان أمام القضاء: شارون أمام القضاء البلجيكي وموفاز أمام القضاء البريطاني. ومع أنهما مطلوبان فإن السلطات في البلدين حائرتان في أمر هذه الحالة. من جهة تريد الحفاظ على هيبة القضاء ومن جهة أخرى ترى عدم فتّح النواذ أمام عواصف الإبتزاز الصهيوني وحملات التجريح التي تشنها اللوبيات اليهودية المتصهينة على كل من يقول كلمة حق في واقع الحال. ومحور التجريح هو معاداة السامية.

لولا الموقف الممالي للإستثمار الإسرائيلي الذي تتخذه الإدارة الأميركية لما كان في إستطاعة أرييل شارون البقاء بعدما غادر وزراء "حزب العمل" حكومته التي كانت بمثابة فخ نصبه شارون للحزب الثاني في الدولة العبرية. وبموجب المخطط الشرير فإن شارون مارس على مدى سنتين كل أنواع العدوان مطمئناً إلى أن الحزب الثاني أي "حزب العمل" الذي هو حزب السلام مع الفلسطينيين بات إلى جانبه، يشاطره

العدوان عليهم وفك الارتباط الشكلي بهم والإستهتار بالمعاهدات والاتفاقات الرسمية المبرمة معهم.

وعلى هذا الأساس فإنه لا خشية من معارضة تحدث أو طرّح ثقة بالحكومة.

والآن ما العمل؟

هل إذا استأنف هذا الحزب المعارضة سيصدقه الناس ولن يقال له إنك كنت شريك شارون في كل أفعاله. أم أن لحظة من إستعادة هذا الحزب للوعي قد تجعل جماهيره تختار قيادة غير ملوثة تطرح أمام الرأي العام الإسرائيلي رؤية جديدة خلاصتها أنه مهما زادت عريضة المعربين فإنه لا حل سوى التفاهم مع الفلسطينيين والتعايش مع أشقائهم العرب، وأنه لا سبيل لذلك سوى المبادرة العربية التي بدأت بمثابة رؤية مستتيرة وحكيمة من جانب ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز وإعتمدها القمة العربية الدورية في بيروت في مارس الماضي (2002) كخيار متجدد للسلام.

ومن قبل إستفحال الأمور مع العصابة الجديدة من مصلحة الإدارة الأميركية التحرك بأمانة.. ياليتها تفعل.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 10 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

* * *

رجب التركي المنتصر في رمضان

إستفاد إسلاميو تركيا بقيادة زعيمهم رجب طيب أردوغان حيث حقق "حزب العدالة والتنمية" وفي أكثر الأوضاع الإقليمية خطورة وتعقيداً فوزاً مبهرًا، من تجربة التحدي الماضية التي خاضها نور الدين أربكان الذي لم يهنأ بالفترة التي شغلها كرئيس للحكومة، ثم إنتهى التحدي إلى أن المؤسسة العسكرية ذات اليد الطولى في تحديد المصير عصفت به.

لقد خاض الحزب الإنتخابات وإستطاع زعيمه رجب طيب أردوغان الرئيس السابق لبلدية إسطنبول ... وما أدراك ما هي إسطنبول كمدينة تستقر بتحررها الإسلاميين، إبتكار معادلة تؤكد أن الرجل صاحب حنكة سياسية وأنه على درجة من الحذاقة ربما يكون إكتسبها من سنوات عمله كرئيس لبلدية إسطنبول . فهو طمأن المؤسسة العسكرية بأنه لن يقيم دولة إسلامية بمفهوم أربكان . وهو طمأن الأربكانيين بأنه

سيكون بالمقارنة مع نموذج الحكم الإسلامي في الجارة إيران خاتماً وليس خمينياً الأمر الذي جعل هذا الجمهور العريض يرى أن ما قد يحدث هو بعض التغيير وليس إنقلاباً. وفي الوقت نفسه لم يعتمد "حزب العدالة والتنمية" الذي يشيع إسمه مشاعر الطمأنينة في النفوس، عكس أسلوب الصراخ والإستفزاز والتمثيل إحراقاً وبهدلة بالعلم الأميركي على نحو ما كانت تمارس ذلك وبإنفعال جماهير "حزب الفضيلة" أي حزب أربكان والذي - أي إسم الحزب - يشيع إنطباعات بأن من ليس في هذا الحزب فإنه ليس فاضلاً ولا يعرف شيئاً من الفضيلة.

إستكمالاً للإستفادة من أمثلة الماضي وكيف أن عدم أخذ نور الدين بالمرونة على نحو ما فعل رجب طييب تسبب بإنهيار التجربة الأريكانية، فإن زعيم الحزب الوريث وبعدما إستحوذ على 363 مقعداً من أصل 550 في البرلمان التركي طمأن بقية الأطراف قائلاً ما معناه إنه ليس ضد الغرب والعلاقة مع أوروبا وإنه ليس إسلامياً وإنما محافظ وإنه يعارض ضرب العراق.

هل يكفي ذلك لكي يصمد رجب طييب أردوغان الذي تزامن إنتصاره المبهر مع حلول شهر الصوم المبارك.. وبذلك لا يصيبه ما أصاب "جبهة الإنقاذ" في الجزائر من ويلات لأنها حققت في الإنتخابات فوزاً مماثلاً لفوز إخوانهم إسلاميي تركيا. وهل ما يفعله هو شطارة وحذاقة أو هو السير من دون مظلة بين نقاط المطر؟ أم أن رجب طييب كان هو الإسلامي الذي تنتظره المؤسسة العسكرية الأتاتورية لكي تتعايش معه ضمن صيغة تقاسم الحكم الذي لا .. ولن يزعج في شيء العرب من الولايات المتحدة؟ حتى إشعار آخر يبدو الجواب في علم الغيب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 11 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

ما بعد قمتها في عمان

أخفقت المرأة البحرينية في إهداء قمة المرأة العربية في عمان بقية الخبر السار الذي كان سيدخل البهجة على تلك القمة ورئيستها الملكة رانيا العبدالله التي إستضافت الدورة الثانية لمثل هذا المؤتمر الوريدي الجديد على عالم المؤتمرات العربية الرمادية في

معظمها.

وما نعيه بـ "بقية الخبر السار" هو الفوز الذي لم تحققه المرأة البحرينية في الإنتخابات وجاء المجلس خالياً من أختانا في البحرين. ولكن مجرد حدوث الجزء الأول، أي أن ملك البلاد الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة أعطى المرأة حق الممارسة البرلمانية ترشيحاً وإقتراحاً، هو في حد ذاته إنجاز طيب للشيخ حمد الذي يرسم في الأفق المزيد من الإشارات بأنه سيجعل المملكة الصغيرة حجماً كبيرة على صعيد التحديث وتعويض ما فات.

وكان مؤملاً فوز إثنين من المرشحات الثماني بعد صمود إثنين منهن إلى الجولة الثانية التي جرت يوم الخميس 31 أكتوبر، وكان فوزهن سيضيف رونقاً على حديقة التغيير البرلمانية أي بما معناه تكون هنالك وردتان بين الثمانيين عدد أعضاء المجلس نصفهم بالتعيين والنصف الآخر بالإنتخاب.

وما يلفت الإنتباه في القمة الوردية.. قمة المرأة العربية وهي الثانية بعد الأولى التي إستضافتها زوجة الرئيس حسني مبارك أن الحضور فيها لم يكن على مستوى القمة بالدرجة الكافية وهذا أمر يصعب تفسيره وهل هو غياب أم تغييب، أم أنه شيء من التقليد للقمم العربية حيث المشاركة واجب أحياناً والغياب عن المشاركة موقف في معظم الأحيان لا تخلو منه النوازع الشخصية.

في أي حال إن ظاهرة القمة الوردية علامة مضيئة في دنيانا العربية، وهي تحتاج إلى التشجيع من قادة الأمة ما دامت ليست بغرض المنافسة ولا الزيادة وأيضاً لتأكيد مسألة أن المرأة هي نصف المجتمع. والتشجيع بمعنى التأمل بالكثير من التعاطف مع بيانات القمة الوردية وتوصياتها وتحويلها إلى واقع ملموس، وكذلك تمثيل رئاسة القمة الوردية كمراقب في القمم العربية وهو ما فات القمة الدورية في بيروت أن تبادر إليه وما يمكن أن يسنه كتقليد رئيس القمة الدورية الثالثة في مارس المقبل في المنامة ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة.

... وما على الصحافي والكاتب مثل حالنا إلا الإقتراح المعقول.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 12 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

المرونة سلاح في الوقت المناسب

يبدو القرار 1441 الصادر يوم الجمعة 8 نوفمبر/ تشرين الثاني 2002 عن مجلس الأمن و بإجماع مفاجئ في شأن العراق شبيهاً كأرقام.. بالأرقام المتميزة لمن شاءت الصدفة أن تكون سيارته أو منزله أو رقم جواز سفره حاملاً هذا الرقم. ويبدو أيضاً من النوع نفسه الذي جاء عليه قبل خمس وثلاثين سنة القرار 242 الذي لا تلتزم إسرائيل بتنفيذه مع أنه قرار صاغته بريطانيا بإيحاء من أميركا لكي ترضى عنه.. وعنهما إسرائيل.

ويبدو القرار 1441 وكأنما هو القرار الظني الذي يصدر عن المدعي العام أو كأنما هو مطالعة أمضى المدعي العام ليالي طويلة يعمل عليها من أجل أن يقل كل منافذ الخلاص عن من هو موضع الإتهام. وفي هذا القرار وضعت الإدارة الأميركية كل ما تريد قوله وأتيح للدول المتحفظة أن يتضمن ولو القليل من الكثير الذي تراه. وجاء القرار مثل الشر الذي لا بد منه على نحو ما يلخص مثل هذه الحالات المثل الشعبي. كما أنه جاء في منظور آخر كـ "أهون الشرين".

وبدا القرار في مجمله وكما لو أنه "خارطة الطريق" إلى العراق شقيقة "خارطة الطريق" إلى فلسطين.

في حال تبلورت الإستدارة العراقية الناشئة عن المسعى الصامت للدبلوماسية السورية في اتجاه الانحناء أمام العاصفة الأميركية التي لها مفعول الإعصار، فإن المنطقة تكون تجاوزت الشرك الأميركي _ الإسرائيلي المنسوب للأمتين العربية والإسلامية. ومن خلال ما أعلنه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية في وقت متأخر من مساء السبت 9 نوفمبر رابع أيام شهر الصوم المبارك بدا أن الإستدارة العراقية آخذة طريقها نحو الأفضل.

وليست صدفة في أي حال أن الأمير سعود هو من إرتأى من بين وزراء الخارجية العرب أن يكون أول من يعلن بالنيابة عنهم قبول العراق بالقرار 1441 وتضمن إعلانة عبارة "إن الموافقة جاءت بعد التأكيدات التي أخذت من سوريا بأن لا عمل عسكرياً تلقائياً...".

وخلاصة القول إن الدبلوماسية العربية مارست هذه المرة دورها بجدارة وأثبتت المرونة كم أنها سلاح فاعل في الوقت المناسب. وقد تنتهي عاصفة بوش الإبن

إلى إقتصارها على تحذير لم يتطور إلى حرب على نحو ما حصل مع "عاصفة الصحراء" عام 1991 التي إكتوى بنارها وتداعياتها الجميع بمن فيهم صاحب تلك الحرب بوش الأب. وهي ربما كانت لن تحصل لو أن العراق مارس المرونة على نحو ممارسته لها منذ بضعة أشهر وتجلت بالموافقة على القرار 1441 مدعوماً هذا القرار بإجماع عربي ودولي تستثني من ذلك الذين في نفوسهم غرض ... أو رغبة في الإنتقام. صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 13 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

جورج بوش الإبن

والفرصة... اللحظة (1)

قبل أن تفاجئ سوريا الإدارة الأميركية بموافقتها على القرار 1441 وبذلك تحقق للرئيس جورج بوش الإبن الإجماع الذي يريده لقراره، كان الرئيس الأميركي بعث برسائل تهنئة لمناسبة حلول شهر الصوم المبارك إلى بعض القادة العرب والمسلمين.

ثم ألحق الرسائل بمأدبة إفطار أقامها في البيت الأبيض دعا إليها رموز الجاليات العربية والإسلامية في الولايات المتحدة..

كما أنه طلب من وزير خارجيته كولن باول إقامة مأدبة مماثلة أواخر شهر الصوم وأن يطلب الوزير بدوره من السفارات في الدول العربية والإسلامية إقامة مأدب مماثلة.

هذه اللفتة التي يريد الرئيس بوش من خلالها تبييض سمعة أميركا وإثبات حسن النية تجاه الإسلام والمسلمين يمكن أن تساهم في طمأنة أصحاب الشهر الفضيل إلى أنهم باتوا في مأمن من إزعاجات الأجهزة الأمنية الأميركية التي باتت منذ العملية الترويجية يوم 11 سبتمبر 2000 في كل من نيويورك وواشنطن ترى أن كل مسلم هو إرهابي وتتعامل معه على أساس أنه يشكل خطراً على أمن البلاد .

لكن هذه المأدب ومهما تكاثرت وكانت عامرة لا تبدد الشعور السائد في نفوس أكثر من مليار مسلم في جميع أنحاء العالم وهو أن الرئيس بوش ومن خلال بعض الجيوب المتصهينة داخل إدارته والتي تحظى برعاية ملحوظة من جانب الرئيس، إفتعل عداوة مع

الإسلام والمسلمين وشجع وسائل الإعلام من صحف ومجلات ومحطات تلفزيونية وفضائيات على أن تبت وتنتشر من الحقد على الدين الإسلامي ما صوّر المسلمين في نظر الرأي العام الأميركي على أنهم أعداء مع أنهم في حقيقة الأمر مستائين من إنحياز الإدارات الرسمية وبالذات إدارة الرئيس بوش لإسرائيل وليسوا معادين. بل إن إستيائهم هذا هو إستياء الصديق من صديق خيب له أمله ولم يكن عند حُسن الظن في اللحظة التي بات فيها هذا الصديق، وهو هنا أميركا، الطرف الذي في إستطاعته إيجاد الحل لأي مشكلة لكنه إما لا يحلها لضيق الوقت أو لا يريد حلها بسبب فهمه المغلوط للعلاقة وأصول الصداقة... أو، وهذا ما نخشاه، هو أن تكون الثعابين المنتشرة في دهاليز الإدارة الأميركية تخشى أن يقرر الرئيس الإستفادة من الفرصة التي حدثت بشكل مفاجئ ومن مصلحته الإستفادة منها.

والثعابين التي نشير إليها متعددة الأنواع والأشكال، إلا أن الجامع المشترك بينها أن السم الزعاف الذي في جوفها هو فقط يرسم العرب والمسلمين وهو نوع من أنواع أسلحة الدمار الشامل.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 14 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

جورج بوش الابن

والفرصة... اللحظة (2)

عندما تولت أميركا بوش الأب أمر إعادة الكويت إلى أهلها إفتراضنا أنها بهذا الدور تدشن مرحلة إعادة الحقوق إلى أصحابها وأن مثل هكذا أميركا تستحق تعليق الآمال عليها.

ثم جاء مؤتمر مدريد للسلام ليأخذ المزيد من التآلف العربي بالنسبة إلى الموضوع الفلسطيني بعدما سبق أن دشن مسألة الأخذ الرئيس الأسبق جيمي كارتر.

وإفتراضنا بعدما تولى جورج بوش الابن الرئاسة أن الإدارة الجمهورية ستصحح المسار على أفضل وجه لكن التمنيات شيء وما إنتهى إليه واقع الحال شيء آخر. وفي عهد الرئيس بوش الابن إنتهت القضية وبسبب الموقف الأميركي إلى شظايا متناثرة.

الآن وقد بات الرئيس جورج بوش الابن قوياً بالشرعية الشعبية التي كانت ضعيفة عندما خاض معركة الرئاسة، أي بما معناه إن وطأة الضغط الصهيوني عليه لم تكن كما الحال في السابق ولم تعد اللوبيات الصهيونية قادرة على التعامل معه من منطلق تذكيه بأنها هي التي أوصلته من خلال أصوات فلوريدا إلى البيت الأبيض...

والآن وقد حصل من سوريا على ما يجوز إعتباره الغطاء العربي لقراره الذي إستصدره في مجلس الأمن في موضوع العراق .. ومن دون التصويت السوري إلى جانب القرار ما كان للقرار ربما أن يصدر، أو أن أزمة دولية كان يمكن حدوثها...

والآن وقد إستجاب العراق للتطمينات السورية وفحواها أن سوريا أيدت القرار لقطع الطريق على إسرائيل ولأنه لا يتضمن أي عمل عسكري تلقائي ...

والآن وقد بات الفلسطينيون على مفترق الطرق بمعنى أنه إما ينحاز أهل السُلطة التي يترأسها عرفات إلى "حركة حماس" و "حركة الجهاد" ويصبح الجميع متشددين وإستشهاديين في حال إستمرار الموقف الأميركي على ما هو عليه مع "مثلث الشر المستطير شارون - نتنياهو - موفاز"، وإما ينحاز أهل الجهاد والإستشهاد إلى "السُلطة الوطنية" في حال نجاح المسعى المصري الدائر بصمت في جمع الجانبين على صيغة واحدة تستند إلى تعهدات من جانب الإدارة الأميركية تتسم بالصدق ...

الآن، هل يترك الرئيس بوش الابن هذه الفرصة - اللحظة تقلت من بين يديه، أم أنه سيعمل جاهداً على توظيفها لمصلحة الإستقرار العالمي الذي لا يمكن أن يسود من دون إستبدال مخطط الحرب على العراق مقدمة لمأرب أخرى تستهدف بقية الدول بخطة تقوم على الحوار والتشارك وإعادة سيف الهيمنة إلى غمده بدل التلويح به ليل نهار في وجه الآخرين ؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 15 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

جورج بوش الابن

والفرصة... اللحظة (3)

ياليت الرئيس بوش الذي يعيش زهو النصر

الانتخابي الذي تحقق له بشكل مفاجئ يتصور كيف ستكون عليه الحال لو أن مجلس الأمن، بدوله الأساسية روسيا وفرنسا والصين والدولة التي تمثل العرب سوريا، خذله فلم يصوت على القرار بما يجعله نافذ المفعول، وكيف ستكون عليه الحال لو أن ممثلة العرب في المجلس عارضت القرار، وكيف ستكون عليه الحال لو أن أميركا وجدت نفسها وحيدة لا حلفاء ولا غطاء عدا إسرائيل التي تحرض على شن الحرب على العراق لأنه يحقق لها غرضين في الوقت نفسه: الأول هو تدمير العراق على أساس أن الضربات ستكون ماحقة. أما الغرض الثاني فهو أن مثلث الشر الإسرائيلي الجديد - القديم المستطير شارون - نتيا هو - موفاز سينتزع الفرصة ويضرب الفلسطينيين شعباً وقضية الضربة القاضية. والثلاثة لا يخفون رغبتهم هذه في أي حال، بل إن ممارساتهم تدل على نواياهم.

إنطلاقاً من حُسن النية به نقول إفتراضاً أن الرئيس جورج بوش الابن ما بعد الانتخابات وما بعد قرار مجلس الأمن الذي كان التصويت عليه بالإجماع سيكون غير ما إعتدنا عليه ... ولا بد أنه سيوظف الفرصة - اللحظة خير توظيف.

ودعونا الآن نعرض وإيجاز لائحة المكاسب من هذا التوظيف :

- إنه كان سيُطمئن الدول الأوروبية إلى أنها دول حليفة وليست تابعة، وهذا هو محور الإنزعاج الضمني السائد لدى كل الحكومات الأوروبية بما فيها الحكومة البريطانية عدا أفراد قلائل في هذه الحكومة من بينهم رئيسها طوني بليز. ومن دون أن تطمئن أوروبا سيبقى النسر الأميركي بجناح واحد ولا قدرة له على التحليق.

- إنه كان سيُطمئن الصين وروسيا إلى أنهما لم يسقطا من المعادلة الدولية القائمة على أنه مهما بلغ شأن التفوق الأميركي، فإن ذلك لا يعني أن هاتين الدولتين ليستا بمثابة رقمين صعبين في هذه المعادلة.

- إنه كما سيُطمئن الأصدقاء العرب والمسلمين إلى أن الولايات المتحدة لن تخيب آمالهم في الرهان عليها كدولة تساند وتدعم وتتفهم من دون أن تتسبب بأي إحراجات لهم.

- إنه كان سيُطمئن دول العالم ومن دون إستثناء والرأي العام في هذه الدول بأن الولايات المتحدة لن تكون إلا الدولة الرمز للحرية. وعلى هذا الأساس فلا موجب بعد الآن للتظاهرات الحاشدة التي شهدتها

أوروبا ودول أخرى كثيرة ليست بينها الدول العربية، مع الأسف ، وتزامنت مع الجو المحموم الداعي إلى الحرب.

- إنه كان سيُطمئن أصحاب القضايا العالقة بأنه جاد في إيجاد حلول لهذه القضايا. وأهم هؤلاء على الإطلاق أبناء الشعب الفلسطيني الذي سيُطمئنهم بأن دولتهم ستقوم وستكون القدس عاصمة روحية للأديان الثلاثة كما ستكون هنالك حلول عادلة للاجئين الفلسطينيين.

هذه التطمينات وغيرها كثير تستحق من الرئيس جورج بوش الابن أن يعيد النظر لكي يجعل القرن الواحد والعشرين رمزاً لولادة الزعيم التاريخي الذي لا مثيل له.

فهل يفعل ويغتتم الفرصة - اللحظة أم أنه مسكون بهاجس الحرب وبأنه لا بد من تكريت وصدّام حسين والعراق ... وإن طال السفر .

ما علينا سوى الإنتظار والتكهن إلى أن يقضي الله أمراً في علم الغيب .

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 16 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

عميد "الغوانتانامو"

واقترح برسم بوش

نقترح على الرئيس بوش الابن لمناسبة الفوز المبهر الذي حققه في الانتخابات .. وهو فوز غير مسبوق في ظروف كتلك التي نعيشها منذ 11 سبتمبر 2002 أو "سبتمبر الأسود الأمريكي" توأماً لـ "أيلول الأسود الأردني"، أن يستأنس بالتقليد المتبع في مثل هذه الحالات في العالم الثالث وبالذات في بعض الدول العربية وأحدثها ما جرى في العراق، فيقرر العفو عن الذين رماهم في غياهب "غوانتانامو" ومعظمهم من منطلق الظن الذي بعضه إثم. وإذا كان العفو ليس وارداً لأن التحقيقات مع هؤلاء لم تنته ولا يبدو أنها ستنتهي، فعل الأقل إغتنام مناسبة الشهر الفضيل رمضان وإحترام صوم هؤلاء وتمكينهم من الوضوء الجيد والسجود الهني والتكبير من دون خوف والإفطار الكريم والسحور المصحوب بتلاوات من أي الذكر الحكيم والأدعية المستحبة في مثل هذا الشهر الكريم،

وتأمين فضائية لهم يتابعون من خلال شاشتتها الصلاة من المسجد الحرام.

كما نتمنى أن يكون هنالك بعض الرعاية الصحية لهم كي لا يأتي يوم يروي هؤلاء عن قصص التعذيب النفسي والجسدي ما زال يرويه سجناء معسكرات الإعتقال الهتلرية. وهذا في أي حال ليس لمصلحة أميركا النظام وأميركا الدولة وأميركا الشعب وأميركا القيم.

وإلى ذلك فإنه ليس من مصلحة أميركا أن يكون بين نزلاء "غوانتانامو" عجوز عمره مئة وخمس سنوات وآخر عمره تسعون سنة ينطبق عليهما وعلى كثيرين غيرهم قول الشاعر بأنهم من فئة الذين سئموا تكاليف الحياة منذ سنوات كثيرة مضت. وعندما تصل الحال بـ "رجل أميركا" في أفغانستان الرئيس حميد قرضاي إلى أن يصاب بالدهشة وهو يتبلغ وجود مثل هؤلاء في "غوانتانامو" بينما لم تتمكن "أم دول العالم" من معرفة مكان أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وسليمان أبو غيث والملا محمد عمر وآخرين بعد مرور سنة على القصف والتدمير ثم البحث، فمن الطبيعي أن يندم على اللحظة التي صدّق فيها الأطروحات الأميركية في شأن الإرهاب والديمقراطية.

وباليت هؤلاء الذين يحيطون بالرئيس بوش الإبن ويمطرونه بالتحليلات والشعارات وأفكار تبييض السمعة في أوساط المجتمع الإسلامي والمجتمع العربي ينبهونه إلى مسألة الأحوال في "غوانتانامو" وبأن هؤلاء الذين بلغوا من العمر عتياً أمثال حاجي فايز محمد الذي كان عميد "الغوانتانامويين" حتى اللحظة التي نبه أحدهم الرئيس قرضاي إلى وجوده في المعتقل فسعى إلى إطلاقه، لم يكونوا قبل إعتقالهم وزجهم كالخراف في "غوانتانامو" إرهابيين وما كانوا يكرهون أميركا ... ولكنهم بعد الذي جرى لهم باتوا على إستعداد لأن يفعلوا ما يفعله الفتية الإستشهاديون على أرض فلسطين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 17 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

المال والبنون والدنيا في مشهدين (1)

المال والبنون زينة الحياة الدنيا. ولو أن الكوريين وبالذات أولاد رئيس كوريا الجنوبية كيم داي جونج من

الذين يقرأون ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف حول المال والبنين وعلاقة الأبناء بالآباء وبحيث لا يكون الإبن ضالاً يهدم ما بينه الوالد ويشوه السمعة والمكانة التي طالما كابد الوالد من أجل الوصول إليها ، لما كان الأولاد الثلاثة للرئيس الكوري عاثوا فساداً بينما والدهم في سدة الرئاسة ورئاسة الحزب الحاكم وبينما البال الكوري الجنوبي لا يهدأ خشية من الشقيق الشمالي الذي بات نووياً مغفورة له نوويته هذه من جانب إدارة الرئيس بوش، التي لا تغفر للعراق المتهم بإمتلاك أنواع لا حصر لها من أسلحة الدمار الشامل وتواصل التحضير للحرب عليه إذا أظهر نظام الرئيس صدام حسين من النوايا ما يمكن تصنيفها على انها حسنة.

ويشعر المرء بالشفقة على هذا الرئيس الذي بدأت بلاده تسلك طريق تصنيفها في مجال التكنولوجيا على أنها من دول العالم الثاني. وهو منذ بضعة أسابيع يعتذر من الشعب لأن من هم زينة حياته، أي أولاده الثلاثة، في حال من الإرتكاب الدائم للفضائح. فقبل أسبوعين صدر بحق إبنه الأكبر حُكم بالسجن 42 شهراً بتهمة الفساد والرشوة. وإفترض الوالد الرئيس أن الإبن الثاني يمكن أن يعوّضه صدمته بالإبن الأول ، لكن الثاني كان أكثر فلهوة من الإبن البكر في مسألة الأعمال غير المشروعة وصدر بحقه الحُكم مطلع هذا الشهر بالسجن ثلاث سنوات ونصف السنة وبغرامة مليون وربع المليون دولار لحصوله على رشوة وأموال غير مشروعة بالملايين والتهرب من الضرائب. وبعد صدمته الثانية إفترض الرئيس أن الخير في الإبن الأصغر لكن أخيرهم كان من النسيج نفسه حيث أنه حصل على ثلاثة ملايين دولار بصورة غير مشروعة من رجل أعمال في مقابل خدمات. وفي أعقاب المحاكمة التي بدأت في يوليو الماضي (2002) صدر الحكم يوم الإثنين 11 نوفمبر الجاري بالسجن مع وقف التنفيذ ودفع غرامة.

مسكين حال هذا الرئيس وكيف أن بعض الناس في كوريا الجنوبية يرثون لمصيبته والبعض الآخر ينظر إليه على أنه والد الفاسدين الثلاثة ... بدل أن يكونوا الفرسان الثلاثة سلوكاً وتهذيباً وصموداً أمام إغراءات المال ما دام والدهم على قمة السلطة.

... ولل كلام بقية حول مشهد آخر للمسألة وكيف يمكن أن يكون المال والبنون زينة الحياة الدنيا.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

المال والبنون والدنيا في مشهدين (2)

من دون أن يخطط لذلك ولكنه الحظ والسلوك السوي، بات الأميركي بيل غيتس الذي لم يتمكن من إكمال دراسته الجامعية أمبراطوراً أكثر أهمية بكثير من بعض أباطرة هذا الزمان الذين لا يقنعون بما يسره الله لهم وإنما يريدون المزيد ولو أدت التخمّة إلى مضاعفات. وعند التأمل قليلاً في ما يفعله أحدث أباطرة هذا الزمان جورج بوش الابن يتأكد لنا ذلك.. إلا إذا كان الرجل سيري في موافقة العراق يوم الأربعاء الماضي وقبل يومين من إنتهاء المهلة - الإنذار على القرار 1441 أنه مخرج مشرف يغنيه عن مأزق مغامرة الحرب والتمتع بالمجد الذي نشأ عن الفوز المبهر في الإنتخابات.

كان بول غيتس لا يملك ما يمكّنه من إستتجار مكتب لائق ينفذ فيه موهبته التي تبين في ما بعد أنها ثروة الثروات فبدأ العمل داخل كاراج. وهذه الموهبة هي إنتاج برامج الكمبيوتر من خلال شركة بسيطة أنشأها وباتت خلال سنوات قليلة "مؤسسة مايكروسوفت للبرمجيات" التي يمكن إعتبارها أكبر شركة إنتاج برامج الكمبيوتر في العالم.

هذا الرجل الذي يبلغ السابعة والأربعين من العمر جنى ثروة تقدّر بثلاثة وأربعين مليار دولار من عرق جبينه ومن دون أن يرث دولاراً واحداً. وبعد نجاحه المذهل تزوج وبات أباً لثلاثة أبناء وإستمر على تواضعه ورصانته والقيام بأعمال الخير. ولم يجعله هذا المال القاروني يتجه إلى العيش المبالغ في ترفه ولم يصبح من رواد كازينوهات "لاس فيغاس" كما أن سلوكه الإجتماعي وحبه للعمل ونأيه عن الصغائر خصائل جعلته مثل الأمير أحمد بن سلمان بن عبد العزيز رحمة الله عليه لا ينسى أن في هذا العالم محرومين كثيرين ومعاقين كثيرين وعباقره كثيرين تتقصهم المساندة لكي تتفجر عبقرية إبداعاً وأفكاراً تخدم البشرية. ومن جملة أعمال الخير هذه أنه خلال زيارة قام بها إلى الهند في الأسبوع الأول من نوفمبر الجاري أعلن في نيودلهي عن إستثمار أربعمئة مليون دولار في الهند لدعم التعليم والشاركة التجارية وتطوير صناعة البرمجيات. كما أعلن عن التبرع بمئة مليون دولار لمكافحة الإيدز التي يوجد فيها ثاني أكبر عدد من الإصابات بهذا المرض الفتاك في العالم.

وعندما سألوه عن أبنائه الثلاثة، أكبرهم في

السادسة أوسطهم في الثالثة وأصغرهم عمره شهران ما الذي سيفعلونه بهذه الثروة الأسطورية فاجأهم بالقول: "لا أعتقد أن فكرة إقتطاعي جزءاً كبيراً من ثروتي وتوريثه لهم ستكون ذات نفع للمجتمع ولهم. إن جزءاً كبيراً من هذه الثروة الهائلة سيؤول للهيئات الخيرية ولقد أفصحت عن هذا من قبل. هذه هي فلسفتي في رد ثروتي مرة أخرى إلى المجتمع. وسيعيش أطفالنا بغاية الراحة مما سأخصصه لهم..."

يا لسعد هذا الإنسان المستقيم بنظرته إلى الثروة والأبناء بالمقارنة مع تعاسة رئيس كوريا الجنوبية بسبب غضه النظر عما فعله الأبناء الثلاثة الفاسدون المرتشون. ويا بعض القارونيين العرب تنبهوا وإتعضوا وقلّدوا.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 20 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

قضية الإعتراف بالذنوب البريطانية

في مقابلة أجرتها معه مجلة "نيو ستيتيمان" البريطانية الأسبوعية ذات النهج اليساري ونشرتها يوم الجمعة 15 نوفمبر الجاري، سجل وزير خارجية بريطانيا جاك سترو خطوة غير مسبوقة بهذا الوضوح على صعيد النقد الذاتي للسياسة البريطانية إزاء الشرق الأوسط والنزاعات المزمّة بين الهند وباكستان إضافة إلى ما يتعلق بسياسة بريطانيا في دول أخرى مثل أفغانستان والعراق. ومما قاله إن الحدود الغربية للعراق رسمها البريطانيون كما أن وعد بلفور الذي صدر عام 1917 متضمناً وعد زميله اللورد آرثر بلفور في تلك الفترة بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين والضمانات البريطانية المتناقضة التي منحت سرّاً للفلسطينيين في الوقت نفسه الذي أعطيت للإسرائيليين تشكّل حدثاً مهماً إنما ليس مشرفاً لبريطانيا.

لا ندري لماذا خص رئيس الدبلوماسية البريطانية مجلة ذات هوى يساري لكي يقول فيها هذا الكلام المهم الذي لو أنه نُشر في صحيفة "التايمس" أو صحيفة "الدائلي تلغراف" لكان وقّعه أكثر تأثيراً. لكن قد يجوز القول إن الوزير خشي من عدم ترحيب الصحيفتين المشار إليهما بهذا الكلام، أو أنه فقط تحدّث مع المطبوعة اليسارية التي يطيب لها سماع مثل هذا الكلام الناقد للسياسة الأمبريالية وأنه تحدّث

بالمفردات التي تلقى الترحيب في نفوس جمهور اليسار البريطاني والأوروبي عموماً.

على رغم ذلك يبقى لافتاً كثيراً كلام وزير الخارجية البريطانية، وبالذات في هذه الظروف التي تعيشها الدول التي سبق لبريطانيا أن إستعمرتها ثم غادرتها بعدما تركت في كل بلد ألغاماً قابلة للإنفجار. وها هي الألغام تتفجر لغماً بعد لغم من الهند وباكستان وكيف أن حرباً نووية كادت تحدث قبل بضعة أشهر بينهما لولا أن الوسيط الأميركي تدخل في الوقت المناسب.. إلى العراق وكيف تسببت مسألة "الحدود الغربية" على نحو وُصف سترو لها بإجتياح عراقي للكويت تلتها مصائب ما زال العراق يعاني منها إلى الآن وما زال سيف الحرب الأميركية - البريطانية مسلطاً عليه، إلى الشعب الفلسطيني الذي يقاسي الولايات من الوزير البلفوري الذي لا يغفره سوى إقتحام جيل الأحفاد متمثلاً بالوزير سترو وأبناء جيله من البريطانيين الأسوار والعمل على تصحيح ذنوب الأجداد.

وقد يقال إن ما حدث قد حدث ولا سبيل إلى أي تصحيح خصوصاً بعدما طرأت على الموضوعين العراقي والفلسطيني تعقيدات تزامنت مع إنحسار شأن بريطانيا. وهذا الكلام يجافي الحقيقة، ذلك أن بريطانيا من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن فضلاً عن أن باعها طويل في مسألة إبتكار القرارات التي تصدر عن مجلس الأمن. وبدل أن تتجلى عبقرية الصياغة والمفردات المربكة على نحو ما يمكن ملاحظته في القرار 1441 ومن قبل ببضعة عقود القرار 242، فإن من واجبها المبادرة إلى طرح مشروع قرار تصحيحي ينصف الشعب الفلسطيني ويضمن الشعب العراقي ويهدئ من روع الشعبين الهندي - والباكستاني.

وهي إذا كانت لن تفعل ذلك سيبقى صيتها ذائعاً على أنها عميدة الدول الإستعمارية في العالم... وهذا لا يشرف بريطانيا على الإطلاق.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

ما ننتظره من الـ "غول" التركي

تحتاج العلاقة التركية - العربية إلى عملية تصحيح جذرية وبالذات بين سوريا وتركيا. وفي الماضي كان من

الصعب مثل هذا التصحيح ما دام الحُكم التركي ذهب بعيداً في تحالفه مع إسرائيل وما دام الحُكم السوري إصطدم سعيه نحو السلام العادل والشامل وبما يعيد له مرتفعات الجولان ومياه طبريا، بمعوقات وتعقيدات وألغاب أميركية - إسرائيلية.

كما حال سوريا مع تركيا فإن حال العراق معها ليس أفضل، ذلك أن تركيا لا تعير الجوار حقّه كما أن الطائرات الأميركية تنطلق من قواعدها في تركيا لتقصص ما شاء لها القصف في العراق، وأما الخلاف حول مياه الفرات فإنه كثير التعقيد.

ولن نضيف المزيد من الوقائع مكتفين بالقول إن العلاقة التي تثير الإستهجان بين تركيا وإسرائيل جعلت الحذر العربي والإسلامي منها يتزايد في إستمرار. ولولا أن الرئيس ياسر عرفات له خطه السالك مع الحُكم التركي لكانت دواعي الحذر إتسعت وتشعبت.

مع الحُكم الأربكاني كادت الأمور تأخذ طريقها في إتجاه التصحيح. وقد بذل الرجل جهداً مشكوراً منسجماً مع عقيدته الإسلامية لكن سرعان ما قوّض الآخرون وبالذات الجنرالات الأتاتوركويون محاولته. ومع بولند أجويد كان من الصعب التمييز بين الحق والباطل لأن الرجل ألقن الأسلوب الأكروباتي فلا أرضى سته ولا حظي بإمتنان سيده.

الآن باتت في تركيا حكومة مستترة وغير مرتبنة وتحظى بشعبية ملحوظة تشبه في بعض جوانبها الشرعية التي حظي بها الرئيس محمد خاتمي في إيران. لكن هذا لا يكفي. فكما أن قيد الإرث الخميني يحول دون إنطلاق البرنامج الخاتمي، فإن قيد المؤسسة العسكرية التركية يحول دون أن تترجم الحكومة الأردوغانية برنامجها وخطط الترشيح والتصحيح.. وبالذات في ما يخص العلاقات بين تركيا ودول الجوار سوريا والعراق وإيران، وكذلك ما يتعلق بالتحالف التركي - الإسرائيلي الذي لا يليق على الإطلاق بالدولة المسلمة الكبرى التي قد يخذلها الأوروبيون ويواصلون إعتبارها جسماً دخيلاً عليهم وبذلك لا يبقى لها سوى أبناء قومها من أخوة متجارون أو أخوة بعيدين.

لا ندري كيف ستسلك الحكومة التركية الجديدة الطريق التي تحول دون الإلتفاف عليها رداً على الإلتفاف الشعبي حولها. ولكن إسناد وزارة الخارجية إلى يشار باقيش الخبير في الشؤون العربية والذي سبق أن عمل سفيراً في مصر والسعودية وقنصلاً في سوريا ويتقن لغة الضاد إلى جانب الإنكليزية والفرنسية، يترك إنطباعات بأن

العلاقات العربية - التركية على أهبة مرحلة جديدة تقوم على التفاهم العميق أكثر مما تقوم على التفهم الإلصقاري كما هي الحال منذ بضع سنوات. وفي حال حدث توازن في العلاقة العربية - التركية فإن أموراً كثيرة ستتبدل بالنسبة إلى الصراع مع إسرائيل، ذلك أن الصهاينة مسلحون بأن دولة إسلامية كبرى وموقعها على الخاصرة العربية الأساسية بالنسبة إلى الصراع العربي - الإسرائيلي، ونعني سوريا والعراق، هي في حالة تحالف معهم وهذا في حد ذاته إضعاف للشأن العربي وتهديد للأمن القومي العربي. وعندما يتم تصحيح هذا الوضع الشاذ فإن تركيا تصبح عندئذ قادرة على القيام بدور توفيقى ما دامت لم تعد منحازة إلى إسرائيل شكلاً ومضموناً، وإلا فلماذا هذا التعاون العسكري والإستراتيجي.

وبعد الآن ستشخص الأنظار على جارتنا "غول" تركيا الذي نتمنى ألا يكون سلوكه مستوحى من إسمه وأن يصحح ما يمكن تصحيحه وذلك لأن الفرصة الطيبة مثل اللحظة تمر... ويا لسوء حظ العلاقة العربية - التركية إذا كان الـ "غول" لن يصحح.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 22 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

لكل دولة زمانها...مرشدنا

بعد الفوز الساحق الذي حققه "حزب العدالة والتنمية" في الانتخابات التركية يوم 3 نوفمبر/ تشرين الثاني الجاري (2002) وكيف أنه حصل من الأصوات على نسبة 34 في المئة ومن المقاعد على 363 مقعداً في البرلمان، بدأت التساؤلات في المحيطين العربي والدولي عما ستكون عليه الحال مع زعيم الحزب طيب رجب أردوغان الذي أقام حزباً إسلامياً نشيطاً على أنقاض "حزب الفضيلة" وزعيمه نجم الدين أربكان غير المرحب به من المؤسسة العسكرية صاحبة الكلمة الفصل في الحياة السياسية التركية. ولقد أثبت الرجل أن الحكمة الأردوغانية تبقى أفضل من الأصولية الأربكانية بدليل أنها أودت بزعيم "الفضيلة" أربكان إلى خارج الحلبة ومن دون أن يفيد في شيء مظهره العلماني وربطات العنق التي كان يجبها وكلها ذات ألوان فاقعة وعلى درجة غير مستحبة من الزرقة.

نجح أردوغان في إستنباط خلطة سحرية مزج فيها

إسلاميته بعلمانيته وجاءت من نوع الخلطة السحرية التي إعتددها دجاج "الطازج" بالمقارنة مع خلطة دجاج "كنتاكي" أي بما معناه جاءت الخلطة الأردوغانية تتناسب المزاج الوطني ولا تقلق في الوقت نفسه المزاج الغربي وبذلك باتت الوجبات "الطازجية" مقبولة وموضع إرتياح الجميع. فالمؤسسة العسكرية مرتاحة إذن فلا موجب لوضع "فيتو" على حكومة إسلامية ما دامت بالهوية التي إختارها طيب رجب أردوغان. والوطنية التركية مطمئنة ما دام الإسلاميون المتجددون يحترمون الأتاتوركية. والخصوصية الأميركية - التركية غير معترضة ما دامت الطبقة الأردوغانية للإتجاه الإسلامي لا تريد مقارعة أميركا وإنما ترشد العلاقة مع الولايات المتحدة، وضبط العلاقة مع إسرائيل بحيث لا تخرج عن بعض الثوابت، ومنها أن المصلحة تقتضي الوقوف إلى جانب الأخ الفلسطيني وعدم التآمر على "الأخ العربي" وعدم إقلاق "الأخ الفارسي" والتعايش السلمي مع محيطه الأوروبي.

وحده أردوغان كشخص دفع الثمن، ذلك أن المؤسسة العسكرية تعمدت ومنذ اللحظة الأولى إفهام الرجل بأن يبقى بعيداً عن الخط الأحمر وذلك بأن أوصت سراً بسحب ملفه من الأدرج. وفي هذا الملف إدانة سابقة له بـ "التحريض على الحقد الديني". ومثل هذه الإدانة لا تسمح بتكليفه تشكيل الحكومة مع أنه فائز بجدارية ومع أنه زعيم الحزب. وعندما يرتضي أردوغان هذا الأمر الواقع فمن أجل ألا يفعل نزاعاً نتائجه معروفة سلفاً وقد نالها من قبل نجم الدين أربكان. وهو لا يريد لواقعة الأمل أن تتكرر معه. وعلى هذا الأساس تولى نائبه عبدالله غول مهمة تشكيل حكومة الأمر الواقع الذي يعني أن أردوغان لن يذوق المنصب أو أنه سيبقى "مرشداً للحكومة" حاله مثل حال "مرشد الثورة" في إيران آية الله خامنئي.

... وهكذا فكما لكل دولة زمانها لكل دولة إسلامية مرشدنا.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 23 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

و"عَاط" بوش ومواعظ الإنكليز

كم يتمنى العرب والمسلمون لو أن أقراد جوقة التنظير المحيطه بالرئيس بوش الابن يشرحون

بموضوعية له الإسلام وعلاقة المسلم عربياً وغير عربي، بدينه وبالأحاديث التي تفيض بالحكمة التي أرادها الرسول الكريم صلوات الله عليه لتتوثر قوم حجب سلطان القوة عن عقولهم رؤيتهم الحقيقة التي لا جدال فيها وهي أنه لا يد إلا يد الله فوقها.

وإذا كان معظم أفراد هذه الجوقة الظاهرين هم على هذا التعتيم من جانبهم بحيث لا يوضحون للرئيس جوهر الإسلام وأهمية السلوك لدى كل من هذه الله إلى هذا الدين، فكيف إذاً هي حال الأكراد المستترين من هذه الجوقة والذين يزرعون الحقد والشوك أمام الرئيس فلا يتروى عندما يتخذ من القرارات ما لا يمكن لواحد من بين المليار وربيع المليار مسلم أن يتقبله كالإستهانة بالقدس وما يعنيه الحرم القدسي الشريف، وكيف أن الرئيس بوش لم يتمهل عندما رفعوا إليه التقرير المتعلق بها ويضع توقيعه الذي يوافق بموجبه على اعتبار المدينة عاصمة موحدة لإسرائيل. وبدا الرئيس في فعله المستهجن هذا كما لو أنه يوقع على مذكرة روتينية تتعلق بقضايا داخلية، لم يخطر في باله أنه بتوقيعه هذا يعمق مشاعر الحذر في نفوس المسلمين.

ولكي يطفئ لهيب الحذر المشتعل في نفوس المليار وربيع المليار نسمة يقيم مأدبة إفطار رمضانية ويقول كلاماً لا يلمس جوهر المسألة وهو أن الإدارة الأميركية بما تفعله مع إسرائيل إنما تصدر حقوقاً شرعية للمسلمين، ولا يبدل من الأمر شيئاً أن الإفطار الرمضاني جرى في البيت الأبيض وأن سيد هذا البيت قال بعض الكلام الطيب عن الإسلام وأنه أبرق مهنئاً بشهر الصوم بعض القادة المسلمين.

من هنا نتمنى على الرئيس بوش في ضوء الفوز المبهر الذي حققه لحزبه، والذي على الأرجح سيؤمن له ولاية ثانية لم تتحقق لوالده إلا في حال حدثت مفاجأة في اللحظة ما قبل الأخيرة ناشئة عن تنازلات جديدة للإسرائيليين أو عن حرب لا مبرر لها على العراق، أن يريح "وعاظ" إدارته ويستمتع بين الحين والآخر إلى مواعظ بعض المستترين من الإنكليز الذين بدأت مرحلة صحو الضمير تأخذ مكانها في تفكيرهم. ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر النائب الليبرالي البريطاني سايمون هيوز ووزير الدولة للشؤون الخارجية اللورد فيلكين. ففي ندوة أقيمت في لندن يوم الثلاثاء 6 نوفمبر الجاري قال الأول: "لا يكفي أن نلقي المواعظ على العراقيين والأفغان وغيرهم

من المسلمين حول ضرورة احترام حقوق الإنسان ونحن لم نحل مشكلة فلسطين التي نحن السبب لها قبل ستين عاماً..."، وقال الثاني: "هناك حاجة ملحة لتعزيز فهم البريطانيين للمساهمات المهمة التي قدمها المسلمون للحضارة الغربية..."

مثل هذه النظرة هي ما يحتاج الرئيس بوش إليه كي لا يبقى مصادراً عن قصد أو غير قصد حقوقاً شرعية للمسلمين، ويبقى يعتقد أن مأدبة إفطار رمضانية في البيت الأبيض تفي بالغرض وتجعل المليار وربيع المليار مسلم لا يبقون على الحذر الذين هم عليه من أميركا وشر مواقف إدارتها ... وبالإدارة الحالية الصديقة قولاً لا فعلاً.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 24 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

حكاية صدام بعد حكاية "بن لادن"

باتت حكاية "إرهاب بن لادن" مثل حكاية السفاح.. سفاح الإسكندرية أو السفاح البريطاني لا فرق، أي بما معناه تخويف الناس عند الضرورة بهذا السفاح وما يمكن أن يفعله. وفي استمرار يكون التخويف لغرض في نفوس المخوفين أفراداً عاديين كانوا أو حكومات. قبل بضعة أيام مرت الذكرى الأولى على إسقاط "نظام طالبان" ملاذ بن لادن وبقية شيوخ قاعدته أمثال أيمن الظواهري وسلمان أبو غيث. وهي مدة كافية لإلقاء القبض على هؤلاء لأن عدم حصول ذلك معناه أن التكنولوجيا المتقدمة فاشلة وأنه غير صحيح قول بعض المسؤولين في الإدارة الأميركية أن في إستطاعة أبناء العم سام تصوير حتى السراويل الداخلية وبالألوان لمن يريدون تصويرهم من حكام العالم، دلالة على القدرة الأسطورية للتكنولوجيا المتقدمة المشار إليها. وطوال هذه المدة لم يبق مسؤول أميركي أممي إلا وأدلى بتصريحات تتسم بالتخبط وملأى بمفردات من نوع "نظن" و "نعتقد" و "على الأرجح" و "يقال". وتطور هذه المفردات حول هؤلاء "الشطار" رموز تنظيم "القاعدة" الذين لديهم القدرة على التخفي وبحيث لا تطالهم اليد الأميركية على رغم طولها.

بعد إنزعاج الرأي العام من هذه المفردات التي كانت تثير السخرية في النفوس، بات لا بد من بعض التطوير فبدأ الحديث عن عمليات إرهابية ستحدث.

ورافقت الحديث إجراءات أمنية حيث باتت الجسور محروسة والمواقع الرسمية تحت رقابة أكثر دقة والنفوس قلقة والسيناريوهات تتوالى ومحورها نوعية العمليات الإرهابية التي ستحدث. وباتت رسالة صوتية مصورة تتلقاها "الجزيرة" دون غيرها تثير دعر من يرى (وهو هنا الرئيس جورج بوش الابن) إنه زعيم زعماء العالم وأن أميركا هي دولة دول العالم وأن على الجميع أن يطيعوا.. ثم تبدأ الدراسات التحليلية للتأكد من أن الصوت صوت "الشيخ أسامة" والصورة صورته ومضمون الكلام ليس قديماً. وفي هذه الأثناء يكمل طوني بلير في بريطانيا ما بدأه بوش في أميركا من إجراءات. ودائماً تكون لهجة التحذير: إنتبهوا وإحتسوا، تماماً مثل التنبيهات التي ترافق حكاية السفاح على نحو ما أشرنا.

هذا التخويف سببه العجز في القبض على ثلاثي "القاعدة" وعلى مضيفهم الملا محمد عمر. وهذا التخويف هو من أجل إبقاء الحريق مشتعلاً في إنتظار وضع خاتمة للفصل الأخير من المسرحية.

كما أن هذا التخويف هو من أجل ألا تتحول الحكاية إلى مساءلات تتناول كل الذي حدث بدءاً من 11 سبتمبر 2001 مروراً بتأديب الأفغانيين بإستثناء الملا محمد عمر وبعض الذين حوله وصولاً ربما إلى تأديب العراقيين بإستثناء نظامهم أو تأديب النظام وتترك العراقيين يؤدبون بعضهم بعضاً.

ونحن عندما نقول ذلك لا نستبعد أن يأتي يوم تكون فيه حكاية البحث عن صدام و"رفاق" البعث في العراق وبالذات أولئك الذين حوله، بمثل حكاية البحث عن أسامة بن لادن وبعض "شيوخ القاعدة"، وتتضمن الحكاية في الوقت نفسه أخباراً عن عمليات إرهابية ستحدث ورسائل بالصوت والصورة تبثها "جزيرتهم".

أليس جائزاً الإفتراض أننا أمام فيلم أميركي طويل يحترار المخرج في أي نهاية يضعها لهذا الفيلم؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

الأبابل البعثية والتهويلات البوشية

من الطبيعي عندما يقول رئيس الولايات المتحدة، وهو هنا الرئيس جورج بوش الابن، إن الرئيس صدام يملك أسطولاً متتامياً من الطائرات من دون طيار التي

يمكن أن تستهدف الولايات المتحدة، فمن الطبيعي أن يخاف المواطن الأميركي وأن يقف رئيسه داعماً خططه الرامية إلى تخليص البلاد من شر الطائرات البعثية التي لا تحتاج إلى طيارين.

لو أن الرئيس بوش تأمل قليلاً في هذه المعلومة، وغيرها كثير من النوع نفسه، ربماها شرير ما على مكتب الرئيس بهدف أن يتلقفها ويحوّلها إلى مادة في خطاب ألقاه في أكتوبر الماضي وفي إعتقاده أنه وجد المبرر الذي يجعله ليس فقط يضرب العراق بصواريخ ماحقة وقنابل تفوق في زنتها القنابل التي ألقاها على أفغانستان وإنما يضربه بقنابل ذرية... لو أنه تأمل قليلاً في هذه المعلومة لما كان جعلها مادة في خطابه، ذلك أنها تنتقد إلى المنطق العلمي وكان حرياً به أن يستدعي بعض خبراء الطيران إلى مكتبه ويسألهم عن إمكانية العبقرية العراقية في إنجاز هذا الإكتشاف الحربي الذي ينطبق عليه المثل الشعبي مع بعض التعديل: ما قلّت كلفته وعظمت نتائجه.

ولا بد أن هؤلاء الخبراء والعلماء سيوضحون للرئيس.. هذا إذا كان يحب سماع التوضيحات، بأن طائرة صغيرة تسير من دون طيار وتقوم بمهام تستهدف الولايات المتحدة على حد ما جاء في خطاب الرئيس، أمر يصل إلى مرتبة الإستحالة، وأنه ممكن كلعبة في الكومبيوتر من نوع ألعاب هذا الزمان المتوافرة بكثرة عند الجريسي ومكتبات جرير وتهامة ولدى آخرين في سوق المملكة، إلا أنه غير ممكن على الإطلاق إنجازه.

إن مهمه أولي الامر هي مصارحة الشعب بالحقيقة وليس التهويل لأغراض غير نزيهة. وبالنسبة إلى ما قاله الرئيس بوش عن "الطيور الأبابل" البعثية ليس فقط إعتد التهويل وإنما أدخل الرعب في نفس كل أميركي وذلك لأن هذا المواطن بات، وفي حركة ناشئة عن حالة نفسية، يسير في الشارع وهو يتطلع إلى السماء خشية أن تصل طائرات صدام التي لايقودها طيارون وترمي ما في جوفها من حجارة سجين في شوارع واشنطن ونيويورك وهيوستون ولوس أنجلوس وميامي وغيرها من مدن الولايات المتحدة الأميركية.

وقد يجوز الإفتراض بأن الغرض من هذه الفرية تحقّق وعلى أكمل وجه بمعنى أن الخوف الذي أحدثته في نفوس المواطنين جعلهم يضعون أصواتهم في صناديق الإقتراع لمصلحة "ابن أميركا البار" جورج

دبليو بوش الذي سيدمر لهم الأبابيل البعثية من قبل أن تُخلق كأسراب الطيور في السماء وتُعبّر المحيط ومن دون أن يلحق بها الأذى من صواريخ يتم إطلاقها عليها. وذلك لأنه إذا كان مستحيلاً إنتاج مثل هذه الأبابيل في مصانع السلاح الأميركية المتقدمة فمن الطبيعي عدم التفكير بإنتاج صواريخ مضادة لها .

لكن المشكلة التي ستواجه الرئيس بوش هي كيف سيفرّغ نفوس المواطنين الأميركيين من المخاوف الناشئة عن سلاح الدمار الطائر ... غير الموجود.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 26 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

الوجه الآخر لرئيس أميركا

قبل أن يتّأس جيمي كارتر الولايات المتحدة كان أسير إعتبارات ومواقف سياسية لا بد من أخذها في الإعتبار وإلاّ فكيف سيصل إلى البيت الأبيض. ومع أنه لم يكن من نسيج الرؤساء العنيدين إلاّ أنه مارس من التشدد أكثره تعقيداً واتخذ من المواقف ما بدت بعد ذلك أنها كانت خارج قناعاته .. ولكنه رئيس الولايات المتحدة وفي هذا الأمر ليس هنالك قناعات وإنما هنالك أقنعة بمعنى أن يضع الرئيس قناعاً على وجهه عند إتخاذ قرار ما ويستبدله بآخر عندما تستوجب الظروف إتخاذ قرارات مغايرة.

وهو يفعل ذلك لأنه ليس وحده حيث أن المؤسسات داخل الحُكم متعددة ولكل مؤسسة من البنتاغون إلى "الكونغرس" إلى "السي.أي.إي" إلى "الاف.بي.أي" إلى مجموعات المال والصناعة بطقوسها وسلطاتها وقدراتها على إزعاج الرئيس وهو في المكتب البيضاوي أو إراحة باله بحيث يستطيع تمضية ال "ويك اند" الهادئ في كامب ديفيد أو (بالنسبة إلى كارتر) في مزارع الفستق الكارترية.

لولا الصفة الأكثر خطورة في تاريخ صراعات القرن العشرين، ونعني بها اتفاقية كامب ديفيد بين الرئيس أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن ، لكان الرئيس كارتر رئيساً عادياً. إلاّ أن تلك الصفة جعلته يمارس بعد خروجه من الحُكم مهمات سياسية يدلي خلالها بتصريحات يؤكد فيها الرجل أن ما إتخذه وهو رئيس من مواقف لا يعني أنه ليس صاحب ضمير ، وأنه كإنسان مارس السلطة في القمة

له رأيه الشخصي الذي إذا كان من الصعب البوح به وهو في الحُكم فإن ذلك لايعني عدم البوح به بعدما بات رئيساً سابقاً.

وفي بعض المرات سمعنا من الرئيس كارتر كلاماً عن الفلسطينيين وحقوقهم المشروعة من شأنه لو قيل وهو في الحُكم أن يشكّل خطوة بالغة الأهمية على صعيد فكفكة الصراع العربي - الإسرائيلي بالكامل وإرضاء الفلسطينيين بالحل الذي يُبقي على غنمهم ويكبح جماح الذئب الإسرائيلي. لكن ما الفائدة ما دام القاتل بات رئيساً سابقاً.

قبل أيام وعندما كان كارتر نال، متأخراً أكثر من ربع قرن، جائزة نوبل للسلام للعام 2002، وبينما حديث الحرب على العراق وضرورة نزع أسلحة الدمار الشامل الموجودة فيه وفي كوريا الشمالية يصم الأذان ويُقلق البال، أطلق تصريحات تلفزيونية بالغة الأهمية.. لكن مع الأسف لا تأثير لها ما دام الرجل ليس في الموقع الرسمي. ومما قاله كارتر في شأن نزع أسلحة الدمار الشامل: "على الولايات المتحدة والدول العظمى إحترام الإتفاق من أجل إزالة الأسلحة الكيماوية وأسلحة الدمار الشامل. وعليها وهي تهدد العراق الذي تشتبه في حيازته الأسلحة النووية والكيماوية إعطاء المثل بحيث تنزع أسلحتها، ذلك أنه غالباً ما تقدّم الدول الكبرى المسؤولة عن السلام في العالم المثل السيء للمتعطشين إلى السُلطة الذين يعتقدون أنهم يستطيعون الوصول إليها عبر الأسلحة النووية. وأنا واثق أن هذا النوع من الأمور هو الذي أدى إلى إنتشار السلاح النووي في الهند وباكستان مثلاً ...".

في أي حال يبقى القول الذي قاله جيمي كارتر وبما يريح الضمير أفضل من عدم القول على نحو ما يفعله آخرون ومن بينهم هنري كيسينجر ... ذلك اليهودي الشاطر الذي سحر الرئيس السادات لكل الوقت.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 27 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

إخراج ألمانيا بغرض إخراجها

ما دامت إسرائيل تحصل على كل أنواع الصواريخ من الإدارة الأميركية فإنها ليست محتاجة إلى البحث

عن صواريخ من مصادر أخرى على نحو الطلب الذي تقدمت به قبل أيام من المانيا وبموجبه تريد صواريخ مضادة للصواريخ لمواجهة قصف عراقي.

الصواريخ التي طلبتها إسرائيل هي من نوع "باتريوت". وقد تكون بعض جيوب في الإدارة الأميركية أوعزت إلى إسرائيل لكي تطلبها من المانيا التي مازالت عاصية على الموقف الأميركي في شأن الحرب على العراق وتفضل مواصلة التغريد في سرب الحماث الدولية وليس في سرب كواسر البيت الأبيض. وبسبب الإصرار على مواصلة العصيان يتحمل إيرهارد شرودر الكثير من الكلام الأميركي الخشن والإتهامات التي تقال بأسلوب غير لائق مثل "إن شرودر تسبب في تسميم العلاقات الأميركية - الألمانية".

من الجائز الافتراض أن هذا الطلب الإسرائيلي المفتعل لصواريخ "باتريوت" من المانيا هو بغرض إخراج المستشار شرودر لإخراجه من الموقف الذي إلزم به إزاء الحرب الأميركية المقررة. وليس هنالك وسيلة لذلك سوى إستعمال إسرائيل لهذا الطلب. فهي إذا طلبت الصواريخ ستجعل المانيا تبدو بموقعين وبذلك تفقد مصداقيتها. كما أن المستشار شرودر لا يمكن الرد على الطلب بالتريث أو الرفض وأن التجاوب مع الطلب لا بد سيحدث في صيغة أو أخرى، وهذا ما بدا واضحاً في كلام وزير الدفاع الألماني بيتر شتروك الذي قال "إن الحكومة الألمانية تدرس الطلب الإسرائيلي حالياً موضعاً في الوقت نفسه أن التجاوب مع الطلب الإسرائيلي لا يعني أن المانيا غيرت موقفها من موضوع المشاركة في الحرب على العراق أو أن الوحدة الألمانية الموجودة في الكويت يمكن أن تشارك في هذه الحرب.

قبل ثلاث سنوات أهدت المانيا إسرائيل غواصة ولقيت هديتها من السخط العربي والإسلامي الكثير خصوصاً أن الهدية تزامنت مع التحضير للحرب الشارونية على الشعب الفلسطيني. وقد تنبّه شرودر سريعاً إلى ذلك الخطأ فقرر منذ ذلك الحين سلوك الطريق المحايد إلى حد ما في الصراع العربي - الإسرائيلي وفي النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي. ثم جاءت مخططات إدارة الرئيس بوش الابن التي تستهدف شن حرب على العراق بغرض وضع اليد على البلد الذي تهىء المؤسسات الألمانية نفسها لكي تكون السوق العراقية إحدى أهم أسواقها في المنطقة.

وبسبب هذه التهيئة قرر المستشار معارضة مخططات الحرب الأميركية . ومنذ أن أعلن هذه المعارضة بدأ التخطيط الأميركي لإسقاطه. وبعدما حقق شرودر الفوز المبهر في الإنتخابات وبات إسقاطه عصياً على الإدارة الأميركية بدأ العمل بوسائل أخرى من بينها أن تطلب إسرائيل من المانيا صواريخ باتريوت لمواجهة الصواريخ العراقية المحتملة. وكل ذلك بغرض الإحراج وإظهار المانيا الشرودرية بأنها متذبذبة، وفي هذه الحال يمكن بالتدرج إخراجها. لكن يبدو أن المستشار من النوع الذي يصطاد الصياد ... الذي يأتي لإصطياده.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 30 نوفمبر (تشرين الثاني) 2002

تقاسم زعامة العالم في الألفية الثالثة

في الوقت الذي يتقدم قبل أيام الزعيم الكوبي فيديل كاسترو، الذي يسرع الخطى نحو العقد الثامن والذي يحكم كوبا سعيداً أو غير سعيد لا ندري، تظاهرة من مئة وخمسين ألف كوبي وتتوقف التظاهرة أمام الممثلة الأميركية في هافانا وتتطلق الهتافات إحتجاجاً على "الأعمال العدوانية للولايات المتحدة ... في هذا الوقت كانت القيادة الصينية تختار قيادة شابة تبدأ بها عملية التغيير المتأني في الألفية الثالثة.

وما هو معروف عن كاسترو شغفه بإلقاء الخطب الطويلة. وحتى قبل سنتين كان معدل طول الخطاب الذي يلقيه ساعتين. وكانت طريقة إلقاء الخطب متميزة ربما لأنه يترك العنان ليديه يعبر بهما عن بعض ما يقوله.

المهم أن كاسترو لم يغير طوال أربعين سنة من الأحوال شيئاً. إستمرت كوبا تحت الحصار الأميركي. وتعاقب على الرئاسة الأميركية تسعة رؤساء هم جون كينيدي، وليندون جونسون وريتشارد نيكسون (متوفون) وجيرالد فورد وجيمي كارتر ورونالد ريغان وجورج بوش الأب وبيل كلينتون وجورج بوش الابن، والحال على ما هي عليه. تظاهرات في إستمرار ضد الأميركيين وهتافات تتدد بالعدوان الأميركي. وعندما حانت الفرصة الموازية لكي يتخلص من هذا الإرث الماركسي الثقيل متمثلة بتساقط ما كان يعرف بالإتحاد السوفياتي وتناثر الماركسية كشظايا قنبلة انفجرت، فإنه وقف

خطيباً ليعلن أنه سيكون آخر من يتخلى عن العقيدة الشيوعية. وهو من باب العناد قال ذلك وليس من باب المبدئية.

وحتى الآن ما زال كاسترو يرى أن التظاهرات تجدد شبابه وأنها بمثابة الفيتامينات التي تقوي الجسم الذي بدأ يذبل. وبدلاً من أن يفعل على نحو ما حدث في الصين ويختم حياته بتأمين إنتقال كوبا من أحوالها الماركسية الراهنة التي لا أمل يرتجى منها، فإنه يواصل المعاندة ومن دون أن يعنيه أي بؤس بات عليه حاصدو قصب السكر وجامعو أوراق التبغ تمهيداً لتحضير علب السيجار.

أما في الصين ذات المليار نسمة فإن قيادة إصلاحية شابة باتت تدير شؤون البلاد، لا تتخلى عن الماركسية لكنها تعمل على تحديثها وتطويرها، وذلك من خلال فتح المزيد من النوافذ أمام الهواء النقي يتسلل برفق إلى الصدور وبحيث تسرع الصين الخطى في اتجاه التنمية وتطوير التصنيع الخفيف من أجل أن يأتي اليوم الذي تتنافس الصناعات الإستهلاكية الخفيفة صناعات أميركا وأوروبا وفي أسواق القارتين معاً، وتتساوى في ذلك مع غزو شركات الهمبرغر والكولا والبيتزا للصين أملة أن تجني المليارات من بلاد المليار.

وهكذا تكون الآية إنقلبت.. بمعنى أن كوبا التي من مصالحتها أن تستدير لا تفعل ذلك وأن الصين التي يشكّل الإنفتاح مخاطر عليها بمثل المخاطر التي أصابت مصر تقرر طائعة الإستدارة وفي ظل قيادة حرس جديد يترأسها الشاب هو جينتاو يحل محل الحرس القديم العجوز الذي كان يقوده جيانغ زيمين والذي كان مبهوراً بأميركا خلال إستضافة الرئيس جورج بوش الابن له في مزرعته في كروفورد قبل أن يعود إلى بكين وتبدأ مرحلة جديدة في حياة الصين. وفي إحدى صور لقاء المزرعة بدا الرئيسان بوش وزيمين (ومعهما الزوجتان لورا ويانغ) وكما لو أنهما إتفقا على أن يتقاسما العالم في الألفية الثالثة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 1 ديسمبر (كانون الأول) 2002

وعود جنرالية غير عاقلة

قبل أن يفوز الجنرال أرييل شارون بزعامه "حزب

الليكود" في وجه منافسه بنيامين نتنياهو تعهّد بتسوية الحساب مع عرب 1948 على نحو تسوية الحساب المتواصلة مع الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة في حال فاز في الإنتخابات العامة التي ستجري يوم 28 يناير المقبل (2003) وبات بموجبها رئيساً للحكومة.

وبعد فوزه بزعامه "حزب العمل" في وجه منافسه اليعازار وعد عميرام ميتسناح الإسرائيليين والفلسطينيين على السواء بإنبثاق "شرق أوسط جديد".

في الحالتين ليس الأمر بيد شارون وميتسناح الجنرالين الملوثة أيديهم بدماء الأبرياء الفلسطينيين واللبنانيين والمصريين والسوريين واليهود الإسرائيليين الذين يقضون في عمليات إستشهادية إضطرارية.

فإذا كان شارون سيقدر إفراغ فلسطين من أي وجود عربي وسيواصل السعي لإفراغ الضفة الغربية من أهلها لإحلال مستوطنين جدد محلهم فهذا معناه نسف لكل القرارات الدولية طوال نصف قرن، وهذا غير ممكن لأنه ليس في تاريخ الأمم المتحدة ما يثبت أن قرارات تم التوصل إليها قد ألغيت. أما الذي حدث فهو تجميد موقت لفعالية بعض القرارات نتيجة العبث بها من نوع القرار 242 الذي يفرض على إسرائيل الإنسحاب من كل أرض عربية إحتلتها عام 1967.

وإذا كان ميتسناح يعد بـ "شرق أوسط جديد" فهذا معناه إبتداع خريطة جديدة للمنطقة يكون مصير الدول الحالية فيها مثل المصير الذي آلت إليه الدولة العظمى.. أي الإتحاد السوفياتي التي تناثرت إلى عدة جمهوريات. ومثل هذا الأمر قد يكون وارداً في البال الأميركي. وحتى إذا كلن وارداً فإن أميركا وحدها لا تستطيع أن تفرض ذلك.

بدل هذا الإلتفاف من جانب شارون والزعيم العمالي الجديد ميتسناح على حقيقة الأمور وإبتكار هذه الوعود غير العاقلة، لماذا لا يسلك الإثنان السبيل الأكثر سهولة وهو التمعن في الرؤية التي طرحها الأمير عبدالله بن عبد العزيز وباتت مبادرة عربيه ومن شأن وضعها موضع التنفيذ جعل الجميع آمنين مطمئنين حامدين شاكرين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 4 ديسمبر (كانون الأول) 2002

الخيمة الأميركية الرمضانية المنتظرة

نتطلع إلى يوم ينصب فيه سفير الولايات المتحدة لدى الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس وبالقرب من المسجد الأقصى، خيمة رمضانية تجاور خيمة مماثلة ينصبها سفير بريطانيا لدى الدولة، وتكون هاتان الخيمتان من مظاهر طمأنة الشعب الفلسطيني وزوار الحرم الثالث لمناسبة الشهر الفضيل إلى أن الزمن الذي كانت فيه بريطانيا العظمى هي السبب في إغتصاب الصهيونية لفلسطين، وكانت فيه بعض الإدارات الأميركية هي وراء تثبيت هذا الإغتصاب والوقوف بقوة إلى جانب العدوان الإسرائيلي بدءاً بعهد مناحيم بيغن وصولاً إلى عهد أرييل شارون ... إن هذا الزمن قد ولى إلى غير رجعة وأن الدولتين المتجنتين لم تعودا مع الجاني وأنهما تواقتان إلى فتح صفحة جديدة في كتاب العلاقات مع الشعب الفلسطيني.

مثل هاتين الخيمتين وغيرهما من الخيم التي يمكن أن ينصبها سفراء الدول الأوروبية التي يتحمل بعضها بإنحيازه الفاضح لعدوان الإسرائيلي، هي وحدها التي يمكن أن تُقنع العرب والمسلمين بأن عليهم واجب المشاركة في هذه الخيم وتسجيل الإمتنان لأن أصحاب الخيم تنبهوا متأخرين إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يرتضي أي صوت يعلو على صوت الحق.

أما عدا ذلك فإن هذا الفولكلور الأميركي الرمضاني لن يفيد في شيء. وكان أمراً مثيراً للدهشة أن السفارة الأميركية لدى دولة قطر ملأت خيمتها بكل مستلزمات السهرة الرمضانية ووزعت الإبتسامات على بعض المتأمركين رواد هذه الخيمة وإطمأنت إلى أن "شيشاتهم" سالكة والأطياب على المائدة على أفضل حال.. بينما يتم الإعلان في الوقت نفسه في واشنطن عن أن "قاعدة العديد" في قطر باتت جاهزة تماماً للسياحة الحربية الأميركية، كما أنه تم إنجاز قاعدة أخرى لإستخدامها كمقر للقيادة المركزية للحرب على العراق.

أعاد الله شهر الصوم على المفتتين في الخليج وقد تعقلوا. وأعادته على الشعب الفلسطيني وهو صامد، وعلى الإدارة الأميركية وقد إهتدت وعلى الحكومة البريطانية وقد كفرت عن ذنوب الأجداد. وبعد الهداية تصبح الخيم الرمضانية الأميركية

والغربية عموماً عفوية ومشروعة ... وغير فولكلورية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 5 ديسمبر (كانون الأول) 2002

مات محمد الدرة عاش محمد الدرة

منذ بضعة سنوات والهاجس الإسرائيلي يتمحور حول ظاهرتين: ظاهرة كثرة الإنجاب لدى الفلسطينيين. وبقدر وظاهرة العزوف عن الإنجاب لدى الإسرائيليين. وبقدر ما أن إسرائيل قوية عسكرياً وحائزة على دعم لا مثيل له من الإدارة الأشرس للدولة الأعظم الولايات المتحدة وعلى التفهم غير الموضوعي من جانب الدول العظمى وبالذات دول الغرب، فإن قلقها من الخصوبة الفلسطينية دائم وقد إنعكس دراسات ومقالات في الصحف رسم كاتبوها صورة قاتمة لما ستكون عليه الحال بعد ربع قرن وكيف أن اليهود في إسرائيل نفسها فضلاً عن يهود المستوطنات في الضفة الغربية وقطاع غزة سيصبحون مجتمعين أقلية مقابل أكثرية فلسطينية وبنسبة مرتفعة.

وكان الهاجس الدائم في ضوء تلك الصورة القاتمة أن حال الدولة العبرية سينتهي مثل حال جنوب أفريقيا، وأن الظروف الدولية والحرب العنصرية التي تمارسها الحكومات الإسرائيلية والتي وصلت الذروة في العهد الشاروني قد تتسبب في تكرار ما حدث في جنوب أفريقيا، حيث إجتاح السود الهيمنة التي كانت للسكان البيض وحكومتهم، التي مارست عنصرية لم تصل في أي حال إلى النوعية الشارونية التي تزداد بشاعة.

وإزاء ذلك فإن سلاح الخصوبة الفلسطيني لا علاج له من خلال القهر والعدوان والإذلال والتشريد والتهميش، وإنما العلاج هو في سلوك الصراط المستقيم والتسليم بقيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس تدير شؤون الفلسطينيين وتعالج قضاياهم الإجتماعية... وتشجيعهم على تحديد النسل ما دامت قامت الدولة التي ليس في إستطاعتها تأمين سبل العيش الكريم للمواليد التي فاقت نسبتهم تلك النسبة التي نسمع يومياً عنها في مصر، والتي طالما شكّلت قلقاً للرئيس حسني مبارك يلاحظه من يستمع إلى بعض خطبه. خلاصة القول ونحن نكتب ذلك لمناسبة قدوم

المولود الجديد محمد الدرة شقيقاً للفتى الشهيد محمد الدرة الذي إغتاله الشارونيون في بداية إنتفاضة الأقصى وهو في حضان والده، إن إسرائيل لا قدرة لها على مواجهة سلاح الخصوبة الفلسطيني وأن سلامتها هي في تعقلها.

وأمامها نموذج لا قدرة لها على المجادلة فيه. فقد مات محمد الدرة مشروع شهادة أو، كما نتمنى له، ووُلد محمد الدرة من الجيل الفلسطيني الجديد الذي سينعم بالطمأنينة في ظل الدولة التي ستقوم... ولو كره الشارونيون.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 6 ديسمبر (كانون الأول) 2002

تحت خط الفقر وفوق خط العدوان

أكثر ما كان يشغل البال الإسرائيلي في استمرار هو أن الشعب الفلسطيني إلى إزدیاد وأن الإسرائيليين لا يزدیون النسل على نحو ما يجعل الميزان السكاني معقولاً.

وأكثر ما بدأ يشغل البال الإسرائيلي حديثاً وبالذات منذ أن بدأت إنتفاضة الأقصى هو إرتفاع نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر من الإسرائيليين بحيث باتت في نهاية السنة الأولى للإنتفاضة تشكل 19.6 في المئة من عدد السكان وذلك لأن عدد الإسرائيليين الذين يعيشون تحت خط الفقر، أي ممن يبلغ دخل الوحدة العائلية المؤلفة من زوج وزوجته عدا الأولاد حوالي 550 دولاراً، بلغ مليوناً وسبعة عشر ألف شخص، بزيادة 12 في المئة عن العام 2000.

هذا الإرتفاع في النسبة سببه أن الإنتفاضة هزت بعض الشيء إستقرار المجتمع الإسرائيلي الأمر الذي يجيز الإفتراض بأن النسبة إلى إزدیاد. وهي إلى إزدیاد على أساس أن الإنتفاضة لم تتوقف ولا يبدو أنها ستتوقف كما يتمنى ذلك محمود عباس (أبو مازن)، الذي طال إنتظاره إلى اللحظة التي لا تعود صحة أبو عمار تسمح له بمواصلة القيادة، فيواصل من بعده... وهو ما لا إعتراض للإدارة الأميركية عليه كما أنه موضع قبول ضمنى من جانب الحكومة الإسرائيلية.

ما يدعو إلى الحيرة هو أنه إذا كانت نسبة عدد الذين يعيشون تحت عتبة الفقر من الإسرائيليين على هذا الإزدیاد بسبب الإنتفاضة فما الذي يجعل الحكومة

لا تتصرف بما يرضي الفلسطينيين المنتفضين، وما الذي يجعل شعب إسرائيل المحتار لا يتخذ الموقف الذي يجبر قاداته على سلوك الصراط المستقيم.

ولا جواب سوى أن طبيعة هذا الشعب حكماً ومحكومين هو أن يكون دائماً فوق خط العدوان .. حتى في المراحل التي يدق جرس الإنذار معلناً إزدیاد نسبة الذين يعيشون تحت خط الفقر.

ومثل هذا الشعب ، كما هو واضح ، يستمتع بإیذاء نفسه... وهو يؤذي الآخرين.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 7 ديسمبر (كانون الأول) 2002

قمر للبيع.. من يشتري

وبأبخس الأسعار؟

جاء في الأخبار أن مليوني شخص إشتروا حتى الآن من شركة أميركية في كاليفورنيا مساحات على سطح القمر.

مايلفت الإنتباه أمران: الأول هو أن الشركة تبیع كل قطعة من أربعة آلاف متر مربع بأقل من خمسين دولاراً. ومع كل قطعة أرض يتسلم الشاري وثائق ملكية الأرض وخريطة الملكية وحقوق إستخراج المعادن.

حتى الآن حركة البيع بطيئة ومقتصرة على بعض أعضاء العائلة المالكة البريطانية وبعض رواد الفضاء والفنيين العاملين في مشاريع إطلاق الصواريخ إلى الفضاء وكذلك بعض ممثلي وممثلات السينما.

وهؤلاء الذين يمثلون 176 بلداً إشتروا مليارات من المساحات موزعة على المريخ والزهرة والمشتري لكن الشركة بائعة القمر بأبخس الأسعار تتوقع أن يمتلك 45 مليون شخص مساحات بحلول العام 2050.

للسنة الخمسين على التوالي يتندر الأثقاء المصريون وتتندر معهم بحكاية الفهلوي الذي باع أحد إخواننا الصعايدة ميدان العتبة في القاهرة قرّة عين إسماعيل يس رحمة الله عليه بمئة جنيه هي قيمة محصول أرضه. وحكاية فهلوي آخر باع مواطنه الصعيدي الترامواي. وحتى إشعار آخر يبدو فهلوية كاليفورنيا أكثر شطارة.. إنما من دون الجزم بأن مشتري قمرهم هم أقل أو أكثر نكاء من اخواننا صعايدة مصر المحروسة.

وللسنة الخمسين بعد المئة يتباهى اللبنانيون بالعبارة المتوارثة والتي تتسم بالتشاوف وهي على نحو تقصيحنا لها "ياالحسن حظ من له مرقد عنزة في لبنان".

وبما أن لكل زمان عبارات وموجبات تفرضها هذه العبارات، فإننا نتوقع أن يأتي يوم بعد مئات السنين يتندر فيه أولئك الذين يعيشون في القرن الذي لا يمكننا تحديده بالعبارة الآتية: يا لقلّة عقل الذين كفروا بنعمة ضوء القمر فإشتروا مساحات على سطحه من دون أن يفتنوا إلى أنهم إذا قُدر لهم الانتقال إلى ذلك السطح لن ينعموا بأعظم نعمة وأجمل ضوء، وأن أجدادهم السالفين كانوا محظوظين لأن القمر أضاء لياليلهم وفجّر قرائح شعرائهم وجعل الأحبة يتسامرون حتى مطلع الفجر.

إنها مجرد تأملات من جانب كاتب هذه الكلمات الذي من حُسن حظه أنه ولد في ليلة قمرية ولا يحلو له السهر إلا إذا كان القمر يضيء سماءنا.. التي يصير الرئيس جورج بوش الابن كما والده من قبل ومن حولهما من أشرار على إضاءتها بالصواريخ تدمر وتقضي على البشر والحجر وعلى الزرع والضرع. لا سامح الله الصاروخيين الذين إختاروا 20 يناير/ كانون الثاني 2003 ليكون يوم تدمير حيوية العالم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 8 ديسمبر (كانون الأول) 2002

العصيان المدني

بديلاً للإنتفاضة الإستشهادية

صحيح أن "إنتفاضة الأقصى" هزت الإستقرار النسبي في المجتمع الإسرائيلي وتسببت في ركود إقتصادي ملحوظ وبالذات في قطاع المطاعم والأسواق وحركة التنقل والملاهي نتيجة كابوس العمليات الإستشهادية، إلا أن هذه الإنتفاضة تسببت في الوقت نفسه بخسائر في الجانب الفلسطيني فاقت بكثير القدرة على التحمل.

وعندما نقول ذلك فإن ما نعنيه هو أن نشاط الجهاديين والإستشهاديين قوبل بعنف من إسرائيل لم يمارسه بهذه الشراسة حتى بعض رموز العهد النازي وبعض رموز العهد الفاشستي. وإذا كانت للفلسطينيين

أسباب موجبة للجهاد والإستشهاد والصبر على الضيم وعلى التداعيات التي تنشأ عن أي عملية جهادية أو إستشهادية، فإنه ليس للإسرائيليين أي سبب عدا أنهم يعيشون العقدة التي يعيشها مرتكب الجريمة أو مغتصب أو سارق أموال النذور من الكنائس والمساجد.

وإستناداً إلى بعض الدراسات والتقارير الإحصائية فإن الخسائر الفلسطينية في زمن الإنتفاضة، أي خلال عامين، وصلت إلى سبعة بلايين دولار. كما أن خمسين في المئة من الفلسطينيين باتوا عاطلين عن العمل وأن سبعين في المئة من أفراد هذا الشعب الصامد، أي أكثر من ثلثي الأسر الفلسطينية، باتوا يعيشون تحت خط الفقر. وهذا عدا قوافل الشهداء وتجريف ألوف الدونمات من الأراضي الزراعية.

ونحن هنا لا نطالب بوقف الإنتفاضة ذلك أن أهلها هم مثل أهل مكة الذين هم أدرى بشعابها. ولكننا من منطلق التعاطف والتقدير للجهاد الفلسطيني نتمنى أن تكون هنالك نظرة جديدة لهذا الجهاد، تأخذ في الإعتبار أن الخسارة التي يمكن تعويضها ليست على الإطلاق الخسارة المفتوحة وإنما الخسارة المبنية على معادلة موضوعية.

وفي تقديرنا إن الذي جعل "حركة حماس" تقرر التحاور مع "حركة فتح" ومع السلطة الوطنية الفلسطينية المستأثرة بها "فتح" وتجعلنا نتمنى النجاح للتفاوض بين الجانبين، هو هذا الواقع المأساوي متمثلاً بقوافل الشهداء وتدمير المصالح الزراعية والإقتصادية. ولولا أن الخسائر في الجانب الإسرائيلي فادحة جداً لقلنا: كفى إستشهاداً يا أخواننا. ولنجرب العصيان المدني المتقطع.. أي مرة كل شهرين أو أربعة أشهر ولمدة شهر كامل. فالمهم هو أن تبقى الشعلة مضاءة ولا خطر على إنطفائها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 10 ديسمبر (كانون الأول) 2002

الحكمة أيضاً صينية يا "رفاقنا" العرب

من مظاهر التجديد في الطبعة الصينية من العقيدة الماركسية أن ظاهرة الحرس القديم تتسحب بهدوء ويحل محلها الجيل الشاب نسبياً. وعندما يكون الزعيم المنسحب جيانغ زيمين في السادسة والسبعين ويكون

ياواش..ياواشاس أردوغان باشا

يلفت الإنتباه في دينامية التحرك الذي بدأه الإسلاميون الأتراك بطبعتهم الأردوغانية في أعقاب الفوز المبهر الذي حققوه في الإنتخابات البرلمانية الشهر الماضي أن إخواننا يستعجلون قطف الثمار ويريدون أيضاً الإستفادة من دروس الماضي. في البداية صدرت عنهم إشارات تنيد أنهم ليسوا ضد العلمانية ووضعوا على ضريح مصطفى كمال أتاتورك أفضل إكليل ورد لمناسبة الذكرى الرابعة والستين لوفاته التي صادفت الأسبوع الأول للنصر الإنتخابي المرموق.

ثم أعلن زعيمهم رجب طيّب أردوغان أنه أتاتوركي الهوى وقال أمام وسائل الإعلام: "إن إلتزامنا المتين إلى جانب القائد العظيم أتاتورك ومبادئه سيكون مرشدنا لبناء تركيا حديثة..." وهو قال ذلك على أمل التعايش الهادئ مع الجنرالات أصحاب الكلمة الأولى والكلمة ما قبل الأخيرة في أي حكومة ستتولى تقاليد الأمور. لكن هؤلاء وضعوا منذ البداية حداً له عندما لم يجيزوا له ترؤس الحكومة إستناداً إلى حُكم قضائي صدر عليه عام 1998 "بتهمة التحريض على الحقد الديني". وقد بدا نبش هذا الحُكم بمثابة رسالة جنرالية أتاتورية إستوعبها أردوغان فإرتضى التسليم بالأمر الواقع وإسناد منصب رئيس الحكومة إلى نائبه عبدالله غول.

بعد ذلك حدثت الهجمة الأميركية على الأردوغانيين وزارها كبير المتصهينين في الإدارة البوشية بول ولفويتز الرجل القوي في "البنتاغون" والذي يتردد في الأوساط السياسية أنه أكثر قوة من الوزير رامسفيلد، ويقال أيضاً إنه صاحب نظرية تقول إن حرباً تخوضها أميركا بمعاونة إسرائيل لا تحتاج إلى أكثر من البوابتين القطرية والتركية. وبما أن الأولى باتت مفتوحة تماماً فإن الجهد يجب أن ينصب على الثانية. وهذا ما حدث حيث بدأ الأردوغانيون يتحدثون عن إستعداد لإستخدام القواعد العسكرية في تركيا في الحرب ضد العراق قبل 21 يناير وبدأت تتكاثر الأقاويل في شأن مكافأة مالية أميركية لتركيا تتمثل في إلغاء الديون العسكرية البالغة ستة مليارات وأن ذلك سيتم عندما سيزور أردوغان واشنطن هذا الأسبوع .

وما يمكن قوله للزعيم التركي الذي أنساه الفوز

الزعيم الجديد هو جينتاو في التاسعة والخمسين فهذا معناه أن فرصة السلالة الثالثة في الصين الماركسية لتولي مقاليد الأمور باتت جيدة ومتاحة ولا "فيتو" من الأجداد على الأحفاد.

ومن مظاهر التجديد في الطبعة نفسها أن التكلس بات أمراً ممقوتاً وأن المرونة هي الأهم.. خصوصاً أن العقيدة الماركسية ليست كتاباً منزلاً لكي لا تجوز فيها التعديلات والتفسيرات ولا يجوز فيها الحذف بقدر ما لا تجوز الإضافة. وعندما يقرر الحزب الحاكم فتح الأبواب أمام رأسماليي الصين للإنتساب إلى الحزب بعدما كان هذا الأمر من المحرمات، ويتم لهذا الغرض تعديل صفة الحزب من الحزب "الشيوعي الصيني هو طليعة الطبقة العاملة"، إلى "الحزب هو طليعة الطبقة العاملة الصينية والشعب الصيني والأمة الصينية".. فهذا معناه أن الصين فتحت الباب أمام التطوير وبدأت إغلاق منافذ التحجر. وتعديل الصفة بحيث بات في إستطاعة الرأسمالي الصيني وبالذات المنتسب إلى طبقة المقاولين ذات الشأن أن يصبح "رفيقاً" كامل العضوية في الحزب الشيوعي يعني من جملة ما يعنيه أن الإعتراض على مفاهيم كارل ماركس نفسه وحتى على ماوتسي تونغ وكتابه الأحمر أصبحت محللة.. أي أن "العيال الماركسية كبرت" وبات في إستطاعتها الخروج بتهذيب على طاعة "الشباب".

ما أوردناه هو نموذج عن أمور كثيرة حدثت في الصين قبل أيام. وهي أمور يرسم الأحزاب العربية والإسلامية التي تزداد تحجراً وتكلساً وتخشى التغيير والتطوير وإعادة النظر إعتقاداً منها بأن ذلك يؤثر على مهابتها.

ومن هنا نقول لديناصورات هذه الأحزاب : تنبهوا يا "رفاق" وتأملوا كيف أن الحكمة ليست يمانية فقط وإنما أيضاً صينية. وحاولوا مجارة العصر ونفض غبار تكلس العقائد عن عقولكم ونفوسكم. والمعذرة يا قارئ "الوطن" من عدم دخولنا في التفاصيل ومن جرسنا على أن ننأى عن الأسماء والشواهد. ولا بد أنك مللنا أدرى بالحال ... ونكاد نقول بعواقب جاهلية الأحزاب العربية والإسلامية وبالذات من باتوا في الحُكم لا ينازعهم منازع.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 11 ديسمبر (كانون الأول) 2002

المبهر وعوده للرأي العام التركي: ياواش. ياواش رجب باشا. وتأكد بأن كل من يمارس الصداقة مع الإدارة الأميركية حسب الأصول يدفع الثمن حياته أو حكمه أو إستقرار أوضاع بلاده وسمعته ... ولو بعد حين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 12 ديسمبر (كانون الأول) 2002

مصير الأقلية التي تحكم الأكثرية

ما الذي يجعل جامعات العالم تتسابق إلى منح الزعيم الأفريقي نلسون مانديلا شهادات الدكتوراه الفخرية التي تجاوز عددها المئة والخمسين، وما الذي يجعل حكومات كثيرة تحرص على منحه أرفع الأوسمة والميداليات وأحدثها وسام رفيع سبق أن قرر الإتحاد السوفياتي منحه ثم تساقطت تلك الدولة العظمى مع الأسف قبل عشر سنين، وتعاقب على الدولة البديل ثلاثة رؤساء قادوا روسيا بجدارة نحو أن تكون دولة مكتوفة اليدين لا قدرة لها حتى على توجيه الإنذار لأميركا بهدف تنبيهها إلى أن العالم لا يحكم من جانب دولة واحدة، وأن الأفضل لها وللعالم أن يتم إتخاذ القرار بعد التشاور وأن لا يكون سيف الهيمنة الأميركي مسلطاً على رؤوس الآخرين، كما هي الحال بالنسبة إلى الحالة العراقية والوضع الفلسطيني. لم ينتبه غورباتشوف إلى ذلك الوسام، وحذا حذوه في عدم التنبه يلتسين، إلى أن قالت دائرة الأوسمة في الكرملين للقيصر الجديد فلاديمير بوتين إن هنالك وساماً للزعيم الأفريقي تقرر منحه قبل تساقط الدولة العظمى فهل يتم تقديمه أم يعتبر من التراث السابق. وقرر بوتين منح الوسام على نحو ما كانت عليه ظروف تقديمه وكما لو أنه دين في عنق ورثة العهد البلشفي.

هذا التكريم من جانب جامعات العالم للزعيم الأفريقي، الذي يخطو نحو الخامسة والثمانين من العمر، هو إذا جاز القول نوع من رد الاعتبار من جانب البيض لهذا النموذج الأسود من النضال. كما قد يجوز الافتراض أن أحد معاني هذا التكريم هو تسجيل موقف خلاصته أن العنصرية، التي سادت في جنوب أفريقيا حيث حكمت الأقلية البيضاء ودون وجه حق الأكثرية السوداء، تتكرر مع أميركا التي إعتمدت إدارتها الأسلوب نفسه، وهو أن تكون الأقلية المتمثلة

بالإدارة الأميركية الراهنة متحكمة بالأكثرية الساحقة في العالم. وإذا تأملنا في الذي جرى نتيجة ذلك في جنوب أفريقيا، تستنتج أن التاريخ سيعيد نفسه مع أميركا ... ذلك أنه لا مجال على الإطلاق لحكم الأقلية للأكثرية في أي مكان.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 13 ديسمبر (كانون الأول) 2002

أفغاني مصر المحروسة وأفغاني بغداد المقلوبة

حروسة وبقية عرف العرب في القرن الماضي رجل دين شارك في عملية التنوير ولقى في مصر المحروسة وبقيّة الدول العربية مريدين و مقلدين كثيرين. هذا الرجل هو جمال الدين الأفغاني الذي استمر إسمه بمثابة هالة في سماء الإسلام العربي إلى أن جاء المفكر المصري المعروف الدكتور لويس عوض يضع منتصف الثمانينات دراسة حوله لكي ينشرها في صحيفة "الأهرام" المتعاقدة معه. لكن الصحيفة إرتأت عدم نشر هذه الدراسة المعنونة "الإيراني الغامض في مصر" لكي لا تتورث ثائرة الأزهريين خصوصاً أنهم يذكرون دائماً بالخير جمال الدين الأفغاني ولا يمكن أن يتحملوا إستنتاج الدكتور لويس بأن الأفغاني كان شخصاً إيرانياً غامضاً وأن الإنكليز كانوا وراءه.

ولو أن واضع الدراسة هو الدكتور أحمد عوض (مثلاً) لكان ربما وجد في الصفوف الأزهرية من يناقش مضمون دراسته ويرد على كاتبها مفترضين أنها ما دامت من تأليف "الدكتور أحمد" وليس "الدكتور لويس" لكانت "الأهرام" نشرتها. والمهم أن الدراسة وجدت بعد ذلك طريقها إلى النشر لكن الدكتور لويس عوض رحمة الله عليه بقي مستقيلاً من "الأهرام" إلى أن وافته المنية مأسوفاً على عمق تفكيره وجديته وموضوعيته.

هذه الأيام يطلع على العرب أفغاني آخر هو زلماي خليل زاده الذي ينطبق عليه القول إنه أميركي أكثر من الأميركي، والذي يجوز إعتباره سلمان رشدي آخر إنما في الإطار البعيد عن المسائل الدينية. وهذا الأفغاني المتأمرك ثم الأكثر أمركة من الأميركيان تم

تعيينه من قبل الرئيس بوش وبتوصية من رجل البنتاغون القوي بول وولفويتز الذي هو أحد أبرز المتصهينين في الإدارة الأميركية في منصب "سفير فوق العادة لدى العراقيين الأحرار". ومن الواضح أن تعيينه وصياً على بغداد المقلوب على نظامها تبعاً للهدف المعلن مرتبط بالهدف النفطي للحرب المفترض حدوثها على العراق قبل 21 يناير. ومن يتعقب آثار هذا الأفغاني يتأكد له ذلك.

ومن قال إن إدارة الرئيس بوش الإبن ضد الإسلام ما دامت تستعين بـ "المسلمين" من المحيط إلى الخليج وتوظف "كفاءاتهم". يالسوء حظ العرب وبالبشاعة المصير الذي ينتظرهم.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 14 ديسمبر (كانون الأول) 2002

إستباحة القصور... وما بعدها

بعدما إستباح المفتشون الدوليون يوم الثلاثاء 3 ديسمبر الجاري قصر "السجود" في بغداد أحد القصور الرئاسية في العراق وفتشوا على مدى ساعتين "كل زاوية وكل غرفة" على نحو قول الناطق بإسم الأمم المتحدة هيريو يواكي، لا يعود من المستبعد أن يطرق المفتشون باب أي مواطن عراقي للبحث عن أسلحة الدمار الشامل.

هذه الإستباحة ما كانت لتتم لو أن النظام في العراق كان موضع الرضى الأميركي عنه وكان مدججاً بكل أنواع أسلحة الدمار الشامل.

وهذه الإستباحة يمكن، ما دامت حدثت في العراق، أن تحدث في قصور آخرين في المنطقة وخارجها ومن دون التوقف عند الذرائع التي بسببها يتم التفتيش.. فالمسألة أولاً وآخراً تتعلق بالرضى عن هذا الطرف وعدم الرضى عن الطرف الآخر.

وهذه الإستباحة تستهدف في الدرجة الأولى إذلال صاحب هذه القصور وإبلاغه ما معناه أن الهالة التي تحيط بنفسك بها يمكن أن تنتهيها جولة تفتيش مشروعة ما دامت صادرة عن مجلس الأمن الدولي.

وهذه الإستباحة تتزامن مع إستباحة مماثلة للعراقيين البعثيين والمعارضين على حد سواء، وتمثلت بإعلان البيت الأبيض أن الأفغاني الأصل زلماي خليل زاده إختاره الرئيس بوش لمنصب "المبعوث

الخاص والسفير المتجول إلى العراقيين الأحرار وسيكون بمثابة الأداة الرئيسية لحكومة الولايات المتحدة للاتصالات والتنسيق بين العراقيين الأحرار والإستعدادات لعراق ما بعد صدام حسين".

وهذه الإستباحة تأتي في الوقت الذي تحاول بقية الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن وخصوصاً روسيا وفرنسا وبعض الدول الصديقة لأميركا، إقناع إدارة الرئيس بوش الإبن بصرف النظر عن الخيار الحربي، والجلوس مع الدول الخمس عشرة الأعضاء في مجلس الأمن للبحث في وضع صيغة للتعايش الدولي يأخذ كل طرف بموجبها حقه، وبذلك يبقى ماء وجوه الجميع محفوظاً، وينجو العالم من كارثة لا نظن أن فيها رابحين وخاسرين. ذلك أن زمن الغالب والمغلوب ليس مقبولاً وأن فرضه لبعض الوقت بالقوة لا يعني على الإطلاق التسليم به.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 15 ديسمبر (كانون الأول) 2002

"أقوال مأثورة من بلاد العم سام"

من بين الأقوال المأثورة التي تعطي فكرة عن العقلية السياسية في الولايات المتحدة بجناحيها المستتير وغير المستتير نسجل هنا قولين.

الأول للرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر الذي قال وهو يتسلم في استوكهولم يوم الثلاثاء العاشر من ديسمبر الجاري جائزة نوبل للسلام: "بصرف النظر عن القوة العسكرية التي يتمتع بها بعض الدول فإن شن حرب وقائية يولد كوارث. وبما أننا واقفنا على أن تكون الأمم المتحدة الطريق للحفاظ على السلام فيجب علينا تطبيق قراراتها....". هذا بالنسبة إلى موضوع العراق والحل الحربي الذي يتمسك به كواسر البيت الأبيض من ذوي الهوى المتصهين، الذين يرون أن إسرائيل هي الحليف والصديق، على رغم تكلفه الباهظة التي أورد خبراء أميركان إستراتيجيون قبل أيام رقمها فإذا به منذ العام 1973 يبلغ 1.6 تريليون دولار الجزء الأكبر منه مصدره في نهاية الأمر عربي نفطي. أما على الصعيد الفلسطيني فإن الرئيس الأميركي الأسبق قال: "إن الحل للصراع العربي - الإسرائيلي يكمن في تنفيذ القرار 242 الداعي إلى وقف الإستيطان والإنسحاب من الأراضي الفلسطينية

المحتلة وضمان الأمن لإسرائيل... "أي أن كارتر يهتدي بكلامه برؤية ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز التي باتت مبادرة عربية بشر بها بوش الابن، على نحو بشاره والده من قبل للصف العربي عندما أغوى الرئيس صدام حسين على "الفعل المؤثر" مع الكويت، مقدمة لممارسة أميركا الفعل الأكثر تأثيراً على العراق، تمهيداً لـ فعل الأفعال المؤثرة المعقود لواء أمر القيام به لجورج بوش الابن.

أما القول الثاني المدرج في بند "الأقوال المأثورة" والذي لا يحتاج إلى تعليق فهو للسنتاتور سام برونك الذي شبه أقطاب المعارضة العراقية الذين إستضافت الإدارة الأميركية مؤتمرهم في لندن يوم السبت 14 ديسمبر الجاري بأباء الإستقلال ، في الولايات المتحدة، مضيفاً القول: "إنهم مثل توماس جيفرسون وبنجامين فرانكلين وسيذكرهم العراقيون بعد نيل حريتهم...".

كلام كارتر في محله لكنه متأخر ربع قرن. وكلام السنتاتور برونك سابق لأوانه ربع قرن . كان الله في عوننا.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 17 ديسمبر (كانون الأول) 2002

* * *

تعاسة الحُكم من عذاب المرض

مساكين بعض هؤلاء الذين يحكمون، ذلك أن الصورة الزاهية التي يظهرون بها على الناس تختلف عن الواقع الذي يعيشونه.

وما يمكن أن يقال عن الرئيس الأميركي الخامس والثلاثين جون كينيدي يقال عن آخرين كثيرين، وبالذات عن بعض الحكام العرب الثوريين في الستينات والسبعينات فرضت ظروف الحُكم عندهم أن يُخفوا حقيقة وضعهم الصحي وأن لا يسافروا إلى الخارج للعلاج، أو أنهم يخضعون للعلاج إما خفية في سويسرا أو في مستشفيات الإتحاد السوفياتي أيام كان دولة قوية ومتماسكة. وهؤلاء الحكام كانوا يستعينون بالحبوب المنبهة كي لا يناموا لأن الانقلابات عادة تحدث عندما يطمئن الانقلابيون إلى أن الحكام نيام. كما أن هؤلاء الحكام كانوا بعد ذلك يستعينون بالحبوب المنومة لكي يناموا نهاراً. وفي الحالتين كانوا يتسببون بالأذى لدورة الدماغ الذي لا يعود يعمل على نحو ما

أراد الخالق جلّت قدرته.

يطول الحديث عن هذه الظاهرة ويتطلب سرد الكثير من الأمثلة والوقائع مما تثير الغضب الذي نحن في غنى عن الإشكالات التي تنشأ عنه. ولذا نكتفي بالحديث عن مأساة جون كينيدي الذي كان فالنتينو السياسة والذي لم يهنأ بالانجومية حيث تم إغتياله يوم 22 نوفمبر 1963.

هذا الرئيس الذي كانت وسامته بوسامة ممثلي هوليوود وكانت إبتسامته جذابة نقيض عبوس الرئيسين البوشين جورج الأب وجورج الابن، كان على الصعيد الصحي مسكيناً.

وإستناداً إلى بحث تاريخي فإن جون كينيدي كان يتناول يومياً أكثر من ثمانية أنواع من الأدوية اليومية: دواء لتخفيف الإحباط ودواء للمعدة والجهاز الهضمي، ودواء لتخفيف الآم مرض أديسون وهو عبارة عن قصور في الوظيفة الكظرية قد يتسبب بالوفاة، ودواء لمعالجة البروستات والإلتهاب في القولون، وأدوية لإزالة التشنج والظهور بمظهر الرجل النشط، ودواء للنوم، ودواء لأوجاع الظهر.

ونجد أنفسنا هنا نتساءل: أي سعادة يمكن أن يشعر بها رئيس الدولة الأعظم إذا كانت حاله الصحية على نحو حالة من كان يمكن أن يحدث ثورة في الحياة السياسية في أميركا لو انه لم يقض إغتيالاً... وتنتهي بإغتياله الساعات الطويلة من الآلام الناشئة عن ظروفه الصحية التي كان يخفيها وراء إبتسامته تشبه إبتسامه عبد الحليم حافظ الذي كان يضحك مذنباً من "البلهارسيا". يرحم الله الإثنيتين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 18 ديسمبر (كانون الأول) 2002

* * *

سنة 15... "حماس"

نعيش هذه الأيام الذكرى الخامسة عشرة لتأسيس "حركة حماس" التي جاءت إنطلاقتها يوم 14 ديسمبر 1987 تبث في نفوس الشعب الفلسطيني مشاعر الأمل في العودة إلى الديار التي إغتصبها الدول الكبرى لمصلحة الصهيونية. وهذه المشاعر تشبه في منطلقاتها المشاعر المماثلة التي سادت صفوف الشعب الفلسطيني في يناير 1965 مع إنطلاق "حركة فتح" التي رفعت شعاراً تعبواً هو "ثورة حتى النصر".

كان الأسلوب الذي إعتدته "حركة حماس" منذ البداية أكثر واقعية، فهي لم تهتم بالمظاهر. وهي إعتدت التقيف الذي يجمع بين الدين والوطنية. وهي لم تتشغل على نحو ما فعلت "فتح" بالإهتمامات الخارجية وبالذات في الدول العربية والإسلامية، ولذا فإنها نأت بنفسها عن الإكثار من فتح المكاتب في العواصم العربية وفي الدول الصديقة، كما أنها لم تقحم نفسها في صراعات الأنظمة كما فعلت "فتح" التي باتت، رئيساً وقادة، في الصفين الثاني والثالث، رائدة في موضوع اللعب على التناقضات العربية. كما أن "حماس" قررت منذ البداية أن معركتها هي مع الإحتلال الإسرائيلي ولذا لم تسجل على نفسها أنها قامت بعمليات خارج فلسطين. كما أنها بقيت بعيدة عن العمليات التي تستفز الرأي العام الأجنبي مثل خطف الطائرات التي برعت فيها "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين"، أو العمليات التي تستهدف مراكز إسرائيلية في الخارج. وبدلاً من ذلك أدخلت أسلوب العمليات الإستشهادية على قاموس النضال الفلسطيني.

وعلى نحو ما فعل "حزب الله" في لبنان الذي إرتأى عدم المشاركة في الحُكم علماً بأنه لو أراد لكان له الحصة الكبرى من وزراء أي تشكيلة حكومية، فإن "حركة حماس" إرتأت عدم الإنتساب إلى منظمة التحرير الفلسطينية، وبدت في هذا وكما لو أنها إما تريد فلسطينها على الشكل الذي في بالها وإما غير واثقة بالمنظمة المهيمن عليها من "حركة فتح".

في الذكرى الخامسة عشرة نتساءل: هل إن "حركة حماس" ستبقى على النهج التي هي عليه .. أم أنها ستري، في ضوء النضال المشرق الذي خاضته، بأن التغريد من داخل سرب المنظمة ومع الآخرين أكثر جدوى للقضية. وخلال "السنة الحماسية" الجديدة سنعرف الجواب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 20 ديسمبر (كانون الأول) 2002

المأكولون بعد النظام العراقي

يقول سفير بريطانيا لدى مجلس الأمن جيريمي غرينستوك، "إن موقفنا يقوم على عدم وجود أسس في ظل القانون الدولي لتغيير النظام في أي دولة لأن

النظام لا يعجبك ...".

يأتي هذا الكلام من الشخص الذي ساهم في صياغة القرار 1441 بحيث يصبح مقبولاً ويفوز بالإجماع بمن في ذلك إقتراح سوريا لمصلحة القرار، في الوقت الذي يقول كواسر البيت الأبيض ما معناه إن المطلوب هو تغيير النظام في العراق بالحرب ما دام الإغتيال لأقطاب هذا النظام لم يحدث، ومادامت الخلطة لا تهز أعمدة هذا النظام، ومادامت المعارضة على الحال التي هي عليه وبانت تناقضات هذه الحال بكثير من الوضوح في مؤتمر المعارضة العراقية في لندن أيام 14 و 15 و 16 ديسمبر الجاري (2002).

ويأتي الكلام الذي نشير إليه متطابقاً مع هواجس أبداها الرئيس السوري بشار الأسد خلال زيارته إلى لندن في الوقت الذي كان مؤتمر المعارضة العراقية منعقداً، وتكرار القول أمام مضيفه رئيس الحكومة البريطانية طوني بليز عند إجتماعهما يوم الإثنين الماضي، إننا نرفض زعم واشنطن أن الرئيس صدام حسين خطر على المنطقة ونرى أننا في وضع أفضل للحكم على هذا لأننا نعيش في المنطقة وليس من المنطقي أن يحدد الآخرون هل شيء ما يشكل خطراً أم لا على المنطقة

لا ندري ما إذا كان بليز تبني أمام الرئيس بشار كلام المندوب البريطاني وبذلك يكون خفف بعض الشيء من هواجسه. لكن الذي نجيز لأنفسنا تأكيده هو أن أسلوب تغيير الأنظمة معناه أن في إستطاعة بضعة أعضاء في الكونغرس التقدم بطلب من رئيس الولايات المتحدة لتغيير أي نظام عربي أو إسلامي لا ترضى عنه إسرائيل، وأن الرئيس الأميركي بفعل الضغوط من النوع الذي ينوء الرئيس بوش الابن بتقلها سيتجاوب ... خصوصاً إذا كان نظام بلد غني مثل العراق وليبيا وإيران، وإستراتيجي مثل سوريا ولبنان. وبذلك تتكرس قاعدة أكلت يوم أكل الثور الأبيض وبحيث تصبح بعد التعديل: أكلت يوم أكل النظام العراقي.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 21 ديسمبر (كانون الأول) 2002

لاءات بشار حافظ الأسد

أظهر الرئيس بشار الأسد في زيارته الرسمية إلى

رفقاً بالجياع... يا "NESTLE" المتخمة

مع الأخذ في الاعتبار المقولة المقدسة بالنسبة إلى الرأسمالية ودول الغرب على وجه التحديد Business is Buisness ومعناها "الشغل.. شغل" وإن كانت ترجمتها إلى العربية تخفف الكثير من عمق معناها باللغة الإنكليزية... إننا مع الأخذ في الاعتبار هذه المقولة وكيف أن التمسك بها ضروري من أجل أن تسير الأعمال وتنتعش الشركات، إلا أننا نأخذ على شركة سويسرية عملاقة مثل NESTLE لها في أفواه الملايين أطفالاً وصغاراً وكباراً وطوال ساعات الليل والنهار مكاناً، ولها حصة في جيوب الملايين أيضاً. وهي عملياً مدينة في إزدهارها لهذه الملايين الذين يستهلكون بشغف ونهم وأحياناً إلى درجة الإدمان منتجاتها من الحليب والنيسكافيه والشوكولا وطعام الأطفال. ولو أن هؤلاء المستهلكين قرروا معاداة كماليات العصر والعودة إلى رضاة زمان وقهوة زمان وطعام أطفال زمان وحلوى زمان وهي كلها صحية وخالية من أي تصنيع؛ فما الذي كان سيصيب نستلة وهل ستكون عملاقة كما هي حالها الآن وتُحقق أرباحاً سنوية خيالية ويصل على سبيل المثال الربح للعام 2001 وعلى رغم العملية الترويجية يوم 11 سبتمبر من العام الذي سبقه في نيويورك وواشنطن إلى خمسة مليارات ونصف المليار دولار.

أما الذي نأخذه على هذه الشركة العملاقة فهي أنها غصّت بمبلغ ستة ملايين دولار تريد من حكومة أثيوبيا وإبصاراً إلى درجة المقاضاة أن تدفعها كتعويضات عن تأمين مصالح لها خلال السبعينات. ويا أيها "النستليون" رفقاً بهذا البلد وبيعائه الذين عددهم يساوي رقم المبلغ التعويضي المطلوب من أثيوبيا تسديده، والذين يواجهون خطر الموت جوعاً. فالتأمين حدث في زمن الحكم الشيوعي لا أعاده الله لا على أثيوبيا ولا على غيرها... وإن كان ربما سيعود في حال إستمرت "نستله" وغيرها متمسكة بقاعدة "Buisness is Buisness" التي لا ترحم ولا ترى أن ستة ملايين دولار لها في ذمة أثيوبيا هي قيمة جزء بسيط من كميات تنتجها وتتلّفها أو تحرقها عندما لا يتم تسويقها كي لا تتأثر الأسعار العالية أصلاً.

صحيفة "الوطن" - الرياض - الإثنين 23 ديسمبر (كانون الأول) 2002

بريطانيا أنه رجل دولة من نوعية متميزة. متحدث جيد، لا ينفعل. لا يبالغ في إستعمال المفردات الثورية. لا يعتمد تقطيب الوجه على أساس أنها من موجبات الظهور الثوري على الآخرين. لا يطيل في الشرح. لا يهاجم مُحترماً بذلك حرية الرأي. لا ينسى إستحضار التاريخ والتراث لتدعيم وجهة نظره. لا يستفز ضيفه ومضيفه. لا يجادل بغرض المجادلة. لا يقفز على الثوابت. لا يهادن في موضوع الحق المشروع. لا يلتف على المبدئية وإنما يزيد الإلتفاف حولها. والأهم من هذا كله إنه مثل والده الرئيس الراحل حافظ الأسد لا يريد لشعرة معاوية أن تنقطع... عدا إنقطاعها طوال خمس عشرة سنة مع غريمه بعث العراق وزعيم هذا البعث الرئيس صدام حسين إلى أن جاء الإبن بشار يشد وتر هذه الشعرة بعد وصل طرفيها ويأخذ على عاتقه وحيداً بين القادة العرب أم الدفاع في المحافل الدولية عن العراق الذي يستهدفه بوش الإبن.

هذه الصفات في بشار الأسد بعضها موروث من والده إكتسبها في فترة تأهيل الأب له لكي يواصل من بعده، وبعضها مكتسب من عالم طب العيون الذي إختاره تخصصاً له وشاءت الظروف أن يقف هذا التخصص عند حد.

ما يجوز قوله هو أنه مثلما أن قيادة الطائرة تفرض على الطيار مثل حافظ الأسد الذي كان طياراً حربياً قبل أن يصبح وزيراً ثم رئيساً للدولة، أن يكون حذراً ويتقن التصويب وإلا فإن التوازن يختل وربما يفقد الحياة، فإن طب العيون يفرض على المتخصص مثل بشار الأسد الذي أراد أن يكون طبيباً للعيون قبل أن تشاء الظروف أن يصبح رئيساً للدولة، أن يكون متأنياً وصبوراً وكثير الحذر خشية أن يتعامل بخشونة مع حالة بصرية فتكون النتيجة على نحو ما ينطبق عليه المثل الشعبي السائر "بدل أن يُكَلِّها عماها".

ما زال بشار الأسد في منتصف العقد الثالث وهذا يعني أن هذا الرجل بالبلاءات التي أشرنا إليها وغيرها هو مشروع زعامة مرموقة في الربع الأول من القرن الواحد والعشرين... هذا إذا ترك الجنون الحربي الأميركي المجال متاحاً لمن يقود في المنطقة مستقلاً ومطمئناً.

صحيفة "الوطن" - الرياض - الأحد 22 ديسمبر (كانون الأول) 2002

لوبان المغضوب عليه

كان حظ لبنان والعرب عموماً سيئاً على درجة من السوء لو أن الناخب الفرنسي لم يتنبه في اللحظة الأخيرة إلى أن جان ماري لوبان، اليميني المتطرف بمثل تطرف الرئيس جورج بوش الابن وبمثل يمينية اليساري البريطاني إفتراضاً طوني بلير، هو الذي فاز في الدورة الثانية من إنتخابات الرئاسة الفرنسية بعدما كان في الدورة الأولى حذف من طريقه المرشح الأوفر حظاً الإشتراكي ليونيل جوسبان. وبهذا الحذف المثير للدهشة ساد الإنطباع مقروناً بالخوف بأن زعيم "الجهة الوطنية" جان ماري لوبان سينتصر على الديغولي جاك شيراك وتدخل فرنسا بذلك عهداً جديداً برئيس يميني متطرف. ولولا أن الإشتراكيين لم يتحالفوا مع أحزاب اليمين المعتدل والديغوليين وتصب معهم أصوات المسلمين والعرب المهاجرين إلى فرنسا في الصناديق الشيراكية، لكان الآن جان ماري لوبان هو رئيس الجمهورية في فرنسا يطلب اللبنانيون والعرب وده، ولكانت فرنسا خارج الإتحاد الأوروبي لأنه من معارضي هذا الإنتساب ، ولكان الآن جاك شيراك يكتب مذكراته قابعاً في الظل يتزاور مع بعض أصدقائه العرب وأبرزهم على الإطلاق الصديق التاريخي رفيق الحريري رئيس الحكومة اللبنانية.

جان ماري لوبان قرر القيام بزيارة شخصية عشية عيد الميلاد آملاً أن يستقبله كبار المسؤولين اللبنانيين وبعض رؤساء الأحزاب. لكن الذي حدث هو أن الترحيب به كان فاتراً ولا مجال لإستقباله من جانب هؤلاء. والحجة أنه متطرف ومتعصب وعنصري وأنه يعادي المهاجرين العرب والمسلمين إلى فرنسا.

هل هذا التطرف يتسم بالحكمة مع شخص له حضوره القوي في صفوف الرأي العام الفرنسي ، ومع شخص كان سيصبح سيد "الإليزية" ومع زعيم حزب ينتقد دون خوف الهيمنة الأميركية على العالم وخضوع الإدارة الأميركية والإعلام الفرنسي لـ "اللوبي الصهيوني"؟

ولماذا لا يتم إستقباله ويتم مقارعته الحجة بالحجة والرأي بالرأي. ونقول ذلك على أساس أن مبدأ المقاطعة بات غير مستحب وأنه إذا كان عدم

إستقبال لوبان هو لأنه متطرف فإن الرجل ربما يصبح أكثر تطرفاً عندما يرى أن المسؤولين اللبنانيين متعصبون... و يكيلون مثل الإدارة الأميركية بمكيالين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 24 ديسمبر (كانون الأول) 2002

* * *

من حنان... إلى ناديا

عندما إختار الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى في مطلع عهده بالمنصب الجديد الدكتور حنان عشراوي لتكون المتحدث الرسمي بإسم الجامعة، فإن رد الفعل على هذا الإختيار كان بين مرحب ومتحفظ بهذه الخطوة. الترحيب على أساس أن حنان عشراوي متحدثة جيدة وتتقن مخاطبة الغرب، وأنها بحكم ثقافتها السياسية وسعة إطلاعها والمسؤوليات التي شغلتها في العمل السياسي الفلسطيني قادرة على أن تخدم القضية الفلسطينية الشغل الشاغل للبال العربي خير خدمة. أما التحفظ فعلى أساس أن المجتمع الذكوري العربي لا يتحمل أن تكون المتحدث بإسمه امرأة.

ومع أن هذا التحفظ لم يرد صراحة على لسان أي مسؤول عربي، ولم يرد في أي مذكرة قدمها إلى الأمين العام أحد مندوبي الدول الأعضاء لدى الجامعة، إلا أننا سمعنا في حينه. من أوساط في كواليس الأمانة العامة وخلال بعض المؤتمرات العربية. همسات تشير إلى هذا التحفظ. ونتيجة لذلك صرف الأمين العام النظر عن فكرته الرائدة هذه فلم يعد موقع حنان عشراوي في الأمانة العامة في القاهرة وإنما معلّقة ومن داخل فلسطين وبين الحين والآخر على أمور تتعلق بالوضع الفلسطيني وليست متحدثة بإسم الأمانة العامة للجامعة.

مطلع ديسمبر الجاري (2002) إرتأى عمرو موسى تعيين ناديا مكرم عبيد ممثلاً للأمين العام للجامعة في السودان، وذلك على أساس أن الجامعة مهتمة بالشأن السوداني ومن الضروري متابعته ميدانياً. ومثل فكرته الأولى كانت الثانية رائدة... ولكنها هذه المرة لم تلق الترحيب العربي الكافي، فضلاً عن أن بعض أقطاب القوى الفاعلة في الساحة السودانية إستقبلوها بشيء من الإستهجان ربما لأن كون ناديا مكرم عبيد وزيرة سابقة في مصر وابنة رجل دولة كان له باعه في الحياة السياسية المصرية وقبطية لا يكفي في نظرهم لكي تشغل

هذا المنصب، مع أن المواصفات المشار إليها هي بمثابة كفاءة وبالذات كونها مسيحية ووطنية وفي إستطاعتها مجادلة الدكتور جون قرنق وبقية مسيحيي الجنوب المتمرد... بالتالي هي أحسن.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 25 ديسمبر (كانون الأول) 2002

بريطانيا حافظ الأسد.. جداً وحفيداً

كانت رئيسة الحكومة البريطانية الأسبق مارغريت تاتشر التي إصطُح على توصيفها بـ "السيدة الحديدية" تتطلع منذ منتصف الثمانينات إلى زيارة يقوم بها إلى بريطانيا الرئيس حافظ الأسد. وعندما لم تتوافر الظروف التي تحقق ذلك بدأت تاتشر وفي ضوء لقاءات منتصف الطريق السورية - الأميركية بين الرئيس الأسد وكل من الرئيسين جورج بوش الأب ثم بيل كلنتون تتطلع إلى لقاء من النوع نفسه. لكن عدم حماسة الرئيس الأسد من جهة وتدهور العلاقات الثنائية بفعل الفاعل المخرب ما غيره.. الموساد الإسرائيلي جعلاً ذلك اللقاء لا يتم. ثم توارت تاتشر وورثها جون ميجور ثم إنهارت حقبة المحافظين وتسلم "حزب العمال" الحُكم بقيادة الرئيس الحالي طوني بلير.

حافظ الأسد الرئيس لم يزر بريطانيا قبل أن يتوفاه الله. ولا هو عقد لقاء منتصف الطريق مع تاتشر على نحو ما كانت تتمنى "السيدة الحديدية" المنزوية منذ فترة في منزلها متحاشية بسبب حالتها الصحية التي لا تُسر عدم الظهور على الناس. أما الذي زار بريطانيا فكان حافظ الأسد الحفيد الذي لم ينعم الجد برؤيته وذلك لأن الوفاة حدثت قبل أن يتزوج الابن الوريث الدكتور بشار من أسماء الأخرس الفتاة البريطانية السورية الأصل.

ما حدث هو أن الرئيس وزوجته إصطحبا طفلهما حافظ ابن السنة معهما في زيارتهما إلى لندن. وقد حملاه في إحدى لحظات الزيارة متحين بذلك للمصور تسجيل لقطات بدا فيها حافظ الحفيد قريباً من القلب. ومثل هذه الإطلالة العفوية من جانب الرئيس بشار وزوجته المصحوبين بطفلهما الذي يحمل إسم ذلك الزعيم التاريخي لسوريا تشيع إرتياحاً في صفوف الرأي العام الأجنبي الذي لا يرى في رموز القيادات الثورية

سوى أنهم أشخاص يفضلون العيوس على إنفراج قسّمات الوجه، وشد الشفتين منعاً لأي إبتسامة، وإعتبار الظهور أمام الآخرين بمظهر أبوي على نحو إطلالة بشار الأسد وزوجته وبينهما طفلهما بأنه من الأمور التي لا تتناسب مع الهيبة الثورية.

ونفترض أن الثنائي الرئاسي المتميز بشار وأسماء ربما كانا سيتمشيان في "حديقة الملكة" أو "الهيد بارك" لو كان هنالك متسع من الوقت وكان الجو على شيء من الدفء ولا أمطار، ولكانا ربما سيحملان حافظ الحفيد على ظهر والده أو على صدر والدته في حمالة كما سائر الآباء والأمهات البريطانيين وغيرهم... وتلك نقطة لمصلحة الإثنين اللذين عاشا في بريطانيا طويلاً وإكتسبا ما هو جيد من خصال الأجانب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 26 ديسمبر (كانون الأول) 2002

تظاهروا تصحوا.. حاربوا تندموا

في الوقت الذي ينهمك سيد "10 داوننج ستريت" أي رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير بالترتيبات من أجل أن يكون عند حُسن ظن كواسر الإدارة الأميركية، المتشوقين للحرب شوق الأسير للحرية والمتلهفين لها تلُف الأم لوليدها والمتطلعين إليها تطلّع العاطل عن العمل إلى الوظيفة ...

في هذا الوقت قام الدكتور جون دراري المحاضر في علم النفس في جامعة "ساسيكس" البريطانية بتحضير دراسة تضمنت مقابلات مع حوالي أربعين ناشطاً من مختلف الخلفيات الإجتماعية جرى فيها وُصف أكثر من 160 من الخبرات التي مارسوها أثناء العمل الإجتماعي. وراوحت الأحداث التي تناولتها المقابلات بين مسيرات الإحتجاج التقليدية وعمليات تخريبية ضد صيد الثعالب التي لها - أي للثعالب - مناصرون بالألوف في بريطانيا، والتظاهرات المضادة للعولمة والرأسمالية، والإضرابات العامة وحالات الإحتجاج ضد ملوثي البيئة.

الدراسة غير مطروقة والباحث الذي أجراها يتسم بالجدية. والنتيجة التي توصل إليها تتلخص بالآتي:

- إن التظاهرات تولّد في نفس المتظاهر شعوراً بالثقة والإحساس بالقوة.
- إن العوامل الرئيسية التي تساهم في بروز

شعور القوة الذاتية هو إدراك الهوية الجماعية وشعور في إمكانية الحركة على تغيير الأوضاع والوحدة والدعم المشترك والمتبادل ضمن أي تظاهرة.

- إن المشاركة في التظاهرة أو في مسيرة الإحتجاج تبعث في النفس شعوراً عميقاً بالسعادة إلى درجة النشوة.

يختم المحاضر دراسته غير المطروقة بإستنتاج خلاصته "إن المشاركة في مسيرات الإحتجاج والتظاهرات تُعتبر ظاهرة صحية مفيدة، فضلاً عن إمكاناتها في تغيير العالم".

هذا في بريطانيا التي يستطيع المقيم والوافد أن يتظاهر في شوارعها محروساً ويحتج مطمئناً، كما في إستطاعة من يريد أن يفضفض أن يقف خطيباً مفوهاً في "الهايد بارك" ولا من يسبب له الأذى. أما في عالمنا العربي والعالم الثالث عموماً فإن التظاهر والإحتجاج عبارة عن ضجيج من دون فائدة وإحراق أعلام دول من دون وجه حق.. مع ملاحظة أن العلم الأميركي هو الذي دائماً عرضة للإحراق.

ما ننتظره من هذا الباحث الرصين أو من باحثين زملاء له، إجراء دراسة مماثلة يسجلون إستنتاجاتهم وتدور حول الحرب التي لا مبرر لها، على نحو الحرب التي أكد لنا مطلعون في لندن أنها سحدث ضد العراق وبهمة الحمدين في قطر وحكومة الـ "غول الأردوغان" في تركيا وأن ساعة الصفر لها ستدق، في أحد الأيام العشرة الأخيرة من يناير 2003. وفي تقديرنا أن ما يستنتجه الباحث هو أن المشاركة في هذه الحرب ستولد شعوراً بالندم لا مثيل له.

صحيفة "الوطن"، الرياض - الجمعة 27 ديسمبر (كانون الأول) 2002

بريطانيا العظمى... سجوناً ولصوصاً

في معظم دول العالم الثالث ينتظر المحكوم عليهم بالسجن المناسبات الوطنية والمناسبات الإستثنائية والمكررات المفاجئة من قبل الحكام لكي يتم الإفراج عنهم.. هذا في حال كانت الجرائم التي أدينوا بسببها من النوع الذي يمكن التساهل في شأنه.

وفي معظم دول العالم الثالث هنالك مساجين معمرين بعضهم منسي وبعضهم ينتظرون لكي يحظوا

بفرصة العفو عنهم. ولا داعي للخوض في التفاصيل وفي الظروف.. وبالذات بالنسبة إلى سجناء الرأي، لأن التعاطي مع هذا الأمر يشبه محاولة إستكشاف ما في الدهاليز من أشياء. ولكننا إستحضرنَا الحديث حوله على هامش بضعة أيام أمضيناها في لندن ولاحظنا خلالها - من جملة ما لاحظناه - أن رئيس السلطة القضائية دعا القضاة ورؤساء محاكم الجرح إلى الإمتناع عن إصدار أحكام بالسجن على اللصوص الذين يسطون على البيوت وذلك لأن سجون بريطانيا البالغ عددها 137 مزدحمة بـ 71833 سجيناً وتزيد في الوقت الحاضر عشرين في المئة على طاقتها الإستيعابية. وكعلاج للأمر حض رئيس السلطة القضائية القضاة ورؤساء المحاكم على إصدار أحكام تقضي بوضع اللصوص تحت المراقبة أو بأن يقدموا خدمات للمجتمع بدلاً من السجن.

هذا هو العلاج في بريطانيا التي تتدفع حكومتها في إتجاه المشاركة في الحرب على دولة بعيدة عنها خمسة آلاف كيلو متر وتجد من المال ما يكفي لتمويل هذه المشاركة غير النظيفة وغير المبررة، إلا أنها لا تجد في ميزانيتها بعض المال لبناء سجون جديدة أو توسيع السجون الحالية تستوعب حرامية البيوت، وفي الوقت نفسه تطلب من القضاة عدم إصدار أحكام بالسجن وإسناد واجبات خدمة المجتمع إلى من يسطون على البيوت.

إنه منطق في غاية الغرابة ويعني أن اللصوصية ستصبح بعد الآن وحتى إشعار آخر في بريطانيا "مهنة شرعية" ما دام القاضي الفلاني سيقول لمن تقدموا بشكاوى عن سرقة بيوتهم: ما رأيكم لو نسل اللص السارق عما إذا كان في إستطاعته أن يقوم - جزاء سرقة أموالكم ومجوهراتكم - بعناية حدائق منازلكم أو تنظيف سيارتكم أو توصيل ثيابكم إلى المغاسل أو الإنابة عنكم في "الشوبنج" من "السوبر ماركت" أو توصيل الأولاد إلى المدرسة أو مصاحبة كلابكم إلى نزهة في الحدائق العامة أو... أو... ألخ الممكنات؟

على رغم تحفظاتنا في بعض الدول العربية على أحوال السجون وأحوال بعض المساجين المنسيين، فإننا لا نتمنى على الإطلاق إقتباس مثل هذا الحل البريطاني للصوصية، ذلك أن المجتمع في هذه الحال سينتهي ومن حيث لا ندري إلى أن اللصوصية هي القاعدة والتعفف عن السرقة هو الإستثناء... وهو ما

يبدو أن بريطانيا سائرة إليه بسبب إزدحام سجونها بالمساجين وإزدحام مناطقها باللصوص!

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 28 ديسمبر (كانون الأول) 2002

القصف المتبادل بـ "سلاح النسل"

من ليست أمه يهودية فهو ليس يهودياً ومن لم يعتنق اليهودية على أيدي الحاخامين فإنه في نظر الدولة العبرية التي قامت على أرض ليست أرضها يملكها شعب رماء الظلم الدولي في الشتات، ليس أيضاً يهودياً. ومن أجل ذلك فإن "الوكالة اليهودية" المنظمة الإسرائيلية شبه الرسمية المكلفة شؤون هجرة اليهود قلقة أشد القلق مما قد يحدث في ربع القرن المقبل إذا استمر يهود العالم في التراجع يقابل ذلك أن الفلسطينيين إلى تزايد ملحوظ.

وإستناداً إلى أرقام الوكالة فإن عدد اليهود في العالم يتراجع بمعدل وسطي يبلغ خمسين ألفاً سنوياً ليلبلغ في نهاية العام الحالي 12.9 مليون شخص. وما يمكن أن يستوقفنا من دراسة "الوكالة اليهودية" هو أن عدد اليهود في الولايات المتحدة تراجع خلال عشر سنين ثلاثمئة ألف شخص ليصل إلى 5.2 ملايين في عام 2002، وتراجع عدد اليهود في الإتحاد السوفياتي إلى 437 ألفاً حالياً بعدما كان 1.45 مليون شخص عام 1989. وفي فرنسا بات عدد اليهود حالياً نصف مليون شخص بعدما كان 535 ألفاً في عام 1988. أما في الدولة العبرية فإن عدد اليهود طبقاً لإحصاءات الوكالة هو خمسة ملايين يهودي.

في المقابل يؤكد الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن تعداد الشعب الفلسطيني كان حتى نهاية عام 2001 على النحو الآتي: 3.5 ملايين شخص يعيشون في قطاع غزة والضفة الغربية، مليون شخص يعيشون داخل الخط الأخضر، 4.6 ملايين شخص يعيشون في مختلف دول العالم من بينهم 2.6 مليون في الأردن و 411 ألفاً في سوريا و 391 ألفاً في لبنان. وبالنسبة إلى الفلسطينيين في إسرائيل فإن عددهم في نهاية عام 2001 بلغ أكثر من مليون شخص بقليل وكانوا بعد نكبة 1948 حوالي 154 ألف نسمة.

ومن الآن وحتى الإحصاء يكون الفلسطينيون في الداخل وفي الخارج إلى المزيد. أما اليهود فإلى تراجع مستمر في الخارج وإلى زيادة بسيطة في الداخل مقتصرة على اليهود الذين وفدوا من دول عربية وأفريقية حيث التنازل من التقاليد المألوفة.

ما يلفت الإنتباه أن الإحصاء الفلسطيني صدر بعد أسبوع من الإحصاء اليهودي الأمر الذي يعني أنه "قصف متبادل" بـ "سلاح النسل"... وهو سلاح لا يمكن على المدى البعيد أن يكون لمصلحة الشعب الفلسطيني ذلك أن الكلمة في النهاية عند تحديد المصير هي للأكثرية وليست للأقلية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 29 ديسمبر (كانون الأول) 2002

حكام أشبال في السبعين من العمر

لم نكن نعرف أن من جملة العلوم الإنسانية هنالك "علوم الشيخوخة" وأن هذا الفرع من العلوم مزدهر في الصين وأن له أساتذة متفرغين يلقون المحاضرات ويعقدون الندوات التي تستهدف الترويج إلى مسألة العمر، وكيف أن الشيخوخة لا تتناقض ولا تتقاطع مع الذين يتسلمون مسؤوليات قيادية. إنما في حال كانوا يحافظون على صحتهم من خلال التمرينات".

ومن هؤلاء الأساتذة ووكانجنج الأستاذ في جامعة الشعب في بكين والبالغ من العمر ثمانين عاماً الذي كشف في معرض مهرجان "ثقافة طول العمر" الذي نظمته وأشرف عليه قبل بضعة أسابيع في إحدى مدن الصين الساحلية عن أن خمسة من الأعضاء السبعة في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي التي هي أعلى هيئة تتخذ القرارات في الصين وتزيد أعمارهم على السبعين "هم في نظري أشبال". كما أن هذا الأستاذ الخبير كشف عن أن هؤلاء الأشبال لديهم مستشارون يدرّبونهم على سبل الإحتفاظ بصحة جيدة ومن جملة التدريبات تحديد أنواع من الأكلات قد لا تبدو لذيدة على الإطلاق إلا أنها تقف سداً شبه منيع في وجه إقتحامات الشيخوخة. وأورد الخبير حالة الرئيس جيانج تسه مين ابن الخامسة والسبعين المولع بالرقص والسباحة والإعتناء بهندامه كمثال على أن الشيخوخة لمن هم في الحُكم يجب ألاّ تتسبب في الإحباط.

تبقى الإشارة إلى أن طروحات هذا الخبير جاءت قبل فترة قصيرة من الانقلاب السلمي على الشيخوخة الذي حدث في الصين وقضى بتسليم دفة القيادة من هم في بداية العقد السادس من العمر وأبرزهم هو جينتاو ابن التاسعة والخمسين الذي بات الرجل الأول في الصين. وغالب الظن أن جينتاو سيتمسك أكثر وأكثر بنظرية الخبير الأستاذ في "علم الشيخوخة" على أساس أنه يتطلع إلى تمضية بضعة عقود في الحكم.. هذا إذا لم تحدث مفاجأة ما أو وفاة مبكرة نتيجة مرض ليس في الحسبان. وبعد عشر سنين من الآن سيدخل الرجل عتبة الشيخوخة ويريد أن يستمر "شباباً" وأن يبقى ينظر الناس إليه على هذا الأساس إلى أن ينظر الله في أمره.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 30 ديسمبر (كانون الأول) 2002

الطريق إلى رئاسة أميركا

بعدما إرتأى آل جور الذي كان نائباً للرئيس بل كلنتون ثم رشّحه الحزب الديمقراطي للرئاسة في انتخابات عام 2000 وكان أن فاز ولم يفز، أو لم يفوزوه لأنهم يريدون جورج بوش الابن بالذات رئيساً للولايات المتحدة... بعدما إرتأى الرجل قبل أيام الانسحاب من حلبة السياسة معلناً عدم ترشيح نفسه للانتخابات الرئاسية عام 2004 باتت الساحة الديمقراطية مقتصرة، هذا إن لم تحدث مفاجأة في اللحظة الأخيرة، على ثلاثة أشخاص هم اليهودي جوزف ليبرمان الذي خاض معركة الرئاسة مع آل جور ككاتب له، وعضو مجلس الشيوخ عن ماسا تشوستس جون كيري، وهيلاري كلنتون عضوة مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك في حال قررت خوض معركة الرئاسة.

تمهيداً لقرار الترشح المحتمل إعلانه في منتصف يناير (2003) جاء ليبرمان إلى رام الله والقدس ليلتقي المسؤولين في الجانبين، لكن التصهين غلب الموضوعية والحياد حيث إنه إجتمع في رام الله بوزير الإعلام الفلسطيني ياسر عبد ربه ثم بوزير الحكم المحلي صائب عريقات ثم برئيس المرحلة المرتقب محمود عباس (أبو مازن). أما لماذا عدم الإجماع بالرئيس ياسر عرفات فلكي لا ينزعج شارون في

القدس ويتردد صدى الإنزعاج في بعض كواليس الإدارة الأميركية في واشنطن. حتى اللقاء بالثلاثي عبد ربه، عريقات، محمود عباس فرض على ليبرمان أن يقول أمام أرييل شارون عندما إلتقاه ما يطيب للذي خاض مهمة التدمير والجرف والإغتيال والتسبب في العمليات الإستشهادية التي أودت بمئات اليهود، سماعه من زواره الأميركيين وبالذات قول ليبرمان إنه خلال 14 عاماً كان فيها عضواً في مجلس الشيوخ لم يشهد تأييداً بمثل هذه القوة لإسرائيل.

ما سمعناه عن زيارة ليبرمان إلى الأراضي الفلسطينية هو أنه فوجئ بحجم الدمار الذي تسببت به قوات الاحتلال الإسرائيلية وبأنه يؤيد تسوية للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي على أساس دولتين. وهذا الكلام من جانبه يحتاج منه إلى تنديد بسياسة التدمير، لكن ذلك لم يحدث، وإلى توضيح بالنسبة إلى طبيعة الدولتين وهو ما لم يوضحه... والسبب في ذلك أن الطريق إلى رئاسة أميركا تحتم على الطامحين فعل ذلك.

أمرنا وأمر الفلسطينيين إلى الله وإلى الصبر والصمود والعمليات الإستشهادية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 31 ديسمبر (كانون الأول) 2002

عنتريات من هنا... وهناك... وهناك

غالب الظن أن تأجيل الرئيس جورج بوش الابن للجولة الأفريقية التي كان مقرراً القيام بها في منتصف يناير الجاري (2003)، سببها أنه يكون في هذا الوقت قد شمر عن ساعديه وإرتدى القبعة التكسسية ووضع المسدسات على الجانبين ورايض في غرفة العمليات يتابع ما سيفعله أشاوس "المارينز" ومطلقو الصواريخ من حاملات الطائرات التي ملأت بحار منطقتنا حتى ضاقت بها هذه البحار، وما سينجزه أشاوس البر الذين يواصلون المناورات على رمال الصحارى العربية في مشرق الأمة كمرحلة أولى، بحيث لن يعود التخيم في البر خلال أيام الربيع المقبل آمناً. كما أنه سيكون في إنتظار النبأ الذي يفيد بأن رجال البحرية البريطانية شقيقة "المارينز" في رضاعة حليب الهيمنة والتحرش بالحروب على من رزقهم الله سبحانه وتعالى نفطاً وفيراً، قاموا بمهمة الغزو الموكلة إليهم على أحسن

وجه، ودون أن يستوقف هؤلاء أنهم مثل حكوماتهم يرتكبون الإثم والمعصية ضد منطقة هي مهبط الأديان السماوية بدءاً من مكة والمدينة وصولاً إلى النجف وبعض الديار الإيرانية مروراً بالقدس وبيت لحم. وتلك نعمة تكالب حسادنا بسببها علينا ووصل الحسد إلى درجة أن من لا يخضع بالحسنى يخضع بصواريخ العم سام وأن الافتراءات والتجنّيات متعددة لكن الغرض واحد... وهو غرض شرير في أية حال وإن كان "صديقنا" ابن "صديقنا" يعطينا من داخل البيت الأبيض ومن طرف لسانه بين الحين والآخر حلاوة طعمها شديد المرارة ورائحتها لا تطاق.

على هامش ذلك تتطايّر في الهواء العنتريات التي قد تكون صحيحة وقد تكون وسيلة لصرف النظر عن الخيار الحربي. فهذا طه ياسين رمضان نائب الرئيس العراقي يكرر التحذير بأن أميركا ستدفع الثمن الباهظ في حال اعتدت على العراق. وهذا رئيس أركان الجيوش الأميركية مايرز يعلن الإستعداد لخوض حرب على جبهتين بدل الجبهة العراقية الواحدة. وهذه كوريا الشمالية تطلق إنذارات وكأنما هي القوة العظمى الثانية في العالم وتقول للأمريكيين ما معناه إن بضعة آلاف من قواتكم في المنطقة القريبة من حدود بلادنا يمكن أن يبادوا وقد لا يكون في الإمكان التعرف إلى وجوههم في حال اضطرتهمونا إلى إستعمال قوتنا النووية. وهذه إيران تطلق من بعض صقور نظامها صيحات التهديد لأميركا. وهذه بعض حناجر الإسلاميين تقوم بما تمليه عليهم قناعاتهم. و... و... إلخ العنتريات التي لا يمكن التأكد منها إلا في الإمتحان الذي تُحقّق فيه إدارة الرئيس بوش غرضها من الحرب أو تهان شر إهانة. وبيننا وبين هذا الإمتحان من ثلاثة أسابيع إلى شهر بدءاً من اليوم الأول من يناير للسنة الميلادية الجديدة أعادها الله على الأمة وقد نجت من شرور المعتدين الطامعين بثرواتها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 1 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

"نيويورك" السفينة... ولعبة التحدي

حارت الإدارة الأميركية في نوعية التخليد الذي يليق بذكرى العملية الترويعية التي إستهدفت مركز التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع (البنتاغون) في

واشنطن يوم 11 سبتمبر من العام 2000، ثم إستنبط المستنبطون في هذه الإدارة فكرة تجمع بين الهدفين اللذين إقتحمهما بواسطة الطائرة عناصر يمكن أن يكونوا إسلاميين من حواري أسامة بن لادن وتلامذة أيمن الظواهري وسليمان أبو غيث ويمكن ألا يكونوا، ويمكن أن يكونوا من فصيل أميركي فاشستي ونازي وعنصري الهوى يعمل على تغيير طبيعة النظام في أميركا ويمكن ألا يكونوا، ويمكن أن يكونوا أفراداً من اليهود المتدينين المغرّ بهم الذين تقف المخابرات الإسرائيلية من "موساد" وغيره وراءهم ويمكن ألا يكونوا، ويمكن أن يكونوا وألاً يكونوا جزءاً من "مافيا" دولية تستهدف هزّ هيبة أميركا والإنتقام منها وهي "مافيا" تعمل لحساب دولة عظمى بلغ الحسد في نفسها للشأن الأميركي حد ضرب دولة "النظام العالمي الجديد" في رمزيّ قوتها: الشأن العسكري متمثلاً بمبنى وزارة الدفاع في واشنطن، والشأن المالي والإقتصادي متمثلاً بمركز التجارة العالمي ذي البرجين في نيويورك.

وجاءت الفكرة عبارة عن تخليد مشترك للهدفين وذلك ببناء أحدث سفينة حربية رصد "البنتاغون" لها حوالي مليار دولار على أن يتم إستعمال الكميات الهائلة من الفولاذ التي كانت في برجيّ مركز التجارة في بناء السفينة التي ستكون قادرة على نقل أكثر من 1200 بحار من خيرة "مارينز" أميركا والتي ستوضع في الخدمة عام 2007.

بطبيعة الحال لا ينقص أميركا المزيد من السفن وحاملات الطائرات وإنما الذي ينقصها الحروب. وها هي الحرب المفتعلة على العراق باتت قريبة التنفيذ. ولكن من المؤكد أن السفينة "نيويورك" ستكون زينة البحرية الأميركية. أما الذي لا يمكن تأكيده فهو أن الذين نفّذوا العملية الترويعية يوم 11 سبتمبر 2000 لن يعاودوا التحدي لمجرد أن يتم تكسير زجاجات الشمبانيا عليها إيداناً بنزولها إلى البحر هذا إذا كانوا لن يمارسوا التحدي المشار إليه قبل ذلك... أي في مرحلة البناء. والله أعلم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 2 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

نحاول أن نفهم... ولكن

من الحالات التي تلفت الإنتباه على هامش أزمة العراق مع إدارة الرئيس جورج بوش الابن المرشحة

لأن تتفجر حرباً ربما لن تقتصر في أية حال على العراق وإنما يمتد لهيبها إلى الجار الإيراني عملاً بإستراتيجية الحجر الواحد يصيب عصفورين، أن دولة الحَمَدين (قطر) ودولة علي عبد الله صالح (اليمن) من الحذاقة بمكان حيث إن العلاقة بينهما وبين المعتدي وثيقة وهي بوثوق العلاقة بينهما وبين المعتدى عليه.

زيادة في التوضيح نقول إن ما بين العراق ودولة قطر كانت علاقة متميزة طوال السنوات التي أعقبت إمساك الحَمَدين بمفاصل الشأن القطري. فقد كان التزاور وكانت التصريحات الودية وكانت "صقر الخليج" الهدية الجوية التي تقوم برحلات منتظمة بين دمشق وبغداد. وهذه "الصقر" عبارة عن "بوينج من طراز "جامبو" أهداها أحد أبناء أسرة آل ثاني إلى الرئيس صدام حسين ولقيت الهدية في حينه تقديراً من جانب أهل الحُكم ومن جانب العراقيين التواقين إلى السفر بأقل قدر من المشقة الناشئة عن السفر براً في عز سنوات القطيعة العراقية - الخليجية فكانت الدوحة هي محطة الإختراق الفاعلة نسبياً لهذه القطيعة. وفي مؤتمرات مجلس التعاون لدول الخليج كانت لدولة قطر وإلى جانبها سلطنة عمان مواقف وتخريجات لمصلحة فك الحصار عن العراق والتطبيع معه. كما أن وزير خارجية قطر الشيخ حمد بن جاسم كانت له الخطوة لدى الرئيس صدام حسين وبحيث إن مقابلة الشيخ حمد للرئيس شكّلت محطة بالغة الأهمية بالنسبة إلى أمور كثيرة من بينها أنها جاءت في أعقاب تصريحات مثيرة للشيخ حمد جاء في إحداها "إن على العرب التوسل إلى أميركا" وفي أعقاب تحركات أكثر إثارة له بإتجاه أميركا وإسرائيل.

وبصرف النظر عما إذا كان الجو عاصفاً خلال لقاء الرئيس صدام والشيخ حمد وأن الرئيس العراقي حمّله إنذاراً بأن الصواريخ العراقية ستساقط على الدوحة في حال إنطلقت الحرب الأميركية على العراق من قاعدة "العديد"، فإن العلاقة العراقية - القطرية تبقى حتى فك طلاس هذا اللغز من الأمور التي يحاول المرء فهمها... إلا أنه يصطدم بكثرة المحاذير وعلامات الإستفهام والتعجب.

ما يقال عن العلاقة العراقية - القطرية يقال عن العلاقة العراقية - اليمنية. فالرئيس علي عبد الله صالح بات أحد الأصدقاء الإستراتيجيين للإدارة الأميركية، ومن مظاهر هذه العلاقة أن المخابرات الأميركية دشنت

في اليمن أسلوب الإصطياد الجوي لعناصر "إرهابية" وتم ذلك في وضح النهار وإعلان الـ "سي. أي إي" عنه على أساس أنه رسالة إلى من يهتمهم الأمر خلاصتها إما أن تتصرفوا أو نعمم أسلوب الإصطياد الجوي. وفي الوقت نفسه فإن الرئيس علي عبد الله صالح مرتبط بعلاقة عريقة مع الرئيس صدام حسين العدو اللدود منذ بضعة أشهر مستمرة للرئيس بوش الابن. وبإستمرار يطالب الرئيس اليمني برفع الحصار عن العراق رافضاً حرب أميركا عليه.

كيف يحدث ذلك، وكيف لا يمكن لكل من قطر واليمن القيام بدور أكثر وضوحاً وأكثر حزمًا لمصلحة إبدال التوجه نحو الحرب بالتوجه نحو الحوار؟ هذا ما يبدو في نظرنا لغزاً نحاول فك طلاسمه على أمل أن نفهمه... لكنه هو الآخر مثل اللغز العراقي - القطري يصطدم بكثرة المحاذير وعلامات الإستفهام والتعجب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 3 يناير (كانون الثاني) 2003

أخبار ملكية لافتة للإنتباه

من الأخبار الملكية اللافتة للإنتباه أن الملكة اليزابيث الثانية التي بلغت السادسة والسبعين من العمر إغتتمت الرسالة التقليدية التي توجهها لمناسبة عيد الميلاد إلى الشعب البريطاني ومنه إلى شعوب دول رابطة الكومنولث، لتقول فيها من جملة ما قالتها "إنني أطلع إلى مواصلة خدمتكم بكل ما أوتيت من قوة كل يوم وإن الطريقة الوحيدة التي أعيش بها حياتي هي محاولة أن أفعل الصواب...".

جاء كلام الملكة هذا في وقت كان العام 2002 واحداً من أربعة أعوام سيئة في حياة الأسرة المالكة خلال الربع القرن الماضي وتتميز بأن السطوح إمتلأت بالغسيل غير النظيف. وقد تعاون الزوج الأمير فيليب البالغ من العمر 81 سنة والإبن الأمير تشارلز والصحافة البريطانية بنوعيتها الرصين والأصفر على نشر هذا الغسيل الذي وصل إلى حد أن الصحف نشرت كلاماً للأمير فيليب يتهم فيه الأميرة دايانا بأنها كانت عاهرة، وأن أطرافاً أخرى تحدثت وعلى صفحات الصحف عن الأمير الأصغر هاري على أنه ليس ابن الأمير تشارلز وإنما هو نتاج علاقة محرمة بين دايانا وأحد ضباط القصر.

ما هو مهم في كلام الملكة الذي تزامن مع إستطلاع للرأي أظهر تراجعاً ملحوظاً في شعبية العائلة المالكة خلال العام 2002، توضيحها بأنها باقية في القمة وأنها لن تتنازل إلى ابنها ولي العهد الأمير تشارلز.

وما هو الأهم أن الملكة في صحة جيدة وأنها إذا كانت ستعمر على نحو والدتها فهذا معناه أن على الأمير تشارلز أن يسلم أمره إلى الله لأن من سيتولى بعد والدته سيكون ابنه الأمير وليام وليس هو المقيم حياً بكاميل باركر نقيضة داينا عمراً وشكلاً وإبتسامة وإطلالة على الناس.

ومن الأخبار الملكية أيضاً أن الملكة بياتريس ملكة هولندا حذرت في رسالة الميلاد شعبها بالقول "إن المجتمع الحديث يتجه نحو الدمار لأنه فقد ترابطه القديم ويبدو أنه يجد صعوبة في الإنسجام مع حالة ضياع الحقائق الثابتة..". وهذا التحذير متأخر كثيراً يا صاحبة الجلالة.

ومن الأخبار الملكية أيضاً أن أمبراطور اليابان أكيهيتو البالغ من العمر 69 سنة مصاب بـ "سرطان البروستات" وهذا معناه أن ما لن يناله الأمير تشارلز سيناله ولي العهد الياباني الذي في الوقت نفسه نرثي لحاله بسبب الوسواس الذي سيلزمه بعد الآن نتيجة أن جده توفي عام 1989 بسرطان الأمعاء الأمر الذي يعني أن هذا الخبيث ينتقل مثل الحكم الملكي بالوراثة. تمنياتنا لولي العهد الياباني بزوال الوسواس.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 4 يناير (كانون الثاني) 2003

بن علي ... وتوسيم أهل الطرب

يواصل الرئيس التونسي زين العابدين بن علي إرساء تقليد مستحب وغير مألوف في عالم الحكام عموماً والحكام العرب في شكل خاص. وهذا التقليد هو تكريم بعض نجوم الغناء العربي الكلاسيكي والشبابي، وذلك بمنح من يتم تكريمهم "الوسام الوطني للإستحقاق الثقافي". وحتى الآن فإن الذين تم تكريمهم كانوا من النوعية التي يليق بها التكريم التونسي الأمر الذي يعني أن ليس هنالك عشوائية أو محاباة في التوسيم.

قد يكون الدافع إلى هذا التقليد هو أن الرئيس بن

علي ذواقة طرب. كما قد يكون الدافع هو شعوره بأن مثل هذا التكريم يحقق لنجوم الطرب ما ينقصهم وهو "الإعتبار على مستوى القمة".. أي زيادة في التوضيح إن هؤلاء يكسبون من المال الكثير ولهم شعبية لأبأس بها، ولكن الذي يحتاج كل منهم له هو وسام يعلّقه هذا الحاكم أو ذاك على صدره فيتباهى بذلك ويشعر بأن نقلة معنوية نوعية تحققت له، فضلاً عن أن مرحلة ما بعد التوسيم تجعله من دون أن يعتمد ذلك أكثر حرصاً على أن يتأني في إختيار وأداء طربياته مادامت باتت هنالك عين رئاسية ترمقه.

والى ذلك إن هذا التوسيم يجعل نسبة الذوق الشعبي للطرب على درجة من الرقي، ويؤكد لجمهور هذا المطرب أو ذاك ولهذه المطربة أو تلك أن إعجابهم في محله مادام مطربهم أو مطربتهم باتت أو بات في قائمة الذين جرى تكريمهم بتوسيمهم من قبل رئيس الدولة.

وهذه المبادرة من جانب الرئيس زين العابدين بن علي ذات نكهة تراثية نستحضر في ضوئها ما كان يفعله الحكام العرب مع أهل الطرب وقارضي الشعر في أزمانهم.. مع فارق أن أولئك الحكام كانوا يعتمدون التكريم الدراهمي وكانوا يفعلون ذلك نتيجة مدح المطربين والشعراء لهم.

وفي الوقت الذي ننثي على مبادرة الرئيس بن علي فإننا نتمنى أن تصبح تقليداً عاماً يأخذ به معظم الحكام العرب وبذلك يساهمون في رفع نسبة الذوق الفني. كما أنهم بهذا التقليد يواكبون التقليد الآخر الذي إعتدته الأمم المتحدة بإختيار بعض الفنانين لكي يكونوا سفراء نوايا حميدة وهذا أرضى وجدان هؤلاء وبالمجان.

إلاً أننا في الوقت نفسه نستغرب كيف أن الرئيس بن علي لا يخطر في باله تكريم شريحة أخرى من شرائح الإبداع هم حملة الأقلام من أهل الفكر والصحافة.

وهذا الإغفال يجعلنا نفترض أن رئيسنا التونسي منحاز إلى أهل الطرب دون غيرهم. ومثل هذا الإعتقاد يقلل من وهج مبادرة التوسيم التي هي واحدة من ملامح الجانب غير السياسي من رئاسته التي ستتجدد للمرة الثالثة ... ومن دون معترضين أو منافسين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 5 يناير (كانون الثاني) 2003

النائب في لبنان ... مذكراً وموثقاً

لا بد أن قراء الصحف اللبنانيين وأولئك الذي يستمعون إلى نشرات الأخبار في الإذاعات اللبنانية أو يتابعونها عبر الفضائيات اللبنانية ذات الشعبية الملحوظة لدى المواطن العربي عموماً والخليجي بشكل خاص، يلاحظون كيف أن هذه الوسائل تستعمل كلمة "نائب" عند الإشارة إلى سيدتين تشغلان عضوية مجلس النواب اللبناني وهي بذلك تستعمل الكلمة عند ذكر إسميهما وصفتيهما تماماً على نحو إستعمالها عند ذكر أسماء الذكور من النواب. وهكذا فإن "النائب فلانة الفلانية"، و"النائب فلان الفلاني" واحد... لفظاً.

مثل هذا الأمر لا يحدث إلا في لبنان بسبب تقليد إستعمال كلمة نائب بدل "عضو مجلس الشعب" أو "عضو مجلس الأمة" كما الحال لدى آخرين، وليس لأنه الوحيد الذي في برلمان ثلاث سيدات هن بهية الحريري التي إختارها شقيقها الرئيس رفيق الحريري لإشغال مقعد الأسرة الحربية عن مدينة صيدا لكي يشغل هو زعامة العاصمة بيروت بنتيجة فاز بكل أعضائها من بينهم الدكتورة غنوة جلول متعمداً إنجاحها لإسقاط الدكتور سليم الحص جزاء معارضته له، ونائلة معوض أرملة رينيه معوض الذي ما أن تم إنتخابه رئيساً للجمهورية يوم الأحد 5 نوفمبر/ تشرين الثاني 1989 ولقي الإنتخاب تهنئة كثيرة التميز من جانب الملك فهد بن عبد العزيز ذلك أنها كانت عبارة عن بيان لخدام الحرمين الشريفين قطعت الإذاعات السعودية برامجها العادية لبثه، حتى بدأ العد العكسي لدى قاتليه لإنهاء حياة هذا الرجل الذي كان الثمرة الرئاسية الأولى لإتفاق الطائف الذي رعت القيادة السعودية إجتماعاته على مدى شهر كامل إلى أن تم التوصل إلى الإتفاق. وكان إغتيال الرئيس الأول لـ "الطائف" مأسوفاً كثير الأسف عليه يوم الأربعاء 22 نوفمبر 1989 ومباشرة بعد إنتهاء مراسم إحتفال متواضع أقيم في القصر الحكومي لمناسبة ذكرى إستقلال لبنان، وحُدث على مسافة أمتار من القصر وبواسطة تفجير غرفة ملغومة بمئتين وخمسين كيلوغراماً من المتفجرات لمجرد وصول الموكب الرئاسي قرب الغرفة، فتناثر جسد الرئيس ولم يتسن التعرف إليه إلا من بعض مقتنياته الشخصية، وقضى معه 23 شخصاً بين حراس ومرافقين. لعن الله الفاعل والمعرض.

توضيحاً للذين يستوقفهم تذكير صفة المؤنث ومساواتها بتذكير صفة المذكر أي القول "النائب بهية الحريري" أو "النائب نائلة معوض" أو "النائب غنوة جلول" نفيد بأن السبب هو لتقادي إستعمال صفة التأنيث بحيث تصبح "النائبة فلانة" وهي صفة ذات معنى فطيع لأن "النائبة" في لغتنا الجميلة تعني "المصيبة" وجمعها نواب. وبالنسبة إلى السيدات النواب بهية الحريري ونائلة معوض وغنوة جلول فإنهن وردت في المجتمع البرلماني اللبناني. ولأن الشوك رفيق الوردة فإن أشواك تلك الوردات في بعض المناسبات التي تستوجب إتخاذ مواقف أو تسجيل نقد أو الإعتراض على خطة، تأتي من النوع الذي يدمي.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 7 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

فلوريدا مستنسخة الرئيس ... و"حواء"

من غرائب الصدف أن ولاية فلوريدا الأميركية التي بفضلها أمكن إستتساخ جورج بوش الابن رئيساً للولايات المتحدة وفي حياة والده الرئيس الأسبق جورج بوش، هي التي إنطلقت منها "البشري" غير السارة على الإطلاق وهي نجاح إستيلاد أول طفلة مستنسخة في التاريخ هي الطفلة "حواء".

ومن المفارقات التي تلفت الإنتباه أن الحرب التي يصير الرئيس بوش الابن على خوضها ضد العراق بمثابة إستتساخ للحرب التي أدارها والده بهمة الدول الحليفة والصديقة عام 1991.

ومن هنا نجد أنفسنا وقد دخلنا مع القرن الواحد والعشرين العصر الإستتساخي وقانا الله من ويلاته، وبالذات من ويلات ظاهرة الإستتساخ البشري، نتمنى ألا نصاب بالمكروه الناشئ عن هذا "الفيرس" الذي يسيء إلى الدين ويحاول نسف قاعدة النشوء والخلق التي أرادها الله سبحانه وتعالى والتي بفضلها نولد ونعيش ونموت.

وهذه الظاهرة لا تختلف كثيراً عن بعض مضامين العقيدة الماركسية بالنسبة إلى الأديان وكيف أن إستهانة هذه العقيدة بالدين وعرس مفاهيم الإلحاد في نفوس جماهيرها، جعلت الأنظمة التي تعتقد هذه العقيدة تهتز ثم تتصدع ثم ينهار البنيان ويتناثر كالأشلاء الناشئة عن إنفجار هائل.

والخشية من أن نصاب بمكروه سببها أن البعض منا شغوفون بالتقليد وسرعة إستيراد العادات والتقاليد والمآكل والألبسة وأسلوب العيش. وبما أن الإستتساخ هو ظاهرة جديدة فإن البعض الذي نشير إلى أفرادها أو بعض البعض من هؤلاء، وبالذات من هم على درجة عالية من الإقتدار المالي، قد يقرروا خفية الأخذ بمبدأ الإستتساخ متجاوزين في ذلك القاعدة الإلهية التي تقوم على الحياة الدنيا والحياة الآخرة وعلى أن الإنسان يولد مرة واحدة ويتوفاه الله مرة واحدة وتنقل الروح إلى باربيها... وعدا ذلك هو مخالفه لنا موس الطبيعة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 8 يناير (كانون الثاني) 2003

كتاب زوجة كوفي أنان (1)

من الأخبار التي لها علاقة بالأمم المتحدة أن زوجة الأمين العام المسز ناني أنان، وهي محامية ورسامة سويدية، أصدرت كتاباً جديداً هو الثاني لها ويحمل إسم "مغامرات قطرتي ماء". وكان كتابها الأول بعنوان "الأمم المتحدة ... إتبعني" وتروي فيه مسز أنان بصفة كونها "السيدة الأولى في العالم" رحلاتها مع زوجها كوفي أنان.

في التفاصيل أن الكتاب الجديد يتحدث عن أهمية المياه بدءاً من قطرة تتجمع لتصبح أنهاراً في ري الحقول وفي إقامة السدود أمثال سد أسوان الذي هدد أحد ضباع السياسة في إسرائيل بتدميره إنتقاماً من مصر التي لا تتحمس للتطبيع على نحو حماس أهل الحُكم في قطر له، ثم كرر هذا الضبع الذي إسمه ليبرمان ما هو أخطر وذلك عندما دعا إلى تدمير قصر رئاسة الجمهورية في سوريا.. ومن دون أن يوضح ما إذا كان يريد أن يتم قصف القصر على من فيه وبأي نوع من الطائرات الأميركية أو الصواريخ الأميركية الصنع التي تحصل عليها الدولة العبرية بالمجان. ألا لعن الله مثل هكذا رجال دولة يتباهى المتصهينون في الإدارة الأميركية بأنها دولة الديمقراطية والأفكار المستتيرة من نوع فكرة تدمير سد أسوان الذي بناه جمال عبد الناصر كي لا تعطش مصر، وقصر رئاسة الجمهورية السورية لأن سيد هذا القصر الدكتور بشّار الأسد يقول دائماً كلمة الحق وهي أن الدولة العبرية شعباً وحكومة هما رمز

للعنصرية ، ولأن سيد هذا القصر ورث عن والده إعتبار السلام خياراً إستراتيجياً وعلى أساس إذعان إسرائيل لقرارات مجلس الأمن، ولأن سيد هذا القصر يدعم المقاومة في لبنان التي تريد تحرير ما تبقى من الأرض المحتلة من قبل إسرائيل، ولأنه يساند الفصائل الفلسطينية إنما في إطار تنفيذ القرارات الدولية التي تُحقق قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

كتاب مسز أنان من حيث فكرته جيد وتستحق الشكر على هذا الإهتمام خصوصاً أن صدور الكتاب الذي يتألف من 63 صفحة يتزامن مع عام الأمم المتحدة الدولي للمياه العذبة الذي يؤكد على وجود نقص في مياه الشرب وتلوث الأنهار والجداول.

لكن ما دامت مسز أنان كاتبة وفي الوقت نفسه محامية ورسامة فهذا يعني أنها قادرة، إن هي أرادت، على أن تسجل بكتاب مماثل مآسي أطفال في بقاع شتى من العالم وضعته السياسة الأميركية في موقع المحتاج إلى الغذاء، المحروم من الرعاية الصحية، الممنوع عليه العلم.. هذا إلى جانب الخوف الذي يلزم هؤلاء الأطفال على مدار الساعة والهلع الآخر لدى الأمهات اللواتي لا قدرة لهنّ على حماية الأطفال من شبح الجوع والمرض.

وللكلام بقية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 9 يناير (كانون الثاني) 2003

كتاب زوجة كوفي أنان (2)

في إستطاعة مسز أنان مادامت محامية أن تكون أدري بحق الإنسان في الحد الأدنى من العيش الكريم والحد الأدنى من الطمأنينة والحد الأدنى من السلامة. وفي إستطاعتها ما دامت رسامة أن تضع بريشتها على الورق أفضل رسم صارخ يجسد مأساة الشريحة البائسة من أطفال العالم نتيجة الظلم الأميركي. وفي إستطاعة مسز أنان ما دامت كاتبة أن تبتكر أفضل العبارات التي يستشف القارئ من سطورها بشاعة الظلم الذي يحدث في عصر التطور العلمي المذهل. وفي إستطاعة مسز أنان ما دامت قادرة على أن تجوب كل دول العالم أن تصل إلى كهوف جبال "تورا بورا" في أفغانستان، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين في غزة، ومناطق الضفة الغربية ولبنان، وبيوت فقراء

العراق وكذلك المستوصفات والمستشفيات التي يزوي فيها الأطفال كالشموع من وطأة المرض الناشئ عن الحصار وفقدان الرعاية الصحية وندرة الأدوية. وهي قادرة إذا أرادت وهذا حق لها ما دامت ترافق زوجها في المهمات التي يقوم بها، ولن يسألها أحد لماذا تُكثر من هذه الأسفار لأن التقليد الدولي المتعارف عليه من الرئيس بوش إلى رئيس الصين إلى بقية حكام العالم عدا إستثناءات حيث لا ترافق الزوجات الأزواج بشكل علني ورسمي، هو أن يصطحب المسؤول الكبير زوجته معه إما للتبضع، وإما لمقتضيات البروتوكول، وإما للرعاية الصحية، وإما لأنها تواقعة لتدق أبهة الحُكم وكيف أن زوجات كبار حكام العالم يقمن على خير وجه بواجب الإستضافة لها.

ما نقصده من هذا الكلام هو أن الكتاب الذي من واجب مسز أنان أن تؤلفه ولن يكون مغفوراً لها أنها للحيثيات التي أوردناها لا تؤلفه هو الكتاب الذي تقول فيه بالكلمة والريشة والمشاعر الصادقة أي عذاب يعيشه بضعة ملايين من أطفال العرب والمسلمين ومن دون أن تكون مضطرة لمسايرة الظلم الأميركي على نحو مسايرة زوجها لهذا الظلم. وهذه على سبيل المثال زوجة رئيس البنك الأوروبي غريتا دوينبرغ التي سجلت احتجاجاً تاريخياً تمثل بتعليق علم فلسطين على شرفة منزلها في أمستردام ولم تتراجع عن ذلك رغم تصاعد وتيرة الإبتزاز الإسرائيلي وما يرافق عادة هذا الإبتزاز من تهديدات. وهي مثلها من شمال أوروبا.

هل ستؤلف مسز أنان الكتاب الذي نشير إليه وتلقى بذلك إمتنان بضعة ملايين من أطفال العالم، أم أنها ستبقى أسير إعتبارات من بينها أن "السيدة العالمية الأولى" مثل زوجها "السيد العالمي الأول" يتصرفان كرد فعل لما تراه الإدارة الأميركية وغير مصرح لهما بالمبادرة ... وبحيث يكون كل منهما سيد نفسه المتأثر بما يفرضه ضميره وتمليه مشاعره.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 10 يناير (كانون الثاني) 2003

الحرب ... حشوداً وأشاوس وإحتمالات

من يتأمل في هذه الحشود الأميركية - البريطانية

التي ملأت البر حتى ضاق بها إضافة إلى ملء مياه خليجنا ومياهنا الإقليمية في البحرين الأحمر والأبيض المتوسط حاملات طائرات وزوارق طوربيد وخلاف مستلزمات العدوان ... من يتأمل في هذه الحشود يجد نفسه يتساءل: من أجل من هذه الحشود؟

هل إنها من أجل مواجهة قوات الحرس الجمهوري في العراق، وهذا معيب بالشأن العسكري للدولتين الغازيتين لأن معنى ذلك أن الأشاوس في هذا الحرس هم صناديد يحتاج الواحد منهم السلاح برشاش سريع الطلقات إلى بضعة "مارينز" وبضعة طيارين وبضعة كوماندوس.

وهل إنها من أجل مواجهة قوات الجيش العراقي العادي بينما تجربة حرب بوش الأب على رأس دول التحالف عام 1991 تؤكد أن الأمر لا يستدعي مثل كل هذه الحشود؟

الموجب الوحيد لمثل هذا التحشيد البري والجوي والبحري الهائل، هو أن حرب بوش الابن ستكون مخاطرة من جانب جيش دولة "النظام العالمي الجديد" ومغامرة غير مأمونة العواقب على الإطلاق على إفتراض أن من سيواجه هذه الحشود الهائلة هم ثمانية عشر مليون عراقي من الرجال والنساء والأطفال، وأن الحرب على هذا الأساس والتي سيدير عملياتها من على أرض الدولة العربية ذات النخوة بشأ فضائياً "جزيرياً" أو إستضافة "عديدة" الجنرال الأميركي من أصل لبناني جون أبو زيد تدليلاً من جانب المحب بوش الابن على الجانب "العروبي" من الحرب، بمعنى أنها لن تكون فقط قصفاً بقنابل زنة الألف كيلو غرام التي ملا دكانها وضجيجها سفوح جبال تورا بورا في أفغانستان وهضاب تلك الجبال، ومن دون التمكن من العثور على أسامة بن لادن حياً أو ميتاً ومقابل بضعة ملايين من الدولارات لمن يقدم رأس هذا المشاكس للآبهة الأميركية على طبق من عيدان شتلات الأفيون الأفغاني المحبب للجنود الأميركيين والإنكليز والألمان الذين يحافظون على أمن البلاد ولا يتحقق هذا الأمن على نحو ما تقتضيه الأصول الأمنية.

يبقى التفسير المنطقي لهذه الحشود، وهو أن الحرب الوارد حدوثها.. إلا إذا حدثت المعجزة التي كان طارق عزيز نائب رئيس الوزراء في العراق أول من أوردها كإحتمال، هي حرب إستيطان، وأن جنود العم سام الأميركيين والعم جورج البريطاني سيمضون بقية الشتاء في ربوعنا ثم يتم إستبدالهم بأفواج أخرى..

وتستمر الحال على هذا المنوال بضعة أشهر أو بضع سنوات أو بضعة عقود. والله أعلم .

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 11 يناير (كانون الثاني) 2003

الكلمة لـ "الشَّيَاب" ... بعد نصف قرن

من الإستنتاجات الإحصائية التي توصَّل إليها المكتب الإقليمي للأمم المتحدة في القاهرة أن عدد الكبار في السن في العالم سيزداد حوالى أربعة أضعاف بحيث يصبح عددهم بليون نسمة في العام 2050 بدلاً من 600 مليون كما هي الحال الآن. وإستناداً إلى الإحصاءات فإن "الشَّيَاب" العرب تصل نسبتهم مجتمعين إلى 4 في المئة من عدد السكان البالغ عددهم 328 مليوناً و815 ألفاً و202 نسمة. إستناداً إلى الإحصاءات أيضاً فإن لبنان يتقدم ومعه تونس على بقية الدول الشقيقة حيث تصل نسبة الشيخوخة في لبنان إلى 7 في المئة من أصل عدد السكان البالغ ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة. وتصل نسبة "الشَّيَاب" في تونس إلى 6 في المئة من عدد السكان البالغ تسعة ملايين نسمة. أما بقية الدول فإن الوضع "الشَّيَابي" هو على النحو الآتي: المغرب وموريتانيا حوالى 5 في المئة. مصر والجزائر واليمن وليبيا حوالى 4 في المئة. العراق وسوريا وفلسطين والأردن والبحرين وسلطنة عُمان وقطر حوالى 3 في المئة. السعودية والكويت والإمارات وجيبوتي حوالى 2 في المئة.

هذا التفاوت في النسبة له علاقة بالتنمية والرعاية الصحية فضلاً عن حيوية ملحوظة على صعيد التنازل لدى البعض وكسل ملحوظ أو إضطرابي لدى البعض الآخر.

لسنا من الجيل الذي يمكن أن يحكم على "أمة الشَّيَاب" لأن العمر لا يسمح، لكننا في ضوء واقع الحال الذي نعيشه نفترض أن الظاهرة ليست سيئة في أي حال بالنسبة إلى الحُكم والحكام وذلك لأن حُكم "الشَّيَاب" معناه حُكم أصحاب التجربة ورجحان العقل والنأي عن المغامرات فضلاً عن أن "الشَّيَاب" لا يمكن أن يأخذوا بصيغة الانقلابات العسكرية التي طالما أشبعت الأمة إيلاماً جسدياً وفكرياً ونفسياً.

والأهم من هذا كله هو أن "الشَّيَاب" قد يرون إنشاء

مجالس شورى ومجالس شيوخ ومجالس أعيان أعضاءها ممّن هم دون الثلاثين، أي نقيض ما هو حاصل في أيامنا هذه. ولن يكون العثور على هؤلاء الأعضاء يسيراً ما دامت أمتنا في شخصيتها العامة ستكون "أمة الشَّيَاب".

وما نكتبه مجرد خواطر لها صفة التأمل.. فمعذرة إن كان الكلام يتسم بالكثير من المفردات الإفتراضية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 12 يناير (كانون الثاني) 2003

إقتراح برسم أمير الشباب والرياضة

نقترح على إخواننا لاعبي فريق كرة القدم الفلسطيني الذين منعهم السلطات الشارونية من السفر إلى عروس البحر الأحمر للمشاركة في بطولة الأندية العربية من 17 يناير/كانون الثاني إلى 2 فبراير/شباط 2003 أن يرفعوا شكوى إلى المرجعية الدولية لكرة القدم ويلحوا عليها في التسريع في إجراءات الشكوى مطالبين بإزالة العقوبات بها، ومنها في الحد الأدنى المعاملة بالمثل.. أي بما معناه عدم السماح للمنتخب الإسرائيلي بالمشاركة في أي بطولات دولية ورفع البطاقة المستخنة أن تكون سوداء في وجه المسؤول عن الرياضة في إسرائيل لأنه إرتضى التصرف الشاروني الأرعن وتعامل معه بروح رياضية مع أن الذي جرى يستوجب روحاً غير رياضية على الإطلاق. قد تكون تسمية الفريق الفلسطيني المجاهد في ميدان الرياضة وهي "فريق الأقصى" أحد أسباب المنع لكثرة ما تنشر كرمز الغضب في نفوس الشارونيين، وتجعلهم يذكرون دوماً ما فعله كبيرهم الذي علّمهم القتل والتدمير والتجريف عندما دنّس باحة المسجد الأقصى وكيف أن هذا التدنيس أشعل "إنتفاضة الأقصى"، المستمرة بإذن الله إلى أن يهتدي الإسرائيليون حكومة وشعباً وعمقاً أميركياً وتقهماً قَطريراً بنكهة "جزيرية" إلى سواء سبيل العملية السلمية التي تحقق الحد الأدنى من الطمأنينة للجميع، هدياً برؤية الأمير عبدالله بن عبد العزيز التي باتت مبادرة العرب والمسلمين على حد سواء وإن تفاوتت القراءة لها بعض الشيء.

ونقول إن التسمية قد تكون وراء المنع على أساس أن كروبيي "الأقصى" سيكونون قريبين من الحرم

يمالون من روحانية أجوائه ما يجعلهم يزدادون إيماناً بحقهم وقضيتهم، وهذا ما تحاربه الشارونية بشتى الوسائل.

لا مجال للإكثار من التفسيرات. فالمانع حكومة خارجة على كل الأصول تخشى حتى من أقدام لاعبي "الأقصى" ولا تريد لهم أي تواصل مع رفاقهم لاعبي فرق الأندية العربية. والدعوى التي نقترح أن تكون بمثابة الرد هي أقل ما يمكن إعتماده. والفكرة - الإقتراح برسم أمير الشباب والرياضة والثقافة سلطان بن فهد بن عبد العزيز إذا هو أخذ على عاتقه أمر تكاليف المقاضاة... وبمساهمة رمزية أو أكثر من جانب كل الفرق العربية المشاركة في الدورة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 13 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

يا بقية الهوائ عرباً وأجانب.. قليلاً من التأمل

جريتاً دوينرنبرج. هذه سيدة أوروبية تقترب يوماً بعد آخر من دخول التاريخ المضيء للمرأة في العالم. وبكل جدارة يحدث ذلك. رأسمال هذه السيدة لدخول التاريخ المضيء والإستحواذ على صفحة بهية من صفحاته ضمير حب وشجاعة ملحوظة وإيمان بالخير يقابله كفر بالظلم والظالمين وإنصاف للمظلومين. وهي بعدما كانت في ذروة العدوان الشاروني على الشعب الفلسطيني وما فعله الضباغ الصغار في الحُكم الشاروني بمخيم جنين ومن قبل ذلك بمئات البيوت التي تم تدميرها وألوف أشجار الزيتون والبرتقال التي تم إقتلاعها وعشرات الفتية والأطفال التي جرى إغتيالهم وحالات الحصار التي لم يسلم من جرائمها أحد وشملت حتى كنيسة المهد في بيت لحم... هي في ضوء من الإنتهاكات والإعتداءات وغيرها كثير قررت أن تحتج على طريقتها فحصلت على علم فلسطين وعلقته على شرفة منزلها في أمستردام ومن دون أن يستوقفها أن زوجها هو رئيس البنك المركزي الأوروبي الذي تخضع كل عملات دول القارة المنتسبة إلى الإتحاد لرقابته وإدارته وتقييمه. وبعدها بدأ الغضب الصهيوني عليها تمسكت بموقفها وإحترم زوجها هذا الخيار من جانبها فإزداد الغضب الصهيوني عليها. ولم تكتف بذلك وإنما زارت أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية يرافقتها وفد

يضم سيدة عضواً في البرلمان الهولندي وأدلت خلال زيارتها بتصريح للتلفزيون الهولندي وصفت فيه أحدث العمليات الإستشهادية التي جرت في قلب تل أبيب بأنها حالة دفاع عن الشرف. ثم زارت الرئيس ياسر عرفات في بقايا مقره الرئاسي وطلبت أخذ صورة تذكارية معه وهي تشد على يده مؤازرة.

من الطبيعي أن تزداد حدة الغضب الصهيوني ومن الطبيعي أن يتم البحث عن أي ثغرة للتجريح بهذه السيدة. وعندما لم يجد المتجنون مبتغاهم أثاروا مع الحكومة الهولندية مسألة أن السيدة المغضوب عليها إستعملت في زياراتها إلى أراضي السلطة الوطنية الفلسطينية جواز السفر الدبلوماسي الممنوح لها بصفة كونها زوجة رئيس البنك الأوروبي. وردّ الزوج بالقول إن زوجته تحمل هذا الجواز منذ سبع عشرة سنة دون أن يثير أحد هذا الأمر. لن يهدأ الصهاينة وستتواصل المطاردة المعنوية والنفسية لهذه السيدة التي سجلت بما فعلته أمثلة لبقية الهوانم العرب والأجانب بالذات لورا بوش وشيري بلير وهي سائرة بالثبات نحو المكانة اللائقة والمضيئة للمرأة في العالم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 14 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

عبد العزيز المؤسس وعبد العزيز الحفيد وعبد العزيز الشيخ الجليل

شاءت محاسن الصدف أن ألتقي للمرة الأولى بالأمر عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز وكان اللقاء في مجلس من كتب ووثق بقلم مداده من قلب يخفق حباً ووجدان يفيض إعترافاً عن الذي أسس ووحّد... الملك عبد العزيز رحمة الله عليه.

كان اللقاء مساء يوم الأحد الحادي عشر من يناير/ كانون الثاني 2003، وكنا مجموعة من الكتاب والشعراء وأهل القلم في زيارة للشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري نتبسط الحديث في الكلام المفعم إخلاصاً ومعانة الذي سمعناه نحن الذين نشارك في الدورة الثامنة عشرة لمهرجان الثقافة والتراث "الجنادرية" من وليّ العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز خلال إستقبال سموه لضيوف جنادرته المتألقة في قصره العامر. وقد خفف كلام الأمير من مشاعر الإحباط

وثقل الهواجس التي أصابتنا نحن حملة الأعلام كما أصابت عموم أبناء الأمة.

وفي كل مرة نلتقي بشيخنا الجليل أبو عبد المحسن - أطال الله عمره وأبقى على فكره ورؤاه - تخفف ما يمكن تخفيفه من الآلام التي تعصف بالنفوس فتوهن الجسد، لا بد من إستحضار سيرة عبد العزيز المؤسس وكيف أنه رأى قبل نصف قرن ما يمكن أن يصيبنا إذا نحن لم نحسن السلوك سياسياً وإجتماعياً، قومياً ودينياً. كما أننا نسمع من شيخنا الجليل الكثير مما يصلح أمثولات للأجيال.

فجأة يدخل مجلس عبد العزيز الشيخ الجليل والموثق الأمين لعبد العزيز المؤجد والمؤسس عبد العزيز بن فهد بقامته المديدة وإبتسامته العفوية محياً بأدب من والده فهد بن عبد العزيز الشيخ الجليل وسائر الحاضرين بادياً بعد التحية تقيماً من جانبه كحفيد للدور المخلص للشيخ عبد العزيز ولما أنجزه، وهو تقيم أفرحنا لأنه جاء يدعم نظرتنا كحملة أعلام إلى الشيخ الجليل. وعندما واصل عبد العزيز الحفيد الحديث عن الموقف الدقيق الذي تعيشه الأمة وجدت أنا الذي كنت أتابع ما يقوله كصحافي وكاتب يتأمل في قدرات الجيل السعودي الثالث، ما يقوله عبد العزيز الحفيد في مناسبات، إننا أمام أمير واعد ومتحدث جيد بما يجري في العالم بسببنا أو طمعاً بنا.

وبعد مغادرة عبد العزيز الحفيد الدار التوجيهية وجدنا عبد العزيز الشيخ الجليل كمن سيتذكر بداية معرفته بعبد العزيز المجاهد المؤسس المؤجد قبل ستين عاماً وكيف أن القوى الكبرى لو أخذت برؤيته لما كانت الحال على ما هي عليه في أيامنا هذه.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 15 يناير (كانون الثاني) 2003

مفاجأة ينايرية... من مبارك والبشير

من المبادرات التي تلفت الإنتباه بالنسبة إلى مصر والسودان اللتين ينطبق عليهما قول "الزول" عثمان هاتفاً خلال تظاهرة لمصلحة الأخوة المصرية - السودانية في أحد شوارع القاهرة مصر والسودان حثة واحدة، أن الرئيس حسني مبارك قرر إعتبار السابع من يناير الذي يحتفل به الأقباط بعيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام يوم عطلة رسمية للمسيحيين

والمسلمين على حد سواء. وهذا الأمر يحدث للمرة الأولى في مصر ومن المؤكد أنه لقي الصدى الطيب في نفوس أقباط مصر. لكن المهم هو أن ينتبه إلى ذلك أولئك الأقباط المنتشرون في أميركا وكندا وبعض الدول الأجنبية الذين يشجعون وسائل إعلام في ديار الإغتراب غير مُحبة لمصر وللعرب عموماً على نشر بعض الكتابات التي تتسم بالإفتراء وتغيض في الحديث عن حقوق مهضومة للأقباط في مصر.

كما أن مبادرة الرئيس مبارك تبدو في بعض جوانبها نوعاً من التكريم لبطريك الطائفة شنودة الذي يذكره المصريون مسلمين ومسيحيين بالخير للدور الذي يقوم به على صعيد تمتين الوحدة الوطنية من جهة وإسقاط ذرائع التشدد في بعض الأحيان، وبالذات عندما تقع حوادث مؤسفة يذهب ضحيتها بعض الأشخاص، وعلى صعيد الصمود في مقاومة التطبيع مع إسرائيل وإصراره على أن أقباط مصر لن يزوروا القدس ويحجوا إلى مهد المسيح إلا بعد أن يزول الإحتلال وتقوم دولة فلسطين وعاصمتها القدس. وهذا الموقف من جانبه ليس فقط شكّل صيانة للسمعة الوطنية لبني قومه وإنما تسبب بالخلج لمصريين مسلمين كادت إجتهدات الرئيس (الراحل) أنور السادات تغريهم بالإقبال على التطبيع.

هذا على الصعيد المصري. أما على الصعيد السوداني فإن الرئيس عمر حسن البشير قرر أن يكون الإحتفال بأعياد الإستقلال، التي تصادف مطلع يناير من كل عام، لهذه السنة في مدينة ملكال (جنوب السودان). وهذه المبادرة لها أهمية مزدوجة، ذلك أن الجنوب مسيحي ووثني في أكثرية سكانه وأراد البشير دحض إفتراءات المفترين بأن حُكمه هو ضد الجنوب لأنه مسيحي. وهل أفضل من الإحتفال بعد الإستقلال على أرض الجنوب كدحض للإفتراءات.

وكان الإحتفال العفوي، الذي شارك فيه وفد مصري مرموق، الرد المناسب على أباطيل أجنبية تصب في موجة إنفصال الجنوب لأنه مسيحي عن الشمال لأنه مسلم.

ما أحوجنا إلى هذه المبادرات ... وبالذات في ساعات الشدة وهجمة المراهنين على الكيانات الموحدّة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 16 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

"رالي الثوريين"... وترقية الديمقراطية

بعد إجتماع عقده في الخرطوم يوم الأحد 12 يناير الجاري (2003) واستغرق يومين من المحادثات التي تستهدف التعاون الإقتصادي والتبادل التجاري والتنسيق السياسي والأمني ومحاربة الإرهاب في القرن الأفريقي، أكد وزراء خارجية السودان وأثيوبيا واليمن التزامهم "ترقية الديمقراطية وحقوق الإنسان ومحاربة كل أنواع الإرهاب...". وبدأ بيانهم في هذا الشأن بمثابة عزف في سمفونية مكافحة الإرهاب متزامنة مع جولة بدأها قائد الوحدة الأميركية في القرن الأفريقي الجنرال جون سانلر لشرح الحملة التي تقودها بلاده في مواجهة الإرهاب وشملت الجولة ثوريي القرن الأفريقي الذين تأمركو فوجاً بعد فوج وبدرجات متفاوتة، بمعنى أن أريتريا واليمن من الدرجة الأولى وأن السودان وأثيوبيا من الدرجة التي هي أكثر من الثانية وأقل من الأولى. ليس هذا هو المهم. فالتأمرك بات موضحة ثورية ويات هنالك ما يجوز إعتباره "رالي الثوريين العرب والأفارقة" الذي يفوز به كثيراً من يسرع الخطى أكثر. وهذا على سبيل المثال ما لا نزال نلمسه من إخواننا في اليمن وكيف أن وزير خارجيته أبوبكر القربي قال من باب التوضيح فقط "إن أحد أسباب قيام التجمع السوداني-اليمني الأثيوبي هو الحد من الوجود الأجنبي في المنطقة والتعاون والتنسيق من أجل محاربة الإرهاب وأنه لا مانع من التعاون مع أميركا ما دام يحقق الإستقرار ولكن لا يمكن أن نقبل بوجود قوات أجنبية في بلادنا من دون أن نقرر نحن ذلك...".

نشكر لرئيس الدبلوماسية اليمنية توضيحه الذي يخالف تماماً واقع الحال. ونشكر للوزيرين الآخرين مصطفى عثمان إسماعيل رئيس الدبلوماسية السودانية وسيوم مسفن رئيس الدبلوماسية الأثيوبية مفاجأتهم ذات المدلول المتعلقة بالالتزام بـ "ترقية الديمقراطية وحقوق الإنسان" وإن كان المرء يحار في أمر الغرض من هذا القول بمعنى هل سيجعلون الديمقراطية راقية في بلادهم أو أنهم سيرفعون درجتها قليلاً لكي تتلزم

نتمنى للرؤاى العربي الكبير نجيب محفوظ التعافي وبأن يتجاوز أدينا السبعيني الإنتكاسة الصحية ويستعيد عافيته وينضم إلى بقية "النوبليين" الذين لم يمنع حصولهم على جائزة "نوبل" دون أن يقولوا رأيهم في هذا الذي يفعله بالعالم هؤلاء الكواسر في الإدارة الأميركية، وكيف تلاعبوا برئاسة جورج بوش الابن الذي كان مؤملاً أن تشكل نقطة تحول في السياسة الأميركية بحيث يتم في عهده إنحسار التوتر في العالم وإيجاد حلول جذرية للقضايا العالقة وأهمها على الإطلاق القضية الفلسطينية التي أعادها الكواسر، وبعضهم على درجة من التصهين تتطبق عليها قاعدة "متصهين أكثر من الصهانية"، إلى ما قبل نقطة الصفر بدرجة واحدة لا أكثر.

وتقييم حملة جائزة "نوبل" لسياسة الرئيس بوش الابن مهمة من حيث أن إدانة هؤلاء لهذه السياسة تأتي من جانب من هم نموذج للفكر والإبداع وليسوا من الفئة التي تقرر مواقفها في ضوء المصلحة والمكاسب.

وخلال الشهرين الماضيين سجل بضعة ألوف من الأكاديميين وأساتذة الجامعات والفنانين والشعراء ومن بينهم شاعر البلاط الإنكليزي مواقف إزاء السياسة الأميركية بالنسبة الى موضوع الحرب على العراق. وكان ذلك في سياق محاولة فكرية وإبداعية مخلصة لمواجهة التصرفات الشريرة بالأفكار التي تخدم الإنسانية.

ويوم الخميس 16 يناير الجاري انضم كاتب ألماني مرموق إلى قافلة الخير الدولية التي تناهض الحرب هو غونتر غراس الحائز على جائزة "نوبل" للأدب الذي قال لـ "وكالة الأنباء الألمانية" إن السياسة الأميركية الحالية تمارس النفاق والعجرفة وإن الغرض من الحرب هو الحصول على النفط العراقي "موضحاً أن تجاربه الشخصية تؤكد له بأن الحرب ضد العراق سوف تتبعها حروب أخرى ويتوجب على الشعب الألماني أن يتعلم من تاريخه ومسوونيته عن الحروب كي يرفض الإنجرار وراء هذه العنيفة المسماة حرباً... مزيداً من الإستتكار يا أهل الفكر والإبداع. فإذا كان القلم لن يمنع الحرب فإنه على الأقل يسجل الإدانة سلفاً لها... وهذا ما يفرضه الضمير الحي والمفكر بريء من لعبة السياسة ولاعبيها...

مع الأمركة وبحيث يسود الإنطباع بأن "رالي الثوريين" في الاتجاه الأميركي يأتي في سياق "الديمقراطية الراقية" أو "التي صارت راقية" .. أو التي كانت من الفئة العشرين وباتت من الفئة العاشرة... وبذلك يصبح القول برفض وجود قوات أميركية "من دون أن نقرر نحن ذلك.." أمراً مبرراً. ومثل هذا القرار ليس بالصعوبة التي قد يظنها البعض.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 18 يناير (كانون الثاني) 2003

الخلايا النائمة...

والغرف الملكية الواقية (1)

في مقدور وزراء الداخلية العرب وبمبادرة من وزير الداخلية السعودي الأمير نايف بن عبدالعزيز بلورة رؤية لتصافي القلوب العربية التي لا يجوز أن تبقى على ما هي عليه من مرارة في نفوس البعض وحذر في نفوس آخرين.

وما يمكن قوله في هذا الصدد هو أن وزراء أمن الأمة الداخلي مطالبون باعتبار أنفسهم شركاء أكثر من أي زمن مضى في الأمن الخارجي للأمة وأن ما تقرر خلال انعقاد القمة العربية الدورية الثانية في بيروت في مارس من العام الماضي والقاضي برفض أي تهديد أو عدوان على أي دولة عربية يعينهم كما يعني وزراء الدفاع. فالخطر على الأبواب الخارجية للقلعة العربية وإذا سقط باب من هذه الأبواب يتلاحق تداعي بقية الأبواب.

صحيح أن الخلايا النائمة مبعث قلق إلا أن هذه لا تشكّل الخطر الذي يشكّله الاجتياح الأميركي في حال لم يستوعب أو لم يتقبل الرئيس جورج بوش الابن النوايا العربية والإسلامية الطيبة وعلى نحو ما أشار إليها بكل النقاء والوضوح ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز في كلامه أمام المشاركين في الجندارية الثامنة عشرة وهي الأولى التي تنعقد تحت ظلال الهموم الأثقل في السنوات العشر الأخيرة.

ومن باب المصادفة أنه في الوقت الذي تأهب فيه وزراء الداخلية العرب والذين هم الأكثر إنسجاماً وتعاوناً بين بقية زملائهم وزراء الحكومات العربية وذلك لأن الأمن الداخلي يجعل القلوب المتجايفة

تصفو عند اللقاء وإتخاذ القرارات... إنه من باب المصادفة أن تكون العائلة المالكة في بريطانيا قد قررت إقامة ملجأين داخل قصر "وند سور" وقصر "بكنجهام" يتضمنان غرفاً آمنة لحماية الأسرة المالكة من هجوم إرهابي محتمل. وفي اعتقاد صانعي هذه الغرف التي ستحيط بجدرانها طبقة من الصلب سُمّكها 46 سم ستوفر الملاذ من التفجيرات وهجمات الغاز ومحاولات الإغتيال وإصابة مباشرة من طائرة خفيفة تقوم بها إحدى الخلايا النائمة .. مؤقتاً... وللكلام بقية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 19 يناير (كانون الثاني) 2003

الخلايا النائمة...

والغرف الملكية الواقية (2)

منذ 22 سنة ووزراء الداخلية العرب نموذج في مؤتمراتهم لما يجب أن تكون عليه المؤتمرات الرسمية. وتختصر ذاكرة عميد وزراء الأمن العربي الأمير نايف بن عبدالعزيز الشاهد والساخر على خطوات هذا التجمع الدوري، كونه الوحيد الثابت في موقعه بينما الأشخاص يتغيرون في بقية الدول الأعضاء في الجامعة العربية، ما تم إنجازه في هذه المؤتمرات. مع وزراء الإعلام في إبتكار ما من شأنه أن يجعل الوقاية وفي الدورة الثانية والعشرين يتعاون وزراء الداخلية مدروسة والتفسير المنطقي لما قد يحدث بدلاً عن النأي عن لمس جوهر المسائل. وإذا جاز لكاتب مثل حالي أن يقترح فإنني أقترح على الأمير نايف عقد دورة إستثنائية وبعد أن يتبين الأمر الذي هو مبعث القلق لكل أبناء الأمة به طغيان الشر فتقع الحرب أو إنتصار منطق الخير والتعقل فلا تقع الحرب...

وبذلك تتحقق رؤية ولي العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الذي قال أيضاً أمام المشاركين في جنداريتة الثامنة عشرة "جميعنا نرى الأساطيل والحشود في المنطقة لكن الله يلهمني ويعطيني إحساساً بأنه لن تكون هناك حرب."

أما الدورة الإستثنائية التي أقترح مجتهداً عقدها فيشارك فيها إلى جانب وزراء الداخلية والإعلام وزراء

الأوقاف والمرجعيات الدينية في العالم العربي ويخرج المؤتمر بوثيقة أو "إعلان" يحسم كثيراً من الأمور... على أن يكون مكان انعقاد المؤتمر الإستثنائي المشار إليه هو المدينة المنورة.

ونعود إلى مسألة الغرف الآمنة للعائلة المالكة البريطانية التي ستكلف الواحدة منها مليون دولار لنضيف مزيداً إلى المواصفات التي ستكون عليها ومنها أنها ستزود بمعدات اتصال آمنة وبأسيرة وحمامات وبكل مستلزمات البقاء على قيد الحياة لمدة أسبوع على الأقل وأنها لن تكون ظاهرة للعيان.

وبدلاً من هذا الخوف والقلق والغرف الآمنة من عمليات قد تقوم بها الخلايا النائمة، فإن تعديلاً طفيفاً في وعد بلفور المشؤوم وإستبداله بوعد عادل يحقق للفلسطينيين كما للإسرائيليين البقاء والعيش الكريم هو الذي يحمي. ويا ليت الظالمين الإنجليز والأميركيين يأخذون في الاعتبار أن عدالة الله تصلهم حتى إذا كانوا في أبراج عالية...

فكيف إذا كانوا داخل غرف من الصلب قد يقضي خطأ طفيف في التكنولوجيا عليهم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 21 يناير (كانون الثاني) 2003

اليسر السعودي بعد العسر الأميركي

إذا طال أمد التفتيش في العراق فإن الحرب قد تتأجل وقد يتم تعليقها. وهذا أمر جيد لأن التأجيل أو التعليق سيتسبب بنوع من الإسترخاء. وفي الحروب يكون التأهب بعد الإستتفار هو النقطة الأهم وبزوال الحالتين أو تراجعهما أمام الإسترخاء تنشأ ظروف جديدة ومحاولات تبريد الإنفداع المحموم نحو الحرب.

لكن إذا طال أمد التفتيش فهذا معناه أن يصبح جيش المفتشين أمراً واقعاً وتتطور مهمته وتتوسع أهدافه التي يقصدها المفتشون للتفتيش، وبحيث يصبح كل بيت في الديار العراقية برسم التفتيش.. وإلى درجة أن بضعة مفتشين يمكن أن يطرقوا باب منزل أي عائلة في أي وقت من الليل والنهار للتفتيش، ثم تتكرس الظاهرة بحيث تصبح زيارات المفتشين مثل زيارات رجال المباحث في بعض الدول العربية للمواطنين.. وهذا ما بات معروفاً بـ زوار الفجر حيث أن هؤلاء كانوا يطرقون الأبواب فجراً ولمجرد أن يسمع من في

الداخل طرُق الباب يصاب بالهلع ويودعه أفراد العائلة بالبكاء على أساس أنه ذاهب إلى السجن وربما إلى غير رجعة.

في الحالتين تبدو المسألة مقلقة ولا يستحقها شعب العراق الصابر على الضيم، ولكنها الأقدار التي تأتي أحياناً بالخير والسعادة وتأتي أحياناً بالشقاء. ومثلما أنه لا بد من الشكر لله على ما تحمله الأقدار السعيدة من خير وسعادة، فإنه بالنسبة للأقدار حاملة الشقاء لا بد من الحمد للذي لا يُحمد على مكروهه سواه. كما أنه لا بد من الصبر والتحمل. ونقول إنه من لا بد ذلك على أساس أن بعد العسر الأميركي يُسرّاً سعودياً محفوفاً بإهتمام وقبول عربي وإسلامي ودولي. وهذا الذي جرى للبنان مثال على ذلك، حيث أنه بعد ست عشرة سنة من الشقاء والإحتراب والتدمير والصراعات أمكن المملكة العربية السعودية وبلهفة من جانب خادم الحرمين الشريفين وإخوانه وشعب المملكة جمع اللبنانيين على كلمة سواء هو ما بات معروفاً بـ "إنفاق الطائف".. وكان إنقاذ لبنان بعدما بدا أن لا أمل يُرتجى. وما تقوم به المملكة من سعي بعضه صامت وبعضه أشار إليه ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز من أجل إبعاد شبح الحرب عن العراق يأتي من المنطلق نفسه. ألا إستجاب إله لكي يثمر السعي نتائج تبعث الطمأنينة في نفوس أبناء الأمتين عموماً.... وأبناء العراق خصوصاً.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 23 يناير (كانون الثاني) 2003

من يدوخ الآخرين...

يدوخ ولو بعد حين

سيبقى النصف الثاني من الشهر الأول من السنة (أي يناير) الذي تقترب من نهايته راسخاً في الذاكرة العربية والإسلامية لأنه شهد في تاريخنا المعاصر حدثين هما من الأحداث التي شكّلت نقطة تحوّل في السياسة وفي العلاقات، ووضعاً المنطقة على ما يشبه مفترق الطرق.

ففي مطلع النصف الثاني من يناير 1991 قام الرئيس جورج بوش الأب بحرب تحرير الكويت بعدما أمكنه تأمين تحالف دولي - عربي - إسلامي لهذا

الغرض. ولولا هذا التحالف وبالذات المشاركة العربية والإسلامية فيه مالياً بوفرة وسياسياً بقوة وعسكرياً بشكل رمزي، لما كان في إستطاعة الرئيس بوش الظهور بمظهر المحرّر ولما كان للقبول بحربه أن يكون على النحو الذي جاء عليه مزيجاً من الرضى عنها والتسليم بضرورتها.

ولكن تلك الحرب لم تحسم الأمور ومن أجل ذلك بات النظر إليها على أنها تأسيس لعهد أميركي جديد، يتلخص في وضع اليد على الثروات العربية وعن طريق حرب كتلك التي تتزايد احتمالات حدوثها على العراق من جانب الرئيس جورج بوش الابن. كما لو أن تأمين فوزه في الإنتخابات وليس فوز الفائز الآخر (الديمقراطي آل جور) كان من أجل عدة أغراض من بينها الحرب الماثلة في المشهد العربي - الدولي.

وفي مطلع النصف الثاني من يناير 1965 تم الإعلان عن ولادة حركة "فتح" رافعة شعار "ثورة حتى النصر"، لتحقيق الدولة الديمقراطية على أرض فلسطين. ومنذ ولادة هذه الحركة التي كان الرئيس جمال عبدالناصر أول حاكم عربي يتعرف على ياسر عرفات الرجل الأول فيها ويصطحبه في أول زيارة يقوم بها إلى موسكو بعد ولادة الحركة، والعالم العربي، وبسبب حذاقة تثير الحيرة إتصف بها أسلوب ياسر عرفات، يدوخ حتى أنه تجاوز السبع دوخات التي هي في نظر إخواننا المصريين أصحاب هذا التعبير أقصى وأقصى ما يمكن أن يتحملة الرأس من الدوخان. وبعد 38 سنة على الولادة ها هي حركة "فتح" إنتهت هي الأخرى دائخة الأمر الذي يعني أن من يُدوِّخ الآخرين على نحو تدويخ بوش الابن ومن قبله بوش الأب للعالم عموماً ولنا من المحيط إلى الخليج بشكل خاص، لا بد سيدوخ ولو بعد حين. أعان الله بقايا "فتح" على إنجاز ما افترضت الأمة أن الفتحيين سيحققونه فإذا هم يبعثرون الأمور أعقد تبعثراً. وأعان أبناء أمتينا العربية والإسلامية على الصمود في وجه البوشية المبعثرة.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 24 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

يا مَنْ هم عكس ذلك... إتعظوا

ما هي مصلحة أميركا في أن يكرهها أطفال

فلسطين الذين باتوا يقاسون الفقر كما لا يقاسيه أي عرب آخرين، بدليل أنهم لا يجدون الغذاء الكافي ولا الحياة الكريمة ولا العناية الصحية الجيدة ولا المدرسة ولا الكتاب، بينما المساعدات تتدفق على الإسرائيليين ومن دون أن تردّ لهم الإدارة الأميركية أي طلب.

قد تكون هذه الإدارة في حالة حسد دائم لكل شعب عربي يملك ثروة نفطية خصه الله بها وتعمل لوضع اليد على هذه الثروة حتى إذا تطلّب الأمر حرباً، لكن بالنسبة إلى مجتمع المخيمات ما هي موجبات التمتع عن القيام بالواجب وهل من الجائر بدل نجدة هؤلاء والتأمل في أحوال فقرهم المدقع، الإمعان في إذلالهم وإرضاء تشريدهم وتجويعهم وتجهيلهم وعدم رعاية صحتهم، وإغداق المال والمساعدات على الذين إغتصبوا لهم الوطن وحولهم إلى أيتام على مائدة اللثام.

لقد إنهار الإقتصاد الفلسطيني طوال العام 2002 إلى درجة بات فيها بيتر هانس المفوض العام لـ "وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين" المعروفة بإسمها الرمزي "أونروا" حزناً على ما آلت إليه الأحوال وكيف أن عدد العاطلين عن العمل يفوق عدد من يشتغلون، وأن أكثر من سبعين في المئة من الفلسطينيين يعيشون على أقل من دولارين للفرد يومياً. كما أن الرجل أبدى حزناً شديداً على الزيادة المخيفة في سوء التغذية في الضفة الغربية وقطاع غزة نتيجة الفقر المروع.

إذا إستمرت الحال على نحو ما هي عليه فإن مهمة "الأونروا" ستصبح توزيع وجبات طعام بالكاد تسد الرمق بدل توزيع المساعدات والإدارة الأميركية أذن من طين وأذن من عجين لا يعניה من الأمر سوى إغداق الخيرات على الإسرائيليين. وحتى عندما تغلق إسرائيل كليات تابعة للجامعات الفلسطينية يكون رد فعل الفعل الأميركي عبارة عن إحتجاج في غاية التهذيب على نحو الإحتجاج الأخير المتمثل بقول المتحدث بإسم البيت الأبيض وبصيغة التساؤل: "ما هي الحكمة من إغلاق هذه الكليات؟".

المشهد مروع والأمل مفقود من أي إجراء أميركي رادع. وقد تتطور الأمور بحيث يصبح الإستشهاد هو الحل الذي لا حل غيره. وقد تتطور الأمور أكثر فأكثر بحيث يتم الأخذ وبشكل عملي بالقول المأثور "لو كان الفقر رجلاً لقتلته". والجوع هو بعض تفرعات الفقر ويا أيها الذين عكس حال من نكتب عنهم: إتعظوا..

خصوصاً وأنتم أمام "البوفيه" ترمون في الزباله نصف ما تغرفون وبعدما تكونوا ملأتم بطونكم بأكثر من قُدرتها على التحمل.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 29 يناير (كانون الثاني) 2003

أحوال لبنان... ومطالعة الأمير سلمان

يتصرف لبنان مع المملكة العربية السعودية على النحو الذي يلخصه القول الشاعري "عرف الحبيب مكانه فتدلل..." ولكي لا يبدو الكلام تعميماً فإننا نقصد بالمتدللين هم بعض أولي الأمر الذين إفترضوا بأن الدلال يجب أن يصبح مسألة طبيعية، مادامت الدولة العربية الأكثر إقتداراً مالياً والأقوى شأنًا سياسياً ونعني بها المملكة العربية السعودية، دائمة القلق على لبنان تتجده بوديعة عند الضرورة القصوى، وبمساعادات في اللحظات الحرجة، وبالتمنيات على الدول الأجنبية كي تيسر له أموره، ومادام الشعب السعودي يرى في لبنان أنه البلد الذي تطيب الإجازة فيه صيفاً وشتاءً وما بين الفصلين.

قبل ويلات الحرب كانت الرعاية السعودية للبنان من المسائل غير المنظورة بالشكل الذي باتت عليه بعد ذلك، وكانت المرحلة خالية من المنغصات على رغم أن لبنان كان ساحة الصراعات العربية. وبعد الحرب التي إندلعت شرارتها يوم الأحد 13 أبريل 1975 وإمتدت ست عشرة سنة تعاملت المملكة مع لبنان بالطريقة التي تجعله يستعيد الوعي المفقود وتجعله ينهض كمن كان بين الركام وأبقاه الله حياً. ولولا إتفاق الطائف الذي ما كان ليتم لو أن القيادة السعودية الحكيمة لم تضع ثقلها وإمكاناتها من أجل تذليل الشغرات التي تعترضه، لربما كان لبنان تناثر وباتت حاله مثل حال قبرص.. هذا إذا لم يصبح الوطن الواهد عبارة عن أربع كيانات.

وبدل أن يعتبر أولو الأمر أن إتفاق الطائف كان حالة إنقاذ قبل أن يكون صيغة تسوية وإقتسام غنائم، فإنهم قفروا فوق هذه الحقيقة وبدأوا التعامل مع الوضع الجديد بالأسلوب نفسه الذي كان سائداً قبل إندلاع الشرارة التي إنتهت حرباً دخلت التاريخ تحت بند الحروب العبيثية من نوع "داحس والغبراء". وبسبب هذه الرؤية الضيقة يعيش لبنان المأزق تلو المأزق، ونرى

أولي الأمر متكئين على أن المملكة العربية السعودية التي أهدت لبنان الإتفاق التاريخي لا يمكن إلا أن تتدخل في اللحظة الأخيرة لدرة الخطر عن المعادلة اللبنانية المتجددة.

في تقديرنا أن "الملتقى السعودي - اللبناني" الذي إستضافته الرياض يوم الأحد 26 يناير 2003 وما قاله أميرها سلمان بن عبد العزيز كان في الجزء اليسير منه لتشجيع الإستثمار.. إلا أنه كان في الدرجة الأولى بمثابة نفخ الكثير من الغبار السياسي التلاسني عن ذلك الإتفاق. وكان كلام الأمير بمثابة مطالعة في شأن موضوع على شيء من التعقيد عنوانها "إن إتفاق الطائف ليس مجرد حبر على ورق وليس مجرد توقيع وإنما هو عهد، وأن صمود العهد هو بالثبات عليه". ومن يقرأ مثل حالنا بين سطور كلام الأمير ومن قبل ذلك كلام ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز يستنتج ذلك ويتمنى لبني قومه الكثير من الإحساس بالمسؤولية والتقليل قدر الإمكان من الدلال... الذي بات مزعجاً للجميع.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 1 فبراير (شباط) 2003

"الذبابة" الكورية... والأسد الأميري!

مع إحترامنا الشديد للدولة الصغرى كوريا الشمالية المقسومة شر قسمة الحكومة بهالة زعيم تحت التراب هو كيم إيل سونج وغرابية إبن يواصل بفعل التوريث الحُكم هو كيم جونج إيل، فإن هذه الدولة في نزاعها المريع مع الدولة الأعظم الولايات المتحدة تتطبق عليها حالة الإزعاج الذي يمكن أن تسببه ذبابة صغيرة لفيل ضخم أو أسد في عز سيطرته على الغابة التي هو سيدها المطلق الذي لا ينازعه فيها منازع. ونقول ذلك على أساس أن في إستطاعة هذه الذبابة أن تنتقل فوق عيني أسدنا هذا وتطن ما شاء لها الطن في أذنيه، وتفعل فعلها في خياشيمه ومن دون أن يكون قادراً على أن يفعل هو أو زميله الفيل الضخم شيئاً في مواجهة هذا الإزعاج تتسبب به هذه "الذبابة" الصغيرة. وما تفعله كوريا الشمالية مع الدولة الأعظم يكاد لا يصدق. فهي في المنازلة الكلامية تتسبب في إحراج لا مثيل له للدولة التي تريد أن تحيي أمجاد الإستعمار الذي أتقنته في الماضي بعض الدول الأوروبية أمثال

بريطانيا وفرنسا وهولندا والبرتغال وإسبانيا. وفي كل مرة يصدر من واشنطن كلام عن كوريا الشمالية تُرد عليه هذه الأخيرة بما هو أكثر من المثل. ولا تتورع هذه الدولة الصغيرة حتى عن إهانة رئيس أميركا. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإنها عندما بثت الوكالات خطاب "حال الاتحاد" الذي ألقاه الرئيس جورج بوش الابن يوم الأربعاء 29 يناير الماضي وجاء فيه قول الرئيس الأميركي عن النظام في كوريا الشمالية بأنه نظام قمعي يحكم شعباً يعيش في الخوف والمجاعة" لم تنتظر لكي يرد رئيسها على هذا الكلام، وإنما تولت "وكالة الأنباء المركزية الكورية" الرد من خلال تعليق لأحد المسؤولين في الدولة قال فيه: "إن خطاب بوش يثبت بوضوح أنه مشعوذ وقح يعكس الأبيض والأسود في عيون العالم، كما أن الخطاب يشكّل في جوهره إعلان عدوان صريح لإسقاط الحكومة في بلادنا، وسنقوم بأقصى ما نستطيع القيام به للدفاع عن نظامنا...".

هذا الذي تفعله كوريا الشمالية مع الإدارة الأميركية ما كانت لتفعله لو أنها لا تملك قدرات نووية. وهذا الذي تفعله يؤكد المقارنة التي أوردناها مطلع هذا المقال وي طرح السؤال الآتي: ألم يكن في إستراتيجتنا كعرب لو أننا بدل أن يحارب بعضنا بعضاً طوال أكثر من ثلاثة عقود عملنا متكاتفين متضامنين على إمتلاك سلاح نووي بمثل ما فعلت الجارة المعادية المزعجة إسرائيل، أن نحمي أنفسنا وثرواتنا وأجيالنا من شر الطامعين الذين لا نرد على أسلوبهم الأهوّج بغير التمني أن يكون أقل هوجاً... فقط لا غير.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 2 فبراير (شباط) 2003

* * *

ضجة شعرية في البيت الأبيض

إعتبر شعراء أميركا أن السيدة الأولى خذلتهم وإستهانت بهم لأنها ألغت اللقاء بهم بعدما بلغها أنهم سيغتنمون فرصة وجودهم ضيوفاً عليها في البيت الأبيض ويقرأون أمامها قصائد تناهض الحرب التي يعمل كواسر الإدارة الأميركية على توريط زوجها فيها، وتكون منسجمة مع رؤية العشرات من نجوم هوليوود والمئات من الجنرالات ورجال الدين والسياسيين ومن بينهم الرئيس الأسبق جيمي كارتر الذي سجل يوم

السبت الأول من فبراير الجاري، أي يوم إلغاء السيدة الأولى لورا بوش لـ "مريدها"، موقفاً متقدماً من التطورات تمثل بقوله: "إن حكومتنا لم تقدّم دليلاً مقنعاً على تهديد حقيقي من جانب العراق، ولذا فإنه من الحكمة إدراك حجم الشكوك حول دوافعنا لخوض حرب في ظل غياب دليل مقنع على الحرب التي ستكون عملاً إنتحارياً...". ولقد تزامن مع رؤية الرئيس كارتر إقرار واقعي سجله وزير الخارجية كولن باول وجاء فيه "إن الولايات المتحدة تفقد شعبيتها في الخارج بسبب سياستها الخارجية وخصوصاً في ما يتعلق بالعراق". وكلاهما، الرؤية والإقرار، يعززان رغبة شعراء أميركا في تحويل المنتدى الذي كانت ستستضيفه السيدة الأولى في البيت الأبيض إلى مناسبة لمناهضة الحرب، كي لا يبدو هؤلاء في نظر شعبهم بمثل حال الشعراء والشاعرات العرب في نظر شعوبهم حيث أن أحداً منهم أو واحدة منهم لم يسجل أو تسجل حتى الآن قصيدة إعتراض على حرب يمكن في حال حدوثها أن تحرق الأخضر واليابس وتجتاح القرائح في طريقها.

جاء رد الفعل الأولي من جانب شعراء أميركا الغاضبين على إلغاء منتداهم بمثابة عبارات تصلح عناوين لقصائد قد نسمع بها لاحقاً. فالشاعر سام هيل قال: "إن رد فعل السيدة يوضح أن المسؤولين لا يعرفون على الإطلاق أي شيء عن الشعر أو طبيعة الشعراء. وعلى رغم أن الشعر يُكتب في خلوة فإن لغته الاجتماعية وجميع القصائد الشعرية لها صبغة سياسية في شكل أو آخر....". والشاعرة ريتا دوف التي تحمل لقب "أميرة الشعراء" قالت "إن قرار إلغاء المناسبة يعكس العداء نحو الخلاف في الرأي من جانب إدارة الرئيس بوش. وهذا البيت الأبيض لا يرغب في فتح أبوابه أمام صوت أميركا الذي لا يعكس سياسات الإدارة المضلّة". والشاعر لورنس فير لنغيتي قال: "إن فكرة دعوة مجموعة من الشعراء إلى البيت الأبيض بينما تستعد الإدارة لحرب، كانت فكرة ساذجة في المقام الأول. إن الشعر من حيث تعريفه هو حامل لواء الحرية والحب. ومن حيث التعريف أيضاً لا بد أن يكون عدو الدولة وكل ما تفعله الدولة وفي مقدمة ذلك الحرب...".

يبقى القول إن هذه الضجة الشعرية في البيت الأبيض كفيلة على حدتها بترطيب الأجواء الناشئة عن الضجيج السياسي والتصريحات المخيفة التي

تستحق بدل قصيدة الإعتراض الواحدة مئات القصائد... وعشرات الدواوين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 7 فبراير (شباط) 2003

من أجل اللحمه ...

أم من أجل الأميرة؟

على رغم أن مشاعره تجاه مطلّته الأميرة داينا لم تكن على شيء من الدفء، إلا أن وليّ العهد البريطاني الأمير تشارلز أثر عدم زيارة باريس منذ ذلك الحادث المفجع الذي أودى بحياة الأميرة وصديقها دودي نجل رجل الأعمال المصري محمد الفايد، الذي تمكّن من أن يكون "إمبراطور هارودز" بعد إمتلاكه لهذه المحلات الأكثر شهرة في العالم.. إلا أنه أخفق في الحصول على الجنسية البريطانية وجواز السفر البريطاني بينما فاز مئات الأسويين وبينهم مصريون وعرب وقبارصة الذين يشغلون وظائف بسيطة في محلات "هارودز" بالجنسية وبجواز السفر.

خمس سنوات ونصف السنة والأمير الأرمل لا يزور عاصمة النور بينما هنالك ملايين من البريطانيين زاروها وينتظر ملايين آخرون الفرصة والإمكانات لزيارتها بواسطة القطار الذي يجتاز بحر "المانش" في نفق محققاً ربطاً للدولتين المهمتين وسياحة ممتعة لشعبيهما. وليس واضحاً ما إذا كان الغم هو السبب أو أن بعض المشاعر استيقظت في نفس الأمير مستعيداً ذكرى بعض الأيام السعيدة مع الأميرة الجميلة جعلته لم يعد ينظر إلى باريس كما نظرت في السابق لها بعدما إنتهت الأميرة جثة داخل نفق وفي حادث مدبر، وبالتالي لم يعد بسبب هذه النظرة ميالاً إلى تمضية بعض الإجازات في العاصمة الفرنسية أو في شواطئ جنوبها. كما قد يكون وليّ العهد رأى أن يساير الموقف الوجداني للفرنسيين الذين اعتبروا الأمير تشارلز مسبباً أساسياً لأحزان زوجته الأميرة الجميلة، وبسبب هذا الإعتبار لا يريدون رؤيته زائراً لبلادهم، أو أنهم لن يتسابقوا لرؤيته في حال زارهم. وإلى ذلك قد يكون كآب يتهيب ولديه الحزينين في إستمرار على ما جرى لوالدتهما في باريس فقرر ترك الأمر للزمن وبحيث يأتي يوم يقرر فيه القيام

بهذه الزيارة.

أخيراً جاء هذا اليوم وكان تحديداً الخميس 6 فبراير/ شباط 2003. ولم يكن من أجل مطلّته داينا وإنما أجل إقناع الفرنسيين أكلة اللحوم البريطانية بمعاودة أكل هذه اللحوم التي طالما أحبوها والتي حظرت فرنسا إستيرادها منذ الكشف عن تلوثها بجرثومة "جنون البقر".

وما يلفت الإنتباه هو أن الصورة التي عممتها الوكالات عن هذه الزيارة لم تُمثل الأمير تشارلز يضع باقة ورد في مكان الفاجعة التي أودت بحياة مطلّته الأميرة الجميلة داينا وإنما كانت الصورة تمثّله ممسكاً بقطعة لحم صغيرة على أهبة وضّعها في فمه تدليلاً على أن اللحم البقري البريطاني خال تماماً من "جنون البقر". وقد يكون ضمناً يرى أن مجانين الزمن الراهن هم المتحمسون للحرب التي هي جرثومة معشّشة في نفوس بعض البشر... ومن بينهم الرئيس جورج بوش الابن وكواسر البيت الأبيض المحيطين به وكذلك طوني بليز رئيس وزراء المملكة التي وليّ عهدها تشارلز ابن فيليب.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 12 فبراير (شباط) 2003

"الأحفاد" الذين لا تتذكرهم

إدارة بوش (1)

لا ندري لماذا تترك الإدارة الجمهورية للولايات المتحدة رمزها التاريخي يلقي في تايلاند من أساليب التدمير الشامل ومن التعذيب الذي لا يعادله التعذيب السائد في أقبية سجون وبعض أنظمة دول العالم الثالث أو ما هو أكثر تطوراً والمطبّق على ضيوف قاعدة "غوانتانامو" الثورية بساراً كأرض والثرورية يمينا كأسلوب تعذيب. ثورية كأرض على أساس أنها جزء من كوبا دولة فيديل كاسترو الذي قد يحكم وحيداً نصف قرن بالكامل إذا كُتبت له الحياة والذي يصير على التمسك بالعقيدة الماركسية حتى إذا تخطى عنها الجميع. وثرورية كأسلوب تعذيب على أساس أن ذلك يتم في ظل السيطرة الأميركية على القاعدة وعلى أيدي خبراء في أساليب التعذيب. ففي تايلاند "أحفاد" صغار السن للفيل الجمهوري

"الأحفاد" الذين لا تتذكرهم إدارة بوش (2)

في تصوير الصحافي الشاهد لمحنة "أحفاد" الفيل الجمهوري وما يصيبهم من عذاب شبيه بالعذاب الذي أصاب اليابانيين في هيروشيما من القنبلة الذرية الأميركية وأصاب المئات في "حلبجة" من العلاج الكيماوي البعثي العراقي، يقول إن عدد الفيلة الصغار هذه 3800 وإنها من أصل خمسة آلاف موجودة في آسيا ومملوكة من القطاع الخاص ويتم التعامل معها بغرض ترويضها لتقديم عروض ترفيهية على النحو الآتي:

"يلقى الطعام للفيلة الصغار فتُحرك هذه أقدامها المدورة الضخمة بحذر في اتجاه الفواكه لأنها تعرف بحُكم العادة أنها قد لا تصل إلى هذا الطعام. تتحرك الفيلة إلى الأمام وصولاً إلى الطعام بتعذيب يسمى تدريباً وهدفه تحديد آخر مجالات حريتها قبل إخضاعها للتدريب. ثم تقترب الفيلة وما زال حجمها لا يزيد عن حجم الإنسان، بصعوبة نحو الطعام فيهاجمها رجلان من الخلف ليضعا أطواقاً حديدية مسنّنة حول أعناقها. تحاول التخلص من الأطواق لكنها تفشل في حين يهرب أهالي القرية من حولها خشية حركاتها العنيفة وإحتجاجها وصرخات الإستجداد التي تُطلقها. ولكن صراخها يذهب هباء لأن المدرب كان قاد أمهاتها بعيداً عن القرية قبل أيام خشية غضبها من تعامله مع وليداتها. ولا تؤدي حركات الفيلة الطائشة إلا إلى إغراس الطوق المسنن أكثر فأكثر في لحم عُقها فتتزعج إلى السكون والصمت في ألم جلي. يقوم المدرب ومساعدوه بعد ذلك، وسط جمهور المتفرجين، بتقييد أرجل الفيل الصغير وبطنه وحتى ذيله لمنعها من الحركة تماماً. يحاول الفيل الصغير للمرة الأخيرة تحرير نفسه بإستخدام خرطومعه. لكن الرجال يهاجمونه بالمضارب ويدقون المسامير في المنطقة الرخوة بين خرطومعه والعاج الصغير وصولاً إلى الأذن. يصعد أحد القرويين على العنق ويضرب الفيل بمضرب مسنن على رأسه في رسالة تايلاندية واضحة: إذا واصلت الإحتجاج فبوسعنا أن نؤذيك، ثم يستل سيفاً قصيراً ويغرس شيئاً من نصله في عنق الفيل بين الأذنين تماماً تأكيداً للرسالة المذكورة. وكان يواجه صعوبة كبيرة كل مرة وهو يسحب السيف من اللحم

العتيق في الولايات المتحدة الذي هو شعار الحزب الجمهوري. ومن المفترض أن ينظر شيخ الفيلة أو كبيرها ما دام هو صنم النظام العالمي الجديد في أحوال الفيلة "الأشقاء" و"الأبناء" و"الأحفاد" فينقذ من يتعرض للتهلكة بحيث لا تنقرض هذه القبيلة من أجل بضعة متاجرين بالعاج، وينظر في حال من يسامون أبشع أنواع التعذيب ويضع حداً لذلك. وهؤلاء هم ما نعنيه بـ "الأحفاد" الذين يتم التعامل معهم في تايلاند على نحو تعامل كتيبة التعذيب في "غوانتانامو" مع ضيوف القاعدة الأميركية من نشطاء "قاعدة" أسامة بن لادن.

وما يلقاه "الأحفاد" الفيلة الصغار في تايلاند في معسكرات التدريب والتأهيل، لكي تصبح الفيلة جاهزة لتقديم العروض الترفيهية أمام السياح، رواه صحافي شاهد المحنة على الطبيعة وروى مشاهدته المفزعة هذه في مجلة "هالو" قبل أسبوعين. وقبل أن نثبت مقاطع من الرواية نجد أنفسنا نفترض أمرين: الأول هو أن الإدارة الجمهورية الحالية في الولايات المتحدة مطالبة بأن تعرض على جماهير الحزب الجمهوري التي تعزز بأن رمز الحزب هو "الفيل" حقيقة ما يواجهه "أحفاد" فيلهم في تايلاند فلا تسكت هذه الجماهير على ذاك الضيم. وإذا هي سكنت فمعناه أنها يابسة القلب ولا يعينها من "الفيل" سوى أنها صورة على علم الحزب. أما الأمر الثاني فهو أن ما فعلته سنوات الحصار الأميركي بالعراق وما سيفعله كواسر الإدارة الأميركية في حربهم على بلاد الرافدين يشبهه في بعض جوانبه ما يقاسيه "الفيلة" الصغار في تايلاند ولا من يترفق بها ويخلصها من الفاجعة التي تعيشها يومياً على مدار الساعة.

ونقرأ غداً حول ما يصيب "أحفاد" فيل إدارة الرئيس بوش الابن في تايلاند إستعداداً لمتابعة ما ستفعله الإدارة العنيدة بالعراق نظاماً وشعباً وكياناً إلا إذا تبين أن الوعيد العراقي ومن جملته قتل مليون أميركي لم يكن من جانب الرئيس صدام حسين مجرد كلام في الهواء أو كان كلاماً "لا يودي ولا يجيب" ... على نحو ما يقول إخواننا أبناء مصر المحروسة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 16 فبراير (شباط) 2003

المدى. النتيجة هي أن هذه الفيلة الصغيرة تفقد سمعها تماماً، وكل ذلك هو بسبب سعي ذلك الرجل السادي إلى ترويضها. يهبط الرجل أخيراً ليترك المجال إلى رجلين آخرين يعتليان ظهر الفيل من جديد. أحدهما يدخل سيجارة ولذلك لم يبدأ عمل الرجلين إلا بعد إنتهاء إستراحة التدخين. يغرس المدخن مضربه في عمق الجرح الغائر في عنق الفيل فيحرك رأسه وهو يصرخ في محاولة أخيرة لتجنب العذاب. إلا أن عذابات الفيلة الصغيرة لا تنتهي عند هذا الحد لأن عليها "أن تتدرب"، بعد ترويضها ونجاتها من جروحها، على تأدية الحركات البهلوانية وفق برنامج تعذيب جديد يهدف فقط إلى إجتذاب السياح وأموالهم...

نتساءل بعد تلخيص هذا "التدمير الشامل" لـ "أحفاد" فيل البيت الأبيض: ألا يوجب الأمر نجدة سريعة لهؤلاء "الأحفاد"؟

وقد نجد من يجب: وهل أن الحزب الديمقراطي أيام الرئيس السابق بيل كلينتون ومن قبله الرئيس جيمي كارتر فعلاً شيئاً لقطعان الحمير المركوبة والتي تُسام أبشع أصناف العذاب والإهانة بالذات في قبرص حيث هناك 2200 حمار بين عامل ومتقاعد، بينما هي رمز الحزب الذي كان يحكم أميركا... والعائد ولا بد إلى الحكم لأن الفيل الحالي باق بنسبة خمسين في المئة سواء مضى إلى النهاية في الحرب أو إكتفى بالتحشيد الذي تم رغم رفض العالم وغضبه؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 17 فبراير (شباط) 2003

كما الأمم المتحدة...

كذلك الجامعة العربية

ما يقال في شأن أحوال العالم وكيف أن الإستقرار الدولي لن يتحقق إلا في حال لم تعد هناك دولة واحدة تحاول أن تفرض بالقوة هيمنتها على الآخرين وهذا يكون بتعزيز شأن المنظمة الدولية التي ينتسب إليها الجميع وبحيث تصبح "النظام العالمي المتجدد" وتزول تبعاً لذلك ظاهرة "النظام العالمي الجديد"... ما يقال في هذا الشأن ينطبق على واقع الحال العربي. فالصراع العربي - العربي على أشده وإن كان الظاهر

لا يوحي بذلك. ولو كان هناك تعزيز لشأن الجامعة العربية وتجديد ميثاق هذه المنظمة وحيويتها لما عاد الصراع الذي نشكو منه يحدث في أكثر من منطق ولما عاد لمجالس التعاون ضرورة ملحة. وما نقصده بتعزيز الشأن هو إعتبار الجامعة مرجعية وليست منظمة لترتيب الإجتماعات. وهو أيضاً إعادة النظر في طقوسها وتقاليدها بحيث يكون الكيان والميثاق هو الأساس وليس الشخص الذي يشغل منصب الأمين العام. وفي ضوء ذلك وتعزيزاً لمبدأ المرجعية من الأفضل أن يكون المنصب دورياً بحيث يتسلم المنصب من ترشحه دولته التي تتعقد فيها القمة الدورية التي تم بعد طول مجادلات وتأجيلات الأخذ بها.. وبذلك يتسنى لكل دولة عضو أن تشغل بالشخص الذي ترشحه منصب الأمين العام وتزول نهائياً الحساسيات التي هي جزء من مقومات دور الجامعة.

وإلى ذلك فإن تعزيز شأن الجامعة العربية وبحيث تصبح هي المرجعية يحل إشكالات كثيرة من بينها هذا الموقف العربي الباهت إزاء أكثر مراحل الخطر تواجهها المنطقة، وكيف أن الإجتماع على مستوى القادة يأتي متأخراً تتقدم عليه التطورات بدل أن يواكب بمسؤولية وسرعة هذه التطورات. ولنا في موضوع القمة العربية الإستثنائية التي لا تتعقد بسهولة والتي سبقتها إجتماعات أوروبية مع أن الأمر يعنينا أكثر مما يعنى الأوروبيين، المثال على التريث. ولو أن الجامعة كانت هي المرجعية العربية على نحو ما هي مرجعية الإتحاد الأوروبي لكان الأمر إختلف ولكان الموقف العربي الآن أكثر وضوحاً وحزماً وليس خجولاً كما هي حاله .

والتعزيز الذي نعنيه هو نفسه المطلوب لمنظمة الأمم المتحدة. وبذلك لا نعود ساحة حرب أو هدفاً لها... ولا يعود موقف أولي الأمر هو إنتظار الحرب لكي يجتمعوا.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 19 فبراير (شباط) 2003

الإستطلاع الملاييني... والقرار الحاسم

ما هو سائد في دول الغرب عموماً بدءاً من أول دولة في القارة الأوروبية إلى "أم دول الغرب" الولايات

المتحدة، ظاهرة "إستطلاعات الرأي" والمراهنات... وبالذات عندما تكون هنالك إنتخابات رئاسية وأزمات عاصفة ومباريات رياضية. وبالنسبة إلى الإستطلاعات التي تستهدف تحديد إتجاهات الرأي العام فإنه يتم طرح أسئلة على عينة من الناس تمثل شرائح مختلفة، وفي ضوء الإجابات يتم إستخلاص النتائج والأحكام. ولم يحدث أن تجاوز عدد الذين شملهم إستطلاع النتائج والأحكام أربعة آلاف شخص في الحد الأقصى. أما العدد المألوف إستطلاع رأيهم حول قضية من القضايا فإنه يراوح بين الخمسمئة والألف شخص.

وعموماً فإن حنكة المؤسسات التي تُجري هذه الإستطلاعات مشهود لها بحيث أن النتائج والنسب المئوية التي تتوصل إليها تتطابق مع النتائج الرسمية حول قضية ما أو حول إنتخابات رئاسية، أو ما شابه ذلك مثل موضوع الحرب على العراق التي هي أهم الموضوعات وأكثرها خطورة في الوقت الراهن والمرجح أن تكون لها تداعياتها الخطيرة في حال حدوثها. أما إذا إنتهى الأمر إلى صَرْف النظر عن هذه الحرب فإن ما سينشأ عن ذلك من إنهيارات سياسية، تشمل عشرات رموز أهل القرار، سيشكل منعطفاً في مسيرة التعايش والعلاقات في القرن الواحد والعشرين.

يوم السبت 15 فبراير/ شباط 2003 وبينما الملايين من القطب إلى القطب أنهت إحتفالها بـ "يوم الحب" أو "عيد الفالنتين" حدث إستطلاع لا مثيل له وقد يدخل التاريخ على أنه إستطلاع القرن. ثلاثة ملايين في روما ومليونان في لندن ومليون في مدريد ورقم مماثل في نيويورك وواشنطن وسان فرانسيسكو.

بكل الهدوء قامت هذه الملايين وبضعة ملايين أخرى في العالم بإستثناء العالم العربي حيث كانت التظاهرات إما قليلة وإما خجولة وإما غير مكتملة العفوية. وكانت الإجابات عن الأسئلة التي يمكن أن يطرحها الإستطلاع عبارات مكتوبة على لافتات مرفوعة وصوراً مرفقة بالعبارات. وكلها، العبارات والرسوم والصور والهتافات العفوية غير الموحى بها، رافضة للحرب كخيار ورافضة الهيمنة كسياسة ورافضة لمبدأ إستبدال المكاسب النفطية بدماء الأبرياء سواء أكان هؤلاء من القوات المعتدية رغماً عن إرادتها أم من المعتدى عليهم الذين لا حول لهم ولا قوة ولا صوت ينطق بمر الشكوى.

كانت التظاهرات الملايينية عبارة عن إستطلاع لا

يحتاج إلى مشقة في التحليل. فإذا تم الأخذ بنتائجها فإن الخيار الحربي سيتراجع. أما إذا كان هذا الإستطلاع لا يعني شيئاً لرموز هذا الخيار فإن الحرب ستقع حتماً وفي غضون شهر. ومن المؤشرات الأولية على أن الإستطلاع الملاييني لا يعني شيئاً لرموز الخيار الحربي إستهانة الرئيس بوش بالتظاهرات الملايينية وإستخفافه بها على نحو تصريحاته التي أدلى بها يوم الثلاثاء 18 فبراير وأثنى فيها على حليفه "القائد الشجاع" توني بلير علماً بأن هذا الحليف يعيش أزمة حقيقية بعد تظاهرة المليونين في لندن ألمح إليها وزير الخارجية جاك سترو الذي قال ما معناه إنه من الصعب خوض حرب لا تحظى بالتأييد الشعبي، وهو قول مخفّف لما يجب قوله من أن على بريطانيا التخلي عن خوض غمار الحرب ما دام الرأي العام قال كلمته رافضاً لها من أجل بريطانيا وليس حرصاً على نظام الرئيس صدام حسين. ولمقتضيات الظروف أحكام وتعابير ومفردات.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 22 فبراير (شباط) 2003

* * *

أندونيسيا... "أم الجزر"

كأنما لا يكفي أندونيسيا إحدى أهم دول العالم الإسلامي أنها بلد الـ 17 ألف جزيرة لكي يفاجأ معهد الطيران والفضاء فيها الحكومة يوم الإثنين 17 فبراير/ شباط بأن التقدم الذي طرأ على فن رسم الخرائط، أتاح المجال أمام إستكشاف ألف جزيرة جديدة وبذلك يصبح عدد الجزر في هذه الدولة التي ذاقت مرارة الإستعمار الهولندي ثم الإحتلال الياباني قبل أن تستقل عام 1949 على يدي زعيمها التاريخي أحمد سوكارنو والد الرئيسة الحالية ميغاواتي، 18100 جزيرة.

لقد إعتدنا على أن هنالك بعض الدول التي هي عبارة عن جزيرة واحدة مثل بريطانيا ومالطا وقبرص والبحرين وأن غربة هذه الدول عن البر المجاور ينعكس على نفوس سكانها الذين يشعرون بالعزلة وبأن لا وسيلة تربطهم بالآخرين سوى الطائرة أو الباخرة وهذا يسبب حالة نفسية على جانب من التعقيد. ورأينا كيف أن الإرتباط بالبر الذي حققته بريطانيا من خلال النفق الذي تم إنشاؤه تحت بحر "المانش" وتسيير شبكة قطارات سريعة وحديثة بين لندن وباريس

والإرتباط الآخر الذي تحقّق للبحرين بالمملكة العربية السعودية من خلال جسر الملك فهد، جعل مشاعر العزلة تتحسر وجعل الحالة النفسية للأشخاص في كل من بريطانيا والبحرين أفضل من ذي قبل.

كما أننا إعتدنا على دول لكل منها جزيرة أو ثلاث في الحد الأقصى ترى فيها أنها تصلح للسياحة مثلاً هي الحال على سبيل المثال بالنسبة إلى سوريا ولبنان وإيطاليا، وعلى دولة مثل الإمارات خطفوا منها جُزرها الثلاث طُنْب الكبرى وطُنْب الصغرى وأبو موسى جعلوها مثل الأم التي لا توقف المطالبة بإسترداد وليدها المخطوف أو المفرط به في ظرف غير مناسب. وإعتدنا على دولة مثل اليابان يحاصرها البحر وتتشكل من ثلاث جُزر أساسية وبعض الجزر الصغيرة، وهذا الحصار ولّد في نفوس الشعب ظاهرة الإنتحار بالسيف المعروفة بـ "هاراكيري". وإعتدنا على دولة مثل اليونان لا يقلقها أمر كثرة جُزرها ما دامت هذه الجُزر مجرد ديكور للينيان الأساسي متمثلاً بإنتساب البلد إلى الدول الأوروبية المجاورة وصولاً إلى روسيا وإلى دول الشرق الأوسط عن طريق تركيا.

لقد إعتدنا على الموقع الجغرافي لهذه الدول التي أوردناها على سبيل المثال لا الحصر، إلا أن أندونيسيا تبقى بمثابة حالة تثير الدهشة والتأمل، إذ كيف سيكون التواصل بين سكان الدولة يتوزعون على 18100 جزيرة وليس هنالك سوى القوارب الصغيرة والسفن وسيلة للإنتقال من جزيرة إلى أخرى. ونحن هنا نتحدث عن مساحة من الأرض تصل إلى مليوني كيلو متر مربع أي نفس مساحة المملكة العربية السعودية تقريباً التي كان توحيدها معجزة ومحاولة تجزئتها مستحيلة مهما تكاثرت التهويل والتأمر والترهيب والإبتزاز، بمثل ما أن توحيد "أم الجُزر" أندونيسيا في دولة مركزية قوية كانت معجزة وصمودها أمام خطف بعض جُزرها أعجوبة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 23 فبراير (شباط) 2003

إنهم في إنتظار "الحلم العربي 2"

لم يحدث من جانبنا كعرب حتى الآن تركيز على الناحية الإنسانية للحرب المحتملة على العراق والكارثة التي ستتشأ عنها، فضلاً عن عذاب الضمير...

ضمير من لم يمنعها وضمير من ساندتها. وأما التركيز فإنه على الجوانب السياسية المستندة إما إلى ثأر قديم وإما إلى يأس مستحكم في النفس من إمكانية إصلاح الحال.

وبالعودة إلى التصريحات والمواقف والبيانات والهتافات لا نجد مساحة رحبة يتم فيها التركيز على الجانب الإنساني، وإنما التركيز في بقية الإتجاهات علماً بأننا سنكسب مواقع لنا في أوساط الرأي العام الدولي الذي ينظر إلى المسألة من الزاويتين الإنسانية والضميرية. وبسبب هذه النظرة نلاحظ المشاركة غير المتوقعة في الإعتراض على الحرب من قبل نجوم السينما والمسرح والتلفزيون والغناء والموسيقى في العالم ومن جانب رجال الدين، وكيف أن بعض هؤلاء تصدوا لمخطط الخيار الحربي بكل حماسة. وهذه على سبيل المثال المغنية البريطانية التي تحمل إسماعاً على مسمى هو "ديناميت" التي كانت يوم الجمعة 21 فبراير/ شباط من بين الفائزين بأهم جائزة بريطانية في مهرجان "بريتس" الذي يُعد من أضخم مهرجانات الموسيقى في العالم. والجائزة التي نالتها هي أفضل فنانة بريطانية وأفضل مؤدية على المسرح. وما إبتكرته هذه الـ "ديناميت" هي أنها إقتبست من مغن بريطاني له شهرة عالمية إزدادت إتساعاً بعد أن تناول بالنقد الموجه في إحدى أغنياته وعنوانها "لا أريد دماً على يدي" وأدخلت عليها بعض التعديلات التي تعكس رفض هذه الفنانة للحرب بحيث باتت على النحو الآتي: "لا أريد أن أرى الأطفال وهم يموتون بعد الآن... ولهذا عليّ أن أعبر عن موقفي.. فهل تسمعون صوتي... إن حق أخذ الحياة هو من إختيار الرب فقط... ولا أريد دماً بيدي". ثم بادر الفنان كريس مارتن أحد نجوم فرقة "جولي بوي" التي نالت جائزة أفضل فرقة بريطانية إلى دعم موقف زميلته في عالم الغناء ومتفاعلاً مع أغنياتها وألقى كلمة شكر من النوع الذي ترتاح له نفوس أصحاب الضمائر قال فيها: "الجوائز لا تعني شيئاً أساسياً وسنموت جميعاً إذا مضى جورج بوش في طريقه...".

أما في أميركا فكان المبدعون من أهل الفكر والفن يعبرون عن معارضتهم كل على طريقته وبما تجود به حنجرته أو قلمه أو جيتاره أو ريشته. ومن هؤلاء رسام الكاريكاتور في صحيفة "شيكاغو تريبيون" الذي، من منطلق الخوف من الآثار الكارثية للحرب على الصعيد الإنساني، ردد الصحيفة برسم معبر يبدو فيه الرئيس

الأسبق جورج بوش الأب يقول لزوجته باربرا وهما ينظران بإعجاب إلى صورة لإبنهما الرئيس جورج بوش الابن موضوعة في برواز أنيق داخل صندوق منزلهما: أو تعلمين يا بارب (الإسم الدلع لباربرا)؟ لا يفاجئني حبه لقتال العراق وكوريا الشمالية. تذكرني كم كان يحب اللعب بالكبريت وهو طفل!".

... فيا أيها المبدعون العرب. ما الذي يمنعكم من إبداعات مماثلة من منطلق التركيز الإنساني من النوع الذي أشرنا إليه على سبيل المثال لا الحصر؟ وهل أنتم فقط للثناء وتستعدون لأداء "الحلم العربي 2" بعد بضع سنوات... إذا مدَّ الله بعمركم وعمرنا؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 25 فبراير (شباط) 2003

إبتكار بريطاني برسم الرياض وشقيقاتها

بريطانيا ليست فقط حضارة وحيات وديمقراطية وحية حزبية راقية وصحافة متألفة قادرة على توجيه المسار السياسي بدلاً من أن تكون مجرد رد فعل لهذا المسار. وهي ليست فقط التي أنجبت الأميرة ديانا التي لقيت حتفها في باريس عشقاً، معصورة داخل سيارة على كتف حبيبها دودي محمد الفايد، فتحوّلت هذه الأميرة إلى أسطورة وإلى شهيدة العشق الذنبوي، المرفوضة نهايته السعيدة... بمعنى الزواج من شخص كان سيتسبب في مأزق لا مثيل له للمملكة المتحدة، وذلك لأن ديانا التي قررت السلطة الخفية إنهاء حياتها بعد أن تأكد أنها حامل كانت ستجذب أخاً مسلماً غير أمير لإبنيها الأميرين المسيحيين البروتستانتين. كما أن بريطانيا ليست فقط البلد الذي تشهد شوارع عاصمته لندن تظاهرات عارمة احتجاجاً على قنص الثعالب بواسطة البنادق وكراب الصيد، ولا هي فقط البلد الذي يحتفل الشاذون جنسياً من الإناث والذكور سنوياً بـ "يومهم" في قلب العاصمة لندن، كما أنها ليست فقط البلد التي هزت تظاهرة المليونين جنوح بعض حكومته نحو الحرب فبدأ رئيس هذه الحكومة توني بلير يبحث عن المخرج المأزق الذي وضع نفسه فيه... حيث إن حاله باتت مثل حال من وجد نفسه في منتصف النهر بين شاطئين حيث العودة إلى نقطة الإنطلاق هزيمة معنوية مرة ومواصله العبور إلى الشاطئ المقابل... شاطئ حرب كواسر الإدارة الأميركية على العراق

مغامرة غير مأمونة العواقب على الإطلاق، خصوصاً أن المشاركة في هذه الحرب دون صدور قرار من مجلس الأمن الدولي يعطي شرعية للحرب ستكون على نحو ما قاله الأمير سعود الفيصل يوم الإثنين 17 فبراير في تشخيص لهذه الحال. وما قاله الأمير سعود هو الآتي: "في حال هاجمت الولايات المتحدة العراق لوحدها فسيبدو هذا الأمر بمثابة إعتداء ونعتقد أن مثل هذا العمل لن يكون جيداً للولايات المتحدة...".

إن بريطانيا ليست فقط هذه الأمور التي أشرنا إليها وغيرها... وإنما هي أيضاً التي تبتكر من الأفكار الإصلاحية والتنظيمية ما يخفف من كوابيس الحياة اليومية للبشر. ومن هذه الأفكار التي ولدت وبدأ العمل بها في الوقت الذي ينهمك فيه توني بلير بمشاركة حليفه الرئيس بوش الابن الحرب على العراق، حل مشكلة الزحام المروري في العاصمة بأقل تكلفة ممكنة... بل إن الحل سيعود بالمردود الجيد على بلدية لندن التي ابتكر رئيسها فكرة الحل المشار إليه والتي تقضي بفرض رسوم مالية على مرور السيارات وسط العاصمة التي وصل إنخفاض سرعة المرور فيها قبل يوم الإثنين 17 فبراير 2003 يوم البدء بتطبيق فرض الرسوم إلى 16 كيلو متراً في الساعة... أي أن من يسير على قدميه يكون أسرع من السيارة. وبمقتضى الخطة المشار إليها فإن كل من يريد دخول العاصمة بسيارته بين الساعة صباحاً والسادسة والنصف مساءً أن يدفع رسماً تساوى قيمته ثمانية دولارات.

لم تعد لندن مزدحمة بالسيارات كما من قبل. وقد تصبح مع الوقت مثل بكين مليئة براكبي الدراجات الهوائية والدراجات النارية المعفيين من الرسوم. ويشكر الجميع رئيس البلدية الذي ابتكر حلاً هو بمثابة إجتراح معجزة لمشكلة كثيرة التعقيد. والحل برسم القاهرة والرياض وبيروت وسائر العواصم والمدن العربية التي تعيش إزدحاماً مرورياً يُقصّر العمر ويملاً الصدور دخاناً.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 26 فبراير (شباط) 2003

لبنان... والمجتمع الخليجي المحتمل

ارتفعت نسبة وجود إخواننا الخليجيين في لبنان منذ ثلاثة أسابيع وما زالت، كما لم ترتفع من قبل. وباتت

ليالي العاصمة بيروت ونهارات الجبال البيضاء المكلفة بالثلوج حافلة بالخليجيين. وهذا الحضور اللافت في موسم الشتاء سببه التحسب من الحرب التي ستقع على العراق.

ليس واضحاً ما إذا كانت إقامة هذه العائلات ستطول في الربيع اللبناني وهل أنه سيتم وصل الشتاء بالربيع بالصيف. لكن المرء يلاحظ في السلوك الخليجي أنه سلوك من ستكون إقامة الأسر الوافدة طويلة، حيث بدأ البعض يستأجر الشقق لتفادي الإقامة في الفنادق، وبدأ البعض ممن لهم منازل في بلدات الإصطيف أو شقق في العاصمة والضواحي يجددون أثاث بيوتهم وشققهم بحيث تصبح صالحة لإقامة طويلة. ومن جانبها فإن الحكومة اللبنانية الحزبية تتعامل مع الخليجيين وكما لو أنهم أبناء البلد، كذلك يلاحظ المرء استعداد أسر خليجية كثيرة لإلحاق أولادها في المدارس تحسباً لطول الإقامة الإضطرارية في لبنان.

هذه الظاهرة أعادت إلى الأذهان ما سبق أن حدث للبنانيين أنفسهم في السنتين الأوليين من الحرب التي اندلعت في لبنان يوم الأحد 13 أبريل/نيسان 1975 لتستمر ست عشرة سنة. ففي هاتين السنتين بدأ عدد كبير من اللبنانيين مغادرة البلد مصحوبين بأولادهم ينشدون الأمان والسلامة والمدرسة في بلاد الآخرين. ثم توالى عمليات الهجرة الإضطرارية. وفي أقل من ثلاث سنوات بات هنالك مجتمع لبناني قائم في ديار الهجرة الإضطرارية خصوصاً في فرنسا وبريطانيا وكندا وأستراليا وأميركا وبعض الدول الأوروبية والعربية. وكما حال الخليجيين الآن في لبنان فإن طليعة المغادرين تمثلت بالأمهات والبنات والأولاد ثم لحق الأزواج بهم بعد ذلك. وإفترض الجميع في البداية أن غربتهم لن تطول أكثر من ثلاثة أشهر لذا سكنوا في الفنادق ثم ما لبثوا أن فعلوا كما يحدث مع خليجي الشتاء اللبناني حيث بدأت كل عائلة تستأجر شقة تسكن فيها، وبدأ رب عائلة يفكر في عمل يعينه على مواجهة أعباء الغربة.

وصارت السنوات تمر الواحدة تلو الأخرى إلى أن حدث الإنقاذ من خلال مبادرة القيادة السعودية التي دعت إلى عقد مؤتمر الطائف وسهرت عليه بإخلاص ورعاية دؤوبة من جانب الملك فهد وإخوانه وأبناء الشعب السعودي... إلى أن تم الاتفاق على أن يستعيد لبنان هدوءه وتعود إلى الحكم شرعيته. وبعد ذلك بدأت

الهجرة المعاكسة إلى لبنان إنما بتناقل لأن كثيرين باتوا جزءاً من المجتمعات الجديدة. وما نتمناه لإخواننا الخليجيين هو ألا يصيبهم ما أصاب اللبنانيين علماً بأن نشوء مجتمع خليجي في لبنان سيكون في بعض جوانبه جزءاً من النسيج اللبناني وذلك لأن المحبة متبادلة والمشاعر خالية من الحسد والنكد.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 28 فبراير (شباط) 2003

* * *

حكومة... وبراميل قمامة

من فهمم يدانوا. هذا ما يمكن قوله عن أهل الحُكم في إسرائيل وكيف يصنّف هؤلاء بعضهم وبالذات عندما تكون هنالك غنائم برسم "التناش".
الوقائع في هذا الشأن كثيرة وقديمة. وما دامت الواقعة الجديدة تقي بالغرض فإننا نتوقف عندها. وخلاصة هذه الواقعة أنه بعد الفوز الساحق لأرييل شارون في الانتخابات بدأ السعي لتشكيل حكومة يريد منها أن تكون خدعة جديدة، كذلك الخدعة التي تمثلت في إشراك "حزب العمل" في حكومة "الوحدة الوطنية"، التي كانت عملياً حكومة تدمير البنى التحتية والفوقية للسلطة الوطنية الفلسطينية وحذف الشأن القيادي للرئيس ياسر عرفات وقتل أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين، والتسبب في قتل بضع مئات من الإسرائيليين سقطوا في عمليات إستشهادية قلبت الموازين كما لم تتقلب من قبل. وفي ضوء الحسابات التي تقوم على المناورة والمحاكة إرتأى شارون أن يستعين بحركة شينوي عوضاً عن التعاون مع حركة "شاس" الأمر الذي جعل الزعيم الروحي لهذه الحركة التوراتية الحاخام غوفاديا يوسف يقول على الملأ: "لقد قلت أن شارون سيتحول إلى رئيس حكومة براميل قمامة، وهذا ما حدث حيث أن "شينوي" هي براميل القمامة وهو رئيس حكومتهم...".

وهذا الأسلوب "الراقي" في التخاطب من جانب هذا الحاخام الذي طالما أمطر العرب والفلسطينيين بوجه خاص بأقذع ما في قاموسه من شتائم مع أنه رجل دين والمفروض برجال الدين عموماً ألا يكونوا شتامين وردّاحين... هذا الأسلوب يجعلنا نقول: من فهمم يدانوا. وإذا كانت تلك نظرتهم إلى بعضهم فهل كثير على الجسم العربي أن يكون رافضاً لهذا العضو

الغريب المفروض بقوة التآمر الدولي علينا. لعن الله الذين تأمروا قُبْلَ نصف قرن وكل الذين يواصلون التآمر من بعد ذلك.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 5 مارس (آذار) 2003

حيّا الله بو متعب

من موجبات الإنصاف والتقدير لَمَنْ وضع الإصبع على الجرح ومن خلال رؤية فكرية ووجدانية وضميرية للحرب التي يريد كواسر الإدارة الأميركية شنّها على العراق طمعاً بما خص الله به بلاد الرافدين من ثروات طبيعية وموقع إستراتيجي، أن يلقي من الذين شاركوا في القمة العربية الدورية التي إستضافها ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة في منتجع "شرم الشيخ" بدعوة من الرئيس حسني مبارك، التقدير والثناء، لا أن ننش من ثانيا الذاكرة أموراً لا يجدي نبشها في مواجهة الكارثة التي يقترب إعصارها من الأمة بدءاً بالبوابة العراقية. فالقضية الأساسية الآن هي الحرب التي من الواجب بذل كل الجهود من أجل ألا تحدث، أو إذا كان من الصعب تحقيق ذلك فعلى الأقل إرجاؤها إلى حين تهدأ النفوس وتتراخي عضلات الذين يفكرون بعضلاتهم وليس بعقولهم.

والذي وضع الإصبع على الجرح كان وليّ العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز الذي رسم بمفردات بليغة صورة الحرب المبعوضة، الأمر الذي جعل أهل القمة لا يترددون في أن يأتي البيان الصادر عن مؤتمرهم متضمناً الرفض القوي للحرب. وفي كلمته التي مهّد فيها لـ "الميثاق الإصلاحي" الذي كنا نتمنى لو أن القمة ناقشته وأقرته وبحيث يصبح قاعدة للعمل العربي المشترك قال وليّ العهد: "إن الحرب بكل صورها هزيمة للقيم، وفي الحروب القاتل والمقتول شركاء في الهزيمة، فالحرب أولها شكوى وآخرها بلوى، ولنتذكر بأن الرصاص إذا إنطلقت لا يمكن لها في خضم الفوضى أن تميز بين البريء والمذنب، الرجل والمرأة، الشيخ والطفل.. هي في كل الأحوال لا بد أن تستقر في مقتل، وأعوذ بالله من إراقة الدم الذي عصمه الله...".

هذا التشخيص من جانب الأمير عبد الله للحرب وبهذه المفردات المستندة إلى رؤية فكرية عميقة سمعه

ولا بد الرئيس جورج بوش الابن في "كراوفورد" وسمعه عشرات المسؤولين المدنيين والعسكريين الأميركيين والبريطانيين وغيرهم ممن زاروا مجلسه. وهو تشخيص ينبع من الإقتناع بأن الحرب التي يرى كواسر الإدارة الأميركية بأنها الحل لا تراها المملكة هكذا على الإطلاق. ولو أن الحرب كانت هي الحل لما كان الأمير عبدالله طرح قُبْلَ أكثر من سنة رؤيته التي تتشد تحقيق السلام العادل في المنطقة، والتي باتت مبادرة عربية، ولما كان أتبع المبادرة بـ "ميثاق الإصلاح"، ولما كان يؤدّن للوفاق على مدار الساعة كي لا تسقط الأمة فريسة كواسر الإدارة الأميركية بمعونة سندهم البريطاني طوني بليز. ومثل هذا السعي المخلص والدؤوب يوجب على كل العرب، حكاماً في القمة ومحكومين في الديار العربية من المحيط إلى الخليج، إسداء الشكر لَمَنْ ينوب عنهم في إسماع دعاة الحرب وجهاً لوجه وفي ساحتهم وقبْل الأشقاء في مؤتمر لهم من نوع مؤتمر "شرم الشيخ"، النظرة الواعية لما يمكن أن تسببه لهم الحرب التي لا منتصر فيها ما دام القاتل والمقتول شركاء في الهزيمة.

حيّا الله بو متعب وسدد خطاه وأبقاه منشراح الصدر بطيء الغضب... سريع التسامح... عالي الهمة بعلو هامة مملكة عبد العزيز. هذا هو حال لسان أبناء الأمة... وكاتب هذه السطور واحد من الملايين.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 7 مارس (آذار) 2003

لا تُجادل معانداً

تلقت الإنتباه هذه "الانتفاضة" المباغطة في أوساط مسيحيي العالم وكيف أن رئيس الكنيسة الكاثوليكية البابا يوحنا بولس الثاني يقود حملة روحية ضد الحرب يشاركه فيها رؤساء بقية الكنائس المسيحية. ووصلت الحملة إلى أن البابا يوحنا أوفد إلى الرئيس جورج بوش الابن الشخص الذي يجمع الصفات التي تؤهله لكي يكون وسيط خير ضد مخطط الشر. وهذا الشخص هو الكاردينال بيولاجي الذي قابل الرئيس بوش يوم الأربعاء 6 مارس في البيت الأبيض لمدة أربعين دقيقة ليس فقط لنقل رسالة من البابا يوحنا بولس الثاني وإنما لكي يقول الكاردينال المبعوث للرئيس بوش، المسكون بهواجس الحرب الراض الإصغاء إلى أي نصيحة

تتعلق بإعتماد الحوار والحلول السياسية والدبلوماسية، ما تجيز له العلاقة مع عائلة بوش قوله.

وهذه العلاقة هي إحدى الصفات المتوفرة في الكاردينال بيو لاجي الصديق لجورج بوش الأب أيام كان بوش الأب رئيساً وكان الكاردينال سفيراً للفاثيكان في واشنطن بينما كان بوش الابن الرئيس الحالي ولداً بيدي الوالد الرئيس أمام صديقه الكاردينال مر الشكوى من تصرفاته متطوعاً إلى سماع نصيحته كرجل دين في الأسلوب الذي يتوجب إتباعه لكي يسلك الصراط المستقيم. أما بقية الصفات في شخص الكاردينال فهي أنه في ذروة سن الحكمة حيث بلغ الثمانين، وأنه موضع ثقة البابا، وأنه متجرد، وأنه لا يريد منصباً ولا جاهاً، ولا حصة نفطية من مغامرات الحرب على العراق على نحو ما يسعى ذلك الجشع المكتنز مالا رئيس الحكومة الإيطالية بيرلسكوني... وإنما كل الذي يريده هو أن تتجو عائلة بوش التي ربطته بها علاقة تشبه في بعض جوانبها العلاقة التي بين هذه العائلة والأمير بندر بن سلطان السفير السعودي الحالي ومنذ أيام رئاسة رونالد ريغان.

ما فعله الكاردينال هو أنه سلم الرئيس بوش الإبن رسالة من البابا يوحنا بولس الثاني تضمنت الفقرة الأخيرة منها العبارة الآتية: "أؤكد لك أيها الرئيس إنني أصلي لأجلك وأجل أميركا وأتضرع إلى الله أن يلهمك لتسعى من أجل تحقيق سلام راسخ وهو أنبل مسعى إنساني...". ثم أضاف من عنده الكثير مما تسمح له العلاقة الشخصية بقوله مع التركيز على "أن أي ضربة إستباقية ضد العراق تشكل عملاً غير أخلاقي كما أن الحرب ستكون - ما لم تحز دعم الأمم المتحدة - غير شرعية وغير عادلة"... أما الرئيس بوش فإن كلامه كان حول أن العالم سيكون أفضل إذ ما وافق صدام حسين على نزع سلاحه وأن عليه تنفيذ واجباته لتوفير أمن الشعب الأميركي...". وقد ردد هذا القول مراراً وكما لو أنه يقول للكاردينال ما معناه: أبلغ سيدك أن هذا هو كل ما عندي أقوله له.

بعد إنتهاء اللقاء قال الكاردينال العجوز الذي تحمّل مشقة السفر آملاً في أن يكون هنالك تجاوب من جانب بوش الرئيس وبوش العائلة مع مهمته، ما معناه أنه ما زال يرى أن الحرب على نحو ما يُصر عليها الرئيس بوش ستكون عملاً غير أخلاقي مضيئاً القول: "إنني لم أسمع أي جديد من الرئيس. وأنا ذاهب مع الأمل على الرغم من أن الوضع هو كما هو:

ويجب أن أقول ذلك لأنني كاهن...".

أليس الكاهن في كلامه هذا كمن يريد القول: لا تجادل معانداً... خصوصاً إذا كان رئيساً يتطلع إلى أن تتوجه الحرب أمبراطوراً؟

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 9 مارس (آذار) 2003

* * *

حريق الإسكندرية وشرارة "شرم الشيخ"

أفزعني الحريق الذي حدث في مكتبة الإسكندرية ظهر يوم الأحد 2 مارس الجاري (2003) في الوقت الذي كانت آثار الفزع الناشئ عن الشرارة القذافية في قمة شرم الشيخ مازالت تتفاعل في النفس ومن قبل أن تحدث المباراة الدورية - الصباحية في رحاب قمة الشيخ حمد آل ثاني في الدوحة. الحريق كاد يقضي على أهم إنجاز فكري في عهد الرئيس حسني مبارك. والشرارة كادت تغرر قمة لم نصدق أنها ستعقد بعدما طال أمر عدم المسارعة إلى عقدها. وإذا كانت التكنولوجيا متمثلة بنظام إطفاء الحرائق وعلى وجه السرعة في المكتبات العامة والمؤسسات الحساسة المعنية بشؤون الفكر والتراث وبما لا يترك المجال أمام إتساع رقعة النار تلتهم في طريقها الكتب والمخطوطات والوثائق والصور التاريخية النادرة، أنقذت مكتبة الإسكندرية، فإن الحكمة وتغليب المصلحة العامة على إيذاء النفس هي التي وضعت حداً لعدم وصول الشرارة إلى مبتغى مفتعلها وبذلك نجت القمة المعجزة من حيث الإنعقاد من الإنهيار نتيجة بعض العبارات النارية.

ومثلما أعاد حريق مكتبة الإسكندرية إلى الذاكرة ذلك الحريق الذي أصاب دار الأوبرا في القاهرة في عهد الرئيس الراحل أنور السادات، فإن شرارة قمة "شرم الشيخ" كادت تعيد إلى الذاكرة تلك الأجواء العاصفة التي كانت سمة حقبة الستينات وبعض السبعينات والتي لم تجن الأمة منها سوى الخصومات والأحقاد وتيبس العاطفة الأخوية وبفقد ما نحمد الله على أن الثروة الفكرية التي تحويها مكتبة الإسكندرية التي تم تدشينها يوم 16 أكتوبر 2002 بحضور عدد من رؤساء العالم من بينهم الرئيس جاك شيراك سلمت من ألسنة اللهب، إلا أن الحريق الذي حدث بفعل فاعل شرير أو نتيجة مس كهربائي خطير يحتاج إلى

وقفة من جانب السلطات المختصة في مصر وغيرها حيث باتت ظاهرة المكتبات التراثية ومن بينها مكتبة الملك عبد العزيز في الرياض ومكتبة الأسد في دمشق منارات من المهم حمايتها بشكل إستثنائي. وما نقصده بالوقفة هو التشدد في الرقابة والكشف في إستمرار على النظام التقني في هذه المكتبات وكذلك التأكد من الرواد كي لا يكون أحدهم أتى من أجل إشعال المكتبة ناراً وذلك على أساس أنها من الأهداف السهلة، ولم يأت لغرض ثقافي وفكري وعلمي.

وللتذكير نقول إن مكتبة الإسكندرية أُعيد إحيائها بعد تأمين مبلغ 225 مليون دولار أخذت السيدة سوزان زوجة الرئيس حسني مبارك على عاتقها مسؤولية جمع الجزء الأكبر منه كبادرة مساندة من بعض الحكومات المقتدرة مالياً ومن هؤلاء الرئيس صدام حسين الذي قدّم بإسم العراق خمسة وعشرين مليون دولار، وكان ذلك عام 1990 وقبل إجتياح الكويت وإنهيار "مجلس التعاون العربي" الذي كان يضم مصر والعراق والأردن واليمن. للتذكير أيضاً نقول إن مكتبة الإسكندرية القديمة التي كانت منارة فكرية من العام 300 قبل الميلاد إلى القرن السابع للميلاد دُمرت مرة وأحرقت مرتين. التدمير حدث خلال حركة تمرد على القيصصر في العام 48 قبل الميلاد. أما الحريق الأول فكان في العام 390 م تلاه حريق آخر في العام 642 م وفي المرتين كان الذي حدث إحراقاً متعمداً ولم يكن حريقاً عابراً لأنه لا وجود زمنذاك للكهرباء لكي يحدث المس الذي يقال إنه السبب في الحريق الأول لمكتبة الإسكندرية المتجددة يوم الأحد 2 مارس والذي نميل إستناداً إلى ما حدث للمكتبة في الماضي إلى أنه كان إحراقاً وليس حريقاً.. ومن أجل ذلك ننادي بالتشدد واليقظة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 10 مارس (آذار) 2003

رموز الإستقبال التاريخي

من فهد إلى شيراك

لقي الرئيس جاك شيراك في الجزائر يوم الأحد الماضي التي بدأ "زيارة دولة" لها، إستقبالاً تاريخياً كان يحلم به مثله الأعلى شارل ديغول ويتمناه من

الرئيس الراحل هواري بومدين المثل الأعلى للرئيس عبد العزيز بوتفليقة. ولكن رئيس الجمهورية الخامسة لم يجدد الرئاسة لكي يحقق الحلم ثم رحل ورحل من بعده بومدين رحمة الله عليهما.

يمكن إعتبار هذا الإستقبال الرسمي والشعبي الإستثنائي للرئيس شيراك مزدوج الهدف. فهو من جهة تحية شكر للرئيس الفرنسي الصامد في وجه الهيمنة الأميركية المستندة إلى الأفكار غير العاقلة لمجموعة من المنظرين الذين يرون أن تكون أميركا هي أمبراطورية الألفية الثالثة ومن دون منازع أو منافس. وهو نوع من الإمتنان له لأنه الأكثر تفهماً في الغرب للمشاعر العربية والإسلامية إزاء أمور وقضايا بالغة الأهمية بالنسبة إليها مثل القضية الفلسطينية والنزاع الفلسطيني - الشاروني، والحرب على العراق والإرهاب حيث الخلط الأميركي بين المقاومة المشروعة والإرهاب متعمد، وإستمرار الإحتلال الإسرائيلي لإراض عربية في سوريا ولبنان، والإستهانة من جانب أميركا وإسرائيل برغبة العرب في السلام العادل والشامل في المنطقة، والتعامل بخفة مع رؤية ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز التي إعتدتها القمة الدورية الثانية في بيروت مبادرة عربية، وإصرار إسرائيل على أن تملك ما تريد من السلاح النووي وكل أنواع سلاح التدمير الشامل وتحريم ذلك على العرب .. هذا فضلاً عن إستخفاف إسرائيل بقرارات الشرعية الدولية وعدم تنفيذ أي منها معتمدة على غض الطرف الأميركي عن ذلك عموماً.

أهمية الإستقبال التاريخي للرئيس شيراك أنه سيزيل إلى الأبد بقايا ندوب سنوات الإستعمار والإستيطان الفرنسي التي دامت 132 سنة، فضلاً عن التأكيد بأن التسامح والمصالحة والمغفرة هي في النهاية مسائل لا بد منها. كما أن الإستقبال التاريخي هو بمثابة فتح بوابة أمام فرنسا كانت تحلم بها أميركا وعملت كثيراً في سبيلها إلا أن إدارتها الثلاث الأخيرة تصرفت مع الجزائر وتواصل التصرف مع دول المغرب العربي عموماً بما يُقلق الحكام ويُغضب المحكومين.

ويبقى أن هذا الإستقبال الجزائري التاريخي للرئيس شيراك الذي يجني ثمار شجرة زرعها الجنرال ديغول، يندرج في سلسلة من الإستقبالات التاريخية الرسمية - الشعبية التي حدثت خلال العقود الأربعة الماضية ومن بينها إستقبال رفض هزيمة 1967 الذي لقيه الملك فيصل بن عبد العزيز والرئيس جمال عبد

الناصر من الشعب السوداني في مناسبة قمة الخرطوم الشهيرة صيف 1967، وإستقبال الإمتنان الرسمي والشعبي التاريخي في ديسمبر 1969 من جانب الرئيس عبد الناصر والشعب المصري للملك فيصل على موقفه والذي كان الأول من نوعه من حيث التحشيد والإهتمام يجري في مصر عبد الناصر وبإشراف علي صبري شخصياً لحاكم عربي أو أجنبي ، يلي ذلك الإستقبال الشعبي والرسمي الضخم الذي لقيه الملك فهد بن عبد العزيز عندما زار بغداد بعد إنتهاء الحرب العراقية - الإيرانية وأراد العراقيون نظاماً وشعباً تسجيل الشكر والعرفان بالجميل السعودي في سنوات الحرب فكان الإستقبال المتميز وما رافقه من توسيم وكلمات ثناء .

ما نريد قوله إن كل الإستقبالات التاريخية التي أشرنا إلى نماذج منها هنا تليق بالذين جرت لهم ... وأنها كانت خير تحية من أجل خير أفعال .

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 12 مارس (آذار) 2003

* * *

"المسيرة البشّارية" ... ومسيرات أخرى

أعادت مسيرة شعبيه تحمل تسمية "الوفاء والكرامة" جرت يوم الأحد الماضي (10 مارس) بغرض دعم النهج الذي يعتمده الرئيسان اللبناني إميل لحود والسوري الدكتور بشّار الأسد إزاء موضوع الحرب الأميركية - البريطانية على العراق والمحتمل أن تبدأ يوم 18 مارس الجاري (2003)... أعادت هذه المسيرة إلى الأذهان مسيرات من النمط نفسه حدثت في الخمسينات والستينات والسبعينات مثل المسيرة الشعبية اللبنانية إلى دمشق في زمن الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958 لمبايعة الرئيس جمال عبد الناصر الذي وقف زمنذاك على شرفة القصر الجمهوري يحيط به الرئيس السوري شكري القوتلي وزعماء الأحزاب السورية، لتحية الجماهير التي أطلقت حناجرها هتافات حماسية، بمثل وقوف الرئيس بشّار الأسد بعد 45 سنة يوم الأحد على شرفة "قصر الروضة" يحيي لمدة نصف ساعة الجماهير التي أطلقت هتافات أعادت إلى الأذهان هتافات الزمن الماضي ومن بينها "يا أميركا لمي كلابك لمي جيوشك بكرة الشعب العربي

يدوسك" و"طوني بلير صبرك صبرك في بغداد تحفر قبرك" و "يا عراق شد الحيل ما بيدوم هذا الليل".

بدأت هذه المسيرة في القصر الجمهوري في بيروت ثم إنتقلت سيارات وحافلات المشاركين إلى دمشق إستقرت في ساحة قصر الرئاسة السورية وبما أن لبنان هو ساحة التناقضات فإن القوة الشعبية الأكثر تنظيماً وجماهيرية والمتمثلة بـ "حزب الله" و"حركة أمل" و"الحزب التقدمي الاشتراكي"... وكلها تشكل العمق الشعبي الأكبر شأناً في لبنان للحكم السوري، لم تشارك في المسيرة خشية أن ترتفع صور للرئيس صدام حسين وهي ضد الرئيس العراقي ونظامه البعثي. وجاء الرد على عدم المشاركة يفاجئ هؤلاء لأن صور صدام حسين غابت عن المسيرة وإرتفع علم العراق بدلاً من الصورة إلى جانب أعلام سوريا ولبنان وصور بشّار الأسد وجمال عبد الناصر. وهذا يعني أن مسيرة لاحقة ستقوم بها هذه الأحزاب.

تبدو "المسيرة البشّارية" التي نكتب عنها شبيهة بـ "المسيرة القذافية" الوحشية الليبية في السبعينات التي بدأت في بنغازي في إتجاه القاهرة لتفرض الوحدة مع مصر بقوة الحناجر وما أن وصلت إلى مرسى مطروح حتى بدأ السعي المصري لعدم متابعة ألوف إخواننا الليبيين الذين شاركوا فيها، الطريق إلى الإسكندرية فالقاهرة.. ثم قرر الرئيس السادات منع التظاهرة من مواصلة سيرها والإكتفاء بإستقبال ممثلين عنها. كما أن "المسيرة البشّارية" تبدو شبيهة بـ " المسيرة الخضراء" المغربية في إتجاه الصحراء التي أرادها الملك الحسن الثاني بمثابة خطوة حاسمة لموضوع الصحراء العالق وإنهاء حركة "البوليساريو". ما نريد قوله لمناسبة " المسيرة البشّارية" هو أن المسيرات السابقة لم تحقق الغرض. فالوحدة المصرية - السورية سرعان ما إنهارت، واللهفة الليبية للوحدة مع مصر إنتهت إلى خصام وإلى حد أن الرئيس السادات أعلن الحرب على ليبيا الأمر الذي جعل الحذر يسود علاقات الجارين العميقين، ورؤية الحسن الثاني لما قد تحققه مسيرته الخضراء سببت له خيبة أمل بدليل أن موضوع الصحراء مازال عالقاً يحاول جيمس بيكر وزير خارجية "الحرب البوشية" الأولى على العراق إيجاد الحل له.. ولا يجد.

لكننا ونحن نقول ذلك نتمنى أن تشكل "المسيرة البشّارية" للرئيس السوري الشاب ما عجزت عن تحقيقه المسيرات الأنفة الحدوث والذكر على مدى حوالى نصف قرن.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 13 مارس (آذار) 2003

* * *

الرئيس المغلوب على أمره

لا أحد يحسد رئيس الحكومة البريطانية توني بلير على الوضع الذي وجد نفسه فيه نتيجة وقوفه مع صديقه الرئيس بوش الابن، الشبيه بموقف رئيس الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر عام 1990-1991 مع والده الرئيس بوش الأب.

إفترض بلير أنه ما دام في سن فتية فإن مشاركته بوش الابن النظرة والحرب على العراق ستحقق له البقاء في الحكم عشر سنين إضافة على الأقل وبذلك يدخل التاريخ على أنه أول رئيس وزراء يبقى في موقعه خمس عشر سنة حيث إنه عندما يغادر "10 دوانغ ستريت" يكون بمثل مغادرة صديقه الرئيس الأميركي السابق بيل كلنتون للبيت الأبيض من حيث الأهمية والحيوية. كما أن بلير إفترض أنه بوقوفه إلى جانب صديقه بوش الابن ونجاح بوش المؤكد في الحرب على العراق سيحقق له، عدا الإعتداد بالنفس بأنه أهم رئيس وزراء بريطاني بعد ونستون تشرشل، مبايعته زعيماً على أوروبا في وجه الرئيس الآخر الذي يتطلع إلى هذه الزعامة جاك شيراك.

حسابات بلير لم تكن دقيقة ربما لأنه بالغ في الإعتداد بنفسه، وربما لأن أهل السياسة في بريطانيا من النوع الذي لا يتحمل الأسلوب الذي إعتدده الرئيس بوش الابن في التعامل مع رئيسهم، وربما لأن النقد المير من جانب بعض الصحف البريطانية وبعض فقهاء القانون وأساتذة الجامعات العريقة ونجوم الغناء، فضلاً عن الإعتراض الحاسم من جانب الكنيسة، أشعل الرأي العام إنزعاجاً فكانت مسيرة المليونين الشهيرة في لندن رفضاً للحرب لكيلا يصيب بريطانيا من حرب بوش الابن ما أصابها من حرب بوش الأب 1991، ولكيلا تنقطع أواصر بريطانيا مع شقيقاتها الأوروبيات، ولكيلا تكون الحرب مغامرة غير مأمونة العواقب الإنسانية والاقتصادية والنفسية. بعد أن إزداد

بلير عناداً وإصراراً على المشاركة في حرب بوش الابن إلى درجة إعتبارها حرباً ثنائية بدأت داخل "حزب العمال" الذي إختاره ليكون رئيساً للحكومة "إنتفاضة"... إنما على الطريقة الإنجليزية، أي إنها باردة لكنها فاعلة. وشجع على هذه "الإنتفاضة" حال من عدم الإرتياح داخل الحزب من وزير الخارجية جاك سترو الذي ينظر إليه الحزب بأنه يضع مصلحته الشخصية قبل مصلحة بريطانيا في أية حسابات. وكانت وزيرة التنمية الدولية كلير شورت المبادرة إلى فتح معركة المواجهة مع رئيسها بلير وذلك من خلال إنتقادها موقفه في البداية ثم تطوير الإنتقاد إلى التهديد بالإستقالة إذا شاركت بريطانيا في حرب ضد العراق دون قرار ثان من مجلس الأمن الدولي يجيز إستخدام القوة. ثم قالت عن رئيسها إنه "متهور سياسياً ودبلوماسياً وشخصياً"... وتزامن توصيفها هذا مع إعلان 125 نائباً من نواب "حزب العمال" معارضتهم للحرب، وإستقالة نائب من هؤلاء من منصبه الحكومة وتهديد آخرين بالإستقالة. ثم جاء دور عميد النواب العماليين في مجلس العموم تام داليل الذي خاطبه على نحو مخاطبة "حزب المحافظين" لزعيمته مارغريت تاتشر وهي في زيارة إلى فرنسا بأن عليها أن ترحل. ومما قاله العميد: "إن الولايات المتحدة على خطأ ونحن في غاية الغضب كما أن فرنسا وألمانيا محقتان، ونرى أن يرحل بلير على الفور...".

مسكين هذا الرئيس المغلوب على أمره فهو لم تفده صداقة أميركا ولن تتحقق له زعامة أوروبا ويكاد يخسر رئاسة بريطانيا ترحيلاً تقادياً من "العمال" لعدم إنبهار هيبة حزبهم. لقد باتت حاله تماماً على نحو المثل الشعبي الذي يقول ما معناه مع بعض التعديل "خسر بلح العراق ولم يذق غيب أميركا".

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 14 مارس (آذار) 2003

* * *

"أم القنابل"

و"أم جمهوريات الموز"؟ (1)

هنالك مواقف فكرية وسياسية لا تأخذ حقها تتزامن مع التحشيد العسكري الأميركي الهائل إستعداداً لحرب ستقع ولا شك يوم الثلاثاء 18 مارس... إلّا في حال برز إستثناء لقول القائلين إن زمن المعجزات إنتهى،

وحدثت في اللحظة الأخيرة الصحوه التي هي "المعجزة الإستثناء" فلا تقع الحرب. وفي حال حدوث هذه "الصحوه - المعجزة" فإنها ستكون مثل اللحظة التي تسبق تنفيذ حُكْم الإعدام شنعاً أو بالرصاص عندما يتم إتصال عاجل فحواه أوقفوا التنفيذ على الفور لأن هنالك مفاجأة تستوجب ذلك.

بعض هذه المواقف صدر قبل إستفحال الأزمة الراهنة الأميركية - الأوروبية ببضعة أشهر، وجاء التصعيد في الأزمة على نحو ما هو ظاهر في تباين الآراء بين إدارة الرئيس بوش الابن والرئيس الفرنسي جاك شيراك والذي بات بمثابة صراع حقيقي يؤكد صوابية هذه المواقف، ومن بينها التحليل الموضوعي الذي أورده روبرت كيغان وهو مفكر أميركي محسوب على خط النهج السياسي لإدارة الرئيس بوش في مقال خلاصته "إن الوقت حان للتخلي عن الوهم القائل إن الأوروبيين والأميركان يشاركون في رؤية مشتركة للعالم، أو حتى إنهم يعيشون في العالم نفسه...". ولو أن كواسر الإدارة الأميركية إهتموا بمثل هذا التنظير الجدي وضعوا حداً لإندفاعهم في إعتبار أوروبا عربة في القاطرة الأميركية وهو ما تسبّب في نشوء الصراع الذي سيستمر على الأرجح طويلاً مع الرئيس شيراك ومع بقية رؤساء فرنسا من بعد، وهو سيجعل حكام بقية الدول الأوروبية بمن فيهم بريطانيا أكثر تفهماً للإعراضات الشيراكية على الأساليب التكسسية. وما التداعيات التي تعيشها بريطانيا متمثلة بمسيرة المليونين اللندنية ثم بموقف الكنيسة والإنقسام الخطير داخل "حزب العمال" إحتجاجاً على مفاهيم رئيس الحكومة توني بلير، سوى تأكيد على التفهم البريطاني للإعراضات الشيراكية.

من المواقف تحليل آخر لمفكر وحكيم أميركي في الثمانين من العمر هو نورمان ميلر أورده في سياق مقالة نشرتها صحيفة "هيرالد تريبيون" يوم الثلاثاء 11 مارس، أي في اليوم الذي كان فيه سلاح الجو الأميركي يعلن متباهياً أنه ألقى قنبلة وزنها نحو عشرة آلاف كيلوغرام على ساحة رمادية في شمال غرب فلوريدا في أول إختبار حي للسلاح الجديد الذي يطلق عليه إسم "أم القنابل" والتي على الأرجح سيتم إستخدامها على العراق لإسقاط نظامه الذي يتباهى بإنتصاره في "أم المعارك". و"أم القنابل" هذه تزيد قوتها بنسبة 40 في المئة عن أقوى قنبلة حالياً من وزن 6750 كيلوغراماً التي إستُخدمت في قصف كهوف

"تورا بورا" في أفغانستان عام 2001.

وعلى رغم صوابية رؤية الفكر الثمانيني التي نسجل غداً نقاطها الرئيسية، إلا أن كواسر الإدارة الأميركية الذين لم يقتنعوا أن أميركا أميركا وأوروبا أوروبا وقد يفترقان، إستتمروا بإندفاعهم نحو الخيار الحربي يرون أن "أم القنابل" أصدق أنباء من الحكماء سواء كان هؤلاء من نوعية نورمان ميلر... أو من نوعية شيخنا الجليل عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري.

... ولل كلام بقية.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأحد 16 مارس (آذار) 2003

"أم القنابل"

و"أم جمهوريات الموز"؟ (2)

يقول الحكيم الأميركي نورمان ميلر مستبقاً "الحرب البوشية" المحتمل أن تبدأ يوم 18 مارس تأكيداً لتأكيد سيد البيت الأبيض بأن "مارس" هو "إله الحرب" قديماً وفي الزمن الأميركي الراهن... يقول هذا الحكيم من باب إساءة النصيحة، وعلى نحو ما يسديها شيخنا الجليل عبدالعزيز بن عبد المحسن التويجري في اللحظة الفاصلة بين القرار العاقل والخطوة المجنونة المتجنبة من نوع الحرب بدافع الغزو ووضع اليد، ما يأتي في مقاله في "الهيرالد تريبيون":

• "إن الرئيس بوش وعدداً من المحافظين قد إستنتجوا أن السبيل الوحيد لإنقاذ أميركا وإنتشالها من إنحدارها الحالي هو في جعلها نظاماً ذات حضور عسكري أعظم شأنًا والسير بها نحو الأمبراطورية. أخشى إحتمال أن يفقد الأميركيون ديمقراطيتهم في هذه العملية بالإنحدار، لا أشير إلى فضائح الشركات وفضائح الكنيسة وفضائح مكتب التحقيقات الفدرالي إل "إف. بي. أي" فحسب، فقد بدت البلاد في أعين المحافظين كما لو مسّها من الجنون، حتى إن الأطفال لم يعودوا يقيمون على القراءة. لقد أصبحت الثقافة على درجة عالية من الإباحية الجنسية خصوصاً بالنسبة إلى المحافظين.

• "يتوقع البوشيون إحلال الديمقراطية في المنطقة ويعتقدون أنها ستساعد على الحد من الإرهاب، لكنني

نكهة أوروبية للردح والتلاسن

في موضوع الردح السياسي والتلاسن وعلى المستويات العليا، فإن الصيت هو لدول العالم الثالث وبالذات للحكومات العربية، أما الفعل بمعنى أن تكون مفردات جولات الردح والتلاسن بقوة القذائف فلأوروبيين وآخرين.

وقبل الصراع الأميركي - الأوروبي المتواصل حول موضوع العراق لم يصل الردح إلى ما وصل إليه وبقي "معجم التخاطب" بين الطرفين ومن يقف إلى جانب كل منهما خالياً من مفردات، يستغرب المرء صورها عن أطراف تعتبر نفسها حضارية وتنهك على دول العالم الثالث وسياسيها وحكامها بحجة أنهم غير حضاريين في خلافاتهم بين بعضهم البعض.

وعند قراءة ما تنشره بعض الصحف وتبثه التلفزيونات في أميركا وبريطانيا وفرنسا وفي بقية الدول التي تسير في ركب هذا الطرف أو ذاك تستوقف المرء مفردات من الصعب التصديق أنها صادرة عن جهات حضارية. ولكن يبدو أن السباب لا سائر له وأن الجميع في هذا الشأن موحدون. ونحن عندما نقول ذلك نتذكر كيف أن صحيفة "ذي صن" الأكثر إنتشاراً في بريطانيا، إنما من دون أن تعتمد الرصانة والرقى في التناول، أصدرت في عز إشتعال ضيق رئيس الحكومة البريطانية طوني بليز الحليف المغامر للرئيس جورج بوش الابن عدداً خاصاً لشتيم الرئيس شيراك، ووزعته مجاناً في بريطانيا وفرنسا، وإستعملت في شتائمها مفردات غير لائقة واضحة على صفحتها الأولى عناوين عريضة من نوع "شيراك دودة" واصفة موقف فرنسا من العراق بأنه "موقف منافق" وأن شيراك هو "قواد باريسي".

وإذا كان الرئيس شيراك حاول الظهور بأنه لم ينزعج من ذلك فإن الحملة البريطانية عليه أقلقّت بعض وزراء حكومته الذين إعتبروا أن المتهممين على الرئيس الفرنسي ينطقون بلسان أميركي وأن هؤلاء "مرضى ومقرفون إستخدموا ألفاظاً تعبر عنهم أكثر مما هي موجهة إلى الرئيس شيراك...".

الردح الذي نشير إليه لا يتوقف. وفي كل يوم هنالك المزيد من المفردات والألفاظ التي تؤذي المعنويات وتجرح المشاعر. لكن موقف الرئيس شيراك يبقى أقوى لأن له داخل "حزب العمال" في بريطانيا من يرون أنه على صواب وأن رئيسهم طوني بليز كان

أتوقع حدوث عكس ذلك. فالإرهابيون لا يتأثرون بالديمقراطية لا بل يكرهونها. إنهم أصوليون من النوع الأكثر أصولية. فكلما إزداد نجاح الديمقراطية في الشرق الأدنى، - ولا أعتقد ذلك ممكناً - أدى هذا إلى إزدياد الإرهاب.

• هنالك إندثار في أميركا في الدراسات الأساسية كالعلوم والتكنولوجيا والهندسة التي بدأت تتراجع بشكل لافت في الجامعات الأميركية. فعدد حائزي درجات الدكتوراة من الأميركيين في إنخفاض مستمر لكن عدد الأسويين الذين ينالون شهادة الدكتوراة في هذه الدراسات الأساسية نفسها يتزايد بوتيرة كبرى. ولا بد أن الإدارة الأميركية تعني إنه سيحين وقت تحظى فيه الصين بتكنولوجيا متفوقة على التكنولوجيا الأميركية.

• لقد إصطدم البوشيون بمعارضة أكبر بكثير مما كانوا يتوقعون من البلدان الأخرى ومن شعبهم في الداخل. على رغم من ذلك أعتقد أن أميركا ستذهب إلى الحرب، أعجبنا أم لا، أردنا أم لا، لأنه هذا هو الحل الوحيد الذي يستطيع بوش ورجاله أن يروه. لذا فالإحتمال المساوي الذي يفتح أمامنا هو أن أميركا ستصبح جمهورية موز كبيرة حيث سيرتدي الجيش أهمية متزايدة في حياة الشعب الأميركي، وسيشكل ذلك غلافاً يزداد سماكة بإستمرار فوق النظام الأميركي. وقبل أن ينتهي الأمر، وبالنظر إلى نبل الديمقراطية ورقيها فقد تستسلم...".

"إن خبرتي الطويلة مع الطبيعة الإنسانية حيث إنني الآن في الثمانين من العمر أرى أنه من الممكن أن تكون الفاشية لا الديمقراطية هي الوضع الطبيعي وسنكون في السنوات المقبلة مدعويين للدفاع عن الديمقراطية. وسيكون الأمر غاية في الصعوبة لأنه خليط عالم الشركات والجيش سبق أن أرسى جو ما قبل الفاشية...".

مرة أخرى نقول إن الذي يجري في أميركا يندرج تحت قاعدة... "أم القنابل" أصدق أنباء من الحكماء، وأن أصوات كونداليزا ورامسفيلد وبقية الكواسر مسموعة أكثر من أصوات الحكماء الذين يرون أن أميركا أميركا وأوروبا أوروبا ولن يلتقيا... وبالذات في نهج الهيمنة السائد الذي سيقود إلى أن تصبح أميركا "أم جمهوريات الموز".

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 17 مارس (آذار) 2003

على درجة من التهور، عندما قرر أن يكون بمثابة رصاصية في البندقية الأميركية بدل أن يكون الطرف الذي يمطر الرئيس بوش الإبن بالنصيحة تلو الأخرى كي يضرف النظر عن الخيار الحربي ويعتمد أسلوب الضغط.. إنما دون تعبئة الناس والجيش في اتجاه الحرب. ونقول ذلك على أساس أن البريطاني يبقى أكثر إحاطة بخصوصية المنطقة العربية ويعرف مدى فداحة الكارثة التي يمكن أن تنشأ عن الحرب. ومن المؤكد أنه لو اعتمد بلير أسلوب تزيين محاسن الضغط السياسي وبوجود هذه الألوف المؤلفة من القوات والآليات لكان أنفذ نفسه من الوضع الذي آل إليه ولكان نجا من سقوط بات قريباً حدوثه... إلا إذا كان بلير يمارس لعبة مزدوجة الغرض منها توريط أميركا التي لم يسبق لها التورط في المنطقة العربية وعند التورط تتقدم بريطانيا لانتشالها من الرمال التي غاصت فيها والحلول محلها كدولة أساسية يمكن العرب الركون إليها على أساس انها أنقذت المنطقة من شرور العم سام. وكل شيء بات وارداً كإحتمال في زمننا الراهن الذي هو زمن صدق ولا تصدق... بما في ذلك إحتمال أن يكون بلير داهية وليس ضالاً طريقه وهو إحتمال ضعيف.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 18 مارس (آذار) 2003

* * *

"رامبوات" هذا الزمن... عندما ينتقمون

لا نجد فرقاً يُذكر من حيث التفكير بين إنتقام الـ "رامبو العراقي الصّدّامي" من الرئيس جورج بوش الأب وذلك بوضع رسم موزاييكي له على مدخل "فندق الرشيد" يدوس عليه رواد الفندق من عراقيين وعرب وأجانب بمن فيهم الأميركيان والأوروبيين والروس.. ومن دون أن يؤثر هذا الدّوسان على مدى 12 سنة في إصرار الإدارة الأميركية على إبقاء العراق في مربع الحصار، وبين إنتقام الـ "رامبو الأميركي البوشي" من البطاطا المقلية على الطريقة الفرنسية علماً بأن البطاطا أميركية التربة ولا تدخل في قائمة السلع التي تستوردها أميركا من فرنسا المتمردة على "الأبّهة البوشية" وعندما يصل تفكير "رامبو الأميركي البوشي" إلى حد الدعوة إلى إستبدال إسم "فرنش فرايز" بإسم "فريدم فرايز" فإن هذا يدعو إلى الدهشة، ذلك أن إسم

هذا الصنف من الطعام بات معروفاً دولياً وبات مثل أسماء مؤسسات وشركات كبرى في الولايات المتحدة. كما أنه بات، وهذا هو الأهم، رفيق "برجر" العم سام على أنواع شركاته لا يحلو للأميركي بمن في ذلك الرئيس بوش نفسه تناوله من دون إرفاقه بالبطاطا المقلية على الطريقة الفرنسية. لذا فإنه عندما يصل تفكير "رامبو الأميركي البوشي" إلى حد الإنتقام من خلال تسمية الصنف "فريدم فرايز" أي بطاطا الحرية بدل "فرنش فرايز" ويبدأ تطبيق ذلك في مطعمين داخل مبنى مجلس النواب الأميركي. فإننا نغفر قليلاً لـ "رامبو العراقي الصّدّامي" طريقة إنتقامه المتمثلة بالرسم الموزاييكي.

ولاندري ما إذا كان جمهور الـ "برجر" الأميركي وهو بالملايين سيجد من السهولة بمكان التسليم بمثل هذا التلاعب بالتسميات وهل أنه كلما طلب وجبته السريعة سيقول "فريدم فرايز" بدل "فرنش فرايز". كما لا ندري إذا كانت شركات الـ "برجر" الأميركية ستفرض على وكلائها العرب وبقية الوكلاء خارج أميركا إستبدال التسمية علماً بأن وجبات الـ "برجر" عموماً لن تعود مستحبة بسبب الحرب على العراق.

ويبقى ونحن نشير إلى هذا الإنتقام من خلال تغيير أسماء نتذكر طريقة أخرى في إستبدال الأسماء هي "الطريقة القذافية" في السبعينات عندما كان الـ "الوهج الثوري" على إشتعاله في تفكير الأخ معمر وكيف رأى إطلاق تسميات يعربية على التسميات السائدة مثل "الحمامة" بدل "البيجو" كإسم للسيارة الفرنسية التي كان لها شأنها في ليبيا، و"إسطنبول داوود" بدل "كامب ديفيد" كإسم للإتفاقيه التي رعاها الرئيس الأميركي الأسبق جيمي كارتر بين الرئيس أنور السادات ومناحيم بيغن وبسببها غادرت مصر السرب العربي في موضوع الصراع مع إسرائيل ولا زالت تعرد خارج السرب أملة إنضمام الآخرين إليها وليس العكس، و"تل الربيع" بدل "تل أبيب" كإسم للمدينة الرمز للإغتصاب الصهيوني لفلسطين. وهذه التسميات القذافية هي مزيج من "الأسلوب الصّدّامي" في الإنتقام و"الأسلوب البوشي".

ومع تقديرنا لما يخطر في بال أولي الأمر بين الحين والآخر من وسائل إنتقام جدية كانت هذه الوسائل أو تتسم ببعض السخرية، فإنها أسلوب مثير للدهشة كونه لم ولن يحقق أي جدوى. فالرسم الموزاييكي سيزال عاجلاً أم آجلاً، و"فرنش فرايز"

ستبقى سيدة الموقف وستصمد أكثر من بقاء "رامبو التكتاسي في الحُكم. وأما "التسميات القذافية" فإنها كانت إبتكاراً من نوع إبتكار "إسراطيين" مع فارق أن الإبتكار الجديد ربما يكون مناسباً للنصف الثاني من الألفية الثالثة، أي بعد نصف قرن من الآن، وبعد أن يكون توقّف العدوان على الشعب الفلسطيني المتواصل منذ نصف قرن ... والذي لم يتوقف في "الحقبة العرفانية" ونشك في أنه سيتوقف مع الحقبة الـ "أبو مازنية". والله أعلم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 19 مارس (آذار) 2003

* * *

شارون يدمّر... ونايف يعمر

في الوقت الذي كانت عقارب ساعة الصفر للحرب الأميركية - البريطانية على العراق تقترب من اللحظة المحددة لها وكان الشارونيون يواصلون في الأراضي الفلسطينية تدمير الحجر وقتل البشر ولا من يردع عدوانهم للإنشغال بـ "الجبهة الجديدة" .. العراق، كان الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية المشرف على اللجنة السعودية لدعم الإنتفاضة يوجه بترميم وإصلاح 1700 منزل في الضفة الغربية وصيانة وترميم 645 منزلاً في قطاع غزة وتجهيز 200 منزل في الضفة الغربية بالتعاون مع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا). وهناك 600 وحدة سكنية في ست مدن فلسطينية بتكلفة إجمالية قدرها 112.5 مليون ريال لصالح الأسر المتضررة والمحتاجة في فلسطين تسعى اللجنة لإستكمال الإجراءات اللازمة لإنشائها.

مثل هذا الإهتمام من جانب القيادة السعودية يقلق الشارونيين وشارونهم بالذات.. الذي علّمهم أصول التدمير والجرف وإقتلاع الشجر وقتل البشر، وذلك لأن ما يرمي إليه هؤلاء هو تحويل الفلسطينيين إلى شعب ليس فقط لا وطن له وإنما حتى لا مأوى يعيش الفلسطيني تحت سقفه متحملاً ويلات الزمان، وفي مثل هذه الحال يصبح الرحيل هو الخيار الذي لا خيار غيره أمامه. وعندما ترمم المملكة لهذا الأخ الفلسطيني البيت أو تقوم بإصلاحه أو تشيد له وحدة سكنية فإنها بذلك كمن تقول له إصمد ولا ترحل عن أرض آبائك وأجدادك ولن ينسأك أبناء عبد العزيز

وأحفاده وشعب المملكة ما دام القلب يخفق والدم يسري في العروق. والصمود هو ما يستفز الشارونيين وكبيرهم الذي علّمهم فنون تقطيع أوصال مقومات الصبر وعدم التأسيس والثبات على الإيمان بالله والوطن. وعلى هذا الأساس فإننا نفترض بأن الشارونيين سيدمرون كل بيت أعادت النخوة السعودية بناءه أو إصلاحه وكل وحدة سكنية تم تشييدها. فكما أن خصال أصحاب النخوة وأخلاقهم وحسهم الوطني تفرض عليهم الترميم والإصلاح والتشييد فإن عدوانية الشارونيين توجب على هؤلاء ممارسة هذه الأفعال العدوانية.

وما تقعله القيادة السعودية على صعيد تأمين المأوى بما يعزز صمود الفلسطيني، تقعله أيضاً على صعيد تأمين المدرسة والكتاب والأدوات المدرسية بما لا يحقق للشارونيين المأرب الآخر وهو أن يكون الجيل الفلسطيني أمياً. ونتذكر ماسبق أن فعله الأمير نايف بإسم المملكة للطلاب الفلسطينيين مع بداية الموسم الدراسي قبل أربعة أشهر وكيف أن الإنزعاج الشاروني في حينه من مسألة الصمود التعليمي الفلسطيني كان يمثل إنزعاجهم من مسألة الحرص السعودي على الصمود الآخر ... صمود الفلسطيني في أرضه والإطمئنان إلى أن ما يجري تدميره من جانب شارون والشارونيين سيتم تعميره من جانب الأخ السعودي الوفي لأخيه الفلسطيني. بوركت هم أصحاب النخوة ومنهم نايف بن عبد العزيز.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 24 مارس (آذار) 2003

* * *

إزدهار على حساب القوة

وآخر على حساب القوت

كان كيم إيل سونغ ظاهرة لا مثيل لها في العالم. زعيم جزء من دولة هي كوريا إنقسمت بفعل التآمر الدولي إثنين. وخلافاً لما هو مألوف وفق قاعدة الغنى والفقر، فإن الشمال المعروف دولياً بأنه الغني كان الفقير في التقسيم الكوري، وأن الجنوب المتعارف دولياً بأنه الفقير كان الغني في التقسيم الكوري.

وقد عزل "الرفيق كيم" الأب الذي أعقد على نفسه عشرات الأوصاف التي تمجد شخصه البلد عن العالم

ونهج في هذا السبيل طريقين: تقوية البلاد عسكرياً ووضْع الأجيال في قالب أن كيم إيل سونغ هو الرئيس الأُوحد في هذا العالم. وعندما لا تكون هنالك وسائل اتصال ولا تكون هنالك حركة سفر مزدهرة بحيث يطلع الكوريين الشماليون على ما يجري في العالم، ولا تكون هنالك قراءة سوى كتب حول تعاليم الرفيق كيم وأفكاره، ولا صحف سوى الصحف الرسمية ذات المفردات الواحدة، ولا تكون هنالك حرية متابعة تلفزيونات العالم ولا .. ولا.. ولا... الخ، يصبح من الطبيعي أن لا يدري أبناء كوريا الشمالية بما هو حاصل خارج الحدود.

في الوقت الذي كان الجزء الجنوبي من البلاد يبني نفسه إقتصادياً وتقترب كوريا الجنوبية من أن تكون نمراً صناعياً مهماً وكان الجزء الشمالي يواصل بناء القوة العسكرية وإنتهت المعادلة مع رحيل كيم إيل سونغ إلى أن الإزدهار الإقتصادي والمعيشي لكوريا الجنوبية كان على حساب قوتها العسكرية مطمئنة ربما إلى أن أميركا تحميها والقوات الأميركية البالغ عدد أفرادها حوالي مئة ألف تشكّل السياج الأمني المناسب، وأن التفوق العسكري لكوريا الشمالية كان على حساب القوت.

الآن وفي ظل ما هو حاصل تبدو كوريا الشمالية التي يواجه ثمانية ملايين من أبنائها خطر الموت من المجاعة تتحدى أميركا نتيجة أنها باتت، أو على أهبة أن تكون، دولة نووية. وتبدو كوريا الجنوبية في حال من الجزع لامتثال له ولا يفيد في علاجه إزدهارها الإقتصادي.

وفي إنتظار معرفة ما إذا كان الحديد الكوري الشمالي سيفل الحديد الأميركي، نبقي كعرب يقتلنا الندم لأننا لم نفعل متكاتفين متضامنين ما فعله الرفيق كيم جونغ إيل "وريث والده" الرفيق كيم إيل سونغ الذي تحصّن نووياً فباتت الدولة الأعظم تتودد إليه وتغطي توددها بإشهار السيوف على رؤوسنا جميعاً... من خلال العراق.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 25 مارس (آذار) 2003

"عُلوج" محمد سعيد الصّخّاف

عندما كان وزير الإعلام العراقي الحالي محمد

سعيد الصّخّاف وزيراً للخارجية ساهم بسبب قدراته على إستنباط المفردات التي تجعل الموقف أكثر تأزماً، في تأجيل تصنيف العلاقة العراقية - الكويتية من "عداوة" إلى "حالة"... وهو ما كان يرمي إليه بعض وسطاء الخير ومن بينهم أهل الحُكم العُماني يمثّلهم في هذا السعي وزير الخارجية يوسف العلوي كونه طويل البال من جهة وصاحب تراث ثوري من قُبل أن ينتسب إلى الرؤية السلطانية للأمور من جهة أخرى، فضلاً عن أن السيد يوسف أمضى بضعة سنوات طالباً في بغداد قُبل أن يصبح ثائراً ظفاريّاً ثم ينتهي مسؤولاً في حكومة السلطنة موضع ثقة السلطان قابوس ممسكاً بملف السياسة الخارجية.

وبعد أن بات الموقف يستوجب لغة دبلوماسية غير "اللغة الصّخّافية" ثم إستبدال الصّخّاف الذي كان سفيراً في بلاد الـ "قيافينيتو" و"الدولشي فيتا"... إيطاليا قبل تعيينه وزيراً للخارجية. وفي مرحلة سريعة لاحقة تم تعيين الدكتور الصّخّاف وزيراً للإعلام وتعيين الدكتور ناجي صبري الحديثي السفير في فيينا وزيراً للخارجية ثم وزيراً أصيلاً لها وأثمر هذا التعيين لغة دبلوماسية جديدة بحيث بات الوزير الجديد ينادي وزير الخارجية الكويتية بـ "الأخ الشيخ صباح"، وهذا ما قاد بعد سنة من إعتقاد اللغة الجديدة المتسمة بالهدوء إلى أن "العداوة" باتت "حالة" وكادت تتطور نحو مشارف الأخوة في ضوء مصالحة شهدتها القمة العربية الدورية الثانية في بيروت وبالبث الفضائي المباشر بين وليّ العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي عزت إبراهيم الدوري تلتها مصافحة عراقية - كويتية كانت بالغة الأهمية من حيث المظهر على الرغم أنها في مضمونها كانت خجولة ولا أثر للدفع فيها. لكن التطور المأمول لم يحدث بفعل الضغوط الأميركية التي لا تريد لأهل القرار في دول مجلس التعاون الخليجي وبالذات أهل القرار الكويتي أي صفاء مع شقيقهم العراقي. ثم حدثت في الفترة بين قمة بيروت والقمة الدورية الثالثة التي إستضافها ملك البحرين الشيخ حمد بن عيسى في "شرم الشيخ" بدلاً من المنامة منغصات جعلت العلاقة تعود من جديد بين الشقيق الغازي والشقيق المغزو إلى "عداوة". ويبدو أن ذلك كان لا بد منه لأن الإستعدادات للغزوة التكسائية باتت على أهبة الإنطلاق.

ما يعيننا هنا هو عودة "اللغة الصّخّافية" إلى الساحة مجدداً متمثلة بمفردات وأوصاف وعبارات

تستوقفنا كُتّاب وصحفيين وبالذات ما يقوله وزير الإعلام محمد سعيد الصّحّاف عند الحديث عن العمليات والمواقف. ومن هذه المفردات والأوصاف والعبارات كلمة "عُلُوج" عند الحديث عن القوات الأميركية والبريطانية. وهي كلمة لم نستعملها ولا نتذكر أن أحداً من جهازة اللغة إستعملها من قبل إلى أن جاء إستعمالها يوماً مع الدكتور الصّحّاف. ولما كان من الطبيعي أن يستعصي علينا معرفة معناها دون العودة إلى بعض القواميس والمعاجم اللغوية، فإننا بالعودة المعاجمية هذه إكتشفنا أن "عُلُوج" معناها "الشديد الصلب" أو "الكفار من العجم" أو "حمار الوحش" أو "الكافر عموماً" أو "البعير السمين" أي الجمل البدين أو "الرجل الضخم القوي" أو "مَن ينبئ شعر ذقنه" وأن مفرداها "عِلْج" وجمعها "أعلاج" "عُلُوج" و "عِلْجة". وإزاء كثرة معاني هذه الكلمة فإننا نعتقد أن ما يقصده الوزير الصحاف بـ "عُلُوج" هو "الكفار عموماً". فإقتضى التفسير والإعتقاد.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 28 مارس (آذار) 2003

الخيار المر والخيار الأكثر مرارة

عندما إنتهى الأخذ والرد داخل "حركة فتح" على مستوى الداخل والخارج وداخل مجموعة مراكز القوى ورموز الإتجاهات داخل مؤسسة الحكم العرفانية أو بالتسمية الرسمية "السُلطة الوطنية الفلسطينية" وأخيراً داخل "المجلس الوطني الفلسطيني" .. برلمان الدولة التي لم تقم قيامتها بعد ويصعب التكهن بالموعد الذي سنقوم فيه أو أنها سنقوم بالفعل ... عندما إنتهى الأخذ والرد المشار إليه إلى تكليف محمود عباس (أبو مازن) بتشكيل الحكومة الفلسطينية، أثرت ككاتب وصحافي يعرف أبو مازن ويقدر كثير التقدير ماضيه النضالي .. إلى أن بدأت النقلة النوعية في النضال من "مرحلة الثورة" إلى "مرحلة أوسلو"، إرجاء تسجيل التهئة له وفي شكّل مقالة عنه تحلل الدور الذي سيقوم به. وقلت بيني وبين نفسي: لننتظر.

في البداية أفزعنا أن الترحيب بإستحداث منصب رئيس الوزراء وإسناد المنصب بالذات إلى محمود عباس جاء فقط من جانب الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية والأوساط الشارونية. أما أبناء فلسطين في

الداخل وفي الشتات فإستقبلوا الخطوة بمزيج من الحذر والترقب مع إطلاق الكثير من علامات الإستفهام في الأفق وتحت عنوان واحد: ما الذي في إستطاعة الرجل أن يفعله ؟

وهذا التساؤل هو لب المسألة فإذا كانت مهمة محمود عباس إنهاء الإنتفاضة فإنه سيسقط. والإنهاء بمعنى وقّف العمليات الإستشهادية وهو مطلب إسرائيلي الذي تتبناه الإدارة الأميركية. أما إذا كان لن يفعل ذلك فإنه عملياً سيفشل بالمنظار الأميركي - الإسرائيلي الشاروني إلا أنه بالمقابل يريح نفسه ويريح ضميره. وفي هذه الحال سنبدأ نسمع المزيد من الكلام الأميركي - الشاروني حول تغيير محمود عباس بشخص آخر يلبي الطلب العسير وهو العمل على إنهاء الإنتفاضة وهذا معناه إشعال حرب أهلية فلسطينية .

في مناسبة الذكرى السابعة والعشرين لـ "يوم الأرض" ويوم الحادي عشر للعدوان الأميركي البريطاني على العراق الأحد (2003-3-29) نفذ أحد أبطال "حركة الجهاد الإسلامي" الطالب الجامعي رامي جميل غانم البالغ من العمر 20 سنة عملية إستشهادية بالقرب من "مقهى لندن" في منتجع "تتانيا" على شاطئ المتوسط وحدثت العملية في منطقة حافلة بالمقاهي والبارات والمراقص والمطاعم والسياح، عند مدخل المقهى إنتظاراً لخلو مائدة فأصيب هؤلاء إضافة إلى آخرين، وسقط الفتى الفلسطيني شهيداً وحوله أكثر من ثلاثين إسرائيلياً أصيبوا وجراح بعضهم خطيرة .

الآن يبدو أبو مازن أمام الخيار المر والخيار الأكثر مرارة. الشارونيون طلبوا منه أن تكون هذه العملية هي آخر العمليات الإستشهادية. والخارجية الأميركية ساندت المطلب الإسرائيلي بعدما أدانت.

في ضوء ذلك وإذا جاز للكاتب مثل حالي يعنيه كثيراً هذا العذاب اليومي في حق الشعب الفلسطيني إبداء وجهة نظر فإنني أقترح أن يؤدي الإستشهاديون الفلسطينيون واجبا مؤقتاً في العراق وإفساح المجال أمام رئيس وزرائهم الأول محمود عباس لكي يقول للإسرائيليين والأميركان: ها هي العمليات الإستشهادية قد توقفت هاتوا ما وعدتم به. بهذا المخرج النضالي يكون الفلسطينيون ساعدوا العراق وخذلوا إلى إستراحة مقاتل على أرض وطنهم المغتصب. في حال حدث ذلك سنبعث إلى محمود عباس برسالة التهئة التي نشد فيها على يديه وسنترك القلم يحلل ويسلط الضوء على براعة الفلسطينيين في الحنكة.

* * *

الكيل الأمريكي - البريطاني...

بعشرات المكايل

على هامش العدوان الأمريكي - البريطاني على العراق تحدث بعض الأمور التي ترطب الحلق الذي يكاد يتيسر من فظاعة "دوري الحرب" من أجل الفوز بتاج "إمبراطورية العالم" وما يرافق جولات هذا الدوري من فظاعات التدمير ضمن مسلسل مرعب ننام على مشاهد منه ونصحو على مشاهد أخرى. ومن بين هذه الأمور التي يندرج بعضها في خانة الضحك الذي كالبكاء أن رئيس الحكومة البريطانية طوني بليز أكد شخصياً أن العراقيين أعدموا جندياً بريطانياً لكن شقيقة الجندي لاحظت أن شقيقها لم يكن أحد الجنديين اللذين بثت فضائية "الجزيرة" صورتها وقالت وزارة الدفاع إنهما تعرّضا لرصاصة عراقي قرب البصرة ولذلك فهما في عداد القتلى. ثم أضافت الشقيقة إلى ذلك قولها "إننا لا نفهم لماذا يَكْذِبون في شأن ما جرى...". لا أنت تفهمين أيتها الشقيقة ولا أحد أصلاً يفهم لماذا يجري هذا الذي يجري.

ومن بين الأمور أيضاً هذه الإستهانة من جانب الدولة العظمى بصغار الدول علماً بأنه لولا بعض الدول الصغيرة مساحة التي يراوح عدد سكانها بين ربع المليون والمليون نسمة وما قدمته هذه الدول من تسهيلات لما كان في إستطاعة المارد الأمريكي - البريطاني أن يتركز وينشئ قواعد ويرسي حاملات طائرات تدخل قناتنا وتخرج منها بسلام ويخلق أمناً مطمئناً في الأجواء ويرمي بأطنان القنابل على الأسواق والأحياء الشعبية ظناً من طياريه أنها القلاع التي في داخلها أصناف لا حصر لها من أسلحة الدمار الشامل.

ولقد تمثلت الإستهانة التي نشير إليها في أن كواسر الإدارة الأمريكية الذي يقال عنهم إنهم مثل حليفهم البريطاني يكيلون بمكيلين، رددوا أكثر من مرة أنه لا يجوز أن تكون "أم دول العالم" تحت رحمة دول صغيرة مثل الكامبيرون لأن لها صوتاً في مجلس الأمن، ومن أجل ذلك فإن هذا المجلس ومنظمة الأمم

المتحدة المنبثق منها باتا على نحو تعبير إخواننا المصريين "دقة قديمة". وهذا يحدث في الوقت الذي يتباهى نصف الحمامة ونصف الصقر جنرال الدبلوماسية الأمريكية كولن باول بأن مملكة "تونجا" التابعة لبولينيزيا في المحيط الهادئ وتبلغ مساحتها 675 كيلو متراً أي حوالي ثلث مساحة الرياض وحدها وعدد سكانها 103 آلاف نسمة، أي أقل من ثلاثة أرباع سكان مدينة أبها وحدها، باتت "النجمة 49" في دول التحالف الذي هو معسكر الحرب وفي الإنتساب إليه وسبقها في الإنتساب جمهورية "بيلو" و "جزر مارشال" وغيرها من "الدول" التي ليست ضمن عضوية الأمم المتحدة لكنها إنتسبت إلى التحالف الذي تتباهى الإدارة الأمريكية بأنه "يزداد" يوماً بعد آخر. وقد جاءت الإستهانة بهذه "الدول" من صحيفة "واشنطن بوست" التي قالت إن أفضل مساهمة لهذه "الدول" التي لا تملك قوة عسكرية هي "إمتلاك أفضل المواقع في العالم للغطس تحت الماء وجوز الهند" وتلك هي في واقع الحال نظرة "الصديق الأمريكي" إلى الدول الصغرى التي يشرب من ماء بئرها ثم يرمي البشر بما يتيسر له من حجارة... فضلاً عن أنه مثل حليفه البريطاني لا يكيل بمكيلين فقط وإنما بعشرات المكايل. هداها الله إلى سواء سبيل الصداقة النظيفة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 2 أبريل (نيسان) 2003

* * *

مفردات جديدة للمتظاهرين في أميركا

من المؤكد أنه لو كان سكان إحدى العاصمتين واشنطن أو لندن يتصورون أي مصير يمكن أن يواجهه أبناؤهم في عاصمة الرشيد التي تتعرض صباحاً ومساءً للقصف حيث إن معدل الطلعات الجوية عليها وعلى أخواتها البصرة والنجف وكربلاء والناصرية والموصل وغيرها وصل إلى ألف طلعة يومياً، لكان سكان هاتين المدينتين نزلوا بثياب النوم إلى الشوارع وساروا في تظاهرات لا تتوقف احتجاجاً على هذه الحرب التي تحدث في زمن العولمة وفي ذروة إنتاج وسائل الرفاهية للإنسان من أجل الإستمتاع بها، بل ربما كانوا رابطوا بالآلاف أمام البيت الأبيض ومبنى "البنتاغون" وأمام 10 داونغ ستريت مقر رئاسة الحكومة البريطانية وأطلقوا من الهاتفات ما يشبه

التقليد المستحب

دشن الأمير خالد تقليدياً في التعامل مع الإعلاميين إستوتقني، بصفة كونه إعلامياً، رُقي هذا التعامل يحدث في زمن يتصحر فيه الرقي والمبدئية من جانب ممتهني الإساءة وعدم التقدير. وهذا التقليد من خالد الفيصل ربما حدث لأنه أمير ومَن كان أميراً وأحد أبناء ملك يليق الحُكم به بقدر ما يليق هو بهذا الحُكم وأحد أحفاد مؤسس وموجدٍ يعتر تاريخنا بتصميمه على التأسيس بعد التوحيد وحرصه على أن يغادر الدنيا وقد عمل فيها لآخرته ومَن أجل ذلك فإن خصاله وتراثه باقية في الوجدان وعلى صفحات التاريخ، وربما حدث التقليد لأن خالد الفيصل يجمع بدل العذوبة الواحدة ثلاثاً: عذوبة شاعر متألق عندما تتدفق القريحة، وعذوبة رسام مرهف عندما يمسك الريشة، وعذوبة متحدث عندما يستحضر في التاريخ الغابر ما هو مضيء. وربما لأنه ما دام يرضى الفكر العربي لا يجيز لنفسه إلا أن يبتكر التقاليد التي تعزز شأن ما يرضى الفكر الخلاق صحافة كان هذا الفكر أو أدباً أو إبداعاً.

ما أقصده بالتقليد الذي أنا في صدد الكتابة عنه هو رده على رسالة زميلنا الدكتور فهد الحارثي التي تتضمن إستقالته من منصبه كرئيس لمجلس إدارة صحيفة "الوطن" ومشرف على التحرير بعدما إختار الزميل المناسب للموقع المناسب جمال خاشقجي ليكمل ما سبق أن بدأه زميلنا قينان الغامدي الذي ترأس التحرير في فترة التأسيس الصعبة فالإنطلاق - التحدي. فالرسالة مؤرخة 15-1-1424 هـ والرد لم يأت قبولاً فورياً وشفهياً للإستقالة وإنما بعد 12 يوماً وفي صيغة رسالة تحمل في سطورها مشاعر التقدير والإشادة بالدور المتميز لزميلنا الدكتور فهد الذي أشهد من بعيد أنه عمل بجوارحه من أجل أن تتجج "الوطن" التي هي تجربة رائدة في عالم الصحافة العربية شكلاً ومضموناً وحرفية.

ما يلفت الإنتباه في هذه "الظاهرة العسيرية" أن زميلنا الدكتور فهد إعتبر نفسه مودعاً وليس مفارقاً وتحاشى في رسالته كلمة "إستقالة" مستبدلاً خشونة هذه الكلمة بكلمة أكثر رقة هي "الإعتذار عن العمل" وهو إستدراك طيّب من صاحب تجربة إعلامية عريقة بمثل تجربة زميلنا "السوربوني" الذي إستقر به المقام في مجلس الشورى، ذلك أن حاله

الصرخات مطالبين بعودة أبنائهم.

نقول ذلك من واقع أن محطات التلفزيون الأميركية التي هي بالمئات في الولايات المتحدة لا تبث أية لقطات تعكس حجم خسائر أميركا في العتاد والرجال وبالذات ما يتعلق بأحد مفاخر السلاح الجوي الأميركي (طائرة الآباتشي) وبالأفراد الذين يقعون أسرى وذلك لكيلا يتسبب مثل هذا النشر بحال من الإحباط في المجتمع الأميركي. وفي الوقت نفسه فإن هذه المحطات تتفنن في بث لقطات القصف التدميري المبرمج للعاصمة بغداد ولبقية المدن العراقية حيث إن كل لقطة تصلح خلفية لتصوير أفلام سينمائية ووثائقية. أما لماذا هذا التفنن فللد على التساؤلات التي تزداد إنتشاراً في أوساط الرأي العام وتتمحور حول السر في أن لغة الحديث حول الحرب باتت في اليوم العاشر للعدوان على ما غير ما كانت عليه قبل بدء هذا العدوان ثم في اليومين الأوليين للقصف الذي يخشى الشعب الأميركي أن يطول وكلما طال تعمقت مشاعر الكراهية في نفوس العرب والمسلمين نحو أميركا الأمر الذي لا يريدون حصوله.

من هنا فإن المرء يتطلع إلى شعارات جديدة يطلعها المتظاهرون في شوارع المدن الأميركية، حيث لا تقتصر على عبارات تؤكد الرفض للحرب وإنما تضاف إليها عبارات جديدة "لا تجعلوا أبناءنا وأحفادنا مكروهين من مليار ونصف المليار مسلم منتشرين في ديار الله الواسعة من القطب إلى القطب". ونقول ذلك على أساس أن الحرب لا بد من أن تنتهي وستكنس، على نحو ما حدث بعد حرب 1991 مع رمزيها الأميركي جورج بوش الأب والبريطانية مارغريت تاتشر، الجميع في طريقها وفي طليعتهم كواسر الذين إفتعلوا الحرب لتكون "ببزنس الألفية الثالثة" وأفضل أنواع "الببزنس" من وجهة نظرهم. ولن يبقى بعد الكنس سوى الشعور المتأصل في النفس والكراهية المستحكمة في الوجدان تضيق بأشباحها الأجيال الأميركية في الربع الثاني من القرن الواحد والعشرين. وهذه الأجيال جاء إفتعال الحرب يشوه الصورة الجميلة عن المستقبل الذي في مخيلتها والذي تمناه الآباء ولذا عاش الأبناء يحلمون برونق هذا المستقبل... دون أن يخطر في بال كل منهم أن الأحلام قد تنتهي إلى كوابيس.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 3 أبريل (نيسان) 2003

في هذا الأمر مثل حالنا حيث لا تجوز الإستقالة إلى أمير من نوع خالد الفيصل وفيصل بن سلمان أطال الله عمريهما ومن نوع الأمير أحمد بن سلمان رحمة الله عليه والذي نفتقد في إستمرار حضوره ورقيه ومعدنه وبُعد نظره المتأثر ببُعد نظر الوالد الكريم الأمير سلمان بن عبد العزيز. كما يلفت الإنتباه أن الأمير خالد الفيصل راعى أسره البيانات الإعلامية في أقصر زمن، يسجل الشكر والتقدير كتابة مع التذكير بالأشمل الإعتذار عن العمل الإداري لزميلنا الدكتور فهد قلمه بين الحين والآخر.. وهو قلم يعتز به الورق هكذا أيام العز الأول في "اليمامة" ثم في أيام العز الثاني في "الوطن".

تبقى الإشارة إلى أنني عندما أكتب عن التقليد الذي دشنه الأمير خالد الفيصل أستحضر واقعة عشناها في السبعينات متمثلة في إستقالة زميلنا الأستاذ محمد حسنين هيكل من "مملكته" في "الأهرام" وحرصه على أن تكون إستقالته منشورة في الصفحة الأولى وبشكل بارز من الصحيفة التي تمثل مجده التليد، مع فارق أن الرئيس الراحل أنور السادات كان سعيداً بتتريك الأستاذ هيكل لـ "الأهرام" وأن زميلنا الكبير وجد أن من الأفضل والأكرم له الإسراع في الإبتعاد وهذا عكس "توديع" زميلنا الدكتور فهد الإختياري لـ "الوطن" وإرفاق خالد الفيصل قبول الخطوة بتحية أميرية نحسد عليها نحن معشر الإعلاميين والكتّاب زميلنا المغادر.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 7 أبريل (نيسان) 2003

* * *

في ذلك الزمان ... غير الفضائي (1)

خلال العدوان الثلاثي عام 1956، على مصر الذي تشبه منطلقاته وموجباته مع إختلاف المعتدين منطلقات وحجج العدوان على العراق بعد 47 سنة، لم تكن هنالك فضائيات تبث المعارك والمؤتمرات الصحفية على الهواء مباشرة فيعرف الجالس في آخر أقصي قارة أستراليا كيف يعتدي الشارونيون على الشعب الفلسطيني الصامد كالأطواد في أرضه، أو كيف تتطلق القذائف الصاروخية من حاملات الطائرات الراسية آمنة مطمئنة حتى إشعار آخر في المياه العربية على النساء والشيوخ

والأطفال في الأسواق والأحياء الشعبية في بغداد وتتسبب في تناثر أجسادهم. كما أن في إستطاعة كبير كواسر الإدارة الأميركية أن يرى وهو ممدد الساقين على مكتبه في "البنتاغون" يتابع عبر جهاز التلفزيون ما يفعله الأشاوس في المدن العراقية بـ "الأباتشي" و"الأباتشيين" الذين يسقطون أسرى بعد أن أسقط فلاح في عمر رامسفيلد إحدى هذه الطائرات بواسطة بندقيته القديمة... ملغياً بذلك مقولة أن "الأباتشي لا تسقط" وبالأذات في ديار العرب الذين هم في نظرهم نموذج للتخلف، وأن ما أعطاهم الله إياه من ثروات تجب مصادرتها بوسائل شتى من بينها العدوان.

كما أن بإستطاعة بقية الكواسر المتصهينين الذين زينوا الحرب للرئيس بوش الابن الذي لم يكن إطلاقاً عند حُسن الظن سوى بالنسبة إلى إسرائيل، أن يتابعوا عبر الفضائيات وهم في غرف نومهم في واشنطن أو نيويورك ما يكابده الجنود الذين رموهم في حرب لا مبرر لها، أو يصيخوا السمع قليلاً إلى البابا يوحنا بولس الثاني وهو يكرر أن هذه الحرب غير أخلاقية وغير مشروعة... وهو كلام لا يروق لهم قياساً بكلام بعض أولي الأمر في بعض العواصم العربية الذين إعتمدوا الحياد الإيجابي إلى الموقف القائم على النظرة الموضوعية للأمور واقفاً إلى جانب العراق لأنه معتدى عليه دون أي تبرير لدواعي الوقوف بمثل وقوف الرئيس الراحل حافظ الأسد ضد العراق الذي رأى في إجتياحه للكويت عدواناً لا يجوز بحكم الأخوة والجيرة والدين والرابط القومي حدوثه.

زمن العدوان الثلاثي في عام 1956 كانت مصر عبد الناصر محاصرة إعلامياً وكان الرأي العام البريطاني لا يدري ما الذي تفعله الطائرات التي أرسلها أنطوني إيدن الذي هو طوني بليز أو مارغريت تاتشر ذلك الزمان. ومع أن التظاهرات ضد العدوان الثلاثي على مصر كانت بمثل تظاهرات هذه الأيام ضد العدوان الثلاثي على مصر كانت بمثل تظاهرات هذه الأيام ضد العدوان الثلاثي على العراق، إلا أن الرأي العام البريطاني كان شبه مغيب عما يجري خصوصاً أن الصحافة البريطانية كانت تخدم خطط العدوان وتشاركها في ذلك وسائل الإعلام في فرنسا وإسرائيل شريكتي بريطانيا في العدوان. لذا كان لا بد من خطوة.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 8 أبريل (نيسان) 2003

* * *

تكاثرت في الأسبوعين الأولين من الحرب على العراق الحوادث التي ذهب ضحيتها جنود بريطانيون بـ "نيران صديقة". وقد ذاع هذا التعبير ووصل إلى حد أن التعليقات على الحرب من قبل بعض الأوساط الإعلامية البريطانية كانت تشير بمرارة إلى أن القوات البريطانية المشاركة في الحرب تعيش حالاً من القلق سببها أنها بين نارين: "النار العراقية" المفهومة و "النيران الصديقة" التي تثير علامات الإستفهام والتعجب. وبتنا نلاحظ أمراً غريباً وهو أن هذه "النيران الصديقة" تصيب الجنود البريطانيين مباشرة بعد كل مرة تطالب فيه حكومة الحليف الملتزم طوني بلير بأن يكون للأمم المتحدة دور ما في المرحلة التالية من الحرب وبالذات في مرحلة ما بعد إنتهاء الحرب لمصلحة المعتدين، وكأنما الغرض من إطلاق نيران الأصدقاء على الجنود البريطانيين هو بمثابة رسالة إلى الحليف بلير خلاصتها أنه لا مطلب يعلو على نظرة "مجلس الحرب الأمريكي" لما ستكون عليه الحال في العراق مستقبلاً، وأن الأفضل له هو عدم معاودة الحديث في مسألة أن يكون للأمم المتحدة دور في مرحلة ما بعد إنتهاء الحرب. ثم جاءت كونداليزا رايس لتقول بعد إنتهاء جلسة المجلس المشار إليه يوم السبت 5 أبريل "إن الولايات المتحدة لا الأمم المتحدة هي التي دفعت حياة ودماء في العراق ولذا ستحتفظ لنفسها بدور في العراق..." الأمر الذي يؤكد أن "النيران الصديقة" تستهدف الجنود البريطانيين هي طلاقات تحذيرية أو أنها لفتت نظر من النوع الخشن.

في تقديرنا إن "لفت النظر" هذا سيواصل ما دامت الحرب متواصلة وما دام طوني بلير لا يمكنه التساهل في موضوع إصرار الإدارة الأمريكية على عدم مراعاة الحال التشاركية وعدم الأخذ بوجهة نظره التي تشكّل في رأي مستشاريه زوراً يعبر بواسطته البر الأمريكي إلى البر الأوروبي. وفي محاولة لتقليل الطلقات التحذيرية التي تصيب الجنود البريطانيين جاء إستجداد هؤلاء الجنود عن طريق "الإنترنت" على نحو ما ذكرت صحيفة "التايمس" بحكومتهم لتزويدهم بكميات من الإعلام البريطانية يرفعونها تدليلاً على هويتهم بعدما لم تُقنع الخوذ والدروع "أصدقاءهم" الأمريكيين بأنهم شركاء لهم في الحرب وأنهم بريطانيون وليسوا عراقيين. وإستكمالاً تفصيلاً للواقعة أشارت "التايمس" إلى أن

الجنود البريطانيين الذين قتلوا بـ "نيران صديقة" أطلقتها الطائرات الأمريكية عليهم وعلى مدركاتهم "كانوا أكثر من الذين قتلهم الأعداء" وأن أحد مصانع الإعلام قال للصحيفة "إن مجموعة من القوات البريطانية زارت المصنع قبل الحرب وبدأ أفراد هذه المجموعة خائفين من الأمريكيين أكثر من خوفهم من العراقيين...".

ظاهرة في منتهى الغرابة وهي بمثل الظاهرة الأخرى المتمثلة بإندماج حكومة بلير مع الإدارة الأمريكية. وفي الحالين فإن بريطانيا عسكرياً وسياسياً بين نارين: "نار الصديق الأمريكي" و"نار العربي المسلم" الذي خاب ظنه فيها.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 11 أبريل (نيسان) 2003

إجراءات صدامية... ومقتضيات ثأرية

جملة مقتضيات الثأر الأمريكي من الرئيس صدام حسين وبعثه أن الرئيس المجهول المصير الجاري البحث عنه وعن إبنه عدي وقصي والمجموعات الأكثر قرباً منه، أقدم على ثلاثة إجراءات تشكل من وجهة نظر كواسر إدارة الرئيس جورج بوش الابن تهديداً لمصالح الولايات المتحدة، وتوجب بالتالي شن الحرب على من يفعل ذلك.

الإجراء الأول هو الإصرار في زمن الحل الأمريكي للموضوع الفلسطيني، والذي من غير المسموح لأي حل آخر أن يتقاطع معه، على تعبئة العراقيين في اتجاه إستعادة فلسطين من البحر إلى النهر وتجنيذ مليون شخص في "جيش القدس" والإكثار من ترديد عبارات في الخطب التي كان يلقيها في المناسبات الوطنية والرسمية وحرصه على أن يختم كل خطاب بالعبارة التي تعكس الإصرار المشار إليه وهي "عاشت فلسطين حرة من البحر إلى النهر". ولو أن الرجل كان يكتفي بترديد العبارة لهانت الأمور في نفوس كواسر الإدارة الأمريكية. لكن إرفاق العبارة بتجيش العراقيين وتدريب مليون شخص على إستعمال السلاح وإقامة عروض عسكرية لهذا الجيش بثتها الفضائية العراقية مباشرة كان معناه أن الرئيس العراقي يشد إنتباه الفلسطينيين إليه ويجعلهم مترددين إزاء أي محاولات أميركية للتسوية. وحتى إذا كان هذا الإجراء الصدامي هو في جانب منه بغرض الضغط على الإدارة

عودة إلى الموضوع الفلسطيني

من حق إخواننا الفلسطينيين علينا أن نتذكر قضيتهم العالقة بعدما شددت التطورات العراقية فبتنا شعوباً وحكاماً مشغولي البال بالموضوع العراقي غافلين بعض الشيء عن الموضوع الفلسطيني. ومثل هذا الإنشغال جائز عملاً بقاعدة الأهم يتقدم على المهم، علماً بأن كل ما يحدث في الأمة أولها وآخرها وليس أخيرها العدوان الذي إستهدف الإبن الثاني بعد الإبنة الأولى البكر مصر هو بمثابة الغصن الذي يتفرع من الشجرة. فلولا الموضوع الفلسطيني لما أصاب مصر ما أصابها عام 1967 وأدى بعد ذلك إلى أنها أبرمت معاهدة سلام مع إسرائيل وجاء الإبرام في أعقاب ثأر في أكتوبر 1973 من جانب مصر لهزيمة 5 يونيو 1967. ولولا الموضوع الفلسطيني لكانت سوريا حلت مشاكلها على الطريقة التي حل بها الرئيس أنور السادات المشكلة مع إسرائيل. ولولا الموضوع الفلسطيني لما كان أصاب العراق ما أصابه وإفتعلت له الحرب التي إنتهت عدواناً من أجل إخضاعه للأمر الواقع الذي هو السلام برؤية المتصهينين في أميركا للسلام وليس بالرؤية القائمة على المنطق والحق والشمول والعدل. ولولا الموضوع الفلسطيني لما كانت هنالك دول عربية كثيرة على لائحة الحروب المفتعلة بغرض تسليمها بالأمر الواقع. من هنا وفي ضوء الذي أصاب العراق، بات واجباً علينا أن نستحضر الموضوع الفلسطيني وبحيث نخصص له الحيز الذي يستحقه في البال، خصوصاً أن إخواننا الفلسطينيين سجلوا نقطة نوعية في العمل السياسي ربما يغنيهم نجاحها عن إستئناف النضال بالأسلوب الإستشهادي. وهذه النقطة تتمثل في أنه صار للشعب الفلسطيني حكومة.. وحكومة من النوع الذي يحظى بالإهتمام الأميركي - الإسرائيلي الأمر الذي يعني أن ما كان من الصعب إعتماده كأسلوب قبل الحكومة صار على شيء من اليسر بعدما باتت هذه الحكومة هي المؤسسة القوية بين المؤسسات الفلسطينية. وعنصر القوة فيها أن المؤسسة هنا باتت أقوى من الشخص أو على الأقل إنهما يتقاسمان القوة، عكس ما كانت عليه الحال من قبل حيث رئيس السلطة الفلسطينية المفترض أنه رئيس الدولة التي لم تقم بعد كان هو الدولة... والدولة هو. ومن هذه الثغرة بدأ أرييل شارون يسحب البساط من تحت الرئيس

الأميركية لرفع الحصار عن العراق، فإن كواسر تلك الإدارة إعتبروا ذلك تحدياً غير مقبول وتشويشاً على نهج سياسي عريض للإدارة ومن الضروري وضع نهاية، وليس وضع حد فقط، لهذا التحدي.

الإجراء الصدامي الثاني الذي سبق الإجراء الأول تمثل في مناداة الرئيس صدام خلال آخر قمة عُقدت في العاصمة الأردنية عمان لما كان يعرف بـ "مجلس التعاون العربي" الذي يضم مصر والعراق والأردن واليمن بنقل جزء من الإستثمارات العربية في الولايات المتحدة وبريطانيا إلى الإتحاد السوفياتي، قبل سقوطه، وأيضاً إلى بعض الدول الأخرى، ثم إصراره على تنشيط هذه الدعوة التي تعثرت بطبيعة الحال بعد إنفراط عقد ذلك المجلس نتيجة للإجتياح العراقي لدولة الكويت ثم الإحتلال لها قبل أن يتم تحريرها من خلال حرب قادها الرئيس جورج بوش الأب ورئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر وشاركت فيها عشرات الدول العربية والإسلامية والأوروبية. وهذه المناداة في نظر الإدارة الأميركية هي بمثابة إعلان حرب على مصالح أميركا. ولأنها كذلك فإنه تم السكوت عليها من باب جمع المقتضيات إلى حين التنفيذ حرباً أو تطويلاً للحصار أو عملية إنقلابية للنظام البعثي.

الإجراء الثالث يتتبع في أن الرئيس صدام إعتد قُبَل ثلاث سنوات التعامل باليورو "بدل الدولار وعلى الرغم من أن الإجراء تم في زمن سوء أحوال العراق نتيجة للحصار فإن خشية أميركا منه جعلتها تستعجل الحرب الإستباقية، ذلك أن مثل هذا الإعتداد يشكّل سابقة من شأنها إذا إتسعت التسبب في هز الوضع المالي للدولة الأعظم فضلاً عن أن دولاً نفطية أخرى قد تحذو حذو العراق في حال لم يتم إسقاط نظامه بالحرب أو بوسيلة أخرى. ويبدو أن الثأر لن يقتصر على ما جرى وإنما هنالك الذي هو أعظم والمتمثل في الإتجاه إلى إعتداد الدولار الأميركي عملة رسمية للعراق تمهيداً لفرضه عملة رسمية للعالم العربي من المحيط إلى الخليج.

إلى جانب هذه الإجراءات هنالك أمور أخرى أوجبت الثأر من بينها أسطوانة أسلحة الدمار الشامل التي لم يتم العثور عليها... والذي قد لا يتم.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 18 أبريل (نيسان) 2003

ياسر عرفات ويرفض التعامل معه بالصفة التي يملكها عرفات، وفي العقل الباطن للشارونيين أنهم عندما يحذفون عرفات من حسابهم فإنهم عملياً يحذفون دولة فلسطين.

وإذا تعامل القادة العرب مع الحكومة الفلسطينية بجدية وأحاطوها بالرعاية التي سبق أن أحاطوا بها عرفات على مدى عشر سنين، فإن الموضوع الفلسطيني سيتقدم في الاتجاه الصحيح. وهذا ما عنيناه بضرورة أن نتذكر الموضوع الفلسطيني في ضوء ما جرى في العراق... وما جرى له.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 19 أبريل (نيسان) 2003

إعترافات أولية للشريك الجنوح

أوضح رئيس وزراء بريطانيا طوني بلير للشعب أموراً كان المواطن في المملكة المتحدة يحتاج إلى معرفتها وتتعلق بأحوال رئيس حكومته عندما بدأت الحرب على العراق وكيف تطورت إلى عدوان ولماذا لم يعد الحليف البريطاني في صدارة الموقف نازعاً منه شريكه الرئيس الأميركي جورج بوش الابن "شرف" الدور الذي قام به في "تحرير" الشعب العراقي من "الطاغية" صدام ونظامه البعثي.

ولأن الأمور بخواتيمها وليس فقط ببداياتها، فإن بلير خص صحيفة فال "صن" الأقل رصانة بين صحف بريطانيا والأكثر شعبية وتوزيعاً وبالذات لأن صورة فتاة جميلة وعارية بنسبة 99% تتصدر الصفحة الثالثة من الصحيفة. ومن هنا وال "صن" هي الصحيفة الوحيدة تقريباً في العالم التي يبدأ البريطاني قراءتها تحديقاً من صفحتها الثالثة ثم ينتقل إلى بعض بقية الصفحات.

وبصرف النظر عما إذا كان إختار ال "صن" عملاً بمبدأ رد الجميل للصحيفة التي وقفت بصلاية مع الرئيس الجنوح للحرب متحالفاً مع صديقه الموهوس بالحرب جورج بوش الابن أو عملاً بإغظة الصحيفة الشعبية الأخرى "دايلي ميرور" التي وقفت ضده بقوة ملقية ظلالاً قاتمة ومخجلة على شخصه وأسلوب حكمه، فإن المهم في الأمر أن بلير لم يكشف ما إرتأى إمكانية كشفه في صحيفة رصينة مثل "التايمس" أو "دايلي تلغراف" علماً بأنهما كانتا معه دون التحفظات

التي أبدتها الصحيفتان الرصينتان الأخريان "الإنديبندنت" و"الغارديان" تاركاً ربما للخواتيم ما يمكن أن يقوله في حينه عن "الحواسم الصدامية التي قصمتها خيانة بعض الأقربين المقربين فجاءت المعركة تنتهي إلى مأساة وصدمة.. بل إلى نكبة أقل هولاً من نكبة العرب الأولى عام 1948 في فلسطين وأكثر هولاً من هزيمة 5 يونيو 1967".

خلاصة ما قاله الرئيس البريطاني وفي صيغة "الإعتراف" أنه شعر بالقلق في الأيام الأولى من الحرب بعدما واجهت القوات البريطانية والأميركية في العراق مقاومة أعنف مما كان متوقعاً وأنه جمع زوجته وأولاده وأفراد عائلته المقربين إليه "وشرح لهم كيف أن الموقف سيكون صعباً وأنه من المحتمل أن يتطور لغير صالحه. ولكن المشاركة في الحرب قرار يراهن من خلاله المرء في نهاية المطاف على منصبه. وكان من الممكن على الدوام أن يحصل ذلك...".

في الوقت نفسه كان بلير يقول لصحيفة "يديعوت أحرانوت" الإسرائيلية كلاماً يجمع بين الإعتراف والتمني. ومما قاله: "إن وضعاً جديداً نشأ في المنطقة في أعقاب الحرب على العراق وإن هذا هو الوقت المناسب للتوصل إلى تسوية بين الفلسطينيين والإسرائيليين...". و"إنني أعتبر نفسي صديقاً حقيقياً لإسرائيل وأقدر كثيراً الإنجازات التي حققتها إسرائيل ومن هذا المنطلق بالذات أريد أن أخلق وضعاً تتمتع فيه إسرائيل بالأمان والاستقرار...". ولقد قطع الرئيس بوش وعداً وأتمنى أن يكون الإسرائيليون قد فهموا أن أمن إسرائيل سيكون موضوعاً محورياً في أي محادثات تتعلق بخريطة الطريق...".

تلك هي بعض إعترافات الشريك الثاني في الحرب توني بلير.

ولمجرد أن يبدأ الاعتراف هذا جيد لأنه بذلك يدعو الشريك الأول جورج بوش الابن إلى أن يفعل الشيء نفسه... إلا إذا كانت عنجهية هذا الأخير تحول دون أن يقول بأن ما أصاب بلير أصابه وأكثر... وكانت ستصيبهما مصيبة لولا أن بعض الذين إنتمنهم صدام حسين باعوه في بورصة البيت الأبيض، وكان الذي كان يوم 9 أبريل 2003 يوم الزلزال الكبير.

صحيفة "الوطن". الرياض - الأربعاء 23 أبريل (نيسان) 2003

ثلاثية حكومة باغتت

اللبنانيين المصدومين

فجأة ومن دون أن يتوقع أحد من اللبنانيين المصدومين بالذي حدث في العراق وله، بداية ونهاية، شعباً ونظاماً، بشراً وحجراً، القلقين بسبب التهديدات الأميركية المتصاعدة لسوريا وما يمكن أن ينشأ عن تنفيذ هذه التهديدات للبنان، إستقالت حكومة رفيق الحريري الثالثة مساء يوم الثلاثاء 15 أبريل الجاري (2003) وعن طريق نواب مصدره القصر الجمهوري وجاء النبا المباغت هذا بعد مشاورات لا بد منها بين أهل الحكم في كل من لبنان وسوريا، وجاءت نتيج المجال أمام التكهن بأن التطورات الخطيرة المتلاحقة تستوجب على ما يبدو حكومة تُمثّل كل القوى السياسية في لبنان. وبعد مشاورات تقليدية وشكلية أجراها رئيس الجمهورية وإنتهت إلى تكليف الحريري إعادة تشكيل الحكومة فوجئ اللبنانيون بأن الحكومة ليست هي ما اعتقدوا حدوثه وأن كل ما في الأمر هو أن عملية "إعادة إنتشار سياسي" تشبه "إعادة الإنتشار العسكري" حدثت وتركت إنطباعاً بأن هذه الحكومة إنتقالية كونها جمعت شمل الرؤساء الثلاثة إلا أنها لم تجمع الشمل اللبناني، وكونها حفلت بظواهر كثيرة من بينها إسقاط قاعدة الرجل المناسب في المكان المناسب وإستبدالها بقاعدة الرجل المناسب في غير المكان المناسب. ونقول ذلك على أساس أن أهل الإختصاص تم توزيعهم في غير إختصاصهم، وعلى أساس أن القوة الضاربة الشيعية متمثلة بـ "حزب الله" لم تشارك برضاها في الحكومة وأن القوة الضاربة المارونية لم يتم إشراكها، وكأنما لهاتين القوتين دعوة للمشاركة في الحكومة الثابتة التي ستلي هذه الحكومة الإنتقالية.

عدا ذلك يجوز القول إن الحكومة الجديدة التي يشكّلها الحريري خلفاً للحكومة الثالثة له التي شكّلها في أكتوبر 2000 ودامت سنتين وخمسة أشهر حافلة بعدم التجانس وبالمشاكسة خلافاً للحكومتين اللتين ترأسهما في عهد الرئيس السابق إلياس الهراوي الأولى في نوفمبر 1992 والثانية في نوفمبر 1998 حيث كان الرجل سيد حكومتيه بنسبة أفضل مما باتت عليه حاله في عهد الرئيس لحود ... عدا ذلك يجوز القول إن الرضى الرئاسي على الحكومة أفضل بكثير من الرضى الشعبي ونفترض هذا الرضى للأسباب الآتية:

هناك ثلاث حقائب كانت تعني رئيس الجمهورية إميل لحود هي نيابة رئاسة الحكومة وبحيث لا يشغلها أحد سوى صديقه رجل الأعمال عصام فارس، ووزارة الداخلية وبحيث لا يشغلها أحد سوى إلياس المر زوج إبنته ونجل صديقه وحليفه رجل الأعمال ميشال المر، ووزارة الإتصالات التي باتت من أهم الوزارات بسبب إزدهار ظاهرة الهاتف الجوال وبحيث لا يشغلها أحد سوى جان لوي قرداحي صديق الرئيس، هذا إلى الحرص على توزيع صديق آخر للرئيس لحود هو الطبيب كرم كرم .

وهناك ثلاث حقائب كانت تعني رئيس الحكومة رفيق الحريري هي وزارة المالية ووزارة العدل ووزارة التربية وقد تركزت له، مع تجيير وزارة الإقتصاد والتجارة إلى حليفه وليد جنبلاط بشخص أحد أركانها.

وهناك ثلاث حقائب كانت تعني رئيس مجلس النواب نبيه بري هي وزارة الطاقة والكهرباء ووزارة الزراعة ووزارة الشؤون الإجتماعية والعمل وقد نالها وإختار لها وجوها جديدة من حركة "أمل" التي يتزأسها خلفاً لوجوه ثلاثة كان تم طردها من الحركة وإستمر الثلاثة وزراء لبعض الوقت على الرغم من أنهم مطرودون.

في ضوء ذلك يبقى القول إن اللبنانيين هم على موعد مع الحكومة التي تعينهم. وهذا هو الشعور الحقيقي وإن كان التعبير عن ذلك سكوتاً... الأمر الذي يعني أن السكوت ليس دائماً علامة الرضى.

صحيفة "الوطن". الرياض - الخميس 24 أبريل (نيسان) 2003

عمرو موسى يستعيد عمرو موسى (1)

بداية نقول إن العنوان ليس أحجية فالذي حدّث هو أن عمرو موسى الأمين العام للجامعة العربية يحاول إستعادة عمرو موسى وزير خارجية مصر.

ومن قبل أن يجد عمرو موسى نفسه بالرضى من جهة والضرورة من جانب النظام المصري من جهة أخرى أميناً عاماً للجامعة العربية خلفاً للدكتور عصمت عبد المجيد كان يبدو بمثابة العازف خارج "النوتة" أو المغرد خارج السرب أو الصقر بين الحمام داخل النظام في مصر.

في القمة العربية الدورية الثانية في بيروت حظي

عمرو موسى بترحيب لا سابق له حيث أن عدداً من القادة العرب رحبوا به أميناً عاماً جديداً لجامعتهم ورأوا فيه أنه سيعطي هذا الكيان الكثير من الحيوية والتحديث والتطوير. ومثل هذا الترحيب يأتي من القادة وليس من وزراء الخارجية مثلاً، الذين هم وعمرو موسى من مستوى واحد بروتوكولياً، جعل الأمين العام الجديد المجدد يشعر أن تدوين تاريخ الجامعة سيكون عبارة عن ثلاثة عهود: عهد بداية التأسيس وعهد ما قبل تنصيب عمرو موسى ثم عهد عمرو موسى. وساعد على ذلك أن الأمين العام جاء إلى الموقع الجديد وهو كثير الخبرة بأحوال العالم العربي خلال السنوات التي أمضاها وزيراً لخارجية مصر، وعلى دراية بنقاط الضعف والقوة في العلاقات العربية مع العالم وبالذات مع الولايات المتحدة وهذا إكتسبه من السنوات التي أمضاها مندوباً لمصر في الأمم المتحدة. كما أن الذي ساعد على تعاظم ثقة الرجل بنفسه هو أنه يعرف كل الملوك والرؤساء العرب الذين كانوا يستقبلونه عند قيامه بمهام من قبل الرئيس حسني مبارك أو عند مشاركته في المحادثات التي يجريها الرئيس المصري مع إخوانه الملوك والرؤساء العرب ومع قادة بعض دول العالم عندما يزورهم رسمياً أو يقوم هؤلاء بزيارات مماثلة إلى مصر.

وإستناداً إلى هذه الثقة بالنفس بدأ عمرو موسى يعيد ترتيب بيت الجامعة العربية محققاً في هذا السبيل خطوات ملحوظة. لكن هذه الثقة جعلته أيضاً يعتبر نفسه واحداً من القادة العرب وهذا يجيز له من وجهة نظره أن يجتهد ويقترح ويبادر ويبتكر ومن دون أن يثنيه عن ذلك أنه كأمين عام هو السفير الثاني لكل الملوك والرؤساء العرب وليس واحداً منهم. وقد إختزن عدد من هؤلاء في صدورهم الكثير من التحفظات لكي يمتطروا بها في الوقت المناسب الأمين العام للجامعة الذي يريد مخلصاً تحقيق الحد المعقول من التضامن العربي والذي بذل من أجل ذلك سعيّاً بالإخلاص نفسه.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 25 أبريل (نيسان) 2003

عمرو موسى يستعيد عمرو موسى (2)

بسبب إجتهدات موضوعية أباها عمرو موسى

كأمين عام للجامعة العربية وتصريحات أدلى بها وتعزز تلك الإجتهدات.. وكلها تتعلق بالوضع الناشئ عن التداعيات العراقية قبل العدوان الأميركي - البريطاني وخلال الأسابيع الثلاثة للعدوان وإستباقاً لمرحلة ما بعد الإستيلاء على العراق، بدأ الأمين العام عمرو موسى يتعرض لحملات تتضمن المفردات التي يستعملها باغضوه ما من شأنه إلقاء ظلال عليه. كما بدأت تزداد إتساعاً حملة أواسط الرأي على الجامعة العربية وكما لو أنها هي المسؤولة عن الإنحدار الذي وصلت إليه الأمة في ضوء ما جرى للعراق وفيه وما قد يجري لدول عربية أخرى وفيها. وإنطلاقاً من هذه المشاعر تزايدت المطالبة بإقفال الجامعة العربية وتصفية أعمالها وكما لو أنها شركة أو "سوبر ماركت". كما تكاثرت ومن منطلق إعتبار الأمين محابياً لموقف ضد آخر اللكمات اللفظية للرجل ومنها اللكمة الأقوى التي صدرت عن إخواننا الكويتيين وأبرزها قول وزير الخارجية الشيخ صباح الأحمد "إن الجامعة جامعتا وأن عمرو موسى مجرد موظف فيها...".

الآن يحاول عمرو موسى إستنهاض القادة الذين رحبوا به في قمة بيروت وهو من أجل ذلك يقوم ببعض الزيارات لدعم موقفه. وفي الوقت نفسه يدافع وحيداً عن جامعته متمثلاً هذا الدفاع بقوله في تصريح أدلى به بعد محادثات أجراها مع الرئيس بشار الأسد وكانت بمثابة فضفضة من جانبه لما يقاسيه: "الجامعة باقية ويحتاج تفعيل دورها إلى تفاعل من الدول العربية نفسها لأن فشل الجامعة يعني فشل الدول العربية. أما الدعوة إلى وضع نهاية للجامعة فتعود إلى المدرسة التي تنادي بذلك ونادت بها من قبل وعلى رأسها شيمون بيريز...".

ويبدو عمرو موسى الحاضر في تحركه وفي ما يدلي به من تصريحات يستعيد عمرو موسى الماضي وبالذات أيام كان يتصدى بعزم وحزم للإسرائيليين بينما الخط السياسي المصري العام يعتمد التهدة، وأيام باتت عباراته حول الفشل الذريع لتجَمَّع "ميثاق دول إعلان دمشق" بمثل العبارات العلوجية لوزير الإعلام العراقي المتواري الدكتور محمد سعيد الصحاف. ونتذكر الآن من تلك "العبارات الموسوية" الشبيهة بـ "العبارات الصحافية" واحدة قال فيها "إن ميثاق دول إعلان دمشق يترنح...". وهو كان محقاً في تعبيره هذا أكثر من الصحاف في معظم تعابيره. ولكننا نخشى

عليه بقدر ما نحترمه ونرثي لحاله بقدر ما نرثي لبؤس أحوالنا عموماً.

صحيفة "الوطن". الرياض - السبت 26 أبريل (نيسان) 2003

* * *

الخصوصيتان الفريدتان من نوعهما

بمثل ما أن الحكومة في لبنان لا تولد من دون أن يأخذ في الاعتبار الذي يكلف والذي يكلف بالتشكيل، الخصوصية اللبنانية - السورية من دون أن ينطبق ذلك بالمثل في سوريا، فإن تقليداً بدأ ومرشح على الأرجح للاستمرار ويتعلق بالخصوصية المصرية - الفلسطينية. والخصوصيتان فريدتان من نوعهما في العالم العربي.

زيادة في التوضيح نقول بالنسبة إلى الخصوصية اللبنانية - السورية إن من يشكّل الحكومة في لبنان يجب أن يكون مقتنعاً بتلك الخصوصية وأهمية العلاقة مع سوريا. ويجب من أجل التنسيق بالنسبة إلى السياسة الخارجية أن يكون وزير الخارجية في التشكيلة الوزارية اللبنانية من النوع المقتنع أيضاً وبحيث لا يحدث تقاطع في الموقف السوري - اللبناني الموحد إزاء أمور أساسية. ومن أجل أن تكون الخاصرة السورية محصنة ضد أي محاولات إختراق تأتيتها من الأراضي اللبنانية فإن من يتم إسناد وزارة الداخلية إليه يجب أن يكون على الإقتناع نفسه. وعندما بات الجيش اللبناني قريب الشبه بالجيش السوري من حيث العقيدة العسكرية نتيجة مساعدة سوريا قبل خمس عشرة سنة في إعادة بناء الجيش الذي أتت على دوره لبضع سنوات ظاهرة الميليشيات، فإن وزير الدفاع اللبناني يجب أن يكون حريصاً على الخصوصية اللبنانية - السورية في المجال العسكري. ثم يأتي وزير الإعلام في الحكومة اللبنانية الذي يجب أن يحمي الخصوصية اللبنانية - السورية من رياح الإعلام الذي يلفح وجه تلك الخصوصية وبحجة الإعلام الحر والتعددية والديمقراطية التي هي إضافة إلى السرية المصرفية من الميزات التي يتباهى بها لبنان منذ الإستقلال عام 1943. ويأتي أخيراً وزير العمل لكي يتقهم ظروف حوالى مليون عامل سوري يعملون في معظم المناطق اللبنانية من دون أن ينشغل البال السوري في المقابل حيث أن اللبنانيين العاملين في سوريا هم بضعة عشرات. هذا بالنسبة إلى لبنان وسوريا. أما بالنسبة إلى

مصر وفلسطين فإن الخصوصية بينهما تختلف عن تلك التي بين لبنان وسوريا. كما أنها في بداية التطبيق بعدما نمت وياتت جذورها راسخة. ومن المظاهر على طريق التطبيق أن الحكومة الفلسطينية الأولى التي أوكل الرئيس ياسر عرفات بعد تردد أمر تشكيلها إلى محمود عباس (أبو مازن) المرغوب أميركياً وبريطانياً وغير المتحفظ عليه إسرائيلياً والمزكى بإمتياز من الرئيس حسني مبارك، كادت لا تبصر النور لو أن مدير المخابرات المصرية اللواء عمر سليمان المسك بالجانب الشائك من الملف الفلسطيني لم يبذل وبتكليف من الرئيس مبارك المسعى الذي يتقنه عادة من هم في منصب الرجل. ونلاحظ أن الرئيس الفلسطيني الأول للحكومة كاد يعلن إعتذاره عن المضي في المناقشة مع الرئيس ياسر عرفات ولملمة أوراقه والإعتكاف في منزله ما دام عرفات لا ييسر الأمر ويترك له حرية التشكيل. ثم جاء اللواء عمر سليمان على وجه السرعة إلى رام الله ووضع أمام الصديقين اللوديين أبو عمار وأبو مازن صيغة حل ينطبق عليها المثل الشائع "لا يموت الذئب ولا يفنى الغنم". وإرتاح الصديقان، اللذان لا يريدان فراقاً، نتيجة بدأ أربيل شارون يسحب البساط من تحت الرئيس ياسر عرفات ويفرض التعامل معه بالصفة التي يملكها عرفات، وفي العقل الباطن للشارونيين أنهم عندما يحذفون عرفات من حسابهم فإنهم عملياً يحذفون "دولة فلسطين".

وإذا تعامل القادة العرب مع الحكومة الفلسطينية بجدية وأحاطوها بالرعاية التي سبق أن أحاطوا بها عرفات على مدى عشر سنين، فإن الموضوع الفلسطيني سيتقدم في الإتجاه الصحيح. وهذا ما عنيانه بضرورة أن نتذكر الموضوع الفلسطيني في ضوء ما جرى في العراق... وما جرى له. الدور المصري الذي سيتكرس بعد اليوم... وبحيث لا تشكّل حكومة فلسطينية إلا ضمن معادلة "فلسطين لمصر ومصر لفلسطين" بمثل المعادلة المنقرضة المتمثلة في مقولة "السودان لمصر ومصر للسودان". وكفى الفلسطينيين مصرياً بعد اللبنانيين سورياً شر الخلاف عند تعثر تشكيل الحكومات.

صحيفة "الوطن". الرياض - الإثنين 28 أبريل (نيسان) 2003

* * *

تأملات في أحوال

كوفي أنان وعمرو موسى

من المفترض أن يكون منصب الأمين العام للأمم المتحدة ومنصب الأمين العام للجامعة العربية من المناصب التي يحلم بها كل شخص يتطلع إلى المجد الذي يحققه مثل هذين المنصبين والمناصب المشابهة لهما مثل منصب الأمين العام لـ "الاتحاد الأفريقي" الذي جاء بديلاً لـ "منظمة الوحدة الأفريقية" ومثل منصب الأمين العام لـ "مجلس التعاون لدول الخليج العربية" ومنصب الأمين العام لـ "منظمة المؤتمر الإسلامي" والأمين العام لمنظمة "الفرانكفونية" والأمين العام لـ "الحلف الأطلسي" والأمين العام لـ "الاتحاد الأوروبي" .. وغيرها من الأمانات العامة ذات الشأن الدولي.

أما لماذا الافتراض بأن يكون أحد هذه المناصب بمثابة الحلم فلأن من يشغله يعيش الأبهتين في وقت واحد. أبهة حضوره وسط أهل القرار كأنه واحد منهم يزورهم عندما يرتأي القيام بالزيارة ويتم إستقباله من دون أي تحفظات وبذلك يبدو وكأنه واحد من هؤلاء. وأبهة العيش الفاخر إقامة وسكناً وطمأنينة إلى تعويضات نهاية الخدمة التي تحقق لشاغل المنصب حياة كريمة بعد إنتهاء الوظيفة.

والى هاتين الأبهتين فإن من يشغل منصب الأمين العام يكون بمثابة رئيس "دولة صغرى" له نواب ومساعدون ومستشارون ولـ "دولته الصغرى" مؤسسات فرعية ضمن المؤسسة الأم ولها سفراؤها في بعض دول العالم يمثل ما للدول الكبرى هؤلاء السفراء. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وبسبب هذه الإمتيازات والمكانة والأبهتين اللتين أشرنا إليهما فإن من يشغل منصب الأمين العام يكون عموماً موضع حسد الحساد. ويبقى الحسد وارداً إلى حين تطرأ على الأمين العام ظروف من نوع الظروف التي يعيشها منذ بضعة أشهر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان والأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى. فالإثنان يحاولان قدر الإستطاعة تحقيق توازن في الدور الذي يجب أن تقوم به "منظمة" الأول و"جامعة" الثاني وبحيث لا تفقد الإثنتان المصادقية التي في حال إهتزازها في عيون الرأي العام تصبح "المنظمة" أو الجامعة مجرد كيان صوري لا شأن

له.. هذا إذا لم يتحول الكيان إلى أداة في أيدي دولة تعتمد أسلوب الهيمنة سياسة وتريد من الأمين العام أن يكون مجرد عازف في "الأوركسترا" وليس قائداً لها نتيجة أن رئيس الدولة المهيمنة يأخذ منه هذا الدور.

حتى إشعار آخر يبدو الأمينان العامان كوفي أنان وعمرو موسى في وضّع لا يحسد أحد من الحساد الكثيرين كلاً منهما عليه. ويبدو الإثنان بمثابة الشماعة التي يعلّق آخرون عليها إرتباكاتهم. وهما يسمعان من الكلام والنقد ما يجعل الواحد منهما يتمنى لو أنه لم يتطلع إلى المنصب الذي طالما تطلّع إليه ولم يشغل هذا المنصب، ما دامت الأبهة والعيش الفاخر والمكانة التي يبدو منها وكما لو أنه رئيس كالآخرين هي مثل اللقمة المنغمسة بالدم. ونكاد نفترض أن كلاً منهما يكاد ينفجر ضيقاً من هذه الإستهانة أحياناً بشخصه وأحيانين بدوره، لكن "فيروس" السلطة الذي يصيب بعض الحكام يستقر في خلايا تفكير كل منهما فيجعله لا يفاجئ مجتمعه الرسمي والشعبي بالإستقالة من هذا المنصب الذي إما أن تكون له حصانته وكرامته وإلاّ فعلى المنصب - الأبهة السلام... ألف سلام.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 29 أبريل (نيسان) 2003

* * *

عودة كلنتون ومونيكا... تلفزيونياً

في خضم الحرب البوشية على العراق بغرض تحريره من إنتمائته القومي وضعضعته كبلد محكوم بنظام لا يرتضي التسليم بمطالب كواسر الإدارة الأميركية، بدأت إنطلاقة الرئيس السلف بيل كلنتون التلفزيونية متمثلة ببرنامج تلفزيوني بعنوان "الرأي والرأي الآخر" تبثه "سي.بي.إس.". والبرنامج هو من نوعية برنامج زميلنا عبدالرحمن الراشد في تلفزيون "المستقبل" والمعنون "ساعة سياسة". ومن باب المصادفة فإن الإثنین الرئيس الأسبق كلنتون والزميل الحاضر عبد الرحمن يلتقيان عند أوجه شبه كثيرة شكلاً وإختياراً للضيوف وأسلوباً في طرح الأسئلة وإبتسامة ليس من السهل تحديد نوعيتها ومراميها.

الضيف الأول الذي إختاره كلنتون للتلفزيوني للحوار معه كان زعيم الحزب الجمهوري السابق السناتور بوب دول الذي سبق أن ترأس وفداً من الشيوخ بتكليف من صديقه الرئيس جورج بوش الأب

لزيارة العراق قبل أربعة أشهر من اجتياح القوات العراقية للكويت. وتحديدًا فإن لقاء الوفد بالرئيس العراقي المتواصل رغم كل الويلات حصاراً وحروباً، جرى يوم 18 أبريل 1990 في مدينة الموصل التي ينتظر الرئيس بوش الابن بفارغ الصبر أن يتصل به رامسفيلد أو كونداليزا لإبلاغه بأن هذه المدينة "تحررت" من الحُكم العراقي وباتت تحت السيطرة الأميركية. ولا ندري ما إذا كان الوفد قام بتلك الزيارة للتحذير أو للإحتواء.. أو للإحياء للرئيس صدام بغرض التوريط بالتوجه إلى الكويت وإعادتها "قرعاً إلى الأصل" إستكمالاً لـ "قادسيته". وفي العادة أن ما يجري خلال مثل هذه الزيارات لا يكون فقط ما تم الإعلان عنه... وإنما "يأما تكون بين السواهي دواهي" على نحو القول الشعبي السائر.

المهم أن إختيار السناتور دول كضيف أول إختيار ذكي وذلك لأن بوب دول كان منافس كلنتون على الرئاسة وفي الأيام الأخيرة من المباراة خاضاً معاً مواجهة تلفزيونية إنتهت بفوز كلنتون مع أنه متهرب من الخدمة العسكرية نقيض بوب دول الذي فقد ذراعاً في الحرب. لكن ما هو الأهم أن لهذه الواقعة تتمة تتمثل في أن مونيكا لوينسكي باتت هي الأخرى صاحبة برنامج تلفزيوني بعنوان "مستر برسوناリティ" ستعرضه شبكة فوكس" بدءاً من 12 أبريل المقبل (2004). وللتذكير فإن مونيكا إبنة الطبيب اليهودي الأميركي هي التي أدخلت البهجة إلى نفس الرئيس كلنتون عام 1998، وجعلت من المكتب البيضاوي في البيت الأبيض عشاً لعلاقة ملتعبة بينها كمتدربة وبين الرئيس كلنتون كمحب للمتدربات وبالذات من هنّ في مواهب مونيكا وسلاسة كلماتها ورقة أناملها وسحر إبتساماتها وإنسياب خصلات شعرها الأسود اللون ورحابة صدرها وطول بالها.

إستناداً إلى التقاليد التلفزيونية فإن من حق مونيكا الطلب من أي شخصية عامة أن يكون ضيف برنامجها، مثلما أن من حق مستر كلنتون إستضافة أي شخصية يختارها ويطلب منها المشاركة. وإذا حدث أن إختارت مونيكا عمداً أو بفعل إحياء المخرج أو الذين يُعدون لها البرنامج أو ربما بفعل ترتيب يحمل طابع الإثارة تتولاها المحطة، محبها ومعشّقها لبعض الوقت كلنتون ليكون ضيفاً في الحلقة الأولى أو في واحدة من الحلقات اللاحقة، فإن ذلك سيحقق للمحطة شعبية واسعة فضلاً عن أنه سيشد أنظار

شعب أميركا ويلهيه بعض الشيء عن فظاعة الحرب التي يخوضها رئيسه جورج بوش الابن وحوله مورطوه كواسر الإدارة المخيّبة لآمال الصديق العربي. ويرافق جولات "قادسية بوش" هذه الإدعاء بأنها بدافع الحرص على معاناة ابن الرافدين الذي ستتكفل ألوف صواريخ كروز "المنهمة على رأسه بجعله "نموذجاً" للعربي الديمقراطي في ديار الخليج. هذه أميركا. ومن لا يعجبه سلوكها فلينتظر أحد "الكروزات"... وأمره إلى الله.

صحيفة "الوطن". الرياض - الثلاثاء 25 يونيو (حزيران) 2003

التهجير الذي يجمع الخصوم

من يصدق أن أشرس خصمين سياسيين في باكستان باتا صديقين وحليفين تجمعهما مشاعر التعاطف بعدما كان الصراع بينهما يصل إلى حد إعتقاد العنف في الحد الأقصى وفتح أبواب السجون لإيواء جماعة بنظير بوتو عندما يتولى الحكم نواز شريف أو إيواء جماعة نواز شريف عندما تكون بنظير هي الحاكمة بأمر جماهير والدها الذي قضى إعداماً دون وجه حق.

ما أوردته المعلومات هو أن الجنرال برويز مشرف، الذي كان خطف السلطة من نواز، الذي كان إستحصلها من بنظير بوتو، أجرى تعديلات غير طفيفة في الدستور ما دام لا أحد يمنعه سوى جنرال من نسيجه، وقرر إجراء إنتخابات نيابية بمواصفات برويزية. وهاله أن بنظير ونواز أهم زعيمين سياسيين علمانيين في باكستان قررا خوض هذه الإنتخابات فأبكر البروزيون له من المستعصيات ما جعل ترشيح بنظير المقيمة في الخارج والمتنقلة بين ربوع الخليج والديار البريطانية غير "قانوني". وكان ذلك بمثابة رسالة إلى نواز إستوعبها الرجل الذي يعيش في جده ضيفاً على المملكة بالتوافق مع الجنرال برويز فقرّر إستباق الرفض وهو الذي كان يظن أن فوزه سيجعله كما بنظير يشدان الرحال والعودة إلى باكستان تحميها حصانتهما البرلمانية. ولقد تمثل الإستيعاب بإعلان نواز شريف عزوفه عن الترشيح. لماذا؟ تضامناً مع بنظير التي رفضوا ترشيحها، كما قالت أوساطه.

وهكذا فإن من محاسن الحكم البروزي أنه جعل قلوب الخصوم تتألف وبات المستحيل ممكناً. وبعدما كان واقع الحال يؤكد أن الصراع بين حزب نواز شريف وحزب بنظير بوتو أبدي ولا يمكن الإثنان الالتقاء على أي جوامع مشتركة ، فإن وطأة الغربة القسرية من جهة والحنين إلى الزعامة التي يبكيها الإثنان الآن مع أنهما السبب في عدم الحفاظ عليها، هي التي وحدث بينهما .. وإن كان هذا التوحد بفعل الإضطراب وليس عن إقتناع .

ومن الضروري أن يقتنع الزعيمان المهجران بنظير ونواز أن العيش بعيداً عن الوطن والزعامة تبقى أفضل من مغبات ما سيصيبهما إذا هما عادا خصوصاً أن العودة بالنسبة إلى كل منهما هي خوض تجربة جديدة من التحدي ليست عواقبها بالأمر السهل هذه المرة، ذلك أنه إذا كان الإثنان إتعضا من ظروف الماضي وإستفادا من الدروس وماذا يعنيه إستمرار الصراع بينهما، فإن الجنرال برويز مشرف يضع أمامه الكثير من عبر الماضي وماذا أصاب الجنرالات الذين حكموا باكستان من قبل عندما لم يكونوا يقظين بمثل ما هو عليه من التيقظ.

صحيفة "الوطن". الرياض - الجمعة 6 سبتمبر (أيلول) 2003

* * *

بقية تأملات في القمة - الهدية

لا نظن أن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات كان يتصور عندما قرر تجيير القمة العربية الثانية إلى لبنان، وهي التي بموجب القاعدة الأبجدية مكان إنعقادها أبو ظبي، أن نقاشاً سيحدث داخل أهل الحُكم اللبناني في شأن هذا الإنعقاد بحيث يكون هنالك متحمسون للقمة ومعارضون لها وبين الفريقين هنالك الطرّف المتحفظ على إنعقادها. كذلك لم يخطر في باله أن الذين غابوا عن القمة لن يشاركوا وهم المفترض فيهم أن يكونوا في طليعة الحاضرين.

وإلى ذلك إن الشيخ زايد لم يخطر في باله أن القمة ستكون مناسبة لتصدية حسابات بين أجنحة أهل الحُكم اللبناني إتسمت بالنكايات. كما لم يخطر في باله أن طقوس البروتوكول ستصل إلى حد تصنيف العرب درجات وفق اللون والقدرة المالية والتواجد الجغرافي. وهو لو خطر في باله أن ذلك سيحدث لكان أرفق التجيير ببعض النصائح بحيث لا تشوه طقوس البروتوكول من جهة وسياسة تصفية الحسابات من جهة أخرى هذه القمة التي لم يجبرها إلى لبنان لضيق المكان وضيق ذات اليد ولدواعي الأمن في دولة الإمارات فهذا كله متوفر، وإنما لأنه أراد إهداء لبنان ما هو أهم بكثير من مساعدات في إنجاز مشاريع البنية التحتية أو مساعدات لتنظيف الأرض اللبنانية من الألغام الإسرائيلية. والأهم الذي نعنيه هو قمة تتعقد في العام 2002 بدل أن تتعقد بعد عشر سنين وبذلك يكون إنعقادها تكريماً للدولة العربية الوحيدة التي سجلت المقاومة فيها نصراً على الإحتلال الإسرائيلي وإلى حد إنسحابه مدحوراً مذموماً ومدمى، ومساهمة معنوية من دولة الإمارات في وضع لبنان على خارطة الدول التي تتعقد فيها المؤتمرات من دون خوف من أحد أو إخافة لأحد. وهي في أي حال لفئة من رئيس دولة طالما جعل الحكمة هي القاعدة في تعامله مع الأوضاع الصعبة والقضايا الشائكة.

وإذا جاز القول فإن الرد اللبناني على تحية الشيخ زايد لم يكن بالمثل. فلا الذي جرى لوزير الإعلام غازي العريضي كان يجب أن يحدث، وهو الذي بسبب قدراته الإعلامية ورؤاه الوطنية كان قادراً على توظيف قوافل الإعلام العربي والأجنبي التي جاءت من كل صوب إلى بيروت من أجل تغطية أعمال القمة العربية الدورية الثانية وعلى نحو جيد. ولا

الإستهانة التي لحقت برئيس البرلمان اللبناني نبيه بري ورئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري كان يجب أن تحدث خصوصاً أن الحضور لكل منهما في المحيطين العربي والدولي وكذلك في المحيط الإسلامي من شأنه أن يرفد القمة بالمزيد من الرؤى وتخلق أجواء أفضل.. وخصوصاً بعدما تكاثر الغائبون عن القمة من القادة العرب. ولا النظرة البروتوكولية الفوقية في التعامل مع بعض الدول كان يجب أن تحدث، وبالذات مع السودان الدولة التي يذكر اللبنانيون بالخير مساهمتها المخلصة في زمن قوات الردع العربية وأي أسلوب محترم إعتمده الجنود السودانيون الذين شاركوا في تلك القوات وبالذات عندما كان موقعهم مطار بيروت. وما هو معروف عن السوداني هو أنه "أخو إخوان" ويمكن الإعتماد عليه في الزمن الصعب وعندما تشد وطأة الملمات، من دون أن يعني ذلك أن الإعتماد يجب أن يكون مالياً. ومن هنا فإنه كان من غير اللائق أن يأتي البروتوكول اللبناني على حساب رئيس من المفترض بلبنان تكريمه وتعويضه عدم شمله في السابق بالإهتمام. وعندما لا يشارك الرئيس عمر حسن البشير في القمة رداً محقاً منه على قلة بعد النظر من جانب أهل البروتوكول اللبناني الذين لم يجدوا جناحاً للرئيس في فندق القمة شأنه في ذلك شأن الآخرين، فإنه أراد بذلك وضع حد للإستهانة اللبنانية أصلاً بالسودان حيث لا يُزار ولا يُستشار وكما لو أنه ليس الشقيق البار الرابض بجسارة على المدخل العربي المتسع الأرجاء للقارة الأفريقية. وفي هذا الصدد يجوز الإستهجان لأن الرئاسة اللبنانية الثلاث لا تشمل السودان بجولاتها مع أن ذلك مفيد للبنان، ولأن الوزير اللبناني الوحيد الذي زار الخرطوم إنما زاره فقط لأنه يحمل دعوة إلى الرئيس البشير للمشاركة في القمة. ونحن هنا لا نضيف المزيد ولكن التمني جائز بأن يشمل الرئيس رفيق الحريري السودان بجولاته إذ ليس طبيعياً أن يصل رئيس الحكومة اللبنانية إلى أرمينيا ورومانيا لكنه لا يحط الرحال لبضع ساعات في الخرطوم وخصوصاً عندما يكون في مدينة جدة التي طالما يُكثر من زيارتها والتي هي على مرمى رحلة طائر سريعة من العاصمة السودانية، وبذلك تزول هذه الندبة من جبين العلاقة اللبنانية - السودانية خصوصاً أن ما يجمع البلدين هو الإيقاع من حيث الاسم وهو التراث الديمقراطي لدى الشعبين وهو أن قمة بيروت ربيع 2002 كانت تؤام قمة الخرطوم صيف 1967

هنا إذ لم نقل أن قمة العاصمة المثلة في زمن الثنائي الذي لا يعوض (إسماعيل الأزهرى - محمد أحمد محجوب) كانت من حيث الظروف والنتائج والضرورات والمفاجآت بمثل قمة العاصمة اللبنانية المنبثقة من رماد حرب ست عشرة سنة ليست حرب جنوب السودان، التي ما أن تتوقف حتى تبدأ من جديد، شيئاً قياسيًّا بفضاعتها وويلاتها.

والى ذلك إنه عندما إرتأى الشيخ زايد تجبير القمة إلى لبنان لم يخطر في باله أن هذه القمة ستترقى إلى مرتبة القمم لأن العاصمة اللبنانية شهدت ما كان يتمناه لعاصمة دولة الإمارات العربية المتحدة، وإن كان ضمناً لا يجد إجابة مقنعة عن الإجتهد الذي كان في غير محله ويتعلق بحجب كلمة الرئيس الفلسطيني المحاصر ياسر عرفات التي كان سيبحثها فضائياً ويسمعها المشاركون في القمة في جلستهم الإفتتاحية. ولو أن القمة كانت ستعقد في أبو ظبي ولا يتم تجبيرها إلى لبنان لكان الشيخ زايد وضع شاشات في ساحات أبو ظبي وبقية الإمارات تبت الكلمة بضع مرات طوال أيام المؤتمر وليس فقط يتم بثها داخل القاعة التي جمعت رؤساء الوفود في يومين يمكن أن يصحبا من الأيام العربية المضيفة خصوصاً إذا تمت صيانة المبادرة ورعايتها وتطويرها وإلحاقها بجهود كتلك الجهود التي حدثت داخل القمة إلى أن يثمر إعلان العرب سلامهم على أميركا وإسرائيل قيام دولة فلسطين وعاصمتها القدس وإنسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو (حزيران 1967) في كل من الجولان وفلسطين وجنوب لبنان، وإلا فإن إنسحابها من المنطقة سيصبح هو المطلب وهو القضية، وبالذات في ضوء تداعيات حرب الإبادة الشارونية التي تتفرج عليها الإدارة الأميركية وتشاركها التفرج عشرات الدول... وكأنما إبادة شعب يريد التحرك وطرد المحتلين الذين يعبثون بالمقامات الإسلامية والمسيحية في القدس وبيت لحم ومن فلسطينية أخرى، هي من المسائل التي فيها نظر.

رأي الصحيفة في المقال:

الأستاذ فؤاد مطر كاتب عربي مشهور، عرف بإهتمامه بالشأن السوداني منذ زمن طويل، وتعامل مع السودان عبر كل أنظمتة "السياسية وحُقه المختلفة إضافة لإهتمامه فإن السودان له مكانة خاصة في نفسه وفكره والدليل على ذلك تأليفه قرابة العشرة مؤلفات عن السودان من بينها كتابه الأشهر (الحزب الشيوعي نحروه أم إنتحر). لذلك لم يكن غريباً أن يبدي ملاحظة عدم إهتمام

الجهات اللبنانية المسؤولة في مسألة تتعلق بالترتيبات في إستضافة الوفد السوداني أثناء قمة بيروت الأخيرة. وعلى الرغم من صحة ملاحظته إلا أن قيادة الوفد السوداني قد تعاملت مع الأمر دون حساسية بل إنه صدر إلتماس للوفد الإعلامي المرافق بعدم التعرض لهذا الأمر الذي تعرضت له الصحافة اللبنانية في حينها منتقدة تصرف الجهات المسؤولة عن الإعداد.

ولتوضيح الأمر لابد أن نشير الى أن السفارة السودانية هناك تعاملت مع الأمر وفق الأسس الدبلوماسية وتمكنت من إسكان قيادة الوفد حيث ينبغي أن تكون في مقر المؤتمر وفي مكان لائق..

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 11 أبريل (نيسان) 2002

نهاية الواقعية العربية بالإستدراج من بوش الأب إلى.. إبنه!

كان المأخذ الدولي في إستمرار على العرب أنهم لا ينظرون بواقعية إلى الأمور وأنهم لا يقتنعون بأن التعايش مع إسرائيل لا بد منه، بصرف النظر عن تقييمهم لهذا الكيان وهل هو مصطنع أو غير مصطنع.

وإنطلاقاً من ذلك فإن الإدارات الأميركية والحكومات الأوروبية أسهمت في ضخ المساعدات العسكرية والمالية لإسرائيل ووقفت إلى جانبها في المحافل الدولية حتى عندما كانت تخطئ، وهي دائماً المخطئة. ولنا في "الفتن" الأميركي والإمتعاعات عن التصويت الأوروبية فضلاً عن التحفظات بين الحين والآخر ما يغني عن المزيد من الشواهد التي تؤكد الإصرار الأميركي - الأوروبي على أن تكون إسرائيل هي التي دائماً على حق والعرب على خطأ، وأن تكون هي الدولة الأقوى في المنطقة وتكون الدول العربية الأخرى مجرد شرة للسلاح، وفي الوقت نفسه يتواصل زرع بذور الشقاق بين هذه الدول ويتم إفتعال أزمات تقود إلى مواجهات وحروب أهلية. ولنا في الذي حدث في شمال العراق وفي صعيد مصر وفي جنوب السودان وفي كل الجزائر وكل لبنان.. لنا في هذه المواجهات والحروب ما يؤكد النوايا الشريرة التي إستهدف منها الحريصون على إسرائيل، إنشغال الدول

العربية ببعضها البعض إحتراباً في الحد الأقصى، وفي الحد الأدنى مشاكسات إعلامية حافلة بأشع أنواع المفردات كقيلة بإبقاء التوتر هو القاعدة والإنفراج هو الإستثناء. وبين الإحتراب والمشاكسات بعض حالات التآمر والإضطراب الحدودي والغزو نتيجة الإنفعال وليس طمعاً أو رغبة في التوسع.

جاء مؤتمر مدريد للسلام في العام 1991 بدعة أميركية إرتاحت لها الأنظمة العربية، مع أنه كان فحاً ظاهرة برّاق وباطنه حالك الظلمة شديد الظلم. ولقد أراد الرئيس جورج بوش الأب من ورائه ثلاثة أمور:

الأول - أن يدخل التاريخ كي لا يكون الرئيس الأسبق جيمي كارتر هو المتربع فقط على صفحات التاريخ كونه إنتزع مصر من أمتها وأعلنها دولة شبه محايدة في الصراع، أما كيف يحدث ذلك فمن خلال البدعة التي طرحها وهي مؤتمر مدريد للسلام مطمئناً إلى أن هذا المؤتمر سينجح ما دام العراق بات في دائرة التهميش، بجراح الحرب الدولية - العربية - الإسلامية عليه، تأدياً له في الظاهر على ما فعله بالكويت وإسقاطاً له في الواقع من السعي المستجد لإستكمال الصلح العربي مع إسرائيل، وما دامت منظمة التحرير باتت موضع الغضب الجارف من نصف الأنظمة وبالذات دول الخليج التي تشكّل السند المالي والسياسي لها، وما دام من المتيسر تأديب السودان وتطويع ليبيا والتهويل على إيران وإحتواء اليمن ومطاردة الثوريين العرب في عقر ملاذاتهم ومأويهم في بعض الدول. أما لماذا التأكيد الأميركي بأن مؤتمر مدريد سينجح فلاطمئنان إلى أن سوريا ما دامت شاركت في التحالف الولي الذي قاده الرئيس جورج بوش الأب ضد العراق فإنها لا بد ستشارك عن إقتناع وعن حماسة في المؤتمر، كما أنها ستأخذ على عاتقها إبقاء الثوريين الرافضين المستضافين لديها أو الذين يشكّلون لبنان العمق الفاعل لها، تحت السيطرة، بحيث لا يتحول هؤلاء ولو لبضعة أشهر إلى جبهة تشويش على المؤتمر.

الأمر الثاني - هو أن الرئيس جورج بوش الأب يستطيع من خلال إستضافته مؤتمر مدريد للسلام أن يقول لدول العالم إن الولايات المتحدة لا تريد الإستتار بالحل التاريخي للصراع العربي - الإسرائيلي، وأنها لو كانت تبغي ذلك لكانت إستضافت المؤتمر في واشنطن وليس في منتصف الطريق بين أميركا والمنطقة العربية، وبذلك ترتاح أوروبا ولا تغضب روسيا وتطمئن الصين في الوقت نفسه.

الأمر الثالث - هو أن الرئيس جورج بوش الأب

يستطيع، ما دام إستترج كل الدول العربية إلى المؤتمر، أن يقول لقوى الصهيونية داخل الولايات المتحدة إنه فعل ما لم يفعله الآخرون لإسرائيل، وعلى هذا الأساس يضمن تجديد ولايته خصوصاً أن الرأي العام الأميركي في إعتقاده سيكون معه ما دام جلب من الحرب على العراق غنائم خليجية أنقذت الوضع الإقتصادي المتدهور في الولايات المتحدة وحالت مئات الإتفاقات التي أبرمتها شركات التصنيع الحربي والتقني الأميركية دون إفلاس هذه الشركات أو بعضها.

إنتهى الأمر إلى واقع عربي جديد وهو أن الأنظمة العربية باتت واقعية وهذا مبتغى الحكومة الخفية للصهيونية التي تحدد المطالب من الإدارة الأميركية والتي تختار الأشخاص الذين يديرون دفة الحكم في إسرائيل. وعندما إطمأنت هذه الحكومة الخفية إلى الواقعية العربية شبه الشاملة نفضت اليد من بوش الأب فسقط الرجل شر سقطه، وهدفها من ذلك ألا يتاح لرئيس الولايات المتحدة تنفيذ خطط كثيرة على طريق السلام الذي ترى الحكومة الخفية للصهيونية أن تنفيذها ليس لمصلحة إسرائيل في الأمد المنظور. وبدأت المساومات والإبتزازات مع الرئيس الجديد بيل كلينتون الذي إستترج الأنظمة العربية والقيادة الفلسطينية إلى المزيد من الواقعية وإلى درجة أن فلسطين الفلسطينية أو «فلسطين الدولة» باتت من إنتهاء ولايته عبارة عن أجزاء متناثرة من الأرض التي لا تشكل مقومات الكيان المرجو.

بعد ترحيل كلينتون مجللاً بفضيحة التحرش الجنسي التي أعدت لها الحكومة الخفية إياها ووظفت لهذا الغرض الفتاة اليهودية مونيكا لوينسكي، جيء بجورج بوش الابن رئيساً ليتبين أن المطلوب منه هو تجويف الوجدان العربي نهائياً وبحيث تصبح الواقعية هي القاعدة، أي ما معناه تصبح فلسطين مجرد أزمة ثنائية بين دولة فلسطين و«حركات شغب» فلسطينية لا أكثر. ومن أجل ذلك أو في ضوء تداعياتها كانت عملية الترويع التي إستهدفت نيويورك وواشنطن يوم 11 سبتمبر 2001. لكن المفاجأة التي لم ترد في الحسابات تمثلت في أن الرأي العام العربي وهو المستغرق في النوم إستفاق فجأة ونزل إلى الشارع بقوة الحناجر متباهياً بالشال الفلسطيني يضعه الذين إستفاقوا على أكتافهم. وأكدت المسيرات والتظاهرات أن هنالك بداية هوة بين الأنظمة وبين الشعوب ليس فقط سببها الإهانة الشارونية والعدوان الشاروني والمجازر الشارونية، وإنما سببها أن الواقعية من جانب الأنظمة العربية أو بعضها، تقادياً منها للتعميم، إزاء موضوع الصراع العربي-

الإسرائيلي كانت بفعل الإستتراج والعجز المصطنع وليس بفعل الإقتناع. وعلى هذا الأساس فإن الواقعية العربية ستأخذ في ضوء أكاذيب ومراوغات ومكائد أحد عشر عاماً منحنى جديداً وذلك كي تكون الواقعية على النحو الذي أرادته الصهيونية من الإدارات الأميركية وفرضته هذه بدورها علينا هو الطريق إلى الهاوية.. وليس إلى السلام العادل والشامل والإستقرار كما نتطلع.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 18 أبريل (نيسان) 2002

من مقدمات الهزيمة عام 1967 إلى مقدمات النكبة عام 2000

طوال ثلاثين سنة أعقبت الحرب العربية - الإسرائيلية الثانية ونعني بها حرب الخامس من يونيو 1967 كان هنالك نوع بل أنواع من الملامة العربية في حق بعض الدول الأفريقية والدول الإسلامية الشقيقة وكذلك بعض الدول الصديقة في القارتين الآسيوية والأوروبية. ومحور اللوم والعتب هو أن هذه الدول لا تقف بحزم إلى جانب العرب في صراعاتهم مع إسرائيل.

وفي السنة الأولى التي أعقبت الوفاة المفاجئة للرئيس جمال عبد الناصر إرتفعت وتيرة اللوم في حق الإتحاد السوفياتي، الدولة النذ زمنذاك للولايات المتحدة، وإلى درجة أن البعض بات ميالاً إلى الإقتناع بأن هزيمة يونيو 1967 سببها في الدرجة الأولى أن الدولة الكبرى الصديقة لم تقف إلى جانب مصر وسوريا بمثل وقوف الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، وأنه لو حدثت الوقفة وفتح الإتحاد السوفياتي أمام مصر عنابر السلاح والذخيرة على نحو ما تفعل الإدارة الأميركية بحزبها الجمهوري والديمقراطي، وكانت مخابراته مخلصه في مد الدولتين الصديقتين بالمعلومات وبما يرجح قوة موقفهما، لما كانت إسرائيل كسبت حرب 1967 وعلى أهون السبل، أو على الأقل كانت النتيجة أقرب إلى النكسة منها إلى الهزيمة، وإن كان هنالك إصرار تنظيري يراها مجرد نكسة.

نصف هذا الكلام منطقي ونصفه الآخر هو نوع من دفع المسؤولية عنا كعرب وإعتبار الدولة الصديقة والشقيقة هي المسؤولة عما يجري لنا، فمن البديهي

التسليم بأن الوقفة السوفياتية إلى جانب الحليف المصري - السوري كانت دون وقفة الإدارات الأميركية إلى جانب إسرائيل، وهذا هو الشق المنطقي من الكلام الذي نشير إليه. ومن البديهي التسليم أيضاً بأن كل ما فعلته بعض الدول الصديقة والشقيقة هو أن بعضها قطع العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل وبعضها الآخر إستمر رافضاً إنشاء علاقات معها وتلك وقفة من جانب هؤلاء تبدو رمزية ولا تأثير لها كما يجب، وهذا أيضاً جزء من الشق المنطقي. أما النصف غير المنطقي فيمكن إيجازه من خلال ملاحظتين:

الأولى - لقد وقفت الإدارات الأميركية مع إسرائيل وإلى درجة الإستعداد للقتال إلى جانبها في حال تطلّب الأمر ذلك، ليس بدافع الود العميق بين تقاليد زرعها مؤسسو الدولة الأميركية بولاياتها المتنوعة الأجناس والأعراف والمذاهب واللغات وبين العقيدة الصهيونية، ولا هي بدافع الترابط المذهبي بين أميركا البروتستانتية والكاثوليكية وبين التوراتيين الذين يتطلعون إلى إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات وإعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، وإنما وقفت الإدارات الأميركية مع إسرائيل في ظل عهد قطعته مع الصهيونية العالمية قضى بأن تكون دولة إسرائيل اليد التي تضرب من خلالها المد الشيوعي في المنطقة العربية، وتقطع الطريق على أحلام الإتحاد السوفياتي في أن يغسل أقدامه بمياه البحرئ المتوسط والأحمر كمرحلة أولى ثم بمياه الخليج في مرحلة لاحقة.

وهنا لا بد ونحن في العام 2002 أن نستحضر أي شأن كان عليه الإتحاد السوفياتي في أواخر الخمسينات وحتى مطلع السبعينات وأي تطلعات وأحلام كانت في رؤوس قادة الكرملين بما يخص المياه الدافئة. ونحن من خلال إستعادة تلك المرحلة يتأكد لنا أي دور فاعل أرادته الإدارات الأميركية من إسرائيل التي تولت إبقاء المنطقة وبالذات مصر وسوريا في دائرة الحيرة والقلق، حيث أنهما لا تستطيعان مجارة الإتحاد السوفياتي إلى أبعد الحدود التي يريدها ولا تلبية طموحاته وأحلامه وتطلعاته، وفي الوقت نفسه تطاردان الأحزاب الشيوعية وتزجان بقياداتها في السجون، عدا فترة صحو عابرة وقصيرة مع السنة الأولى من "ثورة 25 مايو 1969" في السودان. وهكذا فإن الطرفين أي المصري - السوري من جهة والسوفياتي من جهة ثانية يتبادلان عملية إحراج تبين بعد حين أنها ضارة بهما، حيث أن

الدولتين العربيتين اللتين راهنتا على العلاقة مع الاتحاد السوفياتي محرّجتان أمام الرأي العام العربي بأنهما راهنا على صديق لا قدرة له على إتخاذ وقفة قوية إلى جانبهما في حال لابد من المواجهة مع إسرائيل، وذلك لإعتبارات دولية كثيرة التعقيد من بينها أن الإتحاد السوفياتي من المجموعة المشاركة في إستيلاء الدولة اليهودية على أرض فلسطين. والإتحاد السوفياتي محرّج أمام شعوب جمهورياته وأمام الحركة الشيوعية في القارات الخمس لأنه يقف، مع أن الوقفة ليست بالقوة المطلوبة، مع دولتين عربيتين ترجان بالشيوعيين في السجون وتطاردان القياديين، متيحاً بذلك المجال أمام دول أخرى من بينها العراق بأن تمارس حكوماته أي إجراءات تراها في حق الشيوعيين.

والى ذلك إن الحركة الصهيونية، وبموجب العهد الذي أخذته على نفسها، تساعد ضمناً على تدمير صيغة الجمهوريات التي يتشكل منها الإتحاد السوفياتي وذلك من خلال الشتات اليهودي في تلك الجمهوريات وفي جمهوريات أوروبا الشرقية، كما أنها تتخذ من الولايات المتحدة المقر للمال والأعمال والصناعة والإعلام والسينما، وهي خدعة إنطلقت على أهل القرار الأميركي لأنهم لم يفتنوا إلى أن الحركة الصهيونية بدأت بذلك وضّع اليد على الإدارة الأميركية وعلى القرار الأميركي وعلى الرأي العام الأميركي عموماً.

في المقابل لم يحظ الإتحاد السوفياتي من العرب بما يجعله يتبنى قضيتهم على نحو التبنّي الأميركي لإسرائيل. فالمال العربي لا يصب في الخزنة السوفياتية، والحكومات العربية ترج بالعمق الشعبي للسوفيات في السجون، والمسلمون باتوا، من دون أن يفتنوا إلى ذلك، جزءاً من مثلث المواجهة لهم إلى جانب الإدارة الأميركية مباشرة وإسرائيل بصيغة مستترة. وعلى هذا الأساس فلماذا سيقف بما يجعل كفة الصراع تميل لمصلحة العرب أو تتوازن في الحد الأدنى. وهو إستمرار لا يقف إلى أن تداعى الهيكل الشيوعي على تراث الرفاق الذين أسسوا وحكموا بدءاً من إنجلترا وماركس مروراً بلينين وستالين وخروتشوف وبريجنيف وصولاً إلى أندروبوف وتشيرننكو. وإنتهى الأمر إلى ما هو عليه بالنسبة الى العرب، في حين وصلت العلاقة الأميركية - الإسرائيلية مع الإدارة الجمهورية التي يتربع على عرشها جورج بوش الابن إلى حد تبرير العدوان الشاروني على الشعب الفلسطيني وإعتبار المجازر الشارونية حالة "دفاع عن النفس" وإعتبار أرييل شارون

"رجل سلام" والتسامح معه حتى إذا هو ساوى كنيسة المهد بالأرض. فالعهد إياه الذي أشرنا إليه يجيز مثل هذا التصهين الأميركي وأكثر.

الملاحظة الثانية - بعد إبرام الرئيس أنور السادات معاهدة السلام مع إسرائيل، تراجعت مطالبة العرب أية دولة شقيقة أو صديقة وبالذات بعض الدول الإسلامية غير العربية ومعظم الدول الأفريقية بتطوير موقفها من إسرائيل بحيث يدعم الموقف العربي. وبات الرد لهذه الدولة أو تلك هو ما دامت الدولة العربية الأكبر مصر أبرمت معاهدة سلام مع إسرائيل فلماذا تطلبون منا ما لا يبدو منطقياً.

وبعد المعاهدة التي أبرمها الأردن والإتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي الذي تم إبرامه خلسة في ليلة من لياالي العاصمة النرويجية (أوسلو)، وفتح مكاتب في بعض العواصم العربية للتجارة والإتصال مع إسرائيل، وجنوح موريتانيا نحو السلام وإقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل.. بعد هذه الأفعال العشوائية التي لا تستند إلى رؤية إستراتيجية يكون هنالك نوع من التفاهم في شأنها، بات من الطبيعي أن تفعل الشارونية ما تفعله وبات من الطبيعي أن تقترب الإدارة الأميركية الخطأ الذي تقتربه.. وأما الخشية، بعدما لم يبق على جناحي النسر العربي سوى ريشة "المبادرة العربية" فهي أن يجتاح شارون هذه المبادرة ويدمرها على نحو تدميره لمخيم "جنين" وهذا سببه أن تجارتنا كانت خاسرة بحيث أنها لم تتجنا من نار عذاب الإذلال الأميركي-الشاروني بينما هم كانوا تجاراً شاطرين ومقايضين أذكاء، ولأننا أيضاً لا ننقن بناء العلاقات ولا نجيد أصول المحافظة عليها على أمل تطويرها، وأن أولي الأمر غير متقنين. حتى على الإختلاف، وهذا معناه أن هيبة الأمة مهددة بالإندثار أو أنها على موعد مع فجر جديد.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 25 أبريل (نيسان) 2002

معادلة غير مسبوقة

في تاريخ الإنتخابات الرئاسية الفرنسية

لعلها المرة الأولى في تاريخ الإنتخابات الرئاسية الفرنسية، بل ويجوز الافتراض أنها سابقة لم تحدث

في تاريخ الانتخابات الرئاسية في العالم، وفي التاريخ الحديث للإنتخابات، التي يقترح فيها نصف من يحق لهم الإقتراع من أبناء الشعب لمن لا يريدونه ولمن هو ليس من صفوفهم ولا نسيجهم، بمعنى أنه ليس واحداً من الرفاق ولا واحداً من المحبين.

هذا النصف الذي نعنيه هو الجمهور الناخب في الحزب الاشتراكي الفرنسي والجمهور الناخب في الحزب الشيوعي، وإن كان من الجائز القول إن بين هؤلاء من صمد على إقتناعه العقائدي الى النهاية فقرر أن يرمي بورقة بيضاء في صندوق الإقتراع إلتراماً منه بأداء الواجب الانتخابي وإنسجاماً في الوقت نفسه مع ضميره. الواجب هو الإقتراع والضمير هو عدم وضع اسم جاك شيراك الذي كان في نظره حتى لحظة المفاجأة اليمينية المتمثلة بحصول جان ماري لوبان على نسبة عالية من الأصوات في الدورة الأولى جعلت منه المرشح الثاني متقدماً على الحصان الاشتراكي ليونيل جوسبان الذي أخفق كما لم يخفق اشتراكي في إنتخابات من قبل.

زيادة في التوضيح للفكرة التي نعالجها هنا والتي خلاصتها أن نصف الفرنسيين ممن يحق لهم الإقتراع إنتخبوا من لا يريدونه، نقول إن نتائج الدورة الأولى من الإنتخابات الرئاسية الفرنسية جاءت على عكس الإستطلاعات، ففي حين كان اليسار الفرنسي بجناحيه الاشتراكي والشيوعي مطمئناً إلى أن جاك شيراك لن يفوز لا في الدورة الأولى كإحتمال شبه مؤكد ولا في الدورة الثانية كإحتمال مؤكد، أو أنه في حال حالفه الفوز فإنه سيكون فوزاً باهتاً لا يؤهله لكي يحكم خمس سنوات على نحو ما يجعل حكمه هذا مستقراً.. إنه في حين كانت هذه هي نظرة اليسار المتسمة بالخبط المألوف في عالم أهل السياسة، كان ديناصور اليمين الفرنسي جان ماري لوبان يشق طريقه مستغلاً هذا التبعض في صفوف أهل الحُكم الذي يتقاسمه شيراك الديغولي وجوسبان الاشتراكي وأمكنه حصد أصوات كثيرة تمكن بواسطتها من حذف جوسبان الاشتراكي واضعاً المرشح الآخر جاك شيراك أمام معادلة بالغة التعقيد وخطيرة. فهو بناخبيه الديغوليين وبعض الشرائح المتأثرة من أهل اليمين الفرنسي الليبرالي المعتدل لن يفوز من دون أن يعني ذلك أن الديناصور اليميني هو الذي سيكون الفائز. ومن أجل ذلك جاء موقف اليسار يستدرك وعلى وجه السرعة الخطأ الذي قد يتحول في عدم تداركه إلى خطيئة. ويتمثل الموقف

في أن الاشتراكيين والشيوعيين قرروا التصويت لمن لا يريدونه، أي للرئيس شيراك، ليس حباً به وإنما خشية من أن تسقط فرنسا فريسة الديناصور اليميني الذي جاء إلى ساحة العمل السياسي بشعارات من بينها تنظيف فرنسا من بضعة ملايين أجنبي من بينهم خمسة ملايين عربي ومسلم من دون أن يعنيه في شيء أن هؤلاء باتوا مواطنين بالتجنس يحملون جواز السفر الفرنسي وبطاقة فرنسا هي الوطن الأول وأن الوطن الأصلي هو الثاني.

المهم أن الإنتخابات الرئاسية الفرنسية إنتهت إلى أن فرنسا نجت من فراغ سياسي كادت تسقط فيه وبات اليمين الفرنسي المتزمت في خانة التهميش إلا في حال إنتزاع عشرات المقاعد في الإنتخابات التشريعية المقبلة وهو إحتمال لا يرقى إلى مرتبة التأكيد.

والمهم أن الخوف من الديناصور اليميني إنتهى الى ولادة ظاهرة "تحالف الأضداد" حيث بات الديغولي والليبرالي إلى جانب الاشتراكي والشيوعي في مركب واحد يقوده الرئيس جاك شيراك الذي إنتزع فوزاً براقاً ما كان ليحصل عليه لولا التعقل اليساري ونتيجة الإضطراب وليس الإقتناع. ومثل هذه الحالة تفرض على الرئيس شيراك تسديد ديون لأطراف كثيرة.

ومع أن الدائنين لم يمنحوا الديون بعد طلب وإلحاح من المدين وبعد إتفاقات مكتوبة وسندات تتضمن نسبة الفائدة على هذه الديون، وإنما قدموها بشكل هبات، إلا أنها تبقى في النهاية ديوناً. ولا بد أن الرئيس شيراك بعد أن تستقر الأمور ويعرف على أي بر سترسو سفينة الحُكم الفرنسي خلال السنوات الخمس المقبلة التي هي عمر الولاية، سيسدد ما عليه من ديون للدائنين. وفي طليعة هؤلاء اليسار الفرنسي الذي له الفضل الأول في ما إنتهت إليه النتائج، و"الوبي العربي - المسلم" في فرنسا الذي أكدت الإنتخابات الرئاسية للمرة الأولى أن شأنه على درجة من الأهمية وأن الأهمية ستأخذ حجمها الكبير في حال بات الخمسة ملايين عربي ومسلم في فرنسا على شيء من التأثير بمثل التأثير الذي للملايين اليهودية المماثلة في نيويورك وبعض مدن الولايات المتحدة. ومثل هذا الأمر لا يتحقق إلا إذا حدث إنضباط وتنظيم وتعاون وتآلف في صفوف الملايين العربية والمسلمة الخمسة على نحو حال الملايين المماثلة في بعض الولايات المتحدة الأميركية والذين باتوا نتيجة التنظيم والتعاون

والتآلف يقررون مَنْ يجب أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ وَمَنْ يجب أن يكون عضواً في مجلس النواب.. بل وَمَنْ يجب أن يكون رئيساً للولايات المتحدة.. ومع أن ذلك غير سهل لأن العرب والمسلمين في فرنسا من الفقراء عموماً نقيض أحوال اليهود في الولايات المتحدة، ولا نتمنى أن يصل حال "اللوبي العربي - المسلم" في فرنسا إلى ما هو عليه حال "اللوبي اليهودي" في الولايات المتحدة من إيداء وتشويه وإبتزاز، إلا أن ذلك لا يعني أن إمكانية ولادة لوبي فاعل في فرنسا ليست ممكنة وليست من الضرورات وفي حدود الإمكانيات وضمن الأصول بحيث لا يكون هناك إتجاه يميني متطرف يريد طرد العرب والمسلمين من فرنسا.. شر طرد.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 9 مايو (أيار) 2002

* * *

الملعوب الليكودي... وملعونه الجديد

ليست العصابات الصهيونية بالجرائم التي إرتكبتها في حق الفلسطينيين هي التي حققت ليهود العالم أن تكون أهم دولة على أرض فلسطين، وإنما ولدت هذه الدولة بفعل التآمر العالمي والتصرف غير المسؤول من جانب الإنتداب البريطاني. وللتذكير فإن اللورد بلفور وعد اللورد روتشيلد ثم تلاحت حلقات التآمر من جانب الدول الكبرى التي أبرمت صفقات مع الصهيونية العالمية شبيهة في بعض مضامينها بصفقة كامب ديفيد بين الرئيس أنور السادات ومناحيم بيغن وصفقة أوسلو بين الرئيس ياسر عرفات ورئيس الحكومة الإسرائيلية إسحق رابين. ولو أن فلسطين كانت زمنذاك دولة مستقلة وليست تحت الإنتداب البريطاني لما كان في إستطاعة بلفور اللعين أن يعد وروتشيلد الملعون أن يتلقى الهدية ومن دون أن يخطر في البال الإنكليزي أن فلسطين ليست علبة سيجار لكي تُهدى، وإنما هي بلد الأديان السماوية التي يجب إحترام هويتها وخصوصيتها.

وعلى هذا الأساس فإنه عندما يقرر حزب الليكود الأكثر ملعونية بين الصهاينة الملعونين أنه لن يسمح بقيام دولة فلسطينية فإن قراره هذا لا معنى له، لأن الأطراف الدولية التي قررت بالتآمر والإغتصاب إهداء

يهود العالم دولة عبرية، هي التي قررت أن تكون هناك دولة فلسطينية إلى جانبها ليس حياً بالفلسطينيين وإنما حرصاً على بقاء الدولة العبرية، ذلك أن عدم قيام دولة فلسطينية معناه أن تصبح إسرائيل في مرمى الهجوم المضاد الذي يستهدف تحرير كل فلسطين وعدم الإكتفاء بصيغة الدولة الشكلية على جزء يسير من أرض فلسطين.

لقد إفترضنا بعد مسلسل الجرائم التي إرتكبتها أرييل شارون وتعميق مشاعر الحقد والكراهية التي بذرها وسقاها، أن صحوه ستحدث داخل صفوف الليكوديين قبل غيرهم تلتقي مع إستدراك يأتي من جانب حزب العمل الذي شارك في الجريمة الشارونية بدل أن يكون متحفظاً في الحد الأدنى ومعارضاً في الحد الأقصى. وهذه الصحوه وذلك الإستدراك هو لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من خطوات التعايش الفلسطيني اليهودي في ظل إتفاقات تم التوصل إليها وتملص منها شارون بأسلوب الثور الذي يرفس سطل الحليب الذي إمتلأ من أثداء البقرة المغلوب على أمرها، أي السلطة الوطنية الفلسطينية. لكن الليكوديين بالطبعة النتياهيوية يريدون السلطة وليس الحل ويريدونها عن طريق تطوير مسلسل المجازر الشارونية. ونقول ذلك على أساس أن برنامجهم، أو مخططهم الشرير، يرفض قيام دولة فلسطينية، معناه دعوة الإستشهاديين إلى المنازلة ومعناه زج الجيش الإسرائيلي في حرب جديدة، إلا إذا قرر هذا الجيش الذي تشهد صفوفه حالة من التملل وصلت إلى حد هرب العشرات من أفراد من الخدمة العسكرية، القيام بحركة تغيير يتسلم موجبها زمام الحكم وعلى النحو السائد في تركيا، وهو أمر لا بد تشجعه الإدارة الأميركية وبقية الدول المتعاطفة ضمناً أو شكلاً مع إسرائيل.

ومن الواضح أن تظاهرة المئة ألف إسرائيلي قبل بضعة أيام إحتجاجاً على إستمرار الإحتلال للمدن الفلسطينية وعلى النهج العدواني الذي يمارسه الشارونيون، تشجع بعض ضباط المؤسسة العسكرية للقيام بالتغيير الذي نشير إليه والذي لا بد سيلقى الإرتياح من الأنظمة العربية التي ذاقت في الماضي الأمرين من التلاعب أيام حكومة نتتياهو الذي يتصرف على أساس أنه هو الحصان الذي سيفوز في السباق الليكودي. ونحن عندما نقول ذلك نتذكر كيف أن الرئيس حسني مبارك والعاهل المغربي الراحل الحسن الثاني فاض بهما صبرهما من جزأ النهج

الذي إعتدته ننتيا هو والذي يتسم بالتلاعب، فقررا مقاطعة هذا المتلاعب والذي هو بمثل الملعون الحالي أرييل شارون، مع الفارق أن الأخير إقترب من الجرائم ما يسد بعض جشعه في رؤية دماء الفلسطينيين ومعهم دماء بعض الإسرائيليين تغطي الشوارع والأسواق والنوادي والمطاعم والحافلات، وأن ننتيا هو يستبد به الشوق إلى السُلطة لكي يكمل مسلسل المجازر مع تطوير نوعي وحيث يدخل في السجل الدموي للدولة العبرية على أنه يمارس الجرائم بجدارة وأنه في مستوى أرييل شارون مع أن الأخير جنرال والملعون ننتيا هو ليس كذلك.

لكننا في الوقت نفسه نخشى أن يكون الملعون الليكودي الجديد هو حلقة في المخطط الجهنمي للصهيونية بحيث تُطوى صفحة شارون لتحل محلها صفحة يملؤها من هم الأكثر تطرفاً وبذلك يكون أرييل شارون هو بالفعل "رجل السلام"، على نحو الصفة التي أطلقها عليه الرئيس جورج بوش الابن الذي عن مكر أو خداع أو ضحالة في النظرة أو عن إضطراب، أطلق تلك الصفة وكان إطلاقها في غير الوقت الملائم فضلاً عن أنها باطلة جملة وتفصيلاً.

وفي حال كان هذا هو هدف الصهيونية الأم من تبديل أحجار الشطرنج الليكودي، فهذا معناه أن إسرائيل لا تريد أي سلام، وأنها تستعد بعد التفريغ الكامل للعرب من مضامين نظرتهم القومية للمسألة الفلسطينية، على نحو ما تأمل وتتوقع، ونتيجة إدعاءات وأكاذيب أميركية، للحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة، بادئة بتعطيل القوة العسكرية التي تُقلعها، أي سوريا ولبنان. وهي، ضمن سيناريو إفتراضي إذا نجحت في تحييد سوريا كقوة ضاربة تكون فتحت الطريق أمام إسرائيل الكبرى.

هل إنه مجرد وهم مثل هذا التصور، أم أنه مشروع مؤامرة؟ إن الأمة على موعد مع مفاجآت ربعها من النوع السار وثلاثة أرباعها من النوع الصاعق. وإننا لمنتظرون.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 16 مايو (أيار) 2002

أميركا المتورطة.. بكامل إرادتها

يبحث العرب في الأمم المتحدة بإستمرار عن منافذ

يستطيعون من خلالها عرض قضية تخصهم وتتجو مناقشتها أو التصويت عليها من الفيتو الأميركي الذي لا خلاص لهم من شروره. وهم يفعلون ذلك لأن المنظمة الدولية وبشخص من يتولى أمانتها العامة غير قادرة على أن تمارس الدور المطلوب منها وذلك لأن أمينها العام واقع تحت الهيمنة الأميركية على المنظمة. ومن المؤكد أنه لو كانت الأمم المتحدة على غير ما هي عليه لكانت أحوالنا أفضل وكنا سنجد دائماً المرجع الأممي الذي يقينا شر العدوان الإسرائيلي علينا وشرور التبرير الأميركي الدائم لهذا العدوان.

من بين هذه المنافذ بند يحمل تسمية "الإتحاد من أجل السلام" وهو عبارة عن إجراء إستثنائي يمكن اللجوء إليه عندما لا يستطيع مجلس الأمن الدولي الإضطلاع بمهمة لحفظ السلام والأمن في العالم، أو بكلام آخر عندما تتعذر على أصحاب شكوى أو مطلب، وهم هنا العرب في إستمرار، الحصول على قرار منصف يصدر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة أو إدانة في حق إسرائيل تصدر عن مجلس الأمن أو قرار يصدر عن المجلس أيضاً من نوع القرارات ضد العراق، ويكون هنالك عناد أميركي في شأن تطبيقها أو الحرب إذا كان التطبيق لن يحدث من جانب الحكومة العراقية، على نحو ما هي حكاية المفتشين وغيرها من الحكايات.

ويوم الثلاثاء 6 مايو 2002 إستطاعت الجمعية العامة وفي ظل المنفذ الذي نشير إليه أن تتخذ مطمئنة إلا أن سبق لها الإنعقاد في إطار الإجراء الإستثنائي المسمى "الإتحاد من أجل السلام" عشر مرات منذ العام 1965 من بينها (6) مرات بخصوص الصراع العربي - الإسرائيلي. ولقد عكس الإنعقاد بضع حقائق أهمها أن العالم منقسم في حقيقة الأمر جناحين: الجناح الأميركي - الإسرائيلي وجناح بقية دول العالم.

الدعوة إلى الإنعقاد جاءت بطلب من المجموعة العربية. والغرض من الإنعقاد هو مداواة خيبة الأمل بالأمين العام كوفي عنان الذي ما أن عارضت إسرائيل المعتدية على الشعب الفلسطيني خطوة "جئة تقصي الحقائق" في المجزرة الشارونية في "مخيم جنين التي شغلها وأعلنت أنها لن تسمح لها مع أنها متوازنة أو بالأحرى لأنها كذلك، حتى أعلن عنان حلها ولقي "تعاون" غير المحترم هذا الرضى الأميركي الذي هو الرضى الإسرائيلي. وجاء الإنعقاد بمثابة فرصة لحفظ

ماء وجوه عشرات الدول التي شعرت أنها أهينت وأنها مستباحة الإرادة لأن الأمين العام لم يحقق الحد الأدنى الذي هو "لجنة تقصي الحقائق".

الذي حدث في الجلسة يلفت الإنتباه. الأكثرية الساحقة مع إدانة إسرائيل. ولولا العملية الإستشهادية التي حدثت في تل أبيب قبل التصويت ببضع ساعات الذي صدر عن الإجتماع قوياً ويشكل رداً حازماً على العدوان الشاروني. لكن العملية الإستشهادية التي سدت شهية أرييل شارون الذي كان بدأ زيارته إلى واشنطن وإجتمع بالرئيس جورج بوش الابن جاءت تضغط على بعض الدول الأوروبية لكي يتم إدخال تعديلات على القرار. لكن الوقفة العربية المتماسكة جعلت القرار الذي تبناه السودان بالنيابة عن المجموعة العربية يصمد ويتم التصويت عليه فقرة فقرة بناء على إصرار من جانب المندوب الروسي في الأمم المتحدة. وأهم هذه الفقرات التي "تدين الهجمات التي إرتكبتها قوات الإحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني في مدن فلسطينية عديدة وبصفة خاصة في مخيم جنين للاجئين" وتلك التي تدين رفض إسرائيل التعاون مع بعثة تقصي الحقائق وتطلب من الأمين العام كوفي عنان (إعداد تقرير عن جنين "من دون ذكر كلمة مجزرة" إستناداً الى المصادر والمعلومات المتاحة).

أهمية هذا القرار ليس في أن (74) دولة وافقت عليه وإنما هي في هوية الدول الأربع التي صوتت ضده وفي الوقفة اللافتة للإنتباه وبالذات في هذه الظروف للدول الإحدى والخمسين التي إمتنعت عن التصويت. الدول الأربع كانت الولايات المتحدة وإسرائيل بطبيعة الحال ومعهما دولتان لو سألنا أي ضليع في جغرافية العالم أن يسميهما أو يعرف أين تقعان لعجز عن ذلك. وهما "جزر مارشال" و"ميكرونيزيا". وهذا في أي حال معيب في حق الدولة التي تتفرد بالهيمنة على العالم، أي الولايات المتحدة، التي لا تجد من يصطف إلى جانبها في هذا الموقف سوى إسرائيل إضافة الى الدولتين المجهولتين - المجهولتين. أما بالنسبة إلى الدول التي إختارت الإمتناع عن التصويت فإن اللافت للإنتباه في شأنها هو أن عددها كبير، ذلك أن المؤلف في الذين يمتنعون عادة عن التصويت أن عددهم يكون قليلاً وفي معظم الأحيان لا يتجاوز الخمس عشرة دولة، ولذا فإنه عندما يصل رقم الممتنعين عن التصويت إلى إحدى وخمسين دولة من بينها أربع دول دائمة العضوية في مجلس الأمن هي

روسيا والصين وبريطانيا وفرنسا وكل الدول الأوروبية المسيحية من دون إستثناء وكذلك الدول الأفريقية وكل دول أميركا اللاتينية وكل الدول البوذية فهذا معناه أن كل دول العالم عدا الولايات المتحدة تدين العدوان الإسرائيلي على المدن الفلسطينية وعلى مخيم جنين وأنها من باب المسايرة المطلقة للإدارة الأميركية طلبت في القرار الذي نشير إليه إلى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان إعداد تقرير عما جرى محملة بذلك ضميره المسؤولية. ومن المهم بمكان هنا التوضيح بأن الإمتناع عن التصويت هو في معظم الأحيان أقرب إلى الموافقة عنه إلى المعارضة، بما معناه أن الذي جرى في الجمعية العامة للأمم المتحدة كان قرار إدانة كثير الوضوح للعدوان الإسرائيلي، وأنه لولا العملية الإستشهادية التي حدثت قبل ساعات من عملية التصويت لكان الموافقون على قرار الإدانة أكثر من (74) بكثير ولكان الممتنعون تبعاً لذلك أقل بكثير من (51).. إلا أن الرقم المعارض كان سيبقى على حاله المثيرة للعجب، أي أربع دول هي الولايات المتحدة وإسرائيل ومعهما جزر مارشال وميكرونيزيا.

وببقى سؤال: لولا الفيتو الأمريكي أحياناً والتسلط الأمريكي معظم الأحيان على الأمم المتحدة هل كان يمكن أن تتجو إسرائيل من قرارات الإدانة الواضحة وبالإجماع عدا صوتها الذي هو الصوت النشاز في المجتمع الدولي؟

الجواب هو: بالطبع لا. فهل ستصحو أميركا التي بات المرء محتاراً في أغرب ظواهر العصر وهي هل أن اسرائيل تعتدي بالتسويق مع الإدارة الأميركية أم أنها تعتدي بغرض بقاء تلك الإدارة في حال دائمة من التورط؟ ومن يتأمل في السلوك الاميركي مع الوضع في المنطقة يلاحظ هذا التورط. وما جرى بالنسبة إلى التصويت في الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي عالجناه في هذا المقال دليل على هذا التورط بل لعله نموذج للتورط المعيب بحق من يتورط... وبكامل إرادته.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 23 مايو (أيار) 2002

ماذا دهى الألمان.. المبتلون مثلنا؟

لم يبق صاحب ضمير حي، على قلتهم، إلا واستقطع هذا الذي يفعله الشارونيون بالشعب الفلسطيني. وكان لافتاً للإنتباه أن البعض من هؤلاء

كانوا من اليهود الذين يعيشون في أنحاء كثيرة من العالم وأنهم في لحظة من لحظات الضمير عندما يستيقظ من دون إستدعاء إستكروا أشد الإستكار هذا الذي يفعله الشارونيون، بل إن إستكار البعض وصل الى حد إبداء مشاعر الإستفزاز مما يفعله بنو جلدتهم بالذين قال الرئيس ياسر عرفات ذات يوم عنهم أي الشعب الفلسطيني إنهم أبناء عم اليهود. وفي إحدى المرات إستوقفنا تيرير أحدهم وبعدما بلغ الغيظ ذروته للعمليات الإستشهادية التي يقوم بها بعض الفتية والفتيات من سكان المخيمات، التي هي رمز الذل والقهر والعذاب النفسي وحيث لا مجال لمستلزمات الصحة والتعليم والغذاء من إختراق هذه المخيمات.

ولقد إفترضنا أن كل مظلوم ومقهور، وكل مسلوب وطنه ومسلوب إرادته، وكل مطعون في كبريائه وفي أمجاده وفي تاريخه، لابد سيكون نصيراً لهذا الشعب الذي يعيش محنة عاشت نصف قرنهما الأول ما هو مر ودخلت في النصف الثاني من ذاك القرن لتعيش في ما هو الأمر من الأمر نفسه. ذلك أن هذا هو ناموس الطبيعة حيث يقف المظلوم الى جانب المظلوم ويواسيه أو يُشعره أنه ليس وحده في هذه الأقدار الظالمة. وإذا كانت درجة الشدة عند مظلوم أقل منها عند المظلوم الآخر فإن الأول يبادر الى ما هو أكثر من التواصي مخففاً بذلك من عذاب الآخر. أما ما هو الأكثر من التواصي فهذا متصل بالقدرات وأنواعها بدءاً من التواصي بالكلمة الطيبة وصولاً الى التواصي بالمال الوفير مروراً بما في رحاب هذه الدنيا من وسائل مواساة لا حصر لها ولا ينقصها سوى فاعل الخير الذي يتطلع إلى رحمة من عند الله سبحانه وتعالى تأتية نتيجة الفعل الحسن يفعله مع من هم في أشد الحاجة إلى ذلك متطلعاً من وراء ذلك إلى مرضاة ربه. ويا لحسن ختام من يرضى الباري عنه.

مناسبة هذا الكلام أن شعباً عريقاً مثل الشعب الألماني يذوق أبشع أنواع الإبتزاز الصهيوني بحجة أن حقبة الحُكم النازي إرتكبت في حق اليهود ما يقال إنه المحرقة. وهي أصلاً واقعة غير محسومة على الأقل من حيث عدد الضحايا، ومن حيث الأفران النازية الحارقة، ومن حيث الدوافع الحقيقية التي اضطرت النازيين لكي يقدّموا على فعلهم غير الإنساني في أي حال. كما أن هذا الشعب يذوق أقسى أنواع الإستهانة بعدما صودرت إرادته من خلال تقسيم الوطن وصودرت تبعاً لذلك أحلامه وآماله ودوره الفاعل في

القارة الأوروبية. ولولا تلك المصادرة لكانت ألمانيا بلغت مجداً لم تبلغه دولة أوروبية. وحتى بعدما تم هُدم الجدار التاريخي الفاصل بين الألمانيتين وعاد البلد موحداً فإن الشعب الألماني ما زال موضع رصد دقيق من جانب الولايات المتحدة له وما زال مخطط الإبتزاز الصهيوني له بهدف إستنزاف ما يمكن إستنزافه من ثروته بحجة المحرقة إياها وما نسجت الصهيونية حولها من أهوال.

في بعض جوانب واقعه المأساوي يبدو الشعب الألماني مظلوماً ما دامت الإرادة مصادرة. ويُفترض بمن كانت هذه حاله أن يكون من يحكمونه أكثر تفهماً لأحوال المظلومين الآخرين في هذه الدنيا. بل إن هؤلاء الحكام مطالبون في الحد الأدنى بعدم التصدي للنقد والإستكار لما يفعله الشاروني في حق الشعب الفلسطيني.. هذا إذا كانوا لن ينتصروا لهذا الشعب بأكثر من وسيلة. ولديهم الحجة إذا هم سكتوا على ما ينفذ أو يستنكر. كما أن لديهم الحجة إذا هم ساعدوا المظلوم وهو هذا الشعب الفلسطيني في شكل أو آخر. والحجة على أساس أن في إستطاعتهم القول للإسرائيليين ما معناه إذا كنتم أمضيتُم أربعين سنة تبتزون ألمانيا لأن الحقبة النازية، على نحو ما تدعون، إقترفت في حقكم مأساة إنسانية، فإن هذا الإبتزاز بات مرفوضاً ضمناً من جانب كل ألماني من دون أن يعني ذلك أنه كان في الماضي مقبولاً وإنما إرتضاه الألماني من باب تصحيح الأخطاء بعض الأجداد لا أكثر. أما لماذا بات مرفوضاً فلأن الذي فعله الشارونيون بالفلسطينيين هو أشد هولاً من الذي يقال إن الحقبة النازية فعلته بمجموعات من اليهود ولأسباب ودوافع ما زالت غائبة عن المنطق. لقد إرتكب أرييل شارون مجازر وفرض حصاراً على شعب بكامله ثم ألحق محاصرة الشعب بمحاصرة القيادة. ولم يترك بشراً أو حجراً إلا وأذاقه الإذلال أو القتل أو التدمير. ثم هنالك أيضاً إضافة الشجر الى الحجر والبشر. ومثل مسؤول هكذا ليس فقط تجب إدانته وإنما القبض عليه من جانب من يقوم بدور شرطي العالم الذي الإدارة الأميركية، وهذا لا يحدث لأن الإتفاق المبرم بين الذي إعتد نفسه شرطياً للعالم وبين من يطمع بأن يكون شرطي المنطقة أي شارون، يقضي بأن يتمتع الشرطي الصغير بحصانة من الشرطي الكبير تحول دون إنزال العقاب في حقه.

الحكم الألماني ليس فقط لم يفعل ما هو مأمول

بين أقدام اللاعبين والبطون الخاوية ... هناك الكارثة المنتظرة!

قبل ألف وأربعمئة سنة قال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "عجبت لإمرئ جائع كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه". زمناك كانت خيرات الدنيا قليلة وكان الناس قلة وكانت نسبة الجوع كثيرة لأن العدالة كانت غائبة وجاء الإسلام ليحاول تصحيح الشقة بين الذين لا يجدون ما يؤمن لهم مواجهة شظف العيش. وكانت طريقة عيش الرسول (ص) هي بمثابة الأمثلة للآخرين من أجل أن يأخذوا في الاعتبار ما معنى أن يحتاج المرء وما معنى أن يجوع. ولقد إقتدى بالرسول الكريم الذين حوله والذين واصلوا من بعده ووضع الإسلام ما إستطاع من الحلول من بينها الزكاة ومن بينها ما جاء في القرآن الكريم في شأن الطمع بالدنيا وكثر الأموال وأيضاً في عشرات الأحاديث النبوية والأقوال المأثورة لعشرات من الصحابة والفقهاء والمتصوفين والمفكرين والزهادين في الدنيا. ولولا هذه الحلول وما تلك الأحاديث والأقوال من مفاهيم لكانت ربما هنالك مواجهات لا تتوقف بين الجياع وبين المكتئبين.

يطول الحديث في هذا الشأن وهو حديث تأنس له الروح ويرتاح له العقل فضلاً عن أنه يريح الوجدان. ولكن إستحضاره في هذا المقال هو لتذكير الدول السبع الغنية في العالم والتي تعاملت بالكثير من الإستخفاف مع قمة منظمة الأغذية والزراعة الدولية (الفاو) التي عُقدت في روما وإختتمت أعمالها قبل أيام، بأن رؤية الإسلام لموضوع الغنى والفقر والتخمة والجوع هي الرؤية التي لمست خطورة الأمر قبل ألف وأربعمئة سنة وجاء سيلفيو برلسكوني الوحيد من قادة الدول الصناعية الغنية في العالم يشارك في هذه القمة لأن بلده هي المضيفة للقمة والمقر الدائم للمنظمة الدولية (الفاو) يقوم بتشخيص مشكلة الجوع في العالم الذي يعاني منها حوالي مليار وهؤلاء يجوعون بينما الحروب المفتعلة تأكل خيرات الدنيا التي رزق الله سبحانه وتعالى العباد بها. وفي تشخيصه الذي سمعناه، يقول برلسكوني: "إن مشكلة الناس الجياع في العالم أخطر مشكلة تواجه المجتمع الدولي بعد الإرهاب وعلينا أن نتذكر أن الإنسان الجائع يائس، وربما أيضاً خطير ...".

منه كونه يقود الشعب الذي ذاق مر الظلم والإبتزاز وما هو مأمول منه هو الترفق بالشعب الفلسطيني، وإنما تصدى لتصريحات أدلى بها النائب الألماني يورغن موليمان في لحظة صحوة ضمير وإحترام للحقيقة وقال فيها إن إسرائيل تغذي مشاعر العدا بمارستها ضد الفلسطينيين. وما قاله هذا السياسي الألماني هو الحد الأدنى مما يجب قوله وهو نصيحة أكثر من أي شيء آخر. ومع ذلك نرى المستشار الألماني جيرهارد شرودر يقول إن على "الحزب الديمقراطي الحر" وهو حزب معارض أن ينأى بنفسه عن التصريحات التي أدلى بها نائبه يورغن موليمان! لماذا؟ لأن هذه التصريحات في نظر شرودر "تضر بألمانيا في الساحة الدولية". وعزز هذه النظرة وزير الخارجية يوشكا فيشر الذي قال هو الآخر "إن لألمانيا سمعة جيدة بين الشعب الإسرائيلي واليهود في شتى أنحاء العالم ويمكن أن تتضرر من تصريحات موليمان، ويتعين أن نكون واضحين في هذا الشأن". والمؤسف أن قائل هذا الكلام، أيوشكا فيشر، شاهد من كثرة زيارته إلى الأرض الفلسطينية والمنطقة العربية على فظاعة العدوان الشاروني.

قد تكون دواعي هذا الموقف الألماني غير المنصف في مواجهة موقف ألماني منصف هي صراعات داخلية. لكن الذي يحزن له المرء كثير الحزن هو إلتقاء المستشار شرودر ووزير خارجيته فيشر على أن كلام النائب الألماني موليمان الذي هو مجرد الحد الأدنى مما يجب أن يقال "يضر بألمانيا في الساحة الدولية وبالسمعة الجيدة التي لألمانيا لدى اليهود والإسرائيليين". وإضافة الى مشاعر الحزن هذه نقول للمستشار وللوزير الأخضر "على أساس أنه يمثل حزب الخضر" وكلاهما يصنف نفسه بأنه متفهم للماساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني وكلاهما من ضحايا الإبتزاز الصهيوني: ما الذي دهاكم أيها "الأصدقاء" لكي يصدر عنكم هذا الكلام الذي هو باطل ضد كلمة حق. ويا أيها المبتلون مثل حالنا: نطالبكم بوقفه وجدانية. ذلك أن مثل هذه الوقفة قد تتجكم من وطأة الإبتزاز الصهيوني الذي سيبقى سيفاً مسلطاً على الرقبة الألمانية إلى يوم الدين. قولوا لهم مرة واحدة: أي فرق بين شارون وهتلر. وفي ضوء الجواب يصبح لكل حادث حديث.. وربما أحاديث.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 6 يونيو (حزيران) 2002

مرة أخرى يحاول الذين هم الأكثر غنى في العالم، ومن خلال أحدهم الذي هو الملياردير برلسكوني رئيس حكومة إيطاليا، تشخيص مشكلة الجوع من دون وضع الحل لها. وكان لافتاً للانتباه أن مشاركة هؤلاء في قمة "الفاو" كانت غائبة وأن الذين شاركوا هم فقط 80 من زعماء العالم، أو إذا جاز القول إن المشاركة إقتصرت على رموز الفقر والجوع. وهذا معناه أن الأكثر غنى يريدون لـ "مجتمع الجوعى" أن يزدهر وبحيث يصبح بمثل إزدهار "مجتمع الأكثر غنى ومعناه أيضاً أن الألفية الثالثة ستكون في مناطق كثيرة من العالم هي ألفية الذين يخرجون على الناس شاهرين سيوفهم على نحو ما قاله الإمام علي قبل ألف وأربعمئة سنة، وعلى نحو ما يراه أحد نجوم "مجتمع الأكثر غنى" في العصر الحالي سليفيو برلسكوني الذي قال ما قاله في قمة "الفاو" والتي أوضح التعجيل بإختتامها قبل الموعد المقرر بساعتين من أجل متابعة مباراة فريق إيطاليا مع فريق المكسيك خشية ألا يحدث تعادل وتنفذ إيطاليا بذلك تأهلها للدور الثاني في بطولة كأس العالم، ان الإهتمام بأقدام اللاعبين ينقدم على الإهتمام بالبطون الخاوية ... ربما لأن الأغنياء المتخمين والفقراء الجوعى يتفقون لبضع لحظات حول أن الأقدام هي أكثر أهمية.

بعد هذا التقديم ندخل الآن في صلب الموضوع فنقول واثقين من سلامة رؤيتنا بأن الغياب اللافت للانتباه لزعماء الدول الأكثر غنى عن قمة "الفاو" هو أنهم لا يطبقون سماع هذا الأنين يطرحه بالأرقام أمام الأشخاص الذين يقومون في المنظمة الدولية بعملية إحصاء دقيقة لما يعانيه "مجتمع البطون الخاوية" في العالم وبالذات كيف أن هنالك جائعاً يموت كل أربع ثوان مع أن ثمن صاروخ واحد أو تجربة على سلاح متطور يكفي لإبعاد شبح الجوع عن بضعة ألوف من الجوعى في العالم. وقد يجوز الافتراض "أن المجتمع الأكثر غنى" يفكر ضمناً بأن الحل للمجتمع الآخر هو ترك الملايين في هذا المجتمع يموتون وحتى من دون إطلاق النار عليهم، وإنما من خلال عدم إيجاد الحلول لواقعهم المزري وعدم تقديم المساعدات لهم، وتلك أبشع أنواع عمليات الإعدام والإبادة يتولاها عامداً متعمداً "مجتمع الأكثر غنى في العالم. وتلك ليست الوسيلة الوحيدة وإنما هنالك الوسيلة الأكثر بشاعة وهي تشجيع فرقاء "مجتمع الأكثر فقراً" أو "مجتمع البطون الخاوية" على الإحتراب ويكون التشجيع من

خلال مد هؤلاء المساكين المغلوب على أمرهم بالسلاح وبالثياب المستعملة وبالمواد الغذائية التي إنتهى أجلها وبالألأعيب التي يضعف هؤلاء المساكين أمامها ومن بينها ما يتعلق بالتزعم والأبهة. وبهذا التشجيع يكون "مجتمع الأكثر غنى" ساعد المجتمع الآخر على أن يبيد نفسه بنفسه وتكون دول المجتمع المحرّض مالكة الحجة بأنها ساعدت دول المجتمع المحرّض عليه، لكن بعض الجماعات في هذا المجتمع أساءت التصرف وإحتربت.

وفي نظر "مجتمع الأكثر غنى" إنه كلما زادت رقعة "المجتمع الأكثر فقراً" أو "مجتمع البطون الخاوية" إحتراباً كلما تضاعف عدد الأفواه التي تصرخ طالبة ما يسد الرمق وهذا حل لا بأس به على الإطلاق في نظر المكتئبين مالاً ولحماً وشحماً.

قبل العملية الترويحية في كل من نيويورك وواشنطن يوم 11 أيلول/ سبتمبر 2001، وهي حتى إشعار آخر عملية مفتعلة، كانت هنالك آمال كثيرة معلقة على دول "المجتمع الأكثر غنى" لإيجاد عالم فيه شيء من الإنصاف إجتماعياً وغذاً وسياسياً ما دامت الحرب الباردة وضعت أوزارها وبدأ فك الصواريخ عابرة القارات ثم تضاعفت الآمال بعد تلك العملية التي تثير الشبهات وتكثر في شأنها الظنون بحيث يمكن القول أن فاعلها هم جهة أميركية خفية تريد وأد النهج السياسي القائم على التعددية والحرية والديمقراطية، أو أن فاعلها هي الصهيونية لتخريب أي علاقة جيدة وراسخة بين الإدارة الأميركية والعرب و المسلمين، وأنه تم التمهيد لهذا الفعل بإستتباط نظريات من بينها ما إصطلح على تسميته "صراع الحضارات"، أو أن فاعلها هم جهة مشتركة أميركية - صهيونية إستغلت بعض العرب والمسلمين الذين فاض الكيل بهم نتيجة وطأة الظلم الدولي الذي أصاب فلسطين وكيف أن زرع الكيان الصهيوني كان بهدف أن تبقى المنطقة تنقذ إلى حريتها وإرادتها، والإستفادة المدروسة من ثروتها. أما لماذا تضاعفت الآمال فلأن جزءاً يسيراً من ميزانيات هذه الدول كان من شقه المساعدة على إيجاد حلول لـ "مجتمع الأكثر فقراً" أو "مجتمع البطون الخاوي" بصرف النظر عما إذا كانت هذه المساعدة هي عن إقتناع أو من باب درء الخطر الذي يشير إليه برلسكوني وسبق أن إختصره الإمام علي بن أبي طالب قبل ألف وأربعمئة سنة بالقول ما معناه إن الجائع لا بد سيخرج على الناس شاهراً سيفه. لكن

الجزء اليسير الذي نشير إليه بات محجوراً عليه لدواعي التصدي لـ "الإرهاب". وعند التأمل في المبلغ الذي أنفقته الإدارة الأميركية بعد تلك العملية الترويجية وهو حوالي 839 مليار دولار يحق لنا أن نفترض كم أن لغة سيوف الجوعى في الألفية الثالثة ستكون هي اللغة السائدة. ومن مصلحة "مجتمع الأكثر غنى" أن يتقي بالقليل هذه الكارثة ... وقبل فوات الأوان.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 20 يونيو (حزيران) 2002

بوش.. وخطابه الذي يسر النفوس!

يصعب الإقتناع بالمنطق الأميركي في موضوع الأزمة المستعصية الحل بين الحُكم الشاروني والسلطة الوطنية الفلسطينية، لأنه اللا منطق بعينه. ومن أجل ذلك فإنه عندما يوجه مليار وبضعة ملايين مسلم يمثلون القارات الخمس التحية الى الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات من خلال الكلمة المتوازنة والموضوعية التي إفتتح بها مضيف المؤتمر التاسع والعشرين لوزراء خارجية الدول الإسلامية الرئيس عمر حسن البشير، وتحظى الكلمة بالترحيب من جانب الوفود فهذا معناه أن هذا التجمع العربي - الإسلامي الذي هو ثلث العالم يرفض ما يطالب به الرئيس جورج بوش الابن في شأن عرفات وهو تغييره برئيس جديد وقيادة جديدة يكون دورها تصفية كل وطني فلسطيني على أن تتولى ضمناً عناصر أمنية أميركية، وإسرائيلية ذلك تحت غطاء شرعية فلسطينية كاذبة.

وعندما يكون الرد العربي الإسلامي فوراً على كلمة الرئيس بوش التي يطالب فيها بتغيير عرفات، وإلا فلن يكون هنالك حل، ويرفق المطالبة بزرع ألغام قابلة للتفجر في طريق العلاقة المصرية - الفلسطينية والعلاقة الأردنية - الفلسطينية فضلاً عن المطالب التعجيزية لكل من سوريا ولبنان، فهذا يعني أن البطء في الرد كان سيبدو نوعاً من القبول الضمني بالمطالب، أو أنه سيترك إنطباعاً بأن الأمر يحتاج الى التدارس والمناقشات المستفيضة مع أنه أمر واضح وضوح البدر المكتمل في هذه الأيام أو أن وضوحه هو بمثل وضوح شمس سماوات الدول العربية والإسلامية.

لو أن الرئيس بوش قال ببساطة، ومن دون هذا

اللف والدوران والإكثار من الحثييات، إن هنالك قرارات صادرة عن مجلس الأمن قبل خمس وثلاثين سنة أيام كان الرئيس في بداية مراهقته، يجب تطبيقها ومن دون أن يراوغ الشارونيون، ويجاريهم المراوغة بعض المتصهينين في الإدارة الأميركية، لكان وفر على نفسه كل هذا اللف والدوران ولكان بدا في نظر المجتمع الدولي أنه حريص بالفعل على إحترام الشرعية الدولية. ولكان في الوقت نفسه أرضى وجدانه وأرضى القادة العرب الذين أمطروهم بالوعود ومن دون أن يخطر في بالهم أن صديقهم "الرئيس النبيل" على حد تصنيف ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز له تشجيعاً لفخامته من أجل أن يهتدي إلى سواء السبيل لا يميز بين الوعد والوعيد. وهو لو كان على هذه القدرة من التمييز لما كان صاغ خطابه يوم الإثنين الماضي قبل ساعات من إستضافة السودان لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية بلهجة يغلب الوعد على الوعد. فهو على سبيل المثال يدعو إلى قيام دولة فلسطينية مؤقتة إنما في حال إنتخب الشعب الفلسطيني قيادة جديدة له. وهو يغوي الفلسطينيين بـ "المكافأة السريعة" إذا هم "تفقدوا الإصلاحات وحاربوا الإرهاب". وهو يريد أن يراقب الإنتخابات ويأخذ على عاتق خبراء الأمن الأميركي إعادة بناء وإصلاح أجهزة الأمن الفلسطينية، وهو يطالب سوريا "بأن تتخذ الطريق الصحيح وأن تغلق معسكرات الإرهاب". وهو يطالب الدول العربية بالوقوف مع الولايات المتحدة أو ضدها، كما يطالبها بالوقوف ضد العراق. كذلك يطالب بإدانة العمليات الإستشهادية علناً وإعلان حرب الأنظمة العربية على حركات المقاومة أمثال حركة "حماس" و"حركة الجهاد الإسلامي" و"حزب الله". ومقابل ذلك يتمنى وبكل الرفق على أرييل شارون إيقاف بناء "المستوطنات وإعادة النظر في الإحتياجات التي حدثت بحيث تعود القوات الإسرائيلية الى المواقع التي كانت تحتلها قبل الثامن والعشرين من ديسمبر عام 2000، كما يتمنى على هذا الحمل الوديع الذي سبق أن صنّفه "رجل سلام" أي شارون السماح للفلسطينيين بالعودة إلى أعمالهم وتحرير الأموال المجمدة للسلطة الوطنية الفلسطينية. أما ما فعله شارون وإرتكبه من جرائم، وأما التدمير والتجريف والإغتيالات والإجتياح الذي إستهدف المخيمات ومحاصرة الناس وإذلالهم على قارعات الشوارع التي هتكها جنازير الدبابات الشارونية.. فهذا لا ضرورة

مجموعة داخل الإدارة تتأمر عليه وتريد التمهيد للإتيان
بغيره. والله اعلم.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 27 يونيو (حزيران) 2002

خواطر حول "مونديال" الشرف البرازيلي... بجدارة و"مونديال" العدوان الشاروني... بإمتياز أميركي

أينتهى المونديال على خير. ولابد أن الملايين في
دول العالم، التي أخذت مبارزات منتخبات هذه الدول
في كرة القدم من وقتها وإهتماماتها الكثير، ستستأنف
بالأسبوع الأول من هذا الشهر الصيفي الحار (يوليو)
التأمل في أحوالها المعيشية، منصرفاً بكامل الإهتمام
إلى الوضع الإقتصادي البالغ السوء بدءاً من الولايات
المتحدة التي تنهار مؤسساتها الإقتصادية الكبرى
مؤسسة تلو أخرى نتيجة التلاعب والغش والفساد الذي
شمل عدداً من المسؤولين في إدارة الرئيس جورج بوش
الإبن التي تشترط إصلاح الفساد في السلطة الوطنية
الفلسطينية، مروراً بمعظم الدول الأوروبية حيث
إستشراء الفساد بات مثل "فيروس" الأنفلونزا ذات
الوطأة الشديدة على من يصاب بها وبالذات في فصل
الصيف، وصولاً إلى بلادنا من أول نقطة على ضفاف
المحيط الأطلسي إلى معظم دول الخليج إلى آخر
نقطة على الضفاف العربية للبحر الأبيض المتوسط.

وقد يقال إن الإهتمام بالإجازات الصيفية سيحول
دون إغراق الناس بالتفكير في الوضع الإقتصادي
وسيجعل هؤلاء، وبالذات في العالم العربي بجناحيه
المشرقي والمغاربي وبقلبه الخليجي، يرجئون التأمل
إلى ما بعد الإجازة. لكن أي إجازة هذه التي يتحدثون
عنها ما دامت الهموم الثقيلة على أنواعها في سباق
محموم، بعضها مالي وبعضها صحي نتيجة عدم وفرة
المال وبعضها نفسي نتيجة عدم الأمن معاً وبعضها
أمني نتيجة المخاوف من حرب عربية تكون الثالثة
والأخيرة تستقر في ضوئها الأمور، بمعنى إنسحاب
إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو 1967 وإقامة
الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس وتوقيع معاهدة
تعايش بين العرب وإسرائيل، تلتزم هذه الأخيرة بموجبها

لذكره ولو من باب التذكير الذي ينفع. كذلك لا موجب
للتوبيخ بـ "المبادرة العربية" التي أقرتها القمة الدورية
الثانية في بيروت يومي 27 و28 مارس والإكتفاء
بدعوة الدول العربية إلى إقامة علاقات دبلوماسية
وتجارية مع إسرائيل. ولا موجب أيضاً من باب اللياقة
إلى التذكير بأن هنالك مؤتمراً رباعياً دولياً سبق أن تم
التفاهم في شأنه. وغالب الظن أن القفز فوق هذا
المؤتمر الذي لم يأت الرئيس بوش على ذكره هو أن
إسرائيل التي أورد الرئيس الأميركي في خطابه كل ما
تتمناه لا تريد لأحد أن يشارك الإدارة الأميركية الرأي
والقرار وذلك خشية أن يبدي هؤلاء ونعني بهم روسيا
والإتحاد الأوروبي، من وجهات النظر مما يجعل
الرئيس بوش لا يقول الكلام الذي قاله.

قد نجد من يقول لماذا هذا التشاؤم مع أن الرئيس
بوش يدعو إلى إعتداد القرارات الدولية وبالذات القرار
(242) والقرار (338). والرد على ذلك هو أن الرئيس
بوش لا يطالب بتنفيذ القرارين وبأن يكون التنفيذ فورياً
وإنما يدعو إلى "تسوية تفاوضية" بين سوريا وفلسطين
من جهة وإسرائيل من جهة ثانية. ومسألة "التسوية
التفاوضية" هذه تعني عملياً عدم التنفيذ الحرفي
للقرارين المشار إليهما ونعني بالتالي أن الإدارة
الأميركية ليست متمسكة بالتنفيذ الفوري.

كما قد نجد من يقول لماذا هذا التشاؤم ما دام
الرئيس ياسر عرفات رحب بخطاب الرئيس بوش وما
دام هذا الأخير يؤيد قيام دولة فلسطينية، والرد على
ذلك هو أن الرئيس عرفات الذي طالما إعتاد على
الترحيب بكل ما هو أميركي أبدى ترحيبه الجديد، مع
أن الترحيب بما يأتي من الرئيس الأميركي الذي
يطالب بتغييره يبدو أمراً في غابة الدهشة. وقد يجوز
القول أيضاً إن عرفات بترحيبه هذا يسدّد إخراجاً
للرئيس بوش. أما مسألة الدولة فإنها إستناداً إلى كلام
الرئيس الأميركي لا تبدو واردة، أولاً لأنها مؤقتة وليس
هنالك "دولة مؤقتة" في قاموس الكيانات وإنما هنالك
"حكومة مؤقتة"، وثانياً لأن بوش حدد فترة زمنية
للتوصل إلى قيام الدولة تستغرق ثلاث سنوات يكون
فيها أحد الثلاثة إختفى من ساحة المناورة أو الثلاثة
معاً بوش وعرفات وشارون وبات لا بد من معاودة
البحث من نقطة الصفر.

وخلاصة الأمر إن كلام بوش هو من النوع الذي
لا يبعث السرور في النفس كما يحاول البعض إفتعال
هذا السرور. ونخشى أن يكون الذي قاله إنما هو بفعل

بما نصت عليه قرارات مجلس الأمن، فلا تعتدي بعد الآن، ولا تبقى الدول العربية بين الراغب في السلام الأبدي والمتأهب قسراً لمواجهة مع إسرائيل التي إعتمدت العدوان نهجاً لوجودها كعضو غريب تم بفعل التآمر الدولي زرعته في جسم الأمة، وما زال هذا الجسم بعد 52 سنة على الزرع لا يتقبله ومستعداً للفظه في أي لحظة. ومثل هذا التعايش الذي نشير إليه لا يمكن أن يتحقق إلا في حال تفكيك أدوات العدوان التدميري لدى إسرائيل تماماً على نحو ما حدث بين الولايات المتحدة وروسيا التي أبرمت عشرات الاتفاقات في هذا الشأن.

وبقدر ما يأسف المرء وهو يسجل بعض الخواطر في ضوء الشهر الكروي العالمي لأن المنتخبين السعودي والتونسي، حصة العرب في المنتخبات الآسيوية، أخفقا في الوصول إلى نهائي المباراة الكروية بل وإلى النصف النهائي، فإن المرء يشعر بفرح داخلي كون العالم الثالث هزم العالمين الأول والثاني كروياً، وبذلك إنتقم رونالدو البرازيلي ورفاقه بأقدامهم الذهبية لبني قومه أميركا الجنوبية المستضعفة وسائر الدول المستضعفة التي يتشكل منها العالم المغلوب على أمره، من الهيمنة الأميركية والغطرسة الأوروبية، وأظهر هؤلاء الفرسان بأن للقدم الذهبية فعل الصاروخ عابر القارات، وأنه لو كانت المباراة بين دول العالم تتم في منأى عن الصواريخ وحاملات الطائرات وبقية أنواع السلاح التدميري الذري والنووي والجرثومي لما كان يتأهل للقيادة سوى من يستحقها وبروح الود وليس التدمير والقتل.

كذلك سجل الفرسان البرازيليون أمثلة يحتاج إليها العالم الغني خلاصتها أن فقراء هذا العالم ليسوا صغاراً على يسار الرقم الأول في حسابات الدول الأهم الولايات المتحدة وحليفاتها القلائل، وإنما هم أرقام صعبة عندما يكون هنالك تكافؤ في التعامل. وليس مثل الملاعب الأولمبية من في استطاعته أن يحقق التوازن الحقيقي وبالذات إذا كان حكم أي مباراة نزيهاً ومحايداً ويعنيه كثيراً ضميره.

ونجد أنفسنا في ضوء هذا الكلام نشير إلى ما يحدث على أرض فلسطين، وكيف أن الحكم الأميركي بدل أن يكون ذلك النزيه والمتجرد فإنه إختار الوقوف إضطراراً وإنصياعاً أو عن إقتناع إلى جانب الطرف الإسرائيلي لا يحتسب له ما يسجله من أخطاء، وفي الوقت نفسه يرفع البطاقة الصفراء في وجه الطرف

الفلسطيني مع أنه ليس المخطئ ومع أن الحكم الأميركي يتمتع بنظر قوي وفي استطاعته التمييز بين من أخطأ وبين من لم يخطئ. وإذا نحن أحصينا كم مرة وقف الحكم الأميركي إلى جانب من أخطأ، وهو هنا الإسرائيلي، ضد من لم يخطئ، وهو هنا الفلسطيني، لوجدناها بالعشرات. ومع ذلك فإن من يجب أن يفوز في نظره هو الإسرائيلي، خلافاً لكل القوانين والشرائع والحقائق التي لا جدال في صوابيتها. يمكن للمرء إذا هو إستغرق في التأمل أن يجد أمامه شريطاً عريضاً بانورامياً من الخواطر التي من شأن تسجيلها على الورق أن تؤكد حقائق كثيرة في دينانا الصعبة الحافلة بالمتناقضات، حيث بات الشر يتقدم على الخير ويتقدم بالتالي الشريرون على الخيرين. ومن الحقائق أيضاً أن صاحب الحق مخطئ ومغتصب الحق لا غبار عليه فقط من الإدارة الأميركية. ومن الحقائق أيضاً أن الإسلام الذي هو دين التسامح والسمو بالإنسان إلى مراتب الطمأنينة والعدالة الخالية من أي شوائب بات بدافع من الصهيونية في إتجاه الإدارة الأميركية الحالية على وجه الخصوص ومنها في إتجاه دول أوروبا دين "الإرهاب" الذي يجب إستئصاله... معاذ الله.

وتبقى من الخواطر واحدة تعني الكثير وتستوجب المزيد من التأمل، وهي أن البرازيل تربعت يوم الأحد الماضي على العرش الدولي لكرة القدم، لأن اللاعبين أجادوا ولأن الحكم نزيه، وذلك للمرة الخامسة على التوالي وهو إنجاز يليق بها وبلاعبيها، وأن أربيل شارون واصل التربع على قمة "مونديال" العدوان والتدمير لأن الحكم أميركي ويريد لهذا المتلاعب مواصلة عدوانه لأن نواظير الأمم المتحدة نامت عن ثعالبها من شدة التعب ووطأة السهاد، أو لأنه لا حول لها ولا قوة. وفي الحاليتين إنه نوم الغافلين... لا سامحهم الله.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 يوليو (تموز) 2002

"مصير جنوب السودان" ...

لمناسبة ذهبية 23 يوليو

منذ اللحظة الأولى للقيام بها كانت ثورة 23 يوليو

1952 مهتمة بأحوال مصر التي لا تسر الخاطر، ومهمومة بأحوال السودان التي كانت حافلة بشقاء رواسب الإستعمار البريطاني. أما أبناء السودان الذين أثقلت معنوياتهم تلك الرواسب فكانوا تواقين إلى نعمة الإستقلال وإستبشروا خيراً بقيام عهد جديد في مصر يضع حداً للعلاقة التي إستعذبها دون وجه منطق الملك فؤاد ثم ابنه الملك فاروق، اللذان إعتبر كل منهما نفسه أنه ملك مصر والسودان وبلاد النوبة. ومثل هذه الصفة الملوكية لم تكن مفعنة لجمال عبد الناصر ورفاقه منذ أن كانوا يخططون لثورتهم. وكيف ستكون مفعنة ما دام بعضهم خدم في السودان ووقف على مشاعر العساكر السودانية إزاء هذه التبعية... تبعية السودان لمصر التي أرادها الإنكليز لغماً يتفجر في أي لحظة وليس تـرغيباً للشعبين بالتوحد في صيغة من الصيغ الإندماجية أو الفدرالية والكونفدرالية. وكيف يكون هذا التـرغيب بينما المعروف عن الإستعمار البريطاني أنه كان في مسألة التفريق بين الشعوب وبين الأنظمة المتآلفة قلوبها أكثر حذاقة من بني عثمان أصحاب سياسة "فرق تسد"، التي طالما مارسوها لبضعة عقود على المنطقة العربية وفي ظنهم أن الأمبراطورية العثمانية ستبسط مهابتها على كل دول المنطقة وشعوبها، غائباً عن بالهم أن أساليبهم ستقودهم إلى ما إنتهت إليه أمورهم مجرد دولة مختصرة مهمومة بالجيب الكردي، مذعورة من عبد الله أوجلان المناضل الكردي الذي أوهم بني قومه بأنه سيحقق لهم كياناً مستقلاً، حائرة في مسألة إنتمائها هل تكون أوروبية أو واحدة من المجموعة الإسلامية التي بينها وبين أوروبا جبالاً من الحذر والحسد، متطلعة إلى قوافل السياح يسددون بالعملة الصعبة بعض إحتياجاتهم والتخفيف قـدر الإمكان من ديونها، متتكة لحقوق الجيرة مع العراق أملاً في أن تعيد الإدارة الأميركية ومعها بريطانيا وموافقة دول كانت كبرى ورفعت الرايات البيضاء أمام هيمنة "العم سام" أمثال روسيا، إعادة رسم جغرافية المنطقة فتتال بموجب ذلك كركوك بنفطها وتركمانها، من دون أن يخطر في البال التركي أن الترسيم الجغرافي للمنطقة في حال حدوثه سيسـتثني منطقة الثروة النفطية ويرمي على تركيا بالأكراد يستنزفون إمكاناتها ويثأرون لسنوات المطاردة التي قام بها الأحفاد الأتاتوركيون وما نتج عن المطاردة من فواجع وتدمير وتشريد.

ما يعيننا هنا هو ثورة 23 يوليو 1952 التي حلت

قبل يومين ذكرى يوبيلها الذهبي، وكيف تزامنت الذكرى مع مفاجأة السودانيين السارة المتمثلة بالتوصل إلى إتفاق نتمنى أن يصمد ويتطور ويبقى في منأى عن المتدخلين الذين قد يتسبب الإتفاق في ضياع فرص كثيرة لهم. وما يعيننا تحديداً هو أن ثورة 23 يوليو قرأت مبكرة خصوصية مشكلة جنوب السودان ومارست من الإجتـهاد في هذه المشكلة ما هو جيد وما بدا أنه سلبي. ومن جملة هذه الإجتـهادات أسلوب التـراقص مع الجنوبيين، الذي كان من إبتكار الصاغ صلاح سالم الذي إقتـرض أن الوضع الجنوبي الكثير التعقيد يمكن إستيعابه برقصة، وهو تبسيط للأمر من الطبيعي صدوره عن ضابط مازال في رتبة صاغ، الأمر الذي يعني أنه يفتقد إلى حقائق الإستراتيجية العسكرية، وأنه أيضاً حديث العهد بالعمل السياسي، ذلك أن أسلوب الإستهواء من خلال الرقص أو "دبلوماسية الرقص السياسي"، إذا جاز القول، جاء في وقت كانت ثورة 23 يوليو بالكاد رسخت أقدامها. ومن الجائز القول أيضاً أن البدعة السالمية (نسبة إلى صلاح سالم) وجدت لها في كتاب تاريخ العلاقات المصرية - السودانية مكاناً بارزاً في إحدى صفحات هذا الكتاب، إلا أنها كانت في مردودها، غير الجيد عموماً، أمثلة لثورة 23 يوليو تتعامل في ضوئها مع السودان شمالاً وجنوباً بنوع آخر من الدبلوماسية.

بل إننا لا نبالغ إذا نحن قلنا أن عبد الناصر بدأ في ضوء ما فعله "صاغة الرقص" ينظر إلى موضوع الجنوب نظرة الذي يخشى على مصر من تعقيدات هذا الموضوع وليس فقط على شمال السودان، وهو شعور مازال مثبتاً حتى الآن بعد مرور حوالي خمسة وأربعين عاماً على التعاطي السياسي المصري في الشأن السوداني. وهذا يفسر لنا سر مفاجأة الرئيس حسني مبارك بأن أهل الحكم السوداني وأهل التمرد في الجنوب أعلنوا بغتة أنهما أنجزا الإتفاق، من حيث المبدأ، على وضع الحل النهائي، وأنه بموجب هذا الإتفاق وبعد أن يوضع موضع التنفيذ لن يكون هنالك إقتـتال، ولن يكون يكون هنالك إستـتـزاف، ولن يكون هنالك مجال مثل السابق للمتدخلين الذين يرمون بالمزيد من الوقود على النار المشتعلة أصلاً.

ونكرر القول أن مصادفة إعلان الإتفاق المبدي المشار إليه عشية اليوبيل الذهبي لثورة 23 يوليو المصرية تبدو مصادفة تستوقف المراقب. ومع أن التوقيت ليس محسوباً، إلا أن تزامن المناسبات يترك

أحياناً إنطباعاً بأن هذا التزامن يحمل في طياته الكثير من المعاني. ومن بين هذه المعاني أن قضية مثل قضية جنوب السودان مرتبطة في شكل ما بالأنظمة العسكرية التي نشأت في المنطقة. فالثورة المصرية التي قام بها ضباط شجعت على إنقلابات وثورات قام بها ضباط في السودان. وفي عهود هؤلاء الضباط إنفجرت بشكل حاد الأوضاع في جنوب السودان حيث قاد ضباط منشقون حركة التمرد واجههم بالشدة ضباط يمسكون بمقاليده الحكم. وعند التوصل إلى إتفاقات تستهدف الحل والتعايش ووقف الإحتراب نجد أن الضباط هم الذين أنجزوا هذا الحل في عهود كانوا هم الممسكين فيها بمقاليده الأمور هدياً بالقاعدة التي ترى أن من يتولى مسؤولية المواجهة يقع عليه واجب إيجاد الحل. في المرة الأولى إستتبط الرئيس الأسبق نميري حلاً. وفي المرة الراهنة يستتبط الرئيس عمر البشير. وما نكتبه هو مجرد تأملات في موضوع شائك حول إتفاق بالغ الأهمية، لا تكفي لتثبيته المصافحات والإبتسامات ذات الغرض التعبيري، وإنما هو في أشد الحاجة إلى الصلوات الصادرة من أصحاب نوايا طيبة، وإلى رعاية حقيقية لا يشوبها الحذر من الجيل الثالث لثورة 23 يوليو المصرية التي قرأت مبكرة طبيعة مشكلة جنوب السودان وشغلها الحروب والإعتداءات والتحديات عن التعاطي المباشر فيها. بل قد يجوز القول إنه لو كانت مصر على شيء من الراحة وهذوء البال وخالية الهموم الناشئة عن الحروب والإعتداءات والتحديات، لكانت إستبقت التداعيات ببضع سنوات ... ولكانت البصمات المصرية أكثر وضوحاً من البصمات الكينية وغيرها في أي إتفاق تم، أو سيتم التوصل إليه.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 25 يوليو (تموز) 2002

هَرَب... أم تَهَرَّب، عجز ... أم تعجيز؟

عندما تكون هنالك جهة في إستطاعتها القيام بدور له صفة الواجب إلا أنها لا تريد ممارسة هذا الدور بدواعي ضغوط عليها من جانب جهة أقوى منها على صعيد الشأن أو البأس، أو لأنها سعيدة بشقاء طرف يتطلع إلى دورها لتخليصه من عريضة وشقاوة طرف آخر ... عندما تكون الحال على هذا النحو فإن هذه

الجهة، وهي هنا الإدارة الأميركية، تتلأأ وتتهرب في البداية من القيام بالواجب، ثم إنها بعد أن تجد نفسها شبه محاصرة وعليها القيام بالواجب لكنها لا ولن تقوم به، فإنها تلجأ إلى التعجيز بحيث لا تبدل من موقفها وتجعل الطرف المعوّل عليه يئأس وفي الوقت نفسه ترضي الطرف الذي لا يريد منها تأدية الواجب.

الطرف الذي يريد هو الدول العربية والإسلامية الصديقة والشعب الفلسطيني ومعظم دول العالم التي تشكو من وطأة الهيمنة الأميركية. أما الطرف الذي لا يريد فهي الصهيونية متمثلة بالحكومة الشارونية التي يثير بقاؤها الإستغراب، وخصوصاً بعد الذي قاله وزير الخارجية فيها شيمون بيريز حول "مجزرة غزة".

ولقد بدأ التهرب الأمريكي من القيام بالواجب واضحاً خلال الجلسة التي عقدها مجلس الأمن يوم السبت الماضي للبحث في مجزرة غزة، على أمل إستصدار إدانة بالإجماع لهذه المجزرة تصدر عن المجلس ولا تستعمل الولايات المتحدة خلال التصويت "الفيديو" الشهير، الذي هو دائم الإستعمال ودائم الجهوية من جانبها عندما يكون هنالك مشروع قرار يستهدف إدانة إسرائيل على عدوان إقترفته أو مجزرة من المجازر الشارونية الشهيرة. ففي تلك الجلسة ومن دون أي مراعاة للمملكة العربية السعودية التي كانت وراء إنعقاد الجلسة مفترضة أن من شأن الإدانة الدولية لهذه المجزرة، التي إستقبلتها كل دول العالم بالكثير من الإنزعاج، تنبيه أميركا من جهة وردع شارون من جهة ثانية وتسهيل الأمر أمام إنعاش العملية السلمية. وبدل أن يرفع المندوب يده هذه المرة موافقاً على الإدانة من خلال مشروع القرار العربي الذي تولت سوريا تقديمه وكان في غاية الموضوعية والمراعاة لكل الأطراف، وبذلك يعطي بعض المصادقية إلى إدارة الرئيس بوش التي تحتاج كثيراً إلى تبييض سمعتها، فإنه تحدّث قائلاً: "إن حكومتي لا تؤيد مشروع القرار العربي ولا يبدو ممكناً أن تؤدي أي تغييرات عليه إلى إعادة نظرنا فيه لأنه لا يشكل خطوة إلى أمام ولا يدفع مع هدف تحقيق السلام خصوصاً أن لغته توجه الإدانة إلى طرف واحد فقط، وهو يتجاوب فقط مع حدث 23 يوليو (أي المجزرة الشارونية في غزة) ويتجاهل 22 عملية إنتحارية هذه السنة وحدها وقبل 23 يوليو..". ولم يكتف المندوب الأمريكي بهذه النسبة من التهرب وإنما لجأ إلى ذروة التعجيز من خلال إشتراط توافر أربعة عناصر في أي قرار يصدر عن

مجلس الأمن في شأن النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي خصوصاً والعملية السلمية عموماً. وهذه العناصر - الشروط هي بالنص:

- أولاً: نتوقع إدانة قوية لجميع أعمال الإرهاب وكل أنواع التحريض على الإرهاب.

- ثانياً: نتوقع إدانة واضحة لحماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني وكثائب الأقصى بصفة كونها منظمات مسؤولة عن أعمال إرهابية، فهذه منظمات تعمدت تزويد الوقود لحلقة العنف في الشرق الأوسط.

- ثالثاً: نتوقع من مجلس الأمن مطالبة جميع الأطراف الالتزام بتسوية سلمية يتم التفاوض عليها.

- رابعاً وأخيراً: نتوقع إقراراً من مجلس الأمن أن موضوع الإنسحاب الإسرائيلي إلى مواقع 27 سبتمبر 2000 مرتبط بتحسين الوضع الأمني من خلال خطوات تبادلية بين الفلسطينيين والإسرائيليين تماشياً مع ما جاء في بيان الرباعية".

وعند التأمل في هذه الإشتراطات التعجيزية يتأكد للمرء أن الإدارة الأميركية بدل أن تبحث عن الصيغ التي تؤدي إلى انفراجات، فإنها تقتل التعجيز وتبرع في تنميق مضامين العبارات التي تجعل التعجيز أمراً موضوعياً. وكل ذلك لأنها لا تريد حلاً وإما لأنه محظور عليها إيجاد الحل. ونحن نفهم أن تكون الإشتراطات الواردة أعلاه صادرة عن أرييل شارون، وفي مرحلة تكون هنالك ضغوط أميركية ودولية عليه من أجل إبداء الكثير من المرونة حفاظاً على هيبة المجتمع الدولي التي باتت، في ضوء التعامل الشاروني العدواني المهين مع الشعب الفلسطيني ومع العرب والمسلمين دون إستثناء، في الحضيض. أما أن تصدر عن ممثل الراعي الدولي الوحيد لعملية السلام، وهو الإدارة الأميركية، فإن ذلك يثير الاستغراب. والتمسك بهذه الشروط التعجيزية يزيدنا إقتناعاً بأنه لا أمل يرتجى من هذا الراعي ما دام سيبقى مفتقداً إلى النزاهة وإلى الموضوعية وإلى التبصر في حقيقة المشكلة.

وقد نجد من يبرر للإدارة الأميركية موقفها هذا، وهو تبرير يتعلق بتجديد ولاية الرئيس جورج بوش الابن، وأنه في سبيل التجديد الذي للصهيونية واللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة اليد الطولى في العملية الانتخابية، فإن إدارة الرئيس بوش ماضية إلى النهاية في هذا الموقف الذي لا يشرف الصفحة الناصعة من التاريخ الأمريكي. وجوابنا على ذلك هو أن قوة أي

رئيس هي في قوة إرادته وفي إنحيازه إلى مصلحة شعبه وبلده وليس إلى مصلحته الشخصية ومصلحة الإدارة التي يتأسسها بمن فيها من الأفاعي والعقارب. وما تمارسه إدارة الرئيس بوش الابن بالنسبة إلى النزاع الفلسطيني - الشاروني والعملية السلمية عموماً، ومنذ أن جرى التوافق على أن يكون الفائز في الانتخابات الثنائي الجمهوري جورج بوش الابن رئيساً وديك تشيني نائباً للرئيس... إن ما تمارسه هذه الإدارة من سياسة وإجراءات وما تتخذه من قرارات ومبادرات، لا يُقنع أحداً بأنه لمصلحة أميركا الشعب والدولة، وإنما هو فقط من أجل أن يتم التجديد لهذه الإدارة ومن أجل تقادي جراح السهام التي يتم توجيهها إليها. ولا بد سيتبين لنا ذات يوم أن هذه الإنهيارات الاقتصادية المتمثلة بتساقط الشركات العملاقة مثل "إنرون" و "ورلدكوم" وغيرهما تقف وراءها الصهيونية التي تستهدف من هذا التدمير المبرمج للإقتصاد الأمريكي إبلاغ إدارة الرئيس بوش ما معناه أنها قادرة على هز الكيان الإقتصادي للولايات المتحدة في حال لم يستمر على المنوال الذي عليه من تأييد بالمطلق لإسرائيل وإلى حد أن يصبح الموقف الأمريكي الإسرائيلي موحداً في إنتظار أن ينجز أرييل شارون دوره الشرير. ومثل هذا التوحد لا يبدو مستبعداً في ضوء إشتراطات مندوب أميركا لدى الأمم المتحدة السفير جان نيجروبونتي التي أوردناها في السطور السابقة، والتي لم تكن إجتهداً من جانب الرجل ولا بفعل حداقته الدبلوماسية، وإنما كانت تنفيذاً لتعليمات قد تكون صدرت عن وزير الخارجية كولن باول أو عن أحد أقطاب الأخطبوط المتصهين في الإدارة الأميركية تجاوزاً متعمداً من هذا القطب لجنرال الدبلوماسية الأميركية الذي يحاول جاهداً أن يكون متوازناً ومتعقلاً ولكن ضغوط الصهيونية على رئيسه من جهة وضغوط رئيسه بالتالي عليه من جهة أخرى، فضلاً عن تهديدات قد تكون تصل إلى هذا الوزير من خلال قنوات كثيرة فتجعله، خوفاً على حياته وتحاشياً للإبتزاز ينال من تاريخه وسمعته ومن أصوله، لا يقوى حتى على الإستقالة من منصبه وهو ما سبق أن خطر في باله الإقدام عليه ثم تراجع في اللحظة الأخيرة.

ويبقى السؤال: إلى متى سنبقى كعرب ومسلمين على هذه الحال. ينالنا الأذى فلا نرد عليه بالمثل. وإذا رفعنا الأمر بصيغة شكوى إلى مجلس الأمن فإن مصير شكوانا الفيتو في الحد الأدنى يستعمله المندوب

الأميركي لإسقاط أي مشروع قرار حتى إذا كان المطلوب مجرد إدانة، أو الإشتراطات التعجيزية على نحو ما إشتراط المندوب الأميركي نيجروبونتي في الحد الأقصى. وكأنما يريد الأميركيان القول لأصدقائهم من العرب والمسلمين ما معناه: لن يكون هذا الزمن زمنكم. ولذا ننصحكم بصرف النظر عن هذه الشكاوى حرصاً على كرامتكم. ولن نقرر الإهتمام بشكاواكم إلا بعد أن ننهي موضوع العراق وإيران وننصب على كل من البلدين الشخص الذي بتنا على أهبة تصنيعه، وكذلك بعد أن ننصب فلسطينياً قاربت عملية تصنيعنا له على الإنتهاء يعاوننا في ذلك حلفاؤنا الشارونيون أمد الله بقائهم.

وإلى حين يتم تجديد الولاية الثانية صبراً علينا بني يعرب.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 1 أغسطس (آب) 2002

* * *

نهاية الإصرار والمصريين والمصريين

لا يختلف كثيراً إصرار أرييل شارون على رفضه الإقرار بحقيقة أن أسلوبه في التعامل مع الشعب الفلسطيني لن يوصله إلى الدور التاريخي الذي يتطلع إليه، عن إصرار الرئيس جورج بوش الابن على رفض الإقرار بحقيقة أن حربه التي صمموه على خوضها ضد العراق لن توصله هو الآخر إلى الدور التاريخي. يتطلع شارون إلى إلغاء ربع قرن من إنتقال العرب من الرفض الكامل للكيان العبري إلى مرحلة القبول المشروط بهذا الكيان وفي ضوء القرار الدولي 242 والضمانة المشروطة من الدول الكبرى والتأييد الشامل من بقية دول العالم. ويتطلع شارون أيضاً إلى إلغاء عشر سنين من التحول الفلسطيني الذي قضى بالتخلي عن تسعين في المئة من المطالب مقابل الإرتضاء بعشرة في المئة وذلك بأمل أن تنتهي محنة الفلسطينيين الذين يعيشون غرباء في وطنهم وغرباء في أوطان الآخرين منذ أكثر من نصف قرن. وهدف شارون من هذين الإلغائين هو قيام إسرائيل التوراتية وعاصمتها القدس الموحدة بمسجدها الأقصى على يديه، أي بما معناه عملياً قيام إسرائيل التي تتحكم بالديانتين الإسلامية والمسيحية على حد سواء، وإسرائيل التي تضع اليد على ثروات المنطقة من لبنان

إلى موريتانيا ومن الأردن إلى أقاصي الخليج كي لا تبقى نقطة نطف لا تصب في النهاية في خزائنها أو مصالحها، ومن مصر إلى أقاصي السودان كي يتسنى لها وضع اليد على النيل بمجره ومنابعه.

هذا ما يحلم به أرييل شارون وهذا ما يعمل من أجله. ولولا هذا الحلم لكان بعد أول عملية إستشهادية حدثت إرتضى السير على طريق الهداية والتف حول المساعي الحميدة التي تستهدف إحياء العملية السلمية بدل الإلتفاف عليها متسلحاً بالتأييد الأميركي الخالي من أي تحفظات على سلوكه السيء.

وها هو شارون، بعد سنة ونصف السنة من العمليات الإستشهادية رداً على ما يشبه حرب الإبادة الشارونية، لا يقتنع بأنه خسر الرهان وبأن الحلم تحوّل إلى كابوس وأن كل يوم تأجيل للإقرار بالحقيقة معناه سقوط المزيد من الضحايا الذين من حقهم العيش في دولته، المعترف بها من العالم المضمون أمنها بموجب الإتفاقات والمعاهدات المبرمة والمكفولة من الأمم المتحدة وأمينها العام كوفي أنان بعد أن تكون ويكون هذا "الأمين" باتا حزّين لا تقيدهما الهيمنة الأميركية.

فهل يا ترى سيتعظ شارون؟ أو بالأحرى، هل يا ترى سيجعله الإسرائيليون يتعظ من خلال صرخة مدوية يسمعها وهو في جلسة مجلس الوزراء فيقول للذين حوله: لقد أخفقنا وأن لنا أن نضع حداً لكفرنا، وأن نترك الحمام البيضاء ترفرف في سماء هذه البلاد المقدسة، ونترك الأرض ترتوي بالمياه العذبة بدل هذا الإرواء الدموي اليومي، ونترك الأجيال الفلسطينية تنمو في أجواء من الود لنا بدل الثأر منا على ما نرتكبه وإرتكبناه في حق آبائهم وأجدادهم، ونترك الشجر يشمخ بدل أن تستبج مدرعاتنا شموخه، ونترك البنيان يتجدد فلا نقيم المستعمرات في أراضي الفلسطينيين ونزرع فيها قطعاناً من يهود الشتات يشكّل وجودهم شعوراً بالإستفزاز كون هؤلاء ينعمون بالبيت اللائق على حساب الفلسطينيين الذين يقاسون ويلات العيش المذل في المخيمات؟

في حال إتعت أرييل شارون أو إتعتوه، بمعنى أن الإسرائيليين الذين ضاقوا ذرعاً بالرعب الذي إقتحم حياتهم وقفوا ضده، فإن المنطقة لا بد ستهدأ وستتصرف كل دولة إلى إعادة النظر في برامجها وحساباتها، ولن يستمر هذا التوتر التي هي عليه المنطقة بسبب إسرائيل التي تنشر الشرور في كل مكان. أما إذا كان هذا الإلتعاط لن يحدث برضى

شارون أو بإكراهه على الإرتضاء، فإننا سنظل على مواعيد مع المزيد من العمليات الإستشهادية التي لن تتوقف مادام المحتل يحتل، وما دام من يدعم المحتل يواصل الدعم، وما دام المجتمع الدولي لا يحسم الأمر بطريقة أو أخرى، أو على الأقل يسحب من الأدراج وعد بلفور نسبة إلى وزير خارجية بريطانيا اللورد بلفور، الذي بمقتضاه قامت دولة إسرائيل ثم يقول للإسرائيليين ما معناه إنكم إذا كنتم تتسلحون بشرعية وعد بلفور الذي أعطاكم في غمضة عين وطناً ليس لكم فإن هذا الوعد، على رغم الإجحاف الذي يتسم به، يفرض عليكم الكثير من الأمور التي لا تتقيدون بها وبالذات الفقرة التي وردت في الرسالة/ الإعلان من اللورد بلفور إلى زعيم الحركة الصهيونية اللورد أرثر روتشيلد والتي جاء فيها "يجب أن يكون مفهوماً بأن هذا الإعلان لا يمثل تحيزاً ضد الحقوق المدنية والدينية لطوائف غير يهودية موجودة في فلسطين" كما جاء في الإعلان أيضاً أن بريطانيا تؤيد "إنشاء وطني قومي للشعب اليهودي في فلسطين..." أي بما معناه ليس بديلاً عن فلسطين وإنما وطن، أو كيان، على جزء من أرض فلسطين. ومن أجل ذلك فإنه لا شيء يمنع من إستبدال هذا الوعد بقرار دولي يضع الأمور في نصابها. ومثل هذا الأمر يس مستحياً لأن العالم - والكلام المفترض هذا مازال للمجتمع الدولي - لا يتحمل أن يبقى على هذا التوتر الذي هو عليه لأن المفاهيم إنعكست عندكم، بحيث أن صيغة تأمين الوطن لكم باتت بعد نصف قرن تعني تهديد الآخرين ورفض الإذعان للتعلل، وباتت حالكم كمثل من طرّق باب عائلة في فترة العشاء يطلب رغيماً بحجة أنه جائع مع أنه متخم، وعندما ذهب صاحب البيت إلى حيث كان يتناول العشاء مع أفراد عائلته فإن هذا السائل سحب خنجره وهجم على أفراد العائلة وذبحهم فرداً فرداً ثم إستولى على كل ما تحويه المائدة من طعام وغادر مستعذباً فغله السيء هذا.

ونأتي الآن إلى إصرار الرئيس بوش الذي يعتقد، أو إنهم اعتقدوه من باب غسيل الدماغ أو من باب تزيين الأمور وتمييقها أو حتى من باب الإبتزاز له، أنه من دون حرب يقوم بها ضد العراق فإنه إسمه سيندرج في صفحات تاريخ الولايات المتحدة على أنه مجرد رئيس عادي حكم أميركا لولاية رئاسية واحدة أو ربما لولايتين وإن كان ذلك ليس بالأمر المحسوم، وأنه ترك الحُكم بينما الفساد والإفساد في القلاع الصناعية

والتجارية والإستثمارية في الولايات المتحدة على درجة مخيفة من الإستشراء، وأن بورصة نيويورك التي هي سيدة بورصات العالم باتت ضعيفة تنكس بسرعة وتتصلح أمورها نسبياً بصعوبة. أما سمعة الولايات المتحدة فإنها باتت هي الأخرى على شيء من الإستهانة من جانب الدول الكبرى بها. والحل في نظر الذي إعتقده هذا الإعتقاد هو ضرب العراق على أساس أنه لن يستفيد شيئاً من ضرب كوريا الشمالية لأنها معدمة وبالكاد لديها ما تسد به الرمق فضلاً عن أن الصين من جهة لن تتساهل في أمر هذا الضرب، وأن الكوريين الشماليين من جهة أخرى قد يحرجون الولايات المتحدة عسكرياً من خلال إحدى مفاجأتهم وهي كثيرة. أما العراق فهناك تجربة عدوانية سبق أن قام بها بوش الأب ويمكن أن يكررها بوش الابن على نحو يختلف عن نحو ما حدّث عام 1991.

ومثل هذه الضربة في حال نجاحها ستجعل اليد الأميركية أكثر طولاً بحيث تصل إلى قلب طهران، وستجعل النفط العراقي بمثابة الإحتياطي المضاف للنفط التكتاسي، وستجعل الشركات الأميركية تنشط لمدة ربع قرن على الأقل في إعادة بناء العراق، وستجعل روسيا تتوقف عن أحلامها في إحتواء إيران مالا وسلاحاً يلي ذلك حلم إحتواء العراق بالطريقة نفسها. وهذا ليس كل شيء مما إعتقده للرئيس بوش، ذلك أنهم، أو على وجه التحديد إنهما (نائبه تشيني ووزير الدفاع رامسفيلد) أوهموه أو إعتقده لا فرق بأن ضرب العراق من شأنه أن يخيف الآخرين ويجعل إسرائيل مطمئنة إلى أبد الأبد.

لولا هذه التهيؤات لكان بوش الابن رأى أن ما هو سائر عليه هو ماسبق لصديقه أرييل شارون أن سار عليه ولا يزال.

وثمة ما يلفت الإنتباه في أمر بوش الابن وإصراره على إعتبار الحرب على العراق واجباً وهو أنه بعد كل لقاء مع والده الرئيس الأسبق يزداد إصراراً على الحرب مع أن من واجب الأب أي أب ترشيد الإبن، كل إبن. وخلال عطلة الأسبوع الماضي شاهدنا على الفضائيات الأب والإبن يمارسان رياضة "الجولف" حيث الهدوء والطبيعة الجميلة التي تستوجب التعلل. وأفرعنا أن الإبن قال للصحافيين بعد جولة من التشاور مع والده أنه مصر على ضرب العراق لإسقاط نظام صدام حسين حتى إذا وافق هذا النظام على عودة المفتشين الذين يوافق العراق على عودتهم إنما ضمن

شروط. وهذا الإصرار معناه أن الأب يحرض هو الآخر بدوره إبنه على إرتكاب لعبة الحرب التي ستتتهي مجرد عدوان على شعب، وحماقة في غير محلها .. هذا إذا كانت لن تأتي من جانب النظام في العراق مفاجآت مؤجل الأخذ بها إلى لحظة الضرورة كأن تكون الضربة الأميركية جدية وحاسمة إلى حد إسقاط النظام.

ويبقى القول إن المسألة في نهاية الأمر هي مسألة عناد وليست مسألة قوة، وأن المصريين على الشر هم أشخاص يتغلب فيهم العناد على الحكمة. أما المصرون أو المصرون عليهم، وهم هنا شعب فلسطين وشعب العراق، فإنهم في نهاية الأمر هم من سيكسب الجولة لأنهم مظلومون ولأنهم مؤمنون بينما الآخرون ظالمون وكافرون ... والله لا يحب القوم الظالمين والكافرين.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 8 أغسطس (آب) 2002

تمنيات للسودان المتوافق

ولو كره الحاسدون

يتمنى المرء مثل حالي أنا الذي أتابع تطورات السودان هذا البلد العزيز على النفس منذ منتصف الستينات، والذي كان الضيم يصيبه يقلقني كمحب بالقدّر نفسه الذي كان التطور الإيجابي يحدث له يجعلني أشعر بالإرتياح، أن ينجح مسعى التوافق الذي خيراً بدأ الفصل الأول منه متمثلاً بالإتفاق على أن تضع الحرب أوزارها تاركة للحوار الودود أن يأخذ مجراه. وبعد التوافق تصبح الطريق سالكة أمام الوفاق. بدا هذا الإتفاق بمثابة بشرى أولية للعرب عموماً وللاخوان الأفارقة في الوقت نفسه يأملون في أن تكون فاتحة خير للمزيد من البشائر وتكون البشرية المأمولة بقيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس هي هذه البشائر.

وجاء الإتفاق السوداني يؤكد بضع حقائق بالغة الأهمية أبرزها أن لا أمل يرتجى من الحروب بينما الآمال المرتجاة من السلام والوفاق لا حصر لها. ومن هذه الحقائق أيضاً أن إستنزاف قدرات الوطن وثرواته وزر كبير يتحمله الذين في أياديهم سلطة إتخاذ القرار

إذا هم لم يوظفوا هذه السلطة من أجل إبراء جرح ينزف ومحاصرة صراع يتمدد وإطفاء حرائق سياسية تشتعل. ومن هذه الحقائق أيضاً وأيضاً أن المرونة لا تعود تراجعاً ما دامت تصب في مصلحة المجموع وأن التنازلات عندما تساعد على تسهيل ولادة إتفاق لا تعود تقريظاً. وعلى هذا الأساس فإن الإتفاق الذي تم التوصل إليه بين أهل الحُكم في السودان وناس التمرد في جنوبه يبدو نموذجاً يمكن لأطراف القضايا الساخنة والعالقة في المنطقة العربية وفي القارة الأفريقية عموماً أن تأنس لروحيته وتتأمل في معانيه، وكيف أن الرئيس عمر البشير ومن أجل أن يخفف من وطأة علامات الإستقهام والتعجب التي تكاثرت في الأفق وبدت وكما لو أنها غيوم ثقيلة داكنة قال عمن كان له في الماضي الكثير من الكلام الذي لا يجوز قوله، وأدلى بالتصريحات التي لم تأخذ في الإعتبار المقامات والمعادلات التي يركز إليها السودان نظاماً وشعباً، وأعلن مراراً أنه يستهدف النظام ويريد تحريره... إن الرئيس البشير قال عن خصم الأمس أنه وحدي وإنه .. وإنه .. إلخ. وفي نظرنا فإن الرئيس بدا في موقفه هذا كبيراً لا تنتقص عفويته في المصافحة وفي التصريح وفي المرونة من قدره.

ولقد ذكّرنا سماحة الرئيس البشير ومرونته وعفويته بما سبق أن فعله الرئيس الأسبق جعفر نميري مع صديقه اللدود السيد الصادق المهدي عندما إستقبله في بور سودان وإستضافه في غرفة ملاصقة لغرفة نومه في الإستراحة الرئاسية هناك وأديا الصلاة جنباً إلى جنب وأكلاً معاً من أطباق واحدة كي يزيل الرئيس المضيف المخاوف تماماً من نفس المُستضاف السيد الصادق المهدي الذي أبدى الرغبة في أن يتم اللقاء بينه وبين الرئيس نميري خارج السودان على نحو ما حدث قبل أيام بين الرئيس عمر البشير والدكتور جون قرنق. والدواعي لهذه الرغبة التي لم يتجاوب معها الرئيس نميري هي أنه، أي الصادق المهدي، يشعر بالأمان أكثر إذا جرى اللقاء خارج السودان ويضمن السلامة الصحية والغذائية في الوقت نفسه. ولقد قرأ نميري ما يدور في خاطر الصادق فكانت الإستضافة في بور سودان على ضفاف البحر الأحمر وكأنما هي في جنيف على ضفاف بحيرتها أو في فيينا على ضفاف الدانوب أو في أسوان أمام بحيرة السد العالي.

ثم تبين بعد ذلك أن العبرة بالنوايا وليست بظروف

الإنعقاد ولا بمكانه. فالعسل الذي أوحى الصديقان اللودان للشعب السوداني بأنه سينتج عن لقاءهما، إنتهى شراياً مرّاً تساقطت من جزائه أول تجربة رائدة للمصالحة الوطنية وتشتت الشمل من جديد. كما أن الأحلام تبعثرت وعاد السودان من جديد ينزف معنوياً ومادياً وكما لم ينزف من قبل، وبدا نزفه يمثل نزف لبنان الذي أوقفه إتفاق الطائف ونزف الجزائر الذي لا يجد الطبيب المداوي الذي يوقفه. وتلك مسألة تحير من لا يحтар.

لقد تم الإتفاق المأمول بين أهل الحكم في السودان وناس التمرد. وما هو أهم من الصياغة والتوقيع أن تكون النوايا صادقة، فمن دونها قد يصيب المصالحة الإنقاذية - القرنقية ما أصاب المصالحة المايوية - المهدية. وقد يقال إن الظروف تبدلت والعبر تكاثرت. والرد على ذلك هو أن تبدل الظروف يستوجب تبدل المفاهيم وأنه لا فائدة إذا كانت العبر كثيرة وكان الإعتبار أقل، أو نصاً لقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "ما أكثر العبر وأقل الإعتبار".

وتكراراً أجد نفسي أقول إن تمنياتي كمحب للسودان ومنذ أن اشتعل البيت ناراً في صيغة حرب عبثية في الجنوب، كانت أن تجد هذه الحرب عقلاء يحاصرونها ويضعون حداً لها. وها أنذا بعدما بدأت رجاحة العقل تواصل تمددها على حساب حماسة التحدي وتمثل ذلك بالإتفاق الذي تم التوصل إليه أتمنى أن يتسع صدر أعداء الأمس فلا تخرجهم التنظيرات والإجتهاادات والإتهامات والإستنتاجات فتخرجهم، وأن تكون سنوات الإختبار الست بمثابة المرحلة التي تنقل السودان العزيز من جحيم الحرب إلى نعيم التوافق... ولو كره الحاسدون.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 22 أغسطس (آب) 2002

* * *

حرب المعتدين وظلم الظالمين

هنالك تشابه في النهج المعتمد من جانب الذين يقومون في الولايات المتحدة وإسرائيل بإجراء إستطلاعات الرأي وبالذات في ما يتعلق بالأعمال الشريرة.

وما نقصده تحديداً هنا بهذه الأعمال هو العدوان على الآخرين. ولكي تؤدي هذه الإستطلاعات الغرض

وتبدو لمن يقرأ نتائجها والنسب المؤية التي تم إستخلاصها أنها واقعية فإن صياغاتهم بحيث تبدو أنها موضوعية.. وهي ليست كذلك على الإطلاق.

في إسرائيل وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة "معاريف" يوم الجمعة 19 يوليو/ تموز 2002 إستطلاعاً إستهدفت من وراءه دعم أرييل شارون وليس الحقيقة. ولكي لا يبدو هذا الإستطلاع منحازاً مئة في المئة فإنه جاء "موضّباً" وفي إتجاه الشر خير "توضيب". وكانت نتائجه على النحو الآتي: 54 في المئة من الإسرائيليين راضون عن أداء رئيس وزرائهم أرييل شارون مقابل 61 في المئة في إستطلاع أجرته الصحيفة قبل أسبوعين من الإستطلاع الذي نحن في صده. وإرتفعت نسبة غير الراضين من 33 إلى 37 في المئة. وأوضحت الصحيفة أن سبب هذا التراجع هو "إنهاء مفعول إعادة الضفة الغربية وإقتناع عدد أكبر من الإسرائيليين بعدم قدرة شارون على معالجة القضايا الأمنية والإقتصادية على حد سواء...".

لا نظن أن هذا هو إتجاه الرأي العام في إسرائيل ولكنها لعبة الأسئلة التي يتم توجيهها. ولو أن السؤال كان على سبيل المثال: هل تشعر بالأمان وهل توافق على سقوط أحد أفراد أسرتك في سوق أو حافلة أو مطعم نتيجة عملية إستشهادية وهل أنت مع إحتلال أراضي الغير وتدمير منازلهم وجرف أراضيهم وقتل أبنائهم وأطفالهم وعدم نقل جراحهم إلى المستشفيات وتركهم ينزفون حتى الموت؟ وهل أنت مستعد لذكر إسمك إلى جانب الرد بـ "لا" أو "نعم" ومن دون ربط الجواب بالحيثيات والتبريرات؟

إنه لو كان السؤال أو الأسئلة على النحو الذي أوردناه كانت نسبة عدم الموافقة، ولكان الرأي العام الإسرائيلي سيبدو بنسبة 54 في المئة في الحد الأدنى غير راض عما فعله ولا زال أرييل شارون.

وفي الولايات المتحدة كانت أجرت مجلة "تايم" وشبكة "سي. إن. إن" التي كانت ما زالت تداوي غضب إسرائيل على تصريحات عاقلة أدلى بها مؤسسها تيد تيرنر ثم إضطر تحت التهديد والوعيد إلى تعديلها قليلاً بينما إسرائيل تريد منه نقضها، في إتجاه ما يريده صقور الحرب الذين لا تشبع مخابهم غرراً في لحوم الآخرين. والنتيجة التي نشير إليها تتمثل على حد ما إنتهى إليه الإستطلاع بأن 70 في المئة من الأميركيين يؤيدون شن ضربة على العراق من أجل قلب نظام الرئيس صدام حسين.

وما يقال في نوعية أسئلة إستطلاع "معاريف" الذي يصب في خدمة شارون يقال في نوعية أسئلة الإستطلاع الآخر. ومن المؤكد أنه لو كان السؤال الموجه إلى المستطلع رأيه هو: هل أنت مع إرسال أبنائك إلى محاربة دولة أخرى، وإستمرار الحصار لهذه الدولة مع ما ينشأ عن الحصار من المآسي الإنسانية ؟ وهل أنت مع تورط بلادك في أزمات يمكن أن تقود إلى الكارثة في الحد الأقصى والكراهية " في الحد الأدنى ؟ وهل أنت مع حل الأزمات بالحرب بدل بالحوار ؟

... إنه لو كان السؤال على النحو الآتي لما جاءت النتيجة على النسب المئوية التي وُضِيعَها الإستطلاع الثنائي بين "سي. إن. إن." و"تايم". إذ ليس من المعقول أن تكون هنالك شعوب تؤيد الحرب والمعتدين والظلم والظالمين. وتأكيداً لكلامنا هذا فإن المعلومات التي تبثها الوكالات والفضائيات من العواصم الأوروبية ومن داخل الولايات المتحدة تشير إلى أن الإعتراض على الحرب التي تتوي الإدارة الأميركية شنها على العراق يزداد . ولو أن مؤسسات الإستطلاع صاغت الأسئلة التي تطرحها من دون مؤثرات لكانت وجدت نتائج مذهلة أمامها.

وأمامنا إستطلاعان للرأي يؤكدان ما نقوله. الأول أجرته صحيفة " دايلي ميرور" ونشرته قبل تسعة أيام من الذكرى السنوية للعملية الترويعية في كل من نيويورك وواشنطن يوم 11 سبتمبر 2001. والثاني أجرته صحيفة "لوس أنجلوس تايمس" . الإستطلاع الأول أفاد أن نحو ثلاثة أرباع البريطانيين يرفضون مشاركة بلادهم.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 29 أغسطس (آب) 2002

العالم المعلق بين الحل الشيراكي الحكيم والتصرف الأميركي - البريطاني الأحق

بات هنالك نوع من الإجماع الدولي على أن ترك الموضوع العراقي للأمم المتحدة تقرر فيه المنظمة الدولية ما تراه مناسباً هو المخرج الأكثر سلامة للأمن والإستقرار الدوليين. وكانت المملكة العربية السعودية بشخص وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل حرصت

على أن يكون الفصل الأخير من تحركها الدبلوماسي لإحتواء التشنج الأميركي - البريطاني هو القول عشية الذكرى السنوية الأولى للعملية الترويعية ومن خلال رسالة من الملك فهد بن عبد العزيز وولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز إلى الرئيس جاك شيراك، ما معناه وبالكثير من الوضوح أن الرؤية الفرنسية هي الصيغة المعقولة لمحاصرة الحمى الأميركية - البريطانية في إتجاه الحرب. وبدا الأمير سعود وهو يقول للصحافيين بعد لقائه الرئيس شيراك في قصر الإليزيه إنه "إذا كانت مواقفنا غير متطابقة إلا أنها متماثلة إلى حد كبير ما يجعلنا نطمئن على أننا نسير في الطريق نفسه...".

ما سبق أن طرحه الرئيس شيراك كان عبارة عن صيغة تسوية من شأنها إرضاء كل الأطراف، وأهميتها أنها تدفع بإحتمالات الضربة العسكرية بعيداً، وتجعل المسألة تخص جميع دول العالم من خلال المنظمة الدولية وليست فقط حكرأ على الرأي الأميركي - البريطاني الذي ما زال على رغم ترجعات طفيفة من جانب الرئيسين جورج بوش الابن وطوني بليز حافلاً بالتشنج والمفردات التي تتبعث من مشاعر حاكمة.

وأهمية ترك الأمر للمنظمة الدولية تكمن في أن الضغط الأميركي على الأمم المتحدة لن يكون كما هي الحال في السابق حيث ينتهي قرار مجلس الأمن في إستمرار لمصلحة الرأي الأميركي. أما لماذا سيكون الضغط ليس فاعلاً بالدرجة الكافية، فلأن معظم الدول الأعضاء في مجلس الأمن الذي يضم الدول الدائمة العضوية ومجلس الأمن الموسع الذي تتبدل رئاسته وأعضاؤه ستذهب هذه المرة إلى المنظمة الدولية وقد سجلت كل دولة موقفها بشكل حاسم وبالتالي فإنها لا تستطيع الإنتقال من اليمين إلى الشمال وتنتكر لما كانت عبّرت عنه خلال شهر العد العكسي للضربة تنفيذاً لها أو تراجعاً عنها. ومن هنا فإن الجهد الأميركي السياسي سيتركز في حال باتت المسألة بين أيدي الأمم المتحدة على إقناع الدول الأعضاء ومن خلال وقائع ووثائق غير مفتعلة بصوابية الموقف الأميركي المتشدد، وهو ما يستبعد المرء حصوله ذلك أنه لو كانت الوقائع والوثائق موجودة فما السبب في عدم الكشف عنها.

لكننا في الوقت نفسه نخشى أن تعتمد الإدارة الأميركية، ونتيجة شعور من جانبها بأنها باتت محاصرة من معظم دول العالم وأن الذهاب بالموضوع

تتين الألفية الثالثة...

والوجبة العربية - الإسلامية

إذا كان العالم العربي لن تتألف قلوب أولي الأمر فيه، ولن يلتقي هذا التآلف مع تآلف قلوب أولي الأمر في العالم الإسلامي، وينشط هؤلاء، ومن خلال موقف موحد في اتجاه عدد من الدول الصديقة في العالم، فإنه سيأتي يوم لا نظنه بعيداً يؤكل فيه العربي والمسلم من الإسرائيلي وينطبق على ذلك التعبير الشائع : أكلت يوم أكل الثور الأسود.

نعتذر سلفاً من هذا التشبيه علماً بأن القادة العرب والمسلمين الحاليين ليسوا أسوداً ولا هم من النمر التي يخشاها الآخرون، وأن الغابة على ما هو واضح كل الوضوح في المشهد الذي أمامنا باتت حكرًا على وحش مسعور يستعذب الدم والدمار ويرتاح إلى الأشلاء البشرية متناثرة أمامه. وهذا الوحش هو عبارة عن تتين الألفية الثالثة جسده يهودي صهيوني وعقله أميركي متصهين وأنيابه أميركية مئة في المئة. وهو مشحون ببطاريات متقدمة الصنع تُحقّق له تشغيلاً تدميراً على مدار الأربع والعشرين ساعة.

كما أنه مبرمج بحيث أنه ما أن ينتهي من إتهام طفل فلسطيني حتى يجرف أرضاً زراعية مزروعة بالشجرتين اللتين كرمهما الله سبحانه وتعالى دون سائر الأشجار وهما التين والزيتون.

وما أن ينتهي من الجرف حتى يقتلع أشجار النخيل والبرتقال وما يراه في طريقه من بيوت. وفي هذه الأثناء تكون الطائرات المتطورة بنوعها 15 والأباضي تقصف بيوت الفلسطينيين ومدارس أولادهم ودكاكين أسواقهم.

وعندما لا يكتفي تتين الألفية الثالثة بإشباع شهيته فإنه يزيد الحصار وينفذ مجزرة يكون هدفه منها تلقين الذين لا يقرون السياسة التتينية بأساليبها المتطورة دروساً لا سابق لها من حيث القسوة، ويمنع المسعفين من أن ينقذوا جريحاً أو يساعدوا حاملاً على الانتقال إلى المستشفى بدل أن تضع وليدها على حافة الشوارع التي أتلفتها جنازير الدبابات.

وخلال الإستراحة قليلاً من عدوان هنا وعدوان هناك وإستعداداً لعدوان جديد يجلس التتين وأمامه المشهد الذي يستعذبه من دون أن يعذبه، ونعني به مشهد الأشلاء والركام والأتربة التي إصطبغت بدماء

إلى الأمم المتحدة قد يتحول إلى محاكمة معنوية لها تنتهي بإحراج لا مثيل له، إلى تنفيذ الضربة العسكرية مستبقة إمكانية دخول الأمم المتحدة طرفاً هو موضع الرضى الدولي. وبهذا الإستباق تكون تلك الإدارة إزدادت إبتعاداً عن الحكمة ووضعت دول العالم بمن فيها الدول الصديقة أمام أمر واقع مرير من شأنه أن يفرز تداعيات أكثر مرارة. وهي بهذا التصرف الذي يفتقد إلى الحكمة والأصول، قد تكون ربحت الجولة لبعض الوقت، إلا أنها على المدى البعيد ستكون مُنيت بخسارة كبرى وذلك على أساس أن جدار علاقاتها مع دول العالم سيشهد الكثير من التشققات وسيظهرها بأنها دولة متكبرة أكثر منها دولة كبرى، وأنها تستهين بكل الإرادات الدولية ولا تراعي الظروف والحساسيات. كما أنها لا تأخذ بالنصيحة السعودية التي طالما أسدتها المملكة لإدارة الرئيس بوش الإبن ولمعظم الإدارات السابقة، ولا تعير المنطق الحكيم حتى إذا جاءها من صديق على نحو المنطق الذي سجله الرئيس جاك شيراك في الساعات الأخيرة من مرحلة العد العكسي، وجاءت زيارة الأمير سعود له قبل أمس بمثابة إشارة إلى كل من الإدارة الأميركية وإلى رئيس الحكومة البريطانية الذي ينشر التهويل في صفوف البريطانيين خلال قوله عن الرئيس صدام حسين "إذا لم يضربنا هذا الخارج على القانون هذا الشهر أو الشهر المقبل أو حتى السنة المقبلة، فإنه سيفعل في لحظة معينة...".

خلاصة هذه الإشارة هي أن الحد الأدنى المقبول هو ما طرحه الرئيس شيراك، وأي إجراءات عدا ذلك ستنتسم بالحق. ولن تجد أميركا وبريطانيا من يتقهم هذه الإجراءات سوى أرييل شارون الذي هدد لبنان قبل أمس بعدوان لأن هذا البلد الصابر على الضيم مثل شقيقه السودان قرر أن يستفيد من مياه نهر لبناني كان من الخطأ الجسيم بمكان عدم تحقيق هذه الإستفادة منذ نصف قرن فإعتبرت إسرائيل مياه نهر الوزاني التي تصب في أرض فلسطين المغتصبة حقاً مكتسباً لها... تماماً كما إعتبرها أن فلسطين هي إسرائيل ولا شيء غير ذلك على الإطلاق.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 12 سبتمبر (أيلول) 2002

الفلسطينيين.. وبالذات الفتية منهم على أساس أنهم مقاومو المستعبد الذي سيكملون الواجب المقدس من حيث توقّف الأباء.. وهو واجب إستعادة الوطن وتأسيس الدولة والصلاة في المسجد الأقصى وفي كنيسة القيامة وقد باتت هاتان البقعتان خارج الأسر الإسرائيلي.

وخلال "إستراحة المعتدي" يستمتع تتين الألفية الثالثة بعبارات الشجب تنهال من الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية التي لا معنى لها ولا جدوى منها والتي تفتح شهيته على المزيد من الإلتهاام للبشر وللحجر على حد سواء. كما أنه يجلس مستمتعاً بـ "الحكمة" التي تأتيه في شكل تعليقات وتنظيرات من جورج دبليو بوش وكونداليزا المدهشة والموهوبة التي تتلفظ من الكلام ما يؤكد أن إبنة راييس بزّت تاتشر الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت، التي أعلنت في السنننن الأخيرتين من ولاية الرئيس المونكي السابق بيل كلنتون عن سعادتها لأنها إكتشفت أصولها اليهودية.. وبالتالي فإن تأييدها لإسرائيل كلن في محله وكراهيتها لكل ماهو فلسطيني وعربي وإسلامي كان ضمن الرؤية التي ترتاح لها الصهيونية أشد الإرتياح.

و"الحكمة" التي تشير إليها تتمثل في أن إدارة الرئيس بوش تعتبر العدوان التتيني على الشعب الفلسطيني حقاً مشروعاً وحالة دفاع عن النفس، وأن العملية الإستشهادية يقوم بها هذا الفتى الفلسطيني أو تلك الفتاة إرهاباً يجب إجتثاثه من الجذور. وأما المجازر في جنين وغزة، أو بالأحرى من جنين إلى غزة مروراً بأي بلدة أو قرية فلسطينية، فتلك مثل الإغتيالات في وضح النهار إستناداً إلى الشكوك ومثل القصف الصاروخي بدافع الشبهة من الأمور التي تدخل في قاموس الغفران الأميركي للذنوب الإسرائيلية.

وعندما تكون تلك هي "الحكمة" الأميركية فلماذا لا يفعل أرييل شارون تتين الألفية الثالثة كل هذا الذي يفعله، ولماذا لا يتحدى الإدارة الأميركية من خلال الإيحاء بأنها عندما تتخذ هذه المواقف التبريرية للعدوان وللممارسات الإسرائيلية عموماً فإنها لا تفعل ذلك لوجه الله.. وإنما هي مجبرة على الإلتخاذ وأنها إما تسدد ديوناً في ذمتها للصهيونية أو تقوم بعملية تسليف لعل أبرزها في هذه الظروف التي لا مثيل لقساوتها علينا أن إدارة الرئيس جورج بوش الابن مصممة، وعلى رغم إعتراض دول العالم قاطبة، على تنفيذ ضربة عسكرية ضد العراق، ومن دون أن يستوقفها أن هنالك أصدقاء لها في هذا العالم وبالذات في العالمين العربي والإسلامي ستضعهم الضربة العسكرية في إحراج لا مثيل له.. وإلى درجة أنهم

سيبدون منسجمين في الرؤية مع شعوبهم في إعتبار الضربة العسكرية، وبعد كل المرونة التي أبدتها الحكم العراقي، عدواناً بكل معنى كلمة العدوان، وأنه مثل ذلك العدوان التي أخذت عام 1956 ثلاث دول على عاتقها أمر تنفيذه ضد مصر وهي بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

والرد على العدوان واجب، أو فلنقل إن العدوان من جانب المثلث الجديد الأميركي - البريطاني - الإسرائيلي يستوجب رداً وبحيث لا يكون الرد مجرد كلمات أو بيانات وإنما مواقف سياسية ونجدات متنوعة. ونقول ذلك على أساس أن الإستتكار اللفظي سيكون لدى الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي بمثابة التهم للعدوان والتأكيد للعجز والركون إلى الإستسلام.

ويبقى أن مناسبة هذا الكلام حول أهمية التآلف العربي - العربي والعربي - الإسلامي والإسلامي - الإسلامي هو أن الأمتين مستهدفتان، وأن الذي يحدث للفلسطينيين وبالذات للقيادة الفلسطينية التي يحاول تتين الألفية الثالثة إلتهاامها بإعتبار أنها وجبة من عدة وجبات أخرى باتت مدرجة في القائمة الأميركية - الإسرائيلية... إن ما يحدث للقيادة الفلسطينية سيحدث للقيادات التي تحاول رفع رأسها. وفي حال لم تحدث صحوه عربية تقابلها صحوه إسلامية لهذه المكيدة، فهذا معناه أن عشرات القادة العرب والمسلمين سينطبق عليهم المثل الذي أورده في مطلع هذا المقال معدلاً، وهو: أكلت يوم أكل تتين الألفية الثالثة أرييل شارون الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات ويوم أكل التتين الأكبر جورج بوش الابن متحالفاً مع التتينين الصغيرين طوني بلير وأرييل شارون العراق... رئيساً وكياناً وثروة.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 29 سبتمبر (أيلول) 2002

الترزي الإسرائيلي يُفصّل والعم سام يلبس والقدس في مهب رياح الكونغرس والمتصهينين

إعترض الرئيس جورج بوش الابن على قرار الكونغرس الذي يعتبر القدس المحتلة عاصمة لإسرائيل بحجة أنه يشكّل خرقاً لصلاحياته الدستورية. لكن إعتراضه لن يؤثر في مجرى المرحلة الجديدة من

المؤامرة الأميركية - الصهيونية المشتركة التي تتم في الخفاء لفرض القدس كعاصمة لإسرائيل على العرب مسلمين ومسيحيين وعلى سائر الدول الإسلامية غير العربية. لكن الرئيس المعترض وضع مع كل ما في النفوس العربية والإسلامية من أسف وغضب على هذا الفعل النشاز والخبث، توقيعه على القانون الذي يشمل في ما يشمله ما يتعلق بالقدس.

أما لماذا لن يؤثر فلعدة معطيات أهمها ثلاث:

• الأولى أن برنامج الحزب الجمهوري الذي على أساسه خاض الرئيس بوش معركة الرئاسة تعهد العمل على جعل القدس عاصمة موحدة لإسرائيل في حال الفوز بالرئاسة. وربما على هذا الأساس إمتلأت الإدارة الجمهورية وفي أدق المفاصل بالمتصهينين، وبالذات في منصب مستشار الأمن القومي الذي تم إسناده إلى كونداليزا رايس، التي كانت في مرحلة التحضير لمعركة الرئاسة الجمهورية زارت إسرائيل كعضو ناشط في المعركة وتم تأهيلها هناك لما بعد الفوز بما يتضمنه التأهيل من إغراءات وإبتزازات تتقنها الصهيونية وتشكل سلاحاً من أسلحتها في استثمار الشخصيات الواعدة لمصلحة إسرائيل. وتأكيداً لما نقوله وقد يكون غاب عن بال كثيرين بمن في ذلك بعض أهل القرار في العالم العربي والعالم الإسلامي، أن هذه المستشارة لم تسجل منذ إسناده المنصب إليها أي ملاحظة تسيء إلى إسرائيل أو تتبها إلى شر أفعالها، مع أنها مستشارة الأمن القومي وهذا معناه أن تكون حاضرة الذهن في استمرار لتبنيه الرئيس ومن حوله من رموز صنع القرار في الإدارة الأميركية إلى كل ما من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بين إدارته والدول الأخرى. كما أننا نلاحظ سكوتها المريب على كل الأفعال الشارونية وبالذات المجازر التي يرتكبها شارون، وعلى حملات الإغتيالات المبرمجة، وعلى تدمير المنازل وجرف الأراضي ومحاصرة من له شرعية واضحة كل الموضوع من جانب شعبه... عينا به رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية ياسر عرفات.

• ثاني المعطيات أن الرئيس جورج بوش الابن نفسه لم يتصرف منذ أن تسلّم مقاليد الرئاسة على أنه يريد صادقاً إيجاد حل عادل وشامل للقضية الفلسطينية. وأما حكاية أنه أول رئيس للجمهورية في أميركا يعلن أن من حق الفلسطينيين أن تكون لهم دولة، فإنها تحتمل أكثر من تفسير من بينها أن تكون هذه الدولة على نحو تفصيل التريزي الإسرائيلي لها

وأن يلبس العم سام من دون مناقشة ما يفصله "التريزي الإسرائيلي" .. وهذا تماماً ما فعله أرييل شارون الذي جاء به لكي يبعثر كل ما تم إنجازه من خطوات تقود إلى قيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس. ولقد بدأت هذه البعثة بالتدمير المبرمج لمؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية ثم بالعمل على تهجير الناس من خلال ترعييهم وتدمير منازلهم وقصف أحيائهم السكنية وجرف أراضيهم الزراعية بحيث لا تعود لديهم أشجار يأكلون ثمارها ولا مواسم زراعية يعتاشون من أرزاقها، ثم من خلال محاصرتهم من كل الإتجاهات إلى أن وصل الحصار إلى الرئيس الفلسطيني نفسه وتدمير كل المباني الرئاسية عدا مكتب الرئيس بغرض تهجيرهم. ولم يسجل الرئيس بوش اعتراضاً حازماً على كل هذه الممارسات لكي يطمئن الفلسطيني والعربي المسلم والعربي المسيحي والمسلم غير العربي إلى أن ابن بوش الذي إجتاح والده المنطقة عام 1991 ووضع اليد الأميركية على معظم ثرواتها وإلى درجة أن كل ميزانيات دول منطقة الخليج التي إعتادت أن تكون مزدهرة باتت تصدر وقد أصبح العجز جزءاً من مفردات فلذكاتها، سيكون من معدن آخر وسيكون صادقاً ونزيهاً. وهكذا فإن الرئيس بوش الابن كان يحاول إيهام الأصدقاء التاريخيين والحديثي العهد في الصداقة لأميركا بأنه ليس ذلك الرئيس العادي وإنما هو من أرسلته العناية الإلهية إليهم لكي يصحح أخطاء نصف قرن من الإستهانة الدولية بهم وبقضاياهم الأساسية وأبرزها القضية الفلسطينية التي تقض مضاجع الجميع. ولكن المثل الذي يقول "أسمع كلامك يعجبني أشوف أمورك أستعجب" كان ينطبق على الأسلوب غير النزيه الذي إعتدته إدارة الرئيس بوش الابن منذ أن إجتازت عتبات البيت الأبيض بعد تأجيل يحدث للمرة الأولى ودام شهراً لإعلان النتائج رسمياً الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك بأن صفقة العمر أبرمتها الصهيونية في هذا الشهر، وبموجبها حصلت على أفضل المكاسب التي لا تحلم بها تأتيتها على أطباق من فضة يضعها على مائدة المجتمع الدولي العم سام من دون إستحياء. وعودة إلى ما فعله شارون طوال سنتين وسكتت عنه إدارة الرئيس بوش، وإعتبرته على رغم أطلال الدمار وشلالات الدم والقتل البارد للأطفال والنساء والمناضلين بأنه حق مشروع ودفاع عن النفس... إن عودة إلى هذا الفعل يعطي فكرة عن المكاسب التي نالتها الصهيونية في أطباق

أميركية من فضة.

• ثالث المعطيات أن طلب الرئيس بوش الإبن من شارون فك الحصار عن الرئيس عرفات على نحو ما حدث قبل ستة أيام، لم يأت إلا لإستكمال المرحلة الأخيرة من مسرحية العدوان الجديد على العراق وليس حرصاً على الفلسطينيين وحباً بعرفات. فالإدارة الأميركية تريد وقفة عربية - إسلامية إلى جانبها. ومن شأن هذه الرشوة المتمثلة بالإهتمام المفاجئ بالحصار الشاروني لعرفات المسكوت عنه من جانب الإدارة الأميركية الحصول على تلك الوقفة. وهذا إفتراض تظن هذه الإدارة أنه يفى بالغرض لكنه في نظر كل عربي ومسلم ليس أكثر من خطوة مسرحية لن تلقى القبول لا في النفوس ولا في العقول.

تلك هي أبرز المعطيات التي تؤكد بأن إعتراض الرئيس بوش الذي أشرنا إليه في مطلع هذا المقال لن يؤثر في مجرى المرحلة الجديدة من المؤامرة الدولية التي هدفها تطويب القدس عاصمة موحدة إسرائيل.

وإزاء ذلك فمن واجب الأمتين تفعيل قرار سبق إتخاذه ويقضي بقطع العلاقات مع أي دولة تتقل سفارتها إلى القدس. والتفعيل يكون بتعديل جوهري لهذا القرار الذي إتخذته القمة العربية وكذلك القمة الإسلامية بحيث يصبح يوصي بتجميد العلاقات كخطوة أولى مع أي دولة تعتبر القدس عاصمة موحدة لإسرائيل وقطعها في حال أصرت هذه الدولة على الإعتبار المشار إليه. وما نخشاه في حال عدم إعتداد ما نشير إليه هو أن يصبح قرار الكونغرس أمراً مؤكداً وثابتاً وأن يتطور إلى حالة ضغط دولية تحذو بقية دول العالم بموجبه حذو العم سام الصديق الأميركي ... غير النزيه على الإطلاق.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 3 أكتوبر (ت) 2002

نساء... ولا الرجال

في مواجهة بوش وشارون!

أفرزت تصرفات إثنين من أكثر حكام العالم عناداً وتشبثاً وغطرسة وترجيحاً للقوة على الحوار وللمغالطات على المنطق وللعدوانية على المناقشة الهادئة وراء طاولة التفاوض، ظاهرة في منتهى

الأهمية، تتقاسم بطولتها ثلاث نساء أوروبيات سجلت كل منهن الموقف الذي لم يسجله بهذه العزة بالنفس والحرص على الضمير والزهد بالدنيا والمناصب ورغد العيش، رجال يشغلون مواقع المسؤولية.

الحاکمان المتغترسان هما الرئيس الأميركي جورج بوش الإبن وحليفه وصديقه رئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون. ويصعب على المرء الإقتناع بأن هذا التحالف هو من أجل الخير، أو أنه يليق بدولة عظمى مثل الولايات المتحدة أخذت على عاتقها عنوة ومن دون أي تشاور أو تفاهم مع الدول الأخرى أن تكون "دولة دول العالم" متزعمة عليها دونما أي مناقشة ودونما إستئذان، ضاربة بعرض الحائط كل الأصول التي تقول بإحترام الغير ومراعاة ظروفه وخصوصيته. وإذا فإن الجنوح نحو إخضاع الآخرين، وبالذات إذا كانوا أصحاب حق أو منادين بالإستقلال والتمسك بالإرادة الوطنية، وإعتماد العدوان سبيلاً لغرض الإخضاع، هو الجامع المشترك بين رئيس الولايات المتحدة جورج بوش الإبن ورئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون. كلاهما يعاند ويتشبث ويرفض مراعاة التقاليد الديموقراطية في أن تتصاع الأقلية إلى رأي الأكثرية وليس العكس. وكلاهما على إستعداد لسفك الدم والتدمير من أجل فرض الأمر الواقع الباطل ولو كره الآخرون أو رفضوا.

وفي عصر الفضائيات التي باتت فضاء لكل الممارسات الشريرة والتي كان يتم في الماضي إخفاءها سببه أن ما هو متيسر للإشهار هو بعض الصحف وبعض الإداعات وفي مرحلة لاحقة بعض محطات التلفزيون، لكن بعد عقدين من الزمن تبدلت الأحوال وبات في إستطاعة صحن على سطح المنزل إلتقاط ما يحدث من جرائم وأعمال شريرة تجري لدى من إمتهنوا الإجرام في حق الشعوب وجعلوا الشر عنواناً للحكم. بل إن هذه الفضائيات التي تكاثرت وتزايدت معها الصحن على السطوح باتت قادرة على أن تبث جولات الحروب والعدوان على الهواء، وكأنما هذه الجولات عبارة عن مباريات كأس العالم في كرة القدم. وبفضل البث الذي نشير إليه رأى العالم أي عدوان أصاب العراق عام 1991 رداً على عدوان من جانبه إستهدف الدولة الشقيقة والجارة الكويت. بفضل البث نفسه شاهد العالم ما الذي فعله أرييل شارون بالفلسطينيين وهاله المشهد الذي يصعب نسيانه.. مشهد الفتى محمد الدرة يتم إغتياله بأسلوب القتل البارد

وهو في حضن والده. وبفضل البث أيضاً تابع العالم، وبالذات كل بيت على سطحه الصحن الهوائي، كل المجازر الإسرائيلية في مخيمي صبرا وشاتيلا وفي "قانا" في لبنان والمجازر الشارونية اللاحقة في مخيم "جنين" وفي المناطق السكنية في غزة وبعض المدن والبلدات الفلسطينية، وكان تابع من قبل ما أحدثته العمليات الإرهابية والإضطرابية وتابع الرد العشوائي عليها متمثلاً بعمليات التصفية الجسدية لمناضلين فلسطينيين ينادون باستعادة الحق المسلوب منهم أو في الحد الأدنى بعض الإنصاف الدولي بحيث تقام لهم دولة تكون القدس عاصمتها وبذلك يسود الإطمئنان بأن الحرم الثالث.. المسجد الأقصى والمقدسات المسيحية في بيت لحم والناصرة والقدس إستعادت حريتها. ومن دون الحرم الثالث ومهد السيد المسيح ما قيمة أي حلول، وما هي جدوى أي صفقات بدءاً من صفقة كامب ديفيد التي أبرمها مستعجلاً كثير الإستعجال الرئيس الراحل أنور السادات وصولاً إلى الصفقة النهائية التي يتولى العقل الصهيوني بالمقص الأميركي إعدادها لكي يقبل بها الفلسطينيون وأشقائهم العرب وإخوانهم المسلمون وأصدقائهم حيث وجدوا في القارات الخمس، وبصرف النظر عما إذا كان القبول عن إقتناع أو بمثل تجرّع السم أو المر العلقم.

هذا التمهيد الذي أوردنا ملامح مشهده في الأسطر السابقة كان ضرورياً من أجل أن نلقي الضوء على الظاهرة التي تتقاسمها النساء الأوروبيات الثلاث.

السيدة الأولى كانت جريتا دوينبرغ زوجة رئيس البنك الأوروبي ومقره فرانكفورت فيم دوينبرغ التي هالها ما يفعله بالفلسطينيين أرييل شارون، النازي العنصري السفاح الحليف والصدوق للرئيس جورج بوش الابن، فقررت أن تحتج على طريقة مستوحاة من روحية الزعيم الهندي، أي الإحتجاج البعيد عن العنف. وما فعلته هو أنها حصلت على علم فلسطين بألوانه الأحمر والأسود والأخضر والأبيض وعلقت العلم على شرفة منزلها الكائن في إحدى الضواحي الراقية في العاصمة الهولندية أمستردام. وكان التعليق صرخة إحتاج مؤدبة ضد الظلم نابعة من ضمير حي سمعها القاصي والداني، وكلمة حق يراد بها الحق ولا شيء غيره وجهتها هذه السيدة الفاضلة إلى دول أوروبا التي من واجبها إنصاف المظلومين من الظالمين.. وإلاً فلماذا التبحر بالديموقراطية وحقوق الإنسان. وهي لم تُخفِ عتبها

على بني قومها ذلك أنها عندما طلب منها التلفزيون الهولندي، مباشرة بعد ساعات من تعليقها العلم الفلسطيني، إجراء مقابلة معها فإنها وافقت وقالت في اللقاء الذي كان حاضراً فيه زوجها الذي سبق أن شغل في الماضي منصباً وزارياً في الحكومة الهولندية ممثلاً الحزب الإشتراكي في البلاد رداً على سؤال عما إذا كانت فعلت ذلك بدافع أعمال الخير التي درجت على القيام بها: أبداً. إن شعوري الأساسي هو أن أوروبا، وخصوصاً هولندا، في وضع كرهه جداً لأننا جميعاً نجلس بلا حراك ولا أحد يفعل شيئاً، ولذا يمكن أن ينجو شارون بفعلته... وأنا لا أحبذ هذا. لذا أردت التعبير عن شعوري وهذا ما يجعلني أعلق العلم الفلسطيني على شرفة مكتبي في منزلي. إن زوجي له موقفه ولي موقفي. وأنا امرأة حرة أستطيع أن أفعل ما أشاء وهو يوافق على مسألة حريتي هذه...".

ثارت ثائرة الصهيونية على هذه الوقفة الضميرية من جانب السيدة الأوروبية الفاضلة. ولكنها لم تأبه للتشهير الذي ووجهت به. وبدأت في موقفها الذي إلتذته وكأنها... ولا الرجال.

السيدة الثانية كانت وزيرة العدل الألمانية هيرتا ديبلرغيلين التي هالها التشبث الأميركي بالحرب على العراق وأسلوب الهيمنة الذي إعتدته الرئيس جورج بوش الابن وكيف أنه، بالتصريحات والعبارات الملأى بمفردات إملاء الأوامر والمواقف، لا يحترم رأي الآخرين من أصدقاء وحلفاء، ولا يعنيه في شيء أن الأمم المتحدة البعيدة عن مؤتمرات الهيمنة قادرة على أن تحل أي أزمة.

وما فعلته الوزيرة الألمانية هي أنها على حد ما نسبته إليها صحيفة "شفابيش تاغبلات" يوم الخميس 19 سبتمبر/أيلول 2002، قالت "إن بوش يريد من خلال الحرب تحويل الأنظار عن المشاكل السياسية الداخلية، إنه أسلوب معروف وقد سبق أن إستخدمه هتلر...". ولمجرد أن نشرت الصحيفة هذا الكلام المنسوب بدأ الغضب الأميركي يتصاعد ووصل إلى حد المطالبة بإستقالة الوزيرة. وكانت كونداليزا رايس مستشارة الرئيس بوش لشؤون الأمن القومي الأكثر إستهجاناً لكلام وزيرة العدل الألمانية، وتساءلت في تصريح لها: كيف يجوز تشبيه رئيسنا بهتلر!؟

ومن المؤكد أن كلام كونداليزا جعل الرأي العام الألماني بدءاً من المواطن العادي وصولاً إلى المستشار شرودر نفسه، وكان يخوض معركة

انتخابات قاسية، يزيد إقتناعاً بما هو منسوب إلى وزيرة العدل وجعلت الناخب الألماني لا يخذل المستشار شرودر على نحو ما نشطت الأجهزة الأميركية داخل ألمانيا في سبيل ذلك. ولكن شرودر حقق نجاحاً خارقاً ليس من حيث نسبة الأصوات وإنما من حيث عدم خذلان الناخب الألماني له في الحفاظ على منصب المستشارية الذي إستمر في حوزته. لكن الإدارة البوشية لم تغفر له إن إستمر ضد مخططها القاضي بضرب العراق حتى اللحظة الأخيرة، وإستمر يصرح بذلك في خضم المعركة الانتخابية، وإستمر يرفض الطلب بإستقالة وزيرة العدل في حكومته، ثم إستمر متمسكاً بموقفه بعدما فاز، متحملاً الضغوط الأميركية عليه والتي وصلت إلى حد تحميله مسؤولية "تسميم العلاقات الأميركية - الألمانية" ومطالبته بالإستقالة لكي يتم إعادة العلاقات إلى وضْعها الصحي ما قبل التسمم. ومن الجائر القول إن موقف شرودر في البداية شجع وزيرة العدل هيرتا دويلرغميلين على تشبيه بوش بهتلر مع أنها أنكرت ذلك لاحقاً، ربما مسايرة منها لظروف الإنتخابات ولكي لا تكون السبب في إنتكاسة شرودر، وأن الحملة عليها وصمودها هي التي جعلت شرودر يزداد صموداً وثباتاً على موقفه المعارض على الهيمنة الأميركية وإصرار إدارة الرئيس بوش على إجبار الدول الأوروبية على الوقوف في طابور العدوان على العراق.

وتبقى السيدة الثالثة وهي كلير شورت وزيرة التنمية الدولية في الحكومة البريطانية التي إستبقت بيومين الجلسة العاصفة للبرلمان البريطاني والتي إنتهت إلى إنقسام حاد في "حزب العمال" بالإعلان عبر تصريح تلفزيوني عارضت فيه شن حرب على العراق. ومما قالتها: "لا يمكن أن نشهد حرباً جديدة في الخليج. ولا يمكننا تعريض الشعب العراقي لمزيد من المعاناة. يجب أن نكون على إستعداد لفرض إرادة الأمم المتحدة إذا لم يتعاون معنا صدام حسين، لكن ليس عبر جر المعاناة على الشعب العراقي..."

ولقد حاول بلير أن يثني الوزيرة البارزة في حكومته عن التهديد بالإستقالة في حال إتخذ قراراً بالمشاركة في الحرب إلى جانب أميركا. كما أنه حاول إقناع أكثر من 160 نائباً عمالياً يمثلون ربع نواب الحزب الحاكم في البرلمان بصرف النظر عن المذكرة التي وضعوا توقيعهم عليها يعارضون فيها إصرار رئيس الحكومة على مشاركة بريطانيا في الحرب، ولكن

المحاولة باءت بالفشل.

ويبقى أن موقف السيدات الثلاث وكل منهن تُمثِّل رأياً عاماً في بلدها. أوحى في مثل هذه التأمّلات من جانب كاتب مثل حالي أراد مما كتبه القول إن من شأن وقفة مع الذات تتخذها زوجة جورج بوش الابن ووالدته الشاهدة على فظاعة حرب زوجها بوش الأب عام 1991، وزوجات ديك تشيني ودونالد رامسفيلد وزوجة طوني بلير أن تجعل الأمور تهدأ أو تجعل إعادة النظر واردة. فمن المفترض أن يكون في قلب كل منهن مساحة من الرقة تجعلها تقول لزوجها.. ألا تخاف الله يا رجل؟ وألا يهزك ضميرك قتل أطفال وعندك أبناء أو بنات؟ وألا يهز وجدانك أنك ستتسبب في ترمُّل نساء وأنت متزوج ولا بد تعرف ما قد يحدث للمرأة في حال تزلزلت. ألا لعن السُّلطة والجاه والأبْهة والمال إذا كان ذلك سينتزع من المرء إنسانيته وبذلك لا يعود هناك فرق يُذكر بينه وبين الحيوان، كما لا تعود هناك فروقات كثيرة بين المدنية والغابة.

هذا بالنسبة إلى الزوجات اللواتي أشرن إليهن وإلى زوجات ونساء غيرهن كثيرات... عدا كونداليزا رايس التي برزت مارغريت تاتشر في لهفتها للحرب... وخصوصاً إذا حدثت على نحو ما فعله أرييل شارون ويتلّهِف إلى المزيد منه في فلسطين أو شريكاً في الحرب على العراق عند الضرورة مؤازرة من جانبه لصديقه وحليفه بوش الابن والأفراد المتصهينين وعلى المكشوف في طاقم إدارته التي باعت القدس ومن دون رضی أصحابها إلى سارقي أوطان الآخرين بني إسرائيل... أعادهم الله من حيث جيء بهم قبل نصف قرن.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 10 أكتوبر (ت) 2002

الضارة التي تنفع...

بين السودان ولبنان

عملاً بالقول الحكيم (رب ضارة نافعة) فإن الإشكال البروتوكولي الذي حدّث خلال إنعقاد القمة العربية - الدورة الثانية في بيروت في مارس الماضي وتَسبب في عتب إخواننا في السودان وكانوا محقين في العتب، أفاد من حيث أن أهل الحُكم في لبنان

تنبهوا إلى أن بين بلدهم والسودان ضموراً غير مبرّر في طبيعة التعامل والتزاو والتبادل التجاري مع أن الجامع المشترك للبلدين وهو السعي من أجل جذب المال العربي وغير العربي إذا أمكن للاستثمار في مشاريع من المؤكد أنها مضمونة العوائد المجزية توجب عليهما التعاون والتنسيق. وفي ضوء هذا التنبه جاء قرار رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري بأن يضاف السودان إلى قائمة الدول التي من الواجب القومي والمصلحة المادية في الوقت نفسه التعامل معها وإستكشاف آفاق للإستثمار كتلك التي كان تنبّه لها أسامة بن لادن، ثم إستكشافها حديثاً الأمير الوليد بن طلال عندما رأى في تسويق الثروة الحيوانية للسودان وبالذات الجمال من هذه الثروة ما يغري رجل أعمال مثله بأن يبني فندقاً في الخرطوم ثم يبرم إتفاق التسويق المشار إليه. ومن يعرف الوليد بن طلال يتأكد له أن الأمير الشاب لا يخطئ التصويب وأنه لو لم يرَ في بلد المليون ميل مربع أنه أرض الإستثمارات التي تدر أرباحاً وفيرة لما كان أقدم. وعندما يقرر الأمير الوليد الإستثمار، فإن المستثمرين الكبار والصغار يحذون حذوه. وتلك باتت من الأمور المتعارف عليها.

المهم أن الضارة البروتوكولية عشية إنعقاد القمة العربية الدورية والتي خسرت القمة كمؤسسة وخسر لبنان كمكان إنعقاد مشاركة الرئيس عمر البشير فيها، عوضت إلى حد ما تلك الخسارة لأنها نبهت على نحو ما أشرنا إلى ضرورة أن تكون قنوات الإتصال والتعامل بين البلدين نشيطة. ومن هنا جاءت فكرة الوفد اللبناني المتميز الذي سيبدأ يوم السبت المقبل (2 نوفمبر) زيارة إلى الخرطوم تستمر حتى الخامس من نوفمبر. ومن محاسن الزيارة التي بذل سفير السودان لدى لبنان سيد أحمد البخيت من أجلها جهداً ملحوظاً وأفاده في ذلك أسلوب التخاطب الذي يعتمد عليه وإقتناعه بأن منصب السفير هو تكليف لا تشريف، أنها متزامنة مع شهر الصوم المبارك الأمر الذي سيضفي عليها مسحة من التهيّب والقُدْرية. هذا على صعيد التوقيت. أما على صعيد تنقية النفوس من بقايا العتب فإن نوعية الوفد اللبناني الذي سيحيط الرحال في العاصمة المثلثة يوم الجمعة المقبل سيكون برئاسة فؤاد السنيورة العقل المالي للطموح الحريري، كما أنه وزير المال في الحكومة والذي يملك قدرة ملحوظة على صعيد إستنباط المداخل التي تنعش الخزينة

اللبنانية المرهقة والمثقلة ببضعة مليارات من الدولارات ناشئة عن الإقتراض والفوائد المتركمة، والتي يأمل الرئيس الحريري من تخفيف وطأتها من خلال الدعم الفرنسي الذي ينطلق من خصوصية العلاقة بين الرئيس جاك شيراك ورئيس الحكومة اللبنانية، وهي علاقة نادرة الحدوث، وأيضاً من خلال الدعم السعودي والخليجي والذي هو عملياً دعم للبنان الحريري وليس للبنان رئيس حكومة آخر. وإلى جانب السنيورة سيضم الوفد عدداً من رموز المال والأعمال والصناعة في لبنان فضلاً عن ممثلين عن شركة طيران الشرق الأوسط بأمل معاودة تشغيل خط بيروت - الخرطوم عن طريق جدة وكذلك بدء الخطوط الجوية السودانية بتسيير رحلة إلى بيروت بحيث تصبح الخرطوم - دمشق - بيروت - الخرطوم. ومثل هذه المشاورات في شأن العلاقة الجوية ستكون على هامش توقيع وزير المال اللبناني ووزير المال السوداني على إتفاقية لتبادل تشجيع الإستثمار وأخرى تتعلق بمنع الإزدواج الضريبي. ومثل هذه الإتفاقيات ستقود بالتالي إلى تصحيح الميزان التجاري الضامر أصلاً بين البلدين علماً بأنه حتى الآن هو لصالح السودان. وما تقيده الأرقام في هذا الشأن هو أن لبنان إستورد في العام 2001 من السودان بقيمة حوالى 14 مليوناً ونصف المليون دولار مقابل إستيراد السودان من لبنان بما قيمته حوالى ثلاثة ملايين وربع المليون دولار. ثم حدّث هبوط مفاجئ في العام 2002 حيث إستورد لبنان بما قيمته حوالى خمسة ملايين دولار يقابله إرتفاع طفيف تمثّل بإستيراد السودان بما قيمته 630 ألف دولار. وهذان الرقمان قابلان للزيادة في ما تنبّئ من الأشهر الثلاثة من العام، إلا أنها زيادة ضئيلة في أي حال ومن شأن زيارة الوفد اللبناني أن تجعل الأرقام تتبدل صعوداً.

وما يأمله المرء من هذه الزيارة التي هي أول إتصال ثنائي وبهذا المستوى بين لبنان والسودان هو أن تستعيد العلاقات بين البلدين رونقها التي كانت أيام شغل المنصب الدبلوماسي الرفيع في لبنان السفراء صلاح أحمد ومصطفى مندي و جلال عتباتي.. وهو رونق يعود الفضل فيه إلى الظروف من جهة وإلى الحرص من جانب السفراء المشار إليهم على أن تكون العلاقات دائماً في إطار الدفء وفوق الجودة بكثير. وما يفعله السفير الحالي أن أولى ثمار جهده هي زيارة الوفد اللبناني الإقتصادي المتميز والذي ستكون من

نتائج محادثاته مع أهل الحكم ورجال الأعمال في السودان التمهيد لزيارة يقوم بها الرئيس الحريري يسبقه تعيين سفير للبنان لدى السودان حيث لا سفير منذ ثمانية أشهر. ونحن عندما نشير إلى دور سفراء السودان الأربعة صلاح أحمد ومصطفى مدني وجمال عتباني وحاليا سيد أحمد البخيت فإننا نذكر بالخير الجهد الذي بذله من جانب لبنان دبلوماسيون زادوا من حجم الرونق في العلاقات المزدهرة أمثال السفير المرحوم منير تقي الدين والدكتور جورج ديب الذي كنا نتمنى أن تكون له صفة المستشار للوفد المسافر بالنظر لما له من إلمام بالأحوال السودانية.

ما نأمله أيضاً هو أن تتقضي زيارة الوفد اللبناني على خير فلا يحدث في الخرطوم من جانب إخواننا السودانيين إشكال بروتوكولي ينغص المزاج على نحو ذلك الإشكال الذي حدث خلال إنعقاد القمة العربية الدورية الثانية من جانب أهل الترتيبات اللبنانيين. ولكننا على ثقة بأن مواكبة السفير سيد أحمد البخيت للوفد وحضوره في أيام التحدث والتفاوض وحسن الوفادة كفيلاً بإنجاح زيارة نتمنى لها النجاح ويشاركنا التمني الخمسة آلاف سوداني المقيمون في لبنان بين قلة مقيمة بشكل نظامي وكثرة مقيمة بشكل عشوائي، وهؤلاء يتطلعون إلى إتفاق يخفف عنهم قلق الإقامة غير النظامية.

ويبقى أن الجامع المشترك بين الشعبين اللبناني والسوداني على أكثر من صعيد من بينها التعايش والتراث الديمقراطي والتنوع الطوائفي والإحتراب الأهلي لبعض الوقت وظاهرة الإغتراب والحاجة إلى الإستثمار والتنوع الفكري والحالة الطارئة في جنوب كل منهما... إن هذه الملامح وغيرها في المشهد العام ستجعل الزيارة تتجح. ومن المؤكد أن الوزير السنيورة وأعضاء الوفد سيعودون راضين مرتاحين وغانمين صديقاً مخلصاً للبنان.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 31 أكتوبر (ت) 2002

قذائف فنية مصرية لا تخطئ في زمن

السكون السياسي المريب

تُسبهاً بالإحتجاجات والمطالب الأميركية التعجيزية

التي وصلت إلى حد لمس الأمور التي تتعلق بالتراث والتقاليد والخصوصية والمعتقدات الدينية والبرامج التربوية في المدارس، وتعزيزاً لهذه الإحتجاجات والمطالب.. طلعت علينا إسرائيل حديثاً بإحتجاج على مسلسل مصري يحمل تسمية فارس بلا جواد للفنان المصري المتألق في الفكاهة كما في الدراما محمد صبحي.

بادئ ذي بدء لا ندري إذا كانت إسرائيل أو الجهات الأميركية المعنية حصلت على نسخة من هذا المسلسل قبل أن تبدأ الإحتجاجات من الجانبين الأميركي والإسرائيلي وبأي وسيلة تم الحصول على هذه النسخة.

الجواب عن ذلك هو أن أمر الحصول ليس صعباً لأن بضع نسخ طُبعت من هذا المسلسل برسم التسويق، وأن إحدى الجهات إشتريت نسخة معتمدة، وأن من باع لا يهمه من الأمر سوى أنه نجح في التسويق.

المهم أن الإعتراض الإسرائيلي المعزز بتمنيات تتسم بالخشونة من جانب الخارجية الأميركية إستقبلتها الحكومة المصرية بالإنزعاج، جاء بعد مشاهدة الحلقات، ووضع تقييم لما يمكن أن تُحدثه لدى المشاهدين العرب. وعندما يحدث الإعتراض في ضوء المشاهدة المتأنية والتقييم النفسي، فهذا معناه أن فنناً يستطيع هزّ العنجهية الصهيونية من خلال كشف أفعالها.

وقد يجوز تفهّم دواعي الإعتراض الإسرائيلي - الأميركي لو أن الرأي العام العربي من المحيط إلى الخليج إلى ما وراء المحيط متعاطف مع إسرائيل وأن المسلسل سيشكل ما يشبه الصدمة لهؤلاء المتعاطفين. لكن جماهير الأمتين العربية والإسلامية في حالة غضب على الذي فعله الشارونيون وأبدى المتصهيونون في الإدارة الأميركية كثير التفهم لهذا العمل. وهذه الجماهير ستجد في المسلسل أنه يترجم حقيقة مشاعرها إزاء هذا الذي فعله الشارونيون ويتأهبون للمزيد منه مع الحكومة المطلوبين للعدالة: أرييل شارون في بلجيكا وشاؤول موفاز في بريطانيا.

وخلاصة الأمر أن الفنان محمد صبحي ومن قبله الفنان شعبان عبد الرحيم هزا بقذائفهما الفنية الدوية والتي لا تخطئ العنجهية الصهيونية، وكشفاً عن المزيد من واقع ممالأة المتصهيونين في الإدارة الأميركية لهذه العنجهية. وهما بما فعلاه يهيئان

الأرضية لما لا نزال نفترض حدوثه من جانب أهل القرار العربي... الذين لا ندري لماذا يؤجلون وقفهم مع أن الوحش الشاروني بات داخل البيت محروساً من جانب "العم سام".

لم نستغرب إحتجاج إسرائيل على المسلسل الرمضاني بمثل إحتجاجها من قبل على أغنية شعبان عبد الرحيم "أنا بكره إسرائيل وبحب عمرو موسى"، ذلك أن عقدها المستحكمة بها نتيجة الرفض الكاسح من جانب الشعب المصري للتطبيع على رغم مرور حوالى ربع قرن على معاهدة السلام التي أبرمها مستعجلاً الرئيس أنور السادات، تجعلها ترصد كتابات أو أغنيات أو مسرحيات أو أفلام تعتبرها مخالفة لنصوص تلك المعاهدة وتبدأ الضغط على الحكومة المصرية وبأسلوب الإبتزاز من أجل إتخاذ موقف من هذه الأعمال. وهي عندما لم تجد أي قبول من جانب الحكومة المصرية لإنزال "العقاب" بأصحاب تلك الأعمال الفنية والأدبية فإنها لجأت إلى الإدارة الأميركية مستغلة في هذه الإدارة ضعفها تجاه العناصر المتصهينة. وهذا ما حدث بالفعل حيث أنها بعدما طلبت من الحكومة وقف بث مسلسل "فارس بلا جواد" ولم تلق التجاوب المطلوب، إتجهت أميركياً.

ومن هنا كانت المفاجأة المتمثلة في أن الخارجية الأميركية نطقت بلسان إسرائيل وطلبت بالنيابة عنها إعادة النظر في مسألة المسلسل. وهي فعلت ذلك على أساس إدراكها لحرص الرئيس مبارك على إستيعاب أي أزمة تنشأ مع الإدارة الأميركية. ولطالما حدثت في هذا السياق أزمات إرتأت الحكومة المصرية السكوت على مضض عليها ومن بينها تلك الأزمة الناشئة عن إعتقال الدكتور سعد الدين إبراهيم. وهي إرتأت السكوت على مضض لأنها تدرك أي إنحياز هي عليه الإدارة الأميركية لإسرائيل وكيف أن المتصهينين داخل الكونغرس يفرضون على الرئيس بوش الإبن مواقف بالغة التعقيد من دون أن يستوقفهم أن مثل هذه المواقف تؤثر أبلغ تأثير على إستراتيجية العلاقة بين الولايات المتحدة ودول لها أهميتها القصوى مثل المملكة العربية السعودية ومصر. ويحضرنا في هذا الصدد ما فعله قبل أيام أحد النواب المتصهينين في الكونغرس ويدعى جيرالد نادلر الذي إقترح في رسالة وزعها على أعضاء مجلس النواب أن يطلب هؤلاء تعليق المعونة العسكرية الأميركية إلى مصر والتي تبلغ حوالى تسعمئة مليون دولار سنوياً، عقاباً للحكم

المصري على سماحه ببث مسلسل، "فارس بلا جواد" الذي يعري الصهيونية ومن أجل ذلك كان إنزعاج إسرائيل منه.

لن نطيل الكلام في هذا الشأن، ذلك أن الشواهد كثيرة والإبتزازات أكثر من أن تُحصى. لكن الذي نجد لزماً علينا قوله هو أننا في ظل السكون السياسي العربي نتمنى على المبدعين العرب فناً وكتابة رواية الإكثار من هذه الأعمال والإصرار على إنتاجها وعرضها ما دامت تعود بهذا الإنزعاج على الإسرائيليين والحركة الصهيونية. وأما الصداق الذي سينشأ عن ذلك لحكوماتنا فإن مداواته ليست بذلك الأمر الصعب. بل إنه يكفي شعورهم بالأثر الإيجابي لهذه الأعمال للتداوي من الصداق الأميركي - الإسرائيلي والحجج الواهية حول أن مثل هذه الأعمال تتناقض مع روحية معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية وكأنما كانت تلك المعاهدة ضرورية وكانت عادلة .

... وكيف يمكن إعتبارها ضرورية وعادلة ما دامت ليست مقبولة من الرأي العام المصري خصوصاً والعربي عموماً على رغم مرور حوالى ربع قرن على ذلك الإجتهد الساداتي غير الموفق.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 7 نوفمبر (ت) 2002

يا بعض أولي الأمر العرب

من المحيط إلى الخليج: تكتكوا... فإن

المبدئية لا تدوم

من الواضح أن ألهم الأساسي لكواسر الإدارة الأميركية منذ أن صدر القرار 1441 الذي يحد من إندفاعهم في إتجاه الحرب على العراق هو البحث عن أي ذريعة لكي يقولوا إن العراق إنتهك هذا القرار وأنه مادام حدث ذلك فلا سبيل إذاً سوى إطلاق اليد الأميركية تؤدب هؤلاء الخارجين على مخطط الهيمنة. وكان مثيراً للدهشة أن يبدأ رئيس فريق المفتشين الدوليين هانس بليكس ومدير الوكالة الدولية للطاقة الذرية محمد البرادعي المرحلة الأولى من مهمتهما في بغداد ويعقدان محادثات إيجابية مع المسؤولين العراقيين وبما يجعل آلية تنفيذ القرار 1441 تعمل

على النحو الذي شأته الإرادة الدولية، بينما وزير الدفاع الأميركي دونالد رامسفيلد الذي هو الثاني في مجموعة الكواسر يبحث عن ذريعة لإلقاء ظلال على مهمة بليكس والبرادعي، وعندما لم يجد هذه الذريعة فإنه أطلق تصريحاً يعتبر تصدي المضادات العراقية للطائرات الأميركية والبريطانية التي تنتهك السيادة وتقصص ما شاء لها القصف، خرقاً للقرار الدولي المشار إليه.

ولا ندري لماذا غاب عن بال هذا الكاسر أن فرض مناطق لحظر الطيران في شمال العراق وفي جنوبه هو قرار أميركي وبريطاني ولا يستند إلى أي من قرارات مجلس الأمن ذات الصلة. ولكن رامسفيلد الذي يخشى رهائه على الحل الحربي وإحتمال تراجع هذا الحل أمام الحل السياسي، وهو إحتمال يبقى وارداً بنسبة ورود الحل الحربي، لا يريد أن يرى من الكوب سوى النصف الذي يريده. والإحتمال الذي نقصده يرتبط في استمرار القيادة العراقية على نهجها الحالي الذي يوضح بأنها جادة في تنفيذ القرار ليس لأنه منصف، وإنما لأنه الحل الذي لا حل دونه فضلاً عن أنها ما دامت أعلنت الموافقة عليه فإن ترجمة الموافقة تكون بالتنفيذ. وما سمعه بليكس والبرادعي قبل ثلاثة أيام من عامر السعدي الذي يشرف على الجانب العسكري من الملف يوضح من دون أي لبس أن العراق سيُسَلِّم في الثامن من ديسمبر المقبل ووفقاً لنص القرار 1441 تقريراً عن الملفات الكيماوية والبيولوجية والنوية وسيسمح للمفتشين الدوليين بدخول المواقع التي يريدونها من دون شروط أو قيود.

لقد رد الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان والمندوب البريطاني لدى المنظمة الدولية جيريمي جرينستوك على إدعاء رامسفيلد الذي أشرنا إليه فأكد أن تصدي المضادات العراقية للطائرات الأميركية والبريطانية في مناطق الحظر لا يشكل خرقاً للقرار 1441. لعل هذا الرد الذي قد يكون فاجأ كواسر الإدارة الأميركية يخفف من غلواء هؤلاء وبحيث لا يعودوا منشغلين بالبحث عن ذرائع من شأنها أن تشكل مظلة شرعية للحرب.

ونجد أنفسنا ونحن نقول ذلك نضع بعض الخطوط تحت عبارة صدرت عن الرئيس جورج بوش الابن قبل ثلاثة أيام وتركت إنطباعاً بأن في الأفق بوادر إنفراج لاتناسب الكواسر إلا أنها تلبّي تمنيات المجتمع الدولي بمن في ذلك "حزب العمل" في إسرائيل الذي أسفرت

إنتخاباته قبل يومين (الثلاثاء) عن فوز عميرام متسناع الذي هو في رؤيته للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي و للعملية السلمية عموماً نقيص صقور حزب العمل ونقيض

الليكويديين والأساليب الشارونية وما نتج عنها من تدمير للبنى التحتية الفلسطينية ولعشرات الأحياء والمخيمات.

أما عبارة الرئيس بوش التي نشير إليها فهي : "لا أستبعد تسوية سلمية للمسألة العراقية لكن سلاح الرئيس العراقي سيتم نزع بطريقه أو بأخرى. وإذا بدا أن من الضروري القيام بعمل عسكري فإننا سنجري مشاورات وكل طرف يأخذ القرار الذي يريد ...".

وهذا الكلام يصدر عن الرئيس بوش وفي هذه الظروف بالذات قد يكون معناه أن رئيس الولايات المتحدة بدأ يرى وفي ضوء الإنتخابات التي خرج منها محققاً فوزاً تاريخياً أنه مادام صدر القرار 1441 عن مجلس الأمن وبالإجماع بما في ذلك موافقة العرب ممثلين بسوريا التي هي من بين الأعضاء غير الدائمين، ما هو أكثر سلامة له هو تأمين الفوز بولاية رئاسية ثانية والعودة إلى سياسة الإحتواء التي تتحقق بالضغوط والمغريات ولا تستوجب الحروب. ومن المؤكد في حال إنحسرت رقعة الخيار الحربي الذي يستهدف المنطقة بدءاً بالعراق، أن تحدث تحولات كثيرة في معظم الدول وبما يترك إنطباعاً بأن التهديد بالحرب على العراق ورفع درجة المشاكسة للدول الحليفة أو الصديقة مثل السعودية ومصر وسوريا ولبنان هما السبب في حدوث هذه التحولات وأنه من الطبيعي ترجمة التحولات إلى مصالح. وعلى هذا الأساس فلماذا الحرب ما دام من الممكن تحقيق المكاسب من دون أي مغامرات أو مخاطر.

كما أن الرئيس بوش سيرى بعد فوز عميرام متسناع بزعامة "حزب العمل" في إسرائيل أن تبدلات جذرية قد تحدث داخل المجتمع الإسرائيلي، بل قد يحدث أن يصبح متسناع هو رئيس الحكومة في حال جاءت الإنتخابات البرلمانية في أواخر يناير المقبل (2003) لمصلحة "حزب العمل" وتنتهي بذلك الحقبة الشارونية التي سيتأكد الإسرائيليون عاجلاً أم آجلاً أنها أضرت وأساءت. وفي حال جاء الفوز من نصيب "حزب العمل" وبات متسناع الذي خاض معركة زعامة الحزب على أساس أنه رمز الاعتدال والحلول الموضوعية هو رئيس الحكومة، فإن ما سبق أن تعهّد

بوش به لولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز في شأن قيام دولة فلسطينية سيصبح ممكن التنفيذ. ومثل هذا الأمر يبدو مستحيلاً إذا حدثت الحرب على العراق لأن الأوراق ستتخلط في هذه الحال ولن يعود من السهل ترتيبها كما يجب على الطاولة.

ونخلص من ذلك إلى أن التكتيك هو سيد الموقف في المرحلة المقبلة . فمن يعتمده ينجو ومن لا يأخذ به سيجد نفسه يجذف في قارب فوق مياه محيط عاصف. والتكتكة التي تشير إليها لا تقتصر على طرف دون آخر بل لعلها باتت أمراً لا بد منه حتى بالنسبة إلى الحكم العراقي الذي أمضى عقدين من الزمن ينبذ فكرة التكتكة على أساس أنها تتعارض مع المبدئية إلى أن بوغت بالعواصف والإعصارات تضعه في الموقع الصعب.

وبعد الآن سنبدو أكثر شغفاً بمتابعة المشهد وكيف ستؤدي الأطراف المعنية الأدوار. ومع التعديل للكلام الحكيم نقول: يا بعض أولي الأمر من المحيط إلى الخليج عليكم بالتكتكة وتكتكوا ما أمكنكم ذلك... فإن المبدئية لا تدوم.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 21 نوفمبر (ت) 2002

وهل في إستطاعة التنين الصيني.. مواجهة الفيل التكتكاسي

لم يبق حاكم عربي لم يوجه الدعوة إلى الدول الأوروبية وبالذات إلى فرنسا لكي تقوم بدورها في ما يتعلق بالصراع العربي - الإسرائيلي والنزاع الفلسطيني - الشاروني. وعندما نتذكر عشرات التصريحات والخطب في المناسبات الرسمية لحكام ومسؤولين عرب نلاحظ تلك الدعوة التي وصلت في بعض الأحيان إلى حد المناشدة التي هي أشبه بالإستغاثة.

ولم يبق حاكم عربي لم يفتح أبواب بلاده على مصراعها أمام الدول الأوروبية لكي تحصل من الإتفاقات والمكاسب الكثير، إنما مقابل أن تقوم هذه الدول بما يمكن أن يجعل المعادلة تستقيم بعض الشيء فلا تستمر الهيمنة الأميركية على ما هي عليه ولا تبقى هذه الهيمنة مجبرة في معظم الأحيان

لمصلحة إسرائيل.

وما حدث مع الدول الأوروبية حدث مع روسيا التي تلقت من الدعوات والمناشدات الكثير.. وبالذات بعدما إستقر الحكم فيها مع الرئيس القوي الحالي فلاديمير بوتين الذي إفترضنا أنه بحكم السن الفتية من جهة وبحكم الإمكانات الهائلة لدى بلاده من جهة ثانية، لا بد سيقدر إستعادة الحضور الذي كان للإتحاد السوفياتي في الشأن الدولي والذي يمكن أن يكون لروسيا بعدما إنتهى ذلك الإتحاد وتحول إلى جمهوريات لا قدرة للواحدة منها منفردة، عدا روسيا، أن تكون رقماً صعباً في حسابات الصراعات والنزاعات الإقليمية والدولية.. هذا فضلاً عن أن الإدارة الأميركية ترتكب من الموبقات السياسية في حق العرب والمسلمين عموماً ما يجعل الأمور على درجة من اليسر أمام روسيا إذا هي قررت القيام بالدور المنشود. ويوم الإثنين الماضي دشّن الرئيس الدكتور بشّار الأسد مرحلة جديدة من توجيه الدعوات حيث أنه وهو يتسلم دعوة من نائب وزير الخارجية الصينية الزائر دعوة رسمية لزيارة الصين قال "إن الصين كدولة دائمة العضوية في مجلس الأمن تنظر إلى القضايا المطروحة في العالم بشكل عادل" متمنياً على قيادتها الجديدة "أن تكون الصين أكثر فاعلية في أداء دورها الخارجي ذلك أن القضايا المطروحة سواء في الشرق الأوسط أو في آسيا لا ينفصل بعضها عن البعض الآخر".

لا ندري ما الذي يمكن أن تكون عليه حال الصين في ظل قيادتها الجديدة التي هي قيادة فتية نسبياً. لكننا بقدر ما نخشى ألا تنتهي المناشدة إليها بمثل ما إنتهت إليه مناشدة معظم الدول العربية للدول الأوروبية وبالذات إلى فرنسا وإلى روسيا.. أي أن تتصرف الصين المتجددة بما لا يجعل "البافلو" الأميركي أو الفيل التكتكاسي، نسبة إلى شعار الحزب الجمهوري في الولايات المتحدة، يغضب من التنين الصيني فإننا بالقدر نفسه نتمنى أن يأخذ زعيم الصين الجديد هوجينتاو في الإعتبار أن العالم في أشد الحاجة إلى قوة دولية ذات إمكانات في موازنة القوة الأميركية، ومن دون أن يعني ذلك أن تُنَاطَح هذه القوة أميركا وإنما تهدى من جنون العظمة المستشري في سلوكها مع الآخرين. وليس أمام الزعيم الجديد للصين المتجددة أي حجة تحوّل دون أن تكون لوحدها أو بالتنسيق مع الجارة روسيا ومع بعض الدول الأوروبية وبالذات

الصعب تكرارها. وغالب الظن أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يفكر ملياً بهذا الدور. وقد تكون زيارته الأولى للصين المتجددة وزعيمها الجديد هو جينتاو التي قام بها قبل أربعة أيام هي من أجل جولة أفق في هذا الشأن. وما علينا سوى الانتظار لمعرفة ما إذا كانت الصين هي عند حسن التعويل عليها وأن التتين الصيني ينوي عدم ترك الفيل التكسائي على جنونه ... ينغص حياة الناس أجمعين.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 12 ديسمبر (ك) 2002

من العرب عدا الكويت إلى أميركا عبر بريطانيا

لولا أن الأقدار شاءت ان يقع يوم الجمعة 21 يناير (كانون الثاني) 1994 حادث سيارة بالقرب من مطار دمشق للرائد باسل الأسد الذي كان في طريقه إلى فرانكفورت ويتسبب الحادث ب وفاة الإبن الأكبر للرئيس حافظ الأسد، لكان الآن الدكتور بشّار الإبن الثاني للرئيس السوري (الراحل) واحداً من أطباء العيون البارزين في سوريا ولكانت عيادته في دمشق مقصد من باتت عيونهم متعبة وتحتاج إلى علاج أو جراحات. ولكن الرحيل المفاجئ للشقيق الذي كان تم تأهيله على يدي والده الرئيس لكي يواصل من بعده أوجبت الترك المفاجئ من جانب بشّار الأسد لكي يقطع فترة التخصص ويعود على وجه السرعة الى دمشق حيث بدأ وعلى يدي الوالد الرئيس مرحلة تخصص من نوع آخر... هي مرحلة التخصص في شؤون الحكم وكيفية صناعة القرار ومتى يكون الحزم ضرورياً ومتى تكون المرونة وسيلة مثالية للغاية المرجوة. وعلى مدى أربع سنوات وجد طبيب العيون العائد إضطراباً من لندن نفسه وقد بات إبن مؤسسة الحكم متخلياً تماماً عن المؤسسة الطبية. بل قد يجوز القول إن هذه السنوات الأربع كانت أصعب مرحلة إنتقالية في حياة إنسان خصوصاً أن التأهيل كان يتم على يدي والد يقاسي وطأة المرض ويريد لبرنامج السياسي ألا يذوي ولتاريخه أن يبقى محفوراً في الذاكرة.

مع نضوب الزيت في السراج على نحو ما يفيد

فرنسا تلك القوة في الكفة المقابلة من الميزان من أجل أن تستقيم الأمور. وفي اليد الصينية عشرات الأوراق والمقومات التي تجعلها تمارس هذا الدور. فهي نووية. وهي لم تصل إلى مشارف الإفلاس كما الحال التي إنتهى إليها الإتحاد السوفياتي. وهي دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن. وهي السوق الإستهلاكية الأهم في العالم التي في إستطاعتها فرض شروطها على كل الشركات الأميركية الباحثة عن التسويق الأفضل لمنتجاتها وبالذات ما يتعلق بالطعام والشراب. وهي بسبب الأوضاع المالية المتدهورة في معظم دول العالم قادرة على أن تكون الدولة التي تغمر أسواق الفقراء والطبقة المتوسطة بكل المستلزمات وبأسعار مخفضة ونوعية لا بأس لها. وهي بعد إستعادة هونغ كونغ لم تعد كثيرة الشكوى من وجود البقعة الليبرالية لها حيث أن هذه الجزيرة باتت إلى جانب "شنغهاي" بمثابة السوق الحرة التي يمكن أن تصول فوقها وتجول، وبهاتين البقعتين لا يعود المواطن الصيني المقتدر يشعر بأن رياح الماركسية هي فقط ما يلفح وجهه في حين أنه يريد أن يشعر بروق النسيم الرأسمالي. وإلى ذلك فإن ورقة العقيدة ما زالت قوية في الصين وما زالت بمثابة سقف البيت ونقطة التماسك للمجتمع الصيني في وجه رياح العولمة.

أما الذي يستوقفنا في إحتمال أن تقوم الصين المتجددة بالدور المطلوب والمرغوب فهو أن زعيمها في التاسعة والخمسين من العمر، الأمر الذي يعني أنه سن الطموح لمن يريدون الخروج من الزعامة التقليدية إلى الزعامة التاريخية، خصوصاً إذا كان الشخص يتزعم بلداً مثل الصين هو بمثابة قارة. وبالنسبة إلى الأحوال السائدة في العالم فإن الدور الذي يؤهل الطموحين للزعامة التاريخية هو ما يتعلق بترويض "البافالو" الأميركي أو الفيل الجمهوري التكسائي، وإستعمال الحزم مع الضبع الإسرائيلي الشارد في الشوارع والبلدات الفلسطينية، ووضع حد لعناد الرئيس جورج بوش الإبن المصّر على وضع اليد على المنطقة العربية بدءاً بالعدوان على العراق.

وليس مقتعاً على الإطلاق أن الصين المتجددة بالتعاون مع أخواتها روسيا الجارة المترددة وفرنسا الشيراكية المترتبة ودول أخرى تشكو مر الشكوى من الأمر الواقع الأميركي ليست قادرة على ممارسة الدور المرغوب والمطلوب الذي أشرنا إليه.

وهذا الدور هو بمثابة الفرصة التاريخية التي من

التشبيه السائر وانتقال الأسد الأب إلى جوار ربه، كان الأسد الابن بات مكتمل التأهيل وكان واضحاً للأوروبيين وللأشقاء العرب وهم يتابعون الزيارات التي يقوم بها بشار الأسد ومن دون أن تكون له صفة رسمية أن هذا الشاب هو من سيحكم سوريا. وفي ضوء نظرتهم هذه وما بات يتردد من معلومات عن صحة الرئيس الأب، بدأ المتابعون يضعون على الورق ملامح سيناريو التعامل الذي سيكون مع هذه القيادة الجديدة. وبين هؤلاء المتابعين كان أهل القرار في بريطانيا، الذين رأوا في تولي الدكتور بشار ما من شأنه تصحيح سوء الفهم الذي ساد العلاقات السورية - البريطانية، وبالأذات اللعبة غير النظيفة التي جعلت الأسد الأب ينفر من بريطانيا ونعني بها إقحام سوريا في عملية تفجير لطائرة ركاب إسرائيلية أراد منها «الموساد» قطع الطريق على أي تقارب ممكن بين سوريا وبريطانيا. والذي زاد من حدة النفور ذلك أن رئيسة الحكومة البريطانية مارغريت ثاتشر لم تبادر إلى تصحيح تلك المكيدة الإسرائيلية، الأمر الذي جعل الرئيس حافظ الأسد يرى أن عدم التصحيح هو بمثابة مشاركة من جانب بريطانيا في تلك المكيدة. ثم توارت الحقبة التاتشرية وجاء جون ميغور إلى الحكم لكن الرجل اكتفى بتطبيع ملحوظ للعلاقات إنما من دون أن يلمس جوهر الحذر السوري.

لكن في الوقت نفسه كانت لدى بعض صانعي القرار البريطاني وقفه تأملية أمام سر إختيار الرئيس حافظ الأسد بريطانيا لكي يتخصص فيها نجله الثاني في طب العيون وكيف أنه إختار بريطانيا ولم يختار على سبيل المثال الإتحاد السوفياتي الدولة الأكثر إرتباطاً على الصعيد الإستراتيجي عسكرياً وسياسياً بنظامه، والتي للأخصائيين في طب العيون فيها باع مشهود له دولياً. وفي إعتقاد البعض من صانعي القرار البريطاني هؤلاء أن الرئيس حافظ الأسد أراد أن يكون له الابن الذي يفهم الإنكليز وكيف بنوا أمبراطوريتهم ويطلع ميدانياً على أصول اللعبة السياسية الدائرة بمهارة تحت ظل التاج للمملكة التي على رغم غياب الشمس عن الجزء الأكبر منها فإنها ما زالت قادرة على ممارسة أدوار في القرار الدولي لا يتفقها أحد غيرها. وما القرار 242 سوى بعض ملامح الدليل على ذلك.

حرب محتملة أميركية ثانية على يدي الرئيس جورج بوش الابن تستهدف العراق ويمثل الحرب التي إستهدفت العراق أيضاً على يدي الرئيس جورج بوش الأب.

ومن خلال التأمل في التحرك الدبلوماسي الذي سبق الزيارة التي بدأت يوم الإثنين 16 ديسمبر الجاري، يستنتج المرء أن هذه الزيارة ما كانت لتتم لو أن الرئيس السوري ليس مطمئناً إلى أنها ستحقق نتائج جيدة. كما أنه قام بها وهو مدرك أن مضيقه طوني بلير يريد من خلالها عدم إستئثار فرنسا ورئيسها جاك شيراك، الذي للغيرة منه مكان رحب في نفسه، بالعلاقة الطيبة مع سوريا والتي تتطور في إستمرار، وكان أبرز مظاهرها أن الرئيس شيراك لم يترك بعد زيارة لبنان عشية إنعقاد القمة الفرنكوفونية وبعد إختتام أعمال القمة المجال أمام التساؤلات المتعلقة بالحالة اللبنانية _ السورية، فقام بزيارة لبضع ساعات إلى دمشق أتبعها بزيارة على شيء من الإفتعال بغرض التموه للاردن. ومن المؤكد أنه لو كان روبن كوك ما زال في موقعه وزيراً للخارجية، والذي هو عملياً من بدأ التمهيد لعلاقة جديدة بين سوريا وبريطانيا، لكانت إمكانية تطوير العلاقة بين البلدين سارت في إيقاع أكثر حيوية مما هي عليه، ذلك أن الرجل أكثر إقتناعاً من الوزير الحالي جاك سترو بأهمية هذه العلاقة، ربما لأنه أكثر إدراكاً من سترو للحساسية الناشئة عن النظرة البريطانية الأميركية التقليدية إلى رعاية الحكم السوري لـ «حزب الله» في لبنان وللمنظمات الفلسطينية الخارجة على طاعة الرئيس ياسر عرفات وسلطته الوطنية والتي تتخذ من دمشق مكاناً لها. وهذان الأمران إضافة إلى الموقف من العراق كانا محور الشق السياسي من المحادثات التي لم تكن سهلة على الإطلاق بين الرئيس بشار الذي يرى أن «حزب الله» يقاوم حسب الأصول من أجل أن يستعيد لبنان أرضاً محتلة وأنه لا يقوم بأي عمليات داخل إسرائيل، أما المكاتب الفلسطينية فإنها لأغراض إعلامية وأن الحل الوحيد لإقفالها في دمشق هو في تأمين عودة الفلسطينيين إلى ديارهم وتمكين الشعب الفلسطيني من أن تكون له دولته وعاصمتها القدس. وعدا ذلك فإن في البال السوري سؤالاً برسم الإنكليز بجور الإقتراض بأن الرئيس بشار طرحه في صيغة أو أخرى وهو: ما دامت مأساة فلسطين والفلسطينيين سببها إنكليزي، أي وعد وزير خارجية بريطانيا أرثر بلفور للصهيونية، فلماذا لا ينهي الجيل البريطاني الحالي هذه المأساة؟ وما دام القرار الدولي لإنهاء الإحتلال الإسرائيلي يوم 5 يونيو (حزيران) 1967 لبعض الأراضي العربية

هو أيضاً إنكليزي، كون واضح القرار هو اللورد كارادون، فلماذا لا يقاتل الجيل البريطاني الحالي من أجل تنفيذ هذا القرار؟

أهم ما في زيارة الرئيس بشار أنها تمت وجاءت في أوقات عصيبة للجانبين السوري والبريطاني، فهي بالنسبة إلى بلير جاءت في وقت تبدو حكومته مرشحة للاهتزاز الذي يؤدي إلى السقوط نتيجة الانقسام الحكومي في موضوع العراق وبسبب الأجواء الناشئة عن فضيحة بطلتها زوجته شيري وباتت تُعرف باسم «شيري غيت». وطوال الأسبوع الذي سبق زيارة الثنائي المترفع (بشار. أسماء) وكيف أن الزوجين السوريين على درجة عالية من المثالية، كانت وسائل الإعلام البريطانية تنشر المزيد عن الثنائي البريطاني بلير شيري الذي ألقى عليه الكثير من الشبهات نصاب أستراليا وصديقه وكيف أن هذين الإثنين أنزلا رئيس الحكومة البريطانية وزوجته من عليائهما إلى حيث باتا مادة رئيسية في صحافة الإثارة والصحافة الرصينة على حد سواء.

كما ان الزيارة جاءت في وقت تستضيف لندن مؤتمر «المعارضة العراقية» وهو أمر إقترضته الصدفة في أي حال. ولكن إنعقاد هذا المؤتمر، في اليوم الذي سبق بدء زيارة الرئيس بشار مسجلاً أنها الزيارة الأولى منذ تأسيس الدولة السورية يقوم بها رئيس سوري إلى بريطانيا، لا يعني أنه لم يضع في محادثاته مع طوني بلير المهوم بتداعيات الفضيحة الطارئة، الكثير من النقاط فوق الحروف في شأن ما سيكون عليه الوضع في المنطقة في حال أن بريطانيا لم تتصح في ما تبقى من أيام العد العكسي للحرب، الإدارة الأميركية بصرف النظر عن الخيار الحربي. وهو لم يترك رؤيته هذه مادة للحديث الشتائي بينه وبين بلير وإنما حرص على أن يقول في مقابلة أجرتها معه صحيفة «التايمس» ونشرتها عشية وصوله إلى لندن ترافقه زوجته أسماء الأخرس، التي تحمل الجنسية البريطانية والتي جاء زواجه منها بعد تعارف معها في لندن «إن الحرب على نظام الرئيس صدام حسين لن تقتصر داخل العراق وأن المنطقة كلها ستدخل في غمار المجهول وستؤدي إلى تدفق اللاجئين وأزمة اقتصادية خانقة وستصبح الأرضية خصبة للإرهاب. نحن نرفض زعم واشنطن أن الرئيس صدام حسين خطر على المنطقة ونرى أننا في وضع أفضل للحكم على هذا لأننا نعيش في المنطقة وليس من المنطقي أن يحدد الآخرون كل شيء ما يشكل خطراً أم لا على المنطقة». وفي هذا الرأي بدا الرئيس بشار كمن

يؤكد قول مندوب بريطانيا لدى مجلس الأمن جيريمي غرينستوك «إن موقف بريطانيا يقوم على عدم وجود أساس في ظل القانون الدولي لتغيير النظام في أي دولة لأن النظام لا يعجبك». وبدا أيضاً كمن يقول لأميركا وللاينكلير من خلال الصحيفة البريطانية الوقورة: أي مؤتمر هذا تستضيفون، وأي تشجيع للعدوان تمارسون، وأي ود مع العرب والمسلمين تريدون. وبدلاً من هذا كله ساعدوا على إيجاد حل للقضية الفلسطينية وضعوا حداً لهذا الإنحياز المعيب لإسرائيل وسترون أن العرب والمسلمين هم أصدقاء للعرب.

إن الرئيس بشار بدا في الشق العراقي من زيارته إلى بريطانيا، وبالذات في قوله في المؤتمر الصحافي الذي عقده بعد محادثاته مع بلير قبل ظهر الإثنين الماضي أول أيام الزيارة «من يبحث عن الحرب كهدف هو مريض نفسياً».. إن الرئيس بشار بدا يمثّل رأي العرب من المحيط إلى الخليج في ما تقعله الإدارة الأميركية والحكومة البريطانية وتدفعهما في هذا الإتجاه الشرير إسرائيل، وذلك لأن فتح المجال أمام إستبدال النظام معناه أن تكون هنالك سابقة ويصبح بموجبها إستبدال الأنظمة بمثل إستبدال قطع الأثاث في المنازل وهذا لا يجوز... إلا إذا تم الأخذ بمبدأ لكل قاعدة إستثناء.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 19 ديسمبر (ك) 2002

* * *

يُصلي للسلام... أم يُصلي المنطقة ناراً حامية؟

إذا كانت أكثرية الأنظمة العربية حريصة على أفضل العلاقات مع الولايات المتحدة وبما يحفظ مصالح هذه الأخيرة، وإذا كانت الأنظمة المتبقية ومعها النظام الثوري الإسلامي في إيران التي لها بعض التحفظ على أسلوب التعامل الأميركي تتطلع ضمناً إلى تصحيح العلاقة مع الولايات المتحدة وتطبيعها على أفضل ما يكون عليه التطبيع... إذا كانت هذه حال الأنظمة العربية فهل يعود من حق الرئيس جورج بوش الابن أن يجافي جوهر الحقيقة ويقول في برلين يوم الخميس 23 مايو 2002 المحطة الأولى من جولته الأوروبية التي شملت روسيا وفرنسا وإيطاليا الكلام الذي سمعناه يقوله. ومما قاله الرئيس

الأميركي: "إن منطقة الشرق الأوسط هي في عداد النزاعات الإقليمية التي تشكّل تهديداً لأمن الولايات المتحدة وأوروبا الأمر الذي يحتم تعاونهما لإنجاز السلام في المنطقة كما وقفنا معا في البلقان وأفغانستان"، مركزاً على العقدة المستعصية وهي الصراع العربي - الإسرائيلي قائلاً في هذا الشأن: "إن السلام في المنطقة يجب أن يضمن الأمان الدائم للشعب اليهودي ولكن أيضاً أن يمنح الفلسطينيين دولة خاصة بهم . ووسط العنف الإرهابي الدائر في الشرق الأوسط يمكن الاعتقاد أن الأمل بسلام دائم بعيد عن التصور، لكن هذا ما حصل مرة بين بولندا والمانيا وبين فرنسا والمانيا، بين البروتستانت والكاثوليك، لكننا بعد أجيال رأينا الأعداء يصبحون شركاء ونصلي لأن يحصل الشيء نفسه في الشرق الأوسط.. "

وفي كلامه هذا بدا الرئيس جورج بوش الابن وكأنما هو حزين لما يحدث في منطقة الشرق الأوسط، وأنه يريد، بصفة كونه رئيس الدولة المهيمنة على الإرادة الدولية، إيجاد حل للوضع القابل في استمرار للانفجار في المنطقة. ولكن الحقيقة هي عكس ذلك، لأن الإدارة الأميركية بدءاً من إدارة السلف غير الصالح ترومان وصولاً إلى الإدارة الحالية، هي السبب في كل هذا الذي يجري ما دامت تغذي الدولة الصهيونية في فلسطين بالمساعدات، وتساندها سياسياً حتى إذا كانت معتدية، وتقف منها موقف المتفهم والمتفرج عندما تمارس الإرهاب والتدمير ضد الشريك الفلسطيني الذي أبرم الإتفاقات معها، وبعض هذه الإتفاقات موحى به للفلسطينيين من جهات داخل الإدارة الأميركية أو إن إبرامها تم على الأرض الأميركية وضمن رعاية رسمية معلنة في وضوح النهار وتحت عدسات مصوري الصحف والفضائيات ومحطات التلفزيون، وليسست خفية وفي عتمة الليالي على نحو ذلك الإتفاق المستهجن والهجين المعروف بـ "إتفاق أوسلو". كما أن الإدارة الأميركية هي السبب ما دامت ترفض أي إدانة دولية لإسرائيل، وترفض إشراك أي أطراف دولية في إيجاد الحل وبالذات إذا كانت هذه الأطراف بعض الدول الأوروبية التي تنظر إلى الصراع العربي - الإسرائيلي بمنظار موضوعي نسبياً. ولنا في جلسات مجلس الأمن و"الفيو" الأميركي الجاهز في استمرار للإنقضاض على أي مشروع قرار فيه شيء من الإنصاف ما يؤكد قولنا هذا، مع الأخذ في الاعتبار أنه لو خرجت الإدارة الأميركية ولو لمرة

واحدة عن نهج الإنحياز المطلق لإسرائيل وعدم إستعمال "الفيو" عند التصويت على قرار إدانة، لكانت قدّمت بذلك خدمة كبيرة لقضية السلام ولكانت أجبرت إسرائيل على أن تسلك الصراط المستقيم فلا تواصل العدوان مطمئنة إلى أن الظاهر تحميه الولايات المتحدة، وتخضع للشرعية الدولية وتحترم الأصول والقوانين والإتفاقات فلا تواصل نهجها الذي يتسم بالإستهتار والإستهانة. ولعلها تسلك هذا النهج لأن إستيلاها في الأصل قبل أكثر من نصف قرن كان نتيجة نهج مماثل للدول الكبرى زمنذاك. وعلى هذا الأساس فلماذا يجب أن تسلك الصراط المستقيم ما دام الذين صنعوها لم يسلكوا هذا الصراط وإرتضوا أن تكون دولة على حساب وطن لشعب من كل أصقاع الأرض على حساب الشعب الفلسطيني الأصل والمقيم .

ونجد أنفسنا نبدي كثير الإستغراب من التعامل الأميركي مع الصراع العربي - الإسرائيلي، وكيف أن الإدارات الأميركية لا تضع إصبعها على الجرح بغرض وقف نزفه كونها صنّفت نفسها بالإكراه والمبايعة الصامتة وليس من خلال التصويت على أنها "أم دول العالم" وأن رئيسها هو "عمدة عموم الدنيا" و"الطبيب المداوي" للعلل الدولية وإنما توسع هذا الجرح إيلاًماً وثمّعن تقطيعاً بشرايين الجسد العربي وأوردته من أجل أن يستمر النزف إلى ما لا نهاية، أو أن هذا "العمدة" هو مثل طبيب لا يخاف الله يقتطع من لحم الجسد العربي لترقيع الجسد الإسرائيلي، ويكسر العظام في الجسد العربي ليأخذ منها ما يقوي العظام المعطوبة في الجسد الإسرائيلي، وينزع الكلى العربية من أجساد الوطن العربي من المحيط إلى الخليج لكي يزرعها محل الكلى المصابة في الجسد الإسرائيلي، ويأخذ الدم العربي بمضخات لعلها تقيد في تقوية تنشيط الدورة الدموية في الجسد الإسرائيلي. ولن نضيف المزيد في هذا الشأن، ذلك أن واحداً من هذه الأمثلة يفى بمشروعية الإستغراب كيف أن "العمدة" الذي نعتيه ليس فقط لا يقوم بما يجب عليه القيام به وإنما يفعل العكس تماماً. ثم نجده بعد ذلك يسجل هذا العكس في برلين التي إستقبلته شرائح من شبانها وشاباتا بغضب لا مثيل له في دنيا الإحتجاجات وظهر هؤلاء في إستقبالهم وفي الإستقبالات اللاحقة التي لقيها الرئيس الأميركي وبالذات الإستقبال الفرنسي وكما لو أنهم ينوبون عن الرأي العام العربي في تسجيل هذا الغضب

حامية. وعن سابق تصميم يصل إلى درجة الإنتقام المبرمج .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 مايو (أيار) 2002

* * *

هل يأمل الأمير عبدالله خيراً من الإدارة الأميركية؟

ما الذي يمكن أن يقال للرئيس جورج بوش الثاني أكثر من الكلام الذي قاله الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي ؟

ومع أن هذا الكلام سيبقى طي الكتمان عملاً بقاعدة سرية المصارحة: وبالذات بين دولتين مثل المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة، فإن بعض الإشارات والإيماءات صدرت عن ولي العهد تؤكد للذين يعرفون ولي العهد عن قرب وطالما سمعوا أحاديثه في مجلسه وسمعوا أحاديث الخلاء له أمثال الشيخ الحكيم عبدالعزيز التويجري، تؤكد أمراً أساسياً وهو أن الأمير عبدالله ذهب ليضع على طاولة التحدث مع بوش الابن، الذي لم يسبق له التعرف إليه، كل ما في خاطر العربي من تساؤلات، وكل ما في الصدر العربي من غضب على السياسة التي تنتهجها الإدارة الأميركية، وكل ما في بال القيادة السعودية من عتب على الدولة الصديقة الولايات المتحدة التي لا تريد إدارتها أن تتفهم ولا تريد أن تستوعب وترفض النصيحة تلو النصيحة و التحذير تلو الآخر، عن عدم دراية بخصوصية العلاقة السعودية - الأميركية أو عن سابق تصميم على تأديب العرب لأنهم المسلمون، والمسلم هو كتصنيف في القاموس الأميركي "إرهابي" حتى إذا كان فتى أو صبية من فلسطين يقوم كل منهما بعملية إستشهادية من أجل إقناع المحتل الإسرائيلي بالإنسحاب، وترك الشعب الفلسطيني الذي إرتضى صيغة "فلسطين الصغرى" و"إسرائيل الكبرى" يحاول بناء دولة تعوّض الأجيال ذل نصف قرن كان عنوانه الرئيسي من جانب بريطانيا ثم من جانب أميركا أن إسرائيل هي الشرطي اللعين الذي ينبو عن الدولتين في الإبقاء على الفلسطينيين مشردين وعلى العرب مهمومين.

قبل أن يقوم ولي العهد السعودي بالزيارة كانت له

على هذا التجاهل الأميركي المتعمد للحقيقة وهذا التكاذب الذي بات جزءاً من النهج الأميركي في التعامل وهذه الكراهية لكل ما هو عربي ومسلم التي تتأصل في نفوس الإدارة الأميركية، أو نقادياً منا للتعميم نقول أنها تتأصل في نفوس بعض المتصهينين في تلك الإدارة.

ولعل أكثر مظاهر التجاهل والتكاذب هو قول الرئيس بوش الابن الذي أوردناه في أسطر سابقة وجاء فيه أنه يصلي من أجل أن يحدث وفاق في منطقة الشرق الأوسط. ومع تقديرنا لكل الذين يؤدون واجب الصلاة ومنهم الرئيس بوش الابن، إلا أننا نرى أن الغرق كبير بين الذي يصلي ولا يملك السلطة خصوصاً إذا كانت هذه السلطة بمثل التي يملكها الرئيس جورج بوش الابن، وبين الذي يصلي ولا حول له ولا قوة وأنه يُكثر من الصلاة لأنه عاجز عن أن يفعل شيئاً وليس أمامه سوى أن يسأل الله عز وجل أن يعينه على بلواه ويخفف من وطأة المصيبة التي داهمته أو المأزق المعقد الذي لا قدرة له على إيجاد الحل له. والرئيس بوش الابن يملك السلطة الأولى في العالم ومن أجل ذلك فإن ما يتمناه الجميع في المنطقة العربية منه هو أن يقرن الصلاة بممارسة واجبه كراع نزيه للعملية السلمية وأن يضع إدارته في موضع المحايدة في الصراع العربي - الإسرائيلي وبأن يستدير على كل الالاعيب التي مضت. وكخطوة لأبد منها يتمنى المرء عليه أن يشرك الدول التي زارها وبالذات روسيا وفرنسا، كونهما من الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن، في العمل على إستتباط الحل الذي يُرضي الفلسطينيين مادام الحل سيحقق لهم دولتهم بقدها، ويُرضي سوريا ولبنان مادام الحل سيُنهي كليا الإحتلال الإسرائيلي لجولان الأولى وما تبقي من أرض لبنانية تحت الإحتلال، وما دام سيُطمئن الإسرائيليين إلى وجودهم نتيجة أن لا عُنف بعد الآن من جانبهم تقابله عمليات إستشهادية رداً على هذا العنف.

في حال فعل الرئيس جورج بوش الابن ذلك يصبح الوثوق العربي بكلامه وارداً، وتتحسر مخاوفه من العراق في حال أزيل الحصار عن هذا البلد، ولا يعود قلقه من النظام الثوري في إيران مبرراً في حال تجاوب مع الرغبة الإيرانية الدفينة في الحوار بهدف التطبيع. أما إذا كانت الحال ستستمر على ما هي عليه فهذا معناه أن الأمور إلى أسوأ وأن الرئيس بوش الابن يصلي لفظاً، لكنه ضمناً يضلي المنطقة والعالم ناراً

مواقف بدا فيها الرجل قلقاً مما آلت إليه الأمور من جانب الإدارة الأميركية للعدوان الشاروني على الشعب الفلسطيني كانت تنعكس على المملكة وذلك على أساس أن العلاقة السعودية - الأميركية من الوثوق بحيث في استطاعة القيادة السعودية أن تضغط على الإدارة الأميركية في الحد الأقصى من أجل أن تُعدل خط سيرها، وفي الحد الأدنى تتخذ القيادة السعودية وقفة مع الصديق الأميركي تكون أكثر من تنبيه بعدما لم يُصغَ طوال بضعة أشهر إلى تنبيهاتها، وأقل من قطيعة .. أي تكون إذا جاز القول حالة جفاء يتأمل فيها كل طرف في واقع الحال ويتخذ من الخطوات ما يراه ضرورياً في ضوء التأمل . ومن كلام للأمير عبدالله في دمشق، إلى كلام آخر له في القمة الخليجية في مسقط، إلى كلام طالما سمعته رواد مجلسه الأسبوعي، إلى رسالة في منتهى الصراحة بعث بها إلى الرئيس جورج بوش الابن، إلى عدم الرد على دعوة تلقاها من الرئيس الأميركي لزيارة واشنطن الأمر الذي فسر في حينه بأنه لا رفض ولا قبول ... من هذا كله إكتملت في خاطر الأمير عبدالله فكرة أن يهز العقل الأميركي ومعه العقول الأوروبية والإسرائيلية فضلاً عن السكون العربي المحير والذي بدا كما لو أنه إستسلام للإحباط، وذلك من خلال رؤية أرادها أن تكون لغزاً، ومن هنا جاءت حكاية أنه وضعها في "درج" مكتبه بعدما لاحظ إستشراء العدوان الإسرائيلي ومن دون أن تقوم الإدارة الأميركية بالواجب الذي تمليه عليها صفة التفرد في رعاية العملية السلمية. ثم تنوعت التطورات وتحولت الرؤية إلى مبادرة تبنتها القمة العربية الدورية الثانية بالإجماع في بيروت يومي 27 و 28 مارس الماضي. وساعد على توافر هذا الإجماع أن بداية مصالحة سعودية - عراقية وبداية مصافحة عراقية - كويتية حدثتا في المؤتمر وعلى مرأى من الجميع. وكان في بال الأمير عبدالله والقادة العرب، الذين رحبوا بتفاوت بالمبادرة، أن هذه الخطوة قد تحمل أربيل شارون على وقف العدوان، لكن هذا اللعين إزداد شراسة خصوصاً بعدما لمس أن لا أحد من العرب يرحب بإقتراحاته والتي كان من بينها أن يشارك في القمة أو أن يزوره الأمير عبدالله في القدس على نحو زيارة الرئيس الراحل أنور السادات لمناheim بيغن وهي إقتراحات من نوع ذلك الاقتراح اللاحق والداعي إلى إقامة دولة فلسطينية في قطاع غزة وسيناء، الأمر الذي حمل وزير خارجية مصر على

وصف هذا الاقتراح بأنه كلام حشاشين. وإزاء إستشراء العدوان الشاروني الذي وصل إلى حد إحكام الحصار على الرئيس ياسر عرفات وتدمير مؤسسات السلطة الوطنية قبل أن يبدأ الإنقراض على مخيم جنين وتحذث المجزرة التي لا تحسم الأمم المتحدة أمرها في ما يخص الإصرار على أن تبدأ لجنة تقصي الحقائق "مهمتها ... إزاء ذلك قرر الأمير عبدالله وفي ضوء فشل ذريع للمهمة التي قام بها وزير الخارجية الأميركية كولن باول وإجتماع معه أرادته أن يتم في مزرعة الأمير في الدار البيضاء وليس في الرياض وذلك كإشارة من إشاراته، أن تتم زيارته العالق تنفيذها إلى الولايات المتحدة وأن يصادف عقد المحادثات في مزرعة الرئيس بوش الابن في تكساس وليس في البيت الأبيض في واشنطن، وهي نقطة لمصلحة الأمير عبدالله في أي حال وذلك على أساس أن ذاك البيت هو المكان الذي منه أدار بوش الابن الحرب على "الإرهاب المسلم" ومنه صدرت المواقف المثيرة للإستغراب وأكثرها خطورة وعلى سبيل المثال لا الحصر "إن العدوان الشاروني هو للدفاع عن النفس فضلاً عن أن جيوباً متصهينة كثيرة تعشش مثل العنكبوت داخل ذاك البيت الذي لم يحدث من قبل وفي عهد رئاسات سابقة أن كان بهذا الحقد على العرب والمسلمين، ولا كان بهذه الإستهانة بهم والإحراج يسببه للدول التي ربطتها بالولايات المتحدة علاقات على شيء من التوازن أو علاقات بدافع الإضطراب الذي يفضي إلى الندم.

نفترض أن ولي العهد السعودي عندما زار الرئيس بوش الابن وقدم لمضيفه "ألبوم" صور مجزرة مخيم جنين إضافة إلى صور أخرى تعكس حجم العدوان الإسرائيلي المبرر أميركياً، إنما أراد القول ما معناه: هذا ما جنته أياديكم، وهذا ما لا يستطيع عربي ومسلم أن يتحملة وهذا ما نفترض أنكم على أهبة تصحيحه. فهل سيصحح بوش الابن، أم أن الأمر خارج عن إرادته وعن قدراته وعن رغبته بالتصحيح ؟ وفي حال أنه سيصحح داحضاً كل الإنطباعات عن إدارته بأنها أسيرة المتصهينين الذين يشغلون أهم المفاصل في البيت الأبيض نفسه وفي وزارة الدفاع وفي الخارجية وفي الأجهزة الأمنية، فإن الزيارة المقبلة للأمير عبدالله إلى واشنطن ستكون زيارة خالية من الشوائب الأميركية وعندها سنجد أن الهدية التي سيقدمها للرئيس الأميركي لن تكون "ألبوم صور مجزرة

شارونية بموافقة أميركية وإنما ستكون هدية ملوكية وربما ستكون سيفاً عربياً مرصعاً بالجواهر وبضعة جياذ وأفراس عربية أصيلة تسرح وتمرح في مزرعة الرئيس وتذكره في إستمرار بأن العرب قوم طيبون إذا أحسن الأجنيبي التعامل معهم فلا إستهانة ولا أضاليل. وتبقى الإشارة إلى أنه لم يحدث في تاريخ التعامل العربي مع الإدارات الأميركية أن طلبت أي دولة عربية من واحدة من هذه الإدارات أي طلب ولقي الترحيب الحار والتنفيذ الفوري سوى طلب القمة العربية الإستثنائية في القاهرة يوم 9 أغسطس 1990 إرسال قوات أميركية إلى المنطقة لإستعادة الكويت التي كانت القوات العراقية إجتاحتها يوم 2 أغسطس 1990، وفي المقابل فإن أي طلب تطلبه إسرائيل يكون دائماً موضع القبول به بما في ذلك إستعمال "الفيثو" ضد أي شكوى عربية.

فهل إن الأمور ستتبدل وتتخذ الإدارة الأميركية ما طلبه منها الأمير عبدالله بن عبد العزيز، أم أن هذه الإدارة لا تتحمل من يطلب منها أن تكون عادلة ونزيهة وتعرف أصول الصداقة والتعامل مع الآخرين ... أو بالتعبير الشعبي الشائع : كله ... إلاّ ده!

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 مايو (أيار) 2002

الكلام الأميركي... هذا إذا قيل

لو كان الرئيس الأميركي جورج بوش الابن يريد أن يكون منصفاً، أو على الأقل يعتمد المنطق والإنصاف من باب الاختبار لوجب عليه القول لرئيس الحكومة الإسرائيلية أرييل شارون عندما إستقبله يوم الإثنين الماضي في البيت الأبيض وخصه بالإقامة ضيفاً متميزاً في هذا البيت: لقد فعلنا من أجلك ما لم نفعله مع حليف أو صديق. طلبت منا فسحة من الوقت على أساس أنك قادر على إنهاء "الإزعاج" الفلسطيني وذلك بتصفية السلطة الوطنية والمناضلين وتحقيق الأمن المنشود في نظرك للإسرائيليين. وأعطيناك بدل المئة يوم التي طلبتها مئة يوم إضافية مع أنك خدعنا وجعلت موقفنا أمام العالم بالغ السوء. ولكنك في المئة الإضافية لم تفعل سوى أنك جعلت موقفنا البالغ السوء أصلاً مدعاة للتهكم غير المنظور علينا وكيف أننا نساير الخارجين على الشرعية متمثلة في حكومتك

وإجراءاتك، وبلغ التلاعب من جانبك بموقفنا حد أنك ليس فقط لم تحسم شيئاً وإنما أمعنت في الأبرياء قتلاً وإغتيالاً، وجعلت من حرق الأرض وتدمير المنازل وقطع الأشجار هوية شريرة، وكنت كلما تعطل مخططك إزددت إنتقاماً وخروجاً على الأصول. ووصلت بك الحال إلى أنك قطعك أرزاق الناس وعممت حالات من الحصار لم يفعلها محتل من قبل، وإختطلت الأمور بحيث بات كل فلسطيني في نظرك إرهابياً حتى إذا كان هذا الفلسطيني طفلاً لم تتمكن والدته من وضعه في المستشفى وإضطرت لإستبدال المستشفى بالولادة على حاجز إسمنتي يحيط به جنودكم المدججون بالسلاح الذين لم تعلموهم أصول التخاطب مع الناس وبالذات عندما تكون هنالك حالات إنسانية.

لم يقتصر الأمر على ذلك أيها الصديق الحليف أرييل، بل إنكم قتلتم جرحى، وحلتم دون نقل آخرين بسيارات الإسعاف، وإقتحمت عيادات ومستشفيات. وفي كل مرة يزداد عنادكم كنا نجد أنفسنا محرجين. من جهة لا نريد إدانتكم ومن جهة أخرى لا بد من كلام يقال للرأي العام العالمي الذي نشعر أنه يشير إلينا بأصابع اليد الخمسة قائلاً: هؤلاء هم السبب. إنهم السبب في كل هذا الجنون الشاروني. صحيح أنهم لا يقرّون أفعاله ضمناً لكنهم بصمتهم أحياناً وبالتصرّيات أحياناً كانوا مقتنعين بأننا بالفعل السبب في هذا الجنون الشاروني. وكنا بدل صدور إدانة لكم وإنذارات تصدر عن إدارتنا وتكون حاسمة لعلكم تهتدون إلى سواء السبيل. نقول الكلام الذي لا يقتنع به أحد.

ووصلت الحال بنا إلى حد أننا بتنا نردد الحجج التي تقولونها جزافاً ومن بينها إسطوانة إتهام ياسر عرفات بأنه المسؤول، مع أننا نعرف ونعرفون ويعرف العالم أن المسؤول عن كل هذا الذي يحدث هو أنتم وليس عرفات. فالرجل رئيس إنما لدولة لا تساعد على قيامها، ومن كانت هذه حاله ما الذي سيقوله للذين يتصدون لكم بالحجارة أحياناً. وبالعمليات الإستشهادية أحياناً أخرى؟ ألم يخطر في بالك أن كل فلسطيني سيقول له. ولقد قاله الكثيرون، بأنك قبل أن تلقي القبض على هذا المناضل أو ذاك، وتمنع الشبان وغيرهم من التخطيط لأعمال تجعل الإحتلال والمحتلين يبتعدون وتحمل المستوطنين على ترك مناطق ليست لهم، لماذا لا تعلن قيام الدولة وعاصمتها

القدس وعلى نحو ما هو متفق عليه، بموجب قرارات صادرة عن مجلس الأمن فضلاً عن إتفاقات أمكن التوصل إليها برعاية منا أو من الأوروبيين؟

لقد فعلتم يا صديقنا شارون كل ما يمكن فعله. دمرتم. قتلتم. حاصرتم. جرفتكم. ألحقتم كثير الأذى والإذلال بالناس وبمن في ذلك رجال الأمن الفلسطيني. وفعلتم ذلك من أجل تهجير الناس وبذلك تضعون اليد على كل فلسطين. ولكن الفلسطينيين تمسكوا بالأرض وشاهدناهم يقيمون في خيم نصبوها فوق بيوت جرى تدميرها. كذلك شاهدناهم يزدادون إصراراً على البقاء وعلى الإستشهاد. وإستوقفنا منظر الآباء يتباهون بأبناء إستشهدوا في عمليات ومنظر الأمهات يطلقن الزغاريد. كما إستوقفنا أن شابات في ريعان الصبا و متقات نفذن عمليات إستشهادية.

وإذا كنتم بدافع غطرسة القوي فعلتم ذلك، فمن الواجب عليكم التفهم بأنه لولا الساعد الأميركي والمساعدة المتعددة الأشكال من جانبنا لكم والإطمئنان إلى أننا لن نسمح بإدانة تصدر عن مجلس الأمن لكم، وأن يد مندوبنا في المجلس جاهزة تماماً للإرتفاع دلالة على الإعتراض واستعمال "الفيتو" عند التصويت على أي مشروع قرار حتى إذا كانت الإدانة التي يطالب بها خفيفة الوطأة... إنه لولا هذه المساعدة وذاك الساعد لما كان في إستطاعتكم أن تفعلوا شيئاً وكان جنودكم سيخشون تصويب بنادقهم نحو الفلسطينيين.

ثم ألم تستوقفكم استهجانات العالم لحربكم غير الشجاعة وكيف أنكم استعملتم الدبابات والمدركات على أنواعها والطائرات التي زودناكم بها والزوارق الحربية ضد شعب أعزل نسبياً؟ لقد سمعت من جنرالات الجيش الأميركي تقييماً لا يشرف حربكم هذه، ولا يقر على الإطلاق ما فعلتموه، وهو إستعمال الجيش في مواجهة أفراد. ولا نخفيك أننا نشعر بالخجل من سكوتنا على حصارك الأهوج للفلسطينيين وبالذات حصارك للرئيس ياسر عرفات.

أننا نتفهم مخاوفكم، ونخص بالتفهم ما يتعلق بظاهرة الأجساد البشرية المفخخة التي تتفجر وسط المطاعم أو الملاهي أو الأسواق التجارية أو داخل "الباصات". ولكن هذه الظاهرة لم تحدث قبل لجوئكم أنتم بالذات أيها الصديق أرييل إلى عنف غير مسبوق. وفي إجتماعاتنا نتصارع قائلين أنكم السبب وأن العنف الفلسطيني هو رد الفعل وليس الفعل، أما الفعل فهو أنتم. وإذا كنا خارج الاجتماعات نقول العكس فلأن

إدانة واحدة من جانبنا لأفعالكم ستظهرنا أمام العالم كيف أننا كنا على خطأ وستظهركم أنتم بمظهر المعتدي الذي يستحق أقصى العقوبات وأقصاها.

والآن أيها الصديق شارون لا بد من وقفة موضوعية معك خلاصتها إننا أعطيناك من الإهتمام ومن الوقت ومن المساعدات ومن الصمت ما لم يحصل عليه حليف وصديق من قبل أو سيحصل عليه من بعد. وبعدما باتت مصداقية الولايات المتحدة على المحك، من المهم أن تأخذ في الإعتبار أن مصلحة أميركا هي أن تغير أو تتغير. إذا ماذا سنستفيد إذا نحن ربنا صديقاً وحليفاً يمثل مواصفاتك وخطئك وخسرنا العرب والمسلمين... وإحترام العالم لنا.

في حال أراد الرئيس بوش الابن أن يكون منصفاً أو يعتمد المنطق والإنصاف، ولو من باب الإختبار، وأبلغ شارون هذا الكلام الذي أوردناه، فإن التسوية تتحقق في منطقة الشرق الأوسط ولن يعود بالتالي هنالك جنازات يومية في الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وسيجد الرئيس الأميركي أن العنف سينحسر.

ها هي الصيغة المتجددة للحكومة الفلسطينية التي تم الإعلان عنها قبل خمسة أيام تشجع على أن يعيد الرئيس بوش النظر ويتذكر أي منطق حكيم عرض فيه ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ومن بعده الرئيس حسني مبارك واقع الحال عندما زاره كل منهما. ولقد كان الإثنان في رؤيتهما حريصين على أن تكون الإدارة الأميركية هي الملاذ الوحيد العادل ويكون الدور الأميركي في المنطقة هو الدور الذي يرتاح له الجميع... أو على نحو ما إبتكره وزير الخارجية السودانية مصطفى عثمان من ترصيف عندما إعتبر أن هذا الدور هو نوع من "التدخل الحميد". لكن لا أمل يرتجى على ما يبدو. وهذا الشعور من جانبنا يستند إلى حفاوة الرئيس بوش بصديقه وحليفه شارون وكيف أنه بدا في صور اللقاء مبتهجا أشد الإبتهاج، كما أنه إستبق شارون في إطلاق أحكام على الإصلاح الفلسطيني الأمني والسياسي الجيد نسبياً الذي قام به عرفات... وبطلب من الإدارة الأميركية ما غيرها.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 13 يونيو 2002

* * *

"زلات العقل" بعد "زلات اللسان" ... والضربة التي لا يريد لها العالم

بعد إتساع نطاق إعتراضات معظم قادة الدول الأوروبية المفترض أنهم من الحلفاء التقليديين للإدارة الأمريكية السابقة والأسبق والحالية على مخطط الرئيس جورج بوش الابن لضرب العراق هاهم بعض الجنرالات المخضرمين وبعض رموز المؤسسات الأمنية والسياسية في الإدارة الأسبق يسجلون بدورهم التحفظات والإعتراضات على ما تخطط له الإدارة الحالية المسكونة بهواجس الحرب. ومن هؤلاء لورنس ايغلبيرغ الذي شغل منصب وزير الخارجية في عهد جورج بوش الأب والجنرال نورمان شوارزكوف القائد العسكري لعملية "عاصفة الصحراء" عام 1991 ضد العراق ضمن التحالف الدولي الذي قاده الرئيس جورج بوش الأب. وكان سبق هذا الجنرال في تسجيل التحفظات وإبداء المخاوف الجنرال المتقاعد برينت سكركرافت مستشار الأمن القومي للرئيسين السابقين جيرالد فورد وجورج بوش الأب.

خلاصة هذه التحفظات والإعتراضات هي:

- إنه لا يوجد من الدلائل ما يكفي لربط الرئيس العراقي بالإرهاب أبداً فيكيف يربطه بأحداث 11 سبتمبر الماضي في كل من نيويورك وواشنطن.
- إن المسألة ليست بأن الرئيس صدام حسين لا يشكّل تهديداً للولايات المتحدة ومصالحها في الشرق الأوسط. وهو فعلاً كذلك، بل إن الأمر يتعلق في البحث عن أفضل الطرق لتحقيق توازن في التعامل مع العراق يضمن عدم إلحاق إضرار كبيرة بالقوات والمصالح الأمريكية.
- إن إعلان الحرب على العراق سيؤدي إلى نتائج مدمرة للغاية ليس أقلها تقويض الحملة العالمية ضد الإرهاب.

- إن هذه المعركة "لن تكون سهلة" هذا ما يقوله شوارزكوف الذي يضيف: "أعتقد أننا سنتمكن منهم ولكن المعركة ستكون مضمونة النتائج أكثر إذا لم يكن علينا أن نخوضها منفردين. إن هذه المشكلة ذات أبعاد عالمية ولا أعتقد أنه من المناسب أن نواجهها عسكرياً وحدنا. ومن الأفضل أن نحصل على مساندة."
- "لامبرر لهذه المعركة" على نحو ما يقول ايغلبيرغ الذي يضيف: "... إلا إذا أثبت الرئيس (أي

بوش) للجميع أن الرئيس صدام حسين مستعد لهجمات نووية وبيولوجية أو كيميائية...".

بالإضافة إلى إعتراضات وتحفظات بعض رموز الشأن العسكري والسياسي الأمريكي، هنالك ظاهرة توجّد موقف الكنائس المسيحية الثلاث من موضوع الحرب. وإذا نحن تأملنا في المشهد الكنسي وقرأنا ما بين السطور تصريحات قادة هذه الكنائس من رئيس الكنيسة الكاثوليكية متمثلة في شخص البابا يوحنا بولس الثاني، إلى رئيس الكنيسة البروتستانتية التي هي عملياً ومن خلال أسقف كانتربري الجديد روان وليامز في بريطانيا المرجعية للبروتستانت في العالم بمن في ذلك بروتستانت الولايات المتحدة، إلى رئيس الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا البطريرك الكسي الذي هو الآخر بشكل ما يجوز إعتباره المرجعية للمسيحيين الأرثوذكس في العالم... إذا نحن تأملنا في مواقف أهل القمة المسيحية الروحية لوجدنا أن لا أحد من هؤلاء مع ضرب العراق. ولكل من هؤلاء الأسباب الموجبة لرفض مبدأ الضربة من بينها أن إدارة الرئيس بوش لم تعرض القرائن التي على أساسها تهيه نفسها لتوجيه الضربة، بالإضافة إلى شعور لدى هؤلاء بأن الضربة إليها تبدو وكما لو أنها وليدة مخطط تأمري يستهدف على المدى البعيد إحداث وقعة تاريخية بين المسيحية والإسلام وأن الصهيونية هي وراء هذا المخطط، معتمدة في تنفيذه على بعض أهل الإدارة الأميركية الذين يتطلعون من وراء مساهمتهم للصهيونية إلى مكاسب سياسية ومالية من دون أن يستوقفهم حجم المخاطر على صعيد صيغة التعايش المسيحي - الإسلامي من جهة والتعايش بين الأديان السماوية من جهة أخرى، وخصوصاً في المرحلة التي بدأت مع انحسار العقيدة الفكرية السياسية التي طالما تصدت لهذه الأديان ونعني بها العقيدة الماركسية، التي إهترت كمفهوم وكأنظمة معتقة لهذه العقيدة في أوروبا وبعض دول العالم الثالث إضافة إلى الجمهوريات التي قبل أن يتأثر ما كان يعرف بـ "الاتحاد السوفياتي" كانت تعتمد تلك العقيدة كنهج حكم مع أنها في جناحيها الإسلامي والمسيحي تضم شعوباً قريبة من الله ومن الرسل أكثر من القرب الذي لدى دول علمانية كثيرة في العالم .

وهكذا نرى أن مثل هذا الرفض غير المسبوق والذي لم يحدث في العام 1991 عندما قاد

الرئيس جورج بوش الأب التحالف الدولي وقام بالحرب على العراق، من شأنه أن يشكّل إلى جانب حيثيات أخرى إنطباعاً بأن حرب الرئيس بوش الابن على العراق ليست بذلك الأمر اليسير، هذا إضافة إلى الظاهرة اللافتة في العالم العربي، والتي تشكّل في حد ذاتها ما يجوز إعتباره ردعاً لصقور الإدارة الأميركية ونصيحة إليهم كي يوقفوا سنّ مخالبهم ومناقيرهم على أمل أن تتوفر الظروف والمعطيات التي تجعلهم ينقضون في لحظة غياب للبصيرة والتعقل على العراق ويمعنون قصفاً وضرباً وتدميراً، مؤيدين بهذه الخطوة غير المسؤولة والتي لا موجب لها من دولة واحدة هي إسرائيل ومن رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير وذلك على رغم كل المواقف التي تحتج والتي شملت إلى جانب رئيس الكنيسة البروتستانتية بعض السياسيين والإعلاميين الذين يمثلون كل الأحزاب البريطانية. وما هذه الحملات الأميركية الافتراضية على المملكة العربية السعودية وما رافق هذه الحملات من مشاعر الكراهية والحسد والطمع سوى إحدى الإشارات إلى أن نوايا إدارة الرئيس بوش الابن ليست طيبة على الإطلاق، وأن هنالك من يوغر صدره ويوهمه بأن الطريق إلى تامين غطاء دولي وعربي لتنفيذ الضربة للعراق يمر من خلال وضع المملكة أمام الأمر الواقع. وفي اعتقاد هؤلاء الذين يوغرون الصدر وينشرون الأوهام أنه متى تأمنت مباركة العرب الأصدقاء للضربة فإن التنفيذ لا يعود صعباً وبحيث يصبح في استطاعة إدارة بوش هكذا يرى زارعو الفتنة والأوهام، القول إنه مادام العرب الأصدقاء مع هذه الضربة ومع ما نراه حلاً للمنطقة فلماذا يا أنتم الحلفاء الدوليون لاتتفوقون إلى جانب الخيار الأمريكي. ومن هذه الزاوية ننظر إلى الردح الذي باتت تتقنه كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي التي تتلفظ بين الحين والآخر كلاماً في منتهى السوء وقلة التقدير للعواقب مع أنها لو تمعنّت في كلام الجنرال المتقاعد بريئت سكروكروفت الذي سبق أن كان مستشار الأمن القومي في عهد الرئيس جورج بوش الأب والد سيدها الغارق في الأوهام الرئيس جورج بوش الابن لكانت أوقفت نعيقها المتواصل ومشاركتها في معزوفة الحرب على العراق إلى جانب أعضاء آخرين في الفرقة السيمفونية الحربية، خصوصاً أن سكروكروفت يتحدث

من موقع من عاش تجربة مهمة فضلاً عن أنه بات في العمر الذي يوجب عليه قول كلمة الحق التي يراد بها الحق ولاشيء غير الحق، ويسدي النصيحة التي ترد الأذى والإيذاء للولايات المتحدة وللآخرين. ومايراه هذا الجنرال المتقاعد إلى جانب زميله المتقاعد الآخر شوارزكوف، وعلى نحو ما أوردنا في مطلع هذا المقال، هو التروي ثم التروي ثم التروي . فهل من عليه التروي سيتروى أم أنه بات أسير لعبة العدوان الشريرة التي لا قدرة له على الفكك منها؟.

ولن يتيسر الجواب إلا بعد أن نسمع منه الكلام الذي يرى أن صراخه من أجل الحرب على العراق كان من جملة زلات العقل التي هي من فصيلة زلات اللسان" التي تميزت بها إدارة رئيس علّقنا عليه الآمال الكثيرة فإذا بإدارته هذه، أو تحديداً بما داخل سراديبها من ثعالب وذناب تُخيب تلك الآمال وتوجب على الأمة وبالذات على أصدقاء الولايات المتحدة البدء بالتقييم الذي يقود إلى إعادة النظر... أو في الحد الأدنى تعديل المسار قليلاً.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 22 أغسطس (آب) 2002

نحن وأميركا ضد الإرهاب ... إنما!

يحرص سفراء أميركا في الدول العربية وبالذات السفير في مصر ديفيد وولش على القول في كل مناسبة إن الجانبين الأمريكي والعربي هما ضد الإرهاب . وعلى هذا الأساس - هكذا ينطق السفراء - فإن العلاقة إستراتيجية إلى أبعد الحدود.

لا خلاف في شأن الوقوف ضد الإرهاب. ولا نظن أن هنالك عربياً ومسلماً يمكن أن يؤيد الإرهاب أو يبدي حماسة له. وكيف سيفعل ذلك إذا كان الدين نبياً ومصحفاً وحديثاً وممارسات لا ينهي فقط عن الفحشاء والمنكر والبغي وإنما عن الإرهاب وقتل النفس التي خلقها الله.

الخلاف بيننا كعرب ومسلمين وبين الإدارة الأميركية وسفرائها. وبالذات السفير في القاهرة ديفيد وولش. هو حول مفهوم الإرهاب وحول تصنيف الإرهابي وحول تقييم الظروف التي تستوجب الأخذ بما يعتبرونه إرهاباً ونرى فيه أسلوباً من أساليب النضال، ذلك أننا كعرب نرى أن بذرة الإرهاب زرعها المجتمع

الدولي عندما إنتزع من الفلسطينيين وطنهم ثم قدّمه على طبق إنكليزي من تصميم اللورد بلفور إلى الصهاينة.

ونحن نرى أن الإدارة الأميركية أخذت بعد ذلك على عاتقها أمر رعاية هذه البذرة وأغدقت عليها المال والسلاح

والمواقف السياسية وأخيرها وليس آخرها إستعمال سلاح الفيتو الذي هو في نظرنا من أسلحة الدمار المعنوي الشامل ضد مشروع قرار يدين إسرائيل لقتلها أشخاصاً تابعين للأمم المتحدة ومن بينهم بريطاني. وعندما تقدمت سوريا بمشروع قرار الإدانة، وأُرجت بذلك بريطانيا التي صوتت إلى جانب المشروع، فإن الإدارة الأميركية ومعها الحكومة الإسرائيلية جُن جنونهما ليس فقط لأنه جعل بريطانيا غير قادرة على مسايرة أميركا في ذلك وإنما لأن هذا التقاطع في الموقف الأميركي - البريطاني - الإسرائيلي من شأنه إيجاد موقف متقاطع من موضوع الحرب على العراق، وهذا ما يأمل العرب والمسلمون وكل شريف في العالم أن كي لا تقع الواقعة وتبدأ الحرب التي لا نعتقد أنها لن تقتصر فقط على تدمير مقومات الحكم في العراق البلد العربي الذي هو الرقم الصعب في المعادله الإقليمية وفي العملية السلمية، وإنما ستحوّل المنطقة. ساحات من الحروب الأهلية الشي لن تنفع فيها تمنيات العم سام ونصائحه ، وكيف ستنتفع ما دامت هذه التمنيات غير مخلصّة على الإطلاق ومستندة إلى قاعدة الشر والعدوان ونهب الثروات، تماماً على نحو ما كان يفعل القراصنة في البحار أيام لم تكن هنالك الشرعيات والقوانين التي تجيز أو لا تجيز.

وفي تقديرنا إن هذا الخلاف في النظرة بيننا وبين الإدارات الأميركية، وبالذات إدارتها الحالية التي إمتلأت بعض مفاصلها الرئيسية بالمتصهينين، لن يجد الحل التوافقي ما دامت هذه الإدارة تقف إلى جانب إسرائيل وتغفر لها كل خطاياها وتتخذ في المقابل موقفاً بالغ الخشونة من الفلسطينيين وإبداء التفهم للممارسات الشارونية، علماً بأن مطلب هؤلاء وممارساتهم توجب في الحد الأدنى إنزال عقوبة دولية في حقهم، فضلاً عن أن تتبني الإدارة الأميركية للمطالب الشارونية ومن بينها تغيير القيادة الفلسطينية وتحميل هذه القيادة مسؤولية كل خلل أمني يحدث أو عملية إستشهادية تقع، هو نوع من المخالفة الدستورية

للأصول المتعارف عليها، لأن الرئيس الفلسطيني معترف به من كافة دول العالم ويتم إستقباله في بعض هذه الدول كرئيس دولة. وإلى ذلك فإن مطالبة طرف هو في حالة نزاع مع طرف ثان بتغيير قيادة هذا الأخير لا يجيز من حيث المبدأ والأصول وأخلاقية التعامل لدول أخرى، وبالذات إذا كانت الدولة الأكبر شأناً في العالم الآن، تتبنى بالكامل موقف من يطالب مهما كانت العلاقة قوية بهذا الطرف. ذلك أن هذه الدولة، ونعني بها أميركا، تفقد في هذه الحال هيبتها وتصبح في نظر الجميع وكما لو أنها بمثابة عربة في قطار تابعة لدولة صغرى وهي هنا إسرائيل. واللافت للإنتباه أن الإدارة الأميركية لم تكف بتبني المطالب الشارونية ومنها مطلب تغيير القيادة الفلسطينية، وإنما بدأت تردد المفردات نفسها الصادرة عن مسؤولين في الدولة العبرية، وبذلك تأكدت الظاهرة المستجدة التي توحى بأن الدولة الأكبر شأناً في العالم تتعامل مع إسرائيل على أنها الصدى لها. ولذا إهتزت المفاهيم لدى الإدارة الأميركية ونشأ عن ذلك تخطيط أبعد الإحترام عن نفوس الناس لأميركا. والمؤسف أنها إما غافلة عن ذلك وتلك مصيبة وإما أنها تعرف ما تقوم به وهنا المصيبة أعظم.

يطول الحديث في هذا الشأن. ولكن ما يمكن قوله ونحن نتوقف أمام كلام السفير الأميركي لدى مصر هو أن لا أحد يأخذ على محمل الجد قوله إن الجانبين الأميركي والعربي هما ضد الإرهاب... الخ، ما دامت الإدارة الأميركية لا تأخذ في الإعتبار أمراً أساسياً وهو أن أي عربي أو مسلم، عدا إستثناءات بعضها رسمي وبعضها الآخر شعبي ليس على إستعداد نفسي للأخذ بأسلوب تعاملها مع العرب والمسلمين.. وهو تعامل يفتقد إلى المنطق وإحترام الذات، ولا أحد على إستعداد أيضاً أن يتبنى مفهومها للإرهاب. ومثل هذا الأمر سيبقى على حاله إلى أن تستدير أميركا إدارة ورأياً عاماً وتعتبر بأن ما يحدث من جانب بعض العرب والمسلمين من أعمال تأخذ طابع العنف إنما تحدث بعدما ضاقت الصدور بالغضب بعد العتب، وأن مثل هذه الأعمال ستتوقف تلقائياً بمجرد أن تقرر الإدارة الأميركية بأن الحكم عدل وليس هيمنة ولا إحتيازاً وأن من يعدل يلقي الإلتفاف المخلص من الناس حوله بدل الإلتفاف عليه.

ويا مستر ديفيد وولش وسائر سفراء أميركا في منطقتنا العربية وفي كل بلد مسلم جربوا ولو مرة واحدة

أن تنقلوا إلى حكومتكم حقيقة مشاعر الناس في الدول العربية والإسلامية. وقولوا في تقاريركم إلى الحكومة رأي الناس في ما ينوي الرئيس بوش الابن إقترافه في حق العراق ودول أخرى جارة للعراق أو تقع في المحيط العربي والإسلامي. وقولوا أيضاً في تقاريركم كيف أن الناس تعتبر الإستشهادي بطلاً. وأضيفوا إلى ذلك التوقعات ومن بينها أن سنتين أخريين من واقع الحال الراهن سيجعل الإستشهاديين بالأمم المتحدة. وإذا أنتم فعلتم ذلك تُرضون الله وضميركم وتخدمون بلدكم. أما تصريحاتكم حول الإرهاب والإيحاء بأن موقف أميركا وموقف العرب والمسلمين موحد ضد الإرهاب فإنه من نوع الكلام الذي لا يحقق طمأنينة ولا يغني عن حدوث المزيد من العنف الدموي الذي تعتبرونه إرهاباً وينظر إليه الناس ومن بينهم شعب مصر على أنه نضال مشروع.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 يناير (كانون الثاني) 2003

كي لا يذهب أولو

الأمر إلى الحج... والناس راجعة

هذه الظروف التي تعيشها المنطقة تحتاج إلى خطوة تكون بمثابة إطلاق صفارات الإنذار في لحظات إختراق أجواء دولة ما من جانب طائرات معادية، أو إطلاق هذه الصفارات إستباقاً لإنفجار كبير يمكن أن يحدث ومن شأن الإنذار المبكر درء الخطر عن مئات الأرواح. ولا نعني بالخطوة تجييش الجيوش وإعلان النفير والإستعداد لمواجهة من يريد حرباً في المنطقة أو غزواً لها، وإنما على الأقل إتخاذ موقف موحد من المخطط الشرير الذي يريدون تنفيذه في بلادنا. وحتى الآن هنالك مواقف متناثرة بعضها ثنائي وبعضها الآخر سداسي. وحتى داخل الإجتماعات الموسعة نسبياً هنالك تعددية في الآراء وكأنما الخطر له حسنة بقدر ما إن له سيئات.

ونجد أنفسنا نتساءل: هل من الجائز أن يكون موقف الغريب أمثال موقف فرنسا والمانيا واليونان أكثر حزمًا من موقف الذين يستهدفهم الخطر في أرواح شعوبهم وثرواتهم؟ وهل هذا التحرك الذي يحدث والتصريحات التي يدلي بها هذا المسؤول أو ذاك وهذه

الزيارات التشاورية الخاطفة هي كل ما في الإستطاعة القيام به؟

ونحن عندما نطلق هذه التساؤلات لا نطالب بالمستحيل من الخطوات وإنما بالمتيسر الذي له صفة الواجب. ومن هذه الخطوات عقد قمة عربية إستثنائية تجدد الإلتزام بإحترام قرارات الشرعية شرط تطبيقها بكل أمانة وفي معزل عن الهيمنة والضغط، وفي الوقت نفسه إعتبار الحرب حالة غزو وعدوان لا مبرر لهما والتعامل معهما على أساس أنهما غزو وعدوان على كل دول عربية.

وما يلفت الإنتباه هو أن التفكير بالمؤتمرات الإستثنائية ينطلق من إعتبار المؤتمر ضرورة عاجلة، إلا أن التعامل في شأنه لا يكون في مستوى النظرة نفسها، ذلك أنه من غير المعقول أن المؤتمر إستثنائي لكنه ينعقد بعد أكثر من أسبوع ويحدث ذلك في وقت تتسارع التطورات وبحيث يكون هنالك أكثر من تطور مثير في اليوم الواحد.

ومن جملة الأفكار التي تم طرحتها في شأن التشاور لمناقشة الوضع الخطير واحدة رأت أن تكون القمة العربية الدورية الثالثة المقرر إنعقادها في المنامة يوم 24 مارس هي القمة الإستثنائية على أن يتم تقديم الموعد... وهي أكثر الأفكار موضوعية لعدة إعتبارات من بينها أن الإنعقاد ضروري بحيث يسبق الحرب المقررة على العراق كمرحلة أولى وأن لا مشكلة في ترتيبات الإنعقاد لأن البحرين التي إستضافت في الماضي القمة الخليجية جاهدة تمام الجهوزية لإستضافة قمة أوسع. وإلى ذلك فإنه لا شيء يمنع تحويل العادي إلى إستثنائي عند الضرورة، وما نعيشه من تطورات يؤكد أن الضرورة قصوى إلى أبعد الحدود. بل لعلها من المصادفات الطيبة بينما ضجيج الحرب على المنطقة وما يمكن أن ينشأ عنها من نتائج مصيرية يزداد خدشاً للكبرياء القومي، أن هنالك قمة عادية من المقرر إنعقادها بعد أقل من شهرين وأن كل ما يمكن حدوثه بدل الإنشغال بالتفكير في إجتماع طارئ للقادة العرب للتداول في الأمر هو إعتبار قمة المنامة العادية إستثنائية والشروع على الفور في صياغة الموقف الموحد الذي ستخرج به، وبما من شأنه أن يهدى من روع الرئيس الأميركي الذي سيضع هو وشريكه البريطاني العالم على حافة مرحلة مضطربة قد تتحول الضربة للعراق، خصوصاً إذا كانت ماحقة وجرى فيها إستعمال أسلحة التدمير

الشامل، إلى حروب أهلية إقليمية .. وإلى حرب عالمية
ثالثة في أوروبا طرفاها أوروبا المعذمة الخارجة من
العصر السوفيياتي المنقرض وبمساعدة أميركا، ضد
أوروبا المزدهرة أي أوروبا الغربية المعترضة إلى درجة
التمرد على الجنون الأميركي.

بعد الكثير من التشاور والاتصالات الشاقة تم
التفاهم على أن تبقى القمة العربية الدورية الثالثة قمة
عادية على أن يكون الإستثناء متعلقاً بمكان الإنعقاد
وتاريخه وبحيث تتعقد في مقر الأمانة العامة للجامعة
العربية في القاهرة وقبل ثلاثة أسابيع من الموعد
المقرر أصلاً للإنعقاد وهو يوم 24 مارس وأن يكون
ملك البحرين هو من يترأس القمة. كذلك تم التفاهم
على إنعقاد مؤتمر إستثنائي لوزراء الخارجية بدعوة
من لبنان في القاهرة أيضاً منتصف فبراير. وهذه
التخريجة لإنعقاد القمة تثير الدهشة ذلك أنه كان
من الأفضل أن يبقى الإنعقاد على حاله لأن قمة
عربية إستثنائية تتعقد في المنامة هي قمة لها
معناها ومغزاها، حيث أنها تتعقد في عاصمة
القيادة الأميركية للحرب في حال حدوثها، وفي
العاصمة التي تجاور قطر حيث التمرکز الأميركي
في قاعدة "العديد"، وهي بذلك ستكون منعقدة على
أرض صديقة للولايات المتحدة مثلها مثل المؤتمر
الدبلوماسي السداسي في إسطنبول الذي لا تقوت
أي لبیب الملاحظة بأنه ما كان لينعقد لولا الإيحاء
الأميركي في الحد الأقصى بضرورة إنعقاده،
والتسليم من جانب إدارة الرئيس بوش الابن وكذلك
من جنرالات المؤسسة العسكرية الأتاتوركية
باعتداله وتحميل النظام في العراق الجزء الأكبر
من المسؤولية. ومثل هذا الإنعقاد للقمة العربية في
المنامة سيساعد ولا شك في ترويض "البافالو"
الأميركي فيؤجل الحرب بضعة أشهر أو يطوي
صفحتها إلى الأبد. وفي الحالتين سيكون الأمر
جيداً، إذ أنه سينقذ المنطقة من شر حرب قد لا
تنتهي في حال بدأت.

يبقى أيضاً أننا ونحن نعيد التأكيد على ضرورة
أن يكون التحرك العربي سريع الإيقاع نخشى أن
ينطبق علينا في حال تبين أن هذا التباطؤ في لقاء
القادة العرب، وكثرة الأخذ والرد في شأن عدم تقديم
موعد القمة العربية الدورية الثالثة الحرص على
التقيد بحرفية طقوس القمة العادية كي لا تتأثر
الترتيبات ومواعيد أولي الأمر ثم نفاجأ وبعدما

تكون الحرب بدأت، وعدم وجود ضرورة قصوى
للقمة الإستثنائية ما دامت هنالك قمة عادية
مقررة... نخشى أن تسبقنا التطورات والمفاجآت ولا
تعود القمة العادية أو الإستثنائية تفيد.. وبذلك
ينطبق علينا المثل المتداول بكل اللهجات العربية
وهو: رايعين للحج والناس راجعة.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 يناير (كانون الثاني) 2003

العالم على كف مجموعة "إرهاب الحرب"

شهدت بعض العواصم في العالم خلال شهرين من
أواخر العام 1990 ومطلع العام 1991 بعض
التظاهرات التي تتدد بالحرب التي قادها الرئيس
الأسبق جورج بوش ضد العراق على أمل ألا تحدث
الحرب ويتم التفاهم بالتي هي أحسن مع النظام في
العراق للإنسحاب من الدولة الجارة التي إجتاحتها قواته
معتبرة إياها فرعاً من الأصل. ولكن تلك التظاهرات لم
تكن بالقوة والتنوع والإتساع والشمولية على نحو ما
هي عليه هذه التظاهرات التي بدأت منذ شهرين وما
تزال تتواصل.

وفي تظاهرات الماضي لم يشارك الرأي العام
الأميركي على نحو ما يشارك هذه الأيام . ويقال
الشيء نفسه عن الرأي العام الأوروبي. أما الرأي العام
العربي فكان يعيش حالة من المعاناة . فهو محرج لأن
العراق إحتل الكويت وهذا ما كان يجب عدم حدوثه،
وهو في الوقت نفسه متألم لأن الحرب الدولية على
العراق ستحذف لزمان طويل البلد كرقم صعب من
المعادلة، كما أنه في الوقت نفسه ملتحق لأن قوات من
دول عربية شاركت في الحرب وبذلك بات الدم العربي
يرسم الإراقة من سلاح جندي عربي وبأوامر يتلقاها
في النهاية من قائد أميركي أو بريطاني.

ما هو جدير بالإهتمام أن تظاهرات الحاضر
مؤشر إلى أن الحرب مبعوضة وأن درهم حوار يبقى
أفضل من قنطار صواريخ لوضع الأمور في نصابها.
وما هو لافت للإنتباه أن مواقف بعض الأطراف
الدولية تدين الخيار الحربي بقوة ، كما أن إستطلاعات
الرأي تصب كلها ضد الحرب، ومن أبرز هذه المواقف
والإستطلاعات موقف الفاتيكان الذي عبّرت عنه
الناطقة بإسم المرجعية الكاثوليكية في العالم التي قالت

في مقال مطول: "إن التبريرات الأميركية لشن الحرب متناقضة في أغلب الأحيان، ويستطيع المرء أن يتنبأ بزعة استقرار الشرق الأوسط بأسره لأن الجماهير الإسلامية الأكثر تسييساً والتي تكن بالفعل كرهاً عميقاً للغرب ستري فيها حرباً على الإسلام وعلى البلدان العربية والإسلامية وأن النفط هو الدافع الخفي لهذه الحرب. غير أن أخطر عواقب شن حرب على العراق سيتمثل في موجة إرهاب تتدلع ضد الولايات المتحدة وضد البلدان الغربية المتحالفة.

أما على صعيد إستطلاعات الرأي فإن أحدثها في فرنسا أظهر أن ثلاثة من بين كل أربعة من الفرنسيين يريدون أن تستخدم الحكومة الفرنسية حق النقض (الفيتو) الذي تتمتع به في مجلس الأمن لمنع حدوث الحرب.

وتبقى التظاهرات التي تشهدها المدن الأميركية هي الأكثر لفتاً للإنتباه، ذلك أن المتظاهرين بالألوف وتكاد لا تجد ولاية لا تحدث فيها تظاهرة. والعنوان العريض لمناهضة الرأي العام الأميركي للحرب هو عدم وجود منطق في الأمر، فضلاً عن أن الحرب ستأخذ من طريق الإهتمامات الحكومية في المجالات المعيشية، أو على حد قول طوني ميرفي المتحدث بإسم جمعية "العمل الآن لوقف الحرب والقضاء على العنصرية" والإسم الرمزي لها هو "أنسر" والتي لها 220 فرعاً موزعة على 45 ولاية وعملت على تنظيم تظاهرة الربع مليون شخص التي شهدتها قبل أيام واشنطن ووصلت طلائعها إلى مشارف البيت الأبيض "إن الغالبية الكبرى من الشعب الأميركي لا تريد الحرب. إن الأميركيين يفضلون موازنات للتربية والحاجات الإجتماعية وليس لأسلحة الدمار الشامل...". وما يقوله المتحدث بإسم هذه الجمعية نقوله جين كار المتحدث بإسم منظمة "بيس أكشين" التي تضم 85 ألف عضو. ومما قالت: "إن الهدف من التظاهرات التي نقوم بها ضد الحرب هو أن نظهر للذين يريدون الحرب أن من سيموت هم كالعادة أطفال ونساء وشيوخ...".

ما يمكن سرده كأمثلة عن الرفض الشعبي الدولي للحرب كثير، كما أنه يأخذ أشكالاً متعددة من بينها أن المئات في المدن الأميركية يضعون سياراتهم بتصرف المتظاهرين لكي تتولى نقلهم إلى مكان إنطلاق التظاهرة. كما أن الألوف تبرعوا من مالهم الخاص لنشر وبث إعلانات في الصحف ومحطات التلفزيون

تتاهض الحرب. وهناك حوالى ستين جامعة أميركية نقلت يوم الأحد الماضي طلابها إلى واشنطن للمشاركة في تظاهرة الربع مليون ضد الحرب.

نستخلص من ذلك أن الحرب المستحبة من مجموعة صغيرة داخل الإدارة الأميركية تواقه إلى رؤية الدم والخراب في العراق كمرحلة أولى ثم في بقية المنطقة، مغموضة من الرأي العام الأميركي والأوروبي وبقية شعوب العالم. وهذه التظاهرات التي تحدثت والتي تزداد إتساعاً يوماً بعد آخر وستبقى تتسع حتى ما قبل ساعة الصفر وبدء الحرب هي رسالة مفادها أن بضعة أشخاص يمارسون "إرهاب الحرب" على العالم الذي يريد أن يعيش حياة هادئة والذي يعكر صفوه أولئك الأشخاص الذين قد يحرقون العالم على النحو الذي أحرق به نيرون المدينة الجميلة روما. ولا يستبعد المرء أن تبث الفضائيات منتصف الشهر المقبل صوراً للأشخاص الشريرين الذين نشير إليهم ثمثلهم يضحكون مستمتعين بأن التدمير والقتل على أشدهما في منطقة الخليج، ومن دون أن يتأكدوا مما إذا كان ذلك شاملاً... أي بما معناه إن دماء المعتدين تروي الرمال التي ترونها أيضاً دماء المعتدى عليهم.

ألا بُسَ من لا يتقي الله ومن لا يرى أن يد الله هي الأقوى، ومن لا يؤمن بأن رأس الحكمة هي مخافة الله... وليس شن الحروب ودون وجه حق.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 23 يناير (كانون الثاني) 2003

لحظة صحوه في مواجهة "ساعة الغفلة"

لإنقاذ العرب والعالم من صراع المعاندين

في الوقت الذي يتزايد التشكيك في وجود قدرات نووية لدى العراق وتصدر التشكيكات عن مراجع سياسية وعلمية تتسم بالجدية والموضوعية، تواصل الإدارة الأميركية إفتعال المعلومات التي تعطي الحرب المقررة أصلاً على العراق بعض الشرعية... والنتيجة أن لا أحد يأخذ هذه المعلومات على محمل الجد. ومن جملة المعلومات المفتعلة أن الرئيس صدام يقيم علاقات منذ زمن طويل مع أسامة بن لادن. كما أن من بين التلميحات في شأن نوعية الحرب احتمال ضرب العراق بأسلحة نووية، أي بالسلح نفسه الذي

تدعي الإدارة الأميركية بأن العراق يمتلكه وأن الحرب عليه هي بسبب ملكيته لهذا السلاح .

من الواضح أن كل هذه الأساليب سببها أن الولايات المتحدة باتت تشعر بالفعل أنها في عزلة. ولا يحتاج المرء للكثير من الشواهد التي تؤكد ذلك.. ويكفي على سبيل المثال لا الحصر أن الأصدقاء والحلفاء العرب والمسلمين ليسوا مع النهج الذي تسلكه الإدارة الأميركية، كما أن الدول الشريكة للولايات المتحدة في الحلف الأطلسي وقفت ضد هذا المنهج معتمدة في موقفها مفردات كثيرة الوضوح، وهي نقيض المفردات الخجولة التي إتسم بها الآخرون وبالذات أولئك الذين إجتمعوا في إسطنبول.

ومن نتائج الشعور بالعزلة كانت تصريحات دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي، وأحد أكثر الكواسر في إدارة الرئيس بوش توقفاً للحرب، وقوله ما معناه إنه إذا كانت فرنسا والمانيا لن تسيرا في الركاب الأميركي فهناك أوروبا الجديدة جاهزة لكي تحل محل أوروبا القديمة ، وهي نظرة عززها وزير الخارجية كولن باول بقوله إن هنالك 12 دولة أوروبية تقف إلى جانب أميركا ومستعدة لخوض الحرب معها. وقضده من ذلك أن هذه الدول هي مجموعة دول أوروبية كانت أيام الإتحاد السوفياتي في حلف فرسوفيا وباتت بعد سقوط ذلك الإتحاد أجراماً تدور في الفلك الأميركي ومن السهل إصطيادها وبأبخس الأسعار.

وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك ومستشار المانيا جيرهارد شرودر كانا أصدرتا يوم الأربعاء 22 يناير الجاري (2003) عقب الاجتماع الأول الذي عقده في قصر "الإليزية" في باريس لحكومة البلدين في الذكرى الأربعين لمعاهدة الصداقة التي وقّعها (الراحلان) الجنرال شارل ديغول والمستشار كونراد أديناور ، "إعلاناً مشتركاً" هو الأول من نوعه أكد فيه أن البلدين سيلتزمان إتخاذ مواقف مشتركة في المحافل الدولية ولاسيما في مجلس الأمن وتحديد إستراتيجيات حيال الدول الأخرى من طريق التنسيق وخصوصاً في إطار السياسة الخارجية والأمنية المشتركة..."، تم عقد الزعيمين الفرنسي والألماني مؤتمراً صحافياً عقب توقيع الإعلان أوضح فيه المزيد في هذا الشأن. وقد أعلن الإثنان أن الحرب "هي الخيار الأسوأ" وألحا إلى تشكيلهما "جبهة موحدة " للتوصل إلى تسوية سلمية لنزع أسلحة الدمار الشامل العراقية على رغم تباعد موقفيهما عن شركائهما

الأوروبيين ولاسيما منهم البريطانيون والإسبانيون. وبعد هذا الإعلان والإضافات التوضيحية جاء قول وزير الخارجية كولن باول إن القوات المسلحة الأميركية لا تنوي إدارة العراق لفترة أطول مما هو ضروري لضمان وجود شكل مناسب من الحكم يتسلم السلطة من قوة الإحتلال العسكري، معتبراً أن حقول النفط العراقية ستكون أمانة لدى المحتلين الأميركيين وستتم المحافظة عليها وتشغيلها لمصلحة الشعب العراقي، وجاء قول رامسفيلد في اليوم التالي متمثلاً في جواب عن سؤال وجهه أحد الصحفيين: "إن موقف فرنسا والمانيا يمثل مشكلة ولكن أنظر إلى الأعداد الكبيرة من الدول الأخرى في أوروبا. إنها ليست مع فرنسا والمانيا في هذا لكنها مع الولايات المتحدة. إنك ترى أوروبا على أنها المانيا وفرنسا لكنني لا أرى ذلك وأعتقد أن تلك هي أوروبا القديمة . وإذا كنت تنظر إلى حلف شمالي الأطلسي وأوروبا ككل اليوم فإن مركز الجاذبية إنتقل إلى الشرق، فهناك الكثير من الأعضاء الجدد...". وواضح من كلام رامسفيلد أن الإدارة الأميركية تعمل على "تلغيم" أوروبا بهدف إعادة صياغتها بما يحقق الأمركة ، ولكن ذلك ليس بالأمر السهل خصوصاً أن كلام رامسفيلد أشعل الرأي العام الفرنسي والألماني والأوروبي غير المتأمرك بعد غضباً من العنجهية الأميركية.

من المؤسف أن العد العكسي يتواصل في إتجاه ساعة الصفر المحددة لبدء الحرب على رغم إتساع رقعة الإعتراض داخل أميركا نفسها. ومن أبرز المعارضين السناتور جون كيري أحد الديمقراطيين الطامحين للرئاسة عام 2004 الذي إتهم بوش بإعتقاد سياسة أحادية الجانب مطلقة العنان الأمر الذي يشكل خطراً للولايات المتحدة حيث أننا بهذه السياسة نتخلى عن حلفائنا وأصدقائنا ونزيد أعداءنا تشدداً ونبت نزعاً معاداة أميركا في العالم ...".

وهناك تأكيدات بأن هذه الحرب ستبدأ في الوقت الذي يكون حجاج بيت الله الحرام على أهبة إنجاز الفريضة والعودة إلى ديارهم. وعلى رغم أن أحد الحكام العرب، الأكثر إطلاعا على مخططات الإدارة الأميركية والذي يحظى بكامل الثقة منها، يرى أنه قد فات الأوان لحل دبلوماسي للأزمة وأن إدارة الرئيس بوش ماضية إلى النهاية في موضوع الحرب على رغم التقرير المتعقل والمتوازن لرمزي التفيتش الدولي عن أسلحة الدمار الشامل في العراق هانس بليكس ومحمد

البرادعي، وأيضاً على رغم الإعتراض العربي والإسلامي والدولي... على رغم ذلك يرى المرء أنه مثلما هنالك ساعة غفلة تدفع بالإنسان حاكماً أو محكوماً إلى إرتكاب إثم أو معصية فإن هنالك لحظة صحوة تحدث فجأة وتقول لمن هو على أهبة إرتكاب المعصية أو الإثم: تذكر يا إنسان أنك من التراب وإلى التراب تعود، وأنت ستلتقي ولا ريب في ذلك وتحت التراب مع الذين ستأمر أنك الحربية بحصد أرواحهم ودون وجه حق.

وما يتطلع إليه العاقلون داخل أميركا وخارجها، وفي ما تبقى من أيام العد العكسي، هو أن تتراجع ساعة الغفلة من أمام الرئيس بوش والكواسر الذين يرمون بتقلهم عليه وتتقدم "لحظة الصحوة" وبذلك يتأكد هذا الرئيس الذي بيده إنقاذ العالم من حرب التدمير الشامل أن لا أحد يريد لهذه الحرب أن تحدث، وأنه في إسقاط الخيار الحربي تصبح كل الأمور قابلة للحل وتصبح الأرواح سليمة... أرواح الذين سيعتدون وأرواح الذين سيعتدى عليهم.

فهل ستحدث المعجزة ويتأكد الرئيس بوش بأن العرب وشعوب العالم هم كتلة واحدة في مواجهة حرب التدمير الشامل التي يريدها ولو إعترض الآخرون كل الآخرين... وكرهوا وتظاهروا.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 يناير (كانون الثاني) 2003

* * *

يا ساكني البيت الأبيض و 10 دوانغ

ستريت: خذوا كلمة الحق من حكيم

القارة الأفريقية

أدخل الزعيم الأفريقي نلسون مانديلا الذي هو أمثلة في التواضع والموضوعية والتضحية في الحكم والتعقل، تفسيراً جديداً لإستهانة الرئيس جورج بوش الابن بالأمم المتحدة وعدم نزع هذه المنظمة الدولية تعالج أمر العراق وفلسطين في إطار الشرعية والقرارات التي تعطي كل ذي حق حقه وتتجي العالم من شر الحروب. ويتلخص هذا التفسير على نحو ما جاء في كلمة أمام "المنتدى النسائي العالمي" الذي بدأ أعماله في جوهانسبورغ يوم 30 يناير/كانون الثاني

ألقاها مانديلا الذي إحتفل قبل أسابيع بعيد ميلاده الرابع والثمانين في أن الإستهانة بالمنظمة الدولية سببها أن الأمين العام الآن هو رجل أسود. وهو قال ذلك بصيغة التساؤل مضيقاً على سبيل الشرح ما يأتي: "إن بوش يتحرك خارج إطار الأمم المتحدة. وهذا طوني بلير في صدد إضعاف الأمم المتحدة التي هي في الواقع فكرة وجدت كل الدعم من أسلافها لتري النور. فهل يحدث هذا لأن الأمين العام للمنظمة الآن هو رجل أسود. إنهما لم يفعلا ذلك أبداً عندما كان من يشغل منصب الأمين العام من البيض".

ولم يكتف مانديلا بهذا التساؤل وإنما أضاف إليه الآتي: "في حال عدم إحترام العراق قرارات الأمم المتحدة وتوصياتها فإنني سأساند الأمم المتحدة إلى النهاية، ولكن ما أدينه من دون تحفظات هو أن ثمة قوة عظمى لا يستطيع رئيسها (يقصد بوش) التفكير بشكل سليم ويريد إغراق العالم في محرقة. لماذا تتصرف الولايات المتحدة بهذه العنجهية. إن بحوزة أصدقائهم وإسرائيل أسلحة دمار شامل ولكن لأنهم حلفاؤهم فإنهم لم يطلبوا من الأمم المتحدة أن تجردهم من هذه الأسلحة...".

وتعزيراً لوجهة نظره هذه عاد مانديلا بالذاكرة إلى قيام الأميركيان بإلقاء قنبلتين نوويتين على مدينتي "هيروشيما" و "ناكازاكي" خلال الحرب العالمية الثانية مضيقاً القول: "من هم الآن هؤلاء الذين يدعون أنهم شرطيو العالم؟ ألم يقرروا قتل أناس أبرياء في اليابان لا يزالون يعانون من الأمر حتى الآن. فإذا كانت ثمة دولة إرتكبت فظاعات لا توصف فهي الولايات المتحدة. إنهم لا يبالون بالإنسان ومن واجب الشعب الأميركي القيام بتظاهرات إحتجاجاً على سياسات بوش. أما طوني بلير فإنه لم يعد رئيس الوزراء البريطاني وإنما بات وزير خارجية الولايات المتحدة...".

لو أن قائل هذا الكلام كان مسؤولاً عراقياً، أو كان إلى حد ما مسؤولاً كورياً شمالياً... وهذه الأطراف الثلاثة هي الأكثر نقداً لأميركا وتهشيماً لفظياً لسياساتها، لجاز إعتبار ذلك نوعاً من التراشق الإعلامي رداً على النوايا الأميركية غير الطيبة. ولو كان قائل الكلام أحد الـ "بن لاديني" الهوى لجاز فهم مرامي القائل التي هي مساندة لفظية لأسامة بن لادن الذي لا تعثر عليه مخابرات الجبار الأميركي الذي يهدد على مدار الأربع والعشرين ساعة بالحرب وما

سيفعله بالعراق من ويل وثبور وعظائم الأمور، أو أنها لا تريد العثور عليه على رغم التعاون المخابراتي العربي والدولي معها. ولكن القائل هو الرجل الذي خبرَ تماماً، داخل السجن حوالى ربع قرن وخارج السجن ربع قرن مماثل، ما الذي فعله الأبيض المفترى بالأسود صاحب الحق والأرض والثروة وفي إدارة شؤونه بنفسه، وهو على رغم ذلك لم يحقد على الغرب ونأى عن كراهيته وإستمر حافظاً الود والإمتنان لكن الذين وقفوا ضد حُكم الأقلية البيضاء العنصريين لجنوب أفريقيا.. ومن هؤلاء أميركا التي إنقلبت بعد ذلك على نفسها فبدأت تساند كل حكومة عنصرية وتتبنى الباطل الإسرائيلي مبدية التفهم لكل الممارسات العدوانية ضد الشعب الفلسطيني الذي حاله مثل حال السود مع البيض في جنوب أفريقيا قَبْل أن ينتصر الحق ويزهق الباطل الذي كان زهوقاً. كما أن مانديلا أبدى خلال زيارات رسمية متميزة قام بها إلى دول الغرب وخصوصاً زيارة قام بها إلى الولايات المتحدة وأخرى إلى بريطانيا الكثير من مشاعر الود مرفقة بالنصح الذي أراد منه القول ما معناه إن الأقلية الثالثة يجب أن تكون للتعايش المثالي بين المقتدرين وبين المستضعفين، وبأن تساعد الدول الكبرى على إستكشاف ثرواتها وتنميتها ونقلها من التخلف إلى التقدم وتخفيف وطأة الأمراض عن شعوبها وبحيث لا يعود هنالك موجب للقول إن هنالك شعوباً مريضة وجائعة تعيش على أرض في بطونها ثروات تحتاج إلى من يكتشفها.

وبموازاة هذه الخصال المحموده للزعيم الأفريقي الذي يخطو بوقار نحو التسعين ومن دون تضييع ساعة من وقته لا يعمل فيها من أجل أعمال الخير وبالذات للأطفال، فإن مانديلا سجل أمثلة بالغة الأهمية وهي أن الحكم المثالي ليس بممارسة السلطة والسعي إليها على حساب القيم والمثل وأرواح الناس، وإنما هو ذلك الذي يأتي إلى الشخص المناسب في الزمن الصعب وليس إلى الشخص الصعب المراس وفي الزمن غير المناسب. كما أن أهمية الحكم ليست في جنون العظمة وإنما في العدل الذي هو أساس الملك وأن رأس الحكمة مخافة الله وأن الموت الحقيقي هو موت الحاكم الذي يعمل لدنياه بمقتضى سلاح السلطة فيندثر إسمه بوفاته بينما الذي يعيش أبداً هو ذلك الإنسان، وبالذات من هم في موقع السلطة، الذي يعمل لآخرته. وكل هذه الإضاءات والعبر يحفل بها والحمد لله تاريخنا كعرب..

لكن أكثر ما يدعو إلى الإستغراب هو ما يعكسه القول المأثور للإمام علي "ما أكثر العبر وأقل الإعتبار". وكأننا بالذي طالما سمعنا مانديلا يقوله بما في ذلك كلامه الجديد وليس الأخير عن الرئيس بوش الابن وما يفعله وعن رئيس الحكومة البريطانية طوني بلير وما يقترفه وتصنيفه له بأنه بات وزير خارجية إدارة بوش وليس رئيس وزراء المملكة المتحدة المطلوب منها الإكثار من إسداء النصح للإدارة الأميركية بدل نفخ الحقد في نفسها، وعن كوفي أنان الذي يلقي من الإستهانة والإهانة من جانب معسكر بوش- بلير لأنه أسود اللون ما لا يطاق... وكأننا في ملاحظته اللونية هذه يبعث بإشارة من طرف خفي إلى وزير خارجية أميركا كولن باول وإلى زميلته في الإدارة البوشية ومثيلته في اللون فحواها: إتعظا فإن المناصب لا تدوم. ولا يبقى في النهاية إلا العمل الصالح الناشئ عن ضمير حي وخلق مستقيم. ومن يفترى ويفعل الحرب والتدمير على العراق أو على فلسطين أو على أي صاحب حق ليس فقط لن ينال مرضاة ربه وإنما سيدفع عاجلاً أم آجلاً ثمن الحماقة وجنون السلطة والإفتراء وذلك لأن الله يبقى هو الأكبر.. ولأنه جلت قدرته لا يحب المفترين.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 5 فبراير (شباط) 2003

لحظات مضيئة وسط الصخب الأميركي والضجة الأوروبية: إستقبال الشيخ الجليل للحرية المحجوبة عنه

بعد الإضاءة المتمثلة بوصول السيد محمد خاتمي إلى سدة الرئاسة في إيران وبما يشكّل مفاجأة باغتت أهل الداخل والقوى الخارجية على حد سواء، وتلاها الفوز المبين الثاني للسيد في الإنتخابات وبشرعية شعبية تتساوى في أهميتها مع الشرعية الثورية... بعد هذه الإضاءة المزدوجة تأتي الإضاءة المتمثلة في حال آية الله حسين علي منتظري.

كان آية الله منتظري هو المرشح لكي يخلف آية الله الخميني لولا أن هذا الأخير مثله مثل الرئيس جمال عبد الناصر ترك أمر الوراثة عائماً ربما لكثرة

الورثة ولأنه لا يريد إغضاب أحد تاركاً المسألة برسم الصراع يفوز به من هو الأكثر قوة وفطنة وناصريّة. لكن الفارق بين عبد الناصر والخميني أن الأول لم يحسم لأنه كان في السن الفتية ولأن وطأة المرض لم تكن من الشدة بحيث يشعر أن حياته مهددة بعراض صحي، في حين أن الخميني كان دخل مرحلة الشيخوخة المتقدمة وكان مريضاً وزادت ضغوطات الحرب مع العراق من ضرورات الأخذ بخطوة التوريث وتسمية الورثة واحداً بعد الآخر. والقول بأن منتظري كان هو المرشح لكي يخلف الخميني يستند إلى أن الرجل كان في مرحلة الإقامة الفرنسية للخميني هو الأقرب إلى الخميني عقلاً ومكاناً. وكثيراً ما كنت شخصياً ألاحظ ذلك عند ترددي على مقر إقامة الخميني في بلدة «نوفل لوشاتو» القريبة من العاصمة الفرنسية، وبالذات خلال زيارتين رتبتهما بالتنسيق مع الزميل أسعد حيدر وقام بهما كل على حدة زميلنا الكبير الأستاذ محمد حسنين هيكل والسيد الصادق المهدي وبرفقته عثمان خالد أحد رموز إسلامي السودان. وخلال هاتين الزيارتين وأيضاً خلال زيارات متقطعة من جانبي للبقعة الخمينية الفرنسية كنت ألاحظ مدى ترابط العلاقة بين الخميني ومنتظري وكيف أن الأول كان يطلب من الثاني تكلمة حديث أو تشييتاً لواقعة أو إستعادة لموقف.. هذا إلى جانب همسات من جانب حسين الخميني حفيد آية الله في أدنى إستتجّت منها أن من سيرث جده هو من يليه في المقام.. أي آية الله منتظري. والذي جعلني إزداد تسليماً بذلك هو أن الحفيد حسين لم يأت على ذكر العم أحمد الذي لم يكن من بين المحيطين بالخميني في بقمته الفرنسية. ثم تشاء الأقدار أن يتوقف قلب الخميني ويلاقي وجه ربه وفي قلبه غصة قبوله الإضراري بوقف الحرب مع النظام البعثي في العراق ويلخص ذلك بعبارة الشهيرة «إنه كمن يتجرع السم». تشاء الأقدار بعد ذلك أن يلقي أحمد الخميني وجه ربه بسبب المرض. ولمجرد حدوث الوفاة هذه وإستباقاً لإمكانية إستعادة منتظري ما كان عليه شأنه قبل أن يطلب منه الخميني الإستقالة من المنصب الذي عيّنه فيه وهو «خليفة الإمام» والمطالبة بأن يكون هو «المرشد الأعلى» ما دام الخميني لم يعين خليفة، حدث إلتفاف عليه إنتهى بتحجيمه كخطوة أولى تليها خطوات. هنا لا بد من الإشارة إلى أن الخميني كان عيّن منتظري عام 1982 خليفة له، ولكن الحملات

العنيفة من جانبه على توجهات النظام وتجاوزاته وعلى مواصلة الحرب مع العراق والمعاملة التي يلقاها السجناء من المجموعات الماركسية والمسلمين جعلت الخميني نفسه يطلب منه الإستقالة وينصحه بـ «عدم الإهتمام بالشؤون السياسية والإنصراف إلى التعليم في الحوزات الدينية في (قم)». لكن بعد وفاة الخميني لم يتحمل منتظري ما جرى له ومع ذلك إستمر صامتاً إلى أن بدأت المرحلة الخاتمية حيث شجعت أجواؤها على أن يعارض علناً ولاية الفقيه التي يستمد منها مرشد الجمهورية علي خامنئي صلاحياته الواسعة. ثم تلت عملية التحجيم، رداً على مواصلته التشكيك والإنتقاد، إقامة جبرية في منزله في (قم) عام 1997 بعدما بدأ التشكيك بولاية الفقيه الأمر الذي جعل آية الله خامنئي بصفة كونه «المرشد» يطالب بمحاكمته بتهمة الخيانة ثم يرتأي الإكتفاء بإنزال عقاب «الإقامة الجبرية» عليه بمثل العقاب الذي أنزله عبد الناصر باللواء محمد نجيب والعقاب الآخر الذي أنزله الرئيس الجزائري هواري بومدين بالرئيس السلف أحمد بن بيللا. وكلاهما عبد الناصر وبومدين توفيا وبقي الآخران على قيد الحياة. ومن غرائب المفارقات أن محمد نجيب شارك في جنازة عبد الناصر الذي رماه في غياهب الإقامة الجبرية وأن بن بيللا يواصل إلى الآن التحرك السياسي بصفة كونه رئيساً سابقاً ويلقى من الإهتمام الكثير بينما بومدين لقي وجه ربه وهو في سن عبد الناصر وبعد غيبوبة لم ينفع فيها العلاج. والحالتان اللتان تشير إليهما ليستا الوحيدتين في العالم العربي وفي العالم الثالث عموماً. ولكننا هنا وفي معرض المقارنة بالذي جرى لمنتظري في إيران الثورة نتحدث عن الذي جرى لمحمد نجيب في مصر الثورة وما جرى لـ ابن بيللا في جزائر الثورة من دون إغفال ما يجري منذ بعض الوقت للدكتور حسن الترابي في السودان الثوري، مع التنويه بأن آية الله خامنئي تنبه إلى ما لم يتنبه إليه عبد الناصر وبومدين وما لا يريد التنبيه إليه «سوار الإنقاذ» في السودان فارتأى ان يتم رفع الإقامة الجبرية عن آية الله حسين منتظري ما دام بات في الثمانين من العمر وخشية أن يلقي وجه ربه وهو في إقامته الجبرية تلك نتيجة ضغوط وحجب للحرية دامت خمس سنوات، وعند ذلك يجد ورثة الخميني أنفسهم أمام مأزق من الصعب علاجه. وساعد على إنهاء الإقامة الجبرية هذه الرئيس محمد خاتمي الذي يعاني هو الآخر من التكبيل الثوري

لخطوات الإنفتاح التي يريد تحقيقها واثقاً من مساندة الرأي العام له والذي حقق له في دورتين إنتخابيتين شرعية شعبية قوية إلى درجة أن الشرعية الثورية عاجزة عن التقليل من مهابتها وتأثيرها، ولولا ذلك لكان خاتمي نفسه في الإقامة الجبرية.

بعد رفع الإقامة الجبرية عنه يوم الأربعاء 29 يناير الماضي حرص منتظري على التوضيح للصحافيين الذين إلتفوا حوله بأن الإفراج عنه ليس مشروطاً على نحو ما قيل. وحرص على أن يقول لوسيلة إعلام أجنبية ضماناً لتعميم القول وهي هيئة الإذاعة البريطانية (بي. بي. سي) بأن ما نشرته بعض الصحف الخامنئية التوجه حول تعهده التخلي عن النشاطات السياسية مقابل الإفراج عنه غير صحيح، مضيفاً من دون أن تفارق الإبتسامة محياه: «إنها أكاذيب لا أساس لها من الصحة. إنني أنفي هذه التقارير. فأنا لم أطلب ولا طلب أبنائي العفو ولن نطلبه، وكما فعلت خلال إحتجائي سأستمر في الرد على الأسئلة السياسية والدينية والتحرك. إنه واجبي الديني. وإذا كان البعض ينتقد تصرّجاتي في الإذاعات الأجنبية الموجهة إلى إيران باللغة الفارسية فإن ردي على ذلك هو أنه عندما لا تثبت إداعتنا ما نقوله فإننا نضطر للتحدث الى إذاعات أجنبية. وخلال الثورة كان الإمام الخميني يتحدث إلى الإذاعات الأجنبية ولم يجرؤ أحد على إنتقاده. إن الله العلي القدير منح جميع المؤمنين سُلطة قيادة دينية، لكن هذه السلطة ليست مطلقة.. إنها محدودة. وبالنسبة إلى الرئيس خاتمي فإنني أناشده تغيير اسلوبه وتنفيذ وعده بإصلاح البلد، ذلك أن الشعب كان متقائلاً جداً عندما تولى خاتمي السُلطة إلا أنه إذا إستمر على هذا المنوال سيصيب الشعب بخيبة أمل بالغة...». هنا تجدر الإشارة إلى حجم العبء الذي كان في نفس خاتمي بسبب الإبقاء على منتظري قيد الإقامة الجبرية بينما هو كرئيس للجمهورية لا يتخذ خطوة حازمة إزاء هذا الأمر.

وقد أوجت عبارة له بهذا العبء عندما قال لدى خروجه من إجتماع مجلس الوزراء يوم الإفراج: «الحمد لله. رُفعت الإقامة الجبرية عن منتظري وسيطبق هذا القرار اليوم...». ثم أضاف الناطق بإسم الحكومة عبدالله رمضان زاده القول «إن الحكومة ترحب بهذا القرار الناتج من الإتفاق بين جميع المجموعات السياسية في البلاد. وإذا ما أخذنا في

الإعتبار ذكرى الثورة (يصادف 11 فبراير) والإنتخابات المحلية (تصادف 25 فبراير) والوضع الإقليمي فإن هذا القرار إيجابي جداً». لم يتوقف آية الله منتظري عن إطلاق النقد وتسجيل الملاحظات التي تزعج الجناح المحافظ الخامنئي في النظام لكنها تريح الجناح الآخر الليبرالي الخاتمي. وبينما كان بعض رجال الدين والمريدين والأقارب يواصلون القدوم إلى (قم) للسلام على آية الله الذي إستعاد حريته بعد خمس سنوات من الإقامة الجبرية، كان الرجل يحرص رغم آلام القلب على القول إنه في صحة جيدة نافياً بذلك ما تردد من معلومات قبل رفع الإقامة الجبرية من بينها أنه مصاب بهزال شديد وينام أكثر من 14 ساعة يومياً. وهو ربما حرص على هذا النفي ورفض التسليم بإعتلال الصحة لكي حسابات مع الذين صادروا حقه في أن يكون خليفة آية الله الخميني. ومن خلال بعض كلامه لوكالة «الأسوشيتدبرس» الأميركية يمكن قراءة نوايا الرجل حيث أنه قال من جملة ما قاله للوكالة قاصداً بالقول في الدرجة الأولى المرشد الأعلى للثورة آية الله علي خامنئي: «إنني أنحني فقط أمام الله وليس أمام أي شخص آخر. ولا يمكن لأحد أن يدوس حقوق أناس آخرين بالإهانات والسلوك السيئ...»، ثم أكمل جملة من الملاحظات تمثلت في مخاطبة جمهور أحاط به قائلاً: «إنني في أحسن حال ولم أفقد ذاكرتي كما أوحى البعض...». لكن نفي المعلومات ورفض التسليم بإعتلال الصحة لا يعينان أنه في وضع صحي جيد بدليل أنه بعد أقل من أسبوع من رفع الإقامة الجبرية وما حفلت به الأيام القليلة التي تلت الرفع من تصرّجات وأحاديث إنتهى الأمر بآية الله منتظري نزيراً مؤقتاً في غرفة العناية الفائقة نتيجة آلام حادة في القلب.

مسكين هذا الرجل الذي كان من المفترض أن يكون في القمة لكنه إنتهى في العناية الفائقة مروراً بالإقامة الجبرية. هل ظلم نفسه بسبب كثرة النقد، أم أن «الثورة الإسلامية» في إيران مثل «الثورة البلشفية» في روسيا ومثل «الثورة المصرية» ومثل «الثورة السورية» و«الثورة الجزائرية» و«الثورة اليمنية» و«الثورة الليبية» و«الثورة السودانية» وغيرها عبارة عن مزيج من الفواجع والمآسي وأن الذين يتساقطون على جانبي هذه الثورات أكثر من الذين يبقون. ومن يبقى يحكم مهموماً أو يموت شاباً أو تجرفه تطلعاته خارج الحدود. وإذا تأمل آية الله منتظري وهو ممدد

على الفراش في المستشفى أو بعد المغادرة إلى المنزل بما يجري للمنطقة وأي مخاطر تلوح في الأفق بعد العراق على إيران وسوريا ولبنان وفلسطين وأي تهريب تتعرض له دول الخليج لوجد أن إنتقاداته الإصلاحية لن تُبدل من واقع الأمر شيئاً، فضلاً عن أن الإنسان عندما يبلغ من العمر عتياً لا يعود في نظر الناس مصلحاً... وإنما هو منتقم. وهو إذا رصد بعض الشيء ما يفعله بن

بيللا الذي هو من العمر نفسه لإكتشف أن هذه هي المسألة... ولا شيء غير ذلك على الإطلاق.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 6 مارس (آذار) 2003

بوش النفطي المهووس بالحرب ... خاذلاً ومخدولاً

في "قاعة العمليات" في البيت الأبيض عُقد الأسبوع الماضي إجتماع ضم الرئيس جورج بوش الابن ووزير الدفاع دونالد رامسفيلد ورئيس أركان القوات الأميركية الجنرال ريتشارد مايرز والقائد الأعلى للقوات الأميركية في الخليج الجنرال تومي فرانكس ورئيس وكالة الاستخبارات المركزية جورج تينيت.

جاء إنعقاد الإجتماع بعدما خذل الرئيس مليار مسيحي كاثوليكي في شخص المبعوث البابوي الكاردينال بيولاجي صديق عائلة بوش الأب الذي أوفده الخبر الأعظم في محاولة لإقناع الإدارة الأميركية صرّف النظر عن الخيار الحربي معتمداً في طلبه النصيحة والتمنيات، وخصوصية العلاقة بين الكاردينال وعائلة بوش . كذلك جاء إنعقاد الإجتماع بعدما أسقط رامسفيلد عن الجنرال فرانكس كل التهم التي تستوجب في حالات عادية ومع وزير دفاع محاييد إحالة الجنرال إلى المحاكمة وإنزال العقوبة في حقه وبالذات لأنه سمح لزوجته بالإطلاع على وثائق عسكرية سرية ، وجاء بعدما كان رئيس الأركان أدلى بتصريحات جاء فيها قوله: "إذا ما إندلعت الحرب على العراق قد تكون أقسى من حرب الخليج عام 1991 وعلى الشعب الأميركي أن يدرك أنه إذا ما تلقى الجيش الأمر بدخول العراق ستتدلج الحرب. وهذه الحرب تكون بالغة الخطورة وقذرة وسُئمنى بخسائر..."

كما أن إنعقاد الإجتماع جاء بعدما إتفق الرأي بين روسيا والصين وفرنسا وألمانيا على أن محاولة أميركا إستصدار لقرار ثان من مجلس الأمن يعطيها شرعية بدء الحرب لن تتجح، وبعدها حدثت نقلة نوعية في الموقف الخليجي لمصلحة إتجاه التسوية تقترب من حيث الأهمية من النقلة النوعية في الموقف التركي، وبعدها قال مليار وربع المليار مسلم من خلال القمة الإسلامية الإستثنائية في الدوحة "لا" قوية للحرب وكانت بمثل "لا" قمة "شرم الشيخ" ومن دون أن تتأثر ال "لاءات" بالمشاكسات الكلامية الناشئة عن الجو المشحون بالخطر يخيم على المنطقة العربية واضعاً أُولي الأمر أمام مسؤوليات صعبة وخيارات أكثر صعوبة.

ووسط هذه التطورات اللافتة للإنتباه إستمرت التظاهرات الرافضة للحرب وتواصلت التمنيات وأقيمت الصلوات وسارع بعض مشاهير الفنانين العالميين التي كانت أغانيهم الجميلة على ألسنة المحبين للحياة صغاراً وكباراً يقولون "لا" بقوة للحرب. ومن هؤلاء الأميركي الجامايكي الأصل هاري بيلافونتي ابن السادسة والسبعين الذي قال يوم الثلاثاء 4 مارس الجاري (2003) "إن المسؤولين الكبار في إدارة الرئيس بوش يتلبسهم الشر بسبب إستعداداتهم للحرب على العراق ولا أعتقد أن الرئيس جورج بوش رجل شريف وأرى أنه مولع بالقوة ويؤمن بأن ما يعتبره الحقيقة إنما هو الحقيقة الوحيدة وأنه سيفعل ما يشاء على رغم معارضة الناس...". وكان بيلافونتي وصف في أكتوبر الماضي الأميركي الجامايكي الأصل أيضاً وزير الخارجية كولن باول بأنه "زقيق الأرض" وذلك بعدما إنتقل جنرال الديبلوماسية الأميركية أو إنتقلوه من فريق الحمايم إلى فريق الكواسر. ومن الفنانين العالميين أيضاً البريطاني جورج مايكل الذي طالما غنى ضد الحرب منتقداً بقوة رئيس حكومة بلاده طوني بليز ، والذي يستعد للأغنية الأهم وإسمها "القبر".

بالإضافة إلى ذلك لا تزال إستطلاعات الرأي العام التي تجريها مؤسسات وصحف ومحطات تلفزيون عالمية تؤكد مسألة في غاية الأهمية وهي أن الحرب مرفوضة وأن حيثيات الرئيسين الأميركي والبريطاني في شأنها ضعيفة. ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن عاطفة أصحاب معظم الوسائل التي تُجرى الإستطلاعات ومعظم العناصر التي تتولى إستطلاع

آراء الناس في أميركا وبريطانيا وإيطاليا وكندا وأستراليا واليابان وإسبانيا التي هي دول معسكر الحل الحربي إذا جاز التصنيف، ليست محايدة بما فيه الكفاية.. بمعنى أنها متعاطفة مع التوجه الأميركي - البريطاني لكن النسبة المئوية التي كان ينتهي إليها تحليل النتائج مرتفعة في اتجاه رفض الخيار الحربي إلى درجة يصعب على المحللين التقليل من هذه النسبة... فضلاً عن أن التلاعب بالنتيجة من شأنه أن يقلل من مصداقية المؤسسات التي تُجري الإستطلاعات.

وبدل أن تكون نتائج هذه الإستطلاعات التي تسير من إنخفاض في النسبة إلى إنخفاض بمثابة دافع للرئيس بوش ولبقية الرؤساء الذين يشاركونه في شكل أو آخر موقعه بأن الحرب هي الأفضل مع أن الرأي العام يعارض وبقوة هذا الخيار لم يستسبب به الحرب من كوارث للجميع، فإنه نتيجة طغيان مردود النفط من بلاد الرافدين على أي أفكار أخرى من النوع الإنساني والنزيه يزداد إندفاعاً في اتجاه الحرب وإلى درجة أنه بات مهووساً بها وكأنما هي بمثابة الحبيبة الغائبة التي يذوب شوقاً إلى لقيائها. وعندما يكون الرئيس بوش على هذا الهوس فإن بقية الجوقة الحربية تعزف معه سمفونية الموت والتدمير التي ستشبه في حال بدأت الحرب وعلى نحو ما هو محتمل ونكاد نقول مقرر يوم الثلاثاء المقبل الموافق 18 مارس بمثل السمفونية الأخرى التي تواصل الجوقة الشارونية عزفها في الديار الفلسطينية وتحت سماع العالم وبصره .. وكأنما هذا التخويف الأميركي للعرب والمسلمين الغرض منه خلق أي صوت يحتاج على المذابح الشارونية وضمن قاعدة أن على أبناء الأمتين العربية والإسلامية الإهتمام بالكارثة الأعظم التي قد تحدث، أي الحرب على العراق، بدل الإهتمام بالكارثة العظمى المستمرة أي المذابح الشارونية المبرمجة في حق الشعب الفلسطيني.

ونحن عندما نقول إن الحرب على العراق قد تبدأ يوم الثلاثاء المقبل وعلى رغم المشهد المأساوي لنتائجها الذي رسمه أمام الرئيس بوش رئيس أركان الجيش الأميركي، وأيضاً على رغم الرفض القاطع من جانب الرأي العام الدولي لها والموقف الحازم من جانب معسكر الحل السلمي الذي هو الغالب شعبياً ودينياً والأكثر عدداً على صعيد الدول الأعضاء في مجلس الأمن وسلاح "الفيتو" الذي تملكه ثلاث منها

وهي روسيا والصين وفرنسا التي أوضحت صراحة بأنها ستلجأ عند الضرورة إلى إستعمال هذا السلاح كي لا تعطى الشرعية للحرب التي يصر عليها الرئيس بوش وبيلير... إننا عندما نقول إن الحرب قد تبدأ يوم الثامن عشر من مارس الجاري (2003) فعلى أساس أن مشروع القرار الأميركي - البريطاني الذي سيناقشه مجلس الأمن يعطي العراق مهلة نهائية حتى يوم 17 مارس لكي ينفذ أموراً من المستحيل تنفيذها قبل أشهر.. هذا على رغم أن النظام العراقي يردد في إستمرار أن لا أسلحة دمار شامل لديه. ومثل هذا التحديد معناه أن موعد الحرب مقرر منذ فترة وأن هذا اللف والدوران والحجج الواهية هي فقط من أجل إستحصال شرعية دولية للحرب. كما أن هذا الأسلوب الخشن من جانب الرئيس بوش الذي يخذل حتى الذين لا يجوز خذلهم أمثال الكاردينال بيولاجي صديق العائلة البوشية الذي أوفده البابا يوحنا بولس الثاني لينقل تمنيات الفاتيكان وإلى حد الرجاء بأن يصرف الرئيس الأميركي النظر عن الخيار الحربي، إضافة إلى الأسلوب الأكثر خشونة المتمثل في رفض إستقبال وفد القمة العربية التي عُقدت في شرم الشيخ" الذي أراد نقل تمنيات مماثلة وإلى تصرفات أخرى كثيرة وتصريحات ملأى بالإستهانة بالرأي العام الدولي... إن هذا الأسلوب والتصرفات التي تعكس هوس الرئيس بوش النفطي بالحرب على العراق وخذلانه المتعمد لكل سعاة الخير وأصحاب المساعي الحميدة والنوايا الطيبة قد تقوده إلى وضع يكون فيه الرئيس الأميركي هو المخدول وتكون فيه أميركا دولة عظمى بالفعل إلا أنها مكروهة من كل الشعوب. والمكروه معزول أمبراطوراً كان أو أمبراطورية. وبالعودة إلى التاريخ نجد الشواهد كثيرة . لكن على حد القول المأثور : ما أكثر العبر وأقلّ الإعتبار .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 13 مارس (آذار) 2003

* * *

"أم الجوائز"... والحرب على العراق

من قبل التأكد حول ما اذا كان شبح الحرب الأسود سيتوارى أمام طيف السلام الأبيض وبحيث تصرف إدارة الرئيس جورج بوش الابن النظر عن الخيار الحربي مستبدلة إياه بالخيار التوافقي، بدأ معهد

«نوبل» النرويجي للسلام يستعد منذ الآن لـ «أم الجوائز» ونعني بها «نوبل للسلام». والإستعداد هذه المرة شاق ذلك أن قائمة المرشحين طويلة وتوزع بين 129 شخصاً.

من بين هؤلاء خمسة لا ندري إذا كانت أسماؤهم واردة في القائمة، لكن ذلك لا يعني أنه لا يجوز لكتاب مثل حالنا أن يسمي هؤلاء الخمسة كون الواحد منهم يستحق الجائزة. وعلى النحو الآتي ن سجل الأسماء والحيثيات:

المستحق الأول - الرئيس جورج بوش الابن، في حال إرتأى إحترام إرادة الرأي العام الدولي من القطب إلى القطب بمن في ذلك الرأي العام الأميركي والبريطاني الراض بشدة للحرب على رغم غسل الدماغ اليومي من جانب طاحونة الإعلام على أنواعه التي تبالغ في التهويل والتضليل وتكثر من تزيين محاسن الحرب.. وكأنما هنالك حسنة لإراقة دماء الأرواح التي خلقها الله سبحانه وتعالى لكي تعيش وتسبح بحمده وتشكر نعمته وتستغفره عن كل خطأ يتم إرتكابه، أو معصية يقع فيها المرء من دون قصد، أو خطيئة نتيجة إجتهاد وحساب مبني على التهور. وما نقصده بإحترام الرئيس بوش الابن لإرادة الرأي العام الدولي هو توجيه «رسالة إلى العالم» بمثل رسالته عن «حالة الإتحاد» يعلن فيها انه رأى في ضوء نظرة على أحوال العالم صرّف النظر عن الخيار الحربي، وذلك على أساس إنه عندما قرر الأخذ بهذا الخيار وأعطى الأوامر لتحشيد القوات والآليات وحاملات الطائرات على رمال الخليج وفوق مياه هذا الخليج الذي ينشد الهدوء ولا يناله منذ عشرين سنة، فمن أجل سلامة العالم وضمان إستقراره وإزدهاره. وأنه ما دام الرأي العام في دول العالم قاطبة عدا استثناءات بسيطة يرى أن الحرب ليست حلاً، فضلاً عن أنها ستؤسس لعالم من الأحقاد والكراهية والحروب الصغيرة وستدمر القيم وتقضي على أجيال تريد أن تحيا بسلام، فإنه سيرضخ للإرادة الدولية وسيجعل من القوات التي أرسلها لكي تحارب، بمثابة جيش للسلام مؤكداً بذلك أنه لا يريد الحرب من أجل متعة الحرب وتخمة ثروة النفط وتدعيم الوجود الإسرائيلي على أرض فلسطين وإنما أرادها خياراً يفيد الجميع. وما دام رأي «الجميع» يخالف رؤيته فإنه كحاكم مسؤول عن «النظام العالمي الجديد» يفضل أن يكون خياره من خيار الشعوب. وبذلك يكون نجى العالم من كارثة الألفية الثالثة وعلى

هذا الأساس يستحق جائزة «نوبل للسلام» وبإمّتياز لأنه كان يملك بتوقيع لا يستغرق ثانية إشعال حرب قابلة لإستتساخ حروباً على مدى القرن الواحد والعشرين. وإذا فعل الرئيس صدام من جانبه ما جعل الحرب لا تحدث مفدياً بنفسه كارثة تصيب العراق والأمة فإنه يتناصف «أم الجوائز» مع غريمه الرئيس بوش.

المستحق الثاني - مناصفة بين الرئيس الفرنسي جاك شيراك والمستشار الألماني غيرهارد شرودر اللذين إفتديا بصدرئهما الحرب التي كان يمكن حدوثها قبل ثلاثة أشهر لولا أنهما إتخذا وقفة مبدئية تتسم بالتوازن حيث أنهما أصرا قدر إستطاعتها على إسقاط الخيار الحربي وإفساح المجال أمام الحوار السياسي والتفتيش المتأني في أرجاء العراق عن أسلحة الدمار الشامل، وفي الوقت نفسه عدم تعييب الإهتمام عن القضية الأكثر أهمية وهي القضية الفلسطينية التي من الضروري بذل الجهد المخلص من أجل إيجاد الحل المتوازن لها، مقدمة لحسم الصراع العربي - الإسرائيلي في ضوء ما تنص عليه القرارات الدولية. وعلى رغم المخاطر الناشئة عن الوقفة الفرنسية - الألمانية المشتركة والتي إستقطبت رأياً عاماً عريضاً ودولاً كانت مترددة، فإن الإندماج الأميركي البريطاني في إتجاه الخيار الحربي إستمر محموماً.

المستحق الثالث - البابا يوحنا بولس الثاني رئيس الكنيسة الكاثوليكية الذي قاد «إنتفاضة مسيحية» ضد الحرب معتمداً سلاح النصيحة والصلاة وإستنفار بقية الكنائس بحيث بات الموقف الكنسي موحداً كما لم يحدث من قبل وكما لا يحدث مع المذاهب والطوائف الإسلامية. وعندما تقف الكنيسة البروتستانتية داخل بريطانيا ثم داخل الولايات المتحدة إلى جانب الكنيسة الأرثوذكسية مع إنتفاضة رئيس الكنيسة الكاثوليكية، أي بابا الفاتيكان، ضد الحرب فهذا معناه أن هذه «الإنتفاضة» قطعت الطريق على عداوة إسلامية مسيحية سيكون شرها مستطيراً على نحو رؤية البابا يوحنا بولس الثاني الذي ينبه من خطورتها منذ أن بدأ «إنتفاضته» التي نشير إليها. ومثل هذا الجهد من جانب الرئيس الروحي للعالم الكاثوليكي يشكّل حيثية لكي تكون «نوبل للسلام» من حصته.. فضلاً عن أنه سيكون لافتاً للإنتباه حصول أحد باباوات الفاتيكان للمرة الأولى على «أم الجوائز».

المستحق الرابع - ولي العهد السعودي الأمير

عبدالله بن عبد العزيز الذي تحولت رؤيته في شأن الصراع العربي - الإسرائيلي إلى مبادرة حظيت بإجماع العالم العربي وباتت في ضوء هذا الإجماع قاعدة لوضع العملية السلمية الجدية على الطريق الصحيح. وإذا كانت الإدارة الأميركية لم تغتنم الفرصة وتعمل جاهدة على الأخذ بالمبادرة ووضعها موضع التنفيذ وبذلك تنشر الاستقرار والسلام في منطقة الشرق الأوسط وفي العالم عموماً، فإن ذلك يحملها ويحمل حليفها أرييل شارون وزر الإضطراب الحاصل في العلاقات الدولية، فضلاً عن أن عدم إغتنامها الفرصة على رغم كثرة وعود الرئيس جورج بوش الابن في هذا الشأن سيتسبب في تراجع فرصة الحل العادل والشامل للصراع العربي - الإسرائيلي وسينعكس التراجع سلباً على السمعة الأميركية وعلى قدرة التأثير الأميركي في المحيط الدولي.. وحتى على أصدقاء أميركا التقليديين في العالم. ولا بد من الإشارة إلى أن ولي العهد السعودي ألحق المبادرة المشار إليها والتي نشأت من رؤية موضوعية تكونت في خاطره قبل أن تصل إلى القمة الدولية الثانية في بيروت في 24 آذار (مارس) 2002 وتتبنّاها كموقف يمثل الأمة، ب «الميثاق الإصلاحي» الذي في حال الأخذ به سيشكل المزيد من الدعم لتلك المبادرة. ولقد كان مؤسفاً كثير الأسف أن هذا الميثاق لم يأخذ فرصته في القمة العربية في شرم الشيخ» إلا أن ذلك لا يعني وضعه على الرف وذلك لأن الإصلاح مطلوب ولأنه دعامة للاستقرار والسلام في المنطقة التي أظهرت التطورات مدى أهميتها وكيف أنها قادرة على أن تجعل العالم من القطب إلى القطب يتزلزل. ومثل هكذا رجل دولة قال في قمة «شرم الشيخ» كلمة الحق في شأن الحرب وهي «أنها هزيمة للقيم وأن القائل والمقتول في الحروب شركاء في الهزيمة» وقال أيضاً «لنتذكر أن الرصاصة إذا إنطلقت لا يمكن لها في خضم الفوضى إن تميز بين البريء والمذنب، الرجل والمرأة، الشيخ والطفل... هي في كل الأحوال لا بد من أن تستقر في مقتل، وأعوذ بالله من إراقة الدم الذي عصمه الله...» إن مثل هكذا رجل دولة يجمع الحكمة مع بُعد النظر ويكون إلى جانب رأيه الوجداني في الحرب وراء تلك المبادرة وصاحب «الميثاق الإصلاحي»، تليق «أم الجوائز» به بقدر ما يليق هو بها.

المستحق الخامس - هو «الإنسان العالمي» الذي أحدث بالتظاهرات وحدة موقف إنساني جمعت

الأميركي إلى جانب الأوروبي إلى جانب الآسيوي إلى جانب الأفريقي إلى جانب الأسترالي في بوتقة واحدة ضد الحرب. وفي هذه التظاهرات كان الخوف على الأجيال هو الدافع إلى التعبير بعفوية عن معارضة الحرب. ومن أجل ذلك رأينا وحدة أديان ومذاهب سماوية ودنيوية، ورأينا الجد والأب والحفيد، ورأينا الجدة والأم الصبية، ورأينا الممثل السينمائي ورجل الدين والموظف العادي والأديب والأكاديمي والشاعر.... رأينا هؤلاء جميعاً يشاركون في التظاهرات ويرفعون الصوت عالياً بإسم القارات الخمس ضد الحرب. وإزاء ذلك فإن منح «أم الجوائز... نوبل للسلام» إلى «الإنسان العالمي» هو عين الصواب على أن يتم إختيار خمسة أطفال من الجنسين يمثلون القارات الخمس لتسليم الجائزة لهم.

ويبقى أن هذه الترشيحات قد تسبق الحرب أو تتزامن مع بدئها، كما أن هذا الكلام الذي أوردناه قد يبدو مثل لوحة تجريدية ويتم قوله بينما الصواريخ على أهبة الفتك باليشر والحجر من أجل النفط وحباً بالإنقاذ وتكريساً للهيمنة.

ولكن أليست هذه اللوحة تبقى أفضل من المشهد المرعب للعالم الذي يبدأ ألفيته الثالثة تحت نار الحرب؟

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 19 مارس (آذار) 2003

* * *

"أم القمم للنهوض بعد كبوة"

هنالك تحرّكان عربيان لاقتان للإنتباه حدثا حتى الآن في خضم العدوان الأميركي - البريطاني وآخرين على العراق. ولقد حدثا من أجل تطويق تداعيات هذا العدوان وربما في مرحلة لاحقة من أجل المساهمة في صيغة أو أخرى في مساندة الشقيق المعتدى عليه. وهذان التحركان هما التحرك اللبناني متمثلاً برئيس الحكومة رفيق الحريري الذي يجوب عواصم أوروبية من شأن تطوير مواقف حكوماتها أن تضع المعتدين في قفص محكمة يكون فيها الرأي العام العربي والدولي بمرتبة لجنة المحلفين.. وهو التقليد المتبع في المحاكمات الأميركية تدليلاً على أهمية أن يكون الشعب والهيئة القضائية شركاء في إصدار الحُكم خشية أن يكون للقاضي بعض الهوى أو عدم الإلتزان

في نفسه. أما التحرك الثاني فقام به السودان متمثلاً بالدكتور قطبي المهدي رجل المهمات الإستشارية الإستراتيجية في الحُكم السوداني الذي زار الأردن وسوريا ولبنان. وفي حين أن التحرك الحريري مألوف عموماً وإن كان هذه المرة ليس إجتهاً من جانبه بقدر ما هو تكليف سوري - لبناني - سعودي يصب في مسعى المملكة التي صاغت إقتراحات من شأنها وقّفت العدوان على العراق، فإن التحرك السوداني يستهدف صياغة الدور الذي يمكن أن تؤديه بوابة العرب على أفريقيا وبما يحقق تدعيماً لا بد من إستباق التحضير له، قبل أن ينتشر الإغصار في كل البقاع من أقاصي موريتانيا إلى هضاب الجولان.

وإذا كانت المصادر الرسمية السودانية تحصر ومن خلال المفردات الدبلوماسية مهمة المستشار قطبي المهدي بأنها للتشاور وللتأكيد على التواصل، خصوصاً بعدما لم يشارك الرئيس عمر حسن البشير في قمة «شرم الشيخ» خشية مشروعة من جانبه لأن تكون هذه القمة هي من أجل إخراج العراق وليست من أجل الوقوف إلى جانبه على نحو ما إنتهت إليه والحمد لله، وأنها أيضاً من أجل التشاور لتعزيز العلاقات الثنائية والوصول بالعلاقة إلى مستوى تبادل الزيارات على المستويات الرئاسية، فضلاً عن إستحداث نقلة نوعية في التبادل التجاري والتعاون الإقتصادي... إنه إذا كانت المصادر الرسمية تحصر طبيعة زيارة مستشار الرئاسة السودانية في هذا الإطار فهذا في تقديرنا يندرج في أسلوب إعتداد التشاور الجريء البعيد عن الأضواء الساعي إلى تحقيق النتيجة أكثر من التطلع إلى الحديث عن الرغبة في السعي. وإلى ذلك فإن هنالك أوجه شبه في محنة الإقتتال التي عاشها لبنان والمحنة التي يأمل السودان أن يتخلص منها. وكما أن العدوان على العراق من أهدافه إعادة المخاطر إلى لبنان من خلال التلاعب بالعلاقة اللبنانية - السورية وتحويل خصوصيتها إلى وضع مضطرب، فإن من أهداف العدوان أيضاً بعثرة السودان وذلك من خلال تأمين وضع اليد على جنوبه النفطي. وفي هذه الحال تكون حيثيات مخطط وضع اليد بمثل الحيثيات السائدة في شأن العراق وهي «الإرهاب» و«الديمقراطية» و«إحترام حقوق الأقليات» و«الإستبداد» وبقية تصنيفات مجموعات التنظير المتصهينة التي زرعت في تفكير الرئيس جورج بوش الابن صورة زاهية تقوم ملامحها على أنه قادر أن

يكون في حال الأخذ بتنظيرات المتصهينين «أمبراطور الغرب والشرق» في وقت واحد وهو ما لم يحدث في تاريخ الأمبراطوريات من قبل.

ومثلما أن الذي يلفت الإنتباه في جولة رئيس الحكومة اللبنانية هي أنها بغرض الشكر المباشر على المواقف العاقلة للدول التي شملت جولته وهي اليونان وبلجيكا وألمانيا والإتحاد الأوروبي وروسيا وفرنسا بطبيعة الحال حيث المحطة الباريسية الشيوعية لا بد منها في أي جولة يقوم بها الحريري، فإن الذي يلفت الإنتباه أن الجولة «القطبية»، بضم القاف والطاء نسبة إلى المستشار قطبي المهدي، شملت الدول التي ستلسع نار العدوان على العراق في حال نجاح المخطط الشرير تركيبها وخصوصيتها ونعني بها سوريا ولبنان والأردن، وخلالها كان حديث المستشار السوداني صريحاً إلى أبعد الحدود مع الرئيس بشّار الأسد والملك عبدالله الثاني والرئاسات الثلاث في لبنان، خصوصاً أن العلاقة التي بين السودان ولبنان نقية خالية من الشوائب، وأنها بينه وكل من سوريا والأردن كانت منذ أيام الرئيس الراحل حافظ الأسد والملك الراحل حسين جيدة في إستمرار وكأنما أراد الزعيم الراحل للسودان أن يكون في ساعة الشدة العربية هو الساحة التي ينطلق النهوض العربي منها بعد كربة على نحو ما حدث في قمة اللات في عام 1967 في الخرطوم وكيف أن القامة العربية إعتدلت أو إستقامت بعدما كادت هزيمة الخامس من يونيو تقصفها. وما تعيشه الأمة الآن يحتاج إلى قمة مماثلة يكون فيها المضيف منحازاً إلى الحق وليس إلى المصلحة الشخصية ملبياً تطلعات الرأي العام العربي من المحيط إلى الخليج متحسناً بإخلاص لا شك فيه حجم الخطر الذي لن ينجو منه أحد وبالذات من كانوا يستضيفون في دولهم قواعد أميركية، خصوصاً أن هذه القواعد هي للعدوان وليست للحماية، أو أنها تحضير للعصر الأميركي الجديد وفق المنظور المتصهين الذي بموجبه يتم تنويع الرئيس جورج بوش الابن أميراطوراً للغرب والشرق في وقت واحد. وظروف هذه القمة التي نتطلع إلى أن تكون «أم القمم» متوفرة ومواتية بشكل لا مثيل له، فضلاً عن أن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية أعلن قبل أمس عن إقتراحات قال إنها باتت أمام الرئيسين الأميركي والعراقي. ولا بد أنها إقتراحات تتدرج في روحية رؤية الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد التي باتت

مبادرة عربية بالإجماع، وتندرج أيضاً في «الميثاق» الذي أبلغه وليّ العهد إلى الدول العربية متضمناً أفكار المملكة لإصلاح الحال العربي.. المايل. وهذه الخطوات كلها مخصصة وتتطلب من إحساس بالمسؤولية وتصلح أرضية لـ «أم القمم» وإستباقاً سريع للإيقاع لغزوة العم سام والعم جورج.. التي لا تريد بالأمثنين العربية والإسلامية سوى الشر المستطير.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 27 مارس (آذار) 2003

الحريري يستقصي غرباً وقطبي المهدي يستقصي خط النار

هناك تحركان عربيان لافتان للإنتباه حدثا حتى الآن في خضم العدوان الأميركي - البريطاني وآخرين على العراق. ولقد حدثا من أجل تطويق تداعيات هذا العدوان وربما في مرحلة لاحقة من أجل المساهمة في صيغة أو خرى في مساندة الشقيق المعتدى عليه. وهذا التحركان هما التحرك اللبناني متمثلاً برئيس الحكومة رفيق الحريري الذي يجوب عواصم أوروبية من شأن تطويع مواقف حكوماتها أن تضع المعتدين في قفص محكمة يكون فيها الرأي العام العربي والدولي بمرتبة لجنة المحلفين.. وهو التقليد المتبع في المحاكمات الأميركية تدليلاً على أهمية أن يكون الشعب والهيئة القضائية شركاء في إصدار الحكم خشية أن يكون للقاضي بعض الهوى أو عدم الإلتزان في نفسه. أما التحرك الثاني فقام به السودان متمثلاً بالذكور قطبي المهدي رجل المهمات الإستشارية الإستراتيجية في الحُكم السوداني الذي زار الأردن وسوريا ولبنان.

وفي حين أن التحرك الحريري مألوف عوماً وإن كان هذه المرة ليس إجتهداً من جانبه بقدر ما هو تكليف سوري - لبناني - سعودي يصف في مسعى المملكة التي صاغت إقتراحات من شأنها وقف العدوان على العراق، فإنه التحرك السوداني يستهدف صياغة الدور الذي يمكن أن تؤديه بوابة العرب على إفريقيا وبما يحقق تدعيماً لا بد من إستباق التحضير له، قبل أن ينتشر الإعصار في كل البقاع من أقاصي موريتانيا إلى هضاب الجولان.

وإذا كانت المصادر الرسمية السودانية تحصر ومن خلال المفردات الدبلوماسية مهمة قطبي المهدي بأنها للتشاور وللتأكيد على التواصل، خصوصاً بعدما لم يشارك الرئيس عمر حسن البشير في قمة "شرم الشيخ" خشية مشروعة من جانبه لأن تكون هذه القمة هي من أجل إحراج العراق وليست من أجل الوقوف إلى جانبه على نحو ما إنتهت إليه والحمدلله، وأيضاً من أجل التشاور لتعزيز العلاقات الثنائية إلى مستوى تبادل الزيارات على المستويات الرئاسية، فضلاً عن إستحداث نقلة نوعية في التبادل التجاري والتعاون الإقتصادي.. إنه إذا كانت المصادر الرسمية تحصر طبيعة زيارة مستشار الرئاسة السودانية في هذا الإطار فهذا في تقديرنا يندرج في أسلوب إعتداد التشاور الجدي البعيد عن الأضواء الساعي إلى تحقيق النتيجة أكثر من التطلع إلى الحديث عن الرغبة في السعي.

وإلى ذلك فإن هنالك أوجه شبه في محنة الإقتتال التي عاشها لبنان والمنحة التي يأمل السودان أن يتخلص منها. وكما أن العدوان على العراق من أهدافه إعادة المخاطر إلى لبنان من خلال التلاعب بالعلاقة اللبنانية - السورية، وتحويل خصوصيتها إلى وضع مضطرب، فإن من أهداف العدوان أيضاً بعثرة السودان وذلك من خلال تأمين وضع اليد على جنوبه النفطي. وفي هذه الحال تكون حيثيات مخطط وضع اليد مثل الحيثيات السائدة في شأن العراق وهي "الإرهاب" و "الديمقراطية" و "إحترام حقوق الأقليات" و "الإستبداد" وبقية تصنيفات مجموعات التنظير المتصهينة التي زرعت في تفكير الرئيس جورج بوش الابن صورة زاهية تقوم ملامحها على أنه قادر أن يكون في حال الأخذ بتنظيرات المتصهينين "إمبراطور الغرب والشرق" في وقت واحد وهو ما لم يحدث في تاريخ الإمبراطوريات من قبل. ومثلاً أن الذي يلفت الإنتباه في جولة رئيس الحكومة اللبنانية هي أنها بغرض الشكر المباشر على المواقف العاقلة للدول التي شملت جولته وهي اليونان وبلجيكا وألمانيا والإتحاد الأوروبي وروسيا وفرنسا بطبيعة الحال حيث المحطة الباريسية الشيراكية "القطبية" نسبة إلى المستشار قطبي المهدي، شملت الدول التي ستلسع نار العدوان على العراق في حال نجاح المخطط الشرير تركيبتها وخصوصيتها ونعني بها سوريا ولبنان والأردن، وخلالها كان حديث المستشار السوداني صريحاً إلى أبعد الحدود مع الرئيس بشار الأسد والملك عبدالله

الثاني والرئاسات الثلاث في لبنان، خصوصاً أن العلاقة بين السودان ولبنان نقيّة خالية من الشوائب، وأنها بينه وكل من سوريا والأردن كانت منذ أيام الراحل حافظ الأسد والملك الراحل حسين جيدة في إستمرار وكأنما أراد الزعيمان الراحلان للسودان أن يكون في ساعة الشدة العربية هو الساحة الذي ينطلق النهوض العربي منها بعد كيوّة على نحو ما حدث في قمة اللاءات الثلاث عام 1967 في الخرطوم وكيف أن القامة العربية إعتدلت أو إستقامت بعدما كادت هزيمة الخامس من يونيو تقصفها. وما تعيشه الأمة الآن يحتاج إلى قمة مماثلة يكون فيها المضيف منحازاً إلى الحق وليس إلى المصلحة الشخصية ملبياً تطلعات الرأي العام العربي من المحيط إلى الخليج متحسناً بإخلاص لا شك فيه حجم الخطر الذي لن ينجو منه أحد وبالذات من كانوا يستضيفون في دولهم قواعد أميركية. خصوصاً أن هذه القواعد هي للدعوان وليس للحماية، أو أنها تحضير للعصر الأميركي الجديد وفق المنظور المتصهين الذي بموجبه يتم تتويج الرئيس جورج بوش إمبراطوراً للغرب والشرق في وقت واحد. وظروف هذه القمة التي نتطلع إلى أن تكون "أم القم" متوفرة ومواتية بشكل لا مثيل له، فضلاً عن أن الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية أعلن في 1 مارس 2003 عن إقتراحات قال إنها باتت أمام الرئيسين الأميركي والعراقي. ولا بد أنها إقتراحات تتدرج في روحية رؤية الأمير عبدالله بن عبد العزيز وليّ العهد إلى الدول العربية التي باتت مبادرة عربية بالإجماع، وتتدرج أيضاً في "الميثاق" الذي أبلغه وليّ العهد إلى الدول العربية متضمناً أفكار المملكة لإصلاح الحال العربي.. المايل. وهذه الخطوات كلها مخلصّة وتتطلب من إحساس بالمسؤولية وتصالح أرضية لـ "أم القم" وإستباقاً سريع الإيقاع لغزوة العم سام والعم جورج. التي لا تريد بالأمثين العربية والإسلامية سوى الشر المستطير.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - مارس (آذار) 2003

ما أشبه اليوم التركي بالأمس السوداني

يلاحظ المراقب للتطورات في تركيا الذي لا تنقطع متابعتها للتطورات في السودان.. مثل حالي، بعض

أوجه الشبه بين الذي حدّث لزعيم "حزب العدالة والتنمية" رجب طيّب أردوغان في مارس/ آذار 2003 وبين الذي حدّث للسيد الصادق المهدي الوجه الأبرز في طائفة الأنصار عام 1964. كلاهما طبقة السياسيين الإسلاميين التي هي أقرب في مفاهيمها للإسلام كما يريده الغرب أن يكون. وكلاهما من نوعية الزعامات التي أوصلها إلى كرسي الحُكم جمهور ضاق ذرعاً بجنرالات المؤسسة العسكرية ويتطلع إلى أن يقلل من شأن تأثير هذه المؤسسة في الحياة العامة وذلك من خلال وجود فاعل للشأن الذي تمثّله القواعد الشعبية لكل من الزعامتين في تركيا والسودان. وكلاهما ذاق مرارة طعم السجن وإن كانت الأسباب التي أدت إلى ذلك مختلفة في التفاصيل متشابهة في الجوهر. وكلاهما وصل إلى المنصب الأهم في الدولة وهو رئاسة الحكومة في ظروف تستوقف من المراقب الكثير من التأمل.

ونبدأ بـ "الحالة الأردوغانية" حيث أن رجب طيّب أردوغان قاد الحزب الحديث العهد "حزب العدالة والتنمية" شبه المستسخ من "حزب الفضيلة" إلى نصر مبهر في الإنتخابات النيابية التي جرت في نوفمبر 2002، وجاء النصر نتيجة إلتفاف جماهير "حزب الفضيلة" حول الحزب المستجّد وبأمل أن تتحقق لإسلامي تركيا رؤيتهم على أيدي أردوغان الذي إختار لنفسه إطلالة أنيقة على الناس بدءاً من تسريحة شعر رأسه مروراً بالبدة التي تُظهره وكما لو أنه من رموز العلمانيين وليس من القادة الإسلاميين وصولاً إلى أسلوب التعامل. ونحن عندما نقول ذلك لا نقصد أن إطلالة الإسلاميين الآخر نجم الدين أربكان كانت إطلالة شيعية بمعنى أنه معمم وذقنه طويلة ولا تفارق السُبحة يده. وطوال رئاسته المقصوف عمرها في عز صباها كنا نلاحظ حرص أربكان على أن يحلق ذقنه يومياً وعلى أن يختار ربطات عنق من النوع الزاهي المتعدد الألوان، وهذا تماماً ما يفعله الخليفة كزيم إسلامي الإتجاه رجب طيّب أردوغان مع فارق أن هذا الأخير يتميز عن السلف الأربكاني بأن ربطات عنقه أكثر رصانة وقيافته التي يبدو فيها مثل الفتى الأول في السينما التركية الشبيهة بالسينما المصرية، أفضل بكثير من قيافة أربكان الممتلئ ربما بعامل السن وربما نتيجة إكثاره من تناول الدولما وأنواع الكباب والشاورما والحلويات التركية الممتلئة سمناً وسكراً وفستقاً ولوزاً وجوزاً.

ما هم المهم هنا وفي معرض المقارنة بين ترئيس أردوغان وترئيس الصادق المهدي، أن الأول ما أن نجح في الإنتخابات حاصداً نسبة عالية جداً من المقاعد في البرلمان التركي (363 من أصل 550) حتى أصيبت مؤسسة الجنرالات الأتاتوريين بصدمة وذلك لأن مثل هذا الشأن للتيار الإسلامي يتعارض مع التوجه العلماني لتركيا والذي يسهر عليه الجنرالات ولا يتحملون إنحساره أمام التوجه الإسلامي. وفي ضوء هذه الصدمة والحذر الشديد لجأوا إلى تحريك القضاء الذي أخرج من الملفات حكماً سبق أن صدر في حق أردوغان عام 1997 بتهمة "التحريض على الحقد الديني" إستناداً إلى أبيات شعر له قرّضها أيام كان معروفاً في أوساط جماعاته بـ "المجاهد"، الأمر الذي يجيز له تشكيل الحكومة، وهذه الأبيات هي: "مأذنا جراب وقبابنا خوذ ومساجدنا تكتات". وعندما لم تتفع مبايعته الشكلية للعلمانية ووضعه إكليلاً من الورد على ضريح مصطفى كمال أتاتورك لمناسبة الذكرى الرابعة والستين لوفاته التي صادفت الأسبوع الأول للنصر الإنتخابي المبهر، ثم قوله بغرض التطمين "إن إلتماننا المتين إلى جانب القائد العظيم أتاتورك ومبادئه سيكون مرشدنا لبناء تركيا حديثة" ثم تركيزه بعد ذلك على "إن حزب العدالة والتنمية ليس حزباً دينياً ولا هو حزب يرتكز على الدين..." إنه عندما لم تتفع هذه المبايعة وذاك التطمين فإن أردوغان إختار نائبه في قيادة الحزب عبدالله غول لكي يتراأس الحكومة ويشكّلها كي لا تنتشأ حالة من الفراغ السياسي وإنصرف هو إلى القيام بجولات وزيارات إلى أوروبا وأميركا كان التركيز خلالها على أنه رمز للمرونة وأنه رجل علماني وليس رجل دين وأن حزبه يمثل كل تركيا وكل ذلك من أجل أن يتبدل الرفض من جانب فرنسا وألمانيا وغيرهما لإنتساب تركيا إلى الإتحاد الأوروبي.

جاء قرار الحرب البوشية على العراق يشكّل أصعب التحديات للحكومة الإسلامية الأولى في تاريخ تركيا وجاءت الطلبات الأميركية دون قدرة حكومة عبدالله غول على التجاوب. وتأكد ذلك عندما رفض البرلمان الموافقة على طلب تتركز قوات أميركية في تركيا تهيداً للهجوم على العراق. وحدث ذلك رغم المساومة على الثمن الذي أرادته الحكومة التركية في حدود عشرين مليار دولار وقالت الإدارة الأميركية إن المبلغ الممكن دفعه هو ستة مليارات فقط. وحاول الجنرالات الضغط إنما بحذر لكنهم إعتادوا على أن

يكون الضغط على الحكومة وليس على البرلمان لكن الموقف إستمر على حاله. ثم كانت الخطوة المتمثلة بغض النظر القضائي- العسكري عن حصول أردوغان على مقعد في البرلمان ومن دون معركة ولا مناس، وبذلك يشكّل الحكومة ويحل ما سبق أن تولى مجلس النواب تحريمه. لكن الأمور إختلطت حيث أن المؤسسة العسكرية أوقفت التدخل والضغط مكتفية بإسماح الحكومة للطائرات الحربية الأميركية بعبور الأجواء، أما إنطلاق القوات من الأراضي التركية في إتجاه العراق الأمر الذي يعني مشاركة دول إسلامية ذات شأن في الحرب، فهذا ما لم يحدث. وبذلك حافظ أردوغان على وحدة حزبه مقابل خسارة بضعة مليارات ليس واضحاً كيف سيتم تعويضها.

الحديث في هذا الشأن يطول. وما نحن في صدد الحديث حوله هو أن تمكين أردوغان من خلال المقعد الإنتخابي من ترؤس الحكومة في مارس 2003 كان إلى حد ما يمثل تمكين الصادق المهدي ومن خلال المقعد ثم تأمينه له لكي يتراأس بعد ذلك الحكومة وهو ترؤس مبكر كون الصادق كان في الثلاثين من العمر. وعند سقوط الحكومة بعد تسعة أشهر من ترؤسه لها تأكد لمريديه أن التبكير في إسناد منصب رئاسة الحكومة يحتاج إلى من يكون صاحب تجربة ونضوج في المضمار السياسي والعمل الحكومي الإداري وليس فقط إلى أنه أوكسفوردي الثقافة وأنه الأبرز في الطائفة بعد الجد الإمام عبد الرحمن والوالد الإمام الصديق. وليس تجنياً القول إن ذلك التبكير في ترئيس الصادق عزز في نفس الصادق الشعور بأنه رجل زعامة قبل أن يكون رجل دولة. وساعد على ذلك أنه عندما ترأس الحكومة كان يفتقد إلى الدراية بالوضع الحكومي وبشؤون الدولة عموماً عدا خبرة عابرة إكتسبها في الفترة بين عودته من جامعة أوكسفورد عام 1958 والإنتقال العسكري الأول بقيادة الفريق إبراهيم عبود يوم 17 نوفمبر من العام نفسه عندما عمل لبعض الوقت في قسم التخطيط في وزارة المالية وجاء إنتقال عبود وتسلم الجنرالات الحكم في نظره نوعاً من الغدر بالديمقراطية السودانية الأمر الذي جعله يكتب إستقالته.

لن نطيل الغوص في أعماق المسألة. فما أردناه هنا هو مجرد مقارنة بين رجلين وضعتهما المقادير في قلب العاصفة السياسية فعاشا في سدة الرئاسة أقل بكثير مما عاشا في الإعتقال. والإثنان الصادق

المهدي وأردوغان من النسيج الاجتماعي نفسه من حيث إدارة الجnrالات قُدر الإمكان والظهور على الناس بمظهر يشبه مظهر الفتى الأول في السينما.. هذا عدا إتقان الأناقة في الملبس وممارسة الرياضة البورجوازية. والفرق بين الصادق وأردوغان أن الأول ينشق عليه ابن العم ويخرج عن طاعته، بينما الثاني يقول لنائبه كن فيكون رئيس حكومة وإبتعد عن مقعد الرئاسة لأنني سأجلس عليه فيبتعد. وكل ذلك خارج قواعد اللعبة الديمقراطية.

صحيفة "الرأي العام"، الخرطوم - الخميس 3 أبريل (نيسان) 2003

* * *

الإنحياز الإيجابي الذي لا يوقف العدوان والحياد السلبي الذي لا يرضي الله

في الوقت الذي إقتصرت الإنحياز الإيجابي إلى الشقيق العراقي المعتدى عليه على كل سوريا شعباً وقيادة حيث بدا الرئيس بشّار الأسد في ذروة تألقه الوطني وبدا الشعب السوري عند حُسن الظن القومي فيه، وإقتصرت أيضاً على الجزء اليسير من أهل الحُكم والجزء الأكثر تحفظاً من جانب بعض الأحزاب السياسية والدينية على حد سواء... في الوقت نفسه إستمريت مساهمة الحياد العربي والإسلامي دينياً وسياسياً على الحجم المتسع التي هي عليه. أما القصف التدميري الأميركي - البريطاني للعراق البشر والحجر فيتواصل على الوتيرة نفسها للأسبوع الرابع على التوالي محدثاً في بلاد الرافدين خراباً لا خراب مثله في الحروب التي تستحضرها الذاكرة بغرض المقارنة.

لا يكفي الإنحياز الإيجاز خصوصاً أن التهديدات الأميركية تتزامن مع هذا الإنحياز وتتجه نحو المزيد من التصعيد الذي وصل إلى حد أن وزير الخارجية الأميركية كولن باول بدأ بعد كبير كواسر الإدارة البوشية دونالد رامسفيلد يقول بصريح العبارة إن سوريا تطور أسلحة دمار شامل الأمر الذي يعني أنه تهديد أكثر من مبطن إلى الحُكم السوري بأن ينضم إلى الأكثرية العربية والإسلامية السياسية والدينية التي إختارت الحياد وإلا فإن الذي نال العراق سيناله.. وربما أشد.

ومن الواضح أن الطرف المعتدي يعول الكثير على موقف المحايدين حكومات وأحزاباً ومراجع ومقامات دينية ويسعى من أجل تعطيل غرسة الإنحياز إلى العراق المتمثلة بسوريا قيادة وشعباً وبعض لبنان، وأن سفراء أميركا وبريطانيا إضافة إلى مسؤولين غير منظوريين ينشطون عبر مختلف القنوات لتحقيق التعطيل المشار إليه وذلك خشية أن تتطور الأمور فجأة وبحيث يبدأ التخلي خطوة خطوة عن هذا الحياد على نحو ما تشير التطورات في الأردن وهذا ما سمعه السفير الأميركي من أحد كبار المحايدين رئيس الحكومة علي أبو الراغب بعدما كان الملك عبدالله الثاني أعطى من جانبه الضوء الأخضر وذلك خشية أن يتأثر الإجماع الشعبي حوله وتعلق الآمال على أن يكون هو للأردن أولاً وأخيراً وتكون حكومته أيضاً مثله.. وإلا فإن دعوته التي أطلقها من قبل حاملة هذا الشعار تصبح غير ذات معنى إذا كانت المملكة ستكون مجرد ضيف شرف في إحدى المقصورات مسرح الفرجة العربية على الفيلم الذي يجري تصويره على أرض الجار العراقي ويتولى دور "رامبو" الجديد فيه الرئيس جورج بوش الابن ورئيس الحكومة البريطاني طوني بلير. كما أن التخلي خطوة خطوة عن الحياد هو أيضاً احتمال وارد على ضوء ما تعيشه مصر المحروسة من غضب مكتوم قابل للانفراج في أية لحظة. وعندما يقرر محامو مصر في جلسة تاريخية إقامة الدعوى على كل من جورج بوش وأرييل شارون بصفة كونهما مجرمي حرب ويحدث ذلك في ضوء أجواء من المناقشة الوطنية المسؤولة وبينما العدوان ضد العراق يتصاعد، فإن مثل هذه الخطوة لا يمكن تجاهلها من قبل أهل الحُكم الذي إختار الحياد خصوصاً أنها تتزامن مع دعوات حثيثة لإتخاذ الحد الأدنى من المواقف التي تبقى الهيبة المصرية في منأى عن التساؤلات، وذلك بالإعلان عن أن إلتزام مصر بقرارات القمة والمؤتمرات الإستثنائية لوزراء الخارجية وبالذات في ما يتعلق بالبند الذي تم التصويت عليه بالإجماع في القمة الدورية الثالثة التي إستضافتها مملكة البحرين في شرم الشيخ بدلاً من المنامة يوم الأحد 2 مارس/ آذار يعتبر أي عدوان على بلد عربي هو عدوان على الأمة.. إن هذا الإلتزام يوجب عليها تفهم الأمانى العربية بعدم السماح للقطّعة الحربية الأجنبية بالمرور عبر قناة السويس في حال كانت هذه القطّعة سفناً وحاملات طائرات تعبر بهدف العدوان وليس بغرض زيارة ودية. أما أن يُسمح لها بالعبور من بحر إلى بحر وهي محمّلة بالصواريخ الجاهزة للانطلاق ضد بلد عربي وتدميره على نحو ما يحدث للعراق من

جانب حاملات الطائرات الأميركية، فهذا ما لا يجيزه الدين والأخوة والضمير. وإذا كانت الإتفاقات تجيز وفي مثل هكذا ظروف مصيرية فإن ما يوصي به الدين ويرتاح له الوجدان ولا تؤاخذ عليه أوامر الأخوة يتقدم على القوانين التجارية، وللتذكير فإن البند المشار إليه ينص على الآتي: "تأكيد الرفض المطلق لضرب العراق أو تهديد أمن وسلامة أية دولة عربية بإعتباره تهديداً للأمن القومي العربي.. والتأكيد على إمتناع دول الجوار عن المشاركة في أي عمل عسكري يستهدف أمن وسلامة ووحدة أراضي العراق أو أية دولة عربية...".

خلاصة القول إنه قد فاض الكيل بهذا الحياد الإيجابي ومن جانب العراق والمسلمين كأنظمة وحكومات وبعض الأحزاب والمراجع الدينية إزاء العدوان الذي يستهدف العراق. وما نخشاه هو أن نصحو ذات يوم على ما يفيد بأن هذا الجنرال الأميركي أو ذاك السياسي الأميركي قد بات يحكم المنطقة العربية من فوق عرشه البغدادي ومن دون أن يخشى وهو في مكتبه داخل قصر يطل على نهر دجلة الحزينة مياهه من الذي جرى لبلاد الرافدين، إعتراض معارض. أما جموع الحياذ فإنهم سيطأطئون الرؤوس عندئذ وسيمعنون شرحاً عميقاً لإنجازهم المتمثل في أنهم بحياذهم جعلوا حُكم "الطاغية" صدام حسين على نحو تصنيفهم له يتساقط ولكنهم في الوقت نفسه سيبكون مثل النساء عراقاً عربياً لم ينجده نجدة الرجال. ومثل هذا الأمر حدث ذات يوم في الديار الأندلسية عندما بدأ الكبرياء العربي في الانحدار منذ ذلك الزمن ولا يزال.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 أبريل (نيسان) 2003

... ومن الحب الأميركي - البريطاني

للعراق ما قتل ليلاً ونهاراً

ستبقى في ذاكرة أيام من الصعب إزالتها لعل أهمها على الإطلاق ثلاثة كونها تشكّل مجتمعة مرحلة جديدة في حياة المنطقة تكاد تكون مصيرية بالمعنيين الجغرافي والإجتماعي ونكاد نقول التكوين السياسي والمذهبي.

اليوم الأول يوم الخميس 2 أغسطس 1990 عندما إجتاحت القوات العراقية الدولة الشقيقة الكويت وتلا الإجتياح إعلان ضم الكويت إلى العراق في سياق "عودة الفرع إلى الأصل" ثم تلا الإجتياح فالضم قيام الرئيس جورج بوش بالتكافل والتضامن بتشكيل تحالف دولي - إسلامي - عربي شن حرباً على العراق معيداً الكويت إلى حكامها وشعبها واضعاً العراق في المأزق التاريخي والحصار الذي لم يسبق أن عاشته دولة في العالم بهذه القساوة، وبحيث أن هذا البلد، كان قبل الإجتياح وعلى رغم الظروف الصعبة الناشئة عن حربه مع إيران طوال ثماني سنوات، بات يخطو بسرعة مذهلة إلى الوراء بعدما كان قبل الحرب مع إيران وبفضل خطط متلاحقة للتنمية يقترب من مشارف النصف الأخير من دول العالم الثاني. وكان مقدراً له وبموجب تلك الخطط المشار إليها أن يكون مع أواخر القرن العشرين بلداً نموذجياً على صعيد التصنيع الإستهلاكي الخفيف وهو ما حققته المملكة العربية السعودية بإمتياز.

اليوم الثاني هو يوم الجمعة 21 مارس 2003 حيث أن دولتي الحرب الأولى على العراق بدأتا في هذا اليوم قُصف العاصمة العراقية بغداد بمئات الصواريخ كانت تنهمر بأسلوب عدواني غير مسبوق. وحدث ذلك في وقت كان البغداديون يتوضأون لأداء صلاة الفجر وكانت مآذن بغداد تؤذن للصلاة. وجاءت الغزوة الأميركية - البريطانية للعاصمة العراقية شبيهة بالغزوة العراقية للكويت صبيحة الثاني من أغسطس 1990 مع فارق أن هذه الأخيرة تمت بواسطة بضع مئات من الجنود إجتاحوا العاصمة الكويتية براً تساندهم بعض الحوامات وأن الغزوة الأميركية - البريطانية لم تبدأ براً لعاصمة الرشيد وإنما حدثت من خلال أكثر الصواريخ والقذائف المتطورة بحيث أن اليوم الأول للغزو الجوي للعاصمة العراقية بدا كما لو أنه زلزال قوي أو قنبلة نووية. أما الغزوة الأميركية - البريطانية براً فكانت إنطلاقاً من الكويت لمناطق في جنوب العراق بدءاً ببلدة "أم قصر". وكما أنه كانت لثنائي الحرب الثانية على العراق بوش الأب - تانتشر مسببات ظاهرها شيء وباطنها شيء آخر، فإنه كانت لثنائي الحرب الثانية بوش الابن - بلير بعد ثلاث عشرة سنة دوافع ظاهرها عكس باطنها. الظاهر من المسببات في الحرب الأولى هو "تحرير الكويت" وعلى هذا الأساس كان هنالك قبول عربي وإسلامي لهذا

الخيار. أما الباطن فهو أن يحقق المعتديان سابقة تؤسس لما بعدها، فضلاً عن تعزيز الوجود العسكري كقوات وكقواعد في المنطقة وإنشاء لما بعدها، فضلاً عن تعزيز الوجود العسكري كقوات وقواعد في المنطقة وإنشاء المزيد من مخازن السلاح والذخائر من أجل الحرب التي بعدها.. وهذا ما نعينه بالباطن. وخلال خمس سنوات بات لأميركا وبريطانيا في منطقة الخليج الحضور العسكري الذي لا يمكن الإتكال عليه للانتقال إلى الحرب الثانية على العراق كمدخل للإنقضاض على المنطقة، وعزز هذا الحضور إبقاء الحصار مفروضاً على العراق المقسوم جواً وبراً متسبباً بتداعيات نفسية وصحية للشعب العراقي وبحيث أن هذا الشعب يصبح، كما هو مخطط لذلك في الباطن، متقبلاً وسط كابوس حياة البؤس التي يعيشها لخيار الخلاص حتى على أيدي الأجنبي متساهلاً في ذلك بعض الشيء مع مشاعره الوطنية.

وعندما حان وقت الإنقضاض على المنطقة بدءاً بالحرب على العراق إنطلق الترويج للظاهر من المسببات والدواعي وكان من بينها "حرية العراق" و"التخلص من أسلحة الدمار الشامل" وإستئصال من يساعد الإرهاب. أما الباطن فهو وضع اليد على العراق وجعله نقطة الارتكاز في المرحلة المتجددة من الهيمنة. وبعدما لم يتمكن رئيسا الحرب الثانية على العراق من الحصول على شرعية دولية ووقفت ضد مخططهما بقية الدول الأعضاء في مجلس الأمن بنوعيهما الدائم العضوية الذي يملك حق إستعمال "الفيتو" والدول الدورية العضوية التي لا "فيتو" تملكه وتتحصر أهميتها في صوتها عند التصويت فإنهما أعدا مشروع قرار يجيز لهما العدوان ثم تراجعاً عن تقديم المشروع خشية سقوطه في مجلس الأمن وأعلننا أن هنالك (39) دولة تتشاركهما التحالف بينها دول عربية طلبت عدم ذكر إسمها، يا لهذه الشجاعة وتلك النخوة! وبما أن عدد القوات في الكويت وقطر وصل إلى أكثر من ربع مليون وباتت حاملات الطائرات في البحرين وتلك التي سبق أن عبرت قناة السويس من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر جاهزة للحرب ولا تتحمل أي تأجيل فإن الثنائي بوش الابن - بلير إستصدرا على وجه السرعة فتوى قانونية بريطانية قال فيها ذلك "الفقيه الإنجليزي المفتي" إن عبارة "عواقب وخيمة" الواردة في القرار 1441 تجيز قانوناً خوض الحرب. وكما أن بدأ القصف والغزو على

الفور يوم الخميس 20 مارس 2003. ولم يكن ما جرى حرباً وإنما كان عدواناً ثنائياً أميركياً - بريطانياً مثل العدوان الثلاثي البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي على مصر عام 1956 مع فارق أن سلاح العدوان الثلاثي كان مقارنة بسلاح العدوان الثنائي سلاح معركة خفيفة الوطأة.

اليوم الثالث يوم الأربعاء 9 أبريل 2003، أو "يوم السقوط".. سقوط العاصمة العراقية التي كانت طلائع الدبابات قوات الغزو الأميركي وصلت إليها من جهة المطار وبعد ثلاثة أسابيع من الصمود الأسطوري والتحمل الذي لم يحدث أن تحملته عاصمة في العالم من قبل. وفي "يوم السقوط" تأكدت دواعي الحب الأميركي - البريطاني للعراق والذي كانت ترجمته القتل والتدمير والإحراق العشوائي والمستهدف ليلاً ونهاراً، وإخفى هرباً أو تكتيكاً أو قتلاً أو... أركان الدولة تماماً، ولم يعد في شوارع العاصمة سوى دبابات أميركية تقصف في كل إتجاه. ثم بدأ السلب والنهب وإحراق العاصمة وتكررت الحالة "الهولائية" بشكل آخر.. إنما تحت سمع الأميركي الذي أثبت بفعله هذا وبعنوانه عموماً أن ظاهر الأمور غير باطنها.

وفي كل يوم وإلى أن يتم ترئيس العراق لأميركي وإنضمام دولة العرب الثنائية إلى ركب الصلح العربي - الإسرائيلي الذي دشنه الرئيس أنور السادات ثم المزيد من الخطوات على طريق أمركة المجتمع، سنكون على موعد ما هو أعظم من خطوات الباطن التي لا توضح لنا طبعة الألفية الثالثة للإستعمار معاذ الله مما وصلنا إليه وأعان الله شعب العراق الأبوي على هذا الحب له من جانب الثنائي الشرير بوش الابن - بلير وهو نوع من الحب الذي يقتل ويدمر ليلاً ونهاراً.. ولا سامح الله من كان قادراً على درء هذا العدوان.. لكنه لم يفعل من منطلق التشفي والكيد.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 18 أبريل (نيسان) 2003

ومن يعيش ير ... العجب العجائب

عند التأمل في التعاطي العربي والدولي مع القضية الفلسطينية نجد أنفسنا أمام مصيرين لهذه القضية.

ونرى أن العد العكسي لكل من هذين المصيرين بدأ. يتمثل المصير الأول في أن هذه القضية إنحسرت على مدى نصف قرن من إعتبارها قضية كل عربي وكل مسلم إلى أنها قضية تخص الفلسطينيين وحدهم إضافة إلى بعض العرب وبعض المسلمين الذين مازال وجدانهم حياً وتعصر قلوبهم حزناً على ضياع الدولة التي هي، أي فلسطين، على رغم صغر حجمها ثاني أهم دول المنطقة بعد المملكة العربية السعودية. والأهمية التي لفلسطين أنها الأرض التي ولد في إحدى مغاراتها عيسى بن مريم والأرض التي يحج إليها كل مسيحي مؤمن، كما أنها الأرض التي فيها الحرم الثالث... المسجد الأقصى الذي أسرى إليه الرسول الكريم محمد بن عبدالله من المسجد الحرام. كما أنها الأرض التي عليها قامت الديانة اليهودية.. وبذلك فإن فلسطين هي أرض الديانات الثلاث، الأمر الذي يوجب على كل دول العالم أن ترعاها وتصورها وتحمي خصوصيتها، فلا يحدث التفريط الدولي الذي حدث لها ولا يحدث الموقف المحير الذي إتخذه العالم المسيحي بحيث أن هذه الدول وقفت من إحتلال إسرائيل 1967 للقدس الشرقية بما فيها من رموز مسيحية مهمة أبرزها كنيسة المهد الموقف الأقرب إلى القبول بهذا الإحتلال بدليل أن رؤساء وحكومات هذه الدول لم تعقد ولو مرة واحدة قمة سياسية حاسمة وقمة دينية بالحسم نفسه وفي أعقابها يتم إتخاذ قرار يقضي بمقاطعة إسرائيل ما دامت لم تتسحب فوراً وبموجب قرار مجلس الأمن 242 من الأراضي التي إحتلتها بعد حرب الخامس من يونيو 1967.

ولأن هاتين القمتين اللتين نشير إليهما لم تتعقدا فإن العالم الإسلامي لم يعد مؤثراً بما فيه الكفاية، كما أن الإحتلال الإسرائيلي للأراضي المقدسة ولبنانية أراضي الضفة الغربية وقطاع غزة يتواصل للسنة السادسة والثلاثين على التوالي. وبسبب تسليم دول العالم المسيحي، كونها ذات التأثير الدولي، بالأمر الواقع الذي فرضته إسرائيل فإن الإحتلال تطور إلى حروب كانت أصابع إسرائيل موجودة فيها، من بينها الحرب في لبنان طوال ست عشرة سنة والحرب في جنوب السودان.. إلى أن جاءت الحرب الأولى ثم الثانية على العراق لتؤكد أمراً أساسياً وهو أن العالم المسيحي مارس من التقصير ما جعل الإحتلال الإسرائيلي أمراً عادياً، ونكاد نقول إن التقصير الذي نشير إليه جعل الإحتلال أمراً مرغوباً. لماذا؟ ربما

لنظرة ضيقة ترى أن إنهاء الإحتلال الإسرائيلي للقدس وما حولها من مدن فلسطينية تشكّل رموزاً تاريخية ودينية للمسيحيين ستجعل العالم تحت الإشراف المعنوي للمسلمين، وأنه في إنتظار كسر الشوكة الإسلامية على نحو ما هو حاصل للمسلمين الآن، فليبق الإحتلال الإسرائيلي.

هذه النظرة الافتراضية أوجدت في نفوس العرب والمسلمين عموماً حالة من الحذر تعمقت في أعقاب الحرب على العراق وإحتلاله.

وهذه النظرة شجعت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على ممارسة المزيد من العدوان على الشعب الفلسطيني وصلت إلى حد قتل البشر وتدمير الحجر وإقتلاع الشجر بعد محاولة متعمدة لإحراق المسجد الأقصى تلاها تدنيس المسجد ثم دعوة قائمة إلى اليهود للتعبد في هذا المسجد.

وهذه النظرة جعلت الفلسطينيين يرون أن عليهم الحفاظ على الحق وعلى الهوية ولو تطلّب الأمر الإستشهاد .

وهذه النظرة وظفقتها الصهيونية التي مارست من المناورات والمؤامرات داخل الولايات المتحدة ما جعل الدولة الأعظم تتحول من دور الراعي الصالح للعملية السلمية إلى دور الشريك للأطماع الإسرائيلية في وضع اليد على كل فلسطين.

وبصعب حتى إشعار آخر الإفتراض بأن "خارطة الطريق" تلك البدعة الأميركية ستعيد الأرض وتُحقق الأمان.. علماً بأن هذه الخارطة تمثل الحد الأدنى مما يمكن الحصول عليه وبحيث أن الكيان الفلسطيني الذي يمكن إستيلائه سيكون بمثل قطاع غزة بالنسبة إلى مصر قبل 1967 وهذا معناه أن القضية التائهة ستنتهي إلى أن تصبح حالة عالقة في إستمرار شأنها في ذلك شأن الحالة الكردية الحائرة، مع الإشارة إلى أن أوجه الشبه كثيرة في الحالتين ومنها أن الشعب الكردي يتوزع على العراق وتركيا وإيران وسوريا وبعض دول الشتات في العالم، وأن الشعب الفلسطيني يتوزع على الأردن ولبنان وسوريا وبعض دول الخليج ومصر والشتات.

أما المصير الثاني للقضية فيتمثل في أن الحل الأميركي العولماتي ربما، في ضوء الذي جرى للعراق وفيه و ما قد يجري لسوريا ولبنان وفيهما إذا هما لم يتعظا بما جرى للعراق وفيه، يقضي بإستيلاء كيان للفلسطينيين على أرض لغيرهم بمثل إستيلاء كيان

إسرائيل على أرض هي حق تاريخي للفلسطينيين ويكون هذا الكيان على أرض بين الأردن والعراق. وبذلك تكون أميركا حققت إسرائيل الكبرى ويكون تفسير عبارة "من النيل إلى الفرات أرضك يا إسرائيل" أن الدولة العبرية آمنة من الجهتين مصر التي أبرم الرئيس أنور السادات إتفاقية كامب ديفيد مع مناحيم بيغن، والعراق الذي سيبرم مادام بات "العراق الأنجلو - أميركي" إتفاقية مماثلة مع شارون. وبعد ذلك تتكاثر الإتفاقات.

وقد نكتشف لاحقاً أن القميتين العربيتين للرئيس بوش الابن في العقبة ثم في شرم الشيخ هما لوضع الحجر الأساس لهذا الواقع المرير. ومن يعيش ير.. العجب العجائب .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 27 مايو (أيار) 2003

تعقلنوا أيها البوشيون ...

فإن الأمبراطورية لا تدوم

من بين الكم الهائل من الأخبار التي تتعلق بأمبراطورية الألفية الثالثة.. أمبراطورية "العم سام" إختارنا لقارئ "الرأي العام" نماذج منها تعكس كيف باتت حال العالم مع أمبراطوره المستجد. وأرفقنا ما إختارناه بتعليق من نوع ما قل ودل علماً بأن مضامين تلك الأخبار توضح بما لا يستوجب المشقة في التأمل والتفكير كيف تسوس الأمبراطورية البوشية العالم أو بالأحرى كيف تخطط لذلك. والغرض مما إختارناه وأرفقناه بتعليقات هو القول للبوشيين جماعة أمبراطورية "العام سام" المستجدة: تعقلنوا (على وزن إخشوشنوا) فإن الأمبراطوريات مثل "النعم" لا تدوم.

الخبر الأول

في مقابلة أجرتها معه مجلة "فانيتي فير" الشهرية الأميركية وستنشرها في عددها عن شهر يوليو/ تموز قال بول وولفويتز مساعد وزير الدفاع وأحد كواسر الإدارة الأميركية: "أسباب بيروقراطية رگزنا في موضوع الحرب على العراق على قضية واحدة هي أسلحة الدمار الشامل لأنها قضية يمكن للجميع الموافقة عليها. لكن السبب الآخر للغزو كان تقريباً غير ملحوظ لكنه ضخم وهو أن التخلص من صدام

حسين سيسمح للولايات المتحدة بالانسحاب من المملكة العربية السعودية حيث شكّل تواجد القوات الأميركية دعماً قوياً لتنظيم "القاعدة" وسبباً لزيادة التأييد لها. كما أن مجرد إزالة هذا العبء عن السعوديين سيفتح الباب لسلام الشرق الأوسط ...".

تعليقاً على هذا الكلام نقول متى كانت إزالة مشكلة تتطلب إلغاء دولة وكيان ووضع اليد على الثروة وعلى السيادة؟ ومتى كانت تتطلب إلغاء جيش البلاد وإنشاء شبه جيش يطارد أبناء البلد الذين يتمردون على الإحتلال الذي بات مشروعاً بموجب قرار مجلس الأمن 1483؟ ومتى ... ومتى ... ومتى ...؟

الخبر الثاني

وحده الدكتور جون قرنق زعيم "حركة الجيش الشعبي لتحرير السودان" من دون بقية زعماء المعارضة السودانية يجد أبواب وزارة الخارجية الأميركية مفتوحة أمامه. فقد إستقبله وزير الخارجية كولن باول يوم الأربعاء 28 مايو/ أيار الماضي (2003). وبعد هذا الإستقبال قال المتحدث بإسم الوزارة: "إن الإدارة الأميركية متفائلة في شأن فرص وضع نهاية للحرب الأهلية الدائرة في السودان، ونعتقد أن التقدم المحرز حتى الآن جيد وأن المشاكل قابلة للحل. وإذ نعتقد أيضاً أن تحقيق السلام لشعب السودان في جميع أرجاء السودان أمر ممكن فإننا نرى أن الأمر يحتاج إلى مزيد من الجهد ونحن مستعدون بالتأكيد لمواصلة بذل جهد في هذا الصدد ونعتقد أن الأطراف المعنية مستعدة أيضاً لمواصلة بذل الجهد..."

تعليقاً على هذا اللقاء نقول: إن الحرص على أن يكون الدكتور جون قرنق هو اللاعب الأميركي دون غيره من قادة المعارضة هو لمصلحة السيدين الصادق المهدي ومحمد عثمان الميرغني اللذين ربما غادر قرنق القاهرة بعد إجتماعه بهما ومن دون أن يبلغهما كحليفين أنه على موعد في واشنطن مع زميله في الجنرالية كولن باول.

الخبر الثالث

خلال زيارة قام بها إلى بيروت أدلى الدكتور بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة .. الأمين العام السابق لمنظمة الدول الفرنكوفونية أمين منظمة دول الجنوب بتصريحات كثيرة إضافة إلى أقوال صدرت عنه في مجالس مع كبار المسؤولين. من

أبرز ما قاله الدكتور بطرس أنه يشك في إمكانية خروج العراق سريعاً من أزmate معتبراً خلافاً لإعتقاد الكثيرين "أن العراق ليس الكعكة الثمينة التي يسعى الجميع لإقتسامها لأن ديونه صارت نتيجة غزوه للكويت وللحصار عليه 200 مليار دولار وهناك ديون مترتبة عليه نتيجة حروبه مع إيران وسواها تبلغ أيضاً 200 مليار الأمر الذي يتطلب مئة سنة لسداد هذه الديون ...". أما بالنسبة إلى منظمة الأمم المتحدة التي سبق له أن شغل منصب أمينها العام فقال إنه يعتقد " أن هذه المنظمة التي طالما واجهت أزmate كبرى منذ إنشائها ستتغلب على أزمة محاولة طمس دورها وتهميشها وستظل تلعب دوراً دولياً لكن دورها هامشي وستستمر أميركا تمارس الهيمنة على العالم حتى يتغير أمران: الأول ظهور عملاق دولي آخر قد يكون الصين أو الإتحاد الأوروبي أو روسيا خلال السنوات أو العقود المقبلة. والثاني تغيير السياسة الأميركية من خلال إقتناع القيادة الأميركية الجديدة بالعمل من خلال التعددية الدولية وليس العمل منفردة...".

تعليقاً على كلام الدكتور بطرس نقول: كأننا يا
دكتور على موعد مع نصف قرن على الأقل من
الإحتلال والهيمنة ووضع اليد الأجنبية على ثروات
الأمة. وكأن العراق يا دكتور بطرس هو الأول في
خارطة الطريق البوشية رقم 2 والتي هي غير خارطة
رقم 1 التي بموجبها في حال سقط الرفض العربي
والإسلامي وسقطت معه الإنتفاضة ستمحى نهائياً
من على خارطة العالم العربي فلسطين التي في البال
لتحل محلها "فلسطين أنجلو أميركية " بمثل حال
"العراق الأنجلو أميركي". ومن يعيش ير.

الخبر الرابع

على رغم إستضافة الرئيس الفرنسي جاك شيراك قمة "مجموعة الدول الصناعية الثماني الكبرى" في منتجع "إيفيان " على الحدود مع سويسرا يوم الأحد الماضي وإدلاء بعض المسؤولين الفرنسيين قبل الإنعقاد بتصريحات لا تخلو من الود نحو الولايات المتحدة، إلا أن كواسر الإدارة الأميركية وبالذات كونداليزا رايس إستمروا على مخاطبتهم الخشنة للرئيس شيراك وإستمروا ينفخون البغضاء في صدر الرئيس جورج بوش الابن من أجل إظهار عدم الود تجاه فرنسا بسبب موقف الرئيس شيراك من موضوع الحرب على العراق. وبدلاً من أن تكون الإستضافة الفرنسية للقمة

مناسبة لوقف جديدة من جانب الإدارة البوشية فإن رئيس هذه الإدارة إختار إهداء الرئيس المضيف شيراك ثلاثة كتب حول حضارة الهنود الحمر وكأنما يريد القول من خلال هذه الهدية إن أميركا تسحق من يقف في طريقها وقادرة على أن تجعل كل من يعارضها هندياً أحمر له حضارة إنما ليس له كيان ولا تأثير. أما كونداليزا رايس فمارست من العنجهية وقلة اللياقة ما ليس مألوفاً حيث أنها إختارت صحيفة "لوموند" الأكثر رصانة وتأثيراً في فرنسا لنقول من خلال مقابلة أجرتها الصحيفة معها: "إن فرنسا تعتبر النفوذ الأميركي أكثر خطورة من صدام حسين وهذا أمر لا نفهمه ببساطة. إن فرنسا لم تنتقد الحرب فحسب بل حاولت أيضاً حشد دول أخرى لفرض نوع من الرقابة على الولايات المتحدة. إننا لا نفهم السبب الذي يحول دون إعتبار تحرير العراق قضية. كما إننا لا نفهم السبب الذي يدعو (نقصد الرئيس شيراك إنما من دون تسميته بدافع التجهيل وليس اللياقة) إلى أن يطلب من دول أوروبا الشرقية التصرف بطريقة أفضل أو إبلاغها بأن التزامها تجاه الولايات المتحدة من الممكن أن يُضعف موقفها...". ولم يسلم وزير خارجية فرنسا دومنيك دي فيلبان الذي طالما أوجعت تصريحاته وبالذات إعترازه بحضارة فرنسا القديمة رداً على كلام كواسر الإدارة الأميركية وبالذات رامسفيلد عن أن أوروبا الجديدة (أي دول أوروبا التي كانت تدور في الفلك الشيوعي وباتت بعد سقوط الإتحاد السوفياتي تدور في الفلك الأميركي) هي أهم من أوروبا القديمة أي فرنسا في الدرجة الأولى . ومما قالته كونداليزا رايس عن دوفيلبان لمناسبة إجتماعها به قبل أسبوع من قمة الدول الثماني: " لا أفهم السبب الذي يجعل شخصاً ما يظل مهتماً بعرفات وتصريحاته. إن الفلسطينيين في حاجة إلى زعماء يحاربون الإرهاب وهذا لا ينطبق على عرفات...". وفي كلامها هذا تعمدت كونداليزا رايس عدم تسمية الوزير بالإسم كما فعلت مع رئيسه. ومن باب التجهيل وليس اللياقة فعلت ذلك.

تعليقاً على ما أوردناه نقول: إن أميركا هي أميركا
وفرنسا هي فرنسا ولن يلتقيا.. حالهما في ذلك بمثل
حال الشرق شرق والغرب غرب.

الخبر الخامس

ما لم يحدث بين الرئيس بوش والرئيس شيراك أي عقد مصالحة حقيقية بينهما ربما يحدث بين الرئيس بوش والبابا يوحنا بولس الثاني الذي إستمر حتى

الخارطة البدعة التي لا تدل على الطريق

أخيراً وبعد 55 سنة من النكبة والانتظار والمقاومة والإقتتال والحروب النظامية من أجل القضية الفلسطينية لا تجد أميركا التي وضعت قبضتها على الإرادة الدولية ما تقدّمه للفلسطينيين سوى "خارطة الطريق". وهي بدل أن تقول "برنامج الحل" أو "خطة للحل" قالت "خارطة الطريق" وكأنما هي في عقلها الباطن تريد القول إن هذه القضية كثيرة التعقيد وأن إيجاد الحل هو كمثل مهاجر عربي جاء إلى نيويورك للمرة الأولى ومعه عنوان أحد أنسابائه. وهذا العنوان: هو فلان الفلاني - نيويورك، أو أنه من أجل التبسيط مثل صعيدي جاء إلى القاهرة ذات الخمسة عشر مليوناً للمرة الأولى في حياته بحثاً عن قريب له قالوا له إنه يعمل ويعيش في حي الأزهر أو ربما في روض الفرج أو ربما في مصر الجديدة وأنت لا بد ستجده في أحد هذه الأحياء.

ولا ندري بالنسبة إلى هذا الذي سيبحث عن نسيبه في نيويورك كيف ومتى سيجده وكم من الزمن وبالنسبة ستستغرق عملية التفتيش.. شأنها في ذلك شأن عملية تفتيش الأخ الصعيدي عن قريبه في ثلاثة من أحياء القاهرة. وفي تقديرنا إن "خارطة الطريق" كانت بدعة جديدة في عالم السياسة أراد منها واضعوها القول ما معناه إن الوقت مبكر لوضع نهاية للنزاع الفلسطيني - الشاروني، وأن المطلوب أولاً إنهاء الصراع العربي - الإسرائيلي على أن يلي ذلك تسوية أمور الفلسطينيين مع اليهود الذين صنفهم ذات يوم أبوعمار بأنهم أبناء عمومة من دون أن يخطر في باله أنه سيأتي يوم لن ينفع العناق مع هؤلاء ولا الكلام الطيب مع أبناء "العم سام" الذين لا يوقفون المساندة لهم، وسيتم وضع رمز القضية الفلسطينية تحت الحصار وقنص جماعاته وأبناء شعبه وكأنما أرواح الفلسطينيين طرائد برسم بنادق الصيادين أو هي مادة لتسليّة الشارونيين في غياب حروب نظامية مع العرب.

وما يجوز قوله بالنسبة إلى خارطة الطريق هي أنها تسمية لا تخطر سوى في بال من يريد التهرب من الواجب، أي بما معناه إضافة المزيد من التعقيد على الأمر. ولو أن النوايا كانت طيبة والوعود صادقة

اللحظة الأخيرة يعلن من على شرفة الفاتيكان أمام الزوار والمصلين أن الحرب على العراق عمل غير أخلاقي. وعشية إنعقاد قمة مجموعة الدول الصناعية الكبرى في "إيفيان" زار وزير الخارجية الأميركية كولن باول الفاتيكان بغرض مناقشة الوضع العراقي والفلسطيني مع رئيس الكنيسة الكاثوليكية.

ولو أراد الحبر الأعظم ممارسة واجبه الكنسي بالكامل لكان طلب من أركان الإدارة الأميركية الجلوس على كرسي الإعراف وكل في كنيسته أو معبده وطلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى على ما فعلوه بالعراق وكان من المصلحة ألا يفعلوا وما يواصلون فعله في فلسطين ومن واجبهم ألا يفعلوا. أما إذا كان الحبر الأعظم لم ولن يطلب ما نشير إليه فعلى الأقل يبلغ جنرال الدبلوماسية الأميركية بأن هنالك فرصة أخيرة أمام بلاده لكي يغفر العالم لها أخطاءها ويغفر لها الرب خطاياها. وهذه الأخطاء والخطايا تتجسد في الذي يحدث للعراقيين بعد الفلسطينيين ولا يرضاه الضمير. أما الفرصة فهي ترك العراقيين يقررون مصيرهم بأنفسهم ويختارون بإشراف الأمم المتحدة النظام الذي يقوم على دستور ثابت وحرية مسؤولية وديمقراطية تخضع لمحاسبة القضاء المستقل والاستفادة من ثروة النفط التي خصهم بها الله سبحانه وتعالى. كما أن الفرصة هي في التعامل بنزاهة مع الشعب الفلسطيني ووقف هذا العبث المتمثل في مسألة أن عرفات لا يصلح ومحمود عباس يصلح وتمكين هذا الشعب من إقامة دولته وعاصمتها القدس وإجبار إسرائيل على تنفيذ القرارات الدولية وبالذات القرار 242 الذي يتضمن انسحابها إلى حدود الرابع من يونيو 1967 وكذلك وضع حد لعدوانها الذي يتواصل ما دام الرئيس بوش يرى في أرييل شارون أنه رجل سلام مع أنه بات في نظر العالم رمز الإرهاب والعدوان والتمرد على الشرعية الدولية.. وأكثر المسيئين إلى هيبة أميركا وسمعتها.

تعليقاً على ما أوردناه نخطب قداسة البابا ممثلاً بقية رؤساء الكنائس المسيحية قائلين: لا تغفر لهم يا أبتاه لأنهم يدرون ما يفعلون.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 5 يونيو (حزيران) 2003

* * *

والمنطلقات نزيهة ، لما كانت الإدارة الأميركية أمعنت تهشيماً في هيبة الرجل الذي وضع القضية بين أيديها وكان يكرر مقولة الرئيس الراحل أنور السادات حول أن تسعة وتسعين في المئة من أوراق اللعبة بيد أميركا.

وهذا الرجل، أي ياسر عرفات، قال للأميركان ما معناه إنكم أنتم من أراد القرار 242 قبل ست وثلاثين سنة وأن حليفكم بريطانيا هي من صاغته وكانت صياغة اللورد كارادون للقرار من الحذاقة بحيث أنه ترك للإسرائيليين هامشاً رحباً لتفسير قراره على أنه لمصلحتهم. كما أن إسرائيل كانت في غاية الإمتنان لكم ولبريطانيا على دفع مجلس الأمن في اتجاه إصدار القرار. وعلى رغم أن العرب وافقوا على دفعات على قراركم الجائر هذا وأوصلونا إلى خيار الموافقة فإنكم بدأنم تبتعدون عن قرار أنتم أردتموه والإنكليز صاغوه والإسرائيليون هلكوا له. ومادام الأمر كذلك فنحن على أتم الإستعداد للرضى بما أردتموه وتأكدوا أنكم إذا وضعت هذا القرار وبعض القرارات اللاحقة موضع التنفيذ لن تسمعوا سوى أصوات رصاص الإبتهاج الفلسطيني وستجدون من الفلسطينيين إمتناناً لم تجدوه من اليهود أنفسهم. ذلك أن الفلسطيني بطبعه يحفظ الود ويذكر بالخير الذين يخصونه بالجمائل.

بدل أن يتعاطف الأميركيان مع ياسر عرفات فإنهم إلتقوا في منتصف الطريق مع الإسرائيليين على تهشيم هيئته وإذلاله من دون أن يستوقفهم سوء فعلهم هذا. وتطورت الأمور بحيث أنهم باتوا ينقذون ما يطلبه الشارونيون منهم. ووصلت الحال إلى حد أن أرييل شارون قال إنه لن يتعامل مع عرفات فقال الأميركيان إنه محق في قوله هذا. وأمعن شارون عدواناً في حق الفلسطينيين بمن في ذلك سكان المخيمات من نساء وشيوخ وأطفال، وعندما رد المعتدى عليهم على العدوان الذي لامبرر له، قال شارون إن عرفات هو المسؤول وردد الأميركيان وراءه: نعم إنه المسؤول. وأضاف جنرال دبلوماسيتهم كولن باول القول "إن عرفات هذا فاشل". ثم عندما أصر الشارونيون على أنه لن يكون لهم حديث مع عرفات مع أنه رئيس الدولة التي لا بد من قيامها وأنه هو من يتحمل مسؤولية الإضطراب الأمني وليس شارون، فإن الأميركيان قرروا أنه بات من الضروري أن يكون هنالك رئيس حكومة وأن يكون بالذات محمود عباس (أبو مازن).

لم يتوقف عرفات عن المسايرة وحيء بمحمود عباس الذي شكّل الحكومة التي تحظى بالرضى الأميركي - الشاروني. ثم تبين أن المطلوب هذه المرة هو رأس القضية. وبالعودة إلى ما جرى في القمة التي إستضافها الرئيس بوش الابن في العقبة يتأكد لنا ذلك. وفي تلك القمة كانت للرئيس الفلسطيني زلة لسان قوبلت بحلاوة من طرف لسان الرئيس الأميركي يقابل ذلك إصرار من شارون على أن إسرائيل "دولة يهودية" .. أي بما معناه لا مجال لعودة أحد ولا مجال لبقاء عربي، وعلى أن القدس الموحدة هي عاصمة إسرائيل اليهودية. ومن الطبيعي في ضوء ذلك أن تحدث العملية الإستشهادية الأولى في "عهد العقبة" وأن يستحضر الفلسطينيون وغيرهم، ونحن من بين هؤلاء، الأيتان الكريمتان في سورة البلد "وما أدراك ما العقبة. فك رقبة". كذلك من الطبيعي أن يكون الرفض الفلسطيني أشد عزمًا من قبل على رغم قول أبو مازن إن خطابه الذي ألقاه في "قمة العقبة" متعهداً فيه بإنهاء الإنتفاضة كان إطلع عليه الرئيس عرفات.

وهكذا نرى الفلسطيني وهو يتأمل في ما فعله عرفات و ما قد يفعله محمود عباس مثل ذلك العربي الباحث عن نسيبه في نيويورك بين بضعة ملايين ومثل ذلك الصعيدي الباحث عن قريبه في القاهرة بين خمسة عشر مليوناً... مع الفارق أن بين يدي الفلسطيني خارطة... وإنما من تصميم صهيوني أو متصهين كي لا يعرف هذا الفلسطيني أول الطريق من نهايته وكي يقول وهو يمسك بها: من أبو عمار مع بوش الأب وخليفته كلنتون إلى أبو مازن مع بوش الابن وكواسر إدارته وبالذات كونداليزا رايس التي يقشع بدنهما من كل عربي ومسلم خصوصاً الفلسطيني من بين هؤلاء: يا قلبي لا تفرح.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 12 يونيو (حزيران) 2003

الثأر الذي ... ربما يؤدّ ثورة

كانت العلاقة في إستمرار على أفضل مايرام بين أميركا الإدارة بتفرعاتها من الرئاسة إلى الخارجية إلى البنتاغون إلى الـ "سي. أي. اي" وبين تركيا المؤسسة العسكرية. إلا أنها في الوقت نفسه كانت تعيش حالات لمن التوتر سببها أن الحكومات في تركيا تتخذ أحياناً

من المواقف ما يشكّل تقاطعاً مع السياسة الأميركية. وعندما كان التوتر يبلغ مشارف نقطة الانفجار نتيجة عناد السياسيين الأتراك وعدم تفهم الإدارة الأميركية فإن الجنرالات الأتاتوركين كانوا يدخلون على الخط ويمارسون على السياسيين من الضغط ما يجعل هؤلاء إما يتفهمون فيصحبون إضطراراً وليس إختياراً، وإما يتوارون ليحل محلهم طاقم جديد على درجة من الانسجام مع العنوان الرئيسي والتقليدي للعلاقة الأميركية - التركية والذي يتلخص في أن هذه العلاقة خيار إستراتيجي ولا يحتمل أي تقاطعات بفعل أهواء السياسيين وأمزجتهم.

بعدما وصل الإسلاميون بالطبعة الأردوغانية إلى الحكم بديلاً للحقبة التي قادها نجم الدين أربكان ولم تكن موضع الإرتياح الأميركي، حدث نوع من الإسترخاء في العلاقة الأميركية - التركية ونتيجة لذلك إنحسر عدم الإرتياح المشار إليه والذي كان وصل إلى حد إبداء مشاعر الحذر من الأربكانية والأربكانيين الذين يريدون إنتزاع ما يمكنهم إنتزاعه من العلمانية التركية وإحلال ما يمكنهم إحلاله من نصوص وطقوس وتقاليد تستند إلى الشريعة الإسلامية. وللمرة الأولى تنشأ معادلة تقوم على قاعدة الطمأنينة بمعنى أن المؤسسة العسكرية مطمئنة إلى الحكومة التي إنتقلت من عبد الله غول التي شغلها بضعة أسابيع إلى رجب طيب أردوغان الزعيم الحقيقي للتيار الإسلامي المتجدد، وأن الحكومة مطمئنة إلى نحو ما فعلوا بنجم الدين أربكان، وأن أميركا الإدارة من الرئاسة إلى مراكز صُنع القرار المتفرعة عن الإدارة مطمئنة إلى أن جدارها الإسلامي الذي يفصل بين أوروبا وبين العالم العربي هو من الصلابة بحيث لا خوف من مفاجآت.

لكن هذا الإطمئنان أصابته وعكة مفاجئة تمثلت في أن الحكومة الأردوغانية إحتزمت قرار البرلمان الخاص بعدم السماح للقوات الأميركية الإنطلاق من الأراضي التركية في إتجاه العراق، وأن المؤسسة العسكرية بدورها تفهمت قرار البرلمان وموقف الحكومة فلم تضغط خشية أن يحدث إنفجار شعبي تصيب شظاياها الجميع. ولقي هذا الموقف المتناغم إحترام أطراف عربية وإسلامية ودولية كثيرة خصوصاً أن تركيا خسرت نتيجة لذلك بضعة مليارات من الدولارات كانت ستقدمها الإدارة الأميركية كـ "مكافأة" أو كـ "تعويض" أو كـ "رشوة". وهي مليارات توزعت بعد ذلك على باكستان وإسرائيل ودول

عربية وإسلامية كانت مطواعة وقدمت من التسهيلات السياسية ما جعل التسهيلات العسكرية من جانب دول أخرى تشكّل الغطاء المعنوي المطلوب للحرب على العراق خصوصاً بعدما إكتملت ملامح الرؤية الدولية التي ترى أن الحرب تلك غير أخلاقية وغير نظيفة وأنه لا مبرر لها مادامت سارت الأمور على النحو الذي سارت عليه وإقترفت أميركا وبريطانيا "حرب التحرير" التي إنتهت إحتلالاً للعراق بموجب قرار صادر عن مجلس الأمن وإجماع الدول الدائمة العضوية وتلك التي ذات العضوية غير الدائمة. ومنذ أن تم إسقاط النظام الصدامي وإنتهى أمر العراق كدولة مستقلة محكومة من عراقيين والإدارة الأميركية لا تغفر لتركيا ما فعلته بها عندما لم تسمح لها بالإنتلاق من أراضيها. وفي إستمرار كانت تتحين الفرصة التي تتأّر فيها من الحليف التركي الذي تمرد على إرادة العم سام، وبحيث يكون الثأر من الحكومة والمؤسسة العسكرية ومعهما البرلمان في الوقت نفسه. وجاءت الفرصة المواتية تتمثل في إلقاء القوات الأميركية القبض قبل أيام على 11 عسكرياً تركياً ينتمون إلى القوات الخاصة كانوا في مهمة لهم في مدينة السليمانية الكردية شمال العراق ثم إقتادتهم مخفوفين إلى بغداد.

ثارت ثائرة الجميع في تركيا وإن كان غضب المؤسسة العسكرية على ذلك فاق غضب الآخرين، على إعتبار أن مثل هذا الإجراء يجرّ الجنرالات أما الضباط على مختلف الرتب ومعهم الجنود من ذوي الرتب الصغرى الذين ينظرون إلى علاقة جنرالاتهم بأميركا والتأمرك الذي أضفاه هؤلاء على المؤسسة العسكرية الأتاتورية بأنها من النوع الذي يستحق جزيل المكافأة وليس إلقاء القبض على عناصر من القوات الخاصة وسوقهم مخفوفين إلى التحقيق في بغداد.

في ضوء هذا الشعور الذي هو أكثر بكثير من خيبة الأمل إنتهز كبير رجال أميركا في المؤسسة الأتاتورية رئيس الأركان الجنرال حلمي أركوك مناسبة إستقباله روبرت بيرسون سفير الولايات المتحدة يوم الإثنين 7 يوليو الجاري (2003) في زيارة وداعية ، وبعدما أمضى في أنقرة ثلاث سنوات سفيراً لبلاده لدى تركيا ، لكي يقول له كلاماً، بعضه مسموح بنشره وبعضه الآخر غير مذاع، ينقله بدوره إلى الإدارة في واشنطن. ومن الكلام المذاع على سبيل المثال لا الحصر قول الجنرال الأتاتوري أركوك: "هذه الواقعة أثارت أكبر أزمة ثقة بين بلدنا ويصعب عليّ إعتبارها مجرد حادث محلي عادي .

يمكن أحياناً أن نُبلِّغ بشيء ما. وقد تكون هناك مشكلة لكنني كنت أمل ألا تتم تسويتها بهذه الطريقة غير المقبولة إطلاقاً. ألم يحدث أن القوات التركية قاتلت جنباً إلى جنب مع الجيش الأميركي في الحرب الكورية خلال 1950-1952.

وعلى هامش الكلام ، المذاع منه وغير المذاع قالت الصحف التركية إن الإفراج عن العسكريين الأحد عشر لم يحل الأزمة التي نشأت في العلاقات التركية - الأميركية وأن هذه الأزمة مرشحة للتفاقم "ولن يكون من السهل محو آثار هذه المسألة طالما أن الإدارة الأميركية الجمهورية باقية في السُلطة" على حد ما جاء في افتتاحية صحيفة " حرييت" ذات التأثير على الصعيدين الرسمي والشعبي.

تبقى الإشارة إلى أن الإرتعاج التركي من الواقعة يعود إلى كونها حدثت في منطقة الأكراد الأمر الذي يعني أنها، أي الواقعة، كانت بمنزلة رسالة مزدوجة من العم سام إلى حليفه الأتاتوركي بشقيّه: الحكومي الإسلامي الأردوغاني الذي كسر الرغبة الأميركية في الإنطلاق من الأراضي التركية ضد العراق وكان هذا التصرف عاقلاً وبعيد النظر عكس التصرف الأميركي. والعسكري الأتاتوركي الذي كان العم سام التكتاسي يتوقع منه إنتقاضة على الحكومة والبرلمان معاً لكسر شوكة تمردهما لكن الجنرالات كانوا متعقلين ومتفهمين وغير متجاوبين مع الرغبة الأميركية الدفينة. أما مضمون الرسالة فهو: إننا لا ننسى الإحراج يأتي من حليف، ويمكن أن نثار ولو بعد حين وعلى أرض الأكراد الذين لا تطيقون حتى سماع أسمهم أو رؤية شرارويلهم الفضفاضة والذين يريدون إقامة دولة لهم وتريدون أنتم إفناءهم إذا إستطعتم. لكن هذا الثأر قد يولد ثورة في وجه العم سام. وما يحدث داخل العراق بداية مؤشر على ذلك.

صحيفة "الراي العام". الخرطوم - الخميس 10 يوليو (تموز) 2003

ومن الحب الأميركي للعراقيين

ما قتل ويقتل ... وسيظل يقتل

تؤكد الإدارة الأميركية يومياً في تعاملها مع الموضوع العراقي القول الشعري البليغ " ومن الحب ما

قتل ...". وها هي القوات التي رماها كواسر الإدارة الأميركية في رمال بلاد الرافدين تتعامل مع العراقيين وفق قاعدة النوع الذي يقتل من الحب ... وإلى حد أن هذه القوات أجازت لنفسها عملاً بالتعليمات المستجدة التي تتلخص في شرعية إطلاق النار بناء لـ "معلومات غامضة" ولمجرد الشبهة على أي كان في أي مكان وزمان، إرسال أكثر من مئتي جندي حاصروا منزلاً لشيخ عشيرة في بلدة الموصل وأمطروه على مدى ساعتين بمئات القذائف وعلى أساس أن المعلومة التي وصلت إلى قيادة هؤلاء أفادت أن نجلي الرئيس العراقي صدام حسين موجودان داخل المنزل. ومع أن أصول الإقتحام وبالذات عندما يكون من هو مطلوب بأهمية عدي وقصي صدام حسين واللذين هما الذراع اليمنى والذراع اليسرى لنظام والدتهما، تستوجب اعتماد الوسائل التي تبقى على الإثنتين حيئذ ولدى هذه القوات من الوسائل لتحقيق الغرض ما يغنيها عن القصف الذي دام أكثر من ساعتين، فإن قاعدة الحب الذي يقتل تغلبت على الإعتبارات الأخرى بما فيها ما يتعلق بأصول الإقتحام. وفي نهاية العملية غير الشجاعة بالمقاييس العسكرية قيل إن الشقيقتين قضيا نحبهما ثم قيل إن شيخ العشيرة الذي آوهمما، وكان من المجموعة التي جنت المال الوفير من أعمال تجارية ومقاولات منحها العهد الصدامي له، هو من وشى طمعاً بمزيد من الملايين هي قيمة المكافأة المخصصة لمن يقبض على أبنئ الرئيس حيئذ أو ميتين. كما قيل إن العملية من "طأطأ لسلامو عليكم"، هي "فبركة" تدخل في سياق الحرب النفسية وأن الشقيقتين لم يكونا في المنزل وبالتالي لم يقتلا. كذلك قيل إن الغرض من هذه "الفبركة" هو تقديم إنجاز عسكري إلى إدارة بوش التي بدأت هيبتها تتعرض للإهتزاز من جرّاء الجدل المتصاعد في شأن الحرب فضلاً عن إستشراء الضيق الشعبي من تزايد عدد القتلى والجرحى في صفوف القوات الأميركية على أيدي المقاومين العراقيين ومن إتساع رقعة إحراق الآليات العسكرية ... هذا إضافة إلى أن الوضع الإقتصادي والمالي يزداد تدهوراً ويتجه الخط البياني المتعلق بالعجز صعوداً وإلى حيث بات على مشارف الخط الأحمر. وعندما تقفز الأرقام فوق هذا الخط فإن مصير تجديد الرئاسة البوشية يصبح حكماً على كف الغفريت العراقي متمثلاً بهؤلاء المقاومين المجهولين الذين يصطادون عساكر أميركا وكما لو أنهم عصافير. والإنجاز المثالي الذي من

شأنه وضع حد للأخذ والرد في شأن ما يقال حول التزوير والتضليل وإفتيال الحرب على رغم إرادة الشعوب هو الإعلان بأن الفأس الأميركية إقتربت من الرأس العراقية بإعتبار أن قطع الذراع اليمنى ثم الذراع اليسرى للنظام الصدامي معناه أن يصبح هذا النظام جسداً من دون ذراعين وفي هذه الحال لا يعود الرأس قادراً على إيجاد المقومات للبقاء على قيد المقاومة أو على قيد الحياة.

ولكن الأجواء العامة داخل الولايات المتحدة وكذلك داخل بريطانيا وأوروبا فضلاً عن سائر دول العالم جعلت الناس يشكون كثير الشك في واقعة المواجهة وذهب بعضهم إلى حد التشكك في أن يكون نجلا الرئيس العراقي قضيًا نحبهما. والذي عزز هذه الشكوك أن الجثتين لم تُعرضا على الفور وإنما بعد الترميم المتطور لهما وبحيث أن ما تم عرضه بدا كما لو أنهما تمثالان من تماثيل متاحف الشمع.. وهذا يعني أنه إذا سمعنا ذات يوم بأن حادثة الموصل كانت "مفبركة" أو أنها حقيقية إلا أن اللذين قضيًا كانا بديلين شقيقين وليسا هما بلحهما ودمهما فيجب ألا نفاجاً خصوصاً أن ظاهرة البدائل في النظام الصدامي كانت معروفة ومعروف أيضاً أن الإبنين لا يمكن أن يتواجدا في لحظة الخطر في مكان واحد وذلك كي لا يصابا معاً فتتعطل التركيبة الصدامية.

المهم في الأمر هو شغف الإدارة الأميركية وبالتحديد كواسرها بتقديمهم وزير الدفاع رامسفيلد بحب العراقيين والتركيز على أن هذه الإدارة في كل ما تفعله إنما هو من أجل أن يعيش الشعب العراقي معزراً مكرماً في مناخ الحرية والديمقراطية. وإذا كانت تقع على جوانب الإحتلال الأميركي للعراق بعض الكوارث الاجتماعية والمعيشية وتراق بعض الدماء وفي الوقت نفسه لا يجاز للعراقيين أن يختاروا حكومة ينتفعون من ثروة خصهم الله بها ، فهذا من دواعي الحب الأميركي لهم .. وهو من نوع الحب الذي يقتل . وإستناداً إلى هذه القاعدة فإن الحب المشار إليه الذي قتل مئات الألوف في زمن الحصار وعشرات الألوف في أيام الحرب ويقتل المزيد في زمن الإحتلال، سيأخذ على عاتقه مواصلة المزيد من القتل في السنوات المقبلة .. إلا إذا وقعت "الواقعة العراقية" بمثل "الواقعة الفيتنامية" نتيجة لتوحد العراقيين حول موقف يؤكدون فيه الترحيب بأميركا كصديقة والرفض لأميركا المحتلة... و التخلي عن حرصها عليهم وفق قاعدة الحب الذي

منه ما قتل ويقتل وسيقتل .

تبقى الإشارة إلى أن مضمون هذا المقال إستمر قائماً حتى اللحظة التي نعى فيها الناعي وهو هنا الرئيس صدام حسين يوم الثلاثاء 29 يوليو ولديه. وبعد هذا النعي لم تعد التكهات سائدة بمثل ما كانت عليه وتأكدت أكثر فأكثر مقولة أن الحب الأميركي للعراقيين عموماً ولصدام ومن هم الأقرب إليه مكاناً ومكانة هو من نوع الحب الذي يقتل.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 31 يوليو (تموز) 2003

* * *

ليبيا القذافية التي تعيد النظر...

في مهب الإبتزاز

يوم الجمعة 15 أغسطس 2003 أُعلن رسمياً في واشنطن أن ليبيا قدّمت رسالة إعتراف إلى مجلس الأمن تتعهد فيها، قبول المسؤولية عن أفعال مسؤوليها من حادث تفجير طائرة "بان أميركان" فوق بلدة "لوكوربي" الأسكتلندية العام 1988.

وعلى حد قول مسؤول أميركي إن الرسالة الليبية إلى مجلس الأمن "نبذت الإرهاب وتعهدت بالتعاون في التحقيقات، وأصدرت تعليمات إلى مصرفها المركزي بسداد 2.7 مليار دولار كتعويضات لأسر الضحايا البالغ عددهم 270 شخصاً. وإشترطت ليبيا دفع أول قسم من التعويضات وقيمتها أربعة ملايين دولار برفع العقوبات الدولية عنها. فيما إشتترطت الدفعة الثانية برفع العقوبات الأميركية على أن يُدفع القسم الثالث بعد رفع اسم ليبيا عن اللائحة الأميركية بأسماء الدول الداعمة للإرهاب.

جاءت هذه الخطوة التي ينطبق عليها القول "أحلاهما مر" بمصل إعتبار الإمام الخميني موافقته على وقف إطلاق النار مع العراق الصدامي أنه كمن يتجرع السم ، وجاءت في وقت لم تعد ليبيا 2003 بمثل ما كانت عليه ليبيا عام حادثة لوكوربي 1988، فخلال أربع عشرة سنة من عذابات الحصار والعقوبات الدولية المفروضة على ليبيا حدث تبدل نوعي في نظرة القيادة الليبية إلى الأوضاع الدولية والإقليمية ووصلت الحال بالعقيد القذافي إلى الإقرار بأن العصر الأميركي شر إلا أنه لا بد منه. وفي هذا الصدد له

قول شهير خلاصته إن من لا يقر بواقع الحال الأميركي يُداس. وخلال أربع عشرة سنة إبتعد العقيد عن الهموم العربيّة شيئاً لرفع الحصار عن ليبيا وإقترب أكثر في إتجاه الإهتمامات الأفريقية. وخلال أربع عشرة سنة أثار بعض العواصف السياسية التي شملت أطرافاً عربية لم تتحمل عبارات قالها في مؤتمرات على مستوى القمة أو من خلال مقابلات أجرتها الفضائيات معه . وخلال أربع عشرة سنة لمس وكمن يقبض على الجمر بيديه ماذا يعني أن بلده محاصر، وأن الناس لا يستطيعون السفر حتى إلى تأدية فريضة الخ، وأن التجارة الطبيعية تتراجع أمام تجارة السوق السوداء، وأن النسيج الإجتماعي يتفكك وبحيث أن المخاطر التي ستتشأ عن ذلك ليست بالإمكان معالجته.

وكل هذا الذي حدث خلال سنوات الحصار، وبالذات العشر الأوائل منها، إنعكس على نفسية العقيد القذافي فبات أكثر قبولاً بالإبتعاد عن آفاهه كرجل ثورة وأقل رفضاً للانخراط في عالم رجل الدولة الذي هو من أصول ثورية. ولقد إبتكر إذا جاز القول، خلطة سحرية إستانس في تركيب موادها بأسلوب الرئيس حافظ الأسد وكيف تعامل مع أميركا في حرب بوش الأب على العراق لإستعادة الكويت، بما يجعلها لا تقف حجر عثرة في طريق رغبته في توريث إبنه وهذا تحقق مع النجل الثاني الدكتور بشار بعد وفاة النجل البكر ولي العهد باسل في حادث مفجع على طريق مطار دمشق. كما أنه إستانس بأسلوب صديقه الرئيس حسني مبارك الذي يواصل بالكثير من التآني تأهيل الإبن الثاني جمال لكي يكون الوريث أمد الله في عمر الوالد.

وبموجب الخلطة السحرية الخاص بما يرضي تجار السلاح الذين كانوا قبل عقدين من الزمن الثوري علة ليبيا في نظر الشعب التي إعتبرها بديلاً للحكومة التقليدية فإذا بها لا تحقق الإستقرار المطلوب وتفرز في الوقت نفسه ظواهر ليست موضع رضا أهل القرار وأهل البلد على حد سواء. كما أنه بموجب الخلط، السحرية إستتبط شكلاً جديداً لدولة فلسطينية - إسرائيلية في إستطاعتها تسوية الصراع التاريخي ما دامت تحمل تسمية "إسرائيل". ودفع بالإبن سيف الإسلام ليكون "بشار ليبيا" و "جمالها" بعد أن يقر بأنه لا يريد إذا أعطاه الله المزيد من العمر أن يكون في موضوع الحكم والقيادة بمثل حال فيديل كاسترو. وللتذكير فإن الأخ معمر القذافي يقود السفينة منذ ثلاثة وثلاثين سنة يكبره الرفيق فيديل بعشر سنين

كحاكم أوجد لجزيرة قصب السكر والسيجار الفاخر. ولقد حقق سيف الإسلام خطوات من شأنها تسرب بعض الطمأنينة إلى نفوس الغرب الذي لا يعجبه العجب العربي، وبحيث عندما تحين ساعة التوريث يكون هذا الغرب متذكراً ما فعله القذافي الإبن بدعم وتوجيهات من القذافي الأب إزاء رعايا أجانب كانوا محتجزين لدى جماعات إسلامية على غير ما يريد الرسول من أتباعه أمثال جماعة "أبو سيف"، ورؤى إستوعبها من خلال زيارات قام بها إلى بريطانيا التي لم يزرها والده منذ أن بات زعيم ليبيا وحاكمها. وفي نفس الولد حنين وجداني إلى زيارة يكون فيها الضيف المميز للملكة إليزابيث ولولي عهدها الأمير تشارلز مروراً ببضع دقائق يقضيها في ميدان "البيكاديلي" تجدد في ذاكرته دقائق سبق أن أمضاها في ذلك الميدان قبل أن ينقل ليبيا من السنوات الملكية إلى القذافية الجماهيرية. وبعد التسوية التي تم إنجازها مع بريطانيا والنمو المتأني على رغم سرعته للعلاقة البريطانية - الليبية وضمن رؤية سيف الإسلام ومتابعته وحماسه لا تعود الزيارة الإستثنائية مستبعدة ذلك أن الدنيا مصالحة، والنفس البريطانية الأمارة سابقاً بالسوء للقذافي تواقه حالياً إلى أن تكون ذات شأن في ليبيا قبل أن تستبقها أميركا وفرنسا إلى هناك. ومن أجل ذلك نرى أن هاتين الدولتين تحاولان زرع ألغام على الطريق فالإدارة البوشية ترى أن الإتفاق الذي تم لا يعني بالضرورة أن الرضى على العقيد القذافي قد تحقق، أو على حد قول أصحاب شأن في هذه الإدارة "إن ليبيا أوفت بالحد الأدنى المطلوب لرفع عقوبات الأمم المتحدة لكن نحن مازالت تساورنا بواعث قلق في شأن برامج أسلحة الدمار الشامل وأنظمة الصواريخ وسجل حقوق الإنسان والتدخل في شؤون دول أخرى خاصة في أفريقيا...". وفرنسا الشيرالية إنتفضت لمجرد أن بلغها حصول الإتفاق والمحت إلى أنها ستستعمل "الفيتو" في مجلس الأمن عند التصويت على رفع عقوبات الأمم المتحدة المفروضة على ليبيا وذلك لأنها ترى أن "مفيش حد أحسن من حد" وبالذات أن الأميركي ليس أفضل من الفرنسي ومن أجل ذلك تريد أن تكون أرقام التعويضات في شأن حادثة طائرة "أوتا" عام 1989 بمثل أرقام تعويضات حادثة طائرة الـ "بان أميركان" علماً بأن ليبيا كانت دفعت في العام 1999 تعويضات لأهالي ضحايا تلك الطائرة بعدما تحملت مسؤولية تفجيرها فوق النيجر. وهكذا إرتضى أهل القتل إلا أن حكومة القتل لها حساباتها في ضوء لعبها الذي تدفق بعد التعويضات

الليبية عن حادثة "لوكوربي".

ومن الواضح أن الدافع إلى عدم الرضى الكامل من جانب الإدارة البوشية ودوافع الإنتفاضة الشيراكية هو الإبتزاز .. وكأنما الدولتان أميركا وفرنسا وجدتا "باب إستترزاق" من شأنه أن يعود بالكثير من خيرات الشعب الليبي عليها ولم تنتظر إلى الأمر على أنها تسوية ولو متأخرة لحوادث وقعت في زمن مضى. بل ليس مبالغة القول إن الطرفين الأميركي والفرنسي بالموقف الذي إتخذه كل منهما سيواصلان التحفظ والتردد والإبتزاز على أساس أن عيونهما وخزائنها شاخصة على الآبار الليبية التي هي مثل الدجاجة التي تبيض وجني ما تبيضه وكل على قدر إستطاعته من النهب.

أعان الله ليبيا التي لا يعوّض العالم عن طائراتها التي هي الأخرى أسقطتها إسرائيل فوق الأراضي المصرية بقذائف صاروخية قد تكون أميركية المنشأ وقد تكون فرنسية. والله أعلم.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 21 أغسطس (آب) 2003

للقدس لجنة لا تحميها من الكيد

الشاروني وللحرم الثالث زعامات لا ترد

الأذى عنه

مرة أخرى وليست أخيرة تحاول إسرائيل الإنقضاض على الحرم الثالث أو تصديعه بحجة البحث عن الهيكل. والقول بأنها مرة أخرى وليست أخيرة على أساس أنه منذ العام 1967 والمحاولات متواصلة من جانب الإسرائيليين في إتجاهين:

الأول- التهديد بحيث تكثر إسرائيل من بناء المستوطنات وإلى الحد الذي يصل فيه عدد سكان مدينة القدس ... مدينة المسجد الأقصى إلى مليون نسمة يشكّل اليهود 75 في المئة من هذه النسبة وبذلك تستطيع القفز فوق الإرادة الدولية الرافضة أي تلاعب في شأن المدينة المقدسة وبالذات إصرار الصهيونية على توحيد المدينة وجعلها العاصمة الموحدة لإسرائيل.

الثاني- الإستنزاف الرسمي - الشعبي من جانب إسرائيل للمسلمين بغرض تعويدهم على أن ينظروا إلى

الحرم الثالث وكأنما هو لهم وليس لهم في الوقت نفسه، وذلك من خلال محاولات إحراق للمسجد الأقصى أو من خلال حفريات تتم بين الحين والآخر أو من خلال إستباحة الباحات المقدسة من جانب السياح والعناصر اليهودية المتطرفة. وكل ذلك يتم ضمن مخطط شرير وفي ظل حماية عسكرية إسرائيلية لهؤلاء المستبشرين. وبين العام 1967 وأيامنا الحالية واجه الحرم الثالث إعتداءات كثيرة، إلا أن أسوأ هذه الإعتداءات يتمثل في إحراق منبر صلاح الدين وأجزاء من مسجد الصخرة في مثل هذه الأيام من العام 1969 على أيدي عناصر تابعة للحاخام منير كاهانا زعيم حركة "كاخ العنصرية" حاولوا تفجير الحرم أكثر من مرة. وهذا الـ "كاهانا" الشرير يرى أنه كان على الجيش الإسرائيلي عقّب إحتلال القدس عام 1967 إزالة الحرم القدسي وأن عدم الإقدام على ذلك "كان خطأ العمر". وما يحدث الآن على الأيدي الشارونية ليس أقل سوءاً حيث يجري تنفيذ المراحل المتقدمة من المخطط الشرير الذي سبق أن وضع شارون خطوطه الأساسية في صيغة مشروع يقوم على المصادرة والتجوير والإكثار من المستوطنات وإسكان يهود فيها بعد إستقدامهم من مناطق أخرى وبحيث يصبح عدد سكان القدس من اليهود بداية الثلث الأخير من القرن الواحد والعشرين مليون نسمة.

يطول الحديث حول المحاولات الإسرائيلية الشريرة الأثمة التي تستهدف الحرم الثالث وفي الوقت نفسه تهديد المدينة المقدسة. وتتكاثر الأرقام التي تصيب المرء بالذهول عندما يتأمل فيها وكيف أن الخط البياني يتصاعد إلى درجة يبدو فيها التهويد وكأنما هو مسألة وقت، وأن الإنقضاض هو خطوة تنتظر شاروناً آخر أشد فتكاً وعنصرية يكمل ما بدأه الـ "شارون" البوشي أرييل، الذي في خلال ثلاث سنوات من الرئاسة الدموية المحمية بثلاث أخرى من الرئاسة البوشية المتفهمة والمتعاطفة والغافرة لكل ذنب إسرائيلي والمصنفة أرييل شارون على أنه "رجل سلام" على رغم كل الخطايا والإعتداءات والذنوب التي يقرّفها، قطع شوطاً بعيداً على طريق التهويد ووضع اليد على الحرم الثالث منتهزاً حالة النوم العربي والإسلامي العميق.. أو فلنقل إفتعال النوم والتظاهر به كي لا يقوم أولو الأمر بالواجب الملحق عليهم وهو حماية المدينة المقدسة من الكيد الشاروني ورد الأذى عن الحرم الثالث.

ويبدو قادة المليار ونصف المليار مسلم وكما لو أنهم من ينطبق عليهم القول "لا من شاف و لا من دري". ونجد أنفسنا نتساءل هنا : ما الذي تفعله لجنة القدس "إذا كانت لن تقتحم الأسوار الشارونية وترد الأذى عن الحرم الثالث. وإذا كانت هذه اللجنة لا تفعل شيئاً أمام الإستهانات المتواصلة بالحرم الثالث وتترك شذاذ الآفاق يتجولون في باحات المسجد الذي إليه أسرى الله سبحانه وتعالى، بعبده الرسول عليه السلام من المسجد الحرام ، فما الذي تفعله هذه اللجنة. وتستوقفنا هنا ملاحظة أن رئيس اللجنة محمد السادس يثور غضباً على جاره الجزائري لأسباب تتصل بالموضوع الصحراوي، لكنه في الوقت الذي تستباح باحة المسجد الأقصى من يهود متطرفين ومن سياح أجانب لا يصدر عن اللجنة بيان حازم وتنبيه صريح لـ "الصديق" الأميركي بضرورة أن يوضح لحليفه الشاروني بأن القدس والمسجد الأقصى خط أحمر.. هذا إذا كان "الصديق" يرى هو الآخر ذلك أم أنه مع "بطل" المسرحية أرييل شارون في أفعاله الشريرة هذه، وأنه يمثل الملقن الذي لا يظهر على خشبة المسرح لكنه من مكان غير منظور يقول لـ "البطل" الكلام الذي عليه أن يقوله لكي تتجح المسرحية - المأساة.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 28 أغسطس (آب) 2003

إلى متى: الكلمة للأظلم...

وليس للأسلم !؟

مع أن كلمة الحق التي قالها من خلال مقابلة أجرتها معه مجلة "شتيرن" الألمانية الأسبوعية ونشرتها الأسبوع الماضي جاءت متأخرة، لكن خيراً فعل المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية الدكتور محمد البرادعي من أجل ضميره وخير الإنسانية عندما قال في هذه المقابلة "إن الولايات المتحدة تصر على عدم إمتلاك الدول الأخرى أسلحة نووية ومن ناحية أخرى فإنها تقوم بتطوير ترسانتها من خلال إجراء أبحاث على ما يسمى الأسلحة النووية الصغيرة ، ولا أعتقد أن ذلك يتطابق مع الإتفاقية التي وقّعها الأميركيون". يأتي هذا الكلام التحفظي على النهج الأميركي من

جانب الدكتور البرادعي في وقت يتزايد صراخ أحفاد "العم سام" على إيران لأنها مهتمة بمجارة النوويين وقطعت شوطاً في هذا الإتجاه مع جارتها روسيا التي تقدّم لها في السر وفي العلن ما يمكن تقديمه في المجال النووي. ويبدو كلام البرادعي وكما لو أنه يستند إلى عدم موضوعية الموقف الأميركي إزاء إيران علماً بأن هذه الأخيرة تحرص كثير الحرص على التوضيح بأن إهتماماتها النووية هي في مجال الإستخدام السلمي لكن الإدارة الأميركية التي ترى أن النووي السلمي يمكنه مع الوقت أن يتحول إلى نووي حربي، لا تتحمل إمتلاك إيران للسلاح النووي الذي من شأنه إرباك مخطتها لحشر دول النفط العربية - الإسلامية في القفص الذهبي الأميركي.. هذا فضلاً عما سيصيب ميزان القوى الإقليمي في حال باتت إيران نووية. وبصفقتها الجديدة لا تعود إسرائيل على العربة التي هي عليها، لأنها إضافة إلى مساندة أميركا لها تملك السلاح النووي وتقف في مواجهة أي دولة تسعى لإمتلاك هذا السلاح. ولنا في الذي أصاب مفاعل تموز العراقي وكيف دمرته إسرائيل بحماية أميركا المثال على ذلك. كما لنا المثال في محاولات خجولة قامت بها مصر وليبيا وتقوم بها سوريا ولكنها في معظمها محاولات متأخرة وبحيث باتت المواجهة في هذا الإطار غير متكافئة.

ويأتي كلام البرادعي أيضاً متناغماً مع كلام بليكس زميله في موضوع التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق. وقد إرتأى بليكس قبل ثلاثة أشهر أنه ما دام سيتقاعد أن يغادر المنصب مرتاح الضمير فكان موقفه الذي ركز فيه على الأضاليل الأميركية - البريطانية في موضوع أسلحة الدمار الشامل، رافضاً أن يكون شاهد زور على المعلومات غير الصحيحة والتقارير المفبركة التي إستند إليها ثنائي الحرب على العراق بوش - بليز.

وبدا بليكس في إنتفاضته التي أدت إلى تظليل الرئيسين الأميركي والبريطاني بعشرات علامات الإستفهام والتعجب بمثل إنتفاضة الدكتور بطرس غالي من قبل متمثلة في موقفه كأمين عام للأمم المتحدة من مجزرة قانا. وهاهو البرادعي يمهّد لمغادرته المنصب بالكلام الذي يتحدث فيه عن سياسة المعايير المزدوجة التي تعتمدها الإدارة الأميركية. ومثل هذا الكلام يصدر عن مسؤول دولي يشغل الموقع الحساس، أي مراقبة النشاط الذري والنووي في

العالم، هو بمرتبة إصدار أحكام على مخالفين. لكن المشكلة هنا أن الذي يخالف لا يتم إنزال عقوبة في حقه وإنما هو نفسه يخالف ويعاقب الآخرين.

وفي تقديرنا إن أكثر ما يقلق المصري النووي الدكتور البرادعي هو ألا يصيب إيران من أميركا أو من إسرائيل ما سبق أن أصاب العراق من قبل، أي أن تفاجأ القلعة الثورية الإسلامية ذات يوم وفي لحظة غفلة بغارة أميركية أو إسرائيلية خاطفة تدمر المنشآت النووية الإيرانية التي قطع الحكم الثوري خطوات متقدمة على صعيد البناء النووي. ولقد قرأنا قلقه وبكثير من الوضوح في مقابلة أجرتها معه محطة "بي.بي.سي" البريطانية المشتبكة في صراع غير مطروق في عالم الصراعات مع حكومة طوني بلير متسببة بزعة أولية لهذه الحكومة تتمثل في صدمة عدم الإحساس بالثقة من جانب المواطن البريطاني برئيس حكومته. ونقول ذلك على أساس أن الدكتور البرادعي أبلغ الإيرانيين كلاماً أشبه بالتحذير سمعه من الطرف الأميركي وهو كلام منسجم مع مشاعر الإسرائيليين ونظرتهم. وخلاصة ما سمعه النووي المصري يتلخص في عبارة "لقد بدأ المجتمع الدولي يقلق وينفذ صبره". وهذه العبارة التي كانت جزءاً من حديث مطول بين المسؤولين الإيرانيين والدكتور البرادعي بدت وفي ضوء كلامه للمجلة الألمانية كما لو أنها تدعيم لرأيه في أنه من غير المنطقي ولا القانوني ولا المعقول أن تجيز أميركا لنفسها وإسرائيل ما تحرّمه على الآخرين، وبالذات على دولة مثل إيران تعتبر أن الحماية الوحيدة هي في أن تصبح نووية على نحو ما هي حال باكستان ... والتي يقال إن للأخيرة بصمات في المشروع النووي الإيراني، إضافة إلى ما يتيسر الحصول عليه من التجار النوويين في السوق السوداء.

ويبقى سؤالان: الأول هو ما الذي يجعل هؤلاء الموظفين الدوليين أمثال بطرس غالي وبليكس والبرادعي وكوفي أنان على نحو ما نتمنى أن يحصل، لا يكتشفون الحقائق إلا قبل مغادرتهم المنصب ولماذا لا يقولون كلمة الحق في الوقت المناسب؟ وهل أن صحوة الضمير يجب أن تحدث بعد أن تقع الفؤوس على الرؤوس؟

أما السؤال الثاني فهو: هل يا ترى سيفعل العميد الحالي للموظفين الدوليين الأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان الشيء نفسه فيقف في لحظة صحوة

ضمير ويوضح للعالم أي سكوت معيب على الظلم كان سكوته على ما جرى في حق شعوب كثيرة من بينها الشعب الفلسطيني والشعب العراقي، في حين أن وقفة جريئة وشجاعة من جانبه كان من شأنها أن توقف هذا الإجتياح الأميركي للمنظمة الدولية والذي يستمر وسيواصل من أجل أن تتكرس قاعدة: الكلمة للأظلم وليست للأسلم .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 سبتمبر (أيلول) 2003

* * *

أسوار ملكية ... والأعيب شارونية

بعد الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الإسرائيلية سيلفان شالوم إلى المملكة المغربية حاملاً رسالة من أرييل شارون إلى الملك محمد السادس، هاهي المملكة الأردنية تُنهي التحفظ الدبلوماسي إزاء إسرائيل فيتسلم وزير الخارجية مروان المعشر أوراق اعتماد السفير الإسرائيلي تمهيداً لتسلم الملك عبدالله الثاني هذه الأوراق.

في الحالتين ليس في الأمر أي فائدة للقضية الفلسطينية إذا كان الغرض منهما إسداء دفعة إنقاذية للتعثر الذي تعيشه القضية. وفي الحالتين لا يبدو جائزاً للمملكتين المرتبطتين بالموضوع الفلسطيني كما لا ترتبط أي من الدول العربية الأخرى، التساهل في الحصار الدبلوماسي المفروض على شارون، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا الحصار هو الورقة العربية الوحيدة ذات التأثير المعنوي نفسياً في روح الرفض العربي لـ "الأمر الواقع" الإسرائيلي - الأميركي.

فالملك محمد السادس هو رئيس "لجنة القدس" وهي رئاسة ورثها عن والده الراحل الحسن الثاني. ومن البدهي في من يترأس هذه اللجنة أن يكون حامل راية المواجهة الدبلوماسية والسياسية ضد التعنت الشاروني وذلك لأن المواجهة العسكرية مرجأة وإلى درجة الإلغاء، على نحو ما هو واضح في عقيدة الجيوش العربية التي بات التركيز على مهام تنموية لها يتقدم على التركيز الذي من أجله أنشئت الجيوش وهو رد المعتدي على الأمة والتضحية من أجل حماية المقدسات وبالذات ما على أرض فلسطين من مقدسات إسلامية ومسيحية يتصدرها الحرم الثالث. ونقول ذلك على أساس أن اللجنة التي نشير إليها لم تتشكل من

أجل القدس كمجرد مدينة لأنها في هذه الحال مثل يافا والخليل ورام الله وأي مدينة من مدن وبلدات فلسطين ، وإنما كان التشكيل من أجل المقدسات مع مراعاة اعتماد التسمية الإيحائية أي "لجنة القدس" وليس "لجنة حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية".

ومنذ إنشاء هذه اللجنة والتعريض الإسرائيلي بالقدس لا يتوقف ثم جاء الإستهتار الشاروني بعد محاولة إحراق المسجد الأقصى لتشكل ذروة الإستهانة بمليار ونصف المليار مسلم ومعهم كل مسيحي يكون بمواصفات البابا شنودة الذي حرم على أقباط مصر وأي قبطني أفريقي أو أجنبي ينتسب إلى الكنيسة القبطية الحج إلى القدس ما دامت تحت الاحتلال الإسرائيلي. ومنذ ترؤس المغرب لـ "لجنة القدس" والوضع على حاله مع أن بين يدي أهل القرار المغربي ورقة ذات أهمية بالغة من حيث التأثير على إسرائيل هي ورقة اليهود المغاربة الذين وصل أفراد منهم إلى مواقع متميزة في إسرائيل، فضلاً عن ورقة ترغيب أنور السادات، قبل أن يصبح رئيساً لمصر بفترة ثم بعدما بات فجأة رئيساً عقب رحيل الرئيس جمال عبد الناصر، بإنتهاج طريق التسوية والسلام مع إسرائيل بدل الحروب .. وهذا ما طبّقه السادات بعد حرب أكتوبر 1973 مستنداً في ذلك إلى النصر النوعي للقوات المصرية من لحظة العبور إلى لحظة إجبار الإسرائيليين على التوازي عن ضفاف قناة السويس. وبعدما طفح الكيل من ألعيب الإسرائيليين وعدم إحترامهم لدور الحسن الثاني في تقريب العرب من خيار التسوية والسلام فإن العاهل المغربي الراحل قرر إخماد القطيعة الدبلوماسية مع إسرائيل بمعنى ألا يستقبلهم في المملكة لعل وعسى يهتدون. ورحل الملك والقطيعة قائمة إلى أن جاء الابن الوريث الملك محمد السادس يفتح البوابة المغربية أمام الشارونيين ويستقبل وزير خارجيتهم الذي لم يأت مندوب رغبة بالتهديئة والحرص على التسوية والتأكيد لرئيس "لجنة القدس" بأن رئيسه شارون سيعيد النظر في أمور كثيرة وأنه ... وأنه ... وأنه. ونفترض أن الوزير شالوم جاء برغبة أن يتم رفع "الفيتو" العربي المفروض على شارون وبحيث يبدأ هذا الأخير زيارات عربية تبدأ من الرباط وتنتهي في القاهرة بعد عمان مع الحرص الشديد على أن يكون إستقباله في العواصم وليس في الإستراحات البعيدة.

وما يأمله المواطن العربي أمام هذا التراجع في

هيبات أهل القرار وهمهم أن يحافظ هؤلاء على الحد الأدنى مما من واجبه القيام به وهو عدم تشريع أبواب عواصمهم ودواوينهم أمام الخطوة الشارونية التالية والمتمثلة في سعي أرييل شارون للقيام بزيارات إلى كل من عواصم التطبيع العربي مع إسرائيل عاصمة تلو الأخرى وبحيث أن هذه الزيارات من شأنها تنظيف يديه اللتين تقطران دماً فلسطينياً من جرّاء العدوان على فلسطين البشر والحجر، ودماً يهودياً من جرّاء العمليات الإستشهادية التي يقوم بها فلسطينيون في عز شبابهم ليس حبا بتدمير الحافلات وقتل وجرح من فيها ولا تلذذاً منهم بتفجير أجسادهم وسط جموع من المتسوقين أو رواد المطاعم والمقاهي، وإنما لأن السبل سُدّت أمامهم ويأملون في ألا يضيع الوطن إلى الأبد. ويبقى القول إن الملك المغربي محمد السادس والأردني عبدالله الثاني هما من جيل شاب، وأمامهما في حال أعطاهما الله من العمر، سنوات مديدة في الحكم. ولا نعتقد مثل كثيرين أن من مصلحة كل منهما أن يغفر لأرييل شارون سفك الدم الفلسطيني وإستباحة وتدمير البيوت وجرف البساتين وترويع الأطفال ومنع سيارات الإسعاف من نقل الجرحى إلى المستشفيات والعيادات. وفي حال إتضح أن سيلفان شالوم إنما زار المغرب والتقى الملك محمد السادس وسلّمه رسالة من شارون لغرض التمهيد لإقتحام هذا الأخير أسوار المملكة المغربية ، وإتضح أيضاً أن تسلم وزير الخارجية الأردنية مروان المعشر أوراق اعتماد سفير إسرائيل الجديد يعقوب هداس السفير الإسرائيلي الرابع لدى الأردن منذ إعتراف الملك حسين بإسرائيل عام 1994 هو بغرض التمهيد لـ "تشرّف" العاصمة الأردنية بزيارة يقوم بها شارون... إنه في حال إتضح ذلك فهذا يعني أن تجميد التطبيع سينوب وسن فقد بذلك ورقة لم تكن أصلاً فاعلة بما فيه الكفاية. والمهم ألا يصيب مصر المحروسة ما أصاب الأردن الذي سيرسل سفيراً إلى تل أبيب وهو الذي لم يرسله منذ ثلاث سنين وما أصاب رئاسة "لجنة القدس" التي جاءت من شارون عبر شالوم رسالة ليت الملك محمد السادس يكشف عن مضمونها وعن مضمون رده عليها وبذلك لا تعود الظنون التي بعضها إثم وبعضها في محله... واردة وليست إثماً.

صحيفة "الراي العام". الخرطوم - الخميس 11 سبتمبر (أيلول) 2003

* * *

تأملات في الحال الذي ليس من المحال

ما يحدث على أرض فلسطين وعلى أرض العراق يؤكد مقولة الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي من أنه "إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.. ولا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر".

ومن المفارقات أن الطرف الذي يريد تقطيع شرايين وأوردة الشعب العراقي لكي يموت وذلك الذي يفعل الشيء نفسه على أرض فلسطين هما توأمان رضعا من ثدي واحد يقطر دماً أو حليباً ملوثاً. وعند التأمل في الممارسات الشارونية في حق الشعب الفلسطيني وفي الممارسات الأميركية في حق الشعب العراقي نجد أن المبدأ واحد وأسلوب التعامل واحد والحد المتأصل في النفس واحد والطمع واحد والمنطق.. بل واللامنطق واحد. وهكذا فنحن أمام حلف لا مثيل له، بل لعله أكثر شراسة من ذلك الحلف الذي جمع قبل ثلثي قرن نازية هتلر مع فاشستية موسوليني فكانت الحرب وكان الخراب وكانت عملية زرع الأحقاد يقاسي الأوروبيون من ويلاتها حتى الآن.

لم تترك الإدارة البوشية نوعاً من السلاح المحظور إستعماله إلا ورمت به العراق. وإفترضت بعدما انسحب النظام الصدامي من المعركة بفعل الخيانة أو بغرض الإستدراج أو نتيجة الوهن الذي أصاب الأبدان والنفوس، أنها باتت مالكة بلاد الرافدين نفطاً ومياهاً وتموراً وثروات على مد النظر وبقعة إستراتيجية لا تقدر بثمن، في إستطاعة من ينطلق منها أن يضع اليد على سوريا وإخضاع إيران ومواصلة تخفيف ثروة الخليجيين عن طريق شراء السلاح الذي لاجدوى من إقتناؤه وتأمين الدفعات السخية في إطار بدعة الدول المانحة. كما أن من يتمدد آمناً على هذه البقعة الإستراتيجية يصبح مالكا سلاح التهديد للقيصر الروسي الذي يتأهب بصمت لكي يستعيد الشأن ويمارس الدور مادام لا ينقصه السلاح الذري والنووي ومادامت ترسانته العسكرية على ما هي عليه من القوة، أما مسألة السيولة الدولارية فيمكن تأمين ما تيسر منها من الجار الإيراني الذي يتطلع إلى أن يكون نووياً بمساعدة روسية ومن القطب الخليجي الآخر السعودية التي تريد من خلال تطوير العلاقة مع روسيا تخفيف وطأة الضغط الأميركي على المملكة، ومن أجل ذلك كانت زيارة وليّ العهد الأمير عبدالله بن عبدالعزيز إلى موسكو وهي زيارة سيردها

قريباً " القيصر " الجديد فلاديمير بوتين الذي سيحل ضيفاً على الرياض في خطوة تبدو صاعقة بمثل الخطوة المتمثلة في أن الأمير عبدالله كان أول قطب سعودي يدخل الكرملين منذ أكثر من سبعين سنة تاريخ الإعتراف بالمملكة.

وعندما يصبح القيصر الروسي أسير مخاوف التهديد لا يعود الرفيق الصيني خارج المرمى. ومن الخليج إلى سيبيريا مروراً بحار النفط القزوينية يصبح العم سام، بعد ما تستقر أقدامه على الأرض المنبسطة على ضفتي دجلة والفرات، سيد العالم بلا منازع يأمر الآخرين مهما علا شأنهم فيطيعوا ومن لا يرفع اليدين طائعاً مختاراً يأتيه الرد من "الكابوي " التكتاسي من خلال الحرب أو المقاطعة الإقتصادية على نحو الذي جرى من من قبل للعراق والسودان وليبيا، وذلك ترجمة لقول الشاعر العربي "من لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد".

الإفتراض التكتاسي لم يكن في محله. وهذا الذي يحدث على الأرض يؤكد أن الجبروت الجوي يفقد شأنه عندما تصبح المعركة على الأرض . وفي كل يوم يواجه الجبار الأميركي عمليات من جانب المقاومين العراقيين أهم ما فيها أنها متواصلة ولا إعلان عن الذين يقومون بها، كما أن نسبة الإستشهاد فيها قليلة الأمر الذي يعني أنها حرب عصابات. ومع أن الجانب الأميركي لا يشير إلى حجم الخسائر على نحو ما هي حقيقة هذا الحجم ولا تثبت آتاه الإعلامية فضائياً أو أرضياً الصور التي تعكس مدى الخسائر التي تُمنى بها في الأفراد والمعدات والآليات، إلا أن شهود العيان يروون ما يثير الإعجاب عن هذه العمليات التي يستخدم فيها المقاومون قذائف الـ "ار.بي.جي" المضادة للدروع والآليات إلى جانب زرع الألغام في الطرقات التي يسلكها الأميركيان. وقبل أيام ونتيجة إرتفاع أصوات الإعتراض على إستمرار الوجود العسكري في العراق من جانب ذوي الجنود وكذلك إرتفاع أصوات الديمقراطيين الذين يعملون من أجل إنتزاع الرئاسة من الجمهوريين في الإنتخابات عام 2004 ومطالبة الإدارة بالكشف عن حقيقة الخسائر، صدرت معلومات رسمية تقيد بأن عملية تحدث كل ساعتين الأمر الذي يعني أن المقاومة تُنفذ 12 عملية يومياً وهذا يؤكد ما أفادت به تقارير أطراف محايدة من أن إضافة صفر إلى الرقم الذي تديعه القيادة العسكرية الأميركية عن الخسائر لا يبدو أمراً مبالغاً به.

أمنية من سلسلة أمنيات عربية لا ... ولن تتحقق

من جملة أمنيات كثيرة للمواطن العربي، الكاتم غيظه على أولي الأمر حكامه الحائرين والمحيرين، لم تتحقق ولا يدري لماذا لا تتحقق، أمنيته في أن تكون الدورة السنوية للجمعية العمومية للأمم المتحدة المتواصلة الإنعقاد في نيويورك والتي تتعقد في سبتمبر من كل عام مناسبة لكي يقف قادة الأمة من ملوك ورؤساء على المنبر الدولي ويعرض كل منهم قضية بلده بكل الوضوح والصراحة، أو ينبذ هؤلاء القادة وبعد التشاور واحداً من أقرانهم يكون متمكناً من الخطابة ذات الصدى الإيجابي المقنع وليس الضجيج الذي لا أحد يريد سماعه ويقول أمام المجتمع الدولي، الذي نادراً ما يجتمع بالشمولية التي تحدث مرة في السنة، ما يوضح أي ظلم فادح تلحقه بالأمة سياسة الصديق الأميركي في حق القادة العرب والمسلمين الذين يتمسكون بالصدقة الظالمة ولا تستوقفهم أنها صداقة من طرف واحد. وهذه الصداقة، التي هي من حيث التشبيه بمثل الحب من طرف واحد، تعني عدم التوازن في المشاعر. وفي هذه الحال فإن المحب متسرع في مشاعره وأن من هو محبوب لا مشاعر له. لا ندري لماذا يجد حكام كبار مثل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والرئيس الفرنسي جاك شيراك وكثيرين آخرين الوقت فيتوجهون إلى نيويورك كي لا تكون الساحة الدولية خالية إلا من الرئيس الأميركي، بينما لا يجد معظم القادة العرب والمسلمين الوقت لكي يذهبوا ويقف كل منهم على المنبر شارحاً قضايا بلده والمحنة التي تعيشها الأمة .. وتكون المشاركة مناسبة للاتصالات التي تتم خلال اللقاءات الثنائية أو وراء الكواليس. وبدلاً من أن يذهب القادة من الملوك والرؤساء بأنفسهم فإنهم يبعثون بوزراء الخارجية غير المجاز أصلاً لهم بالاجتهاد خارج الهامش المقرر وهو غير رحب في أي حال.

وإذا نحن تأملنا في أوضاع العالم العربي والعالم الإسلامي نجد أنه بدل الدافع الواحد للمشاركة هنالك عشرات الدوافع. أليست مصر في حاجة إلى وقفة على مستوى القمة على المنبر الدولي؟ وسوريا أليست الهجمة الشرسة التي تستهدفها تستوجب وقفة لرئيسها على منبر الأمم المتحدة تكون بمثل وقفاته في

في ضوء هذه الحقائق بدأت الإدارة الأميركية تسعى لإخراج نفسها من المأزق وبدأت تسعى لدى زميلاتها الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن لكي تتفهمها.. إنما بما يحفظ ماء الوجه . ولكن هذه الدول لا تتجاوب بالشكل الكافي وذلك لأن البوشيين يخافون من أن يضيع كل ما فعلوه في غمضة عين.

ولأن لا محال من المغادرة وتترك العراقيين يقررون مصيرهم بأنفسهم فإن حال المقاومة هو المزيد من الثبات على أمل أن تحقق قذائف الـ آر. بي. جي "والألغام وهي من "حواضر البيت" قياساً بالقذائف المحرمة التي تساقطت فوق المدن العراقية والصواريخ المحرمة هي الأخرى التي إنطلقت من حاملات الطائرات في مياه الخليج، ما لم ولن يحققه أي سلاح بما في ذلك القنابل الذرية الصغيرة التي يتردد كواسر الإدارة البوشية في إستعمالها كي لا تصيب آبار النفط أضرار وهم في الأصل جاءوا من أجل هذه الآبار. أما أن تفنك هذه القنابل بالبشر والحجر وبالزعر والضرع فلا أهمية لذلك لأن من الممكن لشركات أميركية إعادة الإعمار بأموال النفط. يا خراب البيت العراقي من هذه التجارة .

وما يحدث مع الطرف الثاني من الحلف أي "بنوشارون" لا يختلف كثيراً عما فعله البوشيون وما زالوا بالعراق، وكأنما التوأم الإسرائيلي يعمل جاهداً كي لا يكون التوأم التكتاسي أكثر فظاظة منه. لكن رد الحماسيين والجهاديين من خلال العمليات الإستشهادية الجسورة على كل عدوان شاروني عليهم، فضلاً عن إلتفاف الجميع حول شرعيتهم المرموز إليها برئيس دولتهم التي لا بد من قيامها ولو طال الإنتظار، هو أيضاً تأكيد من أن لا محال في المسألة وأن إستمرار حال المقاومة والإلتفاف حول الشرعية ورمزها ياسر عرفات سيجعل شارون يتساقط في النهاية ومن دون أن يكون في إستطاعة توأمه التكتاسي أن يفعل له شيئاً على أساس أن "الحلم العراقي" إنتهى كابوساً وأن لملمة تداعيات المأزق تستوجب عدم الإصغاء إلى الزعيق الشاروني الذي يعتدي معتقداً أن حلمه المقدسي سيتحقق وسيبني الهيكل على أنقاض الحرم الثالث ويجعل القدس بفضل "النخوة البوشية" عاصمة موحدة للكيان المغتصب.

يا لسوء إستقرار العالم من التوأمين التكتاسي والإسرائيلي ... ومن هذا العبث الذي تتسم به تصرفاتهما.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 18 سبتمبر (أيلول) 2003

وما يقال عن الدول الثلاث يقال أكثر عن ليبيا والمغرب وعن الأردن ولبنان. ويقال أكثر وأكثر عن السودان وعن إيران. وهذه الدول وشقيقات أخريات، عدا فلسطين القابع رئيسها في غياهب الحصار الشاروني، مستهدفة ونكاد نقول إن هنالك ما يشبه العد العكسي الأمريكي للإنقضاض عليها على نحو الإنقضاض الذي إستهدف العراق وإنتهى الأمر بهذا البلد الذي كان رقماً صعباً إلى أنه لم يعد كذلك. بل إن نموذج التأديب العراقي في حد ذاته يستوجب حضوراً عربياً على مستوى القمة في الدورة السنوية للجمعية العمومية للأمم المتحدة. أما لماذا يستوجب فلأن العراق إنتهى بسبب المماحكات العربية بين الملوك والرؤساء وبسبب الإسترخاء الدولي دولة محتلة لعلها الدولة الوحيدة المحطة في العالم. وليس هنالك في الأفق ما يشير إلى أن الإحتلال سيزول. وما كلام جنرال الدبلوماسية كولن باول يوم 26 سبتمبر خلال مشاركته في الجمعية العمومية حول أنه سيكون للعراق دستور خلال ستة أشهر ثم إنتخابات تلي ذلك سوى التمهيد للبقاء الطويل .. أي بما معناه إنه لايمكن أن توافق الإدارة البوشية على إنهاء إحتلالها للعراق بينما هنالك إنتخابات رئاسية بعد عام. وعلى هذا الأساس فكيف ستسحب أميركا من العراق بالحسنى ما دام هذا الإنسحاب قُبِلَ جني المكاسب سيُعتبر هزيمة لا تُحقق للرئيس بوش مبتغاه، فضلاً عن أن الإبن سيفعل ما سبق أن فعله والده من قُبَل أي توريث المأزق إلى مَنْ يليه في حال أخفق في تجديد الرئاسة .. وهو على نحو ما تخترنه الذاكرة كان إرثاً ثقيلاً الوطأة على إدارة الرئيس بيل كلنتون.

وقد يقال كيف يكون العراق هو الدولة الوحيدة المحتلة في العالم بينما هنالك الإحتلال الإسرائيلي المستديم للفلسطينيين. والرد على ذلك هو أن للفلسطينيين على رغم كل ما يحدث لهم سلطة وطنية بينما لا وجود لهذه السيادة المجزأة للعراقيين.

يطول الحديث في الأمنية التي لا يحققها أولو الأمر من ملوك ورؤساء عرب ومسلمين لمواطنيهم تأكيداً من جانبهم لعدم تحقيق الأمنيات وما أكثرها . ولكننا من باب إيداء الملاحظة أو وجهة النظر نقول: إن أولي الأمر عندما لا يفعلون ما تشير إليه فعلى أساس أن الوضع غير المريح للشعوب مريح لهم، ولذا فلا داعي لوجع الدماغ وتكبُّد مشاق السفر إلى نيويورك

والإنتظار، مع أنه كلما طال الإنتظار كلما ضاعت الحقوق ... أو صودرت من جانب المتلاعبين .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 2 أكتوبر (ت) 2003

* * *

أطراف ذكريات مع محمود رياض حول القرار الكارادوني... تلك الخدعة الكبرى

بات لا بد لمجلس الأمن من عقد جلسة إستثنائية يقرر فيها ما إذا كان القرار 242 المعروف بقرار كارادون، مندوب بريطانيا زمنذاك لدى الأمم المتحدة، ما زال ساري المفعول، أم أن أرييل شارون جرفه من جملة ما جرف من أراض ومنازل، وما قتل وإغتال وحاصر.

بموجب ذلك القرار الذي مضى على إصداره خمسة وثلاثين عاماً تتسحب إسرائيل من جميع الأراضي التي إحتلتها يوم الخامس من يونيو 1967. وعند إصداره كانت الدول الكبرى متفاهمة على ذلك أخذة في الإعتبار أن هزيمة 1967 يمكن أن تشكّل منعطفاً في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي بحيث يتم وضع نهاية لهذا الصراع بتثبيت الدولة العبرية في المناطق التي كانت عليها يوم 4 يونيو 1967 وبعد الإنسحاب التام والشامل وعلى نحو ما ينص قرار 242 يتم البحث في التسوية الشاملة والعادلة.

لكن الذي حدث هو أن إسرائيل إعتبرت أن كل ما إحتلته بات مُلكاً لها، وكان ذلك بمثابة المؤشر الواضح إلى أنها باقية ولن تتسحب من سيناء حتى الضفة الشرقية من قناة السويس، كما أنها لن تتسحب من الجولان ومن الضفة الغربية وبالذات من القدس. وهذا الإصرار من جانبها على عدم الإنسحاب جعل الأطراف المعنية مصر وسوريا والأردن تبحث عن بدائل. ومن هنا كانت الحرب المصرية - السورية يوم 6 أكتوبر 1973، وكان الخيار الأردني بعدم المشاركة، وكان الإضطراب الفلسطيني المتمثل باللجوء إلى المقاومة.

ليس المجال متاحاً هنا لعرض التداعيات وما إستتبع إستصدار القرار 242، وإنما الذي نريد قوله في ضوء هذه الإستهانة من جانب الدول الخمس الدائمة العضوية التي كانت وراء إصدار ذلك القرار

بقرارها، وسكوت هذه الدول على ما فعلته ولا تزال تقعله إسرائيل من دون إتخاذ إجراءات حازمة في حقها أقلها فرض العقوبات عليها على نحو العقوبات المفروضة على العراق، وأكثرها حزمًا التدخل العسكري على نحو ما حدث في يوغوسلافيا.. إن الذي نريد قوله هو أن تعامل الذين إستصدروا القرار مع قرارهم يترك إنطباعاً بأن ما فعلوه في حينه كان مجرد خدعة كبرى للعرب ومجرد ترضية شكلية لهم لا أكثر أي بما معناه القول لهم إننا أصدرنا وبالإجماع من أجلكم القرار 242 لكي تتأكدوا بأننا ضد إحتلال الأرض بالقوة وضد أن تتمدد إسرائيل على حسابكم. وما نحن بعد خمسة وثلاثين عاماً نجد أن القرار لم يكن من أجل العرب ولم يكن ضد الإحتلال ولم يكن ضد التمدد، وأنه كان مجرد ملهاة أعقبته مأساة. وبالعودة إلى تسلسل الأحداث منذ صدور القرار وما إقترفته إسرائيل في ظلها من إعتداءات تتضح لنا معالم المأساة.

من أجل ذلك فإن ما يجب حدوثه هو إما أن تقرر الدول الخمس الكبرى بأن القرار هو للتنفيذ وبالقوة إذا تطلب الأمر ذلك أو تستصدر قراراً يلغي القرار... تلك الخدعة الكبرى.

ونأتي الآن إلى إلقاء بعض الضوء على ظروف إستصدار ذلك القرار. وفي هذا الصدد نشير إلى أنه قبل إستصداره كان المندوب الأميركي آرثر غولدرغ (وهو يهودي) ينشط من أجل الأخذ بمشروع قرار أعدته الإدارة الأميركية تنص الفقرة المتعلقة بالإنسحاب فيه على الآتي: "إن مجلس الأمن يؤكد أن تحقيق المبادئ السابقة من الميثاق يتطلب تحقيق حالة من السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط، تشمل إنسحاب قوات مسلحة من أراضي محتلة...". وهذا يعني أن المشروع على نحو ما وصفه في حينه لي خلال جلسة ذكريات معه حول تلك المعركة الدبلوماسية الصعبة الصديق محمود رياض وزير خارجية مصر، وعندما كان بات أميناً عاماً للجامعة العربية، بأنه مشروع إسرائيلي أكثر من أن يكون مشروعاً أميركياً وكأنما صيغ في تل أبيب لكي يعرضه مندوب أميركا أمام مجلس الأمن في نيويورك.

وما رواه لي الصديق الذي تفتقده الدبلوماسية العربية في إستمرار بمثل إفتقادها إلى الصديقين اللذين لهما في نفسي أطيب المكانة المرحوم محمد أحمد محجوب والدكتور محمود فوزي، بعدما لاحظ المندوب

الأميركي أن مصر لن توافق على هذا المشروع الذي بدأ يأخذ طريقه إلى مجلس الأمن لأنه لا يسمى إسرائيل بالإسم ولا ينص على إنسحاب كامل من كل الأراضي وإنما "عن إنسحاب قوات مسلحة من أراضي إحتلت" ولاحظ أن مشاريع قرارات أخرى منها واحد روسي وآخر أميركي جنوبي وثالث هندي - أفريقي، بدأ يتراجع أمام دخول اللورد كارادون على الخط ممهداً الطريق أمام مشروع قرار يلقي قبول الجميع معتمداً اللورد في إعداده على أن علاقته طيبة مع الجميع، الأمر الذي يجعل الأطراف توافق عليه ومن بينها في الدرجة الأولى مصر التي يهمها تضمين أي مشروع قرار الإنسحاب من الأراضي المصرية والسورية والأردنية التي إحتلتها يوم الخامس من يونيو 1967 وليس من الأراضي المصرية فقط، لأن ذلك يعني أن عبد الناصر باع العرب من أجل أن يسترد سيناء وهو ما فعله بعد بضع سنوات خلفه الرئيس أنور السادات. وفي ترويجه لمشروعه كان كارادون على نحو ما رواه لي بعد ذلك بخمس سنوات المرحومان محمود رياض وعبد المنعم الرفاعي اللذان، بصفة كون كل منهما وزيراً لخارجية بلده، قادا عملية المحادثات بين حكومتيهما والأمم المتحدة، حريصاً على أن يقول للثنتين وللأطراف المتعاطفة معهما ما معناه: "إذا كنتم قلقين من مسألة عدم تضمين مشروع القرار نصاً صريحاً على وجوب الإنسحاب فإنني سأثبت هذا النص في مشروعي". وزاد إلى ذلك القول إنه إذا وجد إعتراضاً من أطراف أخرى - يقصد أميركا وإسرائيل - فإنه لن يغامر ويطرح المشروع برسم التداول.. فالموافقة عليه.

وهكذا كان حيث طُرح المشروع على مجلس الأمن الذي جاءت الموافقة عليه بالإجماع وينص على الآتي:

"إن مجلس الأمن إذ يُعبر عن قلقه المستمر إزاء الموقف الخطير في الشرق الأوسط وإذ يؤكد عدم جواز الإستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب والحاجة إلى العمل لأجل سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمان. وإذ يؤكد أيضاً أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة قد إنترمت بالصمت وفقاً للمادة الثانية من الميثاق.

1- يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط الأمر الذي يجب

أن يتضمن كلا المبدئين التاليين:

أ- انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضٍ إحتلتها في النزاع الأخير.

ب- إنهاء جميع حالات الحرب أو الإدعاء بها وإحترامها والإعتراف بالسيادة ووحدة الأراضي والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وبحقها في أن تعيش في سلام في نطاق حدود آمنة ومعتَرَف بها ومتحررة من أعمال القوة والتهديد بها.

2- ويؤكد أيضاً ضرورة:

أ- ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب- تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج- ضمان الحرية الإقليمية والإستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة من خلال إتخاذ إجراءات تشتمل على إقامة مناطق منزوعة السلاح.

3- ويطلب من السكرتير العام أن يعيّن ممثلاً خاصاً ليتوجه إلى الشرق الأوسط وإقامة إتصالات مع الدول المعنية من أجل السعي لإيجاد إتفاق والمساعدة في الجهود الرامية إلى تسوية سلمية ومقبولة بما يتمشى مع شروط هذا القرار ومبادئه.

4- ويطلب من السكرتير العام أن يرفع إلى مجلس الأمن تقارير عن تقدّم جهود الممثل الخاص في أسرع وقت ممكن.

وبعدما إستوقفت مصر والأردن عبارة "انسحاب القوات الإسرائيلية من أراضٍ إحتلتها في النزاع الأخير" ووجد كارادون نفسه يخفف من قلق الدولتين لعدم النص على "الأراضي" وليس "أراضٍ"، بدأت اللعبة تتضح وتبيّن أن التخرية الكارادونية كانت بمثابة لغم الغرض منه الإبقاء على الصراع قائماً إلى الآن.. وهو قائم بالفعل، حيث أن إسرائيل متمسكة بالنص الإنكليزي ومطمئنة إلى أن مشروع القرار الكارادوني الذي بات قراراً يحمل الرقم 242 هو عملياً مستوحى من المشروع الذي كان غولديرغ على أهبة طرّحه. أما الأطراف العربية فإنها إعتمدت على التوضيح الكارادوني بأن النص في ما يتعلق بالانسحاب يعني كل الأراضي وليس "أراضٍ" وأن كلمة "الأراضي" موجودة فقط في النص الإنكليزي أما في بقية اللغات الرسمية الأربع (الروسية والفرنسية والإسبانية والصينية) فإن الكلمة هي "أراضٍ".

وما يحدث بعد خمس وثلاثين سنة أن يتم الأخذ به هو ما قرّره أميركا وإسرائيل عام 1967 حيث الجولان ما زال تحت الإحتلال والضفة الغربية يتواصل قضمها من

شارون. أما الإنسحاب من سيناء فإنه ما كان ليتم لولا بعض تداعيات حرب أكتوبر 1973 من جهة ولولا أن الرئيس السادات قرر أن يجنح للسلم مع إسرائيل مستنداً إلى "وإن جنحوا للسلم فإجنح له..." مع الأخذ في الإعتبار أن البادئ بالجنوح نحو السلم لم تكن إسرائيل. وما زالت على موقفها إلى الآن. ومن هنا لا بد من قرار بديل للقرار 242 أو من تنفيذ حرفي له، كي لا تتحول الخدعة إلى ما يشبه المؤامرة... التي هي تنمة لمؤامرة وعد بلفور.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - أكتوبر (تشرين الأول) 2002

زمن هروب المفترين إلى الأمام

لماذا لا يتأمل المسؤولون الأميركيون الذين يوجعهم دائماً وعلى الفور أي أذى يصيب إسرائيل، ويشاركونهم في التوجع بدرجة أو أخرى الأوروبيون، في هؤلاء الذين ينفذون العمليات الإشتهاذية، وكيف أن معظمهم من جيل الظلم الدولي .. أو فنقل الظلم الأميركي - الأوروبي للشعب الفلسطيني.

ولماذا لا يستوقف المسؤولون الأميركيون والأوروبيون أن الذين ينفذون العمليات هم فتية نذروا أنفسهم لقضية شعبهم وهن فتيات في عمر الورد أو مثقات على نحو سادسة الإستشهاديات المحامية، هنادي تيسير جرادات ذات الوجه الملائكي القسمات، إتجهن إلى الإستشهاد بعد لم يجدن معتصماً عربياً واحداً يرد على إستغاثتهن وحمايتهن من الظلم الدولي وبالذات الظلم الأميركي ومعه ظلم بعض ذوي القربى؟ أليس مثل هذا التأمل يكفي لوقف إسطوانة "الإرهاب" التي يديرونها على مدى ساعات الليل والنهار وبذلك يمكنهم صياغة رؤية للموقف من شأنها أن تكون محترمة في الدرجة الأولى.

وهي إذا كانت محترمة فلا بد من أن تكون منطقية. وإذا هي إعتمدت المنطق لا بد أن تكون موضوعية وعادلة ويمكن الأخذ بها.

وهذه العمليات الإشتهاذية يقوم بها أشخاص واعون تمام الوعي أبعاد قضيتهم، تبدو وكما لو أنها في بعض جوانبها عمليات ضد الموقف الأميركي الغافر بإستمرار للخطأ الإسرائيلي والجاهز في الوقت نفسه لإدانة أي رد فعل فلسطيني على عدوان يستهدف الشعب الذي ضاق ذرعاً بالظلم. وبطبيعة الحال فإنه

عندما تتصرف الإدارة الأميركية علي النحو الذي تتصرفه وتعتبر الإسرائيلي دائماً على حق ولا ترى في الفلسطيني سوى أنه إرهابي، فإن الشارونيين يزدادون شراسة وعناداً في رفض أي صيغة سوية . وعندما يتصرف الأوروبيون على نحو تصرفهم قبل أيام عندما اعتبروا ما يقوم به الشارونيون بأنه دفاع عن النفس من دون أن يقفوا للحظة ضميرية أمام أحوال الفلسطينيين، فإن الشارونيين يرون في ذلك أنهم ما داموا ناجين من "الفيتو" الأوروبي بعد "الفيتو" الأميركي على شر أفعالهم فلماذا لا يقتربون المزيد.

من هنا فإن الملامة على الذي إقترفه الشارونيون يوم الأحد الماضي ضد سوريا وإقترافاتهم التي لا تتوقف إطلاقاً ضد الفلسطينيين هي في الدرجة الأولى مسؤولية أميركية - أوروبية وأن التحرش الذي حدث ضد سوريا يعني أن الشارونيين يحاولون الخروج من المأزق الذي هم فيه ما داموا متكئين على أن الطرفين الأميركي والأوروبي سينظرون إلى النصف الممتلئ حقداً وعدواناً من الكأس .. أي النصف الشاروني، من دون النظر إلى النصف الفلسطيني الفارغ الذي يحاول الإستهاديون ملئه من خلال التضحية بنفوسهم عسى ولعل يأتي الحق ويزهق الباطل.

وتبقى الإشارة إلى رد فعل الرئيس بوش الذي قاله من كلام صادم بدل أن يجد في العملية الإستهادية التي نفذتها المناضلة هنادي والتي هي بعمر إحدى ابنتيه وبعمر ابنة ديك تشيني التي توزع يمناً ويسرة تنظيراتها في شأن مستقبل العالم العربي، بأنها رسالة إليه في الدرجة الأولى من أجل أن يتعظ ويخاف الله ويضغط على حليفه وصديقه أرييل شارون كي يفتح الباب الإسرائيلي أمام التسوية وبذلك لا يعود هنالك موجب لأي عمليات إستهادية . وهو بدل أن يعتبرها كذلك فإنه سارع إلى التعليق على العملية بالقول: "أندد من دون لبس بالعمل الإرهابي الأثيم الذي هو هجوم خسيس يؤكد مرة أخرى مسؤولية الإرهاب الذي يبقى العائق الأول أمام تحقيق الرؤية الخاصة بدولتين يعيشان جنباً إلى جنب في سلام وأمن..." .

ونجد أنفسنا ونحن نتأمل في هذا الكلام الذي لم يأت رداً عليه على عملية حيفا وإنما هو مبرمج ومقرر منذ أشهر نقول: ماذا تركت للشارونيين يقولونه. إن العالم يتوقع منك كلاماً خالياً من هذه المفردات التي لا تليق برئيس الدولة الأعظم وإنما هي طبيعية إذا جاءت من أي ليكودي ... أرييل شارون كان هذا

الليكودي أو آخر غيره.

كذلك نجد أنفسنا نرى أن عدم إدانة التحرش الشاروني بسوريا من خلال عدوان هو الأول من نوعه بعد عشرين سنة من الهدوء الهذلي بموجب فك الإشتباك بعد حرب أكتوبر 1973 هو موافقة على هذا التحرش. وفي ضوء هذه الرؤية سيتأكد الرأي العام بأن مرحلة الهروب من المأزق العراقي بدأت وأنها عملياً نعيش زمن هروب الأقوياء المفترين إلى الأمام.

وبدلاً من أن يكون الهروب إنسحاباً إلى الخلف فإنه يأتي هروباً إلى الأمام وعن طريق شارون . وهذا معناه الغوص في الرمال السورية بعد الغوص في الرمال العراقية... والتي سبق أن نبّه إليها مخلصاً الرئيس بشار الأسد الذي نتوقع أن يتصرف بأعصاب باردة أمام الثور الشاروني المثخن بجراح الإستهادية هنادي، كي لا يحقق للمعتدي أغراضه ومنها جرّ سوريا إلى حرب ليست محسوبة عربياً بما فيه الكفاية.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 9 أكتوبر (1) 2003

الإنذار المبكر بصيغة القصف جواً

على نحو ما أصاب مصنع الشفاء للأدوية في الخرطوم من خلال غارة إسرائيلية أميركية عليه، أصيب المواطنون الآمنون في قرية "عين الصاحب" السورية قبل أيام من خلال غارة شنها الطيران الإسرائيلي كاسراً بذلك هدوءاً قائماً منذ إتفاق فصل القوات عام 1974. كان الإدعاء الإسرائيلي باطلاً وفحواه أنه في هذه القرية التي تبعد حوالي عشرين كيلومتراً عن العاصمة دمشق يتم تفريخ "الإستهاديين" الذين يقضون مضاجع الإسرائيليين بعملياتهم التي يسقط فيها مع الإستهادي أو الإستهادية عشرات الإسرائيليين بين قتيل وجريح.. هذا إلى جانب التدمير والذعر الذي يسود بين السكان.

وكما أن إسرائيل دون غيرها من دول العالم إبتهجت بالغارة الأميركية على مصنع الشفاء وباركت للمغيرين فعلهم الشرير بينما العالم مشدوه من هذا الفعل، وكيف أن الدولة الأعظم التي من واجبها السهر على الإستقرار العالمي تفتعل إعتداءات وصلت إلى حد أنها لاتميز بين الهدف الحربي والهدف المدني وبين مصنع السلاح ومصنع الدواء، فإن الإدارة

الأميركية سارعت إلى تأييد العدوان الشاروني على القرية السورية ومن قبل أن تنطفئ الحرائق التي نتجت عن القصف وقالت بشخص الرئيس نفسه أن ما فعلته إسرائيل حق مشروع . ولو أن فريق إستطلاع يضم مجموعة من المحايدين إستفتى الناس في سوريا للوقوف على رد فعلهم مما حدث لوجد هناك ما يشبه الإجماع حول أن العدوان الشاروني سيء لكن المباركة البوشية له أكثر سوءاً. ومثل هذه النتيجة تشبه مثيلتها بعد العدوان على مصنع الأدوية في الخرطوم مع تعديل طفيف خلاصته أن مباركة إسرائيل وتهليلها لذلك العدوان جعل المواطن العادي يقول: هل إن ذلك القصف للمصنع جاء بالنيابة عن إسرائيل، وإلا فما سر تهليلهم دون غيرهم من العالمين لهذا العدوان؟

ما يعني هنا ليس الإستتار والتتديد فحسب وهذه نقطة تشكّل الجامع المشترك لكل من سمع وشاهد ما فعله الطيران الحربي الإسرائيلي في قرية "عين صاحب" السورية، ومن قبل ذلك ما فعله الطيران الأمريكي بمصنع الأدوية السوداني. وإنما الذي نراه جواباً واضحاً عن سر هذا العدوان يتمثل في إجتهد أو إفتراض خلاصته أن الغارة الأميركية المرحّب بها إسرائيلياً فقط على مصنع الأدوية كانت رسالة إلى الحُكم الإنقاذي فحواها أن طائراتنا قادرة على إختراق أجوائكم وصولاً إلى العاصمة وضرب أي موقع لا يهم إذا كان على نحو ما نظنه أو ما هو واقع ليس حاله.. أي ينتج الأدوية وليس المواد التي يمكن إستعمالها في صناعة أسلحة الدمار الشامل. وما دام الأمر على هذه الصورة فإننا نرى أن تستديروا بدل أن يلحق بكم ما نحن في صدد إلحاقه بالعراق على نحو ما حدث بعد ذلك.

وبصرف النظر عن ردود الفعل اللفظية والتحليلات والتنظيرات التي تكاثرت وتنوعت، فإن أولي الأمر قرأوا بعمق ومسؤولية. و منذ تلك القراءة التي تلت الإنذار المبكر بصيغة القصف جواً بدأت ترجمة الإنذار تتخذ صفة التفهم والنظرة الواقعية. كما تزامنت مع ذلك خطوات على وضّع نهاية للإحتراب السوداني - السوداني وللصراع السياسي الذي بدأ يأخذ شكل العداوة بين أبناء الوطن الواحد. وبعدها كانت الأمركة رجساً من عمل "الشيطان الأكبر" من الواجب التصدي له فإنها باتت من جملة الأمور الواقعية خصوصاً إذا هي إستأنست بالأسلوب الذي إبتكره الرئيس حسني مبارك والآخر الذي إبتكره الرئيس اليمني علي عبدالله

صالح، أي توجيه ما شاء له من النقد إلى الإدارة الأميركية إنما في الوقت نفسه الإنسجام مع إستراتيجيتها ومشروعها في بسط اليد عبر المحيط. وإستناداً إلى ما جرى وإلى الوصفة السحرية الأميركية التي جعلت كل السودانيين من شيوخ الإنقاذ وجنرالاته إلى سياد الختمية والأنصار إلى رفاق الزمن الشيوعي الذي لا يتقن الرهان إلى جنرال التمرد إلى بقايا المايويين إلى إخوان الشيخ حسن في عزلته ذات الخمس نجوم يلتقون في سفينة "العم سام" الذي هو مع شقيقه "حام" ابن نوح صاحب السفينة ، إتقاءً للغرق أو الإغراق... إستناداً إلى ما جرى وإلى الوصفة السحرية المشار إليها نفترض أن السلام سيُطبق على نفوس الجميع وبِحيث لن يكون هنالك إعتراض ومعترضون عملاً بالتفسير الواقعي لمبتغى "العم سام" من ذلك الإختراق المدرّس لأجواء العاصمة المثلة وضرب مصنع ينتج ما فيه الشفاء للناس ومن دون إسقاط إمكانية للإعتذار لاحقاً وبعد أن تكون الرسالة أو الإنذار المبكر وصل على نحو ما يريده مرسله.

وإستناداً إلى ما آلت إليه الخطوات الأولية الجريئة على طريق إنجاز "الطبعة الأفريقية" من "سلام الشجعان" والتي تؤكد مفردات الأقطاب دون إستفتاء يمكن القول : مثلاً أن رُب ضارة نافعة، فإن إنذاراً مبكراً ضاراً كثير الضرر كونه يأتي بصيغة إختراق السيادة والقصف من طائرات حربية تأتي المدفعية المضادة إرسال بضعة صواريخ لها، ولو من باب التحذير، قد يحقق بعض النفع أو كثيره. وما علينا سوى الإنتظار وسوى رُصد الخطوات السورية بعد الإنذار الآخر الذي قامت به منفردة طائرات شارونية وحرصت على أن يستهدف القصف أقرب نقطة ممكنة إلى العاصمة دمشق بغرض الإحراج وأيضاً من أجل التسريع في إيصال الرسالة الإنذار إلى من يهمه الأمر . ونقول ذلك على أساس أن الذي جرى للخرطوم و"إنقاذها " من قبل هو ما تكرر حدوثه قبل أيام لدمشق و"بعثها" ومن دون أن يعني إختلاف الجهة التي أُنذرت بأن الطرفين لا يشربان من نبع واحد .

وحتى الآن ما زالت أصوات حلفاء سوريا في لبنان هي الأعلى وأبرزها على سبيل المثال لا الحصر صوت الأمين العام لـ حزب الله" حسن نصرالله الذي سمعناه يوم الجمعة الماضي يقول : "لن يجدي هذا العدوان على سوريا، شارون نفعاً. إنه تطور خطير جداً ولا يجوز لأحد أن ينظر إليه بمنظور ضيق

ومحدود. إن محاولة الهروب إلى الأمام في سوريا ولبنان هو هروب إلى الهاوية. وإذا جن شارون فهناك أناس حاضرون للجنون أيضاً، وজনون شارون سيقابله جنون أيضاً...". ولكن الصوت السوري لأبد سيعلو خصوصاً إذا كانت مخالب بعض شيوخ ونواب الكونغرس ستظل على ما هي عليه من الإستعداد للنهش في الموقف السوري. أما إذا لاحظنا ذات يوم بأن فاروق الشرع بدأ يستعمل عند الحديث عن أميركا مفردات يمثل حديث زميله الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل المبهور بلقاءاته للمرة الأولى بمسؤولين أميركان في رحاب "البيت الأبيض" و"الخارجية" والبنتاغون فهذا معناه أن سوريا كما السودان حالياً بدأت تسلك طريق التأمرك إضطراراً وليس إختياراً، وأنه سلوك لأبأس بعوائده ... ولأنه وهذا هو الأهم كفيل بإبعاد شبح التعريق عن بلدين كابدا الكثير وإختبرا كل أنواع العمل الثوري ويريد كل منهما بعد ربع قرن من الشقاء أن يضع بندقيته جانباً ويخلد إلى إغفاءة يسمع خلالها هديل الحمام البيضاء تشق طريقها في سماء الوطن .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 16 أكتوبر (ت) 2003

* * *

يسألونك عن سكون الشعوب، قل إنها البطالة والفساد المستشري

قَبْل بضعة أسابيع طلب الرئيس بشار الأسد من رئيس البرلمان عبدالغني العطري تشكيل حكومة جديدة كانت إذا جاز القول حكومة تحسين ظروف معيشة المواطن ومحاصرة ظاهرة الفساد التي إستشرت في سوريا وباتت مثل الأخطبوط موجودة في القطاع الحكومي ومتمدة في كل الإتجاهات.

ويوم السبت الماضي أدى فيصل الفائز إبن الواحدة والخمسين وإبن عشيرة بني صخر إحدى عشائر المملكة الأردنية الهاشمية وخريج جامعتين واحدة بريطانية وأخرى أميركية اليمين الدستورية أمام الملك عبدالله الثاني، الذي كان كلفه الإنتقال من منصبه كوزير للبلاط إلى ترؤس حكومة جديدة تواجه ظاهرة الفساد المستشرية والتي كانت وصلت إلى قلب جهاز المخابرات وتواجه أيضاً، وهذا هو الأهم، مشكلة البطالة والفقر التي تشكّل بالنسبة إلى

سبعين في المئة من أبناء الشعب الأردني همأ ثقيلاً.. وينقل الجبال.

وقبل أن تولد هذه الحكومة الجديدة في الأردن لم يكن وارداً في أدبيات مهمات الحكومات عنصر لاحظناه في هذه الحكومة وهو "التممية السياسية". لكن الرئيس الأردني الشاب أورد في الرسالة التقليدية التي يبعث بها عادة الرئيس المكلف إلى الملك عبارة "... وتتعهد الحكومة إلتزام تحقيق التتمية السياسية والإقتصادية والإجتماعية الشاملة فضلاً عن السعي الجاد لإنجاز تحسن ملموس في المستويات المعيشية للمواطن...". وهذه العبارة تعني أن دور الحكومة الجديدة سيشمل ترجمة رؤية تتفاعل في رأس الملك ومنذ أن أمضى بعض الوقت في جوار والده في الساعات القليلة التي أسلم فيها الروح، وسمع منه بعض الوصايا في شأن الراعي والرعية وكيف يمكن توحيد الصف وتوحيد الكلمة وكيف يكون التعامل مع الطرف الذي يخالف أولي الأمر الرأي ... وهي وصايا سمعها الدكتور بشار الأسد وبدأ يطبقها منذ أن بويع رئيساً للبلاد خلفاً لوالده الراحل حافظ الأسد، مع الفارق أن تركيبة الحكم في سوريا لا تتحمل التغيير أو التعديل الصاعق بينما يمكن ذلك في الأردن. ومن هنا فإن الرؤية التي نشير إليها ويتطلع الملك عبدالله إلى تحويلها إلى واقع تتلخص في أن تبدأ التتمية السياسية بصوغ قوانين تقوم بموجبها في المملكة الهاشمية ثلاثة أحزاب .. أي بمثل ماهي الحال في المملكة المتحدة حيث التجربة الحزبية للإنجليز عريقة: حزب لأهل اليمين وثن لأهل اليسار وبينهما حزب لأهل الوسط، وبذلك لا يعود الصراع السياسي في الأردن على نحو ما هو عليه ومن حيث التسميات بالذات، أي بما معناه لا يتشكل حزب يحمل تسمية إسلاموية وحزب يحمل تسمية ثورية. وما دامت هنالك مناخات ديمقراطية فإن الحزب الذي يفوز في الإنتخابات بأكثرية المقاعد يختار من يمثله لتشكيل الحكومة الجديدة. والغرض من وراء ذلك مزدوج فمن جهة يصبح الصراع بين الأحزاب نفسها و من جهة أخرى لا يعود هنالك صراع يستهدف العرش.

وقد يقال إن تأثر الملك عبدالله ومن قبله والده الملك حسين بالتجارب الحزبية الأميركية والأوروبية وبالذات تجربة الحزبين في الولايات المتحدة والأحزاب الثلاثة في بريطانيا هو وراء هذه الحماسة للتقليد. لكن في الوقت نفسه يمكن القول إن صيغة الأحزاب الثلاثة للأردن ولأي بلد عربي قد تكون هي المدخل الحقيقي لإنجاز التتمية

الموضوعية سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً، وهو ما كاد الرئيس الراحل أنور السادات يأخذ به بادئاً بخطوة "المنابر" ثم لم يأخذ بالصيغة كونه رئيساً لـ "الحزب الوطني" وبذلك إختلت الفكرة تماماً. ونقول ذلك على أساس أن نجاح الفكرة هو في أن يكون رئيس الدولة فوق الأحزاب ويكون الدستور فوق رئيس الدولة ويكون الوطن فوق الإثنين. ومنذ رحيل السادات و"الحزب الوطني" الذي كان من المفترض أن يكون واحداً من ثلاثة هو حزب الدولة، ولذا فإن كل تبعات الخلل الإجتماعي تقع عليه.

وفي تقديرنا أن الرئيس حسني مبارك سيعود في لحظة مفاجئة إلى تعديل المسار ويرعى صياغة قوانين سياسية تكون بموجبها التعددية السياسية الحزبية واضحة بمعنى أن هنالك ثلاثة أحزاب لكل منها رئيس ومكتب سياسي أو لجنة تنفيذية، ويكون رئيس الدولة هو الرئيس الفخري لكل من هذه الأحزاب وعند ذلك فإن كل حزب يأخذ حجمه الحقيقي على الصعيد الشعبي. وما قد يحدث في مصر لا بد سيحدث في السودان مشابهاً أو بصيغة لها خصوصيتها كما لا بد سيحدث في ليبيا والعراق وتونس. وسيحدث في كل بلد عربي من المحيط إلى الخليج وبالذات في دول لا تريد للحزبية موطئ قدم فيها، وذلك لأن هذه الصيغة تبقى صمام الأمان. والأهم من ذلك هو أن الإصلاح السياسي هو المدخل إلى إصلاح الأحوال الإقتصادية والمعيشية، كما أنه المدخل إلى أن تكون الحكومات التي تتشكل هي حكومات محاصرة الفساد وتقليل نسبة البطالة وتحسين ظروف معيشة المواطن.. المصاب منذ سنوات بسكون يشبه السكتة الدماغية فلا يتحمس لشيء ولا يهتز لحديث صاعق وكل ذلك نتيجة ظروف المعيشة. وهي حالة ليست بسيطة كما قد يظن أولو الأمر لأن ما بعد السكون يقظة قد تعصف بثوابت كثيرة وتجعل أولي الأمر يندمون لأنهم لم ينتبهوا على نحو تنبه الملك عبدالله الثاني الذي يسجل الخطوة الأولى على طريق السلامة الوطنية.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 30 أكتوبر (ت) 2003

"العم سام" يستعطف والعراق يدفع الثمن

تتعامل الإدارة البوشية مع العراق كممثل تعامل أب وضع ابناً معاقاً أو قريباً له يشكو من عاهة تنثر شفقة

الآخرين عليه على كرسي بعجلات ويدور فيه على الميسورين والمحسنين لجمع المال عليه. وعندما يحصل على الحسنات فإنه ينققها على مباحجه أما الابن المعاق أو القريب المصاب بعاهة فلا حاجة لهما سوى بعض الطعام والشراب. بهذا الإنطباع يخرج المرء عند التأمل في مؤتمر الدول المانحة لإعادة إعمار العراق وكيف أن الإدارة البوشية إستنفرت كل ذي نعمة، محسوداً كان أو غير محسود من أجل جمع بضعة مليارات هي شكلاً للعراق إلا أنها ضمناً لإنقاذ حيتان بعض أهل الصناعة على أنواعها في أميركا الذين أمعنوا نهباً في نهب الشركات والتلاعب بها وعندما أفلس بعض هذه الشركات وإهتز وضع شركات أخرى مرتبطة ببعض كواسر الإدارة

الأميركية وبدأ الإفلاس وإهتزاز الإستقرار يؤثران على الوضع المالي قررت الإدارة الأميركية الجروح نحو غزو دول تجري من فوقها الأنهار ومن تحتها الآبار النفطية. وبدأت الغزوة الأولى بالعراق على أساس أن خيراته من النفط وفيرة فضلاً عن أن تدمير ما تم بناؤه على مدى ربع قرن ومن خلال حرب يختبر فيها الأشاوس الأميركيين جديدهم من أسلحة الدمار الشامل، كفيل بإعادة الروح إلى مئات الشركات الأميركية وتنشيط الدورة الإقتصادية في الدولة الأعظم... وبحيث لا يعود هنالك مخاوف من ضumur الدولار أمام "اليورو" والـ "ين" و"الفرنك" السويسري و"المارك" الألماني .

جاءت إلى مدريد الدول الميسورة وبعد الترغيب والإستعطف بصيغة الإبتزاز تم جمع 33 مليار دولار دفعها ممثلو هذه الدول من دون الإقتناع وذلك على أساس أنه ما دامت الحرب على العراق جرت على أساس غناه النفطي فكيف يجوز منح مساعدات لمن هذه حاله. بل إن كثيرين تساءلوا في مجالس خاصه عن هذا اللغز هي أن دولة نفطية كبرى من العراق تحتاج إلى من يساعدها مع أنها هي المؤهلة لكي تساعد الآخرين لو أنها ليست دولة قاست ويلات الحصار بإصرار على ذلك من أميركا بوش الأب لمدة إحدى عشرة سنة. بل إن هنالك من يتساءل: ولماذا هذا التسول على العراق من جانب أميركا ما دامت هذه الخيرة هي المحتلة لبلاد الرافدين وهي بالتالي جانية خيراته قاطفة ثماره. وكان لافتاً للإنتباه أنه من قبل أن ينعقد مؤتمر المانحين في مدريد كانت العقود مع الشركات الأميركية التي ترتبط بكواسر الإدارة

والتي من أجل خاطر خزائنها الخاوية ومن أجل حذف العراق كرقم صعب في الصراع العربي - الإسرائيلي كانت الحرب على العراق بحجة أنه يملك كميات وأنواعاً من أسلحة الدمار الشامل التي تهدد أمن أميركا. ثم تحدثت الحرب ومن دون العثور على القرائن التي تؤكد وجود هذا السلاح ويتم التدمير ولا يوجد أثر لهذا السلاح ثم يبدأ الاحتلال بينما أسلحة الدمار الشامل موجودة وغير موجودة أضف إلى ذلك أن عشرات الخبراء الدوليين وأولهم بليكس رئيس الفريق المكلف من الأمم المتحدة التفتيش عن تلك الأسلحة في كل أرجاء العراق أعلنوا أنهم لم يجدوا الضالة البوشية بل إن كبيرهم بليكس قال كلاماً في منتهى الخطورة خلاصته أن التضليل كان سمة الحملة الأميركية - البريطانية في شأن أسلحة الدمار الشامل. ولقد تساءل كثيرون : كيف يجوز إبرام العقود من قبل أن يتم جمع المال، وكيف يجوز اعتماد هذا الأسلوب العشوائي والانتقائي في إبرام العقود أي بما معناه إذا كان سيتم جمع المال من مجموعة دول فإن منطق الأمور يقول بتوزيع العقود على شركات مقاولات في هذه الدول وبحيث أن كل دولة تتال حصتها من العقود بنسبة مساهمتها؟

ولكن مثل هذا التساؤل لا جواب له . فالحرب على العراق من البداية غير خاضعة للمنطق وللأصول وإنما هي من نوع التصرفات الافتراضية . وإذا كان من جملة أغراضها الأساسية إنقاذ شركات تمت بصلة القربى أو بأواصر "البنس" من بعض كواسر الإدارة البوشية، فهل يعود من المهم تبرير إبرام العقود سلفاً ومع شركات أميركية دون غيرها، وإن كانت كبرى هذه الشركات أو فلنسّمها "الحوت الأكبر" وشركة "بكتل" التي يضم مجلس إدارتها وزير الخارجية الريغاني الأسبق جورج شولتر قالت أنها منحت معظم عقود الباطن لشركات عراقية .

وهذا التبرير لا يلغي أن "بكتل" التي بلغ عقدها مليار دولار والتي قال أحد أعضاء الكونغرس ويدعى هنري واكسمان بأن ما حصلت عليه "يفوح برائحة المحابة" ، تصرفت كمقاوم مقاولي العراق أي أنها نالت من المليار الجزء الأكبر منه وتركت الفتايف للمقاولين العراقيين كي لا يقال إنها تفردت. وما يقال عن "بكتل" هذا الحوت الكبير يقال عن عشرات الشركات التي ستكشف الأيام مدى علاقتها بالحرب أو علاقة الحرب بها.

وتبقى الإشارة ونحن نتحدث عن التعامل الأميركي مع الموضوع العراقي والذي هو بمثل تعامل أب يجمع الحسنات من المحسنين إشفاقاً منهم على ولده الكسيح أو المشوه، الإشارة إلى السخاء العربي بالمقارنة مع السخاء الأجنبي والذي لم يكن على الأرجح حياً بالعراقيين وحرصاً على إعادة إعمار ديارهم وإنما مسايرة للحليف الأميركي. وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن بلجيكا التي هي مقر الحلف الأطلسي الذراع الضاربة لأميركا تبرعت بعشرين مليون دولار في حين بلغت تبرعات الكويت ملياراً ونصف المليار. وعلى سبيل المثال لا الحصر أيضاً فإن دولة مثل ألمانيا تعهدت بدفع مئة مليون يورو، أي 118 مليون دولار، منها حوالي خمسين مليون يورو من خلال الاتحاد الأوروبي في حين أن المملكة العربية السعودية تعهدت بتقديم بليون دولار نصفها في صورة تمويل مشروعات في ميادين التعليم والصحة والبنية الأساسية.

وعلى رغم ذلك فإن الإدارة البوشية خرجت غير راضية لأنها تريد المزيد من المال الممنوح لإنعاش الشركات الأميركية التي أبرمت العقود معها سلفاً. أما العراق فإنه ليس ممتناً لأنه من دون إلغاء الديون عليه لن تقوم له قيامة من الآن وحتى ربع قرن. أما مسألة ما تم جمعه من مبالغ في مؤتمر المانحين في مدريد فإن حال العراق فيه كانت يرثى لها ذلك أن من كان عزيز قوم ذل وجد نفسه مثل مخلوق كسيح ومشوه يدور به والده الجديد "العم سام" على المقتدرين بعدما وضعه على كرسي بعجلات مردداً عبارات الإستعطاف. واحسرتاه على الذي أصاب العراق وطناً وشعباً .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 6 نوفمبر (ت) 2003

* * *

زيارة إزالة آثار "العشم" ... مع إمكانية

حلحلة المستعصيات القذافية البرية

هنالك تبشير حدوث نقلة نوعية في العلاقات بين لبنان والسودان البلدان اللذان بينهما جوامع مشتركة، أولها التقارب اللفظي للإسم. أما بقية الجوامع فهي الإصالة الديمقراطية والتنوع المذهبي، ومرارة الحرب

الطويلة، والممارسة التي تبعث الضجر في النفوس للعبة السياسية من جانب أهلها، والتداول المدني العسكري للحكم بالإنقلاب أو بالانتخاب، وظاهرة الإغتراب، والبذل إلى درجة التضحية أحياناً في سبيل الحفاظ على الواجب الوطني، والنزوات السياسية من نوع نزوة تهجير الفلاشا من جانب الرئيس الأسبق جعفر نميري وإتفاق 17 أيار من جانب الرئيس الأسبق امين الجميل.

وباستثناء حسد لبنان للسودان على «منجاء» الذائعة الصيت كثرة ذات مذاق لا مثيل له يقابله حسد السودان للبنان على «تفاحه» السيء الحظ رغم جودته التي يشهد بها إخواننا الليبيون الذين أنزلوا به عقاباً لا يستحقه، فإن المشاعر في النفوس على درجة عالية من الطيبة البعيدة عن الحسد.

والنقلة النوعية التي تشير إليها ستتم في ضوء الزيارة التي سيقوم بها الرئيس نبيه بري إلى الخرطوم يوم 28 تشرين الثاني الجاري (2003) بعد عيد الفطر مباشرة يرافقه وفد من 24 شخصاً تلبية لدعوة من رئيس «المجلس الوطني» السوداني (أي البرلمان) محمد إبراهيم الطاهر.

لهذه الزيارة أهمية إستثنائية كونها تدشيناً لمرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين سبق أن عانت بعض التوكل نتيجة خطأ برونوكولي أيام إنعقاد القمة العربية الدورية الثانية في بيروت، وبسبب هذا الخطأ غاب الرئيس عمر البشير عن القمة من دون أن يغادر الود للبنان قلوب أولي الأمر في الحكم السوداني. وهنا لا بد من التنويه بالطريقة التي إعتدها سفير السودان في بيروت سيد احمد البخيت في إمتصاص حالات «العشم» وأحياناً حالات الغضب التي أصابت في الصميم المشاعر السودانية. كما أن لهذه الزيارة أهمية مضافة كونها تأتي في مرحلة إنتقالية للسودان من الإحتراب الذي كان في بعض جوانبه يمثل إحتراب اللبنانيين طوال ست عشرة سنة إلى أن أزال الله الغشاوة عن أبصارهم وفتح قلوبهم للتعايش وجاءهم إتفاق الطائف بدعم أخوي من أهل الحكم السعودي يضع نهاية للحرب التي أنهكت وطناً كان مثل السودان مضرب المثل في التعايش.

ومن المؤكد أن تجربة الرئيس بري في مرحلة ما قبل الطائف ثم في مرحلة ما بعد هذا الإتفاق والمتواصلة حتى الآن، من شأنها أن تفيد الأشقاء في السودان علماً بأنهم شطّار في التكتيك عند الضرورة،

والأفكيف سلكوا، من خلال النجمين الساطعين في الحقبة البشيرية من «الحكم الإنقاذي» على عثمان طه النائب الأول لرئيس الجمهورية والدكتور مصطفى إسماعيل وزير الخارجية، مع الإدارة البوشية إلى حد أنهم أقحموها في الحل وبحيث بات لا مصلحة لها في الإنحياز لطرف دون آخر.. وهكذا صار قلبها مع زعيم التمرد جون قرنق كما صار القلب في الوقت نفسه على الحكم السوداني الذي يتحول من دون أن يتحلل والذي ما زال على رغم إطمئنان رئيسه الفريق عمر البشير إلى أن طائر السلام على أهبة أن يحط رحاله، يخشى من ولادة «قرنق آخر» على نحو ما حدّث بعد ولادة جون قرنق الحالي عُقب إنصهار جوزف لاغو عميد التمرد الجنوبي في بوتقة السلام في عهد الرئيس الأسبق نميري.

وهذه النقلة النوعية في العلاقات اللبنانية - السودانية كان مقدراً لها أن تحدث قبل أشهر وعلى يدي وزير المالية فؤاد السنيورة فرّج الله كربته المفاجئ، لولا أن ضرورات «باريس 2» أوجبت على «أبو الضرائب» مرافقة الرئيس الحريري إلى باريس وبذلك لم تتم زيارته التي كانت على أهبة الحدوث للسودان. ثم تعثرت محاولة ثانية للزيارة لأسباب سودانية قد تكون نشأت عن رد «التحية» للوزير السنيورة بمثلها حيث أنه عندما أبدى إستعداده للزيارة وبتاريخ حدده بنفسه جاءه الإعتذار بأن وزير المال السوداني في تلك الفترة خارج البلاد. ثم تعطلت الزيارة السنيورية مرة ثالثة لأسباب سودانية لبنانية مشتركة ليس من مصلحة النقلة النوعية المتوخاة في العلاقات الخوض في غمار تفاصيلها ودواعيها ذات الطابع المزاجي.

وحيث أن الضارة أحياناً نافعة، فإن زيارة الرئيس بري تأتي وعلى هذا المستوى العالي لترسم في الأفق معالم مرحلة من العلاقات والتعاون لمصلحة البلدين. وقد ينجح أهل الحكم السوداني بما لهم من طيب العلاقة ومراعاة الخاطر مع ليبيا في التمهيد لمصالحة أن أوان حدوثها بين العقيد معمر القذافي والرئيس نبيه بري. وهذه المرة ليست فقط من أجل التفاح واللبنانيين العاملين في ليبيا.. وإنما من أجل أن تلتئم الجراح في النفوس فلا تنتهي إلى «غرغرينا» سياسية وقانا الله في لبنان وليبيا شر حدوثها.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الثلاثاء 11 نوفمبر (ت) 2003

السلام ذلك الهاجس العربي في انتظار هداية ثنائي الحرب

حتى الآن لم يحدث أن قام مسؤول عربي بزيارة إلى بلد عربي أو إسلامي أو أجنبي إلا وكان هاجس السلام مرافقاً له. وهو في زيارته هذه إما يحض رئيس الدولة التي يزورها على بذل جهود من أجل تحقيق السلام في المنطقة وإما يبدي الكثير من النوايا الطيبة في شأن إستبدال خيار المواجهات بخيار التسوية. ولنا في هذا الإطار زيارات بالغة الأهمية قام بها الرئيس حسني مبارك والرئيس بشّار الأسد ووليّ العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبد العزيز. وفي جولات وزيارات هؤلاء القادة العرب والأجانب لم يسجل أي منهم سوى الكلام الذي يخدم السلام كقضية ويُبعد شبح الحرب كونها كارثة لا يسلم من نار حرائقها أحد. بل إن القادة الذين نشير إليهم طرحوا مبادرات وأفكاراً خلال إجتماعات ثنائية ومؤتمرات على مستوى القمة. وتمثلت ذروة التصميم على السلام في رؤية وليّ العهد السعودي التي إنتهت إلى مبادرة عربية أقرتها بالإجماع القمة العربية الدورية الثانية في بيروت .. وبذلك بدا العالم

العربي من المحيط إلى الخليج ينشد السلام ولا شيء غير السلام، مع أن ما يتعرض له من تحديات وإستقرازمات وإهانات تفرض على قاداته إعتداد بعض التشدد إلى حد إستبدال لغة السلام بلغة الحرب . وبلغت الإنتباه أن هذا المنحى لا يقتصر على الدول العربية والإسلامية وإنما هنالك 99 في المئة ونكاد نقول 99.99 في المئة من قادة دول العالم ينتسبون إلى معسكر السلام في العالم ويريدون له أن يسود في كل ديار المعمورة. وهؤلاء أيضاً لا يخفون مشاعرهم هذه ولا يتركون

مناسبة إلا ويركزون في إجتماعاتهم وفي زياراتهم وتصريحاتهم على السلام. وهم لا يتحدثون عن ذلك من باب المسايرة وإنما من منطلق الإيمان بأن منطق الحروب يجب أن يتوارى إلى الأبد وتأخذ القضايا العالقة طريقها إلى الحل من خلال التسوية.. ما دامت هنالك منظمة إسمها "الأمم المتحدة" وهنالك "مجلس الأمن" و"الجمعية العمومية". وفي إستطاعة هذه المؤسسات إن هي عملت بموجب ميثاقها وروحية مقتضيات إنشائها وبعيداً عن أي هيمنة أن تحل أي

مشكلة عالقة مهما بلغ حجم هذه المشكلة وأن تعطل مفعول أي لغم قد يؤدي إنفجاره إلى حرب. وما نقصده بعدم الهيمنة في الدرجة الأولى إسقاط إستتثار الدول الخمس أميركا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين بأحقية إستعمال "الفيتو" الذي يجيز لأي من هذه الدول نقض أي مشروع قرار لمجلس الأمن، وأن يصار عوض ذلك إلى إصدار المشروع بالتصويت وبالأكثرية أو الإجماع في حال توفر هذا الإجماع. ونقول ذلك مع الأخذ في الإعتبار أن أحداً من الدول الأعضاء بإستثناء أميركا لا تستعمل "الفيتو" كما أن أميركا لم تستعمله إلا لإحباط مشروع قرار يصب في مصلحة السلام في العالم.

ووجدهما أميركا وإسرائيل ينعمان في إتجاه الحروب والصراعات رافضتين الإنتساب إلى السرب الذي يغرد من أجل السلام. ومن خلال المتابعة الدوئية للتصريحات الأميركية وللممارسات التي تسبق حروب أميركا وتلك التي تليها وكذلك من خلال المتابعة الدوئية للتصريحات الإسرائيلية وللممارسات العدوانية المتواصلة ضد الفلسطينيين، وأيضاً وأيضاً خلال زيارات كبار المسؤولين الأميركيين والمبعوثين وزيارات أركان العهد الشاروني البغيض ... إننا من خلال ذلك نلمس بوضوح كيف أن كل الذي يفعله هؤلاء هو لقطع الطريق على أي خطوة في إتجاه السلام، وكأنما هؤلاء ضمناً ضد ما تنادي به الأديان السماوية بمن في ذلك اليهودية والمسيحية.. وبالأذات السيد المسيح عيسى بن مريم الذي دعا إلى "السلام على الأرض وفي الناس المسرة" .

وما إستدعاء الإحتياط في أميركا لكي يسافروا مع بداية العام المقبل إلى العراق وهرولة أربيل شارون قبل أيام إلى موسكو سوى بعض المظاهر التي تؤكد إصرار الطرفين الأميركي والإسرائيلي متكافئين متضامين على محاربة السلام إعتداداً منهما دون غيرهما على الحجة الواهية وهي "محاربة الإرهاب ونشر الديمقراطية" وكأنما هما لا يمارسان الإرهاب ولا يتصدیان للديمقراطية التي قواعدها أن ترضخ الأقليات لحكم الأكثرية وإرادتها لكنهما يفعلان العكس تماماً. فالإستدعاء البوشي للإحتياط الأميركي كان لتعزيز كفة الحرب على كفة السلام مع أن أحدث الإستطلاعات تشير إلى أن الرأي العام ليس مع إندفاع بوش في إتجاه الحرب، والهرولة الشارونية إلى موسكو كانت للتمني على الرئيس فلاديمير بوتين من

أجل أن يوقف سعيه لإستصدار قرار من مجلس الأمن في ما يتعلق بخارطة الطريق" لأنها خارطة تقود إلى السلام. واللافت للانتباه أن الهرولة التي نشير إليها تحدث بينما لا تقول الإدارة البوشية للإبن المدلل شارون ما معناه: لا تنس أن هذه الخارطة هي من صُنْعنا. وإذا كان صديقنا بوتين يريد إستصدار قرار من مجلس الأمن في شأنها فإن ذلك جيد ويجب عدم عرقلة هذا السعي. وعندما لا يقال ذلك فهذا معناه أن صاحبة فكرة الخارطة وهي هنا أميركا تريد بعثرتها وأنها عندما أصدرتها كانت تظن أن إسرائيل ستبتهج بها. أما وأن إسرائيل الشارونية معترضة ولا تريد فإن الإدارة البوشية في هذه الحال مع المعارض... وهي في الأصل دائماً معه ربما لأنه دائماً على باطل. وفي هذه الأثناء سيبقى معسكر السلام الذي يمثل 99.99 في المئة من دول العالم على موقفه في إنتظار أن يهدي الله معسكر الواحد في المئة .. أي المعسكر الذي يريد الحروب والصراعات ولاشيء غيرها متمثلاً بالثنائي الضال والمضلل أميركا البوشية وإسرائيل الشارونية. ففي النهاية لايمكن أن يكون البقاء للأرذل.

صحيفة "الراي العام". الخرطوم - الخميس 13 نوفمبر (ت) 2003

* * *

جمعية للصدقة والتطوير

في الخرطوم وبيرت

مباشرة بعد عيد الفطر الذي كنا نتمنى أن يخلو شهر الصوم من المنغصات والمفاجآت الدموية في الرياض وأسطنبول، قام رئيس البرلمان اللبناني نبيه بري بزيارة رسمية إلى السودان مسجلاً بذلك أنه أرفع مسؤول لبناني يزور السودان منذ العام 1967 عندما شارك رئيس الجمهورية اللبنانية زمذاك المرحوم شارل حلو في أعمال القمة الإستثنائية.. التي ستبقى حتى قمة عربية بأفضل منها معلماً بارزاً في التاريخ المخضرم للأمة .

وحيث أن هذه المشاركة لا يمكن إعتبارها زيارة رسمية فإن ما قام به الرئيس نبيه بري هو إذاً أول زيارة رسمية من جانب مسؤول لبناني رفيع للسودان، حركت في نفوسنا بعض الشؤون والشجون من بينها

أن أول صحيفة في السودان أنشأها عام 1903 اللبنانيان فارس نمر ويعقوب صروف، ومنها أن أول مطبعة أنشئت هناك وفي العم نفسه كانت بمبادرة من لبناني، وأن عشرات السودانيين تخرجوا من جامعات لبنانية، وأن البلدين العربيين الوحيدين اللذين لإسميهما وقع واحد هما لبنان والسودان. ولهذه المناسبة ياليت صديقنا الدكتور جعفر الميرغني يحيي ضمن فعاليات إنعقاد دورة "الخرطوم عاصمة للثقافة العربية" للعام 2005 مئوية الصحيفة الأولى التي كانت بمثل إنشاء الأخوين سليم وبشارة نقلا لصحيفة "الأهرام" في مصر عام 1875 وبمثل إنشاء الروائي اللبناني جرجي زيدان وفي مصر أيضاً لمجلة "الهلال" عام 1892 التي باتت داراً صحافية عريقة صدر عنها مطبوعات عدة. ومن حيث المبدأ فإن مثل هذه الإطلالة للبنان وبهذا المستوى على السودان متأخرة 36 سنة تبدو بلغة الشهر الفضيل رمضان بمثل إفطار ترتاح له النفس بعد صيام عن التزاور طال أمده .. وهو أمر يثير الدهشة وإن كنا سنقتطع من هذا التأخير سبع عشرة سنة هي سنوات إنشغال لبنان بحربه الأهلية وبضع سنوات أخرى هي إنشغال السودان بالإنقلابات والصراعات الدموية. وبطبيعة الحال فإن مثل هذا الإنشغال يجعل مسألة التزاور على شيء من الإرجاء المتواصل من دون أن يعني ذلك بأن الرغبة غائبة. وخيراً فعل رئيس المجلس الوطني أحمد إبراهيم الطاهر بضخه بعض الحيوية في مشروع التزاور وذلك من خلال توجيه الدعوة إلى زميله رئيس مجلس النواب اللبناني. كما أن نبيه بري خيراً فعل عندما رد على الدعوة بإدراجها في خانة الأولويات وقيامه بعد عطلة عيد الفطر مباشرة بزيارة الأشقاء في السودان الذين كعادتهم أحاطوا ضيفهم بالإهتمام المتميز .

ومع أن نبيه بري هو رئيس السلطة التشريعية في لبنان وأن التعاون في مجالات الإقتصاد والتجارة والإستثمارات يكون أفضل مع رئيس السلطة التنفيذية، وهو هنا رئيس الحكومة رفيق الحريري المنشغل بخلافاته الدائمة مع رئيس الجمهورية، إلا أن بري ليس مجرد رئيس برلمان وإنما هو الشريك الثاني في مثلث الحكم الرئاسي إلى جانب الرئيس الأول إميل لحود (رئيس الجمهورية) والحريري رئيس الحكومة. ومن هنا فإن ما يمكن أن يفعله بري على صعيد تطوير العلاقات السودانية - اللبنانية في ضوء زيارته التي قام بها، أكثر مما يظن البعض، خصوصاً إذا تحق

السلامان في البلدين بمعنى أن يحدث الوفاق بين طرفي النزاع في السودان وهو أمر وارد على رغم ما يعترض طريقه من عثرات أبرزها حتى الآن إقالة غازي صلاح الدين مستشار رئيس الجمهورية في عملية السلام والذي أعاد تنشيط قنوات الإتصال مع "الإنقاذ الترابية" بعدما رأى أن غيره هو من سيقطف نتيجة مرونة زائدة عن الحد قياساً بتشدد المستشار، ثمرة السلام وليس هو الذي ثابر وإبتكر وناور .. تشهد على ذلك وقائع جلسات الحوار في الكواليس الكينية. وتشاء الصدف أن تحدث هذه الإقالة بصيغة الإستقالة في وقت كان الزائر اللبناني الرفيع المقام والشأن في السودان وبين أبناء "الطائفة الإنقاذية" التي باتت ثالثة الطوائف بعد "طائفة الأنصار" أو "طائفة الختمية" وبذلك يكون عايش على الطبيعة مشهداً طالما تكرر في إطار حركة "أمل" التي يترعّمها والتي تُمثل نصف أبناء الطائفة الشيعية في لبنان بينما يمثل "حزب الله" وزعيمه السيد حسن نصرالله النصف الثاني من أبناء الطائفة.

كانت زيارة بري مناسبة لكي يسمع من زميله أحمد إبراهيم الطاهر صاحب التروؤس الحكيم لـ "الإتحاد البرلماني العربي" الكثير حول مسيرة السودان منذ برلمانه الأول عام 1954 الذي سبق الإستقلال عام 1956 وحول سنوات الهبوط والصعود فالهبوط مرة أخرى وسنوات الإحتراب فالتهدئة فمغادرة الإحتراب، وحول التجربة الإسلامية من منطلق الضرورة والأمر الواقع غير المدروس والمتبصر ما فيه الكفاية ثم بموجب الرؤية الإيمانية وصولاً إلى ضرورة التعديل في هذه الرؤية كي يبقى الوطن متوحداً، وحول إنفتاح يتزامن مع خطوات السعي نحو السلام كحل نهائي .. وإلا فإن الحرب ستتدلج من جديد. ونفترض أن الزائر اللبناني المتميز الشأن والمقام سمع من زميله السوداني تحليلاً حول أهمية الإستثمار في السودان الذي بات نفطياً كيف أن اللبنانيين المغتربين في الدول الأفريقية يمكنهم أن يجدوا فيه أفضل إستثمارات لهم من المتاجرة باللحوم حيث في السودان 135 مليون رأس على نحو ما فعل الأمير الوليد بن طلال الذي إحتكر تجارة الجمال .. إلى السياحة فضلاً عن الفاكهة والسمسم والقطن ، هذا إلى جانب الهجمة الأميركية على المنطقة وسُبل مواجهتها بغير التشنّج وإنما بصون الثوابت وفتح المزيد من النوافذ أمام قيام حكومات وحدة وطنية في كل العالم العربي من

المحيط إلى الخليج تتعاون من منطلق المصالح المشتركة بين دول العالم العربي الجديد " الذي نفترض أنه سيكون رداً لا بد منه على "النظام العالمي الجديد" وبمثل ما فعل الأوروبيون عندما ردوا على هذا النظام الذي تقوده أميركا بأسلوب الهيمنة بأن أسرعوا الخطى في إتجاه قيام "الإتحاد الأوروبي" الذي يكتسب خطوة بعد أخرى نظاماً للقارة الأوروبية له خصوصيته وتميزه وإستقلاليته عن الركب الأميركي .. مع بعض الإستثناءات والثغرات.

وإلى جانب هذا التحليل تبادل بري كلاماً طيباً وإستراتيجياً مع الرئيس عمر البشير بعدما كان سمع من مضيفه أحمد إبراهيم الطاهر كلاماً في الإتجاه نفسه وصل إلى حد الإقتراح بتشكيل لجنة عليا مشتركة برئاسة رئيس الحكومة والنائب الأول لرئيس الجمهورية في السودان، وبأن يحدث نوع من التنسيق مع الخارجية اللبنانية للإستعانة بلبنانيين كقناصل فخرين للسودان في بلاد الإغتراب التي يتواجدون فيها خصوصاً في أميركا اللاتينية حيث لا توجد سفارة سودانية واحدة. كما أن الكلام الطيب وصل إلى حد إبداء إستعداد السودان لتحقيق نوع من الإندماج الكامل مع لبنان .

ومع التقدير من جانب كاتب مثل حالي لهذا الكلام الذي يفرض محبة من جانب رئيس البرلمان السوداني فإنني أجد نفسي أقول بأن الإندماج والتكامل رحلة عسيرة، ولكن العلاقة بين البلدين تحتاج إلى خطوات تمهيدية يسيرة مثل المباشرة بإنشاء جمعية في السودان للصدقة وتطوير العلاقات السودانية - اللبنانية تقابلها جمعية مماثلة في لبنان وهو ما نتمنى على السفير اللبناني في الخرطوم شربل اسطفان و السفير السوداني في بيروت سيد أحمد البخيت مباشرة السعي من أجل إنشائهما، وبحيث تضم كل جمعية معظم الدبلوماسيين الذين عملوا كسفراء أو قناصل في السودان ولبنان ومعهم معظم الكتاب والمفكرين والإعلاميين ورجال الصحافة ورجال الأعمال وفعاليات .

وفي تقديري أن الإندماج أو التكامل يبدأ من السفح وصولاً إلى القمة وليس العكس. ولنا ما أصاب أحلام الإندماج والتكامل التي تكاثرت الكلام عنها وعن مرفأ ضمن منطقة حرة للسودان على البحر المتوسط في زمن الرئيسين أنور السادات وجعفر نميري مكافأة من الرئيس المصري للرئيس السوداني على وقفته إلى

جانبه في معركة العرب ضد صفقة كامب ديفيد... ثم لم يحدث شيء من ذلك على الإطلاق. ويبقى أننا في إنتظار أن تتزايد الزيارات المتبادلة بين لبنان والسودان المثقلين بالديون والتضخم والهموم والتحديات، في ضوء الزيارة الناجحة لرئيس البرلمان اللبناني نبيه بري، نتمنى أن تكون هنالك ترجمة لأقوال الرئيس عمر البشير ونائبه الأول ووزير خارجيته وبذلك تقترن الأفعال بالأقوال. والله موفق أولاً وآخرًا للبلدين الشقيقتين.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 ديسمبر (ك) 2003

* * *

تحية مغموسة بالأسى عليهم..

والفلاح لسلام بلدهم

حل عيد الفطر المبارك علينا كعرب ومسلمين عموماً وعلى السودان وشعبه الشامخ خصوصاً حاملاً في ثايات أجوائه الطيبة مشاعر بالفرح من جهة وبالأسى من جهة ثانية.

أما الفرح فلأن المقاومة في العراق قد تعيد لنا وطناً عزيزاً جرى تغيبه بغمضة عين عربية أو أنها في الحد الأدنى ستسبب إحراجاً للدولتين الجائرتين أميركا وبريطانيا اللتين تحاولان جعل بلاد الرافدين بمثل ما فعلتا مع فلسطين.

وأما الأسى فعلى هذه الغيوبة الجاهلية التي أصابت بعض إخواننا في المملكة العربية السعودية فجعلتهم يفتكون في عتمة ليل رمضان بأرواح بريئة متجاوزين ذلك ما يوصي به الدين والضمير، وعلى شعبين كريمين وصابرين وعزيزي النفس هما شعب العراق وشعب فلسطين يكابدان ما لم يكابده شعب من قبل زارعين بمكابدتهم هذه بذرة نهوض للأمة المغلوب على أمرها من الإجتهاادات السياسية لبعض قادتها من مغامراتهم العسكرية.

وفي ظل أجواء الأسى هذه جاءني نبأ رحيل الإعلامي المستتير الفاتح التيجاني المتحمل الشقاء والمشقات طوال ربع قرن من أجل صون كرامته شأنه في ذلك شأن إعلامي مستتير سبقه إلى دنيا الآخرة هو ربيع حسنين وإعلاميين من النسيج نفسه هما محمد الحسن أحمد إدريس حسن أطال الله عمرهما وأبقى

على طيب شمائلهما ورقى مهنيتهما وكتاباتهما. وكان جاءني قبل ذلك نبأ رحيل الدكتور عمر نور الدائم في حادث مروري مفعج ليحفر المزيد من الأسى في النفس، من دون أن ننأى عن الإيمان بأن الموت حق وأن كل نفس ذائقة الموت وإنا لله وإنا إليه راجعون وأن الله الذي أعطى هو جلت قدرته الذي أخذ وأنه يأخذ ساعة يشاء. ولقد وجدتُ شخصياً أن الذي تربطني بالدكتور عمر صداقة أنهت يوم رحيله العقد الثالث ومن دون أن تتعكر يوماً نتيجة فعل مزاجي من نوع مزاجية بعض إخواننا من الزعماء الأنصارين.

لقد أحزنني رحيل الدكتور عمر الذي لم تفارق الابتسامة محياه حتى في أحلك ساعات الشدة سوءاً في ديار الإغتراب مهجراً أو في ديار الوطن مهجوراً. والذي كان واحداً من كوكبة سياسية مستتيرة زاذني أفرادها معرفة بالتركيبة السياسية السودانية ومن بين هؤلاء الشريف حسين الهندي وعمر الحاج موسى والرشد الطاهر والمحاجة الثلاثة محمد أحمد محبوب السياسي بامتياز وعبد الخالق محبوب العقائدي بنقاء ومحمد محبوب سليمان الإعلامي برؤية بعيدة النظر.. رحمات الله عليهم جميعاً والسيد الصادق المهدي أطال الله عمره ووسّع له صدره وملاً فراغ دنياه السياسية الناشئ عن رحيل عمر نور الدائم الذي كانت تنطبق عليه الروحية نفسها للسياسي الأنصاري المستتير الدكتور شريف التهامي. وهذه الروحية تتلخص في أن من يتعاطى لعبة الصراع السياسي والحكم وممارسة المسؤولية الرسمية عليه أن يأخذ بالنصيحة ذات المفردات الروحية والإيمانية وهي أن خير الرجال هو من كان بطيء الغضب سريع العفو. ويا ليت بعض إخواننا في مراحل الإمساك بالسلطة كانوا بطيئين عندما يغضبون ومسارعين إلى العفو قبل أن تأخذ المسائل طريقها إلى المحاكمات فالتصفيات أو العداوات المستحكمة.

وأجد نفسي وسط مشاعر الأسى الممزوجة بالفرح.. الأسى على السياسي بامتياز عمر نور الدائم والإعلامي بامتياز مماثل الفاتح التيجاني، أختار من عشرات الرسائل الشخصية التي في خزانة الذكريات التي تضم مقتنيات حول رحلة الكتابة والصحافة والتأليف رسالة كان بعث بها إلي الدكتور عمر بعدما قرأ واحداً من مؤلفاتي وهو "لبنان.. اللعبة واللاعبون والمتلاعبون" أهديته إليه ووجد، كما وجدتُ أنا في مضمونه، أوجه شبه بين ما يحدث لبلدين هنالك

على زحف كل مشاكل ومآسي الأمة وتصفياتها داخل حدوده.

كان للأنظمة العربية القهرية أن تفتح حواراتها في لبنان الحر وكان يمكن أن تجد الحلول المعقولة والتنمية المتوثبة في ظل الحرية. ولكن الفكر الجامد وحسب التسلط قادها إلى العكس فدمرت نفسها ودمرت الواحة لبنان.

أخي فؤاد، إن بلدكم السودان عايش ويعيش في نفس المأساة اللبنانية بكل تفاصيلها. وقد انفجر الوضع في السودان نتيجة مداخلات القريب والبعيد مما أدى إلى وأد الديمقراطية والحرية وافتتح الباب أمام الجهل المسلح شمالاً وجنوباً. وضاعت أعظم تجربة ديمقراطية كان يمكن أن تدب دوراً مهماً في مسيرة العالم العربي والقارة الأفريقية. وإن مساحة السودان القارة لم تجعل الانفجار نووياً كما حدث في لبنان ولكن كبر المساحة إمتص الزلزال والهزة كما حدث في لبنان.

في الختام لا بد أن لا أقلل من الدور الماكر والحقود الذي لعبته إسرائيل والقوى الإستعمارية في الإستفادة من تخلفنا وتركيز الهيمنة والسيطرة على مواردنا العملاقة. وآمل أن لا تكون لبنان والسودان الخاتمة. لا بد لنا أن نأخذ العظة مما حدث وأن ننظر إلى المستقبل بروح التفاؤل والصبر.

قال تعالى: "ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون" (صدق الله العظيم).

أخوكم

عمر نور الدائم

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - السبت 29 نوفمبر (ت) 2003

* * *

أهل القرار يأكلون الحصرم ...

والدبلوماسيون يضرسون

للمرة الثانية وخلال الربع الأخير من العام 2003 عام الصدمات التي منيت بها الأمة ، تتعرض الدبلوماسية العربية الرصينة والتي تحاول جاهدة ترميم ما يمكن ترميمه وتقويم ما أصابه إعوجاج في السياسة العربية، والترويض في حدود المستطاع للهجمة الأميركية - الإسرائيلية الشرسة على قضايا الأمة

جوامع مشتركة بين ظروفهما وقضايهما العالقة من الممارسة والتقاليد الديمقراطية إلى الإحتراب. والبلدان هما لبنان الجار بالإكراه للكيان الصهيوني الكريه والسودان الجسر المتين الدعامات بين العرب وأفريقيا. الرسالة مؤرخة 11 نوفمبر 1993 وهي من جملة رسائل يتضمنها أحد فصول دراسة أكاديمية حول تجربتي في ميدان الصحافة والكتابة والتأليف عمل عليها البروفيسور الدكتور خليل أحمد خليل أستاذ علم اجتماع المعرفة في الجامعة اللبنانية وأرفقها بنصوص من كتاباتي بين العام 1963 والعام 2003 في "النهار" و "المستقبل" و "التضامن" و "الأهرام" و "الشرق الأوسط" و "اللقاء". وتحمل الدراسة تسمية "هجوم العرب حكماً ومحكومين". وستصدر قريباً في جزئين. أما الرسالة المشار إليها والتي يستحضر فيها المرحوم عمر نور الدائم الواقع اللبناني في معرض الإشارة إلى الواقع السوداني فإنها على النحو الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الصديق فؤاد

تحية من عند الله. لك شكري وتقديري على الهدية القيمة "لبنان.. اللعبة اللاعبون والمتلاعبون". لقد تصفحت هذه البداية لسلسلة أعمالكم الشاملة ولفت نظري الجدية والدقة التي سرردتم بها أحداث بلدكم المنكوب لبنان. ولا شك أن القارئ العربي والكاتب العربي له أن يعتز بهذا المستوى من التناول لقضايا الأمة.

حقيقة إن عرض مأساة لبنان أكثر إثارة من أفلام الرعب التي نشاهدها على شاشة التلفاز. وإن الإخراج والممثلين وكل الأدوار أحكمت بصورة تجعل من الأخ فؤاد مطر وقدراته Hitchhok آخر في عالم الشرق الأوسط وما حوله، وأن روح الدعابة والتفاؤل في ظلام العالم العربي يجعل من هذا الكتاب مرآة لمرحلة مهمة جداً من تاريخ الأمة العربية.

كان لبنان ينعم بقدر من الحرية والديمقراطية والإقتصاد الحر. وحول عالم عربي تحكمه قلة فرضت الوصاية على شعوبها بشعارات القومية والإشتراكية وصبغت مجالات الحرية والديمقراطية. ولبنان مع صغر حجمه وفاعلاته الداخلية وتركيبته المعقدة أصبح الواحة للتعبير عن مأساة الأمة خاصة أن الكيان الصهيوني زرع في قلبها ووجد السند المادي والمعنوي من الشرق والغرب.

لقد انفجر لبنان لأن مساحته الصغيرة لم تقدر

والإستهانة بسيادتها، إلى محاولات إعتداء أخطر ما فيه، إذا نحن أسقطنا احتمال وجود عقل مدبر ومحرض وراء المعتدين، هو أن الجيل العربي الشاب يحتاج إلى إعتبار العمل الدبلوماسي له ظروفه وأساليبه وأن من الخطأ إعتباره موقفاً ثابتاً لهذه الدولة أو تلك.

في المرة الأولى إستهدف شبان ليبيون وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل وهو في أحد فنادق القاهرة حيث كان يشارك في مؤتمر عربي. ويوم الإثنين 22 ديسمبر/ كانون الأول 2003 إستهدف شبان فلسطينيون وزير الخارجية المصرية أحمد ماهر الذي كان في مهمة لدى الشارونيين يحاول من خلالها جاهداً وضمن توجيهات الرئيس حسني مبارك إستدراج أرييل شارون إلى الموقف العاقل الذي من شأن الأخذ به التوصل إلى وضع أفضل في موضوع النزاع الفلسطيني - الشاروني ثم بعد ذلك في موضوع الصراع العربي - الإسرائيلي . ومما يثير الدهشة هو أن الشبان الفلسطينيين إستهدفوا الوزير أحمد ماهر في المسجد الأقصى الذي كان بعد إجتماع بالمسؤولين الإسرائيليين توجّه إليه لتأدية الصلاة .

لا أحد يُنكر حجم المعاناة التي يعيشها الفلسطيني والعربي عموماً، لكن هذا لا يعني أن يترك البعض مشاعرهم تسير في الإتجاه الخطأ، وبحيث يفترض أولئك الذين إعتدوا على أحمد ماهر ومن قبل ذلك على الأمير سعود أن مثل هذه الأفعال ستحقق النتائج وتؤدي إلى التخلص من وطأة العدوان الإسرائيلي والتبني المطلق من جانب الإدارة البوشية للشارونيين الذين لا يمارسون سوى القتل والتدمير والإغتيال والتهجير . ومن غرائب الصدف أن هذا العدوان الذي إستهدف أحمد ماهر جاء في وقت سيناقد قضاة محكمة العدل الدولية مسألة جدار شارون .. الأمر الذي يعني أن تكون الدبلوماسية العربية أكثر حيوية لتأمين دعم دولي لهذا التطور النوعي في مقاضاة العدوان الإسرائيلي والممارسات الشارونية عموماً.

وإلى ذلك إننا في غنى عن إشعال مشاعر كراهية للقضية الفلسطينية في أوساط الشعب المصري حيث هنالك من سيستغل هذه الواقعة لكي يعزز منطقه القائل "ما لنا ومال الفلسطينيين..." وهو منطق طالما وقف الرئيس مبارك ضده دليل أنه لا يتخلى عن المحاولات التي تستهدف تقريب وجهات النظر الفلسطينية الشارونية وذلك بصفة كونه الطرف الوحيد

الذي في إستطاعته أن يقوم بدور الوسيط. لكن هؤلاء الذين إعتدوا على أحمد ماهر لا يرون في مصر سوى أنها الدولة العربية الأكبر التي واجبها حماية شعب فلسطين وليس التوسط بين المعتدي الشاروني والمعتدى عليه الفلسطيني. وتلك حالة تتطلب الكثير من التفهم فلسطينياً ومصرياً وتتطلب تنبيه الشارونيين إلى أن المسؤولية تقع عليهم في الدرجة الأولى.

ومع أن واقعة محاولة الإعتداء على وزير الخارجية المصرية قبلت بأعصاب باردة من جانب الوزير إلا أن الكلام الذي قرأناه لزملاء مصريين تعليقا على الحادثة كان من القساوة بحيث أن هؤلاء تناسوا أن المشهد الفلسطيني من التعقيد إلى درجة أن التعبير من جانب البعض بغرض الإحتجاج يأتي منافياً للأصول ولوشائج القرى.. ومن هنا تستوقفنا مسارعة أهل القرار الفلسطيني إلى إبداء مشاعر الأسف وإدلاء البعض منهم بتصريحات جعلت الوزير أحمد ماهر يعتبر ما جرى سحابة غضب توارت في الأفق العربي الحافل بالتحديات. وبعد المشاعر والتصريحات حصل رئيس الدبلوماسية المصرية على مجموعة من الإعتذارات الفلسطينية أولها كان من رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية فاروق القدومي الذي جاء خصيصاً إلى القاهرة لتقديم الإعتذار، والثاني كان من الدكتور نبيل شعث الزميل اللدود للقدومي الذي جاء هو الآخر إلى القاهرة للإعتذار رسمياً من أحمد ماهر. أما بالنسبة إلى محاولة الإعتداء على الأمير سعود الفيصل فإن المسألة أخذت أبعاداً قانونية بعدما أصدر القاضي الذي ترأس محكمة إستئناف الجيزة حكماً ببراءة أحد المتهمين الليبيين بعدما كانت محكمة أخرى أصدرت حكماً قضى بالسجن لمدة عام مع الشغل للشابين الليبيين. ثم تقرر في ضوء ذلك النظر في المسألة بما لا يسبب حساسية طى مستوى الحكومات المصرية والسعودية والليبية.. مع ملاحظة أن الشكوى أخذت شكلاً غير مسبوق حيث أن الأمير سعود لم يرفع قضية وإنما شكا الأمر إلى زميله وزير الخارجية أحمد ماهر وأن هذا الأخير وضع الأمر بين أيدي القضاء المصري.

وتبقى كلمة لا بد منها ونحن نودّع العام 2003 الذي كان عام أخطر الإنتكاسات في حياة الأمة بدليل ما آلت إليه الأمور في العراق، وهو أن أهل الدبلوماسية العربية هم أداة تنفيذ هذه السياسات ومن أجل ذلك فإن إلقاء اللوم عليهم فيه شيء من الظلم لهم أو فنقل إن

حالهم ينطبق عليه القول المأثور مع بعض التعديل: إن أهل القرار في العالم العربي وكذلك في العالم الإسلامي يأكلون الحصرم وإن أهل الدبلوماسية الذين ينفذون السياسات يضرسون أو يأكلون "علقة" كتلك التي إستهدفت الأمير سعود في فندق "سميراميس" في القاهرة أو تلك التي إستهدفت أحمد ماهر على بوابة المسجد الأقصى في القدس ... أعادها الله .

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الخميس 4 يناير (ك) 2004

* * *

من القرار الشيرافي إلى الإنقسام الأزهري في إنتظار الفتوى الشاملة

كأنما لا تكفي الأمة همومها الناشئة عن فراغ الساحة الدولية من قطب يمكن الإعتماد عليه في مواجهة التعتت الأميركي، الذي لا يتفهم ولا يميز بين الحق والباطل وبين الإرهاب والمقاومة وبين الهيمنة والصدقة، حتى تأتينا الدولة الصديقة فرنسا طارحة مسألة الحجاب تُقرر منعه رسمياً في المدارس الرسمية وفي إطار منع مظاهر ذات دلالات دينية مثل القلنسوة على رأس اليهودي والصليب الكبير الحجم معلقاً في عنق من يريد تعليقه من المسيحيين.

ما يخفف من نسبة سوء النية في هذه الخطوة أن الرئيس جاك شيراك صاحب مواقف إيجابية تجاه العرب والمسلمين عموماً، وهذا من وجهة نظره يعني أن على هؤلاء أن يتفهموا القصد من ذلك الإجراء الذي مهد له يوم الجمعة 5 ديسمبر الماضي (2003) وهو في زيارة بالقول ما معناه إن الحجاب مظهر إستقرازي مضيئاً القول: "إن الحكومة الفرنسية ذات النظام العلماني الصارم لا يمكنها أن تدع التلميذات يرتدين علامات متباهية للهداية الدينية، وإنني شخصياً أرى شيئاً عدوانياً في إرتداء الحجاب الإسلامي". لكن الرئيس الفرنسي الصديق لم يتعمق ما فيه الكفاية في الأمر وكان حرياً به خصوصاً أنه رجل دولة منفتح وموضوعي أن يكلف لجنة من مستشاريه تبحث الأمر مع المراجع الدينية في العالمين العربي والإسلامي قبل أن يتخذ القرار الحاسم الذي قضى بالمنع. ونلاحظ أنه بدأ يطلب التغطية الدينية لخطوته بعدما كان إتخذ القرار وبات من الصعب العودة عنه أو تعديله. وفي

نطاق البحث عن تغطية جاءت زيارة وزير الداخلية الفرنسية نيولاً ساركوزي إلى القاهرة وحصوله بعد إجتماع قصير يوم الثلاثاء 30 ديسمبر الماضي (2003) إستغرق ربع ساعة مع شيخ الأزهر على مباركة للخطوة الفرنسية وفي سياق تفسير ديني - علماني تمثّل بقول الشيخ محمد سيد طنطاوي الآتي: "إن مسألة الحجاب بالنسبة إلى المرأة المسلمة فرض إلهي لا يمكن لأحد أن يمنعها منه إذا كانت تعيش في دولة مسلمة . أما إذا كانت المرأة المسلمة في دولة غير مسلمة كدولة فرنسا مثلاً وأراد المسؤولون فيها أن يقرروا قوانين تتعارض مع مسألة الحجاب للمرأة المسلمة فهذا حقهم.. هذا حقهم .. هذا حقهم وأكرر هذا حقهم.

وعندما تستجيب المرأة المسلمة لقوانين الدولة غير المسلمة تكون من الناحية الإسلامية في حكم المضطر . والآية الكريمة تقول: "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فمن إضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه...".

هذه "الفتوى" من جانب شيخ الأزهر، التي سبق أن صدرت عنه قبل اللقاء المشار إليه بأسبوعين ، أرضت الوزير الفرنسي وإرتاح لها الرئيس شيراك بطبيعة الحال ، إلا أنها فتحت جبهة نحن في غنى عنها هي "جبهة الحجاب" ذلك أن العشرات من علماء الأزهر لا يشاركون الإمام الأكبر رأيه وأعلنوا رأيهم صراحة معتبرين أن هذا الرأي شخصي وليس رأي الأزهر .

وفي حين دعا مفتي مصر الشيخ علي جمعة الذي شارك في إستقبال ساركوزي في الأزهر لكنه لم يحضر إجتماعه مع الشيخ طنطاوي، المسؤولين الفرنسيين إلى مراجعة قرارهم مضيئاً القول من منطلق حُسن النية " إن من حق أي دولة إصدار القوانين بطريقة ديمقراطية لكن على سبيل النصيحة أقول وأكرر لإخواننا الفرنسيين إننا نرجو منهم ألا يقعوا في مثل هذا الخطأ الذي يؤدي إلى نقض العلمانية وتقويض السلام الإجتماعي داخل المجتمع الفرنسي" محذراً من إضطرابات قد تقع إذا صدر هذا القانون . . . إنه في حين كان هذا رأي المفتي الحالي للديار المصرية فإن المفتي الأسبق الدكتور نصر فريد قال إن إجبار المسلمات على نزع الحجاب هو ضد مبادئ العلمانية نفسها . وجاء كلامه هذا رداً على الوزير الفرنسي الذي كان قبل إجتماعه بشيخ الأزهر أجرى لقاءات مع

وزير الخارجية أحمد ماهر ووزير الداخلية حبيب العادلي ورئيس الإستخبارات اللواء عمر سليمان ثم أدلى بتصريحات جاء فيها قوله : "إذا كان مسلمو فرنسا لديهم الحقوق نفسها التي يتمتع بها الفرنسيون الذين يؤمنون بديانات أخرى فإن عليهم الواجبات نفسها ، إن حكومتنا متمسكة بالعلمانية التي هي خيارنا والتي تعني حيادية التعليم العام ، والقرار ليس موجهاً ضد المسلمين بصفة خاصة بل ينطبق على كل الأديان بمن في ذلك الكاثوليك واليهود ولذا يجب على المسلمين ألا يروا في ذلك قلة إحترام لدينهم، ونحن نرى أنه في المدارس العامة الفرنسية لا يتم إرتداء إشارات ظاهرة تدل على الديانة .

وبالإضافة إلى إعتراض العلماء الأزهريين فإن بعض رجال الدين الإسلامي في فرنسا أشاروا إلى أن الأكثرية الساحقة من مسلمي فرنسا هم من دول المغرب ولا يعتبرون الأزهر مرجعية لهم. ومثل هذا الرأي سيزيد الأمور تعقيداً خصوصاً أن جبهة الحجاب تتسع وبدأت تشمل دولاً أوروبية أخرى من بينها ألمانيا التي يعيش فيها حوالى ثلاثة ملايين وربع المليون مسلم أي أكثر من عدد سكان الكويت وقطر والإمارات والبحرين الدول الأعضاء في "مجلس التعاون الخليجي" . ولقد شجعت الخطوة الفرنسية حكومة ألمانيا فبدأت هذه الأخيرة بدورها تفكر بإجراءات مماثلة مستندة في ذلك إلى تنظيرات غير ودية بينها قول أدمون شتوبر رئيس حكومة بافاريا والمرشح لمنصب المستشارية الذي رأى، ومعه رئيس أسقفية ميونيخ، في كلام أورده رئيس الجمهورية الألمانية يوهانس راو لمناسبة عيد الميلاد، ما جعلهما كل على حدة يرى أيضاً في "الحجاب" ما من شأنه "تدمير قيم المجتمع الألماني التي نص عليها القانون الأساسي للبلاد" على حد قول الأسقف و"طمس للهوية الذاتية كبلد ذي توجه مسيحي" على حد قول شتوبر الطامح إلى منصب المستشارية. وما قاله الرئيس الألماني كان عبارة عن كلام في منتهى الهدوء طلب من خلاله التساهل في إرتداء الحجاب الإسلامي في ألمانيا وضرورة جميع الديان بالتساوي .

لا نعتقد أن "جبهة الحجاب" ستهدأ إلا إذا صدرت عن "منظمة المؤتمر الإسلامي" فتوى سياسية تهدئ من روع بعض العلماء المسلمين الذين ليسوا مع شيخ الأزهر في موقفه ومن بينهم العلامة محمد حسين فضل الله أحد رجال الدين الشيعة المرموقين في لبنان

الذي إنتقد في خطبة صلاة الجمعة يوم 2 يناير الجاري (2004) موقف شيخ الأزهر مطالباً إياه بالعودة عنه والإعتذار من الأمة الإسلامية. والتقى مع فضل الله في موقفه خطباء بقية المساجد من سنة وشيعة، وإنما من دون المطالبة بالإعتذار، معتبرين تأييد شيخ الأزهر فرنسا في منع الحجاب موقفاً سياسياً. وما حدث في لبنان حدث أيضاً في معظم الدول الإسلامية ومن دون أن يجعل شيخ الأزهر يعيد النظر في موقفه .

وإذا كانت حملة التوضيح الفرنسية بدأت بالأزهر فعلى أساس أن شيخه إبتكر في فتواه مزيجاً من الواقع السياسي للعالم الإسلامي مع أصول الدين الإسلامي والتقاليد المأخوذ بها ومنها الحجاب. وما أراده شيخ الأزهر من "فتواه العلماء - دينية" أي العلمانية الممزوجة بالدينية هو إمتصاص غضب فرنسي - أوروبي عموماً في حال حدثت إنتفاضة إسلامية ضد قرار منع الحجاب في المدارس الرسمية يأتي الرد عليها في شكل "صليبية" من نوع جديد ليست لمصلحة أحد.

وخلاصة الأمر أن اللحظة الزاهنة هي لحظة إعتداد المنطق وليس التحدي . وهذا مطلوب الأخذ به من الجميع وليس من طرف دون آخر أو من الحجابيين و شاهري سيف المنع لكل فتاة ترتدي الحجاب أو شبان يضعون القلنسوة على رؤوسهم كدلالة تعصب لليهودية و شبان إختاروا صلباناً كبيرة علقوها في أعناقهم كدلالة على تعصبهم المسيحي . فهل سيتم الأخذ بالتعقل أم أننا سنبدأ سماع أخبار عن حوادث تزيد حجم الهموم في النفوس التي أرهقتها إصصارات الهيمنة الأميركية على بلادنا وتقاليدنا وسياداتنا.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الإثنين 8 يناير (ك) 2004

الردح على الطريقة الأميركية

من واشنطن إلى كراكاس

في زحمة التلاسن على الطريقة الأميركية بين صانعي القرار والعاملين في الحقل السياسي إستوقفتني ثلاثة نماذج من هذا التلاسن يتصح لمن يتعمق في

مفرداتها وأسلوب التعبير عنها كم أن أوجه الشبه كثيرة بين الأسلوب السائد في العالم الثالث والأسلوب المعمول به في دول كبرى مثل الولايات المتحدة وبعض جيرانها من دول أميركا الجنوبية.

بداية أشير إلى واقعة حدثت في الربع الأخير من العام الذي ودعناه قبل أيام عندما كانت السيدة لورا زوجة الرئيس جورج بوش في زيارة إلى فرنسا شاركت خلالها في مؤتمر نيابة عن زوجها. وعلى عادة الفرنسيين عموماً، وبالذات الرئيس جاك شيراك، فإن تقبيل يد المرأة هو أهم أنواع الترحيب بها في حال كانت في زيارة رسمية أو حفلة زاهية يشارك فيها كبار القوم.

وإستناداً إلى هذه القاعدة المستحبة كثيراً من أي امرأة في العالم وبالذات من تكون زوجة رئيس دولة أو مسؤول كبير في دولة، فإن الرئيس شيراك طبع قبلة على يد لورا بوش وبدت السيدة في غاية الحبور كون طابع القبلة رئيس دولة كبرى، من دون أن تستوقفها مشاكسة هذا الرئيس للسياسة التي تنتهجها إدارة زوجها.

ولقد إنتظر الرئيس بوش المناسبة التي يرد فيها على هذه البادرة المألوفة في عالم الترحيب الفرنسي ليقول كلاماً يتسم بالسخرية الممزوجة بالتعالي. وعندما سأله أحد الصحافيين تعليقاً على القبلة الشيراكية على يد زوجته قال إنه يتطلع إلى قبلة مماثلة من شيراك على يده.

وللمرء أن يتصور أي عنجهية هذه وما الذي يعنيه الرئيس بوش الذي أراد ضمناً القول إن ما يطلبه من الرئيس شيراك لكي ينسى له مشاكسته في شأن الحرب على العراق هو أن يقبل يده. وما هو سائد في تقاليد العالم يوضح بما لا يدع مجالاً للأخذ والرد أن تقبيل اليد من رجل لغير يد الأب أو يد الجد (عدا إستثناءات تتعلق بكبار المراجع الدينية) هو نوع من الإخضاع له . والذي حدث هو أن الرئيس شيراك بلع التعليق البوشي الذي كان بمثل شوكة في اللسان معتبراً إياه مجرد تعبير عن ضيق بعض البوشيين من العناد الشيراكى .. وهو ضيق وصل إلى حد أن هؤلاء قرروا في ذروة إحتدام المشاكسة تغيير إسم البطاطا المقلية المعروفة بـ "فرانش فرايز " إلى "فريدوم فرايز" أي بطاطا الحرية وذلك لحذف كلمة فرنسا، وتغيير إسم "فرانش توست" إلى "فريدوم توست" أي خبز الحرية المحمص . ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما

شمل أي تسمية تشير إلى أنها فرنسية . لكن هذا العقاب الشبيه بالعقاب المتبادل هذه الأيام بين العقيد معمر القذافي وناصرى مصر ما لبث أن تراجع لأن الإنتقام من التسميات بطاطا كانت أو خبزاً محمصاً لا تلغي الحقائق الموضوعية.

واقعة ثانية إستوقفتني قبل أيام وتمثلت بكلام قالته كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومي في الإدارة البوشية في ندوة صحافية في واشنطن عن رئيس فنزويلا وتعليق الرئيس الفنزويلي هوغو تشافيز على كلامها . وخلال الندوة قالت كونداليزا " لأستطيع أن أفهم كيف أن شخصاً

يؤمن بالديمقراطية يريد أن يقيم علاقات مع فيديل كاسترو لأن نظامه هو النظام الوحيد غير الديمقراطي فعلاً في المنطقة . ثمة أدوار تضطلع بها فنزويلا ليست إيجابية جداً كما ان رئيسها تشافيز يسعى إلى عرقلة إجراء إستفتاء تطالب به المعارضة الفنزويلية لإقالته . ونرى أن أفضل شيء يمكن أن يقوم به في هذه المرحلة هو أن يؤكد أنه يؤمن بمستقبل ديمقراطي لفنزويلا من خلال تحقيق ما يصبو إليه شعبه في هذا الشأن....".

وجاء رد الرئيس الفنزويلي بخشونة مماثلة لخشونة رأي كونداليزا التي تحدثت في الندوة المشار إليها وكما لو أنها هي رئيس أميركا. ومما قاله تشافيز: "إن كونداليزا أمية حقيقية وهي بدل أن تطلق مدفعيتها على شعبنا بالقول إن على تشافيز ألا يعارض إجراء إستفتاء ، لماذا لم تُبدِ قلقاً على العملية الإنتخابية المشكوك فيها التي أوصلت بوش إلى البيت الأبيض ...".

وتبقى واقعة ثالثة بطلها هوارد دين أحد الطامحين بين مجموعة من الديمقراطيين لوراثة رئاسة الولايات المتحدة من الجمهوريين الذي قال في سياق الكم الهائل من النقد والملاحظات للإدارة البوشية "إن الرئيس بوش الابن مثل أعمى يجلس في غرفة ملأى بطرشان....".

وحتى الآن لم نسمع من الرئيس بوش رداً ينسجم مع أوركسترا الرده على الطريقة الأميركية شمالاً وجنوباً ... ولكنه من المؤكد سيبرد ولن يدع كثيرين آخرين يَسلمون من ردة هنا وردة هناك وردحات هنالك.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الثلاثاء 13 يناير (ك) 2004

الصدّاميون أمامه والسيستانيون وراءه والجيش الذي أهين في إنتظار اللحظة

على عادته غير الحميدة في التجاوب مع أي طلب للإدارة الأميركية حتى إذا كان على حساب سمعة المنظمة التي يتولى أمانتها العامة، سارع كوفي أنان إلى الموافقة على درُس إقتراح تقدّم به الحاكم الأميركي للعراق المحتل بول بريمر ووفد من مجلس الحُكم برئاسة عدنان الباجه جي ويقضي بإرسال بعثة إلى العراق تدرس إمكانية تحقيق مطلب المرجع الديني آية الله السيستاني حول إجراء إنتخابات عامة.. وهو ما لا تريده سُلطة الإحتلال. وفيما ناب مرافقو بريمر من أعضاء "مجلس الحُكم" عن السيستاني بالقول إنه "سيحترم إستنتاج البعثة الدولية " كان المرجع القوي الشأن ينقل المعركة السلمية إلى قلب بغداد بعدما كان بدأها في مناطق شيعية بأكثرية ساحقة.

ومن الواضح أن الإدارة الأميركية وجدت نفسها تغوص في المأزق الذي أوجده السيستاني والذي يقود من مرجعيته، وهو جالس على الأرض وفوق فرش، بداية مقاومة سلمية عارمة بعد الغوص الدموي الناشئ عن المأزق الصدّامي حيث الصدّاميون قبل أسّر زعيمهم وبعد إيقاعه في الأسر يواصلون شن عمليات عسكرية بعضها من النوع المتقدم في عالم حرب العصابات. وهي باتت تخشى أن تتضمن المقاومة السلمية إلى المقاومة المسلحة أو يحدث العكس وفي الحالتين لن يكون في إستطاعة قوات الإحتلال مواجهة العراقيين بغير القمع وعلى نحو ما هو حاصل من الشارونيين ضد الفلسطينيين. وإزاء هذا المأزق المزدوج الذي قد ينتهي إلى معضلة مع حلول عيد الأضحى بعد أيام وبحيث يتحول العراق إلى حالة رُفُض موحّد الطوائف للإحتلال ، وجد الحاكم الأميركي للعراق يسرع الخطى إلى رئيسه المنشغل البال بموضوع التجديد ولاية ثانية خشية أن يصيبه ما سبق أن أصاب والده من قبل، ولكن رئيسه أي بوش الابن لم يجد ما يداوي به المشكلة سوى تحويله إلى الأمين العام للأمم المتحدة الذي هو صديق مخلص للولايات المتحدة، بل ليس مبالغة القول وإستناداً إلى مواقف كثيرة سابقة أنه ممثل الإدارة الأميركية في المنظمة الدولية وبمنصب أمين عام للمنظمة.

من الواضح أيضاً أن كوفي أنان سيتحمل ما لا

يتمناه لنفسه عندما سيرسل بعثة إلى العراق لكي تحاول إقناع السيستاني بإعادة النظر في موقفه تجميداً أو بصيغة صرّف النظر. فالمرجع الديني لا يمكنه أن يعيد النظر لأن ما يطالب به ليس من باب المناورة وإنما عن إيمان قاطع. وسيجد أفراد البعثة أنفسهم محرّجين عندما سيطلبون من السيستاني صرّف النظر عن حق الممارسة الديمقراطية التي طالما يتعنى بها كوفي أنان ... ومن دون أن يأخذ هؤلاء في الإعتبار أن صرّف النظر معناه ضرّب المرجع الديني في مصداقيته وفي نواياه.

وإلى ذلك إن مسألة أن يتجاوب الحاكم الأميركي للعراق المحتل مع مطالب السيستاني أو لا يتجاوب إنما هي مسألة تقررها الإدارة البوشية ولا علاقة للأمم المتحدة بها، ولكنه البحث عن مخرج يحفظ ماء الوجه هو في جُعل الإدارة تطرق باب المنظمة الدولية مفترضة ، وإفتراضها في محله، أن كوفي أنان لن يقول لها ما معناه: إذا كنتم أنتم من يحتل العراق وكنتم منذ البداية رافضين أي دور للأمم المتحدة في العراق عدا دور الموافقة بالإجماع على "شرعية" الإحتلال لهذا البلد الذي يبعد عن أميركا خمس عشرة ساعة من الطيران النفاث وعلى هذا الأساس فلا موجب لإدعاء الخوف من هذا البلد إذ لا أحد في العالم يمكن أن يقتنع بأن الأمن الأميركي مهدد من العراقيين... إنه إذا كانت الحال على هذا النحو فلماذا لا تحلوا الأمور بأنفسكم وما علاقة الأمم المتحدة بهذه المشكلة التي أنتم السبب في إفتعالها.

أما لماذا لم يقل كوفي أنان ذلك فلأنه أسير لعبة الأمم التي في ضوئها جيء به ليكون الأمين العام للمنظمة الدولية.

وتبقى ملاحظتان في الشأن نفسه.

الملاحظة الأولى تتعلق بأعضاء "مجلس الحُكم" الذين ساروا وراء بريمر في الطريق إلى لقاء كوفي أنان، لكن عند إنقاط الصورة التذكارية مع الأمين العام بقي بريمر بعيداً لكي يؤكد "إستقلالية" هؤلاء الأعضاء الذين لا يملكون القدرة على تسيير تظاهرة، أو إنهم لا يريدون مثل هذا الأسلوب في التعبير.. أي التظاهرة التي تطالب بما تريده الإدارة الأميركية وتكون رداً على المسيرات العارمة التي في إستطاعة السيستاني من خلال بضع كلمات يقولها وهو يفتش الأرض في مقره في النجف أن يجعل عشرات الألوف من العراقيين ينزلون إلى شوارع المدن العراقية رافعين

الصور الدينية التي تؤكد الهوية المذهبية مطالبين بما يريده للعراق مرجعهم الديني ومن دون إطلاق رصاصة واحدة أو خروج غوغائي على أداب التظاهر.. وهي ورقة قوية لمصلحة الموقف الصّدّامي يستعملها بنوع من البراعة الممزوجة بالتضحية المقاومون الذين يزرعون الألغام ويهاجمون الدروع بقذائف الـ "آر. بي. جي" ويسقطون طائرات الهليكوبتر المتطورة من نوع "أباتشي" التي يستخدمها الشارونيون في عدوانهم المتواصل على الشعب الفلسطيني، كما أن هؤلاء المقاومين يصيبون بين الحين والآخر طائرات النقل العسكرية وطائرات الركاب الخاصة عندما تُقْلَع من مطار بغداد الذي يضم في بعض أجزائه معسكر إعتقال النخبة الصّدّامية ومعهم على نحو ما تفيد المعلومات صدام حسين نفسه.

أما الملاحظة الثانية فهي أن أعضاء "مجلس الحُكْم" الذين رافقوا مرجعهم الإحتلالي بول بريمر إلى الأمم المتحدة سيجدون أنفسهم في نظر الجماهير السيستانية محرّجين غاية الإحراج لأنهم بما فعلوا وطلبوا من كوفي أنان وعلى نحو ما تريده الإدارة الأميركية منهم، ظهروا وكما لو أنهم مع ما يحقق مطالب الإدارة البوشية وليس الأمانى العراقية، علماً بأن هؤلاء الأعضاء لم يذهبوا إلى نيويورك ممثلين للسيستاني لكي ينزعج هذا الأخير منهم ويخيب ظن الجماهير السيستانية بهم، وإنما ذهبوا مقتنعين بأن الإنتخابات تعني إنهاء دور معظمهم وقد لا تتحقق للبعض من هؤلاء فرصة الحضور في المجتمع السياسي العراقي مستقبلاً وعلى هذا الأساس فإن نوعاً من التناغم قائم بين ما تريده الإدارة البوشية وبين ما يجول في خاطر هؤلاء.

وهكذا فإن المخاض يتواصل في بلاد الرافدين في ثلاثة محاور ونكاد نقول ثلاث جهات:

جبهة المقاومة التي يقال، وحسب مصادر أميركية، أنها أوقعت في صفوف الإحتلال حتى الآن 22 ألف إصابة بين قتل وجريح ومنهار نفسياً أو عقلياً ومنحدر ومصاب بأعراض صحية إضافة إلى 491 مجنونة أفادت المعلومات أنه تم ترحيلهن بعدما ظهرت عليهن علامات الحمل. وبين المشاركين في صياغة هذه المعلومات الدكتور وليم وينكيفورد مساعد وزير الدفاع للشؤون الصحية الذي رصد 21 حالة إنتحار بين الجنود وأربعمئة حالة إضطراب عقلي. وجبهة المقاومة السلمية التي إستطاعت حشُر إدارة

الإحتلال في الزاوية على نحو ما يصور الحالة التعبير الشائع. وهذه المقاومة أوضحت للأميركان أنها قادرة على إذاقة الإحتلال الكأس الأكثر مرارة وأنها من خلال رمز هذه المقاومة آية الله السيستاني تعتمد نهج سعة الصدر كي لا يغرق العراق في بحار الدم أكثر وأكثر.

وجبهة الجيش العراقي الساكت على الإذلال الذي ألحقه الإحتلال بأفراده الأربعمئة ألف من ضباط وجنود عندما تم حل هذا الجيش وتحويل أفراده إلى عاطلين عن العمل مع إهانة لا مثيل لها لكرامتهم. وهؤلاء الأربعمئة ألف سيتحولون إلى جبهة مقاومة أخطر بكثير مما يظن البعض في حال لم يتم إيجاد الحل الموضوعي الذي يحفظ كرامة الناس ويصون سيادة الوطن.

ومن باب التشبيه بعبارة مأثورة لطارق بن زياد الذي فتح الأندلس تحت إمرة موسى بن نصير قبل 1284 سنة مع بعض التعديل لهذه العبارة نقول: إن المقاومة المسلحة الصّدّامية لهي أمام جنود الإحتلال، وإن المقاومة السلمية السيستانية العقيدة وراء جنود الإحتلال، وإن جيش العراق المهان في إنتظار لحظة فوران الدم في العروق لكي يستعيد كبريائه وسمعته وحقوقه. وفي ضوء ذلك ما على "العم سام" سوى التفهم لكي يبقى صديقاً، أو العناد فيرحل على نحو رحيله في الماضي البعيد من فيتنام ورحيله النسبي في الماضي القريب من لبنان والصومال.

وللتذكير فإن العبارة التي قالها طارق بن زياد لجنوده، بعدما باتوا في منتصف البحر بين شاطئ إنطلقوا منه وشاطئ يتطلعون إلى حط الرحال عليه، هي: البحر من ورائكم والعدو من أمامكم ...

صحيفة "الرأي العام"، الخرطوم - الأربعاء 21 يناير (ك) 2004

* * *

هل يقرر الرئيس بشار إقتباس الخيار القذافي فينتقل إلى الضفة الإيرانية؟

يتمنى المرء مثل حالنا وهو يتأمل تداعيات الحالة اللبنانية - السورية وكيف أن الأبواب مفتوحة أمام الإجتهاادات والإجتياحات السياسية الدولية وشبه مقفلة عدا نوافذ صغيرة أمام المبادرات والمسااعي الحميدة

العربية، وأكثر تجرداً تلك التي قام بها السودان، يتم طرحها في صيغة التمنيات، أن تصل الحال بالرئيس بشار الأسد إلى أن يحذو حذو الرئيس معمر القذافي عندما قرر التوجه أفريقياً مرفقاً هذا الكلام بكلام كثير الخشونة في حق العمل العربي المشترك والعروبة مكرراً للتلويح بالإنسحاب حتى من الجامعة العربية. أما الذي يمكن أن يلجأ إليه الرئيس بشار فهو التوجه إيرانياً بالكامل وبحيث تصبح الدولتان الكبيرتان سوريا وإيران ومعهما دويلات شعبية عربية صغيرة وبالذات في لبنان والعراق وفلسطين محوراً يعيد إلى الذاكرة محور "دول الصمود والتصدي" في السبعينات؟ مع ملاحظة أن الصمود كان مثل التصدي إسماء وليس فعلاً ذلك أن الدول المشاركة لم تصمد إلى النهاية ولم تتصد بما فيه الكفاية وإنتهى الأمر الواقع الأميركي-الإسرائيلي إلى ما نحن عليه عدا لحظة مضيئة في تاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي تمثلت في المقاومة التي سجل فيها "حزب الله" صفحة إيجابية على طريق النضال المشرف الذي يوجع إسرائيل فيضطرها إلى الإنسحاب من الجنوب اللبناني المحتل، شبيهة بالصفحة الإيجابية الأخرى المتمثلة في "حرب أكتوبر" 1973 التي أكد فيها الجندي العربي المصري ورفيق المواجهة الجندي العربي السوري القدرة على مواجهة الجندي الإسرائيلي في حال كانت هنالك إدارة مدروسة للحرب وخطة متقنة الإعداد وإيمان بالحق الذي لا تتأزل عن إستعادته. وإذا كان إنجاز حرب 1973 لم يوظف كما يجب ووقع في خضم الأعياب هنري كيسينجر وعجلة الرئيس أنور السادات إبرام الإتفاقيات في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأميركي السابق جيمي كارتر، فإن إنجاز المقاومة في لبنان مرشح للوقوع في الفخ المنصوب له في حال لم يحدث توافق على قاعدة أنه ليس هناك طرف على صواب بالمطلق وآخر على خطأ بالمطلق أيضاً. ولنتأمل ملياً في جدوى التوافق على نحو ما هو حاصل على سبيل المثال في كل من الكويت والسودان وما نفتقده، وبالذات في لحظة الحاجة الماسة إليه، في لبنان.

وما نقوله من باب الخشية بالنسبة إلى الرئيس بشار سببه أن رقعة الحصار العربي المعنوي تتسع للنظام الذي يترأسه، وفي الوقت نفسه يزداد التقرب الإيراني منه لأن في هذا التقرب ما يجعل العلاقة تحالفية وفي هذه الحال يصبح الموقف الإيراني أقوى في حال كانت هنالك مواجهة لا بد منها أو مقايضة

بموجب صفقة تُحقق السلامة لإيران من دون أن يكسب الحُكم البشّاري شيئاً، أي بكلام أكثر وضوحاً إن إيران قد تفعل مع سوريا الأسد الإبن ما سبق أن فعله الرئيس السادات عندما وظف العلاقة مع سوريا الأب فإستعاد سيناء منقوصة السيادة وترك حليفه السوري يواجه إستمرار الإحتلال للجولان. لكن على رغم هذا الإحتمال فإن الرئيس بشار قد يجد أن الإبتعاد غير المستحب مع الشقيق العربي والإقتراب الإضطرابي من الصديق الإيراني هو الخيار الذي لا بد منه.. إن بدا هذا الخيار مثل القرار المفاجيء الذي إتخذه آية الله الخميني بعد ثماني سنوات من الحرب مع العراق الصّدّامي وقضى بإعلان وقف الحرب.. وهو القرار الذي لخطه الإمام الخميني زمناً بالقول "إنني بذلك كمّن يتجرع السم".

نخلص إلى التساؤل. هل إن توجه القذافي إلى أعماقه الأفريقية ونقده المستمر للعمل العربي والجامعة العربية أفاده لكي يفعل الرئيس بشار أمراً مماثلاً؟ والجواب عن ذلك هو أن الإفادة تمثلت في أن الحصار الجوي الدولي المحكم على ليبيا والذي فك حلقة الأولى بعض الحكام الأفارقة بالوصول إلى الديار القذافية بطائراتهم، غدا قابلاً للتحلل.. فضلاً عن أنه أخرج الحُكم القذافي من عنق الزجاجة وأبقى هذا الحُكم سالماً من الإسقاط إلى أن سارت التطورات في إتجاه إبرام صفقة أميركية - قذافية كلفت ليبيا بضعة مليارات لكنها أسقطت خيار إسقاط النظام. وبالنسبة للرئيس بشار فإن دوره هنا مثل الدور الذي لعبه بعض القادة الأفارقة بمعنى أنهم ينطبق عليهم قول الشاعر: "لاخيل عندي أهديها ولا مال.. فليُسعف النطق إن لم تسعف الحال". وما كان يريده القذافي هو النطق بصيغة إختراق الحصار. أما بالنسبة لإيران المهددة مثل سوريا بالحصار فإنها تستطيع إقناع الرئيس بشار بجاذبية التوجه بالكامل إليها كونها ليست فقط تستطيع أن تحل مشكلة التداعيات المالية الناشئة عن الحصار وإنما لأن لها خيولها وفرسانها الكثيرين أيضاً من لبنان إلى العراق إلى فلسطين.. فضلاً عن بعض الجيوب الخليجية.

ويبقى أن المرء المتابع والمتأمل مثل حالي ينظر إنطلاقاً من هذه الإفتراضات إلى تزايد نسبة إرتفاع صوت الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إسرائيلياً ونوياً إلى زيارته إلى دمشق التي يشجعها العقيد القذافي والتي قد تليها زيارة من الرئيس بشار إلى طهران وكل ذلك بينما القادة العرب لا يحسمون الأمر لأنهم في

معظمهم لا يريدون التعامل مع الهجمة الأميركية بغير الذي يفعلونه ولا يقفون إلى جانب الحُكم البشّاري بأكثر من وقتهم الراهنة، خصوصاً أن قلق كبارهم ونعني بذلك أهل الحُكم في كل من مصر والسعودية من الطموحات النووية الإيرانية تجعلهم لا يتحفظون بالقدر الكافي عن النظرة الأميركية للأمر من دون أن يعني ذلك أنهم لن يتداركوا المفاجأة التي قد تتمثل بما نشير إليه وهو إنتقال الحُكم البشّاري من الضفاف العربية إلى الضفة الإيرانية مفترضاً أن الجغرافيا الراهنة لن تبقى على ما هي عليه وأن العراق سيصبح طريق سوريا السالكة براً بعد الجو إلى إيران وبالعكس. وعلى هذا الأساس فإن المنطقة على موعد مع المفاجآت التي قد تجعل الأوراق تختلط كما لم تختلط من قبل.. وعند ذلك لا يعود الندم مفيداً لأحد.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الإثنين 19 يناير (ك) 2006

رفيق الحريري.. وخصوصية النظرة السعودية

باستثناء الفاجعة التي أصابت المملكة العربية السعودية بعد إغتيال الملك فيصل بن عبد العزيز فإن الفاجعة التي أصابتها عندما بلغها نبأ إغتيال الرئيس رفيق الحريري في الواحدة إلا عشر دقائق من ظهر يوم الإثنين 14 فبراير/ شباط 2005 كانت من النوع الذي ترك بعض التداعيات على نهج تعامل المملكة مع الأزمات، وهو أمر ليس سهلاً على القيادة السعودية التي وجدت نفسها فجأة أمام فقدان أحد أبنائها البررة وفي الوقت نفسه أمام تسارع التطورات اللبنانية والدولية الناشئة عن ذلك والتي كان من بينها أن الحُكم السوري الذي هو موضع الرعاية السعودية طوال أكثر من ربع قرن بدأت مع الرئيس الأسد الأب وتواصلت مع الرئيس الأسد الابن الوريث، هو موضع الشبهة في أنه السبب تخطيطاً وتنقيذاً أو تقصيراً. كان الأمر في غاية التعقيد، فالرئيس رفيق الحريري ليس مجرد مواطن لبناني يحمل الجنسية السعودية لأنه تقاني في خدمة المملكة ومن الطبيعي أن يهتم أولو الأمر فيها بحاملي هذه الجنسية حتى إذا كانوا غير سعوديين، وإنما هو حالة إستثنائية في العلاقة مع المملكة تجاوزت بكثير علاقة مقول ناجح مع قيادة

تشكل الرقم الصعب من حيث الأهمية في المحيط العربي والإقليمي وأيضاً بنسبة كبرى في المحيط الدولي.. هذا مع الأخذ في الاعتبار أن العلاقة إنطلقت من نقطة المقاتلة وبناء قصور الضيافة وقصور بعض أهل الحُكم لتصل خلال عقدين من الزمن إلى أن الحريري غدا أحد أبرز العناصر النشطة في ترميم الحقبة السعودية التي تعرضت للأذى خلال سنوات الحرب اللبنانية مشكلاً في ذلك ظاهرة غير مألوفة في الحياة السياسية السعودية وإن كانت تشبه في بعض جوانبها مبادرة الملك عبد العزيز رحمة الله عليه الذي أدخل إلى ديوانه نخبة من رموز الفكر والفقه والقانون والسياسة العرب يستمع إليهم ويستأنس بما يبدونه من أفكار وآراء، وبدا في ذلك يؤكد مسألة الشورى التي من شأنها أن تنير معالم الطريق أو في الحد الأدنى تساعد في بلورة إتخاذ القرار ومن دون التحسس من أن هذا المستشار سوري أو لبناني أو ليبي أو عراقي أو أن هذا المستشار مسيحي وذلك مسلم.

ولأن أهل الحُكم السعودي من الذين يتريثون قبل منح الثقة ويميلون إلى اعتماد أسلوب الإختبار بعد منحها زيادة في الطمأنينة، فإن رفيق الحريري الذي اجتاز إختبار علاقة البيزنيس بنجاح أمكنه لخصال متأصلة فيه إختيار إختبار علاقة الشخص الذي يمكن الوثوق بقدرته على سد ثغرات في عملية ترميم الحقبة السعودية في لبنان وبالذات خلال عشر سنين سبقت إتفاق الطائف وخمس سنوات تلت هذا الإتفاق. فهو أحسن التصرف وحافظ على الثوابت وساعده على ذلك قُربه من صانع القرار أي من القيادة السعودية وبالذات من رأس الهرم الملك فهد بن عبد العزيز رحمة الله عليه، ومن دون أن تثير هذه المكانة أبناء الملك عبد العزيز وأحفاده الذين رأوا في رفيق الحريري أنه منهم وأنه ما دام حاز ثقة كبير العائلة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد فهذا دليل على نبل الشخص وحرصه على أن تكون العلاقة في منأى عن أي قلق يشوبها. قرأ الجميع ذلك من خلال حرص رفيق الحريري على أن يؤدي صلاة العيد بالقرب من خادم الحرمين الشريفين وجَزَعه عندما أصابته الوعكة الصحية القاسية، ثم بعدما إمتحنه الله سبحانه وتعالى في فقدان الابن الأكبر فيصل وما كان يعنيه هذا الابن للملك فهد. وهذه العلاقة التي سجلت أعلى درجات التميز، وجاءت علاقة رفيق الحريري بالرئيس

الفرنسي جاك شيراك إقتباساً أو إمتداداً تفرضه مقتضيات الضرورة والمصلحة، أخذها بُعداً دولي. وهكذا رأينا عدداً من زعماء العالم، ومن بينهم جورج بوش الابن وطوني بلير وفلاديمير بوتين والمستشار الألماني شرودر وأهل الحُكم في الصين وماليزيا وإيران وتركيا وقادة دول الخليج عموماً، يتعاملون مع رفيق الحريري على أنه السياسي اللبناني الذي يستحق الإنصات إليه وإشراكه في بلورة رؤية ما يجب أن يكون عليه المشهد السياسي والإقتصادي في المنطقة وعلى خلفية التسوية العادلة والشاملة للصراع العربي - الإسرائيلي.

ومثل هذه المقومات لشخصية رفيق الحريري ما كانت لتتبلور لولا حرصه على أن تبقى ثقة المملكة العربية السعودية به في منأى عن أي إختراقات، وبالمقابل حرص القيادة السعودية على تدعيم من نجح بإمتياز في إختبار الثقة وفي القراءة الصحيحة للرؤية السعودية ومنها أن يكون لبنان، وعندما غدا الحريري واحداً من مثلث الرئاسة اللبناني، متبادلاً المساندة مع الحكم السوري الذي يقوده الرئيس حافظ الأسد وأن يسعى إلى طمأنة هذا الحكم بأن بناء العلاقة بين لبنان وسوريا على أرضية إتفاق الطائف وقراءة مضامين الإتفاق بروحية من يريد العلاقة الطيبة وليس من هو على درجة من الحذاقة عند التفسير، لمصلحة لبنان وسوريا معاً على المدى الطويل. ولقد عمل الحريري بذلك معتبراً أن ما تراه المملكة هو نوع من الوصية أكثر من أن يكون طلباً. كيف تطلب إذا كان ابنها اللبناني - السعودي رفيق الحريري من أولئك اللبيين الذين من الإشارة يفهمون. ودلينا على ذلك أن الرجل في كل تحرك دولي يقوم به كان يأخذ في الإعتبار الظروف السياسية الصعبة التي تعيشها سوريا كونها لا تجد الحل المتوازن الذي يعيد لها الجولان وفي الوقت نفسه لا تتحمل حلاً ينتقص من كبريائها الوطني. وهي من أجل ذلك إعتمدت الأسلوب الذي يطيل صمودها مستفيدة من علاقة مع إيران أبرمتها على خلفية صراع لا مثال لضراوته مع الحكم الصدامي حيث مناطحة البعثيين: السوري الأسدي والعراقي الصدامي موضع قبول أكثر من جهة إقليمية ودولية. ويقوم الأسلوب المشار إليه على تعزيز المقاومة التي كانت نشأت في ظل الهيمنة السورية على لبنان وتطوير العلاقة مع "حزب الله" وإعتباره الرقم السوري الصعب مع القبول به كرقم إيراني

أصعب. وهنا نجد رفيق الحريري وقد غدا أمام وضع بالغ التعقيد وحالة تتقاطع في بعض جوانبها مع الرؤية السعودية لواقع الحال اللبناني - السوري. هنا أيضاً نلاحظ أنه إبتكر من المفردات للتخاطب مع زعامة "حزب الله" وكذلك مع المجتمع الدولي ما جعل هذا المجتمع يتقبل وجود المقاومة كأمر واقع يكتسب شرعية من النوع شبه الرسمي ما دام هنالك حديث ومفاوضات معها وجعل زعامة المقاومة الذي لا يحق لها أي طرف آخر بما في ذلك إيران وسوريا كون علاقات هاتين الدولتين المتبنتين للحزب ومقاومته مضطربة أحياناً مع المجتمع الدولي وغير مستقرة عموماً مع الإدارة الأميركية. وعندما يبادر رفيق الحريري بتشجيع من القيادة السعودية وإستعداد للسماع من جانب تلك الإدارة ومن الدول الأوروبية عموماً لرؤيته التي تتسم بالواقعية وضمن إطار الثوابت الوطنية والقومية، فإن ذلك يحقق الإنفراج الذي يحقق إستمراره إقترب الحزب من التفهم فالتفاهم مع المجتمع الدولي بدءاً بإنضمام الحزب إلى الحكومة وهو ما كان يراه رفيق الحريري ويسعى جاهداً من أجله. وعندما يشترك الحزب بعد ذلك في الحكومة فإن هذا لم يأت فجأة وإنما في ضوء السعي المشار إليه. ولو أن المفاجعة لم تحدث والتي قد يكون السعي واحداً من دوافع إغتيال الرئيس الحريري كي لا يقترب "حزب الله" أكثر وأكثر من لبنانيته وبذلك لا يعود الورقة الأكثر فعالية في اليدين الإيرانية والسورية، لكننا ربما وجدنا في المشهد الحكومي أماناً بعد زوال سنوات التمديد للرئيس إميل لحود وربما قبل إنتهائها حكومة أقطاب يرأسها رفيق الحريري وتضم في عضويتها السيد حسن نصرالله نفسه. وهو أمر ليس مستحيلاً قياساً بالمشهد الإيراني حيث هنالك أكثرية معمرة وأقلية ترتدي ثياب العلمانيين عدا ربطة العنق شبه المحرمة الإرتداء أو فلنقل إنها غير مستحبة، وقياساً أيضاً لاحقاً بالمشهد العراقي الراهن حيث إختلطت العمائم بالبدلات المستوردة. ونقول ذلك على أساس أن هذا الفوز المبهر لتيار الحريري في الإنتخابات النيابية الأخيرة ليس فقط لمسة وفاء لذكراه ووقفة غضب على إغتياله وإنما هو إتفاف حول برنامج التعموي وتحقيق إستقرار نوعي في لبنان يتحقق في ضوء إزالة الجفوة الدولية من "حزب الله" ومقاومته على نحو ما أوضحنا في سطور سابقة.

سنعود إلى ما بدأنا به مقالنا هذا لنشير إلى أن

في إنتظار الموكب الجوي للبشير في إتجاه منبر الأمم المتحدة

تراجعت فكرة القمة العربية من أجل لبنان بعدما قررت كل دولة عربية أن توازر لبنان وفق نظرة وحسابات لا يخلو بعضها من المزايدات بمعناها الإيجابي، كما أن التراجع هو لتفادي الإلتزام بموقف لا قدرة لبعض الأطراف على التقيد به. وعندما نقول ذلك لا نستبعد أن يكون التراجع حدث أيضاً نتيجة تصدع في الإندفاع العربي نحو لبنان نشأ عن شظايا كلام الرئيس بشار الأسد في حق أطراف عربية وكان لا بد من أن تقتحم تداعيات هذا الكلام مؤتمر القمة في حال إنعقاده.

من هنا يجوز القول إن عدم إنعقاد القمة كان أفضل من عقدها وأن التشاور الثنائي وقنوات الإتصال النشيطة بين الدول اللبنانية وأهل القرار العربي من شأنه أن يعوّض لبنان مؤتمراً كان من الممكن أن يحقق تسريعاً لعملية إنقاذه من كبوته.

ونقول أفضل لأن إنعقاد المؤتمر إذا كان سيغيب عنه من يغيب أو إذا كان سيحول إلى مناسبة للمشاحنات والعتب فإن نصيب لبنان منه سيكون مؤتمراً بالإسم له أما بالفعل فإن المردود هو دون المأمول.

لكن عدم إنعقاد المؤتمر لا يعني أن ليس في إستطاعة أهل القرار العربي أن يرفدوا لبنان بما من شأنه المساعدة على التخفيف من النزف المادي والمعنوي الذي أصابه جرّاء العدوان ومن جملة ما يحتاجه لبنان الآن أن يخترق الملوك والرؤساء العرب بدءاً برئيس مؤسستهم عمر حسن البشير الحصار المفروض عليه بحيث يقوم كل منهم بزيارته في موكب جوي على النحو الذي فعله أمير دولة قطر الشيخ حمد بن خليفة. ومثل هذا الطلب ليس إخراجاً لأحد، ذلك أن الجميع في قرارة نفوسهم يودون ذلك وأنهم ضمناً محبوبون للبنان ومتعاطفون مع الذي أصابه، فضلاً عن أن بعضهم سيؤد في حال قام بالزيارة على الكلام الخشن الذي أورده الرئيس بشار والذي ما زالت تداعياته تتوالى بدليل أن الرئيس حسني مبارك، الذي أنكر الكلام البشّاري على جيش مصر معجزة العبور عام 1973 والتي ليست أقل شأناً على الصعيد العسكري الإستراتيجي من المعجزة المتمثلة بالإنّصار

الفاجعة الحيرية وضعت القيادة السعودية أمام حالة كثيرة التعقيد والنشأ بك. فهي لا تتحمل طمس حقيقة إغتيال الإبن البار رفيق الحريري ولا ترتضي إضطراب الحال في نظام تعتبر نفسها سنداً له يوم كان الأب هو الحاكم وبعدها غدا الإبن وريثاً. وفي الوقت نفسه حريصة على أن يكون التعامل العربي عموماً مع المجتمع الدولي في منأى عن التحدي درءاً للمخاطر وبصرف النظر عما إذا كان التحدي كلاماً يثير هذا المجتمع فيزيد درجة إستفازته أو رفضاً للشرعية الدولية حتى إذا كانت غير متوازنة، لأن الرفض يولّد القرارات الجائرة وهذه القرارات حصاراً جاءت أو عدواناً تتسبب بما هو أفدح. وليس بعيداً عن العين ما حدث للعراق وما زال يحدث فيه؟ ومثل هذه النظرة السعودية إستوعبها تماماً الرئيس الحريري وأمكنه من خلال تنفيذ روحيتها إطفاء حرائق سياسية كثيرة لا يعني سكوت بعض الأطراف السورية واللبنانية والفلسطينية عنها وعدم بوح الحريري من جانبه بها أنها لم تشكّل في بعض الأحيان أجواء أزمت صعبة وربما إعتداءات على هذه الأطراف لا قدرة لها على مجابعتها بغير الشجب الذي لا يفيد ولا يردع.

كما أن هذه النظرة السعودية لواقع الحال تفسر لنا كيف تعاملت القيادة السعودية مع الفاجعة بدءاً من اللقاء الذي جرى في جدة يوم الأحد 8 يناير /كانون الثاني 2006 بين الملك عبدالله بن عبد العزيز والرئيس بشار الأسد وهو لقاء سيكون مثمراً في حال تفهّم الرئيس بشار النظرة السعودية لواقع الحال العربي وهذا ما أتقنه رفيق الحريري. وإذا جاءت الأنباء من دمشق تفيد بأن الرئيس بشار سيؤكد بالوقائع للجنة التحقيق الدولية مباشرة أو عبر مبعوث شخصي ربما يكون الأمير بندر بن سلطان عموماً، أن ما قاله في شأن الفاجعة هو عكس الذي قاله عبد الحليم خدام، فهذا يعني أن الأمور ربما تستقيم مع الوقت وبعد أن تكون مسألة رسم الحدود بين لبنان وسوريا حُسمت معها مسألة تبادل التمثيل الدبلوماسي، هذا إذا كانت سوريا تريد بالفعل علاقة لا تنفصم عراها مع لبنان.. وهذا ما كان يشغل بال الرئيس رفيق الحريري الذين أضاعوه يوم الإثنين 14 فبراير 2005 وأي رئيس صادق النوايا قوي العزيمة نقي القلب صافي الوجدان أضاعوا.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الأربعاء 8 فبراير (شباط) 2006

* * *

الذي حققته المقاومة في لبنان ضد القوات الإسرائيلية الغازية وبالجرأة في إرسال الصواريخ بالمئات تتساقط على مدن وقواعد إسرائيلية، أضاف يوم الأربعاء 23 أغسطس/ آب 2006 إلى الرد الإعلامي القاسي على الكلام البشّاري الغمز من قناة الرئيس السوري وذلك بقوله لصحيفة "الأهرام المسائي" في سياق مقابلة أجرتها معه: "إن أعصابي قوية والحمد لله وأنا محصّن ضد الإستفزاز، وأسأل الله الهداية لكل من تغلت أعصابه فنحن أمام تحديات صعبة تحتاج إلى عقول حكيمة في المقام الأول" ومن الواضح أن هذا الكلام للرئيس مبارك يشمل أيضاً جماعة "الإخوان المسلمين" في مصر التي فقد مرشدها العام محمد مهدي عاكف حماية ضد الأنظمة العربية في مصر معتبراً أن وجود القوات الأجنبية على الأرض العربية والإسلامية "خيانة للدين والوطن" ومطالباً بدعم المقاومة في لبنان معتبراً أن الفعل المقاوم من جانب "حزب الله" في وجه إسرائيل أعاد إلى العرب الشرف والكرامة وهو قول رد عليه الرئيس مبارك الذي يرى أن حرب رمضان 1973 هي من أعاد الشرف والكرامة، بالقول في المقابلة المشار إليها "إن مصر أكبر من أن يزايد أحد على عروبته وعلى عمق إنتمائها بمسؤولياتها القومية، ثم إن أكثر ما يغيب عن البعض أن الحفاظ على قوة مصر هو أكبر ضمانات الأمن العربي والإقليمي"، ومن المهم التوضيح أن كلام الرئيس مبارك في رده على الرئيس بشّار ما زال تحت خط الأزمة الكبرى في العلاقات الممكن حدوثها بدليل أنه لم يذكره بالإسم، كما أن الكلام أرادته في صحيفة "الأهرام المسائي" الذي هو منبر متواضع تاركاً على الأرجح الكلام الأساسي إذا كان لا بد منه لـ "الأهرام" الأم المنبر الصباحي الأهم والذي يعبر عما يدور في بال الرئيس أو فلنقل إنها المنبر الذي من خلاله يبعث بالرسائل بنوعيتها: الودود والقاسي. وهناك عشرات الحالات والوقائع تؤكد ذلك.

ما يمكن إضافته إلى ما في استطاعة القادة العرب أن يفاجئوا لبنان به عدا الإطالة عليه واحداً بعد الآخر، هو إعتبار الحصار الجوي والبحري عليه ظمناً دولياً من الواجب العمل على إنهائه بأكثر من وسيلة قادرون ولا شك عليها ومنها خرق الحصار بالحضور إلى لبنان في مواكب جوية ودون إستئذان إسرائيل، كما أن قرب إنعقاد الدورة السنوية للجمعية العمومية للأمم المتحدة مناسبة لتكليف من يمثل الملوك

والرؤساء أي رئيس القمة للدورة التي تنتهي أواخر مارس 2007 عمر حسن البشير في طرح رؤية من على المنبر الدولي لا تنتصر فقط للحق اللبناني وإنما لتعديل مسار المجتمع الدولي في إتجاه تعطيل مواطن التفجير في المنطقة وذلك بوضع القرارات الدولية كلها موضع التنفيذ وبالذات قرار مجلس الأمن "242" الذي في حال تطبيقه، من جانب إسرائيل ودعمه لـ "المبادرة العربية" التي صدرت عام 2002 وبالإجماع على القمة الدورية التي إستضافها الرئيس الراحل الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان في بيروت، لا تعود هنالك موجبات للمقاومة ولا للتهديد السوري بإغلاق الحدود مع لبنان ما دام الاحتلال سينتهي في الجولان وما دامت الدولة الفلسطينية ستقوم وما دام موضوع حق العودة الذي يشكّل إلى جانب مصير الحزّم الثالث عقدة عصية على الحل، سيأخذ طريقه إلى صيغة توافقية يقال إنها موضوعة منذ سنوات وأن التسوية والمبالغة في الأطماع، إضافة إلى عقدة الهيمنة في نفوس أهل الإدارة البوشية، جعلت الصياغة تنام في الأدراج وجعلت خيار العدوان يتقدم على خيار التسوية ثم جاءت المفاجأة اللبنانية لتنبه الكثيرين إلى عمق تفكيرهم وسوء معالجتهم وهشاشة خطط جنرالاتهم وترقق عظامهم.

وما دمنا نقترح ذلك وفي صيغة المناشدة فإننا نضيف إلى ذلك التمني على الرئيس البشير ومن أجل الحالتين الصعبتين: حالة لبنان وحالة السودان أن يعيد النظر بعض الشيء في مفردات موقفه من قوات الأمم المتحدة بعدما وصل في هذه المفردات، متأثراً بجسارة "حزب الله"، في تحديه لإسرائيل إلى حد التلويح بإراقة دماء أفراد القوات الدولية وسفحها على تراب دارفور.

أما لماذا التمني فلكي يكون القبول مؤكداً بالمهمة التي يحتاج الوضع الصعب إلى قيام الرئيس البشير بها ولكي يبدو منسجماً مع الموقف العربي العام الذي لا إعتراض له على كل ما يصدر عن مجلس الأمن من قرارات ليست في مستوى الإنصاف المأمول. ولكن ما العمل ما دام الصف العربي يفتقر إلى الصلابة في إنتظار الصحو أو الإنتفاضة؟

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الإثنين 28 أغسطس (آب) 2006

* * *

عندما يعتذر الملك عبدالله بن عبدالعزيز من الأمة بالنيابة عن ضيوفه الملوك

بدأت كلمة الملك عبدالله بن عبدالعزيز في إفتتاحه أعمال القمة العربية الدورية في الرياض أنها إعتذار الملوك والرؤساء العرب من أمتهم وشعوبهم، وهي مخاطبة لم نعهدها من قبل في أي من الحكام العرب ربما لأن صراحتها محرجة للبعض. وللتذكير فإن الذي قاله الملك عبدالله في الشأن المشار إليه هو "ماذا فعلنا كل هذه السنين. إن اللوم الحقيقي يقع علينا نحن قادة الأمة العربية، فخلافاتنا الدائمة ورفضنا الأخذ بأسباب الوحدة، كل هذا جعل الأمة تفقد الثقة في مصداقيتنا وتفقد الأمل في يومها وغدها".

أهمية الكلام بقائله وبالظروف الراهنة التي تعيشها الأمة كما أن أهميته أنه لا يقال في جلسة مغلقة للملوك والرؤساء مسaire من الملك لكبرياء كل منهم وعدم إحراجة لأنه شريك في التشخيص الذي لخصه الملك بالفقرة التي أوردنا نصها، وإنما يقال ميثوئاً عبر الفضائيات لكي يرى أبناء الأمة القائل ويسمعوا كلامه، ولذا يصح إعتبار الكلام بأنه قمة النقد الذاتي يحدث للمرة الأولى من جانب كبير الحكام العرب ونيابة عن كل واحد منهم، واضعاً هؤلاء بعد الآن أمام مسؤولية تصحيح ما فات والإلتزام بما هو آت.

ولهذه المناسبة نقول إن الذي إعتادت الشعوب على سماعه من أولي الأمر حكامها هو الحديث عن إنجازات حققوها، علماً بأن الحديث يتسم أحياناً بالمبالغات. أما النقد الذاتي وعلى النحو الذي لخصه الملك عبدالله بن عبد العزيز بأسلوب ما قلّ ودلّ فإنه ليس وارداً في تعاطيهم مع الرأي العام.

لكن بعد الذي فاجأنا به الملك عبدالله سنجد الشعب في أي بلد عربي يتوقع في إستمرار أن يعترف بمسؤوليته عن إخفاقات حدثت وأمور لا تتحقق وبذلك تصطلح الأمور.

وإلى ذلك إن كلام الملك عبدالله بن عبد العزيز عن الوضع اللبناني وعن الوضع العراقي كان مثلاً من يضع الإصبع على الجرح. فبالنسبة إلى العراق جاءت قوة هذا الكلام في أنه بأسلوب ما قلّ ودلّ وبكل الصراحة البعيدة عن مسaire حتى الصديق الأميركي الذي فاجأه قول الملك في كلمته أمام المؤتمر "وفي العراق الحبيب تراق الدماء بين الإخوة في ظل إحتلال

أجنبي غير مشروع وطائفية بغيضة تهدد بحرب أهلية". ومع أن الإدارة الأميركية سارعت إلى التوضيح بأن الولايات المتحدة "موجودة في العراق بناء على طلب العراقيين وبتكليف من الأمم المتحدة ومن الخطأ إفتراض العكس، وأنها ستغادر العراق ما أن يصبح العراقيون قادرين على ضمان أمنهم بأنفسهم"، إلا أن مضمون كلام الملك سيبقى قائماً إلى أن ينتهي الإحتلال بالفعل ويستعاد العراق الموحد المتعايش. أما بالنسبة إلى الوضع اللبناني فكانت الصراحة، المتمثلة بعبارة "وفي لبنان الذي كان يُضرب به المثل في التعايش والإزدهار، يقف المواطن مشلولاً عن الحركة، وتتحول شوارعه إلى فنادق، وتوشك الفتنة أن تُكشر عن أنيابها" نوعاً من الرسالة الموجهة في الدرجة الأولى إلى التخميم المعطّل على أمل أن يقرأ من هو أو من هما أو من هم وراء بدعة التخميم. مضمون كلام الملك أمام الجمع الكبير فيعيد هذا أو هؤلاء النظر وينهوا هذه الوصمة في أسلوب التعبير. ولو أن هؤلاء ردوا على ملاحظة الملك بخطوة تجعلهم موضع تقديره وتقدير الأمة عموماً لهم، فضلاً عن غفران المواطن اللبناني لهذا الخطأ - الخطيئة، لكانوا منذ لحظة إنتهائه من كلمته عمدوا إلى فك خيامهم التي تسببت في خسائر جسيمة للإقتصاد والسمعة.

ويبقى أن مسؤولية المملكة بعدما آلت إليها رئاسة القمة العربية لمدة سنة هي متابعة ما كان موضع إنتقاد الملك عبدالله بهدف تذليله، وزرع الثقة في نفوس الشعوب، وإيجاد حل للموضوع اللبناني وتحقيق إنفراج في الحالة العراقية ووضع نهاية للحصار على الشعب الفلسطيني وإستتباط تسوية للسودان مع المجتمع الدولي، وبحيث تتضمن كلمته بعد سنة وهو يسلم الرئاسة إلى بلد شقيق آخر القول ما معناه إن الأمة بالفعل ليست عاجزة ولن يكون أولو الأمر القادة بعد اليوم إلا عند حُسْن ظن الشعوب بهم، وعلى قاعدة إن السلطة تزول ولا يبقى خالداً سوى العمل الصالح.

نقطة نظام

في معرض تبريرها للإخفاق في الحصول من إيهود أولمرت على موقف إيجابي من شأنه تحريك العملية السلمية مع الفلسطينيين، في ضوء رحلاتها المكوكية في المنطقة طوال أربعة أشهر قالت كوندوليزا رايس "ليس هناك من يتوقع أن تؤدي أربع زيارات لي في أربعة أشهر إلى تغيير وضع مستمر منذ عشرات السنين".

هذا التشبيه يشبه تبريرها عدم عقد مؤتمر صحفي في المساء وقولها "إنني أشعر بنشاط أكبر في الصباح مما في المساء، وأنا آوي إلى الفراش عند التاسعة والنصف ليلاً".

في التبريرين نجد أنفسنا أمام إنسانة لا تعترف بحقيقة أن المسؤولية المناطة بوزيرة خارجية أميركا تحتم عليها أن تكون حازمة ومضحكة. وهي ليست كذلك على الإطلاق. وما يعينها هو كسب لعبة الوقت إلى حين إنصرافها مع سيد البيت الأبيض إلى غير رجعة.

صحيفة "الراي العام". الخرطوم - الثلاثاء 24 أبريل (نيسان) 2007

بعض التأمل في القول - النصيحة من الملك عبدالله بن عبدالعزيز

في الوقت الذي يُهدى بعض الشيء الملك عبدالله بن عبد العزيز إنفعال الإدارة البوشية من جهة مطمئناً من جهة أخرى بالكلام نفسه الشعب العراقي بأن الوجود الأجنبي على التراب العراقي وأن التدخلات الإقليمية مصيرها إلى الانحسار، تتفاقم ظاهرة تسوير بغداد ويعلن الجيش الأميركي أنه بصدد بناء المزيد من الأسوار حول عشر مناطق ساخنة في العاصمة العراقية.

مع أن فكرة التسوير ليست جديدة في التاريخ بدءاً من سور الصين العظيم، بغرض حمايتها من هجمات البرابرة، والذي بُني في القرن الثالث قبل الميلاد بطول يبلغ نحو سبعة آلاف كيلومتر (أي المسافة بين بيروت وباريس ذهاباً وإياباً) وعمق يصل إلى أكثر من ستة أمتار، إلا أن ما إرتأى الاحتلال الأميركي - البريطاني للعراق أن يفعله كإجراء يحميه من هجمات المقاومين هو إستتساخ لجدار أربيل شارون الذي قررت حكومته البدء بإنشائه عام 2002 بطول "650" كيلومتراً وغرضها من ذلك أن الأسلاك الشائكة والخنادق والحواجز الإلكترونية فضلاً عن الجدار الإسمنتي تحميها من هجمات المقاومة الفلسطينية. وجدار شارون هو مثل خط بارليف ومثل خطوط وجدران مكهربة وأسوار إفتراض الذين أخذوا بهذه البدعة أنها تحميهم لكن إصرار المقاوم على تحرير وطنه

والإقتصاص من المحتلين بلده تجعله لا يأبه بالأسلاك والحواجز والجدارت الإسمنتية ويبتكر وسائل كثيرة تترجم مشاعره وتعكس حرصه على أداء واجبه.

وجدران بغداد خطورتها في أنها تستهدف الفرز المذهبي وعلى نحو ما حدث في قبرص عام 1974 حيث كان الغرض من الخط الذي يفصل قبرص التركية عن قبرص اليونانية هو فرز المسلمين عن إخوانهم المسيحيين. وبالنسبة لبغداد فإن الغرض من الأسوار البوشية هو فرز المسلمين السنة عن المسلمين الشيعة وهو أمر بالغ الخطورة، فضلاً عن أنه يشكل إهانة للمجتمع العراقي الذي لم يعرف هذا التمييز، على الأقل بالحدة التي هو عليها، قبل الاحتلال الأميركي للعراق.

لا يكفي أن ينحصر موقف رئيس الحكومة العراقية نوري المالكي بالقول عشية إنتقاله إلى مصر للمشاركة في المؤتمر الدولي في شأن العراق في منتجع شرم الشيخ إن هذه الجدران ليست الحل وأنه أمر بوقف بنائها، وإنما أن يربط بقاءه رئيساً للحكومة بوقف البناء بالفعل، خصوصاً بعد إصرار سلطات الاحتلال.. إلا إذا كان يعتقد بأن هذه السلطات أصلاً تنتظر أية إشارة لإقصائه عن منصبه وهو لا يريد هذه النهاية.

كذلك لا يكفي أن يقول المتحدث بإسم الخارجية الأميركية أن القصد من بناء الجدران مجرد إجراء أمني ويختلف تمام الاختلاف عن جدران شارون، وإنما أن يقر بأن هذا الإجراء سيزيد من كراهية الشعب العراقي له وقد يصل الأمر ذات يوم إلى أن العراقيين البغداديين وربما كمرحة أولى وبسبب الحوائط البوشية اللعينة هذه سيخاطبون بعضهم كما إخواننا وإخوانهم في الجولان بمكبرات الصوت. وإلى ذلك إن الجدران ستشكل دافعاً للمقاومين لتكثيف نشاطاتهم النضالية والرد في مناطق ومواقع أخرى ودليلنا على ذلك ما حدث يوم 26 أبريل حيث أن العملية التي إستهدفت جنود الاحتلال الأميركي كانت نوعية بكل المقاييس.

وبدل هذه التبريرات فإن من مصلحة إدارة الرئيس بوش كما من مصلحة الحكومة العراقية ومصلحة الشعب العراقي أيضاً التأمل في القول - النصيحة للملك عبدالله بن عبد العزيز في جلسة مجلس الوزراء يوم 25 أبريل والعمل بروحيتها.. وما قاله الملك يتمثل بالعبارة الآتية: "لا مستقبل للعراقيين إلا في عراق موحد ينتمي إلى أمته العربية وهويته الإسلامية، ولا مناص من إتفاق القيادات العراقية حول ما يوحدنا...".

فهل يتأمل الجميع؟ وهل يأخذ كل طرف بهذه الروحية
فيعيد الرئيس بوش الإبن النظر في إستراتيجيته التي تثبت
إخفاقها ولن تقيد لها ظاهرة الحيطان الأمنية حتى إذا تحوّل
كل العراق إلى أسوار داخلية.
وأما بالنسبة إلى العراق الشعب والحكومة فليس أمام
الجميع سوى الإلتفاف حول الوطن.. الذي يكاد يتناثر
تحت السمع والبصر.

نقطة نظام

على نحو ما كان عليه زعيم الإتحاد السوفيياتي نيكيتا
خروتشوف في الستينات يجمع بين الجد والهزل في تعامله
مع القضايا الدولية، صار عليه بوريس يلتسين أحد مثلث
الزعامة الروسية بعدما تساقط الإتحاد السوفيياتي. كلاهما
خروتشوف الذي توفي قبل ربع قرن ويلتسين الذي توفي
قبل يومين ذهباً مثلاً في إضحاك المجتمع الدولي من
ضربات حذاء الأول على منبر الأمم المتحدة ومن تهتهة
الثاني نتيجة الإلتمان على الكحول وإلى درجة إلغاء مواعيد
رسمية أو عدم القدرة على السير.
لكن رغم ذلك يجوز القول: أنكروا محاسن أصدقائكم
حتى إذا كانوا من نوعية خروتشوف ويلتسين، فكلاهما
حاول أن يكون متقهما للقضايا العربية.. إنما دون تطوير
التفهم إلى مواقف حازمة.

صحيفة "الرأي العام". الخرطوم - الجمعة 27 أبريل (نيسان) 2007

* * *



وثائق معاهدة "كامب ديفيد"

قبل أن يقوم الرئيس أنور السادات بزيارة إسرائيل يوم 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 1977 كان ألقى أمام البرلمان المصري يوم 9 من الشهر نفسه خطاباً من 8849 كلمة (لعله أطول الخطب التي ألقاها خلال سنوات حكمه) مهد فيه للزيارة المباحة.

ولوحظ أنه في خطابه هذا أفاض في الكلام عن وعود لخطوات سيقوم بها وتدفع بالأحوال نحو الأفضل معيشياً وكذلك على صعيد الممارسة الديمقراطية. كما أنه كان لافتاً عدم ترحيبه بتحريك عربي يستهدف عقد قمة عربية. وهو في عدم الترحيب كان يتقاضي أن تتخذ تلك القمة قرارات لا يعود في ضوئها قادراً على زيارة إسرائيل التي كان قرر مهما كلف الأمر القيام بها. كذلك لوحظ حرصه على أن يعلن في الجزء الأخير من خطابه عن إستعداده لزيارة إسرائيل بحضور الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات الذي صدمه هذا الإعلان وقول رئيس الدولة العربية الكبرى المعول عليها في استمرار المواجهة مع إسرائيل إلى حين إيجاد حل للموضوع الفلسطيني "إنني مستعد أن أسافر إلى آخر العالم إذا كان في هذا ما يحمي، أن يجرح مش يقتل، عسكري أو ضابط من أولادي. أنا أقول فعلاً إنني مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم وستُدْهش إسرائيل حينما تسمعني الآن أقول: لا نرفض.. إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم.. إلى الكنيسة ذاته ومناقشتهم...".

في ثلاثة أرباع الخطاب الأولى تحدّث السادات كثيراً بالعامية، لكن لوحظ بالنسبة إلى الشق المتعلق بإستعداده لزيارة إسرائيل وعلى خلفية تسويات مؤتمر جنيف، بدأ يقرأ في نص مكتوب من الواضح أن بعض مستشاريه كتبوه. هذا بالنسبة إلى خطابه أمام البرلمان المصري.. أو خطاب التمهيد للزيارة غير الميمونة في نظر أبناء الأمتين لكنها كانت في حينه ميمونة في نظر شرائح عريضة من الشعب المصري وموضع إرتياح أميركا وإسرائيل ودول أوروبا. كما أنها كانت الصدمة الأكبر للشعب الفلسطيني.

أما في خطابه أمام البرلمان الإسرائيلي "الكنيست" فإنه كان بطبيعة الحال أقل طولاً (4017 كلمة) وكان نصاً مكتوباً من العبارة الأولى "السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعاً، على الأرض العربية وفي إسرائيل وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير..." وحتى العبارة الأخيرة "لقد إخترت أن أخرج على كل السوابق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائماً.. وإنني أعلن أمامكم أنني لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جنّت هنا لكي أبلغ رسالة. اللهم إني قد بلغت. اللهم فاشهد...". وتجدر الإشارة إلى أن الصحافي المتميز أسلوباً وتجديداً في المهنة موسى صبري (المسيحي المولد، المسلم الهوى والثقافة) هو دون غيره من الصحافيين والكتّاب والمستشارين، الذي إختاره الرئيس السادات لكي يكتب له هذا الخطاب التاريخي.

وحيث أن الخطابين هما البوابة التي عبر منها الرئيس السادات ومناحيم بيغن رئيس وزراء إسرائيل إلى راعييهما الرئيس جيمي كارتر الذي أبرم بينهما معاهدة "كامب ديفيد" فإنني أُنَبِّهُهما كوثيقتين ومن دون تدقيق نحوي وبالذات في خطاب الرئيس السادات الذي على نحو ما أسلفْتُ مزج بين العامية والفصحى في خطابه المطوّل.

أما بالنسبة لنصوص معاهدة "كامب ديفيد" التي تكتمل بها الوثيقة ذات الخطابين للرئيس السادات، فإنني أُنَبِّتها كما أذيعت بعد ترجمتها إلى العربية. ومع الوثيقة بعض الصور التي تعكس تلك المرحلة النوعية في الصراع العربي - الإسرائيلي... المتواصل رغم اقتناع السادات بأن خطوته وضعت الصراع على طريق الحل.

نص خطاب الرئيس أنور السادات في البرلمان المصري قبل التوجه إلى الكنسيات (مجلس النواب الإسرائيلي)

بسم الله

أيها الأخوة والأخوات أعضاء مجلس الشعب

نبدأ اليوم بإذن الله وإبرادة الخالق سبحانه وتعالى الدورة الثانية من الفصل التشريعي لمجلسكم الموقر . يأتي موعد هذه الدورة في السنة التي إحتفلنا فيها بمرور 25 عاماً على قيام ثورة يوليو . وانتقالها بالشعب من الشرعية الثورية إلى الشرعية الدستورية.

ولقد كانت دورتكم الأولى عملاً إرتفع إلى مستوى الإرادة الشعبية التي اختارتكم لتكونوا تعبيرها الأمين في بيت الشعب . لقد أنجزتم الكثير في 94 جلسة في الصباح والمساء . امتدت حتى كادت أن تلتحم ببداية الدورة الجديدة، وهو حدث يساند نجاح التجربة التي حدد الدستور إطارها الديمقراطي . حددها في حكومة مسؤولة مسؤولية كاملة أمام مجلس الشعب الذي له عليها كل حقوق الرقابة الكاملة . وأشهد أنني كنت أتابع ما يجري تحت هذه القبة . وما تدور به ديناميكية العمل في لجان المجلس بإرتياح كامل . كنت أتابعها بإرتياح كامل وثقة تزيد عمقاً يوماً بعد يوم بأن أهدافنا الديمقراطية تجد سبيلها الممتد إلى تفاعل صحي بين الرأي والرأي الآخر . وأسعدني كل السعادة .. وقد وضعني قدر المسؤولية في موقف الحكم .. في مقعد كبير العائلة المصرية الواحدة، أن رئاسة المجلس قد أتاحت الفرصة كاملة للرأي الآخر أن يعبر عن نفسه بملء الحرية.

قيد على المعارضة سوى الدستور

وأتاحت للمعارضة أن تؤدي دورها بغير ما قيد إلا للإلتزام بالدستور، وهو قاضينا جميعاً في ساحة الحرية والديمقراطية . لقد أقر مجلسكم أكبر موازنة في تاريخ مصر بلغ حجم استخداماتها ومواردها 7 آلاف و50 مليوناً من الجنيهات، أي بزيادة قدرها 1076 مليوناً عن سابقتها، ويشجعنا جميعاً أن نعرف أن معدل الإنتاج قد ارتفع إلى نسبة مرضية، مما يبشر بأن تصحيح المسار الإقتصادي يتجه في طريقه المخطط المرسوم في مواجهة أسوأ موجة تضخمية نعاني منها، كما يعاني منها عالم اليوم كله، ولسوف تسعى إليكم الموازنة الجديدة في هذه الدورة بإذن الله وهي تحمل آفاقاً جديدة في زيادة اعتمادات الخدمات، وتوفير فرص العمالة والتطور في معدلات الإنتاج، وأيضاً في المواكبة السليمة للجهود الجبارة المستمرة التي بذلت وتبذل للإفلات من عنق الزجاجة وللعبرور الناجح من مرحلة الإختناق إلى بدايات مرحلة التوازن الإقتصادي وصولاً إلى آمالنا في التطور والرخاء، كل ذلك يجري مع إلتزام وطني وقومي بأن نوفر لأبطالنا رجال القوات المسلحة حماة الأرض والعرض، كل ما تحتاج إليه ملحمة التحرير الخالدة من مال وعتاد، فهذا هو إلتزام المصير، انهم صفوة الأخوة والأبناء الذين يتصدرون الصف الأول في نضال التضحيات رجولة وجسارة ونداء، هؤلاء الرجال هم ضئاع أكتوبر الخالد في نبض جيلنا وكل الأجيال.

تنظيم الأحزاب خطوة على درب الديمقراطية

أيها الأخوة والأخوات أعضاء مجلس الشعب:

دعونا نتوقف برهة نعود فيها إلى النفس ونتأمل: أين نحن اليوم من تجربتنا؟ هنا من هذه القاعة أصدرتم قانون تنظيم الأحزاب إعلاناً تشريعياً لخطوة جديدة على درب الحياة الديمقراطية السليمة وتطلعاً حراً إلى تفاعل حر بين الرأي والرأي الآخر، وإيماناً صادقاً بحاجة العائلة الواحدة إلى أن تحتضن كل أفكار أبنائها، وأن تختار في غير ما تعصّب أو تحزّب، أو إنحياز، ما تراه خيراً للمجموع، وما تقتنع به محققاً لصالح الملايين . وهنا ومن هذه القاعة أيضاً أصدرتم

قانون تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر بعد مناقشات واعية طويلة، وعدّلت أحكام الإستثمار العربي والأجنبي والمناطق الحرة دعماً لسياسة الإنفتاح، ثم كان اتساع مظلة التأمينات الإجتماعية لتشمل كل عاجز عن مورد أو عمل، ورفعتم الحد الأدنى للمعاشات.. إن ذلك يمثل إنجازاً عملياً بالفعل لا بالشعارات، من أجل إزدهار الديمقراطية بشقيها السياسي والإقتصادي على أرضنا.

ولست أستعرض في هذا المجال شريطاً لكل ما ناقشتم وأنجزتم، فإن تقريركم عن دوركم الماضية حافل فعلاً وحفاً بما يؤكد لنا جميعاً أن العمل الوطني يشق طريقه الدستوري بإنتماء حقيقي إلى كل مكونات رسالة التمثيل الشعبي تشريعاً ورقابة ومصارحة بالرأي الحر في كل ما يواجهنا من أحداث وتحديات.

سبق أن قلت إن التجربة الديمقراطية في أول خطوات بنائها ولكنها أيضاً في أرسخ خطوات بنائها، ليس هذا القول إلا تعبيراً عن حقيقة تاريخية، ذلك أن نضالنا نحو إقامة البناء الديمقراطي السليم يتميز بأربع علامات تؤكد رسوخ البناء.

هذه العلامات هي:

أولاً: تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع.

ثانياً: التأكيد على القيم الدينية.

ثالثاً: الوحدة الوطنية والسلام الإجتماعي.

رابعاً: الوحدة العربية.

كل ذلك يجري من خلال سلوك يتميز بالجدية وبالوضوح وباليقظة وبالطموح. إن ثورة 15 مايو التي صحت مسار ثورة يوليو الأم، لم تكن مجرد إزالة أشخاص بعينهم من مواقع الحكم. فما كان أيسر أن يتم ذلك بقرار. ولكن ثورة 15 مايو كانت بناءً جديداً لمواقع الحكم ذاتها كانت إعلاناً شعبياً جاداً عن نهاية حكم الفرد في أي موقع. كانت نقطة تحول تاريخية تعبر عن تغيير ثوري جذري في أسلوب الحكم وفي علاقة الحاكم بالمحكوم. وقد كانت أخيراً تتويجاً لسيادة الشعب بسيادة القانون. أسقطت ثورة 15 مايو كل هياكل الحكم التي خلقتها مراكز القوى. فخلقت بها حكماً بالقهر لا بالقانون وحكاماً يسخرون كل سلطات الدولة لحماية سلطان تسيّدوا به فوق كل قانون، وإنتهى بنا ذلك الوضع الشاذ إلى صورة شاذة شوّهت مبدئاً أساسياً قامت من أجله ثورة يوليو وهو إقامة الحياة الديمقراطية السليمة.. صورة شاذة لقلّة باغية من الأقزام تسلحوا لغرض تسلّطهم بحق باطل في إلغاء الوجود الإنساني، وإهدار الكرامة والأدمية بقرارات جائرة استُغلت على كل رقابة أو حساب. ولكن الشعب العملاق تسلّح بالصبر وما إستكان لقهر أو ظلم، وكانت طاقاته كلها مستعدة لساعة الخلاص. وجاءت ثورة 15 مايو ونسفت كل هذه العروش الزائفة في لحظات. ودكت قلاعها من أساسها.. تلك القلاع التي ظنوا أنها ستمنعهم عبر الأجيال.. وأسقطت كل الشعارات المستوردة التي أرادوا بها تخدير الجماهير.. بل أرادوا أن يعرضوها ديناً زائفاً بشهوات المادية وأطماع الأحقاد السوداء وصراعات الغرائز البدائية.

وثيقة إعلان الدستور إلّزام تاريخي بسيادة القانون

جاءت ثورة 15 مايو ميلاداً لمجتمع جديد، مجتمع لا يرفع الشعارات الخادعة، بل يرتضي الدستور الدائم قانوناً للقوانين وشرعية للحاكمين والمحكومين، مجتمع يسجل قسّمه العظيم بإسم الملايين في وثيقة إعلان الدستور ليعلن للعالم كله إلّزامه التاريخي بالحرية والكرامة وسيادة القانون عندما تسجل وثيقة إعلان الدستور ما يأتي: نحن جماهير الشعب في مصر بإسم الله وبعون الله نلتزم إلى غير ما حد وبدون قيد أو شرط أن نبذل كل الجهود لتحقيق الحرية لإنسانية المصري عن إدراك حقيقة أن إنسانية الإنسان وعزته هي الشعاع الذي هدى ووجه خط سير التطور الهائل الذي قطعتة البشرية نحو مثلها الأعلى.

ثم تقول وثيقة إعلان الدستور أن كرامة الفرد انعكاس طبيعي لكرامة الوطن.. ذلك أن الفرد هو الأساس في بناء الوطن وبقيمة الفرد وبعمله وبكرامته تكون مكانة الوطن وقوته وهيبته. إن سيادة القانون ليست ضماناً مطلوباً لحرية الفرد.. فما أكثر ما قاسينا من شعارات إرتفع صوتها حتى طغى على إرادة العمل وما أكثر ما تصورنا أننا أنجزنا لأننا تكلمنا وأفضنا في الكلام حتى صدّقنا أنفسنا وغفلت أنظارنا عن واقع جمد عن الحركة، بل لعله كان مهدداً بأن يرتد إلى الوراء، بل أن تلك الشعارات الدخيلة الصاخبة قد تحولت إلى أداة تهديد وإرهاب لكل رأي وفكر، وأداة إتهام قادرة على تلغيق الإتهام، فأثر الصمت كثير من الشرفاء والتزمت العزلة قلوب عامرة بحب مصر، وفُضّلت طاقات وقدرات

كبيرة أن تقف في صفوف المتفرجين. هنا دعونا أيها الأخوة والأخوات ما دمنا بدأنا بأنفسنا ونقدنا وصحنا، ودعونا نقول للآخرين هل لديكم الشجاعة لينقدوا وليصححوا بدلاً من أن يستثمروا المناخ الديمقراطي السليم في محاولة للمغالطة وتزييف التاريخ لتضليل أجيالنا المقبلة.

ورثة ثورة 23 يولييه.. وورثة ثورة 19

في هذا يستوي عندي حين أتحدث إليكم أيها الأخوة والأخوات من يدعون وراثة ثورة 23 يولييه ومن يدعون وراثة ثورة 19، هل لديهم الشجاعة لكي ينقدوا كما نقدنا أنفسنا ولكي يصححوا كما صححنا ثورة 23 يوليو بثورة 15 مايو. إن الأمر ليس إلا مزادات ومناورات يمكن أن تكون مقبولة في الماضي، ولكنها لن تكون مقبولة أبداً اليوم ولا غداً ولا مقبولة من أجيالنا المقبلة.

لقد أثبت بناؤنا الديمقراطي أنه بناء جاد قائم على تحقيق الأمل بالعمل لا نريد الأمل بالقول والشعار فقط، وجاءت انتخابات مجلسكم الموقر عنواناً مشرفاً وقمة مضيئة لأسلم تطبيق ديمقراطي عرفته الحياة النيابية في مصر منذ 54 عاماً، جئتم أنتم إلى هذه المقاعد إختياراً حراً أميناً نظيفاً بإسم الملايين الحاكمة بإرادتها، بإسم الملايين الحرة بديمقراطيتها، بإسم الملايين صناع الديمقراطية وحمايتها بكل مبادئ 23 يوليو و 15 مايو، وبكل كرامة ملحمة أكتوبر الخالدة وديناميت العالم في شرقه وغربه تمتلئ نصوصها بشعارات الحرية والديمقراطية، إن مئات الحكام عبر التاريخ القديم والحديث يتمسحون في شعارات الحرية والديمقراطية.

ولكن الشعوب الواعية سواء منها المقهورة أو المتحررة تعرف كم من الجرائم ترتكب بإسم الحرية والديمقراطية، ولكننا نحمد الله سبحانه وتعالى أن وصلنا إلى لقاء بالذات يقوم على الجدية والصدق والحقيقة.. فنحن لن نخدع إلا أنفسنا إذا تصوّرنا أننا نخدع غيرنا ولن نجلب احترام غيرنا لنا إذا لم نحترم نحن أنفسنا. وهكذا جاءت التجربة الديمقراطية ميثاق شريعة وشرف دستور حكم وتطور التزم به الحاكم قبل المحكوم صمام أمن وأمان لنجاح التجربة إلى أقصى غاياتها وأهدافها نحو إجلال إنسانية الإنسان، ولقد ساعد على جدية التجربة الديمقراطية وضوحها فلا ف ولا دوران بكلمات براقة ولا تدبير ولا تبرير بفلسفات خادعة ولا أوصاف تظهر المعنى وتخفي النقيض ولا عبارات غامضة متعالية على فهم الجماهير. فنحن لا نتحدث بلغتين ولا نتعامل مع مصير الشعب بوجهين، نحن لا ندعو إلى الديمقراطية السياسية بقول ثم نعطلها بقول آخر، ونحن لا نبشّر بالديمقراطية الاقتصادية بقول ثم نمزقها بقول آخر، ونحن لا نقيم الاشتراكية الديمقراطية على متاهات من شعارات ولا تميزها ولا تُحدد أوصافها، بل تذهب بها هذه المتاهات إلى ازدواج مقصود في المبنى والمعنى. كان هذا حالنا عندما مركسوا الميثاق وتلاعبوا بتفسير صحة العالمية عندما وصفوا بها الاشتراكية، فكانت دفعاً بها إلى التواءات متعمدة في التفسير والتحليل والتطبيق.

الإشتراكية الديمقراطية تنطلق من قواعد 4 رئيسية

إن الإشتراكية الديمقراطية في دستورنا الدائم تنطلق من القواعد الأربع الأساسية التي أخذنا أنفسنا بها ونحن نناضل من أجل إقامة البناء الديمقراطي السليم، كما أسلف القول، وهي: أولها: تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع، ثانيها: التأكيد على القيم الدينية، ثالثها: الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي، رابعها: الوحدة العربية. والهدف الواضح هو أن يتحقق التوازن العادل والإرتباط العضوي بين صالح الفرد وصالح المجتمع وبين حاجات المواطن المادية وحاجاته إلى القيم الروحية، وهذا هو الطريق الواضح المتميز عن الإشتراكية الماركسية وعن الرأسمالية. إننا لا نتجاهل أبداً الحرية الشخصية أو الحافز الفردي كما تفعل الإشتراكية الماركسية. لأن تحرير الإنسان اجتماعياً واقتصادياً لن يكتمل إلا بالديمقراطية السياسية التي تؤمن بالحرية الفردية وتشجع على الحوافز والمبادرات الخلاقة. وغيبية حرية الرأي وسيادة القانون تتيح للبيروقراطية المسيطرة على وسائل الإنتاج أن تشكل طبقة ديكتاتورية تتحكم بلا حدود، كما أننا لا نتجاهل صور الإستغلال القاسية والتفاوت الشاسع في دخول الأفراد الذي تنتجه الرأسمالية.

قانون الضرائب يُعرض في أول هذه الدورة

وهنا لي وقفة معكم في شأن قانون الضرائب الذي سيُعرض على مجلسكم الموقر في هذه الدورة، بل لعلّي طلبت أن يكون أول ما يُعرض في هذه الدورة هو قانون الضرائب لما له من مغزى أساسي في نظامنا الإشتراكي الديمقراطي. أود أن أكون واضحاً أمامكم أيها الأخوة والأخوات.. في قانون الضرائب الجديد لابد من أن تحقق العدالة الاجتماعية

كما أرادها الله سبحانه وتعالى في سورة الحديد... يقول الله سبحانه وتعالى (ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ...) المال في شريعتنا مال الله. من أجل ذلك أنا أدعوكم كما أراد الله سبحانه وتعالى لنا لعمران هذه الأرض.. أراد لنا أن نكون مستخلفين على هذا المال.. أريدكم أن تضعوا الحدود التي تسوي وتوزع ما بين الناس بحق الله سبحانه وتعالى. وليكن هذا هو أساس فلسفة قانون الضرائب.. على الغني أن يتحمل أعباء لا يستطيع أن يتحملها الغير. وأقول لكم بصراحة إنني أعني مسؤوليتي وأخاف الله سبحانه وتعالى.. وأخاف (تصفيق وأصوات تقول الله أكبر).. أقول لكم إنني أخاف الله سبحانه وتعالى، وأخاف أن أذهب إليه فيحاسبني.. لماذا؟ كما نصت الشريعة لم آخذ من فضول الأغنياء لأساعد الفقراء؟.. أريدكم حينما تدرسون قانون الضرائب أن تضعوا هذا في أذهانكم.. نحن نريد أن نقيم العدالة بين أبناء شعبنا.. بين أبناء وطننا.. بحيث يتحمل القادر.. وبحيث ينعم غير القادر بحياة كريمة.. ليست إحساناً من القادر ألباً.. وإنما هي فرض عين وحق وواجب.. لا اعتراض لي أبداً أن يعيش كل إنسان في بسطة بما أعطاه الله.

صياغة الحياة على أرضنا بالحق والعدل وشريعة الله

ولكنني كَوَلِّىٌّ للأمر وأقولها لكم لكي تضعوها في تشريع، كَوَلِّىٌّ للأمر، والله لو اقتضى الأمر كما فعل عمر بن الخطاب أن آخذ نصف كل ما لدى حاكم لأخذه. من أجل هذا أريدكم أن تضعوا قانون الضرائب لكي نعيد صياغة الحياة على أرضنا بالحق وبالعدل، وبشريعة الله سبحانه وتعالى، ونحن لا نحقد على أحد، ولا نحسد أحد، ولا نعتدي على أحد، وحين أقول هذا أرجوكم أن تعلموا، أنني لا ألجأ إلى المصادرة أو الإعتقال أو الحراسة، أو كل ما كان في الماضي أبداً.. إنني سألجأ بما هو أقوى من كل هذا، إنني وَلِّىٌّ الأمر وأراد الله لي سبحانه وتعالى أن أتولى هذا الأمر. وعلى ذلك أرجوكم أن تضعوا هذا في حسابكم وأنتم تضعون قانون الضرائب، بحيث توزع الأعباء بقدر ما يحوز كل فرد، فمن لديه غنى يتحمل الأعباء الأكبر، ومن لديه عوز يتحمل الأعباء الأقل، أو لا يتحمل، وفوق كل ذلك، لا بد أن نعي حقيقة واضحة هي أساس من أسس هذا النظام الذي اخترناه لأنفسنا، وهو أن يكون توزيع الأعباء في العائلة المصرية توزيعاً عادلاً لا يصحح أية أخطاء تحدث في توزيع الثروة بغير هذا ستكون بلادنا وقوداً للحقد والحسد والكرهية وهذا ما لا نرضاه.

لقد خصص دستورنا الدائم الباب الثاني لتحديد المقومات الأساسية للمجتمع المصري إجتماعياً وإقتصادياً في وضوح وتوصيف. هذا الوضوح والتوصيف لا يحتمل أبداً اختلاط المبادئ، أو تمييع الأحداث. كما أن دستورنا الدائم وضع كل الضمانات التي تحمي حق المواطن وحرية في التمتع بالحياة الديمقراطية السليمة، وقد وضعت هذه الضمانات في وضوح وتحديد لا يحتمل اختلاط المبادئ ولا تمييع الأحداث كما قلنا، وإذا كانت المبادئ التي ذكرتها وهي نتيجة للممارسة والمعاناة وليست من الكتب أو النظريات، هذه المبادئ الأربعة هي التي تشكل معالم إشترakitنا الديمقراطية، فإننا في تجربة الممارسة الديمقراطية والتطبيق لن نخل بهذا الوضوح ولن نجعل من إجراءات الممارسة وقواعد التطبيق مدعاة لأي إهتزاز فكري في تجسيد أهدافه.

ضد الإرهاب في الداخل... والخارج

إن الدراسات العلمية والديمقراطية وتطبيقها في أرضنا سوف تتعرض إلى التفاصيل والجزئيات بالتحديد الدقيق الواعي على هدى المبادئ العامة والأساسية التي نص عليها الدستور، وأرجو أيها الأخوة والأخوات أعضاء مجلس الشعب ألا يبخل المتخصصون منكم بالفكر والرأي والخبرة في الإسهام في هذه الدراسات العلمية التي تضئ المعالم أمام السلطات الدستورية في بلادنا لكي يكون التشريع والتنفيذ في ظل سيادة القانون مدعماً لوضوح التجربة وتميزها. إننا نستنكر الإرهاب في شتى صوره في الداخل والخارج على السواء، وإذا كان استنكارنا للإرهاب على المسرح الدولي نابغاً من عقيدة راسخة بأن حقوق الشعب لن تحققها أعمال فردية جبانة تعتدي على أرواح العُزْل والأبرياء وتهدد الأمنين في إنسانيتهم وأدميتهم.. إذا كان هذا هو موقفنا من الإرهاب الخارجي الذي تصاعد في السنوات الأخيرة وأصبح سبباً في جبين الإنسان المصري الحديث، وعاد بالفرد المتحضر إلى عصور القرصنة، فإن موقفنا من الإرهاب الداخلي يتجاوز الإستنكار إلى الإجراء الحاسم المضاد وقاية ومطاردة وحساباً عسيراً لن يفلت منه جبان أو مدع أو مأجور يتناول على حرية الشعب أو يهددها أو يحاول أن يعود بها إلى الوراء. وإنني أعلن لمجلسكم الموقر أن أي تناول على الديمقراطية لن ينال من الديمقراطية، لأن الديمقراطية ليست عاجزة.

ولن تكون عاجزة عن بتر أي يد شريرة ملوثة يصور لها غرورها أنها قادرة على قهر أو بطش. إن أي تهديد تتعرض له حرية هذا الشعب وأمنه جريمة لن تُغتفر، بل هي أشنع الجرائم لأن ضحيتها ليس فرداً أو مجموعة أفراد، ولكن الضحية هي كل الشعب، لأن تهديد الديمقراطية بالدم والإرهاب لا يهدف إلا إلى تحطيم الصرح الشامخ الذي شيدته إرادة الملايين من أجل أمنها وسلامها وكرامة وجودها.

ديمقراطية النور وخفافيش الظلام

وديمقراطية الملايين قادرة بكل ما يسلمها به الشرع والقانون. قادرة على سحق أي تهديد لها بلا رحمة أو شفقة أو هوادة في أوائل هذا العام. لابد أنكم جميعاً تذكرون أحداث 18 و 19 يناير 77، ولابد أنكم تذكرون أحداث ما وقع من جماعة دينية إتخذت الدين سبيلاً إلى محاولة فرض نظام معين أو فرض آراء أو أفكار معينة على هذا الشعب، واعتدت في هذا السبيل على عالم جليل من علمائنا. أريد هنا أن أكون واضحاً تمام الوضوح: إن أية محاولة من جانب أية جماعة، أياً كان هذا الذي تؤمن به أو تنادي به.. أية أعمال إرهابية أو محاولات فرض على هذا البلد ستقابل كما قلت لكم من قبل بمنتهى القمع والشدة.

في 18 و 19 يناير تخرج قلة ضئيلة تستغل الغوغاء، ثم يخرج أو تخرج إذاعة دولة من الدول العظمى هو الإتحاد السوفيتي، لنقول إن هذا أو هذه الأعمال هي إنتفاضة شعبية. ماذا كانت هذه الأعمال؟ حريق.. محاولة حريق العاصمة.. حرق المجمعات الإستهلاكية ونهب محتوياتها، ونحن نشكو من التضخم ومن أزمة التموين.. حرق الأوتوبيسات ونحن نشكو من أزمة المواصلات.. حرق مرافق الدولة. إذا كان هذا في عُرْفهم وفي عُرْف عملائهم هنا هو إنتفاضة شعبية، فلا كانت أبداً.. سنواجه هذا بمنتهى الحسم والعنف، ولا يمكن أن أسمح لأية فئة أن تفرض على هذا الشعب ما لا يرضاه أو أن تروّع هذا الشعب المؤمن والذي يكون الإيمان فيه جزءاً من دمائه.. جزءاً من تكوينه. لن أسمح أن يفرض على هذا الشعب الإلحاد.. وعلى ذلك فقد سمعتموني في الماضي أتحدث إليكم وشجبت هذه الأعمال، وقلت إن من لا إيمان له لا أمان له.. أقولها الآن أضعها أمامكم لكي تُسجل في مضابط مجلسكم: لن يوضع في منصب أو في أي مكان يؤثر على تكوين الرأي العام أو تكوين أفكار الشعب ملحد أبداً طالما أنا في الحكم.. ليس معنى هذا أنني أعادي أحداً.. أبداً أنا لا أريد أن أعادي أحداً.. أبداً.. وأنا لا أريد أن أعادي أحداً.. وإنما كما قلت لكم أنا حريص يوم أن أسأل وأنا وليّ الأمر هنا ماذا فعلت؟ حريص أن أؤدي الأمانة وأن أؤدي الرسالة.. أبداً لن أتركها ولو إقتضى الأمر أن أنزل بنفسي إلى الشارع لأقاتل في هذا.. إننا شعب الإيمان جزء من كيانتنا وتكويننا ولا يمكن أن نسمح أبداً لأية قوى مهما كانت هذه القوى أن تزلزل هذا الإيمان أو أن تتطرق بطرق ملتوية لمحاولة تضليل أجيالنا المقبلة عن هذا الإيمان، كما حدث في بلاد أخرى.. أبداً لن أسمح بهذا أقوله لكم بمنتهى الصراحة لكي يُثبَّت في مضابط مجلسكم ولكي يكون سياسة واضحة معلنة.. لن يلي في هذا البلد منصب يؤثر على تكوين الرأي العام أو على الجماهير أو بأي شكل من الأشكال يؤثر على تكوين أجيالنا المقبلة.. لن يلي هذا المنصب أي ملحد. إن أي محاولات طائشة أو نازفة أو مجنونة تتصور أنها قادرة على العودة بنا إلى الوراء لن يكون مصيرها إلا التعرية الكاملة لأطماعها السوداء والإجهاز الصارم عليها وسيف القانون، والشعب دائماً هو الأقوى، وديمقراطية النور لن يعبث بضياتها خفافيش الظلام.

الديمقراطية هي الكلمة العليا.. الديمقراطية هي إرادة الخير والبناء والسلام.. الديمقراطية هي حُكم الشعب بالشعب لصالح الشعب.. فمن ذا الذي يهيئ له أن رصاصة جبانة أو تأمر للتخريب في الظلام أو محاولة لفرض أمور لا تقبلها طبيعة وتراب هذا الشعب يمكن أن يقوى على إرادة الملايين التي حررت الأرض في أخلد ملاحم البطولة والشرف وحررت إرادة الإنسان المصري ليملك قراره ومصيره ويتسَيّد على أرضه بالحق والقانون.

طريق الحلول الصحيحة الفكر المتحرر من القيود

لعل هذه القلة الضئيلة.. بل بالغة الضالة، هذه القلة المنحرفة المغرورة.. الموجودة في كل مجتمع لا تستحق منا كل هذا التعليق والتبيين.. ولكنني آثرت هذا التوضيح الصريح لأننا في مرحلة بناء التقاليد الديمقراطية مع بناء الديمقراطية.. وما نضعه اليوم من تقاليد راسخة هو مسؤوليتنا أمام الجيل والأجيال المقبلة.. وأول هذه التقاليد التي تنميها الممارسة المسؤولة هي أن سيادة القانون التي عبّر عنها ميثاق الدستور الدائم بأنها ليست ضماناً مطلوباً لحرية الفرد فحسب.. لكنها الأساس الوحيد لمشروعية السلطة في نفس الوقت.. هذه السيادة للقانون التي توصل الحق

والشرعية تفرض مع وجودها حماية القانون من أعداء القانون بقوة القانون.. ولسنا بذلك ندعو إلى أن تتحول قوة القانون إلى القهر والبطش.. إن هذا ليس كائناً ولن يكون.. ولكننا ندعو إلى حماية القانون بقوة القانون من أي قهر أو بطش يتهدد هذا السلطان الشرعي الذي يستوي أمامه الحاكم والمحكوم.. القوي والضعيف.. القادر والعاجز.. فيحقق العدل للجميع ويساوي بالفرصة المتكافئة أمام الجميع.. وهو سلطان ليس فوقه من سلطان.. من أجل هذا نقول إن بناءنا الديمقراطي بناء يقظ لن تلهيه جهود ترسيخ البناء عن وعي قادر حذر.. وعيون مفتوحة لكل ما يجري من حولها.. انه بناء يقظ متوثب لبتر أي إثم أو عدوان..

إن يقظة هذا البناء الديمقراطي الشامخ هي عنصر من عناصر طموحة.. طموحة إلى مزيد من الديمقراطية.. الديمقراطية آفاق رحبة مزيدة.. كلما تقدمنا إليها خطوة زاد تماسك البناء.. بل إن التقدم دائماً إلى المزيد هو الدليل على قوة البناء.. فإذا كنا لن نتراجع.. وأكررها إذا كنا لن نتراجع عن الديمقراطية، فإننا لن نقف أيضاً في مواقف جامدين.. فالحياء هي النمو المستمر.. وعقل الإنسان وفكره ومواهبه وحوافزه يعيشها ويفجر طاقات خلقها وابتكارها نحو حياة أفضل.. الأجواء الصحية التي تعطيها الديمقراطية ومظلة الأمن.. والأمان التي تقيمها الشرعية.. وكلما تطورت حياتنا إلى مزيد من التقدم الاجتماعي والإستقرار الإقتصادي.. كلما تطوّر البناء الديمقراطي نحو المزيد الذي يتلاءم مع حاجات التقدم ولوازم الإستقرار.. للتطور مشكلات متجددة مع تجدد إرادة التطور.. ولا حل لهذه المشكلات.. ولا دليل إلى طريق الحلول الصحية إلا الفكر المتحلل.. المتحرر من كل القيود.. وإلا قيد الإلتزام بالدستور ومصالح الجماهير.. ولن يتحرر فكر إلا بمواجهة الرأي بالرأي الآخر.. وعندما تضاعف كل المشاعر ستنبئ كل أبعاد الطريق.. وهذا هو المزيد من الديمقراطية الذي يحققه طموح التجربة.. لقد إنقلنا من تنظيم الرأي الواحد إلى ساحة الآراء المختلفة.

ضوابط تحمي التجربة من صراعات الفوضى

ثم تبلورت هذه الساحات إلى فكرة المنابر أو التنظيمات، ثم تقدّمنا إلى إنشاء الأحزاب التي تُعبّر عن الإتجاهات السياسية الثلاثة في كل مجتمع ووضع مجلسكم قانون الأحزاب بضوابط تحمي التجربة الوليدة من صراعات الفوضى وانشقاقات الإنقسام وتصدّع العائلة الواحدة، وبعض هذه الضوابط موقوت بهذه الفترة التشريعية، ولكن فلسفة كل ذلك هي الخطوة المتأنية الواثقة. وإذا كنا لسنا من هوة الشعارات، فلسنا أيضاً من هوة استعراض القفزات الإنفعالية أو الطائشة، كذلك الحكم المحلي يقدم بخطى ثابتة مما يوضح سلطان الديمقراطية لتشمل كل رقعة من بلدنا، ولم تعد هناك من سلطة تنفيذية على أي مستوى من مستويات المسؤولية بغير رقابة شعبية، ومن أجل هذا من أجل طموحنا المتيقظ إلى مزيد من الديمقراطية، فإن الممارسة السليمة هي صمّام الأمان الحقيقي لحماية هذا الطموح من وقفة إهتزاز أو نكسة ردة أو معاناة غموض أو مغالاة بلبلية وتشكيك، وعندما نحمل طموحنا من العثرات فإننا ندفع بهذا الطموح إلى خطوات مضاعفة.

هذه أيها الأخوة والأخوات أعضاء مجلس الشعب هي مسؤوليتكم أمام التاريخ، وقد اختارتكم الديمقراطية لكي تكونوا كتيبتها الأولى في نضال التطور والتقدم، أنتم يا من أعطتكم الجماهير ثقّتها وأنابتم في إقرار إرادتها، أنتم تحملون العبء الأكبر في سنوات الميلاد العظيمة.. هذه الجماهير تطالبنا جميعاً بالممارسة المسؤولة الكاملة. لقد كفل الدستور لهذه الممارسة كل الضمانات وقدم لها كل الفرص لأداء الواجب التشريعي وواجب الرقابة، بل إن الدستور قد خول ممثلي الشعب في إختيار أكبر مواقع المسؤولية عندما نص على أن مجلس الشعب هو الذي يرشح رئيس الجمهورية.. لكم حق إقتراح القوانين وأنتم الذين تقررون السياسة العامة للدولة وأنتم الذين تقررون الخطة العامة للتنمية الإقتصادية والإجتماعية وتقررون الموازنة العامة وموافقة مجلس الشعب فرض واجب نقل أي مبلغ من باب إلى آخر من أبواب الموازنة العامة.. الوزارة مسؤولة أمامكم ومن حق المجلس أن يقرر مسؤولية رئيس مجلس الوزراء، ومن حقه أيضاً أن يسحب الثقة من نواب رئيس الوزراء أو الوزراء أو نوابه. وأساليب الرقابة التي نص عليها الدستور متشعبة متسعة لكل صغيرة وكبيرة يريد الشعب أن يمارس سلطانه عليها. حق السؤال، طلبات الإحاطة، الإستجواب، طرح موضوع عام للمناقشة، إبداء الرغبات، لجان تقصي الحقائق التي خول لها الدستور فحوص أي نشاط في مؤسسة عامة أو جهاز تنفيذي. وأن تجمع ما تراه من أدلة وأن تطلب سماع من ترى سماع أقواله وأن تحصل على ما تطلبه من وثائق أو مستندات.

تدعيم سلامة التجربة بتدعيم سلطة الرقابة

هذه الأفاق الرحبة لسلطان مجلس الشعب مع ضمانات الحصانة البرلمانية ومع حرمان أية سلطة أخرى من حق

حل المجلس، حتى رئيس الدولة نفسه، إلا إذا قرر الحل إستفتاء شعبي، هذه الآفاق الرحبة تفتح كل الأبواب أمام الممارسة الدستورية التي تصل إلى كل مسؤول وإلى كل قرار. وقد لاحظت وأنا أتابع تقريراً عن أعمال الدورة السابقة، أن عدد الأسئلة قد تضاعف كما أن طلبات الإحاطة والاستجابات قد تسابقت وتلاحقت، كل ذلك كفيلاً بأن يطمئن إلى سلامة التجربة الديمقراطية، ولكن أرجو أن تسمحوا لي بالقول إننا نريد تدعيم سلامة التجربة بتدعيم سلامة سلطة الرقابة، وإذا أردت أن أعبر عن نبض الجماهير في هذا الشأن من واقع مسؤوليتي الدستورية فإنني أسمح لنفسي أن أقول إن جماهير شعبنا تطالبنا بالرقابة الشعبية وهي قد أعطت أصواتها لمن تثق بجدارته في هذه الممارسة ولكن جماهير شعبنا أيضاً حريصة في الوقت نفسه كل الحرص على أن تكون هذه الرقابة مجدية وفعالة ومحقة للأهداف التي شرعت من أجلها وهي حماية العمل العام والمال العام والمنصب العام من أن يتسلل قصور أو عبث بمال الشعب أو فساد في مباشرة العمل التنفيذي، هذه الأهداف لن تتحقق إلا بالالتزام الجدية الكاملة والدقة الواجبة والإعداد المدروس والبحث المتأن. إن الحصانة البرلمانية لعضو المجلس هي الكفة المقابلة لكي لا يؤخذ عضو بالنزلاق كلمات عابرة أو بجنوح في التعبير أو خروج عن مقتضى الموقف. إنها تدعم العضو بالثقة والإطمئنان وهو يؤدي مسؤولية الرقابة ولكن ما يدعم ثقة الجماهير بأن مجلس الشعب يؤدي إلى دورته الكاملة وما يبلغ الإطمئنان للجماهير إلى أن ممثليه ينوبون عنه فعلاً في سلطانها الرقابي وأن تمارس كل واجبات الرقابة الدستورية في موقعها الصحيح بالقدر المتوفر من صحة وقائع المسألة التي قد تصل إلى الإتهام أو الإقتراع بعدم الثقة.

هنا تبرز الرقابة المسؤولة وهنا تتحقق الممارسة السليمة وهنا تتدعم ثقة الجماهير في التجربة الديمقراطية، وهنا تنمو التقاليد الراسخة.

لا مسؤول فوق المساءلة ولا مواطن فوق القانون

إن التجربة الديمقراطية لن تمضي في فريقها النامي إلا إذا تحققت الرقابة الشعبية الفعالة.. ولسنا نريد أبداً لنصوص الدستور أن تكون حبراً على ورق، أو مجرد شعارات، وتجربتنا كما قلت جادة وواضحة ويقظة وطموحة.. ولذلك فإنني أناشد كل الآراء والاتجاهات.. أناشد الغالبية قبل المعارضة.. أناشدكم جميعاً أن نحرص حرصاً كاملاً على إبعاد التجربة الديمقراطية من كل ما يسقط جديتها أو يشوه وضوحها، أو يعوق طموحها، أو يهز يقظتها. وكما قلت وأكرر ما أقول إنه لا يوجد مسؤول فوق المساءلة ولا يوجد مواطن فوق القانون، ولكننا يجب أن نؤمن المسؤولية وسيادة القانون من الإنفعال المتسرع، أو المعارضة لمجرد المعارضة، أو التأييد لمجرد التأييد، أو التشهير المسخر للمناورات الحزبية. كان هذا أسلوباً إبتلي به الديمقراطية الزائفة قبل ثورة 23 يوليو، انغمست حتى أذناها في مناورات الممارسة المتخربة حتى تحوّل الحكم إلى لعبة التسابق على مقعد الحكم، مهما كانت الوسيلة، ومهما كان الثمن، ولقد دفع الشعب ثمن ذلك كله غالباً من مصلحه ومن تطوره.

إن ديمقراطية الشبهوات الحزبية منذ عام 1924 حتى 1952 سمحت بتأجيل إنعقاد أول برلمان بعد 5 أشهر من إنتخابه، ثم صدر المرسوم بحل مجلس النواب، ديمقراطية الشبهوات الحزبية سمحت بحل مجلس النواب في 23 مارس 1925 في يوم إجتماعه الأول. ديمقراطية الشبهوات الحزبية سمحت بإلغاء دستور سنة 1923 في 22 أكتوبر سنة 1930، ثم صدر الأمر الملكي بإلغاء دستور سنة 1930 بعد ذلك بأربع سنوات كان الدستور، دستور سنة 1923، كما نص في ديباجته منحة من الملك إستردها الملك في سنة 30 وألغى دستور 1923، وقام دستور سنة 30، ثم عاد الملك وأعاد دستور سنة 23، ليس هذا هو أسلوب ممارستنا الديمقراطية، لم يمنحنا ملك دستورنا الدائم، وإنما أردناه بملء حريتنا، ووضعنا فيه كل الضوابط والقواعد التي تنظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بملء إرادتنا وليس منحة من أحد، ولا يستطيع أن يسحبه أحد، هكذا كانت حياتنا البرلمانية وعلى مدى 29 عاماً تنتقل من تأجيل إلى إلغاء، في ملهاة حزبية، فسدت الحياة السياسية، ولسنا ننكر أن هذه القبة عرفت مناضلين شرفاء من أجل الديمقراطية ولسنا ننكر أنه رغم تلك الملهاة الحزبية، فقد برز رجال حافظوا على الدستور فأعطوا كل جهدهم للعمل الديمقراطي المسؤول، ولكن النظام العام الذي حكم البناء الديمقراطي، كان لا يسمح إلا بمثل هذه الإنقاضات الفردية التي ضاعت صيحاتها في واد سحق، غلبت عليه الملهاة، وإنتهى بالشعب كله إلى المأساة.. إن يقظتنا وطموحنا إلى المزيد من الديمقراطية، فطالبا أن تكون في مثل جدية التجربة وفي مثل وضوحها، والحكم الوطني أيها الأخوة والأخوات وسط هذه التحديات الخارجية والإقتصادية والإجتماعية، أقول الحكم الوطني عبء ثقل، وهو تكليف بما فوق الطاقة، وهو في هذا الوضع لا يحتاج إلى تأييد يفرضه تحزب للأغلبية، ولا يحتاج أيضاً إلى تفويض تفرضه المعارضة من أجل المعارضة.

وسيلتنا الديمقراطية الحزبية وغايتنا مصر الديمقراطية

إن الحكم الوطني وهو الجناح التنفيذي للبناء الديمقراطي يحتاج إلى تأييد يسهم بالرأي والفكر والدراسة... كما يحتاج إلى معارضة تسهم بالتقويم السليم والكشف الصادق عن أي قصور أو اعوجاج.. هذا هو الطريق الصعب في الممارسة الديمقراطية بوجهها الجديد. إن ممارستنا نحن.. هذا هو الطريق الصعب البعيد عن الشهوات والمناورات.. وهذا هو وجه العائلة المصرية التي تحتضن الرأي والرأي الآخر لجميع أبنائها.. إنني أناشدكم جميعاً أن تكونوا سنداً قوياً لبناء الديمقراطية الاشتراكية.. أناشد كل الآراء وكل الاتجاهات الوطنية أن تمد يدها بالمشاركة الفعالة لدعم البناء وإرساء تقاليدنا.

وأقول لكم بالإقناع واليقين.. إنه إذا كانت وسيلتنا هي الديمقراطية الحزبية، فإن غايتنا جميعاً يجب أن تكون هي مصر الديمقراطية الاشتراكية.. وأرجو بكل الأمل أن يسبق الصالح الوطني.. صالح مصر وشعب مصر.. يسبق كل فكر يتجه إلى وسط أو يسار أو يمين... وإذا تعددت بدايات الطريق فإن خطونا جميعاً في نهاية الأمر بالرأي والرأي الآخر هو إلى طريق واحد هو طريق مصر.. وإلى هدف واحد هو عزة شعب مصر ورخاؤه.. وحقه الطبيعي في الحياة الكريمة.. هذا ندائي لكم اليوم، وهو تأكيد لرسالتني إليكم في 14 مايو من هذا العام عندما قلت إننا نمارس الديمقراطية مع الالتزام بمبدأ أساسي هو أن تكون المصلحة القومية العليا لمصر دون تعصب فوق الأحزاب جميعاً.

بقيت لي كلمة أريد أن أوجهها إلى من يريدون النيل من تجربة الديمقراطية بعبارات التشويه أو شعارات التجريح، وكلها نابعة من حقد مرير أو فهم أبله غرير... يقولون إن الأحزاب بوضعها الحاضر نشأت من أعلى بإسم السلطة، وكان الأجدر لناخذ صفة الأحزاب أن تتشبه قواعد الجماهير.. هؤلاء الذين يقولون بذلك يتجاهلون عن شهوة أو غرض أن أحزابنا نشأت لأول مرة في حياتنا البرلمانية بإنتخاب حر نزيه مباشر اشتركت فيه كل قواعد الجماهير بالملايين. لقد أعطى الناخبون أصواتهم لمرشحي التنظيمات الثلاثة بمبادئها وبرامجها المعلنة.. ولم يكن إطلاق صفة الحزب على كل تنظيم إلا إقراراً بحقيقة وتسجيلاً لواقع فرض نفسه منذ بدأت إجراءات الإنتخابات.. ويقولون أيضاً إن الأحزاب بوضعها الحاضر هي نسخة مكررة من الإتحاد الاشتراكي.. يقولون بهذا بعد أن لفظنا تماماً بناء التنظيم الواحد والرأي الواحد.. وبعد أن انطلقت الآراء والأفكار إلى قنواتها الطبيعية المتعددة بمحض الإرادة والإختيار.. وبعد أن صدر قانون الأحزاب.. وبعد أن هيأنا كل الأجواء لصدور صحافة الأحزاب..

ثورة 15 مايو أسقطت هياكل حكم الفرد

يقولون بهذا الزعم والتشويش بعد أن أسقطت ثورة 15 مايو كل هياكل حُكم الفرد الواحد في كل المواقع السياسية والتنفيذية. ولكنهم يقولون لأنهم لا يعلمون ولا يريدون لغيرهم أن يعلم، لقد تخلفوا بالفكر والجمود عن حركة التقدم، وتوقعوا بالحد والمرة في عزلة كاملة عن نبض الجماهير.. الجماهير التي تبني الديمقراطية بطموح المزيد من الديمقراطية.

لقد مضت دورتكم الأولى بجهد ملحوظ في مجالات التشريع والتنمية والرقابة الشعبية، وإنني أراها بإقتناع كامل خطوة مزدهرة ونحن نؤسس البناء، ونحن ننمي البناء بالتخطيط العلمي المتطلع إلى مجتمع سنة 2000، وقد هيأت لنا سياسة الإنفتاح أن نستعين بكل الخبرات، وأن نستلهم الخط الصحيح من كل التجارب التي سبقتنا في مضمار التقدم التكنولوجي المذهل الذي يحكم عالم اليوم بسلطان العلم والحساب الدقيق.. ونحمد الله سبحانه وتعالى على أن جماهيرنا قد تفهمت هذه الحقائق العصرية وأحببت بوعيتها بمصالحها كل ما أثارته الأصوات المتحجرة أو الجامدة أو تلك التي تريد لنا أن نعود إلى مذلة التبعية وهوان الإرادة المسلوقة وإشتركية توزيع الفقر. ولكن الجماهير تطالبكم بالشيء الكثير.. إن آلام الجماهير ألح عليها من آمال الإنتظار الطويل، وتطلع الجماهير إلى الحلول السريعة لمتاعبها اليومية يشجب في يقينها أي تكاسل أو تهاون في مواجهة المشكلات التي تستوعبها الحلول الذاتية وإرادة العمل وبقظة الضمير. إن ثقة الجماهير فيمن يمثلها تحت هذه القبة تعطيها الحق كل الحق أن ترى هذا المجلس بلجانه خلية ثورية متكاملة من العمل المتصل للإنجاز السريع والمواجهات المتوثبة لكل أنين يصل إلى بيت الشعب مستخدماً قناته الشرعية، فهذا أساس ثابت في ديمقراطيته.. إن من حق كل مواطن أن يصل صوته إلى بيت الشعب ليعبر بملء الثقة.. هذا بيتي هنا وهذا حقنا هنا.

من أجل هذا فأني أطلع مع الشعب إلى دورة إنجاز كبير لكل التشريعات التي لم يسعف الوقت لإنجازها في الدورة السابقة، وللشروعات الجديدة التي يفرضها التخطيط الكامل للتنمية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية في ظل سياسة

الإفتاح.

والإنجاز الكبير يتطلب مشاركة جماعية متكاملة ملتزمة بمبادئ التطور.. لا يتخلف فيها عضو عن أداء واجبه الوطني الدستوري.. وحتى لا يلمس من يتبعون التجربة الديمقراطية أن أي نكوص عن مبادئ التطور الإشتراكي الذي يطالبنا في كل ما نشرّعه بعدالة توزيع الأعباء.. فلا ارتداد إلى مجتمع القلة والقمة، ولا نكوص عن تكريم عرق كل من يبذل عرقاً على أرضنا.. عرق الكادحين وعرق القادرين.. عرق العائلة المصرية بكل أبنائها.. وتكريم عرق الكادح هو التخفيف عن أعبائه.. وتكريم عرق القادر هو بتحملة القدر الواجب من أعباء الوطن ما دما قد حرّزنا الإنتاج الوطني من القيود المعوقة، وما دما قد أمّنا كل نشاط من أي مصادرة أو تأميم حتى يثمر مجتمع كل المنتجين.

يبقى أن أضع أمامكم ومن خلالكم إلى الشعب الموقف الخارجي كما هو اليوم. تعلمون أنني منذ أن تحملت الأمانة التي عهد بها الشعب إليّ بكل إيمان بالله سبحانه وتعالى وبكل ثقة بالنفس وأمل في المستقبل، أقول آليت على نفسي أن أكرس كل فكري وعلمي للقضية الوطنية والقومية، فليس أعز على النفس من تحرير تراب الوطن واسترداد حقوق شعب شقيق وضعته الأقدار معنا ووضعته معاً في وحدة مصيرية لا انفصام لها.. وقد كان ولا يزال قدر مصر دائماً أن تتحمل العبء الأكبر في أي مواجهة بين الأمة العربية وأعدائها والطامعين فيها، وتلك ضريبة يتقبلها الشعب المصري بكل رضا وقناعة، لا إستسلاماً للمقادير، وإنما خياراً إرادياً لطريق الكفاح عن إدراك تام بتبعاته الجسام ومخاطره التي لا حد لها والتضحيات التي يتطلبها بالروح والدم والقوت.

وبحكم الوعي التاريخي الذي ترسّب في أعماق شعب مصر على مر الزمن والرصيد الحضاري الهائل الذي يستند إليه في كل خطوة يخطوها، فقد احتفظ شعبنا على الدوام وتحت أقسى الظروف بالقدرة الفائقة على وضوح الرؤية وتحديد الهدف، والتفرقة بين ما هو أساسي مبدئي في مسيرة النضال الوطني، وما هو هامشي عارض لا يمس جوهر القضية، وسرعان ما تتجاوز الأحداث فيسقط في زوايا النسيان.

جنيف ليس هدفاً ولكن وسيلة للسلام

من هنا كان إصرار شعبنا على العمل بكل ما أوتي من قوة من أجل تحقيق الهدف القومي الذي يسمو فوق كل هدف ويعلو على كل غاية ويرتفع إلى مصاف الفرائض الدينية لأن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالجهد ما استطعنا إليه سبيلاً من أجل الحفاظ على مقدسات الأمة والذود عن كرامتها وشرفها وردع العدوان الواقع على أبنائها. والمجاهد المؤمن حقاً هو من يحتفظ بالقدرة على مواصلة الجهاد إن حرباً أو سلباً، ويضع هدفه واضحاً نُصّب عينيه ثم يمضي نحوه بأقدام راسخة وهو عالم تماماً بالظروف المحيطة به، قادر على التمييز الواعي بين الخط الإستراتيجي الثابت والحركة التكتيكية المرنة. ثم إن الثوري الأصيل لا يمكن أن ينطلق في نضاله من تجاهل الواقع أو التعامي عنه، وإنما يبدأ من رؤية صادقة للواقع وتصميم أكيد على تغييره بما يتفق مع معتقداته ومبادئه ومصالحه العليا. لذلك فقد كانت أمّتنا صادقة كل الصدق حين خاضت المعركة المجيدة منذ 4 أعوام خلت، ثم إنها كانت ولا تزال أمينة في دعوتها للسلام مخلصه في رغبتها في إحلاله في ربوع المنطقة، لأن هدفاً في النهاية هو أن يعيش كل في وطنه وداخل حدوده آمناً على نفسه وماله ومقدساته قادراً على الإسهام بسخاء في تقدّم البشرية وتوجيه كافة طاقاته إلى تحدي التنمية والتقدم، وتذكرون أنني لم أتردد في مواجهة إسرائيل بتحدي السلام وحرمانها من سلاح كثيراً ما شهرته في وجهنا في المحافل الدولية وحققت به على حسابنا كثيراً من المكاسب بغير حق، إذ إرتدت قناعاً زائفاً واختلست لنفسها على الصعيد الدولي صورة الداعي للسلام المنادي بنبذ الحرب والعنف والدمار، وكانت دعوتي للسلام سابقة للحرب ثم مصاحبة وتالية لها، فقد طرحْتُ من فوق هذا المنبر مبادرة في الرابع من فبراير 1971، دعوت فيها إسرائيل إلى القيام بإنسحاب جزئي على الشاطئ الشرقي للقناة كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ باقي بنود القرار 242، وبالمقابل قلْتُ إننا على إستعداد عندئذ للبدء في تطهير مجرى قناة السويس وإعادة فتحها للملاحة الدولية خدمة للإقتصاد العالمي. وعندما كنا في أوج إنتصارنا العسكري الخالد توجهتُ إلى العالم مرة أخرى من فوق هذا المنبر بمبادرة في السادس عشر من أكتوبر 1973 دعوتُ فيها إلى عقد مؤتمر دولي للسلام في ظل الأمم المتحدة يشترك فيه ممثلو شعب فلسطين البطل بإعتباره طرفاً أساسياً في القضية، وكانت تلك المبادرة في الواقع هي الشرارة الأولى التي تولّد عنها مؤتمر جنيف، عندئذ وضعتُ إسرائيل ولأول مرة منذ قيامها أمام خيار لا تستطيع الإفلات منه أو التلاعب فيه، ولا تستطيع المضي في خداع الرأي العام بدعوة أنها راغبة في السلم، ولكن العرب هم الراضون، اسمحوا لي أن

أُتوقف هنا لحظة لكي أتحديث إليكم وإلى شعبنا وأمتنا عن آخر التطورات المتعلقة بالمؤتمر بإعتبار أنه مطروح في الساحتين العربية والدولية ليس كهدف في حد ذاته، وإنما كوسيلة يمكن أن تؤدي إلى تحقيق الهدف، إذا نحن استطعنا أن نستثمر عناصر القوة لدينا حتى نضع إسرائيل أمام خيار قاطع بين سلام قائم على العدل والشرعية أو مواجهة لا يعلم أحد مداها أو الآثار التي يمكن أن تترتب عليها، فهي مواجهة سوف تسخر لها الأمة العربية كل طاقاتها المادية والمعنوية، وتعرفون جيداً سجل الجهود التي في الأشهر الأخيرة، بهدف عقد المؤتمر في أقرب وقت ممكن، وبالتحديد قبل نهاية هذا العام، بشرط أن يسبق إنعقاده الإعداد له إعداداً جدياً يبشر بتحقيق الهدف من إنعقاده، هذا الإعداد يوصلنا إلى التوصل إلى تسوية سلمية عادلة وشاملة خلال فترة زمنية معقولة، ويحول دون تحوّل المؤتمر إلى منصة للخطابة أو ساحة للمبارزة الكلامية وتبادل الاتهامات وتسجيل المواقف بقصد الدعاية.

أبرز إنجازات كارتر انفتاحه على قضية فلسطين

ومن الإنصاف أن أقول إن الولايات المتحدة قامت بجانب كبير من هذه الجهود، وأن الرئيس كارتر كرس جزءاً كبيراً من وقته واهتمامه للمشكلة وأعطاه أولوية متقدمة على كثير من المشاكل التي تواجهه في الداخل والخارج، وتلك الظاهرة نسجلها له بكثير من التقدير لأنها تعكس رؤية ثابتة لطبيعة الصراع وأبعاده الإقليمية والدولية والآثار التي يمكن أن تنجم عن إستمراره في جميع أنحاء العالم، وفضلاً عن ذلك المسؤولية الخاصة التي تتحملها الولايات المتحدة في هذا الصراع بالذات بالنظر إلى ما قدمته وتقدمه لإسرائيل من دعم عسكري وسياسي وإقتصادي ودبلوماسي، ولعل أبرز إنجازات الرئيس كارتر في هذا الصدد هو انفتاحه على قضية الشعب الفلسطيني، تلك التي إستطاعت إسرائيل بدعايتها الكاذبة وسطوتها المعروفة داخل المجتمع الأميركي أن تطمسها وأن تشوه ملامحها مدة تجاوزت ربع القرن، فإذا بالرئيس كارتر يتمكن خلال شهور معدودة من رفع الغشاوة عن أعين الشعب الأميركي ووضع القضية الفلسطينية في إطارها الصحيح، سواء في بعدها السياسي الذي يتعلق بحق شعب فلسطين في تقرير المصير وإقامة دولته على أرضه، وفي وطنه، أو في بعدها الإنساني الخاص برفع الظلم الذي حاق بأكثر من مليون فلسطيني فرض عليه قسراً وعنوة أن يعيشوا في التيه خارج أرضهم وديارهم. وربما كان الموقف الأميركي تجاه القضية الفلسطينية كما يبلوره ويعبر عنه كارتر في حاجة إلى مزيد من التطور والتنقية من الشوائب التي لا زالت عالقة به من وجهة نظرنا نحن، ولكن الحقيقة أن هذا الموقف هو أول محاولة جدية لتصحيح مسار السياسة الأميركية وإرسائها على مبادئ واضحة بحيث يسهل فهمها والتعامل معها والتنبؤ بالمسار الذي ستأخذه في المستقبل. ونحن جميعاً نعرف أن الولايات المتحدة تقدمت في 29 سبتمبر الماضي بعد إتصالات مكثفة بالأطراف بدأت في المنطقة، في فبراير الماضي وإنتهت في واشنطن في الأسبوع الأخير من سبتمبر بورقة عمل موجزة تعالج الجوانب الإجرائية المتعلقة بإستئناف مؤتمر جنيف بما يتيح إشترك الممثلين الشرعيين لشعب فلسطين في المؤتمر أسوة بباقي الأطراف، وبهذا المعنى كانت الورقة أول تقنين رسمي للإتجاهات الأميركية الجديدة نحو القضية الفلسطينية. في الخامس من أكتوبر عادت الولايات المتحدة فصاغت ورقة جديدة تحت تأثير حملة إسرائيلية محمومة ألقت فيها إسرائيل بجميع أسلحتها المرئية والخفية على المسرح الأميركي، واستعرضت عضلاتها بغير حياء، وربّ ضد الرئيس كارتر وأعوانه بقصد إجبارهم على الإرتداد إلى موقف التأييد المطلق لإسرائيل، أخطأت أم أصابت، كما فعل جونسون، وعدم السير خطوة واحدة أبعد من الموقف الإسرائيلي، كان طبيعياً في ظل هذه الظروف أن تكون لنا ملاحظاتنا وتحفظاتنا على ورقة هذا شأنها، ومن ثم فلم نتردد عندما أبلغنا بها في الرابع عشر من أكتوبر، لم نتردد في وضع ملاحظاتنا ومآخذنا عليها أمام الجانب الأميركي بكل صراحة وأمانة وبكل ولاء للهدف القومي الذي لا نحيد عنه قيد أنملة، ووفاء لأبناء هذه الأمة وأرواح شهدائها الأبرار. في هذه الأثناء صدر بيان سوفيتي - أميركي مشترك في مطلع شهر أكتوبر تعرّض للجوانب الموضوعية للتسوية السلمية، ونحن بطبيعة الحال لا ننظر إلى هذه البيانات كأنها تنزيل من العزيز الحكيم، وإنما نضعها في إطارها الصحيح إعلاناً عن النقطة التي التقت حولها آراء ومصالح الدولتين الأعظم اللتين تحتلان مكانة خاصة على الصعيد العالمي بحكم نفوذهما السياسي والإقتصادي والعسكري، ولكنهما لا تستطيعان في الربع الأخير من القرن العشرين إملاء إرادتهما على أحد.

ثم إننا على أي حال نعتبر من الظواهر الإيجابية أن توجه الدولتان العظميان اهتمامهما إلى مشكلة الشرق الأوسط بإعتبارها مشكلة ملحة وعاجلة يجب إعطاؤها أولوية قصوى على كل ما عداها. نتيجة لكل هذه الإتصالات والخطوات

أصبح الطريق أمام مؤتمر جنيف مفتوحاً على أسس جديدة تختلف بالضرورة عن التصورات الإسرائيلية، وأصبح لدينا ما يدعونا إلى الإطمئنان إلى توفر أهم العناصر التي لا غنى عنها لصحة إنعقاد المؤتمر وسلامة الإتجاه الذي يأخذه. وأشير بالذات إلى نقطتين أساسيتين:

الأولى: تمثيل الشعب الفلسطيني، تمثيلاً حراً وحقيقياً لا دخل لإسرائيل به ولا يد لها فيه.

الثانية: بحث القضية الفلسطينية بشقيها السياسي والإنساني في الإطار السليم بعيداً عن ضباب الغموض. وإذا كان الطريق إلى المؤتمر قد أصبح مفتوحاً إلى حد كبير فإنه يبقى علينا أن نعد له إعداداً كافياً وبكل جدية وبكل شعور بالمسؤولية، لا بإعتباره نهاية المطاف، فما هو بذلك، وإنما على أساس أنه فرصة تاريخية سانحة لإجبار إسرائيل على التخلي عن الأرض المحتلة وعن أحلام التوسع وعن الوقوف في وجه حق الشعب الفلسطيني في الحياة عزيزاً كريماً في وطنه كسائر الأمم والشعوب، والكشف عن وجهها الحقيقي على مشهد ومسمع من العالم.

لا نخشى مواجهة إسرائيل بعد وضعها في حجمها الصحيح

ويهمني ونحن نقرب من تلك المرحلة الدقيقة أن أضع أمامكم وأمام الأمة العربية الخطوط العريضة التي نهتدي بها في تحررنا:

أولاً: إننا لا نخشى على الإطلاق أية صورة من صور المواجهة مع إسرائيل، فقد وضعناها في حجمها الصحيح دون مبالغة ترفعها إلى مصاف القوى الجبارة القادرة على أن تقول للشيء كن فيكون، أو استهانة سهلة تجعلنا نظن أنها كيان هزيل لا حول له ولا قوة. إنما انكششت إسرائيل بعد حرب رمضان المجيدة إلى حجمها الطبيعي، فأصبحت نراها كياناً يمكن وقفه عند حده وردع عدوانه، ومهما أوتيت إسرائيل من قوة وسطوة فيما وراء الحدود ومهما كانت الشبكات التي تعمل لحسابها وتأتّم بأمرها على المسرح الدولي، فلدينا نحن من عناصر القوة ما يفوق كل ما تستطيع إسرائيل أن تعبئه في أي مواجهة، كما أن لدينا من الرصيد الحضاري والنضالي ما يمكننا من الصمود عسكرياً وسياسياً ونفسياً ولدينا من الدراية بالخصم وأساليبه ما يضمن لنا التغلب عليه في أي مجال، ثم إن لدينا قبل هذا وذاك إرادتنا الحرة القادرة على حماية مصالحنا والتميز بين ما يمكن أن نقبله وما يجب أن نرفضه، نحن نقبل ما نقبل ونرفض ما نرفض من واقع رؤيتنا للهدف وإصرارنا على بلوغه، لا تحت ضغط الخوف أو فقدان الثقة أو عدم اليقين. كل هذا وفي معركة أكتوبر، ثم إننا في هذا الموقف أو ذاك لا نستلهم سوى قيمنا الخالدة وتراثنا العريق وعزة وطننا.

ثانياً: إننا في كل تحركنا نحرص على أن نوفر للأمة العربية أقوى وأمضى أسلحتنا، وهو التضامن العربي الحقيقي، ذلك الذي هو تعبير عن الإيمان بوحدة الهدف والمصير وبوحدة المصلحة والخط الإستراتيجي، وإن اختلفت الاجتهادات والظروف التي يراها كل منا مؤدية إلى الهدف. وليس سراً أنني حرصت على إقامة التضامن العادل والحفاظ عليه منذ اليوم الأول الذي كلفني فيه الشعب بتحمل المسؤولية، وحين كان هناك من يشكون أو يتشككون في إمكان قيام التضامن في عالم الحقيقة والواقع. وكان هناك من يصرون على تصنيف أمتنا ما شاء لهم الخيال أن يصنّفوا، ويتفننوا في إيجاد عوامل التفرقة وأسس الخلاف، هذا تقدمي وهذا رجعي وهذا ملكي وهذا جمهوري، كان هناك إصرار تام من جانبي على رفض كل هذه الدعاوى ولا زلت، وكان هناك إصرار تام أيضاً ولا يزال من جانبي على إزالة الإستقطاب الذي كان قائماً في العالم العربي، وعلى هذا فليس هناك من يحرص على التضامن العربي أكثر من حرصنا عليه، ولا من يؤمن بوجوب تنسيق الموقف العربي مثلاً نؤمن به ونجاهد في سبيله.

وفي هذا المجال يسعدني أيها الأخوة والأخوات أن أقول لكم.. أنني في جولتي التي زرت فيها رومانيا وإيران والمملكة العربية السعودية كان هدفي أيضاً هو التنسيق.. ولقد استقبلت... ونسعد جميعاً بمشاركة أخ عزيز.. وصديق نضال رائع هو الأخ ياسر عرفات الذي يجلس معنا.. في المملكة العربية السعودية، كان هناك تنسيق كامل مع الأخ ياسر عرفات.. قائد منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين. كان هناك أيضاً تنسيق.. واستمرت لقاءاتنا أيضاً في هذا اليوم وقبل أن آتي إليكم مباشرة، إتصل بي أخي حافظ الأسد تليفونياً.. وقد اتفقنا على أن أزوره إن شاء الله بعد أن أنجز بعض الأعمال الملحة لكي نتدارس أيضاً أمر التنسيق والإلتزام العربي في أروع صوره وأشكاله. لا شك أننا قرأنا جميعاً بكل الأسى والإشفاق ما يجري اليوم بين الجزائر والمغرب.. والجزائر والمغرب شعبان شقيقان، وكما قلت لكم كان دائماً هدفي منذ أن تسلمت المسؤولية بإرادة هذا الشعب أن أعمل على التضامن العربي في كل صورة.. المشكلة الماضية حينما كانت المواجهة أمراً يكاد يكون حتمياً بين المغرب والجزائر، كما

تعلمون أوفدت نائب الرئيس حسني مبارك حيث قام بجهد مشكور ورائع أمكننا بفضلله أن نوقف.. أو أن نتجنب هذه المواجهة بين شعبين شقيقين لنحارب معركتنا معاً. اليوم لا شك كما قلت إننا جميعاً قرأنا بأسى ما استجد بين الشعبين، ولذلك فإنني أخطركم جرياً أيضاً على السياسة التي أخذت نفسي بها.. وهو إقامة أصلب وأروع تضامن عربي مهما كانت الخلافات.. أقول لكم إنني سأؤفد إن شاء الله باكر نائب رئيس الجمهورية لكي يقوم عنكم وعن مصر بالعمل بين المغرب والجزائر لكي نتقضى أية مضاعفات للتضامن العربي.

مصر حاضرة دائماً من أجل التضامن العربي

يجول في الساحة العربية اليوم أمر آخر هو عقد مؤتمر قمة. وكما قلت لكم إن مصر لا تمنع أيضاً، بل ترحب باللقاء العربي وبالتضامن العربي وبالإخوة العرب. ولكن أخشى أن يكون هذا اللقاء في هذا الوقت سابقاً لأوانه، بمعنى أننا قد اتفقنا في آخر مؤتمر قمة عربي في الرباط، ثم كان المؤتمر الذي عُقد في القاهرة في إستراتيجية عربية ثابتة، يعني تعبر عن مبادئ:

المبدأ الأول: هو الأرض العربية المحتلة بعد عام 1967.

والأمر الثاني: هو عدم المساومة على حق شعب فلسطين وحقه في تقرير مصيره وإقامة دولته، وأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

أخشى إذا ما دعي البعض إلى عقد مؤتمر قمة أن لا يكون هناك جديد لأننا كما حكيت لكم الآن بصدد الإعداد لجنيف، ولم يحدث شيء جديد والتزامنا بالإستراتيجية العربية قائم.. ولكن على كل الأحوال إذا ما أراد الأخوة العرب عقد هذا المؤتمر، فمصر أبداً لا تمنع.. بل إن مصر تعتز دائماً بأن أول مؤتمر قمة عربي كان على أرضها.. وأن الجامعة العربية على أرضها، وأنها حاضرة في كل زمان ومكان من أجل التضامن العربي ومن أجل الأخوة العربية.

إذا كان التضامن العربي ضرورياً لازماً بين جميع أبناء الأمة العربية، فإنه فريضة أشد ضرورة فيما بين من يتحملون مسؤولية مباشرة في المواجهة مع إسرائيل. ولذلك فإننا لا ندخر جهداً في سبيل التنسيق مع شركائنا في خط المواجهة وتبادل معهم الرأي والمشورة في كل ما يؤثر على القضية إيجاباً أو سلباً. وسوف يظل هذا خطنا على الدوام.. حكيت لكم عن لقائي بالأخ ياسر عرفات الذي نسعد بوجوده معنا اليوم والحديث التليفوني الذي جرى بيني وبين الرئيس حافظ الأسد اليوم، ثم منذ يومين لقائي بالأخ الملك حسين هنا أيضاً للتنسيق والعمل على توحيد الموقف العربي، خاصة وقد اتفقنا على أن يكون ذهابنا إلى جنيف في وفد عربي موحد يستلزم أن ننسق جميعاً خطواته.

نقلنا التمزق إلى إسرائيل بعد حرب أكتوبر

ثالثاً: إننا في كل تحرك نقوم به وكل خطوة نخطوها يجب أن نركز على الجوهر ولا ننصرف عنه إلى الإهتمام بالشكل أو التحجر في القوالب الجامدة التي لا تمس صلب القضية ولا تؤثر على مصلحة النزاع، وإذا كان التاريخ خير معلم، فإن صفحاته تتبنا بأن الثوريين الحقيقيين هم الذين يحددون الهدف أمامهم واضحاً ويسعون إليه مهما كلفهم ذلك من تضحيات، دون أن يتوقفوا أمام الشكل أو يحولوا أنظارهم عن جوهر القضية التي يكافحون من أجلها إلى الأشكال والقوالب والصيغ التي لا تتصل بالموضوع، وتحقق هذه الظاهرة بدرجة أكبر كلما كانت القضية عادلة، لأن مثل هذه القضية يكون من الصالح ألا يتوقفوا عند الشكل أو أن يضيعوا وقتهم وجهدهم في مناقشات عقيمة حوله. ولذلك فقد آلينا على أنفسنا ألا نتوقف أكثر مما ينبغي عند الأمور المتصلة بالإجراءات والشكل، وأن نفوت على إسرائيل غرضها ونرفض أن نلعب لعبتها، بل أن نفرض عليها مواجهة شاملة تنفذ على الفور إلى صميم الموضوع ولئب، بحيث لا يمضي وقت إلا وقد توغل البحث في أساس النزاع ومصدر الصراع، الاحتلال الإسرائيلي للأرض العربية إهدار لحقوق شعب فلسطين، كل هذا يجب أن ننفذ إليه بلا هوادة. عندئذ لن نستطيع أحد أن يطلب إلينا أو أن يعرض علينا ما لا نراه محققاً لهدفنا كاملاً لأننا في تحديد هذا الهدف لم نكن مغالين أو متجنين، بل إننا التزمنا فيه بشهادة الجميع بالشرعية الدولية وحكم القانون وما أرسنه جماعة الدول المتمدينة فيصلاً بين الحق والباطل والصواب والخطأ. وهنا نقف وقفة بسيطة لكي أقول لكم حكيت لكم عما أرسلته أميركا الورقة الأولى ثم الورقة الثانية. ومن جانب إسرائيل نلاحظ أنه بيتلقوا هذه الأمور بنوع من العصبية والهستيرية. لماذا؟ لأننا نقلنا فعلاً كل عوامل التمزق وكل ما كنا نعانیه قبل معركة أكتوبر، نقلناه بعد معركة أكتوبر إلى إسرائيل، لدرجة كنت أتحدث إلى بعض الصحفيين في الطائرة أثناء عودتي من الرحلة الأخيرة. وكنت أحكي لهم عن تاريخ الخطوات لعقد مؤتمر جنيف من ضمن هذه الخطوات أنه لما

كان فانس يزورنا هنا في الصيف الماضي إقترحْتُ تكوين لجنة عمل. بعد ذلك سافر فانس ورجع و... ولم يكن هذا إقترح أتقدم بيه على الإطلاق، أنا أبداً ولكن إخواننا الصحفيين فهموا أن ده يمكن يكون إقترح، قاموا خرجوا بيه إسرائيل في الحالة الهستيرية والعصبية ومجلس الوزراء الإسرائيلي يجتمع ويدرس إقتراح السادات و... و... وبعدين بعد ساعات طلع لهم أنه ما فيش إقترح ولا حاجة إطلاقاً، ده أنا بأحكي التاريخ قديم بقالوا ستة أشهر ومغيش إقترحات جديدة، بنوري نوع من العصبية لدى الإسرائيليين.

أنا حكيت هذا كان هنري كيسنجر ونحن نتفاوض عن فض الإشتباك الثاني في سبتمبر 75 يسافر من تل أبيب إلى الإسكندرية حيث كنت موجود، ويلتقي بيه علشان تغيير كلمة أو شكلة أو حرف أو جملة، لدرجة في مرة من هذه المرات قلت له شيء عجيب يعني هذا الكلام لا يساوي ثمن الوقود اللي انت بتستهلكه من تل أبيب إلى إسكندرية، لكن هذا هو شأنه الإسرائيليين هو شأنهم.

لا ضياع أبداً ونحن أصحاب القرار

سمعتوني الآن بأقول نحن لا نحفل أبداً بكل الأساليب الإجرائية وأقولها صريحة أمامكم لشعبنا وللأمة العربية وللعالَم أجمع.. نحن مستعدون للذهاب إلى جنيف والجلوس من أجل قضية السلام، بغض النظر عن كل تلك الدعاوى الإجرائية التي تتمسح بها إسرائيل وتريد أن تضيع علينا الفرصة أو أن تثير أعصابنا لكي نقول كما كنا نقول في الماضي لا.. لا نريد ولا نذهب وتخرج هي إلى العالم بأنها داعية السلام.. أبداً أي عملية إجرائية أنا موافق عليها، ليه؟ في النهاية لما نروح جنيف.. عندما نذهب إلى جنيف لن تستطيع إسرائيل أن تمنعني من أن أتمسك بالأرض المحتلة بعد 67.. الأرض العربية.. لن تستطيع إسرائيل ولا أي قوة أن تمنعني أن أطالب بالحقوق المشروعة وحق تقرير المصير وحق الفلسطينيين في إقامة دولتهم.. هذا هو ما تريد إسرائيل أن تتجنبه بمحاولة اللعب عن طريقة عملية الإجراءات بزيادة كلمة أو نقص كلمة أو إعلان يصدر عن إجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلي، ويحاولوا به أن يثيروا الأمة العربية كما كانوا يفعلوا في الماضي، فتنهار الأعصاب والبعض تصيبه التشنجات ونخرج ونقول لا نريد أن نذهب إلى جنيف.. لا.. أبداً.. أنا أمامكم وأمام شعبنا وأمام الأمة العربية لا تهمني العمليات الإجرائية على الإطلاق، فلتكن الإجراءات وليكن انفعال وهستيرية إسرائيل ما تكون.. أنا ذاهب إلى جنيف، وكما قلت لن تستطيع لا إسرائيل ولا قوى العالم مجتمعة أن تثني عني عما أريد.. الأرض العربية في 67.. حقوق شعب فلسطين وحقه في قيام دولته.. ما دام هذا.. أو ما دامت هذه هي قناعتني الذي يخشى جنيف هي إسرائيل.. لا يجب أن يخشى جنيف أي عربي أبداً ليه؟ لأنه إحنا صدرنا زي ما قلت لكم.. كما قلت صدرنا التمزق.. صدرنا الخوف.. صدرنا الانهزامية.. صدرنا الشك والريبة.. كل اللي كنا بنعيشه صدرناه إلى المجتمع الإسرائيلي.. فلما نعيده لأنفسنا تاني.. ليه؟.. أبداً.. أنا جاهز أذهب إلى جنيف، بل لا أخفيكم وأنتم ممثلو الشعب وعلى مسمع من شعبنا وعلى مسمع من أمتنا العربية.. سمعتوني أقول أنني مستعد أن أسافر إلى آخر هذا العالم إذا كان في هذا ما يحمي أن يجرح مش يقتل.. أن يجرح عسكري أو ضابط من أولادي.. أنا أقول فعلاً مستعد أن أذهب إلى آخر هذا العالم، وستدهش إسرائيل حينما تسمعني الآن أقول لا نرفض.. إنني مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم.

أحمد الله.. أيها الأخوة والأخوات أعضاء مجلس الشعب.. لا وقت ولا ضياع أبداً ونحن أصحاب القرار ولا قرار إلا بإذن الشعب، والشعب يريدنا أن نتجه إلى الأمام لكي نعوض ما فات وما فاتنا كثير.. الشعب يريدنا أن نعمل بأكثر مما نتكلم.. الشعب يريدنا أن نعطي كل العرق لبناء الغد الجديد، فلا فائدة من تناذب على ماضي ذهاب وولى أو بكاء وتباكي على أنقاض تراكمت وزحمت الطريق. فإن إرادة العمل قادرة دائماً على تعبيد الطريق.. قادرة دائماً وبعرق الإنسان على تحويل الأنقاض إلى مساحات بناء وعمران.

إن التأثير الإيجابي على الحياة اليومية للجماهير سيراً لحقها في الخدمات وتوفيراً لحقها في عائد عادل لجهدا هو الكلمة الوحيدة التي تقبل الجماهير سماعها، لأنها ترجمة للكلمة بالعمل، والعمل المنتج الملموس هو وحده البذرة الصالحة لنمو الأمل الصادق في صدور الجماهير.. والأمل الصادق ليس صيحات زيف وخداع أو شعارات تبرير وتخدير.. الأمل الصادق هو حلم الثائر يريد له الثائر أن يتحقق وهو المنار المشرق لخطى العمل.

أحمد الله فالمستقبل كله أمل.. سمعتم عن رحلتي التي سأقوم فيها بزيارة لمحافظة من الجمهورية.. وأريد أن أقرر أمامكم هنا أنني سأحرص على أن أوفر في هذه الرحلة الأرض وستبدأ بمليون فدان إن شاء الله لكي توزع على أبناءنا.

بدأنا والحمد لله.. مدينة العاشر من رمضان اليوم تتار، إستخرجت المياه ووصلت الكهرباء والنور، وبعد شهرين فقط أي قبل نهاية هذا العام يبدأ الذين تملكوا فيها هناك استلام أراضيهم وبدء البناء.. مصانع البيوت الجاهزة وصلت.. التركيز على الطعام، كما قلت لكم بكل قوة وبكل تركيز مستمر.. أعدكم أنه في منتصف العام المقبل إن شاء الله ستكون الإنجازات واضحة في هذين المجالين، وهما مجال الطعام والإسكان.. أعدكم أن في رحلتي المقبلة أن أبني الأمل لكل مواطن في هذا البلد لكي يبني حياته.. ولكي يتملك من أرضنا الطيبة.. أرضنا وهي أنبل ما في مصر.. لكي يتملك جزءاً من هذه الأرض فيحس دائماً بالانتماء في كل النواحي. أتابع برغم كل ما أقرأه.. أتابع الإنجاز الذي يتم بواسطة الحكومة في كل المرافق التي أهملت، كالتليفونات وغيرها.. وكيف أنه أحدث ما في العصر الآن يُستخدم لإزالة كل هذه المعوقات، المسألة كلها أنه في وقت قصير على الحكومة أن تقوم بأعمال لا يتصورها العقل، ومع ذلك أحمد الله من متابعتي وقد طلبت أن تطلعوا أنتم.. ويطلع الشعب على كل هذه الخطوات حتى نعرف أننا بحمد الله نسير في الطريق السليم.. وأن الأمل مشرق.. إننا في سبيل أن نجتاز عنق الزجاجة التي نحن فيها الآن.. وبمجيء سنة 1980 إن شاء الله بنبدأ مرحلة الانطلاق من أجل رخاء كل مواطن ومن أجل تحقيق رفاهية كل إنسان على هذه الأرض.

كلمتي إليكم.. ونحن على مشارف دورة عمل جديدة.. كلمتي إليكم.. ازرعوا الأمل.. افتحوا طاقات النور.. اطرءوا الأحقاد وصانعي الشر والشرور، بالعمل والإيمان والحب. بذلك نصنع الخير ونبني أمجاد الحياة.

(رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)

والسلام عليكم ورحمة الله

خطاب رئيس مصر محمد أنور السادات في الكنيست (مجلس النواب الإسرائيلي)

جلسة الكنيست الخاصة رقم 43 للكنيست التاسعة بتاريخ 20-11-1977 الساعة الرابعة عصرًا

السيد الرئيس

أيها السادات والسادات

إسمحو لي أولاً أن أتوجه إلى السيد رئيس الكنيست بالشكر الخاص، لإتاحته هذه الفرصة، لكي أتحدث إليكم. وحين أبدأ حديثي أقول:

السلام عليكم ورحمة الله، والسلام لنا جميعاً، بإذن الله.

السلام لنا جميعاً، على الأرض العربية وفي إسرائيل، وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير، المعقّد بصراعاته الدامية، المضطرب بتناقضاته الحادّة، المهّدّد بين الحين والحين بالحروب المدمّرة، تلك التي يصنعها الإنسان، ليقضي بها على أخيه الإنسان. وفي النهاية، وبين أنقاض ما بنى الإنسان، وبين أشلاء الضحايا من بني الإنسان، فلا غالب ولا مغلوب، بل إنّ المغلوب الحقيقي دائماً هو الإنسان، أرقى ما خلقه الله. الإنسان الذي خلقه الله، كما يقول غاندي، قدّيس السلام، "لكي يسعى على قَدَميه، يبني الحياة، ويعبد الله".

وقد جنّت إليكم اليوم على قَدَمَيْنِ ثابتَيْنِ، لكي نبني حياة جديدة، لكي نُقيم السلام. وكلنا على هذه الأرض، أرض الله، كلنا، مسلمين ومسيحيين ويهود، نعبد الله، ولا نشرك به أحداً. وتعاليم الله ووصاياه، هي حب وصدق وطهارة وسلام.

وإنني ألتمس العذر لكل من إستقبل قرار، عندما أعلنته للعالم كله أمام مجلس الشعب المصري، بالدهشة، بل الدهول. بل إن البعض، قد صوّرت له المفاجأة العنيفة، أن قرارى ليس أكثر من مناورة كلامية للإستهلاك أمام الرأي العام العالمي، بل وصفه بعض آخر بأنه تكتيك سياسي، لكي أخفي به نواياي في شَنّ حرب جديدة.

ولا أخفي عليكم أن أحد مساعديّ في مكتب رئيس الجمهورية، إتصل بي في ساعة متأخرة من الليل، بعد عودتي إلى بيتي من مجلس الشعب، ليسألني، في قلق: وماذا تفعل، يا سيادة الرئيس، لو وجّهت إليك إسرائيل الدعوة فعلاً؟ فأجبت، بكل هدوء: سأقبلها على الفور.

لقد أعلنتُ أنني سأذهب إلى آخر العالم. سأذهب إلى إسرائيل، لأنني أريد أن أطرح الحقائق كاملة أمام شعب إسرائيل.

إنني ألتمس العذر لكل من أذهله القرار، أو تشكّك في سلامة النوايا وراء إعلان القرار. فلم يكن أحد يتصور أن رئيس أكبر دولة عربية، تتحمل العبء الأكبر والمسؤولية الأولى في قضية الحرب والسلام في منطقة الشرق الأوسط، يمكن أن يعرض قراره بالإستعداد للذهاب إلى أرض الخصم. ونحن لا نزال في حالة حرب، بل نحن جميعاً لا نزال نعاني آثار أربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاماً، بل إن أسر ضحايا حرب أكتوبر 1973، لا تزال تعيش مآسي الترميل، وفقد الأبناء، واستشهاد الآباء والإخوان.

كما أنني، كما سبق أن أعلنتُ من قبل، لم أتناول هذا القرار مع أحد من زملائي وإخوتي، رؤساء الدول العربية، أو دول المواجهة. ولقد إعترض من إتصل بي منهم، بعد إعلان القرار، لأن حالة الشكّ الكاملة، وفقدان الثقة الكاملة، بين الدول العربية والشعب الفلسطيني من جهة، وبين إسرائيل من جهة أخرى، لا تزال قائمة في كل النفوس. ويكفي أن أشهراً طويلة، كان يمكن أن يحلّ فيها السلام قد ضاعت سدى، في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول إجراءات عقد مؤتمر جنيف، وكلها تعبّر عن الشكّ الكامل وفقدان الثقة الكاملة.

ولكنني أصارحكم القول بكل الصدق، إنني إتخذتُ هذا القرار بعد تفكير طويل، وأنا أعلم أنه مخاطرة كبيرة، لأنه إذا كان الله قد كتب لي قدرى أن أتولى المسؤولية عن شعب مصر، وأن أشارك في مسؤولية المصير، بالنسبة إلى الشعب

العربي وشعب فلسطين، فإنَّ أول واجبات هذه المسؤولية، أن استتد كل السُّبل، لكي أجَنَّب شعبي المصري العربي، وكل الشعب العربي، ويلات حروب أخرى، محطمة، مدمرة، لا يعلم مداها إلاَّ الله. وقد إقتنعتُ بعد تفكير طويل، أن أمانة المسؤولية أمام الله، وأمام الشعب، تفرض عليَّ أن أذهب إلى آخر مكان في العالم، بل أن أحضر إلى بيت المقدس، لأخاطب أعضاء الكنيسة، ممثلي شعب إسرائيل، بكل الحقائق التي تعتمل في نفسي، وأترككم بعد ذلك لكي تقررروا لأنفسكم. وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء.

أيها السيدات والسادة

إنَّ في حياة الأمم والشعوب لحظات، يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة، أن ينظروا إلى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه، من أجل انطلاقة جسور نحو آفاق جديدة.

وهؤلاء الذين يتحملون، مثلنا تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا، هم أول من يجب أن تتوافر لديهم الشجاعة لإتخاذ القرارات المصيرية، التي تتناوب مع جلال الموقف. ويجب أن ترتفع جميعاً فوق جميع صور التعصب، وفوق خداع النفس، وفوق نظريات التفوق البالية. ومن المهم ألاَّ ننسى أبداً أن العصمة لله وحده.

وإذا قلتُ إنني أريد أن أجَنَّب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفعجة، فإنني أعلن أمامكم، بكل الصدق، أنني أحمل نفس المشاعر، وأحمل نفس المسؤولية، لكل إنسان في العالم، وبالتأكيد نحو الشعب الإسرائيلي.

ضحية الحرب: الإنسان. إنَّ الروح، التي تزهق في الحرب هي روح إنسان، سواء كان عربياً أو إسرائيلياً. إنَّ الزوجة التي تتحمل هي إنسانة من حقها أن تعيش في أسرة سعيدة، سواء كانت عربية أو إسرائيلية.

إنَّ الأطفال الأبرياء الذين يفقدون رعاية الآباء وعطفهم، هم أطفالنا جميعاً، على أرض العرب أو في إسرائيل، لهم علينا المسؤولية الكبرى في أن نوفر لهم الحاضر الهانئ والغد الجميل.

من أجل كل هذا، ومن أجل أن نحمي حياة أبنائنا وأخواتنا جميعاً، من أجل أن تُنتج مجتمعاتنا وهي آمنة مطمئنة، من أجل تطوُّر الإنسان وإسعاده وإعطائه حقَّه في الحياة الكريمة، من أجل مسؤوليتنا أمام الأجيال المقبلة، من أجل بسمه كل طفل يولد على أرضنا... من أجل كل هذا، إتخذتُ قراري أن أحضر إليكم رغم كل المحاذير لكي أقول كلمتي.

ولقد تحملتُ وأتحمَل متطلبات المسؤولية التاريخية. ومن أجل ذلك، أعلنت من قبل، ومنذ أعوام، وبالتحديد في 4 فبراير 1971، أنني مستعد لتوقيع إتفاق سلام مع إسرائيل. وكان هذا أول إعلان يصدر عن مسؤول عربي منذ أن بدأ الصراع العربي - الإسرائيلي. وبكل هذه الدوافع التي تفرضها مسؤولية القيادة، أعلنتُ في السادس عشر من أكتوبر 1973، وأمام مجلس الشعب المصري، الدعوة إلى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم.

ولم أكن في ذلك الوقت، في وضع من يستجدي السلام أو يطلب وقْف النار. وبهذه الدوافع كلها، التي يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي، وقَعنا إتفاق فكِّ الإشتباك الأول، ثم إتفاق فكِّ الإشتباك الثاني في سيناء. ثم سعيُّنا لنطرق الأبواب، المفتوحة والمغلقة، لإيجاد طريق معين نحو سلام دائم، عادل. وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله، لكي نتفهم دوافعنا وأهدافنا، ولكي تقتنع فعلاً أننا دعاة عدل وصنَّاع سلام.

وبهذه الدوافع كلها، قررتُ أن أحضر إليكم، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وإرادة واعية، لكي نُقيم السلام الدائم، القائم على عدل.

وشاءت المقادير أن تجيء رحلتي إليكم، رحلة السلام، في يوم العيد الإسلامي الكبير، عيد الأضحى المبارك، عيد التضحية والفداء، حين أسلم إبراهيم عليه السلام، جدُّ العرب واليهود. أقول حين أمره الله، وتوجَّه إليه بكل جوارحه، لا عن ضعف، بل عن قوة روحية هائلة، وعن إختيار حرٍّ للتضحية بقلده كبده، بدافع من إيمانه الراسخ، الذي لا يتزعزع، بمُثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقاً. ولعلَّ هذه المصادفة، تحمل معنى جديداً في نفوسنا جميعاً، لعلَّه يصبح أملاً حقيقياً في تباشير الأمن والأمان والسلام.

أيها السيدات والسادة

دعونا نتصارع، بالكلمة المستقيمة، والفكرة الواضحة، التي لا تحمل أي التواء. دعونا نتصارع اليوم، والعالم كله، بغربه وشرقه، يتابع هذه اللحظات الفريدة، التي يمكن أن تكون نقطة تحوُّل جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم، إن لم يكن في العالم كله.

دعونا نتصارع، ونحن نجيب عن السؤال الكبير: كيف يمكن أن نحقق السلام الدائم، العادل؟

لقد جئت إليكم أحمل جوابي الواضح الصريح عن هذا السؤال الكبير، لكي يسمعه الشعب في إسرائيل، ولكي يسمعه العالم أجمع، ولكي يسمعه أيضًا كل أولئك الذين تصل أصوات دعواتهم المخلصة إلى أذني، أملاً في أن تتحقق في النهاية، النتائج التي يريجوها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي.

وقبل أن أعلن جوابي، أرجو أن أؤكد لكم، أنني أعتمد، في هذا الجواب الواضح الصريح، على حقائق عدة، لا مهرب لأحد من الاعتراف بها:

الحقيقة الأولى، إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين.

الحقيقة الثانية، إنني لم أتحدث ولن أتحدث بلُغَتَيْن، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياسَتَيْن.

ولست أتعامل مع أحدٍ، إلا بلُغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد.

الحقيقة الثالثة، إن المواجهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

الحقيقة الرابعة، إن دعوة السلام الدائم، العادل، المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة، أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيراً واضحاً عن إرادة المجتمع الدولي، سواء في العواصم الرسمية، التي تصنع السياسة وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة وإتخاذ القرار.

الحقيقة الخامسة، ولعلها أبرز الحقائق وأوضحها، إن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضَعْف أو إهْتِزاز، بل إنها على العكس تماماً، تملك من مقومات القوة والإستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام. صادرة عن إدراك حضاري أنه لكي تتجنب كارثة محققة، علينا وعليكم وعلى العالم كله، فإنه لا بديل من إقرار سلام دائم وعادل، لا ترزعه الأنواء ولا تعبث به الشكوك ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا.

من واقع هذه الحقائق، التي أردت أن أضعكم في صورتها كما أراها، أرجو أيضًا أن أحذركم، بكل الصدق، أحذركم من بعض الخواطر، التي يمكن أن تطرأ على أذهانكم.

إن واجب المصارحة يقتضي أن أقول لكم ما يلي:

أولاً: إنني لم أجيء إليكم لكي أعقد إتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. ليس هذا وارداً في سياسة مصر. فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل. وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل، فإنه لن يُقيم السلام الدائم، العادل، في المنطقة كلها. بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم العادل الذي يلح العالم كله اليوم عليه.

ثانياً: إنني لم أجيء إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمتها إلى مرحلة تالية. فليس هذا هو الحل الجذري، الذي يصل بنا إلى السلام الدائم.

ويرتبط بهذا، أنني لم أجيء إليكم لكي نتفق على فضّ إشتباك ثالث في سيناء، أو في سيناء والجولان والضفة الغربية. فإن هذا يعني أننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل إلى أي وقت مقبل، بل هو يعني أننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام، وأنها أضعف من أن تتحمل أعباء ومسؤوليات السلام الدائم العادل.

لقد جئت إليكم لكي نبني معاً السلام الدائم العادل، حتى لا تُرق نقطة دم واحدة من جسد عربي أو إسرائيلي.

ومن أجل هذا، أعلنُ أنني مستعدّ لأن أذهب إلى آخر العالم.

وهنا نعود إلى الإجابة عن السؤال الكبير: كيف نحقق السلام الدائم العادل؟

في رأيي، وأعلنها من هذا المنبر للعالم كله، أن الإجابة ليست مستحيلة، ولا هي بالعسيرة، على الرغم من مرور أعوام طويلة من تأثر الدم، والأحقاد الكراهية، وتنشئة أجيال على القطيعة الكاملة، والعداء المستحكم. الإجابة ليست عسيرة، ولا هي مستحيلة، إذا طرّفنا سبيل الخط المستقيم بكل الصدق والأمانة.

أنتم تريدون العيش معنا في هذه المنطقة من العالم. وأنا أقول لكم، بكل الإخلاص، إننا نرحب بكم بيننا، بكل الأمن والأمان.

إنّ هذا في حد ذاته، يشكّل نقطة تحوّل هائلة من علامات تحوّل تاريخي حاسم.

لقد كنّا نرفضكم، وكانت لنا أسبابنا ودعوانا.. نعم.

لقد كنّا نرفض الاجتماع بكم، في أي مكان.. نعم.

لقد كنّا نصفكم بإسرائيل المزعومة.. نعم.
لقد كانت تجمعا المؤتمرات أو المنظمات الدولية، وكان ممثلونا، ولا يزالون، لا يتبادلون التحية والسلام.. نعم.
حدث هذا، ولا يزال يحدث.
لقد كنّا نشترط لأي مباحثات وسيطاً، يلتقي كل طرف على انفراد.. نعم.
هكذا تمّت مباحثات فضّ الإشتباك الأول. وهكذا أيضاً تمّت مباحثات فضّ الإشتباك الثاني.
كما أن ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف الأول، دون تبادل كلمة مباشرة.. نعم. هذا حدث.
ولكنني أقول لكم اليوم، وأعلن للعالم كله، إننا نقبل بالعيش معكم في سلام دائم وعادل. ولا نريد أن نحيطكم أو أن تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير، أو بقذائف الأحقاد والكراهية.
ولقد أعلنت أكثر من مرة، أن إسرائيل أصبحت حقيقة واقعة، إترف بها العالم، وحملت القوّتان العظميان مسؤولية أمنها وحماية وجودها. ولما كنّا نريد السلام، فعلاً وحَقّاً، فإننا نرحب بأن تعيشوا بيننا، في أمن وسلام، فعلاً وحَقّاً.
لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخّم مرتفع، حاولتم أن تبْنُوهُ على مدى ربع قرن من الزمان. ولكنه تحطّم في عام 1973.

كان جداراً من الحرب النفسية، المستمرة في التهابها وتصاعدها.
كان جداراً من التخويف بالقوة القادرة على اكتساح الأمة العربية من أقصاها إلى أقصاها.
كان جداراً من الترويج أننا أمة تحولت إلى جثة بلا حراك، بل إن منكم من قال إنه حتى بعد مضيّ خمسين عاماً مقبلة فلن تقوم للعرب قائمة من جديد.
كان جداراً يهدد دائماً بالذراع الطويلة القادرة على الوصول إلى أي موقع وإلى أي بُعد.
كان جداراً يحذّرنا من الإبادة والفناء إذا نحن حاولنا أن نستخدم حقنا المشروع في تحرير أرضنا المحتلة.
وعلينا أن نعترف معاً بأن هذا الجدار قد وقع وتحطّم في عام 1973، ولكن، بقي جدار آخر. هذا الجدار الآخر، يشكّل حاجزاً نفسياً معقّداً بيننا وبينكم. حاجزاً من الشكوك، حاجزاً من النفور، حاجزاً من خشية الخداع، حاجزاً من الأوهام حول أي تصرف أو فعل أو قرار، حاجزاً من التفسير الخاطئ لكل حدث أو حديث.
وهذا الحاجز النفسي، هو الذي عبّرت عنه في تصريحات رسمية، بأنه يشكّل سبعين في المائة من المشكلة.
وإنني أسألكم اليوم، بزيارتي لكم، لماذا لا نمدّ أياديها، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نحطم هذا الحاجز معاً؟
لماذا لا تتفق إراداتنا، بصدق وإيمان وإخلاص، لكي نزيل معاً كل شكوك والخوف والعتور والتواء المقاصد وإخفاء حقائق النوايا؟

لماذا لا ننصدي معاً، بشجاعة الرجال، وبجسارة الأبطال، الذين يهبون حياتهم لهدف أسمى؟
لماذا لا ننصدي معاً، بهذه الشجاعة والجسارة، لكي نُقيم صرحاً شامخاً للسلام، يحمي ولا يهدّد، يشعّ لأجيالنا القادمة أضواء الرسالة الإنسانية نحو البناء والتطور ورفعة الإنسان؟
لماذا نُورث هذه الأجيال نتائج سفك الدماء، وإزهاق الأرواح، وتيتيم الأطفال، وترمّل الزوجات، وهذم الأسر، وأنين الضحايا؟

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق، التي أوردتها في أمثال سليمان الحكيم:
"الغش في قلب الذين يفكرون في الشرّ. أما المبشرون بالسلام، فلهم فرح".
"لقمة يابسة، ومعها سلامة، خير من بيت مليء بالذبائح، مع الخصام".
لماذا لا نردّد معاً من مزامير داوود النبي:
"إليك، يا رب، أصرخ. أسمع صوت تضرّعي، إذا استغثت بك. وأرفع يدي إلى محراب قُدسك، لا تجذبني مع الأشرار ومع فَعلة الإثم، المخاطبين أصحابهم بالسلام، والشرّ في قلوبهم. أعطهم حسب فعلهم، وحسب شر أعمالهم. أطلب السلامة وأسعى وراءها".

أيها السادة

الحق أقول لكم، إن السلام لن يكون إسماعاً على مسمّى، ما لم يكن قائماً على العدالة، وليس على احتلال أرض الغير. ولا يسوغ أن تطلبوا لأنفسكم ما تتكرونها على غيركم.
وبكل صراحة، وبالروح التي حدث بي على القدوم إليكم اليوم، فإنني أقول لكم، إنّ عليكم أن تتخلّوا نهائياً عن أحلام

الغزو، وأن تتخلّوا أيضًا عن الاعتقاد بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع العرب. إنَّ عليكم أن تستوعبوا جيدًا دروس المواجهة بيننا وبينكم، فلن يجيدكم التوسع شيئاً. ولكي نتكلم بوضوح، فإن أرضنا لا تقبل المساومة، وليست عُرضة للجدل. إنَّ التراب الوطني والقومي، يُعتبر لدينا في منزلة الوادي المقدس طوى، الذي كلَّم فيه الله موسى عليه السلام. ولا يملك أي منا، ولا يقبل أن يتنازل عن شبر واحد منه، أو أن يقبل مبدأ الجدل والمساومة عليه. والحق أقول لكم أيضًا، إن أماننا اليوم الفرصة السانحة للسلام، وهي فرصة لا يمكن أن يوجد بمثلها الزمان، إذا كنَّا جادّين حقًّا في النضال من أجل السلام. وهي فرصة، لو أضعناها، أو بددناها، فلسوف تحلّ بالمتآمر عليها لعنة الإنسانية ولعنة التاريخ. ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟

أن تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب في أمن واطمئنان. هذا منطق أقول له نعم. أن تعيش إسرائيل في حدودها آمنة من أي عدوان. هذا منطق أقول له نعم. أن تحصل إسرائيل على كل أنواع الضمانات، التي تؤمّن لها هاتين الحقيقتين. هذا مطلب أقول له نعم. بل إننا نعلن أننا نقبل كل الضمانات الدولية، التي تتصورونها، وممن ترصّونه أنتم. نعلن أننا نقبل كل الضمانات، التي تريدونها من القوتين العظميين، أو من إحداهما، أو من الخمسة الكبار، أو من بعضهم.

وأعود فأعلن بكل الوضوح، إننا قابلون بأي ضمانات ترتضونها، لأننا في المقابل سنأخذ نفس الضمانات. خلاصة القول، إذا، عندما تُسأل: ما هو السلام بالنسبة إلى إسرائيل؟ يكون الرد هو أن تعيش إسرائيل في حدودها مع جيرانها العرب في أمن وأمان، وفي إطار كل ما ترتضيه من ضمانات، يحصل عليها الطرف الآخر.

ولكن كيف يتحقق هذا؟ كيف يمكن أن نصِلَ إلى هذه النتيجة، لكي نصِلَ بها إلى السلام الدائم العادل؟ هناك حقائق لا بد من مواجهتها، بكل شجاعة ووضوح. هناك أرض عربية احتلتها، ولا تزال تحتلها إسرائيل بالقوة المسلحة، ونحن نصرّ على تحقيق الإنسحاب الكامل منها، بما فيها القدس العربية.

القدس التي حضرث إليها باعتبارها مدينة السلام، والتي كانت، وسوف تظل على الدوام، التجسيد الحي للتعایش بين المؤمنين بالديانات الثلاث.

وليس من المقبول أن يفكر أحد في الوضع الخاص لمدينة القدس، في إطار الضم أو التوسع. وإنما يجب أن تكون مدينة حرة، مفتوحة لجميع المؤمنين.

وأهم من كل هذا، فإن تلك المدينة، يجب ألا تُفصل عن هؤلاء الذين إختاروها مقرّاً ومقاماً لعدة قرون. وبدلاً من إيقاد الحروب الصليبية، فإننا يجب أن نحیی روح عمر بن الخطاب وصلاح الدين، أي روح التسامح واحترام الحقوق.

إنَّ دور العبادة، الإسلامية والمسيحية، ليست مجرد أماكن لأداء الفرائض والشعائر، بل إنها تقوم شاهد صدقٍ على وجودنا، الذي لم ينقطع في هذا المكان، سياسياً وروحياً وفكرياً.

وهنا، فإنه يجب ألا يخطئ أحد تقدير الأهمية والإجلال اللذين نكنّهما للقدس، نحن معشر المسيحيين والمسلمين. ودعوني أقلّ لكم، بلا أدنى تردد، إنني لم أجيء إليكم تحت هذه القبة، لكي أتقدم برجاء أن تُجلبوا قواتكم من الأرض المحتلة. إن الإنسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد 1967، أمر بديهي، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد.

ولا معنى لأي حديث عن السلام الدائم، العادل، ولا معنى لأي خطوة لضمان حياتنا معاً في هذه المنطقة من العالم، في أمن وأمان، وأنتم تحتلون أرضاً عربية بالقوة المسلحة. فليس هناك سلام يستقيم أو يُبنى، مع احتلال أرض الغير.

نعم، هذه بديهية، لا تقبل الجدل والنقاش، إذا خلُصت النوايا وصدّق النضال، لإقرار السلام الدائم، العادل، لجيلنا ولكل الأجيال من بعدنا.

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية، فليس هناك من ينكر أنها جوهر المشكلة كلها، وليس هناك من يقبل، اليوم، في

العالم كله، شعارات رُفعت هنا في إسرائيل، تتجاهل وجود شعب فلسطين، بل تتساءل أين هو هذا الشعب؟ إنَّ قضية شعب فلسطين، وحقوق شعب فلسطين المشروعة، لم تعد اليوم، موضع تجاهل أو إنكار من أحد. بل لا يحتمل عقل يفكر أن تكون موضع تجاهل أو إنكار.

إنها واقع إستقبله المجتمع الدولي، غربًا وشرقًا، بالتأييد والمساندة والإعتراف، في موثائق دولية وبيانات رسمية، لن يجدي أحداً أن يصمّ أذنيه عن دويها المسموع، ليل نهار، أو أن يُغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية، حتى الولايات المتحدة الأميركية حليفكم الأول، التي تحمل قمة الإلتزام لحماية وجود إسرائيل وأمنها، والتي قدّمت وتقدّم إلى إسرائيل كل عون معنوي ومادي وعسكري. أقول حتى الولايات المتحدة اختارت أن تواجه الحقيقة والواقع، وأن تعترف بأن للشعب الفلسطيني حقّ مشروعة، وأن المشكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره، وطالما بقيت معلقة دون حل، فإن النزاع سوف يتزايد ويتصاعد، ليلبغ أبعادًا جديدة. وبكل الصدق، أقول لكم إن السلام لا يمكن أن يتحقق بغير الفلسطينيين، وإنه لخطأ جسيم، لا يعلم مداه أحد، أن نُغمض الطرف عن تلك القضية، أو ننحّيها جانبًا.

ولن أستطرد في سرد أحداث الماضي، منذ صدر وعد بلفور لستين عامًا خلت، فأنتم على بيّنة من الحقائق جيّدًا. وإذا كنتم قد وجدتم المبرر، القانوني والأخلاقي، لإقامة وطن قومي على أرض، لم تكن كلها مُلكاً لكم، فأولى بكم أن تتقهموا إصرار شعب فلسطين على إقامة دولته من جديد في وطنه.

وحين يُطالب بعض الغلاة المتطرفين أن يتخلّى الفلسطينيون عن هذا الهدف الأسمى، فإنّ معناه، في الواقع وحقيقة الأمر، مطالبة لهم بالتخلي عن هويتهم، وعن كل أمل لهم في المستقبل.

إنني أحيي أصواتًا إسرائيلية، طالبت بالإعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني، وصولاً إلى السلام، وضمنًا له. ولذلك، فإنني أقول، أيها السيدات والسادة، إنه لا طائل من وراء عدم الإعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في إقامة دولته وفي العودة. لقد مرّزنا، نحن العرب، بهذه التجربة من قبل، معكم، ومع حقيقة الوجود الإسرائيلي، وانتقل بنا الصراع من حرب إلى حرب، ومن ضحايا إلى مزيد من الضحايا، حتى وصلنا، اليوم، نحن وأنتم، إلى حافة هاوية رهيبة وكارثة مروّعة، إذا نحن لم نغتتم اليوم معًا فرصة السلام الدائم والعدل.

عليكم أن تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة، كما واجهته أنا.

ولا حلّ لمشكلة أبدًا بالهروب منها، أو بالتعالي عليها.

ولا يمكن أن يستقر سلام بمحاولة فرض أوضاع وهمية، أدار لها العالم كله ظهره، وأعلن نداءه الإجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة.

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرغة مع الحق الفلسطيني.

ولا جدوى من خلق العقبات، إلّا أن تتأخر مسيرة السلام، أو أن يُقتل السلام.

وكما قلت لكم، فلا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين. كما أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم، هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح. والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية، واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم، عادل، هو في أن تقوم دولته.

ومع كل الضمانات الدولية، التي تطلبونها، فلا يجوز أن يكون هناك خوف من دولة وليدة، تحتاج إلى معونة كل دول العالم لقيامها. وعندما تدق أجراس السلام، فلن توجد يد لتدق طبول الحرب، وإذا وُجدت، فلن يُسمع لها صوت.

وتصوروا معي إتفاق سلام في جنيف، نزقّه إلى العالم المتعطش إلى السلام. إتفاق سلام يقوم على:

أولاً: إنهاء الإحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، التي أُحتلت في عام 1967.

ثانياً: تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني، وحقه في تقرير المصير، بما في ذلك حقه في إقامة دولته.

ثالثاً: حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة، والمضمونة عن طريق إجراءات يُتفق عليها، تُحقق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة.

رابعاً: تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها، طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الإلتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية.

خامساً: إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة.

أيها السيدات والسادة

إنّ السلام ليس توقيعاً على سطور مكتوبة، بل إنه كتابة جديدة للتاريخ، إنّّ السلام ليس مباراة في المناداة به، للدفاع

عن أية شهوات أو لِسْتَر أية أطماع، فالسلام في جوهره نضال جَبَّار ضد كل الأطماع والشهوات. ولعل تجارب التاريخ، القديم والحديث، تُعلِّمنا جميعاً أن الصواريخ والبوارج والأسلحة النووية، لا يمكن أن تُقيِّم الأمن، ولكنها على العكس تُحطِّم كل ما يبنيه الأمن.

وعلينا، من أجل شعوبنا، من أجل حضارة صنعها الإنسان، أن نحمي الإنسان في كل مكان، من سلطان قوة السلاح. علينا أن نُعلي سلطان الإنسانية بكل قوة القيم والمبادئ، التي تُعلي مكانة الإنسان. وإذا سمحتم لي أن أتوجه بندائي من هذا المنبر إلى شعب إسرائيل، فإنني أتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة، إلى كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل،

إنني أحمل إليكم من شعب مصر، الذي يُبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل السلام، أحمل إليكم رسالة السلام، رسالة شعب مصر، الذي لا يعرف التعصب، والذي يعيش أنبأؤه، من مسلمين ومسيحيين ويهود، بروح المودة والحب والتسامح. هذه هي مصر، التي حملني شعبها أمانة الرسالة المقدسة، رسالة الأمن والأمان والسلام.

فيا كل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل: شجّعوا قيادتكم على نضال السلام، ولتتجه الجهود إلى بناء صرحٍ شامخ للسلام، بدلاً من بناء القلاع والمخابئ المحصنة بصواريخ الدمار. قدِّموا للعالم صورة الإنسان الجديد في هذه المنطقة من العالم، لكي يكون قوة لإنسان العصر، إنسان السلام في كل موقع ومكان.

بشِّروا أبناءكم، أن ما مضى هو آخر الحروب ونهاية الآلام، وأن ما هو قادم هو البداية الجديدة، للحياة الجديدة، حياة الحب والخير والحرية والسلام.

ويا أيتها الأم الثكلى،

ويا أيتها الزوجة المترملة،

ويا أيها الإبن الذي فقد الأخ والأب،

يا كل ضحايا الحروب،

- إملأوا الأرض والفضاء بتراتيل السلام.

- إملأوا الصدور والقلوب بأمال السلام.

- إجعلوا الأنشودة حقيقة تعيش وتثمر.

- إجعلوا الأمل دستور عمل ونضال.

وإرادة الشعوب هي من إرادة الله.

أيها السيدات والسادة

قبل أن أصل إلى هذا المكان، توجَّهْتُ بكل نبضة في قلبي، وبكل خلجة في ضميري، إلى الله - سبحانه وتعالى - وأنا أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى، وأنا أزور كنيسة القيامة، توجَّهْتُ إلى الله - سبحانه وتعالى - بالدعاء أن يلهمني القوة، وأن يؤكد يقين إيماني بأن تُحقِّق هذه الزيارة أهدافها التي أرجوها، من أجل حاضر سعيد ومستقبل أكثر سعادة.

لقد إختَرْتُ أن أخرج على كل السوايق والتقاليد، التي عرَفَتْها الدول المتحاربة، ورغم أن احتلال الأرض العربية ما زال قائماً، بل كان إعلانني عن إستعدادي للحضور إلى إسرائيل مفاجأة كبرى، هَزَّت كثيراً من المشاعر، وأذهلت كثيراً من العقول، بل شَكَّكت في نواياها بعض الآراء. ورغم كل ذلك فإنني استلهمْتُ القرار بكل صفاء الإيمان وطهارته، وبكل التعبير الصادق عن إرادة شعبي ونواياه، وإختَرْتُ هذا الطريق الصعب، بل إنه في نظر الكثيرين أصعب طريق.

إختَرْتُ أن أحضر إليكم، بالقلب المفتوح والفكر المفتوح.

إختَرْتُ أن أعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام.

إختَرْتُ أن أقيِّم لكم، وفي بيتكم، الحقائق المجردة عن الأغراض والأهواء.

لا لكي أناور، ولا لكي أكسب دولة، ولكن لكي نكسب معاً أخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر، معركة السلام العادل والدائم.

إنها ليست معركة فقط، ولا هي معركة القيادات فقط في إسرائيل، ولكنها معركة كل مواطن على أرضنا جميعاً، من حقِّه أن يعيش في سلام. إنها إلتزام الضمير والمسؤولية في قلوب الملايين.

وقد تساءل الكثيرون، عندما طرحتُ هذه المبادرة، عن تصوري لما يمكن إنجازه في هذه الزيارة، وتوقعاتي منها. وكما أجبْتُ السائلين، فإنني أعلن أمامكم أنني لم أفكر في القيام بهذه المبادرة من منطلق ما يمكن تحقيقه أثناء الزيارة، وإنما جئتُ هنا لكي

أُبَلِّغُ رِسَالَةَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ بَلَغْتَ اللَّهُمَّ فِإِشْهَد.

اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ مَعَ زَكْرِيَّا قَوْلَهُ: "أَحِبُّوا الْحَقَّ وَالسَّلَامَ".

وَأَسْتَلْهُمْ آيَاتِ اللَّهِ - الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ - حِينَ قَالَ: "قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

معاهدة السلام بين جمهورية مصر العربية وحكومة دولة إسرائيل "معاهدة كامب ديفيد"

الديباجة

إن حكومة دولة إسرائيل وحكومة جمهورية مصر العربية اقتتاعا منهما بالضرورة الماسة لإقامة سلام عادل وشامل ودائم في الشرق الأوسط وفقا لقراري مجلس الأمن 242 و 338 إذ تؤكدان من جديد التزامهما "بإطار السلام في الشرق الأوسط المتفق عليه في كامب دافيد"، المؤرخ في 17 سبتمبر 1978 وإذ تلاحظان أن الإطار المشار إليه إنما قصد به أن يكون أساسا للسلام، ليس بين إسرائيل ومصر فحسب، بل أيضا بين إسرائيل وأي من جيرانها العرب كل فيما يخصه ممن يكون على استعداد للتفاوض من أجل السلام معها على هذا الأساس.. ورغبة منهما في إنهاء حالة الحرب بينهما وإقامة سلام تستطيع فيه كل دولة في المنطقة أن تعيش في أمن.. واقتتاعا منهما بأن عقد معاهدة سلام بين إسرائيل ومصر يعتبر خطوة هامة في طريق السلام الشامل في المنطقة والتوصل إلى تسوية للنزاع العربي الإسرائيلي بكافة نواحيه.. وإذ تدعوان الأطراف العربية الأخرى في النزاع إلى الإشتراك في عملية السلام مع إسرائيل على أساس مبادئ إطار السلام المشار إليها آنفا واسترشادا بها.. وإذ ترغبان أيضا في إنماء العلاقات الودية والتعاون بينهما وفقا لميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات الدولية في وقت السلم.. قد اتفقتا على الأحكام التالية بمقتضى ممارستها الحرة لسيادتهما من أجل تنفيذ الإطار الخاص بعقد معاهدة السلام بين إسرائيل ومصر.

المادة الأولى

- 1- تنتهي حالة الحرب بين الطرفين ويقام السلام بينهما عند تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.
- 2- تسحب إسرائيل كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية بين مصر وفلسطين تحت الانتداب، كما هو وارد بالبروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الأول) وتستأنف مصر ممارسة سيادتها الكاملة على سيناء.
- 3- عند إتمام الإنسحاب المرحلي المنصوص عليه في الملحق الأول، يقيم الطرفان علاقات طبيعية وودية بينهما طبقا للمادة الثالثة (فقرة 3).

المادة الثانية

إن الحدود الدائمة بين مصر وإسرائيل هي الحدود الدولية المعترف بها بين مصر وفلسطين تحت الانتداب كما هو واضح بالخريطة في الملحق الثاني وذلك دون المساس بما يتعلق بوضع قطاع غزة. ويقر الطرفان بأن هذه الحدود مصونة لا تمس ويتعهد كل منهما باحترام سلامة أراضي الطرف الآخر بما في ذلك مياهه الإقليمية ومجاله الجوي.

المادة الثالثة

- 1- يطبق الطرفان فيما بينهما أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي التي تحكم العلاقات بين الدول في وقت السلم، وبصفة خاصة.
 - أ- يقر الطرفان ويحترم كل منهما سيادة الآخر وسلامة أراضيهِ واستقلاله السياسي.
 - ب- يقر الطرفان ويحترم كل منهما حق الآخر في أن يعيش في سلام داخل حدوده الأمانة والمعترف بها.
 - ج- يتعهد الطرفان بالامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها، أحدهما ضد الآخر، على نحو مباشر أو غير مباشر، وبحل كافة المنازعات التي تنشأ بينهما بالوسائل السلمية.
- 2- يتعهد كل طرف بأن يكفل عدم صدور فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو أفعال العنف أو التهديد بها

من داخل أراضيها أو بواسطة قوات خاضعة لسيطرتها أو مرابطة على أراضيها ضد السكان أو المواطنين أو الممتلكات الخاصة بالطرف الآخر. كما يتعهد كل طرف بالامتناع عن التنظيم أو التحريض أو الإثارة أو المساعدة أو الإشتراك في فعل من أفعال الحرب أو الأفعال العدوانية أو النشاط الهدام أو أفعال العنف الموجهة ضد الطرف الآخر في أي مكان. كما يتعهد بأن يكفل تقديم مرتكبي مثل هذه الأفعال للمحاكمة.

3- يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام بينهما ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والإقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الإقتصادية والحوجز ذات الطابع التمييزي المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع. كما يتعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائي بكافة الضمانات القانونية ويوضح البروتوكول الملحق بهذه المعاهدة (الملحق الثالث) الطريقة التي يتعهد الطرفان بمقتضاها بالتوصل إلى إقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة.

المادة الرابعة

1- بغية توفير الحد الأقصى للأمن لكلي الطرفين وذلك على أساس التبادل تقام ترتيبات أمن متفق عليها بما في ذلك مناطق محدودة التسليح في الأراضي المصرية والإسرائيلية وقوات أمم متحدة ومراقبين من الأمم المتحدة وهذه الترتيبات موضحة تفصيلاً من حيث الطبيعة والتوقيت في الملحق الأول وكذلك أية ترتيبات أمن أخرى قد يتفق عليها الطرفان.

2- يتفق الطرفان على تركز أفراد الأمم المتحدة في المناطق الموضحة بالملحق الأول ويتفق الطرفان على ألا يطلب سحب هؤلاء الأفراد وعلى أن سحب هؤلاء الأفراد لن يتم إلا بموافقة مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بما في ذلك التصويت الإيجابي للأعضاء الخمسة الدائمين بالمجلس وذلك ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك.

3- تنشأ لجنة مشتركة لتسهيل تنفيذ هذه المعاهدة وفقاً لما هو منصوص عليه في الملحق الأول.

4- يتم بناء على طلب أحد الطرفين إعادة النظر في ترتيبات الأمن المنصوص عليها في الفقرتين 1، 2 من هذه المادة وتعديلها باتفاق الطرفين.

المادة الخامسة

1- تتمتع السفن الإسرائيلية والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها بحق المرور الحر في قناة السويس ومداخلها في كل من خليج السويس والبحر الأبيض المتوسط وفقاً لأحكام إتفاقية القسطنطينية لعام 1888 المنطبقة على جميع الدول. كما يعامل رعايا إسرائيل وسفنها وشحناتها وكذلك الأشخاص والسفن والشحنات المتجهة من إسرائيل وإليها معاملة لا تتسم بالتمييز في كافة الشؤون المتعلقة باستخدام القناة.

2- يعتبر الطرفان أن مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول دون عائق أو إيقاف لحرية الملاحة أو العبور الجوي. كما يحترم الطرفان حق كل منهما في الملاحة والعبور الجوي من وإلى أراضيها عبر مضيق تيران وخليج العقبة.

المادة السادسة

1- لا تمس هذه المعاهدة ولا يجوز تفسيرها على أي نحو يمس بحقوق والتزامات الطرفين وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

2- يتعهد الطرفان بأن ينفذا بحسن نية التزاماتهما الناشئة عن هذه المعاهدة بصرف النظر عن أي فعل أو امتناع عن فعل من جانب طرف آخر وبشكل مستقل عن أية وثيقة خارج هذه المعاهدة.

3- كما يتعهدان بأن يتخذا كافة التدابير اللازمة لكي تنطبق في علاقاتهما أحكام الإتفاقيات المتعددة الأطراف التي يكونان من أطرافها بما في ذلك تقديم الإخطار المناسب للأمين العام للأمم المتحدة وجهات الإيداع الأخرى لمثل هذه الإتفاقيات.

4- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في أي التزام يتعارض مع هذه المعاهدة.

5- مع مراعاة المادة 103 من ميثاق الأمم المتحدة يقر الطرفان بأنه في حالة وجود تناقض بين التزامات الأطراف بموجب هذه المعاهدة وأي من التزاماتهما الأخرى، فإن الإلتزامات الناشئة عن هذه المعاهدة تكون ملزمة ونافاذة.

المادة السابعة

- 1- تحل الخلافات بشأن تطبيق أو تفسير هذه المعاهدة عن طريق المفاوضة
- 2- إذا لم يتيسر حل هذه الخلافات عن طريق المفاوضة فتحل بالتوفيق أو تحال إلى التحكيم

المادة الثامنة

يتفق الطرفان على إنشاء لجنة مطالبات للتسوية المتبادلة لكافة المطالبات المالية.

المادة التاسعة

- 1- تصبح هذه المعاهدة نافذة المفعول عند تبادل وثائق التصديق عليها.
- 2- تحل هذه المعاهدة محل الإتفاق المعقود بين إسرائيل ومصر في سبتمبر 1975.
- 3- تعد كافة البروتوكولات والملاحق والخرائط الملحقة بهذه المعاهدة جزءاً لا يتجزأ منها.
- 4- يتم إخطار الأمين العام للأمم المتحدة بهذه المعاهدة لتسجيلها وفقاً لأحكام المادة 102 من ميثاق الأمم المتحدة. حررت في واشنطن د. ي. س في 26 مارس سنة 1979م، 27 ربيع الثاني سنة 1399هـ من ثلاث نسخ باللغات العربية والعبرية والإنجليزية، وتعتبر جميعها متساوية الحجية وفي حالة الخلاف في التفسير فيكون النص الإنجليزي هو الذي يعتد به.

عن حكومة جمهورية مصر محمد أنور السادات
عن حكومة دولة إسرائيل مناحم، بيجين
شهد التوقيع جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية

الموقعون

الرئيس محمد أنور السادات ورئيس الوزراء الإسرائيلي مناحم بيجن والرئيس الأمريكي جيمي كارتر

الدول الأعضاء

جمهورية مصر العربية
إسرائيل
الولايات المتحدة الأمريكية

البروتوكول الخاص بالانسحاب الإسرائيلي وترتيبات الأمن

المادة الأولى

أسس الانسحاب

- 1- تقوم إسرائيل بإتمام سحب كافة قواتها المسلحة والمدنيين من سيناء في موعد لا يتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.
- 2- لتوفير الأمن لكلى الطرفين سيصاحب تنفيذ الانسحاب على مراحل، الإجراءات العسكرية وإنشاء المناطق الموضحة في هذا الملحق وفي الخريطة رقم (1-) والمشار إليها فيما بعد بكلمة "المناطق".
- 3- يتم الانسحاب من سيناء على مرحلتين:
أ - الانسحاب المرحلي حتى شرق خط العريش/ رأس محمد كما هو مبين على الخريطة رقم (2-) وذلك خلال تسعة أشهر من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.
ب- الانسحاب النهائي من سيناء إلى ما وراء الحدود الدولية في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.
- 4- تشكل لجنة مشتركة فور تبادل وثائق التصديق على المعاهدة من أجل الإشراف على وتنسيق التحركات والتوقيات أثناء الانسحاب، وإحكام الخطط والجدول الزمنية وفقاً للضرورة في حدود القواعد المقررة في الفقرة (3) أعلاه، والتفاصيل المتعلقة باللجنة المشتركة الموضحة في المادة (4) من المرفق لهذا الملحق. وسوف تحل اللجنة المشتركة عقب إتمام الانسحاب الإسرائيلي النهائي من سيناء

المادة الثانية

تحديد الخطوط النهائية والمناطق

- 1- بغية توفير الحد الأقصى لأمن كلى الطرفين بعد الانسحاب النهائي فإن الخطوط والمناطق الموضحة على الخريطة رقم (1) يتم إنشاؤها وتنظيمها على الوجه التالي:
أ- المنطقة "1":
1- المنطقة "أ" يحدها من الشرق الخط "أ" (الخط الأحمر) ومن الغرب قناة السويس والساحل الشرقي لخليج السويس كما هو موضح على الخريطة رقم (1)
2- تتواجد في هذه المنطقة قوات عسكرية مصرية من فرقة مشاة ميكانيكية واحدة ومنشأتها العسكرية وكذا تحصينات ميدانية.
3- تتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من:
أ- ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية،
ب- لواء مدرع واحد،
ج- سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى 126 قطعة مدفعية،
د- سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات تتضمن صواريخ فردية أرض/جو وحتى 126 مدفع مضاد للطائرات عيار 37 مم فأكثر،
هـ- حتى 230 دبابة،
و- حتى 480 مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع
ز- إجمالي حتى 22 ألف فرد.

ب- المنطقة "ب":

- 1- المنطقة "ب" يحدها من الشرق الخط "ب" (الخط الأخضر) ومن الغرب الخط "أ" (الخط الأحمر) كما هو موضح على الخريطة رقم (1).

- 2- توفر الأمن في المنطقة "ب" وحدات حدود مصرية من أربع كتائب مجهزة بأسلحة خفيفة وبمركبات عجل تعاون الشرطة المدنية في المحافظة على النظام في المنطقة، وتتكون العناصر الرئيسية لكتائب الحدود الأربع من إجمالي حتى 4000 فرد
- 3- يمكن إقامة نقاط إنذار ساحلية أرضية قصيرة المدى ذات قوة منخفضة لوحدات الحدود على ساحل هذه المنطقة.
- 4- تنشأ في المنطقة "ب" تحصينات ميدانية ومنشآت عسكرية لكتائب الحدود الأربع.

ج- المنطقة "ج":

- 1- المنطقة "ج" يحدها من الغرب الخط "ب" (الخط الأخضر) ومن الشرق الحدود الدولية وخليج العقبة كما هو موضح على الخريطة رقم (1).
- 2- تتمركز في المنطقة "ج" قوات الأمم المتحدة والشرطة المدنية المصرية فقط.
- 3- تتولى الشرطة المدنية المصرية المسلحة بأسلحة خفيفة أداء المهام العادية للشرطة داخل هذه المنطقة.
- 4- توزع قوات الأمم المتحدة داخل المنطقة "ج" وتؤدي وظائفها المحددة في المادة السادسة من هذا الملحق.
- 5- تتمركز قوات الأمم المتحدة أساساً في معسكرات تقع داخل مناطق التمرکز التالية والموضحة على الخريطة رقم (1). على أن تحدد مواقعها بعد التشاور مع مصر:
- أ- في ذلك الجزء من المنطقة في سيناء التي تقع في نطاق 20 كم تقريباً من البحر المتوسط وتتاخم الحدود الدولية.
- ب- في منطقة شرم الشيخ.

د- المنطقة "د":

- 1- المنطقة "د" يحدها من الشرق الخط "د" (الخط الأزرق) ومن الغرب الحدود الدولية كما هو موضح على الخريطة رقم (1).
- 2- تتواجد في هذه المنطقة قوة إسرائيلية محدودة من أربع كتائب مشاة ومنشآتها العسكرية وتحصينات ميدانية ومراقبي الأمم المتحدة.
- 3- لا تتضمن القوة الإسرائيلية في المنطقة "د" دبابات أو مدفعية أو صواريخ فيما عدا صواريخ فردية أرض/جو.
- 4- تتضمن العناصر الرئيسية لكتائب المشاة الإسرائيلية الأربع حتى 180 مركبة أفراد مدرعة من كافة الأنواع وإجمالي حتى 4000 فرد.
- 5- يسمح باجتياز الحدود الدولية من خلال نقاط المراجعة فقط والمحددة من قبل كل طرف وتحت سيطرته ويكون هذا الاجتياز وفقاً للقوانين والنظم المعمول بها في كل دولة.
- 6- تتواجد بهذه المناطق تلك التحصينات الميدانية والمنشآت العسكرية والقوات والأسلحة المسموح بها والمحددة في هذا الملحق.

المادة الثالثة

نظام الطيران العسكري

- 1- تكون طلعات طائرات القتال وطلعات الإستطلاع، لمصر وإسرائيل فوق المنطقتين "أ" و"د" فحسب، كل في منطقتيه
- 2- تتمركز الطائرات غير المسلحة وغير المقاتلة لمصر وإسرائيل في المنطقتين "أ" و"د" فقط، كل في منطقتيه.
- 3- تطلع وتهبط طائرات النقل غير المسلحة المصرية فقط في المنطقة "ب" ويمكن الإحتفاظ في المنطقة "ب" بعدد 8 طائرات منها. يمكن تجهيز وحدات الحدود المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائفها في المنطقة "ب".
- 4- يمكن تجهيز الشرطة المدنية المصرية بطائرات هليكوبتر غير مسلحة لأداء وظائف الشرطة العادية في المنطقة "ج".

- 5- يمكن إنشاء مطارات مدنية فقط في هذه المناطق.
- 6- دون المساس بأحكام هذه المعاهدة، يقتصر النشاط الجوي العسكري في المناطق المختلفة وفي المجال الجوي الواقع فوق مياهها الإقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد في هذا الملحق

المادة الرابعة

النظام البحري العسكري

- 1- يمكن للقطع البحرية التابعة لمصر وإسرائيل التمرکز والعمل على سواحل المنطقتين "أ" و"د" كل في منطقته.
- 2- يمكن لزوارق حرس السواحل المصرية خفيفة التسليح أن تتمركز وتعمل في المياه الإقليمية للمنطقة "ب" لمعاونة وحدات الحدود في أداء وظائفها في هذه المنطقة.
- 3- تؤدي الشرطة المدنية المصرية والمجهزة بزوارق خفيفة مسلحة تسليحا خفيفا وظائف الشرطة العادية داخل المياه الإقليمية للمنطقة "ج".
- 4- ليس في هذا الملحق ما يعتبر انتقاصا من حق المرور البريء للقطع البحرية لكلى الطرفين.
- 5- يمكن أن تقام في المناطق المختلفة موانئ ومنشآت بحرية مدنية فقط.
- 6- دون المساس بأحكام هذه المعاهدة يقتصر النشاط البحري العسكري في المناطق المختلفة وفي مياهها الإقليمية على ما هو مقرر على وجه التحديد في هذا الملحق

المادة الخامسة

نظام الإنذار المبكر

- يمكن لكل من مصر وإسرائيل انشاء وتشغيل نظم إنذار مبكر في المنطقتين "أ"، "د" فقط، كل في منطقته.

المادة السادسة

عمليات الأمم المتحدة

- 1- يطلب الطرفان من الأمم المتحدة أن توفر قوات ومراقبين للإشراف على تنفيذ هذا الملحق وبذل كل جهودها لمنع أي خرق لأحكامه.
- 2- يتفق الطرفان، كل فيما يخصه، على طلب الترتيبات التالية فيما يتعلق بقوات ومراقبي الأمم المتحدة:
 - أ- تشغيل نقاط مراجعة ودوريات إستطلاع ونقاط مراقبة على امتداد الحدود الدولية وعلى الخط "ب" وداخل المنطقة "ج".
 - ب- التحقق الدوري من تنفيذ أحكام هذا الملحق مرتين في الشهر على الأقل، ما لم يتفق الطرفان على خلاف ذلك.
 - ج- إجراء تحقق إضافي خلال 48 ساعة بعد تلقي طلب بذلك من أي من الطرفين.
 - د- ضمان حرية الملاحة في مضيق تيران وفقا للمادة الخامسة من معاهدة السلام.
- 3- تنفذ الترتيبات المقررة عاليه لكل منطقة بواسطة قوات الأمم المتحدة في المناطق "أ"، "ب"، "ج" وبواسطة مراقبي الأمم المتحدة في المنطقة "د".
- 4- يرافق أطقم التحقيق للأمم المتحدة ضباط إتصال من الطرف المختص.
- 5- تخطر قوات الأمم المتحدة ومراقبوها كلى الطرفين بالنتائج التي يتوصلون إليها.
- 6- تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها الذين يعملون في مختلف المناطق بحرية الحركة والتسهيلات الأخرى الضرورية لأداء واجباتهم.
- 7- لا تتمتع قوات الأمم المتحدة ومراقبوها بأية صلاحيات للسماح باجتياز الحدود الدولية.
- 8- يتفق الطرفان على الدول التي تشكل منها قوات ومراقبو الأمم المتحدة وسيتم ذلك من الدول غير ذات العضوية الدائمة بمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.
- 9- يتفق الطرفان على أن تقوم الأمم المتحدة بوضع ترتيبات القيادة التي تضمن أفضل تنفيذ فعال لمسؤولياتها.

المادة السابعة

نظام الإتصال

- 1- عقب حل اللجنة المشتركة يتم إنشاء نظام إتصال بين الطرفين، ويهدف هذا النظام إلى توفير وسيلة فعالة لتقييم مدى التقدم في تنفيذ الإلتزامات وفقاً لهذا الملحق وحل أية مشكلة قد تطرأ أثناء التنفيذ، كما تقوم بإحالة المسائل التي لم يبت فيها إلى السلطات العسكرية الأعلى للبلدين كل فيما يخصه للنظر فيها. كما يهدف أيضاً إلى منع أية مواقف قد تنشأ نتيجة أخطاء أو سوء فهم من قبل أي من الطرفين.
- 2- يقام مكتب إتصال مصري في مدينة العريش ومكتب إتصال إسرائيلي في مدينة بئر السبع ويرأس كل مكتب ضابط من البلد المعني يعاونه عدد من الضباط.
- 3- يقام إتصال تليفوني مباشر بين المكتبين وكذا خطوط تليفونية مباشرة بين قيادة الأمم المتحدة وكلى المكتبين.

المادة الثامنة

احترام النصب التذكارية للحرب

يلتزم كل طرف بالمحافظة على النصب المقامة في ذكرى جنود الطرف الآخر بحالة جيدة، وهي النصب المقامة بواسطة إسرائيل في سيناء والنصب التي ستقام بواسطة مصر في إسرائيل، كما سيسمح كل طرف الوصول إلى هذه النصب.

المادة التاسعة

الترتيبات المؤقتة

ينظم المرفق لهذا الملحق والخريطتان رقم (2) و(3) إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية والمدنيين إلى ما وراء خط الإنسحاب المرحلي، وكذا حركة قوات الطرفين والأمم المتحدة حتى الإنسحاب النهائي.



لحظة المعانقة بين الرئيس أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد التوقيع على معاهدة كامب ديفيد
برعاية الرئيس جيمي كارتر الذي يصفق لهما.



... وجلسة في علم الغيب ما دار فيها بين السادات وبيغن.



... ولقاء مع موشي دايان الذي ألحق بمصر عبد الناصر وعبد الحكيم عامر هزيمة 5 يونيو/حزيران 1967



تنظيم الإنسحاب من سيناء

المادة الأولى

مبادئ الإنسحاب

- 1- يتم إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية والمدنيين من سيناء على مرحلتين كما هو مبين في المادة الأولى من الملحق (1)، ويتضمن هذا المرفق تخطيط وتوقيت الإنسحاب. وتقوم اللجنة المشتركة بإعداد التفاصيل الخاصة بهذه المراحل وتقدمها إلى كبير منسقي قوات الأمم المتحدة بالشرق الأوسط قبل شهر من ابتداء أي مرحلة من مراحل الإنسحاب.
- 2- اتفق الطرفان على المبادئ التالية بشأن ترتيب التحركات العسكرية:
 - أ- على الرغم مما تقضي به أحكام المادة التاسعة الفقرة الثانية من هذه المعاهدة، وحتى يتم إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الخطين (ي وم) الحاليين اللذين أنشئوا بناء على الاتفاقية المصرية/الإسرائيلية الموقعة في سبتمبر 1975 والمشار إليها فيما بعد باتفاقية عام 1975، إلى خط الإنسحاب المرحلي، فإن جميع الترتيبات العسكرية القائمة طبقاً لتلك الاتفاقية تبقى سارية المفعول فيما عدا الترتيبات العسكرية المنصوص عليها خلاف ذلك في هذا المرفق.
 - ب- مع إنسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية تدخل قوات الأمم المتحدة فوراً للمناطق المخلاة لإقامة مناطق عازلة مؤقتة كما هو موضح على الخريطين (2)، (3) على التوالي بغرض الإبقاء على الفصل بين القوات. ويكون دخول قوات الأمم المتحدة سابقاً لتحرك أي أفراد آخرين إلى داخل هذه المناطق.
 - ج- خلال فترة سبعة أيام بعد إخلاء القوات الإسرائيلية المسلحة لأية مساحة واقعة في المنطقة "أ"، تنتشر وحدات القوات المسلحة المصرية وفقاً لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق.
 - د- خلال فترة سبعة أيام بعد إخلاء القوات الإسرائيلية المسلحة لأية مساحة واقعة في المنطقتين "أ" و"ب" تنتشر وحدات الحدود المصرية وفقاً لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق، وتؤدي وظائفها وفقاً لأحكام المادة الثانية من الملحق (1).
 - هـ- تدخل الشرطة المدنية المصرية إلى المساحات المخلاة عقب دخول قوات الأمم المتحدة مباشرة لأداء الوظائف العادية للشرطة.
 - و- تنتشر وحدات القوات البحرية المصرية في خليج السويس وفقاً لأحكام المادة الثانية من هذا المرفق.
 - ز- وبإستثناء تلك التحركات المشار إليها أعلاه، فإن أعمال الإنتشار للقوات المسلحة المصرية والأنشطة الموضحة في الملحق (1) تكون سارية المفعول في المناطق المخلاة بعد أن تتم القوات المسلحة الإسرائيلية إنسحابها إلى ما وراء خط الإنسحاب المرحلي.

المادة الثانية

المراحل الفرعية للإنسحاب إلى خط الإنسحاب المرحلي

- 1- يتم الإنسحاب إلى خط الإنسحاب المرحلي على مراحل فرعية كما هو منصوص عليه في هذه المادة وكما هو موضح على الخريطة (3) وتتم كل مرحلة فرعية خلال العدد المقرر من الأشهر التي يبدأ احتسابها إعتباراً من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة:
 - أ- المرحلة الفرعية الأولى: خلال شهرين تنسحب القوات المسلحة الإسرائيلية من منطقة العريش بما في ذلك مدينة العريش ومطارها والمشار إليها بالمنطقة (1) على الخريطة رقم (3).
 - ب- المرحلة الفرعية الثانية: خلال ثلاثة شهور، تنسحب القوات المسلحة الإسرائيلية من المنطقة الواقعة بين الخط "م" المقرر بمقتضى إتفاقية عام 1975 والخط "أ" والمشار إليها بالمنطقة (2) على الخريطة رقم (3).
 - ج - المرحلة الفرعية الثالثة: خلال خمسة شهور، تنسحب القوات المسلحة الإسرائيلية من المنطقة الواقعة شرق

وجنوب المنطقة (2) والمشار إليها بالمنطقة (3) على الخريطة رقم (3).
د - المرحلة الفرعية الرابعة: خلال سبعة شهور، تتسحب القوات المسلحة الإسرائيلية من منطقة الطور - رأس الكنيسة والمشار إليها بالمنطقة (4) على الخريطة رقم (3).
هـ - المرحلة الفرعية الخامسة: خلال تسعة أشهر، تتسحب القوات المسلحة الإسرائيلية من المناطق المتبقية غرب خط الانسحاب المرحلي بما في ذلك منطقة سانت كاترين والمناطق شرق ممر الجدي ومتلا والمشار إليها بالمنطقة (5) على الخريطة رقم (3) ويكتمل بذلك الانسحاب الإسرائيلي إلى ما وراء خط الانسحاب المرحلي.

2- تنتشر القوات المصرية في المناطق المخلاة من القوات المسلحة الإسرائيلية وفقا لما يلي:
أ- ينتشر حتى ثلث القوات المسلحة المصرية الموجودة في سيناء وفقا لإتفاقية عام 1975 في الأجزاء من المنطقة "أ" التي تقع داخل المنطقة (1) وذلك حتى إتمام الانسحاب المرحلي. وبعد ذلك تنتشر القوات المسلحة المصرية كما هو موضح في المادة الثانية من الملحق (1) في المنطقة "أ" حتى حد المنطقة العازلة المؤقتة.

ب- يبدأ نشاط القوات البحرية المصرية وفقا للمادة الرابعة من الملحق (1) على امتداد سواحل المناطق (2) و(3) و(4) عقب إتمام المراحل الفرعية الثانية والثالثة والرابعة على التوالي. ج- تنتشر كتيبة واحدة من وحدات الحدود المصرية الموضحة في المادة الثانية من الملحق (1) في المنطقة (1) عقب إتمام المرحلة الفرعية الأولى، كما تنتشر كتيبة ثانية في المنطقة (2) عقب إتمام المرحلة الفرعية الثانية. وتنتشر كتيبة ثالثة في المنطقة (3) عقب إتمام المرحلة الفرعية الثالثة. والكتيبتان الثانية والثالثة المذكورتان عاليه يمكن أن تنتشرا في أي من المناطق المخلاة بعد ذلك بجنوب سيناء.

3- يعاد توزيع قوات الأمم المتحدة في المنطقة العازلة 1 المقررة بمقتضى إتفاقية عام 1975 لتمكين إنتشار القوات المصرية الموضح في السابق وذلك عقب إتمام المرحلة الفرعية الأولى، وفيما عدا ذلك تستمر في أداء مهامها وفقا لأحكام الإتفاقية المشار إليها في الأجزاء المتبقية من المنطقة المذكورة حتى إتمام الانسحاب المرحلي، وفقا لما هو موضح في المادة الأولى من هذا المرفق.

4- يمكن للقوافل الإسرائيلية استخدام الطرق جنوب وشرق التقاطع الرئيسي للطرق الواقع شرق العريش لإخلاء القوات الإسرائيلية ومعداتنا حتى إتمام الانسحاب المرحلي. وتتحرك القوافل في ضوء النهار بعد تقديم إخطار بذلك بأربع ساعات إلى مجموعة الإتصال المصرية وقوات الأمم المتحدة، وتصاحبها قوات الأمم المتحدة. وسيتم ذلك وفقا للتوقيتات المنظمة من قبل اللجنة المشتركة. ويصاحب القوافل ضابط إتصال مصري لتأمين التحركات دون عائق. ويمكن للجنة المشتركة أن توافق على ترتيبات أخرى بالنسبة للقوافل.

المادة الثالثة

قوات الأمم المتحدة

1- يطلب الطرفان توزيع قوات الأمم المتحدة وفقا للضرورة لأداء الوظائف الواردة في هذا المرفق حتى موعد إتمام الانسحاب النهائي، ولهذا الغرض يوافق الطرفان على إعادة توزيع قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة.

2- تشرف قوات الأمم المتحدة على تنفيذ هذا المرفق وتبذل ما في وسعها لمنع أية مخالفة لأحكامه.

3- عندما توزع قوات الأمم المتحدة تبعا لأحكام المادتين الأولى والثانية من هذا المرفق، تباشر مهمة التحقق في المناطق محدودة القوات وفقا للمادة السادسة من الملحق (1)، وتقيم نقاط مراجعة، ودوريات إستطلاع ونقاط مراقبة في المناطق العازلة المؤقتة الموضحة بالمادة الثانية أعلاه، والوظائف الأخرى لقوات الأمم المتحدة والمتعلقة بالمنطقة العازلة للخط المرحلي موضحة في المادة الخامسة من هذا المرفق

المادة الرابعة

اللجنة المشتركة والإتصال

- 1- تعمل اللجنة المشتركة المشار إليها في المادة الرابعة من هذه المعاهدة من تاريخ تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة، وحتى تاريخ إتمام الانسحاب الإسرائيلي النهائي من سيناء.
- 2- تتكون اللجنة المشتركة من ممثلين عن كل طرف برئاسة ضباط من رتب عالية وتدعو اللجنة المشتركة ممثلين للأمم المتحدة لحضور إجتماعاتها عند مناقشة موضوعات تتعلق بالأمم المتحدة أو إذا طلب أي من الطرفين وجود الأمم المتحدة ويتم التوصل إلى قرارات اللجنة المشتركة بإتفاق كل من مصر وإسرائيل.
- 3- تشرف اللجنة المشتركة على تنفيذ الترتيبات الموضحة في الملحق (1) وفي هذا المرفق. ولهذا الغرض وبالإتفاق بين الطرفين تقوم بما يلي:
 - أ- تنسق التحركات العسكرية الموضحة في هذا المرفق وتشرف على تنفيذها.
 - ب- تتناول بالبحث وتسعى إلى حل أية مشكلة تنشأ عن تنفيذ الملحق (1) وهذا المرفق وتناقش أية مخالفات تبلغ إليها بواسطة قوات الأمم المتحدة ومراقبيها، وتحيل إلى حكومتي مصر وإسرائيل أية مشاكل لم يتم حلها.
 - ج- تساعد قوات الأمم المتحدة ومراقبيها في تنفيذ مهامهم، وتبحث الجداول الزمنية الخاصة بالتحقيقات الدورية عندما يطلب منها الطرفان ذلك، كما هو وارد في الملحق رقم (1) وفي هذا المرفق.
 - د- تنظم وضع العلامات على الحدود الدولية وجميع الخطوط والمناطق المشار إليها في الملحق (1) وهذا المرفق.
 - هـ- تشرف على تسليم المنشآت الرئيسية في سيناء من إسرائيل إلى مصر
 - و- توافق على الترتيبات اللازمة للعثور على الجثث المفقودة لجنود مصر وإسرائيل وإعادتها.
 - ز- تنظيم إقامة وتشغيل نقاط المراجعة للمداخل على امتداد خط العريش رأس محمد، وفقا لأحكام المادة الرابعة من الملحق (3).
 - ح- توالي أعمالها عن طريق استخدام أطقم إتصال مشتركة من ممثل واحد عن كل من مصر وإسرائيل من مجموعة إتصال دائمة وسوف تمارس أنشطتها وفقا لتوجيه اللجنة المشتركة.
 - ط- توفر الإتصال والتنسيق مع قيادة الأمم المتحدة التي تنفذ أحكام المعاهدة وعن طريق أطقم الإتصال المشتركة تحافظ على التنسيق والتعاون المحلي مع قوات الأمم المتحدة المتمركزة في مناطق معينة أو موظفي الأمم المتحدة الذين يرصدون مناطق معينة وعبر أبنية متباعدة مطلوبة.
 - ي- تناقش أي مسائل أخرى قد يتفق الطرفان على طرحها على اللجنة.
- 4- تعقد إجتماعات اللجنة المشتركة مرة واحدة كل شهر على الأقل وفي حالة طلب أحد الطرفين من مؤسسات الأمم المتحدة عقد إجتماع خاص، يتم عقد هذا الإجتماع خلال 24 ساعة
- 5- تجتمع اللجنة المشتركة في المنطقة العازلة حتى إتمام الانسحاب المرحلي، ثم تجتمع في مديني العريش وبئر السبع بعد ذلك بالتبادل، إلى أن يعقد أول إجتماع لهما ليس متأخرا عن أسبوعين بعد بدء سريان مفعول المعاهدة

المادة الخامسة

تعريف المنطقة العازلة المؤقتة وأنشطتها

- 1- تنشأ منطقة عازلة مؤقتة بغرض قيام قوات الأمم المتحدة بالفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية، وذلك غرب غط الانسحاب المرحلي ومتاخمة له كما هو مبين في الخريطة رقم (2)، وذلك بعد تنفيذ الانسحاب الإسرائيلي وتوزيع القوات خلف خط الانسحاب المرحلي وتتولى الشرطة المدنية المصرية المجهزة بأسلحة خفيفة القيام بمهام الشرطة العادية في هذه المنطقة
- 2- تقوم قوة الأمم المتحدة بتشغيل نقاط مراجعة ودوريات إستطلاع، ونقاط مراقبة داخل المنطقة العازلة المؤقتة بغية التأكد من الإلتزام بأحكام هذه المادة
- 3- وطبقا للترتيبات التي اتفق عليها الطرفان والتي سيتم تنسيقها في اللجنة المشتركة، يتولى أفراد إسرائيليون إدارة منشآت حربية فنية في أربع مواقع محددة وموضحة على الخريطة رقم (2) ومشار إليها بـ (ف1) (إحداثي المركز على الخريطة 57163940) و(ف2) (إحداثي المركز على الخريطة 59351541) و(ف3) (إحداثي المركز على

- الخريطة 59331527)، و(ف4) (إحداثي المركز على الخريطة 61130979) وذلك طبقاً للمبادئ التالية: -
- أ- يتولى العمل بالمنشآت الفنية أفراد فنيون وإداريون مسلحون بالأسلحة الصغيرة واللازمة لحمايتهم (معدات، بنادق، مدافع رشاشة خفيفة ومتوسطة، قنابل يدوية وذخيرة) كآلاتي: -
- ف1/ ما لا يزيد على 150 فرد
- ف2، 3/ ما لا يزيد على 350 فرد
- ف4/ ما لا يزيد على 200 فرد
- ب- لا يحمل الأفراد الإسرائيليون أسلحة خارج المواقع، باستثناء الضباط الذين يجوز لهم حمل الأسلحة الشخصية.
- ج- سيدخل طرف ثالث يتفق عليه بين مصر وإسرائيل لإجراء تفتيشات داخل محيط المنشآت الفنية في المنطقة العازلة، ويقوم الطرف الثالث بالتفتيش مرة كل شهر على الأقل وبطريقة فجائية ويتحقق المفتشون من طبيعة عمل وتشغيل المنشآت ومن الأسلحة والأفراد داخلها، ويقوم الطرف الثالث بإبلاغ الطرفين فوراً عن أي تحول لأي منشأة عن دورها في أعمال المسح البصري والإلكتروني والمواصلات.
- د- يجوز القيام بإمداد المنشآت وزيارتها لأغراض فنية وإدارية واستبدال الأفراد والأجهزة المقامة في المواقع دون تعطيل وذلك من خلال نقاط مراجعة الأمم المتحدة حتى مداخل المنشآت الفنية بعد المراجعة والمراقبة بواسطة قوة الأمم المتحدة فحسب. هـ- يسمح لإسرائيل أن تدخل في منشآت الفنية المواد اللازمة للاداء الصحيح للمنشآت والأفراد.
- و- يسمح لإسرائيل بما يلي وطبقاً لما تحدده اللجنة المشتركة:
- 1- الإبقاء داخل منشآتها على معدات مكافحة الحريق والصيانة العامة وكذلك العربات الإدارية ذات العجل والمعدات الهندسية المتحركة اللازمة لصيانة المواقع وجميع العربات تكون غير مسلحة
- 2- صيانة الطرق وخطوط المياه وكابلات المواصلات التي تخدم هذه المواقع سواء بداخلها أو داخل المنطقة العازلة وفي كل من مواقع المنشآت الثلاث (ف1، ف2/ف3، ف4) ويجوز أن تتم هذه الصيانة بما لا يتجاوز عربتين ذات العجل وغير مسلحتين وبما لا يتجاوز اثني عشر فرداً غير مسلحين ومعهم المعدات الضرورية فقط بما في ذلك المعدات الهندسية الثقيلة إذا ما دعت الحاجة لها. ويجوز إتمام عمليات الصيانة هذه ثلاث مرات أسبوعياً باستثناء المشاكل الخاصة وبعد إعطاء الأمم المتحدة إخطاراً مسبقاً بأربع ساعات ويرافق الطاقم قوات من الأمم المتحدة.
- ز- يتم التنقل من المنشآت الفنية واليها خلال ساعات النهار فقط ويكون الدخول إليها والخروج منها على الوجه التالي: -
- 1- ف1/ عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق الموصل بين أبو عجيلة ومفترق طريقي أبو عجيلة وجبل لبنى (كيلومتر 161) كما هو موضح على الخريطة رقم 2.
- 2- ف2، ف3/ عن طريق نقطة تفتيش الأمم المتحدة ومن خلال الطريق المنشأ عبر المنطقة العازلة إلى جبل كاترين (الخريطة رقم 2).
- 3- ف2، ف3، ف4/ من خلال طائرات الهليكوبتر على أن تستخدم ممراً جويًا وفي الأوقات وطبقاً لنظام طلعات توافق عليها اللجنة المشتركة. وتقوم قوة الأمم المتحدة بتفتيش طائرات الهليكوبتر في مواقع الهبوط وخارج نطاق المنشآت.
- ح- تخطر إسرائيل قوة الأمم المتحدة قبل ساعة على الأقل من قيامها بأي تحرك تعتزم القيام به من المنشآت واليها
- ط- يحق لإسرائيل إخلاء المرضى والجرحى واستدعاء الخبراء الطبيين والأطعم الطبية في أي وقت بعد إعطاء بلاغ فوري إلى قوة الأمم المتحدة.
- 4- تتناول اللجنة المشتركة بحث تفاصيل المبادئ المشار إليها أعلاه وكل الأمور الأخرى الواردة في هذه المادة التي تتطلب التنسيق بين الطرفين.
- 5- يتم سحب هذه المنشآت الفنية عند انسحاب القوات الإسرائيلية من خط الإنسحاب المرحلي أو في

وقت يتم الإتفاق عليه بين الطرفين.

المادة السادسة

أسلوب التصرف في المنشآت والمواقع العسكرية

يحدد الطرفان أسلوب التصرف في المنشآت والمواقع العسكرية طبقاً للأسس الآتية: -

- 1- تقوم اللجنة المشتركة خلال فترة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع قبل انسحاب إسرائيل من أية منطقة بالإعداد لقيام أطقم الإتصال والأطقم الفنية المصرية الإسرائيلية بعمل تفتيش مشترك على جميع المنشآت المناسبة للإتفاق على حالة المنشآت والمواد التي ستسلم إلى الجانب المصري ولترتيب عملية التسلم. وستعلن إسرائيل في ذلك الوقت عن خططها فيما يتعلق بكيفية التصرف في هذه المنشآت والمواد التي بداخلها.
 - 2- تتعهد إسرائيل أن تتقل لمصر كل ما يتفق عليه من المرافق الأساسية والمنافع العامة والمنشآت بحالة سليمة بما في ذلك المطارات والطرق ومحطات الضخ والموانئ. وتقدم إسرائيل لمصر المعلومات اللازمة لصيانة وتشغيل هذه المنشآت وتسمح للأطقم الفنية المصرية بمراقبة تشغيل هذه المنشآت والتعرف على طريقة عملها لمدة تصل إلى أسبوعين قبل التسلم.
 - 3- عندما تخلي إسرائيل نقاط المياه العسكرية بالقرب من العريش والطور تباشر الأطقم الفنية المصرية إدارة هذه المنشآت والمعدات المعاونة لها طبقاً لعملية استلام منظمة وسابقة الإعداد بواسطة اللجنة المشتركة. وتتعهد مصر بأن تستمر في توفير الكميات العادية من المياه المتوفرة حالياً عند مختلف نقاط المياه لحين انسحاب إسرائيل إلى ما وراء الحدود الدولية، إلا إذا تم الإتفاق على خلاف ذلك في اللجنة المشتركة.
 - 4- تتعهد إسرائيل بإزالة أو تدمير جميع العوائق العسكرية بما في ذلك الموانع وحقول الألغام في المناطق التي تجلو عنها ومن المياه المجاورة لها تبعاً للأسلوب التالي:
 - أ- تزال أولاً الموانع العسكرية من المنطقة القريبة من السكان والطرق والمنشآت الرئيسية والمنافع العامة.
 - ب - بالنسبة للموانع وحقول الألغام التي لا يمكن إزالتها أو تدميرها قبل الانسحاب الإسرائيلي، تقوم إسرائيل بتقديم خرائط مفصلة إلى مصر والأمم المتحدة عن طريق اللجنة المشتركة وفي موعد لا يتجاوز 15 يوماً قبل دخول قوات الأمم المتحدة إلى هذه المناطق.
- هندسون العسكريون المصريون بالدخول إلى هذه المناطق بعد دخول قوات الأمم المتحدة لإجراء عمليات إزالة هذه الموانع طبقاً لخطة تقوم مصر بتقديمها قبل التنفيذ.

المادة السابعة

النشاط الإستطلاعي

- 1- يتم النشاط الجوي الإستطلاعي خلال الانسحاب على الموجه التالي:
 - أ - يطالب كلا الطرفين من الولايات المتحدة الإستمرار في طلعات الإستطلاع الجوي وفقاً للإتفاقات السابقة حتى إتمام الانسحاب الإسرائيلي النهائي.
 - ب- تغطي الطلعات الجوية المناطق المحدودة القوات للتأكد من حجم القوات والتسليح وللتأكد من أن القوات الإسرائيلية قد انسحبت من المناطق المبينة في المادة 2 من الملحق (1)، والمادة الثانية من هذا المرفق والخريطتين (2) ورقم (3)، ومن بقاء القوات خلف خطوطها بعد ذلك، ويمكن القيام بطلعات تفتيش خاصة بناء على طلب أي من الطرفين أو بناء على طلب من الأمم المتحدة.
 - ج- تقتصر التبليغات على العناصر العسكرية الرئيسية لتنظيم كل طرف كما هي موضحة في الملحق (1) وفي هذا المرفق.
- 2- يطلب الطرفان من بعثة سيناء الميدانية التابعة للولايات المتحدة أن تستمر في عملياتها طبقاً للإتفاقات السابقة وحتى إتمام انسحاب إسرائيل من المنطقة الواقعة شرق ممرات الجدي ومتلا.. وبعد ذلك تنتهي مهمة البعثة.

المادة الثامنة

ممارسة السيادة المصرية

تستأنف مصر ممارستها لسيادتها الكاملة على الأجزاء التي يتم إخلاؤها في سيناء بمجرد انسحاب إسرائيل من هذه الأجزاء. كما هو منصوص عليه في المادة (1) من هذه المعاهدة

بروتوكول بشأن علاقات الطرفين

المادة الأولى

العلاقات الدبلوماسية والقنصلية

يتفق الطرفان على إقامة علاقات دبلوماسية وقنصلية وتبادل السفراء عقب الانسحاب المرحلي.

المادة الثانية

العلاقات الاقتصادية والتجارية

- 1- يتفق الطرفان على إزالة جميع الحواجز ذات الطابع التمييزي القائمة في وجه العلاقات الاقتصادية العادية، وإنهاء المقاطعة الاقتصادية لأي منهما وذلك عقب إتمام الانسحاب المرحلي
- 2- يدخل الطرفان في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد إتمام الانسحاب المرحلي وذلك بغية عقد إتفاق تجارة يستهدف إنماء العلاقات الاقتصادية ذات النفع المتبادل بينهما.

المادة الثالثة

العلاقات الثقافية

- 1- يتفق الطرفان على إقامة علاقات ثقافية عادية بعد إتمام الانسحاب المرحلي.
- 2- يتفق الطرفان على أن التبادل الثقافي في كافة الميادين أمر مرغوب فيه وعلى أن يدخل في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة أشهر بعد إتمام الانسحاب المرحلي بغية عقد إتفاق ثقافي.

المادة الرابعة

حرية التنقل

- 1- عقب إتمام الانسحاب المرحلي، يسمح كل طرف لمواطني وسيارات الطرف الآخر بحرية الانتقال إلى إقليمه والتنقل داخله وذلك طبقاً للقواعد العامة التي تطبق على مواطني وسيارات الدول الأخرى. ويمتنع كل طرف عن فرض قيود ذات طابع تمييزي على حرية تنقل الأشخاص والسيارات من إقليمه إلى إقليم الطرف الآخر
- 2- كما يسمح بالدخول دون إعاقه إلى الأماكن ذات القيمة الدينية والتاريخية وذلك على أساس تبادلي وغير ذي طابع تمييزي

المادة الخامسة

التعاون في سبيل التنمية وعلاقات حسن الجوار

- 1- يقر الطرفان أن هناك مصلحة متبادلة في قيام علاقات حسن الجوار ويتفقان على النظر في سبيل تنمية تلك العلاقات

- 2- يتعاون الطرفان في إنماء السلام والإستقرار والتنمية في المنطقة، ويوافق كل منهما على النظر في المقترحات التي قد يرى الطرف الآخر التقدم بها تحقيقاً لهذا الغرض
- 3- يعمل الطرفان على تشجيع التفاهم المتبادل والتسامح ويمتنع كل طرف عن الدعاية المعادية تجاه الطرف الآخر.

المادة السادسة

النقل والمواصلات

- 1- يقر الطرفان بأن الحقوق والمزايا والإلتزامات المنصوص عليها في إتفاقيات الطيران التي يكونان من أطرافها تنطبق على كل منهما، وبصفة خاصة الواردة في الإتفاقية الدولية للطيران المدني لعام 1944 ("إتفاقية شيكاغو") والإتفاق الدولي بشأن خدمات النقل الجوي لعام 1944.
- 2- عقب إتمام الإنسحاب المرحلي لا ينطبق أي إعلان لحالة الطوارئ الوطنية الذي يعلنه أحد الطرفين وفقاً للمادة 89 من إتفاقية شيكاغو في مواجهة الطرف الآخر على أساس تمييزي
- 3- توافق مصر على أن المطارات الواقعة بالقرب من العريش ورفح ورأس النقب وشرم الشيخ التي سوف تخليها إسرائيل يكون استخدامها للأغراض المدنية فحسب بما في ذلك إمكان استخدامها تجارياً بواسطة كافة الدول.
- 4- يدخل الطرفان في مفاوضات في أقرب وقت ممكن وفي موعد لا يتجاوز ستة شهور بعد إتمام الإنسحاب المرحلي وذلك لغرض إبرام إتفاق طيران مدني.
- 5- يقوم الطرفان بإعادة فتح الطرق وخطوط السكك الحديدية بين بلديهما وصيانتهما، كما ينظران في إقامة طرق وسكك حديدية إضافية. كما يتفق الطرفان أيضاً على إقامة وصيانة طريق بري بين مصر وإسرائيل والأردن بالقرب من ايلات مع كفالة حرية وسلامة مرور الأشخاص والسيارات والبضائع بين مصر والأردن وذلك على نحو لا يمس بالسيارة على الجزء من الطريق الذي يقع داخل إقليم كل منهما.
- 6- عقب إتمام الإنسحاب المرحلي تقام بين الطرفين وسائل إتصالات بريدية وتليفونية وتلكس وصور بالراديو ومواصلات سلكية ولا سلكية وخدمات نقل الإرسال التليفزيوني عن طريق الكابلات والراديو والأقمار الصناعية وذلك وفقاً للإتفاقيات واللوائح الدولية المنطبقة
- 7- عقب إتمام الإنسحاب المرحلي، يسمح كل طرف بالدخول المسموح به عادة إلى موانئ لسفن وبضائع الطرف الآخر، وذلك للسفن والبضائع المتجهة إلى الطرف الآخر أو القادمة منه بنفس الشروط المطبقة بصفة عامة على سفن وبضائع الدول الأخرى. وسوف ينفذ حكم المادة 5 من معاهدة السلام عقب تبادل وثائق التصديق على هذه المعاهدة.

المادة السابعة

التمتع بحقوق الإنسان

يؤكد الطرفان إلتزامهما باحترام ومراعاة حقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، وسوف يدعمان هذه الحقوق والحريات وفقاً لميثاق الأمم المتحدة.

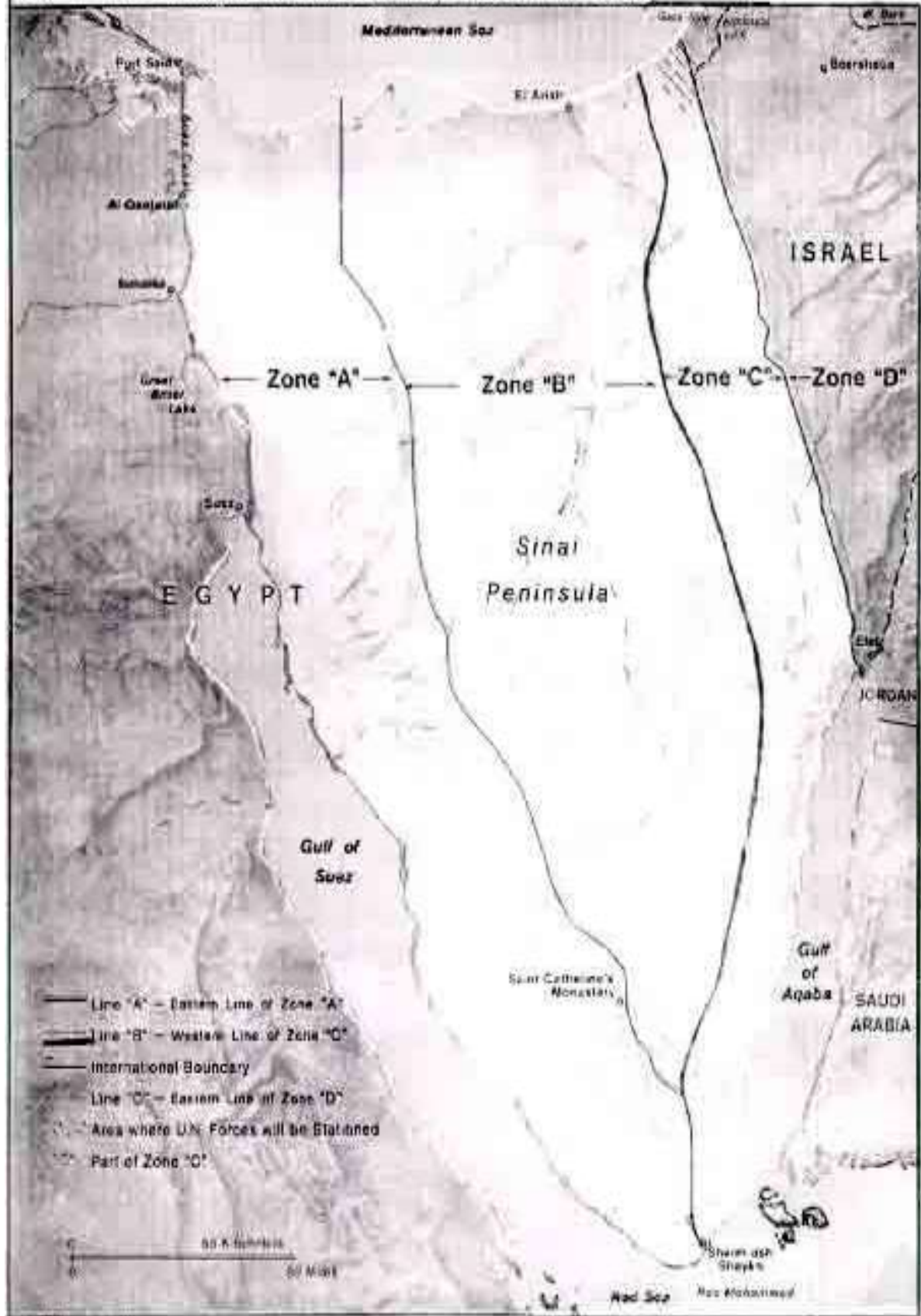
المادة الثامنة

المياه الإقليمية

مع مراعاة أحكام المادة 5 من معاهدة السلام، يقر كل طرف بحق سفن الطرف الآخر في المرور البريء في مياهه الإقليمية طبقاً لقواعد القانون الدولي.

26 آذار/مارس 1979

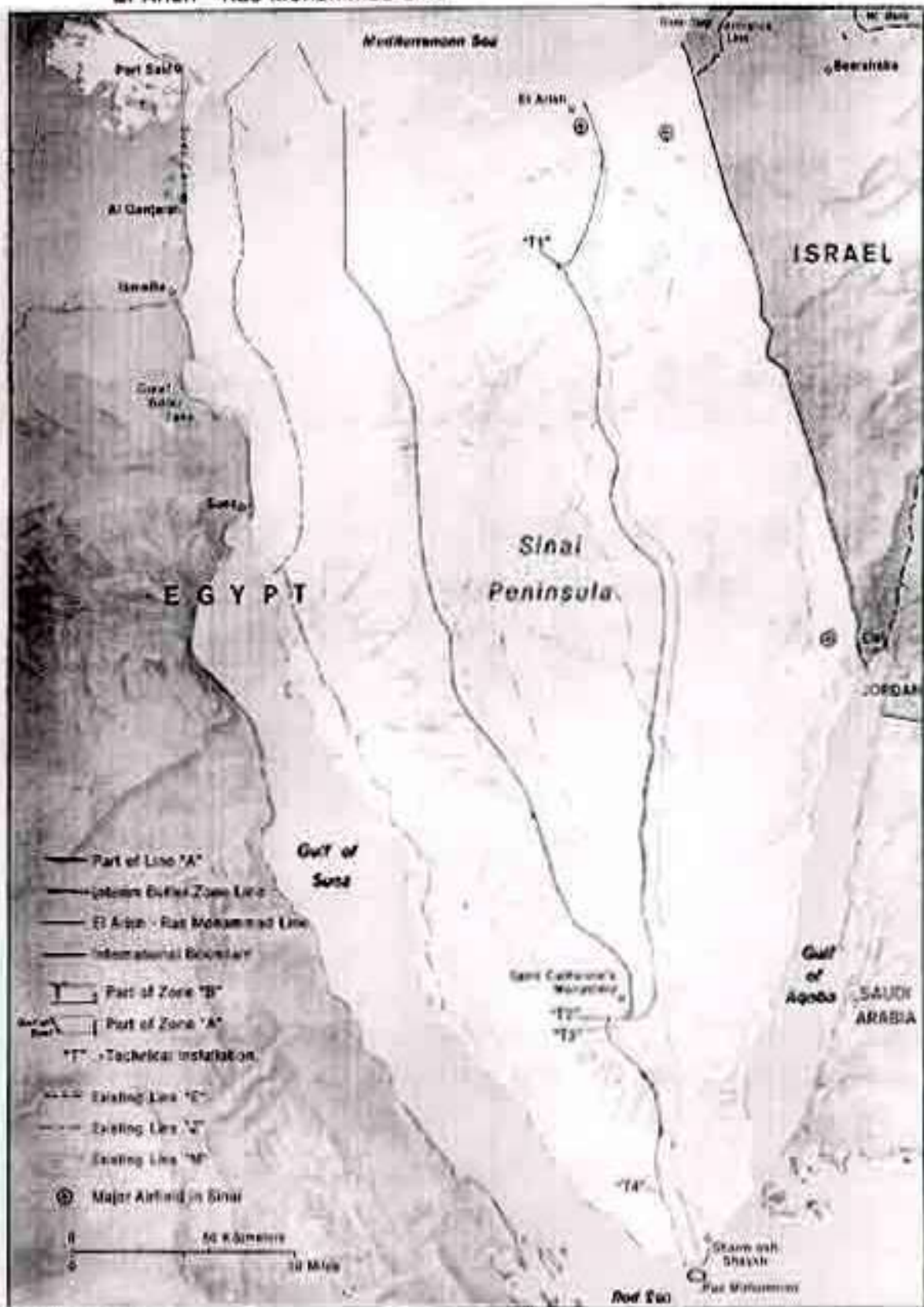
MAP 1 – International Boundary and the Lines of the Zones



SIAC/ISD-79 (544000)

الخريطة (1) الخاصة بالحدود الدولية وخطوط المناطق

MAP 2 – Lines and Zones Effective when Israeli Forces are on the El Arish - Ras Mohammad Line



MAP 2-75 (744354)

الخريطة (2) بالخطوط والمناطق السارية عند انسحاب إسرائيل إلى خط العريش - راس محمد

MAP 3 - Sub-Phases of Withdrawal to the El Arish-Ras Mohammad Line



الخريطة (3) بالمراحل الفرعية للإنسحاب إلى خط العريش - راس محمد

ANNEX II – International Boundary



ملحق (2) .. الحدود الدولية